تفسير الجوادى



مجموعه نمره ١
89

استصحبه العبد الفقير ابو الفضل محمود قره چلبی زاده الشهير عفي عنه

٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرمنا بالنور المبين وهدانا للحق اليقين . كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . والصلاة والسلام على نبي الرحمة وامام الحكمة المنتخب من طينة الكرم . وسلالة المجد الاقدم سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين . قوله عز وجل بسم الله الرحمن الرحيم تعليم منه سبحانه ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها من كل امر ومعناه ابدأ باسم الله لان حرف الباء من حروف الجر لا تستغني عن فعل مضمر ومظهر فكان ضميره ابدأ بكل شيء . واختلف الناس في معنى اشتقاق الاسم . واكثر اهل اللغة على انه مشتق من السمو وهو الرفعة ومعنى الاسم التنبيه على المسمى والدلالة عليه . وقال بعضهم مشتق من السمة وهي العلامة وكان الاسم علامة للمسمى . واما الله عز وجل فقال بعضهم هذا الاسم لا اشتقاق له مثل قولك زيد وعمرو ومعناه عند اهل اللسان المستحق للعبادة ولذلك سمت العرب اصنامهم آلهة لاعتقادهم استحقاقها العبادة وقال بعضهم هو من قولهم أله الرجل الى فلان يأله اذا فزع اليه من أمر نزل به فآلهه اي اجاره وآمنه . ويقال للمولّه اليه كما يقال مؤتم به امام ومعناه ان الخلائق يالهون ويتضرعون اليه في الحوائج والشدائد واختلفوا في بسم الله الرحمن الرحيم هل هي آية من الفاتحة . فقال قراء الكوفة هي آية منها وأبى ذلك اهل المدينة واهل البصرة واما قوله الرحمن الرحيم فهما اسمان مأخوذان من الرحمة . وبنيتهما من الفعل يدلّ على المبالغة ومن المبالغة وفعلان ابلغ من فعيل وهو من ابنية المبالغة لا يكون الا في الصفات كقولك شبعان وغضبان ولهذا كان اسم الرحمن مختصا لا يوصف به غيره . واسم الرحيم مشترك . وعن عثمان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الرحمن العاطف على جميع خلقه بالرزق عليهم والرحيم من الله في الانعام على المحتاج ومن الآدميين رقة القلب . وانما جمع بين الرحيم والرحمن للمبالغة في الرحمة والاحسان بعد الاحسان . وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الآخر ولو قال لطيفان لكان احسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب في اوائل الكتب في اول الاسلام باسمك اللهم حتى نزل بسم الله مجراها فكتب بسم الله ثم نزل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزل بسم الله الرحمن الرحيم قيل انه اسم لا ينبغي لاحد غير الله عز وجل وقيل في تفسير قوله تعالى هل تعلم له سميا اي هل تعرف لغير الله الرحمن في السهل والجبل والبر والبحر والمشرق والمغرب احدا اسمه الرحمن غير الله عز وجل وقيل هو اسمه الاعظم وقدم الرحمن على الرحيم لان الرحمن اسم خاص والرحيم مشترك يقال رجل رحيم ولا يقال رجل رحمن . وقيل الرحمن امدح والرحيم ارق وانما اسقطت الالف من اسم الله لانها كثرت على السنة العرب عند الاكل والشرب والقيام والقعود فحذفت اختصارا من الخط فان ذكرت اسما غير من اسماء الله لم تحذف الالف لعلة الاستعمال نحو قولك باسم الرب وباسم العزيز وان توسطت حرفا سوى الباء لم تحذف الالف ايضا نحو قولك لاسم الله حلاوة في القلوب وليس اسم كاسم الله وكذلك باسم الرحمن وباسم الجليل واقرأ باسم ربك سورة الفاتحة سبع آيات وسبع وعشرون كلمة ومائة واربعون حرفا وهي مكية عند ابن عباس ومدنية عند مجاهد وقتادة والله اعلم قوله عز وجل الحمد لله رب العالمين . الحمد لله نظيران الا ان الحمد اعم من حيث انه يقع على المدح من انعم عليه وغير المنعم عليه ولا يكون الشكر الا من المنعم عليه والشكر اعم من الحمد من حيث انه يكون باللسان والقلب والجوارح والحمد لا يكون الا باللسان ونظير الفرق بينهما نقيضهما فنقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفران قوله رب العالمين الرب في اللغة اسم لمن ربى الشيء واصلحه . يقال لسيد العبد رب ولزوج المرأة رب ولا يقال الرب معرفا بالالف واللام الا لله عز وجل لانه تعالى يربي المربوب والعالم من حال الى حال من نطفة الى علقة الى مضغة الى غير ذلك الى اجل مسمى

قوله العالمين العالم جمع لا واحد له من لفظه كالنفر والرهط وهو اسم لمن يعقل مثل الانس والجن والملائكة الا انك لا تقول رأيت عالما من الابل والبقر والغنم الا ان يحمل اسم العالم في هذه الصورة على كل ذي روح دب ودرج لتغليب العقلاء على غيرهم عند الاجتماع وانما قيل للسموات وما فيها عالم وللارض وما فيها عالم وكذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله اربعة عشر الف عالم وان دنياكم منها عالم وقوله الرحمن الرحيم قد تقدم تفسيره ملك يوم الدين اي يوم الحساب فان قيل لم خص يوم الدين وهو مالك الدنيا والآخرة . قيل لان الله تعالى لا ينازعه احد الحكم ذلك اليوم كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار . وقرأ عاصم والكسائي مالك يوم الدين بالالف والباقون بغير الالف . قال اهل النحو ملك امدح من مالك لان المالك قد يكون غير ملك ولا يكون الملك الا مالكا وروي ان ابا هريرة كان يقرأ مالك يوم الدين على النداء المضاف اي يا مالك يوم الدين وقرأ انس بن مالك ملك يوم الدين الذي جعله فعلا ماضيا قوله عز وجل اياك نعبد واياك نستعين لا يجوز ادخال اياك في غير المضمرات . وحكي عن الخليل اذا بلغ الرجل الستين فاياه واما السّوابّ فاضافة الى ظاهر وهو شيخ جوازه ولا يجوز الا اذا تقدم فان تأخرت نعبدك . ولا يجوز نعبد اياك . فان قيل لم تقدم اياك على نعبد وهلا قال نعبدك قيل ان العرب اذا ذكرت شيئين قدمت الاهم فالاهم وذكر المعبود في هذه الآية اهم من ذكر العبادة فقدمه عليها والكاف من اياك في موضع خفض بمنزلة عصاك واجاز الفراء ان يكون في موضع نصب كانه جعل اياك بكماله الضمير المنصوب فان قيل لم عدل عن الغائب الى المخاطبة . قلنا مثله كثير في القرآن قال الله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم قوله عز وجل اهدنا الصراط المستقيم ارشدنا الطريق القائم الذي ترضاه وهو الاسلام وهذا دعاء ومسألة لتبقط الامر لان الامر لمن دونك . والمسألة لمن فوقك فان قيل ما معنى قولكم اهدنا وانتم مهتدون . قيل هذا سؤال في مستقبل الزمان عند دعوة الشيطان وقيل معناه ثبتنا على الصراط المستقيم لا تقلب قلوبنا معصية ونظيره قوله تعالى في قصة ابراهيم عليه السلام اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين . اي اثبت على الاسلام . وفي الصراط اربع لغات صراط بالصاد . وسراط بالسين . وبالكاف اي الخالص وباشمام الصاد الزاي وكل ذلك قد قرئ به . فبالسين قراءة قنبل وبالاشمام رواية قراءة خلف وقرأ الباقون بالصاد الصافية قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم هم الانبياء واهل طاعة الله تعالى واختلاف القراء في صراط كاختلافهم في الصراط قوله عز وجل غير المغضوب عليهم ولا الضالين المغضوب عليهم اليهود والضالين هم النصارى . واما آمين فانه ليس من السورة ولكن روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقوله ويأمر به . وقال لقنني جبريل عليه السلام بعد فراغي من فاتحة الكتاب آمين . وقال انه كالطابع على الكتاب . وقيل معناه آمين اللهم استجب . وقيل معناه آمين اي كذلك فافعل . وقيل انه اسم من اسماء الله تعالى وقيل معناه اللهم اغفر لي . وفي آمين لغتان المد والقصر قال الشاعر في القصر تباعد عني فطحل اذ رأيته . آمين فزاد الله ما بيننا بعدا . وقال آخر في المد صلى الاله على لوط وشيعته . ابا عبيدة قل بالله آمينا . وقال آخر في المد . يا رب لا تسلبني حبها ابدا . ويرحم الله عبدا قال آمينا . قال صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب رقية لكل شيء الا السام وهو الموت . وروي ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم كنت اخشى العذاب على امتك فلما نزلت فاتحة الكتاب امنت لانها سبع آيات وجهنم لها سبعة ابواب فمن قرأها صارت كل آية منها طبقا على باب سورة البقرة مائتان وثمانون آية وستة آلاف كلمة . ومائة واحدى وعشرون كلمة وخمسة وعشرون الف حرف وخمسمائة حرف . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة من قرأها في بيته نهارا لم يدخل بيته شيطان ثلاثة ايام ومن قرأها في بيته ليلا لم يدخله شيطان ثلاث ليال . وقال صلى الله عليه وسلم تعلموا البقرة وآل عمران فانهما يجيئان يوم القيامة كانهما غمامتان او كانهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما . وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البقرة وآل عمران جعل الله يوم القيامة جناحين منظومين بهما على الصراط كالبرق . وقال صلى الله عليه وسلم تعلموها فان في تعلمها بركة وفي تركها حسرة ولا يستطيعها البطلة يعني السحرة . بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم اختلفوا في تفسير الم وسائر حروف التهجي فروي عن عمر وعثمان

وانهم يسمون الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر وافتهم في ذلك الشعبي وقال ان لله تعالى سرا في كتبه وان سره في القرآن الحروف المقطعة • وقال بعضهم انها من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها فنحن نؤمن بتنزيلها ونكل الى الله تأويلها

وقال علي رضي الله عنه لكل شيء صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان معناه انا الله اعلم • اي ان كل حرف قائم مقام الكلمة وكذلك الر معناه انا الله ارى • والمر انا الله اعلم وارى • والمص انا الله اعلم وافصل • وكهيعص الكاف من كافي والها من هادي والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق • ويقال الالف مفتاح اسمه الله واللام لطيف والميم مجيد • ومعناه الله اللطيف المجيد انزل الكتاب • ويقال الالف الله واللام جبريل والميم محمد ومعناه انزل جبريل على محمد بهذا القرآن • وقيل هذا قسم اقسم الله به ان هذا الكتاب الذي انزل على محمد هو الكتاب الذي عند الله وجوابه لا ريب فيه • وقال محمد بن الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه • وقال اهل الاشارة الالف انا واللام لي والميم مني • وهذه الحروف موقوفة لانها حروف التهجي لا تعرب كالعدد في قولهم واحد اثنان واذا ادخلوا الواو حركوه لانه صار في حد الاسماء تقول الف ... العدد • وقال الاخفش هي ساكنة لا تعرب • وقوله الم رفع على الابتداء وذلك خبره والكتاب صلة لذلك ويحتمل ان يكون الم خبر ابتداء تقديره ذلك الكتاب الذي وعدت ان اوحيه اليك الم ومن ابطل محل الحروف جعل ذلك ابتداء والكتاب خبره والم صلة فيكون لذلك معنيان احدهما ان ذلك بمعنى هذا وقد يستعمل ذلك بمعنى هذا قال خفاف ... طعنته • تامل خفافا انني انا ذلكا • اي انا هذا • اطل العود عطفه ولذلك على الاضمار كانه قال هذا القرآن ذلك الكتاب الذي وعدت في التوراة والانجيل ان اوحيه اليك • وقيل الم ابتداء اخر والكتاب خبره • والجملة خبر الاول • وقال بعض المفسرين اختلف في هذا الكتاب فقال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد هو القرآن فعلى هذا يكون ذلك بمعنى هذا كقوله تعالى وتلك حجتنا • وقيل معناه ذلك الكتاب الذي ذكر في التوراة والانجيل

قوله تعالى **ذلك الكتاب لا ريب فيه** • اي لا شك فيه ونصب ريب لتعميم النفي لانك تقول لا رجل في الدار بالنصب فيكون نفيا عاما • واذا قلت لا رجل في الدار بالرفع جاز ان يكون في الدار رجلان او ثلاثة قوله عز وجل **هدى للمتقين** • نصب على الحال لما في ذلك من الكتاب كانه قال ذلك الكتاب هاديا ولما فيه لا ريب كانه قال لا ريب فيه في حال الهداية ويجوز ان يكون موضعه رفعا على الاضمار هو لا ريب فيه • فان قيل لم خص المتقين وهو هدى لهم ولغيرهم • قيل تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه • وفائدة التخصيص تشريف المتقين ومثله انما انت منذر من اتبع الذكر وانما انت منذر من يخشاها قوله تعالى **الذين يؤمنون بالغيب** اي بالبعث والحساب والجنة والنار وقيل الغيب ... قوله تعالى **ويقيمون الصلوة** اي الصلوة الخمس بشرائطها في مواقيتها قوله تعالى **ومما رزقناهم ينفقون** يعني الزكوة وهو الاظهر لان الله تعالى قرن بين الصلوة والزكوة في مواضع كثيرة واقامة الصلوة طهارة الابدان واعطاء الزكوة طهارة الاموال وبالاموال قوام الابدان • وقد قيل هو نفقة الرجل على اهله • قيل لما انزل الله قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة الاية • قالت اليهود نحن نؤمن بالغيب ونقيم الصلوة وننفق مما رزقنا الله فانزل الله والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك فالذي انزل اليه الفرقان والذي انزل من قبله التوراة والانجيل وسائر الكتب المنزلة فنفروا من ذلك • فان قيل لم قال وبالاخرة هم يوقنون ولم يقل يؤمنون قيل لان الايقان تأكيد الايمان واليقين الاخرة يعني ... ومعنى الاية وبالدار الاخرة هم يعلمون ويستيقنون انها كائنة قوله تعالى **اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون** اي اهل هذه الصفة على رشد وبيان وصواب من ربهم والمفلحون الناجون الفائزون بالجنة والناجون من النار وقيل هم الباقون في الثواب والنعيم قوله عز وجل **ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون** يعني مشركي العرب • وقال الضحاك نزلت في ابي جهل وخمسة من اهل بيته وقال الكلبي يعني اليهود وقيل المنافقين والكفر هو الجحود والانكار • والانذار التحذير والتخويف ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون • وقوله تعالى

وهذه الاية خاصة فيمن حقت عليه كلمة العذاب والشقاوة في سابق علم الله قوله تعالى **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم** اي طبع الله على قلوبهم • والختم والطبع بمعنى واحد وهو التغطية للشيء • والمعنى طبع الله على قلوبهم اي اغلقها واقفلها فليست تعي خيرا ولا تفهمه وعلى سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به • وانما وحد السمع لانه مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع • وقيل اراد سمع كل واحد منهم كما يقال اتاني برأس كبشين اراد برأس كل واحد منهما • وقال سيبويه توحيد السمع يدل على الجمع لانه توسط جمعين كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور • وقوله تعالى عن اليمين والشمائل يعني الانوار والايمان • وقرأ ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم وتم الكلام عند قوله وعلى سمعهم وقال **وعلى ابصارهم غشاوة** اي غطاء وحجاب فلا يرون الحق • وقرأ المفضل بن محمد غشاوة بالنصب كانه اضمر فعلا اي وجعل على ابصارهم غشاوة يدل عليه قوله تعالى وجعل على بصره غشاوة • وقرأ الحسن غشاوة بضم الغين • وقرأ الجحدري غشاوة بفتح الغين • وقرأ اصحاب عبد الله غشوة بفتح الغين من غير الف • ومن رفع غشاوة فعلى الابتداء **ولهم عذاب عظيم** يعني القتل والاسر • وقال الخليل العذاب ما يمنع الانسان عن مراده • وقيل هو ايصال الالم الى الحي مع الهوان • ولهذا لا يسمى ما يفعل الله بالبهائم والاطفال عذابا لانه ليس على سبيل الهوان **ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين** • نزلت هذه الاية في المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول • ومعتب بن قشير • وجد بن قيس ومن تابعهم كانوا يقولون للصحابة امنا بالذي امنتم به ونشهد ان صاحبكم صادق وهم كذلك في الباطن اذا خلوا وكانوا يقولون فيما بينهم هل حيلة نسلم بها من محمد واصحابه ونكون مع ذلك متمسكين بديننا فقال الله عز وجل وما هم بمؤمنين وانما وحد في اول الاية وجمع الضمير في اخرها لان لفظ من لفظ الوحدان ومعناه يصلح للذكر والمؤنث والاثنين والجماعة فعدل تارة الى اللفظ وتارة الى المعنى • ونظيره قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله الاية ومن يقنت منكن لله ورسوله الاية قوله عز وجل **يخادعون الله والذين امنوا** • اي يخالفون الله تعالى ويكذبونه ويكيدون المؤمنين ويخالفونهم في ضمائرهم وهم المنافقون واصل الخداع في اللغة الاخفاء ومنه قيل للبيت الذي يخبأ فيه المتاع مخدع فالمخادع يظهر خلاف ما يضمر • وقال بعضهم اصل الخداع في اللغة الفساد • قال الشاعر

ابيض اللون لذيذ طعمه • طيب الريق اذا الريق خدع • اي فسد فيكون المعنى يفسدون ما اظهروا في السنتهم بما اضمروا في قلوبهم • وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى فلما اسفونا انتقمنا منهم اي اسفوا نبينا • وقوله تعالى والذين يؤذون الله ورسوله اي اولياء الله لان الله لا يؤذى ولا يخادع • وقد يكون المفاعلة من واحد كالمسافرة فان قيل ما وجه مخادعتهم لله تعالى وهو لا يخفى عليه شيء وما وجه مخادعة المؤمنين ومخادعة انفسهم قيل المخادعة الاخفاء • يقال اخدعهم • في وجوه والله تعالى لا يخادع في الحقيقة ولكن اطلق عليه اسم المخادعة لما فعلوه فعل المخادعين ولو كان يصح بهم خداعهم لقال يخدعون الله • وقيل معناه يخادعون رسول الله واما مخادعة المؤمنين فاظهارهم لهم الاسلام تقية • وقيل اظهار الاسلام لهم ليكرموهم ويجلوهم • وقيل اظهروا لهم ذلك ليفشوا اليهم سرهم فينقلونه الى اعدائهم • واما مخادعة انفسهم فضرر ذلك عليهم • قال الله تعالى **وما يخادعون الا انفسهم** لان وبال الخداع عائد عليهم فكانهم في الحقيقة انما يخدعون انفسهم **وما يشعرون** اي وما يعلمون انه كذلك • والشعور هو العلم الدقيق الذي يكون حادثا من الفطنة وهو من شعار القلب ومنه يسمى الشاعر شاعرا لفطنته لما يدق من المعنى والوزن ومنه الشعر لدقته • ويقال ما شعرت اي ما علمت به • وليت شعري ما صنع فلان اي ليت علمي • واختلف القراء في قوله تعالى وما يخادعون فقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وما يخادعون بالالف • وقرأ الباقون يخدعون بغير الف على انه للعينين وافصحهما واختاره ابو عبيد ولا خلاف في الاول انه بالالف قوله عز وجل **في قلوبهم مرض** اي شك ونفاق • وسمي بالنفاق

مرضا لانه يهلك صاحبه ولانه يضطرب في الدين يوالي المؤمنين بالقول والكفار بالقلب فحاله كحال المريض الذي هو
مضطرب بين الحيوة والموت وقيل ان الشك الم القلب والمرض الم البدن فسمي الشك مرضا لما فيه من الهم
والحزن والعادتي فزادهم الله بمعنى المجازاة وقيل على وجه الدعاء وقيل سمي النفاق مرضا لانه يضعف الدين
واليقين كالمرض الذي يضعف البدن وينقص قواه ولانه يؤدي الى الهلاك بالعذاب كما ان المرض يؤدي الى
الهلاك بالموت **فزادهم الله مرضا** اي شكا ونفاقا وعذابا وهلاكا **ولهم عذاب اليم** اي وجيع
يخلص وجعه الى قلوبهم وهو بمعنى مؤلم **بما كانوا يكذبون** قال بعضهم الباقي بما صلة اي لهم عذاب
اليم بكذبهم وتكذيبهم الله ورسوله في السر فيكون ما مصدرية والاولى اعمال الحروف وما وجد لها مساغ اي
بالنبي الذين يكذبون بسوقي قوله يكذبون خلافا بين القرا فقرا اهل الكوفة بفتح الياء وتخفيف الذال اي بكذبهم
اذ قالوا امنا وهم غير مؤمنين **واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض** قرا الكسائي ويعقوب
وهشام وهم الباقون بالتشديد وضم الياء وجيل وسيق وحيل وبني وسيئت باشمام الضمة ومعنى الاية واذا قيل
للمنافقين وقيل لليهود اي اذا قال لهم المؤمنون لا تفسدوا في الارض بالكفر والمعصية والمداهنة وتعويق الناس عن
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران قالوا انما نحن مصلحون اي عاملون بالطاعة ومصلحون بالمداهنة لانهم كانوا
يقولون لا نعادي المؤمنين ولا الكفار نذبذب بين هؤلاء وهؤلاء حتى اذا غلب احد الفريقين لا ياتينا من دابهم
شيء يقول الله تعالى الا انهم هم المفسدون الا كلمة تنبيه والمعنى الا انهم هم المفسدون بالمداهنة والموالاة
المعصية وقوله تعالى هم عماد وتاكيد **قوله تعالى ولكن لا يشعرون** اي لا يعلمون ما اعد الله لهم من العذاب
وقيل لا يعلمون انهم كذلك **قوله تعالى واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس** اي اذا قيل للمنافقين
صدقوا كما صدق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا انصدق كما صدق الجهال يقول الله تعالى الا انهم
هم الجهال بتركهم التصديق في السر ولكن لا يعلمون انهم جهال وقيل معناه امنوا كما امن عبد الله بن سلام وغيره
من مؤمني اهل الكتاب والسفها جمع سفيه وهو الكذاب المتعمد بخلاف ما يعلم وقال قطرب
السفيه الجهول الظلوم القايل خلاف الحق **قوله عز وجل واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا** قال
جويبر عن الضحاك عن ابن عباس كان عبد الله بن ابي سلول الخزرجي عظيم المنافقين من رهط سعد بن عبادة وكان
اذا لقي سعدا قال نعم الدين دين محمد وكان اذا رجع الى رؤساء قومه من اهل الكفر قال شدوا ايديكم بدين
ابائكم فانزل الله هذه الاية وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي
واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله لاصحابه
انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال مرحبا بالصديق وسيد بني
تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر رضي الله تعالى عنه وقال مرحبا
بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله عز وجل الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ
بيد علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه وقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم
ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي رضي الله تعالى عنه اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة
الله فقال مهلا يا ابا الحسن ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم وفي رواية والله اني مؤمن بالله ورسوله
ثم افترقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاذا رايتموهم فافعلوا كما فعلت فاثنوا عليه وقالوا لا نزال بخير
ما عشت فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك فانزل الله هذه الاية ومعناها واذا لقوا الذين
امنوا ابا بكر واصحابه قالوا امنا كايمانكم وقرا محمد بن السميفع واذا لاقوا وهما بمعنى واحد واصله لقيوا

لقيوا فاستثقلت الضمة على الياء فنقلت الى القاف وسكنت الياء والواو فحذفت الياء لالتقاء الساكنين
واذا خلوا الى شياطينهم اي مع شياطينهم وهم رؤساؤهم في الضلالة قال الاخفش كل عات متمرد
فهو شيطان ومعنى خلوا رجعوا ويجوز ان يكون من الخلوة يقال خلوت به وخلوت معه وخلوت اليه كلها بمعنى واحد
قال ابن عباس شياطينهم رؤساؤهم وكبراؤهم وكهنتهم وهم خمسة نفر من اليهود ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان فمنهم كعب بن
الاشرف بالمدينة وابو بردة في بني اسلم وعبد الدار في جهينة وعوف بن عامر في بني اسد وعبد الله بن السوداء بالشام
والشيطان المتمرد العاتي من كل شيء ومنه قيل للحية الخبيثة شيطان قال الله تعالى طلعها كانه رؤوس الشياطين اي
الحيات **قوله تعالى قالوا انا معكم** اي على دينكم وانصاركم وقوله تعالى انما نحن مستهزؤن اي بمحمد واصحابه باظهار قول
لا اله الا الله محمد رسول الله **قوله تعالى الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون** اي
يجازيهم على استهزائهم فسمي الجزاء باسم الابتداء اذ كان مثله في الصورة كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فسمي جزاء السيئة
سيئة وقال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه والثاني ليس باعتداء **قوله تعالى ويمدهم** اي يتركهم ويمهلهم
في ضلالتهم يعمهون يقال مد في الشر وامد في الخير وقال يونس بن … المد في معنى الترك والامداد في معنى الاعطاء وقيل هما
والامداد بمعنى واحد وقال الاخفش ويمدهم اي يمد لهم فحذف اللام والطغيان مجاوزة الحد يقال طغا الماء
اذا جاوز حده وقيل لفرعون انه طغى اي اسرف في الدعوى حيث قال انا ربكم الاعلى وقرا ابن محيصن ويمدهم بضم الياء
وكسر الميم وهما لغتان الا ان المد اكثر ما يأتي في الشر قال الله تعالى ونمد له من العذاب مدا والامداد في الخير قال الله تعالى
ويمددكم باموال وبنين وقال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين وقيل معنى الله يستهزئ بهم اي يوبخهم
ويعيبهم ويجهلهم وقيل معناه الله يظهر المؤمنين على نفاقهم وقال ابن عباس هو ان يطلع الله المؤمنين يوم القيمة
وهم في الجنة على المنافقين وهم في النار فيقولون لهم اتحبون ان تدخلوا الجنة فيقولون نعم فيفتح لهم باب الى الجنة ويقال
لهم ادخلوا فياتون فيتقلبون في النار فاذا انتهوا الى الباب سد عليهم وردوا الى النار ويضحك المؤمنون منهم فذلك
قوله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون الى قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال امر بناس من المنافقين الى الجنة حتى اذا دنوا منها ووجدوا ريحها
ونظروا الى ما اعد الله لاهلها من الكرامة نودوا ان اصرفوهم عنها فيرجعون بحسرة وندامة لم يرجع الخلائق بمثلها
فيقولون يا رب لو ادخلتنا النار قبل ان ترينا ما ارينا كان اهون علينا فيقول الله تعالى هذا الذي اردت
بكم … هبتم الناس ولم تهابوني اجللتم الناس ولم تجلوني كنتم تراءون الناس باعمالكم خلاف ما كنتم تروني من
قلوبكم فاليوم اذيقكم من عذابي مع ما حرمتكم من ثوابي فان قيل لم امر الله بقتال الكفار المعلنين بالكفر
ولم يامر بقتال المنافقين وهم في الدرك الاسفل من النار وخالف بين احكامهم واحكام الكفار المظهرين الكفر
واجرى احكام المسلمين في التوارث والانكحة وغيرها قيل عقوبات الدنيا ليست على قدر الاجرام وانما هي
على ما يعلم الله من المصالح ولهذا اوجب الله رجم الزاني المحصن ولم يزل عنه الرجم بالتوبة والكفر اعظم من الزنا ولو
تاب منه قبلت توبته وكذلك اوجب الله على القاذف الحد ولم يوجبه على القاذف بالكفر واوجب على شارب الخمر
الحد ولم يوجبه على شارب الدم **قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** اي استبدلوا
الضلالة وتركوا الهدى واختاروا الكفر على الايمان وانما اخرجه بلفظ الشرا والتجارة توسعا لان الشرا
والتجارة راجعان الى الاستبدال والاختيار لان كل واحد من المتبايعين يختار ما بيد صاحبه على ما في يده
قوله تعالى فما ربحت تجارتهم اي فما ربحوا في تجارتهم تقول العرب ربح بيعك وخسرت صفقتك
ونام ليلك توسعا قال الله تعالى فاذا عزم الامر وقرا ابن ابي عبلة فما ربحت تجاراتهم على الجمع وقوله تعالى

وما كانوا مهتدين اي من الضلالة . وقيل مصيبين وما كانوا مصيبين في تجارتهم . مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا اي مثل المنافقين في اظهارهم وحقنهم دماءهم واموالهم كمثل رجل في ليلة مظلمة في مفازة يخاف
السباع على نفسه فيوقد نارا ليأمن بها من السباع فلما اضاءت النار ما حول المستوقد طفئت فبقي في ظلمة كذلك المنافق
يخاف على نفسه من قتل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لو لم يسلم فيحقن دمه ويأمن المسلمين فيكون له نور بمنزلة
نور نار المستوقد . فاذا بلغ اخر عمره لم يكن لايمانه اصل في قلبه ولا حقيقة في عمله سلب نور الايمان عند الموت
فيبقى في ظلمة الكفر . وقوله تعالى استوقد يعني اوقد . قال الشاعر : وداع دعانا من يجيب الى الندا فلم يستجبه
عند ذاك مجيب . كمثل الذي يعني الذين دليله سياق الاية ونظيره قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق
به اولئك هم المتقون . فان قلت كيف يجوز تشبيه الجماعة بالواحد . قلت لان الذي اسم ناقص فيشارك الواحد
والاثنين كمن وما وفي الاية ما يدل على ان معناه الجمع وهو قوله تعالى وتركهم . وقد يجوز تشبيه فعل
الجماعة بفعل الواحد مثل قوله تعالى تدور اعينهم كالذي يغشى عليه . وقوله تعالى فلما اضاءت يقال اضاء
النار ضوءا واضاءت يعني اضاءت . واضاءة غيره يكون لازما ومتعديا . وقرأ محمد بن السميقع ضاءت بغير الف وحوله
نصب على الظرف . ذهب الله بنورهم اي اذهب الله نورهم وانما قال بنورهم والمذكور في اول
الاية النار لان النار فيها شيئان النور والحرارة فذهب الله نورهم وبقيت الحرارة عليهم . وفي بعض التفاسير قال
ابن عباس وقتادة والضحاك معنى الاية مثلهم في كفرهم ونفاقهم كمن اوقد نارا في ليلة مظلمة في مفازة فاستضاء بها
واستدفأ ورأى ما حوله فاتقى ما يحذر ويخاف وامن فبينما هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي مظلما خائفا
متحيرا كذلك المنافقون اذا اظهروا كلمة الايمان واستناروا بنورها واعتزوا بعزها فناكحوا المسلمين ووارثوهم
وقاسموهم الغنائم وامنوا على اموالهم واولادهم . فاذا ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وحصلوا في العذاب والنقمة
صم بكم عمي اي هم صم عن الهدى لا يسمعون الحق بكم لا ينطقون بخير عمي لا يبصرون الهدى …
كما قال تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون . وقيل معناه يتصامون عن الحق بكم يتباكمون عن قول الحق
عمي يتعامون عن النظر الى الحق يعني الاعتبار . وقرأ عبد الله صما بكما عميا بالنصب على معنى وتركهم كذا
وقيل على الذم وقيل على الحال . وقوله تعالى فهم لا يرجعون اي عن الضلالة والكفر الى الهدى والايمان
قوله تعالى او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق هذا مثل آخر ضربه الله تعالى لهم
ايضا معطوف على المثل الاول اي مثلهم كمثل الذي استوقد نارا او مثلهم ايضا كصيب . قال اهل المعاني او بمعنى
الواو يريد وكصيب كقوله او يزيدون . وانشد الفراء : وقد زعمت ليلى باني فاجر لنفسي تقاها او عليها فجورها
اي وعليها . ومعنى الاية مثل المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن كصيب اي كمطر نزل من السماء ليلا على قوم في
مفازة فيها ظلمات ورعد وبرق كذلك القرآن نزل من الله من السماء فيه ظلمات اي ما … الفتن وابتلاء المؤمنين …
في الدنيا . ورعد اي وعد ووعيد وتخويف . وبرق اي بيان وتبصرة فجعل اصحاب المطر اصابعهم في اذانهم من الصواعق مخافة
الهلاك كذلك المنافقون كانوا يجعلون اصابعهم في اذانهم من بيان القرآن ووعده ووعيده وما فيه من الدعاء
الى الجهاد مخافة ان يقتلوا في الجهاد . ويقال مخافة ان يميل قلوبهم الى ما في القرآن . وعن الحسن انه قال
في الاية تشبيه الاسلام بالصيب لان الصيب يحيي الارض والاسلام يحيي الكفار . قال الله تعالى اومن كان ميتا
فاحييناه . وقوله تعالى كصيب اي كاصحاب صيب لاستحالة تشبيه الحيوان بالصيب وتمثيل العاقل بغير العاقل
وقوله تعالى من الصواعق جمع صاعقة وهي صوت ورعد وبرق فيه قطعة من النار لا تاتي على شيء الا احرقته
قوله تعالى من السماء . كل ما علاك فهو سماء والسماوات تكون واحدا وجمعا . قال الله تعالى ثم

استوى الى السماء فسواهن سبع سماوات . وقيل هو جمع واحدته سماوة . والسماوات جمع الجمع مثل جرادة وجراد
وجرادات . والسماء تذكر وتؤنث . قال الله تعالى السماء منفطر به . وقال اذا السماء انفطرت . وقوله
تعالى فيه ظلمات اي في الصيب . وقيل في الليل كناية عن غير مذكور . وظلمات جمع ظلمة فضمة اللام على الاتباع لضمة
الظاء . وقرأ الاعمش ظلمات بسكون اللام على اصل الكلام لانها ساكنة في التوحيد . وقرأ اشهب العقيلي ظلمات
بفتح اللام لانه لما اراد تحريك اللام حركها الى اخف الحركات كقول الشاعر : فلما رأونا باديا ركباننا
على موطن لا نخلط الجد بالهزل . وقوله تعالى ورعد الرعد هو الصوت الذي يخرج من السحاب . وبرق وهو النار
التي تخرج منه . قال مجاهد الرعد ملك يسبح بحمده ويقال لذلك الملك رعد ولصوته رعد . وقال عكرمة
الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقها كما يسوق الراعي الابل . وقال شهر بن حوشب الرعد ملك يزجي السحاب كما يزجي الراعي
الابل . فاذا تبددت السحاب ضمها . فاذا اشتد غضبه طار فيه من النار فهي الصواعق . والصواعق ايضا المهالك
وهي جمع صاعقة . والصاعقة والصاقعة والصعقة كلها الهلاك ومنه قيل صعق الانسان اذا غشي عليه وصعق
اذا مات . قوله عز وجل يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت اي مخافة الموت
وهو نصب على المصدر . وقيل بنزع الخافض . وقرأ قتادة حذار الموت . قوله تعالى والله محيط بالكافرين
اي عالم بهم يدل عليه قوله تعالى قد احاط بكل شيء علما . وقيل معناه والله مهلكهم وجامعهم في النار دليله ان يحاط بكم اي
تهلكوا جميعا . قوله عز وجل يكاد البرق يخطف ابصارهم اي يختلس ابصار المسافرين من شدة ضوئه كذلك
البيان من القرآن يكاد يذهب بابصار المنافقين فياخذهم الى الله … ومعنى يكاد اي يقرب من ذلك
ولم يفعل . وقرأ ابن ابي اسحاق يخطف بنصب الخاء وتشديد الطاء يختطف فادغم . قوله تعالى كلما اضاء لهم مشوا
فيه اي كلما اضاء البرق للمسافرين مشوا في ضوئه . واذا اظلم عليهم قاموا . بقوا في الظلمة كذلك المنافقون كانوا
امنوا مشوا فيما بين المؤمنين فلما ماتوا بقوا في ظلمة القبر وفي حرق عند الله مضاعفة . قوله تعالى ولو شاء
الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي لذهب بسمع المسافرين بالرعد وابصارهم بالبرق كذلك لو شاء الله لذهب
بسمع المنافقين وابصارهم بما في القرآن من وعد ووعيد والبيان الذي فيه وجعلهم صما عميا في الحقيقة عقوبة لهم
قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير اي من اذهاب السمع والبصر . قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا
ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . قال ابن عباس يا ايها الناس خطابا لاهل مكة ويا ايها الذين امنوا
خطاب لاهل المدينة وهو ههنا عام . وقوله تعالى اعبدوا ربكم اي وحدوه واطيعوه . وقوله تعالى والذين من قبلكم
اي وخلق الذين من قبلكم لعلكم تتقون اي لكي تنجوا من السخط والعذاب . قال سيبويه لعل وعسى حرفا
ترج وهما من الله واجبان . قوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء اي هو الذي جعل وقيل
اعبدوا ربكم الذي جعل لكم الارض فراشا اي بساطا . وقوله تعالى والسماء بناء انما اطلق البناء على السماء
دون الارض لان خلقها بعد خلق الارض . قال الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى
الى السماء فسواهن . قال ابن عباس كل سماء مطبقة على الاخرى كالقبة . وسماء الدنيا ملتصقة
اطرافها بالارض . وقوله تعالى وانزل لكم من السماء ماء اي من السحاب سمي سماء لقربه من السماء . وقيل معناه
من نحو السماء . وقيل لان الله تعالى ينزل المطر من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض . وقيل
يخلق الله المطر في السحاب ثم ينزله منه الى الارض . قوله عز وجل فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم ظاهر المراد . قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا اي امثالا ونظراء . وانتم تعلمون
ان الله خلق كل هذه الاشياء دون غيره وان ليس للاصنام عليكم نعمة تستحق بها عبادتكم . قوله تعالى وان كنتم في

ريب اي في شك مما نزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه ليس بنبي وان محمدا يختلقه من نفسه فأتوا بسورة من مثله
والهاء في مثله عائد الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معناه فأتوا بسورة من مثل ما نزلنا وادعوا شهداءكم
من دون الله اي الهتكم ومن ترجون معونته في الاتيان بسورة من مثله ان كنتم صادقين انه ليس من الوحي
وقوله تعالى فاعلموا انه معجز لان الله تعالى علم بعجز العباد عنه فان لم تفعلوا ولن تفعلوا اي فان لم
تأتوا بمثله ولن تأتوا ابدا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اي حطبها الناس والحجارة والمراد بالحجارة حجارة الكبريت
لانها اسرع وقودا وابطأ خمودا وانتن رائحة واشد حرا والصق بالبدن قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا
الصالحات ان لهم اي بان لهم موضع ان نصب بنزع الخافض وقوله تعالى جنات اي بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها
وغرفها انهار من الماء والعسل والخمر واللبن كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي
رزقنا من قبل اي كلما اطعموا من انواع الثمرات بالبكر والعشيات اذا اتوا به بكرة قالوا هذا الذي اوتينا به عشية
واذا اوتينا به عشية قالوا هذا الذي اوتينا به بكرة فاذا اطعموه وجدوا طعمه غير طعم الذي طعموه من قبل قوله تعالى واتوا
به متشابها اي في المنظر مختلفا في الطعم قوله تعالى ولهم فيها ازواج مطهرة اي نساء وجوار لا يحضن
ولا يمتخطن ولا يلدن ولا يحدثن ... ولا يحسدون ولا يبغضن ولا ينظرن الى غير ازواجهن مهذبات في الخلق والخلق
طاهرات من كل دنس وعيب قوله تعالى وهم فيها خالدون اي مع هذه الكرامات دائمون لا يموتون ولا يخرجون ابدا
وسئل صلى الله عليه وسلم ما بال اهل الجنة عملوا في عمر قصير فخلدوا في الجنة وما بال اهل النار عملوا في عمر قصير فخلدوا في النار
فقال كل واحد من الفريقين يعتقد انه لو عاش ابدا عمل ذلك العمل والبشارة المطلقة هو الخبر الذي يحدث عنده الاستبشار والسرور
وان كان يستعمل مقيدا كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم ولهذا قال علماؤنا فيمن قال اي عبيدي بشرني بقدوم
فلان فهو حر فبشره جماعة من عبيده واحد بعد واحد ان الاول يعتق دون غيره لان البشارة حصلت بخبر الاول
خاصة بخلاف ما اذا قال اي عبيدي اخبرني بقدوم فلان فاخبروه واحد بعد واحد فانهم يعتقون جميعا قوله تعالى
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها هذا مثل للمنافقين وسببه لما ذكر الله في المثل
للنافقين المتقدمين قالوا ان الله اجل واعلى من ان يضرب هذه الامثال كان لا يستحسن الامثال لان البعوضة مع ما ذكر
... فكذلك المنافقون يحيون ما اتقوا فاذا شبعوا هلكوا فكانه قال تعالى لا يستحيي من ضرب المثل
في المنافقين وانما اضربه بالبعوض الذي هو مثلهم وقيل ان المشركين لما نزل قوله تعالى ان الذين تدعون من دون
الله لن يخلقوا ذبابا وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت قالوا ان رب
محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت فانزل الله هذه الاية كانه قال لا استحيي بضرب المثل بالبعوض والعنكبوت
مع صغرهما وانما يجب ان ... ومعنى الاية ان الله لا يمنعه الحياء ان يضرب بحق شبها ما بعوضة فما فوقها مثل الذباب والعنكبوت
فما فوقها في الصغر قوله تعالى فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اي يعلمون ان المثل حق من ربهم
واما الذين كفروا فيقولون اي شيء اراد الله بذكر البعوض والذباب مثلا قوله تعالى يضل به كثيرا اي يخذلهم يا محمد يضل
ويخذل بالمثل كثيرا من الناس ويوفق لمعرفته كثيرا وما يضل به الا الفاسقين يعني الخارجين عن طاعة الله قيل هم اليهود وفي هذه
الاية ... قوله مثلا ما قيل لكن معناه ان يضرب مثلا ما من الاشياء بعوضة فما فوقها وقيل الاصح انها زائدة
مثل فبما نقضهم ولا اعراب لها فتخطاها الناصب والخافض الى ما بعدها وقيل نصب بعوضة على معنى ما بين بعوضة الى
ما فوقها فاذا القي بين نصب ويقال في الكلام هي احسن الناس ما قرنا فقدما قوله تعالى مثلا نصب على القطع عند الكوفيين
وعلى الحالة ... وعند البصريين على الحال اي ما اراد الله بالمثل في هذه الحالة قوله تعالى
الذين ينقضون عهد الله نعت الفاسقين ومن جعله مبتدأ وقف على الفاسقين قوله ينقضون عهد الله اي يتركون

امر الله ووصيته من بعد تغليظه وتوكيده والعهد ما اخذ الله على النبيين ومن تبعهم ان لا يكفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم
ويبينوا نعته وصفته قوله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يعني الرحم الذي امرهم بصلته
تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا اي كنتم نطفا في اصلاب اباءكم فاحياكم في ارحام امهاتكم واخرجكم
صغارا ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم للبعث ثم اليه ترجعون في الاخرة قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما
في الارض جميعا يعني من البحر والبر والدواب ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات فان قيل هذه الاية
تقتضي ان خلق السموات بعد الارض وقال تعالى في اية اخرى ام السماء بناها ثم قال والارض بعد ذلك دحاها قيل مجموع الايتين يدل
على ان خلق الارض قبل السماء الا ان بسط الارض بعد خلق السماء قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض
خليفة يعني ادم وذريته قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها واختلفوا في معنى الخليفة فروي ان رجلا الطلحة والزبير
وكعبا وسلمان ما الخليفة وما الملك فقال طلحة والزبير ما ندري وقال سلمان الخليفة هو الذي يعدل في رعيته ويقسم بينهم
بالسوية ويشفق عليهم شفقة الرجل على اهله والوالد على ولده ويقضي بكتاب الله تعالى فقال كعب ما كنت احسب ان
احدا من الناس يعرف الخليفة من الملك غيري ولكن الله ملأ سلمان علما وحلما وعدلا وروي ان عمر رضي الله عنه قال لسلمان املك
انا ام خليفة فقال سلمان ان انت جبيت ارض المسلمين درهما او اقل او اكثر فوضعته في غير حقه فانت ملك وان انت
فعلت بالعدل والانصاف فانت خليفة فاستعبر عمر رضي الله عنه وروي ان معاوية كان يقول اذا جلس على المنبر
يا ايها الناس ان الخلافة ليست بجمع المال ولا تفرقه ولكن الخلافة العمل بالحق والحكم بالعدل واخذ الناس بامر الله عز وجل كذا في
تفسير القران للثعلبي رحمه الله تعالى قوله تعالى اتجعل فيها من يفسد فيها اي يعصيك فيها ويسفك الدماء ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك اي نبرئك من السوء ونصلي لك ونطهر انفسنا لك قيل اللام في نقدس لك زائدة اي نقدسك
قوله تعالى قال اني اعلم ما لا تعلمون اي اعلم انه سيكون فيهم انبياء وقوم صالحون يسبحون بحمدي ويقدسون
لي ويطيعون امري وروي ان الله لما خلق الارض جعل سكانها الجن بني الجان وجعل الملائكة سكان السموات
لاهل كل سماء عبادة اهون من التي فوقها وكان ابليس من جند الملائكة في سماء الدنيا وكان رئيسهم واسمه عزازيل فلما
افسدت الملائكة الجن بنو الجان الذين سكنوا الارض فيما بينهم وسفكوا الدماء وعملوا المعاصي بعث الله اليهم ابليس مع جند
فهبطوا الى الارض واجلوا الجن منها والحقوهم بجزائر البحار وسكن ابليس والجند الذي معه في الارض فلما اراد
الله ان يخلق ادم وذريته قال للملائكة الذين كانوا مع ابليس في الارض اني جاعل في الارض خليفة فتعجبوا من ذلك
وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما فعلت الجن ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فلما قالوا هذا القول خرجت لهم
نار من الحجب واحرقت عشرة الاف ملك منهم واعرض الرب سبحانه عن الباقين حتى طافوا حول العرش سبع سنين يقولون
لبيك اللهم لبيك اعتذارا اليك قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها وذلك ان الله لما قال للملائكة اني جاعل في الارض
خليفة قالوا فيما بينهم يخلق ربنا ما يشاء فلن يخلق خلقا افضل ولا اكرم عليه منا وان كان خيرا منا فنحن اعلم منه لانا خلقنا
قبله ورأينا ما لم يره فلما اعجبوا بعلمهم وعبادتهم فضل الله ادم عليهم بالعلم فعلمه الاسماء كلها وهي اسماء الملائكة وقيل اسماء ذريته
وقال ابن عباس اسماء كل شيء من الدواب والطيور والشاة والبقرة والبعير حتى القصعة والسكرجة وقيل
اسماء كل شيء من الحيوان والجمادات وغيرها فقيل له هذا فرس وهذا حمار وهذا بغل حتى اتى على اخرها ثم
عرض تلك الشخوص المسميات على الملائكة ولم يقل عرضها لان الاعراض لا تعرف وان قيل
تلك لان فيهم من يعقل فغلبهم وفي قراءة ابي ثم عرضها وقال الضحاك علم الله ادم اسماء الخلق والقرى والمدن والجبال
واسماء الطير والبحور واسماء ما كان وما يكون وكل نسمة الله بارئها الى يوم القيمة وعرض تلك الاسماء على الملائكة
فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين بان الخليفة الذي اخلقه يفسد فيها ويسفك الدماء ارايتم كيف

تدعون علم ما لم يكن وانهم لا يعلمون علم ما يرون ويعاينون . وقال الحسن وقتادة معناه ان كنتم صادقين اني لا ا
خلق خلقا اكرم ولا احسن منكم وافضل فقالت الملائكة اي اقرارا بالعجز واعتذارا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا . اي الا ما علمتنا تنزيها لك
عن الاعتراض في حكمك وتدبيرك انك انت العليم الحكيم . الحكيم في امرك وسبحانك منصوب على المصدر اي نسبح سبحانا
في قول الخليل وقيل على النداء المضاف اي يا سبحانك . قوله تعالى **الحكيم** له معنيان . احدهما المحكم للفعل كقولهم
عذاب اليم اي مؤلم وضرب وجيع اي موجع فعلى هذا هو صفة فعل والآخر بمعنى الحاكم فحينئذ يكون صفة ذات . قوله
تعالى آدم . الا انه لون مشرب سواد . وقيل هي كل لون يشبه لون التراب فلما ظهر عجز الملائكة . قال
الله تعالى يا آدم انبئهم بأسمائهم . اي اخبرهم بأسمائهم فسمى كل شيء باسمه . والحق كل شيء بجنسه . فلما انبأهم بأسمائهم .
قال الله تعالى الم اقل لكم يا ملائكتي اني اعلم غيب السموات والارض وما كان فيهما وما سيكون واعلم ما تبدون
من الخضوع والطاعة لآدم وما كنتم تكتمون في انفسكم له من العداوة . وقيل اعلم ما تبدون من الاقرار بالعجز
والاعتذار وما كنتم تكتمون من الكراهة في استخلاف آدم عليه السلام . وقيل معناه اعلم ما اظهرتم من الطاعة
وما اضمر ابليس من المعصية لله تعالى في الامر بالطاعة لآدم عليه السلام . وذلك ان الله لما صور آدم رآه ابليس
قال للملائكة الذين معه أرأيتم هذا الذي لم تروا من الخلائق مثله ان امركم الله بطاعته ماذا تصنعون قالوا نطيع
واضمر الخبيث في نفسه انه لا يطيع . وقيل معناه اعلم ما تبدون يعني قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها
وما كنتم تكتمون . يعني قولهم لن يخلق الله خلقا افضل ولا اعلم ولا اكرم عليه منا . فان قيل في قوله تعالى
انبئوني بأسماء هؤلاء امر تكليف ما لا يطاق فهل يجوز تكليف ما لا يطاق . قلنا الصحيح انه ليس بتكليف وهذا
كمن يلقي المسألة على من يتعلم منه فيقول اخبرني بجواب هذه المسألة ولا يريد بذلك ان يأتي بجوابها لانه
يعلم انه لا يعرف بل يقصد ان يعرفه انه لا يعرف جوابها ليكون اشد حرصا على تعلم تلك المسألة . قوله تعالى

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ظاهره
ان ابليس كان من الملائكة لانه مستثنى منهم والى ذلك ذهب جماعة من العلماء وقالوا يعني قوله في آية اخرى الا ابليس كان
من الجن يعني من خزان الجنان . وذهب جماعة آخرون الى انه من اولاد الجان لانه مخلوق من نار وله ذرية
والملائكة من نور وليس لهم ذرية فعلى هذا يكون استثناء منقطعا مثل قوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقيل
سبب كونه من الملائكة ان الملائكة لما حاربت الجن سبوا ابليس صغيرا فنشأ معهم . فلما امرت الملائكة بالسجود
امتنع وكفر وعاد الى اصله . وقوله تعالى اسجدوا لآدم وهو سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة نظيره في قصة
يوسف عليه السلام وخروا له سجدا فكان ذلك تحية الناس وتعظيم بعضهم بعضا ولم يكن وضع الوجه على الارض وانما
كان الانحناء فلما جاء الاسلام ابطل ذلك بالسلام . وفي الحديث ان معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه لما رجع من
اليمن سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال ما هذا قال اليهود يسجدون
لاحبارهم والنصارى يسجدون لقسيسيهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه يا معاذ كذبت اليهود
والنصارى انما السجود لله عز وجل . وقال بعضهم سجدوا على الحقيقة جعل آدم قبلة لهم . والسجود لله
كما جعلت الكعبة قبلة لصلاة المؤمنين . والصلاة لله عز وجل . وانما سمي آدم لانه خلق من اديم الارض
والتراب بلسان العبرانية آدام بالمد . ومنهم من قال سمي بذلك لأدمته لانه كان آدم اللون وكنيته ابو محمد
وابو البشر وقوله الا ابليس منصوب على الاستثناء ولا ينصرف للعجمة والمعرفة . وقوله تعالى واستكبر اي تكبر
وتعظم عن السجود لآدم . وقوله تعالى وكان من الكافرين اي وصار من الكافرين لقوله تعالى فكان من المغرقين
وقال اكثر المفسرين معناه وكان في علم الله السابق من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة . قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله امر ابن آدم بالسجود
فسجد فله الجنة . وامرت بالسجود فأبيت فلي النار . قوله تعالى **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**
وذلك ان آدم كان في الجنة وحيدا لم يكن من يجالسه ويؤانسه فنام نومة فخلق الله تعالى زوجته من قصيراه من شقه
الايسر من غير ان احس آدم بذلك ولا وجد له الما ولو الم من ذلك لما عطف رجل على امرأة . فلما هب آدم من
نومه اذ هو بحواء جالسة عند رأسه كأحسن ما خلق الله . قال لها من انت قالت زوجتك خلقني الله تعالى لك . فقالت
الملائكة عند ذلك امتحانا له يا آدم ما هي قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء . قالوا ولم سميت حواء قال
لانها خلقت من حي قالوا يا آدم أتحبها قال نعم . قالوا لحواء أتحبينه قالت لا وفي قلبها اضعاف ما في قلبه من حبه
فلو صدقت امرأة في حبها لزوجها لصدقت حواء . قوله تعالى **وكلا منها رغدا** اي واسعا كثيرا حيث شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة . قيل هي الكرم وقيل هي التين . وقيل شجرة من احسن الاشجار والجنة عليها كل نوع من اطعمة
الجنة منها مثل كلية البقر الين من الزبد واحلى من الشهد . واشد بياضا من اللبن . قوله تعالى **فتكونا من
الظالمين** اي فتصيرا من الضارين لانفسكما بالمعصية واصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه . قوله تعالى
فأزلهما الشيطان عنها . اي عن الجنة ومعنى ازلهما استزلهما وقرأ حمزة فأزالهما الشيطان وهو ابليس
وهو فيعال من شطن اي بعد سمي بذلك لبعده عن الخير وعن رحمة الله تعالى . قوله تعالى **فأخرجهما مما
كانا فيه** . اي من النعيم وذلك ان ابليس اراد ان يدخل الجنة ليوسوس لآدم فمنعته الخزنة فأتى الحية وكانت
من احسن الدواب لها اربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة وكانت لابليس صديقة فسألها ان تدخله
في فمها فأدخلته في فمها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون . فلما دخل الجنة وقف بين يدي آدم وحواء وناح
عليهما نياحة وبكى فهو اول من ناح فقالا له ما يبكيك قال ابكي عليكما تموتان وتفارقان ما انتما فيه من النعيم والكرامة
ناعمتما الى ذلك . فقال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد فأبيا ان يقبلاه فقاسمهما بالله اني لكما لمن الناصحين
فاغترا وما كانا يظنان ان احدا يحلف بالله كاذبا . فبادرت حواء الى اكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى
اكلها روي ان سعيد بن المسيب كان يحلف بالله ما يستثني ما اكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته
الخمر حتى اذا سكر قادته اليها فأكل فلما اكلاها تساقط عنهما لباسهما وبدت سوآتهما واخرجا من الجنة . قيل ان آدم دخل الجنة
عند الضحى واخرج ما بين الصلاتين مكث نصف يوم من ايام الآخرة خمسمائة عام . مسألة قالت القدرية
ان الجنة التي اسكنها الله آدم لم يكن جنة الخلد وانما كانت بستانا من بساتين الدنيا لو كان جنة الخلد لا يكون فيها ابتلاء
ولا تكليف . الجواب انا قد اجمعنا على ان اهل الجنة مأمورون فيها بالمعرفة ويكلفون ذلك
جواب آخر ان الله تبارك وتعالى قادر على الجمع بين الاضداد فأرى آدم المحنة في الجنة وأرى ابراهيم
النعمة في النار لئلا يأمن العبد مكره ولا يقنط من رحمته . وليعلم ان له ان يفعل ما يشاء . واحتجوا بأن من دخل
الجنة يستحيل عليه الخروج منها فالجواب ان من دخلها للثواب لا يخرج منها ابدا وآدم لم يدخلها للثواب
الا ترى ان رضوان وخزان الجنان يدخلونها ثم يخرجون منها وابليس ايضا كان خازن الجنة فأخرج منها . قوله تعالى
وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو . اي قلنا لآدم وحواء وابليس والحية والطاوس انزلوا الى الارض
بعضكم لبعض عدو فابليس عدو لآدم وذريته والحية تلدغ ابن آدم وابن آدم يشدخ رأسها . قيل ان ابليس قال لآدم وحواء
ايكما اكل من الشجرة كان مسلطا على صاحبه فابتدرا الى الشجرة فسبقت حواء فأكلت منها واطعمت آدم . وقيل
ان آدم قال لها يا حواء ويحك ما تعلمين ان الله قد نهانا عنها فقالت انا اعلم سعة رحمة الله فأكلت منها واطعمته
قيل ان ابليس لما دخل الجنة في فم الحية سأل الطاوس عن الشجرة التي نهى الله آدم عنها فدله عليها فغضب الله على

الطاووس فاهبطه بميسان وهو موضع بسواد العراق • واهبط ابليس بساحل بحر ابلة وهي مدينة الى
جنب البصرة • واهبطت الحية باصبهان قوله تعالى ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين اي
الى وقت انقضاء اجالكم ومنتهى اعماركم • ان ابرهيم بن ادهم كان يقول اورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا قوله تعالى
فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه اختصارا وتغليبا للمذكور لانه اذا تاب عليه وعلى حواء واختلفوا
في الكلمات التي تلقاها ادم قيل تلقاها جبرئيل وهي سبحانك لا اله الا انت وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر
لي وارحمني وانت خير الراحمين سبحانك لا اله الا انت وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب
الرحيم هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • وعن ابن عباس • انها ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين • وروي انه قال يا رب ارايت ما اتيت شيئا ابتدعته من تلقاء نفسي او شي قدرته علي قبل
ان تخلقني فقال الله بل شي قد قدرته عليك قبل خلقك قال يا رب فكما قدرته علي فاغفر لي وقيل هو قوله اللهم بحق محمد
اغفر خطيئتي وتقبل توبتي • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحاج ادم وموسى فقال له موسى انت ادم الذي
اغويت الناس واخرجتهم من الجنة الى الارض • فقال له ادم انت موسى الذي اعطاك الله علم كل شي واصطفاك على
الناس برسالته قال نعم • قال اتلومني على امر كان قد كتب علي ان افعله من قبل ان اخلق فحج ادم موسى • وعن
شهر بن حوشب • قال بلغني ان ادم لما اهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع راسه حياء من الله عز وجل
وقال ابن عباس بكى ادم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة ولم ياكلا ولم يشربا اربعين يوما • ولم يقرب ادم
حواء مائة سنة قوله تعالى فتاب عليه اي تجاوز عنه • انه هو التواب الرحيم اي يقبل توبة عباده
رحيم بخلقه • وقوله تعالى قلنا اهبطوا منها جميعا يعني ادم وحواء وابليس والحية والطاووس فاما ياتينكم مني
هدى اي كتاب ورسول فمن تبع هداي فلا خوف عليهم فيما يستقبلهم ولا هم يحزنون على ما خلفوا قوله تعالى والذين
كفروا وكذبوا باياتنا • يعني القرآن • اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا يخرجون
منها قوله تعالى يا بني اسرائيل • اي يا اولاد يعقوب • ومعنى اسرائيل صفوة الله وايل هو الله وقيل اسر هو العبد وايل
هو الله فمعناه عبد الله وهو خطاب لليهود والنصارى • وانما سمي يعقوب لان يعقوب وعيصا كانا توامين فاقتتلا في
بطن امهما فاراد يعقوب ان يخرج فمنعه عيص • وقال والله لئن خرجت قبلي لاعترضن في بطن امي فاقتلها فتاخر
يعقوب وخرج عيص واخذ يعقوب بعقبه فخرج بعده فسمي يعقوب فلذلك سمي عيصا لما عصى فخرج قبل يعقوب
وكان عيص احبهما الى ابيه • وكان يعقوب احبهما الى امه وكان عيص صاحب صيد فلما كبر اسحق وعمي قال لعيص
يا بني اطعمني لحم صيد واقرب مني حتى ادعو لك بدعاء دعا لي ابرهيم عليه الصلاة والسلام وكان عيص رجلا اشعر وكان
يعقوب اجرد فخرج عيص يطلب الصيد فقالت امه ليعقوب يا بني اذهب الى الغنم فاذبح شاة منها ثم اشوها والبس
جلدها وقدمها الى ابيك وقل انا ابنك عيص ففعل ذلك يعقوب فلما جاء قال يا ابتاه كل قال له من انت قال ابنك
عيص فمسه فقال المس مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت امه هو ابنك عيص فادع له قال قدم طعامك فقدمه
فاكل منه ثم قال ادن مني فدعا له ان يجعل الله في ذريته الانبياء والملوك وذهب يعقوب فجاء عيص فقال قد جئتك بالصيد
الذي اردت قال يا بني قد سبقك اخوك يعقوب فغضب وقال والله لاقتلنه • فقال اسحق يا بني قد بقيت
لك دعوة فهلم ادعو لك بها فدعا الله ان تكون ذريته عدد التراب وان لا يملكهم احد غيرهم قوله تعالى
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم • اي احفظوا واشكروا • قال الحسن ذكر النعمة شكرها • قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم المتحدث بنعم الله شاكرها وتاركها كافر • وقوله نعمتي اراد نعمي لفظها واحد ومعناها مختلف جمع
نظيرها قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والعد لا يقع على الواحد • وقوله تعالى انعمت عليكم اي على اجدادكم

حزب

واسلافكم وذلك ان الله فلق لهم البحر وانجاهم من فرعون واهلك عدوهم واورثهم ديارهم واموالهم وظلل عليهم
الغمام في التيه يقيهم حر الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن ضوء القمر وانزل عليهم المن والسلوى
وفجر لهم اثنتي عشرة عينا • وانزل عليهم التورية فيها بيان كل شي يحتاجون اليه في دينهم ودنياهم فهذه نعم من الله
لا تحصى قوله تعالى واوفوا بعهدي اي الذي عهدت اليكم في التورية اوف بعهدكم • اي
ادخلكم الجنة وانجز لكم ما وعدتكم • وقرا الزهري اوف بالتشديد على التاكيد • يقال وفى واوفى
ووفى بمعنى واحد • قيل ان الله تعالى كان قد عهد الى بني اسرائيل في التورية اني باعث من بني اسمعيل
نبيا اميا فمن تبعه وصدق بالنور الذي ياتي به غفرت له ذنوبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين
اجرا باتباعه ما جاء به موسى والانبياء من بني اسرائيل واجرا باتباعه ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم • وقال قتادة
هو العهد الذي اخذ الله تعالى عليهم في قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله
تعالى قرضا حسنا فهذا قوله واوفوا بعهدي • ثم قال لاكفرن عنكم سيئاتكم الاية فهذا قوله اوف بعهدكم
وقيل معناه اوفوا لي بشرط العبودية • اوف بشرط الربوبية • وقال اهل الاشارة اوفوا في دار محنتي
بشرط خدمتي • اوف بعهدكم في دار نعمتي • على بساط كرامتي بقربي ورؤيتي قوله تعالى
واياي فارهبون • اي خافوني في نقض العهد قوله تعالى وامنوا بما انزلت يعني القرآن
مصدقا لما معكم • اي موافقا لما معكم من التورية والانجيل وسائر الكتب في التوحيد والنبوة وبعض الشرائع
نزلت في كعب بن الاشرف واصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم • ولا تكونوا اول كافر به • اي ولا تكونوا اول من يكفر
بالقرآن فيتابعكم اليهود قوله تعالى ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا • وذلك ان علماء اليهود ورؤسائهم
كانت لهم ماكل يصيبونها من سفلتهم وعوامهم ياخذون منهم شيئا معلوما كل عام من زروعهم وضروعهم ونقودهم
فخافوا انهم ان بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبايعوه وامنوا به تفوتهم تلك الماكل والرياسة واختاروا الدنيا
على الاخرة • والهاء في قوله كافر به عائدة الى ما انزلت على محمد • ويجوز ان تكون عائدة الى قوله لما معكم لانهم
كتموا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التورية • فاذا كفروا بالقرآن كفروا بالتورية وقوله واياي
فاتقون اي فاخشون في امر محمد صلى الله عليه وسلم لا ما يفوتكم من الرياسة والماكل قوله تعالى ولا
تلبسوا الحق بالباطل قال مقاتل وذلك ان اليهود اقروا ببعض صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموا بعضا
ليصدقوا في ذلك • فقال تعالى ولا تلبسوا الحق الذي تقرون به وتبينونه بالباطل الذي تكتمونه فالحق بيانه والباطل
كتمانه • وقيل معناه لا تكتموا الحق بالباطل هو ايمانهم ببعض ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وكفرهم ببعضه وتكتموا الحق
يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته قوله تعالى وانتم تعلمون اي تعلمون انه نبي مرسل • وقوله تعالى
وتكتموا الحق يحتمل ان يكون تكتموا جزما على النهي • ويحتمل ان يكون نصبا على معنى وان تكتموا اي لا تجمعوا
بين اللبس والكتمان فهذا مثل لا تنه عن خلق وتاتي مثله • وقوله ولا تلبسوا اي لا تخلطوا • يقال لبست
عليه الامر اي خلطته قوله عز وجل واقيموا الصلاة واتوا الزكاة اي حافظوا على الصلوات
الخمس لمواقيتها بركوعها وسجودها • وادوا زكوة اموالكم المفروضة قوله تعالى واركعوا مع الراكعين
اي صلوا مع المصلين محمد واصحابه في الجماعات الى الكعبة خاطب اليهود • فعبر بالركوع عن الصلوة اذ كان ركنا
من اركانها كما عبر باليد عن الجسد في قوله بما قدمت يداك • وبالعنق عن النفس كقوله تعالى الزمناه طائره في عنقه
والفائدة في تكرار ذكر الصلوة لئلا يتوهم متوهم ان الصلوة لا تجب الا على الذي عليه الزكوة • وقيل ان اليهود
كانوا يصلون بغير ركوع فامروا بالركوع في الصلوة قوله تعالى اتامرون الناس بالبر خطاب لعلماء

اليهود كانوا يخبرون مشركي العرب قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بان نبيه لا يستطيع يدعو الى الحق
ما سعوه واخذوا دعوته فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم جحدوه وكفروا به فانزل الله هذه الاية مذكرا
لهم ما كان منهم قوله تعالى وتنسون انفسكم اي تتركون انفسكم فلا تتبعونه قوله تعالى
وانتم تتلون الكتاب يعني التورية وتعلمون ما فيها من وجوب اتباعه افلا تعقلون ان
ذلكم حجة عليكم وانه نبي حق فتصدقونه وتتبعونه قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة
اي استعينوا على ما يستقبلكم من انواع البلايا وقيل على طلب الاخرة بالصبر على اداء الفرائض وبالصلوة على محو
الذنوب وقيل استعينوا بالصبر والصلوة على ما يذهب منكم من الرياسة والماكلة باتباع محمد صلى الله عليه وسلم
وقال مجاهد الصبر في هذه الاية الصوم وقيل الواو هنا بمعنى على تقديره استعينوا فيما نابكم بالصبر على
الصلوة كقوله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وروي ان ابن عباس نعيت اليه بنت له وهو في
سفر فاسترجع ثم قال عورة سترها الله ومؤنة كفاها الله واجر ساقه الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال صنعنا
ما امرنا الله تعالى به واستعينوا بالصبر والصلوة واصل الصبر هو الحبس يقال قتل فلان صبرا اذا حبس حتى مات
وقيل الصبر هو الصوم ويسمى رمضان شهر الصبر وسمي الصوم صبرا لان صاحبه يحبس نفسه عن الطعام
والشراب قوله عز وجل وانها لكبيرة الا على الخاشعين يحتمل ان الهاء كناية
عن الصلوة لانها اشرف العبادات ويحتمل ان تكون عن الاستعانة ويحتمل ان يكون المراد بها الصبر والصلوة
جميعا كما قال تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه فاكتفى بذكر احدهما دلالة على الاخر وقيل ترد الى الاول
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها رد الكناية الى الفضة لانها اغلب واعم وقال تعالى
واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها رد الكناية الى التجارة لانها الاهم والافضل وقال الاخفش
رد الكناية الى كل واحد منهما اراد كل خصلة منهما لكبيرة كقوله تعالى كلتا الجنتين اتت اكلها يعني كل واحد
منهما وقال تعالى وجعلنا ابن مريم وامه اية ولم يقل ايتين اراد جعلنا كل واحد منهما اية قوله تعالى وانها
لكبيرة اي ثقيلة شديدة الا على الخاشعين اي المؤمنين وقيل الا على العابدين المطيعين وقيل الخائفين
وقيل المتواضعين وقال الزجاج الخاشع الذي يرى اثر الخشوع والذل عليه يقال خشع اذا رمى ببصره
الى الارض واختشع اذا طاطا راسه للخشوع والسجود والخضوع نظيران الا ان الخضوع يكون بالبدن والخشوع
بالبصر والصوت والقلب كما قال تعالى خاشعة ابصارهم وخشعت الاصوات للرحمن ان يخشع قلوبهم قوله تعالى
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم الذين يعلمون ويستيقنون لانهم لو كانوا شاكين لكانوا كافرين وقيل اي
ظنت اني ملاق حسابيه اي ايقنت وقوله تعالى وانهم اليه راجعون فيجزيهم باعمالهم قوله تعالى
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين اي عالمي زمانكم
وقوله تعالى واتقوا يوما معناه واخشوا يوما اي عذاب يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تكفي ولا تغني وقيل
اصلها تقضي وانعوا يوما من الشدائد والنكال وقيل معناه لا تغني نفس مؤمنة ولا كافرة عن نفس كافرة قوله ولا يقبل منها شفاعة
لانها كافرة وكانت اليهود تزعم ان اباءهم الانبياء كابرهيم واسحق ويعقوب يشفعون لهم فايسهم الله بهذه الاية وقرا
اهل مكة والبصرة تقبل بالتاء لتانيث الشفاعة وقرا الباقون بالياء لتقدم الفعل ولان تانيثه غير حقيقي وقرا
قتادة لا يقبل منها شفاعة بالياء مفتوحة ونصب الشفاعة اي لا يقبل الله قوله تعالى ولا يؤخذ منها
عدل اي فدى انما كانوا ياخذون في الدنيا وسمي الفداء عدلا لانه يعادل المفدي ومثله وقال الله تعالى
او عدل ذلك صياما والفرق بين العدل والعدل ان العدل بكسر العين مثل الشيء من جنسه وبفتحها ما ليس قد

قد يكون من جنسه وقد يكون من غير جنسه مثل قوله اطعام مساكين او عدل ذلك صياما ولا هم ينصرون
لا يمنعون من العذاب قوله تعالى واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يعني
نجينا اسلافكم وانما عدها منة عليهم لانهم نجوا بنجاتهم وقرا ابرهيم النخعي نجيتكم على التوحيد وال فرعون اشياعه
واتباعه واسرته وعترته واهل دينه وفرعون هو الوليد بن مصعب وكان من العماليق جمع عملاق وهي قبيلة
قوله تعالى يسومونكم سوء العذاب اي يكلفونكم اشد العذاب واسواه وذلك ان فرعون جعل بني اسرائيل
خدما وخولا فصنفهم صنوف اصنافا يبنون وصنف يحرثون ويزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن منهم في عمل من هذه الاعمال وضع عليه
الجزية فذلك سوء العذاب وقيل انهم كلفوا الاعمال القذرة وقيل تفسيره ما بعده يذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم وقرا ابن محيصن يذبحون بالتخفيف ومن قرا بالتشديد فعلى التكثير وذلك ان فرعون راى في منامه نارا
اقبلت من بيت المقدس فاحرقت مصر واحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فسال الكهنة فقالوا يولد في بني اسرائيل
غلام يكون هلاكك على يديه فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل وترك كل انثى ففعلوا ذلك واسرع
الموت في مشيخة بني اسرائيل فقال القبط لفرعون ان الموت وقع في مشيخة بني اسرائيل وانت تذبح صغارهم فيوشك
ان يقع العمل علينا فامر ان تذبح سنة ويتركوا اخرى فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها قوله تعالى
ويستحيون نساءكم اي يتركونهن احياء ولا يذبحونهن بل يستخدمونهن وقيل معناه يستحيون من
الحياء الذي هو الرحم فان القوم كانوا ينظرون الى فروج نساء بني اسرائيل ليعلموا بهن حمل ام لا
قوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم يعني في سومهم اياكم سوء العذاب محنة وفتنة عظيمة وقيل
معناه وفي نجاتي اياكم نعمة عظيمة والبلاء ينصرف على وجهين النعمة والمحنة قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة
قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم وذلك انه لما دنا هلاك فرعون امر الله موسى ان يسري
ببني اسرائيل من مصر فامر موسى قومه ان يسرجوا في بيوتهم الى الصبح والقى الله على القبط الموت فاشتغلوا بدفنهم
فخرج موسى في ستمائة وعشرين الف سوى الذرية وكان موسى على ساقتهم وهرون على مقدمتهم فخرج فرعون في طلبهم
وعلى مقدمتهم هامان في الف الف وسبعمائة الف وسار بنو اسرائيل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة ونظروا
فاذا هم بفرعون وقومه وذلك حين اشرقت الشمس فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى كيف نصنع وما الحيلة وفرعون
خلفنا والبحر امامنا فقال كلا ان معي ربي سيهدين فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فاوحى
الله اليه ان كنه فضربه بعصاه وقال انفلق ابا خالد باذن الله تعالى فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه
اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وارسل الله الريح والشمس على قعر البحر فصار يبسا فخاضت بنو اسرائيل البحر
كل سبط في طريق وعن جانبيه الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد قتل اخواننا فاوحى الله
الى جبال الماء ان تشبكي فصارت الماء شبكات يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين
فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر اي فلقناه وصيرناه اثني عشر طريقا قوله تعالى فانجيناكم اي من الغرق
ومن ال فرعون قوله واغرقنا ال فرعون وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر وراه منفلقا قال لقومه انظروا
الى البحر انفلق لهيبتي حتى ادرك اعدائي وعبيدي الذين ابقوا فادخلوا البحر فهابه قومه ان يدخلوه
ولم يكن في خيل فرعون انثى فجاء جبريل على فرس انثى وديق فتقدمهم وخاض البحر فلما شمت خيول فرعون ريحها اقتحمت البحر في
اثرها حتى خاضوا البحر وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول الحقوا باصحابكم حتى اذا خرج جبريل من البحر وهم
اولهم ان يخرج امر الله البحر ان ياخذهم فالتطم عليهم فغرقوا جميعا وذلك بمراى من بني اسرائيل فذلك قوله تعالى واغرقنا ال
فرعون وانتم تنظرون الى مصارعهم قوله عز وجل واذ واعدنا موسى اربعين ليلة وذلك

ان بني اسرائيل لما امنوا عدوهم ودخلوا مصرهم لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها فوعد الله موسى ان ينزل
عليهم التورية • فقال موسى لقومه اني ذاهب لميقات ربي فآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون
وواعدهم اربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشرا من ذي الحجة واستخلف عليهم اخاه هرون • فلما اتى الوعد جاء جبريل عليه السلام
على فرس يقال له فرس الحيوة لا يصيب شيئا الا حيي • فلما راى السامري جبريل على ذلك الفرس قال ان
لهذا لشأنا وكان رجلا منافقا قد اظهر الاسلام فاخذ قبضة من حافر فرس جبريل وكان بنو اسرائيل قد استعاروا
حليا كثيرا من قوم فرعون حين ارادوا الخروج لعلة عرس فاهلك الله قوم فرعون وبقيت تلك الحلي
في ايدي بني اسرائيل • فلما لم يرجع موسى • قال السامري لبني اسرائيل ان الامتعة والحلي التي استعرتموها
من قوم فرعون غنيمة لكم فاحفروا حفرة فادفنوها فيها حتى يرجع موسى ففعلوا ذلك فلما اجتمعت الحلي
صاغها السامري وكان رجلا صائغا وجعل عليها القبضة التي اخذها من ركاب الفرس فخرج عجلا من ذهب
مرصعا فذلك قوله تعالى عجلا جسدا له خوار فعبدوه من دون الله تعالى • قال السدي كان يخور والسامري
يقول هذا الهكم واله موسى فنسي اي تركه هاهنا وخرج يطلبه فلما راوا العجل وسمعوا قول السامري افتتن بالعجل
ثمانية الاف فعبدوه من دون الله • وقال بعضهم معنى الاية واذكروا اذ اخبر الله موسى ان يؤتيه الالواح
فيها التورية على راس ثلاثين يوما من ذي القعدة وامره ان يصومها فصامها فوجد من فيه خلوفا اي تغيرا رائحة
فاستاك فامره الله ان يصوم عشرة اخرى من اول ذي الحجة • قال الله تعالى في موضع اخر واتممناها بعشر
فقال السامري في الايام العشر لبني اسرائيل قد تمت الثلثون ولم يرجع الينا موسى وانكم قد استعرتم من نساء ال
فرعون حليهم حتى سار بكم من مصر فلما لم تردوا عليهن حليهن لم يرد الله علينا موسى فهاتوا ما معكم من الحلي حتى
نحرقه فلعل الله ان يرد علينا موسى فجمعوا الحلي وكان السامري صائغا فاتخذ من ذلك عجلا فصار العجل جسدا له
خوار فعبدوه فذلك قوله تعالى ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون • قال ابن عباس فصار عجلا لحما ودما
وقيل جعل فيه خروقا فكانت الريح تدخل في تلك الخروق فيسمع فيها مثل الخوار فاوهمهم ان ذلك الصوت خوار قوله
تعالى من بعده وانتم ظالمون اي من بعد انطلاق موسى الى الجبل وانتم ظالمون اي ضارون لانفسكم
بالمعصية وواضعون العبادة في غير موضعها • قوله وواعدنا خلاف بين القراء فقرا ابو عمرو ويعقوب
وعدنا بغير الف ومن قرا بغير الف قال لان الله تعالى هو المنفرد بالوعد والقران جلى به كقوله وعدكم الله وان
الله وعدكم وعد الحق ونحوها • ومن قرا بالالف قال قد تجيء المفاعلة من واحد كقولهم عاقبت اللص وعافاك
الله وطارقت النعل وسافر وناولت • قال اهل اللغة الوعد في الخير والوعيد في الشر قال الشاعر

واني اذا اوعدته او وعدته • لمخلف ايعادي ومنجز موعدي •

والعجل ما العجول ولد البقرة وانما قرن التاريخ بالليل دون النهار لان العرب وضعت التاريخ على سنين القمر وبدايتها
بالليل وقيل لان الظلمة اقدم من الضوء والليل خلق قبل النهار قال الله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار
قوله تعالى ثم عفونا عنكم من بعد ذلك اي تركناكم فلم نستأصلكم من قوله عليه السلام اعفوا اللحى
وقيل محونا ذنوبكم من قول العرب عفت الرياح المنزل فعفا وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد عبادتكم العجل وقوله تعالى
لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا عفوي عنكم وصنيعي اليكم • واختلف العلماء في ماهية الشكر • فقال ابن عباس هو الطاعة
بجميع الجوارح لرب الخلائق في السر والعلانية • وقال الحسن شكر النعمة ذكرها • وقال الفضيل شكر كل نعمة ان لا
يعصى الله بعدها • وقال ابو بكر الوراق حقيقة الشكر معرفة المنعم وان لا تعرف لنفسك في النعمة حظا بل تراها من
الله عز وجل قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم قال موسى يا رب كيف استطاع

استطاع ادم ان يؤدي شكر ما اجريت عليه من نعمك خلقته بيدك واسجدت له ملائكتك واسكنته جنتك فاوحى الله اليه ان
ادم علم ان ذلك كله مني ومن عندي فذلك شكره • وقال الجنيد حقيقة الشكر العجز عن الشكر • وقال بعضهم الشكر التحدث بالنعمة
للمنعم • وقال ابو عثمن الحيري صدق الشكر ان لا تمدح بلسانك غير المنعم • وروي عن الشبلي انه قال الشكر التواضع تحت رؤية
المنة • وقيل الشكر خمسة اشياء مجانبة السيئات والمحافظة على الحسنات ومخالفة الشهوات وبذل الطاعات ومراقبة رب السموات
وسئل ابو الحسن علي بن عبد الرحيم من اشكر الشاكرين فقال الطاهر من الذنوب يعد نفسه من المذنبين والمجتهد بعد اداء الفرائض يعد
نفسه من المقصرين والراضي من الدنيا بالقليل يعد نفسه من الراغبين والقاطع بذكر الله دهره يعد نفسه من الغافلين قوله
واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون قال مجاهد والفراء هما شيء واحد يعني التورية وما فرق
بين الحق والباطل • وقد سمى الله التورية فرقانا في موضع اخر وهو قوله تعالى ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وسمى الله
نصرة المؤمنين يوم بدر على الكفار فرقانا كما قال تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان وكان يوم بدر • وانما عطف الشيء على نفسه
وكرره لان العرب تكرر الشيء اذا اختلفت الفاظه قال عنترة حييت من طلل تقادم عهده • اقوى واقفر بعد ام الهيثم • وقال
الكسائي الفرقان نعت الكتاب يريد واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان فرق فيه بين الحلال والحرام والكفر والايمان • والوعد
والوعيد فزيدت الواو فيه كما تزاد في النعوت من قولهم فلان حسن وطويل • ودليل هذا التاويل قوله تعالى ثم اتينا موسى
الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء • وقال قطرب اراد بالفرقان القران وفي الكلام اضمار مجازه واذ اتينا
موسى الكتاب ومحمدا الفرقان قوله لعلكم تهتدون اي بهذين الكتابين • وقال بعضهم اراد بالفرقان انفراق البحر وغير ذلك من عظيم
الايات يدل عليه قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يعني الذين عبدوا العجل يا قوم انكم
ظلمتم انفسكم اي اضررتم انفسكم باتخاذكم العجل الها قالوا فاي شيء نصنع وما الحيلة فقال • فتوبوا الى بارئكم
اي فارجعوا الى خالقكم • وكان ابو عمرو يختلس الهمزة الى الجزم في قوله بارئكم ويامركم وينصركم طلبا للخفة •
فاقتلوا انفسكم اي ليقتل البريء المجرم قوله تعالى ذلكم خير لكم عند بارئكم يعني القتل • قال ابن عباس ابى الله
عز وجل ان يقبل توبة بني اسرائيل الا بالحال التي كرهوا ان يقاتلوهم حين عبدوا العجل • وقال قتادة جعل الله توبتهم القتل
لانهم ارتدوا والكفر يبيح الدم • وقرا قتادة فاقيلوا انفسكم من الاقالة اي استقيلوا العثرة بالتوبة • فلما امرهم موسى بالقتل
قالوا نصبر لامر الله فجلسوا بالافنية محتبين واصلت القوم عليهم الخناجر فكان الرجل يرى ابنه واخاه واباه وقريبه
وصديقه فلا يمكنه الا المضي لامر الله تعالى وقيل لهم من حل حبوته او مد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد او رجل فهو ملعون مردود
توبته فكانوا يقتلونهم الى المسا • فلما كثر فيهم القتل دعا موسى وهرون وبكيا وتضرعا • وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية
البقية • فامرهم الله تعالى ان يرفعوا السلاح عنهم ويكفوا عن القتل وقد قتل منهم الوف كثيرة • فاشتد ذلك على موسى فاوحى
الله تعالى اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة • فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي منهم كفرت عنه ذنوبه وذلك
قوله تعالى قوله تعالى فتاب عليكم اي وفعلتم ما امرتم به فتاب عليكم اي فتجاوز عنكم انه هو التواب
الرحيم • وفي بعض التفاسير ان موسى عليه السلام قال لهم بعدما رجع من الجبل فاعطاه الله التورية انكم ظلمتم انفسكم بعبادتكم
العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم اي ليقتل الذين لم يعبدوا العجل الذين عبدوه • فقالوا يا موسى انا نحن لم نفعل
ذلك فاخذ عليهم المواثيق ليصبرن على القتل فاصبحوا بافنية البيوت كل بني اب على حدة فاتاهم هرون واثنا عشر الفا
الذين لم يعبدوا العجل بالسيوف فقال لهم هرون هؤلاء اخوانكم قد اتوكم شاهرين السيوف فاتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا حل
حبوته او قام من مجلسه او مد طرفه اليهم او اتقاهم بيده او رجله فقالوا امين فجعلوا يقتلونهم الى المساء فقام موسى يدعو ربه
لما شق عليه من كثرة الدماء فنزلت التوبة وقيل لهم ارفعوا السيف فاني قد قبلت توبتهم جميعا من قتل منهم ومن لم يقتل وجعل
ذلك القتل لهم شهادة • وغفرت لمن بقي منهم فكان القتلى سبعين الفا والقاتلون اثني عشر الفا • وكان السبب
في ابتلائهم بذلك انه كان فيهم من عرف بطلان عبادة العجل الا انهم لم ينهوا الاخرين خشية وقوع القتال فيما بينهم فابتلاهم الله
تعالى بما تركوا النهي عن المنكر لاجله • وقوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة • وذلك ان

الله عز وجل امر موسى ان ياتيه في ناس من بني اسرائيل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم فقال لهم صوموا
وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا ذلك فخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربه فلما بلغوا ذلك امرهم موسى ان يكثوا في اسفل الجبل
وصعد هو الجبل فقالوا لموسى اطلب لنا نسمع كلام الله فوقع على الجبل غمام ابيض فغشاه كله وكان موسى عليه السلام اذا كان يناجي ربه
وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع احد من بني آدم ان ينظر اليه فضرب دونه الحجاب ودنا القوم وخروا سجدا فسمعوه وهو
يكلم موسى يامره وينهاه . فاسمعهم الله تعالى اني انا الله لا اله الا انا اخرجتكم من مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ
موسى وانكشف الغمام واقبل اليهم قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة اي لا نصدق حتى نرى الله عيانا وعلانية فاخذتهم
الصاعقة اي نزلت نار من السماء فاحرقتهم جميعا . وقيل سمعوا صوتا فماتوا يقال صعق فلان اذا هلك . وقرأ عمر
وعثمان وعلي الصعقة بغير الف . وقرأ ابن عباس حمرة بفتح الهاء وهما لغتان فلبثوا موتى يوما وليلة . قوله تعالى
ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون . وذلك انهم لما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول يا رب ماذا
اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى
احياهم الله عز وجل جميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون . فان قيل كيف يقبل الله التوبة بعد الموت .
قيل البعث في دار الدنيا كالانتباه من النوم لان الله تعالى ردهم الى التكليف في الدنيا واحياهم ليستوفوا بقية آجالهم وارزاقهم
قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام اي في التيه ولم يكن لهم كن يسترهم فشكوا الى موسى فانزل الله عليهم غماما ابيض
اي غماما رقيقا ليس بغمام المطر لكن اروح واطف منه فاظلهم وكان يطلع لهم بالليل عمود من السماء من نور يسير معهم
بالليل حيث ساروا وامكان القمر فقالوا هذا الظل قد حصل فاين الطعام فانزل الله عليهم المن . قال مجاهد هو شيء كالصمغ كان
يقع على الاشجار وطعمه كالشهد . وقال الضحاك هو الترنجبين . وقال وهب هو الخبز الرقاق . وقال السدي عسل كان يقع على
الاشجار وطعمه كالشهد مثل الثلج لكل انسان منهم صاع كل ليلة فان اخذ اكثر من ذلك دود وفسد ويوم الجمعة ياخذ صاعين لانه كان
لا ياتيهم يوم السبت . وقيل هو شيء كان يسقط على الشجر كالشهد المعجون بالسمن وكان ياخذ كل واحد منهم كل غداة صاعا يكفيه يومه
وليلته فان اخذ اكثر من ذلك فسد عليه فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك يطعمنا اللحم فدعا فانزل الله عليهم السلوى
وهو طائر يشبه السماني . كذا قال ابن عباس واكثر المفسرين بعث الله سحابة مطرت السماني في عرض ميل وقدر طول رمح
في السماء بعضه على بعض . وقال المؤرخ السلوى هو العسل بلغة كنانة فياخذ كل واحد منهم ما يكفيه يوما وليلة ويوم الجمعة ياخذ
ما يكفيه يومين . قوله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم اي وقلنا لهم كلوا من حلال ما رزقناكم . ولا
تدخروا لغد فادخروا لغد فقطع الله عنهم ذلك ودود وفسد ما ادخروا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بني
اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن انثى زوجها . قوله وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
اي يضرون باستيجابهم عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا كلفة ولا مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبعة
في العقبى وهذا كله في التيه . قوله واذ قلنا ادخلوا هذه القرية اي قلنا لبني اسرائيل بعدما انقضى التيه على
لسان يوشع بعد موت موسى وهرون ادخلوا مدينة اريحا بقرب بيت المقدس وهي قرية الجبارين وكان فيها قوم من
بقية قوم عاد يقال لهم العمالقة . وقال الضحاك هذه القرية يعني الرملة والاردن وفلسطين وقال مجاهد بيت المقدس
وقال مقاتل ايليا . فكلوا منها حيث شئتم رغدا اي واسعا بلا حساب . قوله تعالى وادخلوا الباب
سجدا . يعني بابا من ابواب القرية وكان لها سبعة ابواب . وقيل باب مسجد بيت المقدس سجدا اي ركعا منحنين متواضعين
قوله تعالى وقولوا حطة اي قولوا مسئلتنا حطة . قال ابن عباس امروا بالاستغفار . وقيل امروا ان يقولوا
لا اله الا الله . وقيل قولوا امرنا حق . وقال قتادة وحط عنا خطايانا . وعن ابن عباس ايضا قال معناه وقولوا لا اله
الا الله لانها تحط الذنوب وكان يحط الذنوب فصح ان يرخم عنه بحطة وذلك انهم كانوا قد اذنبوا بابائهم دخول اريحا . فلما
فصلوا عن التيه احب الله ان يستنقذهم من الخطيئة وحطة رفع على الحكاية في قول ابي عبيد . وقال الزجاج
تقديره مسئلتنا حطة . ومن قرأ حطة بالنصب فمعناه حط عنا ذنوبنا حطة . قوله نغفر لكم خطاياكم قرأ

اهل المدينة بالياء مضمومة واهل الشام بالتاء مضمومة والباقون بالنون مفتوحة . وسنزيد المحسنين احسانا وثوابا
قوله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم اي خالفوا فقالوا حطة سمقاثا اي حنطة حمراء استخفافا
قالوا هذا القول استهزاء وتبديلا فكان القول الذي قيل لهم ان يقولوا حطة . وقال الحسن امروا ان يقولوا
حطة وامروا ان يدخلوا الباب ركعا فدخلوا زحفا على استاههم وقيل منحرفين . قال مجاهد طوطي لهم الباب ليخفضوا
رؤسهم فلم يخفضوا ولم يركعوا ودخلوا زحفا فانتصب قولا على المصدر اي وقالوا قولا غير الذي قيل لهم . قوله تعالى
فانزلنا على الذين ظلموا رجزا اي عذابا من السماء ارسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا بجاه
وقيل نزلت لهم نار واحرقتهم لتبديلهم ما امروا به . قوله بما كانوا يفسقون اي يعصون ويخالفون امر الله
قوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه اي سال لهم السقيا وذلك انهم عطشوا في التيه فقالوا يا موسى من
اين لنا الشراب وكان قولهم له حال تشردهم في الارض لعشرهم بعد غرق فرعون فاستسقى لهم موسى فاوحى الله اليه ان اضرب
بعصاك الحجر وكانت عصاه من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا وكان آدم حملها معه
من الجنة الى الارض فتوارثها الانبياء صاغرا عن كابر حتى وصل الى شعيب فاعطاه موسى واما الحجر الذي امر موسى بضربه فقد اختلف فيه المفسرون
قال وهب بن منبه كان موسى يضرب لهم اقرب حجر من عرض الحجارة فيتفجر عيونا لكل سبط عين وكانوا اثني عشر سبطا ثم تسيل كل عين في
جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم ثم انهم قالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه يا موسى لا تقرعن الحجارة وكلمها تطعك
لعلهم يعتبرون فقالوا كيف بنا اذا افضينا الى الرمل والى الارض التي ليس فيها حجارة فحمل موسى معه حجرا فحيث ما نزلوا القاه وقال آخرون كان
حجرا مخصوصا بعينه والدليل على ذلك ادخال الالف واللام عليه وذلك للتعريف . ثم اختلفوا فيه ما هو قال ابن عباس
كان حجرا خفيفا مربعا مثل راس الرجل فحمله معه فاذا احتاجوا الى الماء وضعه فضربه بعصاه . وروي انه كان رخاما . وقيل كان حجرا فيه اثني
عشر حفرة ينبع من كل حفرة عين ماء عذب فرات . فاذا اخذوا حاجتهم من الماء واراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وينقطع
وكان يسقي كل يوم ستمائة الف . وقال سعيد بن جبير هو الذي وضع موسى عليه ثوبه ليغتسل حين رموه بالادرة ففر الحجر
بثوبه ومر به على بني اسرائيل حتى علموا ان الله لم يبتله بالادرة فلما وقف الحجر اتاه جبريل عليه السلام فقال يا موسى ان الله عز وجل يقول لك
ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة وقد ذكر الله ذلك في قوله لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبراه الله مما قالوا
فحمله موسى ووضعه في مخلاته وكان اذا احتاج الى الماء ضربه بعصاه . وقصة ذلك الحجر ما روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم . قال كان بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوءة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما
يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر فذهب موسى يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمح موسى في اثره يقول ثوبي يا حجر
ثوبي يا حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوءته . فقالوا والله ما بموسى من باس فقام الحجر بعدما نظر بنو اسرائيل اليه فاخذ
موسى ثوبه فطفق بالحجر ضربا فلقد ضربه موسى اثني عشر ضربة وكان يظهر على كل ضربة مثل ثدي المراة ثم يتفجر بالانهار
المطردة فذلك قوله تعالى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وفي الاية اضمار واختصار تقديره فقلنا اضرب بعصاك الحجر
فضرب فانفجرت منه اي سالت واصل الانفجار الانشقاق والانسياب ومنه فجر النهار لانه ينشق من الظلام . واما قوله في
موضع آخر فانبجست الانبجاس ولما سقط من الماء وينشق والانفجار خروجه بالسيلان وكان الانبجاس في اول القصة والانفجار
في آخرها والانبجاس اقل من الانفجار . وقال بعضهم هو حجر امر الله موسى ان ياخذه من اسفل الجرجين مرفه مع قومه .
وقيل انه من الجنة قوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم اي موضع شربهم ويكون بمعنى المصدر مثل المدخل والمخرج
والمطلع وكان كل سبط يشربون من عين لا يخالطهم فيها غيرهم العصبية التي كانت بينهم قوله كلوا واشربوا
من رزق الله . اي قلنا كلوا من المن والسلوى واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذي ياتيكم من غير مشقة
ولا تعب ولا تبعة قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين العيث والعثو اشد الفساد وانما جمع بين العيث
والفساد وان كان معناهما واحدا تاكيدا كما يقال كذب وزور وظلم وجور اي قيل لهم كلوا واشربوا ولا تسرعوا الى الفساد
في الارض عاثين والدليل على ان العيث هو الفساد قول الشاعر . لولا الحياء وان رأسي قد عسا

فيه المسيب لزوت ام الطعام قوله وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد وذلك انهم وجدوا
المن والسلوى وملّوهما قال الحسن كانوا اهل كراث وابصال واعداس فنزعوا الى عكرهم عكر السوء واشتاقت طباعهم
الى ما جرت عليه عادتهم فقالوا لن نصبر على طعام واحد يعنون المن والسلوى وانما قال طعام واحد وهما اثنان لان
العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد وعن الواحد بلفظ الاثنين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح
دون العذب وقال عبد الرحمن بن زيد كانوا يعجنون المن والسلوى فيصير طعاما واحدا فيأكلونه قوله تعالى
فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها قرأ يحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف وقثائها بضم القاف
وهي لغة تميم وفومها قال ابن عباس الفوم الخبز تقول العرب فوموا لنا اي اختبزوا لنا وقيل لسائر
الحبوب التي تخبز الفوم تقول العرب للجارية فومي لنا اي اختبزي وقال عطاء هو الحنطة وهي لغة قديمة وقال الكلبي
هو الثوم قال حسان وانتم اناس لئام الاصول طعامكم الفوم والحوقل يريد الثوم والبصل والعرب تعاقب بين الفاء
والثاء فيقول للقبر جدث وجدف ودليل هذا التأويل انها في مصحف عبد الله وثومها بالثاء قوله تعالى وعدسها
وبصلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالعدس فانه مبارك مقدس وانه يرق القلب ويكثر الدمعة
وانه بارك فيه سبعون نبيا آخرهم عيسى عليه السلام فقال لهم موسى أتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير والدني الخسيس
اي تبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اي اخس وادنى بالذي هو خير يعني المن والسلوى قوله اهبطوا
مصرا معناه ان ابيتم الا ذلك فاهبطوا مصرا من الامصار ولو اراد مصر بعينها لم يصرفه كقوله تعالى ادخلوا مصر ان شاء الله
آمنين وقال الضحاك يعني مصر موسى وفرعون ودليل هذا القول قراءة الحسن وطلحة مصر بغير تنوين جعلاها معرفة فاجتمع
فيها التعريف والتأنيث من حيث ارادا البقعة فلم ينصرف فضربت عليهم الذلة والمسكنة اي الذل والهوان الجزية
وقوله والمسكنة اي الفقر فتراهم كانهم فقراء وان كانوا مياسير وقيل فقر القلب فلا ترى احدا من اهل الملل اذل ولا احرص على
المال من اليهود قوله وباءوا بغضب من الله اي رجعوا وقيل استحقوا بالباءة وقيل احتملوا واقروا به ومنه الدعاء
ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي وغضب عليهم دهم ايام وتوعدهم في الدنيا وانزال العقوبة بهم في العقبى قوله تعالى
ذلك اي ذلك الغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله اي بصفة محمد وآية الرجم في التوراة والانجيل والفرقان قوله
تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق في السبي ويقتلون بالتشديد والنبيين في جميع القرآن بالتشديد
وقرأ نافع بهمز النبيين فمعناه المخبر من قول العرب انبأ ينبئ انباء ومن حذف الهمزة فانه اراده لكن حذفه
طلبا للخفة لكثرة استعمالها وقيل لانه معنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهي المكان المرتفع يقال نبا ينبو نبوا اذا
ارتفع قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق اي بلا جرم مثل زكريا ويحيى وساير من قتل اليهود من الانبياء وفي الخبر
ان اليهود قتلوا سبعين نبيا في اول النهار وقامت سوق بقلهم في آخر النهار وقيل قتلوا في يوم واحد ثلثمائة نبي قوله
تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي يتجاوزون امري ويرتكبون محارمي قوله تعالى ان
الذين آمنوا والذين هادوا اي ان الذين آمنوا بموسى والتوراة ثم لم يتهودوا والذين آمنوا بعيسى ولم يتسموا بالنصرانية والذين
هودوا وتنصروا وتصابأوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون اختلف العلماء في تسمية الذين هادوا بهذا الاسم فقال بعضهم سموا بذلك لانهم هادوا
اي تابوا من عبادة العجل كقوله تعالى اخبارا عنهم انا هدنا اليك اي تبنا وقال بعضهم لانهم هادوا اي مالوا عن الاسلام
وعن دين موسى عليه السلام يقال هاد يهود هودا اذا مال واختلفوا ايضا في تسمية النصارى بذلك فقال مقاتل
لان اصلهم من قرية يقال لها ناصرة كان ينزلها عيسى عليه السلام واهله فنسبوا اليها وقال الزهري سموا بذلك
لان الحواريين قالوا نحن انصار الله والصابئين قرأ اهل المدينة بترك الهمزة وقرأ الباقون بالهمزة وهو الاصل يقال صبأ
يصبو صبوا اذا مال وخرج من دين الى دين واختلفوا في الصابئين من هم فقال عمر هم طايفة من اهل الكتاب
ذبائحهم ذبائح اهل الكتاب وبه قال السدي وقال ابن عباس لا دين لهم ولا تحل ذبائحهم ولا مناكحة نسائهم وقال مجاهد

مجاهد قبيلة نحو الشام بين اليهود والمجوس لا دين لهم وكان لا يرانهم من اهل الكتاب وقال مقاتل وقتادة هم قوم يقرون بالله ويعبدون
الملائكة ويقرؤون الزبور والفرقان ويصلون الى الكعبة اخذوا من كل دين شيئا وقال الكلبي هم قوم بين اليهود
والنصارى يحلقون اوساط رؤوسهم ويجبون مذاكيرهم وقال عبد العزيز بن يحيى درجوا وانقرضوا فلا عين ولا اثر قوله
ان الذين آمنوا اي على التحقيق وعقد التصديق وهم الذين آمنوا بعيسى ثم لم يتهودوا ولم يتنصروا ولم
يتصابؤوا وانتظروا خروج محمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وقيل هم طلاب الدين منهم حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة
ابن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وبحيرا الراهب آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل
مبعثه فمنهم من ادركه ومنهم من لم يدركه وقيل هم مؤمنو الامم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الامة قوله تعالى
والذين هادوا الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا ولم يغيروا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى
ولم يبدلوا وماتوا على ذلك والصابئين من آمن بالله اي مات منهم وهو مؤمن وقوله تعالى وعمل صالحا فلهم
اجرهم عند ربهم انما ذكر بلفظ الجمع لان لفظة من تصلح للواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى ومنهم
من يستمع اليك ومنهم من يستمعون اليك ومن يقنت منكن قال الفرزدق في التثنية تعش فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من
يا ذئب يصطحبان فان قيل بعين اعطا اجر المؤمن وهو عامل لنفسه قيل انما حمل على نفسه المشقة وحرم نفسه شهواتها
ما حرمه في الآخرة عوض عما فاته من اللذات في الدنيا قوله تعالى فلا خوف عليهم فيما تعاطوا من الاجرام
ولا هم يحزنون على ما اقترفوا من الآثام لما سبق لهم في الاسلام وقيل لا خوف عليهم في الكبائر فاني اغفرها
ولا هم يحزنون على الصغائر فاني اكفرها قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور اي
واذ اخذنا ميثاقكم يا معشر اليهود ورفعنا فوقكم الطور وهو الجبل بالسريانية في قول بعضهم وقالوا ليس لغة في الدنيا
الا وهي في القرآن وقال الحذاق من العلماء لا يجوز ان يكون لغة في القرآن غير لغة العرب لان الله تعالى قال قرآنا عربيا وقال
بلسان عربي وانما قال هذا واشباهه وفاق وقع بين اللغتين وقد وجدنا الطور في لغة العرب قال جرير
فان ير سليمان الجن يستأنسوا بها وان ير سلما صاحب الطور ينزل والمأخوذ عليهم ميثاقان الاول حين اخرجهم من صلب
آدم كالذر والثاني الذي اخذ عليهم في التوراة وساير الكتب والمراد في هذه الآية الثاني وذلك ان الله تعالى
انزل التوراة فامر موسى قومه بالعمل باحكامها فابوا ان يقبلوها ويعملوا بها للآصار التي كانت فيها وكانت شريعة ثقيلة
فامر الله جبريل فقطع جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤوسهم مقدار قامة الرجل عن ابن عباس امر
الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقطع من اصله حتى قام على رؤوسهم مثل الظلة وقال عطاء رفع الله فوق رؤوسهم الطور وبعث
نارا من قبل وجوههم واتاهم البحر الملح من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة اي بجد ومواظبة في طاعة الله
وفيه اضمار اي وقلنا لهم خذوا قوله واذكروا ما فيه اي احفظوه واعملوا بما فيه وقيل معناه وادرسوا
ما فيه من الثواب والعقاب وفي حرف ابي بن كعب واذكروا بابدال المشددة وكسر الكاف وفي حرف عبد الله وتذكروا ما فيه
ومعناه اتعظوا به قوله تعالى لعلكم تتقون اي لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في
العقبى فان قبلتموه وفعلتم ما امرتم به والا رضختكم بهذا الجبل واغرقتكم في البحر واحرقتكم في النار فلما راوا ان لا
مهرب لهم منه قبلوا ذلك وسجدوا خوفا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود مخافة ان يقع عليهم فصار ذلك سنة في اليهود
لا يسجدون الا على انصاف وجوههم فلما رفع الجبل قالوا يا موسى سمعنا واطعنا ولولا الجبل ما اطعنا قوله ثم توليتم من
بعد ذلك اي اعرضتم وعصيتم من بعد اخذ الميثاق ورفع الجبل فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتأخير العذاب عنكم لكنتم
من الخاسرين اي لصرتم من المغبونين في العقوبة وذهاب الدنيا والآخرة قوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا
منكم في السبت وذلك انهم كانوا في زمن داود عليه السلام بارض يقال لها ايلة على ساحل البحر بين المدينة والشام
وكان يسكن بني اسرائيل وقد كان حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت وكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع
هناك حتى يخرجن خراطيمهن من الماء لامنها في ذلك اليوم فاذا مضى يوم السبت تفرقن ولزمن لجة البحر فذلك قوله

تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فعمد رجل فحفر حفيرة عشية الجمعة جنب البحر وساق
اليها الماء من البحر فاقبل الموج بالحيتان فحبسوا السمك فيها يوم السبت واخذوا منها ليلة الاحد ويوم الاحد وقالوا
نحن لا نصطاد يوم السبت وكان في القرية نحو من سبعين الفا فصنف منهم امسك عن الاصطياد ونهى وصنف امسك
ولم ينه وصنف منهم انتهكوا الحرمة وكان الذين نهوا اثنى عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول نصيحتهم قال الناهون
والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار ولعنهم داود عليه السلام وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج
الناهون ذات يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم احد فلما ابطاوا تسوروا عليهم الحائط فاذا هم جميعا قردة
فمكثوا ثلثة ايام ثم هلكوا ولم يمكث ممسوخ فوق ثلثة ايام ولم يتوالدوا قوله تعالى فقلنا لهم كونوا
قردة خاسئين اي صاغرين مطرودين لغة كائنة قال مجاهد وقتادة والربيع وقال ابو روق يعني خرسا لا يتكلمون
دليله قوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وقيل مبعدين من كل خير وروي عن ابن مسعود انه لم يلدوا بعد ما مسخوا قال
وكذلك الممسوخ لا يكون له نسل وقيل انهم كانوا رجالا ونساء فمسخهم الله تعالى الذكر ذكرا والانثى انثى وكانوا يتعاوون
وكانت تسيل دموعهم ولم ياكلوا ولم يشربوا ثم اهلكهم الله فجاءت ريح فهبت بهم والقتهم في الماء وما مسخ الله امة الا اهلكها
قوله فجعلناها نكالا اي جعلنا القردة وقيل المسخة وقيل العقوبة وقيل القرية وقوله تعالى نكالا اي
عقوبة وعبرة وفضيحة لما بين يديها وما خلفها اي عقوبة لما مضى من ذنوبهم قبل نهيهم عن الصيد وما خلفها من العصيان
باخذ الحيتان بعد النهي وقيل لما بين يديها من عقوبة الآخرة وما خلفها من فضيحة في دنياهم فيذكرون بها الى يوم القيمة احتى
وموعظة للمتقين اي عظة وعبرة للمؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يتقون الشرك والكبائر والنو
فلا يفعلون مثل فعلهم قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة هذه الآية نزلت بعد
قوله تعالى واذ قتلتم نفسا ولو كانت مقدمة في التلاوة لان قتل النفس كان قبل ذبح البقرة والقصة فيه ما روي ان
بني اسرائيل قيل لهم في التورية ايما قتيل وجد بين قريتين فليمسح الى ايهما اقرب فيأخذ اهل تلك القرية فيحلف خمسون
يمينا من شيوخهم بالله ما قتلوه ولا علموا له قاتلا فقتل رجلان من بني اسرائيل ابن عم لهما اسمه عاميل ليرثاه وكان لهما ابنة عم
حسنة فخافا ان ينكحها فقتلاه لذلك وحملاه الى باب قرية فاخذ اهل تلك القرية فجاؤا الى موسى عليه السلام وقالوا
ادع الله تعالى لنا ان يطلعنا على قاتله فاوحى الله اليهم مرهم ان يذبحوا بقرة فامرهم بذلك ليضرب المقتول ببعض
البقرة فيحيا فيخبرهم من قتله فقالوا اتتخذنا هزوا اي تستهزئ بنا يا موسى حين نسألك عن القتل وتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك
لتباعد الامرين في الظاهر ولم يدروا ما الحكمة فيه وقرأ ابن محيصن ايتخذنا بالياء يعنون الله تعالى ولا يستبعد هذا من جهلهم
لانهم هم الذين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقوله عز وجل هزوا بالتخفيف والهمز وسكون الزاء وهي قراءة الاعمش
وحمزة وخلف وهزؤا وكفؤا مثقلان مهموزان وهي قراءة ابي عمرو واهل الحجاز والشام والكسائي وهزوا
وكفوا مثقلان بغير همز وهي قراءة الاعمش عن عاصم وكلها لغات صحيحة فصيحة معناها الاستهزاء فقال لهم موسى اعوذ
بالله ان اكون من الجاهلين اي امتنع بالله ان اكون من المستهزئين بالمؤمنين فلما علم القوم ان ذبح البقرة عزم من الله قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما هي هذه البقرة كبيرة ام صغيرة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لو انهم
عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها لاجزأت ولكن شددوا فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم تقديرا من الله عز وجل
وحكمة فيه وكان السبب فيه ان رجلا من بني اسرائيل كان برا بابيه وبلغ من بره ان رجلا اتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين الفا
وكان فيها فضل فقال ان ابي نائم ومفتاح الصندوق تحت راسه فامهلني حتى يستيقظ واعطيك الثمن قال فايقظه
واعطني الثمن قال ما كنت لافعل ولكن ازيدك عشرة الاف وامهلني حتى ينتبه ابي فقال الرجل انا احط عنك عشرة الاف
ان ايقظت اباك وعجلت النقد فقال وانا ازيدك عشرين الفا ان انتظرت انتباه ابي ففعل ولم يوقظ الرجل اباه واعقبه الله ببره
اباه ان جعل تلك البقرة عنده وامر بني اسرائيل ان يذبحوا تلك البقرة بعينها وقال ابن عباس كان في بني اسرائيل رجل صالح
له ابن طفل كان له عجلة فاتى بالعجلة الى غيضة وقال اللهم اني استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات الرجل

فنشأت العجلة في الغيضة وصارت عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن وكان برا بامه كان يقسم الليلة
ثلاثا يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا اصبح ذهب فاحتطب على ظهره ويبيعه في السوق ثم يتصدق بثلثه
ويأكل ثلثه ويعطي امه ثلثه فقالت له امه يوما ان اباك ورثك عجلة وذهب بها الى غيضة كذا واستودعها الله
فانطلق اليها وادع اله ابرهيم واسمعيل واسحق ان يردها اليك فان من علامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع
الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها وصفاء لونها فاتى الغيضة فراها ترعى فصاح بها وقال
اعزم عليك باله ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة
باذن الله تعالى وقالت ايها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك اهون عليك قال ان امي لم تأمرني بذلك ولكن قالت خذها
بعنقها فقالت البقرة وحق اله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي فانطلق فانك لو امرت الجبل ان ينقلع من اصله وينطلق معك
لفعل لبرك بامك فجاء بها الى امه فقالت له يا بني انك فقير ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فاذهب فبع هذه
البقرة بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضاي ومشورتي وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير وانطلق
بها الى السوق فبعث الله ملكا في صورة بشر ليختبر كيف بر الولد بوالدته فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة
دنانير واشترط عليك رضا والدتي فقال له الملك بستة دنانير ولا تستامر امك فقال لو اعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه
الا برضا امي فردها الى امه فقالت بعها بستة دنانير على رضا مني فانطلق بها وقال للملك انها امرتني ان لا انقصها من ستة
دنانير على ان استامرها فقال الملك انا اعطيك اثني عشر على ان لا تستامرها فابى ورجع الى امه فاخبرها بذلك فقالت
يا بني ان الذي يأتيك ملك في صورة انسان فقل له اتأمرنا ان نبيعها ام لا ففعل فقال له ما قال لامه فقال اذهب الى امك وقل
لها امسكي هذه البقرة فان موسى يشتريها منكم لقتيل يقتل من بني اسرائيل فلا تبيعوها الا بملء مسكها دنانير فامسكوها وقدر الله
على بني اسرائيل ذبحها مكافاة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة وروي انه كانت لرجل يبيع الجوهر فجاءه ابليس بجراب من اللؤلؤ يساوي
مائتي الف فعرضه عليه بمائة الف فوجد الجوهري المفتاح تحت راس ابيه وهو نائم فقال له كيف اوقظ ابي لربح مائة الف اكره
ان يوقظه فرجع وقال ان ابي نائم والمفتاح تحت راسه فقال له ابليس اذهب وقظه وانا ابيعك بخمسين الفا فلم يحتمل
قلبه ذلك ورجع فلم يزل ابليس يحط من الثمن حتى بلغ عشرة دراهم فلم يوقظ اباه وبر له البر فجعل الله في ماله اكثر حتى اشتروا
بقرته بملء مسكها ذهبا قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر وفي
مصحف عبد الله سل لنا ربك يبين لنا ومعنا الآية قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما سنها قال موسى انه يعني الله عز وجل
يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر اي لا كبيرة ولا صغيرة وارتفع فارض وبكر على اضمار هي اي لا هي فارض ولا بكر قال مجاهد والاخفش
الفارض الكبيرة المسنة التي لا تلد والبكر الفتية الصغيرة التي لم تلد وقال السدي البكر التي لم تلد الا ولدا واحدا وقيل معناه
الفارض اي ليست بكبيرة قد ولدت بطونا كثيرة والبكر اي لم تلد قوله عوان بين ذلك اي وسط بين الصغيرة والكبيرة
قد ولدت بطنا او بطنين وجمعها عون قوله تعالى فافعلوا ما تؤمرون اي افعلوا ما تؤمرون به من الذبح ولا
تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها موضع ما رفع بالابتداء ولونها خبره وقرأ الضحاك ما لونها نصبا كانه اعمل فيه
التبيين وجعل ما صلة قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها قيل يعني سوداء مثل قوله جمالات صفر اي سود كذا قال
الحسن والعرب تسمي الاسود اصفر قال الشاعر تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب والصحيح انها صفراء
لان السواد لا يؤكد بالفاقع وانما يؤكد بالحالك يقال في المبالغة في الوصف اصفر فاقع واحمر قان واسود حالك واخضر
ناضر وابيض ناصع ويقال ابيض يقق فمعنى فاقع اي صاف شديد الصفرة وقال ابن عباس صفراء فاقع لونها شديدة
الصفرة وقال القتيبي غلط من قال الصفراء ههنا السوداء لان هذا غلط في نعوت البقر وانما هو في نعوت الابل
قوله تسر الناظرين اي تعجب الناظر اليها لتمام خلقها وكمال حسنها ووضوح لونها قال علي رضي الله تعالى عنه
من لبس نعلا صفراء قل همه لان الله تعالى يقول صفراء فاقع لونها تسر الناظرين فان قيل لم امروا بذبح البقرة دون غيرها
قيل لان القربان تكون من الابل والبقر والغنم وكانوا يحرمون لحوم الابل كما قال الله تعالى الا ما حرم اسرائيل على نفسه يعني

لحوم الابل وكان ذبح البقرة افضل من ذبح الغنم فخصت بذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي
سائمة ام عاملة قوله عز وجل ان البقر تشابه علينا بمد قراءة العامة وقرأ محمد الاموي ان الباقر
وهو جمع البقر قال قطرب يقال في جمع البقرة بقر وباقر وبيقور وباقورة فان قيل لم قال تشابه والبقر جمع ولم يقل تشابهت
قيل فيه ثلاثة اقوال احدها انه ذكره لتذكير لفظ البقر كقوله تعالى اعجاز نخل منقعر وسئل سيبويه عن هذا فقال كل جمع
حروفه اقل من حروف واحده فان العرب تذكره وقال الزجاج معناه ان جنس البقر وقوله تعالى تشابه فيه سبع لغات
تشابه بفتح التاء والهاء وتخفيف الشين وهي قراءة العامة وقرأ الحسن تشابه بالتخفيف والهاء مضمومة يعني تتشابه وقرأ
الاعرج تشابه بفتح التاء والتشديد وضم الهاء على معنى تتشابه وقرأ مجاهد كقراءة الاعرج الا انه بغير الف وفي مصحف ابي
تشابهت انه لتانيث البقر وقرأ ابن اسحق تشابهت بالتشديد وقرأ الاعمش متشابه قوله وانا ان شاء الله لمهتدون
يعني الى وصفها قال صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم الى اخر الابد قوله تعالى قال انه يقول
انها بقرة لا ذلول اي لم يذللها العمل ولا تثير الارض اي ليست بحراثة ولا تسقي الحرث اي ليست بساقية
لا يسقى عليها الزرع قوله مسلمة اي بريئة من العيوب وقال الحسن مسلمة القوائم ليس فيها اثر العمل
قوله لا شية فيها اي لا عيب فيها وقال قتادة لا بياض فيها اصلا وقال مجاهد لا بياض فيها ولا سواد وقيل ليس
فيها لون يخالف سائر لونها والذلول في الدواب بمنزلة الذليل في الناس يقال رجل ذليل ودابة ذلول قوله تعالى
قالوا الان جئت بالحق اي بالوصف البين التام فطلبوها فلم يجدوا بكمال وصفها الا عند الفتى البار بوالدته فاشتروها بملء
مسكها ذهبا وقال السدي بوزنها عشر مرات ذهبا قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون اي من
غلاء ثمنها وقيل وما كادوا يجدونها باجتماع اوصافها وقيل لان كل واحد منهم خشي ان يكون القاتل من قبيلته قوله
واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها يعني عاميل وهذه الاية اول القصة ومعناها واذكروا اذ قتلتم نفسا فادارأتم
فيها اي اختلفتم فيها كذا قال ابن عباس ومجاهد ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم كنت خير شريك لا يداري
ولا يماري وقال الضحاك فادارأتم فيها اي اختصمتم وقال عبد العزيز بن يحيى شككتم وقال الربيع تدافعتم
واصل الدرء الدفع يعني القى كل واحد على صاحبه وهذا على الابتداء كل واحد عن نفسه كقوله ويدرؤن بالحسنة السيئة قوله
والله مخرج ما كنتم تكتمون اي مظهر ما كتمتم من امر القاتل قوله فقلنا اضربوه ببعضها اي اضربوا
المقتول ببعض البقرة اي بعضو منها واختلفوا في هذا البعض ما هو فقال ابن عباس العضو الذي يلي الغضروف وهو
المقتل وقال الضحاك بلسانها وقال سعيد بن جبير بعجب ذنبها وهو العصعص لانه اساس البدن الذي ركب
عليه وهو اول ما يخلق وآخر ما يبلى وقال مجاهد بذنبها وقيل بفخذها وقيل بغضروفها الايمن وقال السدي بالبضعة
بين كتفيها ففعلوا ذلك فضربوه فقام القتيل حيا باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان
وفلان لابني عمه ثم انصرع ميتا فاخذا فقتلا وفي الاية اختصار تقديره فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه فحيي قوله
تعالى كذلك يحيي الله الموتى اي كما احيا عاميل بعد موته كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته
دلائله لعلكم تعقلون اي لكي تعقلوا احيا الموتى وغير ذلك قال الواقدي كل شيء في القران لعلكم فهو بمعنى
لكي غير الذي في الشعراء وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون فانه بمعنى كانكم تخلدون فلا تموتون والله سبحانه كان قادرا على
احيائه بغير سبب الا ان الله امرهم بذلك لان احيا الميت بالميت اكد وابين قدرة قوله تعالى ثم قست
قلوبكم من بعد ذلك قال الكلبي قالوا بعد ذلك لم نقتله نحن وانكروا فلم يكن اعمى قلبا ولا اشد
تكذيبا لنبيهم بعد ذلك فقال الله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك وقال الكلبي قست اي يبست وجفت
وقال ابو عبيدة جفت وقال الواقدي جفت قلوبهم وقيل اسودت وقال الزجاج تاويل القسوة ذهاب اللين
والرحمة والخشوع والخضوع وقيل قست اي غلظت وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد احيا الميت وقيل من بعد هذه الايات
التي تقدمت من مسخ القردة والخنازير ورفع الجبل وخروج الانهار من الحجر وغير ذلك فهي كالحجارة في غلظها وشدتها

حزب

وشدتها ويبسها او اشد يبسا وغلظا ومعنى او اشد كقوله كلمح البصر او هو اقرب وقيل او بمعنى الواو اي واشد قسوة
كقوله تعالى بيوتكم او بيوت اباءكم ومثل بعولتهن او اباء بعولتهن او ابائهن وكقوله تعالى اثما او كفورا وقرأ
ابو حيوة اشد قساوة ثم عذر الله الحجارة وفضلها على القلب القاسي واخبر ان منها ما يكون فيه رطوبة وان منها لما
يتردى من اعلى الجبل الى اسفله من مخافة الله عز وجل فقال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
[illegible] كقوله تعالى فانفجرت وفي مصحف ابي منها الانهار رد الكناية الى الحجارة وان منها لما يشقق فيخرج
منه الماء وقرأ الاعمش يتشقق قوله وان منها لما يهبط من خشية الله اي ينزل من اعلى الجبل
الى اسفله من خشية الله وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع ولا تاتي بخير قيل لا يهبط من الجبل حجر حين يسقط
الا وهو يفعل لا فيه التمييز قوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون وعيد وتهديد اي ما الله بتارك
عقوبة ما تعملون بل يجازيكم به قوله عز وجل افتطمعون ان يؤمنوا لكم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه اي افترجون ان يصدقكم اليهود فيما اتاكم به نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان فريق منهم قوله
يسمعون كلام الله يعني التورية ثم يحرفونه اي يغيرونه من بعد ما عقلوه اي من بعد
ما فهموه وعلموه وقد كان فريق منهم يغيرون اية الرجم وصفة النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وهم يعلمون انهم
يعلمون انهم كاذبون هذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة والسدي وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي نزلت هذه الاية
في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه لما اخذتهم الرجفة واحياهم الله تعالى بدعاء موسى قالوا يا موسى سمعنا كلام
الله فطلب ذلك فاجابه الله تعالى حين امرهم ان يتطهروا ويطهروا ثيابهم ويصوموا ففعلوا ثم خرج بهم موسى حتى اتى الطور
فلما غشيهم الغمام سمعوا صوتا كصوت الشبور فسجدوا وسمعوا كلام الله يقول اني انا الله ربكم لا اله الا انا الحي القيوم لا تعبدوا
غيري ولا تشركوا بي شيئا واوصيكم ببر الوالدين وان لا تحلفوا بي كاذبين ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا يقتل بعضكم بعضا ولا
يشهد بعضكم على بعض شهادة زور واطعموا المساكين وصلوا القرابة ولا تظلموا اليتيم ولا تقهروا الضعيف فلما سمعوا ذلك
انزعجوا ثم ردت اليهم فقالوا يا موسى انا لا نطيق ان نسمع كلام الله ثم رجعوا الى قومهم قال فريق منهم سمعنا الله عز وجل يقول
ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا ولا باس ان تقول والمعنى بهذه الاية [illegible] الصحابة في ان
اليهود ان كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم فلهم سابقة في الكفر والتحريف قوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا قال
ابن السميفع واذا لاقوا يعني المنافقين من اهل الكتاب في وقت موسى فانه كان في قومه منافقون كما في امتنا وقيل المراد
منافقو هذه الامة وانما ذكرهم الله تعالى هنا مع اليهود لان اكثرهم كانوا من اليهود قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومعناه
واذا لقي المنافقون من اليهود الذين امنوا يعني ابا بكر واصحابه من المؤمنين قالوا امنا كايمانكم ونشهد بان محمدا صادق نجده
في كتابنا بنعته وصفته واذا خلوا الى رؤسائهم قال لهم رؤساؤهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد ووهب بن يهودا وغيرهم
من رؤسا اليهود اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اي اتخبرونهم انهم على الحق ليكون لهم الحجة عليكم عند الله في الدنيا والاخرة اذ كنتم مقرين
بصحة امره ولم تتبعوه وقال الكلبي معناه اتحدثونهم بما قص الله عليكم في كتابكم ان محمدا حق وقوله صدق ومنه قيل للقاضي
الفتاح وقال الكسائي بما بينه الله لكم وقال الواقدي بما انزل الله عليكم نظيره لفتحنا عليهم بركات من السما اي انزلنا
وقال ابو عبيدة والاخفش بما من الله عليكم واعطاكم قوله ليحاجوكم به عند ربكم اي ليخاصموكم ويحتجوا بقولكم عليكم
عند ربكم وقال بعضهم هو ان الرجل من المسلمين يلقى قريبه وصديقه من اليهود فيساله عن امر محمد صلى الله عليه وسلم
فيقول انه حق وهو نبي فيرجعون الى رؤسائهم فيلومونهم على ذلك وقيل ان كعب بن الاشرف وغيره من رؤسا اليهود
كانوا يقولون لعبد الله بن ابي واصحابه اذا اقررتم بنبوة هذا النبي والذي ذكر في التورية حق كان حجة عليكم وقال مجاهد
ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى يهود بني قريظة فقال لهم يا اخوان القردة والخنازير يا عبدة الطاغوت فقال بعضهم
لبعض من اخبر محمدا بهذا ما خرج هذا الا منكم او ما خرج هذا الا منكم واصل الفتح فتح المغلق ثم استعمل في مواضع كثيرة من فتح البلاد
وفتح على القارئ وقد يكون الفتح بمعنى النصر مثل قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يطلبون

السر منهم **قوله تعالى** أفلا تعقلون أي فليس لكم ذهن الإنسانية **قوله تعالى** أولا يعلمون أن الله يعلم
ما يسرون وما يعلنون أي ما يسرون من تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم فيما بينهم وما يعلنون مع الصحابة من
التصديق **قوله** ومنهم أميون لا يعلمون أي من اليهود من لا يحسن القراءة ولا الكتابة إلا أن يحدثهم
كأنهم نسبوا إلى الأم يعني قصد قوتهم وهو كذب **قوله** الكتاب إلا أماني اختلفوا في معنى الأماني قال الكلبي معناه لا يعلمون
إلا ما حدثهم به علماؤهم وقال أبو روق القراءة على ظهر القلب ولا تقرؤون الكتب ودليل هذا قوله تعالى إلا إذا
تمنى ألقى الشيطان في أمنيته أي إذا قرأ ألقى الشيطان في قراءته وقال الشاعر تمنى كتاب الله أول ليله وآخره لاقى حمام
وقال مجاهد الأماني الكذب والأباطيل كقول عمر رضي الله تعالى عنه ما تمنيت منذ أسلمت أي ما كذبت وأراد بالأماني
الأشياء التي كتبها علماؤهم من عند أنفسهم ثم أضافوها إلى الله تعالى من تغيير صفة النبي صلى الله عليه وسلم وقال الحسن يعني يمنون
على الله الباطل والكذب مثل قولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقولهم
نحن أبناء الله وأحباؤه **قوله تعالى** وإن هم إلا يظنون أي ما هم إلا يظنون ظنا وتوهما لا حقيقة ويقينا قاله قتادة
والربيع وقال معناه وإن هم إلا يكذبون **قوله عز وجل** فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا
من عند الله نزلت هذه الآية في علماء اليهود الذين غيروا صفة النبي صلى الله عليه وسلم فكتبوها محمد سبط طويل أزرق
سبط الشعر وكانت صفته في التوراة حسن الوجه جعد الشعر ربعة فبدلوا وقالوا هذا من عند الله فإذا سألوا
عن صفته قرؤوا ما كتبوا فيجدونه مخالفا للصفة فيكذبونه وإنما فعلت اليهود ذلك لأنهم خافوا ذهاب مأكلتهم وزوال
رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تغيير صفته ليمنعوا الناس عن الإيمان به فالويل الشدة في العذاب
وقيل الهلاك وقيل الحزن ويحكى عنه يوم ويح وقيل هو واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ الحجر
وقيل سيل فيه صديد أهل النار وقيل لو جعلت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره **قوله** ليشتروا به ثمنا قليلا يعني
ما كان لهم من المأكلة والهدايا من أغنيائهم [illegible] فيما غيروا من الكتاب **قوله تعالى** فويل لهم
مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون أي مما يصيبون من المآكل والهدايا ولفظ الأيدي للتأكيد كقولهم مشيت
برجلي ورأيت بعيني قال الله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه **قوله تعالى** وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة
اختلفوا في هذه الأيام ما هي قال ابن عباس ومجاهد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تقول مدة الدنيا سبعة
آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوما واحدا ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام فأنزل الله هذه الآية وقال قتادة وعطاء
يعنون الأربعين يوما التي عبد آباؤهم فيها العجل وهي مدة غيبة موسى عليه السلام وفي بعض التفاسير اختلف في مقدار عبادة
العجل فقيل عشرة أيام وقيل سبعة أيام وقيل أربعون يوما فقال الله تعالى تكذيبا لهم قل لهم يا محمد أتخذتم عند الله عهدا
أي موثقا أن لا يعذبكم إلا هذه المدة فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون وروي أنه يقال
لهم عند مضي الأجل أعداء الله قد مضى الأجل وبقي الأبد ولفظ المعدودة للقلة كقوله بثمن بخس دراهم معدودة
وفي الصوم أياما معدودات واحتج أصحابنا بقوله عليه السلام المستحاضة تدع الصلاة أيام أقرائها وقوله دع الصلاة
أيام أقرائك أن أقل الأيام ثلاثة وأكثرها عشرة لأنه يقال لما دون الثلاثة يوم ويومان وفيما زاد على العشرة
أحد عشر يوما وليس لأحد أن يعترض على هذا بقوله في أيام الصيام أياما معدودات لأنه أراد به الشهر كله لأن ظاهر لفظ
الأيام من الثلاثة إلى العشرة إلا أنه قد يذكر ويراد به الزيادة وقد فسر الله أيام الصوم بالشهر فانصرف بذلك التفسير
وأما أيام الحيض فمبهمة فلا بد أن تكون محصورة لأن الأحكام تختلف بحال الحيض والطهر فكان حمل اللفظ على ظاهره وحقيقته
أولى **قوله** بلى من كسب سيئة أي ليس كما تقولون قال الكسائي الفرق بين بلى ونعم أن بلى إقرار بعد جحد ونعم جواب
استفهام بغير جحد فإذا قيل لك ألست فعلت كذا تقول بلى وقيل لك ألم تفعل كذا تقول بلى وإذا قيل لك أفعلت
كذا قلت نعم قال الله تعالى ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير وقال تعالى ألست بربكم قالوا بلى وقال في غير
الجحد فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم وإنما قال ههنا بلى للجحود الذي قبله وهو قوله لن تمسنا النار والسيئة ههنا الشرك

قوله تعالى وأحاطت به خطيئته قرأ أهل المدينة خطيئاته بالجمع وقرأ الباقون خطيئته على الواحد والإحاطة
الإحداق بالشيء من جميع نواحيه أي سدت عليه طريق النجاة ومات على الشرك وقيل السيئة الذنوب التي وعد عليها العقاب
والخطيئة الشرك ولا بد أن تكون الخطيئة أكبر من السيئة لأن ما أحاط به أكبر منه وأصل بلى بل وهو لرد الكلام الماضي وإثبات كلام
آخر مستأنف وإنما زيدت الياء ليحسن الوقف وقيل أصل بلى الخفيفة وعن الربيع بن خثيم في معنى قوله وأحاطت به خطيئته
قال الذي يموت على خطيئته قبل أن يتوب ومثله قال عكرمة ومقاتل يعني أصر عليها وقال الكلبي معنى وأحاطت
به خطيئاته أي ذنوبه **قوله** فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك
أصحاب الجنة هم فيها خالدون ظاهر الآية **قوله تعالى** وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل أي أخذنا عليهم في
التوراة العهد الشديد لا تعبدون إلا الله بالياء قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وقرأ الباقون بالتاء قال أبو عمرو الآية
يقول وقولوا للناس فدلت المخاطبة على التاء قال الكسائي إنما ارتفع لا تعبدون لأن معناه أخذنا ميثاق بني إسرائيل
لا تعبدون إلا الله فلما ألقي أن رفع ومثله لا تسفكون دماءكم ونظيره قوله تعالى أفغير دين الله تأمروني أعبد أراد أن أعبد
فلما حذف أن الناصبة عاد الفعل إلى المضارعة وقرأ أبي بن كعب لا تعبدوا على النهي وقيل لهم لا تعبدوا إلا الله ومعنى
الآية أمرناهم بإخلاص عبادة الله **قوله عز وجل** وبالوالدين إحسانا أي ووصيناهم بالوالدين إحسانا برا بهما وعطفا
عليهما وإنما قال وبالوالدين وأحدهما والدة لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا غلب المذكر لخفته وقوته **قوله تعالى**
وذي القربى واليتامى أي وبذي القربى أي ووصيناهم بصلة الرحم واليتامى جمع يتيم وهو الطفل الذي لا أب له
والمساكين الفقراء **قوله تعالى** وقولوا للناس حسنا اختلف القراء فيه فقرأ زيد بن ثابت وأبو العالية وعاصم وأبو عمرو بضم
الحاء وجزم السين وهو اختيار أبي حاتم ودليله قوله تعالى بوالديه حسنا وقوله ثم بدل حسنا بعد سوء وقرأ ابن مسعود
وحمزة والكسائي وخلف حسنا بفتح الحاء والسين وهو اختيار أبي عبيد قال لأنها ههنا نعت بمعنى قولا حسنا وقرأ عيسى بن
عمر بضم الحاء والسين والتنوين وهو لغة مثل [illegible] وقرأ عاصم الجحدري إحسانا بالألف وقرأ أبي بن كعب وطلحة بن مصرف
حسنى بالتأنيث مرسلة ومجازه كلمة حسنى ومعنى الآية أيها الرؤساء من اليهود قولوا للسفلة قولا حسنا أي حقا وصدقا
وبينوا لهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم كما في التوراة ولا تكتموها ولا تغيروا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا قول ابن عباس وابن جبير
وابن جريج ومقاتل ودليله قوله تعالى ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أي صدقا وقيل معناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر
قوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون ثم توليتم أي أعرضتم عن العهد
والميثاق وقوله إلا قليلا منكم يعني عبد الله بن سلام وأصحابه وانتصب قليلا على الاستثناء **قوله تعالى** وإذ أخذنا ميثاقكم
لا تسفكون دماءكم أي لا يقتل بعضكم بعضا بغير حق وإنما قال ذلك لمعنيين أحدهما أن كل قوم اجتمعوا على دين واحد فهم
كنفس واحدة والآخر هو أن الرجل إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقاد ويقتص منه وقرأ طلحة بن مصرف لا تسفكون بضم الفاء
وهما لغتان مثل يعرشون ويعكفون وقرأ بعضهم لا تسفكون بالتشديد على التكثير **قوله عز وجل** ولا تخرجون
أنفسكم من دياركم أي لا يخرج بعضكم بعضا من داره **قوله تعالى** ثم أقررتم أي ثم اعترفتم بأن هذا
العهد قد أخذ عليكم وعلى آبائكم وأنتم تشهدون اليوم على ذلك يا معشر اليهود **قوله تعالى** ثم أنتم
هؤلاء تقتلون أنفسكم أي أنتم يا هؤلاء وحذف حرف النداء للاستغناء به لدلالة الكلام عليه كقوله تعالى ذرية من حملنا
مع نوح وقوله تقتلون أنفسكم قرأ الحسن تقتلون أنفسكم بالتشديد والآية خطاب ليهود قريظة والنضير كانت بنو
قريظة حلفاء الأوس وبنو النضير حلفاء الخزرج وكان كل فريق يقاتل الفريق الآخر فإذا [illegible] وسادوا دارهم
وأخرجوهم من ديارهم **قوله تعالى** تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان قرأ أهل الشام وأبو عمرو ويعقوب
تظاهرون بتشديد الظاء ومعناه تتظاهرون فأدغم التاء في الظاء مثل اثاقلتم وادّاركوا وقرأ عاصم والأعمش وحمزة
وطلحة والحسن والكسائي تظاهرون بالتخفيف حذفوا تاء التفاعل وأبقوا تاء الخطاب مثل قوله تعالى ولا تعاونوا على الإثم
والعدوان وما لكم لا تناصرون وقرأ أبي ومجاهد وقتادة تظهرون بالتشديد من غير ألف أي تتظهرون ومعناهما جميعا

تعاونون والظهير العون سمي بذلك لاسناد ظهره الى ظهر صاحبه. وقوله تعالى بالاثم والعدوان اي بالمعصية والظلم
قوله تعالى وان ياتوكم اسارى تفادوهم متصل بقوله ولا تخرجون انفسكم لان قوله تعالى وان ياتوكم داخل في
الميثاق ومعناه فكوا اسراكم من غيركم بالفداء قرا السلمي ومجاهد وابن كثير وابو عمرو وابن عامر اسارى بالالف وتفدوهم بغير
الف. وقرا الحسن اسرى بغير الف وتفادوهم بالالف. وقرا النخعي وطلحة والاعمش وحمزة اسرى تفدوهم كلاهما
بغير الف. وقرا شيبة ونافع وعاصم وقتادة والكسائي ويعقوب اسارى تفادوهم كلاهما بالالف والاسرى جمع اسير مثل
مريض ومرضى وصريع وصرعى. وقتيل وقتلى. والاسارى جمع اسرى ايضا مثل سكارى وكسالى ولا فرق بين الاسارى
والاسرى في الصحيح. وقال بعضهم المقيدون المشدودون اسارى والاسرى الماسورون غير المقيدين. وقوله تعالى
تفدوهم اي بالمال وتفادوهم اي تفاداه الاسير بالاسير واسرى في موضع نصب على الحال ومعنى الاية ما قال السدي ان
الله تعالى اخذ على بني اسرائيل في التورية ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد او امة وجدتموه من
بني اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكانوا يقتتلون في حرب سمير فيقاتل بنو قريظة
مع حلفائهم والنضير مع حلفائهم واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم منها واذا اسر الرجل من الفريقين كليهما جمعوا له
حتى يفدوه فتعيرهم العرب بذلك فيقولون كيف تقاتلونهم وتفادونهم فيقولون انا قد امرنا ان نفديهم وحرم علينا
قتالهم قالوا فلم تقاتلونهم قالوا انا نستحيي ان يستذل حلفاؤنا فذلك حين عيرهم الله تعالى فقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم
وفي الاية تقديم وتاخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان. وهو محرم عليكم
اخراجهم وان ياتوكم اسارى تفدوهم وكان الله اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة
عليهم مع اعدائهم وفداء اسرائهم فاعرضوا عن كل ما امر الله تعالى الا الفدا فقال الله تعالى افتؤمنون ببعض الكتاب
وتكفرون ببعض فايمانهم الفدا وكفرهم القتل والاخراج والمظاهرة وقال مجاهد يقول ان وجدته في يد غيرك فديته وانت تقتله
بيدك قوله عز وجل فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا. اي فما جزاء من يؤمن ببعض الكتاب
ويكفر ببعض الا ذل وهوان في الدنيا يعني بالخزي قتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير عن منازلهم الى الشام
خزي يخزي خزيا وفي الحيا خزي يخزي خزاية. قوله تعالى ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب وهو عذاب
النار. وقرا السلمي والحسن وابو رجاء تردون بالتاء لقوله تعالى افتؤمنون. قوله عز وجل وما الله بغافل عما
تعملون بالياء مدني ومكي وابو بكر ويعقوب والباقون بالتاء لقوله تعالى. اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة. اي استبدلوا الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب اي لا يهون ولا هم ينصرون من عذاب الله تعالى.
قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل اي اعطينا موسى التورية جملة واحدة واردفنا
واتبعنا من بعده رسولا من بعد رسول يقال قفاه اثره وقفاه بغيره في البعدية ماخوذ من قفا الانسان. قال الله تعالى ولا تقف
ما ليس لك به علم. وقيل ان الله انزل التورية على موسى جملة واحدة فامر ان يحملها فلم يطق فبعث الله لكل اية ملكا فلم يطيقوا
حملها. فبعث الله تعالى لكل حرف ملكا فلم يطيقوا فخففها الله على موسى فحملها وعمل بها. قوله عز وجل واتينا عيسى
ابن مريم البينات. يعني احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص. ونزول المائدة. وقيل البينات الدلالات
الواضحات والعلامات الواضحات. قوله تعالى وايدناه بروح القدس. اي قويناه والايد القوة واعانه بجبريل
خفف ابن كثير القدس وثقله الاخرون وهما لغتان مثل الرعب والسحت. قال الضحاك والسدي وقتادة روح
القدس جبريل. وقال الحسن القدس هو الله تعالى وروحه جبريل عليه السلام. واضافه الى نفسه تكريما وتخصيصا
نحو بيت الله وناقة الله وعبد الله. وقال السدي القدس البركة وقد اعطى الله بركة جبريل اذ نزل لعامة وحي انبيائه
على لسانه وتاييد عيسى عليه السلام انه كان قرينه يسير معه حيث سار ورفعه الى السماء حين اراد اليهود قتله وقيل
سمي جبريل روح القدس لانه يحيي به الكفار بالاسلام والقدس الطاهر وقيل المبارك. وقال ابن عباس وسعيد بن
جبير روح القدس اسم الله الاعظم وبه كان يحيي الموتى ويري الناس تلك العجائب. وقال ابن زيد هو الانجيل جعل الله

روحا كما جعل القران لمحمد صلى الله عليه وسلم روحا كما قال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فلما سمعت اليهود بذكر
عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص علينا من الانبياء فعلت فاتنا بما اتى به عيسى ان كنت صادقا قال الله تعالى
افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم اي فكلما جاءكم ايها اليهود رسول بما لا يوافق هواكم استكبرتم اي تكبرتم وتعظمتم
عن الايمان به. ففريقا كذبتم مثل عيسى ومحمد عليهما السلام. وفريقا تقتلون مثل زكريا ويحيى من قتلوا من الانبياء
عليهم السلام والالف في افكلما الف استفهام معناه التوبيخ والزجر قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف اي قالت اليهود
قلوبنا غلف اوعية من القبول فرد الله عليهم بقوله. بل لعنهم الله بكفرهم اي اكفرهم واسند عجائبهم به ومحبتهم له
فمنعهم الله الالطاف والفوائد التي منح الله المؤمنين مجازاة لهم على كفرهم قرا ابن محيصن غلف بضم العين واللام وقرا الباقون
بجزمها فمن خفف فهو جمع الاغلف مثل اصفر وصفر وهو الذي عليه غشاوة وغطا بمنزلة الاغلف غير المختون والاقلف الذي
عليها غشاوة فلا يعي ولا يفقه ما يقول محمد. قاله قتادة ومجاهد نظيره قوله تعالى وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
ومن ثقل فهو جمع غلاف مثل حجاب وحجب. وكتاب وكتب. ومعناه قلوبنا اوعية لكل علم فلا تسع حديثك لا يعي
الحديث لا نفهمه ولا نعقله فلو كان فيه خير لفهمته ولوعته. قال الله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم واصل اللعن الطرد والابعاد
فمعناه طردهم الله اي ابعدهم من كل خير. وقال النضر بن شميل الملعون المخزى المهلك. قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون
قال قتادة معناه ما يؤمن منهم الا قليل وهو عبد الله بن سلام واصحابه لان من امن من المشركين اكثر ممن امن من اليهود يعني القوم
حاصله معناه فقليلا يؤمنون ونصب قليلا على الحال وقيل على معنى صاروا قليلا يؤمنون وقيل معناه ايمانهم بالله
تعالى قليل لانهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض انتصب قليلا على هذا التاويل على معنى ايمانا قليلا يؤمنون وقال معمر
معناه لا يؤمنون الا بقليل مما في ايديهم ويكفرون باكثره وعلى هذا القول يكون قليلا منصوبا بنزع الخافض وما
صلة اي فبقليل يؤمنون وقال الواقدي وغيره معناه لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وهذا كقول الرجل للاخر ما اقل ما تفعل كذا اي لا
تفعله البتة. قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم يعني القران مصدق لما معهم يعني التورية وسائر
الكتب في التوحيد والدعاء الى الله. قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي وكانوا من قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم
يستنصرون بذكر القران ونبي اخر الزمان على الذين جحدوا توحيد الله كانوا اذا قاتلوا المشركين قالوا اللهم انصرنا عليهم باسم نبيك
وبكتابك الذي تنزل عليه الذي وعدتنا انك باعثه في اخر الزمان الذي نجد صفته في التورية فكانوا يرجون ذلك النبي منهم وكانوا
اذا قالوا ذلك نصروا وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين اظل زمان نبي يخرج مصدق ما قلناه فنقتلكم معه قتل عاد وارم.
قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به اي فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وعرفوه بصفته في كتابهم ولم يكن منهم كفروا به وغيروا صفته
بغيا وحسدا كم بعث من غير بني اسرائيل مخافة زوال الرياسة فلعنة الله على الكافرين. قوله تعالى بئسما اشتروا به
انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا. اي بئس ما باعوا به انفسهم من الهدى اما بكتمان صفة محمد صلى الله عليه وسلم انهم اختاروا
الدنيا على الاخرة فباعوا انفسهم بان كفروا بما انزل الله يعني القران حسدا للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل معناه بئس الذي اختاروا
لانفسهم حين استبدلوا الحق بالباطل والكفر بالايمان. وقوله تعالى بغيا اصل البغي الفساد يقال بغى الجرح اذا فسد ومد ومعنى
قوله بغيا اي بالبغي. قوله ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده يعني الكتاب والنبوة على محمد صلى الله
عليه وسلم. قوله فباؤا بغضب على غضب. قال قتادة الاول حين كفروا بعيسى والانجيل والثاني حين كفروا بمحمد والقران
صلوات الله عليهما فاستوجبوا اللعنة على اثر اللعنة. وقال السدي الغضب الاول بعبادتهم العجل والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وتبديل صفته. قوله تعالى وللكافرين عذاب مهين اي وللجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم عذاب
مهين يهانون فيه فلا يعزون. قوله واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله اي اذا قيل ليهود المدينة صدقوا بالقران قالوا
نؤمن بما انزل علينا يعنون التوراة. ويكفرون بما وراءه اي ويجحدون بما سوى الذي انزل عليهم كقوله تعالى فمن ابتغى
وراء ذلك اي سواه. قوله وهو الحق يعني القران مصدقا لما معهم اي موافقا للتوراة وسائر الكتب ونصب
مصدقا على الحال. قوله قل فلم تقتلون انبياء الله. اي قل لهم يا محمد ان كنتم تصدقون بالتورية فلم تقتلون

أنبياء الله وليس فيما أنزل عليكم قتل الأنبياء قوله تعالى إن كنتم مؤمنين أي فلم تقتلون أنبياء الله إن كنتم مؤمنين بالتوراة
وقد نهيتم فيها عن قتلهم وقوله تعالى لم أصله لما بحذف الألف فرقا بين الخبر والاستفهام كقوله فيم وبم وعم وعلام وحتام قوله
تعالى ولقد جاءكم موسى بالبينات أي بالدلالات الواضحات والآيات التسع ثم اتخذتم العجل من بعده
ذلك إلها وأنتم ظالمون أي كافرون بالله وفائدة الآية أن تكذيب الأنبياء من دأبكم وعادتكم كما أن موسى جاءكم
بالبينات ثم اتخذتم العجل إلها قوله تعالى وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور أي أخذنا عليكم العهد
في التوراة ورفعنا فوقكم الطور أي الجبل خذوا ما آتيناكم بجد ومواظبة في طاعة الله قوله واسمعوا أي اسمعوا ما فيه
من حلاله وحرامه وما تؤمرون به أي استجيبوا وأطيعوا سميت الطاعة سمعا لأنه سبب الطاعة والإجابة ومنه قولهم سمع الله لمن
حمده أي أجابه وقال الشاعر دعوت الله حتى خفت أن لا يكون الله يسمع ما أقول أي يجيب قوله تعالى قالوا
سمعنا وعصينا أي سمعنا قولك وعصينا أمرك ولولا مخافة الجبل ما قبلنا فالوا ذلك بعدما رفع عنهم الجبل قوله
وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم أي سقوا في قلوبهم حب العجل بكفرهم وخالطها ذلك كإشراب اللون لشدة الملازمة
قوله قل بئسما يأمركم به إيمانكم أي قل لهم يا محمد بئس شيئا يأمركم به إيمانكم من عبادة العجل من دون الله أي بئس الإيمان إيمان يأمركم
بالكفر قوله إن كنتم مؤمنين أي إن كنتم مؤمنين بزعمكم لأنهم قالوا نؤمن بما أنزل الله علينا فكذبهم الله قوله تعالى قل
إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة هذا جواب قول اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقولهم
لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فكذبهم الله تعالى وألزمهم الحجة فقال قل لهم يا محمد إن كانت لكم الدار
الآخرة يعني الجنة خالصة أي خاصة وقيل صافية من دون الناس فتمنوا الموت أي فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
لما نزلت هذه الآية إن كنتم صادقين في مقالتكم فقولوا اللهم أمتنا فسألوا الله الموت قال من كان بهذه الصفة فالموت
خير له ولا يصل إلى دخول الجنة إلا بعد الموت وقوله تعالى إن كنتم صادقين أي في قلوبكم فقولوا اللهم أمتنا فوالذي نفسي بيده لا
يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه فأبوا أن يفعلوا ذلك قال ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قالوا ذلك
لما بقي على ظهر الأرض يهودي إلا مات فلما لم يقولوا ذلك أنزل الله تعالى قوله تعالى ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم أي بما
أسلفت من المعاصي وكتمان صفة النبي صلى الله عليه وسلم وقوله أبدا يعني في مدة العمر وأما بعد ذلك فإنهم يتمنونه في الآخرة وقت
مشاهدة العذاب وإنما أضاف إلى الأيدي لأن أكثر المعاصي يكون باليد قوله تعالى ولتجدنهم أحرص الناس على حياة
اللام لام القسم والنون تأكيد القسم تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعني اليهود ومعنى الآية لتعلمن اليهود أحرص الناس على البقاء وفي
صحابي على الحياة قوله عز وجل ومن الذين أشركوا قيل إنه متصل بالكلام الأول ومعناه وأحرص من الذين أشركوا قال
الفراء هذا كما يقال هو أسخى الناس ومن حاتم أي وأسخى من حاتم وقيل هو ابتداء وتمام الكلام عند قوله حياة ثم ابتدأ وقوله الآية
وأضمر ليود اسما تقديره ومن الذين أشركوا قوم يود أحدهم وقيل معناه لتجدنهم أحرص الناس على حياة وأحرص من الذين
أشركوا وأراد بالذين أشركوا المجوس ومن لا يؤمن بالبعث قوله لو يعمر ألف سنة أي إن يعمر قوله
وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر أي وما إبعاده بمباعده من العذاب والله بصير بما يعملون الآية قوله تعالى
قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله قال ابن عباس إن حبرا من الأحبار عالما من
علماء اليهود يقال له ابن صوريا قال للنبي صلى الله عليه وسلم كيف نومك فإنا نعرف نوم النبي الذي يجيء في آخر الزمان
قال تنام عيناي وقلبي يقظان قال صدقت ولكن أخبرني أمن الرجل أم من المرأة قال أما العظم والعصب والعروق
فمن الرجل وأما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة قال صدقت فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه شيء من أخواله
أو يشبه أخواله ليس فيه شيء من أعمامه فقال أيهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت بقيت خصلة إن قلتها آمنت بك
ما يتعلق أي ملك يأتيك بالوحي قال جبريل قال ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا ميكائيل ينزل بالسرور والرخاء
فلو كان هو الذي يأتيك آمنا بك وصدقناك فقال عمر رضي الله تعالى عنه أنا أشهد أن من كان عدوا لجبريل فإنه عدو لميكائيل فقال لا تقول
هذا فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل إن اليهود قالت إن جبريل عدونا أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وقال قتادة

بامركم

قتادة وعكرمة والسدي كان لعمر رضي الله تعالى عنه أرض بأعلى المدينة ممرها على مدارس اليهود وكان عمر إذا أتى أرضه
يأتيهم ويسمع منهم ويكلمهم فقالوا يا عمر ما في أصحاب محمد أحب إلينا منك إنهم يمرون بنا فيؤذوننا وأنت لا تؤذينا وإنا لنطمع
فيك فقال عمر رضي الله تعالى عنه ما آتيكم لحبكم إياي ولا أسألكم لأني شاك في ديني وإنما أدخل إليكم لأزداد بصيرة في أمر
محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة قال جبريل فقالوا ذاك عدونا
يطلع محمدا على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة وإن ميكائيل إذا جاء جاء بالخصب والسلامة فقال عمر تعرفون
جبريل وتنكرون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا نعم فقال عمر أنا أشهد أن من كان عدوا لجبريل فهو عدو لميكائيل ومن
كان عدوا لهما فإن الله عدو له ثم رجع عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرأ عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات وقال لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر رضي الله تعالى عنه لقد
رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر قال الله تصديقا لقول عمر قل من كان عدوا لجبريل أي قل لهم يا محمد من كان عدوا
لجبريل أي فهو المنزل للكتاب على قلبك فإنه إنما نزله على قلبك بأمر الله لا من تلقاء نفسه وإنما أنزل ما هو مصدق لما بين يديه من الكتب
التي في أيديكم لا مكذبا لها وإنه وإن كان فيما أنزل الأمر بالحرب والشدة على الكافرين فإنه هدى وبشرى للمؤمنين
وقيل معناه على وجه الرغم أي فإن جبريل هو الذي ينزل عليك رغما لهم وفي جبريل سبع قراءات جبرائيل مهموز مشبع مفتوح
الجيم والراء وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف قال الشاعر شهدنا وما يلقى لنا من كتيبة مدى الدهر إلا جبرائيل أمامها
وجبرئيل مهموز مشبع على وزن جبرعيل وهي قراءة ابن عباس وعلقمة بن وثاب وجبرائل مهموز مختلس على وزن
جبراعل وهي قراءة ابن عباس وعلقمة وثابت وجبرئل مهموز مقصور مختلس وهي قراءة يحيى بن آدم وجبرال ممدود مشدد اللام من
غير ياء وهي قراءة يحيى بن يعمر وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وهي قراءة ابن كثير وجبريل بكسر الجيم والراء من غير همز وهي قراءة علي رضي
الله تعالى عنه وابن المسيب وأهل البصرة والمدينة وقد روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل بلغة السريانية عبد الله
لأن جبر هو العبد وإيل هو الله وعن معاوية رضي الله تعالى عنه قال إنما جبريل وميكائيل من ملكوت الله قوله فإنه نزله يعني فإن
جبريل نزل القرآن كناية عن غير مذكور كقوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة وحتى توارت بالحجاب يعني الشمس قوله من كان عدوا لله
وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين معناه من كان عدوا لهؤلاء فليكن وهذا على هذا التهديد إن
الله عدو للكافرين يعني اليهود وإنما قال عدو للكافرين ولم يقل عدو لهم لأنه لو قال ذلك لم يعلم بذلك أن عداوة جبريل يكون كفرا
بل كان يجوز أن يتوهم متوهم أن عداوة جبريل تكون فسقا ولا تكون كفرا فأزال الله هذا الإشكال وفي ميكائيل أربع لغات ممدود
مشبع على وزن ميكاعيل وهي قراءة أهل مكة والكوفة والشام وميكائل ممدود مهموز مختلس مثل ميكاعل وهي قراءة
أهل المدينة وميكال مهموز مقصور على وزن ميكعل وهو قراءة الأعمش وابن محيصن وميكال بغير همز وهي قراءة أبي عمرو
وميكائيل عبد الله مثل عبد وإيل هو الله وكذلك إسرائيل وهذه أسماء أعجمية رفعت إلى العرب فلفظت بها بألفاظ مختلفة
وإنما عطف جبريل وميكائيل على الملائكة بعد دخولهما في أسماء الملائكة لفضيلتهما مثل قوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية ومعنى الآية من كان عدوا لأحد من هؤلاء فإن الله عدو له الواو فيه
بمعنى أو يعني من كفر بالله أو ملائكته أو كتبه لأن الكافر بالواحد كافر بالكل فقال ابن صوريا
يا محمد جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل الله عليك من آية بينة فأنزل الله قوله عز وجل ولقد أنزلنا
إليك آيات بينات أي واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والأحكام قوله
قوله تعالى وما يكفر بها إلا الفاسقون وهم اليهود وغيرهم سمي الكفر فسقا
لأن الفسق الخروج من شيء إلى شيء واليهود خرجوا من دينهم بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم والفاسقون هم الخارجون
عن أمر الله قوله أوكلما عاهدوا عهدا واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام كما تدخل على الفاء في قوله
تعالى أفأنت تسمع الصم أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وعلى ثم في قوله تعالى أثم إذا ما وقع وقرأ ابن السماك أو كلما ساكنة على النسق
وكلما انتصب على الظرف قوله تعالى عاهدوا عهدا يعني اليهود قال ابن عباس لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ

الله عليهم وما عهد اليهم فيه قال مالك بن الصيف والله ما عهد الله الينا في محمد عهدا ولا ميثاقا فانزل الله هذه
الاية ويعضده قراءة ابي رجاء العطاردي اوكلما عوهدوا عهدا فجعلهم مفعولين ودليل هذا التاويل قوله تعالى
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الاية وقال بعضهم هو ان اليهود عاهدوا لان خرج محمد
ليؤمنن به ولنكونن معه على مشركي العرب ولننفينهم من بلادهم فلما بعث نقضوا العهد وكفروا به ودليله قوله تعالى
ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله
وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اي انهم لا يعلمون ذلك ولكنهم جاحدوه
كانهم لا يعلمون قوله نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب يعني التوراة كتاب الله يعني القران وقيل التورية ايضا لانهم اذا
نبذوا القران فقد نبذوا التورية والنبذ الطرح وكذا ابن مسعود نقضه فريق وقال عطاء هي العهود التي
كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اليهود كفعل بني قريظة والنضير دليله قوله تعالى الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يعينوا عليه احدا فنقضوا واعانوا مشركي قريش عليه
يوم الخندق وانما قال فريق منهم لان علماءهم هم الذين نبذوا العهد وانما قال اكثرهم لان منهم من
امن وهو ابن سلام وكعب الاحبار وغيرهما وراء ظهورهم مثل من يستخف بالشيء ولا يعمل به تقول العرب اجعل
هذا خلف ظهرك وتحت قدميك اي اعرض عنه قال الله تعالى واتخذتموه وراءكم ظهريا
وانشد الزجاج فطرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلا اخلقت من نعالكا قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين
على ملك سليمن يعني اليهود وهو عطف على نبذ فريق كانه قال نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي ما تلت السحر
على ملك سليمن ومعنى ما تتلوا ما تلت فلهم شياطين الجن والانس على ملك سليمن اي على عهد ملك سليمن وقيل معنى
تتلو تكذب يقال فلان يتلو على فلان اذا صدق في الحكاية عنه ويتلو عليه اذا كذب عليه كما يقال قال عنه وقال عليه وقال
ابن عباس تتلو اي تتبع وتعمل وقال عطاء تحدث وتكلم وقرا الحسن الشياطون بالواو في موضع الرفع في كل القران
وسئل ابو حامد الخارزنجي عن قراءة الحسن هذه فقال هي لحن ما حسن عند اكثر اهل الادب غير ان الاصمعي زعم انه سمع
اعرابيا يقول بستان حوله بساتون وقصة ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات على لسان اصف هذا ما علم
اصف بن برخيا سليمن الملك ثم دفنوها تحت مصلاه حين نزع الله ملكه ولم يشعر بذلك سليمن فلما مات عليه السلام
استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فاما علماء بني اسرائيل وصلحاؤهم فقالوا معاذ
الله ان يكون هذا علم سليمن ولا تعلمه واما السفلة فقالوا هذا علم سليمن واقبلوا على تعلمه وقد فضوا انبياءهم
وقالوا انما ملكه بالسحر وبه سخر الجن والانس والطير والرياح فلم يزالوا على ذلك الخلاف وفشت الملامة لسليمن
حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل عذره على لسانه واظهر براءته مما رمي به من الكفر كذبا لليهود فقال عز وجل وما
كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا اي انهم الذين كتبوا السحر وهم الذين يعلمونه الناس هذا قول الكلبي وقال السدي
كانت الشياطين تصعد الى السماء فتقعد منها مقاعد للسمع يستمعون الكلام من الملائكة فيما يكون في الارض من موت وغيره
فياتون الكهنة فيخلطون بما سمعوا كذبا ويزيدون في كل كلمة سبعين كلمة كذبا ويخبرونهم بذلك فاكتتب الناس ذلك وفشى
في بني اسرائيل ان الجن تعلم الغيب فبعث سليمان في الناس وجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ودفنها تحت كرسيه وقال
لا اسمع احدا يقول ان الشياطين تعلم الغيب الا ضربت عنقه فلما مات سليمن ذهب العلماء الذين كانوا يعرفون
امر سليمان فتمثل شيطان على صورة انسان فاتى نفرا من بني اسرائيل وقال هل ادلكم على كنز قالوا نعم قال فاحفروا تحت
الكرسي وذهب معهم فاراهم المكان فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما اخذوها قال ان سليمان كان يضبط الجن
والانس والشياطين بهذه الكتب وفشا في الناس ان سليمان عليه السلام كان ساحرا واتخذ بنو اسرائيل الكتب ولذلك
اكثر ما يوجد السحر في اليهود فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم خاصمته اليهود بها فبرا الله سليمان وانزل هذه الاية قوله تعالى
وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا اي بالسحر فان السحر كفر قرا اهل الكوفة الا عاصما واهل الشام بتخفيف

تخفيف النون ورفع الشياطين وكذلك في الانفال ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى وقرا الباقون بالتشديد ونصب ما بعده
قوله تعالى يعلمون الناس السحر قال بعضهم السحر العلم والحذق بالشيء قال الله تعالى وقالوا يا ايها الساحر اي يا ايها
العالم وقال بعضهم هو التمويه بالشيء حتى يوهم انه شيء ولا حقيقة له كالسراب يغر من راه وقال الله تعالى يخيل
اليه من سحرهم انها تسعى قوله تعالى وما انزل على الملكين ببابل محل نصب بايقاع التعليم عليه معناه ويعلمون الذي انزل
على الملكين وقرا ابن عباس والحسن والضحاك ويحيى وابن كثير بكسر اللام من الملكين وقال هما رجلان ساحران كانا
ببابل لان الملائكة لا يعلمون السحر قوله تعالى ببابل هي بابل العراق قوله تعالى هاروت وماروت اسمان سريانيان وهما
في محل الخفض على تفسير الملكين الا انهما نصبا لعجمتهما ومعرفتهما وكانت قصتهما على ما حكاه ابن عباس والمفسرون ان
الملائكة راوا ما يصعد الى السماء من اعمال بني ادم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك زمن ادريس عليه السلام فعيروهم بذلك
وقالوا ان هؤلاء الذين جعلتهم في الارض واخترتهم فهم يعصونك فقال الله تعالى لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت
فيهم لارتكبتم ما ارتكبوا فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما
الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اعبد الملائكة واصلحهم فركب الله فيهم الشهوة واهبطهما الى الارض وامرهما
ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير حق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا
ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا به الى السماء قال قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وذلك انه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة
وكانت من اجمل النساء وكانت من اهل فارس ملكة في بلدها فلما راياها اخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فابت وانصرفت
ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فابت وقالت لا الا ان تعبدا ما اعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس
وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذا فان الله نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي
انفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلوة لغير الله عظيم وقتل
النفس عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمراة وزنيا فلما فرغا راهما انسان فقتلاه قال
الربيع بن انس وسجدا للصنم فمسخ الله عز وجل الزهرة كوكبا وقال الكلبي والسدي انها قالت لهما لن تدركاني حتى تخبراني بالذي
تصعدان به الى السماء فقالا باسم الله الاكبر فقالت فما انتما مدركاني حتى تعلمانيه فقال احدهما للاخر علمها فقال اني اخاف الله قال الاخر فاين
رحمة الله فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله كوكبا فعلى قول هؤلاء هي الزهرة بعينها وقيدوها فقالوا هي الكوكب
الحمراء الذي صحح هذا القول ما روي عن علي رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا راى سهيلا قال لعن الله سهيلا
انه كان عشارا باليمن واذا راى الزهرة قال لا مرحبا ولا اهلا وعن ابن عباس ان المراة التي فتنت هاروت وماروت مسخت
هي هذه الكوكبة الحمراء وانكر اخرون هذا وقالوا ان الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي اقسم الله بها تعالى فلا اقسم بالخنس
وانما المراة التي فتنت هاروت وماروت كان اسمها زهرة من جمالها فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الزهرة ذكر هذه المراة الموافقة الاسمين فلعنها وكذلك سهيل كان رجلا عشارا باليمن فلما راى رسول
الله صلى الله عليه وسلم النجم ذكره فلعنه والله اعلم قال المفسرون فلما امسيا هاروت وماروت بعدما
اصابا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبي عليه الصلاة والسلام فاخبراه
بامرهما وسالاه ان يشفع لهما وقالا انا راينا يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع اهل الارض فاستشفع لنا الى
ربك ففعل ادريس فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما ببابل
يعذبان واختلف العلماء في عذابهما فقال ابن مسعود هما معلقان بشعورهما الى يوم القيمة وقال قتادة
كبلا من قدميهما الى اصول افخاذهما وقال مجاهد ان جبا ملئت نارا فجعلا فيها وقيل معلقان منكسان في السلاسل وقيل
منكوسان يضربان بسياط الحديد وروي ان رجلا اراد تعلم السحر فقصدهما فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة اعينهما
مسودة وجوههما ليس بين السنتهما وبين الماء الا اربع اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما راى ذلك هاله مكانهما فقال
لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا من انت قال رجل من الناس قالوا من اي امة انت قال من امة محمد صلى الله عليه وسلم

قال او ترى ابن محمد قال نعم قال الحمد لله واظهر الاستبشار فقال الرجل وما استبشارك قال لانه نبي الساعة وقد دنا
انقضاء عذابنا قوله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا ومن صلة اي لا يعلمان احدا من السحر حتى ينصحانه
اولا وينهيانه ويقولا انما نحن فتنة ومحنة فلا تكفر بتعلم السحر يقولان له ذلك سبع مرات قال السدي
وعطا فان ابى الا التعلم قالا له ائت هذا الرماد فبل فيه فيخرج منك نور ساطع في السماء فتلك المعرفة وينزل شيء اسود مثل
الدخان حتى يدخل مسامعه يسمه الدخان وذلك غضب الله عز وجل قوله تعالى انما نحن فتنة انما وحدها لانها مصدر والمصدر لا يثنى
ولا يجمع مثل قوله وعلى سمعهم وعلى ابصارهم وفي مصحف ابي وما يعلم الملكان من احد وتعلم السحر لا يكون اثما كمن يقول علمني
الزنا وما السرقة فيقول كذا وكذا ولكنه حرام فلا تفعله ومعناه ان لا يصفان السحر لاحد حتى يقولا انما نحن اختبار وابتلا فلا تكفر
ملائكة ايها المتعلم اي لا تتعلم العمل به وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قدمت علي امراة من اهل دومة الجندل تبتغي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد موته تسأله عن شيء دخلت فيه من امر السحر ولم تعمل به فلم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت حتى رحمتها وقالت اني اخاف
ان اكون قد هلكت كان لي زوج فغاب فدخلت علي عجوز فشكوت ذلك اليها فقالت ان فعلت ما امرك به فاجعله ياتيك فلما كان الليل
جاءتني بكلبين اسودين فركبت احدهما وركبت الآخر فلم يكن كثيرا وقفنا ببابل واذا برجلين معلقين بارجلهما فقالا لها ما جاء بك
فقالت نتعلم السحر فقالا انما نحن فتنة فلا تكفري وارجعي فقلت لا قالا فاذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت فاقشعر جلدي ففزعت
اليهما فقلت قد فعلت قالا لا فهل رايت شيئا فقلت لا قالا لم تفعلي ارجعي الى بلادك فلا تكفري فابيت فقالا اذهبي الى ذلك التنور
فبولي فيه فذهبت فيه فرايت فارسا مقنعا بالحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب عني حتى لم اره فجئتهما فقلت قد فعلت فقالا ما رايت
قلت رايت فارسا مقنعا بالحديد خرج مني فذهب في السماء حتى غاب قالا صدقت ذلك ايمانك خرج منك اذهبي فلم تريدي
شيئا الا سقط في يدي وندمت والله يا ام المؤمنين ما فعلت شيئا قط ولا افعله ابدا قوله تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون
به بين المرء وزوجه قيل معناه لا يعمل به السامع فيكفر بالعمل فتقع الفرقة بينه وبين زوجته بالردة اذا كانت مسلمة
وقيل معناه يسعى بينهما بالنميمة والاغراء والافساد وتمويه الباطل لكي يبغض كل منهما صاحبه فيفارقه وقرا الحسن بين المرء بالتشديد
وقرا الزهري بضم الميم والهمز وقرا الباقون بفتح الميم والهمز قوله تعالى وما هم بضارين به اي بالسحر من احد اي احدا وقوله
الا باذن الله اي بعلمه وقضائه ومشيئته قوله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم اي يضرهم في الآخرة ولا ينفعهم
في الدنيا وقيل معناه يضرهم ولا ينفعهم كلاهما في الآخرة لان السحر كان ينفعهم في دنياهم لانهم يكسبون به قوله تعالى ولقد علموا
لمن اشتراه اي علمت اليهود لمن اشتراه لمن اختار السحر والكفر على الايمان ما له في الآخرة من خلاق اي من نصيب
وقال الحسن من دين او وجه عند الله وقال ابن عباس من قوام وقيل من خلاص قال امية
يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم الا سرابيل من قطر واغلال اي لا خلاص لهم ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوا
به انفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق وقيل لبئس ما باع المستعملون السحر به انفسهم بعقوبة الآخرة وذهب
جماعة الى ان قوله وما انزل على الملكين عطف على وما كفر سليمان ولكن الشياطين في معنى النفي كانه قال لم ينزل على الملكين ولكن
الشياطين هاروت وماروت واتباعهما يعلمون الناس السحر والغرض من هذه الآية ان يبهت اليهود ولكنهم على اخذ السحر من الشياطين
وادعوا انهم اخذوه من سليمان وان ذلك اسمه الاعظم ليكتسبوا به ولو انهم آمنوا واتقوا اي لو ان اليهود
آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واتقوا اليهودية والسحر لمثوبة من عند الله خير اي لكان ثواب الله خيرا لهم من
كسبهم الكفر والسحر يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وذلك ان المسلمين كانوا يقولون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم راعنا يا رسول الله وارعنا سمعك يعنون بالمراعاة وكانت هذه اللفظة شيئا قبيحا باليهودية قيل
كان معناها عندهم اسمع لا سمعت فلما سمعها اليهود اغتنموها وقالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فاعلنوا له الآن بالشتم وكانوا
ياتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضي الله عنه ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال
لليهود عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده يا معشر اليهود لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه
وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فانزل الله هذه الآية يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا لكيلا يجد اليهود سبيلا

سبيلا الى سب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا اي اسمع الينا نسمع
اليك وقيل ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع الى كلامنا حتى نسمع الى كلامك فنهى الله عنه اذ لا يجوز للآحاد مخاطبة
من الانبياء الا على وجه التوقير والاعظام وقولوا انظرنا يحتمل ان يكون من النظر الذي هو [illegible] ويحتمل
ان يكون انتظرنا حتى يتبين لنا ما تعلمنا وقال مجاهد معناه فهمنا وقال [illegible] معناه بين لنا قوله تعالى واسمعوا
اي اسمعوا ما تؤمرون به والمراد اطيعوا قوله وللكافرين عذاب اليم تفسيره قد تقدم قوله تعالى ما يود
الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم اي يتمنى الذين كفروا من يهود المدينة
ونصارى نجران ولا من المشركين عبدة الاوثان ان ينزل عليكم ايها المؤمنون من خير من ربكم من الوحي وشرائع الاسلام قوله تعالى
ولا المشركين مجرور في اللفظ بالنسق على من مرفوع في المعنى بفعله كقوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه
وقوله تعالى من خير من ربكم اي خير كما تقول ما اتاني من احد فمن فيه وفي اخواته صلة وهي كثيرة في القرآن قوله تعالى والله
يختص برحمته من يشاء اي يختار برحمته للنبوة والاسلام من يشاء يختص بها محمدا صلى الله عليه وسلم والاختصاص آكد من الخصوص
لان الاختصاص لنفسك والخصوص لغيرك والله ذو الفضل العظيم على من خصه بالنبوة والاسلام قوله تعالى
ما ننسخ من آية او ننسها قيل سبب نزول هذه الآية ان اليهود كانوا حين حولت القبلة الى الكعبة يقولون ان كان
الاول حقا فقد رجعتم وان كان الثاني حقا فقد كنتم على الباطل وقيل سببه ان اليهود كانوا ينكرون نسخ الشرائع ويقولون ان النسخ
بدا ولا يجوز ذلك على الله فنزلت هذه الآية ردا عليهم وبيانا انه يدبر الامر كيف يشاء ومعناه ما نبدل من آية او نتركها
نات بخير من المنسوخة اي اكثر في الثواب وقيل اليسر واسهل على الناس او مثلها في المصلحة والثواب قيل
ان قوله بخير منها مثل الامر بالقتال اول ما فرض الجهاد ان يكون كل مسلم لعشرة من الكفار وكان لا يحل له ان يفر من عشرة كما قال الله
تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ثم نسخ بقوله الآن خفف الله عنكم الآية ولم يقل احد ان بعض القرآن خير من بعض
في التلاوة والنظم اذ جميعه معجز واما قوله تعالى او مثلها فهو مثل آية القبلة جعل الله ثواب الصلوة الى الكعبة بعد النسخ مثل
ثواب الصلوة الى بيت المقدس قبل النسخ وروي ان المشركين قالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم
بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ما هذا القرآن الا كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه وهو كلام ينقض بعضه بعضا
فانزل الله تعالى واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون وانزل ايضا
ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها قوله تعالى ما ننسخ قرا ابن عامر ننسخ بضم النون وكسر السين ومعناه على هذه
القراءة نجعل نسخة من قولك نسخت الكتاب اذا كتبته وقرا الباقون ننسخ بفتح النون والسين وقوله او ننساها قرا سعيد بن
المسيب ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ننسها بضم النون وكسر السين ومعناه نامر بتركها وقرا ابي كعب
او ننسك وقرا عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها وقرا سالم مولى ابي حذيفة او ننسكها وقرا ابو حاتم او ننسها
بالتشديد وقرا الضحاك ننسها بضم التاء وفتح السين وقرا سعد بن ابي وقاص او تنساها بالتاء مفتوحة وعن القسم بن ربيعة
قال سمعت سعد بن ابي وقاص يقرا او تنساها فقلت له ان سعيد بن المسيب يقراها ننسها فقال ان القرآن لم ينزل
على آل المسيب قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم سنقرئك فلا تنسى واذكر ربك اذا نسيت وقرا عمر
ابن الخطاب وابن عباس وعطا ومجاهد وابن كثير وابو عمرو والنخعي او ننسأها بفتح النون الاولى وفتح السين وبعدها همزة
ومعناه نؤخرها يقال نسأت الشيء اذا اخرته ومنه قوله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركهم وقيل معناه نؤخرها فلا نبدلها يقال انسأ
الله اجله ونسأ الله في اجله ومنه النسيئة في البيع قوله تعالى نات بخير منها اي بما هو اسهل وانفع واكثر اجرا لا ان الآية
خير من آية لان كلام الله واحد وكله خير قوله تعالى او مثلها يعني في المنفعة والثواب قوله تعالى الم تعلم ان
الله على كل شيء قدير اي من النسخ والتبديل قال الزجاج لفظه استفهام ومعناه تفهيم وتقرير قوله الم تعلم ان
الله له ملك السموات والارض الم تعلم يا محمد ان الله له ملك السموات والارض ومن فيهن وانه اعلم بوجوه الصلاح فيما
يتعبدهم من ناسخ ومنسوخ ومتروك وغير متروك ويجوز ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كقوله

حزب

تعالى يا أيها النبي إذا طلقتم النساء • وقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يجوز أن يكون تطييبا
لقلوب المؤمنين وبيانا لكلمتهم وأمرهم • وأنه يتولى أيامهم يغلبون من سواهم ويجوز أن يكون وعيدا لمن لا يؤمن بالناسخ والمنسوخ •
أي ليس لكم قريب ينفعكم • ولا مانع يمنعكم من عذاب الله تعالى قوله تعالى أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل
موسى من قبل • قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن أمية المخزومي وفي رهط من قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
وقالوا يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع لنا أرض مكة وفجر لنا الأنهار خلالها تفجيرا ونحن نؤمن بك • وقالوا أيضا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا • أو تكون لك جنة من نخيل وأعناب إلى آخر الآية • فأنزل الله هذه الآية ومعناها
أتريدون أو المتصلة • وقيل معناها بل • وسألوا رؤية الله تعالى كما سأل السبعون رجلا من بني إسرائيل موسى وقوله
رسولكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قوله ومن يتبدل الكفر بالإيمان أي من يختر الكفر على الإيمان ويستبدله به
فقد ضل سواء السبيل أي أخطأ قصد السبيل قوله تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو
يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا نزلت في نفر من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد
ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلا • فقال لهم عمار
كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد • قال فإني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت • فقالت اليهود أما هذا
فقد صبا • وقال حذيفة وأما أنا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا • وبالإسلام دينا • وبالقرآن إماما • وبالكعبة قبلة
وبالمؤمنين إخوانا • ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه بذلك فقال أصبتما الخير وأفلحتما فأنزل الله تعالى ود كثير من
أهل الكتاب لو يردونكم يا معشر المسلمين من بعد إيمانكم كفارا بالرد وقيل الحال وقوله حسدا أي حسدا لكم لتشريف الله إياكم عليهم بموضع
النبوة فيكم بعد ما كانت في بني إسرائيل وانتصب حسدا على المصدر أي يحسدونكم حسدا • وقيل بنزع الخافض تقديره للحسد قوله
تعالى من عند أنفسهم راجع إلى ود كثير من أهل الكتاب لا إلى قوله حسدا لأن حسد الإنسان
لا يكون إلا من نفسه فكان الله بين أن مودتهم ردكم إلى الكفر لا من حيث يأمركم بذلك ولكن ذلك من عند أنفسهم من بعد
ما تبين لهم الحق في التوراة وسائر الكتب أن محمدا صلى الله عليه وسلم صادق وأن دينه حق • وقيل معنى من عند أنفسهم أي من تلقاء
أنفسهم لا من الله قوله تعالى فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره أي اتركوهم وأعرضوا عنهم حتى يأذن الله لكم في قتالهم
وقتلهم وينصركم عليهم وقد جاء بأمره حين استقرت آيات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا أمر الله النبي بقتالهم بقوله تعالى
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية إلى قوله وهم صاغرون وغير ذلك من الآيات فقتلوا بني قريظة
وأجلوا بني النضير • وقيل معناه حتى يأتي الله بأمره قيام الساعة ومجازاتهم بأعمالهم قوله وأقيموا الصلاة وآتوا
الزكوة لما أمر الله تعالى بالصفح عن اليهود علم أن ذلك شق على المسلمين فأمرهم بالاستعانة على ذلك بالصلوة والزكوة كما
قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة قوله وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله يعني من طاعة
وعمل صالح تجدوا ثوابه ونفعه عند الله وقيل أراد بالخير المال كقوله تعالى إن ترك خيرا ومعناه وما تقدموا لأنفسكم
من زكوة وصدقة التمرة واللقمة تجدوه عند الله مثل أحد • وفي الحديث إذا مات العبد قالت الناس ما خلف وقالت الملائكة
ما قدم • روي أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه دخل المقابر فقال السلام عليكم يا أهل القبور أموالكم قسمت ودوركم سكنت وأزواجكم
نكحت فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم فنودي هاتف وعليك السلام ما أكلنا ربحنا وما قدمنا وجدنا وما خلفنا خسرنا قوله
تعالى وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى قال الفراء أراد يهوديا فحذف الياء الزائدة • وقال الأخفش
الهود جمع هائد مثل عائذ وعوذ وحائل وحول وفي مصحف أبي إلا من كان يهوديا أو نصرانيا • ومعنى الآية قالت اليهود لن يدخل
الجنة إلا من كان يهوديا ولا دين إلا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا ولا دين إلا النصرانية
قال الله تعالى تلك أمانيهم يجوز أن يكون تلك كما تدعون الجنة ويجوز أن يكون عن المقالة وأمانيهم أباطيلهم بلغة قريش •
وقيل شهواتهم التي تمنوها على الله بغير الحق قل لهم يا محمد هاتوا برهانكم أي حجتكم على ذلك من التوراة والإنجيل
إن كنتم صادقين • ثم قال الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لهم • بلى أي ليس كما قالوا بل يدخل الجنة • من أسلم وجهه لله

أي من أخلص دينه لله وقيل من فوض أمره إلى الله وقيل من خضع وتواضع لله وأصل الإسلام الاستسلام وهو الخضوع
والانقياد وإنما خص الوجه لأنه إذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه وقوله تعالى وهو محسن أي محسن في عمله
وقيل معناه وهو مؤمن مخلص فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم أي فيما يستقبلهم من أهوال يوم القيمة
ولا هم يحزنون على ما خلفوا في الدنيا لأنهم يتيقنون بثوابهم عند الله قوله تعالى وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء قال ابن عباس صدق كل واحد من الفريقين ولو حلف على
ذلك ما حنث وليس لأحد من الفريقين على شيء قوله تعالى وهم يتلون الكتاب أي وكلا الفريقين يقرؤون كتاب الله
أي رجعوا إلى ما معهم من الكتاب لما اختلفوا قوله تعالى كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم أي الذين
ليسوا بأهل كتاب نحو المجوس وبعض من العرب يقولون أيضا لن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا وقيل أراد بالذين لا يعلمون آباءهم
الذين مضوا • وقال مقاتل هم مشركوا العرب قالوا في محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليسوا على شيء من الدين • وقال
ابن جريج قلت لعطا كيف قال الذين لا يعلمون من هم قال أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط
وشعيب ونحوهم قالوا في أنبيائهم ليسوا على شيء وإن الدين ديننا قوله تعالى فالله يحكم بينهم يوم القيمة أي
يقضي بين اليهود والنصارى والمشركين يوم القيمة أي يريهم من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل النار عيانا قوله تعالى فيما
كانوا فيه يختلفون يعني من الدين قوله تعالى ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه نزلت هذه
الآية في طيطوس بن اسبيسيانوس الرومي وأصحابه وذلك أنهم غزوا بني إسرائيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التوراة
وخربوا بيت المقدس وألقوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير وكان خرابا إلى أن بناه المسلمون في أيام عمر رضي الله عنه ولم يدخل
بيت المقدس بعد عمارته رومي إلا خائفا مستخفيا لو علم به لقتل وقال قتادة والسدي نزلت في بخت نصر وأصحابه غزوا
اليهود وخربوا بيت المقدس وأعانهم على ذلك طيطوس الرومي وأصحابه النصارى من أهل الروم وذلك لبغضهم اليهود إلا أن
هذا نسبة الغلط إلا وأظهر لأنه لا خلاف أن بخت نصر كان قبل مولد عيسى بدهر طويل والنصارى إنما ينتمون إلى عيسى عليه السلام
فكيف يكونون مع بخت نصر ويعني لأنه ومن أظلم أي ومن أكفر وأعتى ممن منع مساجد الله يعني بيت المقدس ومحاريبه وقوله أن
يذكر موضع أن نصب على أنه مفعول ثان لأن المنع يتعدى إلى مفعولين وإن شئت جعلته نصبا بنزع الخافض أي بأن يذكر وقوله
وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين وقال قتادة ومقاتل لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى
إلا متنكرا مسارقة لو قدر عليه عوقب وفي نسخة ضرب • قال السدي أخيفوا بالجزية • وقال أهل المعاني هذا خبر فيه
معنى الأمر يعني أجهضوهم بالجهاد لئلا يدخلها أحد منهم إلا خائفا من القتل والسبي قوله تعالى لهم في الدنيا
خزي أي عذاب وهوان وهو القتل والسبي إن كانوا حربا والجزية إن لم يكونوا حربا قوله تعالى ولهم في
الآخرة عذاب عظيم وهو النار • وقال عطا نزلت هذه الآية في مشركي مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام منعوا
النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن ذكر الله فيه وصدوهم عنه عام الحديبية فعلى هذا سعيهم في خرابها هو المنع عن ذكر الله
فيها لأن عمارة المساجد بإقامة العبادات فيها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين يعني أهل مكة يقول أفتحها عليكم
حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم ففتحها الله عليهم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي ألا لا يحجن بعد هذا
العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان فخوفوا منها بهذا خوفهم لهم في الدنيا خزي أي ذل وقتل ونفي ولهم في الآخرة عذاب عظيم
وقيل المراد بالآية جميع الكفار الذين يمنعون المساجد وكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد • قال عليه السلام جعلت لي الأرض
مسجدا فعلى هذا تقديره ومن أظلم ممن خالف ملة الإسلام أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين • أي ينظم الإسلام
على جميع الأديان ولم يدخل الكفار المساجد إلا خائفين بعدما كانوا لا يتركون المسلمين أن يدخلوا مساجدهم قوله
عز وجل ولله المشرق والمغرب قيل معناه لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله أن تذكروه حيث كنتم من
أرضه • وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في نفر من الصحابة رضي الله عنهم في سفر قبل تحويل القبلة إلى الكعبة فأصابهم
الضباب وحضرت الصلوة فتحروا القبلة فصلوا فمنهم من صلى قبل المشرق ومنهم من صلى قبل المغرب فلما ذهب الضباب

إستبان لهم أنهم يصلوا فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية وقال عبد الله
بن عامر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة سوداء مظلمة فنزلنا منزلا فجعل الرجل يأخذ الأحجار فيعمل مسجدا
يصلي فيه فلما أصبحنا إذا نحن قد صلينا إلى غير القبلة فأنزل الله هذه الآية وقال عبد الله بن عمر نزلت في صلوة المسافر
يصلي حيث ما توجهت به راحلته تطوعا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته في السفر أينما توجهت
به وقال عكرمة نزلت في تحويل القبلة إلى الكعبة لما صلى إليها المسلمون بعد ما كانت قبلتهم بيت المقدس قالت اليهود
مرة تصلون هكذا ومرة تصلون هكذا فأنزل الله هذه الآية فإن قيل لم ذكر المشرق والمغرب على التوحيد وله المشارق
والمغارب قيل لأنه أخرجه مخرج الجنس كما تقول أهلك الناس الدينار والدرهم قوله تعالى **فثم وجه الله**
أي رضاء الله كقوله تعالى إنما نطعمكم لوجه الله أي لرضاه وقيل معناه فثم الله أي علمه محيط بهم وقيل فيها وأينما تولوا
وجوهكم أيها المؤمنون في سفركم وحضركم فثم قبلة الله التي وجهكم إليها فاستقبلوها يعني الكعبة وقال الكلبي معناه
فثم الله تعالى يعلم ويرى والوجه صلة كقوله يريدون وجهه أي يريدونه بالدعاء وقوله كل شيء هالك إلا وجهه
أي إلا هو وقوله ويبقى وجه ربك أي ويبقى ربك قوله تعالى **إن الله واسع عليم** قال الكلبي يعني واسع
المغفرة وقال أبو عبيدة الواسع الغني يقال فلان يعطي من سعة أي من غنى وقال الفراء الواسع الجواد الذي يسع
عطاؤه كل شيء وقيل الواسع الرحيم دليله ورحمتي وسعت كل شيء وقيل الواسع العالم الذي يسع علمه كما
قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والأرض وقوله عليم أي عالم بنياتهم حيث ما صلوا ودعوا قوله تعالى
وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه نزلت في يهود المدينة حيث قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا
المسيح ابن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله وقوله سبحانه نزه نفسه قوله تعالى **بل له ما في
السموات والأرض** عبيدا وملكا أي من كان مالك السموات فإن الأشياء تضاف إليه من جهة الملك قوله تعالى **كل
له قانتون** أي مطيعون وهذا تأويل يسع في الكل فيكون لفظ عموم أريد به الخصوص ثم سلكوا في تخصيصه
طريقين أحدهما راجع إلى عزير والمسيح والملائكة وهذا قول مقاتل والطريق الثاني راجع إلى أهل طاعته دون الناس
أجمعين وهذا قول ابن عباس والفراء وقال بعضهم هو عام في جميع الخلق ثم سلكوا في الكفار طريقين أحدهما
أن ظلالهم تسجد لله وتطيعه وهو قول مجاهد ودليله قوله تعالى يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وقال تعالى
وظلالهم والثاني قالوا هذا في يوم القيمة قال السدي وتصديقه قوله تعالى وعنت الوجوه للحي القيوم وقال
عكرمة ومقاتل يعني الآية كل له مقرون بالعبودية وقال ابن كيسان قانتون بالشهادة وأصل القنوت القيام وقيل
مصلون دليله أمن هو قانت آناء الليل وقيل داعون وسمي دعاء الوتر قنوتا لأنه تدعو فيها قوله عز وجل
بديع السموات والأرض أي مبدعهما ومنشئهما من غير مثال سبق **وإذا قضى أمرا** أي إذا أراد شيئا فإنما يقول
له **كن فيكون** وهذه الآية والتي قبلها جواب عن قول جماعة من النصارى ناظروا النبي صلى الله عليه وسلم في أمر عيسى
عليه السلام قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ورسوله فقالوا أهل رأيت خلقا من غير أب فأنزل الله هذه
الآية ومثلهما حولتا لهم ومعناها إن الله مبدع السموات والأرض وخالقهما فإذا أراد أمرا مثل عيسى بغير أب وغير
ذلك فإنما يقول له كن فيكون كما أراده والإبداع إيجاد الأشياء على غير مثال سبق والبديع فعيل بمعنى مفعل والبديع
أشد مبالغة من المبدع قوله تعالى **فيكون** خطاب للموجود أو للمعدوم ولا يجوز الأول لأن الشيء الكائن لا يؤمر
بالكون والثاني غير جائز لأن المعدوم لا يخاطب قيل هذا على سبيل المثل لأن الأشياء كلها تسهل عليه فسرعة
كونها بالأمر بمنزلة ما يؤمر به كن فيكون وهذا مثل قوله ائتيا طوعا أو كرها لم يرد به أن السماء والأرض كانتا في موضع
فقال لهما ائتيا فجاءتا من ذلك الموضع ولكن أراد به تكوينهما فعلى هذا معنى كن فيكون أي يريد فيحدث قوله تعالى
وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أراد بالذين لا يعلمون يهود المدينة وغيرهم من الكفار وقيل النصارى
وقيل مشركو العرب قالوا هلا يكلمنا الله عيانا بأنك رسوله **أو تأتينا آية** أي علامة دالة على صدقك وقوله

يعنون قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا قال الله تعالى **كذلك قال الذين من قبلهم مثل
قولهم** يعني اليهود الذين قالوا لموسى أرنا الله جهرة قوله تعالى **تشابهت قلوبهم** أي قلوب الأولين والآخرين
منهم في العتو والكفر وقيل تشابهت قلوب المشركين واليهود والنصارى في العتو والكفر قوله تعالى **قد
بينا الآيات لقوم يوقنون** أي لمن أيقن وطلب الحق واليقين بالآيات مثل بيان نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة
وانشقاق القمر وإعجاز القرآن وغير ذلك قوله تعالى **إنا أرسلناك بالحق** أي أرسلناك يا محمد بالصدق كقولهم
فلان محق في دعواه إذا كان صادقا دليله قوله تعالى ويستنبئونك أحق هو أي صدق وقال مقاتل معناه لن نرسلك
عبثا بل أرسلناك بالحق دليله قوله تعالى وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وهو ضد الباطل وقال ابن عباس
بالقرآن دليله قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم وقال ابن كيسان بالإسلام دليله قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل
قوله تعالى **بشيرا ونذيرا** أي مبشرا للمؤمنين بالثواب ومنذرا للكافرين بالعقاب قوله تعالى **ولا تسأل عن
أصحاب الجحيم** أي لست بمسائل في الآخرة عن أصحاب الجحيم كما قال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال فإنما عليك البلاغ
ومن فتح التاء فعلى النهي وتأويله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل أبواي فنزلت هذه الآية وفيه
بيان الجزم على النهي وهي قراءة نافع وشيبة والأعرج ويعقوب وقرأ الباقون بالرفع على النفي يعني ولست تسأل عنهم
وقرأ أبي وما تسأل وقرأ ابن مسعود ولن تسأل والجحيم معظم النار قوله تعالى **ولن ترضى عنك
اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** وذلك أنهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه في أن
يتبعوه إن هادنهم فأنزل الله هذه الآية وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على طلب رضاهم طمعا في أن يرجعوا
إلى الحق وقيل كانوا يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم المسالمة ويطمعونه في أنه إن هادنهم أسلموا فأمر الله النبي صلى الله
عليه وسلم أنه لا يعطيهم ما طلبوا من الهدنة وأخبر أنهم لا يرضون عنه بذلك وهم يهود المدينة ونصارى نجران وقال
ابن عباس رضي الله عنهما هذا في القبلة وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي صلى الله عليه وسلم
إلى قبلتهم فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شق عليهم ذلك وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله هذه الآية ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم أي دينهم وقبلتهم بيت المقدس قوله تعالى **قل إن هدى الله هو الهدى**
أي الصراط الذي دعا إليه وهو الذي أنت عليه هو صراط الحق قوله تعالى **ولئن اتبعت أهواءهم** أي اتبعت ملتهم
وصليت إلى قبلتهم بعد الذي جاءك من العلم أي بعد ما ظهر لك أن دين الله الإسلام وأن القبلة قد حولت إلى الكعبة **ما لك
من الله من ولي ولا نصير** أي ما لك من الله من ولي ينفعك ويحفظك عن عقابه ولا نصير يدفع ويمنع عقابه عنك
وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به عامة الناس مثل قوله لئن أشركت ليحبطن عملك وقد علم الله أنه لا يشرك
وهذا كما يقال في المثل إياك أعني فاسمعي يا جارة قوله تعالى **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته** وقال
ابن عباس نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب كانوا أربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية
من رهبان الشام منهم بحيرا وقال الضحاك هم من آمن من اليهود عبد الله بن سلام وشعبة بن عمرو وأسيد وأسد ابنا
كعب وابن يامين وعبد الله بن صوريا وقال عكرمة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم المؤمنون عامة قوله يتلونه
حق تلاوته قال الكلبي يصفونه في كتبهم حق صفته لمن سألهم من الناس وعلى هذا القول تكون الهاء راجعة على محمد صلى الله عليه وسلم
وقال الآخرون هي عائدة على الكتاب واختلفوا في معناه قال ابن مسعود يقرؤونه حق تلاوته أي يحلون حلاله ويحرمون
حرامه ويقرؤونه كما أنزل ولا يحرفونه عن مواضعه وقال الحسن معناه يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون
علم ما أشكل عليهم إلى عالمه وقال مجاهد يتبعونه حق اتباعه قوله تعالى **أولئك يؤمنون به** أي بالقرآن
ويؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **ومن يكفر به** أي بالقرآن وجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **فأولئك
هم الخاسرون** وهم كعب بن الأشرف وأصحابه قوله تعالى **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم** تقدم
تفسيره وفائدة تكرار القصص والألفاظ أن الله تعالى أراد برحمته أن تشتهر القصص في أطراف الأرض فيلقيها في كل سمع

ويثبتها في كل قلب ويزيد الحاضرين فيها ما فات القرآن نزل بلسانهم ومن مذهبهم أن التكرار إرادة التأكيد وزيادة الإفهام
قوله تعالى وإذ ابتلى إبرهيم ربه بكلمات فأتمهن أي اختبره بما تعبده من السنن وهي عشر خصال خمس في الرأس
وهي المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الرأس وخمس في الجسد تقليم الأظفار والختان والاستحداد
وحلق العانة ونتف الإبط وقيل معناه ابتلاه الله بالمناسك أي تعبده بها وهي عرفة والمزدلفة والرمي والطواف
والسعي وقيل ابتلاه الله بأمر عظيم فصبر ونحن النظر بالله في ذلك الكوكب والقمر والشمس ثم النار ثم جعلها الله
بردا وسلاما ثم بالهجرة من أهله وولده ثم بالختان على رأس ثمانين سنة ثم بذبح الولد فاتخذه الله خليلا قوله تعالى
فأتمهن أي عمل بهن ولم يترك منهن شيئا قوله تعالى إني جاعلك للناس إماما أي يقتدى بك قال إبرهيم و
ذريتي أي ومن أولادي فاجعل أئمة يقتدى بهم وأصل الذرية الأولاد الصغار مشتق من الذر لكثرتهم وقيل من الذرء
هو الخلق وفيه ثلاث لغات ذرية بكسر الذال وهي قراءة زيد بن ثابت وذرية بفتح الذال وهي قراءة أبي جعفر وذرية
بضم الذال وهي قراءة العامة قوله تعالى قال لا ينال عهدي الظالمين أعلمه الله أن في ذريته الظالم والظالم
لا يصلح إماما وفيه ثلاث لغات عهدي الظالمون بالواو وهي قراءة ابن مسعود وعهدي الظالمين بإسكان الياء وهي
قراءة الأعمش وحفص وحمزة وعهدي بفتح الياء وهي قراءة العامة واختلفوا في هذا العهد قال عطاء رحمه الله وقال
الضحاك طاعتي ودليله قوله تعالى وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وقال السدي نبوتي وقال أبو حنيفة أماني ودليله
قوله تعالى وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم وقال أبو عبيدة أماني ودليله قوله تعالى فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم وقال
السدي ليس للظالم أن يطاع في ظلمه قوله تعالى وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا يعني الكعبة
مثابة أي مرجعا وقال ابن عباس يعني معاذا وملجأ وقال ابن جبير ومجاهد والضحاك يثوبون إليه من كل جانب ويحجون
ولا يملون منه فما من أحد قصده إلا ويتمنى العود إليه وقال قتادة وعكرمة مجمعا وقال طلحة مثابا يحجون إليه ويثابون
عليه وقوله تعالى وأمنا وصف البيت والمراد به جميع الحرم كما قال بالغ الكعبة والمراد الحرم لأنه لا يذبح فيها
ولا في المسجد وأمنا أي مأمنا يأمنون فيه قال ابن عباس فمن أحدث حدثا خارج الحرم ثم التجأ إلى الحرم أمن من أن يهاج
فيه أي لا يتعرض له ولكن لا يبايع ولا يخالط ولا يوكل فإذا خرج منه أقيم عليه الحد ومن أحدث في الحرم أقيم عليه الحد
فيه وهذا كان توارثوه من دين إسمعيل إلى أيام النبي صلى الله عليه وسلم وكانت العرب في الجاهلية تعتقد ذلك
في الحرم وتستعظم القتل فيه كان الرجل منهم يرى فيه قاتل أبيه فلا يتعرض له ومن الأمن الذي جعله الله فيه اجتماع
الكلب والصيد فلا يهيج الكلب الصيد ولا ينفر الصيد من الكلب حتى إذا خرجا منه عدا الكلب على الصيد وعاد الصيد إلى الهرب
قوله واتخذوا من مقام إبرهيم مصلى قرأ نافع وابن عامر والحسن واتخذوا بفتح الخاء على الخبر و
الباقون بالكسر على الأمر قال ابن كيسان ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالمقام ومعه عمر رضي الله عنه
فقال يا رسول الله أليس هذا مقام أبينا إبرهيم قال بلى قال أفلا نتخذه مصلى قال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس من يومهم
حتى نزلت واتخذوا من مقام إبرهيم مصلى وعن أنس بن مالك قال قال عمر رضي الله عنه وافقت ربي في ثلاث قلت لو اتخذت
مقام إبرهيم مصلى فأنزل الله واتخذوا من مقام إبرهيم مصلى وقلت يا رسول الله إنه يدخل عليك البر والفاجر فلو حجبت أمهات
المؤمنين فأنزل الله آية الحجاب قال وبلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي صلى الله عليه وسلم فاستقريتهن أقول
لتكفن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ليبدلنه الله تعالى أزواجا خيرا منكن حتى أتيت على إحدى أمهات المؤمنين فقالت
يا عمر أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت فأمسكت فأنزل الله تعالى عسى ربه إن
طلقكن أن يبدله خيرا منكن واختلفوا في قوله تعالى من مقام إبرهيم قال النخعي الحرم كله مقام إبرهيم وقيل المسجد كله
مقام إبرهيم وقال قتادة ومقاتل والسدي هو الصلاة عند مقام إبرهيم أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله
وقصته ذلك ما روي عن ابن عباس قال لما أتى إبرهيم عليه السلام بابنه إسمعيل وأمه هاجر فوضعهما بمكة وأتت على ذلك مدة ونزلها جرهم وتزوج
إسمعيل امرأة من جرهم استأذن إبرهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم إبرهيم وقد

ماتت هاجر فقال لامرأة إسمعيل أين صاحبك قالت ليس هو ههنا ذهب يتصيد وكان إسمعيل يخرج من الحرم
فيتصيد فقال لها إبرهيم هل عندك من ضيافة من طعام أو شراب قالت لا فقال لها إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي
فليغير عتبة بابه وذهب وجاء إسمعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا
كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال لي أقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى
فلبث إبرهيم ما شاء الله ثم استأذن سارة في زيارة إسمعيل فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء فقال لامرأة إسمعيل
أين ذهب صاحبك قالت يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله فانزل يرحمك الله قال هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت
باللبن واللحم فدعا فيهما بالبركة ولو جاءت يومئذ بخبز بر أو شعير أو تمر لكانت أكثر أرض الله برا وشعيرا أو تمرا فقالت
انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه عليه فغسلت
شق رأسه الأيمن ثم حولت المقام إلى شقه الأيسر فغسلته فبقي أثر قدمه عليه فقال لها إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام
وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء إسمعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت نعم شيخ أحسن الناس
وجها وأطيبهم ريحا فقال لي كذا وقلت له كذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه على المقام قال ذاك أبي إبرهيم قال أنس
رأيت في المقام أثر أصابعه وعقبه وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم وروي عن عبد الله بن عمرو
أنه قال أشهد بالله ثلاث مرات أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت
الجنة طمس الله نورهما ولولا أن الله طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب وقيل مقام إبرهيم الحج كله عرفة والمزدلفة
والرمي وقيل الحرم كله وقيل الحجر المعروف الذي وضعته إسمعيل تحت قدميه فغاصت رجله فيه وهذا من معجزات
إبرهيم عليه السلام قوله عز وجل وعهدنا إلى إبرهيم وإسمعيل أي أمرناهما وأوصيناهما أن طهرا بيتي
أي المسجد يعني الكعبة من الأوثان والنجاسات وعن خرافة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أوحى
إلي أن أنذر قومك أن لا يدخلوا بيتا من بيوتي إلا بقلوب سليمة وألسنة صادقة وأيد نقية وفروج طاهرة ولا يدخلوا
بيتا من بيوتي ولأحد عندهم مظلمة فإني ألعنه ما دام قائما بين يدي يصلي حتى يرد تلك الظلامة إلى أهلها فأكون سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويكون من أوليائي وأصفيائي وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وسل سيوفكم ورفع أصواتكم وخصوماتكم وحدودكم وبيعكم وشراءكم وجمروها يوم جمعكم
واجعلوا على أبوابها مطاهركم وقرأ الحسن وحفص وهشام ونافع بيتي بفتح الياء والباقون بإسكانها وأضافه الله عز وجل
إلى نفسه تخصيصا وتفضيلا قوله تعالى للطائفين وهم الغرباء قوله تعالى والعاكفين أي
المقيمين والمجاورين قوله تعالى والركع السجود يعني المصلين وقيل أراد بهم جميع المسلمين وعن ابن عباس أن
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله في كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة تنزل على أهل البيت ستون للطائفين وأربعون
للمصلين وعشرون للناظرين قوله تعالى وإذ قال إبرهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا يعني مكة والحرم آمنا من
الجدب والقحط وقيل من الحرب قوله تعالى وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر لأنه لا يكون
إلا ويوجد فيها أنواع الثمار فاختص إبرهيم أن لا يأكل طعام الله إلا الموحدون فأعلمه الله أنه لا يخلو خلقا إلا يرزقه فذلك قوله
تعالى قال ومن كفر فأمتعه قليلا أي سأرزقه في الدنيا يسيرا قيل حتى إبرهيم أنه يستجاب له في الرزق
كما استجيب له في الإمامة فخص المؤمنين بالمسألة للرزق فأعلمه الله أن المؤمن والكافر في الرزق سواء قوله تعالى من
آمن منهم في موضع نصب بدل من أهله بدل بعض من كل كقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا
وقوله تعالى ومن كفر فأمتعه قليلا أي فسأرزقه إلى منتهى أجله قرأ ابن عامر فأمتعه بإسكان الميم مخففا وقرأ أبي
بن كعب قليلا ثم اضطره موصول الألف مفتوحة الراء على وجه الدعاء من إبرهيم عليه السلام وقرأ الباقون بالتشديد
قوله تعالى ثم أضطره إلى عذاب النار أي ألجئه في الآخرة إلى عذاب النار وبئس المصير أي المرجع يصير إليه
واختلفوا في مكة هل كانت حرما آمنا قبل دعاء إبرهيم أو إنما صارت كذلك بدعائه قيل إنما صارت كذلك بدعائه

إسمعيل

بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إني حرمت المدينة كما حرم ابرهيم مكة والأصح أنها كانت حرما قبل دعائه بدليل
قوله عليه السلام إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ووضعها بين أخشبين أي جبلين فعلى هذا كانت آمنا قبل
دعائه من الخسف والاصطلام لأهله وكان الله جعل في قلوب الناس هيبة ذلك المكان حتى كانوا لا ينتهكون حرمة من كان
فيه بما ليس تغير ثم بدعاء ابرهيم صارت حرما آمنا بأن أمر الله الناس بتعظيمه على ألسنة الرسل والواو في قوله ومن كفر
دليل على إجابة الله دعوة ابرهيم خاصة قوله تعالى وإذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت وإسمعيل قيل
إن الله تعالى خلق موضع البيت قبل أن خلق الأرض بألفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحتها فلما أهبط
الله آدم إلى الأرض كان رأسه يمس السماء حتى صلع وأورث أولاده الصلع ونفرت من طوله دواب الأرض وكان يسمع
كلام أهل السماء وتسبيحهم ويأنس إليهم ولذلك تغبه فنقصه الله إلى ستين ذراعا بذراع آدم فلما فقد آدم ما كان يسمع من
أصوات الملائكة استوحش وشكا إلى الله فأنزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة لها بابان من زمردة خضراء باب شرقي وباب
غربي وفيه قناديل من الجنة فوضعها على موضع البيت الآن ثم قال يا آدم إني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي
وتصلي عنده كما تصلي عند عرشي وأنزل عليه الحجر ليمسح به دموعه وكان أبيض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الحجر
ياقوتة من ياقوت الجنة ولولا ما مسه المشركون بأنجاسهم ما مسه ذو عاهة إلا شفاه الله تعالى فتوجه آدم من أرض
الهند إلى مكة ماشيا وقيض الله ملكا يدله على البيت قيل لمجاهد يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأي شيء يحمله فوالله إن
خطوته مسيرة ثلاثة أيام وكل موضع وضع عليه قدمه صار عمرانا وما بعده صار مفاوز وقفارا فأتى مكة وحج البيت وأقام
المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة فقالوا له بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام قال ابن عباس حج آدم
أربعين سنة من الهند إلى مكة على رجليه وكانت الكعبة كذلك إلى أيام الطوفان فرفعها الله تعالى إلى السماء الرابعة
فهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيمة وبعث الله جبريل حتى خبأ الحجر الأسود
في جبل أبي قبيس صيانة له عن الغرق فكان موضع البيت خاليا إلى زمن ابرهيم عليه السلام ثم أمر الله ابرهيم بعدما ولد إسمعيل وإسحق
عليهما السلام أن يبني بيتا له يعبد ويذكر فيه فلم يدر ابرهيم أين يبني فسأل الله أن يبين له موضعه فبعث الله إليه السكينة
لتدله على موضع البيت وهي ريح خجوج لها رأسان شبه الحية فتبعها ابرهيم حتى أتيا مكة فتطوقت السكينة على موضع
البيت تطوق الحجفة وأمر ابرهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فبنى وهذا قول علي كرم الله وجهه وقال ابن عباس بعث الله
تعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابرهيم يمشي في ظلها إلى أن وافت مكة ووقفت على موضع البيت ونودي يا ابرهيم
ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص فبنى بحيالها وقال بعضهم أرسل الله جبريل ليدله على موضع البيت وذلك قوله تعالى وإذ بوأنا
لابرهيم مكان البيت فبنى ابرهيم وإسمعيل البيت كان ابرهيم يبنيه وإسمعيل يناوله الحجارة والملائكة ينقلون الحجارة من خمسة أجبل
طور سينا وطور زيتا والجودي ولبنان وحراء قيل إن قواعده من حراء فلما انتهى ابرهيم إلى موضع الحجر الأسود قال لإسمعيل
ائتني بحجر حسن يكون للناس علما فأتاه بحجر فقال ائتني بحجر أحسن من هذا فمضى إسمعيل يطلب حجرا فصاح أبو قبيس يا ابرهيم إن لك
عندي وديعة فخذها فأخذ الحجر الأسود ووضعه مكانه وقيل إن الله تعالى أمد ابرهيم وإسمعيل بسبعة أملاك يعينون
لهما على بناء البيت فلما فرغا من بنائه جثيا على الركب وقالا ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم فقيل قد تقبل لكما فقالا
ربنا واجعلنا مسلمين لك فقيل قد فعلت ذلك فقالا ومن ذريتنا أمة مسلمة لك أي موحدين مخلصين
والقواعد هي أساس الكعبة كذا في الكلبي وقوله تعالى إنك أنت السميع العليم أي بنياتنا قوله واجعلنا مسلمين
لك متواضعين مسلمين لك على الحق وقوله تعالى ومن ذريتنا أي واجعل من ذريتنا أمة مخلصة لك بالتوحيد والطاعة
وأرنا مناسكنا أي وعرفنا متعبداتنا وشرائع ديننا وأعلام حجنا وأصل النسك العبادة ويقال للعابد ناسك وقرأ
ابن مسعود وأرهم مناسكهم رده إلى الأمة وقرأ قتادة وابن كثير وأرنا بسكون الراء في جميع القرآن وقرأ أبو عمرو
بالاختلاس كسرة الراء وقرأ الباقون بكسر الراء فأجاب الله دعاهما فبعث جبريل عليه السلام فأراهما المناسك في يوم عرفة
فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابرهيم قال نعم فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات قوله تعالى وتب علينا أي تجاوز

من ذنوبنا الصغائر لأن ذنوب الأنبياء لا تكون إلا الصغائر قوله تعالى إنك أنت التواب الرحيم أي المتجاوز
الرجاع بالرحمة على عباده قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم أي في ذريتنا الأمة المسلمة أي ذرية ابرهيم
وإسمعيل من أهل مكة وقوله رسولا منهم أي من أهل نسبهم يتلوا عليهم آياتك أي يقرأ عليهم كتابك ويعلمهم الكتاب
أي يبين لهم علمه ومعانيه والحكمة أي فقه الحلال والحرام وقال مجاهد الحكمة فهم القرآن وقال قتادة هي مواعظ القرآن وقال
فقيل هي العلم والعمل ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما وقال بعضهم كل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك
عن قبيح فهي حكمة وقيل الحكمة وضع الأشياء مواضعها وقيل هي السنة البينة قوله تعالى ويزكيهم أي يطهرهم من الكفر
والفواحش والدنس والذنوب وقيل يصلحهم بأخذ زكاة أموالهم وقال ابن كيسان تشهد لهم يوم القيمة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء
بالبلاغ قوله تعالى إنك أنت العزيز الحكيم العزيز هو المنيع الذي لا يغلبه شيء الحكيم الذي يحكم ما يريد قال ابن عباس
العزيز الذي لا يوجد مثله دليله قوله ليس كمثله شيء وقال الكلبي العزيز المنتقم ممن يشاء دليله قوله تعالى والله عزيز ذو انتقام
وقال الكسائي العزيز الغالب قال الله وعزني في الخطاب أي غلبني وقال ابن كيسان العزيز الذي لا يعجزه شيء وقال المفضل العزيز المنيع
الذي لا تناله الأيدي ولا يرد له أمر ولا غالب له فيما أراد وقيل العزيز هو القوي ذو القدرة دليله قوله فعززنا بثالث
أي قوينا وأصل العزة في اللغة الشدة يقال عز علي كذا إذا اشتد والمراد بالرسول في هذه الآية محمد صلى الله عليه وسلم وبالكتاب
القرآن روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا دعوة أبي ابرهيم وبشرى أخي عيسى يعني قوله ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه
أحمد فاستجاب الله دعاء ابرهيم عليه السلام وبعث فيهم محمدا سيد الأنبياء كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني عند الله لخاتم
النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابرهيم إلا من سفه نفسه هذا تحريض من الله
على ملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التي هي ملة ابرهيم لأن ابرهيم وإسمعيل كانا سألا في دعائهما أن يجعل الله من ذريتهما بمكة
رسولا لأن الكلام كان في ذكر مكة ولم يكن أحد من أهل مكة من ذريتهما نبيا سوى محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابرهيم داخلة في
ملة نبينا مع الزيادات التي في شرائع هذه الأمة وسبب نزول هذه الآية أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرا
إلى الإسلام وقال لهما قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة إني باعث من ولد إسمعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى
ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فأنزل الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابرهيم أي يترك دينه
وشريعته يقال رغب في الشيء إذا أراده ورغب عنه إذا تركه والرغبة في اللغة محبة للنفس فيه منفعة ولهذا لا يجوز وصف
الله راغبا وقوله تعالى إلا من سفه نفسه أي خسرها وأهلكها قال الكلبي ضل من قبل نفسه وقال بعض أهل اللغة سفه بمعنى سفه
نفسه أي جهل نفسه بمعنى لم يتفكر في نفسه أن لها خالقا وقيل سفه في نفسه إلا أنه حذف الخافض فنصب مثل قوله تعالى ولا
تعزموا عقدة النكاح أي على عقدة النكاح ويقال ضرب فلان الظهر والبطن أي على الظهر والبطن وأصل السفه والسفاهة
الجهل وضعف الرأي قوله تعالى ولقد اصطفيناه في الدنيا أي للرسالة وأصل الطاء فيه تاء فحولت طاء
لقرب مخرجيهما ولتطوع اللسان قوله تعالى وإنه في الآخرة لمن الصالحين أي الفائزين قاله الزجاج وقيل
المستوجبين للكرامة وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وإنه لمن الصالحين نظيره
في سورة النحل وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين قوله تعالى إذ قال له ربه أسلم أي
استقم على الإسلام واثبت عليه لأنه كان مسلما كقوله تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله أي اثبت على علمك وقال ابن عباس
إنما قال ذلك حين خرج من السرب ورأى الكوكب والقمر والشمس فألهمه الله الإخلاص فاستدل وعرف وحدانية الله
تعالى فأسلم حينئذ وقال إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وليس أنه كان حين
أفلت الشمس كافرا لأن الله لا يبعث نبيا من كان كافرا في حال أن يكون مخلصا والإسلام تسليم الأمور إلى الله تعالى والانقياد له
من غير امتناع وعصيان وقال الكلبي معناه أخلص دينك لله بالتوحيد وقال عطاء أسلم نفسك إلى الله وفوض أمورك
إلى الله وقيل اخضع واخشع قوله تعالى قال أسلمت لرب العالمين ظاهر المعنى قوله تعالى ووصى بها
ابرهيم بنيه ويعقوب قرأ أهل المدينة والشام وأوصى بالألف وقرأ الباقون بالتشديد وهما لغتان يقال

لو بنيه و وصيه اذا امرته به مثل ارزدته قوله تعالى بها يعني بكلمة الاخلاص لا اله الا الله وقال ابو عبيد ان شئت رددت الكناية الى الملة لانه ذكر ملة ابرهيم وان شئت رددتها الى الوصية وقال المفضل بالطاعة كناية عن غير مذكور وكناية الملة هنا اصح لان رده الى المذكور اولى من رده الى المدلول وكلمة الاخلاص مدلول عليها في ضمن قوله قال اسلمت لرب العالمين وبنوا ابرهيم اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان قوله تعالى ويعقوب قيل سمي يعقوب لانه خرج على اثر العيص اخذا بعقبه وقد مضت قصتهما وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت على اثر ثمانية الاف نبي اربعة الاف من بني اسرائيل ومعنى الاية ووصى بها ايضا يعقوب بنيه الاثني عشر وحكي عن مجاهد انه حكى عن بعضهم ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه داخلا في جملة الموصين قوله تعالى

يا بني ان الله اصطفى لكم الدين اي الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون اي مؤمنون وقيل مخلصون وقيل محسنون بربكم الظن وقيل مفوضون وروي انه لما نزلت هذه الاية قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه بدين اليهودية فانزل الله تعالى قوله ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اي اكنتم ايها اليهود حضورا حين حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم الخليل واسمعيل الصادق واسحق الحليم والمراد بحضور الموت حضور اسبابه لانه من حضره الموت لا يمكن من القول وقد يسمى الشيء باسم سببه كما قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال الكلبي معنى الاية ان يعقوب لما دخل مصر راى اهلها يعبدون الاوثان والنيران فجمع اولاده وخاف عليهم ذلك فقال لهم ما تعبدون من بعدي وقال عطاء ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الحيوة والموت فلما خير يعقوب قال انظر حتى اسال ولدي واوصيهم فجمع اولاده واولاد اولاده وقال لهم قد حضر اجلي فما تعبدون من بعدي اي من بعد موتي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسحق اخبر بنعمته وقال واله اباءك ابرهيم واسحق والحيا بعمه وقال الموحدي وكان اسمعيل عم يعقوب بالعم ابوه وقرا العامة واله ابائك على الجمع وقالوا العم والرجل صنو ابيه وقال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس هذا بقية ابائي والعرب تسمي العم ابا كما تسمي الخالة اما قال الله تعالى ورفع ابويه على العرش يعني يعقوب وليان وهي خالة يوسف عليه السلام قوله تعالى تلك امة قد خلت اي مضت الهود على ابائكم ولا نسلكم اغنياء ان كسبتم على شفاعتهم فانهم جماعة قد مضت وقوله تعالى لها ما كسبت ولكم ما كسبتم اي لها جزاء ما عملت من خير وشر ولكم جزاء ما عملتم وقوله تعالى ولا تسألون عما كانوا يعملون اي لا تسألون عن اعمالهم وقوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قال ابن عباس نزلت في رؤس يهود المدينة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وابي ياسر وفي نصارى نجران السيد والعاقب واصحابهما خاصموا المسلمين في الدين كل فرقة تزعم انها احق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبياء وكتابنا التوراة افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت بعيسى والانجيل وبمحمد والقران وقالت النصارى نبينا عيسى افضل الانبياء وكتابنا الانجيل افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت بمحمد والقران وقال كل واحد من الفريقين للمسلمين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك ودعوهم الى دينهم فقال الله تعالى قل بل ملة ابرهيم حنيفا اي قل لهم يا محمد بل نتبع ملة ابرهيم حنيفا مسلما اي مخلصا مائلا عن كل دين سوى دين الاسلام وما كان من المشركين يعني ابرهيم عليه السلام والحنيف مثل القدمين سمي ابرهيم حنيفا لانه حنف عما كان يعبد ابوه اي عدل وقيل الحنيف الاستقامة وانما سمي الرجل المعوج احنف تفاولا كما تقال للاعمى بصير وللفلاة مفازة وقد ذكر ملة ابرهيم لا شك انها حق عندنا وعند اليهود والنصارى ولم يختلف الناس ان ملته الاسلام والتوحيد وقال ابن عباس الحنيف المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام وقال مقاتل الحنيف المخلص ونصب حنيفا على القطع عند الكوفيين لان معناه بل ملة ابرهيم الحنيف فلما سقطت الالف واللام لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع منه فنصب وقال البصريون انتصب على الحال قوله تعالى قولوا امنا بالله الاية وذلك انه جاء احبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له من تؤمن به من الانبياء فانزل الله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا يعني القران وما انزل الى ابرهيم وهي عشر صحف واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط يعني اولاد يعقوب واحدهم سبط سموا بذلك لانه ولد لكل واحد منهم جماعة

واسبط الرجل جماعة ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط من بني اسرائيل كالقبائل من العرب والشعوب من العجم وكان في الاسباط انبياء ولذلك قال الله تعالى وما انزل اليهم وقيل هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم انبياء وقوله تعالى وما اوتي موسى يعني التوراة وعيسى يعني الانجيل وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم اي لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع انبياء الله وكتبه فلما نزلت هذه الاية قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليهود والنصارى وقال ان الله امرني بهذا فلما سمعت اليهود ذكر عيسى انكروا وكفروا وقالوا لا نؤمن بعيسى وقالت النصارى ان عيسى ليس بمنزلة الانبياء ولكنه ابن الله فانزل الله تعالى قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق اي فان امنوا بما امنتم به كايمانكم وقيل معناه فان امنوا بما امنتم به ومثل صلة وهكذا كان يقرؤها ابن عباس ويقول اقرؤوا فان امنوا بما امنتم به فليس لله مثل وقيل الباء بمعنى على وقيل الباء زائدة ومعنى الاية ان امنوا بالله ورسله وكتبه فقد اهتدوا وقوله تعالى وان تولوا اي وان اعرضوا عن الايمان بالقران ومحمد صلى الله عليه وسلم فانما هم في شقاق اي خلاف وعداوة ويقال شاق فلان فلانا اي اخذ كل واحد في شق غير شق صاحبه دليله قوله تعالى حاكيا ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي اي خلافي وقيل ماخوذ مما اذا اخذ كل واحد فيما يشق على صاحبه وقال مقاتل معناه فانما هم في ضلال وقال الكسائي معناه فانما هم في خلع الطاعة وقال الحسن معناه فانما هم في تعاد وفراق الى يوم القيمة وقيل لما انهى النبي صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى وما اوتي موسى وعيسى قالت النصارى لن نؤمن بموسى وعيسى ولا نؤمن بك فانزل الله تعالى قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون وانما اضاف الله الانزال الى اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وانما كان الانزال على ابائهم ولانهم كانوا جميعا يعملون بذلك فاضاف الانزال اليهم كما قال قولوا امنا بالله وما انزل الينا اي دينا قوله تعالى فسيكفيكهم الله يعني اليهود والنصارى اي فسيكفيك الله يا محمد شر اليهود والنصارى وهو السميع لاقوالهم العليم باحوالهم فكفاه الله امرهم بالقتل والسبي في بني قريظة والجلاء والنفي في بني النضير والجزية والذلة في نصارى نجران قوله تعالى صبغة الله اي دين الله وفطرته لان دين الاسلام يظهر على المتدين من الطهور والصلوة والوقار وسائر شعائر الاسلام كالصبغ الذي يكون في الثوب لانه لا شيء في الاديان احسن من دين الاسلام قال الله تعالى ومن احسن من الله صبغة وقيل اراد الصبغة الختان روي ان النصارى كانوا اذا ولد لهم ولد واتى عليه سبعة ايام صبغوه اي غمسوه في ماء لهم يقال له المعمودية ليطهروه بذلك وقالوا هذا طهور مكان الختان فقيل لهم صبغة الله اي التطهير الذي امر الله به ابلغ من الصابغة وان من اختتن ابرهيم عليه السلام بالقدوم وهو موضع بالشام وكان يومئذ ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة ونصب صبغة على الاغراء اي الزموا صبغة الله واتبعوا وقال الاخفش هو بدل من قوله تعالى ملة ابرهيم وقال ابن كيسان صبغة الله اي وجهة الله يعني القبلة وقال الزجاج معناه خلقة الله من صبغت الثوب اذا غيرت لونه وخلقته فيكون المعنى ان الله تعالى ابتدا الخلق على الاسلام دليله قوله تعالى في هذه الاية فطرة الله اي دين الله ويؤيده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه كما تنتج البهيمة بهيمة فهل تجدون من جدعاء حتى تكونوا انتم تجدعونها قالوا يا رسول الله افرايت من يموت وهو صغير قال الله اعلم بما كانوا عاملين وقال ابو عبيدة معناه سنة الله قوله تعالى ونحن له عابدون اي مطيعون وقوله تعالى قل اتحاجوننا في الله وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن اهل الكتاب الاول والعلم القديم وكانوا يقولون هم والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه فامر النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الاية اي قل لهم يا محمد اتحاجوننا في الله اي اتجادلوننا وتخاصموننا وقرا الاعمش والحسن اتحاجونا بنون واحدة مشددة وقوله تعالى في الله اي في دين الله وذلك انهم قالوا ان الانبياء كانوا منا وعلى ديننا ولم تكونوا من العرب فلو كنت نبيا لكنت منا وقوله تعالى ونحن له مخلصون اي موحدون قال سعيد بن جبير سالت الحسن عن الاخلاص فقال سالت حذيفة عن الاخلاص ما هو فقال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ما هو قال سالت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ما هو قال سالت رب العزة عن الاخلاص ما هو فقال سر من سري اودعته قلب من احببت

من عبادي وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحب أن يحمد على شيء من علم الله وقال سعيد بن
جبير الإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله ولا يشرك به في دينه ولا يرائي بعمله أحدا وقال الفضيل ترك العمل من أجل الناس
رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما وقال يحيى بن معاذ الإخلاص تمييز العمل من العيوب كتمييز
اللبن من الفرث والدم وقال بعضهم هو ما لا تكتبه الملكان ولا يفسده الشيطان ولا يطلع عليه الإنسان وقيل هو أن لا ترى
[illegible] شخص الناس بلا ب وقيل هو أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن وقيل هو أن تكتم حسناته كما
[illegible] سلمان للمرائي ثلاث علامات يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أثني عليه

قوله عز وجل **أم يقولون إن إبرهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى** قرأ
ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتاء للمخاطبة التي قبلها قل أتحاجوننا والتي بعدها قل أأنتم أعلم أم الله وقرأ الباقون بالياء
[illegible] يعني اليهود والنصارى أن إبرهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى ومعنى الآية
[illegible] كانوا هودا أو نصارى فهذا قولكم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ومعنى الآية
[illegible] إبرهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى مع علمكم بخلاف ذلك وهذا استفهام بمعنى التوبيخ
[illegible] الدين الصحيح هو اليهودية والنصرانية وأن هؤلاء الأنبياء يسلكونها نقول الله تعالى قل لهم يا محمد **أأنتم
أعلم أم الله** فإن الله تعالى قد أخبر أنهم كانوا مسلمين وأنهم لم يكونوا هودا ولا نصارى فما لكم تدعون
[illegible] رسول الله ولا على دينه فأنزل الله قوله تعالى **ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله** يعني
[illegible] النصارى لأنهم علموا أن إبرهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا حنفاء مسلمين وأن رسالة نبينا حق
[illegible] الإنجيل فكتموه حسدا وطلبا للرياسة قوله تعالى **وما الله بغافل عما تعملون** يعني كتمان
[illegible] وسلم وصفته ومجازيكم عليه في الآخرة قوله تعالى **تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ولا تسألون عما كانوا يعملون** قد تقدم تفسيرها وفائدة التكرار أن القرآن أنزل على لغة العرب ومن عادتهم ذكر [illegible]
[illegible] لأغراض مختلفة يعدون ذلك فصاحة وإنما يعاب تكرار الكلام في مجلس واحد لغرض واحد قوله تعالى
سيقول السفهاء من الناس أي الجهال **ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها** أي ما صرفهم وحولهم عن قبلتهم التي
[illegible] بيت المقدس نزلت في اليهود ومشركي مكة ومنافقي المدينة طعنوا في تحويل القبلة فقال مشركو مكة قد تردد على
[illegible] وقد توجه نحو قبلتكم وهو راجع إلى دينكم عاجلا فقال الله تعالى **قل لله المشرق
والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** أي لله المشرق والمغرب ملكا وخلقا والخلق عبيده يحولهم كيف يشاء وكان النبي صلى الله
عليه وسلم [illegible] وربما كان يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فلما هاجر إلى المدينة أمر أن يصلي إلى بيت المقدس لئلا تكذبه
اليهود [illegible] التوراة أن يكون صاحب القبلتين وصلى إلى بيت المقدس نحوا من ستة عشر شهرا أو ثمانية عشر شهرا ثم أمره الله
بالتحول إلى الكعبة [illegible] أهل الإسلام فيظهر من يتبع الرسول من غيرهم من منافقي اليهود فلما حولت القبلة إلى الكعبة بعد [illegible]
[illegible] يقولون في نسخ القبلة أشياء يؤذون بها النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر الله نبيه بما سيقولون في المستقبل
[illegible] من باب الوحي والغيب فكان كما أخبر الله تعالى ومعناه سيقول السفهاء وهم اليهود وكفار مكة ما الذي صرف أصحاب
[illegible] عن قبلتهم بيت المقدس قل يا محمد **لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء** إلى طريق قائم وهو الإسلام وقيل
[illegible] لله المشرق والمغرب أي من كان له المشرق والمغرب فلا يعترض عليه في جميع ما يأمر ويجوز أن يكون بعضه
[illegible] كلها فليس بعض ما خلق أولى أن يجعل قبلة في العقل من بعض فوجب الانتهاء إلى أمر الله باستقبال ما شاء الله
قوله تعالى **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** أي عدلا وقيل خيارا يقال في صفة النبي صلى الله عليه وسلم هو أوسط
[illegible] فلان وسط في قومه ووسط في حسبه أي أفضلهم في الكلام لأن المتوسط في الأمور بعيد من الغلو
[illegible] الأمة لم يغلوا في الأنبياء كغلو النصارى حيث قالوا المسيح ابن
[illegible] ولم يقصروا كتقصير اليهود حيث كذبوا الأنبياء وقتلوهم وأصله أن خير الأشياء أوساطها قوله تعالى **لتكونوا**

شهداء على الناس أي شهداء للنبيين صلوات الله عليهم بالتبليغ وقد تقام على مقام اللام مثل قوله وما ذبح على النصب
أي للنصب قوله تعالى **ويكون الرسول عليكم شهيدا** أي ويكون محمد صلى الله عليه وسلم عليكم شهيدا
معدلا مزكيا لكم وذلك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الأمم ألم يأتكم نذير فينكرون
ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الأنبياء عن ذلك فيقولون قد بلغناهم فيسألهم البينة إقامة للحجة وهو أعلم بذلك
فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم بالتبليغ فيقول الأمم الماضية من أين علموا ذلك وبيننا وبينهم
مدة مديدة فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله تعالى إيانا في كتابه الناطق على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤتى
بالنبي صلى الله عليه وسلم فيزكي أمته ويشهد بصدقهم قوله تعالى **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها
إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه** أي ما أمرتك يا محمد بالتوجه إلى بيت المقدس ثم بالتحويل عنها إلى
الكعبة إلا ليتميز من يتبع الرسول ممن يرجع إلى دينه الأول وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي أنت عليها وهي الكعبة
كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس أي أنتم إلا لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب على عقبيه فيرتد ويرجع
إلى القبلة الأولى قوله لنعلم ليستقر علمنا عندكم وقيل معناه لنعلم محمد صلى الله عليه وسلم فأضاف علمه إلى نفسه تفضيلا
وتخصيصا كقوله تعالى إن الذين يؤذون الله قوله تعالى **وإن كانت لكبيرة** أي وإن كانت تولية بيت المقدس ثم
الانتقال إلى الكعبة لشديدة إلا على الذين حفظ الله قلوبهم على الإسلام قوله تعالى **وما كان الله ليضيع إيمانكم**
أي تصديقكم بالقبلتين وقيل معناه وما كان ليفسد صلاتكم إلى بيت المقدس وذلك أن حيي بن أخطب وأصحابه من اليهود
قالوا للمسلمين أخبرونا عن صلاتكم إلى بيت المقدس كانت هدى أم ضلالة فإن كانت هدى فقد تحولتم عنها وإن كانت ضلالة
فقد دنتم الله بها ومن مات منكم عليها فقد مات على الضلالة وكان قد مات قبل التحول إلى الكعبة سعد بن زرارة من
بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمة ورجال آخرون فانطلق عشائرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك
وقالوا إن الله قد حولك إلى قبلة إبرهيم فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله وما كان الله ليضيع
إيمانكم أي صلاتكم إلى بيت المقدس قوله تعالى **إن الله بالناس لرءوف رحيم** الرءوف شديد الرحمة وهو الذي لا
يضيع عنده عمل عامل رحيم بهم حين قبل طاعتهم وتعهدهم في كل وقت بما يصلح لهم والجمع بين الرأفة والرحمة في الآية للبناء
كما في قوله الرحمن الرحيم وفي رءوف ثلاث قراءات مهموز مثقل وهي قراءة شيبة ونافع وابن كثير وابن عامر وحفص واختاره أبو
حاتم قال الشاعر نطيع رسولنا ونطيع ربا • هو الرحمن كان بنا رءوفا • وروي مثقلا غير مهموز وهي قراءة أبي جعفر
ورؤف مهموز مخفف وهي قراءة الباقين واختاره أبو عبيد قال جرير ترى للمسلمين عليك حقا • كفعل الوالد الرؤف
الرحيم • والرأفة أشد الرحمة قوله عز وجل **قد نرى تقلب وجهك في السماء** وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل عليه السلام وددت أن الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها فقال جبريل إنما أنا عبد مثلك لا أملك
شيئا فاسأل ربك أن يحولك عنها فارتفع جبريل وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل
بما سأل فأنزل الله هذه الآية قد نرى تقلب وجهك في السماء **فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد
الحرام** وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة فلما هاجر إلى المدينة أمره الله أن
يصلي إلى بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إذا صلى إلى قبلتهم مع ما يجدون من صفته في التوراة فروي أنه صلى الله
عليه وسلم صلى هو وأصحابه نحو بيت المقدس سبعة عشر شهرا وكانت الكعبة أحب القبلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم •
واختلفوا في السبب الذي كان لأجله يكره قبلة بيت المقدس ويهوى الكعبة فقال ابن عباس لأنها قبلة أبيه إبرهيم عليه السلام
وقال مجاهد من أجل أن اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا وقال مقاتل إن الله أمر النبي صلى الله عليه وسلم
أن يصلي إلى بيت المقدس فقالت اليهود يزعم محمد أنه نبي وما نراه أحدث في نبوته شيئا أليس يصلي إلى قبلتنا ويستن بسنتنا
فإن كانت هذه نبوة فنحن أقدم وأوفر نصيبا فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وازداد شوقا إلى الكعبة و
وددت أن الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها فإني أبغضهم وأبغض موافقتهم فقال لجبريل عليه السلام إنما أنا

عندك مثلك ليس لي من الأمر شيء فاسأل ربك ثم عرج جبريل عليه السلام فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يديم النظر إلى السماء
رجاء أن ينزل جبريل بما يحب من أمر القبلة فأنزل الله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها أي
فلنحولنك إلى قبلة تحبها وتهواها فول وجهك شطر المسجد الحرام أي نحوه وقصده فهو نصب على الظرف وقيل شطر الشيء
نصفه فكأن الله أمره أن يحول وجهه إلى نصف المسجد الحرام والكعبة على النصف منه من كل جهة قوله تعالى وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره أي أينما كنتم من بر أو بحر أو سهل أو جبل أو شرق أو غرب فولوا وجوهكم نحوه نزلت تحويل
القبلة في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين قال مجاهد نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد
بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين فلما حولت القبلة
إلى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما أمرت بهذا وما هو إلا شيء تبتدعه من نفسك فتارة تصلي إلى بيت المقدس وتارة تصلي إلى الكعبة
فلو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذي كنا ننتظره فأنزل الله تعالى قوله تعالى وإن الذين أوتوا الكتاب
ليعلمون أنه الحق من ربهم يعني أمر الكعبة وأنها قبلة إبراهيم أي وإن اليهود والنصارى ليعلمون أن استقبال القبلة حق
من ربهم لأن نعت النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة أن يكون صاحب القبلتين ثم هددهم فقال عز وجل وما الله بغافل عما
يعملون أي لا يخفى عليه جحودهم قوله تعالى ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك يعني يهود
المدينة ونصارى نجران فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ائتنا بآية كما أتى بها الأنبياء من قبلك فأنزل الله هذه الآية قوله ما تبعوا
قبلتك يعني الكعبة قوله تعالى وما أنت بتابع قبلتهم أي وما أنت بمصل إلى قبلتهم بعد التحويل وما بعضهم بتابع
قبلة بعض لأن اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى تستقبل المشرق قوله تعالى ولئن اتبعت أهواءهم أي ولئن
صليت إلى قبلتهم واتبعت ملتهم من بعد ما جاءك من العلم أنها الحق وأنها قبلة إبراهيم إنك إذا لمن الظالمين أي الجاحدين الضارين
لأنفسهم وهذا وعيد على معصية الله إنها لا تقع منه كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك وقد علم الله أنه لا يشرك قوله تعالى
الذين آتيناهم الكتاب يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه يعرفونه أي يعرفون محمدا صلى الله عليه
وسلم كما يعرفون أبناءهم من بين الصبيان روي عن ابن عباس أنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال عمر
رضي الله عنه لعبد الله بن سلام قد أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم
كيف يا عبد الله هذه المعرفة قال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما أعرف ابني إذا رأيته مع الصبيان يلعب وأنا أشد معرفة بمحمد
صلى الله عليه وسلم مني بابني فقال عمر رضي الله عنه وكيف ذلك قال أشهد أنه رسول الله حق من الله تعالى وقد نعته الله في كتابنا
فقال له عمر وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت وأصبت قوله تعالى وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وقيل كعب بن
الأشرف وأصحابه يكتمون الحق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وأمر الكعبة وهم يعلمون أن ذلك حق روي أن عبد الله بن سلام
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية لأنا كنت يا رسول الله أشد معرفة لك مني بابني قال وكيف ذلك قال
لأني أشهد أن محمدا رسول الله حقا يقينا ولا أشهد بذلك لابني لأني لا أدري ما أحدثت النساء فقال له عمر وفقك الله يا عبد الله
بن سلام قوله الحق من ربك أي هذا القرآن حق وقيل جاءك الحق من ربك يا محمد أن الكعبة قبلة إبراهيم تعلمها اليهود
وقرأ علي رضي الله عنه الحق نصبا على الإغراء قوله تعالى فلا تكونن من الممترين أي فلا تكونن من الشاكين في أمر
القرآن والخطاب في هذه الآية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وكذلك كلما ورد عليك من هذا فهذا سبيله قوله تعالى
ولكل وجهة هو موليها أي لكل ملة من اليهود والنصارى قبلة هو موليها أي مستقبلها ومقبل إليها يقال وليته ووليت
إليه إذا أقبلت إليه ووليت عنه إذا أدبرت عنه وقيل معناه الله موليها أي يولي أهل كل ملة القبلة التي يريدونها
وقرأ ابن عباس وابن عامر وأبو رجاء ولكل وجهة هو مولاها أي مصروف إليها وفي حرف أبي ولكل قبلة هو موليها وفي حرف
عبد الله ولكل جعلنا قبلة هو موليها قوله تعالى فاستبقوا الخيرات أي فبادروا بالطاعات أيها المسلمون فقد ظهر لكم
الحق فاستبقوا إلى الله وطاعته مسارعة من يطلب السبق وتقديره فاستبقوا إلى الخيرات بحذف الخافض كقول الشاعر
ثنائي عليكم يا ابن حرب ومن يلي • سواكم فإني مهتد غير مائل • يعني ومن يلي إلى سواكم قوله تعالى أينما تكونوا يأت بكم الله

جميعا أي أينما تكونوا أنتم وأهل الكتاب يقبض الله أرواحكم ويجمعكم للحساب فيجزيكم بأعمالكم وإن كانت قد تفرقت بكم البقاع
والملل وقيل هذا خطاب للمؤمنين الذين قد سبق في علم الله أنهم يصلون إلى الكعبة ومعناه أينما تكونوا في بر أو أرض وغيرها
في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات يجمعكم الله تعالى على هذه القبلة قوله تعالى إن الله على كل شيء قدير أي من الخلق
والبعث والحساب وغير ذلك قوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام هذا تأكيد لأمر
التحويل إلى الكعبة وبيان أنه لا يتغير بنسخ كما تغير بيت المقدس وحيث مبني على الضم مثل منذ وقط وقيل رفع على الغاية
مثل قبل وبعد وقرأ عبيد بن عمير ومن حيث بالنصب وكذلك لأنها ساكنة في الأصل وإذا اجتمع ساكنان حرك الثاني إلى الفتح لأنه
أخف الحركات مثل ليت وكيف قوله تعالى وإنه للحق من ربك أي الأمر بالتوجه إلى الكعبة لصدق من ربك قوله
تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره بيان أن حكم النبي صلى الله عليه وسلم وأمته في التوجه إلى الكعبة في السفر
والحضر سواء لأنه كان يجوز أن يظن ظان أن الفرق بين المسافر والمقيم كالتنفل على الراحلة فبين الله تعالى أن المسافر كالمقيم
في التوجه قوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة أي لئلا يكون لليهود عليكم حجة لأن المسلمين لو لم يصلوا إلى الكعبة
لكان ذلك مخالفة للبشارة السابقة فيكون ذلك حجة لهم بأن يقولوا ليس هذا النبي المبشر به قوله تعالى إلا الذين
ظلموا منهم أي لا يحاجكم أحد إلا من ظلم فيما دفع له واحتج بغير الحق وأراد بالذين ظلموا قريشا واليهود وكانت حجة
قريش الباطلة أن قالوا إنما رجع إلى الكعبة لأنه علم أنها قبلة آبائه وهو الحق وكذا يرجع إلى ديننا ونعلم أنه حق وأما
اليهود فإنهم كانوا يقولون إن كانت قبلتنا ضلالة فقد صليت إليها ستة عشر شهرا وإن كانت هدى فقد انتقضت عنها
وقيل إن اليهود يقولون إن محمدا لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه بأنه حق إلا أنه إنما يفعل برأيه ويزعم أنه أمر به
وقيل إن حجة قريش لحربهم قالوا إنما صرفت القبلة إلى الكعبة أن محمدا قد تحير في دينه فتوجه إلى قبلتنا وعلم أنا
أهدى سبيلا منه وأنه لا يستغني عنا ويوشك أنه يرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا فأخبرهم الله تعالى بأنه لئلا يكون
للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم يعني أن لا يكون لأحد حجة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لسبب تحويلهم
إلى الكعبة إلا الذين ظلموا من قريش فإنهم يقولون لهم حجة لما ذكرنا • ومعنى الحجة الخصومة والجدال والدعوى الباطلة والمجادلة
كقوله تعالى لا حجة بيننا وبينكم أي لا خصومة وقوله أتحاجوننا في الله وليحاجوكم وحاجكم كلها بمعنى المخاصمة
بمعنى الدليل والبرهان وموضع الذين نصب بنزع الخافض تقديره إلا للذين ظلموا وقال الفراء موضعه نصب على
الاستثناء منهم ... إلى بعض الناس لأنه عام وإن كان كل واحد منهم غير الآخر • وقال بعضهم هذا استثناء منقطع
من الكلام الأول ومعناه لئلا يكون للناس كلهم عليكم حجة اللهم إلا الذين ظلموا فإنهم يحاجونكم بالباطل فيجادلونكم
بالظلم وهذا كما تقول في الكلام للرجل للناس كلهم عندك حامدون إلا الظالم لك كقولك للرجل ما لك عندي حق إلا أن تظلم
وما لك حجة إلا الباطل • وقال أبو روق معنى الآية لئلا يكون للناس يعني اليهود عليكم حجة وذلك أنهم قد عرفوا أن
الكعبة قبلة إبراهيم عليه السلام وقد كانوا وجدوا في التوراة أن محمدا صلى الله عليه وسلم يحوله الله إليها لئلا يكون لهم
حجة فيقولوا إن النبي صلى الله عليه وسلم الذي يجيء سيحول إليها ولم تحول أنت فلما حول النبي صلى الله عليه وسلم ذهب
حجتهم ثم قال إلا الذين ظلموا منهم يعني إلا أن يظلموكم فيكتموا ما عرفوا من ذلك وكان أبو عبيدة إلا ههنا بمعنى الواو كأنه
قال لئلا يكون للناس عليكم حجة ولا الذين ظلموا يعني والذين ظلموا لا يكون لهم حجة قال الشاعر • وكل أخ مفارقه
أخوه • لعمر أبيك إلا الفرقدان • يعني والفرقدان وقال آخر • ما بالمدينة دار غير واحدة
دار الخليفة إلا دار مروانا • يعني ودار مروان وإنما حسن ذلك بعد قوله غير واحدة قوله عز وجل فلا تخشوهم
واخشوني أي لا تخشوا الكفار في انصرافكم إلى الكعبة وفي تظاهرهم عليكم في المحاجة والمحاربة فإني وليكم أظهركم عليهم
بالحجة والنصر واخشوني في تركها ومخالفتها قوله تعالى ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون عطف على قوله لئلا
يكون للناس عليكم حجة أي ولكي أتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام فتتم لكم الملة الحنيفية وقال
علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الإسلام وروي أنه قال النعم ست الإسلام والقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم والستر

والعافية والغناء عن ما في أيدي الناس قوله تعالى ولعلكم تهتدون أي لكي تهتدوا من الضلالة قوله تعالى كما
أرسلنا فيكم رسولا هذا الكاف للتشبيه وتحتاج إلى شيء ترجع إليه واختلفوا فيه فقال بعضهم هو راجع إلى ما قبله و
تقديره ولا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم كما أرسلت فيكم رسولا منكم فيكون إرسال الرسول موذنا بإتمام النعمة
والمراد به خطاب للعرب أي ولأتم نعمتي عليكم كما ابتدأت النعمة بإرسال رسول منكم إليكم لأن اختياره من العرب نعمة عظيمة
وشرفهم واستدعاء إلى الإسلام لأنه لو اختاره من العجم لكانت العرب مع عزتها ونخوتها لا تتبعه قوله تعالى يتلوا
عليكم آياتنا يعني القرآن ويزكيكم أي يصلحكم بأخذ زكاة مالكم ويأمركم بأشياء تكونون بها أزكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة
أي القرآن والفقه والمواعظ ومعرفة التأويل والسنة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من الأحكام وشرائع الإسلام
وقصص الأنبياء وأخبارهم ما لم تكونوا تعلمون قبل رسالته ويعني هذا الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
فاذكروني أذكركم متصل بما قبله أي كما أنعمنا عليكم برسالة رجل أمي منكم إليكم فاذكروني ويعني بالآية قال ابن عباس
فاذكروني بالطاعة أذكركم بمعونتي وقال ابن جبير معناه اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي وقال الفضيل اذكروني
بطاعتي أذكركم بثوابي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أطاع الله فقد ذكره وإن قل صيامه وصلاته ومن عصى
الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن وقيل معناه اذكروني بالتوحيد والإيمان أذكركم بالدرجات
والجنان وقال أبو بكر رضي الله عنه كفى بالتوحيد عبادة وكفى بالجنة ثوابا وقال ابن كيسان معناه اذكروني بالشكر
أذكركم بالزيادة وقيل اذكروني على ظاهر الأرض أذكركم في بطنها وقال الأصمعي رأيت أعرابيا واقفا يوم عرفة بعرفات
وهو يقول إلهي عجت إليك أصوات بضروب اللغات يسألونك الحاجات وحاجتي إليك أن تذكرني عند البلاء إذا نسيني
أهل الدنيا وقيل معناه اذكروني في الدنيا أذكركم في العقبى وقيل اذكروني في الطاعات أذكركم بالمعافاة دليله قوله
تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة وقيل معناه اذكروني في الخلاء والملأ أذكركم في الخلاء والملأ
بيانه ما روي في الخبر أن الله تعالى قال في بعض الكتب أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي عبدي ما شاء وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني
في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ومن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلي
ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ومن أتاني بقراب الأرض خطيئة أتيته بمثلها مغفرة بعد أن لا يشرك
بي شيئا وقيل معناه اذكروني في الرخاء أذكركم في الشدة والبلاء وقيل اذكروني بالتسليم والتفويض أذكركم بأصلح الاختيار
دليله قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقيل اذكروني بالشوق والمحبة أذكركم بالوصل والقرب وقيل اذكروني بالتوبة
أذكركم بغفران الحوبة وقيل اذكروني بالدعاء أذكركم بالعطاء اذكروني بالسؤال أذكركم بالنوال اذكروني بلا غفلة أذكركم بلا
مهلة اذكروني بالندم أذكركم بالكرم اذكروني بالمعذرة أذكركم بالمغفرة اذكروني بالإرادة أذكركم بالإفادة اذكروني
بالإخلاص أذكركم بالخلاص اذكروني بالقلوب أذكركم بكشف الكروب اذكروني باللسان أذكركم بالأمان اذكروني ذكرا
فانيا أذكركم ذكرا باقيا اذكروني بصفاء السر أذكركم بخالص البر اذكروني بالصفو أذكركم بالعفو اذكروني بالتعظيم أذكركم
بالتكريم اذكروني بالمناجاة أذكركم بالنجاة اذكروني بترك الجفا أذكركم بحفظ الوفا اذكروني بالجهد في الخدمة أذكركم بإتمام
النعمة اذكروني بالاستغفار أذكركم بالاغتفار اذكروني بالاعتراف أذكركم بمحو الاقتراف ولذكر الله أكبر قال سفيان بن
عيينة إن الله عز وجل قال لقد أعطيت عبادي ما لو أعطيت جبريل وميكائيل كنت قد أجزلت لهما قلت اذكروني أذكركم
وقلت لموسى قل للظلمة لا يذكروني فإني أذكر من ذكرني وإن ذكري إياهم أن ألعنهم وقال أبو عثمان النهدي إني لأعلم حين يذكرني
ربي قيل له ومن أين تعلم ذلك قال لأن الله تعالى قال فاذكروني أذكركم فإذا ذكرت الله ذكرني قوله تعالى واشكروا لي ولا
تكفرون أي اشكروا لي نعم الدنيا والدين ولا تكفروا نعمي بعصياني إليكم قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا
بالصبر والصلوة إن الله مع الصابرين أي استعينوا على ما أمرتكم من عبادتي وشكري بالصبر على أداء الفرائض واجتناب
المحارم مع المواظبة على الصلوة والاستكثار منها إن الله مع الصابرين على أداء الفرائض قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل
في سبيل الله أموات بل أحياء نزلت في قتلى بدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلا ثمانية من الأنصار وستة من
المهاجرين كان الناس يقولون للرجل يقتل في سبيل الله مات فلان وكان الكفار يقولون للشهداء على طريق الطعن

إن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقتلون أنفسهم في الحرب بغير سبب ثم يموتون فيذهبون فنهى الله المسلمين أن يقولوا
مثل هذا القول ونبه على أن ذلك كذب بقوله بل أحياء واختلفوا في حياتهم والصحيح أنهم اليوم أحياء على الحقيقة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح في رياض الجنة وتأكل وتشرب من
أنهارها وتأوي إلى قناديل من نور معلقة بالعرش وقال الحسن إن الشهداء أحياء عند الله يصل إليهم الروح
والفرح وقيل إن مساكن الشهداء سدرة المنتهى وقال صلى الله عليه وسلم يعطى الشهيد ست خصال عند أول قطرة
من دمه يكفر عنه كل خطيئة ويرى مقعده من الجنة ويزوج من الحور العين ويؤمن من الفزع الأكبر ومن عذاب القبر
ويحلى حلة الإيمان قوله تعالى ولكن لا تشعرون أنهم كذلك قوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع
أي ولنختبرنكم يا أمة محمد بشيء من الخوف يعني خوف العدو والفزع في القتال وقحط السنين وقلة ذات اليد ونقص
من الأموال أي هلاك المواشي وذهاب الأموال قوله تعالى والأنفس أراد به الموت والقتل والأمراض وقوله تعالى
والثمرات أي لا تخرج الثمرات كما كانت تخرج من قبل وقيل أراد بالثمرات الأولاد لأنهم ثمرة القلب وهم إذا اشتغلوا
بالجهاد منعهم ذلك عن عمارة البساتين ومناكحة النساء فيقل أولادهم وثمر بساتينهم وقال بعضهم معناه ولنبلونكم بشيء
من الخوف أي خوف الله تعالى والجوع يعني صوم رمضان ونقص من الأموال أداء الزكاة والصدقات والأنفس الأمراض والثمرات
موت الأولاد لأن ولد الرجل ثمرة فؤاده يدل عليه قوله عليه السلام إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة
أقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد قوله تعالى وبشر الصابرين أي
على هذه الشدائد والبلايا بالثواب ثم نعتهم ثم وصفهم فقال الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا
إليه راجعون الذين نعت للصابرين ومعناه الذين إذا أصابتهم مصيبة من هذه المصائب قالوا إنا لله وإنا عبيد
وملك يحكم فينا بما يشاء من الشدة والرخاء إن عشنا فعليه أرزاقنا وإن متنا فإليه مردنا وإنا إليه راجعون في الآخرة
قال عكرمة طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنا لله وإنا إليه راجعون فقيل يا رسول الله أمصيبة هي قال
نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وقال ابن جبير ما أعطي أحد في المصيبة ما أعطيت هذه الأمة يعني الاسترجاع
ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب عليه السلام ألا تسمع إلى قوله في فقد يوسف يا أسفى على يوسف وقال صلى الله عليه
وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه قوله تعالى أولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون قال ابن عباس مغفرة من ربهم ونعمة وقيل الصلوة هنا
الثناء والرحمة والبركة وجمع الصلوات لأنه عنى بها الرحمة بعد الرحمة وأولئك هم المهتدون إلى الاسترجاع وقيل
إلى الجنة والثواب وقيل إلى الحق والصواب وقيل الرحمة التي لا يعلم مقاديرها إلا الله كما قال الله في آية أخرى إنما يوفى
الصابرون أجرهم بغير حساب وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال نعم العدلان ونعم العلاوة
يعني بالعدلين قوله صلوات من ربهم ورحمة والعلاوة قوله هم المهتدون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال يقول الله تعالى إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في أهله أو ولده أو بدنه فاستقبل ذلك بصبر جميل استحييت
منه يوم القيامة أن أنشر له ديوانا أو أنصب له ميزانا قوله تعالى إن الصفا والمروة من شعائر الله أي من أعلام
دينه ومتعبداته وأراد بشعائرها هنا مناسك الحج وسبب نزول هذه الآية أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كنا
نكره الطواف بين الصفا والمروة لأنهما كانا من مشاعر قريش في الجاهلية فتركناه في الإسلام فأنزل الله هذه الآية
وقال ابن عباس كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له إساف وعلى المروة صنم على صورة امرأة يقال لها نائلة
وإنما ذكر الصفا لتذكير إساف وأنث المروة لتأنيث نائلة وزعم أهل الكتاب أنهما زنيا في الكعبة فمسخهما الله حجرين
فوضعا على الصفا والمروة ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله تعالى وكان أهل الجاهلية إذا طافوا

بين الصفا والمروة صنمين فلما جاء الاسلام كره المسلمون الطواف بينهما لاجل الصنمين وقالت الانصار ان السعي
من امر الجاهلية فانزل الله تعالى هذه الاية ان الصفا والمروة من شعائر الله قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر
فلا جناح عليه ان يطوف بهما اى فلا اثم عليه في الطواف بينهما لكان الاصنام عليهما فان الطواف بينهما واجب
والجناح هو الاثم واصله يتطوف فادغمت التاء في الطاء وقرا ابو حيوة يطوف بينهما مخففة واختلف العلماء
في السعي فقال ابو حنيفة واصحابه والثوري هو واجب ويجبر بالدم وقال الشافعي هو فرض لا يجبر بالدم
كطواف الزيارة وقال انس بن مالك وابن الزبير ومجاهد هو تطوع ان فعله فحسن وان تركه فليس عليه شيء واحتجوا بقراءة ابن
عباس وابن سيرين فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وكذلك هو في مصحف عبد الله وبقوله بعد ذلك ومن تطوع خيرا وهذا
دليل انه تطوع والجواب عنه ان لا صلة كقوله ما منعك ان لا تسجد وقوله لا اقسم وحجة من اوجبه ان الله
سماهما من شعائر الله واما قوله ومن تطوع خيرا فمعناه من زاد على الطواف الواجب وحجة من قال انه فرض
تسمية الله له من شعائره قلنا هذا لا يدل على الفرضية فان الله سمى المزدلفة المشعر الحرام ولا خلاف ان الدم يقوم
مقامه وسمي الصفا لانه جلس عليه صفي الله آدم عليه السلام وسميت المروة لانها جلست عليها امرأته حواء واصل السعي
ان هاجر ام اسمعيل لما عطش ابنها اسمعيل وجاع صعدت على الصفا فقامت عليه تنظر هل ترى من احد فلم تر احدا فهبطت
من الصفا حتى جاوزت الوادي وعطفت درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة وقامت
عليها تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فعلت ذلك سبع مرات قوله تعالى ومن تطوع قرأ حمزة والكسائي يطوع بالياء و
الطاء والجزم وكذلك الثاني بمعنى يتطوع وفي قراءة عبد الله يتطوع وقرأ الباقون تطوع بالتاء ونصب العين ومعناه من زاد
في الطواف الواجب وقال ابن زيد ومن تطوع خيرا فاعتمر وقيل من تطوع بالحج والعمرة بعد حجة الواجبة وقال الحسن من
فعل غير المفروض عليه من صلاة وزكوة ونوع من انواع الطاعات كلها فان الله شاكر عليم اى مجاز له بعمله عليم
بنيته يشكر اليسير ويعطي الكثير ويغفر الكثير قوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى هم
علماء اليهود الذين كتموا امر النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في التورية وكتموا امر القبلة والاحكام والحلال والحرام من
بعد ما بيناه للناس في الكتاب اى من بعد ما اوضحناه للناس في التورية والانجيل واراد بالناس بني اسرائيل قوله تعالى
اولئك يلعنهم الله اى يبعدهم الله من رحمته واصل اللعن في اللغة هو الطرد ويلعنهم اللاعنون اختلف المفسرون
في هؤلاء اللاعنين فقال قتادة هم الملائكة وقال عطاء الجن والانس وقال مجاهد اللاعنون البهائم تلعن عصاة بني آدم اذا اشتدت
السنة وامسك المطر تقول لعن هذا الشؤم بني آدم وقال عكرمة دواب الارض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون منعنا
القطر بمعاصي بني آدم وانما قال لهؤلاء اللاعنون ولم يقل اللاعنات لان من شأن العرب اذا وصف شيئا من البهائم والجماد
بما هو صفة للناس من قول او فعل ان يخرجوه على مذهب بني آدم جمعهم كقوله تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام والشمس والقمر
رأيتهم لي ساجدين ولم يقل ساجدات واشباه ذلك وفي الاية دلالة على وجوب اظهار علوم الدين وحرمة كتمانها لان العبرة
لعموم اللفظ لا لخصوص السبب قوله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا اى الا الذين تابوا من اليهودية
واصلحوا اعمالهم فيما بينهم وبين ربهم وقيل اصلحوا ما كانوا افسدوا ممن لا علم له وبينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم
وبينوا الحق فيما عندهم من العلم فاولئك اتوب عليهم اى اتجاوز عنهم واقبل توبتهم وانا التواب الرحيم اى
المتجاوز عن التائبين الرحيم بهم بعد التوبة قوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار هذا عام في جميع الكفار
اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين اما المؤمنون فيلعنونهم في الدنيا والآخرة واما الكفار
فيلعن بعضهم بعضا في الآخرة كما قال تعالى ويلعن بعضكم بعضا وروي ان الكافر يوقف يوم القيمة فيلعنه الله ثم الملائكة
والناس اجمعون قوله تعالى خالدين فيها اى في اللعنة والنار معذبين وقيل ان اللعنة هنا النار لان اللعنة هي ابعاد
الله من رحمته وذلك عذابه قوله تعالى لا يخفف عنهم العذاب اى لا يرفع عنهم العذاب ولا هم ينظرون اى لا هم
يمهلون ويؤخرون وقال ابو العالية لا ينظرون فيعتذرون قوله عز وجل والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن

الرحيم قال الكلبي نزلت هذه الاية في كفار مكة قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه لنا فانزل الله سورة الاخلاص وهذه الاية
وقال الضحاك عن ابن عباس كان للمشركين في الكعبة ثلثمائة وستون صنما يعبدونها من دون الله افكا واثما فدعاهم الله الى توحيده
والاخلاص في عبادته فقال والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وقال نزلت هذه الاية في صنف من المجوس يقال
لهم المانية يقولون هما اثنان خالق الخير وخالق الشر ومعنى الاية ان الذي يستحق ان تأله قلوبكم اليه في المنافع والمضار
وفي جميع حوائجكم وفي التعظيم له واحد لا يستحق الالهية احد غيره فلما نزلت هذه الاية تعجب المشركون وقالوا ان محمدا يقول
ان الهكم اله واحد فليأتنا باية ان كان من الصادقين فانزل الله تعالى قوله ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اى في تعاقب الليل والنهار في الذهاب والمجيء والاختلاف
ماخوذ من خلف يخلف يعني ان كل واحد منهما يخلف صاحبه اذا ذهب احدهما جاء الآخر خلافه اى بعده نظيره قوله تعالى
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة وقال عطاء اراد اختلاف الليل والنهار في اللون والطول والقصر والنور والظلمة
والزيادة والنقصان والليل جمع ليلة مثل نخلة ونخل والليالي جمع الجمع والنهار واحد وجمعه نهر وقدم الليل على النهار لانه
هو الاصل والاقدم قال الله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار قوله تعالى والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس يعني السفن
واحده وجمعه سواء قال الله تعالى في واحده وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وقال في جمعه حتى اذا كنتم في
الفلك وجرين بهم ويذكر ويؤنث قال الله تعالى في التذكير الفلك المشحون وقال في التأنيث والفلك التي تجري في البحر قوله تعالى
بما ينفع الناس يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب وانواع المطالب قوله تعالى وما انزل الله من السماء من ماء يعني
المطر فاحيى به الارض بعد موتها اى بعد يبسها وجدوبتها وبث فيها من كل دابة اى نشر وفرق فيها من كل دابة من اجناس
مختلفة منهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع وتصريف الرياح اى تقليبها قبولا وشمالا
وجنوبا وصبا وقيل تصريفها مرة بالرحمة ومرة بالعذاب وقرأ حمزة والكسائي وخلف وتصريف الريح بغير الف على الواحد
وقرأ الباقون الرياح على الجمع قال ابن عباس الرياح للرحمة والريح للعذاب وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا هاجت الرياح
يقول اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قوله تعالى والسحاب المسخر اى المذلل بين السماء والارض لآيات
لقوم يعقلون اى لعلامات دالة على وحدانية الله لقوم يعرفون انه لو كانت هذه الامور الى اثنين لاختلفا وقيل
لآيات لقوم يعقلون يعلمون ان لهذه الاشياء خالقا وصانعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الاية
ولم يتفكر فيها يعني بها وقيل ان السحاب كالمنخل يخرج منه المطر قطرة قطرة ولا يلتقي منه قطرتان في الجو ولو خرج منهمرا
لسال لاغرق ما اتى عليه كما في طوفان نوح قال الله في طوفان نوح ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر قوله تعالى ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا وهم المشركون والانداد هي الاصنام المعبودة من دون الله قاله اكثر المفسرين وقال
السدي يعني ساداتهم وقادتهم الذين كانوا يطيعونهم في معصية الله قوله تعالى يحبونهم كحب الله اى كحب المؤمنين الله
يقال يعجبني بيع غلامك اى كبيعك غلامك وانشد الفراء ولست مسلما ما دمت حيا على زيد كتسليم الامير
اى كتسليمي على الامير وهذا قول اكثر العلماء وقال الزجاج تقدير الاية يحبونهم كحب الله اى يسوون بين هذه الاصنام وبين
الله تعالى في المحبة قوله تعالى والذين آمنوا اشد حبا لله اى يخلصون في محبة الله لا يشركون به غيره وهم لا يتركون
معه معبودا لهم وقيل ان المؤمنين يعبدون الله في كل حال والكفار يعبدون الاوثان في الرخاء فاذا اصابتهم شدة تركوا
عبادتها وقال ابن عباس معناه اشد ثباتا ودوما وذلك ان المشركين كانوا يعبدون اصناما فاذا راوا شيئا احسن منه تركوه
واقبلوا على عبادة الاحسن وقال قتادة ان الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء ويقبل على الله تعالى كما قال تعالى واذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمن لا يعرض عن الله في السراء والضراء والشدة والرخاء وقيل ان الكفار يرون
معبودهم تصنع ايديهم والمؤمنون يرون الله تعالى صانعهم قوله تعالى ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب قرأ
ابو جعفر والحسن وشيبة ونافع وقتادة ويعقوب وايوب ولو ترى بالتاء على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والجواب
محذوف تقديره ولو ترى يا محمد الذين ظلموا اى اشركوا اذ يرون العذاب لرأيت امرا عظيما او لعلمت ما يصيرون اليه

أن يحبه منه. وقرأ الباقون بالياء ومعناه ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب لعلموا أن القوة لله
جميعا أي لرأوا ولعلموا مضرة الكفر نظيره هذه الآية في الحذف ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض
لكان هذا القرآن. قوله تعالى إذ يرون العذاب قرأ ابن عامر إذ يرون بضم الياء على التعدي وقرأ الباقون بفتحها
على اللزوم. وقيل معنى الآية ولو ترى عبدة الأوثان اليوم ما يرون غدا رؤية شدة عذاب الله وقوته لتركوا عبادة
الأوثان ونحوهما وعلى هذا على التاء وقيل على قراءة الياء. قوله تعالى أن القوة لله جميعا أي لأن القوة لله جميعا
ولأن الله شديد العذاب للرؤساء والأتباع من عبدة الأوثان وقرأ الحسن وقتادة وشيبة وسلام ويعقوب إن القوة
لله وإن الله بالكسر فيهما على الاستئناف والكلام تام عند قوله يرون العذاب مع إضمار الجواب كما ذكرنا وقرأ الباقون بفتحهما
على معنى بأن القوة لله معطوف على ما قبل وقيل على معنى يرون أن القوة لله وهم يقفون. قوله تعالى إذ تبرأ الذين
اتبعوا من الذين اتبعوا متصل بقوله شديد العذاب أي شديد العذاب وقت تبرؤ المتبوعين من التابعين ويرون
العذاب ودخلوا جميعا في النار وعاينوا ما فيها قال مجاهد هم القادة على المعبودين وقرأ الباقون بالضد هم
الأتباع والضعفاء والسفلة قاله أكثر المفسرين. وقال السدي هم الشياطين يتبرؤون من الإنس. قوله تعالى وتقطعت
بهم الأسباب قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني أسباب المودة والوصلات التي كانت بينهم في الدنيا وصارت مخالتهم
عداوة. وقال الكلبي يعني الأسباب الأرحام وقال ابن زيد والسدي يعني العهود التي كانت بينهم في الدنيا وتقطعت بهم
الأسباب أي لا يبقى لهم سبيل إلى تحصيل الله تعالى بوجه من الوجوه. قوله تعالى وقال الذين اتبعوا أي قال السفلة
والخدم لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا أي قالوا لو أن لنا رجعة إلى الدنيا لنتبرأ منهم كما تبرءوا منا في
الآخرة. يقول الله تعالى كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم أي كما أراهم العذاب وكما تبرأ بعضهم من
بعض كذلك يريهم الله أعمالهم التي عملوها في الدنيا لغير الله حسرات عليهم أي ندامات عليهم كما أراهم تبرؤ بعضهم من بعض
وقيل أراد أعمالهم الصالحة التي عملوها. قال السدي ترفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها لو أطاعوا الله
فيقال لهم تلك مساكنكم لو أطعتم الله تعالى ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يندمون. قوله تعالى وما هم بخارجين من
النار أي التابعون والمتبوعون. قوله تعالى يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا أي من الزرع والأنعام
وغير ذلك مما أحل الله لكم والطيب صفة للحلال وهما واحد ويجوز أن يكون الحلال المستلذ. ولا تتبعوا خطوات الشيطان
أي لا تسلكوا طريقه التي يدعوكم إليها. وقيل نزلت هذه الآية في ثقيف وخزاعة وبني عامر بن صعصعة كانوا يحرمون البحيرة
والسائبة والوصيلة والحام وبعض الحرث ووجه دخول من التبعيض أن كل ما في الأرض مما يمكن أكله لا يحل. قوله تعالى
حلالا طيبا انتصابا على الحال وقيل على المفعول أي كلوا حلالا طيبا مما في الأرض. قوله تعالى خطوات الشيطان قرأ
شيبة ونافع وعاصم في رواية أبي بكر والأعمش وحمزة وأبو عمرو وابن كثير في رواية البزي بسكون الطاء في جميع القرآن
وقرأ ابن عباس والزهري والكسائي وحفص وقيل بضم الطاء أي إن كنتم تعرفون أنه آثاره وزلاته وهي أمر إباحة
وتخيير أعني قوله تعالى كلوا إلا أن تناول الشبهات لا يدخل في التعبد وقد يكون الأكل في بعض الأحوال غيره مع ضرر النفس
ونحوها على الطاعة وغيرها ساعة الضيف إذا امتنع من الأكل فلما نزلت هذه الآية قالت الكفار إذا لم تكن البحيرة والسائبة
والوصيلة محرمة فما المحرم فأنزل الله تعالى. قوله تعالى إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به
لغير الله قرأ السلمي إنما حرم برفع الحاء مضمومة مخففة والميتة والدم ولحم الخنزير رفعا وروى أبو جعفر إنما حرم
بضم الحاء وكسر الراء وتشديدها ورفع ما بعدها وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة إنما حرم عليكم الميتة بنصب الحاء والراء وتشديد
الراء ورفع الميتة وما بعدها وجعل ما بمعنى الذي منفصلة وتكون موضع ما نصبا بإن وما بعدها خبرها كما قال
إنما صنعوا كيد ساحر. وقرأ الباقون حرم بنصب الحاء وتشديد الراء ونصب الميتة وما بعدها وجعلوا إنما كلمة واحدة تأكيدا
وتخفيفا والميتة ما لم تذك والدم يعني المسفوح الجاري وهذه الآية مخصوصة بالسنة وهو قوله صلى الله عليه وسلم
أحلت لنا ميتتان ودمان فالميتتان السمك والجراد والدمان الكبد والطحال. قوله تعالى ولحم الخنزير أراد جميع أجزائه وكل

بدنه فعبر عن ذلك باللحم لأنه معظمه وقوامه. قوله تعالى وما أهل به لغير الله أي ما ذكر عليه عند الذبح اسم غير الله
وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك يعني ما ذبح للأصنام والطواغيت كلها. وأصل الإهلال رفع الصوت ومنه
إهلال الحج وهو رفع الصوت بالتلبية ومنه إهلال الصبي واستهلاله وهو صياحه عند خروجه من بطن أمه. قوله تعالى
فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه قرأ عاصم وحمزة ويعقوب وأبو عمرو فمن اضطر بكسر النون فيه وفيما أشبهه
أن اقتلوا وأمثاله. وقرأ ابن محيصن فمن اطّر بإدغام الضاد في الطاء حتى يكون طاء خالصة. ومعنى الآية فمن أحرج وألجئ
إلى ذلك بالمجاعة أو بالإكراه غير باغ أي غير طالب لذلك وقيل غير طالب للذة ولا عاد أي متجاوز قدر ما يسد به رمقه. قوله
تعالى غير باغ نصب غير على الحال وقيل على الاستثناء وإذا رأيت غير لا تصلح في موضعها إلا فهي حال وإذا صلح في موضعها
إلا فهي استثناء فقس على هذا. وقال بعض المفسرين معنى غير باغ أي غير قاطع للطريق ولا عاد أي ولا مفارق للأئمة ولا مشاق
للأمة خارج عليهم بسيفه ومن خرج يخيف السبيل أو يفسد في الأرض أو أبق من سيده أو فر من غريمه أو خرج عاصيا بأي
وجه كان فاضطر إلى الميتة لم يحل له أكلها وإن اضطر إلى الخمر عند العطش لم يحل له شربها وهذا قول مجاهد وابن جبير
والكلبي وبهذا التأويل أخذ الشافعي رضي الله عنه. وقال أبو حنيفة ومالك رضي الله عنهما يجوز ذلك لهم ولو كانوا بغاة
خارجين على المسلمين كما يجوز لأهل العدل. وقال ابن عباس والحسن ومسروق في تفسير قوله غير باغ في الميتة ولا عاد في الأكل
وقال مقاتل غير باغ أي مستحل ولا عاد أي ولا مسرف في أكلها. وقال السدي غير باغ في أكله شهوة وتلذذا ولا عاد أي لا يأكل
حتى يشبع منها ولكن يأكل منها ما يمسك الرمق. وقال بعضهم غير باغ أي متجاوز للقدر الذي يحل له ولا عاد أي لا يقصر فيما يحل
له منها فلا يأكلها. قال مسروق معناه من اضطر إلى الميتة فلم يأكلها حتى مات دخل النار. واختلف العلماء في حد
الاضطرار فيما يحل للمضطر أكله من الميتة. فقال بعضهم لا يجوز له الأكل إلا عند خوف التلف في آخر الرمق وهو الصحيح. وقال بعضهم
إذا كان يضعف عن الفرائض. وقال بعضهم إذا كان بحيث لو دخل السوق لم ينظر إلى شيء سوى المطعوم. وأما مقدار ما يأكل عند
الضرورة فقال أبو حنيفة لا يأكل إلا مقدار ما يسد به الرمق وهو أحد قولي الشافعي. وقال مالك يأكل منها حتى يشبع ويتزود
منها فإن وجد مستغنيا عنها طرحها. وقال مقاتل بن حيان لا يزيد على ثلاث لقم. قوله فلا إثم عليه أي فلا حرج عليه في أكلها إن الله
غفور لمن أكل من الحرام في حال الاضطرار رحيم به حيث رخص له في ذلك. فإن قيل قوله فلا إثم عليه يناقض قوله إن
الله غفور رحيم لأن الغفران يقتضي إثبات الإثم قيل لأنه بالغفران قد يتبين ما لولا الإباحة لكانت معصية ورخصة حين
الضرورة إحياء النفس. قوله عز وجل إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب نزلت في علماء اليهود
والنصارى. قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس كان علماء اليهود يأخذون من سفلتهم الهدايا وكانوا يرجون أن يكون النبي
المبعوث منهم فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم من غيرهم خافوا ذهاب مأكلتهم وزوال رياستهم فعمدوا إلى صفة محمد
صلى الله عليه وسلم فغيروها ثم أخرجوها إليهم وقالوا هذا نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في آخر الزمان لا يشبه
نعت هذا النبي الذي بمكة فإذا نظرت السفلة إلى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يتبعونه
فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ويشترون
به أي بالمكتوم ثمنا قليلا أي عوضا يسيرا يعني المآكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم أولئك ما يأكلون في بطونهم
إلا النار ذكر البطون هنا للتأكيد يعني ما يأكلون إلا ما يؤديهم إلى النار وهي الرشوة والحرام وثمن الدين فلما كان يفضي بهم إلى النار
كانت عاقبته النار سماه في الحال نارا كقوله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا أي عاقبته
النار. وقال عليه السلام في الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم أخبر عن المآل بالحال. قوله عز وجل
ولا يكلمهم الله يوم القيامة أي لا يكلمهم كلاما ينفعهم ويسرهم كما يكلم أولياءه من البشارة والرضا وأما التهديد فلا بد
منه لقوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين. وقيل معناه لا يسمعهم كلامه بنفسه بل يرسل إليهم ملائكة العذاب فيكلمونهم بأمر الله
وإنما أضاف السؤال إلى نفسه لأن سؤال الملائكة بأمره. قوله تعالى ولا يزكيهم أي لا يطهرهم من دنس ذنوبهم ولا يثني
عليهم خيرا ولا يصلح أعمالهم الخبيثة ولهم عذاب أليم أي مؤلم. قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار أي الذين مالوا إلى التحريف للتوراة وما بخلهم الذين استبدلوا الكفر بالإيمان

وقوله تعالى **والعذاب بالمغفرة** معناه أن الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم يوجب المغفرة والكفر به يوجب العذاب فيكون المستبدل للكفر بالإيمان مشتريا للعذاب بالمغفرة قوله تعالى **فما أصبرهم على النار** قال الحسن وقتادة والربيع والله ما لهم عليها من صبر ولكن ما أجرأهم على العمل الذي يقربهم إلى النار وقال الكسائي وقطرب ما أصبرهم على عمل أهل النار أي ما أدومهم عليه وقيل معناه ما أبقاهم في النار وقال عطاء والسدي معناه ما الذي أصبرهم على النار وأي شيء صبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل وقيل هو لفظ استفهام بمعنى التوبيخ لهم والتعجب لما كأنه قيل ما أجرأهم على فعل أهل النار مع علمهم قالوا وهذه لغة يمانية وقال الفراء أخبرني الكسائي قال أخبرني قاضي اليمن أن خصمين اختصما إليه فوجبت اليمين على أحدهما فحلف فقال له خصمه ما أصبرك على الله أي ما أجرأك على الله قوله تعالى **ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق** أي ذلك العذاب بسببهم في الآخرة وقيل ذلك الضلال بأن الله نزل الكتاب بالحق بالعدل والصدق فاختلفوا فيه فحينئذ يكون ذلك في موضع الرفع وقال بعضهم هو في محل النصب معناه فعلنا ذلك بهم بأن الله أو لأن الله نزل الكتاب بالحق فاختلفوا فيه وكفروا به فنزع الخافض قوله تعالى **وإن الذين اختلفوا في الكتاب** قيل هم اليهود والنصارى وأراد بالكتاب التورية والإنجيل وما فيهما من البشارة لمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة أمره ودينه وقيل هم الكفار كلهم وأراد بالكتاب القرآن واختلافهم فيه أن بعضهم قال هو سحر وبعضهم قال هو قول البشر وبعضهم قال هو أساطير الأولين **لفي شقاق بعيد** أي خلاف طويل قوله عز وجل **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب** قرأ حمزة وحفص ليس البر بالنصب ووجه ذلك أنهما جعلا أن وصلتها في موضع الرفع على اسم ليس تقديره ليس توليتكم وجوهكم البر كقوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما في النار وقرأ الباقون بالرفع على أنه اسم ليس واختلف المفسرون في هذه الآية فقال قوم أراد بها اليهود والنصارى وكانت اليهود تصلي قبل المغرب إلى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وزعم كل فريق منهم أن البر في ذلك فأخبر الله أن البر غير دينهم وعملهم وعلى هذا القول قتادة والربيع ومقاتل وقيل لما حولت القبلة إلى الكعبة كثر الخوض في أمر القبلة فتوجهت النصارى نحو المشرق واليهود نحو المغرب واتخذوها قبلة وزعموا أنه البر فأكذبهم الله هذا وبين أن البر في طاعة الله واتباع أمره فإن البر اسم لخصال الإيمان وقيل معناه ليس البر كله في الصلوة فقط ولكن البر الذي يؤدي إلى الثواب بر من آمن بالله واليوم الآخر والإقرار بالملائكة أنهم عباد الله ورسله لا كما قال بعض الكفار إن الملائكة بنات الله والإقرار بالنبيين كلهم فإن قيل لم جعل من خبر البر ومن اسم والبر فعل وهم لا يخبرون بالاسم عن الفعل قيل معناه عند بعضهم ولكن البر الإيمان بالله والعرب تجعل الاسم خبرا للفعل كقولهم البر الصادق الذي يصل رحمه ويخفي صدقته يريدون صلة الرحم وإخفاء الصدقة فيكون في موضع المصدر كأنه قال ولكن البر الإيمان بالله أو البر بر من آمن بالله كما يقال الجود حاتم والشجاعة عنترة أي الجود جود حاتم والشجاعة شجاعة عنترة ومثله قوله تعالى واسأل القرية أي أهل القرية وما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة أي كخلق نفس وقال أبو عبيدة معناه ولكن البار من آمن بالله كقوله تعالى والعاقبة للتقوى أي للمتقي وقيل معناه ولكن ذا البر من آمن بالله هم درجات عند الله أي هم ذو درجات قوله تعالى **والملئكة والكتاب والنبيين** أي من آمن بالله والملائكة كلهم والكتاب يعني الكتب والنبيين أجمع قوله تعالى **وآتى المال على حبه** اختلفوا في الهاء التي في حبه قال أكثر المفسرين إنها راجعة إلى المال أي أعطى المال في صحته ومحبته إياه وضنه به وهو صحيح يخشى الفقر ويأمل الغنى ولا يمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قيل لفلان كذا ولفلان كذا وقيل هي عائدة إلى الله أي على حب الله تعالى وقيل على حب الإيتاء قوله تعالى **ذوي القربى** أي أهل القرابة قال صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وعن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت أعتقت جارية لي فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فقال آجرك الله أما إنك لو أعطيتها بعض أخوالك كان أعظم لأجرك قوله تعالى **وابن السبيل** يعني المجتاز قال مجاهد هو المسافر المنقطع عن أهله يمر عليك وقال قتادة هو الضيف ينزل بالرجل قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال صلى الله عليه وسلم الضيافة ثلاث فما فوق ذلك فهو صدقة وإنما قيل للمسافر والضيف ابن السبيل لملازمته الطريق كما يقال للرجل الذي

حزب

أتت عليه الدهور ابن الليالي والأيام قوله تعالى **والسائلين** يعني المستطعمين الطالبين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وإن جاء على فرس وقال صلى الله عليه وسلم هدية الله إلى المؤمن السائل على بابه قوله تعالى **وفي الرقاب** يعني المكاتبين كذا قال أكثر أهل التفسير وقيل فداء الأسارى وقيل عتق النسمة وهو أن يشتريها للعتق وفك الرقبة قوله تعالى **وأقام الصلوة** يعني المفروضة قوله تعالى **وآتى الزكوة** يعني الواجبة قوله تعالى **والموفون بعهدهم إذا عاهدوا** يعني فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين الناس إذا وعدوا أنجزوا وإذا حلفوا أبروا وإذا نذروا أوفوا وإذا قالوا صدقوا وإذا ائتمنوا أدوا وقيل معناه الموفون بالعهد الذي أمر الله بالوفاء به من سائر المواثيق منهم على الوفاء بما عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه من نصرته على الأعداء ومظاهرته بالجهاد واختلفوا في رفع الموفين فقال الفراء والأخفش هو عطف على محل من في قوله ولكن البر من آمن كأنه قال ولكن البر المؤمنون والموفون وقيل هو رفع على الابتداء والخبر تقديره وهم الموفون قوله تعالى **والصابرين في البأساء والضراء** في انتصابه خلاف قال الكسائي عطف على ذوي القربى كأنه قال وآتى الصابرين وقال بعضهم معناه أعني الصابرين وقال الخليل والفراء نصب على المدح والعرب تنصب على المدح والذم فالمدح مثل قوله تعالى والمقيمين الصلوة والذم مثل قوله تعالى ملعونين قوله تعالى في البأساء يعني الشدة والفقر والضراء يعني المرض والزمانة وفي هاتين الحالتين يعظم موضع الصبر على العباد قوله تعالى **وحين البأس** أي وقت القتال وشدة الحرب [illegible] قوله تعالى **أولئك الذين صدقوا** أي في إيمانهم وفي جهادهم **وأولئك هم المتقون** [illegible] جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن الإيمان فقرأ هذه الآية قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى** نزلت هذه الآية في الأوس والخزرج وكان بينهما قتل وجراحات في الجاهلية وكان لأحدهما طول على الآخر في الكثرة والشرف فأقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعف جراحات أولئك فلم يأخذها بعضهم من بعض حتى جاء الإسلام فرفعوا أمرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وأمرهم بالمساواة فرضوا وسلموا قوله تعالى **فمن عفي له من أخيه شيء** قيل أن من ترك له القود وصفح عنه من القصاص في قتل العمد ورضي بالدية وقوله من أخيه أي من أخي المقتول ورضي بالدية منه فليتبع العافي بالمعروف أن يترفق في طلب الدية من القاتل ولا يعنف وليؤد القاتل بإحسان أي لا يبخس ولا يماطل هذا قول أكثر المفسرين قالوا العفو أن يقبل الدية في قتل العمد وقيل في الآية إن العفو في اللغة ما سهل وتيسر قال الله تعالى خذ العفو أي ما سهل من الأخلاق فعلى هذا قوله تعالى فمن عفي له أي ولي القتيل إذا بذل له من أخيه شيء من المال من جانب القاتل فله اتباع بالمعروف وليقبله وليؤد إليه القاتل بإحسان قوله تعالى **ذلك تخفيف من ربكم ورحمة** أي أن الصلح عن القصاص على شيء من الدية أو غيرها تخفيف من ربكم عليكم ورحمة رحمكم بها وذلك أن الله كتب على أهل التورية في النفس والجرح أن يقتصوا ولا يأخذوا الدية ولا يعفوا وعلى أهل الإنجيل أن يعفوا ولا يقتصوا ولا يأخذوا الدية فخير الله هذه الأمة بين القصاص والدية والعفو قوله تعالى **فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم** القتل في الدنيا والنار في الآخرة ومن قتل بعد أخذ الدية يقتل ولا يعفى عنه قال صلى الله عليه وسلم لا أعافي رجلا قتل بعد أخذ الدية وفي هذه الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافرا ولا يخلد في النار لأن الله تعالى خاطبهم فقال يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم وقال في آخر الآية فمن عفي له من أخيه شيء فسمى القاتل أخا المقتول وقال تعالى ذلك تخفيف من ربكم ورحمة وهما يلحقان المؤمنين دون الكفار وروي [illegible] هل للقاتل توبة فقال لا أغلق بابا فتحه الله تعالى قوله عز وجل **ولكم في القصاص حيوة يا أولي الألباب** يعني أن الذي يريد قتل غيره إذا علم أنه إذا قتل قتل أمسك عن القتل فارتدع فيكون في ذلك حيوة له وحيوة للذي هم بقتله وفي بقائهما بقاء لمن يتعصب لهما لأن الفتنة تثور بالقتل فتؤدي إلى المحاربة التي تنتهي بأهلها وقيل أراد بالحيوة في الآخرة لأن من اقتص منه في الدنيا حيي في الآخرة وإذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة فمعنى الحيوة سلامة في الآخرة قوله تعالى يا أولي الألباب أي يا ذوي العقول **لعلكم تتقون** أي لكي تتقوا القتل مخافة القصاص

الرقاب

قوله تعالى كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت أي فرض عليكم إذا حضر أحدكم أسباب الموت من العلل
والأمراض إن ترك خيرا أي مالا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف وفي ارتفاع الوصية وجهان أحدهما اسم ما لم يسم
فاعله أي كتب عليكم الوصية والثاني بخبر الجار والمجرور في قوله للوالدين قوله تعالى بالمعروف أي لا يزيد
على الثلث ولا يوصي للغني ويترك الفقير كما تنال الوصية للأحوج وقوله تعالى حقا أي حقا واجبا وهو نعت
على المصدر معناه حق ذلك حقا وقيل على المفعول أي جعل الوصية حقا قوله تعالى على المتقين أي على المؤمنين
وسبب نزول هذه الآية أنهم كانوا في ابتداء الإسلام يوصون للأباعد طلبا للرياء فأمر الله من ترك خيرا أي مالا إن ظهر
قوله تعالى وما تنفقوا من خير أي من مال وقوله إني لما أنزلت إلي من خير فقير أي مال وقوله وإنه لحب الخير لشديد قوله تعالى
إذا حضر أحدكم الموت أي إذا مرض أحدكم لأنه إذا عاين الموت فقد شغل عن الوصية وهذه الآية منسوخة عند أكثر
العلماء واختلفوا أي دليل نسخت فقال بعضهم بآية المواريث وهذا لا يصح لأن الله تعالى قال فيها من بعد وصية
يوصي بها والصحيح أنها نسخت بقوله عليه السلام لا وصية لوارث وهذا الخبر وإن كان خبر واحد فقد تلقته الأمة بالقبول
فجرى مجرى المتواتر ويجوز نسخ القرآن بمثل هذه السنة ولا تجب الوصية إلا على من عليه شيء من الواجبات لله تعالى أو في
لعباده وتستحب لمن لا عليه شيء الوصية بالثلث لأقاربه الذين لا يرثونه ما لم يكن في جهات الخير إذا لم تخص على
ورثته قال الضحاك من مات ولم يوص لذي قرابته فقد ختم عمله بمعصية وقيل لا تجب على أحد وصية لأحد فإن أوصى
فحسن وإن لم يوص فلا شيء عليه وهذا قول علي وابن عمر وعائشة وعكرمة ومجاهد والسدي قال عروة بن الزبير
دخل علي رضي الله عنه على مريض يعوده فقال إني أريد أن أوصي فقال علي رضي الله عنه إن الله عز وجل قال إن
ترك خيرا وإنما تركت شيئا يسيرا فدعه لعيالك فإنه أفضل وروى نافع عن ابن عمر أنه لم يوص فقال لما كان يجيء فيما أحب
أن يشارك ولدي فيها أحد وروي أن رجلا قال لعائشة رضي الله عنها إني أريد أن أوصي قالت كم مالك قال ثلاثة
آلاف قالت كم عيالك قال أربعة قالت إنما قال الله إن ترك خيرا وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك وروي أن عروة بن
ثابت قال للربيع بن خثيم أوص لي بمصحفك فنظر إلى ابنه وقال وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض قوله تعالى فمن بدله
بعد ما سمعه أي فمن غير الوصية من الأوصياء أو الأولياء أو الشهود بعد ما سمعه من الميت علم صحته فإنما
إثمه على المبدل دون الموصي إن الله سميع لما قاله الموصي عليم بما فعله الوصي وإنما ذكر الوصية وهي مؤنثة لأنه أراد
ومعنى الإيصاء كقوله فمن جاءه موعظة من ربه رده إلى الوعظ وقيل لأن الوصية قول فذهبا إلى المعنى وترك اللفظ
قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا أو إثما لما توعد الله المبدل خاف الأوصياء من التبديل فكانوا يمضون
وصية الميت وإن جار في وصيته واستغرقت كل المال فأنزل الله هذه الآية وبين أن الإثم في تبديل الحق بالباطل فأما
إذا غير الوصي من باطل إلى حق على طريق الإصلاح فهو محسن ولا إثم عليه ومعنى الآية فمن علم من موص جنفا مثل قوله تعالى
إلا أن يخافا ألا يقيما أي إلا أن يعلما وقوله تعالى جنفا أي ميلا عن الحق على جهة الخطأ وقوله تعالى أو إثما أي
ميلا عن الحق على جهة العمد فأصلح بينهم بأن رد الوصية إلى المعروف الذي أمر الله به فلا إثم عليه في
التبديل والهاء والميم في قوله بينهم كناية عن الورثة والكناية تصح عن المعلوم وإن لم يكن مذكورا قوله تعالى إن الله
غفور رحيم يغفر لمن غفور رحيم إذ رخص للوصي في خلاف الوصية على جهة الإصلاح قرأ مجاهد وعطاء وابن كثير وأبو
عمرو وابن عامر وحفص ونافع رحمهم الله موص بالتخفيف وقرأ الباقون موص بالتشديد وقوله تعالى جنفا أي جورا
أو عدولا عن الحق والجنف الميل في الكلام وفي الأمور كلها وقرأ علي كرم الله وجهه حيفا بالحاء والياء أي ظلما
قال أهل اللغة الفرق بين الحيف والجنف أن الحيف العدوان والجنف حمل على الشيء حتى ينقصه وعلى الرجل حتى
ينقص حقه قال المفسرون الجنف الخطأ والإثم العمد ومعنى الآية من حضر مريضا وهو يوصي فخاف أن يخطئ
في وصيته فيفعل ما ليس له فعله أو يتعمد جورا فيها فيأمر بما ليس له فلا جناح على من حضره أن يصلح بينه وبين ورثته
أن يأمره بالعدل في وصيته وينهاه عن الجنف فينظر للموصي وللورثة وهذا قول مجاهد قال هذا حين يحضر الموت

بأن يأمره بالعدل وإذا قصر قال افعل كذا أعط فلانا كذا ٠ وقال آخرون هو إذا أخطأ الميت في وصيته
أو حاف فيها متعمدا فلا حرج على وليه أو وصيه أو والي أمر المسلمين أن يصلح بعد موته بين الورثة وبين الموصى
لهم ويرد الوصية إلى العدل والحق وهذا قول ابن عباس وقتادة والربيع روي عن عطاء أنه قال هو أن يعطي عند
حضور أجله بعض ورثته دون بعض مما سيرثونه بعد موته فلا إثم على من أصلح بين الورثة وقال طاوس هو أن يوصي
لبني ابنه يريد ابنه ولبني بنيه يريد بنيه أو لزوج ابنته يريد ابنته فلا حرج على من أصلح بين الورثة وقال السدي
هو في الوصية للآباء والأقربين يميل إلى بعضهم ويحيف على بعض فالأصلح أن لا يفسدها ولكن يصلح بينهم على ما يرى أنه الحق
ينقص بعضا ويزيد بعضا وقال ابن زيد يعجز الموصي أن يوصي للوالدين كما أمره الله وعجز الوصي أن يصلح فانتزع الله ذلك
منهم وفرض الفرائض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لم يرض بملك مقرب ولا نبي مرسل حتى تولى قسمة المواريث
قوله تعالى فأصلح بينهم ولم يجر للورثة ولا المختلفين في الوصية ذكر لأن سياق الآية وما تقدم من ذكر الوصية
يدل عليه روي أن سعد بن أبي وقاص قال مرضت مرضة أشرفت فيه على الموت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله إن لي مالا كثيرا وليس يرثني إلا ابنة واحدة أفأوصي بثلثي مالي قال لا قلت فبشطر مالي قال لا
قلت فبثلث مالي قال نعم والثلث كثير إنك يا سعد أن تترك ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس وروي
أن جار المروزي أوصى فدعا عاشرة وقال اشهدوا توجه وبذره فأكثر فقال اشهدوا أن الله تعالى قد قسم بينكم وأحسن القسمة
فمن رغب برأيه عن رأي الله فقد ضل أوص لذي قرابتك الذين لا يرثون ودع المال على قسم الله وقال صلى الله عليه وسلم
من حاف في وصيته ألقي في اللوى واللوى واد في جهنم وقال صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين
سنة فإذا أوصى وحاف في وصيته ختم له بسوء عمله فيدخل النار قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم
الصيام قال الحسن إذا سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا فارع لها سمعك فإنها لأمر تؤمر به أو لنهي تنهى عنه وقال
جعفر الصادق لذة ما في النداء أزال تعب العبادة والعناء قوله تعالى كتب عليكم الصيام أي فرض عليكم الصيام كما فرض
على الذين من قبلكم من الأنبياء والأمم أولهم آدم عليه السلام وهو ما روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال أتيت النبي
صلى الله عليه وسلم ذات يوم عند انتصاف النهار فسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال يا علي هذا جبريل يقرئك السلام
قلت وعليه السلام يا رسول الله ثم قال يا علي يقول لك جبريل صم من كل شهر ثلاثة أيام يكتب لك بأول يوم عشرة آلاف
سنة وباليوم الثاني ثلاثون ألف سنة وباليوم الثالث مائة ألف سنة فقلت يا رسول الله ثواب لي خاصة أم للناس عامة
فقال يا علي يعطيك الله هذا الثواب ولمن يعمل مثل عملك بعدك قلت يا رسول الله وما هي قال أيام البيض ثلاثة عشر وأربعة عشر
وخمسة عشر قال عنترة قلت لعلي رضي الله عنه لأي شيء سميت أيام البيض قال لما أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة
أحرقته الشمس فاسود جسده فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا آدم أتحب أن يبيض جسدك قال نعم قال صم من الشهر ثلاثة عشر وأربعة عشر
وخمسة عشر فصام آدم عليه السلام أول يوم فابيض ثلث جسده وصام اليوم الثاني فابيض ثلثا جسده وصام اليوم الثالث
فابيض كل جسده فسميت أيام البيض وقال المفسرون فرض الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم صوم يوم عاشوراء وصوم
ثلاثة أيام من كل شهر حين قدم المدينة فكانوا يصومونها إلى أن نزل صوم شهر رمضان قبل قتال بدر بشهر وأيام وقال
الحسن أراد بالذين من قبلنا النصارى فشبه صيامنا بصيامهم لاتفاقهما في الوقت والقدر لأن الله تعالى فرض على النصارى صوم
شهر رمضان فاشتد ذلك عليهم لأنه ربما كان يأتي في الحر الشديد وكان يضرهم في أسفارهم فأجمع رأي علمائهم ورؤسائهم
على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا
فصار أربعين يوما وقال مجاهد أصابهم موتان عظيم فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد وصار
خمسين يوما قوله تعالى لعلكم تتقون أي لكي تتقوا الأكل والشرب والجماع في زمان الصوم وقيل معناه لتكونوا
أتقياء ٠ وأصل الصيام والصوم في اللغة الإمساك يقال صام إذا سكت وصامت الخيل إذا وقفت وأمسكت عن السير
قال النابغة ٠ خيل صيام وخيل غير صائمة ٠ تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما ٠ ويقال صام النهار إذا اعتدل

وقام قائم الظهيرة لأن الشمس إذا بلغت كبد السماء وقفت وأمسكت عن السير سويعة قال امرؤ القيس • فدع
ذا وسل الهم عنك بجسرة • ذمول إذا صام النهار وهجرا • وقال آخر • حتى إذا صام النهار واعتدل • وسال للشمس
لعاب فنزل • ويقال للرجل إذا أمسك عن الكلام صائم قال الله تعالى إني نذرت للرحمن صوما فالصوم الإمساك عن
المفطرات المعلومة وفيه قوله عز وجل أياما معدودات يعني شهر رمضان ثلاثين يوما أو تسعة وعشرين يوما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وعقد الإبهام في الثالثة والشهر هكذا وهكذا إلى
تمام الثلاثين ونصب أياما على الظرف أي في أيام وقيل على خبر ما لم يسم فاعله أي كتب الصيام أياما وقيل بإضمار فعل أي صوموا
أياما قوله تعالى فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر أي فأفطر فعليه عدة كقوله تعالى فمن كان منكم مريضا أو به
أذى من رأسه ففدية تقديره فحلق ففدية فإن أحصرتم تقديره فأحصر فعليه عدة ولذلك ارتفع عدة وقرأ ابن أبي عبلة فعدة
بالنصب أي فليصم عدة وأخر في موضع خفض لا أنها لا تنصرف لأنها معدولة عن جهتها وكان حقها أخريات • وأيام عدد
أي فعليه [illegible] والمعنى أنه يلزمه عدد من أيام أخر غير أيام مرضه أو سفره قوله عز وجل وعلى الذين
يطيقونه فدية طعام مساكين قرأ ابن عباس وعائشة وعطاء وابن جبير وعكرمة ومجاهد يطوقونه بضم
الياء وفتح الطاء والواو وتشديدها أي يكلفونه وروي عن مجاهد وعكرمة أيضا يطوقونه بفتح الياء وتشديد الطاء والواو أي
يتطوقونه بمعنى يتكلفونه وروي عن ابن عباس أيضا يطيقونه بفتح الياء وتشديد الطاء والياء الثانية وفتحها بمعنى يطيقونه يقال
طاق وأطاق بمعنى واحد قوله تعالى فدية طعام مساكين قرأ أهل المدينة والشام فدية طعام مضافا مساكين
جمعا أضاف الطعام إلى الفدية وإن كان واحدا لاختلاف اللفظين كقوله تعالى وحب الحصيد وقولهم مسجد الجامع وربيع
الأول وقرأ ابن عباس طعام مسكين على الواحد وهي قراءة الباقين غير نافع فمن وحد فمعناه لكل يوم طعام مسكين واحد
ومن جمع رده إلى الجمع أي عليه إطعام مساكين فدية أيام يفطر فيها ومعنى الآية وعلى الذين يطيقون الصوم ثم أفطروا
فدية طعام مسكين وذلك أنه كان رخص في الصوم لمن يطيق الصوم أن يفطر ويتصدق وكان لكل يوم على مسكين ثم نسخ
بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه قوله عز وجل فمن تطوع خيرا فهو خير له قرأ يحيى بن وثاب وحمزة والكسائي
يطوع بالياء وتشديد الطاء وجزم العين على معنى يتطوع وقرأ الآخرون بالتاء وفتح العين وتخفيف الطاء على
الفعل الماضي ومعنى الآية فمن تطوع خيرا أي زاد على طعام مسكين واحد فهو خير له وأن تصوموا خير لكم من أن
تطعموا وتفطروا إن كنتم تعلمون من ثواب الله في الصوم • واختلف العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها فقال قوم كان ذلك
في أول ما فرض الله الصوم وذلك أن الله عز وجل لما أنزل فرض صيام شهر رمضان على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأمر أصحابه بذلك شق عليهم الصوم وكانوا قوما لم يتعودوا الصوم فخيرهم الله تعالى بين الصيام والإطعام كان
من شاء صام ومن شاء أفطر وافتدى بالطعام ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه ونزلت العزيمة في الكتاب
الصوم • وعلى هذا القول معاذ بن جبل وأنس بن مالك وسلمة بن الأكوع وابن عمر وعلقمة وعكرمة والشعبي والزهري وإبراهيم
والضحاك وهي إحدى الروايات عن ابن عباس وقال آخرون إنها خاص للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة اللذين يطيقان الصوم
ولكن يشق عليهما رخص لهما إن شاءا أفطرا مع القدرة ويطعما لكل يوم مسكينا ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فمن شهد
منكم الشهر فليصمه وثبتت الرخصة للذين لا يطيقونه وهذا قول الربيع عن أنس ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس
وقال الحسن هذا في المريض كان إذا وقع عليه اسم المرض وكان يستطيع الصيام فهو بالخيار إن شاء صام وإن شاء أفطر
وأطعم حتى نسخ ذلك بهذه الآية فتأويل الآية منسوخة وهذا قول أكثر الفقهاء والمفسرين • وقال قوم لم تنسخ هذه الآية
ولا شيء منها وإنما تأويلها وعلى الذين يطيقونه في حال شبابهم وفي حال صحتهم وقوتهم ثم عجزوا عن الصوم فدية
مساكين فجعلوا هذه الآية محكمة وهذا قول سعيد بن المسيب والسدي وإحدى الروايات عن ابن عباس بجملة ما ذكرنا
من الآية تأويل على قراءة من قرأ يطيقونه من الإطاقة وهي القراءة الصحيحة التي عليها عامة أهل القرآن ومصاحف
أهل البلدان وأما على قراءة يطوقونه فتأويله أنه الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذي لا يرجى برؤه

فهم يكلفون ولا يطيقونه فلهم أن يفطروا ويطعموا مكان كل يوم مسكينا وقالوا الآية محكمة قوله تعالى وأن
تصوموا خير لكم من أن تفطروا وتطعموا قوله تعالى إن كنتم تعلمون أي إن كنتم تعلمون ثواب الله
تعالى في الصوم ثم بين الله تعالى أيام الصوم بقوله عز وجل شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن قراءة
العامة شهر بالرفع على معنى أتاكم شهر رمضان • وقال الفراء أي ذلكم شهر رمضان وقال الأخفش هو شهر رمضان
وقال الكسائي كتب عليكم شهر رمضان وقيل ابتداء وما بعده خبره وقرأ الحسن ومجاهد شهر رمضان نصبا على معنى
صوموا شهر رمضان وقال الأخفش نصب على الظرف أي كتب عليكم الصيام في شهر رمضان وقال بعضهم نصب
على الإغراء وقيل نصب على البدل من قوله تعالى أياما معدودات وسمي الشهر شهرا لشهرته • واختلفوا في رمضان
فقال بعضهم هو اسم من أسماء الله تعالى فيقال شهر رمضان كما يقال شهر الله ويدل على ذلك ما روي عن أنس أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقولوا رمضان انسبوه كما نسبه الله عز وجل في القرآن فقال شهر رمضان • وقال أبو
عمرو إنما سمي رمضان لأنه يرمض فيه الفصال من الحر وقيل سمي بذلك لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها وقيل لأن القلوب
تأخذ فيه من حرارة الموعظة كما تأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس • وقال الخليل هو مأخوذ من الرمض وهو مطر يأتي قبل الخريف
سمي به هذا الشهر لأنه يغسل الأبدان من الآثام غسلا ويطهر قلوبهم قوله تعالى الذي أنزل فيه القرآن روي عن عطية
بن الأسود قال لابن عباس إنه قد وقع الشك في قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وقوله إنا أنزلناه في ليلة
القدر وإنا أنزلناه في ليلة مباركة وقد نزل في سائر الشهور وقال الله تعالى وقرآنا فرقناه الآية فقال أنزل القرآن
جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام
على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما عشرين سنة فذلك قوله عز وجل فلا أقسم بمواقع النجوم وقيل كان ينزل في كل شهر من
شهر رمضان إلى السماء الدنيا ما كان ينزل في تلك السنة فنزل من اللوح المحفوظ في عشرين شهرا ونزل به جبريل في عشرين
سنة • وقال بعضهم كان ابتداء نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان فأضيف نزوله كله إلى ذلك • وعن أبي ذر
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت صحف إبراهيم في ثلاث ليال من رمضان وأنزلت التوراة في ست ليال
مضين من رمضان وأنزل الإنجيل في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل الزبور في ثماني عشرة ليلة مضت من رمضان •
وأنزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين من رمضان وروي أن التوراة أنزلت في ست
عشرة ليلة خلت من رمضان والإنجيل في ثماني عشرة من رمضان قوله تعالى هدى للناس أي أنزل القرآن هاديا
للناس من الضلالة وانتصب هدى على القطع لأن القرآن معرفة وهدى نكرة قوله تعالى وبينات من الهدى والفرقان
أي دلالات واضحات من الهدى والفرقان من الحق والباطل وقيل معناه وبينات من الحلال والحرام والحدود والأحكام
وعن سعيد بن المسيب عن سلمان رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال يا أيها الناس
قد أظلكم شهر عظيم مبارك شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه
بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر
والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد فيه في رزق المؤمن وشهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار
من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء قالوا يا رسول
الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم فقال صلى الله عليه وسلم يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على مذقة لبن أو تمرة أو شربة
ماء ومن أشبع فيه صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ بعدها أبدا حتى يدخل الجنة وكان كمن أعتق رقبة ومن
خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتان ترضون بهما ربكم وخصلتان
لا غنى لكم عنهما فأما اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه وأما اللتان لا غنى لكم عنهما
فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار • وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبواب
السماء وأبواب الجنة لتفتح أول ليلة من شهر رمضان فلا تغلق إلى آخر ليلة منه وليس من عبد يصلي في ليلة منها إلا

كتب الله له بكل سجدة ألفي حسنة وسبعمائة حسنة وبنى له بيتا في الجنة من ياقوتة حمراء له سبعون ألف باب لكل باب
منها مصراعان من ذهب فإذا صام أول يوم من شهر رمضان غفر الله له كل ذنب إلى آخر يوم من رمضان وكان كفارة إلى
مثله وله بكل يوم يصومه قصر في الجنة له ألف باب من ذهب واستغفر له سبعون ألف ملك من غدوة إلى أن توارى
بالحجاب وله بكل سجدة يسجدها من ليل أو نهار شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها. وعن أنس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نادى الجليل جلت قدرته وعظمته يا رضوان
نجّد جنتي وزينها للصائمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولا تغلقها عنهم حتى ينقضي شهرهم ثم ينادي يا جبريل أغلق
أبواب جهنم عن الصائمين من أمة محمد ثم لا تفتحها حتى ينقضي شهرهم ثم ينادي يا جبريل انزل إلى الأرض فغلّ مردة الشياطين
عن أمة محمد حتى لا يفسدوا عليهم صيامهم ولله عز وجل في كل يوم عند طلوع الشمس وعند وقت الإفطار عتقاء يعتقهم من
النار عبيدا وإماء وله في كل سماء ملك له عرف تحت العرش وقوائمه في تخوم الأرض السابعة له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب
ينادي هل من تائب يتاب عليه هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى سؤاله ولو أذن الله للسموات
والأرض أن يتكلما لبشرتا من صام رمضان بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح وعمله مضاعف

قوله عز وجل **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** قرأه العامة بجزم اللام وقرأ الحسن والأعرج فليصمه بكسر اللام
وهي لام الأمر وحقها الكسر إذا انفردت كقوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته فإذا وصلت بشيء ففيه وجهان الجزم والكسر
وإنما توصل بثلاثة أحرف بالفاء كقوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت وبالواو كقوله تعالى وليوفوا نذورهم وليطوفوا
وثم كقوله ثم ليقضوا تفثهم. واختلف العلماء في معنى هذه الآية فقال بعضهم معناها فمن شهد بالغا عاقلا مقيما صحيحا
مكلفا فليصمه وهو قول أبي حنيفة وأصحابه. وقال قوم معناه فمن دخل عليه شهر رمضان وهو مقيم في داره فليصم الشهر
كله غاب بعد فسافر أو أقام فلم يبرح قاله السدي والنخعي وقتادة أن عليا كان يقول إذا أدركه رمضان وهو
مقيم ثم سافر فعليه الصوم قالوا والمستحب له أن لا يسافر فإذا أدركه رمضان مقيما أي أمكنه حتى ينقضي الشهر وروي
ذلك عن إبراهيم بن طلحة أنه جاء إلى عائشة رضي الله عنها يسلم عليها فقالت له وأين تريد قال أريد العمرة قالت جلست حتى
إذا دخل عليك شهر رمضان خرجت فيه قال قد خرج رحلي قالت اجلس حتى إذا أفطرت فاخرج فلو أدركني رمضان وأنا
ببعض الطريق لأقمت له. وقال آخرون معناه فمن شهد منكم الشهر فليصم منه ما شهد منه فإن كان حاضرا فإن سافر فله الإفطار
إن شاء قاله ابن عباس وعامة أهل التفسير وهو أصح الأقاويل ويدل عليه ما روى ابن عباس قال خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الفتح صائما في رمضان حتى إذا كان بالكديد أفطر وعن الشعبي أنه سافر في رمضان فأفطر عند
باب الجسر وعن أبي ميسرة أنه خرج في رمضان حتى إذا بلغ القنطرة دعا بماء فشرب. قوله عز وجل **ومن كان
مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر** أي من كان مريضا أو على سفر فأفطر فعليه قضاء ما أفطر. واختلفوا في
المرض الذي يبيح الإفطار فقال قوم هو كل مرض يسمى مرضا قال طريف بن تمام دخلت على ابن سيرين في رمضان وهو
يأكل فلما فرغ قال إنه وجعت إصبعي هذه. وقال آخرون هو كل مرض كان الأغلب من أمر صاحبه بالصوم الزيادة في علته
زيادة غير محتملة. وقال الحسن وإبراهيم إذا لم يستطع المريض أن يصلي الفرائض قائما أفطر والأصل فيه أنه إذا أجهده
الصوم وأجهده أفطر وإذا لم يجهده فهو بمعنى الصحيح الذي يطيق الصوم قوله تعالى أو على سفر. واختلفوا في صيام المسافر
فقال قوم الإفطار في السفر عزيمة واجبة وليس برخصة فمن صام في السفر فعليه القضاء إذا أقام وهو قول أبي هريرة
وابن عباس وعروة بن الزبير والضحاك وتمسكوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر. وعن عبد الرحمن بن عوف
أنه قال الصائم في السفر كالمفطر في الحضر. وقال آخرون الإفطار في السفر رخصة من الله تعالى والفرض الصوم
فمن صام ففرضه أدى ومن أفطر فرخصة الله أخذ ولا قضاء على من صام إذا أقام وهذا هو الصحيح وعليه عامة الفقهاء
ويدل عليه ما روي عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فمنا الصائم ومنا المفطر فلم يكن بعضنا
يعيب على بعض. وعن حمزة بن عمرو أنه قال يا رسول الله إني أجد قوة على الصوم في السفر فهل علي جناح قال

هي رخصة من الله تعالى فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه فأما قوله صلى الله عليه وسلم ليس من
البر الصيام في السفر فإن أصله ما روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل في ظل شجرة يرش عليه الماء فقال
ما بال صاحبكم هذا قالوا يا رسول الله هو صائم فقال ليس من البر أن تصوموا في السفر وعليكم برخصة الله تعالى التي
رخص لكم فاقبلوها وكذلك تأويل قوله عليه السلام الصائم في السفر كالمفطر في الحضر ويدل عليه حديث مجاهد عن ابن عمر
أنه مر برجل يصب عليه الماء في وجهه وهو صائم فقال له أفطر وتحمل فإني أراك لو مت على هذا دخلت النار
والذي يؤيد ما قلناه ما روي عن عروة وسالم أنهما كانا عند عمر بن عبد العزيز إذ هو أمير على المدينة فتذاكروا الصوم
في السفر فقال سالم كان ابن عمر لا يصوم في السفر وقال عروة كانت عائشة تصوم في السفر فقال سالم إنما أخذت
عن ابن عمر وقال عروة إنما أخذت عن عائشة فارتفعت أصواتهما فقال عمر بن عبد العزيز اللهم عفوا إذا كان يسرا فصوموا وإن كان
عسرا فأفطروا. ثم اختلفوا في المستحب فقال قوم الصوم أفضل وهو قول معاذ بن جبل وأنس وإبراهيم ومجاهد وروي
عن أنس بن مالك غلاما أو غلاما له بالصوم في السفر فقيل له في هذه الآية فقال نزلت ونحن نرتحل جياعا وننزل على
غير شبع فمن أفطر فرخصة ومن صام فالصوم أفضل وقال آخرون المستحب الإفطار لما روي عن جابر قال خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى إذا بلغ كراع الغميم فصام الناس فبلغه أن الناس قد شق
عليهم الصيام فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون فأفطر بعضهم وصام بعضهم فبلغه أن ناسا صاموا
فقال أولئك العصاة. وعن يعلى بن يوسف قال سألت ابن عمر عن الصوم في السفر فقال أرأيت لو تصدقت على رجل بصدقة
فردها عليك ألم تغضب قال بلى قال فإنها صدقة من الله تعالى تصدق بها عليكم قوله تعالى **يريد الله بكم اليسر**
أي يرخص لكم الإفطار للمريض والمسافر ولا يريد بكم العسر أي تكليف الصوم في المرض والسفر وقرأ يزيد بن القعقاع اليسر
والعسر مثقلين في جميع القرآن وقرأ الباقون بتخفيفهما وهما لغتان جيدتان قوله تعالى **ولتكملوا العدة**
قرأ أبو بكر بتشديد الميم وقرأ الباقون بالتخفيف وهو الاختيار لقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم والواو في قوله ولتكملوا
العدة واو العطف واللام لام كي تقديره ويريد الله بكم اليسر أي يريد لأن يسهل عليكم ولتكملوا العدة وقال الزجاج معناه
فعل الله ذلك ليسهل عليكم ما أفطرتم في مرضكم وسفركم إذا برأتم وأقمتم فتقضيتموها وقيل حتى تكملوا العدة أي ولتتموا
عدة ما أفطرتم للمرض والسفر وقيل معناه عدة ثلثين يوما إذا غم عليكم هلال شوال قوله تعالى **ولتكبروا الله على
ما هداكم** أي ولتعظموا الله بقلوبكم وأفواهكم وأعمالكم على ما هداكم لدينه وشرايعه ووفقكم [illegible] شهر رمضان
وخصكم به دون سائر أهل الملل وقال الأكثرون أراد به التكبير في صلاة عيد الفطر وقال بعضهم أراد به التكبير ليلة الفطر قال
ابن عباس حق على المسلمين إذا رأوا هلال شوال أن يكبروا وروي عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة وغيرهما أنهم كانوا يكبرون
ليلة الفطر يجهرون بالتكبير قوله تعالى **ولعلكم تشكرون** أي لكي تشكروا الله على الرخصة ونعمة الهدى
قوله تعالى **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب** الآية اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس
نزلت في عمر رضي الله عنه وأصحابه حين أصابوا من أهاليهم في ليالي رمضان وستأتي قصتهم إن شاء الله وروى الكلبي عن
أبي صالح عنه قال قالت يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة
عام وأن غلظ كل سماء مثل ذلك فأنزل الله هذه الآية وقال عطاء وقتادة لما نزل قوله ادعوني أستجب لكم قال رجل
يا رسول الله كيف ندعو ربنا ومتى ندعوه فأنزل الله هذه الآية وقال الضحاك سأل بعض الصحابة رسول الله صلى الله
عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله هذه الآية وإذا سألك عبادي عني فإني قريب قال أهل
المعاني فيه إضمار كأنه فقل لهم يا محمد وأعلمهم أني قريب منهم بالعلم قوله تعالى **أجيب دعوة الداع إذا دعان**
فإن قيل ما وجه هذه الآية وقوله ادعوني أستجب لكم وقد يدعو كثير من خلقه فلا يجيب دعاءه قلنا اختلف العلماء
في ذلك فقال بعضهم معنى الدعاء هاهنا الطاعة ومعنى الإجابة الثواب كأنه قال أجيب دعوة الداعي بالثواب إذا
أطاعني وقيل معناه الخصوص وإن كان اللفظ عاما أي أجيب دعوة الداعي إن شئت وأجيب دعوة الداعي إذا وافق

النصاء وأحسن دعوة الداعي إذا كانت الإجابة له خيراً ويدل عليه ما روي عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من مسلم دعى الله تعالى بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال إما أن يعجل
دعوته وإما أن يدخر له في الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها قالوا يا رسول الله إذا نكثر قال الله أكثر •
وقال بعضهم هو عام وليس فيه أكثر من إجابة الدعوة وأما إعطاء المنية وقضاء الحاجة فليس بمذكور في الآية وقد يجيب
السيد عبده والوالد ولده ولا يعطيه سؤله فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة لأن قوله أجيب وأستجيب هو
خبر والخبر لا يعترض عليه النسخ لأنه إذا نسخ صار المخبر كذاباً تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً • ويدل على هذا التأويل
ما روي ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتح له في الدعاء فتحت له أبواب الإجابة وأوحى الله تعالى إلى داود
عليه السلام قل للظلمة لا يدعوني فإني أوجبت على نفسي أن أجيب من دعاني وإني إذا أجبت الظالمين لعنتهم وقيل
إن الله تعالى يجيب دعاء المؤمن في الوقت إلا أنه يؤخر إعطاء مراده ليدعوه فيسمع صوته يدل عليه ما روي جابر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن العبد ليدعو الله تعالى وهو يحبه فيقول يا جبريل اقض لعبدي هذا حاجته وأخرها
فإني أحب أن لا أزال أسمع صوته وإن العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول يا جبريل اقض لعبدي هذا حاجته وأعجلها
فإني أكره أن أسمع صوته • وبلغنا عن يحيى بن سعيد قال رأيت رب العزة في المنام فقلت يا رب كم أدعوك فلا تستجيب
لي فقال يا يحيى إني أحب أن أسمع صوتك • وقال بعضهم إن للدعاء آداباً وشرائط هي أسباب الإجابة ونيل الأمنية فمن
راعاها واستكملها كان من أهل الإجابة ومن أغفلها وأخل بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء وقيل ما من أحد يدعو
الله تعالى على ما توجبه الحكمة إلا وهو يجيب دعاءه والدعاء على شرط الحكمة أن تقول اللهم افعل لي كذا وكذا
إذا لم يكن مفسدة في ديني وفيما يرضيك عني • وحكي أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله قيل له ما بالنا ندعو الله عز وجل
ولا يستجيب لنا فقال لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه وعرفتم رسوله فلم تتبعوا سنته وعرفتم القرآن فلم تعملوا به وأكلتم نعمة الله
فلم تؤدوا شكرها وعرفتم الجنة فلم تطلبوها وعرفتم النار فلم تهربوا منها وعرفتم الشيطان فلم تعصوه وعرفتم الموت فلم
تستعدوا له ودفنتم الأموات فلم تعتبروا وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس قوله تعالى **فليستجيبوا لي** أي
فليجيبوا لي بالطاعة يقال أجاب واستجاب بمعنى واحد قال الشاعر وداع دعا يا من يجيب إلى الندا • فلم يستجبه
عند ذاك مجيب • وقال رجاء الخراساني معناه فليدعوا لي والإجابة من الله تعالى الإعطاء ومن العبد الطاعة وروي عن بعض
التفاسير الاستجابة أن تقول بعد صلاتك لبيك اللهم لبيك إلى آخر التلبية قوله تعالى **وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون**
الإيمان أن تقول آمنت بالله وكفرت بالجبت والطاغوت وعدك حق ولقاؤك حق وأشهد أنك واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفواً أحد وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها وأنك تبعث من في القبور قال ابن عباس ما تركت هذه الكلمات
بعد صلاة بعد ما نزلت هذه الآية • وقال الكلبي ما تركتها منذ أربعين سنة لعلهم يرشدون أي الاستجابة والإجابة بالطاعة
والانقياد في كل ما ألزمه وقوله لعلهم يرشدون أي لكي يكونوا على رجاء الرشد في مصالح الدنيا والآخرة قوله عز وجل
أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم قال المفسرون كان الرجل في ابتداء الأمر إذا أفطر حل له الطعام
والشراب والجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد قبلها فإذا صلى العشاء أو رقد قبل الصلاة ولم يفطر حرم عليه الطعام
والشراب والجماع إلى مثلها من القابلة ثم إن عمر رضي الله عنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم
نفسه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة إني رجعت إلى أهلي
بعد ما صليت العشاء الآخرة فوجدت رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت أهلي فهل تجد لي من رخصة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما كنت جديراً بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بالذي كانوا صنعوا بعد العشاء فنزل في عمر وأصحابه أحل لكم
ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم أي أبيح لكم في ليلة الصيام الرفث • وقرأ ابن مسعود والأعمش الرفوث برفع الراء والفاء
وهو والرفوث والرفث كناية عن الجماع • قال ابن عباس إن الله حيي كريم يكني كلما ذكر الله تعالى في القرآن من المباشرة
والملامسة والإفضاء والدخول فإنما يريد به الجماع قال الشاعر فظلنا هنالك في نعمة • وكل اللذاذة غير الرفث

وقال القتيبي الرفث هو الإفصاح بما يجب أن يكنى به عن ذكر النكاح وأصله الفحش في القول القبيح وقال الزجاج الرفث
كلمة جامعة لما يريده الرجال من النساء قوله تعالى **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** أي هن سكن لكم وأنتم
سكن لهن قال أكثر المفسرين ونظيره قوله تعالى وجعلنا الليل لباساً أي سكناً ودليله قوله تعالى وجعل منها زوجها
ليسكن إليها • وقال أهل المعاني اللباس الشعار الذي يلي الجلد من الثياب يسمى كل واحد من الزوجين لباساً لتجردهما عند
النوم واجتماعهما في ثوب واحد وانضمام جسد كل واحد منهما إلى جسد صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي
يلبسه • وقال بعضهم يقال لما ستر الشيء لباساً فجاز أن يكون كل واحد منهما ستراً لصاحبه عما لا يحل كما روي في الخبر من
تزوج فقد أحرز نصف دينه قوله عز وجل **علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم** أي
علم الله أنكم كنتم تظلمون أنفسكم بعضكم بجماعكم بعد العشاء الآخرة في ليالي الصوم فتجاوز عنكم ولم يعاقبكم على ذلك ومحى عنكم
ذنوبكم قوله تعالى **فالآن باشروهن** أي جامعوهن في ليالي الصوم فهو حلال لكم سميت المجامعة مباشرة لتلاصق
بشرة كل واحد منهما بصاحبه قوله تعالى **وابتغوا ما كتب الله لكم** أي واطلبوا ما قضى الله لكم من الولد قال مجاهد
إن لم تلد هذه فهذه • وقال ابن زيد وابتغوا ما كتب الله لكم أي ما أحل لكم من الجماع • وقرأ معاذ بن جبل فابتغوا ما كتب الله
لكم من الاتباع يعني ليلة القدر وكذلك روى أبو الجوزاء عن ابن عباس • وقرأ الأعمش واتوا ما كتب الله لكم أي افعلوا وأشبه الأقاويل
بظاهر الآية في تأويل قوله وابتغوا ما كتب الله لكم قول من تأوله على الولد لأنه عقيب قوله فباشروهن وهو أمر إباحة
وندب كقوله صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط • وقال أهل الظاهر هو أمر إيجاب
وحتم يدل عليه ما روى أنس بن مالك أن امرأة كان يقال لها الحولاء عطارة من أهل المدينة دخلت على عائشة رضي الله
عنها فقالت يا أم المؤمنين زوجي فلان أتزين له كل ليلة وأتطيب كأني عروس زفت إليه فإذا أوى إلى فراشه دخلت في لحافه
ألتمس رضا الله تعالى فيحول وجهه عني أراه قد أبغضني فقالت لها اجلسي حتى يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فبينما أنا
كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الريح التي أجدها هل أتتكم الحولاء ابتعتم منها شيئاً قالت عائشة
لا والله يا رسول الله فقصت عليه الحولاء قصتها فقال لها اذهبي واسمعي وأطيعي فقالت أفعل يا رسول الله فما لي من الأجر قال
ما من امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً ووضعته تريد الإصلاح إلا كتب الله لها حسنة ومحا عنها سيئة ورفع لها درجة
وما من امرأة حملت من زوجها حين تحمل إلا كتب الله لها من الأجر مثل القائم ليله الصائم نهاره والغازي في سبيل الله وما من امرأة
يأتيها طلق إلا كتب الله لها بكل طلقة عتق نسمة وبكل رضعة عتق رقبة فإذا فطمت ولدها نادى مناد من السماء أيتها المرأة قد
كفيت العمل فيما مضى فاستأنفي العمل فيما بقي قالت عائشة قد أعطي النساء خيراً كثيراً فما بالكم يا معشر الرجال فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال ما من رجل أخذ بيد امرأته يراودها إلا كتب الله له حسنة وإن عانقها فعشر حسنات وإن قبلها فعشرون
حسنة وإن أتاها كان خيراً من الدنيا وما فيها فإذا قام ليغتسل لم يمر الماء على شعرة من جسده إلا محا عنه سيئة ويعطى له
درجة ويعطى بغسله خير من الدنيا وما فيها وإن الله عز وجل يباهي الملائكة يقول انظروا إلى عبدي قام في ليلة باردة
يغتسل من الجنابة يتيقن بأني ربه أشهدوا أني قد غفرت له قوله عز وجل **كلوا واشربوا حتى يتبين لكم
الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر** هذا أمر إباحة مثل وإذا حللتم فاصطادوا وشبهه نزلت في رجل من الأنصار
يسمى صرمة بن أنس هكذا قال الكلبي • وقال معاذ بن جبل اسمه أبو صرمة بن أياس وقال عكرمة والسدي اسمه أبو قيس بن
صرمة وقال مقاتل صرمة بن أياس وكانت قصته أنه ظل نهاره يعمل في أرض له وهو صائم فلما أمسى رجع إلى أهله فدعى بالطعام
فأرادت المرأة أن تطعمه شيئاً سخناً فأخذت تعمل له سخينة وكان في ذلك الوقت من صلى العشاء أو نام حرم عليه الطعام والشراب
والجماع فلما فرغت من طبخ طعامه إذ به قد نام فأيقظته فكره أن يعصي الله تعالى ورسوله فأبى أن يأكل فأصبح صائماً
مجهوداً فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما أفاق أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جهده الصوم فلما رآه رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال له يا أبا قيس ما لك طليحاً فقال ظللت أمس في النخل نهاري كله أجر بالجرير حتى أمسيت وفي بعض النسخ أجر
الجرير حتى أمسيت وأتيت أهلي فأرادت امرأتي أن تطعمني شيئاً سخناً فأبطأت علي فنمت فأيقظوني وقد حرم الطعام والشراب

فطويت وأصبحت وقد جهدني الصوم فأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم
الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر أي كلوا في ليالي الصوم واشربوا فيها حتى يتبين لكم بياض النهار وضوءه من سواد الليل
وظلمته كذا قال المفسرون وقيل معناه حتى يتبين لكم الفجر الأول من الثاني قال الشاعر الخيط الأبيض ضوء الصبح
منفجر • والخيط الأسود جنح الليل مكتوم • وعن عدي بن حاتم قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة
والصيام فقال صل كذا وكذا وصم فإذا غابت الشمس فكل واشرب حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود
وصم ثلثين يوما إلا أن ترى الهلال قبل ذلك فأخذت خيطين من شعر أبيض وأسود وكنت أنظر فيهما فلا يتبين لي فذكرت
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه وقال يا عدي إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل وقوله
من الفجر يعني المستطير الذي ينتشر ويأخذ الأفق وهو الثاني وهو الفجر الصادق والذي تحل فيه الصلوة ويحرم فيه الطعام
على الصائم وأما الفجر الأول وهو الذي يطلع في السماء مستطيلا كذنب السرحان ولا ينتشر فذلك من الليل لا تحل فيه صلوة
الفجر ولا يحرم فيه الطعام على الصائم وهو الفجر الكاذب • وعن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الصبح المستطيل ولكن الصبح المستطير في الأفق قوله عز وجل ثم أتموا الصيام
إلى الليل قال عبد الله بن أبي أوفى كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وهو صائم فلما غربت الشمس قال
لرجل انزل فاجدح لي فقال يا رسول الله لو أمسيت قال انزل فاجدح لي فقال يا رسول الله إن علينا نهارا فقال
له الثالثة فنزل فجدح ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل الليل من هنا وأدبر النهار من هنا فقد
أفطر الصائم وفي بعض الألفاظ أكل أو لم يأكل قوله عز وجل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد
أصل العكوف الإقامة على الشيء ولزومه يقال عكف بالمكان إذا أقام به قال الله تعالى فأتوا على قوم يعكفون على
أصنام لهم أي يقيمون قال الفرزدق يصف القدور ترى حولهن المعتفين كأنهم • على صنم في الجاهلية
عكف • والاعتكاف حبس النفس في المسجد على عبادة الله تعالى • واختلف العلماء في معنى المباشرة التي هي المعتكف عنها
فقال قوم هي المجامعة خاصة ومعناه ولا تجامعوهن ما دمتم معتكفين في المساجد قاله ابن عباس وعطاء والضحاك
والربيع • وقال قتادة ومقاتل والكلبي نزلت هذه الآية في نفر من الصحابة كانوا يعتكفون في المسجد فإذا عرضت
للرجل منهم حاجة إلى أهله خرج إليها فجامعها ثم يغتسل ثم يرجع إلى المسجد فنهوا أن يجامعوا نساءهم ليلا أو نهارا
حتى يفرغوا من اعتكافهم • وقال ابن زيد المباشرة الجماع واللمس والقبلة وأنواع التلذذ والجماع مفسد للاعتكاف
بالإجماع وأما المباشرة بغير الجماع فعلى ضربين أحدهما ما يقصد به التلذذ بالمرأة فهو مكروه ولا يفسد الاعتكاف عند أكثر
الفقهاء • وقال مالك يفسده والضرب الثاني ما لا يقصد به التلذذ بالمرأة فهو مباح كما جاء في خبر عائشة رضي الله عنها
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل إليها رأسه فترجله وهو معتكف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اعتكف عشرا في رمضان كان كحجتين وعمرتين قوله تعالى تلك حدود الله أي المجامعة في الاعتكاف معصية
وقيل جميع ما في هذه الآية إلى آخرها أحكام الله فلا تقربوها يعني المباشرة في الاعتكاف وقيل أحكام الله لا تقربوها
بالخلاف كذلك يبين الله لكم هذه الأحكام أي فهكذا يبين الله للناس سائر أدلته على دينه وشرائعه وقيل سائر أوامره
ونواهيه لكي يتقوا معاصيه وحدود الله قال السدي شروط الله • وقال شهر بن حوشب فرائض الله وقال الضحاك
معصية الله وأصل الحد في اللغة المنع ومنه قيل للبواب حداد وقال الخليل بن أحمد الحد الحاجز المانع ومنه حدود
الدار والأرض وهي ما يمنع غيرها أن يدخل فيها وسمي الحديد حديدا لأنه يمنع به من الأعداء ويقال حدت المرأة وأحدت
إذا منعت نفسها من الزينة فحدود الله هي ما منع الله منها أو منع من مخالفتها والتعدي إلى غيرها قوله تعالى فلا
تقربوها أي فلا تأتوها يقال قربت الشيء أقربه وقربت منه بضم الراء أدنو منه وقوله تعالى كذلك يبين
الله آياته للناس لكي يعرفوها ويتجنبوا السخط والعذاب قوله عز وجل ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل
أكل المال بالباطل على وجهين أحدهما أخذه على وجه الظلم بالغصب والخيانة وشهادة الزور واليمين الفاجرة والثاني أخذه

من جهات محظورة مع رضا صاحبه مثل القمار وأجرة الغناء والملاهي والنائحة وثمن الخمر والخنزير والربا وأشباه
ذلك • ومعنى الآية لا يأكل بعضكم أموال بعض بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله تعالى وأصل الباطل الشيء الذاهب
الزائل يقال بطل يبطل بطولا وبطلانا إذا ذهب قوله تعالى وتدلوا بها إلى الحكام أي ولا تلقوها
إلى الحكام بالباطل فيحكم الحاكم في الظاهر مع علم المحكوم له أنه غير مستحق في الباطن وأصل الإدلاء إرسال الدلو في البئر
يقال أدلى دلوه إذا أرسلها قال الله تعالى فأدلى دلوه ودلاها يدلوها إذا أخرجها ثم جعل كل إلقاء قول
أو فعل إدلاء ومنه قيل للمحتج أدلى بحجته لأن الحجة سبب وصوله إلى دعواه كالدلو سبب وصوله إلى الماء •
واختلف النحاة في محل قوله وتدلوا بها قال بعضهم جزم لتكرير حرف النهي أي لا تأكلوا ولا تدلوا وكذلك هو في
حرف أبي بإثبات لا وقيل هو نصب على الظرف كقول الشاعر لا تنه عن خلق وتأتي مثله وقيل نصب بإضمار أن
وقال الأخفش نصب على الجواب بالواو قوله عز وجل لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون
أي لتأكلوا طائفة من أموال الناس بالظلم والجور وأنتم تعلمون أنكم مبطلون في دعواكم قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال
وليس عليه فيه بينة فيجحد المال ويخاصمهم به إلى الحكام وهو يعرف أن الحق عليه ويعلم أنه آثم آكل حرام • وقال مجاهد معنى
الآية لا تخاصم وأنت ظالم وقال الحسن هو أن يكون للرجل على صاحبه حق فإذا طلبه به دعاه إلى الحاكم فليحلف له ويذهب
بحقه • وقال الكلبي هو أن يقيم شهادة الزور • وقال شريح لبعض الخصوم إني أقضي لك وإني لأظنك ظالما ولا يسعني إلا أن
أقضي بما يحضرني من البينة وإن قضائي لا يحل لك حراما • وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر مثلكم
ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له فمن قضيت له بشيء من مال أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار قوله عز وجل
يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج نزلت هذه الآية في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاريين سألا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزداد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال
ينقص حتى يعود كما بدأ ولا يكون على حالة واحدة فأنزل الله تعالى يسألونك يا محمد عن الأهلة وعن الحكمة في نقصانها وهي جمع هلال
مثل رداء وأردية وسمي هلالا لأنه حين يرى يهل الناس بذكر الله أي يرفعون أصواتهم كما يقال أهل القوم بالحج إذا رفعوا
أصواتهم بالتلبية قوله تعالى قل هي مواقيت للناس أي هي بيان المواقيت الذي يحتاج إليها الناس في صومهم وفطرهم وعدة نسائهم
وآجال ديونهم ومدة إجاراتهم وحيض الحائض وعدة الحامل وغير ذلك أخبرهم الله تعالى عن الحكمة في زيادة القمر ونقصانه واختلاف
أحواله فلهذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حال واحد قوله والحج أي وبيان وقت حجهم فلو جعل القمر مدورا كالشمس
أبدا لم تعرف المواقيت ولا السنون ولا الشهور قوله عز وجل وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها الآية
قال المفسرون كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج لم يدخل حائطا ولا دارا ولا بيتا من بابه
فإن كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته ويتخذ سلما إليه يدخل منه ويخرج ولا يدخل من الباب فإن كان من أهل
الوبر أي الخيام والفساطيط خرج ودخل من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل في الباب ولا يخرج منه حتى يحل من إحرامه ويرون
ذلك برا إلا أن يكون الرجل من الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وخثعم وبنو عامر بن صعصعة وبنو نصر بن معاوية
سموا حمسا لتشددهم في دينهم وعلى أنفسهم فإنهم كانوا لا يستظلون أيام منى ولا يسلئون السمن ولا يأقطون الأقط والحماسة
الشدة والصلابة إلا أنهم كانوا مع هذا يدخلون البيوت من أبوابها بخلاف العرب فلما كان في زمن الحديبية أهل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة فدخل بستانا من بابه وقد خرب وهو محرم فاتبعه قطبة بن عامر السلمي من غير الحمس
فدخل معه من الباب وهو محرم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت من الباب وأنت محرم من غير الحمس فقال إني
يا رسول الله دخلت من الباب وأنت محرم فدخلت على أثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني من الحمس فقال الرجل إن كنت
أحمسيا يا رسول الله فأنا أحمسي أيضا إن ديننا واحد رضيت بهديك وسمتك يا رسول الله فأنزل الله هذه الآية وقال الزهري
كان ناس من الأنصار إذا أهلوا بالعمرة لا يستظلون بشيء ولا يدخلون البيت لئلا يحول بينهم وبين السماء شيء ما داموا محرمين
حتى كان زمن الحديبية أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل على أثره من الأنصار فقال رسول

صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لأني رأيتك يا رسول الله دخلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أحمسي والحمس
يسألون بذلك فقال الأنصاري فأنا أحمسي يعني على دينك وسنتك فأنزل الله هذه الآية وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها
أي من خلفها إذا أحرمتم قرأ حمزة والكسائي وعاصم ونافع وابن عامر وابن كثير بكسر الباء من البيوت في جميع القرآن وقرأ الباقون
بضمها قوله تعالى ولكن البر من اتقى أي ليس البر بأن تأتوا البيوت من خلفها إذا أحرمتم ولكن البر من اتقى الشرك والمعاصي
قوله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها أي ائتوا البيوت محلين ومحرمين قوله تعالى واتقوا الله لعلكم تفلحون
أي اتقوا الله في جميع أمره ونهيه ومحارمه لكي تنجوا من العقوبة وتفوزوا بالبقاء في الجنة وقد روي عن بعضهم أنه كان يقول
في هذه الآية ليس البر أن تطلبوا المعروف من غير أهله ولكن اطلبوه من أهله قوله عز وجل وقاتلوا في سبيل الله الذين
يقاتلونكم أي وقاتلوا في دين الله وطاعته الذين يقاتلونكم قال الربيع وعبد الرحمن بن زيد هذه أول آية نزلت في القتال
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه خرجوا في العام الذي أرادوا فيه العمرة فنزلوا بالحديبية قريبا من مكة والحديبية
اسم البئر فسمي ذلك الموضع باسم البئر فصدهم المشركون عن البيت فأقام بالحديبية شهرا ثم صالحه المشركون على أن يرجع عامه ذلك
على أن يخلوا له مكة من العام القابل ثلاثة أيام فيطوف وينحر الهدي ويفعل ما شاء وصالحوه على أن لا يكون بينهم وبينه قتال
إلى عشر سنين فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فلما كان العام المقبل تجهز لعمرة القضاء وكانوا يخافون أن لا تفي
قريش بذلك وكانوا يكرهون قتالهم في الأشهر الحرم وفي الحرم فأنزل الله هذه الآية ومعناها وقاتلوا في طاعة الله الذين
يبدؤونكم بالقتال ولا تعتدوا أي ولا تنقضوا العهد بالبداية بقتالهم قبل تقديم الدعوة إن الله لا يحب المعتدين
أي المجاوزين عن الحدود ولا يرضى عملهم فلما نزلت هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف
عمن كف عنه حتى نزل قوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فنسخت هذه الآية وأمر بالقتال مع المشركين كافة وقال
بعضهم هذه الآية محكمة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتال ولم ينسخ شيء من حكم هذه الآية فعلى هذا القول معنى قوله ولا تعتدوا
أي لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير ولا من ألقى إليكم السلم وكف يده عن قتالكم فإن فعلتم ذلك فقد اعتديتم وهذا قول
ابن عباس ومجاهد لمعنى الآية وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم أي الذين هم من أهل القتال دون النساء والولدان الذين
لا يقاتلون فعلى هذا القول الآية غير منسوخة وقال يحيى بن أبي كثير كتبت إلى عمر بن عبد العزيز أسأله عن قوله تعالى وقاتلوا في
سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا فكتب إلي أن ذلك في النساء والذرية والرهبان ومن لم ينصب للحرب منهم وقال
الحسن ولا تعتدوا أي لا تأتوا ما نهيتم عنه وقال بعضهم الاعتداء أن تبدؤوا بقتالهم وقال بعضهم نزلت هذه الآية والقتال
كان محظورا قبل الهجرة كما قال تعالى وجادلهم بالتي هي أحسن ثم أمر الله بالقتال عامة لمن قاتلهم ولمن لم يقاتلهم وهو قوله
تعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أميرا
أو سرية أو جيشا أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله عز وجل ومن معه من المسلمين خيرا وقال اغزوا باسم الله وفي سبيل الله
قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا قوله عز وجل واقتلوهم حيث ثقفتموهم
أي اقتلوا الذين يبدؤونكم من أهل مكة حيث وجدتموهم وأخرجوهم كما أخرجوكم من مكة قوله عز وجل والفتنة
أشد من القتل أي والشرك الذي هم فيه أعظم ذنبا من قتلكم إياهم في الحرم والأشهر الحرم والإحرام هكذا قال عامة المفسرين
وقال الكسائي الفتنة هاهنا العذاب وكانوا يعذبون من أسلم قوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى
يقاتلوكم فيه أي إذا بدأوكم بالقتال في غير الحرم ثم لجأوا إلى الحرم فكفوا عن قتالهم ولا تقاتلوهم في الحرم حتى يقاتلوكم
فيه فإن بدأوكم بالقتال في غير الحرم فاقتلوهم فيه قرأ عمر وطلحة بن مصرف ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي ولا تقتلوهم
بغير الألف من القتل على معنى ولا تقتلوا بعضهم تقول العرب قتلنا بني تميم وإنما قتلوا بعضهم وقرأها الباقون كلها بالألف من القتال
واختلفوا في حكم هذه الآية فقال بعضهم هي منسوخة وهو نهي عن الابتداء بالقتال ثم نسخ ذلك بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة وهذا قول قتادة والربيع وقال مقاتل واقتلوهم حيث ثقفتموهم أي حيث أدركتموهم في الحل والحرم لما نزلت هذه
الآية نسخها قوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ثم نسختها آية السيف التي في براءة فهي ناسخة منسوخة وقال آخرون
هذه الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم وهو قول مجاهد وأكثر المفسرين ويسمى الكفر فتنة لأنه يؤدي إلى الهلاك

كما أن الفتنة تؤدي إلى الهلاك قوله تعالى فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم أي فإن انتهوا عن القتال والكفر
فإن الله غفور لما مضى من جهلهم ولما سلف من كفرهم رحيم بهم بعد توبتهم وإسلامهم قوله عز وجل وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة أي قاتلوا المشركين حتى لا يكون شرك أي قاتلوهم حتى يسلموا وليس يقبل من المشركين الوثنيين جزية
ولا يرضى عنهم إلا بالإسلام وليسوا كأهل الكتاب الذين يؤخذ منهم الجزية والحكمة في ذلك أن مع أهل الكتاب كتبا
منزلة فيها الحق وإن كانوا قد أهملوها فأمهلهم الله بحرمة تلك الكتب من القتل وأمر بأخذ الجزية منهم ولينظروا في
كتبهم وليتدبروها فيقفوا على الحق منها فيتبعوه وأما أهل الأوثان فليس لهم كتب ترشدهم إلى الحق وكان إمهالهم زيادة
في شرهم فأبى الله أن يرضى منهم إلا بالإسلام أو القتل قوله تعالى ويكون الدين لله أي ويكون الطاعة والعبادة
لله وحده وأن لا يعبد دونه شيء قوله تعالى فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين أي فإن انتهوا عن القتال
والكفر فلا عدوان أي فلا سبيل ولا حجة في القتل في الحرم والشهر الحرام إلا على الظالمين وقال قتادة وعكرمة في هذه الآية
الظالم الذي أبى أن يقول لا إله إلا الله وإنما سمي الكافر ظالما لوضعه العبادة في غير موضعها وقيل معناه ولا عدوان إلا
على الذين يبدؤونكم بالقتال ومن الدليل أن هذه الآية غير ناسخة للأولى أنهما معا في خطاب واحد ولا يصح النسخ إلا بعد
التمكن من الفعل وقال ابن عباس فسار النبي صلى الله عليه وسلم فأخلاه له أهل مكة الحرم ثلاثة أيام يدخل هو وأصحابه وطافوا
ونحر الهدي وأقاموا بمكة حتى قضوا حاجتهم من البيت ثم رجعوا فأنزل الله قوله تعالى الشهر الحرام بالشهر
الحرام والحرمات قصاص أي الشهر الذي دخلت فيه مكة وهو ذو القعدة واعتمرت فيه أنت وأصحابك وقضيت من
مكة شيئا ووطرا بذلك في سنة سبع بالشهر الحرام وهو ذو القعدة أيضا الذي صدوك فيه عن البيت أنت وأصحابك ومنعوكم
من مرادكم في سنة ست قوله عز وجل والحرمات قصاص أي انتصفت لكم منهم في الشهر الحرام في ذي القعدة كما صدوا
في ذي القعدة من عامه والحرمات جمع الحرمة كالظلمات جمع ظلمة والحجرات جمع حجرة والحرمة ما يجب حفظه وترك انتهاكها
وإنما جمع الحرمات لأنه أراد الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الإحرام والقصاص المساواة وهو أن يفعل بالفاعل كما فعل
قوله عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم أي فمن اعتدى عليكم بالقتال
في الحرم فكافئوه وقاتلوه بمثل ما فعل ويسمى الجزاء اعتداء على مقابلة اللفظ قوله تعالى واتقوا الله واعلموا أن
الله مع المتقين أي اتقوا الله في كل ما أمرتم به ونهيتم عنه واعلموا أن الله مع المتقين بالنصر والمعونة قوله عز وجل
وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة في هذه الآية نهي عن البخل معناه تصدقوا يا أهل الميسرة
ولا تمسكوا عن الإنفاق في سبيل الله فإن البخل والإمساك عن ذلك هو الهلاك وهذا قول حذيفة والحسن وعكرمة و
الضحاك وقال ابن عباس في هذه الآية أنفق في سبيل الله وإن لم يكن لك إلا سهم واحد ولا يقولن أحدكم إني لا أجد
شيئا وقال السدي أنفق في سبيل الله ولو عقالا وقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة معناه ولا تلقوا أنفسكم فعبر
بالبعض عن الكل كقوله تعالى بما قدمت أيديكم وبما كسبت أيديكم وإنما حذف ذكر النفس [illegible] في الباء دليلا عليه والباء
زائدة كقوله تعالى تنبت بالدهن والعرب لا تقول ألقى بيده إلا في الشر ولا تعاد في التهلكة معناه ولا تمسكوا أيديكم عن
الصدقة في الجهاد فتهلكوا وقيل لا تسرفوا في الإنفاق حتى لا يبقى لكم شيء بالكلية فيتلف وقيل هو أن يخرج بين الصفين بسيفه
من غير قصد نكاية العدو وقيل معناه لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أي لا تقل ليس عندي شيء وقال الحسن إنهم كانوا
ينفقون في الغزو ولا ينفقون من أموالهم فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل لما أمر الله بالإنفاق قال رجل أمرنا بالنفقة في
سبيل الله فإن أنفقنا أموالنا بقينا فقراء ذوي مسكنة فقال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة يعني أنفقوا ولا تخشوا
العيلة فإني مخلف أرزاقكم ومخلف عليكم وعن أبي الدرداء وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر وأبي أمامة والحسن بن علي رضي
الله عنهم وعمران بن الحصين كلهم حدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته
فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه وأنفق فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية والله يضاعف لمن يشاء
وعن عكرمة أنه قال [illegible] ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أي ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقال زيد بن أسلم إن رجالا

كانوا يخرجون في بعوث يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير نفقة فإما أن يقطعوهم وإما أن يكونوا عيالا
فأمرهم الله بالإنفاق على أنفسهم في سبيل الله فإذا لم يكن عندكم ما تنفقون فلا تخرج نفسك بغير نفقة ولا قوة فيلقي بيديك إلى
التهلكة فيهلكك من الجوع أو العطش أو المشي والتهلكة مصدر بمعنى الهلاك وهو تفعلة من الهلاك ولم يجيء في كلام العرب
مصدر على تفعلة بضم العين إلا هذا. وقال بعضهم التهلكة كل شيء يصير عاقبته إلى الهلاك قوله تعالى وأحسنوا
إن الله يحب المحسنين أي أحسنوا في النفقة والإفضال على المحتاج وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنه
قال التهلكة عذاب الله يعني قوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أي لا تتركوا الجهاد فيعذبكم الله لقوله تعالى إلا تنفروا
يعذبكم عذابا أليما. وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو
مات على شعبة من النفاق. وقال ابن سيرين الإلقاء في التهلكة هو القنوط من رحمة الله. وقال أبو قلابة هو الرجل
يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة فييأس من رحمة الله وينهمك في المعاصي فنهاهم الله عن ذلك. وسئل بعضهم
عن الإلقاء باليد في التهلكة أهو الرجل يحمل على الكتيبة وهم ألف بالسيف قال لا ولكنه الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت
لا توبة لي. وقال الفضيل بن عياض في هذه الآية ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بإساءة الظن بالله وأحسنوا الظن بالله إن الله
يحب المحسنين الظن بالله عز وجل قوله عز وجل **وأتموا الحج والعمرة لله** إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك وقيل
إتمام العمرة إلى البيت وإتمام الحج إلى آخر الحج كله وقيل إتمامهما أن تكون النفقة حلالا وتنتهي عن جميع ما نهى الله عنه وقيل تجمع
ما شرع الله من المشاعر والمواقف وقيل أتموا الحج والعمرة من المواقيت قوله عز وجل **فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي**
أي إن منعتم من البيت بعد ما أحرمتم بحج أو عمرة فأردتم الإحلال فعليكم ما تيسر من الهدي قال ابن عباس أعلاه بدنة وأوسطه
بقرة وأدناه شاة يبعث المحصر بها إلى مكة ويواعدهم اليوم الذي يذبح عنه فإذا ذبح عنه حل ورجع إلى أهله ثم يقضي ما
كان أحرم به قوله عز وجل **ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله** أي لا يحلق أحدكم رأسه ولا يحل من
الإحرام حتى يبلغ الهدي الحرم أي حتى يعلم أن هديه قد ذبح عنه في الحرم قوله عز وجل **فمن كان منكم مريضا**
أي من كان مريضا من المحرمين محصرين أو غير محصرين لا يستطيع الإقامة على شرط الإحرام فيحل ويفعل شيئا مما يفعله الحلال
قبل أن يذبح عنه الهدي **أو به أذى من رأسه** أي وكان في رأسه قمل يؤذيه لا يستطيع أن يصبر عليه فحلق
رأسه فعليه فدية من صيام ثلثة أيام أو صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من تمر
أو صاع من شعير أو شاة يذبحها في الحرم روي عن كعب بن عجرة أنه قال نزلت هذه الآية في مر بي رسول الله صلى الله
عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال أيؤذيك هوام رأسك قلت نعم قال احلق رأسك وأطعم ستة مساكين لكل مسكين
نصف صاع من حنطة أو صم ثلثة أيام أو انسك نسيكة قوله تعالى **فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من
الهدي** أي فإذا أمنتم الموانع من المرض والعدو وكل مانع ويقال في الآية إضمار فتقديره فإذا أمنتم من العدو وبرئتم
من المرض فاقضوا ما كنتم أحرمتم به قبل الإحصار من حج أو عمرة قوله تعالى **فمن تمتع بالعمرة إلى الحج** من بدأ بالعمرة في أشهر
الحج وأقام بمكة في عامه للحج من غير أن يرجع إلى أهله فعليه ما تيسر من الهدي قوله تعالى **فمن لم يجد فصيام ثلثة
أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم** أي فمن لم يجد الهدي ولا ثمنه فعليه صيام ثلثة أيام في الحج يصومها قبل
يوم النحر متتابعا وسبعة فإن صام سبعة بعد ما إذا رجع إلى أهله ويقال إذا رجع من منى ويقال إذا رجع إلى ما كان عليه
أي فرغ من أمر الحج قوله تعالى **تلك عشرة كاملة** للثواب وقيل كاملة للهدي قوله تعالى **ذلك لمن
لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام** أي ذلك التمتع والهدي لمن لم يكن حاضري مكة قوله تعالى **واتقوا
الله واعلموا أن الله شديد العقاب** أي اتقوا الله في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه. وقد اختلف السلف في وجوب
العمرة فروي عن ابن مسعود والشعبي وإبراهيم النخعي أنها تطوع وبه قال أبو حنيفة وأصحابه ومالك. وعن عائشة وابن
عباس وابن عمر ومجاهد أنها واجبة وبه قال الشافعي ولا دلالة في هذه الآية على الوجوب لأن لفظ الإتمام يقتضي نفي النقصان
عنهما إذا فعلا لأن ضد التمام هو النقصان وقرئ والعمرة لله بالرفع على معنى الابتداء ومن نصب العمرة احتمل أن تكون
للابتداء لكن نصبها إتباعا للحج كذا قال الزجاج قوله تعالى **لله** وذلك فإن أهل الجاهلية كانوا يشركون في إحرامهم

كانوا يقولون لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا فأمر الله بالإخلاص
في القول والعمل لله تعالى. وأما لفظ الإحصار فقد ذكر الكسائي وأكثر أهل اللغة أن الإحصار هو أن يكون بمرض أو فقد
النفقة والحصر أن يكون بحبس عدو يقال أحصره المرض والعدو فهو محصر وحصره العدو فهو محصور وهذا على مذهبنا ثم
قال الفراء لا فرق بين الحصر والإحصار وهما شيئان في المعنى وهذا أقرب إلى مذهب الشافعي فإن عنده لا يكون
المريض محصرا ولا يكون الإحصار إلا بالعدو وأما المريض فلا يتحلل بالهدي وإن لم يقدر على الذهاب. وأنكر المبرد
والزجاج على الفراء وقالا لأن الحصر والإحصار مختلفان في المعنى ألا ترى أنك تقول حبست الرجل إذا جعلته
في الحبس وأحبسته إذا عرضته للحبس والهدي في اللغة اسم لما يهدى إلى البيت وهو جمع هدية كما يقال جدي وجد
وعن عائشة وابن عمر أنهما قالا إن الهدي إنما يكون بقرة أو بدنة وقالا في قوله فما استيسر من الهدي المراد التخيير
بين أعيان الإبل والبقر. ولا يجوز من كل شيء إلا الثني فصاعدا إلا الجذع من الضأن فإنه يجزي على ما ورد في الأضحية
وهو ما أتى له ستة أشهر والثني البالغ من كل شيء وهو عند الفقهاء في الغنم ماله سنة وفي البقر ماله سنتان وفي الإبل
ماله خمس سنين. واختلفوا في المحل المذكور في قوله حتى يبلغ الهدي محله فقال ابن مسعود وابن عباس وعطا وطاوس
ومجاهد محله منحره وهو الحرم وقال مالك والشافعي محله الموضع الذي أحصر فيه فيكون معنى حتى يبلغ الهدي محله أي
نحر الهدي فيحل كله. وظاهر الآية يقتضي أن يبلغ الهدي بعد الإحصار مبلغا لم يكن بالغا قبل ذلك ولو كان موضع الإحصار
محلا للهدي لكان بالغا محله لو قرع الإحصار وذلك إبطال الغاية المذكورة في الآية. وأما قوله في شأن الحديبية
والهدي معكوفا أن يبلغ محله فهو حجة في أن المحل هو الحرم وليس في تلك الآية بيان موضع الذبح إن كان في الحل أو الحرم
فيحتمل أن يكون الهدي كان ممنوعا عن الحرم. ولما وقع الصلح أطلقوا الهدي حتى ذبح في الحرم. وذهب أبو يوسف
ومحمد إلى أن الهدي المحصر بالحج موقت بيوم النحر وليس في هذه الآية أن المراد بالمحل الزمان لأن قوله فإن أحصرتم عائد إلى
الحج والعمرة المذكورين في أول الآية ولا خلاف أن هدي المحصر بالعمرة غير موقت بيوم النحر. وفي ظاهر قوله تعالى ولا تحلقوا
رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله دليل أن المحصر إذا لم يجد الهدي لا يحل حتى يجد الهدي فيذبح عنه. وقال عطا يصوم
عشرة أيام ويحل كالمتمتع إذا لم يجد **فصل** وإذا لم يصم الثلثة الأيام قبل يوم النحر أعني المتمتع والقارن فقد اختلفوا
في ذلك فقال عمر وابن عباس وابن جبير لا يجزيه إلا الهدي ولا يحل إلا به وهو قول أبي حنيفة وأصحابه. وقال ابن عمر وعائشة
يصوم أيام منى وهو قول مالك. وقال علي كرم الله وجهه يصوم بعد أيام التشريق وهو قول الشافعي. والفائدة
في قوله تلك عشرة كاملة أنه يجوز أن يتوهم أن البدل لا يجري مجرى المبدل في الثواب فبين الله تعالى أنه في الكمال بمنزلة المبدل أو لعله
يتوهم أن الواو فيها جاءت في القرآن بمعنى أو التي هي للتخيير كما في قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع
فربما يتوهم أن هذا مثل ذلك فأكد الله تعالى صوم العشرة كلها بقوله تلك عشرة كاملة لأن الله هو الحكيم. **فصل**
واختلفوا في حاضري المسجد الحرام فقال عطاء ومكحول هم كل من دون المواقيت إلى مكة وهو قول أبي حنيفة وأصحابه
إلا أن أبا حنيفة وأصحابه يقولون إن أهل المواقيت بمنزلة من دونها لأنهم كلهم في حكم أهل مكة يجوز لهم دخولها بغير إحرام
وقال ابن عباس ومجاهد هم أهل الحرم وقال الحسن وطاوس ونافع هم أهل مكة. وقال الشافعي هم من كان داره دون
ليلتين من مكة وذلك مقدار قرب المواقيت إلى مكة وظاهر قوله تعالى ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام يقتضي الإشارة
إلى الهدي والمتعة جميعا فلا تباح المتعة والقران لأهل المواقيت ومن دونها إلى مكة. وذهب الشافعي إلى أن قوله ذلك إشارة
إلى الهدي دون المتعة والقران يجوز عنده المتعة والقران لأهل مكة لكن لا هدي عليهم قوله عز وجل **الحج أشهر
معلومات** في هذه الآية تقدير حذف مبتدأ تقديره مدة الحج أشهر الحج معلومات ويقال الحج في أشهر معلومات مثله عدد
شهور العلماء بين أي مدة عدد هذه الشهور ومدة رواحها. واختلفوا في هذه الأشهر فقال ابن عباس وأكثر المفسرين هي
شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وأما من قال إنها شوال وذو القعدة وذو الحجة فليس باختلاف لأن كل ما يعرض في الحجة
لأن الحج كله لا محالة في بعض هذه الأشهر لا في جميعها ويجوز إضافته إلى جميع هذه الأشهر وإن كان هو في بعضها ألا ترى أنك تقول الحج
في سنة كذا وقمت يوم كذا يعني بعض المدة قوله تعالى **فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج**

أي من وجب فيهن الحج بالتلبية أو ما يقوم مقامها من ذكر أو سوق هدي فلا رفث ولا فسوق وهذا لفظه خبر ومعناه النهي كما
قوله يتربصن ويرضعن خبران لفظا أمران معنى والرفث قال ابن عباس هو مراجعة النساء بذكر الجماع والفسوق قال
ابن عمر هو ما نهى الله عنه في الإحرام واختار بعضهم هذا القول قال لأنه لو كان المراد به جميع المعاصي لكان لا يخص النهي عنها
بحالة الإحرام وقال ابن عباس وجماعة من المفسرين المراد بها جميع المعاصي وإنما خصصها بالنهي في هذه الحالة تعظيما لحرمة
هذه العبادة كما قال لا تغتب في صومك وكما قال صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وإن
جهل عليه فليقل إني صائم قوله تعالى **ولا جدال في الحج** قال بعضهم الجدال أن تجادل صاحبك حتى تغضبه أو يغضبك
وقيل كانت قريش تقف بالمزدلفة وكانت سائر العرب تقف بعرفة خارج الحرم وكان كل فريق منهم يجادل صاحبه في الموقف
فنزلت هذه الآية قوله تعالى **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** أي ما تفعلوا من أسباب الحج وترك الرفث والفسوق والجدال
يعلمه الله أي يقبله الله فيجازيكم عليه والله تعالى عالم بما يريدون أن يفعلوه ولكن المراد به يعلمه الله مفعولا وكان من قبل
يعلمه غير مفعول والمراد بهذا الحث في فعل الخير ودلالة على العدل إذ بين أنه يجازي العبد على ما يعلمه منه وإنما يجازيه على ما
يقع منه قوله تعالى **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** أي تزودوا في سفر الحج والعمرة ما تكفون به وجوهكم
عن المسألة نزلت في قوم كانوا يحجون بأهاليهم بغير زاد ويتكلون على الناس ويسمون أنفسهم المتوكلة فيقولون نحج بيت
الله ربنا والله لا يرزقنا وقيل نزلت في قوم يتركون أزوادهم ويصيبون في حجهم من أهل الطريق فأعلمهم الله تعالى أن
الزاد هو أن يتقوا ما لا يحل أن تلقوا أزوادكم وتصيرون كلا على الناس وقال في الآية تقديم وتأخير تقديره وتزودوا
من الطاعات **واتقون يا أولي الألباب** فإن خير الزاد التقوى ولا يمتنع أن يكون المراد به زاد الدنيا وزاد الآخرة
كأن الله حض على الزادين جميعا وأمر بالتزود لسفر الدنيا بالطعام ولسفر الآخرة بالتقوى وأن النجاة من مهلكات سفر الدنيا
بالزاد ومن سفر الآخرة بالعمل الصالح قال الشاعر إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ° ولاقيت بعد الموت من قد تزودا °
ندمت على أن لا تكون كمثله ° وأنك لم ترصد كما كان أرصدا ° واختلف العلماء في جواز الإحرام بالحج قبل أشهر الحج فروي عن
ابن عباس وجابر وعطاء ومجاهد وعكرمة أنهم قالوا لا يحرم الرجل قبل أشهر الحج وقال عطاء من فعل ذلك فليجعلها عمرة وقال
الشافعي تكون عمرة وعن إبراهيم النخعي جواز الإحرام بالحج قبل أشهر الحج وهو قول أبي حنيفة وأصحابه ومالك والليث والثوري
وحجتهم قوله عز وجل يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وهذا عموم في كون الأهلة كلها وقتا للحج ومعلوم أن
الأهلة ليست وقتا لأفعال الحج فوجب أن يكون حكم ذلك اللفظ مستعملا في إحرام الحج وأما قوله تعالى الحج أشهر معلومات
فيحتمل أنه توقيت لأفعال الحج فإن من قدم مكة قبل أشهر الحج محرما وطاف وسعى لم يكن السعي معتدا به في الحج وذهب
أصحابنا إلى أن قوله تعالى الحج أشهر معلومات توقيت لاستحباب الإحرام لأنه إذا قدم الإحرام على شهر الحج لم يأمن مكثه في
الإحرام واضطر إلى شيء من المحرمات **فصل** والنصب في قوله تعالى فلا رفث ولا فسوق على التبرئة وقرئ بالرفع
والتنوين وكلا الوجهين جائز في كلام العرب وأما قوله ولا جدال في الحج فأكثر القراء على نصبه ولم ينقل فيه الرفع
والتنوين إلا في رواية شاذة ومن رفع الرفث والفسوق جعل ما بعده كلاما مبتدأ قوله عز وجل **ليس عليكم
جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم** روي عن عبد الله بن عمر أن رجلا سأله فقال إني أكري إبلي إلى مكة أفيجزي
من حجي فقال ألست تلبي وتقف بعرفات وترمي الجمار قال بلى قال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثل ما سألتني
عنه فلم يجبه حتى نزل الله هذه الآية ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فقال صلى الله عليه وسلم أنتم حجاج ومعنى
الآية ليس عليكم جناح أن تطلبوا رزقا بالتجارة في أيام الحج وكان ابن عباس يقرؤها ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من
ربكم في مواسم الحج وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عرفة غفر الله للحاج
الخالص وإذا كان ليلة المزدلفة غفر الله للتجار وإذا كان يوم منى غفر الله للجمالين وإذا كان عند جمرة العقبة غفر الله
للسؤال ولا يشهد ذلك الموقف خلق ممن قال لا إله إلا الله إلا غفر الله له قوله عز وجل **فإذا أفضتم من عرفات
فاذكروا الله عند المشعر الحرام** معناه إذا دفعتم من عرفات فاذكروا الله باللسان عند المشعر الحرام وهو الجبل الذي
يقف عليه الناس بالمزدلفة قوله تعالى **واذكروه كما هداكم** أي اذكروه بالثناء والتوحيد والشكر ذكرا مثل
هدايته إياكم أي ذكرا يكون جزاء لهدايته قوله تعالى **وإن كنتم من قبله لمن الضالين** أي وإن كنتم من قبل هدايته

إياكم لمن الضالين عن الهدى وقيل إن المراد بالذكر الأول في هذه الآية صلاة المغرب والعشاء التي يجمع بينهما في وقت العشاء
بالمزدلفة والمراد بالذكر الثاني هو الذكر المفعول بالمزدلفة غداة جمع في وقفة فعلى هذا يكون الذكر الأول والثاني
وقد تسمى الصلاة ذكرا على معنى أن الذكر ركن من أركانها والإفاضة عن الدفع بالكثرة يقال أفاض القوم في الحديث إذا
اندفعوا فيه وأكثروا التصرف وأفاض الرجل إناءه إذا صبه وفاض الإناء إذا انصب منه الماء للامتلاء وأفاض البعير بجرته
إذا رمى بها متفرقة كثيرة وعرفات جمع عرفة وهي مكان واحد ذكرها بلفظ الجمع وأراد به جميع أجزائها وسميت عرفات
لأن إبراهيم عرفها بنعتها من الأرض وقيل سميت بذلك لأن آدم وحواء تعارفا بها بعد الافتقاد وقيل لأن جبريل عرفها إبراهيم عليه
السلام ليقف عليها حين كان يعلمه أمر المناسك فقال إبراهيم عرفت وقال بعضهم سميت بذلك لأن الناس يعترفون فيها بذنوبهم
على ذلك الموقف بذنوبهم وقيل مأخوذ من العرف وهو الطيب وقال الله تعالى عرفها لهم أي طيبها قوله تعالى **ثم أفيضوا
من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم** قال عامة المفسرين كانت قريش وحلفاؤها ومن
دان بدينها وهم الحمس لا يخرجون من الحرم إلى عرفات وكانوا يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله وسكان حرمه فلا نخلف
الحرم ولا نخرج منه ولسنا كسائر الناس وكانوا يستعظمون أن يقفوا مع سائر العرب فإذا وقفوا بعض ... تعظموا إلا الحرم
فإنهم إن عظموا غير الحرم تهاون الناس بحرمكم فيقفون بجمع فإذا أفاض الناس من عرفات أفاضوا من المشعر وهو المزدلفة فأمرهم
الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منها إلى المزدلفة مع سائر الناس فيكون المراد بالإفاضة في هذه الآية على هذا القول الإفاضة
من عرفات وكان سائر الناس غير الحمس يقفون بعرفات فأنزل الله هذه الآية وأمر قريشا وغيرهم من الحمس أن يقفوا بعرفة
مع الناس ويدفعوا منها معهم وإنما ذكر الناس وأمرهم بالإفاضة من حيث أفاض الناس لأن قريشا ومن دان دينها كانوا
قليلا بالإضافة إلى سائر الناس قوله تعالى ثم أفيضوا على هذا القول راجع إلى أول الكلام كأنه قال فمن فرض فيهن الحج
فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام
فيكون في الآية تقديم وتأخير ويكون ثم للإضافة عطفا على الأخبار دون الإضافة من عرفات كأنه قال أخبركم ...
الله ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس على هذا القول جمهور المفسرين وقال الضحاك معنى الآية ثم أفيضوا من المزدلفة
التي يفيض منها قريش وإنما ذهب الضحاك إلى أن المراد بالإفاضة في هذه الآية الإفاضة من المزدلفة لأن الله تعالى عطف
هذه الآية على الإفاضة من عرفات فعلم أن المراد بهذه الإفاضة من المزدلفة إلا أن عامة المفسرين على الوجه الأول والمراد
بقوله من حيث أفاض الناس هم العرب كلهم غير الحمس وقال الكلبي هم أهل اليمن وقال الضحاك الناس هنا إبراهيم عليه السلام
وحده لأنه كان الإمام المقتدى به فسماه الله ناسا كما قال تعالى في آية أخرى إن إبراهيم كان أمة وقد يسمى الرجل الواحد
باسم الناس كما قال تعالى أم يحسدون الناس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وكذلك قوله الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود
الأشجعي إن الناس قد جمعوا لكم يعني أبا سفيان وإنما يقال هذا لمن هو يقتدى به أو يكون لسان قومه وقال
الزهري الناس هاهنا آدم وذلك لأنه نسي ما عهد إليه قال الله تعالى ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي قوله تعالى
واستغفروا الله إن الله غفور رحيم أي استغفروا الله مما كان من ذنوبكم أي في مواطن الحج فإن الدعاء في تلك المواطن جدير
بالإجابة وقال بعضهم هذا خطاب للحمس أمرهم الله بالاستغفار مما كان منهم في الجاهلية من مخالفة إبراهيم وترك الوقوف
بعرفات إن الله غفور لذنوب العباد إذا تابوا رحيم بهم بعد التوبة ويقال معناه أن الله غفور رحيم للحاج وعن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجاج والعمار وفد الله تعالى إن دعوا أجابهم وإن استغفروه غفر لهم وقال
صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وقد اختلف العلماء في الوقوف بالمزدلفة فذهب أكثرهم إلى أنه
ليس بركن على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قدم ضعفة أهله بليل وفي بعض الأخبار أنه قدم أغيلمة من بني عبد
المطلب بليل ويجعل الحطم بيده ويقول أي بني لا ترموا جمرة العقبة حتى تصبحوا فلو كان الوقوف بها فرضا لما رخص لهم في تركه
للضعيف كالوقوف بعرفة قوله عز وجل **فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا**
أي إذا فرغتم من عبادتكم فاذكروا الله عز وجل بالخير كذكركم آباءكم بل أشد ذكرا وذلك أنهم كانوا يقفون بعد قضاء

استعارهٔ مکنیه استعارهٔ ترشیحیه

ویاخود فقیره ویردکده نیت ایلدم
مالمك زکوتك ویرمکه دیه ودخی
تجدید ایمان ودخی هرکون
ایمانلرین یکلیلر دیلرکه یاربّ
اکر بندن کلمهٔ کفر وشرك
وخطا وکناه صادر اولدیسه توبه
اندم ورجوع اندم دین اسلام
قبول اندم حضرت محمّد علیه
السّلام سنك جانبندن هرنه
کتوردیسه ایناندم حقدر وکرچك
الله تعالی یه ایناندم والله تعالیدن
کلن نسنیه الله تعالینك مرادی
اوزره ایناندم وپیغمبرلره ایناند

ویغمبرلردد

أي من وجب فيهن الحج بالتلبية أو ما يقوم مقامها من ذكر أو سوق هدي فلا رفث ولا فسوق وهذا لفظ خبر معنى النهي كما في
قوله يتربصن ويرضعن خبران لفظا أمران معنى والرفث قال ابن عباس هو مراجعة النساء بذكر الجماع والفسوق قال
ابن عمر هو ما نهى الله عنه في الاحرام واختار بعضهم هذا القول وقال لو كان المراد به جميع المعاصي لكان لا يخص النهي عنها
بحالة الاحرام وقال ابن عباس وجماعة من المفسرين المراد بها جميع المعاصي وفائدة تخصيص حالته هذه بالنهي تعظيم حرمة
هذه العبادة كما قال لا تعث في صومك وكما قال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وان
جهل عليه فليقل اني صائم قوله تعالى ولا جدال في الحج قال بعضهم الجدال أن تجادل صاحبك حتى تغضبه أو يغضبك
وقيل كانت قريش تقف بالمزدلفة وكانت اليمن وربيعة تقف بعرفة خارج الحرم وكان كل فريق منهم يجادل صاحبه في الموقف
فنزلت هذه الآية قوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله أي ما تفعلوا من أسباب الحج وترك الجدال والرفث والفسوق في الحج
يعلمه الله أي يقبله الله ويشكر ويجزيكم عليه والله تعالى عالم بمن يريدون أن يفعلوا ولكن المراد به يعلمه الله مفعولا وكان من قبل
يعلمه غير مفعول والمراد بهذا الحث في فعل الخير ودليله على العدل اذ بين انه يجازي العبد على ما يعلم منه وانما يجازيه على ما
يقع منه قوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى أي تزودوا في سفر الحج والعمرة ما تكفون به وجوهكم
عن المسئلة نزلت في قوم كانوا يحجون بلا زاد ويتكلون على الناس ويسمون أنفسهم المتوكلة يقولون نحج بيت
الله ربنا والله لا يرزقنا وقيل نزلت في قوم يتركون أزوادهم ويصيبون في حجهم من أهل الطريق ظلما فبين الله تعالى ان
الزاد هو أن يتقوا ما لا يحل [illegible] أن تلقوا أزوادكم وتصيرون كلا على الناس ويقال في الآية تقديم وتأخير تقديره وتزودوا
من الطاعات واتقون يا أولي الألباب فان خير الزاد التقوى ولا يمتنع أن يكون المراد به زاد الدنيا وزاد الآخرة
كان الله حض على الزادين جميعا وأمر بالتزود لسفر الدنيا بالطعام ولسفر الآخرة بالتقوى وان النجاة من هلاك سفر الدنيا
بالزاد ومن سفر الآخرة بالعمل الصالح قال الشاعر اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله وانك لم ترصد كما كان أرصدا واختلف العلماء في جواز الاحرام للحج قبل أشهر الحج فروي عن
ابن عباس وجابر وعطاء ومجاهد وعكرمة انهم قالوا لا يحرم الرجل قبل أشهر الحج وقال عطاء من فعل ذلك فليجعلها عمرة وقال
الشافعي تكون عمرة وعن ابراهيم النخعي جواز الاحرام للحج قبل أشهر الحج وهو قول أبي حنيفة وأصحابه ومالك والليث والثوري
واحتجوا بقوله عز وجل يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وهذا عموم في كون الأهلة كلها وقتا للحج ومعلوم ان
الأهلة ليست ميقاتا لفعال الحج فوجب أن يكون حكم ذلك اللفظ مستعملا في احرام الحج وأما قوله تعالى الحج أشهر معلومات
فيحتمل انه توقيت لفعال الحج فان من قدم مكة قبل أشهر الحج محرما وطاف وسعى لم يكن السعي محسوبا في الحج وذهب بعض
أصحابنا الى ان قوله تعالى الحج أشهر معلومات توقيت لاستحباب الاحرام لانه اذا قدم الاحرام على شوال أمتد مكثه في
الاحرام واضطر الى شيء من المحرمات فصل والنصب في قوله تعالى فلا رفث ولا فسوق على التبرية وتقرأ بالرفع
والتنوين وكلا الوجهين جائز في كلام العرب وأما قوله ولا جدال في الحج فأكثر القراء على نصبه ولم ينقل فيه الرفع
والتنوين الا في رواية شاذة ومن رفع الرفث والفسوق جعل ما بعده كلاما مبتدأ قوله عز وجل ليس عليكم
جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم روي عن عبد الله بن عمر أن رجلا سأله فقال اني أكري ابلي الى مكة أتجوز
لي حجي فقال ولست تلبي وتقف وترمي الجمار قال بلى قال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثل ما سألتني
عنه فلم يجبه حتى أنزل الله هذه الآية ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فقال صلى الله عليه وسلم انتم حجاج وفي
الآية ليس عليكم جناح أن تطلبوا رزقا في التجارة في أيام الحج وكان ابن عباس يقرؤها ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من
ربكم في مواسم الحج وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم عرفة غفر الله للحاج
الخالص واذا كان ليلة المزدلفة غفر الله للتجار واذا كان يوم منى غفر الله للجمالين واذا كان عند جمرة العقبة غفر الله
للسؤال ولا يشهد ذلك الموقف خلق ممن يقول لا اله الا الله الا غفر الله له قوله عز وجل فاذا أفضتم من عرفات
فاذكروا الله عند المشعر الحرام معناه اذا دفعتم من عرفات فاذكروا الله باللسان عند المشعر الحرام وهو الجبل الذي
يقف عليه الناس بالمزدلفة قوله تعالى واذكروه كما هداكم أي اذكروه بالثناء والتوحيد والشكر كما
هداكم اياكم أي ذكرا يكون جزاء لهدايته قوله تعالى وان كنتم من قبله لمن الضالين أي وان كنتم من قبل هدايته

[illegible]

شيلردن كندولى حفظ اتمك
ودخى تيمك فرضلرى
اوجدر اولى نيت اتمك
ايكنجى اللرين يالك طبراغه
اوروب يوزينه قبليو مسح اتمك
اوجنجى يره بر دخى اوروب
ايكى قوللرينه قبليو مسح اتمك
ودخى حجك فرضلرى اوجدر
اولى نية احرام ايكنجى عرفاتده
وقفيه دورمق اوجنجى طواف
زيارت اتمك ودخى زكوتك
فرض بردر نية ايلمك يعنى
مالنى حساب ايدوب ايردقده

[illegible]

قوله تعالى ولا جدال في الحج [illegible]

قوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله [illegible]

قوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى [illegible]

قوله عز وجل ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم [illegible]

قوله عز وجل فاذا افضتم من عرفات [illegible]

قوله تعالى واذكروه كما هداكم [illegible] وان كنتم من قبله لمن الضالين [illegible]

المناكر بين المسجد الذي بمنى وبين الجبل يعني يتعدون لهم الأشعار ويتفاخرون بذكر فضائل آبائهم يقول أحدهم يا رب
ان عبدك فلانا يعني أباه كان يفعل كذا وكذا من الخير فأمرهم الله تعالى أن يذكروه هو الذي فعل ذلك الخير إلى آبائهم
وان أياديه عندهم أكبر وأعظم من أيادي آبائهم روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم [illegible]
ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بآبائها إن الناس من آدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي
إلا بالتقوى ثم تلا يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية • وقال بعضهم معناه اذكروا الله بالتوحيد كما تذكرون
آباءكم بذلك فإنكم لا ترضون أن تنسبوا إلى أبوين وكذلك لا ترضون من أنفسكم باتخاذ إلهين وعن عطاء والربيع
والضحاك في قوله تعالى كذكركم آباءكم هو كقول الصغير أول ما يفقه الكلام أبه أبه أي استغيثوا بالله وافزعوا
إليه في جميع أموركم كما يفزع الصغير إلى أبيه في جميع أموره ويلهج بذكره • وعن أبي الجوزاء قال قلت لابن عباس رضي الله عنهما
أخبرني عن قول الله تعالى فاذكروا الله كذكركم آباءكم وقد يأتي على الرجل اليوم لا يذكر أباه قال ابن عباس ليس
كذلك ولكن أن تغضب لله إذا عصي أشد من غضبك لوالديك إذا شتما • وأما وجه نصب أشد فقال الأخفش اذكروه ذكرا
أشد ذكرا • وقال الزجاج هو في محل الخفض ولكنه لا ينصرف لأنه صفة على وزن أفعل ونصب ذكرا على التمييز قوله
عز وجل **فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق** نزلت في مشركي قريش كانوا يقولون
في دعائهم في الحج اللهم ارزقنا إبلا وبقرا وغنما وعبيدا وإماء وأموالا ولم يكونوا يسألون لأنفسهم التوبة والمغفرة كانوا
لا يرجون إلا نعيم ثواب الدنيا ولا يخافون البعث والنشور فبين الله تعالى بقوله وما له في الآخرة من خلاق أي من نصيب ولا
ثواب والمعنى في الآخرة • وقال أنس بن مالك كانوا يطوفون بالبيت عراة فيدعون ويقولون اللهم اسقنا المطر وأعطنا على
عدونا الظفر • وقال قتادة هذا عبد نيته الدنيا لها عمل ولها نصب فهي همه وسؤله وطلبه ثم بين الله تعالى دعاء
المؤمن بقوله عز وجل **ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب
النار** واختلفوا في معنى الحسنتين فقال علي كرم الله وجهه آتنا في الدنيا حسنة أي المرأة الصالحة وفي الآخرة
حسنة الحور العين وقنا عذاب النار المرأة السوء • وقال الحسن معناه آتنا في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة • وقال
السدي معناه آتنا في الدنيا رزقا حلالا واسعا وعملا صالحا وفي الآخرة مغفرة وثوابا • وقال عطية معناه آتنا في الدنيا العلم
والعمل به وفي الآخرة تيسير الحساب ودخول الجنة • وقال مجاهد هذه الحسنة النعمة كأنهم سألوا الله نعمة الدنيا وأن يقيهم
عذاب النار • وقيل معناه آتنا في الدنيا التوفيق والعصمة وفي الآخرة النجاة والرحمة • وقيل معناه آتنا في الدنيا أولادا أبرارا
وفي الآخرة مرافقة الأنبياء • وقيل معناه آتنا في الدنيا المال والنعمة وفي الآخرة تمام النعمة وهو الفوز من النار ودخول
الجنة • وقيل معناه آتنا في الدنيا الدين واليقين وفي الآخرة اللقاء والرضا • وقيل معناه آتنا في الدنيا الثبات على الإيمان
وفي الآخرة السلامة والرضوان • وقيل معناه آتنا في الدنيا الإخلاص وفي الآخرة الخلاص • وقيل معناه آتنا في الدنيا حلاوة
الطاعة وفي الآخرة لذة الرؤية • وقال قتادة معناه آتنا في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية ودليل ذلك ما روى أنس
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد مريضا قد أضنى ونحل جسمه حتى صار كالفرخ المنتوف فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشيء وتسأله شيئا قال كنت أقول اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال
سبحان الله إذا لا تستطيعه ولا تطيقه إنك ضعيف لا تستطيع أن تقوم لعذاب الله هلا قلت ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فدعا الرجل بذلك فشفاه الله عز وجل وأبرأه من مرضه • وقال سهل بن عبد الله
معنى الآية ربنا آتنا في الدنيا السنة وفي الآخرة الجنة • وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال عند الركن اليماني ملك قائم
منذ خلق الله السموات والأرض يقول آمين فإذا مررتم به فقولوا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب
النار • وقال عوف في هذه الآية من آتاه الله الإسلام والقرآن وولدا فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة •
روي أن قوما قالوا لأنس بن مالك ادع لنا فقال ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا
زدنا فأعادها فقالوا زدنا فأعادها فقال ما تريدون قد سألت لكم الله خير الدنيا والآخرة •

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة

حزب

قال أنس وكان النبي صلى الله عليه وسلم أكثر أن يدعو بها يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
عذاب النار قوله عز وجل **أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب** معناه إن الذين يسألون
الله تعالى الدنيا والآخرة لهم حظ ونصيب مما كسبوا من الثواب الخير والجزاء بما كسبوه في حجهم وفي هذا بشارة باستجابة الله
دعاءهم على القطع • وعن ابن عباس في هذه الآية أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبي مات ولم يحج أفأحج عنه
قال أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته أما كان ذلك يجزي قال نعم قال فدين الله أحق أن يقضى قال فهل لي من أجر
فأنزل الله عز وجل أولئك لهم نصيب مما كسبوا يعني من حج عن ميت كان الأجر بينه وبين الميت • وقال سعيد بن جبير
جاء رجل إلى ابن عباس فقال إني أكريت دابتي واشترطت عليهم أن أحج فهل يجزيني ذلك قال أنت من الذين قال الله فيهم
أولئك لهم نصيب مما كسبوا قوله تعالى والله سريع الحساب يعني إذا حاسب فحسابه سريع لا يحتاج إلى عقد يد ولا وعي صدر
ولا روية ولا فكر • وقال الحسن أسرع من لمح البصر وفي الخبر أن الله تعالى يحاسب العباد في قدر حلب شاة وإن محاسبة
الله تعالى ليست كمحاسبة الناس بعضهم لبعض يحاسبهم جميعا في لحظة واحدة يظن كل واحد أنه يحاسبه خاصة لا يشغله
شيء عن شيء • ومعنى الحساب تعريف عباده مقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره إياهم ما قد نسوه يدل عليه قوله تعالى
يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه • وقيل معناه سريع الحساب أي سريع المجازاة وفيه إخبار عن قرب
فناء الدنيا وقيام الساعة قوله تعالى **واذكروا الله في أيام معدودات** يعني اذكروا الله تعالى بالتكبير
أدبار الصلوات وعند الجمرات يكبر مع كل حصاة وغيرها من الأوقات واختلفوا في الأيام المعدودات فروي عن ابن عباس والحسن
ومجاهد وعطاء والضحاك والنخعي أن الأيام المعدودات أيام التشريق والأيام المعلومات أيام العشر من ذي الحجة وهكذا
روي عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد وروي أيضا عن ابن عباس أن الأيام المعدودات أيام العشر والأيام المعلومات أيام النحر
وأشكل أن في هذه الرواية غلطا وفيه خلاف الكتاب لأن الله تعالى عقب الأيام المعدودات بقوله فمن تعجل في يومين فلا
إثم عليه وليس في العشر حكم يتعلق بيومين دون الثالث • وعن أبي يوسف أن المعلومات أيام النحر والمعدودات أيام التشريق
وقال هذا القول أسد لأجل الآيتين لأن الله تعالى قال في ذكر الأيام المعلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام • وقال في هذه
الآية فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه يوم النحر على هذه الرواية من المعلومات دون المعدودات وآخر أيام التشريق من المعدودات
دون المعلومات واليوم الثاني والثالث من أيام النحر من المعلومات والمعدودات جميعا والجواب عن استدلال أبي يوسف
من الآيتين أن لفظ المعلومات يقتضي الشهرة ولفظ المعدودات يقتضي تقليل العدد كما في قوله تعالى دراهم معدودة
فاقتضى الظاهر أن المعدودات أقل من المعلومات ويحتمل أن يكون معنى على ما رزقهم من بهيمة الأنعام لما رزقهم كما قال
الله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم أي لما هداكم ويكون الله تعالى أراد بالمعلومات أيام العشر لأن فيها يوم النحر ويكون ذلك
اليوم تكرارا يشتمل عليه أياما • وأما الذكر المذكور في هذه الآية فهو الذكر عند رمي الجمار في أيام التشريق • وقال بعضهم هو
التكبير في أدبار الصلوات في هذه الأيام يكبر من صلاة الغداة من يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق عند جماعة من
الفقهاء والتأويل الأول أصح وأقرب إلى ظاهر القرآن لأن الله تعالى عقب الذكر في هذه الآية بقوله **فمن تعجل في يومين
فلا إثم عليه** أي من تعجل الرجوع إلى أهله فلا إثم عليه في ترك الرمي في اليوم الثالث ومن تأخر إلى آخر النفر وأقام هنالك
في اليوم الثالث فلا إثم عليه قوله تعالى **لمن اتقى** أي لمن اتقى الإثم والفسوق والتفريط في حقوق الحج كلها وأما من لم يتق
فغير موعود له الثواب • وقال ابن عمر وابن عباس وعطاء وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك والنخعي والسدي معنى الآية
فمن تعجل في يومين من أيام التشريق فنفر في اليوم الثاني فلا إثم عليه في تعجيله ومن تأخر عن النفر في اليوم الثاني من أيام التشريق
إلى اليوم الثالث حتى ينفر في اليوم الثالث فلا إثم عليه في التأخير فإن لم ينفر في اليوم الثاني وأقام حتى تغرب الشمس فليقم إلى
الغد من اليوم الثالث فيرمي الجمار لينفر مع الناس • وقال بعضهم معنى الآية فمن تعجل في يومين فهو مغفور له لا إثم عليه ولا ذنب
ومن تأخر فكذلك وهو قول علي بن أبي طالب وأبي الدرداء وابن مسعود والشعبي • قال معاوية بن قرة خرج من ذنوبه كيوم
ولدته أمه • وقال [illegible] بن يحيى سألت مجاهدا عن ذلك فقال معناه فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه أيضا إلى قابل ومن تأخر فلا إثم

عليه أيضا إلى قابل لقوله تعالى لمن اتقى وقال الكلبي معناه لمن اتقى قتل الصيد فإنه لا يحل له أن يقتل صيدا حتى يخلو أيام
التشريق. وقال قتادة معناه لمن اتقى أن يصيب في حجه شيئا مما نهي عنه. وقال أبو العالية معناه فلا إثم عليه فيما بقي
من عمره وكان ابن مسعود يقول إنما جعل مغفرة للذنوب لمن اتقى في حجه. قال ابن جريج وهي في مصحف عبد الله فلا إثم
عليه لمن اتقى. وعن ابن عباس معناه لمن اتقى عبادة الأوثان ومعاصي الله. فإن قيل كيف قال الله تعالى ومن تأخر فلا إثم
عليه ومعلوم أن من تأخر فإنما تأخر والإقامة واجب فلا يليق بحاله أن يقال فلا إثم عليه بل يليق أن يقال ومن تأخر كان أعظم
أجرا قيل هذا على مقابلة الكلام. وقيل إن رمي الجمار لا يجوز أن يكون تطوعا إذا اشتغل به يكون عابثا فلما قال الله تعالى
فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه أوهم ذلك كون الرمي في ذلك اليوم الثالث تطوعا لأن هذا تخيير بين فعله وتركه فقال تعالى
ومن تأخر فلا إثم عليه ليبين أن هذا واجب خير بين فعله وتركه **فصل** والأيام المسماة في الحج ستة أيام يوم التروية ويوم
عرفة ويوم النحر ويوم القر ويوم النفر ويوم الصدر. وسمي يوم التروية لأن جبريل قال لإبراهيم عليهما السلام فيه احمل
ريك من الماء وأما عرفة فقد ذكرنا لم سمي به ويوم النحر معلوم ويوم القر لاستقرار الناس بمنى ويوم النفر لأنهم ينفرون من منى
إلى مكة ويوم الصدر يصدرون إلى أهاليهم ورمي الجمار مشروع في يوم القر والنفر والصدر وهي أيام التشريق قوله عز وجل
واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون هذا أمر لهم بالتقوى في مستقبل أعمارهم أي لا تتكلوا فيما أسلفتم من أعمال
البر ولكن تدوموا في الطاعة فيما بقي من العمر. وقوله تعالى واعلموا أنكم إليه تحشرون أي في الآخرة يجازيكم بأعمالكم إذ الحشر إليه هو
المجازاة ومن تصور أنه لا بد من حشره ومحاسبته ومسائلته ولا بد من أحد الأمرين إما الجنة وإما النار يدعوه ذلك إلى التقوى
والتشديد والحشر في اللغة هو الجمع للناس من كل ناحية والمحشر هو المجمع فيكون معنى الآية واعلموا أنكم إليه تحشرون أي تجمعون
قوله عز وجل **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام** قال
ابن عباس نزلت هذه الآية في الأخنس بن شريق كان حسن المنظر حلو الكلام فاجر السريرة طلقا وأشد الخصومة في الباطل وكان
يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فيظهر له الحسن ويحلف بالله أنه يحبه ويتبعه على دينه وكان صلى الله عليه وسلم يسمع كلامه فيعجبه
وكان يدنيه من مجلسه فأظهر الله تعالى على نفاقه. ومعنى الآية ومن الناس من يعجبك كلامه وحديثه أي تفرح بإظهاره الإيمان
ويقسم بقوله ويشهد الله على ما في قلبه أي يقول الله شهيد على ما في قلبي كما هو على لساني من الإيمان وقوله تعالى وهو ألد الخصام
أي شديد الخصومة جدلا بالباطل والألد مأخوذ من لديدي العنق وهما صفحتاه وتأويله أن خصمه في أي وجه أخذ من أبواب
الخصومة من يمين وشمال غلبه في ذلك قوله عز وجل **وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل
والله لا يحب الفساد** أي إذا أعرض عنك الأخنس يا محمد وفارقك أسرع مشيا في الأرض ليعصي فيها ويقتل المؤمنين ويهلك
ما قدر عليه من زرع ونسل والله لا يحب الفساد. روي أن الأخنس خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم فمر بزرع فأحرقه
وبحمار فعقره فنزلت هذه الآية بما فيها من الوعيد وصارت عامة في جميع المفسدين. وقيل معنى الآية ليفسد فيها أي يوقع الفتنة
بين الناس فيشغلوا عن الزراعة وعن أعمالهم فيكون في ذلك هلاك الحرث والنسل وقيل يخيف الناس حتى يهربوا من شره فيمتنع الصلاح
وينقطع نسل الناس والدواب وفي هذه الآية تحذير من الاغترار بظاهر القول وما يبديه الرجل من حلاوة المنطق وأمر بالاحتياط
في أمر الدين والدنيا حتى لا يقتصر على ظاهر أمر الإنسان خصوصا فيمن هو ألد الخصام ومن ظهر شغبه دخل الريبة ولهذا قالوا
إن علينا استبراء حال من نراه في الظاهر أهلا للقضاء والشهادة والفتيا والإمامة وأن لا نقبلهم على ظاهرهم حتى نسأل عنهم
ونبحث عن أمرهم إذ قد حذر الله تعالى منا لهم في توليتهم على أمور المسلمين ألا ترى أنه عقبه بقوله وإذا تولى سعى في الأرض
ليفسد فيها فيحتمل أن يكون المراد بالتولي أمرا من أمور المسلمين فأعلم الله بهذه الآية أنه لا يجوز الاقتصار على الظاهر دون
الاحتياط والاستبراء قوله عز وجل **وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم** أي إذا قيل لهذا المنافق احذر
عقوبة الله ولا تفسد أخذته الحمية والأنفة بسبب الإثم الذي فيه والكفر الذي في قلبه يعني أنه يتكبر وذلك لا يليق بمن قيل
له اتق الله وقيل حملته العزة على فعل ما يوجب الإثم وقوله تعالى **فحسبه جهنم** أي كفاه النار في الآخرة
عقوبة ونكالا قوله تعالى **ولبئس المهاد** أي لبئس القرار والمهاد الفراش الموطأ للنوم كما يمهد للطفل فلما كان المعذب

يلقى في النار جهنم جعل ذلك مهادا له على معنى أن جهنم للكافر مكان المهاد للمؤمن في الجنة ويحكى أن يهوديا كانت له حاجة
إلى هارون الرشيد فاختلف إلى بابه زمانا فلم يقض حاجته فوقف يوما على الباب فلما خرج هارون سعى بين يديه فقال له اتق الله
يا أمير المؤمنين فنزل هارون عن دابته وخر ساجدا لله فلما رفع رأسه أمر بحاجته فقضيت فقيل له يا أمير المؤمنين نزلت
عن دابتك لقول يهودي قال لا ولكن ذكرت قول الله وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم قوله عز وجل
ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله قال ابن عباس نزلت هذه الآية في صهيب بن سنان وعمار بن ياسر
وأمه سمية وأبيه ياسر وبلال وخباب بن الأرت وغيرهم أخذهم المشركون في طريق مكة يعذبونهم فأما صهيب فقال لهم إني شيخ
كبير لا يضركم أمنكم كنت أو من عدوكم أعطيكم مالي ومتاعي وذروني وديني اشتريته منكم بمالي ففعلوا فأعطاهم ماله وتوجه
إلى المدينة فلما دخل المدينة لقيه أبو بكر رضي الله عنه فقال ربح البيع يا صهيب فقال وبيعك لا يخسر وما ذاك يا أبا بكر فأخبره
بما نزل فيه وهو قوله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله. وأما سمية وياسر فقتلا وكانا أول قتيلين قتلا من المسلمين
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما بمكة اصبروا يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة. وأما الآخرون فإنهم أعطوا على العذاب
بعض ما أراد المشركون من كلمة الكفر وسب الإسلام وكانت قلوبهم مطمئنة بالإيمان فتركوا وقدموا المدينة وفيهم نزل قوله
تعالى من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ومعنى قوله ومن الناس من يشري نفسه على هذا التأويل الذي
ذكرناه ومن الناس من يشتري نفسه ودينه بماله. وعن عمر وعلي رضي الله عنهما أنهما قالا في هذه الآية هي الرجل يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر فيقتل عليه فعلى هذا معنى قوله يشري نفسه أي يبيع نفسه أي يبذلها في الجهاد في سبيل الله وهذا من أسماء الأضداد
قال الشاعر: وشريت بردا ليتني * من بعد برد كنت هامه. أي هلكت قوله تعالى ابتغاء مرضات الله نصب
على أنه مفعول له كأنه قال لابتغاء مرضات الله وقوله تعالى **والله رؤوف بالعباد** أي رحيم بهم يرغبهم في الخير
ويثيبهم عليه رأفة بهم ويقال إنه لرأفته بهم ورحمته أمرهم ببيع أنفسهم لكي ينالوا من جزيل ثوابه ما هو خير لهم قوله عز وجل
يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة قال ابن عباس نزلت هذه الآية فيمن أسلم من أهل الكتاب عبد الله
بن سلام وأصحابه وذلك أنهم عظموا السبت وكرهوا لحوم الإبل وألبانها واتقوا أشياء كانوا اتقوها قبل أن يسلموا وقالوا يا رسول
الله إن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها في صلاتنا بالليل فأنزل الله هذه الآية وأمرهم أن يدخلوا في جميع شرائع محمد صلى الله
عليه وسلم ومعناها يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة أي في الإسلام ولا تخالفوا في أحكام الدين وأعماله وأصله من الاستسلام
والانقياد ولذلك قيل للصلح سلم. وقال حذيفة في هذه الآية الإسلام ثمانية أسهم الصلاة سهم والزكاة سهم والصوم سهم
والحج سهم والعمرة سهم والجهاد سهم والأمر بالمعروف سهم والنهي عن المنكر سهم وقد خاب من لا سهم له. وقال الحسن رضي الله
عنه معنى الآية يا أيها الذين آمنوا أي الذين تكلموا بكلمة الإيمان أي قوموا على الإيمان حث الله تعالى بهذه الآية جميع المؤمنين على الإسلام
والطاعة كقوله من يشري نفسه الآية. قوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان أي لا تقتفوا آثاره لأن تركهم شيئا من
شرائع الإسلام اتباع الشيطان قوله تعالى **إنه لكم عدو مبين** أي إنه لكم عدو ظاهر العداوة فإن قيل كيف قال
الله تعالى إنه لكم عدو مبين وهو لم يبد لنا شخصه قيل قد كان ابتداء العداوة لأبينا آدم عليه السلام حين امتنع من السجود
له وذلك أنه أخبر بذلك وكان ابتداء وإظهاره العداوة لأبينا آدم ابتداء وإظهار لنا. قوله تعالى كافة أي جميعا مأخوذ من كففت
الثوب إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض ومعنى كافة في اللغة مشتق من كف الشيء يكفه أي منعه وسميت الراحة مع الأصابع كفا
لأنه يكف بها عن سائر البدن ورجل مكفوف أي كف بصره عن النظر ومنه قيل لحاشية القميص كفة لأنها تمنع من أن ينتشر وكل
مستطيل فحرفه كفة بالضم وكل مستدير فكفة بالكسر نحو كفة الميزان. واختلف القراء في السلم فقرأ ابن عباس والأعمش السلم
بكسر السين هاهنا وفي سورة الأنفال وسورة محمد. وقرأ أهل الحجاز والكسائي بالفتح. وقرأ حمزة وخلف في الأنفال بالفتح والباقي
بالكسر. وقرأ الباقون هاهنا بالكسر والباقي بالفتح وهما لغتان قوله عز وجل **فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات
فاعلموا أن الله عزيز حكيم** أي إن زللتم عن الطريق المستقيم بالخروج عن طاعة الله إلى المعصية. وقال ابن عباس معناه
فإن ملتم إلى ذلك الشيء يعني من تحريم لحوم الإبل والسبت من بعد ما جاءتكم البينات أي الدلالات لأنه الحجج يعني محمدا صلى الله عليه وسلم

وشرايعه فاعلموا ان الله عزيز حكيم اى غالب بالنقمة لا يعجزه شىء من ذلك وقوله حكيم اى محكم فى الفعل حكيم فى امره ويقال
عالم ذو حكمة فيما شرع لكم من الدين • وقال ابن عباس يعنى فان زللتم اى اخطأتم • قال السدى فان ضللتم وقال ابن
عباس يعنى الشرك • وقرأ ابو السماك العدوى فان زللتم بكسر اللام وفى هذه الآية تنبيه العصيان بزلة القدم قوله عز وجل
هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر افترق الناس فى تفسير هذه الآية
على اربعة اقوال فرقة منهم تأولوها على ظاهرها ويصفون الله بالانتقال الذى هو زوال من مكان الى مكان وهذا القول
غير مرضى عنه وفرقة يفسرون الاتيان تفسيرا مجملا لا يعدون ظاهر اللفظ يقولون يأتى كيف يشاء بلا كيف وهذا
غير مرضى ايضا • واما الفرقتان الاخريان من اهل السنة والجماعة فاحداهما لا يفسرون هذه الآية ويقولون نؤمن بظاهرها
ونسكت عن الخوض فى معناها لما فيه من الاشتباه والتشبيه وقال الكلبى هذا من المكتوم الذى لا يفسر وقال ابن عباس نؤمن
بها ولا نفسرها كما قال الله تعالى فى المتشابهات وما يعلم تأويله الا الله واما الفرقة الرابعة فيفسرونها ويردون مثل هذه المتشابهات
الى الآيات المحكمات ويقولون معناها ما ينظر الكفار بعد قيام الحجة عليهم الا ان يأتيهم امر الله وهو الحساب وان يأتيهم
عذاب الله لان الاتيان لفظ مشتبه يحتمل حقيقة الاتيان ويحتمل اتيان الامر وقد قامت الدلالة ان الله تعالى لا يجوز عليه
الاتيان والمجىء والانتقال والزوال لان ذلك من صفات الاجسام والمحدثين والله منزه عن ذلك وقال على رضى الله عنه
من زعم ان الله من شىء او فى شىء او على شىء فقد الحد لانه لو كان من شىء لكان محدثا ولو كان فى شىء لكان محصورا
ولو كان على شىء لكان محمولا واذا كان لفظ الاتيان مشتبها وجب رده الى المحكم نحو قوله تعالى فى سورة النحل هل ينظرون
الا ان تأتيهم الملائكة او يأتى امر ربك • وقال بعضهم معناه هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بظلل من الغمام وبالملائكة
او مع الملائكة فيكون فى بمعنى الباء فعلى هذا التأويل يزول الاشكال ويسهل الامر • واما ذكر الظلة فى الآية فلان الهول
اذا بدا من الظلة المظلمة من السحاب كان اعظم واشد يدل عليه قوله تعالى فى قصة شعيب فاخذهم عذاب يوم الظلة انه
كان عذاب يوم عظيم • واما قوله والملائكة قرأ ابو جعفر بخفض الملائكة عطفا على الغمام اى والظلل من الملائكة اى
جماعة من الملائكة وسماهم الله ظللا لان الملائكة لا تستتر بالاقدام ولكنها تطير بالاجنحة كما يطير الطير • ومن قرأ والملائكة
بالرفع وهى قراءة الجمهور فتقديره ويأتيهم الملائكة فى ظلل يدل عليه قراءة ابى وعبد الله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله
والملائكة فى ظلل من الغمام والغمام هو السحاب الرقيق الابيض سمى بذلك لانه يغم اى يستر قوله تعالى وقضى الامر
اى مضى الحكم بانزال الفريقين منازلهم من الجنة والنار قوله تعالى والى الله ترجع الامور اى عواقب الامور ومصير
الخلائق الى الله تعالى • ومن قرأ ترجع برفع التاء فعلى اسم ما لم يسم فاعله ومن قرأ بنصب التاء فمعناه والى الله تصير الامور
ومن قرأ بالياء فلان تأنيث الامور غير حقيقى قوله عز وجل سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة اى سل يا محمد
يهود اهل المدينة كم اعطيناهم اى اعطينا اسلافهم وآباءهم من علامة واضحة مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وتظليل
الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما كان فى وقت موسى عليه السلام من المعجزات كما اعطيناك من المعجزات فلم يؤمنوا ولكن
كما لم يؤمن هؤلاء الكفار وهذا السؤال سؤال التقريع والانكار للكفار وتقرير لقلب النبى صلى الله عليه وسلم لا سؤال الاستفهام لانه
صلى الله عليه وسلم كان لا يحتاج الى السؤال والمعنى كما ان هؤلاء لم يؤمنوا بالآيات البينات التى اعطيتها فلا تغتم وقيل
سل بنى اسرائيل اى انظر فى آيات بنى اسرائيل كم اعطيناهم من علامة واضحة فى زمن موسى عليه السلام قوله عز وجل ومن يبدل
نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب اى تغير حجة الله الدالة على امر نبيه صلى الله عليه وسلم
من بعد ما جاءته اى بعد حجة الله بان يجحدها ويطعن فيها عن وجهها فان الله شديد العقاب اى شديد التعذيب لمن استحقه
وسمى الله تعالى الحجة نعمة لانها من اعظم النعم على الناس فى امر الدين قوله عز وجل زين للذين كفروا الحيوة الدنيا
ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة نزلت هذه الآية فى مشركى العرب ابى جهل واصحابه كانوا
يتنعمون بما بسط الله لهم فى الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد ويسخرون من المؤمنين الذين يرفضون الدنيا ويقبلون على الطاعة
والعبادة ويقولون لو كان محمد نبيا لاتبعه اشرافنا والله ما يتبعه الا الفقراء مثل ابن مسعود وعمار وصهيب وبلال

وابى عبيدة بن الجراح وبلال وخباب وعامر بن فهيرة وغيرهم هكذا قال الكلبى • وقال مقاتل نزلت فى المنافقين عبد الله
بن ابى واصحابه كانوا يتنعمون فى الدنيا بما بسط الله لهم فيها من الخير ويسخرون من ضعفاء المسلمين وفقراء المهاجرين
ويقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد صلى الله عليه وسلم انه يغلب بهم وكانوا يعيرونهم بقلة ذات ايديهم • وقال عطاء
نزلت فى علماء اليهود ورؤسائهم من بنى قريظة والنضير سخروا من فقراء المهاجرين فوعدهم الله تعالى ان يعطيهم اموال بنى قريظة
والنضير بغير قتال اسهل شىء وايسره • وعن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استذل مؤمنا
او مؤمنة او حقره لفقره وقلة ذات يده شهره الله تعالى يوم القيمة ثم يفضحه ومن بهت مؤمنا او مؤمنة او قال فيه ما ليس فيه
اقامه الله عز وجل على تل من نار حتى يخرج مما قال فيه وان المؤمن عند الله اعظم من ملك مقرب وليس شىء احب الى الله تعالى
من مؤمن تائب او مؤمنة تائبة وان المؤمن يعرف فى السماء كما يعرف الرجل اهله وولده • وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لا يحقرن
احد احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال يحيى بن معاذ بئس القوم قوم اذا استغنى المؤمن منهم حسدوه وان افتقر منهم
استذلوه قوله عز وجل والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة اى فوقهم فى الدرجة يعنى الذين اتقوا الشرك والفواحش
والكبائر فوق الكفار يوم القيمة فى الجنة يكون المؤمنون فى عليين والكفار فى الجحيم قوله تعالى والله يرزق من يشاء
بغير حساب قال ابن عباس يعنى كثيرا بغير مقدار اى يرزق رزقا كثيرا لا يعرف حسابه • وقال الضحاك يعنى بغير تبعة
منه فى الدنيا ولا يحاسبه فى الآخرة وقيل معناه ان الله تعالى لا يحاسب على ما يرزق لانه لا شريك له فيما يعطيه ولا [illegible]
تبارك وتعالى لم اعطيت هذا وحرمت هذا ولم اعطيت هذا اكثر من غيره لانه عز وجل لا يسأل عما يفعل • وقيل معناه يعطى بغير
ان يخاف نفاد خزائنه فيحتاج الى حساب ما يخرج منها اذ كان الحساب من المعطى انما يكون ليعلم قدر العطاء لئلا يتجاوز فى عطائه
الى ما يجحف به فهو لا يحتاج الى الحساب لانه عالم غنى لا يخاف نفاد خزائنه لانها بين الكاف والنون • وقيل معناه والله يرزق
من يشاء اى من الكفار وغيرهم بغير حساب اى بغير مقدار لكثرته وسعته • وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل لولا ان يجزع عبدى المؤمن لعصبت الكافر بعصابة من حديد ولصببت الدنيا عليه صبا ومصداق ذلك قوله
تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة الى آخر الآية • وقال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا
منها شربة ماء • وعن قطرب فى قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب اى ان الله يعطى العدد المتناهى لا من عدد اكثر منه كما
يعطيه العباد ولكن يعطى المتناهى من غير المتناهى • فان قيل اليس الله تعالى قال فى آية اخرى جزاء من ربك عطاء حسابا فكيف قال
فى هذه الآية بغير حساب • قيل العطاء من الله على ضربين احدهما الثواب والآخر تفضلا فما كان ثوابا كان له حساب لانه يكون
على قدر الاستحقاق بالعمل واما التفضل فلا يكون له حساب كما قال ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله والمراد بقوله عطاء حسابا
الثواب دون التفضل والمراد بقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب التفضل فان قيل كيف بغير حساب وقد روى عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال لحلالها حساب وحرامها عقاب • قيل روى عن عائشة رضى الله عنها فى معنى الحساب انه قال من نوقش
الحساب عذب فان قيل من الذى زين للذين كفروا الحيوة الدنيا قيل فيه ذهب بعض المفسرين الى ان الذى زينها لهم هو ابليس كما قال الله
تعالى فى آية اخرى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وعن الحسن انه قال زينها لهم والله الشيطان ولا احد اذم للدنيا من خالقها
قال الله قل متاع الدنيا قليل وقال تعالى وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وذهب بعضهم الى ان الله تعالى هو الذى زينها
لهم اذ خلق فيها الاشياء المعجبة وركب الشهوات فى قلوب العباد ونظر الذين كفروا الى الدنيا اكثر من مقدارها فاغتروا بها كما قال
تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانما فعل الله ذلك لان التكليف لا يتم الا مع الشهوة لان
الانسان لا يجوز ان يكلف الا بان يدعى الى ما يثقل عليه نفسه او بان يزجر عما تتوق نفسه اليه وهو معنى قوله عليه السلام
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقرأ مجاهد وحميد زين للذين كفروا بفتح الزاى على معنى زينها الله عز وجل
لهم قوله عز وجل كان الناس امة واحدة قال ابن عباس معناه كان الناس اهل ملة واحدة كفارا كلهم من آدم الى
عهد نوح عليه السلام وكذلك فى عهد ابرهيم يعنى من آدم الى الانبياء عليهم السلام الذين بعث اليهم الانبياء كانوا كفارا كما كانت
هذه الامة وجائز ان يقال كانت امة واحدة على الكفر وان كان فيهم مسلمون اذ كان المسلمون قليلين مغمورين فى بعضهم

بانصراف اسم الأمة إلى أنعم الأكثر • وقال قتادة والضحاك كان الناس أمة واحدة على الحق أي كانوا مؤمنين من زمن آدم عليه السلام وبعد وفاته إلى مبعث نوح عليه السلام وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى ثم اختلفوا في زمن نوح عليه السلام فبعث الله إليهم نوحا فكان أول نبي بعث ثم بعث بعده النبيون • وقال الكلبي هم أهل نوح كانوا كلهم مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاة نوح فبعث الله إليهم نبيه هودا عليه السلام قوله تعالى **فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين** أي مبشرين لمن أطاع الله تعالى ومنذرين بالنار والسخط لمن عصاه قوله تعالى **وأنزل معهم الكتاب بالحق** أي وأنزل عليهم الكتاب إذ الأنبياء صلوات الله عليهم لم يكونوا منذرين حتى نزل الكتاب معهم وقوله بالحق أي بالعدل قوله تعالى **ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه** أي ليقضي الكتاب بينهم بالحكمة وأضاف الحكم إلى الكتاب وإن كان الله هو الحاكم على جهة التفخيم لأمر الكتاب قوله تعالى فيما اختلفوا فيه أي من أمر الدين قوله تعالى **وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم** أي ولم يختلف في أمر الدين ونعت النبي عليه السلام إلا الذين أعطوا الكتاب من بعد ما جاءتهم البينات الواضحات من الله تعالى قوله بغيا بينهم نصب على أنه مفعول له أي لم يختلفوا إلا للبغي والحسد [illegible] وذلك أن أهل الكتاب كانوا علموا حقيقة أمر النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم قبل مبعثه فلما بعثه الله كفروا به [illegible] قوله عز وجل **فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق** الذي اختلف فيه أهل الزيغ **بإذنه** أي بتوفيقه وقضائه وعلمه قوله تعالى **والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** أي والله يوفق لمعرفته من يشاء ممن كان أهلا لذلك [illegible] الله تعالى والأمة في اللغة على وجوه منها الجماعة كقوله تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله ولتكن منكم أمة أي جماعات وقرون ومنها أتباع الأنبياء عليهم السلام كما تقول نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومنها الدين والملة كقوله تعالى إنا وجدنا آباءنا على أمة ومنها الحين والزمان كقوله تعالى وادكر بعد أمة ومنها الرجل الجامع لخصال الخير [illegible] الرجل المنفرد بدين [illegible] قال صلى الله عليه وسلم يبعث الله زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده وكان قد أسلم قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن بمكة يومئذ غيره ثم تابعه بعد ذلك ورقة بن نوفل [illegible] أي وقت خروج النبي صلى الله عليه وسلم ومنها القامة يقال فلان حسن الأمة أي القامة والأمة النعمة يقال فلان ذو أمة أي ذو نعمة [illegible] الكتب المنزلة [illegible] روي أن الله أنزل على شيث خمسين صحيفة وكان يعمل بها هو ومن معه ومن بعده إلى زمن إدريس ثم أنزل الله على إدريس عليه السلام ثلاثين صحيفة فكان يعمل بها إلى زمن إبراهيم ثم أنزل الله على إبراهيم عشر صحائف فكان يعمل بها إلى زمن موسى ثم أنزل الله على موسى عليه السلام عشر صحائف قبل التوراة فكان يعمل بها موسى ومن معه [illegible] ثم أنزل الله التوراة فكان يعمل بها إلى زمن داود ثم أنزل الله تعالى الزبور على داود فكان يعمل بها إلى زمن عيسى عليه السلام ثم أنزل الله الإنجيل فكان يعمل بها إلى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم • ثم أنزل الله الفرقان ناسخا لما قبله من الكتب قوله عز وجل **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء** أي أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة ولم يصبكم صفة الذين مضوا من قبلكم أي ولم تبتلوا كما ابتلي الذين من قبلكم مستهم البأساء أي الشدة وهي الفقر والضراء وهي البلاء والسقم والمرض وقيل البأساء نقيض النعماء والضراء نقيض السراء قوله تعالى **وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله** أي حركوا وخوفوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه [illegible] حتى قال كل رسول بعث إلى أمته متى نصر الله فيقول الله تعالى **ألا إن نصر الله قريب** يعني ألا إن نصر الله لكم وإنك يا محمد [illegible] عاجل كما نصرت الرسل قبلك والمثل بمعنى الصفة كما قال الله تعالى مثل الجنة أي صفة الجنة وذهب السدي إلى أن هذه الآية نزلت بالمدينة يوم الخندق حين اشتدت مخافة المؤمنين من العدو [illegible] فأنزل الله تعالى [illegible] يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة [illegible] وكان المسلمين [illegible] الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون • وأما القراءة في قوله تعالى حتى يقول الرسول من نصب يقول [illegible] لأن حتى تنصب [illegible] • ومن قرأ بالرفع [illegible] على الفعل خاصة كأنه قال حتى الرسول يقول [illegible]

تعلم حتى قال الشاعر • فيا عجبا حتى كليب تسبني • كأن أباها نهشل أو مجاشع • قوله تعالى **يسألونك ماذا ينفقون** الآية قال ابن عباس نزلت هذه الآية جوابا عن سؤال عمرو بن الجموح لما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة ورغب فيها الناس وذلك قبل نزول الفرائض فقال عمرو يا رسول الله بماذا أتصدق وعلى من أتصدق • فأنزل الله هذه الآية ومعناها يسألونك أي شيء يتصدقون [illegible] ما تصدقتم به من مال فعلى الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل [illegible] قوله تعالى **وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم** يحصيه ويجازيكم عليه لا يضيع عنده عمل عامل • فإن قيل كيف تطابق في هذه الآية الجواب هذا السؤال لأن السؤال عما وجب على المنفق والجواب بما وقع على المنفق عليه قيل إن الجواب مطابق لهذا السؤال لأن قوله ما أنفقتم من خير يتناول القليل والكثير لشمول اسم الخير [illegible] مع بيان من تصرف إليه النفقة لأن المسؤول إذا كان حكيما يعلم ما يحتاج إليه السائل أجاب عن كل ما يحتاج إليه كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته وإنما قال ذلك لأنه علم أنهم لما جهلوا حكم ماء البحر فإنهم أشد جهلا بحكم ما فيه من المأكول وكذلك هنا لما جهلوا المنفق كان جهلهم بالمنفق عليهم أكثر • واختلفوا في هذه النفقة المذكورة هل هي واجبة أم لا قال الحسن المراد بها التطوع على من لا يجوز وضع الزكاة فيه كالوالدين والمولودين ووضع الزكاة فيمن يجوز وضعها فيهم وقال السدي هذه الآية منسوخة بآية الزكاة والصحيح أنها ثابتة الحكم عامة في الفرض والتطوع لأن الآية متى أمكن استعمالها لم يجز الحكم بنسخها ويحتمل أن يكون المراد بها النفقة على الوالدين والأقربين إذا كانوا محتاجين قوله عز وجل **كتب عليكم القتال وهو كره لكم** قال ابن عباس لما كتب الله الجهاد على المسلمين شق ذلك عليهم وكرهته نفوسهم [illegible] أن [illegible] نفوسهم بهذه الآية قيل في وجه اتصالها بما قبلها أن ما قبلها ذكر التعبد بالنفقة التي تشق على البدن وفي هذه الآية ذكر ما لا شيء في التعبد أشق منه وهو القتال ومعنى الآية فرض عليكم القتال وهو شاق عليكم والمراد بالكره هنا كراهة الطبع لا عدم الرضا بالأمر وهذا كما يكره الإنسان الصوم في الصيف من جهة الطبع وهو مع ذلك يحبه ويرضاه من حيث إن الله أمر به قوله تعالى **وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم** أي لعلكم تكرهون الجهاد وهو خير لكم لما فيه من النصر من الله تعالى وقمع أعداء الله والفوز بالغنيمة مع عظم المثوبة وإدراك محل الشهداء و[illegible] أن تحبوا شيئا وهو شر لكم أي لعلكم تحبون القعود عن الجهاد وهو شر لكم لفوات الفتح والغنيمة والشهادة وتسلط عليكم العدو قوله تعالى **والله يعلم وأنتم لا تعلمون** أي يعلم ما فيه صلاحكم وما هو خير لكم في عاقبة أموركم وأنتم لا تعلمون ذلك فبادروا إلى ما أمركم به إذ ليس كل ما تشتهون خيرا لكم ولا كل ما تحذرون شرا لكم • وفي هذه الآية دلالة على فرض الجهاد كما قال تعالى كتب عليكم الصيام وأراد به فرض الصيام ثم لا يخلو القتال المذكور في هذه الآية بين أن يرجع إلى معهود قد عرفوه بالخاص وهو قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه وتكون هذه الآية بالكتاب لذلك القتال المعهود الذي علم حكمه فيكون القتال في هذه الآية راجعا إلى جنس القتال فتكون هذه الآية مجملة مفتقرة إلى البيان لأن من المعلوم أن الله تعالى لم يأمر بقتال الناس كلهم ولا يصح اعتقاد العموم فيه فكان بيان هذا المجمل بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم قوله عز وجل **ويسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله** قال ابن عباس في سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابن عمته عبد الله بن جحش قبل قتال بدر بشهرين ومعه ثمانية رهط من المهاجرين وأمره عليهم كتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا وقال إذا نزلت منزلين فافتح الكتاب واقرأه على أصحابك ثم امض لما أمرتك به ولا تستكرهن أحدا من أصحابك على السير معك فسار عبد الله حتى بلغ منزلين ففتح الكتاب فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فسر على بركة الله بمن معك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك تأتينا منهم بخبر والسلام • فقال عبد الله سمعا وطاعة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق القوم معه حتى وصلوا بطن نخلة بين مكة والطائف فنزلوا هنالك فبينما هم كذلك إذ مر بهم عمرو بن الحضرمي في عير لقريش في أول يوم من رجب والمؤمنون يظنونه أنه آخر يوم من جمادى الآخرة فأمر عبد الله أن يحلقوا رأس عكاشة ليشرف على المشركين

فظنوا أنهم عمار فلما فعلوا ذلك وأمنه المشركون وقالوا قوم عمار لا بأس عليكم منهم ورماه واقد بن عبد الله الحضرمي
فقتله واستأسر بعض المشركين وهرب بعضهم إلى مكة واستاق المسلمون العير فعيرهم المشركون بذلك وقالوا استحل محمد الشهر
الحرام شهراً يأمن فيه الخائف وينصل فيه الأسنة وقد وقع النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الغنيمة فأنزل الله تعالى هذه الآية
وقيل لما أمر الله تعالى المسلمين بالقتال ظنوا عموم الأمر في جميع الشهور فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
هذه الآية والقول الأول أقرب إلى ظاهر القرآن ومعنى الآية يسألونك عن قتال في الشهر الحرام وأن قوله قتال فيه بدل الاشتمال
عن الشهر الحرام وقوله تعالى قل قتال فيه كبير أي القتال في الشهر الحرام عظيم الذنب عند الله تعالى ثم استأنف الكلام **فقال**
وصد عن سبيل الله أي منع الناس عن الكعبة أن يأتوها ويطوفوا بها وكفر به أي وكفر بالله تعالى ويقال بالحج أو كفر بالمسجد
الحرام ويقال فيه تقديم وتأخير وتقديره وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفر بالله وإخراج أهل المسجد الحرام منه أعظم
عقوبة عند الله من القتال في الشهر الحرام كما قال تعالى والفتنة أكبر من القتل أي الشرك بالله أعظم عقوبة والمأثم من القتال ومعنى
كفرهم بالمسجد الحرام أن الله جعل المسجد الحرام للمؤمنين ولعبادتهم إياه فيه فلما جعله الكفار لأوثانهم ومنعوا المسلمين منه
كانوا لذلك كفاراً منهم بالمسجد الحرام **قوله عز وجل** ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا
معناه لا يزال أهل مكة يقاتلونكم أيها المسلمون حتى يصرفوكم عن دينكم الإسلام إلى دينهم الكفر إن قدروا على ذلك فحذر
الله المؤمنين **فقال** ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة
وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أي من يرجع منكم عن دين الإسلام فيمت على كفره فأولئك حبطت أعمالهم التي
عملوها في الدنيا والتي عملوها للآخرة أي لا ينتفع بعمل من أعمالهم ولا يثابون به في الدارين وأولئك أصحاب النار هم فيها مقيمون
دائمون والصد والصرف والمنع نظائر يقال صد يصد صداً إذا صرف غيره عن الشيء وصد يصد صدوداً إذا أعرض بنفسه
ومن قرأ يرتدد بدالين فهو لغة أهل الحجاز أظهر التضعيف حذراً من التقاء الساكنين ● ومن قرأ يرتد بالتشديد فهو لغة
بني تميم أدغموا الحرفين من جنس واحد وحركوه إلى الفتحة وقوله تعالى فيمت جزم بالعطف على يرتدد ولو كان جواباً لكان رفعاً
وأكثر الأمة على أن النهي عن القتال في الشهر الحرام منسوخ بآية سورة براءة وهو قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
ولا باليوم الآخر لأنها نزلت بعد حظر القتال في الشهر ● فإن قيل إذا كان نفس الارتداد يبطل العمل حتى يبطل حجه
الذي أداه فما فائدة فيمت وهو كافر قيل إن ذكر الله تعالى في هذه الآية أمر الآخرة لا أمر يرجع إلى إحباط عمله في الماضي
إذ المعلوم من حال المرتد أنه إذا عاد إلى الإسلام بالتوبة والعمل الصالح ومات على ذلك أنه لا يعاقب في الآخرة ● ولا يجمع
الله في هذه الآية بين إحباط عمله فيما يتصل بالدنيا والآخرة حتى يزول ثوابه إلى العقاب الدائم كذلك شرط موته على الكفر ●
روي في السير أنه لما نزلت هذه الآية قام عبد الله بن جحش وأصحابه فقالوا يا رسول الله أنطمع من ربنا أن يكون لنا هذه
غزوة في الجهاد **قوله تعالى** إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون
رحمة الله والله غفور رحيم معناه إن الذين صدقوا وهاجروا من مكة إلى المدينة وجاهدوا في محاربة
المشركين في طاعة الله تعالى أهل هذه الصفة يطمعون مغفرة الله تعالى ورحمته والله غفور لما كان منهم من القتال والأسر
وأخذ الغنيمة في الشهر الحرام رحيم بهم حين دفع إثم ذلك عنهم ● والمهاجرة مفاعلة من الهجر وهي في هذا الموضع هجران
الوطن والعشيرة في رضى الله تعالى والهجر نقيض الوصل وأطلق اللفظ في هذه الآية على المفاعلة والمراد ما ذكرناه ● نظيره
المساعدة وهي ضم الرجل ساعده إلى ساعد أخيه بالتقوية والمعونة وأما المجاهدة فهي بذل الرجل الجهد من نفسه ومن
ويجوز أن يراد بها أن يبذل الجهد في قتال عدوه وقد يفعل العدو مثل فعله فيصير مفاعلة ● وإنما قال الله تعالى أولئك
يرجون رحمة الله لأن أحداً لا يعلم أنه صائر إلى أن يبلغ في طاعته كل مبلغ الأجر إلا أن يخبر الله أو يخبر النبي صلى الله عليه وسلم
لأنه لا يدري لعله قصر في شيء من الواجبات ولا يدري ما الذي يكون منه وما يفعله ومن موته ولا يعلم أحد من المسلمين
بما يختم له ختم الله لنا بالشهادة والسعادة **قوله عز وجل** يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع
للناس وإثمهما أكبر من نفعهما قال ابن عباس كان المسلمون يشربون الخمر في بدء الإسلام وهي لهم حلال ● وكان

يسئلونك عن الخمر

منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي في اليوم والليلة وقت الصلوات ألا من كان سكران فلا يحضرن مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الجماعة تعظيماً للجماعة وتوقيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأن عمر جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال بين لنا أمر الخمر فإنها مهلكة للمال مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية يسألونك عن الخمر والميسر ● وأما الميسر فقد
كان جماعة من العرب يجتمعون فيشترون جزوراً ثم يجعلون لكل واحد منهم سهماً ثم يقرعون عليها فمن خرج سهمه برئ من ثمنها
وأخذ نصيبها من الجزور وبقي آخرهم عليه ثمن الجزور كله ولا يأخذون من لحمها شيئاً فيقسم أصحابه نصيبه وربما كانوا يتصدقون
بذلك على الفقراء فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله هذه الآية والميسر هو القمار يقال للقمار ميسر وللمقامر
الياسر وإنما قيل له ميسر لأنهم كانوا يقولون يسروا لنا ثمن الجزور وذلك أن أهل الثروة من العرب كانوا يشترون
جزوراً ثم ينحرونها ويجزئونها أجزاء ● قال ابن عمر عشرة أجزاء وقال الأصمعي ثمانية وعشرين جزءاً ثم يستهمون عليها
بأقداح ويقال لها الأزلام والأقلام سبعة منها أنصباء وهي الفذ وله نصيب واحد والتوأم وله نصيبان والرقيب وله
ثلاثة والحلس وله أربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة منها لا أنصباء لهم وهي المنيح
والسفيح والوغد ثم يجعلون القداح في خريطة تسمى الربابة **قال أبو ذؤيب** ● وكأنهن ربابة وكأنه ● يسر يفيض
على القداح ويصدع ● ويضعون الربابة على يد واحد عدل بينهم عندهم ويسمى المجيل والمفيض ثم يجيلها ويخرج منها قدحاً
باسم واحد منهم فأيهم خرج سهمه أخذ نصيبه على قدر ما يخرج فإن كان يخرج له سهم من هذه الثلاثة التي لا أنصباء لها اختلفوا
فيه ● قال بعضهم كان لا يأخذ شيئاً ويغرم ثمن الجزور كله ● وقال بعضهم لا يأخذ شيئاً ولا يغرم من ثمن الجزور كله ويكون ذلك
القدح لغواً فيعاد سهمه ثانياً فهؤلاء الياسرون ثم يدفعون ذلك اللحم إلى الفقراء ولا يأكلون منه شيئاً وكانوا يفتخرون
بذلك ويذمون من لم يفعله منهم ويسمونه البرم فهذا أصل القمار الذي كانت العرب تفعله وإنما عنى الله تعالى بالميسر
في هذه الآية أنواع القمار كلها ● وقال طاوس ومجاهد وعطاء كل شيء فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز
والكعاب ● وعن علي رضي الله عنه قال النرد والشطرنج من الميسر ● قال القاسم بن محمد كل شيء ألهاك عن ذكر الله وعن الصلوة
فهو ميسر ● قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية ترك بعض الناس الخمر وقالوا لا حاجة لنا فيما فيه إثم كبير ولم يتركها بعضهم وقالوا
نأخذ منفعتها ونترك إثمها وكانوا على ذلك حتى أصاب رجل من الصحابة خمراً فانتشى منها فحضرت الصلوة فقام يصلي المغرب
فقرأ قل يا أيها الكافرون على غير وجهها قال أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد فنزل قوله تعالى يا أيها الذين
آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وكانوا يشربونها قبل الصلوة وكانوا يتناشدون الأشعار فيها
ويفتخرون ● فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام
رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإراقة الخمر
حتى أمر بكسر الدنان تغليظاً وتشديداً ● ومعنى الآية يسألونك يا محمد عن الخمر والميسر قل فيهما إثم عظيم لأن الخمر توقع العداوة
والبغضاء وتحول بين الإنسان وبين عقله الذي يعرف به ما يجب عليه لخالقه والقمار يورث العداوة أيضاً فإن المقمور إذا
رأى غيره قد ذهب بماله من غير شيء يعطيه أبغضه وعاداه ● وقيل معنى قوله تعالى قل فيهما إثم كبير أي وزر عظيم
من المشاتمة والمخاصمة وقول الفحش والزور وزوال العقل والمنع من الصلوة واستحلال مال الغير بغير حق ● وقرأ أهل الكوفة
إلا عاصماً قل فيهما إثم كثير بالثاء وقرأ الباقون بالباء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لقوله تعالى وإثمهما أكبر من نفعهما
ولقوله تعالى إنه كان حوباً كبيراً **قوله عز وجل** ومنافع للناس والمنفعة في الخمر اللذة في شربها والتجارة فيها قبل التحريم
والمنفعة في الميسر مصير الشيء الذي يصيبه من المال في القمار بلا كد ولا تعب وقوله تعالى وإثمهما أكبر من نفعهما قال المفسرون
إثم الخمر هو أن شاربها يسكر ويؤذي الناس وإثم الميسر هو أن يقامر فيمنع الحق ويظلم ● وقال الربيع المنافع قبل التحريم
والإثم بعد التحريم **قوله تعالى** ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو معناه يسألونك أي شيء يتصدقون
به قل الفضل وما سهل عليك إنفاقه وهذا نزل جواباً عن قول عمرو بن الجموح ماذا ننفق وفي الآية المتقدمة جواب عن قوله
على من نتصدق ● واختلفوا في معنى قوله تعالى قل العفو ● فقال ابن عمر وقتادة وعطاء والسدي هو ما فضل من المال

عن العيال وهو رواية عن ابن عباس وقال الحسن هو أن لا يجهد ماله في النفقة ثم يقعد يسأل الناس وقال مجاهد هو ما
كان عن ظهر غنى وقال الضحاك هو قدر الطاقة وقال الربيع العفو هو الطيب كأنه قال أفضل ما لك وأطيبه وأصل
العفو في اللغة الزيادة والكثرة قال الله تعالى حتى عفوا أي كثروا وقال صلى الله عليه وسلم أعفوا اللحى والعفو
أيضا ما أخذ وتعطيه سهلا بلا تكلف من قولهم خذ ما عفا أي ما صفا لك ما أتاك سهلا من غير إكراه ونظير هذه الآية
من الأخبار ما روي أن رجلا قال يا رسول الله عندي دينار قال أنفقه على نفسك قال عندي آخر قال أنفقه على
أهلك قال عندي آخر قال أنفقه على ولدك قال عندي آخر قال أنفقه على والديك قال عندي آخر قال أنفقه على
فرسك قال عندي آخر قال أنفقه على قرابتك قال عندي آخر قال أنت أبصر به وعن جابر قال أتى رجل إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب أصابها في بعض المعادن فقال يا رسول الله خذها مني صدقة فوالله ما أصبحت أملك
غيرها فأعرض عنه فأتاه من ركنه الأيمن فقال له مثل ذلك فأعرض عنه ثم أتاه من ركنه الأيسر فقال له مثل ذلك فأعرض
عنه ثم قال له مثل ذلك فقال مغضبا هاتها فأخذها فحذفه بها حذفة لو أصابته لشجته أو عقرته ثم قال يجيء أحدكم
بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة ما كان عن ظهر غنى وليبدأ أحدكم بمن يعول وقال الكلبي
كان الرجل بعد نزول هذه الآية إن كان من أهل الزرع والنخل يطرح ما يكفيه وعياله سنة ويتصدق بما فضل وإن كان
من أهل التجارة أمسك رأس ماله ومن الربح ما يقوت به ويحتاج إليه ويتصدق بما فضل وإن كان ممن يعمل بيده أمسك ما
يكفيه وعياله يومه ذلك ويتصدق بالباقي وكانوا على ذلك إلى أن فرضت الزكاة فقدرت معلومة واختلفوا في قراءة قوله
قل العفو فقرأ الحسن وقتادة وأبو عمرو قل العفو بالرفع على معنى الذي ينفقون هو العفو وعلى معنى قل هو العفو
ودليله قوله تعالى وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين وقرأ الباقون العفو بالنصب على معنى قل انفقوا
العفو دليله قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا قوله عز وجل كذلك يبين الله لكم الآيات
لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة أي مثل هذا البيان يبين لكم أوامره ونواهيه وكذلك يبين لكم في الدين لعلكم تتفكرون في
الدنيا لأنها دار فناء وبلاء لا يبقى منها إلا العمل الصالح وفي الآخرة فإنها دار جزاء وبقاء لا ينفع فيها إلا تقوى
الله عز وجل وقال المفضل معناه كذلك يبين الله لكم الآيات في أمر النفقة لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة فتحبسون
من أموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا وتنفقون الباقي فيما ينفعكم في العقبى وقال بعضهم معناه يبين لكم الآيات في
أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها فتزهدوا فيها وفي إقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها
وهذا القول قريب من الأول قال الزجاج إنما قال كذلك يبين الله وهو يخاطب الجماعة فكأنه ينبغي أن يقول كذلكم
لأن الجماعة معناها القبيل كأنه قال كذلك أيها القبيل ويجوز أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لأن خطابه
يشتمل على خطاب أمته كما قال تعالى يا أيها النبي إذا طلقتم النساء وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال تفكر ساعة خير من عبادة سنة قوله عز وجل ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم
فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح قال ابن عباس لما نزلت في أمر اليتامى ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن
وقوله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا أشفق المسلمون من مخالطتهم وكان كل
من في حجره يتيم يعمل لليتيم بيتا وطعاما وخادما على حدة وكانوا لا يخالطون اليتامى في شيء فشق ذلك عليهم فجاء
عبد الله بن رواحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله تعالى أنزل في أمر اليتامى ما أنزل من الشدة [illegible]
لنا يا رسول الله أن نخالطهم فنستعين منهم الخادم والدابة ونشرب من لبن شاتهم فأنزل الله هذه الآية ويسألونك
عن اليتامى أي عن مخالطة اليتامى قل إصلاح لهم بأموالهم خير لما فيها إذ هو خير من الإنفاق قوله تعالى وإن تخالطوهم
فإخوانكم أي وإن تشاركوهم وتخلطوا أموالكم بأموالهم في نفقاتكم ومطاعمكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم
فتصيبوا من أموالهم عوضا من قيامكم بأمورهم وتكافئوهم على ما تصيبون من أموالكم لهم فإخوانكم في الدين وقرأ طاوس قل
إصلاح إليهم خير بمعنى الإصلاح لأموالهم من غير أجرة ولا أخذ عوض منهم خير وأعظم أجرا وقرأ مجلد فإخوانكم بالنصب

أي تخالطوا إخوانكم قوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح أي يعلم ما كان غرضه بالمخالطة إصلاح أمر اليتامى
ومن تكون غرضه إفساد أمرهم قوله عز وجل ولو شاء الله لأعنتكم أي لأثمكم في مخالطتهم وضيق عليكم
والعنت الإثم ويسمى الفجور عنتا لما فيه من الإثم وأصل العنت الشدة والمشقة يقال عقبة عنوت أي شاقة كئود وقال
أبو عبيد معناه ولو شاء الله لأهلككم قوله تعالى إن الله عزيز حكيم أي منيع غالب لا يمانع فيما يفعل من السهل
والشاق حكيم فيما أمركم به في أمر اليتامى وغير ذلك واسم اليتيم إذا أطلق انصرف إلى الصغير الذي لا أب له والعرب تسمي
المنفرد يتيما ومنه الدرة اليتيمة يريدون بذلك أنها منفردة لا نظير لها وفي الآية ضروب من الأحكام منها قوله تعالى
قل إصلاح لهم خير يدل على جواز خلط الوصي ماله بمال اليتيم ومقدار ما يغلب على ظنه أن اليتيم يأكل قدر طعام نفسه
فيما يقابل الخلط ويدل على جواز التصرف في ماله بالبيع والشراء وجواز دفعه مضاربة إذا كان ذلك صلاحا ويدل على أن
لولي اليتيم أن يعاقد نفسه في ماله إذا كان لليتيم خير ظاهر على ما قاله أبو حنيفة رحمه الله ويدل على أن للوصي أن
أن يؤجر اليتيم ممن يعلمه الصناعات والتجارات أو يستأجر من يعلمه ما له فيه صلاح من أمر الدين والأدب لأن كل ذلك من
الصلاح قوله تعالى وإن تخالطوهم فإخوانكم فيه دليل على أن للولي أن يزوج اليتيم ابنته أو يزوج اليتيمة ابنه أو يتزوج
اليتيمة لنفسه فيكون قد خلط اليتيم بنفسه وعياله واختلط أيضا به يقال فلان خليط فلان إذا كان شريكا له في الأمر
وقد اختلط فلان بفلان إذا صاهره ولا يكون التزويج إلا للولي الذي يكون ذا نسب من اليتيم لأن الوصاية لا يستحق بها الولاية في
النكاح قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن قال عبد الله بن عباس نزلت هذه الآية في مرثد بن أبي مرثد الغنوي
وكان شجاعا قويا بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليخرج منها أناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة
يقال لها عناق وكانت خليلته في الجاهلية فأتته وقالت يا مرثد ألا تخلو فقال لها ويحك يا عناق إن الإسلام قد حال بيننا
وبين ذلك فقالت هل لك أن تتزوج بي فقال نعم ولكن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمره ثم أتزوج بك فقالت
أبي تتبرم ثم استغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه ما كان من أمره
وأمر عناق وما لقي بسببها وقال يا رسول الله أيحل لي أن أتزوجها فأنزل الله هذه الآية ومعناها ولا تتزوجوا المشركات
حتى يصدقن بتوحيد الله تعالى قال المفضل أصل النكاح الوطء ثم كثر ذلك حتى قيل للعقد التزويج نكاح فحرم الله نكاح المشركات
عقدا ووطئا ثم استثنى الحرائر الكتابيات فقال تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم قوله عز وجل
ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم أي لنكاح أمة مؤمنة خير من نكاح حرة مشركة ولو أعجبتكم الحرة
المشركة بحسنها وجمالها ومالها نزلت في أمة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان يقال لها خنساء فقال لها حذيفة يا خنساء
قد ذكرت في الملأ الأعلى مع سوادك ودمامتك وأنزل الله ذكرك في كتابه فأعتقها حذيفة وتزوجها وقال السدي
نزلت في أمة سوداء لعبد الله بن رواحة كان قد غضب عليها عبد الله فلطمها ثم فزع فأتى النبي صلى الله عليه
وسلم فأخبره بذلك فقال له صلى الله عليه وسلم وما هي يا عبد الله فقال هي تشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وتصوم
رمضان وتحسن الوضوء وتصلي فقال هذه مؤمنة وقال عبد الله بن رواحة والذي بعثك بالحق نبيا لأعتقها ولأتزوجها
ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا أتنكح أمة وقد عرضوا عليه حرة مشركة وكانوا يرغبون في نكاح المشركات رجاء
أنسابهن فأنزل الله هذه الآية قوله عز وجل ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا أي لا تزوجوا المشركين
مسلمة حتى يصدقوا بالله ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أي ولو أعجبكم الحر المشرك بماله وحسن حاله
قوله تعالى أولئك يدعون إلى النار يعني المشركين والمشركات يدعون إلى عمل أهل النار قوله تعالى والله يدعو
إلى المغفرة بإذنه أي والله يدعو إلى أسباب الوصول إلى الجنة والمغفرة ومخالطة المؤمنين وغير ذلك بإذنه أي بأمره
وعلمه الذي علم أنه وصلة لكم إليهما قوله تعالى ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون أي يبين أمره ونهيه
في التزويج وغيره للناس لعلهم يتعظون ويرغبون فيه أهل الديانة والأمانة واعلم أن الظاهر أن اسم المشركات يتناول
الوثنيات والكتابيات قال الله تعالى ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين وقال تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل

الكتاب والمشركين ففرق بينهما في اللفظ وظاهر العطف يقتضي أن المعطوف غير المعطوف عليه فعلى هذا لا يكون تزويج المسلمين
الكتابيات داخلاً في هذه الآية لكن استفيد جوازه لهم بقوله تعالى في سورة المائدة والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب
من قبلكم وعن ابن عباس والحسن ومجاهد أن الآية عامة في جميع الكافرات من مشركيكم والكتابيات منهم وغير الكتابيات ثم
نسخت منها الكتابيات بآية المائدة • وعن ابن عمر انه كان اذا سئل عن نكاح اليهودية والنصرانية قال ان الله حرم المشركات
على المؤمنين ولا أعلم شيئاً من الشرك أكبر من أن تقول ربها عيسى عليه السلام أو عبد من عباد الله والتكذيب بمحمد صلى الله
عليه وسلم عدل للاثم والجرم لا شرك بالله فان قيل في هذه الآية نهي عن نكاح المشركات بسبب دعوتهن الى النار
وهذه العلة تعم الكتابيات وغيرهن وكيف أبيح للمسلمين نكاح الكتابيات والعلة قائمة • قيل يحتمل ان يكون قوله أولئك يدعون
الى النار راجعا الى قوله ولا تنكحوا المشركين الى قوله ولا تنكحوا المشركات لأن أولئك كناية عن الرجال دون النساء ولا يجوز
المسلمة من مشرك ولا كتابي قوله عز وجل ويسألونك عن المحيض قل هو أذى قال ابن عباس نزلت هذه الآية في
رجل من الأنصار يقال له أبو الدحداحة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كيف نصنع بالنساء اذا حضن فنزلت هذه
الآية فلما نزلت الآية عمد المسلمون الى النساء الحيض فأخرجوهن من البيوت كما كانت الأعاجم تفعل بنسائهم اذا حضن
واذا فرغن واغتسلن ردوهن الى البيوت فقدم ناس من الأعراب المدينة فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عزل النساء عنهم
وقالوا يا رسول الله ان البرد شديد والثياب قليلة وان عزلنا النساء فإن آثرناهن بالثياب هلك أهل البيت بردا وان
آثرنا أهل البيت هلكت النساء الحيض وليس كلنا يجد سعة نوسع عليهم جميعا فقال صلى الله عليه وسلم انما أمرتم أن تعتزلوا
مجامعتهن اذا حضن ولم تؤمروا ان تخرجوهن من البيوت وقرأ عليهم الآية وقال بعضهم كانت العرب في الجاهلية اذا حاضت
المرأة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يساكنوها في بيت ولم يجالسوها على فراش كفعل اليهود والمجوس فسأل أبو الدحداح
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال يا رسول الله كيف نصنع بالحيض فأنزل الله هذه الآية ووجه اتصال هذه الآية
بما قبلها انه أجرى فيما تقدم حديث نكاح من يحرم ومن يحل فبين الله تعالى بعده حال التحليل والتحريم بهذه الآية • وقال
ابن عباس ما رأيت قوما كانوا خيرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سألوه الا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض كلهن
في القرآن يسألونك عن الشهر الحرام • يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم يسألونك ماذا ينفقون قل العفو يسألونك عن
الأهلة يسألونك عن الخمر والميسر ويسألونك عن اليتامى ويسألونك عن المحيض ويسألونك عن الساعة أيان مرساها
واذا سألك عبادي عني يسألونك عن الأنفال ويسألونك عن الروح ويسألونك عن ذي القرنين ويسألونك عن الجبال
ومعنى الآية ويسألونك عن المحيض قل هو أذى أي دم مستقذر نجس • وقال الكلبي هو أذى أي مأثم ونكير من كل شيء
قوله تعالى فاعتزلوا النساء في المحيض أي اعتزلوا مجامعتهن وهن حيض ولا تقربوهن حتى يطهرن أي ولا تجامعوهن
حتى ينقطع عنهن الدم • وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وطئ امرأته وهي حائض
فقضي بينهما ولد فأصابه جذام فلا يلومن الا نفسه • ومن احتجم يوم السبت والاربعاء فأصابه وضح فلا يلومن الا نفسه
ووطء النساء في الحيض حرام بنص القرآن فان وطئها زوجها أثم ولزمته الكفارة روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في رجل جامع امرأته وهي حائض قال ان كان دما عبيطا فليتصدق بدينار وان كان صفرة فنصف دينار ولا بأس
باستخدام الحائض ومباشرة بدنها اذا كانت متزرة والاستمتاع بما فوق الإزار وقال مسروق قلت لعائشة رضي الله عنها
ما يحل للرجل من امرأته اذا كانت حائضا قالت كل شيء الا الجماع وروي أن عائشة رضي الله عنها كانت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم مضطجعة في ثوب واحد اذ وثبت وثبة شديدة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك
لعلك نفست يعني حضت قالت نعم قال شدي عليك ازارك ثم عودي الى مضجعك • وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت بينا
انا مضطجعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخميلة اذ حضت فانسللت منها فأخذت ثياب حيضتي فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنفست قلت نعم فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة • وعن عائشة رضي الله عنها قالت كنت اغتسل
انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اناء واحد ونحن جنبان وكنت اغسل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتكف

في المسجد وانا حائض وكان يأمرني اذا كنت حائضا أن أتزر ثم يباشرني • وسئلت عائشة رضي الله عنها هل تأكل المرأة
مع زوجها وهي طامث قالت نعم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوني فآكل معه وانا عارك وكان يأخذ العرق
فيقسم علي فيه فأعترق منه ثم أضعه فيأخذه فيعترق منه ويضع فمه حيث وضعت فمي من العرق ويدعو بالشراب فيقسم علي فيه قبل ان
يأخذ القدح فأشرب منه ثم أضعه فيأخذه فيشرب منه ويضع فمه حيث وضعت فمي من القدح فدلت هذه الأخبار على
أن المراد بالاعتزال من الحيض جماعهن وذلك ان اليهود والمجوس كانوا يجتنبون الحيض في كل شيء وكانت النصارى يجامعونهن
ولا يبالون بالحيض فأمر الله تعالى بالاقتصاد بين هذين الأمرين وخير الأمور أوسطها • وقال أنس رضي الله عنه لما أنزل الله
تعالى ويسألونك عن المحيض قل هو أذى الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افعلوا كل شيء الا الجماع فبلغ ذلك اليهود
فقالوا ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا الا خالفنا فيه قوله تعالى ولا تقربوهن حتى يطهرن قرأ
الأعمش وعاصم وحمزة والكسائي يطّهّرن بالتشديد أي يغتسلن يدل عليه قراءة عبد الله حتى يتطهرن بالتاء على الأصل وقرأ
الباقون يطهرن بالتخفيف أي حتى يطهرن من حيضهن • واختلف الفقهاء في الحائض متى يحل وطؤها فقال أبو حنيفة وصاحباه
اذا طهرت لعشرة أيام جاز وطؤها دون الغسل وان طهرت لأقل من عشرة أيام لم يجز وطؤها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت صلاة
كامل وقال مجاهد وطاوس وعطاء اذا انقطع دمها وغسلت فرجها وتوضأت جاز وطؤها وقال الشافعي لا يحل وطؤها
الا بشرطين انقطاع الدم والاغتسال فمن قرأ يطهرن بالتشديد كان حجة للشافعي ومن تابعه ومن خفف كان حجة للمبيحين وطئها
قبل الغسل قوله تعالى فأتوهن من حيث أمركم الله أي فاذا اغتسلن فجامعوهن من حيث أمركم الله بتجنبه في
الحيض وهو الفرج قاله ابن عباس وقتادة والربيع وقيل معناه فأتوهن من قبل النكاح والجهات التي يحل فيها أن تقرب المرأة
في الشريعة وقال مجاهد كانوا يأتون النساء في الأدبار في أيام الحيض فأنزل الله هذه الآية وحرم بها ما كانوا يفعلون
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيان النساء في أعجازهن حرام • وقال ابن كيسان معناه لا تأتوهن صائمات ولا معتكفات
ولا محرمات وأتوهن وغشيانهن لكم حلال قوله عز وجل إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قال عطاء ومقاتل
والكلبي معناه ان الله يحب التوابين من الذنوب في اتيان النساء في دبر الحيض ويحب المتطهرين بالماء من الأحداث
والحيض والنجاسات والجنابات وقال مجاهد معناه ان الله يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين عن أدبار النساء لأن يأتي
وقال من أتى امرأة في دبرها فليس من المتطهرين وقال بعضهم معناه التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك وقال
سعيد بن جبير التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب • وعن عبد الرحيم معناه ان الله يحب التوابين من الكبائر والمتطهرين
من الصغائر التوابين من الأفعال والمتطهرين من الأقوال وقيل التوابين من الأقوال والأفعال المتطهرين من العقود والاعتقاد
وقيل التوابين من الآثام والمتطهرين من الإجرام وقيل التوابين من الذنوب المتطهرين من العيوب والتواب هو الذي كلما
أذنب تاب والمحيض مصدر يقال حاضت المرأة حيضا ومحيضا ومحاضا كل ذلك مصدر قوله عز وجل نساؤكم
حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم قال ابن عباس كانت اليهود يقولون انا نجد في التوراة ان كل اتيان يؤتى
النساء غير مستلقيات فانه دنس عند الله ومنه يكون الحول والخبل في الولد فأكذبهم الله تعالى بهذه الآية • وعن جابر
بن عبد الله قال كانت اليهود يقولون من جامع امرأته مجبية من قفاها في قبلها كان ولدها أحول فذكرت ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود فأنزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم • وقال الحسن وقتادة
ومقاتل والكلبي ان ذكر المهاجرون والأنصار واليهود اتيان النساء فقال المهاجرون انا نأتيهن باركات وقائمات ومستلقيات
ومن بين أيديهن ومن خلفهن بعد أن يكون المأتى واحدا وهو الفرج فقالت اليهود ما أنتم الا كالبهائم لكنا نأتيهن على
هيئة واحدة وانا نجد في التوراة ان كل اتيان يؤتى النساء غير مستلقيات فانه دنس عند الله ومنه يكون الحول والخبل
فذكر ذلك المسلمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا كنا في جاهليتنا وبعد ما أسلمنا نأتي النساء كيف شئنا وان اليهود
عابت ذلك علينا وزعمت انا كذا وكذا فأكذب الله اليهود ورخص للمسلمين في ذلك وقال نساؤكم حرث لكم • وعن ابن عباس قال كان هذا
الحي من الأنصار مع أهل هذا الحي من اليهود وهم أهل الكتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم وكانوا يقتدون بكثير من فعلهم

وكان من شأن اليهود أن لا يأتوا النساء إلا على حرف واحد وذلك أشد ما تكون على المرأة وكان هذا الحي من الأنصار
قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات
ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك فأنكرت
عليه وقالت إنما كنا نؤتى على حرف فإن شئت فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني حتى شرى أمرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأنزل الله عز وجل نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم مقبلات ومدبرات ومستلقيات والمعنى نساؤكم
حرث لكم أي مزدرع لكم، وقال الزجاج معناه نساؤكم ذوات حرث لكم فبين كيف يحرثون للولد اللذة فأتوا
حرثكم كيف شئتم وحيث شئتم ومتى شئتم بعد أن يكون في موضع واحد هو الفرج، قال أبو عبيد سميت المرأة حرثا
على وجه الكناية فإنها للولد كالأرض للزرع وفي الآية دليل على تحريم الوطء في الدبر لأنه موضع الفرث لا موضع الحرث
والمأتي قال الله تعالى نساؤكم حرث لكم وهذا من لطف كنايات القرآن، وقال أهل المعاني معنى الآية نساؤكم حرث
لكم كقوله تعالى حتى إذا جعله نارا أي كنار والعرب تسمي النساء حرثا قال الشاعر، إذا أكل الجراد حروث قوم
فحرثي همه أكل الجراد، يريد امرأتي وأنشد أحمد بن يحيى ثعلب حبذا من رحمة الله البنات الصالحات هن للنسل
وللزرع والحرث، يحفظ الله لنا فيما نشاء بركات، إنما الأرحام أرضون لنا محترثات، فعلينا الحرث فيها وعلى الله النبات
قوله تعالى أنى شئتم أي كيف شئتم وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل أي إن شئتم فاعزلوا وإن شئتم فلا تعزلوا
والدليل على هذا ما روي عن عبد الله أنه قال تستأمر الحرة في العزل ولا تستأمر الأمة وقد وهم بعض الناس في تأويل هذه الآية
وتعلقوا بظاهرها وجوزوا إتيان المرأة في دبرها وهذا لا يصح لأن قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم يقتضي
إتيان المرأة في موضع الحرث وهو القبل فإن الولد إنما يكون من إتيان المرأة في قبلها والقول بجواز إتيان المرأة في دبرها
باطل والصحيح أنه حرام لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من أتى المرأة
في دبرها، وعن عبد الله بن الحسن عن أبيه أنه لقي سالم بن عبد الله فقال له ما حديث يحدث به نافع عن ابن عمر
هو قال زعم أن عبد الله بن عمر لم ير بأسا في إتيان النساء في أدبارهن قال كذب العبد وأخطأ إنما قال عبد الله يؤتون
في فروجهن من أدبارهن والدليل على تحريم الوطء في الدبر قوله صلى الله عليه وسلم إن الله لا يستحيي من الحق لا تأتوا
النساء في أدبارهن، وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلا أو امرأة في دبرها
وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من أتى امرأة في دبرها وقال صلى الله عليه وسلم من أتى
حائضا أو امرأة في دبرها أو أتى كاهنا فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل
وقدموا لأنفسكم أي قدموا من العمل الصالح لآخرتكم، وقيل معناه سموا الله تعالى عند الجماع كما روي عن
ابن عباس أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليقل بسم الله اللهم جنبني
الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإن قدر بينهما ولد لم يضره الشيطان وقيل معنى وقدموا لأنفسكم النية الصالحة
عند ذلك أن ينوي بها ما قضى الله له ولدا يعبده وقيل معناه قدموا لأنفسكم هو التزوج بالعفائف ليكون الولد صالحا
طاهرا، وقيل هو تقديم الأفراط قال صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار
إلا تحلة القسم فقالوا يا رسول الله واثنان قال واثنان قال ظننا أنه لو قيل له وواحد لقال وواحد، وقال السدي
والكلبي يعني العمل الصالح دليله سياق الآية واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه قوله تعالى واتقوا الله أي
اخشوه ولا تقربوهن في حال الحيض ولا على وجه لا يحل لكم واعلموا أنكم ملاقوه يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم قوله تعالى
وبشر المؤمنين أي المصدقين بالبعث والثواب بالجنة قوله عز وجل ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم
أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت هذه الآية في عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه حلف
لا يدخل على ختنه بشير بن النعمان الأنصاري ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصمه فجعل يقول حلفت بالله أن لا أفعل
ولا يحل لي إلا أن أبر في يميني فنزلت هذه الآية ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليه الآية وقال من حلف

على يمين فرأى أن غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه افعلوا الخير ودعوا الشر فكفر يمينه وأخذ عن
يمينه ورجع إلى الذي هو خير ومعنى الآية ولا تجعلوا الله علة لأيمانكم أي لا تجعلوا اليمين بالله مانعة لكم من البر والتقوى
وهو أن يجعل الرجل اليمين معترضا بينه وبين ما هو مندوب إليه أو مأمور به البر والتقوى والإصلاح يفعل ذلك
للامتناع من الخير لأن المعترض بين الشيئين يمنع وصول أحدهما إلى الآخر ومعنى أن تبروا وتتقوا أي لا تبروا ولا تتقوا
القطيعة ولا تصلحوا بين المتشاجرين كما قال امرؤ القيس، فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك
وأوصالي، أراد بذلك لا أبرح وكان أبو العباس ينكر إضمار حرف النفي في هذه الآية ويقول هذا إنما يكون في تصريح
اليمين كقولك والله أقوم يعني والله لا أقوم فأما في مثل هذا الموضع فلا يجوز إضمار حرف النفي وقال الصواب أن معناه لا
تجعلوا الله عرضة لأيمانكم كراهة أن تبروا فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، ونظير هذا قوله تعالى ولا يأتل
أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين، وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى الآية ولا تجعلوا الله
عرضة لأيمانكم أي لا تعترضوا باليمين بالله تعالى في كل حق وباطل وهو نهي عن كثرة الحلف لما في ذلك من الجرأة على الله عز وجل
ولا تبتذلوا اسمه في كل حق وباطل يقال هذه عرضة لك أي عدة لك تبتذلها فيما تشاء ومعنى أن تبروا على هذا إثبات أي
تحلفوا في كل شيء لأن تبروا إذا حلفتم وتتقوا المآثم فيهما ويجوز أن يكون في قوله تعالى أن تبروا ابتداء وخبره محذوف وتقدير
أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس أولى وعلى هذا يكون موضع أن تبروا رفعا وعلى الأول يكون نصبا لأن
معناه لأن تبروا وموضعه نصب بنزع الخافض، وقال مقاتل نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف أن لا يصل ابنه عبد الرحمن حتى يسلم
وقال ابن جريج نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الإفك، قال المفسرون
هذا في الرجل يحلف بالله أن لا يصل رحمه ولا يكلم قرابته ولا يتصدق ولا يصنع خيرا ولا يصلح بين اثنين فأمره الله تعالى أن
يحنث في يمينه ويفعل ذلك الخير ويكفر عن يمينه قوله تعالى والله سميع عليم أي سميع لأيمانكم عليم بما تقصدون
بأيمانكم عند الحلف قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
اختلف العلماء في لغو اليمين المذكور في هذه الآية فقال قوم هو ما سبق به اللسان على سرعة وعجلة ليصل به كلامه من غير
عقد ولا قصد مثل قول الإنسان لا والله وبلى والله ونحو ذلك فهذا لا كفارة فيه ولا إثم وعلى هذا القول عائشة رضي الله
عنها والشعبي وعكرمة ومجاهد، وقال آخرون لغو اليمين هو أن يحلف الإنسان على شيء يرى أنه صادق فيه ثم يتبين له خلاف
ذلك فهو خطأ منه غير عمد فلا إثم عليه ولا كفارة وعلى هذا القول ابن عباس والزهري والحسن وإبراهيم النخعي وقتادة
والربيع وزرارة بن أوفى ومكحول والسدي، وقال علي رضي الله عنه وطاوس اللغو اليمين في حال الغضب والضجر من غير
عقد ولا عزم ومثله يروى عن ابن عباس يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا يمين في غضب وقال بعضهم هو اليمين في المعصية
لا يؤاخذه الله بالحنث فيها بل يحنث في يمينه ويكفر وبه قال سعيد بن جبير وقال غيره ليس عليه كفارة، وقال مسروق ولا يكون
ذلك إلا في الزوج بعد الإيلاء قلنا هذا القول لا يصح لأن الله لم يزل سميعا بصيرا ولا مسموع وقد قال تعالى وقاتلوا
في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم وليس هناك قوله عز وجل والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل
لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وقال ابن عباس كان أهل الجاهلية يطلق
الرجل امرأته فإن كانت حبلى كان أحق برجعتها وإلا كانت تعتد بها وكانت المرأة إذا أحبت الرجل قالت أنا حبلى وليست حبلى
لتراجعها وإذا كرهته وهي حبلى قالت لست بحبلى لئلا يقدر على رجعتها فجعل الله تعالى عدة المطلقات ثلاثة قروء ونهى النساء
عن كتمان ما في أرحامهن من الحيض والحبل، ومعنى الآية والمطلقات يتربصن بأنفسهن ما ذا يصنع بهن أزواجهن من الرجعة وتركها
الرجعة، وقد اختلف العلماء في القروء المذكورة قال أبو بكر وعمر وعثمان وابن عباس وابن مسعود وأبو موسى الأشعري هي الحيض
وقالوا إن الزوج أحق بها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابه، وقال ابن عمر وزيد بن ثابت وعائشة
الأقراء هي الأطهار وإذا دخلت في الحيضة الثالثة فلا سبيل له عليها وبه قال مالك والشافعي، وإنما اختلف السلف في هذه
المسألة لأن القرء في اللغة عبارة عن الحيض وعن الطهر وهو من أسماء الأضداد، وقال أبو عبيد هو خروج من شيء إلى شيء يقال

قرأ النجم إذا طلع وقرأ النجم إذا غاب والمرأة تخرج من الحيض إلى الطهر ومن الطهر إلى الحيض قال الشاعر يا رب
ذي ضغن وضب فارض • له قروء كقروء الحائض • وأراد بذلك الحيض يعني أن عداوته تهيج في أوقات معلومة كما أن
المرأة تحيض في أوقات معلومة وقال آخر أفي كل عام أنت جاشم غزوة • تشد لأقصاها عزيم عزائكا •
مورثة مالا وفي الحي رفعة • لما ضاع فيها من قروء نسائكا • وأراد بالقروء في هذا البيت الطهر لأنه خرج إلى
الغزو ولم يغش نساءه فأضاع أقراءهن أي أطهارهن فلما اختلف السلف واختلف اللغة في هذا الاسم ولم يمكن حمله
على المعنيين جميعا وجب حمله على حقيقته دون مجازه واسم القرء حقيقة في الحيض مجاز في الطهر لأن كل طهر لا يسمى قرءا
وإنما الطهر الذي يكون بين الحيضتين يسمى بهذا الاسم لمجاورته الحيض فلو كان هذا الاسم حقيقة في الطهر لكان لا ينفي
عن طهر الآيسة والصغيرة ولأنه حمله على الحيض أولى من حمله على غيره وإذا اختلف الأمة في ذلك كان المرجع إلى بيان
النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم المستحاضة تدع الصلوة أيام أقرائها وأراد بالأقراء الحيض
واتفقت الصحابة أن مدة أم الولد بالحيض وكذا الاستبراء بالحيض بالإجماع • وذهب الزجاج إلى أن القرء من قولهم
قرأت القرآن أي لفظت به مجموعا • ويقال قريت الماء في الحوض ويسمى الحوض مقراة وقال إنما يجتمع الدم في البدن في
الطهر فهو القرء وعن أن الأمر أظهر في الحقيقة لأن هذا من علم ما في الأرحام وقد خص الله نفسه بعلم ما في الأرحام
ولا يمتنع أن يجتمع الدم في حالة الحيض قطعة أو قطعتين كالغيرة ونحوها إذ لو اجتمع جملة لم يدر دورا ولا يسقط كالنوب
سائر المعتدات الحيض والمطلقة قبل الدخول مخصوصة من هذه الآية بآية أخرى وهو قوله تعالى إذا نكحتم المؤمنات
ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وكذلك الحامل مخصوصة بآية أخرى وروي
أن رجلا من أشجع قال يا رسول الله طلقت امرأتي وهي حامل وقد ذهبت ولا آمن أن تتزوج بغيري
فيكون ولدي له فأنزل الله والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء إلى آخر الآية فقرئت امرأة لا تسمى [illegible]
فقام معاذ بن جبل فقال يا رسول الله أرأيت الكبيرة التي يئست من الحيض ما عدتها فنزل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم
إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر فقام آخر فقال يا رسول الله أرأيت الصغيرة التي لم تبلغ الحلم ما عدتها فنزل واللائي
لم يحضن فقام آخر فقال يا رسول الله والحامل ما عدتهن فنزل وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن قوله
تعالى **ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن** تخويفا من الله تعالى للمعتدات كيلا يكتمن ما
خلق الله في أرحامهن من الحبل فيخرجن بانقضاء العدة ثم يتزوجن فيلحق الولد غير أبيه ولا يكتمن الحيض
فيمنعن من الرجعة بانقضاء العدة ليستوجبن النفقة على أزواجهن • وفي هذه الآية دليل على أن قول المرأة
يقبل على رحمها حتى لو قالت حضت حرم على الزوج وطؤها وإذا قالت طهرت يحل له وطؤها إذ لو لم يجب قبول
قولها لم يكن لنهيها عن الكتمان معنى ولا فائدة ولهذا إذا قال لامرأته إذا حضت فأنت طالق فقالت حضت طلقت وكان
قولها كالبينة في حق نفسها لأنا قبلنا قولها فيما يخصها من انقضاء عدتها وإباحة وطئها وحظره وفي قول [illegible]
سائر الشروط نحو قوله إذا دخلت الدار أو كلمت زيدا فقالت [illegible] لا يقبل قولها إلا ببينة وأما إذا علق عتق عبده بحيض
زوجته فقالت حضت لم تصدق في حق ذلك الحكم في غيرها لا يخصها ولا يتعلق بها فهو كغيره من الشروط ولا تصدق
قوله تعالى **وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا** أي أزواجهن أحق برجعتهن في الأجل
الذي أمرن أن يتربصن فيه إن أرادوا بالمراجعة حسن الصحبة والمعاشرة دون الإضرار والعدوان قوله عز وجل
ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف أي لهن على أزواجهن من الحق والحرمة وحسن المعاشرة مثل ما للزوج عليهن
من الحقوق بالمعروف واسم المعروف عام في كل ما تعرف وإقامة الحق يسمى بذلك لأن كل أحد يعرف أنه حق قوله تعالى
وللرجال عليهن درجة أي لهم زيادة فضل على النساء وهو الفضل بنفقتهن وقيامهم بمصالحهن والفضل في العقل
والميراث وأن يكون الرجل مسلطا على تأديب المرأة إذا أذنبت وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يصح لبشر أن يسجد
لبشر ولو صح ذلك لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه

تزوج [illegible] بالقيح والصديد ثم لحسته ما أدت حقه قوله تعالى **والله عزيز حكيم** أي ملك غالب يحكم على [illegible]
ولكن بما أحب فينتقم ممن عصاه وهو ذو حكمة فيما أمر من أمر الدين والدنيا لا يأمر شيئا إلا بالحكمة قوله عز وجل
الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان قال عروة بن الزبير وقتادة في معنى هذه الآية أن
الطلاق الذي يملك فيه الرجعة مرتان فإنه بعد الطلقة الثالثة لا يملك الرجعة • وفي هذه الآية ما يدل على هذا لأن
الله تعالى عقبه بقوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان • وعن ابن عباس ومجاهد أن المراد بالآية بيان طلاق
السنة وقوله الطلاق مرتان لفظه الخبر ومعناه الأمر والندب وفي لفظ المرتين دليل على أن التفريق سنة لأن من
طلق اثنتين معا لا يقال طلقها مرتين ولكن في هذه الآية كيفية سنة التفريق وقد فسر الله تعالى بقوله إذا طلقتم النساء
فطلقوهن لعدتهن وأراد بذلك تفريق الطلاق على أطهار العدة ألا ترى أنه تعالى خاطب الرجال بإحصاء العدة وذكر الرجعة
في سياق الآية بقوله لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وعلى هذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عمر حين طلق امرأته في حال
الحيض ما هكذا أمرك ربك إنما أمرك أن تستقبل الطهر استقبالا فطلقها لكل قرء تطليقة فإنها العدة التي أمر الله تعالى
أن تطلق فيها النساء قوله تعالى فإمساك بمعروف أي عليكم إمساكهن بحسن الصحبة والمعاشرة إذا أردتم الرجعة أو
تسريح بإحسان أي تتركوهن حتى ينقضي تمام الطهر ولكن أملك لأنفسهن والإحسان أن يوفي حقها في المهر ونفقة العدة
وأن لا تطول العدة عليها وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقيل له أين التطليقة الثالثة فقال
في قوله أو تسريح بإحسان قوله عز وجل **ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما
حدود الله** قال ابن عباس نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول وفي زوجها ثابت بن قيس كانت تبغضه بغضا
شديدا لا تقدر على النظر إليه وكان يحبها حبا شديدا لا يقدر أن يصبر عنها وكان بينهما كلام فأتت أباها فشكت عليه
وقالت إنه يضربني ويسيء إلي فقال لها ارجعي إلى زوجك فأتته الثانية وبها أثر الضرب فشكت إليه فقال لها ارجعي
إلى زوجك فلما رأت أنه لا يشكيها ولا ينظر لها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت عليه وأرته أثر الضرب بها
فقالت يا رسول الله لا أنا ولا هو فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثابت وقال له ما لك ولأهلك فقال والذي بعثك
بالحق نبيا ما على وجه الأرض شيء أحب إلي منها غيرك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما تقولين فكرهت أن تكذب رسول
صلى الله عليه وسلم فقالت ما كنت أحدثك اليوم حديثا ينزل عليك خلافه هو من أكرم الناس لزوجته لا أعيب عليه في دين
ولا خلق ولكني أبغضه لا أنا ولا هو فقال ثابت قد أعطيتها حديقة لي قل لها فلتردها علي وأنا أخلي سبيلها فقال رسول
صلى الله عليه وسلم أتردين عليه حديقته وتملكين أمرك قالت نعم وزيادة فأنزل الله قوله تعالى ولا يحل لكم أن تأخذوا
مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله الآية فقال صلى الله عليه وسلم أما الزيادة فلا ثم قال لثابت خذ
منها ما أعطيتها وخل سبيلها ففعل فكان ذلك أول خلع في الإسلام • ومعنى الآية ولا يحل لكم أن تأخذوا شيئا مما أعطيتموهن
من مهر ولا غيره إلا أن يخافا قال أبو عبيدة معناه يعلما ويوقنا حقيقة إلا أن يكون الأغلب عليهما ما ظهر منهما من أسباب
التباعد الخوف من أن لا يقيما حدود الله ومن قرأ يخافا على فعل ما لم يسم فاعله وهي قراءة حمزة أي كان المعنى إلا أن يخافا
عليهما أن لا يقيما حدود الله وهو ما فرض الله تعالى للزوج على المرأة والمرأة على الزوج وقد يذكر الخوف في معنى العلم
كما قال أبو محجن الثقفي

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة • تروي عظامي بعد موتي عروقها •
ولا تدفنني في الفلاة فإنني • أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها •

وأما قوله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله أي علمتم بغالب ظنكم أن لا يكون بينهما صلاح ولا مقام على النكاح فلا جناح عليهما
فيما افتدت به أي لا حرج عليهما في الأخذ والإعطاء ويقال معناه لا حرج على الزوج أن يأخذ ما افتدت به المرأة نفسها
مما أعطاها الزوج قال الفراء هذا كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج ذلك من أحدهما كذلك في هذه الآية
أراد بقوله تعالى فلا جناح عليهما نفي الحرج عن الزوج في الأخذ وأما المرأة فهي معذورة في اختيارها ورضاها وإنما يباح
للزوج أن يخلعها إذا كان النشوز من قبل المرأة وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال لو اختلعت بكل شيء لها لأجزته

وروي أن امرأة نشزت فرفعت إلى عمر رضي الله عنه فأباتها في بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعاها فقال لها رضي الله عنه كيف
وجدت مبيتك فقالت ما بتّ ليالي منذ كنت عنده أقرّ لعيني منهن فقال عمر رضي الله عنه لزوجها اخلعها ولو بقرطها
قوله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها لأنه أي هذه الآيات المنزلة من الأوامر والنواهي فرائض الله
والحكمة فلا تعتدوها أي فلا تجاوزوها ومن يتعدّ حدود الله أي من يتجاوز أحكام الله تغييراً كما أمر الله به أو بعمل
بإلغائه فأولئك هم الظالمون الضارّون لأنفسهم بمعصيتهم وإذا كان النشوز من قبل الزوج فلا يحل له أخذ شيء
منها ديانة لقوله تعالى وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً • وقد اختلف
السلف رضي الله عنهم في الخلع هل هو طلاق أو فسخ فذهب بعضهم إلى أنه فسخ وهي رواية عن ابن عباس واستدلوا بظاهر
هذه الآية فقالوا إن الله ذكر الطلاق الثلث بعد هذا بقوله فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره فلو كان
الخلع طلاقاً لكان الطلاق أكثر من ثلث وأكثر فقهاء الأمصار قالوا الخلع طلاق وهو قول عمر وعثمان وابن مسعود و
أكثرهم النخعي وغيرهم وليس في ظاهر هذه الآية دليل على أن الخلع فسخ لأن قوله تعالى ولا يحل لكم أن تأخذوا والحكم مبتدأ إذ
الواو للاستيناف إلا أن يقوم دليل الجمع فكأن الله ذكر أولاً هذه الآية حكم الطلاق بغير بدل وبحق الزوج في أن يراجعها
في العدة أو يتركها حتى تنقضي عدتها ثم استأنف بيان حكم الطلاق إذا كان على وجه الخلع وأبان عن مواضع الحظر والإباحة
فيه ثم ذكر حكم الطلقة الثالثة بالآية التي بعد هذه الآية • وهذا مما استدل به على أن المختلعة يلحقها الطلاق لأن عامة
العلماء اتفقوا على أن تقدير الآية وترتيب أحكامها على ما وصفناه فحصلت الطلقة الثالثة بعد الخلع قوله عز وجل
فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره أي فإن طلقها الطلقة الثالثة فلا تحل له من بعد الثالثة حتى
تتزوج زوجاً غير الزوج الأول ويدخل بها ويطلقها إذ لا خلاف بين أهل العلم أن دخول الزوج الثاني بها شرط في إباحتها
للأول إلا ما روي عن سعيد بن المسيب وأنه شاذة أنه لم يجعله شرطاً ولم يتابعه أحد على ذلك وإنما جعل دخول الزوج
الثاني بها شرطاً لعموم الآية وورود السنة أما عموم الآية فلأن الله تعالى قال حتى تنكح زوجاً غيره والنكاح هو الوطي
في الحقيقة وذكر الزوج بعد العقد استحالة أن تكون زوجاً من غير عقد فكأن قوله حتى تنكح كناية مفهمة مغنية عن التصريح
وأما السنة فما روي أن رفاعة القرظي طلق امرأته ثلاثاً فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم تريد أن ترجع إلى زوجها الأول فقال صلى الله عليه وسلم هل جامعك عبد الرحمن فقالت ما الذي معه إلا كهدبة
ثوبي هذا فقال صلى الله عليه وسلم أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة قالت نعم فقال صلى الله عليه وسلم لا حتى يذوق من عسيلتك
وتذوقي من عسيلته فذهبت على مقالتها فقالت يا رسول الله قد طاف بي فقال صلى الله عليه وسلم لا أصدقك الآن قوله
عز وجل فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله أي فإن طلقها الزوج الثاني
بعدما دخل بها فلا حرج على المرأة وعلى الزوج الأول أن يتراجعا بتزوجها مرة أخرى بعد انقضاء العدة قوله تعالى
إن ظنا أن يقيما حدود الله أي إن علما بغالب ظنهما أنهما يقيمان حدود الله فيما بينهما لأنهما قد افترقا ورأى الزوج وحدته
ورأت المرأة غربتها ووحشتها والحكمة في شرط دخول الزوج الثاني بها أن الطلاق لما كان أبغض المباحات إلى الله تعالى
على ما ورد به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أبغض المباحات عند الله الطلاق شرط الله في حرمة الطلقة الثالثة
ما يكبر على الأزواج من غشيان الغير لتلك المرأة حتى لا يعجلوا بالطلاق عند الغضب ولا يطلقوا إلا على وجه السنة وقوله
عز وجل وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون أي هذه التي ذكرت أحكام الله وفرائضه يبينها في القرآن
لقوم يعلمون أوامر الله تعالى فإنما يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق فخص العلماء في هذه الآية لأنهم هم الذين
يحفظون أوامر الله تعالى وأحكامه وينتفعون بالآيات وقيل خصهم الله بالذكر على جهة التنبيه لهما قوله عز وجل
وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا
نزلت في ثابت بن يسار الأنصاري طلق امرأته حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة وكادت تبين منه راجعها ثم طلقها
ففعل بها مثل ذلك حتى مضت لها سبعة أشهر مضاراً لها بذلك وكان الرجل إذا أراد أن يضار امرأته طلقها ثم تركها حتى

تحيض الحيضة الثالثة ثم راجعها ثم طلقها فتطول عليها العدة فهذا هو الضرار فأنزل الله هذه الآية ومعنى الآية وإذا
طلقتم النساء تطليقة أو تطليقتين فبلغن أجلهن أي فقاربن وقت انقضاء العدة فأمسكوهن بمعروف أي احبسوهن
بالرجعة على أحسن الصحبة لا على تطويل العدة أو سرحوهن بمعروف أي اتركوهن بمعروف حتى تنقضي أجلهن ولا
تمسكوهن ضراراً أي لا تحبسوهن في العدة إضراراً لتعتدوا عليهن أي تظلموهن قوله تعالى ومن يفعل ذلك
فقد ظلم نفسه أي من يفعل ذلك الاعتداء فقد عرّض نفسه لعذاب الله بإتيان ما نهى الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ملعون من ضار مسلماً أو ماكره قوله تعالى ولا تتخذوا آيات الله هزواً أي لا تتركوا
ما حد الله لكم من أمر الطلاق وغيره فتكونوا مقصرين لاعبين • وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال كان الرجل يطلق
امرأته أو يعتق عبده ثم يقول إنما كنت لاعباً فزجر في العتق والنكاح فأنزل الله هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم
من طلق لاعباً أو أعتق لاعباً فقد جاز عليه أي نفذ عليه • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلث جدهن
جد وهزلهن جد الطلاق والعتاق والنكاح • وفي بعض الروايات الطلاق والنكاح والرجعة وروي في الخبر خمس
جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والعتاق والرجعة والنكاح والنذر وعن أبي موسى الأشعري قال غضب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الأشعريين قالت فقلت يا رسول الله غضبت على الأشعريين قال يقول أحدكم لامرأته قد طلقتك
ثم يقول قد راجعتك ليس هذا طلاق المسلمين طلقوا المرأة قبل طهرها • وقال الكلبي معناه لا تتخذوا آيات الله هزواً أي أمسكوا
بمعروف أو سرحوا بإحسان قوله عز وجل واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة
يعظكم به أي احفظوا منة الله عليكم في أمر الدين وقال اذكروا نعمة الله عليكم بالإيمان وما أنزل عليكم من الكتاب يعني القرآن
والحكمة يعني مواعظ القرآن والحدود والأحكام • وقيل الحكمة هي فقه الحلال والحرام قوله يعظكم به أي ينهاكم عن الإضرار
وسائر المعاصي قوله تعالى واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم أي احذروه فيما أمركم به ونهاكم عنه
واعلموا أن الله بكل شيء من أعمالكم من العدل والجور عليم أي عالم يجازيكم على الخير والشر ومن الناس من يحتج بقوله فإمساك
بمعروف أو تسريح بإحسان في إيجاب التفرقة بين المعسر العاجز عن النفقة وبين امرأته لأن الله خيرهم بين أحد شيئين وإذا عجز
عن أحدهما تعين عليه الثاني قلنا هذا الاحتجاج بعيد من الآية لأن العاجز عن نفقة المرأة ممسك بالمعروف وإذا لم يكلف بها
في هذه الساعة قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها وغير جائز أن يقال
المعسر غير ممسك بالمعروف وإذا ترك الإمساك بالمعروف ذم والعاجز غير مذموم قوله عز وجل وإذا طلقتم النساء فبلغن
أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف قال الحسن وقتادة نزلت الآية
في معقل بن يسار كانت أخته جمل تحت أبي البداح طلقها تطليقة وأحلها حتى انقضت عدتها ثم ندم على طلاقه إياها
فخطبها فرضيت المرأة بذلك وأحبت أن تراجعه وأبى أخوها معقل وقال لها أخوها أبي أخبرته على أشراف قومي
طلقك ثم تريدين أن تراجعيه وجهي من وجهك حرام أبداً أن تزوجيه فأنزل الله هذه الآية ينهى معقلاً عن ما صنع
وروي أن أبا البداح لما طلقها وتركها حتى انقضت عدتها جاء يخطبها وأراد مراجعتها وكانت المرأة تحب مراجعته قال
لها أخوها أفرشتك كريمتي وآثرتك على قومي فطلقتها ولم تراجعها حتى انقضت عدتها جئت تخطبها والله لا أنكحها أبداً
فأنزل الله هذه الآية ومعناها وإذا طلقتم النساء واحدة أو اثنتين فبلغن أجلهن يعني انقضت عدتهن والمراد ببلوغ
الأجل في هذه الآية حقيقة البلوغ بانقضاء العدة فلا تعضلوهن أي لا تمنعوهن أن ينكحن أزواجهن يعني الذين كانوا
أزواجاً لهن من قبل وقوله تعالى إذا تراضوا بينهم بالمعروف أي إذا تراضوا بنكاح جديد ومهر وشهود وما لا يكون مستنكراً
في عقل ولا عادة ولا خلق قوله عز وجل ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر أي
ذلك الذي ذكرت النهي عن العضل يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله ويؤمن بالبعث قوله تعالى ذلكم أزكى لكم وأطهر
أي لا تمنعوهن خير لكم وأفضل وأدخل في التزكية من المنع وأطهر من الذنب أبعد من الريبة لأنه إذا كان في
نفس كل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن أن يتجاوزا ذلك إلى غير ما أحل الله لهما قوله تعالى والله يعلم وأنتم

لا تعلمون أي والله يعلم حب كل واحد منهما لصاحبه وأنتم لا تعلمون ذلك • وقيل معناه والله يعلم ما لكم فيه من الصلاح
في العاجل والآجل ويعلم ما يزكيكم مما يريبكم وأنتم لا تعلمون ذلك • فلما نزلت هذه الآية دعا النبي صلى الله عليه وسلم
معقلاً فقرأ عليه الآية وقال إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فلا تمنع أختك من أبي الدحداح فقال آمنت بالله واليوم
الآخر وأشهدكم أني قد أنكحته إياها وكفر عن يمينه • والعضل في اللغة له معنيان أحدهما المنع يقال عضل الرجل المرأة
يعضلها ويعضلها إذا منعها من التزوج ظلماً وأعضل الداء الأطباء إذا أعياهم عن المعالجة ويقال داء عضال ومسألة
معضلة والآخر التضييق يقال عضل الفضاء بالجيش إذا ضاق بهم وعضلت المرأة بولدها إذا عسر خروجه • وفي الآية دليل
على جواز نكاح المرأة على نفسها إذا عقدت بغير ولي لأن الله تعالى أضاف العقد إليها ونهى الولي عن عضلها إذا تراضا
الزوجان بالمعروف • ويدل على ذلك قوله فلا جناح عليهما أن يتراجعا وقوله فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن
بالمعروف قوله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة
أي والمطلقات اللاتي لهن أولاد من أزواجهن المطلقين ولدتهم قبل الطلاق أو بعده وقوله يرضعن أولادهن لفظه
لفظ الخبر ومعناه الأمر كأنه قال ليرضع الوالدات أولادهن كما قال تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن يدل على
ذلك أنه لو كان قوله يرضعن خبراً لما وجد مخبره خلافاً فيما أخبر الله به فلما كان من الوالدات من لا يرضع علم أنه لم
يرد به الخبر وكان هذا محمولاً في حال قيام النكاح على الأمر الواجب من طريق الدين لا من جهة الحكم وإنها إذا امتنعت من الرضاع
لم يكن للزوج أن يجبرها على ذلك من حيث الحكم وإن أرضعته لم تستحق نفقة الرضاع مع بقاء الزوجية لأنه لا يجتمع لها
نفقتان وفي الآية إثبات حق الرضاع للأم وبيان مدة الرضاع لتستحق على الوالد فإن الوالد لو امتنع من أجر الرضاع في الحولين
أجبر عليه كما قال تعالى في آية المطلقات فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن • وقال وإن تعاسرتم فسترضع
له أخرى • فإن قيل كيف قال الله تعالى حولين كاملين والحولان لا يكونان إلا كاملين قيل لأنه لما جاز أن يقال
ويقول لما تم عدد فلان سنتين إذا كان قريباً من سنتين وبقيت شهراً إذا كان قريباً من شهر فبين الله تعالى أنهما حولان
كاملان أربعة وعشرون شهراً من يوم يولد إلى أن يفطم قوله تعالى لمن أراد أن يتم الرضاعة أي لمن أراد
من الآباء أن يتم الرضاعة المفروضة عليه أي هذا منتهى الرضاعة وليس فيما دون ذلك وقت محدود وإنما هو على
مقدار إصلاح الصبي وما يعيش به • قرأ أبو رجاء الرضاعة بكسر الراء وقال الخليل هما لغتان مثل الوكالة والوكالة
والدلالة والدلالة • وقرأ مجاهد لمن أراد أن يتم الرضعة وهي فعلة كالمرة الواحدة • وقرأ عكرمة لمن أراد أن يتم
الرضاعة بتاء مفتوحة ورفع الرضاعة على الفاعل • وقرأ ابن عباس لمن أراد أن يكمل الرضاعة قوله عز وجل
وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها معناه وعلى الأب نفقتهن وكسوتهن بما يعرف
أنه العدل ليكون ذلك أجرة لهن على الرضاع إذا كان إرضاع الولد بعد الفراق وقوله تعالى لا تكلف نفس إلا وسعها أي
لا يجبر الأب على النفقة والكسوة إلا مقدار طاقته والتكليف هو الإلزام • قال الضحاك هذا في المطلقات دون المزوجات
لأن الله تعالى قال رزقهن النفقة للإرضاع ونفقة الزوجة لا تجب للإرضاع وإنما تجب بسبب الزوجية قوله عز وجل
لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب برواية سلام برفع الراء مشددة على
الخبر نسقاً على قوله لا تكلف نفس وأصله لا تضارر فأدغمت الراء في الراء • وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي
لا تضار مشددة منصوبة على النهي وأصله لا تضارر فأدغمت الراء في الراء وحركت إلى أخف الحركات وهو النصب
ويدل عليه قراءة عمر لا تضارر على إظهار التضعيف ومعنى الآية لا تضار والدة بولدها فينزع الولد منها إلى غيرها بعد أن
رضيت بإرضاعه وألفها الطفل ولا مولود له بولده أي لا تلقيه هي إلى أبيه بعد أن عرفها الولد لتضار بذلك الأب
وقيل معناه لا تضار والدة بولدها فتكره على إرضاعه إذا قبل من غيرها وكرهت هي إرضاعه لأن ذلك ليس بواجب عليها
ولا مولود له بولده فيحمل على أن يعطي الأم إذا لم يرضع الولد إلا منها أكثر مما يجب لها عليه وهذان القولان على مذهب الفعل
المجهول على معنى أنه يفعل ذلك بهما والوالدة والمولود له مفعولان وأصل الكلمة تضارر بفتح الراء الأولى ويحتمل

أن يكون الفعل لهما ويكون على مذهب من قد سمي فاعله والمعنى لا تضارر والدة بولدها فتأبى أن ترضع ولدها
لتشق على أبيه ولا مولود له بولده أي ولا يضارر الأب أم الصبي فيمنعها من إرضاعه وينزعه منها وعلى المذهب
أصله لا تضارر بكسر الراء الأولى • وحمل الزجاج قوله لا تضار بالنصب نهياً للوالدة عن الإضرار بالولد وقوله ولا
مولود له بولده نهياً للوالد عن الإضرار بولده • ومعنى ذلك لا تترك الوالدة إرضاع ولدها غيظاً على أبيه فيضر بالولد
لأن الوالدة أشفق بولدها من الأجنبية ولا يأخذ الأب الولد من أمه قصداً إلى الإضرار بها فيضر بولده ويمنعها الأجرة
فيضر بولده قوله عز وجل وعلى الوارث مثل ذلك يعني على وارث الولد إذا لم يكن له أب مثل ما على الأب من
النفقة والكسوة وترك الإضرار قال عمر والحسن إنه على العصبات دون أصحاب الفرائض • وقال قتادة إنه على الوارث من
العصبات وأصحاب الفرائض جميعاً على كل واحد منهم بمقدار نصيبه من الميراث إلا أنه لم يشترط أن يكون الوارث ذا رحم
محرم من الولد وقد شرط أصحابنا ذلك قوله عز وجل فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما
أي أن أرادا الأبوان فطام الولد من اللبن دون حولين بتراضيهما وتشاورهما فلا جناح أي لا إثم عليهما • وعن ابن عباس معناه أن
أرادا فصالاً قبل الحولين أو بعدهما بتراضيهما فلا جناح عليهما فإن تشاجرا رجعا إلى الحولين وإنما سمي الفطام فصالاً لانفصال
المولود من الاغتذاء بثدي أمه إلى غيره من الأقوات وأصل الفصل القطع والتفريق قوله عز وجل وإن أردتم
أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف يعني وإن أردتم أيها الآباء أن
تسترضعوا لأولادكم غير الوالدة فلا جناح عليكم إذا سلمتم من الأجرة ما تراضيتم به ولهذا قالوا إن الأم إذا لم تختر أن
ترضع الولد بعد الطلاق واختارت أن يكون الولد عندها أمر الزوج أن يستأجر ظئراً لترضعه في بيت الأم لترضيع
قوله تعالى واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير أي اتقوا الله في الضرار ومخالفة أمر الله واعلموا أن
الله بما تعملون من العدل والجور في أولادكم ونسائكم بصير فيجازيكم به وإنما ذكر الحولين في مدة الرضاع على
قول أبي حنيفة تعلق بيان مقدار استحقاق نفقة الرضاع وثبوت حكم الحرمة ثلاثون شهراً على مذهبه • وعن ابن عباس أنه
كان يقول في قوله وحمله وفصاله ثلاثون شهراً بيان أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع لأن الله تعالى قال في آية أخرى
وفصاله في عامين وكان يقول إذا كان الحمل ستة أشهر كانت مدة الرضاع سنتين وإن كان الحمل تسعة أشهر كان الرضاع
سنة وثلاثة أشهر وعلى هذا مهما زاد في الحمل شهراً نقص بإزائه من الرضاع وهذا يقتضي أن الحمل إذا بلغ سنتين أن المرأة لا ترضع
ولدها إلا ستة أشهر • وكان أبو حنيفة يحمل قوله وحمله وفصاله ثلاثون شهراً على ذكر الحمل على الأيدي مع بيان مدة أكثر
الرضاع قوله عز وجل والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر
وعشراً معناه إن الذين يموتون ويذرون أزواجاً ولهن يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ولا يتزوجن ولا يتزين في
هذه المدة قوله تعالى فإذا بلغن أجلهن أي إذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن أي
لا حرج عليكم في تركهن بعد انقضاء المدة ليتزين زينة لا ينكر مثلها ويتزوجن من الأكفاء ويفعلن كل معروف قوله
تعالى والله بما تعملون خبير أي بما تعملون من الخير والشر عالم يجازيكم به فإن قيل الذين اسم موصول ويتوفون ويذرون
من صلته وجملته مبتدأ ويتربصن فعل الأزواج لا فعل الذين ولا فيه ضمير عائد إلى الذين فيبقى المبتدأ بلا خبر والمبتدأ لا يخلو
من خبر إما كان أو فعلاً وليس من ذلك هاهنا شيء • قيل قال أبو العباس المبرد في الآية ضمير تقديره وأزواجهم يتربصن
لأن الفعل يدل على الفاعل • وقال الأخفش تقديره يتربصن من بعدهم أربعة أشهر حتى يكون الضمير عائداً إلى الذين
وذكر الزجاج أن النون في قوله يتربصن قام مقام الأزواج كأنه غير محالة يصار كالتصريح وهذا كما يقال الذي
يموت ويخلف ابنتين يرثان الثلثين معناه يرث ابنتاه الثلثين قوله تعالى وعشراً ظاهر لفظ العشر يتناول الليالي لا
تركه لأنه يقال للأيام عشرة أيام وإنما غلب لفظ التأنيث في الآية فقيل عشراً لأن العرب تغلب الليل على النهار ويعدون
أول كل شهر من الليلة لأنهم يصلون التراويح إذا رأوا الهلال ويدعونها إذا رأوا هلال شوال من عادتهم إذا ذكروا
أحد العددين على سبيل الجمع أرادوا تأنيثه من العدد الآخر كما قال تعالى في قصة زكريا عليه السلام قال آيتك ألا تكلم

الناس للشبابك(?) وقال في موضع آخر ثلاث ليال سويا والقصة واحدة فعبر تارة بالأيام عن الليالي وتارة بالليالي عن
الأيام ● ويقال الحكمة في تقدير عدة الوفاة بأربعة أشهر وعشر ما روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال يجمع خلق
أحدكم في بطن أمه أربعين يوما نطفة وأربعين يوما علقة ثم أربعين يوما مضغة ثم ينفخ فيه الروح في عشرة أيام
فيكتب أجله ورزقه وأنه شقي أو سعيد فيجوز أن الله قد زاد في عدة الوفاة لتظهر أنها حامل أو حائل واختلفوا
في عدة الحامل فقال ابن عمر وابن مسعود وعبد الله بن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهم أن الحامل تخرج من هذه العدة
إذا وضعت وإن كان زوجها على السرير حتى قال ابن مسعود من شاء باهلته أن قوله تعالى وأولات الأحمال أجلهن
أن يضعن حملهن نزل بعد قوله أربعة أشهر وعشرا ● وقال علي عدة الحامل المتوفى عنها زوجها تنقضي بأبعد الأجلين
وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن في المطلقة أو المتوفى
عنها زوجها قال صلى الله عليه وسلم فيهما جميعا كذا في تفسير عبد الصمد وروي أن سبيعة بنت الحرث وضعت
حملها بعد زوجها بأيام فأرادت أن تتزوج فمر بها أبو السنابل فقال إنك لن تتزوجي فلا تتمي(?) فلما كان أنه(?)
أخر الأجلين فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له فقال صلى الله عليه وسلم كذب أبو السنابل إذا أتاك من ترتضيه(?) فأتيني(?)
وجمع أهل التفسير على أن هذه الآية ناسخة لقوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى
الحول غير إخراج وإن كانت هذه الآية متقدمة على تلك الآية في التلاوة ● وأجمع الفقهاء إلا أبا بكر الأصم أن أربعة أشهر
وعشرا عدة الحرة دون الأمة وأن عدة الأمة تنقضي بشهرين وخمسة أيام ● وكان أبو بكر الأصم يقول إن عليها جميعا(?)
بأربعة أشهر وعشرا فإن ولد الأمة إنما ينفخ فيه الروح في الوقت الذي ينفخ فيه الروح في ولد الحرة ● والجواب عن
هذا أن يقال إن الخبر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من أخبار الآحاد لا يوجب حقيقة العلم ● ولما أجمعوا على أن الرق
ينصف عدة الأقراء وعدة الشهور في الآيسة والصغيرة كذلك وجب أن تنصف عدة الوفاة قوله عز وجل ولا جناح
عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم الآية قال ابن عباس التعريض هو أن يقول
الرجل للمعتدة إني أريد النكاح وأحب امرأة من صفتها كذا وكذا فيصفها بالصفة التي هي عليها حتى تعلم رغبته فيها وقيل هو أن
يقول لها إنك لمعجبتي وإني أحب أن يجمع الله بيني وبينك أو يقول ما أنت لي مثلك إن قضى الله أمرا كان ولا جناح عليكم فيما عرضتم
به من خطبة النساء اللواتي هن في عدة موت وطلاق بائن وثلث قوله تعالى أو أكننتم في أنفسكم معناه أو أضمرتم في
قلوبكم العزم على النكاح قوله تعالى علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا أي علم الله أنكم ستذكرونهن
في العدة لرغبتكم فيهن وخوفكم لسبق غيركم إليهن ولكن لا تواعدها أيها الخاطب سرا ولا توافقها وقيل لا تواعدوها في السر
نكاحا وقيل المراد بالسر الجماع لأنه لا يكون إلا في السر كأنه قال لا يصف الخاطب نفسه لها بالرغبة(?) في نفسه قوله عز وجل
إلا أن تقولوا قولا معروفا أي إلا أن تعرضوا بالخطبة كناية من غير إفصاح قوله عز وجل ولا تعزموا عقدة
النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله أي لا تعزموا على عقدة النكاح حذف على للتخفيف كما يقال ضربت الظهر والبطن أي
على الظهر وعلى البطن ومعنى حتى يبلغ الكتاب أجله أي حتى يبلغ فرض الكتاب أجله أي حتى تنقضي العدة فإن العدة فرض
القرآن قوله تعالى واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه أي تعلم ما في قلوبكم من الوفاء وغيره فاحذروا
أن تخالفوه فيما أمركم ونهاكم عنه قوله تعالى واعلموا أن الله غفور حليم أي غفور لمخالفتكم إن تبتم حليم حين لم
يعجل عليكم بالعقوبة والتعريض في اللغة هو الإيماء والتلويح والدلالة على الشيء من غير كشف ولا تبيين نحو أن تقول الرجل
لغيره ما أقبح البخل تعرض به لذلك والخطبة بالكسر الخاء هي الكلام الذي تستدعي به النكاح والخطبة بالضم هي كلام المؤلف
إما موعظة أو دعاء إلى شيء والكناية هي الدلالة على الشيء مع العدول عن الاسم الأخص إلى لفظ آخر يدل عليه نحو أن تكني
عن زيد فتقول لغيره ما أبخل صديقك وما أبخل الذي كنا عنده والإكنان هو الستر تقول لكل شيء سترته أكننته وفيما
تصونه كننته وقال الله تعالى كأنهن بيض مكنون أي مصون قوله عز وجل لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم
تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره أي لا حرج عليكم أن طلقتم النساء ما لم

تجامعوهن أو تسموا لهن مهرا ومتعوهن أي متعوا التي طلقتموهن قبل المسيس والفرض على الغني بمقدار غناه وعلى
الفقير بمقدار طاقته قوله تعالى متاعا بالمعروف حقا على المحسنين أي بما يعرفون أنه القصد وقدر
الإمكان حقا على المحسنين وحقا على المؤمنين انتصب متاعا على المصدر من قوله تعالى ومتعوهن ونصب حقا على الحال
من قوله بالمعروف حقا وتقديره عرف حقا ويجوز أن يكون نصبا على معنى حق عليهم ذلك حقا وفي الآية دلالة على جواز النكاح
بغير تسمية المهر لأن الله تعالى حكم بصحة الطلاق مع عدم التسمية والطلاق لا يصح إلا في نكاح صحيح ومعنى أو تفرضوا
لهن فريضة أي ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة وقد تكون أو بمعنى الواو كقوله ولا تطع منهم آثما أو كفورا
وكذلك قوله وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط المعنى وجاء أحد منكم من الغائط وأعلى المتعة خادم
وثياب وورق وأدناها خمار ودرع وملحفة ولا تجاوز المتعة نصف مهر المثل بغير رضى الزوج ● وقد اختلف السلف
في أن هذه المتعة هل يجبر عليها الزوج أم لا ● قال شريح إن القاضي يأمر الزوج بها من غير أن يجبره عليها وكان شريح
يقول للزوج إن كنت من المتقين أو من المحسنين فمتعها وأما عندنا فإن القاضي يجبر الزوج على المتعة للمرأة التي طلقها
قبل المسيس والفرض لأن الله تعالى قال حقا وليس في لفظ الإيجاب آكد من قولهم حقا عليه ● وفي قوله على المحسنين بيان أنها
من شروط الإسلام وعلى كل أحد أن يكون محسنا كما قال تعالى هدى للمتقين وهو هدى للناس كلهم وقيل إنما خص المحسنين
بالذكر تفخيما لهم لأنه لا يجب على غيرهم فوصف المؤمنين بالإحسان لأن الإحسان أكثر أخلاقهم قوله عز وجل وإن طلقتموهن
من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون معناه وإن طلقتموهن من قبل أن تجامعوهن
وقد سميتم لهن مهرا فعليكم نصف ما سميتم من المهر إلا أن يتركن ما وجب لهن من الصداق بأن تقول إحداهن ما مسني ولا فرق(?) بيني وبينه فادع له
المهر قوله تعالى أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ذهب أكثر المفسرين إلى أن الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج
وعفوه أن يترك لها جميع الصداق ولا يرجع عليها بشيء منه إذا كان قد أعطاها مهرها وإن لم يكن أعطاها فعفوه أن
يتفضل عليها بأن يتم لها جميع مهرها وقد يكون الصداق عبدا بعينه أو عرضا بعينه لا يمكن تمليكه إلا بالإسقاط والإبراء من
الجانبين فيكون معنى العفو في ذلك التفضل ● وفي الآية ما يدل على ذلك وهو قوله ولا تنسوا الفضل بينكم ● وإنما يندب الزوج
إلى تتميم الصداق لأنه إذا تزوجها ثم طلقها فقد تعلل(?) ما تشينها فكان الأفضل أن يعطيها مهرها ● وذهب بعضهم إلى أن الذي بيده
عقدة النكاح هو ولي المرأة حتى قال مالك لأبي البكر أن يسقط نصف الصداق عن الزوج بعد الطلاق قبل الدخول والصحيح هو
الأول لأن قوله عقدة النكاح تقتضي عقدة موجودة والزوج هو الذي يملك استدامة النكاح وحله وهو الذي يملك العقد
على نفسه من غير ولي يحتاج إليه ويكون عقدة النكاح على الحقيقة بيد الزوج وأما ولي المرأة فلا يملك العقد عليها إلا برضاها
ولا يملك إسقاط شيء من حقوقها قوله عز وجل وأن تعفوا أقرب للتقوى ندب الله كل واحد من الزوج والمرأة إلى
العفو كأنه قال أيهما عفا عن صاحبه فقد أخذ بالفضل وقوله تعالى أقرب للتقوى أي أقرب إلى أن يتقي أحدهما ظلم صاحبه
فإن من ترك حقه كان أقرب إلى أن لا يظلم غيره بطلب ما ليس له ومن بذل النفل كان أقرب إلى بذل الفرض قوله عز وجل
ولا تنسوا الفضل بينكم أي لا تتركوا الإحسان والمواساة فيما بينكم إن الله بما تعملون بصير أي بما تعملون
من الفضل والإحسان بصير عالم يجزيكم به ونسيان الفضل هو الاستقصاء في استيفاء الحق على الكمال حتى لا يترك شيئا من حقه على
صاحبه وظاهر هذه الآية تقتضي أن الزوج إذا كان سمى لها مهرا بعد عقد النكاح ثم طلقها أن المسمى يتنصف وإليه ذهب
مالك والشافعي وهو قول أبي يوسف الأول ثم رجع إلى قول أبي حنيفة ومحمد وكان المراد بهذه الآية على قولهم أن يكون
الفرض في نفس العقد لأن التسمية بعد تمام عقد النكاح تقدير لمهر المثل أو بدل عنه فيسقط بالطلاق قبل الدخول فيجب
المتعة وقد ذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن المراد بقوله تعالى من قبل أن تمسوهن نفس المسيس أو ما يقوم مقامه فإنه إذا
خلا بها خلوة صحيحة بحيث أن لا يكون أحدهما محرما ولا مريضا ولا صائما صوم فرض ولا تكون المرأة حائضا ولا رتقاء ثم
طلقها وجب المهر كله وإن لم يدخل بها كما روي عن زرارة بن أبي أوفى أنه قال أجمع الخلفاء الراشدون المهديون
أن من أغلق على امرأته بابا أو أرخى سترا ثم طلقها فلها الصداق كاملا وعليها العدة ● وفرق عمر رضي الله عنه بين

العيش وأترابه وأوحى عليه الجهر وقال ما دينتين إذا جاء الفجر من قبلكم قوله عز وجل حافظوا على الصلوات
والصلوة الوسطى أي واظبوا وداوموا على الصلوة المفروضة في مواقيتها وشروطها قوله تعالى والصلوة الوسطى اختلفوا
فيها فعن علي وابن عباس وأبي هريرة وعبد الله والحسن والنخعي وقتادة وأبي أيوب والضحاك والكلبي ومقاتل أنها
صلوة العصر يدل عليه ما روى سمرة بن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الصلوة الوسطى هي العصر وفي
نعت الحارث هي التي فرط فيها سليمن وعن هشام بن عروة عن أبيه قال كان في مصحف عائشة رضي الله عنها حافظوا على الصلوات
والصلوة الوسطى صلاة العصر وقوموا لله قانتين وهكذا كان تقرؤها أبي بن كعب وعن يونس رضي الله عنه مولى عائشة قال
أمرتني عائشة رضي الله عنها أن أكتب لها مصحفا فقالت إذا بلغت حافظوا على الصلوات فآذني فلما بلغت آذنتها فأملت علي
حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى صلوة العصر روى نافع عن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت لكاتب مصحفها
إذا بلغت حافظوا على الصلوات فأخبرني حتى أخبرك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ الى ذلك أخبرها فقالت
اكتب فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى صلوة العصر وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم الخندق شغلونا عن الصلوة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قلوبهم وبطونهم نارا وقال علي
كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا ثم صلاها
بين العشائين وروي أن رجلا في مجلس عمر بن عبد العزيز قال أرسلني أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأنا غلام صغير
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله عن الصلوة الوسطى فأخذ أصبعي الصغيرة وقال هذه الفجر وقبض التي تليها وقال هذه الظهر
ثم قبض الإبهام وقال هذه المغرب ثم قبض التي تليها وقال هذه العشاء ثم قال أي أصابعك بقيت فقلت الوسطى فقال وأي الصلوة
بقيت فقلت العصر فقال هي العصر قالوا وإنما كانت العصر هي الوسطى لأنها بين صلاتي ليل وصلاتي نهار وإنما خصها بالذكر لأنها
تقع في وقت اشتغال الناس في غالب الأمر فخصها بالذكر للحث عليها روى أبو بردة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بكروا
بالعصر يوم الغيم فإنه من ترك صلوة العصر فقد حبط عمله وروى نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي تفوته
صلوة العصر فكأنما وتر أهله وماله وقال قبيصة بن ذؤيب هي صلوة المغرب لأنها أوسط صلوة وجبت على الناس وقيل لأنها
وسط في عدد الركعات لأنها بين الثنتين والأربع ولا تقصر في السفر وهي وتر النهار وإنما خصها بالذكر لأنها أول صلوة الليل
الذي يتعب الناس عن الصلوة فيه روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن أفضل الصلوة عند الله صلوة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح الله بها صلوة الليل وختم بها صلوة النهار فمن صلاها
وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرا في الجنة ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين سنة وقال أربعين سنة
وحكي الشيخ الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمن أنها صلوة العشاء لأنها بين صلوتين لا تقصران روى أبو عمر عن عثمان رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام
ليلة وقال جابر بن عبد الله هي صلوة الفجر لأنها تقع بين الظلام والضياء وقال زيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري وأسامة
وعائشة رضي الله عنها أنها صلوة الظهر لأنها تقع في وسط النهار وإنما خصها بالذكر لأنها أول صلوة فرضت على الناس روى زيد بن
ثابت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر وكان أثقل الصلوات على أصحابه فلا يكون وراءه إلا الصف والصفان
من الناس يكونون في قائلتهم وتجارتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هممت أن أحرق على قوم لا يشهدون الصلوة
بيوتهم فنزلت قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا زالت الشمس سبح كل شيء لربنا فأمر الله بالصلوة في تلك الساعة وهي الساعة التي تفتح فيها أبواب السماء فلا تغلق حتى يصلي
الظهر ويستجاب فيها الدعاء وقيل إنها أول صلوة توجه فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى الكعبة وهي التي ترفع جميع الصلوات
والجماعات لأجلها يوم الجمعة وقال بعضهم هي إحدى الصلوات الخمس ولم يعينها بعينها وسئل الربيع بن خثيم عن الصلوة الوسطى
فقال للسائل إذا أنت علمتها أكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن قال لا قال فإنك إذا حافظت عليهن فقد حافظت عليها
وقال أبو بكر الوراق لو شاء الله تعالى لعينها ولكنه أراد تنبيه الخلق على أداء جميع الصلوات فأخفاها

في جملة الصلوات ليحافظوا على جميعها رجاء الوسطى كما أخفى ليلة القدر في ليالي شهر رمضان وأخفى اسمه الأعظم في جميع الأسماء
وأخفى ساعة الإجابة في ساعات الجمعة حكمة منه في فعله ورحمة لخلقه قوله تعالى وقوموا لله قانتين أي طائعين
قال الشعبي وعطاء والحسن وابن جبير وقتادة وطاوس وعطية وهي رواية عكرمة عن ابن عباس وقال الضحاك ومقاتل
والكلبي لكل أهل دين صلوة يقومون فيها عاصين فقوموا أنتم في صلاتكم مطيعين والدليل على هذا التأويل ما روى أبو سعيد
الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل قنوت في القرآن فهو طاعة وقال عبد الله بن مسعود معناه
وقوموا لله ساكتين كما روي عن زيد بن أرقم قال كنا نتكلم في الصلوة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكلم أحدنا صاحبه وهو الى
جانبه ويدخل الرجل فيسلم ويردون عليه السلام ويسألهم كم صليتم فيردون عليه كم صلوا ويجيء خادم الرجل وهو في الصلوة
فيكلمه بحاجته كفعل أهل الكتاب فكنا كذلك الى أن نزل قوله تعالى وقوموا لله قانتين فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وقال
مجاهد معناه وقوموا لله خاشعين فنهوا عن العبث والالتفات في الصلوة وقيل معناه مطيلين القيام كما في قوله تعالى يا مريم اقنتي
لربك ويدل عليه الحديث حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الصلوات أفضل قال طول القنوت وقيل معناه وقوموا
لله مصلين دليله قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل أي مصل وقال صلى الله عليه وسلم مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت
الصائم أي المصلي الصائم وقال ابن عباس وقوموا لله داعين والقنوت هو الدعاء في الصلوة قوله عز وجل فإن خفتم فرجالا
أو ركبانا أي إذا خفتم من العدو ولم يمكنكم أن تقوموا قانتين موفين حق الصلوة فصلوا قياما على أرجلكم وحيث ما
توجهتم بالإيماء إذا لم يمكنكم استقبال القبلة وإقامة الركوع والسجود أو ركبانا على دوابكم إذا لم تستطيعوا النزول فصلوا ركبانا
حيث ما توجهتم ولا عذر لكم في ترك الصلوة حالة الخوف وأنتم رجالا على الحال وكان الحسن يقول فرجالا أي فماشين
ماشين وذهب أبو حنيفة وأصحابه الى أنهم لا يصلون وهم يقاتلون ويمشون لما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه فاته يوم الخندق ثلاث صلوات فقضاهن على الترتيب فلولا أن الاشتغال بالقتال تفسدها لما ترك الإيماء بها
حال القتال قوله عز وجل فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون أي إذا
أمنتم من الخوف فصلوا لله كما أمركم قائمين مؤدين حقوق الصلوة وشرائطها قوله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون قبل
التعليم قوله عز وجل والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غير
إخراج قال ابن عباس نزلت هذه الآية قبل نزول آية المواريث وقبل استقرار العدة وكانت المرأة في ابتداء الإسلام
إذا احتضر زوجها أوصى لها في ماله بنفقة سنة من طعامها وشرابها وكسوتها وسكناها وكان ذلك حظها من الميراث
من مال زوجها فإن كانت من أهل المدر سكنت بيت زوجها حتى تتم سنة وإن كانت من أهل الوبر سكنت خيمة زوجها حتى
تحول بيتا فتحول إليه فإن خرجت من بيت زوجها أو تزوجت فلا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخت الوصية بآية المواريث وبقوله
صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث ونسخ حكم الحول باعتبار أربعة أشهر وعشر عدة الوفاة بقوله والذين يتوفون
منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ومعنى الآية والذين يتوفون منكم ويذرون نساء
أي ويتركون نساء من بعدهم فعليهم وصية لأزواجهم وقال كتب عليكم وصية وكانت هذه الوصية واجبة من الله
تعالى لنسائهم أوصى الميت أو لم يوص كما قال تعالى في آية المواريث وصية من الله قرأ الحسن وأبو عمرو وابن عامر
وعاصم والأعمش وحمزة وحفص وصية بالنصب على معنى فليوصوا وصية وقرأ الباقون بالرفع على معنى لأزواجهم
وصية وكتب عليهم وصية وقوله متاعا نصب على المصدر أي متعوهن متاعا وقيل جعل الله لهن متاعا نصب على
المصدر وقوله الى الحول أي متعوهن بالنفقة والكسوة والسكنى وما تحتاج إليه حولا كاملا قوله تعالى غير إخراج أي
لا تخرجوهن من بيوت أزواجهن وإنما انتصب لأنه صفة للمتاع وقيل على الحال وقيل بنزع الخافض أي من غير
إخراج وقيل على معنى لا إخراجا كما قال أتيتك غير رغبة إليك قوله عز وجل فإن خرجن فلا جناح عليكم
فيما فعلن في أنفسهن من معروف أي فإن خرجن من قبل أنفسهن قبل مضي الحول بغير إخراج الورثة فلا جناح
عليكم يا أولياء الميت فيما فعلن في أنفسهن من التشوف والتزين والتزوج بالمعروف إذا لم تكن المرأة حاملا من الميت

وقيل معناه فإن خرجن بعد انقضاء عدتهن فلا جناح عليكم فيما فعلن • وفي معنى رفع الجناح عن الرجال بفعل النساء
وجهان • أحدهما لا جناح عليكم في قطع النفقة إذا خرجن قبل تمام الحول • والثاني لا جناح عليكم في قطع النفقة إذا خرجن
قبل تمام الحول في ترك منعهن من الخروج لأن مقامها حولا في بيت زوجها غير واجب عليها خيرها الله تعالى في ذلك إلى أن نسخ
بأربعة أشهر وعشر لأن ذلك لو كان واجبا عليها لكان واجبا على أولياء الزوج منعها من ذلك • قوله تعالى غير إخراج
تضمن شيئين أحدهما وجوب السكنى في مال الزوج وقد نسخ ذلك والثاني حظر الخروج والإخراج وهو لزوم اللبث
في البيت إلى انقضاء عدتها أربعة أشهر وعشرا وذلك باق لم ينسخ ولا يجوز مبيتها الليالي في غير منزلها ولا يجوز لها أن تترك
لأن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفنكحلها فرخص لها
ثم قال صلى الله عليه وسلم كانت إحداكن تجلس في أحلاس بيتها حولا لا تخرج حتى إذا مر بها كلب خرجت فرمت ببعرة أفلا
الآن أربعة أشهر وعشرا • وعن زينب بنت أبي سلمة قالت دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها فدعت بطيب فمسته
ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم
الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوجها أربعة أشهر وعشرا • وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن نسوة قتلى
أحد شكون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة فأمرهن أن يتزاورن بالنهار ولا يبتن في الليل إلا في منازلهن •
قوله تعالى **والله عزيز حكيم** أي قادر على النقمة ممن خالف أمره ذو حكمة فيما حكم على الأزواج قوله
عز وجل **وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين** قال سعيد بن جبير وأبو العالية والزهري أراد بالمتاع
في هذه الآية المتعة وهي واجبة لكل مطلقة • وذهب أصحاب أبي حنيفة إلى أن المتعة تجب للمطلقات كلهن من طريق الديانة
وحكمها لا يجبر الزوج على المتعة إلا لمطلقة لم يدخل بها ولم يفرض لها مهر للآية المتقدمة • وقال بعضهم أراد
بالمتاع في هذه الآية نفقة عدة الطلاق لأن الله عطفه على قوله متاعا إلى الحول فأراد هناك النفقة والسكنى قوله
تعالى **كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون** أي مثل هذا البيان يبين الله لكم دلائله في المستقبل
كما بين في الماضي من أمور دينكم ودنياكم لكي تفهموا ما أمرتم به وتقابلوه لكي تكمل عقولكم فإن العقل الغريزي إنما يكمل بالعقل
المكتسب وحقيقة العاقل أن يعمل ما يرضي الله وحقيقة العقل استعمال المشاهد المستقيمة قوله عز وجل **ألم تر إلى الذين
خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم** قال ابن عباس في ذلك إن ملكا من ملوك
بني إسرائيل أمر بالخروج إلى قتال عدوهم فخرجوا للقتال ثم جبنوا وكرهوا القتال فقالوا لملكهم إن الأرض التي نريدها فيها الوبا
فلا نأتيها حتى ينقطع منها الوباء فقال لهم الله موتوا فماتوا • واختلفوا في مبلغ عددهم فقال مقاتل والكلبي كانوا ثمانية آلاف
وقال أبو روق عشرة آلاف وقال أبو مالك ثلاثون ألفا • وقال السدي بضعة وثلاثون ألفا • وقال ابن جريج أربعون
ألفا • وقال عطاء بن أبي رباح تسعون ألفا • وقال الضحاك كانوا عددا كثيرا لقوله تعالى ألوف دليل على كثرتهم إذ لو
كان ما قاله مقاتل والكلبي لقال وهم آلاف لأن من العشرة إلى ما دونها يقال فيها آلاف ولا يقال فيها ألوف لأن الألوف جمع
الكثير ولما وقع القتل فيهم ماتوا ثمانية أيام حتى انتفخوا وبلغ ذلك أصحابهم فخرجوا إليهم ليدفنوهم فعجزوا عنهم
من كثرتهم فحظروا عليهم حظائر ثم أحياهم الله تعالى بعد ثمانية أيام فبقي فيهم من ريح النتن التي كانت فيهم بعد الموت
حتى بقي في أولادهم إلى اليوم • وقال السدي وقع الطاعون في بني إسرائيل فخرج ثلث منهم من ديارهم هاربين من ديارهم حتى
انتهوا إلى مكان وهم بضعة وثلاثون ألفا فقال لهم الله موتوا فماتوا وتفرقت عظامهم وتقطعت أوصالهم فأتى عليهم مدة
وقد بليت أجسادهم فمر بهم نبي يقال له حزقيل ثالث خلفاء بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام لأنه كان بعد موسى يوشع
بن نون ثم كالب بن يوفنا ثم حزقيل وكان يقال له ابن العجوز وذلك أن أمه كانت عجوزا فسألت الله عز وجل الولد بعدما
كبرت وعقمت فوهبه الله لها فلذلك سمي ابن العجوز • وقال الحسن ومقاتل هو ذو الكفل وإنما سمي حزقيل ذا الكفل لأنه
تكفل بسبعين نبيا وأنجاهم من القتل فقال لهم اذهبوا فإني إن قتلت كان خيرا من أن تقتلوا جميعا فلما جاء اليهود
وسألوا حزقيل عن الأنبياء السبعين قال لهم ذهبوا ولا أدري أين هم وحفظ الله ذا الكفل من اليهود فلما مر حزقيل على

أولئك الموتى وقف عليهم وجعل يتفكر فيهم متعجبا فقال الحمد لله القادر على أن يحيي هذه الأجساد فأوحى الله إليه يا
حزقيل تريد أن أريك كيف أحيي الموتى قال نعم فقال له نادهم فنادى يا أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي
فاجتمعن حتى صرن أجسادا من عظام ثم قال أيتها الأجساد البالية إن الله يأمرك أن تلبسي لحما فجعل اللحم يجري عليهن
حتى صرن أجسادا من لحوم ثم قال ألا أيتها الأجساد البالية الخاوية إن الله يأمرك أن تقومي بإذن الله تعالى فقاموا أحياء
إلى بلادهم وأقاموا وتوالدوا وكان أحدهم إذا لبس ثوبا صار عليه كفنا يكون فيه ريح الموت • وقال وهب أصابهم
بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم فقالوا يا ليتنا قد متنا فاسترحنا مما نحن فيه فأوحى الله تعالى إلى حزقيل إن قومك
قد صاحوا من البلاء وزعموا أنهم ودوا لو ماتوا فاستراحوا وأي راحة لهم في الموت يظنون أن لا أقدر أن أبعثهم بعد الموت فانطلق إلى
موضع كذا فإن فيه أمواتا فأتاهم وكانت أجسادهم وعظامهم تتقطع قد فرقتها الطير والسباع فنادى حزقيل بالنداء الذي
ذكرناه • ومعنى الآية ألم تعلم الذين وقيل معناه ألم ينته علمك إلى خبر هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم والمراد بالرؤية رؤية القلب
لا رؤية العين • وقوله تعالى حذر الموت أي خرجوا هاربين لحذر الموت وانتصب على أنه مفعول له وظاهر هذا يقتضي أن خروجهم
على جهة الفرار من الوباء على ما ذكره السدي • وقيل في معنى ألوف مؤتلفو القلوب لم يخرجوا عن تباغض ومعنى فقال لهم الله موتوا
أي أماتهم وقيل أماتهم الله بشيء سمعوه وسمعته الملائكة قوله عز وجل **إن الله لذو فضل على الناس** أي متفضل
على جميع الناس كما تفضل على هؤلاء بأن أحياهم بعد الموت وأراهم البصيرة التي هي غاية تعدها **ولكن أكثر الناس لا يشكرون**
رب النعم وفي الآية تنبيه على أن الموت لا ينفع الهرب منه كما قال تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وقال
تعالى قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا كانت الآجال موقتة محصورة لم ينفع فيها تقدم ولا تأخر كان قدر الله تعالى
لم ينفع الفرار من الطاعون وغيره • وقد روي أن عمر رضي الله عنه أراد أن يدخل الشام وبها طاعون فاستشار أصحابه في
ذلك فأشار عليه بعض المهاجرين بالرجوع فعزم على الرجوع فقال له أبو عبيدة يا أمير المؤمنين أتفر من قدر الله تعالى فقال
عمر رضي الله عنه لو كان غيرك يقولها يا أبا عبيدة نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو كان لك إبل هبطت بها واديا له عدوتان
إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله فجاء عبد الرحمن
بن عوف رضي الله عنه فقال عندي في هذا علم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا وقع هذا الرجز في أرض فلا تدخلوا
عليه وإذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا منها فحمد الله تعالى عمر رضي الله عنه ورجع • فإن قيل إذا كانت الآجال مقدرة لا تتقدم
ولا تتأخر فما وجه النهي منه صلى الله عليه وسلم عن دخول أرض بها الطاعون وأي فرق بين دخولها والبقاء فيها قيل
وجه النهي عن الدخول أنه إذا دخلها وبها طاعون فجائز أن تدركه أجله بها فيقول قائل لو لم يدخلها ما مات كما قال
الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أرضا فيها طاعون لما يخشى أن
يموت فيها أحد بأجله فيقول الجهال لو لم يدخلها لم يمت قوله عز وجل **وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن
الله سميع عليم** قال أكثر المفسرين هذا خطاب لهذه الأمة معناه قاتلوا في طاعة الله ولا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء
الذين سمعتم خبرهم فلا ينفعكم الهرب واعلموا أن الله سميع لما يقوله المنافق بعلة الهرب من القتال عليم بما يضمره • وقال بعضهم
هذه الآية خطاب للذين جبنوا وهي متصلة بقوله فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم أي أحياهم وقال لهم قاتلوا في سبيل الله
قوله عز وجل **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة** قال سفيان لما
أنزل الله قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال صلى الله عليه وسلم رب زد أمتي فنزل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
فقال رب زد أمتي فنزل إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب • وفي الآية حث على الإنفاق والبر في سبيل الله بألطف الكلام
وأبلغه وسماه الله قرضا تأكيدا لاستحقاق الجزاء ولا يكون قرضا إلا والعوض مستحق فيه ومعنى الآية من ذا الذي يتصدق بصدقة
طيبة من نفس طيبة لا يمن بها على السائل ولا يؤذيه • قال الحسن هو النفقة في أبواب البر من التطوع • وقال ابن زيد هو النفقة
في الجهاد في سبيل الله • وقال الواقدي قرضا حسنا أي طيبة به نفسه • وقال ابن المبارك قرضا حسنا أي يكون المال من الحلال

وقال سهل بن عبد الله هو أن لا يعتقد بقرضه عوضا وقوله تعالى فيضاعفه له أضعافا كثيرة • قرأ عاصم وأبو حاتم فيضاعفه
بالنصب • وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتشديد والنصب بغير ألف • وقرأ ابن كثير وشيبة بالتشديد والرفع • وقرأ الآخرون بالألف
والتخفيف ورفع الفاء فمن رفع عطفه على يقرض • ومن نصب جعله جواب الاستفهام بالفاء والتشديد والتخفيف لغتان ودليل
التشديد قوله تعالى أضعافا كثيرة لأن التشديد للتكثير • قال الحسن والسدي هذا التضعيف لا يعلمه إلا الله • قال أبو زيد
يعني قوله تعالى فيضاعفه له أضعافا كثيرة أي يعطيه سبعمائة أمثاله كما قال تعالى في آية أخرى مثل الذين ينفقون أموالهم
في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة • وعن أبي عثمان النهدي قال دخل أبو هريرة رضي الله عنه
إصبعه في أذنيه وقال صمتا إن لم أكن سمعته رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يضاعف الله تعالى للمؤمن حسنة إلى ألفي
ألف حسنة قوله عز وجل **والله يقبض ويبسط** أي يقتر ويوسع على من يشاء من خلقه ومنه قوله تعالى ويقبضون
أيديهم أي يمسكونها عن النفقة في سبيل الله وقوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض وقيل معناه والله يسلب النعمة
عن قوم ويبسطها على قوم وقيل معناه يقبض الصدقات ويبسط عليها الجزاء آجلا وعاجلا وقيل القبض والبسط الإحياء والإماتة
فمن أماته الله فقد قبضه ومن مد له في عمره فقد بسط له قوله تعالى **وإليه ترجعون** في الآخرة فيجزيكم بما قدمتم
وقد جهلت اليهود معنى هذه الآية أو تجاهلت حتى قالت إن الله يستقرض منا فهو فقير إلينا ونحن أغنياء كما قال الله لقد سمع
الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء وعرف المسلمون معنى الآية ووثقوا بثواب الله ووعده قال ابن عباس لما نزلت
هذه الآية جاء أبو الدحداحة رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرى ربنا يستقرض مما أعطانا
لأنفسنا وإن لي حديقتين فإن تصدقت بإحداهما على مثلاها في الجنة قال نعم قال وأم الدحداحة معي قال نعم قال والصبية
معي قال نعم فتصدق بأفضل حديقتيه وهي تسمى الحنينة فلما رجع إلى أهله وجد أم الدحداحة والصبية في الحديقة التي
تصدق بها فقام على بابها وتحرج أن يدخلها ثم نادى يا أم الدحداحة قالت لبيك قال قد جعلت حديقتي
هذه صدقة واشترطت مثلها في الجنة وأم الدحداحة معي والصبية معي قالت بارك الله لك فيما اشتريت ثم خرجوا منها
ودفعوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم إن الله قد قبل منك وأعطها لليتيمين اللذين في حجرك
وقال صلى الله عليه وسلم كم من نخلة مدلى عروقها في الجنة لأبي الدحداحة • وعن أبي زيد بن أسلم قال لما نزل قوله تعالى من
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا الآية قال أبو الدحداحة فداك أبي وأمي يا رسول الله إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض
قال نعم يريد أن يدخلكم الجنة قال فإني إن أقرضته تضمن لي به الجنة قال نعم من تصدق بصدقة فله مثلها في الجنة قال وزوجتي
أم الدحداحة قال نعم قال وصبيتي الدحداحة معي قال نعم قال والصبية معي قال نعم قال ناولني يدك فناوله النبي صلى الله عليه
وسلم يده المباركة فقال يا رسول الله إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية والله ما أملك غيرهما قد جعلتهما
قرضا لله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعل إحداهما قرضا لله عز وجل والأخرى معيشة لك ولعيالك قال أشهد
يا رسول الله أني قد جعلت خيرهما لله عز وجل وهو حائط فيه ستمائة نخلة قال إذا يجزيك الله به الجنة قال فانطلق أبو
الدحداح حتى أتى أم الدحداحة وهي مع أولادها في الحديقة تدور تحت النخل فأنشأ يقول هداك ربي سبل الرشاد
إلى سبيل الخير والسداد • بيني من الحائط بالوداد • فقد مضى قرضا إلى التناد • أقرضته الله على اعتمادي • بالطوع لا من ولا ارتداد
إلا رجاء الضعف في المعاد • فارتحلي بالنفس والأولاد • والبر لا شك فخير زاد • قدمه المرء إلى المعاد • قالت أم الدحداح
ربح بيعك بارك الله فيك فيما اشتريت فأجابته أم الدحداح تقول بشرك الله بخير وفرح مثلك أدى ما لديه ونصح
إن لك الحظ إذا الحظ وضح • قد متع الله عيالي ومنح • بالعجوة السوداء والزهو البلح • والعبد يسعى وله ما قد كدح طول
الليالي وعليه ما اجترح • ثم أقبلت أم الدحداح على أولادها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم وتطرح ما في ثيابهم حتى
أفضت إلى الحائط الآخر فقال صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح ودار فياح في الجنة لأبي الدحداح • وقال أهل المعاني
في الآية اختصار وإضمار تقديره من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وجاء في الحديث أن الله تعالى يقول لعبده يوم القيامة استطعمتك
فلم تطعمني واستسقيتك فلم تسقني واستكسيتك فلم تكسني فيقول سبحانك وكيف ذلك يا سيدي فيقول إن عبدي فلانا الجائع وفلان

العاري فلم تعد عليهم من فضلك فلأمنعنك اليوم فضلي كما منعتهم من فضلك • قال يحيى بن معاذ عجبت لمن بقي له مال ورب
العرش يستقرضه • وعن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت على باب الجنة مكتوبا القرض بثمانية عشر
والصدقة بعشر فقلت يا جبريل ما بال القرض أكثر أجرا قال لأن صاحب القرض لا يأتيك إلا محتاجا وربما وقعت الصدقة
في غير أهلها • وعن أبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقرض أخاه المسلم فله بكل درهم وزن ثبير وطور سيناء
حسنات وهما جبلان قوله عز وجل **ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا
نقاتل في سبيل الله** أي ألم تعلم يا محمد بالملإ من بني إسرائيل والملأ من القوم أشرافهم ووجوههم يجتمعون للمشاورة
وجمعه أملاء واشتقاقه من ملأت الشيء ولا واحد له من لفظه كالإبل والخيل والجيش والقوم والرهط قوله من بعد موسى
أي من بعد وفاة موسى وقوله تعالى إذ قالوا لنبي لهم اختلفوا فيه من هو • قال قتادة هو يوشع بن نون بن أفرائيم
بن يوسف بن يعقوب عليه السلام • وقال السدي هو شمعون وقد كان بعد يوشع وإنما سمي شمعون لأن أمه دعت
الله عز وجل أن يرزقها غلاما فاستجاب الله دعاءها ولأجل ذلك سمته شمعون والسين في لغة العبرانية شين فهو بالعبرانية
شمعون وبالعربية سمعون • وقال الكلبي وكان سبب مسألتهم إياه أنه لما مات موسى عليه السلام خلف بعده في بني إسرائيل
يوشع بن نون يقيم فيهم التوراة وأمر الله تعالى كان يقيم فيهم التوراة حتى قبضه الله ثم خلف فيهم حزقيل كذلك حتى قبضه الله
وعظمت في بني إسرائيل الأحداث ونسوا عهد الله تعالى حتى عبدوا الأوثان فبعث الله إليهم إلياس عليه السلام نبيا فجعل يدعوهم
إلى الله تعالى • ثم خلف بعد إلياس عليه السلام اليسع وكان فيهم ما شاء الله ثم قبضه الله وعظمت فيهم الأحداث وكثرت فيهم
الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلثاثا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة
فظهروا على بني إسرائيل وغلبوهم على كثير من أراضيهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وضربوا عليهم الجزية ولقوا منهم بلاء شديدا
ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم فكانوا يسألون الله تعالى أن يبعث لهم نبيا يقاتلون معه وكان سبط النبوة قد هلكوا ولم يبق
منهم إلا امرأة حبلى فأخذوها وحبسوها في بيت خشية أن تلد أنثى فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها
فجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته أشمويل أي إسماعيل وكبر الغلام فتعلم التوراة في بيت المقدس
وكفله شيخ منهم • فلما بلغ أن يبعثه الله نبيا أتاه جبريل والغلام نائم إلى جنب الشيخ ودعا أشمويل اذهب إلى قومك فبلغهم
رسالة ربك فإن الله قد بعثك فيهم فلما أتاهم كذبوه وقالوا إن كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله وإنما سألوا
الملك لأنهم علموا أن كلمتهم لا تتفق وأمورهم لا تنتظم ولا يحصل لهم الاجتماع على القتال إلا بملك يحملهم على ذلك ويجمع شملهم وكان
الملك هو الذي يجمع أمورهم والنبي يشير عليه ويرشده ويأتيه من ربه الخبر • فلما قالوا لأشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال
لهم لعلكم إذا بعث الله لكم ملكا وفرض عليكم القتال أن تجبنوا عن القتال ولا تقاتلوا وإنما قال ذلك مع ما عندهم من الجد والكد
قوله تعالى قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا معناه
قال لهم نبيهم عسى ربكم إن فرض عليكم القتال مع ذلك الملك أن لا تقولوا كما تقولون ولا تقاتلون معه قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل
الله أي وما لنا في أن لا نقاتل في سبيل الله أي وما لنا في أن لا نقاتل أي أي شيء في ترك القتال • وقيل معناه وليس لنا أن نمتنع عن
قتال عدونا في طلب مرضات الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا أي وقد غلبوا على منازلنا وسبوا ذرارينا ومعنى الإخراج من
الأبناء أنه لما كان الإخراج من الديار تؤدي إلى مفارقة الأبناء قال أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ويجوز أن يكون على وجه
الإتباع كما يقال متقلدا سيفا ورمحا • فإن قيل ما وجه دخول أن في قوله ألا نقاتل والعرب تقول ما لك لا تفعل كذا
وإنما تقول ما لك أن لا تفعل • قيل دخول أن وحذفها لغتان فصيحتان فدليل إثباتها قوله تعالى ما لك ألا تسجد وما لك ألا
تكون مع الساجدين ودليل حذفها قوله تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله • واختلفوا في قراءة قوله تعالى ابعث لنا ملكا نقاتل
قرأ بعضهم نقاتل بالرفع على معنى فإنا نقاتل وأكثرهم على نقاتل بالجزم على جواب الأمر • وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي
يقاتل بالياء والجزم جعل الفعل للملك وكذلك قوله تعالى وقد أخرجنا من ديارنا قرأ عمرو وقد أخرجنا بفتح الهمزة والجيم
بغير الحذف قوله عز وجل **فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين** فيه حذف

معناه فبعث الله لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال أى فلما فرض عليهم أعرضوا عنه وضيعوا أمر الله
عز وجل إلا قليلا منهم وهم ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وهم الذين عبروا النهر وسنذكرهم إن شاء الله فى موضعهم قوله عز
وجل والله عليم بالظالمين أى عالم بالذين ظلموا أنفسهم بالمعصية ويعاقبهم وفى هذا تهديد لمن تولى عن القتال لخلف
فى قراءة عسيتم فقرأ نافع وطلحة والحسن عسيتم بكسر السين فى كل القرآن وهى لغة وقرأ الباقون بالفتح وهى اللغة الفصحى

قوله عز وجل **وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال** وكان السبب فيه على ما ذكره المفسرون أن أشمويل عليه السلام سأل
الله تعالى أن يبعث لهم ملكا فأتى بعصا وقرن فيه دهن وقالوا له إن صاحبكم الذى يكون ملكا طوله طول هذه العصا
وقيل له انظر إلى القرن الذى فيه الدهن فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى إسرائيل فادهن
به رأسه وملكه على بنى إسرائيل فقاسوا أنفسهم بالعصى فلم يكن أحد منهم مثلها. قال وهب وكان طالوت رجلا دباغا وقال
عكرمة والسدى كان يسقى على حمار له من النيل فضل حماره فخرج فى طلبه وقال بعضهم طلب حمرا له لأبيه فأرسله أبوه
مع غلام له يطلبانها فمرا ببيت أشمويل فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبى فسألناه عن الحمرات ليرشدنا ويدعو
لنا بخير فقال طالوت نفعل ذلك فدخلا عليه فبينما هما عنده إذ نش الدهن الذى فى القرن فقام أشمويل وقاس طالوت
بالعصى وكان على طوله فقال لطالوت قرب رأسك فقرب به فدهنه بدهن القرن ثم قال له أنت ملك بنى إسرائيل الذى أمرنى
الله أن أملكك عليهم فقال طالوت أو ما علمت أن سبطى أدنى أسباط بنى إسرائيل قال بلى قال فأية آية لى بذلك قال
بآية أنك ترجع إلى أبيك وقد وجد أبوك حمره فرجع فكان كذلك ثم قال أشمويل لبنى إسرائيل إن الله قد بعث لكم طالوت
ملكا فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه. وإنما قالوا ذلك لأنه كان فى بنى إسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة
وكان سبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنه موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان
ولم يكن طالوت من هؤلاء ولا من هؤلاء وإنما هو من سبط بنيامين بن يعقوب فمن أين يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك
منه ومع ذلك هو فقير لم يؤت سعة من المال ينفقه علينا كما تفعله الملوك. قال أشمويل إن الله اصطفاه عليكم أى اختاره
عليكم بالملك وزاده بسطة فى العلم والجسم أى فضله عليكم بالعلم وذلك أنه كان أعلمهم فى وقته فرفعه الله تعالى بعلمه وقيل
كان عالما بأمر الحرب وكان طويلا جسيما وكان يفوق الناس بمنكبيه وعنقه ورأسه. وإنما سمى طالوت لطوله وبينه تعالى أنهم
الله تعالى أن العلم هو الذى يجب أن يقع به الاختيار وأن الزيادة فى الجسم مما يهيب به العدو قوله تعالى **والله يؤتى ملكه من يشاء** أى يعطى ملكه من يشاء وهو جل وعز لا يشاء إلا الحكمة والعدل فلا تنكروا ملك طالوت
مع كونه من غير أهل الملك وأن الملك ليس بالوراثة وإنما هو بيد الله يؤتيه من يشاء قوله تعالى **والله واسع عليم**
أى يوسع على من يشاء ويعلم أين ينبغى أن يكون الملك والسعة وإنما قال واسع عليم أى موسع كما يقال أليم بمعنى مؤلم.
وقيل معناه واسع الفضل إذا ابتدأ والفضل كما يقال فلان كبير أى كبير العطاء وأما طالوت وجالوت وداود فأسماء أعجمية
فيهم العجمة والتعريف فلذلك لم تنصرف ولو سميت رجلا باسم جاموس لانصرف وإن كان أعجميا لأنه قد تمكن فى العربية بدخول
عليه الألف واللام فتقول الجاموس قوله عز وجل **وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة** قال ابن عباس هذا جواب عن قولهم لنبيهم والله ما
نصدق بأن الله بعثه علينا فقال لهم إن آية ملكه أى إن الدلالة على كون طالوت ملكا أن يأتيكم التابوت الذى
أخذ منكم عند كونه. وكان ذلك التابوت من عود الشمشار الذى يتخذ منه الأمشاط مموها بالذهب عليه صفائح الذهب
وكانت السكينة فى التابوت وهى شبه دابة رأسها كرأس الهرة ولها ذنب كذنبها ولها رأسان ووجه كوجه الإنسان ولها
جناحان من زبرجد وياقوت وكان منها روح تكلمهم بالبيان فيما اختلفوا فيه وكان لعينيها شعاع إذا نظرت إلى إنسان
ذعر. قال ابن عباس كانت بنو إسرائيل إذا حضر القتال قدموا التابوت بين أيديهم إلى العدو فإذا أنت السكينة فى
التابوت تبع التابوت أينما مر يمشى إلى العدو وهم يمضون معه أينما مضى فإذا استقر ثبتوا خلفه وكانت السكينة

إذا صرخت فى التابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح. فلما عصت بنو إسرائيل الأنبياء صلوات الله عليهم سلط
الله عليهم عدوهم فقاتلهم وغلبهم على التابوت ومضوا به إلى قرية من قرى فلسطين وجعلوه فى بيت صنم لهم وجعلوه تحت
الصنم فأصبح من الغد والصنم تحته وأصنامهم أصبحت كلها منكسة فأخرجوا التابوت من بيت الصنم ووضعوه فى ناحية
مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع فى أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم أن إله بنى إسرائيل لا يقوم
له شىء فأخرجوا التابوت إلى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك القرية فأرا فكان الرجل منهم يبيت سالما ويصبح
ميتا قد أكل ما فى جوفه فأخرجوه منها إلى الصحراء ودفنوه فى مخراة لهم فكان كل من تغوط منهم هناك أخذه الباسور
والقولنج فتحيروا فقالت لهم امرأة من سبى بنى إسرائيل كانت عندهم قد سبوها إنكم لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا
التابوت فيكم فأخرجوه عنكم فأتوا بعجلة بإشارة تلك المرأة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين ثم ضربوا جنوبهما
فأقبل الثوران يسيران ووكل الله أربعة من الملائكة يسوقون الثورين فلم يمر التابوت بشىء من الأرض إلا كان مقدسا
فأقبلا حتى وقفا على أرض بنى إسرائيل فوضعوا التابوت فى أرض بنى إسرائيل. فلما رأى بنو إسرائيل التابوت كبروا وحمدوا
الله وأطاعوا طالوت وأقروا بملكه فذلك قوله تعالى تحمله الملائكة أى تسوقه. وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت
تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته الملائكة عند طالوت. وقرأ ابن مسعود ومجاهد والأعمش يحمله
بالياء. وعن على رضى الله عنه أن السكينة كانت ريحا هفافة لها وجه كوجه الإنسان. قوله تعالى وبقية مما ترك آل
موسى وآل هرون قيل إنه كان فى التابوت رضاض الألواح لموسى وعصاه وثياب وعمامة هرون وقفيز من المن وهو الذى
كان لبنى إسرائيل فى طست من ذهب. قوله تعالى تحمله الملائكة أى تسوقه الملائكة وقال بعضهم أرسل الله ملائكة انتزعت
التابوت من أيدى الكفار وحملته الملائكة ووضعته بين يدى طالوت قوله تعالى **إن فى ذلك لآية لكم** أى إن
فى رجوع التابوت إليكم لعلامة لكم أن الله ملك عليكم طالوت **إن كنتم مؤمنين** أى مصدقين قوله عز وجل
فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر الآية أى فلما خرج طالوت بالجنود من البلد يعنى خرج بهم
من بيت المقدس وهم سبعون ألف مقاتل وقيل ثمانون ألفا ولم يتخلف عنه إلا كبير لهرمه أو مريض لسقمه أو ضرير لضرره أو
معذور لعذره وذلك أنهم لما رأوا التابوت قالوا قد أتانا التابوت وهو النصر لا شك فيه فسارعوا إلى الجهاد فخرج معه
خلق كثير فقال لا حاجة لى فى كل ما أرى ولا يتبعنى إلا كل شاب نشيط فارغ ولا يخرج معى صاحب تجارة ولا رجل عليه دين ولا
رجل تزوج امرأة لم يبن بها لأنهم يكونوا مشغولين فاجتمع إليه ثمانون ألفا من شرطه فخرج بهم فى حر شديد فأصابهم العطش
فسألوا الماء فقال لهم طالوت إن الله مبتليكم بنهر أى مختبركم بنهر جار وهو نهر الأردن وفلسطين ليرى طاعتكم وهو أعلم
فمن شرب منه فليس منى أى فليس من أهل دينى وطاعتى وأشياعى على عدوى ومن لم يطعمه أى ومن لم يشربه فإنه منى ومعى على عدوى
وقد يطلق لفظ الطعم على الشرب قال الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا قوله تعالى **إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه** قرأ ابن عباس وأبو الجوزاء وابن كثير وشيبة ونافع وأبو عمرو ويعقوب غرفة
بفتح الغين وقرأ الباقون بضمها وهى قراءة عثمان وهما لغتان. قال الكسائى الغرفة بالضم الذى يحصل فى الكف من الماء
إذا غرف والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر. وقال أبو حاتم الغرفة بالضم ملء الكف والغرفة
بالفتح المرة الواحدة من القليل والكثير. قال الكلبى ومقاتل كانت الغرفة يشرب منها الرجل وخادمه ودابته قيل ابتلاهم
بذلك النهر ليميز الصادق من الكاذب. وكان أشمويل هو الذى أخبر طالوت بذلك لأن الله تعالى لا يظهر على غيبه أحدا إلا
من ارتضى من رسول فلا يجوز هذا القول إلا من نبى قوله فشربوا منه إلا قليلا منهم نصب قليلا على الاستثناء وقرأ
ابن مسعود والأعمش إلا قليل بالرفع كقول الشاعر: وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان. ومعنى الآية أنه
لما عرض عليهم النهر وقد اشتد عليهم العطش وقعوا فيه فشربوا منه كلهم إلا القليل منهم وهم ثلثمائة وثلثة عشر
رجلا كعدة أهل بدر. قال صلى الله عليه وسلم يوم بدر لأصحابه أنتم على عدة أصحاب طالوت فاقتصروا على غرفة كما
أمر الله قوى قلبه وصح إيمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وخادمه ودابته. وأما الذين

أحدٌ منه الكثير من ذلك وخالفوا اسودّت شفاههم واشتدّ عطشهم فلم يرووا وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح قوله تعالى **فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه** يعني لما جاوز طالوت النهر هو والذين معه قوم وهم القليل الذين لم يشربوا إلا مقدار الغرفة قال الذين شربوا وخالفوا أمر الله وكانوا أهل شك ونفاق ولا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت. وقال بعض المفسرين أن القوم كلهم جاوزوا النهر ثم إن الذين خالفوا في الشرب والنهر اعتزلوا عن المطيعين وقالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قوله تعالى **قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله** معناه قال الذين يوقنون ويعلمون أنهم ملاقوا الله وهم القليل الذين بقوا مع طالوت كم من فئة قليلة أي كم من فرقة قليلة قهرت فرقة عددها كثير بأمر الله ونصره وكانت فئة جالوت مائة ألف والفئة جمع لا واحد له من لفظه قوله تعالى **والله مع الصابرين** أي معهم بالنصر والمعونة قوله عز وجل **ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا** الآية معناها لما خرجوا واصطفوا لمحاربة جالوت وجنوده قالوا ربنا أصبب علينا الصبر صبًّا **وثبّت أقدامنا** في أماكنها في الحرب بتقوية قلوبنا **وانصرنا على القوم الكافرين** أي أعنّا على قوم جالوت بإلقاء الرعب في قلوبهم قوله عز وجل **فهزموهم بإذن الله** في هذا الكلام دلالة أن ذكر الهزيمة بعد سؤال النصر يدل على إجابة الدعاء كأن الله تعالى يقول استجاب الله دعاءهم فهزموهم قوله تعالى **وقتل داود جالوت** قال المفسرون لما عبر طالوت ومن معه النهر كان من جملة من عبر معهم أبو داود عليه السلام واسمه ايشا في ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم. ثم إن جالوت أرسل إلى طالوت أن ابرز إلي من يقاتلني فإن قتلني فلكم ملكي وإن قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت ونادى في عسكره من قتل منكم جالوت زوجته ابنتي وأعطيته نصف ملكي فلم يجبه أحد منهم وهابت الناس جالوت فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله فدعا الله تعالى فأتي بقرن فيه دهن فقيل له إن صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن فدعا طالوت بني إسرائيل فجربهم فلم يوافق منهم أحدا فأوحى الله إلى نبيهم أن في أولاد ايشا من يقتل جالوت فدعا طالوت ايشا وقال له اعرض علي أولادك فأخرج له اثني عشر رجلا أمثال الأسطوانات وفيهم رجل بارع عليهم فجعل يعرضهم على القرن فلم ير شيئا فلم يزل يردد القرن على ذلك الجسيم حتى أوحى الله إليه أنا لا نأخذ الرجال على قدر صورهم بل على إصلاح قلوبهم فقال لايشا هل لك ولد غيرهم فقال لا فقال النبي يا رب إنه زعم أنه لا ولد له غيرهم فقال كذب فقال له إن ربك كذبك فقال صدق والله إن لي ابنا صغيرا يقال له داود استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته فخلفته في الغنم يرعاه وهو في شعب كذا وكان داود عليه السلام قصيرا مسقاما أزرق فخرج طالوت في طلبه فوجد الوادي قد سال بينه وبين الزريبة التي كان يريح إليها الغنم فوجده يحمل شاتين يجوز بهما السيل ولا يخوض بهما الماء فلما رآه قال هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم فدعاه فوضع القرن على رأسه ففاض فقال له طالوت هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأعطيك نصف ملكي قال نعم قال له فهل جربت نفسك في شيء قال نعم وقع الذئب في غنمي فضربته ثم أخذت رأسه وقطعت من جسده فقال له طالوت إن الذئب ضعيف فهل جربت نفسك في غيره قال نعم دخل الأسد في غنمي فضربته وأخذت بلحييه فشققتهما فمضى به طالوت إلى عسكره ثم مر داود بثلاثة أحجار فقلن له خذنا معك ففينا منية جالوت فأخذهن ثم مضى فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت وسأل المبارزة انتدب إليه داود فأعطاه طالوت فرسا ودرعا وسلاحا فقال داود إني لم أتعود القتال بهذا ولكني أقاتله بالمقلاعة كما أريد فأخذ داود المقلاعة ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان له بيضة فيها ثلاثمائة رطل من حديد فلما نظر إلى داود ألقي في قلبه الرعب وكان جالوت على فرس أبلق عليه السلاح التام قال له برزت إلي بالمقلاعة والحجر لتقتلني كما تقتل الكلب قال نعم لأنك شر من الكلب قال لا جرم لأقسمن لحمك بين سباع الأرض وطير السماء فقال داود بل يقسم الله لحمك ثم قال داود بسم إله إبراهيم وأخرج حجرا ووضعه في مقلاعته ثم أخرج الحجر الثاني وقال بسم إله إسحاق ووضعه في مقلاعته ثم أخرج الحجر الثالث وقال بسم إله يعقوب ووضعه في مقلاعته فصارت كلها حجرا واحدا ودوّر المقلاع ورمى به فأصاب الحجر أنف البيضة وخالط

دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وهزم الله الجيش وخرّ جالوت قتيلا فأخذه داود وجرّه حتى ألقاه بين يدي طالوت ثم قال له أنجز لي ما وعدتني وأعطني امرأتي فقال له طالوت أتريد ابنة الملك بغير صداق قال ما شرطت علي صداقا وليس لي شيء فزوجه ابنته وأراد أن يدفع إليه نصف ملكه فقال له قومه إن دفعت إليه ذلك نازعك في الملك وأفسد عليك ملكك فامتنع طالوت من ذلك وقصد قتله فهرب داود عليه السلام فندم طالوت فخرج في طلبه حتى أتى على امرأة من قوم من بني إسرائيل وهي تبكي على داود فضرب بابها فقالت من هذا قال أنا طالوت قالت أنت أشقى الناس طردت داود وقد قتل جالوت وهزم جنوده قال إنما أتيتك لتسألي الله لي توبتي قالت توبتك أن تأتي مدينة كذا وتقاتل أهلها فإن فتحتها فهي توبتك وإن قتلت فهي توبتك فانطلق طالوت إلى تلك المدينة فقاتل أهلها حتى قتل فاجتمع بنو إسرائيل فملكوا داود عليه السلام من بعده وذلك قوله تعالى وآتاه الله الملك والحكمة أي جمع له بين الملك والنبوة ولم يجتمع كلاهما لأحد إلا لداود وسليمان عليهما السلام قوله عز وجل **وعلمه مما يشاء** أي علمه الدروع ومنطق الطير وغير ذلك من العلوم قوله تعالى **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** أي ولولا دفع الله بأس المشركين بالغزاة المجاهدين كما دفع بداود شر جالوت لفسدت الأرض بأهلها لغلبة الكفار وقيل معناه لولا الأنبياء صلوات الله عليهم الداعون إلى سبيله الناهون عن الفساد لفسدت أحوال الناس روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى لولا رجال ركع وصبيان رضع وبهائم رتع لصببت عليكم العذاب صبا. وقال الحسن رحمه الله [illegible] بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن ولولا السلاطين والأمراء المسلطون على العباد من الدعارة لخرجوا على أهل الصلاح واستولوا عليهم قوله تعالى ولولا دفاع الله من قرأ دفاع ذهب إلى أنهم دافع مدافعة ودفاعا والدفع الصرف قوله تعالى **ولكن الله ذو فضل على العالمين** أي ذو من عليهم بدفع المفسدين عن المصلحين قوله عز وجل **تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين** أي القرآن بما فيه من الأخبار الماضية آيات الله نتلوها جبريل عليه السلام ليبين الحق من الباطل وإنك لمن المرسلين إذ أخبرت بهذه الآيات مع أنك لم تشاهدها ولم تخالط أهلها وقيل في معنى هذه الآيات أنه الله لما [illegible] دفعة واحدة وأحياهم دفعة واحدة وأعطى الملك طالوت وهو من أهل الخمول الذي لا ينقاد له الناس ونصر أصحاب طالوت مع قلة عددهم وضعفهم على جالوت وأصحابه مع شوكتهم وكثرتهم كل ذلك دلالة على قدرته وعلى نبوة الأنبياء صلوات الله عليهم قوله تعالى **وإنك لمن المرسلين** لأنك قد أعطيت من الآيات مثل ما أعطي الأنبياء صلوات الله عليهم وزيادة قوله عز وجل **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات** معناه الرسل الذين نزلنا عليك خبرهم في القرآن هم الرسل لم يكونوا في الفضل متساوين ولكن فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا والعقبى ثم فسّر فضيلة كل واحد منهم فقال منهم من كلم الله وهو موسى عليه السلام كلمه الله من غير سفير. ورفع بعضهم درجات أي اتخذ الله إبراهيم خليلا وسخر لسليمان الريح والجن والشياطين وعلمه منطق الطير. وقال مجاهد أراد بهذه الآية تفضيله محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء صلوات الله عليهم كما قال تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل هو إدريس كما قال تعالى ورفعناه مكانا عليا قوله تعالى **وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس** أي أعطيناه الدلالات على إثبات نبوته من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى والإنباء بما غاب عنه وأيدناه بروح القدس أي قويناه وأعناه بجبريل الطاهر حين أرادوا قتله حتى رفعه الله إلى السماء. وقال الحسن الروح جبريل والقدس هو الله تعالى فيصير تقدير الآية وقويناه بروح الله تعالى. وعن ابن عباس أنه قال القدس اسم الله الأعظم الذي كان به عيسى عليه السلام يحيي الموتى قوله تعالى **ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر** أي لو شاء الله لم يقتتل الذين من بعد الرسل من بعد ما وضحت لهم الحجج والدلائل كما قال تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقيل معناه ولو شاء الله لنزل آية تضطرهم إلى الإيمان وتمنعهم عن الكفر كما قال تعالى إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين قوله تعالى **ولكن اختلفوا** أي شاء اختلافهم فاختلفوا وتفاوتت الحجة إلى الإيمان لأن التكليف لا يخرج عن الضرورة والجزاء لا يحصل إلا مع الحجة قوله تعالى **ومنهم من كفر** أي بالكتب والرسل قوله تعالى **ولو شاء الله ما اقتتلوا**

الحروف

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ أي ولو شاء الله لم يقتتلوا لخلا بينهم بأن يأمر المؤمنين بالكف عن القتال وبأن يلجئهم
جميعاً إلى ترك القتال ولكن الله يفعل ما يريد من تقدير الاتفاق والاختلاف وغير ذلك مما توجبه الحكمة قوله عز وجل
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ حث على الإنفاق في الجهاد
في سبيل الله وقيل هو الأمر بالزكاة المفروضة وقوله تعالى من قبل أن يأتي يوم يعني يوم القيامة لا بيع فيه أي لا فدية فيه ولا خلة
أي ليس فيه خلة لغير المؤمنين وأما المؤمنون فتكون لهم خلة كما قال تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين
قوله تعالى وَلَا شَفَاعَةٌ أي لغير المؤمنين وأما المؤمنون فيشفع بعضهم لبعض ويشفع لهم الأنبياء والرسل عليهم السلام
قوله تعالى وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ أي هم الذين ظلموا أنفسهم حين لا خلة لهم ولا شفاعة وكان عطاء يقول الحمد لله
الذي لم يقل والظالمون هم الكافرون وبيانه أن كل كافر ظالم وليس كل ظالم بكافر قوله عز وجل اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
ذكر وحدانية الله وصفته ليعلم أن من كان هذه الصفة تحق عليه كلمة من كفر ومعصية من عصى ويجازي كل عامل على ما عمل وقوله
عز وجل لا إله إلا هو نفي معبود الكفار وإثبات معبود المؤمنين وإثبات الشيء مع نفي غيره أبلغ في الإثبات كأنه قال الله إله هو دون
غيره وهو المعبود لا معبود للخلق سواه ومعنى الحي القيوم الدائم الذي لا يموت موصوف بالبقاء على الأبدية وبه حي كل حي وأما
القيوم فهو القائم بتدبير الخلق في إنشائهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم ومجازاتهم على أعمالهم وقيل معنى القيوم العالم بالأمور من قولهم
فلان يقوم بهذا الكتاب أي يحسنه ويعلم ما فيه وقيل معنى الحي القيوم الدائم الذي لا يزول قوله تعالى لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ
أي لا يأخذه نعاس فيه نوم والنعاس اسم لأول ما يدخل في الرأس من النوم قبل وصوله إلى القلب والنوم هو الذي يصل إلى القلب
فيستثقل ومعنى الآية لا يغفل عن تدبير الخلق فإن قيل ما معنى نفي النوم بعد نفي النعاس قلنا مثل هذا اللفظ إنما يكون لنفي قليل
النوم وكثيره ونظيره قول العرب فلان لا يملك قليلاً ولا كثيراً قوله تعالى لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أي هو مالك
السموات والأرض وما فيهما كلهم عبيده وإماؤه وتحت قبضته وقدرته قوله تعالى مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ
هذا جواب عن قول المشركين في أصنامهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى أي لا يشفع أحد لأحد
عند الله إلا بأمره ورضاه كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض بالدعاء وكما يشفع الأنبياء للمؤمنين قوله تعالى يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ أي يعلم ما بين أيديهم من أمر الآخرة وما خلفهم من أمر الدنيا وقال مجاهد على الضد من هذا وقيل يعلم الغيب
الذي تقدمهم والذي يكون بعدهم قوله تعالى وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ أي لا يعلمون الغيب إلا بما تقدمهم
ولا بما يكون بعدهم إلا بما شاء الله أن يعلموه وهو ما أنبأ به الأنبياء صلوات الله عليهم قوله تعالى وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ قال ابن عباس كرسيه علمه ولا يخفى عليه شيء مما في السموات والأرض وقيل معناه وسعت قدرته التي يمسك بها السموات
والأرض وقال الحسن الكرسي هو العرش وقال بعضهم سرير دون العرش وقال هو مكان خلق الله فيه السموات والأرض وقال
مقاتل الكلبي ومقاتل السموات السبع والأرضون السبع تحت الكرسي في الصغر كحلقة في فلاة وقال الكلبي يحمل الكرسي أربعة أملاك
لكل ملك أربعة أوجه وجه إنسان ووجه ثور ووجه أسد ووجه نسر أقدامهم في الصخرة التي تحت الأرضين مسيرة خمسمائة عام
والعرش فوق الملك قوله عز وجل وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا أي لا يثقله ولا يشق عليه حفظ السموات والأرض قوله تعالى
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ أي العالي عن الأشباه والأمثال بصفات المجد من عظم الشأن والسلطان والبرهان روي
محمد بن الحنفية قال لما نزلت آية الكرسي خر كل صنم في دار الدنيا وخر كل ملك في الدنيا على وجهه وسقط التيجان عن رؤوسهم
وهربت الشياطين يضرب بعضهم على بعض حتى جمعوا إلى إبليس فأخبروه بذلك فأمرهم أن يبحثوا فجاءوا إلى المدينة فبلغهم أن آية
الكرسي قد نزلت وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة
مكتوبة أعطاه الله قلوب الشاكرين وأعمال الصديقين وثواب النبيين وبسط عليه يمينه بالرحمة ولم يمنعه من دخول
الجنة إلا أن يموت فيدخلها ومن قرأها حين يأخذ مضجعه أمنه الله وجاره وجار جاره والدويرات حوله قوله عز وجل
لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ لأنه اختلف المفسرون في هذه الآية على ثلاثة أقوال قال السدي والضحاك هذه الآية
نزلت قبل الأمر بقتال المشركين كما قال تعالى ادفع بالتي هي أحسن وكان القتال غير مباح في أول الإسلام إلى أن قامت عليهم

الحجة الصحيحة بصحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما عاندوا بعد البيان أمر الله المسلمين بقتالهم بقوله تعالى
اقتلوا المشركين وغير ذلك من آيات القتال وقال الحسن وقتادة إن هذه الآية خاصة في أهل الكتاب أن لا يكرهوا على الإسلام
بعد أن يؤدوا الجزية وأما مشركو العرب فلا يقرون على الجزية ولا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف والقول الثالث
أن معناه من دخل في الإسلام بمحاربة المسلمين ثم رضي بعد الحرب فليس بمكره أي لا تقولوا لهم إنما أسلمتم كرهاً ولا إسلام
لكم ومعنى الآية لا إكراه في الإسلام أي لا تكرهوا على الإسلام وقد وضح الطريق المستقيم من الطريق الذي ليس بمستقيم بما أعطى
الله أنبياءه من المعجزات فلا تكرهوا على الدين ودخول الألف واللام في الدين للتعريف المعهود قوله تعالى فَمَنْ يَكْفُرْ
بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا أي فمن يكفر بما أمر الله أن يكفر به ويصدق
بالله فيما أمر به فقد عقد لنفسه من الدين عقداً وثيقاً لا تحله حجة من الحجج لا انقطاع لها بالشبهة والشكوك قوله تعالى
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ لما يعتقده الإنسان في أمر الدين عالم بنيته في ذلك والغي نقيض الرشد والطاغوت مأخوذ من الطغيان
والطاغوت اسم للأصنام والشياطين وكل ما يعبد من دون الله قوله تعالى اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ معناه الله ولي المؤمنين في نصرهم وإظهارهم وهدايتهم وإقامة الحجة في دينهم ويتولى جزاءهم على حسن عملهم يخرجهم
من ظلمات الكفر إلى نور الهدى قوله تعالى وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ لأن الآية معناه والذين جحدوا
توحيد الله أولياؤهم الذين يتولونهم الطاغوت ومعنى يخرجونهم من النور إلى الظلمات لم يكن لهم نور وقيل أراد به اليهود وا
الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام خرجوا من التوحيد الذي كانوا فيه إلى الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل أَلَمْ تَرَ
إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ أي ألم تعلم يا محمد بالذي حاج إبراهيم في ربه أي هل رأيت كالذي حاج
إبراهيم في ربه أن آتاه الملك بأن أعطاه الله الملك وأعجب بملكه وسلطانه وهو نمرود بن كنعان أول من تجبر في الأرض وادعى
الربوبية فخاصم إبراهيم في توحيده وقيل إن الهاء في قوله آتاه راجعة إلى إبراهيم عليه السلام والملك هو النبوة وحجته بطاعته
على الناس قوله تعالى إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وذلك أن نمرود قال لإبراهيم من ربك قال إبراهيم ربي الذي
يحيي ويميت عند انقضاء الآجال فقال نمرود أنا أحيي وأميت قال أرني بيان ذلك فأتى برجلين من سجنه وجب عليهما القتل فقتل
أحدهما وترك الآخر فقال هذا قد أحييته وهذا قد أمته قال إبراهيم فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ
فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ أي تحير وانقطع بما ظهر عليه من الحجة وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أي لا يرشد المشركين إلى دينه
وحجته فإن قيل لم لم يثبت إبراهيم على الحجة الأولى والانتقال من حجة إلى حجة أخرى في المناظرة غير محمود قيل عنه أجوبة
أحدها أن إبراهيم كان داعياً ولم يكن مناظراً فما كان يراه أقرب إلى الهداية أخذ به والثاني أنه روي أنه قال لنمرود فإنك
أنت المحيي فأحي الميت والانتقال بعد الإلزام محمود والثالث أن نمرود كان عالماً أن ما ذكره ليس بمعارضة وكان من حاله
من أصحابه لو يوقنون بكذبه في قوله أنا أحيي وأميت لكن أراد التمويه على أغمار قومه كما قال فرعون للسحرة حين آمنوا إن هذا
لمكر مكرتموه في المدينة كذلك فعل نمرود بقوله أنا أحيي وأميت فترك إبراهيم إطالة الكلام وعدل إلى حجة مسكتة لا يمكنه
التمويه فيها فإن قيل فهلا قال نمرود لإبراهيم إن مجيء الشمس هو العادة فقل لربك حتى يأتي بها من المغرب قيل علم لما رأى من المعجزات
التي ظهرت أنه لو سأله ذلك لأتى به وكان يزداد فضيحة عند الناس وقيل خذله الله عن هذا القول فلم يوفق للسؤال قوله
تعالى فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ البهت في اللغة هي مواجهة الرجل بالكذب عليه يقال بهته يبهته بهتاً وبهتاناً فهو باهت وهو مبهوت وفي
الحديث قالت اليهود قوم بهت وبهت يبهت وبهت وبهت وأجودها بهت بالضم للناس قوله عز وجل أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى
قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا عطف هذه الآية على معنى الكلام لا على اللفظ كأنه قال أرأيت كالذي حاج إبراهيم
في ربه أو كالذي مر على قرية قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عزير بن شرخيا وكان من علماء بني إسرائيل سباه بخت نصر
من بيت المقدس إلى أرض بابل حين سلطه الله عليهم فخرب بيت المقدس فخرج عزير من أرض بابل ذات يوم على حمار فمر بدير هرقل
على شاطئ دجلة فطاف بالقرية فلم ير بها أحداً وعامة شجرها حامل فجعل يتعجب من خراب القرية وموت أهلها وكثرة
حملها وهي ساقطة على سقوفها وذلك أن السقف وقع قبل الحيطان ثم وقع الحيطان عليه فأخذ شيئاً من التين والعنب

العنب فشرب منه ثم جعل فضل التين في سلة وفضل العنب في أخرى وفضل العصير في الزق ثم نظر إلى القرية فقال أنى
يحيي هذه الله بعد موتها أي كيف يحيي الله هذه القرية بعد خرابها وموت أهلها لم يكن هذا القول منه إنكارا للبعث ولكن
أحب أن يرى كيف يحيي الله الموتى فيزداد بصيرة في إيمانه فنام في ذلك الدير فأماته الله في منامه مائة عام وأعمى عنه السباع
والطير ثم أحياه فنودي يا عزير كم لبثت وكان أميت في صدر النهار ثم بعث بعد مائة سنة في آخر النهار فظن أن يوم
لبثه يوم فقال لبثت يوما فلما نظر إلى الشمس وقد بقي منها شيء فقال أو بعض يوم نودي بل لبثت مائة عام فانظر
إلى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتسنه أي لم يتغير طعمها بعد مائة عام وأراد بعينها
السنون فنظر فإذا التين والعنب كما شاهده وبالعصير طريا ثم قيل له وانظر إلى حمارك فنظر وإذا هو عظام بيض
تلوح وقد تفرقت أوصاله فسمع صوتا أيتها العظام البالية إني جاعل فيك روحا فاجتمعي فانضم العظام وسعى
بعضها إلى بعض قال فرأيت الصلب يسعى كل فقرة منها إلى صاحبتها ثم رأيت الوركين يسعيان إلى مكانهما والساقين إلى
مكانهما والوظيفين إلى مكانهما ثم رأيت كل الأضلاع تسعى كل واحد منهم إلى مكانه ثم رأيت الكعبين سعيا إلى مكانهما
والذراعين إلى مكانهما ثم رأيت العنق تسعى كل فقرة منه إلى صاحبتها ثم جاء الرأس إلى مكانه ثم رأيت العصب والعروق ثم
ألقى عليه الجلد ثم دري عليه الشعر ثم نفخ فيه الروح فإذا هو قائم ينهق فخر عزير ساجدا لله تعالى وقال عند ذلك
أعلم أن الله على كل شيء قدير قال ذلك حين تبين له من كمال القدرة البالغة جارية والموت في نفسه والبقاء في العنب
والعصير والتين هما من أسرع الأشياء فسادا وتغيرا ثم مشاهدة البعث بعد الموت قال ابن عباس ثم بعث وهو شاب
ابن أربعين سنة على السن الذي أميت عليها وكان أبناؤه وذلك لو فقد ابن عشرين سنة فصار ابنه ابن مائة وعشرين سنة وهو ابن
أربعين سنة على السن الذي أميت عليها فذلك قوله تعالى ولنجعلك آية للناس ثم إنه رجع إلى بني إسرائيل وهو
يقرأ التوراة كلها عن ظهر قلبه فأملاها عليهم لم يخرم منها حرفا واحدا وكانت التوراة قد ذهبت عنهم فما هو رجل
من بني إسرائيل فلم يصدقوه حتى يعرفوه قال آخر حدثني أبي أنه قال دفنت التوراة يوم سبينا في جانبه كرم فأرونيه كرم جده
فأخرج التوراة فعارضوها بما أملى عزير فما اختلفا في حرف فعجبوا من كثرة علمه وحداثة سنه فقال بعضهم عزير ابن
الله وقال الحسن وقتادة والربيع أن القرية المذكورة في القرآن هي بيت المقدس بعد ما خربه بخت نصر وكان وهب بن منبه
يقول كان المار بهذه القرية أرميا النبي عليه السلام وقيل معنى خاوية أي خالية ثم أنشرها تعالى والخوى الدار إذا
خلت والخوى البطن إذا جاع ويسمى السقف عرشا لارتفاعه عن أرضه ويسمى السرير عرشا لارتفاعه عن الأرض قوله تعالى
ننشرها من قرأ بالراء المهملة فمعناه نحييها من النشر تقول أنشر الله الموتى إذا أحياها ومنه قوله تعالى ثم إذا شاء أنشره ومن
قرأ ننشزها بالزاي المعجمة فمعناه نرفعها ونعلي بعضها على بعض من النشز وهو المكان المرتفع ومنه نشوز المرأة على زوجها
ترفعها عن طاعته قوله تعالى أعلم أن الله من قرأ أعلم بقطع الألف أي قال عزير حين شاهده ما كنت علمه غيبا
ومن قرأ اعلم بالوصل فالمعنى قال الله تعالى له اعلم أن الله على كل شيء قدير قوله عز وجل وإذ قال إبرهيم رب أرني
كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي تقدير الآية ألم تر إذ قال إبرهيم وقيل اذكر
إذ قال إبرهيم قال ابن عباس سبب هذه القصة أن إبرهيم عليه السلام مر بجيفة على ساحل البحر تنقض عليها طيور السماء
فتأخذ منها بأفواهها ثم تأكل بعضه من أفواهها في البحر فتأكل منه الحيتان ثم تجيء السباع فتأخذ منها عضوا عضوا وتقف
سجعا وقال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن أي ولم تصدق بأني أحيي الموتى قال بلى عرفت ولكن أحب
أن أعلم كيف يحيي هذه النفس التي أرى بعضها في بطون السباع وبعضها في بطون الحيتان وبعضها في حواصل الطير فذلك قوله
ولكن ليطمئن قلبي وقيل معناه ولكن ليطمئن قلبي أي يسكن قلبي أنك الذي أعطيتني ما سألتك وقيل بأنك اتخذتني خليلا
الله تعالى فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا وذلك
أن إبرهيم عليه السلام لما رأى الجيفة وقد توزعتها الطيور والسباع والحيتان تعجب منها وقال يا رب قد علمت أنك تجمعها
من بطون السباع وحواصل الطير وبطون الحيتان فأرني كيف تحييها لأعاين ذلك فأزداد يقينا قال الله له أولم تؤمن

قال بلى يا رب آمنت وليس الخبر كالمعاينة والمشاهدة وقال ابن زيد مر إبرهيم عليه السلام بحوت ميت نصفه في البحر
ونصفه في البر فما كان في البحر فدواب البحر تأكله وما كان في البر فدواب البر تأكله فقال له إبليس لعنه الله يا إبرهيم متى
يجمع الله هذا من بطون هؤلاء فقال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بذهاب
وسوسة الشيطان ويصير الشيطان خاسئا صاغرا وروي أن نمرود قال لإبرهيم إنك تزعم أن ربك يحيي الموتى وتدعو
إلى عبادته فقل له يحيي الموتى إن كان قادرا وإلا قتلتك فقال إبرهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى
ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي ونجاتي من القتل فإن عدو الله توعدني بالقتل إن لم تحي له ميتا وقال ابن عباس وابن
جبير والسدي لما اتخذ الله إبرهيم خليلا سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشر إبرهيم بذلك فأذن له فأتى إبرهيم
وقال يا إبرهيم جئت أبشرك بأن الله اتخذك خليلا فحمد الله وقال ما علامة ذلك قال أن يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى
بسؤالك ثم مضى ملك الموت فقال إبرهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي أنك تجيبني إذا
دعوتك وتعطيني إذا سألتك وأنك اتخذتني خليلا روى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله إبرهيم عليه السلام
نحن أحق بالشك منه يعني إنما شك إبرهيم أنه يجيبه ربه إلى ما سأل أم لا قوله تعالى فخذ أربعة من الطير مختلفة أجناسها وطباعها
ليكون أبلغ في القدرة وخص الطير من بين الحيوان بخاصية الطيران واختلفوا في تلك الأربعة من الطيور فقال ابن عباس أخذ
طاوسا ونسرا وغرابا وديكا وقال مجاهد وابن جريج أخذ غرابا وديكا وطاوسا وحمامة وعن ابن هبيرة أنه أخذ الطاوس
والديك والغرنوق والحمامة وقال عطاء أخذ بطة خضراء وغرابا أسود وحمامة بيضاء وديكا أحمر قوله تعالى فصرهن
إليك قرأ علي رضي الله عنه وأبو الأسود والحسن وعكرمة والأعرج وشيبة ونافع وابن كثير وابن عامر وعاصم والكسائي
وأبو عمرو ويعقوب وأيوب فصرهن بضم الصاد معناه أملهن إليك يقال صرت الشيء أصوره أي أملته ويقال رجل أصور إذا
كان مائل العنق ويقال إني إليكم لأصور أي لمائل مشتاق وامرأة صوراء أي مشتاقة مائلة قال الشاعر الله يعلم أنا في تقلبنا
يوم الفراق إلى جيراننا صور وقال عطاء والوضاح وعطية معنى فصرهن أي اجمعهن واضممهن إليك يقال صار يصور إذا جمع وقال
أبو عبيدة وابن الأنباري معنى فصرهن أي قطعهن ومزقهن يقال صار يصير صيرا إذا قطع وانصار انصيارا إذا انقطع
وأنشد بعضهم [illegible] في اللحم وغلام رأيته صار كلبا ثم في ساعتين صار غزالا أي قطع وقرأ علقمة وسعيد بن جبير وقتادة
ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة وخلف فصرهن بكسر الصاد ومعناه قطعهن قال أبو العباس السراج هما لغتان للعرب وعن ابن عباس وأبان
أحدهما فصرهن مفتوحة الصاد مشددة الراء مكسورة من الصرة وهي الجمع ومنه المصراة والأخرى وصرهن بضم الصاد وفتح الراء
والتشديد من الصر وهي في معنى الجمع ثم تأوله على القطع والتمر في نعيه تقديم وتأخير تقديره فخذ أربعة من الطير إليك فصرهن ومن
تأوله على الضم والإمالة فيه إضمار معناه فصرهن إليك ثم قطعهن فحذفه واكتفى بقوله ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا لأنه يدل
عليه وهذا كما قال تعالى خذ الثوب واجعل منه على كل رمح علما قوله تعالى ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا لفظه عام والمراد
خاص أي أربعة من الطير بلغ الجبال كلها وكان إبرهيم يصل إلى ذلك وهذا كقوله وأوتيت من كل شيء وقوله تدمر كل شيء وقوله
جزءا قرأ أبو بكر بضم الزاي مثقلا بالهمز حيث وقع وقرأ أبو جعفر جزا مشددا الزاي وقرأ الباقون بالهمز مخففا وهي لغات قال المفسرون
أمر الله إبرهيم أن يذبح تلك الطيور وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها على الجبال واختلفوا في عدد الأجزاء والجبال فقال
ابن عباس وقتادة والربيع أمر أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء ثم يعمد إلى أربعة أجبل فيجعل على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يدعوهن
تعالين بإذن الله تعالى وهذا مثل ضربه الله لإبرهيم وأراه إياه يقول كما بعثت الطيور من هذه الجبال الأربعة فكذلك يبعث الناس
يوم القيامة من أرباع الأرض ونواحيها وقال ابن جريج والسدي جزأها سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤسهن
عنده ثم دعاهن تعالين بإذن الله فجعل الريش كل ريشة تطير إلى الأخرى وكل قطرة من الدم تطير إلى الأخرى وكل عظم يطير إلى
الآخر وكل بضعة تطير إلى الأخرى وإبرهيم ينظر حتى التقت كل جثة بعضها إلى بعض حتى [illegible] الله تعالى جئن يسعين على أرجلهن
بغير ريش فتلقن إبرهيم عليهن رؤسهن واختلفوا في معنى السعي قال بعضهم هو الإسراع في المشي وقال بعضهم مشاة على أرجلهن
والحكمة في المشي دون الطيران كونه أبلغ في الحجة وأبعد من الشبهة لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطيور وأن أرجلها
غير سليمة وقال أبو الحسن قطع صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال [illegible] أبو طاهر [illegible] ظاهر هذه الآية ما ذكره المفسرون

وباطنها أن ابرهيم أمر بذبح أربعة أشياء في نفسه بسكين كما أمر كما ذبح في الظاهر الأربعة الطيور بسكين الحديد والنسر
مثل الطول والعمر وله الأمل والطاوس زينة الدنيا وبهجتها والغراب الحرص والديك الشهوة قوله تعالى **واعلم أن الله
عزيز حكيم** أي غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريد حكيم فيما يريده يفعل لا ما في حكمه وقال بعضهم كانت هذه
القصة قبل أن يولد لإبرهيم ولد وقبل أن تنزل عليه الصحف وكان يومئذ ابن خمس وسبعين سنة قوله عز وجل **مثل
الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة** اتصال هذه الآية
بما قبلها أنه أخرى فيما تقدم ذكر النفقة في الجهاد بقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ثم ذكر ما كان من سؤال قوم اشموئيل
من الله أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه أعداءهم وكانت الغلبة لهم مع قلة عددهم ثم عقبه الله تعالى بذكر ابرهيم دليلا على
وحدانيته فبين أن الكفر بعد هذه الآيات أعظم وأشنع فمن كفر بعد هذا فقاتلوه وانفقوا في القتال فإن النفقة في القتال
تكون بسبعمائة • وعن ابن عباس نزلت هذه الآية والتي بعدها في شأن عثمن بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما أما عثمن
فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال علي جهاز من لا جهاز له واشترى بئر رومة وجعلها سبيلا للمسلمين
وأما عبد الرحمن فكان له ثمانية آلاف فجاء بأربعة آلاف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن لي ثمانية آلاف أمسكت
نصفها لنفسي وعيالي وأقرضت نصفها لربي وهي هذه فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وأعطيت ودعا له رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنضض منه • ومعنى الآية صفة الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله كصفة حبة ألقيت في الأرض فأخرجت سبع سنابل
في كل سنبلة مائة حبة أي كما تكون الحبة واحدة والمكتسب بها سبعمائة وكذلك النفقة تكون واحدة والمكتسب بها سبعمائة ضعف •
قوله تعالى **والله يضاعف لمن يشاء** أي كما يضاعف الزرع الزارع الحارث من البذر الجيد في الأرض الطيبة كذلك
يضاعف للمرء الصالح ثواب الصدقة بالمال الطيب إذا وضعه في موضعه يضاعف لمن يشاء من السبع إلى السبعين إلى السبعمائة
إلى ما يعلم إلى ما شاء الله من الأضعاف بما لا يعلمه إلا الله قوله تعالى **والله واسع عليم** أي غني بذلك الأضعاف
عليم من ينفق وبمن لا عطاه والله واسع أي الفضل جواد لا ينقصه ما يتفضل به من السعة والمضاعفة عليم بمن يستحق الزيادة والعلم
وتخصيص السبع في الآية لما قالوا إن السبع أشرف الأعداد كما روي عن ابن عباس أنه قال أكثر الأشياء تكون كلها سبعا •
فإن السموات سبع والأرضين سبع والكواكب السيارة سبعة والبحار سبعة وأيام الأسبوع سبعة ويسجد العبد على سبعة
أعضاء • واجمع أهل التفسير أي السدي أن هذه المضاعفة سبعمائة مختصة بالإنفاق في الجهاد وأما غير ذلك من الطاعات
فالحسنة بعشر أمثالها كما قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قوله عز وجل **الذين ينفقون أموالهم في
سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى** نزلت في شأن النفقة التي يستحق بها الثواب المضاعف معناه الذين ينفقون
أموالهم في طاعة الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا على السائل بحوان يقول للسائل إذا وقع بينه وبينه خصومة أعطيتك كذا وكذا
الليلة وما أشبهه مما ينغص على السائل وأصله من القطع يقال مننت الشيء إذا قطعته ومنه قوله تعالى فلهم أجر غير ممنون
أي غير مقطوع ويقال حبل منين أي مقطوع وقيل أصل المنة النعمة يقال من فلان إذا أعطاه النعمة قال الله تعالى هذا عطاؤنا
فامنن أو أمسك بغير حساب أي أعط أو أمسك • وقال الكلبي نزلت هذه الآية في عثمن وعبد الرحمن أما عثمن فجهز المسلمين في غزوة
تبوك بألف بعير بأقتابها وأحلاسها وروي أن عثمن رضي الله عنه جاء بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ما ضر عثمن ما عمل بعد اليوم • وقال أبو سعيد الخدري
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعا يديه يدعو لعثمن ويقول يا رب عثمن رضيت عنه فارض عنه فما زال يدعو رافعا يديه
حتى طلع الفجر فأنزل الله هذه الآية وأما عبد الرحمن بن عوف فقد ذكرنا صدقته قوله ولا أذى أي لا يؤذي السائل
بتعييره ولا يزجره نحو أن يقول أنت أبدا في فقر [illegible] أراحنا الله عنك وأعطيناك فما شكرت وما أشبه ذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم المنان بما يعطي لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم وحظر الله على عباده المن بالصنيعة
واختص به نفسه لأنه من العبد تعيير وتكدير ومن الله تعالى إفضال وتذكير قال بعضهم • أفسدت بالمن ما
قدمت من حسن • ليس الكريم إذا أعطى بمنان • قوله تعالى **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** أي لا خوف

عليهم فيما يستقبلهم من أهوال يوم القيامة ولا هم يحزنون على ما خلفوا في الدنيا قوله عز وجل **قول معروف ومغفرة
خير من صدقة يتبعها أذى** أي كلام حسن ورد جميل على السائل ولطف به ودعا له بالسعة وتجاوز عن مظلمة
وقيل حسنة عند الله خير من صدقة يتبعها أذى لأن الصدقة إذا أتبعها أذى ذهبا لما دا الثواب جميعا • وقال الضحاك
معنى الآية قول في إصلاح ذات البين قوله ومغفرة قال ابن جرير معنى ومغفرة أي ستر منه عليه لما علم من خلته وفاقته
وقيل يتجاوز عن السائل إذا استطال عليه عند رده وعلم الله أن الفقير إذا رد بغير شيء شق عليه ذلك فربما دعاه ذلك إلى بذاءة
اللسان وإظهار الشكوى وعلم ما لحق لمانعه منه فحثه على العفو والصفح روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا سأل
السائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها ثم ردوها عليه بوقار ولين أو ببذل يسير أو رد جميل فإنه قد يأتيكم من ليس بإنس
ولا جن ينظر كيف صنيعكم فيما خولكم الله عز وجل قوله تعالى **والله غني حليم** أي غني عن صدقات العباد حليم
إذ لم يعجل بالعقوبة على الذكر من يصدقه روي بشر بن الحارث قال رأيت عليا رضي الله عنه في المنام فقلت له يا أمير المؤمنين
تقول شيئا لعل الله ينفعني به فقال ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء رغبة في ثواب الله وأحسن منه تيه الفقراء على
الأغنياء ثقة بالله عز وجل قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق
ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر** أي لا تبطلوا صدقاتكم بذلك كإبطال من ينفق ماله رئاء وسمعة ليقال
نفقته ويقال إنه سخي كريم صالح يعني بذلك المنافق لأن الذي ينفق ماله لا رغبة في الثواب ولا رهبة من العقاب بل يحمده الناس
ورياء لهم أنه مؤمن قوله تعالى **فمثله** أي مثل نفقة هذا المنافق المرائي **كمثل صفوان** أي حجر أملس عليه تراب فأصابه
وابل أي مطر كبير شديد الوقع فذهب بالتراب الذي كان على الحجر وبقي الحجر يابسا لا شيء عليه كقوله **فتركه صلدا** أي حجرا
صلبا أملس لا شيء عليه وهو من الأرض ما لا ينبت ومن الرؤوس ما لا شعر عليه قال رؤبة • براق أصلاد الجبين الأجله
وهذا مثل ضربه الله لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن الذي يمن بصدقته ويؤذي يعني أن الناس يرون في الظاهر أن لهؤلاء أعمالا
كما يرى التراب على هذا الصفوان فإذا كان يوم القيامة اضمحل وبطل لأنه لم يكن لله كما أذهب الوابل ما كان على الصفوان من التراب
فتركه صلدا لا شيء عليه قوله تعالى **لا يقدرون على شيء مما كسبوا** أي لا يقدر المان بنفقته والمؤذي والمنافق
على ثواب شيء مما أنفقوا كما لا يقدر أحد من الخلق على التراب الذي كان على الحجر الأملس بعدما أذهبه المطر قوله تعالى
والله لا يهدي القوم الكفرين أي لا يهديهم حتى يخلصوا أعمالهم وقيل لا يهديهم إلى المثوبة لهم كما يهدي المؤمنين • وأصل
الوابل من الوبيل وهو الشديد كما قال تعالى أخذا وبيلا ويقال وبلت السماء تبل إذا اشتد مطرها والصلد الحجر الأملس الصلب
ويسمى البخيل صلدا تشبيها له بالحجر في أنه لا يخرج منه شيء ويقال للأرض التي لا تنبت شيئا صلدا وصلد الزند صلودا إذا لم يور
نارا وفي الآية دلالة أن الصدقة وسائر القرب إذا لم تكن خالصة لله لا يتعلق بها الثواب ويكون فاعله كمن لم يفعل ولهذا
قال أصحابنا لا يجوز الاستئجار على الحج وسائر الأفعال التي من شرطها أن تفعل على وجه القربة لأن أخذ الأجر عليها يخرجها
من أن تكون قربة ثم ضرب جل ذكره لنفقة المخلصين المؤمنين مثلا آخر على إثر المثل الأول فقال **ومثل الذين ينفقون
أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين** أي
صفة الذين ينفقون أموالهم لطلب مرضات الله وتصديقا وتحقيقا • قال الشعبي والكلبي والضحاك يعني تصديقا من أنفسهم يخرجون
الزكوة طيبة بها نفوسهم • وقال السدي وأبو صالح وأبو روق معناه ويقينا من أنفسهم أي على يقين بإخلاف الله تعالى عليهم
وقال قتادة معناه واحتسابا وقيل ثقة بالله وقال مجاهد معناه يتثبتون • قال الحسن كان الرجل إذا هم بصدقة تثبت
فإن كان لله أمضاه وإن خالطه شك أمسك • وقال ابن كيسان معناه إخلاصا وتوطينا لأنفسهم على طاعة الله وقال
سعيد بن جبير وتحقيقا في دينهم قوله تعالى كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين أي كصفة بستان بمكان مرتفع أصابه
مطر كبير شديد فآتت ثمرها ضعفين في الحمل قال عطاء حملت في سنة ما يحمل غيرها في سنتين • وقال عكرمة حملت في السنة مرتين
قال الفراء إذا كان في البستان نخل فهو جنة وإذا كان فيه كرم فهو فردوس • وقرأ مجاهد كمثل حبة بالحاء والباء وقرأ السلمي
والعطاردي والحسن وعاصم وابن عامر بربوة بفتح الراء ههنا وفي سورة المؤمنين وهي لغة بني تميم • وقرأ أبو جعفر وشيبة

وابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو عمرو ويعقوب وأيوب بربوة بضم الراء فيهما واختاره أبو عبيد لأنها أكثر
اللغات وأشهرها • وقرأ ابن عباس وأبو إسحق بربوة بكسر الراء • وقرأ أشهب العقيلي برباوة بالألف وكسر الراء وهي
جمعا للكتاب لمرتفع المستوي والمطر على الروابي أشد وأبيتها أحسن وإنما سميت ربوة لأنها ربت وعلت وغلظت من قولهم
ربا الشيء يربو إذا عظم • وقوله تعالى أكلها قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف وقرأ الباقون بضم الكاف والأكل هو الثمر
وضعفين أي مثلين قوله تعالى **فإن لم يصبها وابل فطل** أي فطش والطل ضعيف المطر مثل الرذاذ وهو المطر
الدائم الصغار القطر لا يكاد يسيل منه الميازيب كذلك المنفق لوجه الله إن كانت نفقته كثيرة فثوابها كثير وإن كانت قليلة
فثوابها شيء يعتد به • وقال السدي الطل هو الندى • وروي عن زيد بن أسلم في قوله تعالى فإن لم يصبها وابل فطل
قال هي أرض مصر إن لم يصبها مطر زكت أي أنبتت وإن أصابها مطر أضعفت أي أنبتت ضعفين ذلك فهذا مثل ضربه الله لعمل
المؤمن المخلص يقول كما أن هذه الجنة تصلح في كل حال ولا تخلف صاحبها سواء قل المطر أو كثر كذلك يضاعف الله
ثواب صدقة المؤمن المخلص الذي لا يمن ولا يؤذي سواء قلت صدقته أم كثرت ولا تخيب بحال قوله تعالى **والله بما
تعملون بصير** أي بصير بما تعملون من الرياء والإخلاص يجزيكم على قدر نياتكم قوله عز وجل **أيود أحدكم أن تكون
له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات** لأنه هذا استفهام في الظاهر
يقتضي في الحقيقة تقديرا أي لا يود أحدكم كقوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ومعنى الآية تمنى أحدكم أن
تكون له بستان من نخيل وكرم تجري من تحت شجرها ومساكنها الأنهار له في الجنة من ألوان الثمار كلها وأصابه الكبر
والضعف وله أولاد ضعاف عجزة عن الحيلة **فأصابها إعصار** يعني تلك الجنة والإعصار ريح عاصف تهب من الأرض
بالشدة كالعمود إلى نحو السماء وتسميها العرب الزوبعة وسميت إعصارا لأنها تلتف كتف بعض قوله تعالى **فيه نار
فاحترقت** أي الجنة وهذا مثل ضربه الله لنفقة المنافق والمرائي يقول عمل هذا المرائي في حسنه كحسن الجنة ينتفع
كما ينتفع صاحب الجنة فإذا كبر وضعف وصار له أولاد ضعاف أصاب جنته إعصار فيه نار فاحترقت أحوج ما يكون إليها
وضعف عن إصلاحها لكبره وضعف أولاده عن إصلاحها لصغرهم وعجزه وعجزهم فلم يجد ما يغرس مثلها لأنه لم يرد عليه شبابه وقوته
ليغرس ويحرث ويقوم وهلك أسفا وحسرة على ذلك فلا هو يجد شيئا يعيشه ولا مع أولاده شيء يعودون به عليه فبقي هو وأولاده
فقراء عجزة متحيرين لا يقدرون على حيلة وكذلك يبطل الله صدقة هذا المرائي والمنافق والمنان بصدقته حتى لا
ينتفع بها ولا يثاب عليها إذا قدم آخرتها عند أحوج ما يكون إليها ويرى أعماله في القيامة هباء منثورا ولا يؤذن
له في الرجوع إلى الدنيا ليتصدق ويكون من الصالحين قوله تعالى **كذلك يبين الله لكم الآيات
لعلكم تتفكرون** أي كهذا البيان الذي بين الله لكم فيما تقدم ويبين لكم الدلالات والعلامات لكي تتفكروا
فتعتبروا فإن قيل قوله تعالى أيود أحدكم فعل مستقبل وقوله وأصابه الكبر فعل ماض فكيف عطف الماضي على المستقبل
فالجواب من وجهين أحدهما أن قد ههنا مقدرة المعنى وقد أصابه الكبر فيكون للحال كما قال الله تعالى في آية
أخرى وإن كان قميصه قد أي وقد قد والثاني أن يود تقتضي أن يكون في خبره لو كما في قوله يود أحدهم لو يعمر
وقوله ودوا لو تدهنون وتقتضي أن يكون في خبره أن كما في هذه الآية ولو للماضي وأن للمستقبل فقد يستعمل لو مكان
أن وأن مكان لو وتقام أحدهما مقام الآخر يقول الإنسان أنا أتمنى لو كان لي ولد ويقول أتمنى أن كان لي ولد
وإذا كان بمعنى التمني قد يتم على الماضي صح عطف الماضي عليه قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من
طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض** أي أنفقوا من خيار ما كسبتم وجياده نظيره قوله تعالى لن
تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون • وقال ابن مسعود ومجاهد من حلال ما كسبتم من الأموال دليله يا أيها الرسل
كلوا من الطيبات وقال عليه السلام إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب لا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق به فيقبل منه ولا
ينفق فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار وإن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن
وإن الخبيث لا يمحو الخبيث • وقوله تعالى ومما أخرجنا لكم من الأرض أي من أعشاب الحبوب والثمار قوله تعالى

ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه أي لا تعمدوا إلى الرديء من أموالكم
منه تتصدقون ولستم بقابضيه وقابليه إلا أن تغمضوا فيه يقول لو كان لبعضكم على بعض حق لجاء بدون حقه لم تأخذه
منه إلا أن تتغامضوا عن بعض حقه وتتسامح عن عيب فيه فكيف تعطونه في الصدقة • وقد روي في سبب نزول هذه الآية
أن النبي صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة وقال إن في أموالكم حقا فكان يأتي أهل الصدقة بصدقاتهم فيضعونها
في المسجد فيقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم فجاء رجل ذات يوم بعدما تفرق عامة أهل المسجد بعذق من حشف
فوضعه في الصدقة فلما أبصره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بئس ما صنع صاحب الحشف فأمر به فعلق فجعل كل من رآه
قال بئس ما صنع صاحب الحشف فأنزل الله هذه الآية • وقال بعضهم ولا تيمموا الخبيث أي لا تتصدقوا بالحرام فيكون
معنى إلا أن تغمضوا فيه على هذا التأويل إلا أن ترخصوا لأنفسكم وإن كان حراما والإغماض ترك النظر يقال في المثل أغمض في
هذا وغمض أي لا تستقص وكن كأنك لم تبصر قوله تعالى **واعلموا أن الله غني حميد** أي غني عن صدقاتكم محمود
في فعاله ولم يأمركم بالصدقة لعوز ولكن ليبلوكم فيما أمركم فهو مستحق للحمد على ذلك وعلى جميع أمره • وفي الآية إباحة الكسب
والحث على الإنفاق فيما هو طيب • قال صلى الله عليه وسلم الخير عشرة أجزاء أفضلها التجارة إذا أخذ الحق وأعطى الحق • وقال صلى
الله عليه وسلم تسعة أعشار الرزق في التجارة ولا نعيم من التجارة إلا تاجر حلاف • وسئل النبي صلى الله عليه وسلم أي كسب الرجل
أفضل قال عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور • وقال صلى الله عليه وسلم لمعشر التجار إن هذا البيع يحضره اللغو والكذب فشوبوه
بالصدقة قوله عز وجل **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء** أي الشيطان يعدكم بالفقر ويخوفكم به
كقول الشاعر • أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به • فقد تركتك ذا مال وذا نشب • ويقال وعدته خيرا ووعدته شرا
قال الله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة وقال في الشر النار وعدها الله الذين كفروا وإذا لم يذكر الخير والشر قلت في الخير
وعدته وفي الشر أوعدته قال الشاعر • وإني إذا أوعدته أو وعدته • لمخلف إيعادي ومنجز موعدي • معنى يعدكم الفقر أي يخوفكم
الفقر بالنفقة في وجوه البر وإنفاق الجيد من المال قوله تعالى **ويأمركم بالفحشاء** أي بالبخل ومنع الزكاة وزعم الكلبي
أن كل فحشاء في القرآن فهو الزنا إلا في هذه الآية وإنما سمي منع الزكاة فحشاء لأن العرب تسمي البخيل فاحشا والبخل فحشا والفقر
سوء الحال وقلة ذات اليد وفيه لغتان الفقر والفقر كالضعف والضعف قوله تعالى **والله يعدكم مغفرة منه
وفضلا** أي مغفرة لذنوبكم بالإنفاق من خيار المال وفضلا أي خلفا في الدنيا والآخرة **والله واسع عليم** يوسع الرزق
والخلف والمثوبة ويعلم حيث يضعه أن يكون السعة • قال ابن عباس وابن مسعود ثنتان من الله وثنتان من الشيطان فمن الله المغفرة
والفضل ومن الشيطان الفقر والفحشاء • ووعد الشيطان وسواس وتخييل أي يخيل إليه أنك إذا أمسكت مالك استغنيت وإن تصدقت
به افتقرت قوله تعالى **يؤتي الحكمة من يشاء** اختلفوا في تفسير الحكمة • قال ابن مسعود هي القرآن وقال ابن عباس وقتادة
علم ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وعبره • وقال السدي هي النبوة
وقال أبو العالية هو الفقه وقال مجاهد وإبراهيم هي الإصابة والفهم وقال الربيع هي خشية الله تعالى • وقال سهل بن عبد الله
هي السنة وقيل هي سرعة الجواب مع إصابة الصواب قوله تعالى **ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا** أي
يعطى العلم فقد أعطي خيرا كثيرا يصل به إلى رحمة الله تعالى • قال بعض الحكماء سمى الله العلم خيرا كثيرا والدنيا متاعا قليلا فلمن أعطى
العلم أن يعرف قدر نفسه ولا يتواضع لأصحاب الدنيا لدنياهم • وقال الحسن ومن يؤت الحكمة يعني الورع في دين الله وقرأ الربيع
يؤتي الحكمة من يؤتي الحكمة بالتاء وقرأ يعقوب ومن يؤت الحكمة بكسر التاء أراد ومن يؤته الله فحذف الهاء قوله تعالى
وما يذكر إلا أولو الألباب أي ما يتعظ إلا ذوو العقول والألباب العقل ما صفي من دواعي الهوى وسمي العقل لبا لأنه
أنفس ما في الإنسان كما أن لب الثمرة أنفس ما فيها قوله عز وجل **وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله
يعلمه** أي ما تصدقتم من صدقة أو أوجبتم على أنفسكم من فعل بر مثل صلاة أو صدقة أو صوم فإن الله لا يخفى عليه ذلك
يقبله ويجازي عليه ويقال معنى فإن الله يعلمه أي يحفظه وإنما قال يعلمه ولم يقل يعلمها لأنه رده إلى الآخر منهما كقوله تعالى
وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما قوله تعالى **وما للظالمين من أنصار** أي وما للواضعين النفقة

النفقة والنذر في غير موضعهما بالرياء والمعصية ونحوهما من أعوان يدفعون عنهم عذاب الله • والأنصار جمع نصير مثل حبيب وأحباب وشريف وأشراف قوله عز وجل إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وذلك أنهم قالوا يا رسول الله أيما أفضل صدقة السر أم صدقة العلانية فأنزل الله هذه الآية ومعناها إن تظهروا الصدقات وتعلنوها فنعم التي صدقة العلانية وأصل فنعما هي فنعم ما هي فوصلت وأدغمت وكان الحسن يقرأ فنعم ما هي مفصولة على الأصل أي نعمت الخصلة وما في موضع رفع وهي في محل النصب كما يقول نعم الرجل رجلا فإذا عرفت رفعت فقلت نعم الرجل زيد • وقرأ أبو جعفر ونافع وشيبة وعاصم وأبو عمرو بكسر النون وجزم العين ومثله في سورة النساء واختاره أبو عبيد وذلك أنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لعمرو بن العاص نعما المال الصالح للرجل الصالح • وقرأ ابن عامر ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي وخلف بفتح النون وكسر العين • وقرأ طلحة وابن كثير وورش وحفص ويعقوب بكسر النون والعين وهي لغات صحيحة قوله تعالى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم أي وإن تسروها وتعطوها الفقراء سرا فهو خير لكم وأفضل من العلانية وكلاهما مقبول منكم إذا كانت النية صادقة ولكن صدقة السر أفضل قال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ويدفع سبعين بابا من البلاء وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله • الإمام العادل • وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل • ورجل قلبه معلق بالمسجد ورجلان تحابا في الله واجتمعا عليه وتفرقا عليه • ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله • ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما ينفق شماله • ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه • قال أهل المعاني هذه الآية في صدقة التطوع وأجمع العلماء أن الزكاة المفروضة إعلانها أفضل كالصلاة المفروضة في الجماعة أفضل من إفرادها وكذلك سائر الفرائض لمعنيين أحدهما ليقتدي به الناس والثاني لزوال التهمة لئلا يسيء الناس به الظن ولا رياء في الفرائض وأما النوافل والفضائل فإخفاؤها أفضل لبعدها من الرياء يدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي جعفر في قوله تعالى إن تبدوا الصدقات فنعما هي قال يعني الزكاة المفروضة وقوله تعالى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء يعني التطوع • وعن ابن عباس أنه قال جعل الله صدقة التطوع في السر تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة تفضل علانيتها سرها بخمسة وعشرين ضعفا • وقال صلى الله عليه وسلم المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة والجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة • وذهب الحسن وقتادة إلى أن الإخفاء في كل صدقة أفضل مفروضة كانت أو تطوعا

قوله عز وجل ونكفر عنكم من سيئاتكم قرأ ابن عباس وعكرمة وتكفر بالتاء يعني الصدقات • وقرأ الحسن وابن عامر وحفص ويكفر بالياء والرفع على معنى ويكفر الله • وقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو بالنون والرفع على الاستئناف أي ونحن نكفر • وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع والأعمش وحمزة والكسائي بالنون والجزم عطفا على موضع الفاء التي في قوله فهو خير لكم لأن موضعها جزم بالجزاء • وقوله تعالى من سيئاتكم أدخل من للتبعيض ليكون العباد على وجل فلا يتكلوا • وقال بعض البصريين معناه الإسقاط أي ونكفر عنكم سيئاتكم قوله عز وجل والله بما تعملون خبير أي بما تعملون من الصدقة عالم يجازيكم به قوله عز وجل ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء قال ابن عباس والكلبي اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء وكانت معه في تلك العمرة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه فجاءتها أمها قتيلة وجدتها أو قحافة تسألانها الصلة والعطية فقالت لا أعطيكما شيئا حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنكما لستما على ديني فاستأذنته في ذلك فنزلت هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق عليهما • وقال محمد بن الحنفية كان يكره على المسلمين التصدق على اليهود والنصارى فأمروا بذلك في غير فريضة • ومعنى الآية ليس عليك يا محمد تحصيل الهدى لهم بأن تمنعهم من الصدقة لتحملهم على الإيمان ولكن الله يثبت ويرشد ويوفق للخير من يشاء • وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلا من أهل الذمة يسأل على أبواب المسلمين فقال له ما أنصفناك أخذنا منك الجزية ما دمت شابا ثم ضيعناك اليوم فأمر أن يجرى عليه قوته من بيت المال قوله تعالى وما تنفقوا من خير فلأنفسكم أي ما تنفقوا من مال على بر أو فاجر فلأنفسكم ثوابه ونفعه عائد إليكم دونه وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله أي علم الله أنكم لا تريدون بنفقتكم إلا طلب مرضاته شهيدا كان المتصدق عليه أو كافرا وقوله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون أي ما تنقصون من ثوابه شيئا يوف إليكم ثوابه في الآخرة وأنتم لا تظلمون أي لا تنقصون شيئا من ثواب أعمالكم وهذا خطاب للمؤمنين وظاهره يقتضي جواز دفع الصدقات إلى الكفار إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم خص منها الزكاة فقال أمرت أن آخذ الصدقة من أغنيائكم وأردها على فقرائكم

قوله عز وجل للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف قيل معناه ما أنفقتم من نفقة فللفقراء • وقيل معناه عليكم بالنفقة للفقراء الذين حبسوا في طاعة الله أي أحصرهم فرض الجهاد فمنعهم من التصرف في السفر لطلب المعاش وهؤلاء أصحاب الصفة حبسوا أنفسهم لطلب العلم وفضل الجمعة وخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا نحوا من أربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن ولا عشائر كانوا يلتقطون في المسجد في صفته قالوا نخرج في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله فحث الله على الصدقة عليهم فكان الرجل إذا كان عنده فضل أتاهم به قوله تعالى لا يستطيعون ضربا في الأرض الضرب في الأرض هو السير أي لا يستطيعون سيرا في الأرض للتجارة وطلب المعيشة ونظيره قوله تعالى وإذا ضربتم في الأرض وقوله تعالى وآخرون يضربون في الأرض وقال الشاعر

لحفظ المال خير من فناه • وضرب في البلاد بغير زاد •

وقال ابن زيد من كثرة ما جاهدوا لا يستطيعون ضربا في الأرض صارت الأرض حربا عليهم لا يتوجهون فيها جهة إلا ولهم فيها عدو • وكان السدي يقول معنى أحصروا أي منعهم الكفار بالحبس ومنعهم فلا يستطيعون تقلبا في الأرض بخوف الكفار إياهم عن ذلك • وقيل هذا لا يصح لأنه لو كان كذلك لقال حصروا بغير ألف • وقال سعيد بن جبير هؤلاء قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى فأحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في الأرض • واختار الكسائي هذا القول لأنه يقال أحصر في المرض والزمانة في الضرب في الأرض ولو أراد الحبس لقال حصروا وإنما الإحصار من الخوف والمرض والحصر الحبس في غيرهما قوله تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف • قرأ الحسن وأبو جعفر وشيبة وابن عامر والأعمش وعاصم وحمزة يحسبهم بفتح السين في جميع القرآن والباقون بالكسر ومعنى الآية يظنهم الجاهل بأمرهم وشأنهم أغنياء من التعفف عن السؤال لتجملهم باللباس وكفهم عن المسألة والتعفف تفعل من العفة ويراد به ترك المسألة كما قال صلى الله عليه وسلم من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله قوله تعالى تعرفهم بسيماهم أي تعرفهم يا محمد بعلامتهم في وجوههم وبرثاثة حالهم وقيل بتخشعهم وتواضعهم وقيل بصفرة ألوانهم من الجوع وقيام الليل وصيام النهار بفرحهم واستقامة أحوالهم عند توارد البلاء عليهم قوله تعالى لا يسألون الناس إلحافا قال عطاء إذا كان عنده غداء لا يسأل عشاء وإن كان عنده عشاء لا يسأل عن غداء • وقال أهل المعاني لا يسألون الناس إلحافا ولا غير إلحاف أي ليس لهم سؤال فيقع فيه إلحاف والإلحاف الإلحاح واللجاج والإلحاح ودليل هذا القول قوله تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف أي من القناعة ولو كانوا يسألون لكان يعرفهم بالسؤال لا بالسيماء وإنما سمي الملح في السؤال ملحفا لأنه يلصق بالمسؤول ويشتمل على وجوه الطلب في المسألة كاشتمال اللحاف • وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يحب أن يرى أثر النعمة على عبده ويكره البؤس والتباؤس ويحب الحليم المتعفف ويبغض الفاحش البذي السائل الملحف • وقال صلى الله عليه وسلم من سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة كدوحا أو خموشا أو خدوشا في وجهه قيل وما غناه قال خمسون درهما قوله تعالى وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم أي ما تتصدقوا به من مال فإن الله به عليم يجازيكم به

قوله عز وجل الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال ابن عباس نزلت هذه الآية في علي رضي الله عنه كانت له أربعة دراهم لم يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فنزلت هذه الآية • وعن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة إلى أهل الصفة حتى أغناهم وبعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في جوف الليل بوسق من التمر والوسق ستون صاعا فكان أحب الصدقة إلى الله تعالى صدقة علي كرم الله وجهه ونزل فيه قوله تعالى الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية أراد بالليل سرا صدقة علي رضي الله عنه وبالنهار علانية صدقة عبد الرحمن رضي الله عنه وروي أيضا عن ابن عباس في هذه الآية الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار يعني في علف الخيل المرتبطة في سبيل الله وكان أبو هريرة إذا مر بفرس سمين تلا هذه الآية فإذا مر بفرس أعجف سكت • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من ارتبط فرسا

في سبيل الله فأنفق عليه احتسابا كان شبعه وجوعه وريه وظمأه وبوله وروثه في ميزانه يوم القيمة • وقال صلى الله
عليه وسلم المنفق في سبيل الله على فرسه كالباسط كفيه بالصدقة قوله تعالى فلهم أجرهم عند ربهم • قال الأخفش
جعل الخبر بالفاء لأنه في معنى من وجواب من بالفاء كأنه قال من أنفق كذا فله أجره عند ربه قوله تعالى ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون قد تقدم تفسيره • قوله عز وجل **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
من المس** معناه الذين يأكلون الربا في الدنيا لا يقومون في الآخرة من قبورهم لعظم بطونهم إلا كما يقوم في الدنيا الذي يصرعه
ويمسه الشيطان بالجنون أي من الجنون • روي أنهم يبعثون يوم القيمة وقد انتفخت بطونهم كلما قاموا سقطوا والناس يمشون
عليهم وهم كالمجانين • وقال الحسن هذه علامة أكلة الربا يعرفون بها يوم القيمة قوله تعالى **ذلك بأنهم قالوا إنما
البيع مثل الربا** ومعناه كان الرجل إذا حل ماله على طالبه فيقول المطلوب زدني في الأجل وأزيدك في مالك فيفعلان ذلك
وإذا قيل لهم هذا ربا قالوا هما سواء أي الزيادة في آخر البيع بعد الأجل كالزيادة في أول البيع إذا بيعت بالنسيئة سواء وليس الأمر
كذلك لأن الزيادة في الثمن في آخر البيع أخذ لها بعد الأجل بعدما صار الثمن دينا في الذمة تكون عوضا عن الأجل
والاعتياض عن الأجل باطل • وأما الزيادة في الثمن في أصل العقد تكون مقابلة للبيع ويجوز بيع المبيع بثمن قليل أو كثير
قوله تعالى **وأحل الله البيع وحرم الربا** أي أحل الله الزيادة في أول البيع وحرم الزيادة في آخره قوله
تعالى **فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله** أي فمن جاءه زجر ووعيد من ربه ونهي عن الربا
فانتهى فله ما مضى من أكله الربا قبل النهي أي لا إثم عليه في ذلك وأمره فيما بقي من عمره إلى الله إن شاء عصمه وإن شاء لم يعصمه
وقيل معناه فله ما سلف أي له ما أخذ من الربا قبل التحريم وأمره إلى الله في المؤتنف في العفو والتجاوز • وإنما لم يقل
فمن جاءته موعظة من ربه لأن تأنيث الموعظة ليس بحقيقي فيجوز تذكيره ويجوز أن ينصرف إلى الوعظ كأنه قال فمن جاءه
وعظ ونهي من ربه عن الربا قوله تعالى **ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** أي من عاد إلى
أكل الربا فأولئك أصحاب النار هم فيها دائمون إلى ما شاء الله وقيل معناه من عاد بعد النهي إلى قوله إنما البيع مثل الربا
فأولئك أهل النار هم فيها مقيمون لأن من استحل الربا كان مكذبا لكتاب الله تعالى • وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ليأتين على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا فإن لم يأكله أصابه من غباره
وعن عبد الله بن مسعود قال آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده إذا علموا به ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم
إلى يوم القيمة • وقال صلى الله عليه وسلم الربا بضع وسبعون بابا أدناها كإتيان الرجل أمه والخبط في اللغة
هو الضرب على غير استواء يقال خبط البعير إذا ضرب بيديه والمس الجنون يقال رجل ممسوس أي مجنون قوله
عز وجل **يمحق الله الربا ويربي الصدقات** معناه يهلك الله الربا ويذهب بركته والمحق النقصان الشيء
حالا بعد حال ويقال إن الربا ينقص حالا بعد حال إلى أن يتلف كله قوله تعالى ويربي الصدقات أي يقبلها
ويخلف خلفها في الدنيا ويضاعف ثوابها في الآخرة واحدة إلى عشر إلى سبعين إلى سبعمائة إلى ما شاء الله من الأضعاف كما
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها إلا الطيبة ويربيها لصاحبها
كما يربي أحدكم مهره أو فصيله حتى إن اللقمة تصير مثل أحد قوله تعالى **والله لا يحب كل كفار أثيم** أي
يبغض كل جاحد بتحريم الربا فاجر عاص بأكله ومستحلا له وإنما قال كفار ولم يقل كافر ليبين أن مستحل الربا [illegible]
كفار للنعمة والأثيم المتمادي في الإثم والإثيم الفاعل للإثم قوله عز وجل **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة** الآية معناه إن الذين آمنوا بالله وكتبه ورسله وبتحريم الربا وعملوا الصالحات
فيما بينهم وبين ربهم وأتموا الصلوات الخمس وأعطوا الزكوة المفروضة من أموالهم فلهم أجرهم أي جزاؤهم وثوابهم
في الآخرة عند ربهم ولا خوف عليهم إذا ذبح الموت ولا هم يحزنون إذا أطبقت النار على أهلها قوله عز وجل **يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين** قال ابن عباس نزلت هذه الآية في نفر من

ثقيف مسعود وحبيب وربيعة وعبد يا ليل بنو عمرو بن عمير الثقفي كانت لهم ديون على بني المغيرة وكان بنو المغيرة
يربون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على أهل مكة وضع الربا كله وكان أهل الطائف قد صالحوا على أن لهم ربا (هم)
من الناس يأخذونه وما كان عليهم من ربا الناس فهو موضوع عنهم لا يؤخذ منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب آخر كتابهم
ما للمسلمين وعليكم ما عليهم • فلما حل الأجل طلبت ثقيف من بني المغيرة رباهم فقال بنو المغيرة ما بالنا نكون أشقى الناس وضع
الربا عن الناس كلهم ويؤخذ منا خاصة فقالت لهم ثقيف إنا صالحنا على ذلك فاختصموا إلى أمير مكة وهو عتاب بن أسيد فلم يدر
ما يقضي بينهم فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأنزل الله هذه الآية خطابا لثقيف • ومعناها يا أيها الذين
آمنوا اخشوا الله واتركوا ما بقي من الربا فلا تأخذوا غير رأس أموالكم إن كنتم مؤمنين أي مصدقين بتحريم الربا فهذا حكمه قوله عز وجل
فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله أي إن لم تفعلوا ما أمر الله ولم تقروا بتحريم الربا ولم تتركوه فاعلموا أنكم
كفار محاربون لله ورسوله أي يعذبكم الله في الآخرة بالنار ويعذبكم رسوله في الدنيا بالسيف والإذن الإعلام • ومن قرأ فآذنوا
أي فأعلموا أصحابكم المتمسكين بمثل ما أنتم عليه أن من عامل بالربا مستحلا له حاربه الله ورسوله وقيل معنى الآية فإن لم تتركوا ما
بقي من الربا بعد ورود الأمر بتركه فأذنوا بحرب من الله ورسوله ومثل هذا اللفظ لا يوجب الكفر لأن لفظ محاربة الله ورسوله
يطلق على ما دون الكفر كما في آية قطاع الطريق وهذا الحكم في آية الربا إنما هو مستقيم إذا اجتمع أهل بلدة لهم منعة وقوة على
المعاملة بالربا وكانوا ممتنعين فإن الإمام يستتيبهم فإن تابوا وإلا قاتلهم وأما إذا عامل واحد وجماعة قليل عددهم معاملة
الربا فإن الإمام يستتيبهم فإن تابوا وإلا زجرهم وعزرهم وحبسهم إلى أن يظهروا توبتهم وقد روي عن ابن عباس وقتادة والربيع
فيمن أربى أن الإمام يستتيبه فإن تاب وإلا قتله وهذا محمول على أن يفعله مستحلا له لأنه لا خلاف بين العلماء أنه ليس
بكافر إذا اعتقد تحريمه قوله تعالى **فإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون** أي إن رجعتم
عن استحلال الربا وأقررتم بتحريمه ويقال إن تبتم عن معاملة الربا فلكم رؤوس أموالكم التي سلفتم على بني المغيرة لا تظلمون
ولا تظلمون بطلب الزيادة على رأس المال ولا تظلمون بنقص رأس المال عنكم • قال ابن عباس فلما نزلت هاتان الآيتان كتب
بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عتاب فقرأها على ثقيف فقالوا بل نتوب إلى الله تعالى فإنه لا يدان لنا بحرب الله ورسوله
ثم طلبوا رؤوس أموالهم من بني المغيرة فقالت بنو المغيرة نحن اليوم أهل عسرة فأخرونا إلى أن ندرك الثمار فأبوا أن يؤخروهم
فنزل قوله عز وجل **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة** أي إن كان المطلوب ذا ضيق وشدة فتأخير إلى سعة ويسار
روي عن ابن عباس وشريح وإبراهيم أن الإنظار إنما يجب في الدين يعني دين الربا خاصة وكان شريح يحبس المعسر في غيره من الديون
وعن أبي هريرة والحسن والضحاك أن ذلك واجب في كل دين وهذا هو الأصح لأن نزول الآية في رأس مال الربا لا يمنع اعتبار سائر
الديون بها [illegible] • وذهب بعض النحويين إلى أن الرفع في قوله تعالى ذو عسرة دليل على أنه أبدا على معنى
وإن وقع ذو عسرة أي وجد ذو عسرة ولو كان هذا مختصا بالربا لقال وإن كان ذا عسرة بالنصب ويحتمل أن يكون تقدير
الرفع وإن كان ذو عسرة غريما لكم ومن قرأ ميسرة بضم السين فهي لغة • وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله • وقال صلى الله عليه وسلم من أحب أن
تستجاب دعوته وتكشف كربته فلييسر على المعسر • وعن أبي بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا كان
له بكل يوم صدقة • وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادان دينا وهو ينوي أن لا يؤديه فهو سارق
وعن أبي قتادة أن رجلا أتي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقال هل عليه دين قالوا نعم فتأخر وقال صلوا على
صاحبكم • فقال أبو قتادة أنا أكفل به فقال صلى الله عليه وسلم بالوفاء قال بالوفاء فصلى عليه وكان عليه ثمانية عشر درهما • وعن
أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من خطيئة أعظم عند الله عز وجل بعد الكبائر
من أن يموت الرجل وعليه أموال الناس دينا في عنقه لا يوجد لها قضاء قوله عز وجل **وأن تصدقوا خير لكم
إن كنتم تعلمون** أي وأن تتصدقوا برأس المال فهو أفضل إن كنتم تعلمون ثواب من أنظر معسرا أو وضع عنه قوله
عز وجل **واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله** هذا تحذير من الله عز وجل أن يتوانى العباد في ذلك اليوم على غرة وغفلة

وتقصير في أوامر الله ومخالفته فيما أحل وحرم ثم يوم الحشر عذاب يوم ترجعون فيه إلى الله قوله تعالى ثم
توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أي توفى كل نفس جزاء ما عملت من خير وشر وهم لا يظلمون أي لا ينقص
من حسناتهم ولا يزاد في سيئاتهم قرأ أبو عمرو ويعقوب ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم واعتبره بقراءة أبي واتقوا يوما تصيرون فيه إلى
الله وقرأ الباقون ترجعون بضم التاء وفتح الجيم اعتبارا بقراءة عبد الله واتقوا يوما تردون فيه إلى الله قال ابن عباس هذه آخر آية
نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه لما حج البيت نزل عليه جبريل عليه السلام وهو واقف بعرفة قوله تعالى
اليوم أكملت لكم دينكم الآية ثم نزل عليه بعد ذلك هذه الآية واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله الآية وقال يا رسول الله ضعها
على رأس ثمانين ومائتين آية من سورة البقرة فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية بتسعة أيام قال المفسرون
لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك ميت وإنهم ميتون قال ليتني أعلم متى ذلك فأنزل الله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح فكان
إن نفسي نعيت إلي فبكى بكاء شديدا فقيل له يا رسول الله أتبكي من الموت وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال فأين هول
المطلع وأين ضيق القبر وظلمة اللحد وأين القيامة والأهوال فعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية عاما ثم نزلت
لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة فعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها ستة أشهر ثم لما خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى حجة الوداع نزلت عليه في الطريق يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إلى آخرها ثم نزل بعدها وهو واقف بعرفة اليوم أكملت
لكم دينكم الآية فعاش بعدها أحدا وثمانين ليلة ثم نزلت بعدها آيات الربا ثم نزل بعد ذلك واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله
وهي آخر آية نزلت فعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين ليلة قال ابن جريج تسع ليال وقال ابن جبير [illegible]
الشمس سنة إحدى عشرة من الهجرة قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه
قال ابن عباس لما حرم الله الربا أباح السلم فظاهر الآية على كل دين من سلم وغيره ومعنى الآية يا أيها الذين آمنوا إذا تعاملتم
بالنسيئة إلى وقت معلوم فاكتبوا الدين بأجله وأشهدوا عليه كيلا تحدث نفس أحدكم بالطمع في حق صاحبه ولا يقع الشك في مقدار
ولا جحود ولا نسيان والدين ما كان مؤجلا والعين ما كان حاضرا واختلفوا في هذه الكتابة أنها فرض أو ندب فذهب أبو سعيد
الخدري والحسن والشعبي أن الكتابة والإشهاد على الديون المؤجلة كانا واجبين بهذه الآية ثم نسخا بقوله تعالى فإن أمن بعضكم
بعضا وقال ابن عباس والله إن آية الدين محكمة ما فيها نسخ وهو قول الربيع وكعب وهذا هو الأصح لأن الأمر بالكتابة
والإشهاد إنما ورد مقرونا بقوله فإن أمن بعضكم بعضا ويستحيل ورود الناسخ والمنسوخ معا في شيء واحد فكان المراد بالأمر
الندب والفائدة في قوله إلى أجل مسمى بيان وجوب إعلام الأجل فإن الجهالة بالأجل في البياعات يفسدها وقال بعضهم
إن الكتابة فرض واجب قال ابن جريج من ادان فليكتب ومن باع فليشهد يدل عليه ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم رجل كان له دين فلم يشهد ورجل أعطى سفيها ماله وقد قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء
ورجل كانت عنده امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها وقال قوم هو مستحب فإن كتب فحسن وإن ترك فلا بأس كقوله تعالى وإذا حللتم
فاصطادوا وقوله تعالى فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض قوله تعالى وليكتب بينكم كاتب بالعدل أي
[illegible] وليكتب بكسر اللام وهذه لام الأمر وهي إذا كانت منفردة تكسر فيها إلا الحركة وإذا كانت قبلها واو أو فاء أو ثم فأكثر
على تسكينها طلبا للخفة ومنهم من يكسرها على الأصل ومعنى هذه الآية وليكتب كاتب بين البائع والمشتري والطالب والمطلوب
بالحق والإنصاف فلا يزيد فيه ولا ينقص منه ولا يقدم الأجل ولا يؤخر قوله تعالى ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه
الله أي لا يمتنع أن يكتب كما علمه الله شكرا لما أنعم عليه حيث علمه الكتابة وأحوج غيره إليه فليكتب واختلفوا
في وجوب الكتابة على الكاتب والشهادة على الشاهد فقال مجاهد والربيع واجب على الكاتب أن يكتب وقال الحسن ذلك في الموضع
الذي لا يقدر فيه على كاتب غيره فيضر صاحب الحق إن امتنع فإن الكتابة حينئذ عليه فريضة وإن قدر على كاتب غيره فهو في سعة
[illegible] كان هذا واجبا فنسخه قوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وقال السدي هو واجب
عليه في حال فراغه وقال الشعبي هو واجب على الكفاية كالجهاد والصحيح أن الكتابة غير واجبة [illegible]
فإذا لم تكن واجبة عليهم فكيف تكون واجبة على الأجنبي الذي لا حكم له في أصل العقد ولا سبب قوله تعالى وليملل

الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا يعني المديون المطلوب يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه
ويمل على الكاتب والإملال والإملاء لغتان فصيحتان جاء بهما القرآن ثم خوفه الله تعالى فقال وليتق
الله ربه أي وليخش الله ولا ينقص من الحق الذي عليه شيئا قوله عز وجل فإن كان الذي عليه الحق سفيها
أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل أي فإن كان المطلوب الذي عليه المال سفيها أي جاهلا
العقل جاهلا بالإملاء لا يميز صحيحا قاله مجاهد وقال السدي يعني عاجزا لا يستطيع أن يمل لعجمة أو [illegible]
وقوله تعالى أو ضعيفا أي ضعيفا في العقل مثل الصبي والمرأة أو شيخا كبيرا هرما وقوله تعالى أو لا يستطيع أن يمل هو يعني لمرض
أو خرس أو حبس لا يمكنه حضور الكتابة أو يجهل ماله وعليه قوله تعالى فليملل وليه بالعدل أي وليه الذي يقوم بأمره
وقوله تعالى بالعدل أي بالحق وقال ابن عباس والربيع ومقاتل معناه فليملل ولي الحق وهو صاحب الدين لأنه أعلم بدينه
يملي العدل أي الصدق والحق والإنصاف قوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم يعني أشهدوا على الحق
شهيدين من الأحرار البالغين دون الكفار والعبيد والصبيان وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وسفيان وأكثر الفقهاء
وأجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد وأجاز بعضهم شهادتهم في الشيء التافه قوله تعالى فإن لم يكونا رجلين فرجل
وامرأتان أي فإن لم يكن الشاهدان رجلين فليكن رجل وامرأتان أو فليشهد رجل وامرأتان قوله تعالى ممن
ترضون من الشهداء أي ممن ترضون عدالته وأمانته والمرضي من تجتمع فيه ثلاثة أشياء أحدها العدالة وأصلها
الإيمان واجتناب الكبائر ومراعاة حقوق الله من الواجبات والمسنونات وصدق اللهجة وأداء الأمانة والثاني نفي التهمة
بأن لا يكون له ولدا ولا والدا ولا زوجة فإن شهادة هؤلاء غير مقبولة لمن ذكر وإن كانوا عدولا مرضيين والثالث التيقظ
وقلة الغفلة وأن لا يكون كثير الغلط وقال النخعي الرجل العدل هو من لم يظهر فيه ريبة وقال الشعبي هو من لم يطعن عليه في
بطن ولا فرج وقال الحسن هو من لا تعلم له خيانة وقال صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذي
غمر على أخيه ولا من جربت عليه شهادة زور ولا الخادم مع أهل البيت وعن ابن عباس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الشهادة فقال ترى الشمس قال نعم قال على مثلها فاشهد أو دع قوله تعالى أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى
يعني أن تنسى إحداهما فتذكر الذاكرة الناسية إن نسيت ومعنى تضل تنسى كقوله تعالى قال فعلتها إذا وأنا من الضالين وقوله تعالى فتذكر معطوف
على تضل وقرأ حمزة إن تضل بكسر الهمزة فتذكر بالرفع ومعناه الجزاء والابتداء وموضع تضل جزم بالجزاء إلا أنه لا يبين
للتضعيف فتذكر رفع لأن ما بعد فاء الجزاء مبتدأ وقيل في تفسير الآية أن تمتنع إحداهما عن أداء الشهادة فتحثها الأخرى
حتى تشهد ومن قرأ فتذكر بالتخفيف جعلها ذكرا أي تجعلان مقام الرجل والأول أصح فتذكر إحداهما الأخرى من المذاكرة
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب فتذكر بالتخفيف وقرأ الباقون فتذكر بالتشديد قوله تعالى ولا يأب الشهداء إذا ما
دعوا أي لا يمتنعوا إذا ما دعوا إلى إقامة الشهادة عند الحكام وهذا قول مجاهد وعطاء وعكرمة وابن جبير والضحاك
والسدي وقال بعضهم هذا في تحمل الشهادة وهذا أمر إيجاب أيضا وقال قتادة كان الرجل يطوف في الحي العظيم فيه القوم
فيدعوهم إلى الشهادة فلا يتبعه أحد منهم فأنزل الله هذه الآية وقال الشعبي هو مخير في تحمل الشهادة إذا وجد غيره فإذا لم
يجد غيره وجب عليه التحمل وقال بعضهم هذا أمر ندب وهو مخير في جميع الأحوال وهو قول عطاء وقال مغيرة قلت لإبراهيم
أدعى إلى الشهادة وأنا أخاف أن أنسى قال فلا تحمل إن شئت وقال الحسن جمعت الآية في التحمل والإقامة إذا كان فارغا
قوله تعالى ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله أي لا تملوا أن تكتبوا الحق قليلا كان الحق
أو كثيرا إلى أجله يقال سئمت أسأم سآمة إذا مللت قال زهير سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا
لا أبا لك يسأم وقال لبيد ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد وأن في موضع
نصب من وجهين إن شئت جعلته مع الفعل مصدرا أي ولا تسأموا الكتابة وإن شئت نصبته
بنزع الخافض والهاء راجعة إلى الحق أي ولا تسأموا أن تكتبوه وقرأ السلمي ولا يسأموا بالياء وقوله تعالى صغيرا أو كبيرا نصب
من وجهين أحدهما على الحال من الهاء والثاني أن تجعله خبرا لكان المحذوف يعني صغيرا كان الحق أو كبيرا قوله عز وجل

ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا أي الكتاب أعدل عند الله وأحصى للأجل وأحفظ
للشهادة وأقرب إلى أن لا تشكوا في مقدار الحق ومقدار الأجل وفي هذا دليل أنه لا يجوز إقامة الشهادة إلا بعد زوال الريب
كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا رأيت مثل الشمس فاشهد وإلا فدع قوله تعالى إلا أن تكون
تجارة حاضرة تديرونها بينكم قرأ عاصم تجارة بالنصب على خبر كان وأضمر اسمها تقديره إلا أن تكون المداينة
تجارة أو المبايعة تجارة وقرأ الباقون بالرفع وله وجهان أحدهما أن تكون بمعنى الوقوع تقديره إلا أن تقع تجارة فحينئذ لا
خبر له والثاني أن تجعل تجارة اسم تكون والخبر تديرونها تقديره إلا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم ومعنى الآية إلا أن
تبيع تجارة حالة يدا بيد فليس عليكم جناح في ترك الكتابة في تلك التجارة لأنه ليس فيه أجل ولا نسيئة وهذا توسعة من الله
لعباده لئلا يضيق عليهم أمر تبايعهم في المأكول والمشروب والأشياء التي تكثر حاجتهم إليها في أكثر الأوقات ولا يشق عليهم كتابة
جميعها قوله تعالى وأشهدوا إذا تبايعتم أي أشهدوا على حقوقكم إذا بعتم واشتريتم وهذا محمول على البياعات
النسيئة فأما القدر اليسير الذي ليس في العادة التوثق بالإشهاد فيه لخوف التلف والجحد وما جرى مجراه فغير داخل في
هذا الخطاب قال الضحاك قوله وأشهدوا إذا تبايعتم هذا الإشهاد واجب في جميع الحق قليله وكثيره ونقده ونسيئته ولو كان
على باقة بقل وقال آخرون هو أمر ندب إن شاء أشهد وإن شاء لم يشهد قوله عز وجل ولا يضار كاتب ولا شهيد
يحتمل وجهين أحدهما لا يضار الكاتب والشاهد الطالب والمطلوب يعني لا يكتب الكاتب إلا بالحق ولا يشهد الشاهد
إلا بالحق تقديره لا يضارر على البناء للفاعل والثاني على البناء لما لم يسم فاعله أي لا يدعى الكاتب وهو مشغول لا يمكنه ترك شغله لئلا يضر
يدخل عليه وكذلك يجيء بالشاهد قوله تعالى وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم أي لا تقصدوا الضرار فإن الضرار
بعد نهي الله تعالى عنهما فإنه إثم وخروج عن أمر الله قوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله أي واتقوا الله في الضرار
ولا تعصوه فيما أمركم به ويعلمكم الله ما به قوام دينكم ودنياكم والله بكل شيء عليم من أعمالكم عليم بما تعملون من
الكتابة والشهادة قوله تعالى وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة لما نعتا ها إذا كنتم مسافرين
ولم تجدوا كاتبا فالذي يستوثق به الحق والوثيقة رهان يقبضها الذي له الحق قرأ ابن عباس وأبو العالية ومجاهد كتابا يعني
الصحيفة والدواة قال لأنه ربما يجد الكاتب ولا يجد المداد والصحيفة وقرأ الضحاك كتابا على جمع كاتب وقرأ الباقون
كاتبا وهو الرجل الذي يكتب وبمعنى الصحيفة وقوله تعالى فرهان مقبوضة قرأ ابن عباس ومجاهد وابن كثير وأبو عمرو فرهن وقرأ عكرمة
وعبد الوارث فرهن بإسكان الهاء وقرأ الباقون فرهان وهو جمع رهن مثل بغل وبغال وجبل وجبال والرهن جمع رهان وهو
جمع الجمع قاله الفراء والكسائي وقال أبو عبيد هو جمع رهن مثل سقف وسقف قوله تعالى فإن أمن بعضكم بعضا
فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه أي فإن كان الذي عليه الحق أمينا عند صاحب الحق فلم يرتهن منه شيئا لحسن ظنه
وحسن طريقته فليؤد الذي اؤتمن أمانته أي فليؤد المديون أمانته بأن لا يخون ولا يجحد قوله تعالى ولا تكتموا الشهادة أي لا تكتموها عند الحكام
ولا تمتنعوا من أدائها ومن يكتمها فإنه آثم قلبه أي فاجر سريرته وأضاف الإثم إلى القلب وإن كان الآثم هو الكاتم لأن الكتمان
الإثم بكتمان الشهادة يتبع القلب وهذا أبلغ في الوعيد وأحسن في البيان لأن كاتم الشهادة يلحقه الإثم من وجهين أحدهما
العزم على أن لا يؤدي والثاني ترك أدائها باللسان قوله تعالى والله بما تعملون عليم أي عليم بما تعملون من كتمان
الشهادة وإقامتها وأداء الأمانة والخيانة فيها عالم لا يخفى عليه شيء مما تعملون ولا خلاف بين العلماء في جواز الرهن في الحضر لأن
النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي طعاما إلى أجل ورهنه درعه والفائدة في ذكر السفر في الآية أن الأغلب على
حال السفر عدم الشهود والكاتب فخص الرهن بحال السفر وعن مجاهد أنه كان يكره الرهن في الحضر قوله عز وجل
لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله اختلف المفسرون في الآية
فقال قوم هي خاصة ثم اختلفوا في خصوصها فقال بعضهم نزلت في كتمان الشهادة ومعناها يعني وإن تبدوا ما في أنفسكم أيها
الشهود من كتمان الشهادة أو تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا قول الشعبي وعكرمة ورواية مجاهد عن ابن عباس يدل
عليه قوله تعالى فيما قبلها ولا تكتموا الشهادة الآية. وذهب بعضهم إلى أنها عامة في الشهادة وفي غيرها ثم اختلفوا في

وجه ثبوتها فقال بعضهم منسوخة وروي أنه لما نزلت هذه الآية جاء أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل
وناس من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثوا على الركب وقالوا يا رسول الله ما نزلت علينا آية أشد من هذه
إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه يعني يحدث نفسه بأمر من المعصية ثم لا يعمل بها وإنا لمؤاخذون بما نحدث
به نفوسنا إذا هلكنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت فقالوا كلفنا من العمل ما لا نطيق فقال صلى الله عليه
وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال اليهود سمعنا وعصينا فقالوا بل سمعنا وأطعنا يا رسول الله واشتد عليهم ذلك فمكثوا حولا فأنزل
الله عز وجل لا يكلف الله نفسا إلا وسعها فنسخت ما قبلها فقال صلى الله عليه وسلم إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم
تعمل أو تتكلم به وهذا قول ابن مسعود وأبي هريرة وعائشة وابن عباس برواية ابن جبير وعطاء وابن سيرين وقتادة والكلبي
ومقاتل وقال بعضهم لا يجوز أن تكون هذه الآية منسوخة لأنها خبر من عند الله والخبر لا يحتمل النسخ لأنه خلف تعالى عن ذلك
علوا كبيرا لكن المراد بالآية إظهار العمل وإخفاؤه. وقال الربيع هذه الآية محكمة لم ينسخها شيء فإن الله تعالى يعرف عبده يوم القيمة يقول
إنك أخفيت في صدرك كذا وكذا في ساعة كذا وكذا ويحاسبه على ما أسر وأعلن من حركة في جوارحه وهمة في قلبه فهكذا يصنع
بكل عباده يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقيل إنه لا يؤاخذ المؤمن بما حاسبه من ذلك فمعناه وإن تظهروا ما في أنفسكم من المعاصي
أو تضمروا إرادتها في أنفسكم فتخفوها يحاسبكم به الله أي يخبركم بها ويحاسبكم عليها ثم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وهذا قول
الحسن والربيع ورواية الضحاك عن ابن عباس يدل عليه قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك
كان عنه مسؤولا. وقال آخرون معنى الآية أن الله يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم وأخفوه ويعاقبهم عليه غير أن معاقبته
إياهم على ما أخفوه مما لم يعملوا بها ما يحدث في الدنيا من النوائب والمصائب والأمور التي يحزنون عليها ويألمون بها مثل الحمى وغير
ذلك حتى الشوكة يشاكها والشيء يضيع فيفقده فيرتاع عليه ثم يجده وهذا قول عائشة رضي الله عنها وقال بعضهم معناه وإن
تبدوا ما في أنفسكم من الأعمال الظاهرة أو تخفوه من الأحوال الباطنة يحاسبكم به الله العابد على أفعاله والعارف على أحواله. وقال
بعضهم إن الله تعالى يقول يوم القيمة هذا يوم تبلى السرائر وتخرج الضمائر وإن كتابي لم يكتبوا إلا ما ظهر من أعمالكم وأنا المطلع
على سرائركم فيما لم يعلموه ولم يكتبوه فأنا أخبركم بذلك وأحاسبكم ليعلموا أنه لا يعزب عني مثقال ذرة من أعمالكم ثم أغفر لمن شئت وأعذب
من شئت. فأما المؤمنون فيخبرهم بذلك كله ويغفر لهم ولا يؤاخذهم بذلك إظهارا للفضل وأما الكافرون فيخبرهم بها ويعاقبهم
عليها إظهارا للعدل فمعنى الآية وإن تبدوا ما في أنفسكم فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله ويخبركم
به ويعرفكم إياه فيغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين يدل عليه قوله تعالى يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به الله والمحاسبة غير المعاقبة والحسا
بات والعقاب ساقط وقال الحسن يحاسب الله المؤمن بالمنة والفضل والكافر بالحجة والعدل. وقيل إن الآية
إنما وردت فيما يؤاخذ به العبد فيما بينه وبين الله تعالى دنيا وقيل قوله صلى الله عليه وسلم إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها
ما لم تعمل أو تتكلم به إنما ورد فيما يلزم العبد من أحكام الدنيا فلا يقع عتقه ولا طلاقه ولا بيعه ولا هبته بالنية ما لم يتكلم
ومن نظائر هذه الآية ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقوله تعالى إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم
عذاب أليم ويدل عليه كذلك أن من أحب ما يبغضه الله أو أبغض ما يحبه الله كان معاقبا على ذلك وإن لم يعمل إلا بالقلب. وقال
بعضهم المخفاة في هذه الآية أن تصر على السوء من غير أن تصل إليه ولا تمكن منه وهذا القول حسن جدا اختاره جماعة من
المفسرين قوله تعالى فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء رفعهما أبو جعفر وابن عامر والحسن وعاصم ويعقوب
على الابتداء أي فهو يغفر ونصبهما ابن عباس على الظرف وجزمهما الباقون عطفا على يحاسبكم وقوله تعالى والله على كل شيء
قدير قوله عز وجل آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون الآية وذلك أنه لما سبق في السورة
ذكر أحكام كثيرة أثنى الله على من آمن بها وقبلها وقال الزجاج فلما ذكر أمر الرسول بجميع الأحكام التي أنزلها الله تعالى ذكر أن المؤمنين
كلهم آمنوا بالله وقوله تعالى كل آمن بالله وملائكته أي آمنوا بالملائكة لأن حيا من خزاعة كانوا يقولون الملائكة
بنات الله فقال صلى الله عليه وسلم والمؤمنون إن الملائكة عباد الله قوله تعالى وكتبه قرأ ابن عباس وعكرمة
والأعمش وحمزة والكسائي وخلف وكتابه بالإفراد وقرأ الباقون وكتبه بالجمع وهو ظاهر كقوله وملائكته ورسله والتوحيد

وجهان أحدهما أنهم أرادوا القرآن خاصة والثاني أنهم أرادوا جميع الكتب لقول العرب كثر الدرهم والدينار في أيدي
الناس يريدون الدراهم والدنانير يدل عليه قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب وقوله
تعالى ورسله قرأ الحسن ورسله بسكون السين لكثرة الحركات قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله أي
لا نفعل كما فعل أهل الكتاب آمنوا ببعض وكفروا ببعض وفي مصحف عبد الله لا يفرقون بين أحد من رسله وقرأ جرير بن عبد الله و
سعيد بن جبير ويحيى بن يعمر ويعقوب لا يفرق بالياء معناه لا يفرق الكل ويجوز أن يكون خبرا عن الرسول وقرأ الباقون
بالنون على إضمار القول تقديره قالوا لا نفرق كقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم أي يقولون
سلام عليكم قوله عز وجل وقالوا سمعنا وأطعنا أي سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقيل معنى أطعنا قبلنا ما سمعنا
بخلاف ما قال اليهود وقوله تعالى غفرانك ربنا وإليك المصير أي اغفر غفرانك يا ربنا وقيل معناه نسألك
غفرانك ونصب على المصدر والثاني مفعول وقوله تعالى وإليك المصير أي نحن مقرون بالبعث ومعنى قوله وإليك أي إلى جزائك
وهذا كما قال عز وجل حكاية عن إبراهيم عليه السلام إني ذاهب إلى ربي أي إلى حيث أمرني ربي قوله عز وجل لا
يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قرأ إبراهيم بن أبي عبلة إلا وسعها بفتح الواو
وكسر السين على الفعل يريد إلا وسعها أمره ومعنى الآية لا يكلف الله نفسا فرضا من فرائضه من صوم أو صلاة أو صدقة
أو غير ذلك من حديث النفس إلا بمقدار طاقتها كما قال صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا
فإن لم تستطع فعلى جنب تومي إيماء وقال قوم لو كلف الله العباد فوق وسعهم لكان ذلك له لأن الخلق خلقه والأمر
أمره ولكنه أخبر أنه لا يفعله قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت يعني للنفس لها جزاء ما عملت من الخير والعمل
الصالح أي لها أجره وثوابه وعليها وزر ما اكتسبت من المعصية والعمل السيء لا يؤاخذ أحد بذنب أحد ولا تزر
وازرة وزر أخرى • والفرق بين الكسب والاكتساب أن الكسب يعمله الإنسان لنفسه ولغيره والاكتساب ما يعمله لنفسه
خاصة • وقيل لا فرق بينهما في اللغة فعلى القول الأول وصف المسيء بالاكتساب لأن وزره لا يعدوه ومعصيته لا تضر غيره
ووصف المحسن بالكسب لأن غيره يشاركه في ثوابه بالهداية والشفاعة قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا
أو أخطأنا أي لا تعاقبنا إن نسينا طاعتك أو أخطأنا في أمرك وقال الكلبي إن جهلنا أو تعمدنا وذهب إلى
الخطأ الذي هو ضد الصواب لا ضد العمد يقال خطئ إذا تعمد وأخطأ إذا سها وقد يقال أخطأ إذا تعمد وقيل معنى
الآية إن تركنا أمرا أو أتينا خطيئة والنسيان بمعنى الترك معروف في الكلام كما في قوله تعالى نسوا الله فنسيهم أي
تركوا ذكر الله وأمره فتركهم في العذاب فالمراد بالمؤاخذة في النسيان سقوط الإثم في الآخرة فأما في حكم الدنيا فلا يرتفع
التكليف عنه إذا ذكره بعد النسيان كما قال صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها وكذلك الخطأ
من نوع الإثم في الآخرة يعضده الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما
استكرهوا عليه وأما في أحكام الدنيا فيتعلق به الحكم لأن الله نص على أن من قتل خطأ في إيجاب الدية والكفارة قال الكلبي
كانت بنو إسرائيل إذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطؤوا عجلت لهم العقوبة فيحرم عليهم شيء من مطعم أو مشرب على حسب
ذلك الذنب فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم وقال ابن زيد قوله تعالى إن نسينا أي
إن نسينا شيئا مما افترضته علينا أو أخطأنا شيئا مما حرمته علينا قوله عز وجل ولا تحمل علينا إصرا كما حملته
على الذين من قبلنا أي لا تحمل علينا ثقلا ويقال عهدا كما حملته على بني إسرائيل بجرمهم فهم أمرهم بقتل أنفسهم وحرم
عليهم الطيبات بظلمهم وكانوا مأمورين بقطع موضع النجاسة من الثياب وكانوا مأمورين بأداء ربع أموالهم في الزكاة
ونحو ذلك من الأمور التي كانت ثقلا عليهم ومنه قوله تعالى وأخذتم على ذلكم إصري أي عهدي قوله تعالى ربنا ولا
تحملنا ما لا طاقة لنا به أي لا تحملنا ما يشق علينا من الأعمال وهذا كما يقال لا أطيق كلام فلان ولا أطيق هذا الأمر
أي لا أحمله إلا بمشقة هذا هو معنى الآية لأن الله تعالى لا يكلف أحدا شيئا لا يكون ذلك في قدرته وقيل معناه ما لا طاقة
لنا به من العذاب • وقيل هو حديث النفس والوسوسة • وعن مكحول أنه الغلمة • وعن بعضهم أنه كان يقول اللهم أعذني

وأعوذ بك من شر الغلمة فإنها ربما جرت إلى جهنم • وقال ابن عبد الوهاب يعني العشق وعن إبراهيم في قوله تعالى ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال يعني الحب • قال بعضهم حضرت ذا النون المصري في مجلس له فتكلم في محبة الله عز وجل فمات إحدى عشر
نفسا في المجلس له فصاح رجل من المريدين فقال لقد ذكرت محبة الله فاذكر محبة المخلوقين فقال ذو النون آه وها شديدا وشق
قميصه بنصفين وقال آه علقت رهونهم واستغرقت عيونهم وخالفوا السهاد وفارقوا الرقاد فليلهم طويل ونومهم قليل
أحزانهم لا تنفد وهمومهم لا تفقد باكية عيونهم قرحة جفونهم • وقال يحيى بن معاذ لو كانت العقوبة بيدي يوم القيامة لما
عذبت العشاق لأن ذنوبهم اضطرار لا اختيار • وقال بعضهم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به يعني شماتة الأعداء قال الشاعر
كل المصائب قد تمر على الفتى • فتهون غير شماتة الحساد • إن المصائب تنقضي أيامها • وشماتة الحساد بالمرصاد • وقيل
هي الفرقة والقطيعة نعوذ بالله العظيم منهما يقال قطع الأوصال أيسر من قطع الوصال قوله تعالى واعف عنا واغفر لنا
وارحمنا أي تجاوز عنا تقصيرنا وذنوبنا ولا تفضحنا وارحمنا فإنا لا ننال العمل بطاعتك إلا بمعونتك ولا نترك المعصية
إلا برحمتك وقيل معنى واعف عنا أي اترك عنا العقوبة ومعنى العفو الترك كقوله تعالى واغفر لنا أي استر لنا ذنوبنا وعيوبنا
وارحمنا أي أنعم علينا بالجنة والثواب • وقيل معنى الآية واعف عنا من المسخ واغفر لنا من الخسف وارحمنا من الغرق أي لا تفعل بنا
ما فعلت ببعض من تقدمنا من الأمم • وقيل معناه واعف عنا الصغائر واغفر لنا الكبائر وارحمنا بتثقيل الميزان • وقيل معناه واعف
عنا في سكرات الموت واغفر لنا في ظلمة القبور وارحمنا في أهوال القيامة قوله تعالى أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين
أي أنت ولينا وناصرنا ومتولي أمورنا فانصرنا على القوم الكافرين أي أعنا عليهم في إقامة الحجة وإظهار الدين كما وعدتنا روي
عن عبد الله بن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال غفرانك ربنا وإليك المصير قال قد غفرت لكم فلما قال ربنا لا تؤاخذنا
إن نسينا أو أخطأنا قال لا أؤاخذكم فلما قرأ ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال لا أحمل عليكم فلما قرأ ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا أحملكم فلما قال واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال
قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين وكان معاذ بن جبل إذا ختم هذه السورة قال آمين وعن الحسن
والضحاك ومجاهد وجماعة من المفسرين أن قوله تعالى آمن الرسول إلى آخر السورة كان في قصة المعراج قالوا لما انتهى النبي
صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى قال له جبريل إني لم أجاوز هذا المكان ولم يؤمر بالمجاوزة أحد غيرك فامض أنت قال
النبي صلى الله عليه وسلم فمضيت حتى انتهيت إلى ما أراد الله تعالى فأشار جبريل عليه السلام أن سلم على ربك فقلت التحيات لله
والصلوات والطيبات فقال الله عز وجل السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأحببت أن يكون
لأمتي حظ في السلام فقلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقال جبريل وأهل السموات كلهم أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله فقال الله آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يشرك أمته في الكرامة
والفضيلة فقال صلى الله عليه وسلم والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الآية فقال الله تعالى لا يكلف الله نفسا
إلا وسعها الآية فقال جبريل عليه السلام عند ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم سل تعط فقال صلى الله عليه وسلم ربنا لا تؤاخذنا
إن نسينا أو أخطأنا إلى آخر السورة فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى إليه هذه الآيات ليعلم أمته بذلك
أو يعلمهم كيف يدعون الله تعالى وقد تقدم فضل السورة والله الموفق

سورة آل عمران

أربعة عشر ألف حرف
وخمسمائة وعشرون حرفا وثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانون كلمة ومائتا آية قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل
عمران يوم الجمعة صلى الله وملائكته عليه حتى تحجب الشمس • وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا
على جسر جهنم • وقال صلى الله عليه وسلم تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان وإنهما يأتيان يوم القيامة في صورة ملكين
يشفعان لصاحبهما حتى يدخلاه الجنة وفضائلها أكثر من أن تحصى •

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم قال ابن عباس معناه أنا الله أعلم وقال هو قسم أقسم الله بأنه
واحد لا شريك له ولا معبود للخلق سواه وقد تقدم تفسير الحروف المقطعة في أول سورة البقرة • قال أنس رضي الله عنه نزلت هذه
الآية في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم وفي

أربعة

ثلثة نفر أكابرهم السيد العاقب أمير الحبش وصاحب مشورتهم الذين لا يصدرون إلا عن رأيه واسمه عبد المسيح والثاني اسمه
الأيهم صاحب رحلهم وأبو حارثة بن علقمة إمامهم وصاحب مدارسهم وكان قد درس كتبهم حتى حسن علمه بينهم في دينهم
فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده وقت صلاة العصر وعليهم ثياب الحبرات جبب وأردية فقاموا فصلوا
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجهوا إلى ناحية المشرق فقال صلى الله عليه وسلم للعاقب والأيهم أسلما فقالا قد أسلمنا
قبلك فقال كذبتما منعكما عن الإسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا إن لم يكن ولد الله فمن
أبوه فخاصموه جميعا في عيسى عليه السلام فقال صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه قالوا بلى
قال ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن ربنا على كل شيء يحفظه ويرزقه
قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال ألستم تعلمون أن الله عز وجل لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء قالوا
بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا غير ما علمه الله قالوا لا قال فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا
يحدث ألستم تعلمون ذلك قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ثم غذي كما يغذى
الصبي وكان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله عز وجل الم الله لا إله إلا هو الحي
القيوم الحي هو الدائم الذي لا بداية له الذي لا يموت ولا يزول والقيوم القائم على كل نفس بما كسبت وأكثر القراء على فتح الميم
من الم وللفتح وجهان أحدهما أنه لما كانت الميم [illegible] ساكنة استثقلوا فيها السكون فحركوها إلى الفتح لأن ذلك أخف من
أين وكيف • والثاني أنه ألقى عليها فتحة الهمزة من الله وهذا جائز في الهجاء وإن كان لا يجوز مثله في الكلام الموصل
من حيث إن حروف الهجاء مبنية على الوقف ومن قرأ بتسكين الميم نظر إلى أصل حروف الهجاء أنها مبنية على الوقوف والسكون
قوله عز وجل نزل عليك الكتاب بالحق وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة نزل عليك الكتاب بتخفيف الزاي ورفع الكتاب [illegible]
ونصب الحاء لأن القرآن كان ينزل نجوما شيئا بعد شيء والتنزيل مرة بعد مرة قال الله تعالى وأنزل التوراة والإنجيل
لأنهما نزلتا دفعة واحدة ومعنى الآية نزل عليك يا محمد القرآن بالصدق ولا قام أمر الحق **قوله تعالى** مصدقا لما بين
يديه أي موافقا لما تقدمه من التوراة والإنجيل وسائر الكتب لله تعالى في الدعاء إلى توحيد الله وبيان أقاصيص
الأنبياء والأمر بالعدل والإحسان وسائر ما لا يجري فيه النسخ وبعض الشرائع وانتصب مصدقا على الحال من الكتاب **قوله
تعالى** وأنزل التوراة والإنجيل أي أنزل التوراة جملة على موسى والإنجيل جملة على عيسى من قبل القرآن **قوله تعالى**
هدى للناس أي بيانا ونورا وضياء لمن اتبعه وموضع هدى نصب على الحال **قوله تعالى** وأنزل الفرقان يعني
القرآن وأعاد ذكره لبيان أنه يفرق بين الحق والباطل ومتى اختلف توابع الصفات على موصوف واحد لم يكن ذكر الصفة الثانية
تكرارا لأن تكون الثانية في حكم المبتدأ لأن لكل صفة فائدة ليست للأخرى فالصفة الأولى تفيد أن من شأنه أن يكتب والصفة
الثانية تفيد أن من شأنه أن يفرق بين الحق والباطل • وقيل إن كل كتاب لله فهو فرقان **قوله عز وجل** إن الذين كفروا
بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام معناه أن في كتب الله ما يدل على صدق قول كل من يجحد بآيات الله
وهي العلامة الهادية إليه الدالة على توحيده فأولئك لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام أي غالب في أمره لا [illegible]
أحد منعه ممن يريد عذابه ذو انتقام أي ذو نقمة ينتقم ممن عصاه ثم حذرهم عن التلبس والاستتار عن المعصية فقال
تعالى إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء أي لا يخفى عليه قول الكفار وعملهم يحصي كل ذلك ليجازيهم
عليه في الآخرة وفائدة تخصيص الأرض والسماء وإن كان الله لا يخفى عليه شيء بوجه من الوجوه وإن ذكر الأرض والسماء أكثر
في النفس وأهول في الصدور بذكره على وجه الأهوال لأن الغرض به التحذير **قوله تعالى** هو الذي يصوركم في
الأرحام كيف يشاء أي خلقكم في أرحام الأمهات كيف يشاء من لون وطول وقصر وعظم وصغر وذكورة وأنوثة
وحسن وقبح وسعادة وشقاوة **قوله تعالى** لا إله إلا هو العزيز الحكيم أي لا معبود ولا خالق إلا هو
ومعنى العزيز المنيع في سلطانه لا يغالبه ولا يمانع والحكيم المحكم في تدبيره وقضائه في عباده وأفعاله كلها شاهدة أنه
الواحد القديم العالم القادر **قوله عز وجل** هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب

وأخر متشابهات قال ابن عباس معناه هو الذي أنزل عليك القرآن منه آيات واضحات مبينات للحلال والحرام لم ينسخ
هن أصل الكتاب الذي نزل عليك يا محمد عليه في الأحكام وهن أم في التوراة والإنجيل والزبور وكل كتاب نحو قوله تعالى قل
تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ونحوه قوله تعالى وأخر متشابهات أي ومنه آيات أخر تشتبه على اليهود مثل الم والمص وقيل
معناه يشبه بعضها بعضا • واختلفوا في المحكم والمتشابه • فقال قتادة والربيع والضحاك والسدي المحكم هو الناسخ الذي
يعمل به والمتشابه هو المنسوخ الذي يؤمن به ولا يعمل به وعن ابن عباس أن محكمات القرآن ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده
وفرائضه وأوامره والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه • وقال مجاهد وعكرمة المحكم ما فيه الحلال
والحرام وما سوى ذلك متشابه • وقال بعضهم المحكم هو الذي لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا والمتشابه ما احتمل وجوها
وقال ابن زيد المحكم ما ذكره الله من قصص الأنبياء مثل قصة نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام
والمتشابه هو ما اختلف فيه الألفاظ من قصصهم عند التكرار كما في موضع من قصة نوح قلنا احمل وفي موضع آخر فاسلك وقال
الله تعالى في ذكر العصا فإذا هي حية تسعى وفي موضع فإذا هي ثعبان مبين وقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان ونحو [illegible]
ونحو ذلك • وقال بعضهم المحكم ما عرف العلماء تأويله وفهموا معانيه والمتشابه ما ليس لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه
نحو خروج الدجال ونزول عيسى وطلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة وفناء الدنيا ونحوها • وقال ابن كيسان المحكمات
حججها واضحة ودلائلها لائحة لا حاجة لمن سمعها إلى طلب معانيها والمتشابه هو الذي يدرك علمه بالنظر ولا يعرف العوام
تفصيل الحق فيه من الباطل • وقال بعضهم المحكم ما اجتمع على تأويله والمتشابه ما ليس فيه بيان قاطع وقال محمد بن الفضل المحكم هو
سورة الإخلاص لأنه ليس فيها إلا التوحيد فقط والمتشابه نحو قوله الرحمن على العرش استوى ونحو قوله خلقت بيدي
ونحو ذلك مما يحتاج إليه في الإبانة عنها • وقال المحكم نحو قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام
والمتشابه نحو قوله خلق الأرض في يومين ثم قال وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام ثم قال فقضاهن سبع سموات في يومين
فظن من لا معرفة له أن العدد ثمانية أيام ولم يعلم أن اليومين الأولين داخلان في الأربعة التي ذكرها الله من بعد • وقال
الزجاج المحكم ما عرف به أهل الشرك مما أخبر الله به من إنشاء الخلق وجعله من الماء كل شيء حي وما خلق الله من الثمار وسخر
لهم من الفلك والرياح والمتشابه ما اشتبه عليهم من أمر البعث وقد سمى الله تعالى جملة القرآن محكما فقال كتاب أحكمت آياته
بوصفه بالإحكام وسماه كله متشابها في آية أخرى فقال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها أي يشبه بعضه بعضا
في الحسن والصدق **قوله عز وجل** فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء
تأويله وما يعلم تأويله إلا الله معناه فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق والهدى وهم اليهود يتبعون ما تشابه
عليهم من الحروف المقطعة يحسبون ذلك بحساب الجمل ابتغاء الفتنة أي طلب الكفر والشرك وابتغاء تأويله في طلب تفسيرها
ما كتب الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم من المدة ليرجع الملك إلى اليهود وما يعلم تفسير ما كتب الله لهذه الأمة إلا الله
وقال الربيع إن هذه الآية نزلت في وفد نصارى نجران لما حاجوا النبي صلى الله عليه وسلم في المسيح فقالوا أليس هو
كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا فأنزل الله هذه الآية • وقال ابن جريج الذين في قلوبهم زيغ أي شك وهم المنافقون
وقال الحسن هم الخوارج وقال بعضهم جميع المبتدعة أعاذنا الله من البدعة ومعنى الآية أن النصارى ضلوا في كلمة الله
إلى ما يقولون من قدم عيسى مع الله عز وجل وضلوا في **قوله** وروح منه إلى أنه جزء منه كروح الإنسان وإنما أراد الله تعالى
بقوله وكلمته أن الله تعالى لما صيره بكلمته وهو قوله كن فكان وسماه روحه لأنه خلقه من غير أب إلا أن جبريل
نفخ في جيب درعها عليها السلام فهو روح من الله تعالى أضافه الله إلى نفسه تشريفا له كبيت الله وأرض الله وقيل سماه
روحا لأنه كان يحيي الموتى كما سمى القرآن روحا من حيث أن فيه حياة الناس في أديانهم وكذلك الله تعالى وكذلك أوحينا
[illegible] نصرة أهل الزيغ قوله تعالى وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه إلى مذاهبهم الفاسدة طلب الكفر والضلال
ولم يروا أن هذا اللفظ الذي اشتبه عليهم وشهوا على أنفسهم إلى الآية المحكمة وهو قوله عز وجل إن مثل عيسى عند الله كمثل
آدم خلقه من تراب فيعلمون هذا يكون وما يعلم تأويله إلا الله أي ما يعلم تأويل جميع المتشابه حتى يستوعب علم المتشابهات إلا الله

واختلف اهل العلم في نظم هذه الآية فقال قوم الواو في قوله تعالى والراسخون في العلم واو العطف يعني ان تأويل المتشابه
يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم يقولون آمنا به وقال المخبرون والتابعون في العلم يعلمون تأويل ما نصب الله
لهم الدلالة عليه الى المتشابه وبعلمهم يقولون ربنا آمنا فيروى عن ابن عباس رضي انا ممن يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم
يعلمونه قائلين آمنا به ومنهم من جعل تمام الكلام عند قوله الا الله وفي قراءة ابن مسعود ويقول الراسخون في العلم آمنا به وهو
مروي ايضا عن ابن عباس ولا نبعد ان تكون للقرآن تأويل يستأثر الله بعلمه دون خلقه لا نعلم مراد الله وحكمته في
جميع أوامره ونواهيه عز اسمه ولما العلماء انزل الله يطالبنا بما لا سبيل لنا الى معرفته فلم يخف عنا علم ما غاب عنا مثل قيام
الساعة وغير ذلك الا لما فيه من المصلحة لنا وما هو خير لنا في ديننا ودنيانا وما علمناه فلم نعلمه الا لمصلحتنا ونعقبنا
بصحة جميع ما انزل الله ولنصدق بذلك كله ما علمنا به وما لم نعلم وكان ابن عباس يقول انا من الراسخين في العلم وقرأ مجاهد
هذه الآية فقال انا ممن يعلم تأويله وروى عكرمة عن ابن عباس رضي كل القرآن أعلم تأويله الا اربعا غسلين وحنانا
والأواه والرقيم وهذا انما قاله ابن عباس في وقت ثم علمها بعد ذلك وفسرها ومن اختار تمام الكلام عند قوله الا الله
واستأنف الكلام بقوله والراسخون عائشة وعروة بن الزبير ورواية طاوس عن ابن عباس وكذلك ايضا واختاره الكسائي
والفراء ومحمد بن جرير وقالوا ان الراسخين لا يعلمون تأويله ولكنهم يؤمنون به والآية راجعة على هذا التأويل الى العلم
بمدة اجل هذه الأمة ووقت قيام الساعة وفناء الدنيا ووقت طلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى وخروج الدجال ويأجوج
ومأجوج وعلم الروح ونحوها مما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه احدا من خلقه قوله تعالى واخر متشابهات آخر جمع اخرى
ولم ينصرف لانه معدول عن الآخر مثل عمر وزفر قوله تعالى والراسخون في العلم اي بعضهم علماء اهل الكتاب مثل
منهم مثل عبد الله بن سلام واصحابه ودليله قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم يعني الدارسين علم التورية وعن ابي امامة
قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الراسخون في العلم قال من بر في يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه وعف بطنه
وفرجه فذلك الراسخ في العلم وسئل انس بن مالك عن تفسير الراسخين في العلم من هم فقال الراسخ هو العالم العامل بما علم
المتبع له وقيل الراسخون في العلم المتواضعون لله المتذللون في طلب مرضاته لا يتعاظمون على من فوقهم ولا يحقرون من
دونهم وقال بعضهم الراسخ في العلم من وجد في علمه اربعة اشياء التقوى بينه وبين الله والتواضع بينه وبين الخلق
والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين نفسه قوله عز وجل ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا أي
ويقول الراسخون في العلم ربنا لا تمل قلوبنا عن الحق والهدى كما ازغت قلوب اليهود والنصارى بعد اذ هديتنا اي لا تزغ
قلوبنا بعد اذ ارشدتنا وهديتنا وقيل لدينك الحق قوله تعالى وهب لنا من لدنك رحمة أي اعطنا من عندك
نعمة وتثبيتا لتثبت به قلوبنا على الهدى واسم الرحمة يقع على كل خير ونعمة وقيل معناه وهب لنا من لدنك توفيقا وتثبيتا
على الايمان والهدى وقال الضحاك معناه وهب لنا تجاوزا ومغفرة وقيل هب لنا لزوم خدمتك على شرط السنة قوله تعالى
انك انت الوهاب أي انت المعطي والوهاب الذي من عادته الاعطاء والهبة وانما سمي القلب قلبا لتقلبه وانما مثل
القلب مثل ريشة بفلاة من الارض وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قلب ابن آدم مثل العصفور يتقلب في اليوم سبع
مرات قوله عز وجل ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه اي يقولون ربنا انك جامع الناس باجمعهم بعد الموت
لجزاء يوم لا ريب فيه أي لا شك فيه يعني يوم القيمة قوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد اي لا يخلف الله ما وعد من البعث
والحساب والميزان والجنة والنار قوله عز وجل ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئا اراد بالذين كفروا اليهود الذين تقدم ذكرهم وقيل اراد بهم نصارى نجران وقيل عامة الكفار ومعنى لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي لا تدفع عنهم كثرة اموالهم واولادهم شيئا من عذاب الله في الدنيا ولا في الآخرة لانه لا تقبل منهم
فداء ولا شفاعة وسمي المال غنا لانه يرفع عن مالكه الفقر والنوائب فاخرجه ... الكفار واولادهم لا تنفعهم
من العذاب وقرأ السلمي لن يغني عنهم بالياء لتقدم الفعل ودخول الحائل بين الاسم والفعل وقرأ الحسن لن يغني بالياء ويكون
اليا قوله تعالى واولئك هم وقود النار أي حطب النار والوقود بفتح الواو ما توقد به النار وفي هذا بيان ان

اهل النار يحترقون في النار احتراق الحطب كما يحترق الانسان بنار الدنيا فان نار الدنيا يشتعل الصديد من الانسان
ولا يأخذه كما يأخذ الحطب وقرأ وقود بضم الواو وهو مصدر وقدت النار وقودا كما يقال ورد ورودا وقعد قعودا
يعني اولئك هم وقود النار قوله عز وجل كدأب آل فرعون والذين من قبلهم لان معنى
ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار
الامم الخالية اخذناهم وعاقبناهم فلن تغن عنهم اموالهم ولا اولادهم وقيل معناه عادة هؤلاء الكفار في الكفر والتكذيب
بالحق كعادة آل فرعون وعادة الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود كذبوا بآياتنا ورسلنا فعاقبهم الله بكفرهم وبذنوبهم
والله شديد العقاب اذا عاقب فعقابه شديد على الدوام والتأبيد لا كعقوبة اهل الدنيا والدأب في اللغة
العادة كذا قال النضر بن شميل والمبرد فيكون معناه كعادة آل فرعون وقال الزجاج الدأب الاجتهاد أي كاجتهاد آل فرعون
في كفرهم وتظاهرهم على الباطل يقال دأب في كذا يدأب دأبا اذا أدام الجد فيه ثم نقل معناه الى الشان والحال والعادة وقال
ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك والسدي معناه كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر والتكذيب تقول كفرت اليهود كما
كفر آل فرعون والذين من قبلهم وقال الربيع والكسائي كشبه آل فرعون وقال الاخفش كامر آل فرعون وشأنهم وقال النضر
كحال آل فرعون وقال سيبويه الكاف في كدأب في موضع رفع خبر المبتدأ تقديره دأبهم كدأب آل فرعون قوله عز وجل قل
للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد أي قل يا محمد للذين كفروا ستغلبون وتحشرون
اي تهزمون وتقتلون وتحشرون بعد القتل الى جهنم وبئس الفراش وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما
والباقون بالتاء فمن قرأها بالياء فعلى الاخبار عنهم بانهم يغلبون ويحشرون ومن قرأها بالتاء فعلى الخطاب أي قل لهم انكم ستغلبون
وتحشرون واختلف المفسرون في هؤلاء الكفار فقال مقاتل هم مشركو مكة ومعناه قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون الى
جهنم في الآخرة فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم للكفار يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وقال
الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان المراد بهم يهود المدينة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هزم الكفار يوم بدر قالت اليهود
هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى ونجده في التورية بنعته وصفته وانه لا ترد له راية وارادوا تصديقه واتباعه
ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
والله ما هو به فغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق
كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى ابي سفيان بمكة ووافقوهم على ان تكون كلمتهم واحدة ثم رجعوا الى المدينة فانزل
الله هذه الآية وعن ابن عباس وقتادة انهما قالا لما اهلك الله قريشا يوم بدر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود في
سوق بني قينقاع فدعاهم الى الاسلام وحذرهم مثل ما نزل بقريش من الانتقام فابوا وقالوا لسنا كقريش الاغمار الذين لا يعرفون
القتال لئن حاربتنا لتعلمن انا الرجال وتعرف الباس والشدة فانزل الله هذه الآية قوله تعالى الى جهنم أي
الى جهنم وهي بئس المهاد الفرش قوله عز وجل قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله
واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين أي قد كان لكم ايها اليهود عبرة وقيل ايها الكفار على صدق
ما اقول لكم في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله اي في طاعة الله وهم رسول الله واصحابه وكانوا ثلثمائة و
رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون من الانصار وكان صاحب راية رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمهاجرين علي رضي الله عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكان جملة الابل التي في جيش رسول الله
صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيرا والخيل فرسين فرس للمقداد وفرس لمرثد بن ابي مرثد وقيل فرس علي وكان معهم من
السلاح ستة ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد من المسلمين يومئذ اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار
قوله تعالى واخرى كافرة أي فرقة اخرى كافرة وهم كفار مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا مقاتلين ورأسهم عتبة بن
ربيعة وكان فيهم مائة فرس وكانت حرب بدر اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى يرونهم
مثليهم رأي العين من قرأه بالياء فالمعنى يرى الفئة المؤمنة الفئة الكافرة مثليهم ظاهر العين أي ظن المسلمين ان

المشركين مثليهم ويرونهم مثليهم يغلبون المشركين كما وعدهم الله تعالى بقوله فإن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين قال الله تعالى
المسلمين في أعين المشركين والمشركين في أعين المسلمين حتى اقتتل الفريقان كما قال الله تعالى وإذ يريكموهم إذ التقيتم في
أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ثم قذف الله الرعب في قلوب الكفرة حتى انهزموا بكف من تراب أخذه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرماه في وجوههم وقال شاهت الوجوه • ومن قرأ ترونهم بالتاء فهو خطاب لليهود يعني كفار مكة
مثلي المؤمنين رأي العين فإن قيل لم قال قد كان لكم آية ولم يقل قد كانت والآية مؤنثة قيل لأن الآية ترجع إلى
البيان أي قد كان لكم بيان فذهب إلى المعنى وترك اللفظ قوله تعالى يرونهم مثليهم رأي العين قرأ أبو جعفر وشيبة
ونافع ويعقوب ترونهم بالتاء وقرأ الباقون بالياء قوله تعالى **والله يؤيد بنصره من يشاء** أي يقوي ويشدد
يقوي من يشاء قوله تعالى **إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار** أي في غلبة المؤمنين المشركين مع قلة عدد المؤمنين
وكثرة المشركين لعبرة لأولي الأبصار في الدين أي لذوي الأبصار أي أبصار القلوب ويجوز أن يكون معناه لمن أبصر
الجمعين بعينه يومئذ وفي قوله تعالى فئة قراءتان من قرأها بالرفع فعلى معنى أحدهما فئة تقاتل ومن قرأها بالخفض
فعلى البدل من فئتين كما قال الشاعر • وكنت كذي رجلين رجل صحيحة • ورجل رماها الدهر بالحدثان •
قوله عز وجل **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والأنعام والحرث** بين الله هذه الآيات لما بسط للمشركين من زهرة الدنيا وزينتها ما هو الذي منعهم من تصديق
النبي صلى الله عليه وسلم فيما دعاهم إليه والمعنى حسن للناس اللذات والمشتهيات من النساء والبنين بدأ بالنساء لأنهن
حبائل الشيطان وأقرب إلى الافتتان ويحملن الرجال على قطع الأرحام والآباء والأمهات وجمع المال من الحلال والحرام وذكر
والبنين قال صلى الله عليه وسلم هم ثمرة القلوب وقرة الأعين وإنهم مع ذلك لمجبنة مبخلة قوله تعالى والقناطير المقنطرة
القناطير جمع قنطار • واختلفوا فيه فقال الربيع القنطار هو المال الكثير بعضه على بعض • وقال ابن كيسان هو المال
العظيم • وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القنطار اثنا عشر ألف أوقية • وعن ابن عباس القنطار ألف
مثقال • وعن معاذ ألف ومائتا أوقية • وعن أبي نضرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثقال • وعن عكرمة مائة
ألف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم • وقيل القنطار ما بين السماء والأرض من المال • وقيل ملء مسك ثور
ذهبا أو فضة • وقال ابن المسيب وقتادة ثمانون ألفا • وعن مجاهد سبعون ألفا • وعن الحسن أنه قال القنطار مثل دية أحدكم
وحاصله أن القنطار هو المال الكثير قوله تعالى المقنطرة قال قتادة أي المنضدة بعضها على بعض • وقال يمان المقنطرة
المدفونة • وقال السدي المضروبة المنقوشة قوله تعالى من الذهب والفضة سمي الذهب ذهبا لأنه يذهب ولا يبقى
والفضة لأنها تنفض أي تتفرق قوله تعالى والخيل المسومة الخيل جمع لا واحد له من لفظه واحده فرس والمسومة
هي الراعية من السوم وهو الرعي يقال أسام الخيل وسومها قال الله تعالى فيه تسيمون ويكون من السيما وهي العلامة من الأوضاح والغرة التي تكون
في الخيل وقال السدي المسومة هي الواقفة • وقال مجاهد الحسان • وقال الأخفش المعلمة • وقال ابن كيسان البلق روي
عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الله أن يخلق الخيل قال لريح الجنوب إني خالق
منك خلقا فاجعله عزا لأوليائي ومذلة لأعدائي وجمالا لأهل طاعتي ثم خلق منها فرسا وقال له خلقتك وجعلت الخير
معقودا بناصيتك والغنائم مجموعة على ظهرك عطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح وأنت للطلب وأنت للهرب
وسأجعل على ظهرك رجالا يسبحوني ويحمدوني ويهللوني ويكبروني كذا في تفسير الثعلبي وقيل خلق الله خيلا لها أعناق
كأعناق البخت فلما أرسلها إلى الأرض واستوت قدامها صهلت فرضيها فقيل له بوركت من دابة أذل بصهيلك المشركين وأذل
به أعناقهم وأملأ به آذانهم وأرعب به قلوبهم فلما عرض الله على آدم كل شيء قال له اختر من خلقي ما شئت فاختار الفرس
فقيل له اخترت عزك وعز ولدك ما خلقت خلقا أعز لي منك ومنه • وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة • وعن أنس قال لم يكن شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
النساء من الخيل • وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من فرس عربي إلا يؤذن له عند كل فجر يدعو

فيقول اللهم من خولتني من بني آدم فاجعلني أحب أهله وماله إليه • وقال صلى الله عليه وسلم ارتبطوا الخيل وامسحوا
بنواصيها وأكفالها وعليكم بكل كميت أغر محجل أو أشقر محجل أو أدهم أغر محجل • وعن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يكره الشكال من الخيل وهو أن يكون له ثلاث قوائم محجلة وأخرى مطلقة أو يكون الثلاث مطلقة والرابعة محجلة ولا يكون
الشكال إلا في الرجل دون اليد • وقال صلى الله عليه وسلم الشؤم في ثلاثة المرأة والفرس والدار • وقال صلى الله عليه وسلم
الخيل ثلاثة فرس للرحمن وفرس للإنسان وفرس للشيطان فالذي للرحمن هو ما اتخذ في سبيل الله وقوتل عليه أعداء الله وأما
فرس الإنسان فما استبطن عليه • وأما فرس الشيطان فما روهن عليه أو قومر عليه قوله عز وجل والأنعام والحرث الأنعام جمع
النعم واسم النعم أكثر ما يستعمل في الإبل وقد يقع على سائر المواشي من البقر والغنم والإبل قوله تعالى والحرث يعني الزرع قوله
تعالى **ذلك متاع الحياة الدنيا** أي هذا الذي ذكرت متاع الحياة الدنيا أي شيء يتمتع به في الدنيا ثم يزول
ويفنى قوله تعالى **والله عنده حسن المآب** أي حسن المرجع والمنقلب للمؤمنين وهي الجنة الباقية ثم بين الله
تعالى ما أعد الله للمؤمنين في الآخرة خير من هذه الدنيا فقال عز وجل **قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند
ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها** أي قل يا محمد أخبركم بخير من الذي زين للناس في الدنيا للذين اتقوا الشرك
والكبائر والفواحش ولا يشتغلون بالزينة عن طاعة الله لهم عند ربهم جنات أي بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها أنهار الماء
والعسل والخمر واللبن خالدين فيها أي مقيمين دائمين أي لا يحب بدلك لها كمياه الدنيا تجري أحيانا وتنقطع أحيانا بل تكون جارية
أبدا قوله تعالى **ورضوان من الله** أي ولهم مع ذلك رضا الله عنهم وهو من أعظم النعم قال الله تعالى ورضوان من الله
أكبر قوله تعالى **والله بصير بالعباد** أي عالم بأعمالهم وثوابهم • واختلفوا في منتهى الاستفهام في قوله تعالى أؤنبئكم قال
بعضهم منتهاه عند قوله بخير من ذلكم وقوله للذين اتقوا استئناف كلام وقال بعضهم منتهاه عند ربهم وقوله تعالى جنات استئناف
كلام • قرأ أبو بكر عن عاصم ورضوان بضم الراء في جميع القرآن وهي لغة قيس عيلان وتميم وهما لغتان كالعدوان والعدوان والطغيان
والطغيان وقرأ عامة القراء ورضوان من الله بكسر الراء قوله عز وجل **الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا
وقنا عذاب النار** الذين في موضع خفض ردا على قوله للذين اتقوا أي للمتقين الذين يقولون ربنا إننا صدقنا بالله وبالرسول
فاغفر لنا خطايانا وادفع عنا عذاب النار ويجوز أن يكون موضع الذين رفعا على معنى هم الذين يقولون ربنا كقوله تعالى إن الله
اشترى من المؤمنين ثم قال في صفتهم التائبون العابدون قوله تعالى **الصابرين والصادقين والقانتين
والمنفقين والمستغفرين بالأسحار** الصابرين في موضع خفض بدلا من الذين يقولون • وذهب بعضهم إلى أن الصابرين منصوب على المدح نصب
ومعنى الآية الصابرين على طاعة الله وعلى الشدائد والمصائب وعن ارتكاب النهي وعلى البأساء والضراء والصادقين في إيمانهم وأقوالهم وأفعالهم
قال الصدق قد يقع في القول كما يقع في الفعل يقال صدق فلان في القتال وصدق في الحملة أي حقق • قال قتادة في تفسير الصادقين هم
قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وألسنتهم في السر والعلانية والقانتين أي القائمين بعبادة الله المطيعين يعني في طاعة الله
وقوله تعالى والمستغفرين بالأسحار قال قتادة أراد به المصلين بالأسحار وقال أنس بن مالك أراد به السائلين المغفرة بالأسحار وقال
الحسن إنهم مدوا الصلاة إلى وقت السحر ثم كانوا يتبعونها بالاستغفار • وعن إبراهيم بن حاطب عن أبيه قال سمعت صوتا في ناحية المسجد سحرا
يقول يا رب دعوتني فأجبتك وأمرتني فأطعتك وهذا سحر فاغفر لي فنظرت فإذا هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لله أصواتا يحبهم الله صوت الديك وصوت الذي يقرأ القرآن وصوت المستغفرين بالأسحار
وروي أن داود عليه السلام سأل جبريل أي الليل أفضل فقال له ما أدري إلا أن العرش يهتز في وقت السحر • وقال سفيان
الثوري إن لله ريحا يقال لها الصبحة تهب وقت السحر تحمل الأذكار والاستغفار إلى الملك الجبار • قال وبلغنا أنه إذا كان في
أول الليل نادى مناد ألا ليقم العابدون فيقومون وإذا كان في السحر نادى مناد أين المستغفرون فيستغفر أولئك وإذا طلع الفجر
نادى مناد ألا ليقم الغافلون فيقومون من فرشهم كأنهم الموتى نشروا من قبورهم • وقال لقمان لابنه يا بني لا يكن الديك أكيس
منك ينادي بالأسحار وأنت نائم والسحر هو الوقت الذي قبل طلوع الفجر قوله عز وجل **شهد الله أنه لا إله إلا
هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم** روى أنس رضي الله عنه قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ شهد الله أنه لا إله إلا هو عند منامه خلق الله تعالى منها سبعين ألف خلق يستغفرون
له إلى يوم القيمة • وعن سعيد بن جبير قال كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما لكل حي من أحياء العرب صنم أو صنمان فلما
نزلت هذه الآية أصبحت تلك الأصنام قد خرت سجدا لله • وعن ابن مسعود أنه قال من قرأ شهد الله أنه لا إله إلا هو إلى قوله
إن الدين عند الله الإسلام وقال أنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي وديعة عنده جيء
بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل عبدي عهد إلي وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة • ومعنى الآية قال
محمد بن السائب الكلبي لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قدم عليه حبران من أحبار اليهود من الشام فقال أحدهما
للآخر ما أشبه هذه المدينة بمدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان نبي فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه
بالصفة والنعت فقالا له أنت محمد قال نعم قالا أنت أحمد قال نعم أنا محمد وأحمد قالا فإنا نسألك عن شيء فإن أخبرتنا به آمنا
بك وصدقناك قال فاسألا قالا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل • فأنزل الله تعالى على نبيه هذه الآية شهد الله أنه
لا إله إلا هو إلى آخرها فأسلم الرجلان وصدقا رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقرأ أبو نهيك وأبو الشعثاء شهداء لله بالمد والرفع على
معنى هم شهداء الله الذين تقدم ذكرهم • وقرأ المهلب شهداء الله بالمد والنصب على المدح وقرأ الآخرون شهد الله على الفعل أي قضى
الله وقيل أخبر الله وقال مجاهد حكم الله • وقرأ ابن مسعود شهد الله أنه لا إله إلا هو • وقرأ ابن عباس أنه لا إله إلا هو بكسر الألف
جعله خبرا مستأنفا وقال بعضهم كسر لأن الشهادة قول وما بعد القول يكسر على الحكاية تقديره قال الله إنه لا إله إلا هو
قال المفضل معنى شهادة الله الإخبار والإعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الإقرار كقوله شهدنا على أنفسنا أي أقررنا
قوله تعالى **وأولوا العلم** يعني الأنبياء وقيل المهاجرين والأنصار وقيل علماء مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه
وقال الكلبي والسدي علماء المؤمنين كلهم نعم أن الله شهادة العلماء بالشهادة لأن العلم صفة الله العليا ونعمته العظمى والعلماء
أعلام الإسلام والسابقون إلى دار السلام وسرج الأمكنة ومصابيح الأزمنة • وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ساعة من عالم يتكئ على فراشه وينظر في علمه خير من عبادة العابد سبعين عاما • وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة
لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل الجنة والأنيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على
السراء والضراء والسلاح على الأعداء يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة تقتدى بهم وتقتص آثارهم ويقتدى بأفعالهم وينتهى
إلى رأيهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم وفي صلاتهم تستغفر لهم وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحر وهوامه
وسباع الأرض وأنعامها والسماء ونجومها ألا وإن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار في الظلم وبه يبلغ العبد منازل الأحرار
ومجالس الملوك والفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام وبه يعرف الحلال والحرام وبه توصل الأرحام يلهمه الله السعداء
ويحرمه الأشقياء • قوله عز وجل **قائما بالقسط** أي بالعدل ونصب قائما على الحال من شهد وقيل على القطع من قوله لا إله إلا هو
ويجوز أن يقع الحال المؤكد على الاسم في غير الإشارة تقول أنا زيد معروفا وهو الحق مصدقا فإن قيل الحال توصف هيئة الفاعل
وذلك مما يقبل التغير فهل يجوز من الله أن يزول عدله فيما به القسط قيل هذا على مذهب الكوفيين لأن العرب تسميه على القطع
القطع يعنون بالقطع قطع المعرفة عن نعت النكرة مثل قوله الدين واصبا كان أصله الواصب فهذا كان أصله القائم فلما قطعت
الألف واللام نصب وأما عند البصريين فالحال حال لازمة لأنه لا تعدو الفعل يجوز عليه التغير وحال لا يعدوه بيتم ولا يجوز عليه
التغير وهذا من ذلك وكذلك قوله وهذا بعلي شيخا • قوله تعالى **لا إله إلا هو العزيز الحكيم** قال جعفر الصادق
إنما كرر الشهادة لأن الأولى وصف وتوحيد والثانية رسم وتعليم أي قولوا لا إله إلا هو العزيز الحكيم العزيز الغالب المنيع والحكيم
ذو الحكمة في أمره وسلطانه ومعنى قوله قائما بالقسط أي قائم بالتدبير أي يجري أفعاله على الاستقامة • قوله تعالى **إن
الدين عند الله الإسلام** يعني الدين المرتضى عنده ورضيت لكم الإسلام دينا والإسلام هو الدخول في السلم والانقياد
والطاعة • وعن قتادة قال هو شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله وهو دين الإسلام الله الذي شرع لنفسه
وبعث به رسله ودل عليه أولياءه ولا يقبل غيره • وقرأ الكسائي أن الدين عند الله بالفتح على معنى شهد الله أنه لا إله إلا هو

وشهد أن الدين عند الله الإسلام • قوله تعالى **وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم** أي لم يترك اليهود والنصارى الإسلام ولم يتسموا باليهودية والنصرانية إلا من بعد ما جاءهم العلم في كتابهم
حسدا بينهم • روى أن اليهود كانوا يسمون مسلمين فلما بعث عيسى عليه السلام وسمى أصحابه مسلمين حسدت اليهود المسلمين
في اسمهم فسموا أنفسهم هودا فكانوا يسمون مسلمين وهودا فاعترت النصارى اسمهم وسموا أنفسهم نصارى وقال الربيع هو طلب الرياسة
وقال بعضهم معنى الآية وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلا من بعد ما جاءهم بيان
نعته وصفته في كتبهم • قوله تعالى **ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب** أي ومن يجحد محمدا
صلى الله عليه وسلم والقرآن فإن الله سريع الحساب المجازاة سريع التعريف للعامل عمله لا يحتاج إلى إثبات وتذكير • قوله عز وجل
فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن أي فإن خاصموك يا محمد في الدين فقل انقدت لله وخضعت بلساني وجميع جوارحي
وإنما خص الوجه لأنه أكرم جوارح الإنسان وفيه بهاؤه وتعظيمه فإذا خضع وجهه لشيء فقد خضع له سائر جوارحه التي
دون الوجه • قال الفراء معناه أخلصت عملي لله والوجه العمل وقوله تعالى ومن اتبعني في موضع رفع عطفا على أسلمت
ومن اتبعني أسلم أيضا كما أسلمت والأصل اتباعي بالياء في اتبعني ولكن حذفت للتخفيف • قوله عز وجل **وقل للذين أوتوا
الكتاب والأميين أأسلمتم** الذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى والأميون مشركو العرب أي قل لهم أخلصتم كما أخلصت
فإن أسلموا أخلصوا **فقد اهتدوا** من الضلال **وإن تولوا** عن الإسلام • وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود عزير
ابن الله **فإنما عليك البلاغ** بالرسالة • قوله تعالى **والله بصير بالعباد** أي عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن فيجازيهم على
أعمالهم التي جازيهم بها وقال الكلبي فلما نزلت هذه الآية ذكر ذلك لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لأهل الكتاب أسلمتم فقال صلى
الله عليه وسلم لليهود أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده ورسوله قالوا معاذ الله • وقال للنصارى أتشهدون أن عيسى عبد
الله ورسوله قالوا معاذ الله وكيف يكون ابن الله فذلك قوله فإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد أي بصير بمن يؤمن وبمن لا
يؤمن وبأهل الثواب وبأهل العقاب • فإن قيل ومن اتبعني عطف على المضمر في قوله أسلمت والعرب لا تعطف الظاهر على المضمر
قيل إنما لا تعطف إذا لم يكن بين الكلامين فاصل أما إذا كان بينهما فاصل جاز وقوله أأسلمتم لفظه استفهام ومعناها أي أسلموا
كقوله تعالى فهل أنتم منتهون أي انتهوا • قوله عز وجل **إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق
ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم** معناه إن الذين يجحدون بآيات الله وهم اليهود والنصارى
ويقتلون النبيين بغير حق • قرأ الحسن ويقتلون بالتشديد فيهما على التكثير • وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يأمرون وفي إضافة قتل
الأنبياء إلى هؤلاء الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قولان أحدهما أنهم رضوا بفعل من سلف منهم الذين قتلوا زكريا
ويحيى والنبيين فجاء إضافة ذلك إلى هؤلاء • والثاني أنهم قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم وهموا بقتله كما قال تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك
• وعن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ هذه الآية ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين
نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوا
جميعا في آخر ذلك النهار من ذلك اليوم فهم الذين ذكر الله في كتابه وأنزل فيهم الآية • قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم أي أخبرهم بعذاب
وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم • قوله عز وجل **أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة** أي أهل هذه الصفة
بطلت حسناتهم فلا يستحقون الثناء عليها في الدنيا ولا يستحقون الثواب عليها في الآخرة **وما لهم من ناصرين** أي من مانعين
يمنعونهم من العذاب إذا نزل بهم • قوله عز وجل **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم
بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون** قال الكلبي وذلك أن رجلا وامرأة من أشراف خيبر من اليهود فجرا وكان في كتابهم
الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما ورجوا أن يكون لهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رخصة في أمرهما في الرجم فأخذوا بهما فرفعوا أمرهما
إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليحكم عليهما بالرجم فقال بعضهم جرت علينا يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فمن أعلمكم
بها قالوا ابن صوريا فأرسلوا إليه فلما قدم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم اليهود قال

كذلك يزعمون قد عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من التوراة فيها آية الرجم دله على ذلك ابن سلام فقال لابن صوريا
اقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها ثم قام ابن سلام فقال يا رسول الله قد جاوزها ووضع كفه عليها ثم قام ابن
سلام فرفع كفه عنها وقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة تسأل عن البينة
فان كانوا عدولا ثم رجما وان كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجمهما
فغضبت اليهود لذلك غضبا شديدا ورجعوا كفارا فذلك قوله تعالى ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب معناه ألم تعلم يا
محمد بالذين أعطوا حظا من التوراة وقوله يدعون إلى كتاب الله قال ابن عباس هو التوراة دعي إليها اليهود فأبوا لعلمهم بلزوم
الحجة وان فيها البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم • وقال الحسن وقتادة أراد به القرآن فانهم دعوا إلى القرآن لموافقته التوراة
في أصول الديانة • وعن الضحاك في هذه الآية ان الله تعالى جعل القرآن حكما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القرآن
على اليهود والنصارى بانهم على غير الهدى فأعرضوا عنه • وقال قتادة هم اليهود دعوا إلى حكم القرآن واتباع محمد صلى الله عليه
وسلم فأعرضوا وهم يجدونه مكتوبا عندهم في كتبهم قوله تعالى ثم يتولى فريق منهم أي يعرض جماعة منهم عن الداعي وهم
معرضون أي عن العمل بالمدعو إليه وقيل معناه ثم يتولى فريق منهم بعد علمهم بأنها في التوراة وانما ذكر الاعراض بعد التولي
لأن الانسان قد يتعرض عن الداعي ويقابل ما دعاه إليه فيشطط أنه حق أو باطل وهم لم يتأملوا ولم يتفكروا فيما دعوا إليه
قوله عز وجل ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات أي حملهم على الاعراض قولهم لن تمسنا النار إلا
أياما معدودات يعنون لم نعذب إلا الأيام التي عبد آباؤهم فيها العجل قوله تعالى وغرهم في دينهم ما كانوا
يفترون أي غرهم افتراؤهم على الله انه لا يعذبهم إلا أياما معدودات وقيل غرهم افتراؤهم بقولهم نحن أبناء الله
وأحباؤه قوله عز وجل فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه أي كيف يحتالون وكيف يصنعون اذا جمعناهم
بعد الموت لجزاء يوم لا شك فيه قوله تعالى ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أي أعطيت كل نفس جزاء
أو جزاء ما عملت من خير وشر تاما وافيا وهم لا يظلمون أي لا ينقصون من حسناتهم ولا يزادون على سيئاتهم قال الضحاك عن
ابن عباس أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الأشهاد ثم يأمر بهم إلى
النار قوله عز وجل قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء
قال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الله تعالى أن ينزل الفاتحة وآية الكرسي وشهد الله
وقل اللهم مالك الملك تعلقن بالعرش وقلن تهبطنا دار الذنوب إلى من يعصيك فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا يقرؤكن
عبد عند دبر كل صلاة مكتوبة إلا أسكنته حظيرة القدس على ما كان منه وإلا نظرت إليه كل يوم سبعين نظرة وإلا قضيت
له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة وإلا أعذته من كل عدو ونصرته عليه ولا يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت وحكي
أنه قال ابن عباس لما افتتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة ووعد أمته ملك فارس والروم قال المنافقون واليهود هيهات
من أين لمحمد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع من ذلك ألم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع نفسه في ملك فارس والروم
وتعلق في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن اليهود قالوا لا نتبعك فان الملك والنبوة لم تزل في أسلافنا في بني إسرائيل فأنزل
الله هذه الآية قل يا محمد يا الله يا مالك الملك وانما زيدت الميم فيها بدلا عن الياء التي هي حرف النداء ألا ترى أنه لا يجوز في
الاختيار إدخال الميم لا يقال يا اللهم كما يقال في النداء يا الله اغفر وهذا لا يجوز الجمع بين الميم في آخره والنداء في أوله
لأنه لا يجوز الجمع بين العوض والمعوض وانما شددت الميم لأنها عوض عن حرفين فان النداء حرفان وهذا اختيار سيبويه
وقال الفراء أصله يا الله أم بخير أي اقصدنا بخير فطرحت حركة الهمزة على الميم قوله تعالى مالك الملك أي مالك كل
ملك هذه صفة لا يستحقها أحد غير الله وقيل معناه مالك أمر الدنيا والآخرة وقال مجاهد أراد بالملك هنا النبوة وقيل ان
هذا لا يصح لأنه قال وتنزع الملك والله تعالى لا ينزع النبوة من أحد لأنه لا يختار لأداء الرسالة إلا من يعلم أنه يؤدي
الرسالة على الوجه وأنه لا يغير ولا يبدل لأنه عالم بعواقب الأمور • ومعنى تؤتي الملك من تشاء أي تعطي الملك من تشاء
أن تعطيه • وقال الكلبي تؤتي الملك من تشاء يعني محمدا وأصحابه وتنزع الملك ممن تشاء أي من أبي جهل وأصحابه • وقيل

معناه تؤتي الملك من تشاء يعني العرب وتنزع الملك ممن تشاء يعني الروم والعجم وسائر الأمم • وقال بعضهم تؤتي الملك أي
العافية • قال صلى الله عليه وسلم من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا
بحذافيرها وقيل هو القناعة • وقال ابن المبارك دخلت على سفيان الثوري بمكة فوجدته مريضا شارب دواء وبه غم
شديد فسلمت عليه فقلت ما لك يا أبا عبد الله فقال أنا مريض شارب دواء وبي غم شديد فقلت أعندك بصل قال نعم
فقلت ائتني بها فلما أتي بها ثم فلقته ثم شممها فعطس عند ذلك فقال الحمد لله رب العالمين فسكن ما به فقال يا ابن المبارك
أنت فقيه وطبيب فقلت مجرب يا أبا عبد الله فلما رأيته سكن ما به وطابت نفسه قلت إني أريد أن أسألك حديثا قال
سل ما شئت قلت أخبرني من الناس قال الفقهاء قلت فمن الملوك قال الزهاد قلت فمن الأشراف قال الأتقياء قلت فمن
السفلة قال الظلمة ثم ودعته وخرجت • وقيل معنى تؤتي الملك من تشاء يعني ملك المعرفة كما أتى سحرة فرعون وتنزع
الملك ممن تشاء كما نزعه من إبليس وبلعام وقيل معناه ملك الجنة كما أتى المؤمنين قال الله تعالى ملكا كبيرا وتنزع
ممن تشاء كما نزعه من الكفار • وقيل المراد بالملك ملك النفس بالإيمان والطاعة وقيل هو تمام التدبير قال الشبلي هو الاستغناء
بالمكون عن الكونين قوله تعالى وتعز من تشاء أي تعطي العز من تشاء يعني المهاجرين والأنصار وتذل من تشاء يعني فارس
والروم • وقيل تعز من تشاء محمدا وأصحابه حتى دخلوا مكة في عشرة آلاف ظاهرين عليها وتذل من تشاء أبا جهل وأصحابه حتى
حزت رؤوسهم وألقوا في القليب • وقيل تعز من تشاء بالإيمان والهداية وتذل من تشاء بالكفر والضلالة • وقيل تعز من تشاء با
لطاعة وتذل من تشاء بالمعصية • وقيل تعز من تشاء بالتوفيق والمعرفة وتذل من تشاء بالحرمان والخذلان • وقيل تعز من تشاء بالملك
والتأييد وتذل من تشاء بسلب الملك وتسليط العدو عليه • وقيل تعز من تشاء بقهر النفس ومخالفة الهوى وتذل من تشاء
باتباع الهوى • وقيل تعز من تشاء بقهر الشيطان وتذل من تشاء بأن يقهره الشيطان • وقيل تعز من تشاء بالقناعة
وتذل من تشاء بالحرص والطمع قال بعضهم الحر عبد ما طمع • والعبد حر ما قنع • وقال الشافعي رضي الله عنه
ألا يا نفس إن ترضي بقوت • فأنت عزيزة أبدا غنية • وقال آخر أفادتني القناعة كل عز • وهل عز أعز من القناعة
فصيرها لنفسك رأس مال • وصير بعدها التقوى بضاعة • وقال بعضهم معناه تعز من تشاء بالإخلاص وتذل من تشاء
بالرياء • وقيل تعز من تشاء بالجنة والرؤية وتذل من تشاء بالنار والحجاب قوله عز وجل بيدك الخير إنك على
كل شيء قدير أي بيدك الخير والشر فاكتفى بذكر الخير لأنه الأفضل ولأنه انما قال ذلك على وجه الرغبة والرغبة انما تقع
في الخير لا في الشر وفي ذكر أحدهما ما يدل على الآخر كما قال تعالى سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد والمعنى تقيكم الحر والبرد
وقيل معنى الآية بيدك الخير أي بيدك النصر والفتح والغنى والغنيمة وغير ذلك من خير الدنيا والآخرة قوله تعالى إنك
على كل شيء قدير أي من الإعطاء والمنع والنزع والعز والذل قوله عز وجل تولج الليل في النهار وتولج النهار
في الليل أي تدخل من الليل في النهار حتى يصير النهار خمسة عشر ساعة وهو أطول ما يكون والليل تسع ساعات وتدخل
النهار في الليل حتى يصير الليل خمسة عشر ساعة وهو أطول ما يكون والنهار تسع ساعات فما نقص من أحدهما دخل في
الآخر وهذا قول أكثر المفسرين وقال بعضهم يذهب بالليل ويجيء بالنهار ويذهب بالنهار ويجيء بالليل قوله تعالى وتخرج
الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وابن جبير والسدي معناه تخرج الحيوان
من النطفة وهي ميتة وتخرج النطفة من الحيوان والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وقال بعضهم تخرج النخلة من
النواة والنواة من النخلة والسنبلة من الحبة والحبة من السنبلة وقيل معناه تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن
والعالم من الجاهل والجاهل من العالم دليله قوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه • وعن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم
دخل على بعض نسائه فإذا هو بامرأة حسنة الهيئة فقال من هذه قالت إحدى خالاتك قال لأي خالاتي هذه قالت هذه خالدة
بنت الأسود بن عبد يغوث فقال صلى الله عليه وسلم سبحان الذي يخرج الحي من الميت وكانت امرأة صالحة وكان أبوها كافرا
وقال أهل الإشارة معناه يخرج الحكمة من قلب الفاجر حتى لا تستقر فيه والسقطة من لسان العارف قوله تعالى وترزق
من تشاء بغير حساب أي بغير تقدير وقد تقدم تفسير ذلك قوله عز وجل لا يتخذ المؤمنون الكافرين

أولياء من دون المؤمنين قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه المنافقين كانوا يظهرون
الإيمان يتولون اليهود ويأتونهم بأخبار المؤمنين ويرجون أن تكون لهم الظفر على المؤمنين فأنزل الله هذه الآية
ينهى المؤمنين عن مثل فعلهم وينهى المنافقين أيضا أي إن كنتم مؤمنين وقال الضحاك عن ابن عباس نزلت
في عبادة بن الصامت وكان بدريا نقيبا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب
قال عبادة يا رسول الله إن معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رأيت أن يخرجوا معي فأستظهر بهم على العدو فأنزل الله هذه
الآية قوله تعالى ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء أي من تولاهم فنقل الأخبار إليهم وأظهرهم على عورة
المسلمين فليس من الله في دين الله في شيء وقال السدي فليس من أولياء الله في شيء فقد برئ الله منهم كما قال تعالى في آية أخرى
ومن يتولهم منكم فإنه منهم يعني أن ولي الكفار راض بكفرهم والرضى بالكفر كفر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا بريء
من كل مسلم مع مشرك قوله تعالى إلا أن تتقوا منهم تقاة أي إلا أن تحصل في أيدي الكفار تخاف على نفسك فتداريهم
بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان فهو مرخص له في ذلك كما روي أن مسيلمة الكذاب لعنه الله أخذ رجلين من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأحدهما أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم قال أتشهد أني رسول الله قال نعم وقال للآخر أتشهد
أن محمدا رسول الله قال أشهد قال أتشهد أني رسول الله قال إني أصم فأعاد عليه السؤال ثلاثا فأجاب في كل مرة بهذا
الجواب فضرب مسيلمة عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما المقتول فمضى على صدقه فهنيئا له وأما الآخر
فقبل رخصة الله ولا تبعة عليه فمعنى الآية إلا أن تخافوا منهم مخافة قرأ الحسن والضحاك ومجاهد تقية ويراعيه في
ماله وقرأ الباقون بالتفخيم وكل ذلك لغات ومعناها واحد قوله عز وجل ويحذركم الله نفسه أي
يخوفكم عقوبته ونقمته على موالاة الكفار وارتكاب المنهي عنه وقال الزجاج معناه يحذركم الله إياه وخاطب الله العباد
على قدر علمهم وعقولهم ومعنى قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك أي تعلم حقيقة ما عندي ولا أعلم حقيقة ما
عندك قوله تعالى وإلى الله المصير زيادة في الإبعاد وتذكير بالمعاد أي أن تعلموا ما نهيتكم عنه ثم رجعكم إلي
قوله عز وجل قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله أي قل إن تسروا ما في قلوبكم من التكذيب النبي
صلى الله عليه وسلم والعداوة للمؤمنين والمودة للكفار أو تظهروه بالشتم والطعن والحرب يعلمه الله تعالى فيجازيكم عليه وإنما
ذكر الصدر ومكان القلب لأنه مشتمل على القلب قوله تعالى ويعلم ما في السموات وما في الأرض أي لا يخفى عليه
من عمل أهل السموات والأرض فلا تعرضوا أنفسكم للإخفاء فإن الإخفاء والإبداء عنده سواء قوله تعالى والله على كل شيء
قدير أي على جزاء عمل السر والعلانية قادر قوله عز وجل يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
نصب يوم بنزع الخافض أي في يوم واختلفوا فيه أنه منصرف إلى قوله ويحذركم الله نفسه في يوم تجد وقيل بإضمار فعل أي اذكروا
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا أي حاضرا مكتوبا في ديوانهم لا ينقص فيه وقرأ عبيد بن عمير محضرا بكسر الضاد يعني
أن عمله يحضره الجنة قوله تعالى وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا أي ود الذي تمنى
أن يكون بينه وبين ذلك أجلا طويلا بعد ما بين المشرق والمغرب لأنه لم يعمل حمل بعضهم وما جرى في موضع النصب عمل فيه
الوجدان أي وتجد عملها وجعله بعضهم جزاء مستأنفا قوله عز وجل ويحذركم الله نفسه والله رؤوف
بالعباد أي رحيم بالمؤمنين خاصة هكذا قال ابن عباس وقيل إن أول هذه الآية عزل وأوسطها تهديد تخويف
وآخرها رأفة ورحمة قوله عز وجل قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله لما نزلت الآيات المتقدمة
قال اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه ونحن أشد حبا لله فأنزل الله هذه الآيات في أعدائه وأرادوا بقولهم إحسانه ومحبته وحبنا فأنزل
الله هذه الآية والمحبة في الحقيقة هي الإرادة وهو أن تريد نفع غيرك فتبلغ مرادك في نفعك إياه وأما العشق فهو إفراط
المحبة في هذا المعنى وأما محبة الطعام والملاذ فهو شهوة وتوقان النفس فأما محبة العباد لله عز وجل فالله سبحانه يستحيل
عليه المنافع ولا يصح أن يراد بمحبته هذه الطريقة لكن يراد بها إعظامه وإجلاله وطاعته ومحبة رسله وأوليائه
ومحبة الله إياهم على طاعتهم إنعامه عليهم وثناؤه عليهم ومغفرته لهم ومعنى الآية إن كنتم تحبون طاعة الله

والرضا بشرائعه فاتبعوني على دين يحببكم الله حبا ويغفر لكم ذنوبكم في اليهودية والله غفور رحيم وروى الضحاك
عن ابن عباس قال وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا
في آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم فقالت قريش إنما نعبد هذه حبا
لله ليقربونا إلى الله زلفى فأنزل الله هذه الآية قل لهم يا محمد إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فأنا رسول الله إليكم
وحجته عليكم وأنا أولى بالتعظيم من أصنامكم فلما نزلت هذه الآية عرضها عليهم فلم يقبلوا وقيل لما نزلت هذه الآية عرضها رسول الله
صلى الله عليه وسلم على اليهود فقال عبد الله بن أبي سلول إن محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحب النصارى عيسى
فأنزل الله تعالى قوله عز وجل قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين أي فإن لم يقبلوا ما تدعو
إليهم من اتباعك وطاعة أمرك فإن الله لا يحب الكافرين أي لا يغفر لهم ولا يثني عليهم فلما نزلت هذه الآية قالت اليهود نحن أبناء إبراهيم
وإسحق ويعقوب ونحن على دينهم فأنزل الله قوله تعالى إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين
معناه إن الله اصطفاهم بالإسلام وأن آدم كان لم يتبع أديان المشركين كذلك سائر الأنبياء عليهم السلام لا يتبعون هم وصفوة الله
هم الذين لا دين فيهم بوجه من الوجوه لا في الاعتقاد ولا في الفعل والاصطفاء هو الاختيار والصفوة هو الخالص من كل شيء
فمعنى اصطفى آدم أي اختاره واستخلصه واختلفوا في آل عمران في هذه الآية فقيل أراد بهم موسى وهرون وقيل أراد مريم
عليها السلام قوله تعالى ذرية بعضها من بعض انتصب على البدل وقيل على التكرار واصطفى ذرية بعضها من بعض
وقيل على الحال أي اصطفاهم حال كون بعضهم من بعض والله سميع عليم أي سميع لقولهم عليم بهم ومجازاتهم قوله عز وجل
إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم قال أبو عبيدة إذ زائدة
في الكلام وكذلك في سائر القرآن وقال جماعة من النحويين معناه واذكر إذ قالت وكان اسم امرأة عمران حنة وهي أم مريم وكان
لها ابنتان إحداهما أشاع وعمران بن ماثان بينه وبين عمران أبي موسى ألف وثمانمائة سنة قوله تعالى رب إني نذرت لك
ما في بطني محررا أي أوجبت لك على نفسي أن أجعله عتيقا لخدمة البيت المقدس وكانوا يحررون أولادهم أي يعتقونها عن أشغال
الدنيا يجعلون الولد خالصا لله لا يستعملون في منافعهم ولم يكن يحرر إلا الذكر وكان المحررون في كنائس الله يتعهدونه
ويكنسونه فإذا بلغ خير فإن أحب أقام في البيت وإن أحب ذهب ومحررا نصب على الحال قوله تعالى فتقبل مني
أي تقبل مني نذري وإخلاصي إنك أنت السميع العليم قوله عز وجل فلما وضعتها قالت رب إني
وضعتها أنثى وذلك أنها كانت ترجو وتقدر أن ما في بطنها ذكر فلما ولدت أنثى توهمت أن لا تقبل منها فقالت رب
إني وضعتها أنثى وكان هذا القول منها على وجه الاعتذار لأن سعي الأنثى أضعف وعقلها أنقص وكانوا لا يحررون النساء
لخدمة البيت لما يحصل لهن من الحيض والنفاس قوله تعالى وليس الذكر كالأنثى هو من قول المرأة معناه ليس
الذكر كالأنثى في خدمة البيت لأن الأنثى عورة ولا تصلح لما يصلح له الذكر قوله تعالى وإني سميتها مريم أي خادم
الرب بلغتهم قوله تعالى وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم أي إني أمنعها وولدها بك لكي لا
لها ولدها من الشيطان بالمرجوم وهو المطرود من رحمة الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من مولود
إلا وللشيطان طعنة في جنبه حين يولد فيستهل صارخا من الشيطان إلا مريم وابنها عليهما السلام اقرءوا إن شئتم وإني
أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم قرأ علي والنخعي وابن عامر وضعت بضم التاء قوله عز وجل فتقبلها ربها
بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا أي استجاب الله دعاء حنة وقيل تقبلها وجعل مريم صومعة قوامة وربها بها خير تربية
حسنة قوله تعالى وكفلها زكرياء أي ضمها للقيام بأمرها وقال صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم كهاتين
وأشار بإصبعيه وكان عمران قد مات وحنة حاملة بمريم قرأ الحسن ومجاهد وابن كثير وشيبة ونافع وعاصم وأبو بكر
وابن عامر وكفلها مخففا وزكرياء في موضع رفع أي ضمها إلى نفسه وتصديقه هذه القراءة قوله تعالى أيهم يكفل مريم وروي
عن ابن كثير وكفلها زكرياء بكسر الفاء أي ضمها وقرأ الباقون وكفلها بالتشديد وزكرياء بالنصب أي ضمها الله زكرياء فضمها
زكرياء إليه بالقرعة وفي مصحف أبي وأكفلها بالألف وكان زكرياء وعمران تزوجا أختين فكانت أشاع بنت فاقوذا

أخرجتها عند زكرياء وكانت حنة بنت فاقوذا عند عمران • قال المفسرون فلما وضعت حنة مريم لفتها في خرقة وحملتها
الى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون عليه السلام وهم يلون من بيت المقدس ما يلي الحجبة من الكعبة فقالت لهم دونكم هذه
النذيرة فتنافس فيها الأحبار لأنها كانت بنت امامهم فقال لهم زكرياء انا احقكم بها لان خالتها عندي فقالت له الأحبار
لا تفعل فانها لو تركت لأحق الناس بها لتركت لامها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا وكانوا تسعة
وعشرين رجلا الى نهر • قال السدى هو نهر الأردن وقيل نهر سلوان وقالوا نطرح أقلامنا فيه فمن صعد قلمه فهو
أحق بها ومن سفل قلمه فلا شيء له فصوتوا الاقلام التي يكتبون بها كتاب الله تعالى فالقوها في الماء فارتفع قلم زكرياء
فوق الماء وانحدرت أقلامهم فرسبت • قال السدى ثبت قلم زكرياء وقام على الماء كأنه في طين وجرت أقلامهم مع جرية الماء
فذلك قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم فضمها زكرياء الى نفسه وبنى لها بيتا واسترضع لها وقال ابن اسحق
ضمها الى خالتها أم يحيى عليه السلام حتى اذا نشأت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه في وسطه لا يرقى اليها
الا بسلم مثل باب الكعبة ولا يصعد غيره اليها وكان زكرياء يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم وكان اذا دخل عليها وجد عندها رزقا
أي فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيقول لها يا مريم أنى لك هذا فانه لا يدخل عليك غيري
فتقول هو من عند الله أي من قطف الجنة أتاني به جبريل عليه السلام • وقال الحسن كان يجد عندها فوتها ولم ترضع ثديا قط
كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول لها زكرياء أنى لك هذا قالت هو من عند الله قال الحسن تكلمت وهي صغيرة في المهد
والمحراب في اللغة هو الموضع العالي المقدم الشريف ومن ذلك سمي محراب المسجد لانه موضع محاربة الشيطان وقيل المحراب
هو المسجد نفسه وكانت مساجدهم تسمى المحاريب كما قال تعالى اذ تسوروا المحراب وقوله تعالى **والله يرزق من يشاء
بغير حساب** قد تقدم تفسيره قوله عز وجل **هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة
انك سميع الدعاء** أي عند ما رأى زكريا أمر الله في مريم طمع أن الذي أتى مريم بالفاكهة في الشتاء يصلح عقر زوجته فدعا
عند ذلك وقال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة أي ولدا صالحا والذرية تكون واحدا وجمعا ذكرا وأنثى وههنا
واحد بدليل قوله فهب لي من لدنك وليا ولم يقل أولياء وانما أنث طيبة لانه على لفظ ذرية كما قال الشاعر
أبوك خليفة ولدته أخرى • وأنت خليفة ذاك الكمال • فأنث ولدته لتأنيث الخليفة قوله تعالى انك سميع الدعاء أي
سامع الدعاء ومجيبه ومنه قولهم سمع الله لمن حمده أي أجاب والمعنى دعوت الله حتى خفت ان لا يكون الله يسمع ما أقول
أي يجيب قوله عز وجل **فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى** قرأ الأعمش
وحمزة والكسائي فناديه بالياء وقرأ الباقون فنادته وإذا تقدم الفعل فانت فيه بالخيار ان شئت أنثت وان شئت ذكرت
ومعنى الآية ناداه جبريل عليه السلام وهو قائم يصلي في المسجد ان الله يبشرك بولد اسمه يحيى والمراد بالملائكة ههنا جبريل وحده
ونظيره قوله تعالى واذ قالت الملائكة يا مريم يعني جبريل وحده وقوله في النحل ينزل الملائكة بالروح يعني جبريل وحده بالروح
أي بالوحي يدل عليه قراءة ابن مسعود فناداه جبريل وهو قائم يصلي في المحراب قوله تعالى ان الله يبشرك قرأ ابن عامر والأعمش
وحمزة ان الله بكسر الألف على اضمار القول تقديره فنادته الملائكة فقالت ان الله يبشرك لان النداء قول • وقرأ الباقون
بالفتح بوقوع النداء عليه كأنه قال فنادته الملائكة بان الله قوله تعالى يبشرك قرأ حمزة والكسائي يبشرك بفتح الياء وجزم
الباء وضم الشين • وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الباء وتشديد الشين وكسرها قوله تعالى **مصدقا بكلمة
من الله** انتصب على الحال وقوله بكلمة من الله يعني عيسى عليه السلام يعني ان يحيى مصدقا بعيسى وكان يحيى أول من صدق
بعيسى وشهد انه كلمة الله وروحه وكان يحيى أكبر من عيسى بثلث سنين وقيل بستة أشهر واختلفوا في تسمية يحيى بهذا
الاسم فقال ابن عباس لان الله تعالى أحيا به عقر أمه وقال قتادة لان الله أحيا قلبه بالايمان وقيل بالنبوة وقيل
ان الله تعالى أحيا قلبه بالطاعة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يلقى الله
عز وجل الا وقد أذنب خطيئة او عملها الا يحيى بن زكرياء فانه لم يهم بها ولم يعملها • وقال بعضهم سمي بذلك لانه استشهد
والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون • وقال النبي صلى الله عليه وسلم من هوان الدنيا على الله ان يحيى قتلته امرأة • وقيل
يحيى بمعنى يموت ... قوله تعالى بكلمة من الله انما سمي عيسى كلمة لان الله تعالى قال كن من غير اب فكان فوقع

عليه اسم الكلمة قوله تعالى **وسيدا وحصورا** السيد في اللغة وفي الحقيقة من تلزم طاعته ويجتمع على الناس
لانه قد رئيس في العلم والحلم والعبادة والتقى • وقال الضحاك السيد الحسن الخلق • وقال ابن جبير السيد الذي يطيع ربه عز وجل
وقال ابن المسيب السيد الفقيه العالم • وقال سفيان هو الذي لا يحسد • وقال عكرمة هو الذي لا يغضب • وقال ذو النون الخروج
من الدنيا رئيس • وقال الخليل السيد أي مطاعا • وقيل السيد القانع بما قسم الله • وقيل هو الراضي بقضاء الله • وقيل المتوكل على الله • وقال أبو
يزيد البسطامي السيد هو الذي قد عظمت همته • وقيل قدره ان تحدث نفسه بدار الدنيا • وقيل هو السخي لان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من سيدكم يا بني سلمة قالوا الجد بن قيس الا انه بخيل قال أي داء أدوأ من البخل بل سيدكم عمرو بن الجموح قوله **وحصورا**
الحصور هو الذي لا يأتي النساء وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وابن جبير وقتادة وعطاء والسدى والحسن يعني انه
يحصر نفسه من الشهوات • وقال ابن المسيب والضحاك هو العنين الذي ماله ذكر قوي ويدل على هذا التأويل ما روى أبو
هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه يعذبه به عليه ان شاء او يرحمه الا
يحيى بن زكرياء فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم أهوى النبي صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الأرض فأخذها
وقال كان ذكره مثل هذه القذاة • وقال المبرد الحصور الذي لا يدخل في اللعب والعبث ولا بالباطل وسمي كاتم
السر حصورا لانه الذي لا يدخل مع الناس في الميسر حصورا لامتناعه من ذلك واصل من الحصر وهو الحبس يقال حصرت الرجل
عن حاجته اذا حبسته وحصرته امرأته اذا منعته من الغزاة فلم يقدر عليها ومنه احصار العدو وقال الله تعالى وجعلنا
جهنم للكافرين حصيرا أي محبسا وسمي الحصير حصيرا لانه داخل بعضه في بعض بالنسج وحبس بعضه على بعض وأولى ما قيل
في التفسير قوله تعالى وحصورا هو الذي لا يأتي النساء فحبس نفسه عن ذلك اختيارا فهذا أولى لان من قال بعضهم
انه لم يكن له ما يأتي به فهذا من اضافة عيب النقص اليه قوله عز وجل **قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني
الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء** معناه قال زكرياء لجبريل حين سمع البشارة يا سيدي كيف
يكون لي غلام وقد أدركني الهرم وامرأتي ذات عقر لا تلد قال له جبريل مثل ذلك يفعل الله ما يشاء أي الذي يشاء • وقال
بعضهم أراد زكرياء انما الرب الله عز وجل أي قال يا رب كيف يكون لي غلام • وقال الكلبي كان زكرياء يوم بشر بالولد ابن
تسعين سنة • وقيل ابن تسع وتسعين سنة وروى الضحاك عن ابن عباس انه كان ابن مائة وعشرين سنة • وكانت امرأته بنت ثمان
وتسعين سنة فذلك قوله تعالى حاكيا عنه وامرأتي عاقر أي عقيم لا تلد يقال رجل عاقر وامرأة عاقر وقد عقر يعقر
عقرا وعقر يعقر عقارا ولا يقال في الرجل الا عاقر ولا يقال للمرأة الا عاقر لاختصاصها بهذه الصفة كما يقال امرأة مرضع قوله تعالى حاكيا عن زكرياء وقد بلغني الكبر هذا من المقلوب أي وقد بلغت الكبر
فان قيل هل يجوز ان يقول الانسان بلغني البلد كما يقال بلغت البلد قيل لا يجوز ذلك فقوله بلغني الكبر بمعنى بلغت الكبر
والفرق بينهما ان الكبر طالب للانسان لانه يأتيه عليه بخلق الله فيه والانسان كالطالب للكبر ليبلغه بمرور السنين والأعوام
عليه واما البلد فلا يكون طالبا للانسان كما يكون الانسان طالبا للبلد • فان قيل كيف قال زكرياء أنى يكون لي غلام فاستبعد
ان يعطيه الله ولدا على كبر السن من امرأة عاقر بعد ما بشرته الملائكة قيل لم يكن هذا القول منه على جهة الاستبعاد ولكن من شأن
من بشر بما يتمناه ان يحمله فرط السرور به على الزيادة في الاستكشاف والاستثبات كما يقول الانسان اذا رأى شيئا من الامور العظيمة
كيف كان هذا على جهة الاستعظام لقدرة الله تعالى لا الشك في القدرة • وقيل معناه على أي حال يكون الولد أيردني الله
وامرأتي الى حال الشباب ام على هذه الحالة وقيل معناه أين يهب الله الولد من امرأتي هذه أو من امرأة غيرها شابة فقيل له كذلك
يفعل الله ما يشاء أي كاثمار النخلة اليابسة يفعل الله ما يشاء قوله عز وجل **قال رب اجعل لي آية قال آيتك
ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا** أي قال زكرياء يا رب اجعل لي علامة اذا حملت امرأتي عرفت ذلك بها اراد بهذا
السؤال تعجيل السرور وقيل التطوع بالولادة قال علامة ذلك ان لا تطيق الكلام مع أحد من الناس ثلاثة أيام من غير خرس
الا رمزا أي الا اشارة بالعين والحاجب او اليدين وقيل الرمز تحريك الشفتين باللفظ من غير ابانة صوت فذلك علامة حدوث
الحمل بامرأتك قوله تعالى **واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار** أي اذكر ربك كثيرا في هذه الأيام

الثلثة وسبح بالعشي والإبكار أي صلّ غدوة وعشيا كما كنت تصلي من قبل وقوله تعالى فرغت من تسبيحي أي من صلاتي وسمي الصلوة تسبيحا لما
فيها من التوحيد والتمجيد والتنزيه من كل سوء وقيل أراد بالتسبيح التسبيح المعروف فيما بين الناس وفي الإبكار الأخص من الفتح
الميم مصدر أبكر إذا طلع الصبح قوله عز وجل وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على
نساء العالمين معطوف على إذ قالت امرأة عمران والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام على ما تقدم ومعنى إن الله اصطفاك أي
اختارك لطاعته وعبادته وطهرك من الكفر بالإيمان والطاعات كما قال تعالى ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا
أراد طهارة بالإيمان والطاعات وقيل معناه وطهرك من الأدناس كلها من الحيض والنفاس وغير ذلك قوله تعالى واصطفاك على
نساء العالمين أي اختارك على نساء عالمي زمانك بولادة عيسى من غير أب وقيل معنى الآية وطهرك من مسيس الرجال فإن قيل
كيف يجوز ظهور الملائكة لمريم وذلك معجزة ولا يجوز ظهورها على غير نبي ومريم لم تكن نبية قيل إنها وإن لم تكن نبية فإن ذلك
في وقت زكريا عليه السلام ويجوز ظهور المعجزات في زمن عيسى كما أنشئت وتظليل الغمام وكلام الذئب [illegible] لنبوة نبينا
صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل يا مريم اقنتي لربك أي أخلصي لعبادة ربك وقيل أديمي الطاعة لربك
وقيل أطيلي القيام في الصلوة وقيل معنى قوله تعالى اركعي مع الراكعين أي صلي مع الجماعة في بيت المقدس وكانت
تخدم المسجد وفي الآية دليل على أن الواو لا يوجب الترتيب لأن الركوع مقدم على السجود في المعنى وقد تقدم السجود
وهو مؤخر في اللفظ قوله عز وجل ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم
أيهم يكفل مريم أي ذلك ما قصصنا عليك يا محمد من أمر زكريا ويحيى ومريم وعيسى من أخبار ما غاب عنك برسل جبريل
به إليك وما كنت عندهم يا محمد إذ يطرحون أقلامهم في النهر يعني مريم للقيام بأمرها وما كنت عندهم إذ يختصمون
في أمرها للتربية قوله عز وجل إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن
مريم أي اذكر إذ قالت الملائكة يعني جبريل يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه يعني عيسى عليه السلام سماه كلمة لأنه
كان بكلمة من الله ألقاها إلى مريم ولم يكن بوالد قوله تعالى اسمه المسيح إنما ذكر بلفظ التذكير لأن معنى الكلمة الولد ولذلك
لم يقل اسمها واختلفوا في تسميته مسيحا قال ابن عباس المسيح الممسوح بالبركة والمسيح فعيل بمعنى مفعول وقال بعضهم سمي مسيحا
بمعنى الماسح كان يمسح ذوي العلل فيبرؤن وقيل لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها وقيل لأنه خرج من بطن أمه
ممسوحا بالدهن وقيل مسحه جبريل بجناحه من الشيطان حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل وقال الكلبي المسيح الملك الذي
لا حاجة له إلى أحد من المخلوقين روي عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه كان يقول الشمس صلائي والقمر سراجي [illegible]
طعامي أبيت حيث تدركني الليل ليس لي ولد يموت ولا دار تخرب ولا مال يسرق أصبح ولا غداء لي وأمسي ولا عشاء لي وأنا من أغنى
الناس قوله تعالى وجيها في الدنيا والآخرة أي ذا قدر ومنزلة في الدنيا عند أهلها وفي الآخرة عند ربه
والوجيه الذي له قدر [illegible] قوله تعالى ومن المقربين أي ومن المقربين إلى ثواب الله في جنة عدن
وهي الدرجة العليا والمقرب إلى الله المتقرب إلى ثوابه قوله تعالى ويكلم الناس في المهد أي في حجر الرضاع قال
مجاهد قالت مريم كنت إذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحدثته فإذا شغلني إنسان سبح في بطني وأنا أسمع قوله تعالى وكهلا
أي ويكلم الناس بعدما دخل في السن يعني قبل أن يرفع إلى السماء وقال الحسن وكهلا أي بعد نزوله من السماء قوله تعالى
ومن الصالحين أي ومن المرسلين وقال الكلبي أراد بالمهد الحجر وذلك أنهم لما قالوا لها يا مريم لقد جئت شيئا فريا كلمهم وهو
في حجرها فقال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا الآية وكان يومئذ ابن أربعين يوما فإن قيل الكلام في حال
كونه في المهد من الحين يعجب الناس منه وأما الكلام في الكهولة فليس بعجب فكيف ذكر الله تعالى ذكر الكلام في الكهولة بشارة لمريم
في أن عيسى يعيش إلى حد الكهولة وقيل كلمه في المهد براءة أمه مما رماها به اليهود وكلمه في الكهولة إبطال لما ادعاه النصارى
من كونه إلها لأنه كان طفلا ثم صار كهلا ومن يكون بهذه الصفة لا يكون إلها والكهل في اللغة من خالط خط الشباب ولم يبلغ
حد الشيخوخة يقال اكتهل النبات إذا قوي واشتد وقيل الكهل هو الذي يكون ابن أربع وثلثين سنة قوله عز وجل قالت
رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر أي ولم يصبني رجل بالنكاح ولا بالسفاح وكان هذا القول منها

علي

على جهة الاستعظام لقدرة الله لا على وجه الاستبعاد كما تقدم ذكره قال الله تعالى كذلك الله يخلق ما يشاء أي
يكون لك ولد من غير بشر قوله تعالى إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون أي إذا أراد خلق ما يشاء وحكم بكون
شيء فإنما يقول له كن فيكون كما أراده الله وهذا إخبار عن سرعة كون مراد الله عز وجل لأنه لا يكون في وهم العباد شيء أسرع
من كن وإنما ذكره بلفظ الأمر لأنه أدل على القدرة ونصب بعض القراء فيكون على جواب الأمر بالفاء ورفعه الباقون على إضمار
هو أي فهو يكون قوله تعالى ويعلمه الكتاب والحكمة قرأ نافع ومجاهد والحسن وعاصم بالياء لقوله تعالى كذلك
الله يخلق ما يشاء وقال المبرد هو مردود على قوله إن الله يبشرك وقرأ الباقون بالنون على التعظيم وردا على قوله نوحيه إليك
قوله تعالى ويعلمه الكتاب أي الخط وقيل الزبور وغيره من الكتب سوى التوراة والإنجيل قوله تعالى والحكمة أي الفقه
وهي فهم المعاني قوله تعالى والتوراة والإنجيل قيل علمه الله التوراة في بطن أمه والإنجيل بعد خروجه قوله تعالى
ورسولا إلى بني إسرائيل أي ونجعله بعد الثلثين سنة رسولا إلى بني إسرائيل بأني قد جئتكم بعلامة من ربكم لنبوتي
وقيل رسولا عطفا على وجيها وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف عليه السلام وآخرهم عيسى عليه السلام قوله تعالى
أني أخلق من الطين كهيئة الطير قرأ نافع إني بالكسر على الاستيناف وإضمار القول وقرأ الباقون بالفتح ومعنى الآية أني أقدر
لكم من الطين صورة كشبه الطير فأنفخ في الطين كنفخ النائم فيصير طيرا يطير بين السماء والأرض بإذن الله عز وجل وقرأ طائرا
لأن هذا أحسن لأن الطائر يراد به [illegible] قرأ الزهري وأبو جعفر كهيّة بالتشديد وقرأ الآخرون بالهمز والهيئة الصورة
المهيأة من قولهم هيأت الشيء إذا أصلحته وقرأ أبو جعفر هيئة الطائر بالألف قوله تعالى فيكون طيرا قرأ عامة القراء
طيرا على الجمع لأنه خلق طيرا كثيرا وقرأ أهل المدينة طائرا بالألف على الواحد ذهبوا إلى نوع واحد من الطير لأنه لم يخلق
إلا الخفاش وإنما خص الخفاش لأنه أكمل الطير خلقا ليكون أبلغ في القدرة لأن لها ثديا وأسنانا وهي تحيض وهو يطير ما دام
الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ولأنه يطير بغير ريش ويلد ولا يبيض روي أنهم لما قالوا لعيسى اخلق لنا خفاشا
[illegible] لأجل أنها أعجب الطيور بهذه الأشياء التي ذكرناها قبل فقالوا له اخلق لنا خفاشا فأخذ طينا ونفخ فيه فإذا هو خفاش
يطير بين السماء والأرض فقالوا هذا سحر فقال أنا أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله تعالى الأكمه والأبرص
[illegible] الأطباء فذهبوا إلى جالينوس وأخبروه بذلك فقال إن الذي ولد أعمى لا يبصر بالعلاج والأبرص الذي لو غرز
ثم يخرج منه الدم لا يبرأ بالعلاج وإن كان يحيي الموتى فهو نبي فجاؤوا بالأكمه والأبرص فمسح عليهما فبرئا فقالوا هذا سحر فإن كنت صادقا
فأحيي الموتى فأحيا العازر وكان صديقا له فأرسلت أخته إلى عيسى إن أخاك العازر مات فأتاه وكان بينهما
مسيرة ثلثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد دفن منذ ثلثة أيام فقام على قبره وقال اللهم رب السموات السبع والأرضين
السبع أحيي العازر فقام العازر من قبره وودكه يقطر فخرج وبقي مدة وولد له وأحيا ابن العجوز مر به وهو على سرير يحمل
على أعناق الرجال إلى المقابر فدعا الله تعالى أن يحييه فجلس على سريره ونزل عن أعناق القوم ولبس ثيابه وحمل السرير على
عنقه ورجع إلى أهله فبقي مدة وولد له وأحيا ابنة العاشر بعد موتها بليلة فعاشت مدة وولدت فقالوا إنك تحيي من كان
موته قريبا ولعلهم لم يموتوا فأحيي لنا سام بن نوح فقال دلوني على قبره فدلوه فدعا الله تعالى أن يحييه فخرج من قبره فقال
له عيسى عليه السلام من أنت قال أنا سام بن نوح قال أنا عيسى روح الله وكلمته قال كيف شبت يا سام ولم يكن في زمانكم
شيب قال سمعت صوتا يقول أجب روح الله فظننت أن القيامة قد قامت فشاب رأسي من هول ذلك وكان سام قد عاش
خمسمائة سنة ومات وهو شاب فقال له عيسى عليه السلام أتحب أن أسأل الله حتى يعيشك معنا قال لا قال ولم قال لأن مرارة
الموت لم تذهب من حلقي إلى الآن وكان له من يوم مات أكثر من أربعة آلاف سنة ثم مات مكانه وآمن بعيسى بعضهم وكذبه
بعضهم وقالوا هذا سحر فأخبرنا بما أكلنا وادخرنا فكان يقول يا فلان أنت أكلت كذا وادخرت كذا وأنت يا فلان أكلت
كذا وادخرت كذا فذلك قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم أي بما تأكلونه وما ترفعونه في بيوتكم حتى تأكلوه
قوله تعالى وأبرئ الأكمه اختلفوا في الأكمه قال مجاهد والضحاك هو الذي يبصر بالنهار دون الليل وقال ابن
عباس وقتادة هو الذي ولد أعمى ولم يبصر شيئا قط وقال الحسن والسدي هو الأعمى المعروف والأبرص هو الذي

به وصح وبا دوهب فربما اجتمع على عيسى عليه السلام في اليوم الواحد خمسون ألفاً من أطاق منهم أن يبلغه بلغه ومن لم يطق
أتاه عيسى يمشي إليه وإنما كان يداويهم بالدعاء على شرط الإيمان قال الكلبي كان عيسى يحيي الموتى بيا حي يا قيوم قوله
تعالى ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون﴾ أي أخبركم بما تأكلون غدوة وعشية وما ترفعون من غداء
العشاء ومن عشاء الغداء وقرأ مجاهد وما تذخرون بذال معجمة ساكنة وفتح الخاء قال السدي كان عيسى إذا كان في
الصبيان مع المعلم يحدث الصبيان بما يصنع آباؤهم ويقول انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا وهم يأكلون الساعة كذا
فينطلق الصبي إلى أهله وهو يبكي ويطلب منهم ذلك الشيء حتى يعطوه إياه فيقولون له من أخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا
أولادهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هاهنا قال فما في هذا البيت قالوا
خنازير قال عيسى كذلك يكونون إن شاء الله ففتحوا عنهم فإذا هم خنازير بأجمعهم فهموا بعيسى أن يقتلوه فلما خافت عليه أمه
حملته على حمار لها وخرجت به هاربة إلى مصر قوله عز وجل ﴿إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ أي
إن فيما ذكرت لكم لعلامة لكم في نبوتي إن كنتم مصدقين بالله عز وجل قوله عز وجل ﴿ومصدقا لما بين يدي
من التوراة﴾ معناه وجئتكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة أي آمنت بالتوراة وأحكامها وصدقتها وقيل عيسى
بالتصديقات في التوراة البشارة بي فإذا خرجت فقد صدقت ذلك ولا يجوز أن يكون ومصدقا عطفا على رسولا لأنه لو
كان كذلك لقال ومصدقا لما بين يديه قوله تعالى ﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾ لأنه كان في التوراة
أشياء محرمة حلل عيسى بعضها وهو العمل في يوم السبت وشحوم البقر والغنم وسائر ما حرم عليهم بظلمهم وقيل معناه ولأحل
لكم الكل الذي حرم عليكم أحباركم مما حرمه أنبياؤكم ويكون البعض بمعنى الكل واستدل لصاحب هذا القول بقول لبيد
تراك أمكنة إذا لم أرضها ۞ أو يعتلق بعض النفوس حمامها ۞ قيل معناه كل النفوس وقال الزجاج لا يجوز أن يكون البعض
عبارة عن الكل لأن بعض الشيء جزء منه وقال معنى قول لبيد أو يعتلق حمامها أن نفسه بعض النفوس وقرأ النخعي ولأحل لكم بعض الذي
حرم عليكم أي صار حراما قوله عز وجل ﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ أي لم أحل لكم شيئا مما حرم عليكم من غير برهان
بل أتيتكم بعلامة نبوتي قوله تعالى ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ أي اتقوا الله فيما أمركم ونهاكم وأطيعوني فيما أمرته
لكم ﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه﴾ أي قال لهم عيسى إن الله خالقي وخالقكم فوحدوه ﴿هذا صراط مستقيم﴾ أي
هذا الذي أدعوكم إليه طريق في الدين لا عوج له من سلكه أداه إلى الحق قوله عز وجل ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر﴾ أي
لما وجد عيسى وقيل لما علم منهم الكفر والقصد إلى قتله ﴿قال من أنصاري إلى الله﴾ أي من أعواني مع الله وقيل معناه من
أنصاري في سبيل الله وقيل من أنصاري لله ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ أي قال المخلصون من أصحابه في النصح والتصديق
نحن أعوان دين الله معك ﴿آمنا بالله﴾ أي صدقنا بتوحيد الله ﴿واشهد﴾ يا عيسى ﴿بأنا مسلمون﴾ والحواريون هم العلم
من جهة الخاصة واختلف المفسرون في الحواريين قال بعضهم هم المخلصون الخواص كما قال صلى الله عليه وسلم الزبير ابن
عمتي وحواريي من أمتي أي هو من خواص أمتي وكان الحواريون لعيسى اثني عشر رجلا من أصحابه كما كان العشرة من أصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم سموا الحواريون من الحور وهو الخلوص يقال عين حوراء إذا اشتد بياض بياضها وخلص واشتد سواد
سوادها والخلوص منه يقال للدقيق حواري للذي لم يبق فيه لبابه وقال بعضهم سموا حواريين من الحور وهو البياض
لأنهم اختلفوا في بياضهم قيل كانوا قصارين يبيضون الثياب فمر بهم عيسى عليه السلام فقال لهم أدلكم على تطهير أنفع من
هذا قالوا نعم قال تعالوا حتى نطهر أنفسنا من الذنوب فبايعوه على ذلك وقيل كانوا بيض الثياب وقيل كانوا
بيض القلوب من الفساد وقال بعضهم كانوا صيادين قال لهم عيسى عليه السلام ألا أدلكم على اصطياد أنفع من هذا قالوا بلى
قال تعالوا حتى نصطاد الناس من شرك إبليس فبايعوه كلهم ذهبوا في هذا إلى اشتقاقه من الحور الذي هو الرجوع ومنه سمي
المحور لأنه راجع إلى المكان الذي زال منه وقيل لأنه يدور ثم ينصقل حتى يبيض والمحور عود الخباز وقيل المحور الذي
تدور عليه البكرة وربما كان من حديد وأما ما روي في الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور فمعناه من الرجوع والخروج
من الجماعة بعد أن كنا فيها يقال كار عمامته إذا لفها على رأسه وحارها إذا نقضها وقال مصعب الحواريون

عيسى عليه السلام وهم اثنا عشر رجلا وكانوا إذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده إلى الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج
لكل إنسان رغيفين فيأكلهما فإذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب بيده الأرض فيخرج الماء فيشربون فقالوا يا روح
الله من أفضل منا إذا شئنا أطعمتنا وإذا شئنا سقيتنا وآمنا بك واتبعناك قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال
فصاروا يغسلون الثياب بالكراء وقال ابن المبارك سموا حواريين لأنهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونورها وحسنها
وقال النضر بن شميل الحواري خاصة الرجل الذي يستعين به فيما ينوبه وعن قتادة قال الحواري الوزير قوله عز وجل
﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾ أي مع المصدقين لأنبيائك الذين شهدوا
بصدق الأنبياء من قبلنا وقال عطاء معناه فاكتبنا مع الشاهدين مع النبيين قال ابن عباس معناه مع محمد وأمته قوله عز
وجل ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ يعني مكر الكفار الذين لم يؤمنوا بعيسى حين قصدوا قتل عيسى عليه السلام
والمكر هو الاحتيال في تدبير الشر وقوله تعالى ومكر الله أي جازاهم الله على ما تعمدوا لأن الجزاء على المكر يسمى مكرا كما في الجزاء على
السيئة والاستهزاء قوله تعالى ﴿والله خير الماكرين﴾ أي هو أفضل الصانعين حين جازى الكفار على صنيعهم وخلص الممكور به
وذلك أن عيسى عليه السلام بعد إخراج قومه إياه وأمه من بين أظهرهم عاد إليهم مع الحواريين ودعاهم إلى الإسلام فهموا
بقتله وتواطؤوا عليه وذلك مكرهم فلما أجمعوا على قتله هرب منهم إلى بيت فدخله فرفعه جبريل من الكوة إلى السماء فقال
ملك اليهود لرجل خبيث منهم يقال له ططيانوس ادخل عليه البيت فاقتله فدخل فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام فلما لم
يجد عيسى خرج فوقع عليه شبه عيسى فظنوا أنه عيسى فقتلوه وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن
صاحبنا فإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى وإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا فوقع بينهم قتال فقتل بعضهم بعضا وقال وهب
لما طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا الخشبة ليقتلوه أظلمت عليهم الأرض فصلبوا رجلا منهم يقال له يهوذا وهو الذي دلهم على عيسى
عليه السلام وهو الذي دلهم عليه وذلك أن عيسى جمع الحواريين في تلك الليلة ثم قال ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك
ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين إلى اليهود وقال لهم ما تجعلون لي إن دللتكم
على عيسى فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه فألقي عليه شبه عيسى فلما دخل البيت رفع عيسى وألقى الله شبه عيسى على
الذي دلهم فقتلوه وصلبوه وروي أنه لما أخذوه ليقتلوه قال لهم أنا الذي دللتكم عليه فلم يقبلوا منه ولم يلتفتوا إليه
وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى قال أهل التواريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدت عيسى لمضي خمس وستين سنة
من غلبة الاسكندر على أرض بابل وأوحى الله إليه على رأس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان
وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وعاشت أمه بعد رفعه ست سنين والمكر هو السعي بالفساد في ستر ومداجاة وأصله من قول
العرب مكر الليل وأمكر إذا أظلم والمكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة وهو من الله استدراجه العباد قال الله تعالى سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون قال ابن عباس كلما أحدثوا خطيئة جددت لهم نعمة وقال الزجاج مكر الله مجازاتهم على مكرهم فسمي الجزاء
باسم الابتداء كقوله تعالى الله يستهزئ بهم وقوله وهو خادعهم وقال عمرو بن كلثوم ۞ ألا لا يجهلن أحد علينا ۞
فنجهل فوق جهل الجاهلينا ۞ وسأل رجل جنيدا كيف رضي الله المكر لنفسه وقد عاب به غيره قال لا أدري ولكن أنشدني فلان
فديتك قد جبلت على هواكا ۞ فنفسي لا تنازعني سواكا ۞ أحبك لا ببعضي بل بكلي ۞ وإن لم يبق حبك لي حراكا ۞ ويقبح
من سواك الفعل عندي ۞ وتفعله فيحسن منك ذاكا ۞ فقال الرجل أسألك عن آية من كتاب الله تعالى وتجيبني بشعر فلان فقال
ويحك قد أجبتك إن كنت تعقل ومكر الله خاصة في هذه الآية إلقاؤه الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى عليه السلام كذا في تفسير
الثعلبي قوله عز وجل ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين
اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ أي اذكر إذ قال الله وقيل إنه متصل بقوله خير الماكرين وقيل معناه وإذ
قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي قال الضحاك كساه الله عز وجل الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب
فطار في الملائكة واختلف المفسرون في معنى التوفي في هذه الآية فقال الحسن والكلبي وابن جريج معناه إني قابضك
ورافعك إلي وافيا لم ينالوا منك شيئا من قولهم توفيت كذا واستوفيته أي أخذته تاما وقال آخرون معناه إني مسلمك

من قولهم توفيت كذا أي سلمته وقال الحسن معناه إني مميتك ورافعك إلي من نومك يدل عليه قوله تعالى وهو الذي
يتوفاكم بالليل أي ينيمكم لأن النوم أخو الموت وروي عن ابن عباس أن معنى الآية أي مميتك يدل عليه قوله تعالى
قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وله على هذا القول تأويلان أحدهما قال وهب بن منبه توفاه الله ثلاث ساعات
من النهار ثم أحياه ورفعه إليه والآخر قال الضحاك أن في الكلام تقديما وتأخيرا معناه إني رافعك ومطهرك من الذين كفروا
ومتوفيك بعد إنزالك من السماء وقال الشاعر ألا يا نخلة من ذات عرق • عليك ورحمة الله السلام • أي عليك
السلام ورحمة الله وقال صلى الله عليه وسلم أنا أولى الناس بعيسى عليه السلام لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل على أمتي
وخليفتي فيهم فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن شعره يقطر وإن لم يصبه بلل
يدق الصليب ويقتل الخنزير ويقاتل الناس على الإسلام ويهلك الله في زمانه الملل كلها ويهلك الله في زمانه الدجال ويقع
الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا
ويلبث في الأرض أربعين سنة وفي رواية كعب أربع وعشرين سنة ثم يتزوج ويولد له ثم يموت ويصلي عليه المسلمون
ويدفنونه في بيت النبي صلى الله عليه وسلم وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى من السماء في القرآن قال نعم قوله تعالى
ويكلم الناس في المهد وكهلا وهو لم يكتهل في الدنيا وإنما رفع وهو شاب وإنما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء وعن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها وعن ابن
عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم تبسم في الطواف فقيل له في ذلك فقال استقبلني عيسى في الطواف ومعه ملكان قوله عز وجل
ومطهرك من الذين كفروا أي مخرجك من بين ظهرهم ومنجيك منهم فإنهم كانوا أرجاسا وكان تطهير عيسى منهم إخراجه عنهم
ورفعه فإن التطهير إزالة الأنجاس عن الثوب والبدن قوله تعالى ورافعك إلي أي إلى السماء وقيل إلى كرامتي كما قال
إبراهيم عليه السلام إني ذاهب إلى ربي أي إلى حيث أمرني ربي قوله تعالى وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم
القيامة معناه وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا أي فوقهم بالحجة والغلبة لأنه لا يرى اليهود حيث كانوا إلا أذل
من النصارى قالوا وهذا يدل على أنه لا يكون لليهود ملك كما هو للنصارى • وقيل أراد بقوله فوق الذين كفروا بالحجة
والبرهان • قال ابن عباس والربيع وقتادة والشعبي ومقاتل والكلبي المراد الذين اتبعوا عيسى أمة محمد صلى الله عليه وسلم
الذين صدقوه فيما قال قول الله ما ادعى من دعاه ربا تعالى الله عز وجل وتقدس أن يكون له ولد وقال الضحاك يعني
الحواريين قوله تعالى **ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون** أي مرجع الكفار والمؤمنين
فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين وأمر عيسى عليه السلام قوله عز وجل **فأما الذين كفروا فأعذبهم**
عذابا شديدا في الدنيا والآخرة أي أعاقبهم عقوبة شديدة في الدنيا بالقتل والسبي والجزية وفي الآخرة بالنار
وما لهم من ناصرين أي مانعين يمنعونهم من عذاب الله قوله عز وجل **وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات**
فيوفيهم أجورهم قرأ الحسن وحفص فيوفيهم بالياء ومعناه الذين صدقوا وعملوا الصالحات نكمل لهم ثواب أعمالهم بالتمام
والله لا يحب الظالمين أي لا يرحمهم ولا يغفر لهم قوله عز وجل **ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم**
أي ما جرى من القصص نتلوه عليك يا محمد يتلوه عليك جبريل بأمرنا وإنما أضاف التلاوة إلى نفسه لأنه حصل بأمره وقوله
تعالى من الآيات أي من العلامات الدالة على نبوتك وما فيه عبرة لمن اعتبر وقوله والذكر الحكيم كأنه ينطق بالحكمة [illegible]
حكيما لأن ما فيه من الحكمة كأنه ينطق بالحكمة ويقال بمعنى الحكيم المحكم وهو فعيل بمعنى مفعول قوله عز وجل **إن مثل**
عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون قال ابن عباس إن وفد نصارى نجران السيد
والعاقب وغيرهم من علمائهم جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أسلموا فقالوا
أسلمنا قبلك فقال صلى الله عليه وسلم يمنعكم من الإسلام ثلاث أكلكم الخنزير وعبادتكم الصليب وقولكم لله عز وجل ولد
فقالوا لم تشتم صاحبنا قال وما أقول قالوا تقول إنه عبد الله قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها
إلى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت إنسانا قط من غير أب فأنزل الله عز وجل إن مثل عيسى عند الله

كمثل آدم خلقه من تراب أي صفة خلق عيسى بلا أب كصفة خلق آدم خلقه من تراب من غير أب ولا أم ثم قال لآدم كن
فكان وأراد الله بهذه الآية أن كون الولد من غير أب ليس بأعجب من كون الإنسان من غير أب وأم وقد خلق الله آدم من
غير أب وأم وفي هذه الآية دلالة على صحة القياس لأنه لو لم يصح القياس لم يكن الله يحتج به وفيها دليل على جواز
قياس الشيء بالشيء من وجه دون وجه لأن الله عز وجل إنما شبه عيسى بآدم في كونه من غير أب لا في كونه من غير أم ولا
في خلقه من التراب • فإن قيل هلا قال الله تعالى كن فكان فإن آدم قد انقضى كونه وقد أخبر عنه بالمستقبل • قيل إن
الفعل الماضي منقطع والمضارع متصل ومن ذلك يقال يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فعل كذا وكان يفعل كذا لا
يقتضي التكرار وما روي أنه كان يفعل كذا فإنه على التكرار دون الانقطاع ثم فعل الله مبني على المهلة والحدث
على التدريج ألا ترى أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وكذلك ترتيب الحيوة في آدم على التدريج وكذلك أمر
عيسى على التدريج كان يبدأ شيئا فشيئا فأخبر الله عز وجل عن ذلك بفعل دائم قوله عز وجل **الحق من ربك فلا**
تكونن من الممترين قال الفراء رفع بإضمار هو ... وقيل تقديره هذا الذي
أنبأتك به هو الحق والصدق في أمر عيسى فلا تكونن من الممترين أي من الشاكين والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به
أمته لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن شاكا في أمر عيسى عليه السلام قط وهذا كما قال الله تعالى يا أيها النبي إذا طلقتم النساء
وقال بعضهم معناه لا تكن أيها السامع لهذا النبأ من الشاكين قوله عز وجل **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك**
من العلم من بعد ما جاءك من البيان بأنه عبد الله ورسوله وأنه لم يكن ابن الله ولا شريكه فقل تعالوا أي يا معشر النصارى ندع
أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم لنخرج إلى فضاء من الأرض ثم نبتهل أي نتضرع والبهلة اللعنة يقال
عليه بهلة الله أي لعنة الله وباعده ويقال معنى نبتهل نجتهد ونتضرع في الدعاء على الكاذب ثم فسر الابتهال فقال تعالى
فنجعل لعنة الله على الكاذبين أي نقول لعنة الله على الكاذبين في أمر عيسى • قرأ الحسن وأبو واقد وأبو السماك
العدوي تعالوا بضم اللام وقرأ الباقون تعالوا بفتح اللام والأصل فيه تعاليوا لأنه تفاعلوا من العلو فاستثقلت
الضمة على الياء فسكنت ثم حذفت وبقيت اللام على فتحها ومن ضم فإنه نقل حركة الياء المحذوفة إلى اللام قال
المفسرون فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على نصارى نجران ودعاهم قال لهم إن الله أمرني أن
أباهلكم إن لم تقبلوا فقالوا يا أبا القاسم بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك فرجعوا وخلا بعضهم ببعض وقال السيد
للعاقب قد والله علمتم أن الرجل نبي مرسل ولئن لاعنتموه يا معشر النصارى ليستأصلكم وما لاعن نبي قط قوما فعاش كبيرهم
ونبت صغيرهم وإن أبيتم إلا إلف دينكم فوادعوه وارجعوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الغد وقد خرج محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول لهم إذا أنا
دعوت فأمنوا فقال واحد من النصارى والله إني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا
فتهلكوا ولا يبقى على الأرض نصراني إلى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك وأن نتركك على دينك ونثبت
على ديننا فقال صلى الله عليه وسلم فإن أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا فقال إني أنابذكم
فقالوا ما لنا بحرب العرب من طاقة ولكنا نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي
إليك كل عام ألفي حلة ألفا في صفر وألفا في رجب فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال لهم وإن كان
كيد باليمن أعيرونا ثلاثين درعا وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا والمسلمون ضامنون لها حتى يردوها عليكم وكتب لهم
كتاب الأمان والصلح • بسم الله الرحمن الرحيم • هذا ما كتب محمد رسول الله لنجران إذ كان عليهم حكمه في كل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق
فأفضل عليهم وترك ذلك كله على ألفي حلة في كل صفر ألف حلة وفي كل رجب ألف حلة مع كل حلة أوقية وما زادت
الحلل عن الأواقي فبحسابها وما نقص من درع أو خيل أو ركاب فبحسابه وعليهم عارية ثلاثين درعا وثلاثين فرسا وثلاثين
بعيرا إن كان كيد باليمن ولنجران وحاشيتها جوار الله تعالى وذمة محمد على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكل ما تحت أيديهم
من قليل وكثير لا يغير ما كانوا عليه ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا يحشرون [illegible]

ولا يحيى ذلك ولا يطأ أرضهم جيش ومن سأل منهم حقاً فله النصف غير ظالمين ولا مظلومين ومن أكل الربا من ذي
قبل فذمتي منه بريئة ولا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر لهم جوار الله وذمة محمد رسوله أبداً حتى يأتي الله بأمره ما نصحوا
وأصلحوا فيما بينهم عليهم غير مثقلين بظلم شهد الشهود أبو سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو ومالك بن عوف وغيرهم
ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم معاذ بن جبل ليقضي بالحق فيما بينهم ورجعوا إلى بلادهم فقال صلى الله عليه
وسلم لو باهلوني لاضطرم الوادي عليهم ناراً ولم يبق نصراني ولا نصرانية إلى يوم القيمة وفي بعض الروايات أن النبي
صلى الله عليه وسلم لو التعنوا لهلكوا كلهم حتى العصافير في سقوفهم وفي بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال والذي نفسي بيده إن العذاب تدلى على أهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادي
عليهم ناراً ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير والشجر وما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا وفي
هذا الخبر أن امتناعهم عن المباهلة لعلمهم أن الحق مع النبي صلى الله عليه وسلم ولو لم يعلموا ذلك لما هلكوا قوله
عز وجل **إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله** أي هذا الذي أوحينا إليك من الحجج والآيات
لهو الخبر الحق بأن عيسى لم يكن ابن الله ولا ولده ولا شريكه والقصص هو الخبر الذي يتلو بعضه بعضاً قوله تعالى
وما من إله إلا الله أي ما إله إلا الله واحد بلا ولد ولا شريك ودخول من في قوله وما من إله لتوكيد النفي في جميع
ما ادعاه المشركون أنه إله قوله تعالى **وإن الله لهو العزيز الحكيم** أي العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن
به ذو الحكمة في خلق عيسى عليه السلام من غير أب وفي أمره أن لا تعبدوا إلا الله تعالى قوله تعالى **فإن تولوا
فإن الله عليم بالمفسدين** أي إن أعرضوا عما أتيت به من البيان فإن الله عالم بالمفسدين الذين يعبدون
غير الله ويدعون الناس إلى عبادة غير الله يجازيهم على ذلك ثم دعاهم الله إلى التوحيد فقال عز وجل **قل
يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا** أي قل
لهم يا محمد يا أهل الكتاب هلموا إلى الكلمة عدل بيننا وبينكم وفي سواء ثلاث لغات سواء وسوى وسوى ويمد فيها إلا
المفتوح قال الله تعالى مكاناً سوى ثم فسر الكلمة فقال تعالى ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به أحداً من المخلوقين وموضع
أن رفع على إضمار هي وقيل موضعها نصب بنزع الخافض وقيل موضعها خفض بدلاً من الكلمة أي تعالوا إلى أن لا نعبد
إلا الله قوله تعالى **ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله** أي لا نرجع إلى معبود سوى الله وهو الله
عز وجل لا شريك له وأن عيسى بشر كما أننا بشر ولا نتخذه رباً ونسمي الله هذه الثلاثة الألفاظ كلمة لأن معناها
يرجع إلى شيء واحد وهي كلمة العدل لا إله إلا الله وقال بعض المفسرين معناه ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً
من دون الله كما فعلت اليهود والنصارى فإنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله أي أطاعوهم في
معصية الله وقال عكرمة هو سجود بعضهم لبعض وقيل معناه لا نطيع أحداً في المعاصي وفي الخبر من أطاع مخلوقاً في
معصية الله فكأنما سجد سجدة لغير الله قوله تعالى **فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** أي فإن
أبوا التوحيد فقولوا أنتم اشهدوا بأنا مقرون بالتوحيد مستسلمون لما أتتنا به الأنبياء صلوات الله عليهم من الله
قوله تعالى **يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبرهيم وما أنزلت التورية والإنجيل إلا من بعده** قال الكلبي
وذلك أن اليهود والنصارى اجتمعوا في بيت مدرسة اليهود وكل فريق يقول إن إبرهيم منا وعلى ديننا فارتفعوا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اقض بيننا أينا أولى بإبرهيم ودينه فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين
بريء من إبرهيم ودينه إن إبرهيم كان حنيفاً مسلماً وأنا على دينه فاتبعوا دينه الإسلام فأنزل الله هذه الآية ومعناها
يا أيها اليهود والنصارى لم تخاصمون في إبرهيم ودينه وما أنزلت التورية والإنجيل إلا من بعده **أفلا تعقلون** أي
أوليس لكم ذهن الإنسانية فتعلموا أن اليهودية ملة محرفة عن شريعة موسى عليه السلام وأن اليهود سموا بهذا الاسم
لأنهم من ولد يهوذا والنصرانية ملة محرفة عن شريعة عيسى عليه السلام سموا النصارى لأنهم من قرية بالشام يقال
لها ناصرة وقال معناه أفلا تعقلون فتنظرون أنه ليس في التورية والإنجيل أن إبرهيم عليه السلام كان يهودياً أو

نصرانياً قوله تعالى وما أنزلت التورية والإنجيل إلا من بعده أي من بعد هلاك إبرهيم عليه السلام بزمان طويل وكان بين
إبرهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة أفلا تعقلون دحوض حجتكم وبطلان قولكم قوله عز وجل **ها أنتم
هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم** معناه أنتم يا هؤلاء يا معشر اليهود والنصارى
حاججتم فيما لكم به علم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في كتابكم فلم تخاصمون فيما ليس لكم به علم وهو أمر إبرهيم عليه السلام
والله يعلم دين إبرهيم وشأنه وأنتم لا تعلمون والهاء في ها أنتم تنبيه وأنتم اسم المخاطبين وهؤلاء إشارة إليهم كأنه يقول
انتبهوا أنتم الذين حاججتم وقرأ أهل المدينة والبصرة بغير همز ولا مد إلا بقدر خروج الألف الساكنة وقرأ أهل مكة بهمز
مقصور على وزن هعنتم وقرأ أهل الكوفة وابن عامر بالمد والهمز وقرأ الباقون بالمد دون الهمز قوله عز وجل
ما كان إبرهيم يهودياً ولا نصرانياً هذا تكذيب من الله للفريقين في قولهم إن إبرهيم كان يهودياً أو نصرانياً وقوله
ولكن كان حنيفاً مسلماً أي مائلاً عن اليهودية والنصرانية مخلصاً مستسلماً لأمر الله عز وجل وما كان من المشركين على
دينهم والحنيف هو المائل عن كل دين سوى دين الإسلام نسبة إلى الأحنف الذي تكون صدور رجليه مائلة من جهة الحلقة و
الحنيف الذي يوحد ويحج ويضحي ويختتن ويستقبل الكعبة وهو أسهل الأديان وأحبها إلى الله تعالى وأهله أكرم الخلق على
الله قوله عز وجل **إن أولى الناس بإبرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا** قال ابن عباس والكلبي وذلك أن
رؤساء اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد علمت أنا أولى بدين إبرهيم منك ومن غيرك وأنه كان يهودياً وما بك إلا
الحسد لنا فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعناها إن أحق الناس بولاية إبرهيم للذين اتبعوه في دينه في زمانه ولم يغيروا ولم
يبدلوا وهذا النبي يعني محمداً صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا يعني أصحابه الذين اتبعوه قوله تعالى **والله ولي المؤمنين**
أي في النصرة والمعونة قوله عز وجل **ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم** يعني كعب بن الأشرف وأصحابه
دعوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً وحذيفة وعمار بن ياسر إلى دينهم اليهودية وقد مضت قصتهم في سورة البقرة
ومعناه تمنت جماعة من أهل الكتاب أن يهلكوكم بإدخالكم في الضلال وما يرجع وبال ضلالهم إلا على أنفسهم **وما يشعرون** أي وما
يعلمون أن وبال ذلك يعود عليهم وقيل وما يعلمون أن الله يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على فعلهم قوله عز وجل **يا
أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون** أي لم تجحدون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وأنتم
تعلمون في كتابكم أنه نبي مرسل يعني أن نعته مذكور في التورية والإنجيل والأصل في لم تكفرون لما تكفرون أي لأي شيء تكفرون
حذفت الألف للتخفيف ونصب الميم دليلاً على سقوط الألف وعلى هذا لم يقولون وفيم يبشرون قوله عز وجل **لم تلبسون
الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون** معناه لم تخلطون الإسلام باليهودية والنصرانية وقيل لأنهم أقروا
ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا البعض وقيل معناه لم تغطون الحق بالظلم وتغطيتهم الحق بالباطل تحريفهم التورية
والإنجيل وتأويلهم على غير وجهه قوله عز وجل **وتكتمون الحق** صفة النبي صلى الله عليه وسلم كتموها وهم يعلمون أنه النبي
صلى الله عليه وسلم ودينه حق وقرأ أبو مجلز تلبسون بالتشديد وقرأ عبيد بن عمير لم تلبسوا تكتموا بغير نون ولا وجه له قوله
عز وجل **وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره** قال مجاهد
ومقاتل والكلبي هذا في شأن القبلة لما صرفت القبلة إلى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الأشرف لأصحابه آمنوا
بالذي أنزل على محمد في شأن الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم اكفروا بالكعبة آخر النهار وارجعوا إلى قبلتكم صخرة بيت
المقدس **لعلهم يرجعون** أي لعلهم يقولون هؤلاء أصحاب كتاب وهم أعلم منا فربما يرجعون إلى قبلتنا فحذر الله
نبيه صلى الله عليه وسلم مكر هؤلاء القوم وأطلعه على سرهم وقال بعضهم إن علماء اليهود قالوا فيما بينهم كنا أخبرنا أصحابنا أن
هذا النبي هو محمد صلى الله عليه وسلم وإن نحن كفرنا بالكلية اتهمنا أصحابنا ولكن نؤمن ببعض ونكفر ببعض ليتوهموا أنا
نصدقه فيما نصدقه ونبرهن أنا نكذبه فيما ليس عندنا وقال بعضهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم في صدر النهار فقالوا أنت
أنت الذي خبرنا في التورية إنك مبعوث ولكن انظرنا إلى العشي لننظر في أمرنا فلما كان العشي أتوه ثم قالوا
لم كنا علمنا أن محمداً هو النبي الذي هو مكتوب في التورية من ولد إسمعيل بن إبرهيم إلا أنا نظرنا في التورية فإذا هو

من ولد هرون عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم من ولد إسمعيل بن إبرهيم فليس هو النبي الذي هو عندنا وإنما تفعلوا
ذلك لعل من آمن به منهم يرجع عن دينه يكون ذلك أقرب عندهم إلى تشكيك المسلمين ووجه الشيء أوله قال تعالى وقيل التوبة
وجه التوبة ووجه النهار أوله قوله عز وجل ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم حكاية قول كعب بن الأشرف
وأصحابه قالوا لليهود لا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم اليهودية وصلى إلى قبلتكم نحو بيت المقدس قوله تعالى قل إن
الهدى هدى الله قال بعضهم هذا كلام معترض من كلام اليهود ويجوز دخول العارض من الكلامين إذا احتيج
إليه كما دخل على قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ثم عاد إلى أول الكلام فقال
تعالى أولئك لهم جنات عدن وكذا قوله تعالى قل إن الهدى هدى الله عارض ثم عاد إلى كلام اليهود فقال تعالى
أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أي قالوا لا تصدقوا أن نعطي أحدا من الكتاب والعلم مثل ما أوتيتم وإن يحاجوكم
عند ربكم إلا من كان مثلكم على دين اليهودية قل لهم يا محمد إن الهدى هدى الله وإن الفضل بيد الله فلا تنكروا
أن يؤتيه غيركم وقال بعضهم ليس في الآية تقديم وتأخير ومعناه قالت اليهود ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل يا محمد
إن الهدى هدى الله فلا تجحدوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو أن يحاجكم أحد عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء أي النبوة والكتاب والهدى بقدرة الله تعالى يعطيه من يشاء والله واسع عليم أي واسع الفضل والقدرة
عليم بمن هو من أهل الفضل وقيل معنى الآية ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا إلا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم
من العلم والحكمة والكتاب والحجة والمن والسلوى وفلق البحر وغيرها من الكرامات ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لأنكم
أصح دينا منهم وهذا قول مجاهد وقال ابن جريج معناه أن اليهود قالت لسفلتهم لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كراهة أن
يؤتى أحد مثل ما أوتيتم فأي فضل يكون لكم عليهم حين علموا ما علمتم وحينئذ يحاجوكم عند ربكم فيقولون عرفتم أن
ديننا حق ولا تصدقوهم لئلا يعلموا مثل ما علمتم ولا يحاجوكم عند ربكم ويجوز أن تكون لا على هذا القول مضمرة كقوله تعالى
يبين الله لكم أن تضلوا ومعناه أن لا تضلوا ويكون تقديره ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم لئلا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولئلا يحاجوكم به عند
ربكم وقرأ الحسن والأعمش إن يؤتى بكسر الألف ووجه هذه القراءة أن هذا من قول الله عز وجل بلا اعتراض فإن يكون كلام
اليهود منتهيا عند قوله إلا لمن تبع دينكم ومعنى الآية قل يا محمد إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة
محمد أو يحاجوكم يعني إلا أن يحاجوكم أي يجادلوكم اليهود بالباطل فيقولوا نحن أفضل وقوله عند ربكم أي عند فعل ربكم
ذلك ويكون أن على هذا القول بمعنى الجحد والنفي أي لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وما أعطي أحد مثل ما أعطيتم يا أمة محمد
صلى الله عليه وسلم من الدين والحجة حتى يجادلوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير آن يؤتى أحد بالمد وجعله استفهاما
تقديره أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب تحسدونهم ولا تؤمنون به وهذا قول قتادة والربيع قالا
هذا من قول الله عز وجل قل يا محمد إن الهدى هدى الله لما أنزل كتابا مثل كتابكم ونبيا مثل نبيكم حسدتموه وكفرتم به قيل
أن يكون قوله تعالى ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم إلى آخر الآية من كلام الله عز وجل وذلك أن الله تعالى ثبت قلوب
المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود في دينهم ولا تصدقوا يا معشر المؤمنين إلا لمن تبع دينكم ولا تصدقوا أن يؤتى أحد
مثل ما أوتيتم من الفضل والدين ولا تصدقوا أن يحاجوكم في دينكم عند ربكم أو يقدروا على ذلك فإن الهدى هدى الله
وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فتكون الآية كلها خطابا من الله للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ويدل
عليه قول الضحاك إن اليهود قالوا إنا نحاج عند ربنا من خالفنا في ديننا فبين الله أنهم هم المدحضون المغلوبون وأن
المؤمنين هم الغالبون وقال أهل الإشارة في هذه الآية ... على أحوالكم ... إلا من يعلمكم
قوله تعالى يختص برحمته من يشاء أي يختص بدينه الإسلام أو النبوة قوله عز وجل والله ذو
الفضل العظيم على من اختصه بالإسلام أو النبوة قوله عز وجل ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده
إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما في الآية دليل وبيان أن أهل الكتاب فيهم
أمانة وخيانة فمنهم من تتابعه بملء مسك ثور ذهبا يؤده إليك بلا عناد ولا تعب ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك

إلا بعد عناء وتعب قال الضحاك هو فنحاص بن عازوراء اليهودي أودعه رجل دينارا فخانه والقنطار عبارة عن المال
الكثير والدينار عبارة عن المال القليل وقال الضحاك عن ابن عباس معنى الآية ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار
يؤده إليك وهو عبد الله بن سلام أودعه رجل ألفا ومائتي أوقية من ذهب فأداه إليه فمدحه الله تعالى ومنهم من
إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك وهو فنحاص بن عازوراء اليهودي أودعه رجل من قريش دينارا فخانه وفي بعض التفاسير
إن الذي يؤدي الأمانة في هذه الآية هم النصارى والذين لا يؤدون هم اليهود وقرأ الأشهب العقيلي تيمنه بقنطار
بكسر التاء وهي على لغة بكر وتميم وفي حرف ابن مسعود ما لك لا تيمنا وقراءة العامة تأمنه بالألف وقوله تعالى يؤده
إليك فيه خمس لغات فقرأها كلها أبو عمرو وعاصم والأعمش وحمزة ساكنة الهاء وقرأ أبو جعفر ويعقوب مختلسة مكسورة
مشبعة وقرأ سلام مضمومة مختلسة وقرأ الزهري مضمومة مشبعة وقرأ الآخرون مكسورة مشبعة قوله تعالى
إلا ما دمت عليه قائما قرأ الأعمش ويحيى بن وثاب وطلحة بكسر الدال ومعنى الآية إلا ما دمت عليه قائما أي ملحا
كذا قال ابن عباس وقال مجاهد إلا ما دمت عليه ملازما وقال ابن جبير مرابطا وقال الضحاك مواظبا وقال قتادة
معناه إلا ما دمت عليه قائما تقتضيه وقال السدي قائما على رأسه فإن تركته ثم جئت تطلبه الذي دفعته إليه رده عليك
وإن أخرته أنكره وذهب به ذلك إلى الاستحلال في الخيانة فإنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل أي في مال العرب يعني
قوله تعالى هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم والسبيل هو الإثم والحرج دليله قوله تعالى ما على المحسنين من سبيل
وذلك أن اليهود قالوا لا حرج علينا في حبس أموال العرب قد أحلها الله لنا لأنهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم
من خالفهم في دينهم وقال الكلبي قالت اليهود إن الأموال كلها لنا وما كان في أيدي العرب منها فهو لنا وإنما ظلمونا وغصبونا
عليها ولا سبيل علينا في أخذنا إياه منهم فأكذبهم الله تعالى بقوله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون
فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا
الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر قوله تعالى ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل أي ذلك
الخيانة منهم بزعمهم ليس علينا في أموال العرب والذين لا كتاب لهم حجة ولا مأثم وقوله تعالى ويقولون على الله
الكذب أي يقولون لم يجعل لهم علينا في كتابنا حرمة وهم يعلمون أن الله قد أنزل عليهم في كتابهم
الوفاء وأداء الأمانة لمن ائتمنهم وخالطهم قوله عز وجل بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين
أي ليس كما زعموا لكن من أوفى بعهد الله الذي عاهده الله تعالى في التوراة واتقى ظلم الناس في ترك الوفاء ونقض العهد
فإن الله يحب المتقين لنقض العهد وترك الوفاء وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صلى وصام
من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وقال صلى الله عليه وسلم من ائتمن على أمانة فأداها ولو شاء
لم يؤدها زوجه الله من الحور العين ما شاء قوله عز وجل إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا
أولئك لا خلاق لهم في الآخرة قال ابن عباس نزلت هذه الآية فيما كان بين امرئ القيس وعبدان بن أشوع من
خصومة في أرض غلبه عليها امرؤ القيس ليحلف فهم بالحلف فنزلت هذه الآية فامتنع أن يحلف وأقر لعبدان بحقه
ودفعه إليه فقال صلى الله عليه وسلم لك عليها الجنة وقيل نزلت هذه الآية في اليهود لكتمانهم نعت محمد صلى الله
عليه وسلم ومعنى الآية أن الذين يختارون على عهد الله عرضا يسيرا من الدنيا أولئك لا نصيب لهم في الآخرة ولا يكلمهم
الله بكلام خير ولا رحمة وقيل لا يسمعهم الله كلامه كما يكلم أولياءه بغير سفير قوله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيمة
أي لا يرحمهم ولا يعطف عليهم ولا ينيلهم خيرا قوله تعالى ولا يزكيهم أي لا يثني عليهم خيرا ولهم عذاب أليم
أي لهم مع هذه الأحوال عذاب موجع روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتطع شبرا من مال مسلم بيمينه فقد أوجب
الله له النار وحرم عليه الجنة قال رجل وإن كان يسيرا قال وإن كان قضيبا من أراك وقال صلى الله عليه وسلم
أكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين واليمين الغموس وقال صلى الله عليه وسلم إياكم واليمين الفاجرة فإنها
تدع الديار بلاقع من أهلها وقال صلى الله عليه وسلم اليمين الفاجرة تقطع الرحم وهي منفقة للسلعة ممحقة للكسب

قوله عز وجل وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون
هو من عند الله وما هو من عند الله روي أن جماعة من اليهود أولي فاقة وفقر دخلوا المدينة من الشام ليسألوا
فلقيهم كعب بن الأشرف فقال لهم تعلمون أن محمدا نبي قالوا نعم وما تعلمه أنت قال لا فإنا نشهد أنه عبد الله ورسوله
فقال كعب بن الأشرف لقد حرمكم الله خيرا كثيرا كنت أريد أن أميركم وأكسو عيالكم فحرمكم الله فقالوا لو ردنا حتى نلقاه
فانطلقوا وكتبوا صفة سوى صفته ونعتا سوى نعته ثم انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموه وسألوه ثم رجعوا
إلى كعب فقالوا كنا نرى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو ليس بالنعت الذي نعت لنا ووجدنا نعته مخالفا للذي عندنا
وأخرجوا الذي كتبوه فنظر إليه كعب ففرح وأخذ [illegible] وحط طعامهم ثم أعطى كل واحد منهم ثمانية قمص من الكرباس
وخمسة أصوع من الشعير فنزلت الآية ومعناها وإن من أهل الكتاب لطائفة يحرفون الكتاب ثم يعرفون ما حرفوه ليظن المسلمين
أن ذلك في التوراة وما هو منها ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله نزل ويقولون على الله الكذب بادعائهم أن
ذلك المحرف من التوراة وهم يعلمون أنهم يكذبون واللي باللسان هو العدول عن الصدق والصواب قوله عز وجل ما كان
لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله وذلك أنه لما كثرت
دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إياهم إلى الإسلام وقامت عليهم الحجج قالوا إن هذا الرجل يريد أن نتبعه ونعبده كما
سأل عيسى من قومه حتى عبدوه فكذبهم الله عز وجل بهذه الآية ومعناها ما كان لبشر من الأنبياء مثل عيسى وعزير
وغيرهما أن يعطيه الله الكتاب وعلم الحلال والحرام والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله أي لم يجمع
له أحد النبوة والقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله وليس هذا على وجه النهي ولكنه على وجه التنزيه لله عز وجل
لأنه لم يختر نبيا يقول مثل هذا القول للناس • ويجوز أن يكون هذا على وجه تعظيم الأنبياء صلوات الله عليهم وقال
الضحاك ومقاتل معناه ما كان لبشر يعني عيسى عليه السلام أن يؤتيه الله الكتاب يعني الإنجيل نزلت في نصارى نجران
وقال ابن عطاء ما كان لبشر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم أن يؤتيه الله الكتاب يعني القرآن وذلك أن أبا رافع القرظي من اليهود
والرئيس من نصارى نجران قالوا يا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن نعبد غير
الله أو نأمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثني الله عز وجل ولا بذلك أمرني فأنزل الله هذه الآية • والبشر جميع بني آدم لا واحد
له من لفظه كالقوم والجيش ويوضع موضع الواحد والجمع قوله تعالى والحكم والنبوة يعني الفهم والعلم وقيل الأحكام عن الله قوله
تعالى ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون أي ولكن يقول كونوا ربانيين أي علماء
عاملين وقيل فقهاء معلمين قال مرة بن شرحبيل كان علقمة من الربانيين الذين يعلمون الناس القرآن وعن سعيد بن جبير
معناه حكماء أتقياء وقيل معلمين مخلصين وقيل علماء نصحاء لله عز وجل في خلقه وقيل الرباني هو العالم بالحلال والحرام
والأمر والنهي والعارف بأنباء الأمة وما كان وما يكون • وقال علي رضي الله عنه هو الذي يربي علمه بعمله أي يصلح
علمه بعمله • وقال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس مات رباني هذه الأمة قوله تعالى بما كنتم تعلمون الكتاب
معناه بما أنتم تعلمون كقوله وكان [illegible] وقوله من كان في المهد صبيا أي من هو في المهد صبيا وقوله تعلمون الكتاب
قرأ السلمي والنخعي وابن جبير والضحاك وابن عامر والكوفيون بما كنتم تعلمون بالتشديد من التعليم • وقرأ الباقون بالتخفيف من
العلم فقال أبو عمرو وتصديقها قراءة وبما كنتم تدرسون وقرأ الحسن بما كنتم تعلمون بفتح التاء والعين وتشديد اللام على
معنى تتعلمون • وقرأ ابن حيوة تدرسون بالتشديد وقرأ الباقون تدرسون من الدرس • وعن ابن عباس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن ذكر ولا أنثى ولا مملوك إلا ولله عز وجل عليه حق واجب أن يتعلم من القرآن ويتفقه فيه ثم تلا هذه
الآية ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون وإنما قيل للفقهاء ربانيون لأنهم يربون العلم أي يقومون
به وزيدت الألف والنون للمبالغة كما يقال رجل لحياني ولذي جمة جماني • وعن ثعلب أنه قال يقال رجل رباني أي عالم
عامل معلم قوله عز وجل ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون
قرأ [illegible] وحمزة وابن عامر ولا يأمركم بنصب الراء عطفا على ثم يقول [illegible] وقرأ الباقون بالرفع

والاستئناف والانقطاع من الكلام الأول • وقال ابن جريج وجماعة ولا يأمركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يأمركم البشر
أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا كما فعلت قريش وخزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله واليهود والنصارى حيث قالوا في
المسيح وعزير ابن الله قوله تعالى أيأمركم بالكفر استفهام بمعنى الإنكار أي الله عز وجل لا يبعث النبي صلى الله عليه وسلم
ليدعو الناس إلى الإسلام فكيف يدعو إلى الكفر بعد أن كانت فطرتكم على الإسلام • وقيل بعد أن كنتم مقرين بالتوحيد
قوله عز وجل وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قرأ سعيد بن جبير لما بتشديد الميم وقرأ حمزة لما بكسر اللام والتخفيف • وقرأ الباقون بالفتح
والتخفيف فمن فتح وخفف فهي لام الابتداء دخلت على ما لتوكيد الفائدة كقولك لزيد أفضل من عمرو وما اسم والذي بعده صلة وجوابه
لتؤمنن به وإن شئت جعلت خبر ما من كتاب فيكون من ابتداء معناه لما آتيتكم كتابا وحكمة ثم ابتدأ بقوله ثم جاءكم رسول أي
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به اللام لام القسم تقديره والله لتؤمنن به فوكده في أول الكلام بلام التوكيد وفي آخر
الكلام بلام القسم كأنه استحلفهم والله لتؤمنن به وأخذ الميثاق في معنى التحليف لأن الحلف وثيقة وموضع ما في قوله لما نصب
ثم قوله آتيتكم كأنه قال للذي آتيتكم من كتاب • وقال الزجاج هذه لام التحقيق دخلت على ما الجزاء ومعناه لمهما آتيتكم ودخول
اللام في الشرط والجواب للتأكيد في قوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك كما تقول لئن جئتني لأكرمنك ومن
قرأ لما بالكسر فهي لام الإضافة دخلت على ما التي بمعنى الذي ومعناه للذي آتيتكم يعني الذي أخذ ميثاق النبيين لأجل الذي
آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم قوله تعالى لما آتيناكم قرأ نافع بالألف والنون على التعظيم
لأن عظيم الشأن قد يعبر عن نفسه بلفظ الجمع وقرأ الآخرون آتيتكم • واختلف المفسرون في معنى هذه الآية فقال قوم إنما
أخذ الميثاق على الأنبياء عليهم السلام أن يصدق بعضهم بعضا وأمر بعضهم بالإيمان ببعض فذلك معنى النصرة بالتصديق وهذا
قول ابن جبير وطاوس وقتادة والحسن والسدي يدل عليه ظاهر الآية • وقال علي رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا إلا
أخذ عليه العهد في محمد وأمته وأخذ العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه • وقال بعضهم إنما أخذ الميثاق
على أهل الكتاب وهو قول مجاهد والربيع قالوا ألا ترى إلى قوله ثم جاءكم رسول مصدق إنما كان محمد مبعوثا إلى أهل الكتاب
دون النبيين • وقال بعضهم إنما أخذ العهد على النبيين وأممهم واكتفى بذكر النبيين عن ذكر الأمم لأن في أخذ الميثاق على المتبوع
دلالة على أخذه على الأتباع وهذا قول ابن عباس وهو أولى بالصواب قوله عز وجل قال أأقررتم وأخذتم
على ذلكم إصري أي قال الله تعالى للأنبياء أأقررتم بما ذكرتم به على ما قلت لكم وقبلتم على ذلكم عهدي ومعنى أخذتم أي قبلتم
نظيره قوله تعالى فإن أوتيتم هذا فخذوه أي فاقبلوه وقوله تعالى ثم يؤخذ منها عدل أي لا يقبل وقوله ويأخذ الصدقات
أي يقبلها والإصر في اللغة الثقل لكن تراد به العهد لما فيه من الثقل • وقال بعضهم لفظ الأخذ يحتمل وجهين أحدهما
تقبلتم على ذلكم عهدي والثاني أخذتم العهد بذلكم على أممكم قوله تعالى قالوا أقررنا أي قالت الأنبياء صلوات الله
عليهم أقررنا بما العهد قال الله تعالى فاشهدوا أي يشهدوا لمن يكون بعدكم لأن الشاهد هو الذي يصحح دعوى المدعي
ثم قال تعالى وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعلى أممكم وقيل معنى فاشهدوا قال الله تعالى للملائكة فاشهدوا
على إقرارهم وشهادة الله للنبيين تثبيته أمر نبوتهم بالمعجزات قوله عز وجل أفغير دين الله يبغون وله
أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه ترجعون قرأ أبو عمرو يبغون بالياء وترجعون بالتاء وقال
لأن الأول خاص والثاني عام لافتراق معنييهما • وقرأ الحسن ويعقوب وسلام وحفص يبغون بالياء ويرجعون
بالياء أيضا • وقرأ الباقون بالتاء فيهما على الخطاب ومعنى الآية [illegible] بينهم وبين الله في أمر النبي
صلى الله عليه وسلم تطلبون دينا سوى ما عهده الله إليهم • قال الكلبي وذلك أنه لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم حين اختلفوا
في دين إبراهيم عليه السلام كل فرقة وزعمت أنها أولى بدينه فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم فغضبوا
وقالوا والله ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فأنزل الله هذه الآية قوله تعالى وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها
أي له أخلص وخضع قال الكلبي أما أهل السموات ومن ولد من أهل الأرض على الإسلام فأسلموا طائعين وأما من قتل حتى دخل في الإسلام

كرهاً بحالهم أسارى في السلاسل ويكرهون على الإسلام • وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال عجب ربكم من قوم
يقادون إلى الجنة بالسلاسل قوله تعالى **وإليه يرجعون** أي إلى جزائه يرجعون في الآخرة فبادروا إلى
دينه ولا تطلبوا غيره ذلك دليل مجيء قوله أسلم من في السموات والأرض أي أقر وأذعن بالإلهية كما قال تعالى ولئن سألتهم
من خلقهم ليقولن الله وقال الزجاج معناه أن كلهم خضعوا لله من جهة ما فطرهم الله عليه وقال الضحاك هذا حين
أخذ منه الميثاق وأقر به • وقال الكلبي معناه الذي أسلم طوعاً أي الذي ولد في الإسلام والذي أسلم كرهاً يعني
الذي أجبر على الإسلام ممن يسبون فيؤتى بهم في السلاسل فيكرهون على الإسلام • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كن الملائكة والأنصار في الأرض ولا تسبوا أصحابي فإنهم أسلموا من خوف الله وأسلم الناس من خوف سيوفهم وقال
الحسن الطوع لأهل السموات خاصة وأهل الأرض منهم من أسلم طوعاً ومنهم من أسلم كرهاً • وقرأ الأعمش كرهاً بضم الكاف
وأما انتصاب طوعاً وكرهاً فلأنهما مصدران وضعا موضع الحال كما يقال جئته ركضاً وعدواً أي راكضاً وماشياً(?)
كأنه قال وله أسلم من في السموات والأرض طائعين وكارهين • وعن ابن عباس أنه قال إذا استصعبت دابة أحدكم
أو كانت شموساً فليقرأ في أذنها هذه الآية أفغير دين الله يبغون إلى آخرها قوله عز وجل **قل آمنا بالله و
ما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط** الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وأمر له أن يقول عن نفسه وعن أمته آمنا بالله قوله عز وجل **لا نفرق بين أحد منهم** أي من الرسل لا نؤمن
ببعضهم ونكفر ببعضهم كما فعلت اليهود بل نؤمن بهم جميعاً قوله تعالى **ونحن له مسلمون** أي مخلصون لله في التوحيد
والطاعة قوله عز وجل **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه** الآية قال نزلت هذه الآيات إلى
قوله لن تنالوا البر في اثني عشر رهطاً ارتدوا واعتزلوا الإسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن أبيرق ووحوح بن الأسلت والحارث
بن سويد وغيرهم وندم الحارث وأرسل إلى أخيه الجلاس بن سويد المسلم أني قد ندمت على ما صنعت فسل لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة وإلا ذهبت في الأرض فأنزل الله هذه الآيات ومعناها من يطلب ديناً غير دين الإسلام فلن
يقبل منه ما أقام عليه أي إن تاب ولن يثنى عليه • ويقال معناه لن يقبل من المرتد إلا الإسلام أو السيف ولن يقر على
الكفر بالجزية كأهل الذمة(?) لأنه نزلت في المرتدين • وقوله تعالى **وهو في الآخرة من الخاسرين** أي من المغبونين حيث
ترك منزله في الجنة واختار منزله في النار قوله تعالى **كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم** الآية
أي كيف يهديهم الله وقد كفروا بعد أن آمنوا وبعد أن شهدوا أن الرسول حق يعني محمداً صلى الله عليه وسلم حق وجاءهم
البينات أي الدلالات على تصديقه ونبوته فكيف يستحقون هداية الله قوله تعالى **وشهدوا أن الرسول حق**
عطف على قوله إيمانهم دون قوله كفروا وقد يعطف الفعل على المصدر كما يقال أعجبني ضرب زيد وأن غضب وتقدير
الآية بعد أن آمنوا وبعد أن شهدوا أن الرسول حق • وقوله تعالى **والله لا يهدي القوم الظالمين**
أي المرتدين المشركين من لم يكن أهلاً لذلك فإن قيل ظاهر الآية يقتضي أن من كفر بعد إسلامه لا يهديه الله وأن الظالم
لا يهديهم الله وكثير من المشركين قد أسلموا(?) ومن الظالمين تابوا قيل معناه لا يهديهم الله ما داموا مقيمين على كفرهم
فإذا جاهدوا وقصدوا الرجوع إلى الحق وفقهم الله كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل معنى
الآية كيف يرحمهم الله ويخلصهم من العقوبة قوله تعالى **أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين** أي أهل هذه الصفة جزاؤهم أن عليهم لعنة الله أي بعده واللعنة من الله الإبعاد وأما لعنة الملائكة
والناس فهو دعاؤهم على الكفار بأن يبعدهم الله من رحمته فإن قيل كيف قال لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ومن الناس من
يوالي الكافر ولا يلعنه قيل إنه في الآخرة يلعن بعضهم بعضاً • وقوله تعالى **خالدين فيها** أي مقيمين
في اللعنة وقيل في العذاب **لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون** ولا هم يؤخرون حين يتوبون •
قوله تعالى **إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا** استثناء من قول الله عز وجل أن عليهم لعنة الله ومعناه
إلا الذين تابوا من الكفر والشرك بعد ارتدادهم وأصلحوا أي تمسكوا بالإيمان ويقال أصلحوا أعمالهم بالتوبة •

وقيل أصلحوا ما أفسدوه من الناس من يتبعهم **فإن الله غفور رحيم** أي يتجاوز عنهم يرحمهم بعد التوبة قال ابن
عباس لما نزلت للحارث بن سويد الرخصة في التوبة أرسل أخوه الجلاس إليه أن الله عز وجل قد فرض عليكم التوبة فارجع إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وتاب وقبل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم منه فبلغ ذلك أصحابه الذين بمكة فقالوا نتربص بمحمد
ريب المنون فإن بدا لنا الرجعة إليه ذهبنا كما ذهب الحارث فيقبل توبتنا فأنزل الله قوله **إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم
ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم** أي إن الذين كفروا بالله وبالرسول بعد تصديقهم ثم ازدادوا كفراً بقولهم نقيم
بمكة ما بدا لنا لن تقبل توبتهم **وأولئك هم الضالون** عن الإسلام وفي هذه الآية دليل على أنهم لم يكونوا
محققين في التوبة لأنه قال وأولئك هم الضالون وكانت هذه الآية خاصة في قوم علم الله أنهم لا يتوبون إلا عند حضور
الموت ومات طعمة كافراً ولو كانوا يحققون التوبة قبل المعاينة لقبلت توبتهم ويجوز أن يكون معنى لن تقبل توبتهم أي
التوبة التي يتوبونها عند الموت قوله عز وجل **ثم ازدادوا كفراً** قال الحسن وقتادة وعطاء نزلت هذه الآية في
اليهود كفروا بعيسى عليه السلام والإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم وكتبهم ثم ازدادوا كفراً بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن
قوله تعالى **إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى
به** أي إن الذين كفروا وماتوا على كفرهم لو كان لهم في الآخرة ملء الأرض ذهباً فافتدى به لن يقبل منه كما روي أنه
يقال للكافر يوم القيامة لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به من العذاب فيقول نعم فيقال له قد سئلت ما هو
أيسر عليك من هذا فلم تفعل • وقوله تعالى **ذهباً** نصب على التفسير في قول الفراء ومعنى التفسير أن يكون الكلام تاماً وهو مبهم
كقوله عندي عشرون فالعدد معلوم والمعدود مبهم وإذا قلت عشرون درهماً فسرت العدد وكذلك إذا قلت هو أحسن
الناس فقد أخبرت عن حسنه ولم تبين في أي شيء فإذا قلت وجهاً بينت حسنه ونصبت على التفسير وإنما نصبته لأنه ليس
له ما يخفضه ولا ما يرفعه فلما خلا من هذين نصب لأن النصب أخف الحركات فيجعل لكل ما لا عامل له • وقال الكسائي
نصب على إضمار من ذهب كقوله تعالى أو عدل ذلك صياماً أي من صيام وقد يقال نصب على التمييز والتمييز ثلاثة أوجه
تمييز جملة مبهمة كما في قوله أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً أو تمييز عدد مبهم كقولك عشرون درهماً وتمييز مقدار مبهم كما تقول
عندي ملء زق عسلاً • وأما دخول الواو في قوله ولو افتدى به فقال بعضهم هي زائدة • وقال الزجاج ليست بزائدة وإنما
هي لتعميم النفي لوجوه الفدية ولو لم تكن الواو لأوهم الكلام أن ذلك يقبل في غير الافتداء ويقبل على غير وجه الافتداء
قوله تعالى **أولئك لهم عذاب أليم** أي أهل هذه الصفة لهم عذاب وجيع في الآخرة **وما لهم من ناصرين**
أي من مانع يمنعهم من العذاب قوله عز وجل **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** قال ابن عباس معناه
لن تنالوا الجنة وقال عطاء لن تنالوا الطاعة وقال أبو ذر معناه لن تنالوا الخير وقال مقاتل لن تنالوا التقوى
وقال الحسن لن تكونوا أبراراً حتى تتصدقوا مما تحبون من الأموال أي من كرائم أموالكم وأجودها التي طابت بها أنفسكم
صغيرة أو عظيمة • وقال مجاهد والكلبي هذه الآية منسوخة نسختها آية الزكاة • روى الضحاك عن ابن عباس قال أراد هذه
الآية حتى تخرجوا زكاة أموالكم وقال عطاء لن تنالوا شرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا وأنتم أصحاء تأملون الغنى وتخشون
الفقر وقال بعضهم معناه لن تبلغوا حقيقة التوكل والتقوى حتى تخرجوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم وذهب أكثر المفسرين إلى
أن المقصود من هذه الآية الحث على صدقة النفل والفرض بالبلغ ووجوه القرب لأن قوله مما تحبون يدل على المبالغة روي
عن عبد الله بن عمر أنه اشترى جارية كان يهواها فلما ملكها أعتقها ولم يصب منها فقيل له في ذلك فقال لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون • وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يشتري أعدال السكر فيتصدق بها فقيل له هلا تصدقت بثمنه فقال لأن
السكر أحب إلي فأردت أن أنفق مما أحب روي أن سائلاً وقف على باب الربيع بن خثيم فقال أطعموه سكراً فإن الربيع يحب
السكر ووقف السائل أيضاً على باب الربيع في ليلة باردة فخرج إليه كأنه مقرور(?) فقال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
فنزع برنساً وأعطاه إياه قوله عز وجل **وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم** أي ما تصدقتم من مال فإن
الله به وبنياتكم عليم يجزيكم على ذلك في الآخرة قوله تعالى **كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل**

على نفسه من قبل أن تنزل التورية قال ابن عباس معناه كل الطعام الحلال اليوم وهو ما سوى الميتة والدم
ولحم الخنزير كان حلالا لبني يعقوب عليه السلام من قبل أن تنزل التورية على موسى عليه السلام الا الطعام الذي حرمه
يعقوب على نفسه وهو لحم الابل والبانها وذلك ان يعقوب عليه السلام كان يمشي الى بيت المقدس فلقيه ملك من
الملائكة وهو خلق لم يتقال فظن يعقوب انه لص فعالجه ليصارعه فكان كذلك حتى اضاء الفجر فغمز الملك فخذ يعقوب
فهاج عرق النساء فصعد الملك الى السماء وجاء يعقوب ليعرج حتى لحق لم يتقال فكان يبيت ساهرا من وجعه وينتصب
نهاره فاقسم ان شفاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب على نفسه فشفاه الله من ذلك فحرم احب الطعام والشراب اليه
وكان ذلك لحوم الابل والبانها من اشتق ولده بسنة وذلك قوله تعالى الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان
تنزل التورية فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم لليهود ما الذي حرم اسرائيل على نفسه قالوا كل شيء
نحرمه اليوم على انفسنا فانه كان محرما على نوح عليه السلام فهلم جرا حتى انتهى الينا وانت يا محمد انت واصحابك
تستحلونه وادعوا ان ذلك مسطورا في التورية وقال الكلبي كان هذا حين قال النبي صلى الله عليه وسلم انا على ملة ابرهيم
عليه السلام وقالت اليهود وكيف وانت تأكل لحوم الابل والبانها فقال صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابرهيم فنحن نحله
فقالت اليهود كل شيء اصبحنا اليوم نحرمه فانه كان محرما على ابرهيم ونوح وهلم جرا حتى انتهى الينا فانزل الله تكذيبا
لهم كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قوله عز وجل قل فأتوا بالتورية فاتلوها
ان كنتم صادقين وذلك ان اليهود لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما الذي حرم اسرائيل على نفسه قالوا كل شيء
نحرمه اليوم على انفسنا قال الله للنبي صلى الله عليه وسلم قل فأتوا بالتورية فاتلوها اي فاقرؤها هل تجدون فيها
تحريم كل ذي ظفر وتحريم شحوم البقر والغنم وغير ذلك مما حرم الله عليكم من الطيبات تخبرون ان في التورية ظلمكم وبغيكم
كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فابوا ان يأتوا بالتورية خوف الفضيحة لعلمهم بصدق
النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى قوله عز وجل فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم
الظالمون اي من اختلق على الله الكذب بان يزعم عليه ما لم ينزله في كتاب من بعد ذلك يقول من بعد قيام الحجة عليه
فاولئك هم الظالمون لانفسهم قوله عز وجل قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اي قل لهم يا محمد صدق
الله في ان كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فاتبعوا ملة ابرهيم في استباحة لحوم الابل والبانها
واعملوا ما كان يفعله من الصلوة الى الكعبة وحج البيت وما كان من المشركين اي لم يكن ابرهيم على دين المشركين ولم يفعل
كما تفعله اليهود في ادعائهم ان عزيرا ابن الله وكما تقوله النصارى ان المسيح ابن الله وهذا لانه حجة على اليهود في الكلام
نسخ الشريعة قوله عز وجل ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين قال
مجاهد تفاخر المسلمون واليهود فقالت اليهود بيت المقدس افضل واعظم من الكعبة لانها مهاجر الانبياء وفي الارض المقدسة
وقال المسلمون بل الكعبة افضل فانزل الله تعالى ان اول بيت وضع للناس وقرأ ابن السميفع وضع بفتح الواو والضاد يعني وضعه
الله للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابرهيم وليس ذلك لبيت المقدس فكيف على الناس
ونسخة للبيت المقدس واختلفوا في قوله ان اول بيت وضع فقال بعضهم هو اول بيت وضع على وجه الارض عند خلق السموات
والارض خلقه الله قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحته وهذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة
والسدي وقيل معناه هو اول بيت بناه آدم في الارض قاله ابن عباس وقال الضحاك معناه اول بيت وضع فيه البركة
واخبر من النعم وقيل هو اول بيت جعل قبلة للمسلمين وعن ابي ذر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول
بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل له كم بينهما قال اربعون عاما وقال الحسن معناه ان اول بيت وضع لعبادة
الناس على وجه الارض الكعبة بناها ابرهيم عليه السلام كما قال الله تعالى واذ بوأنا لابرهيم مكان البيت الآية واما بيت
المقدس فقد كان بعد الكعبة بدهر طويل بناه سليمن بن داود عليهما السلام وقال الكلبي كان آدم عليه السلام حين اخرج من
الجنة بنى الكعبة فطاف بها فلما كان في زمان طوفان نوح عليه السلام رفعها الله الى السماء الرابعة وبقي موضع الكعبة

البيت المعمور يقال له الضراح يدخله كل يوم سبعون الف ملك وروي أن الله تعالى انزل الكعبة من السماء وهي ياقوتة
حمراء وكانت للملائكة يحجونها قبل آدم عليه السلام فلما كثرت الخطايا رفعها الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الكعبة كانت خشعة على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها والخشعة مثل الصخرة متواضعة قوله تعالى
ببكة قال الضحاك هي مكة والعرب تعاقب بين الباء والميم تقول ضربة لازب وضربة لازم وقال ابن عباس بكة المسجد ومكة
الحرم كله وقال الزهري وسمي المسجد بكة لان الله هو الرحمة في الكعبة يقال بكه اذا زحمه وسمي المسجد بكة لان
الناس يتباكون فيه اي يزدحمون للطواف وقال ابو عبيدة بكة اسم لبطن مكة ومكة لما بقي وقال عبد الله بن الزبير
سميت البلد بكة لانها تبك اعناق الجبابرة ما قصدها جبار الا قصمه الله كاصحاب الفيل وغيرهم وسميت مكة لاجتذابها
الناس من كل افق يقال امتك الفصيل ما في ضرع الناقة اذا استقصى فلم يدع شيئا منه وقال ابن عباس رضي الله عنه ما اعلم على
وجه الارض بلدة الحسنة فيها بمائة الف الا مكة ويرادنا بها تصدق وبه تكتب له به الف درهم الا مكة وما اعلم على وجه
الارض بلدة اذا دعا الرجل فيها بدعاء امن الملائكة على دعائه الا مكة وما اعلم على وجه الارض بلدة يؤمن فيها
فيكون تكفير الخطايا الا مكة وما اعلم على وجه الارض بلدة صدر اليها جميع النبيين والمرسلين الا مكة وما اعلم على وجه
الارض بلدة ينزل فيها كل يوم من روح الجنة وريحانها ما ينزل الا مكة والركعة فيها بمائة الف ركعة قوله تعالى
مباركا نصب على الحال اي الذي استقر بمكة والبركة ثبوت الخير ونموه قوله تعالى وهدى للعالمين اي قبلة للمؤمنين
وقيل بيان ودلالة للعالمين على الله بما اهلك من قصده من الجبابرة وما يستأنس الطير فيه بالناس وان لا تعلوه طائر اعظاما
له وبما يرمى فيه من الجمار في كل سنة فلولا ان ما يقبل منها يرفع كما قال ابن عباس لما كان قد اجتمع هناك من الجمار
مثل الجبال ويجوز ان يكون المراد بالهدى انه طريق الجنة قوله عز وجل فيه آيات بينات مقام ابرهيم اي فيه علامات
واضحات وهي ما تقدم ذكره وسائر ما فيه ايضا والآية في مقام ابرهيم ان قدميه دخلتا في حجر صلد بقدرة الله تعالى صار
كالطين حتى صار قدماه فيه ثم عاد حجرا صلدا ليكون ذلك آية له على صدق نبوته عليه السلام وقرأ ابن عباس فيه آية
بينة على التوحيد اراد مقام ابرهيم والحجر الاسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها قوله تعالى ومن دخله كان آمنا
قال الحسن عظم الله قلوب العرب في الجاهلية على من لاذ بالحرم ان كان رجلا لا يهاج فيه وذلك بدعاء ابرهيم عليه السلام
حيث قال رب اجعل هذا بلدا آمنا وكان في الجاهلية من دخله امن من القتل ولم يرده الاسلام الا شدة وقيل اي ادخل
الحرم الجاني الصغار من الكبار في الطوفان وقيل من دخله عام عمرة القضاء مع النبي صلى الله عليه وسلم كان
آمنا بيانه قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقال اهل المعاني وصورة الآية خبر ومعناها امر تقديره
ومن دخلها فامنوه كقوله فلا رفث ولا فسوق ولا جدال اي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا وقيل معناه من دخله
لقضاء النسك معظما لله عارفا بحقوقه متقربا الى الله تعالى كان آمنا يوم القيمة وقال الضحاك معناه من حجه بدخله
كان آمنا من الذنوب التي اكتسبها قبل ذلك وقال جعفر الصادق من دخله على الصفا كما دخله الانبياء والاولياء
كان آمنا من عذابه وقال ابو النجم القرشي كنت اطوف بالبيت فقلت سيدي قد قلت ومن دخله كان آمنا من اي شيء
فسمعت هاتفا يقول آمنا من النار فالتفت فلم ار شيئا يدل على هذا ما روي انس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعثه الله عز وجل من الآمنين وقال صلى الله عليه وسلم الحجون والبقيع يؤخذ
باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وقال صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت
منه جهنم مسيرة مائتي عام وتقربت منه الجنة مسيرة مائة عام كذا في تفسير الثعلبي وقال وهب بن منبه مكتوب في
التورية ان الله عز وجل يبعث يوم القيمة سبعمائة الف من الملائكة المقربين الى البيت بيد كل واحد منهم سلسلة من ذهب فيقول
لهم اذهبوا الى البيت الحرام فزموه بهذه السلاسل ثم قودوه الى المحشر فيأتونه بسبعمائة الف سلسلة من ذهب فيقودونه
وملك ينادي يا كعبة الله سيري فتقول لست سائرة حتى اعطى سؤلي فينادي ملك من جو السماء سلي فتقول يا رب شفعني في
جيراني الذين كانوا حولي من المؤمنين فيقول الله قد اعطيتك سؤلك فيحشر من حولها من قبورهم بيض الوجوه كلهم محرمين

حدث

يجمعون حول الكعبة ثم يلبون ثم تقول الملائكة بشرى يا كعبة الله فتقول لست بسائرة حتى أعطى سؤلي فينادي ملك من جو السماء سلي وتقول يا رب عبادك المذنبين الذين وفدوا إلي من كل فج عميق شعثا غبرا قد تركوا الأهلين والأولاد وخرجوا شوقا زائرين مسلمين طائعين حتى قضوا مناسكهم كما أمرتهم فأسألك أن تؤمنهم من الفزع الأكبر وتشفعني فيهم حولي فينادي الملك إن منهم من ارتكب الذنوب العظام فيقول الله تعالى قد شفعتك فيهم وأعطيتك سؤلك ثم ينادي ألا من زار الكعبة فليعتزل من بين الناس فيعتزلون فيجمعهم الله حول البيت الحرام بيض الوجوه آمنين من النار يطوفون وينادي ملك من جو السماء ألا يا كعبة الله سيري فتقول الكعبة لبيك اللهم لبيك والخير في يديك لبيك لا شريك لك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ثم تشفعون إلى المحشر. **قوله عز وجل** ولله على الناس حج البيت قال عكرمة لما نزل قوله تعالى ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن المسلمون فأمرهم أن يحجوا إن كانوا مسلمين واللام في قوله ولله لام الإيجاب والإلزام أي لله فرض واجب على الناس حج البيت قرأ أبو جعفر والأعمش وحمزة والكسائي وخلف وحفص حج بكسر الحاء هذا الحرف خاصة. وقرأ ابن أبي إسحاق جميع ما في القرآن بالكسر وهي لغة نجد. وقرأ الباقون بالفتح في كل القرآن وهي لغة أهل الحجاز وهما لغتان فصيحتان بمعنى واحد وقال بعضهم هو بالفتح المصدر وبالكسر الاسم. **قوله عز وجل** من استطاع إليه سبيلا بدل من الناس وهو بدل البعض من الكل. وقال عبد الله بن عمر سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاستطاعة في قوله تعالى من استطاع إليه سبيلا فقال الزاد والراحلة ومثله عن ابن مسعود وابن عباس وعائشة وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك. **قوله تعالى** ومن كفر فإن الله غني عن العالمين معناه من أنكر فريضة الحج فلم يره واجبا فإن الله غني عمن حج وعمن لم يحج أي مستغن عن العبادات لحاجته إليها وإنما تعبدهم بها لعلمه بمصالحهم فيها وقد روي أنه لما نزل فرض الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين اليهود والنصارى ومشركي العرب فقال صلى الله عليه وسلم إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فلم يقبله إلا المسلمون فأنزل الله تعالى ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وأما ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أدرك حجة الإسلام فلم يحج لم تمنعه حاجة ظاهرة ولا إمام جائر ولا مرض حابس حتى يموت على ذلك فليمت على أي حال شاء يهوديا أو نصرانيا فهو على طريق التهديد والتخويف لكون المؤمن يهوديا أو نصرانيا ولا يجوز الحكم بكفره بأخبار الآحاد ومثل الخبر أنه لمن ترك الحج فرضا عليه وقد وجدت الاستطاعة. وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى ومن كفر أي ومن كفر بالله واليوم الآخر. وقال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج لم يقبل الله منه يوم القيامة عملا. **قوله عز وجل** قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون أي قل يا محمد لليهود والنصارى لم تكفرون بفرض الحج وبمحمد والقرآن والله عالم بما تعملون وإنما قال في هذا الموضع قل يا أهل الكتاب وقال من قبل يا أهل الكتاب لأنه تعالى خاطبهم أولا على وجه التلطف في استدعائهم إلى الإيمان ثم أعرض عن خطابهم إذلالا وإهانة لهم وأمر غيره بمخاطبتهم. **قوله عز وجل** يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء نزلت في قوم من اليهود كانوا يدعون عمارا وأصحابه رضي الله عنهم إلى اليهودية وكانوا يسعون في إحياء الضغائن التي كانت بين الأوس والخزرج في الجاهلية وكانت قد ماتت في الإسلام ومعنى الآية قل يا محمد لم تصرفون من آمن عن دين الله وعن الطريق التي هي توصله إلى رضا الله من الإسلام والحج وغير ذلك تبغونها عوجا تطلبون لها ميلا قال أبو عبيد العوج بالكسر في الدين والقول والعمل والعوج بالفتح في الجدار والحائط والعصا وكل شخص قائم وأنتم شهداء أي وأنتم تشهدون أن في التوراة بشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل وأنتم عقلاء كما في **قوله تعالى** أو ألقى السمع وهو شهيد. **قوله تعالى** وما الله بغافل عما تعملون تهديد لهم على الكتمان أي لا يخفى على الله شيء مما تعملون من جحود الكتمان. **قوله عز وجل** يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين قال زيد بن أسلم مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة فقال ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا من اليهود وكان معهم فقال اعمد إليهم وذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا

تقاولوا فيه من الأشعار وكان بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين أحدهما من الأوس والآخر من الخزرج وتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه إن شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا الموعد الحرة فخرجوا إليها بالسلاح وانضمت الأوس إلى الأوس والخزرج إلى الخزرج فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج بمن معه من المهاجرين إليهم فقال يا معشر المسلمين تدعون إلى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فعلموا أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم رجعوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين فأنزل الله عز وجل هذه الآية وعناهم بها يا أيها الذين آمنوا يعني الأوس والخزرج إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يعني شاسا وأصحابه يضلوكم بإحياء الضغائن التي كانت بينكم من العصبية وحمية الجاهلية يردوكم إلى الشرك والكفر بعد تصديقكم محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن. قال جابر بن عبد الله ما كان من طالع أكره إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيت يوما قط أقبح أولا ولا أحسن آخرا من ذلك اليوم. **قوله عز وجل** كيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله هذا على طريق التعجب والاستبعاد أن يقع منهم الكفر مع معرفتهم بدلالات الله أي كيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم القرآن وفيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين لكم الآيات. **قوله تعالى** ومن يعتصم بالله أي يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته ويمتنع به عن غيره فقد هدي إلى صراط مستقيم فقد اهتدى إلى طريق قائم يرضاه الله وهو الإسلام والعصمة المنع وكل مانع شيئا فهو عاصم. قال الفرزدق:

أنا ابن العاصمين بني تميم ... إذا ما أعظم الحدثان نابا

قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون يعني يا أيها الذين صدقوا محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن أطيعوا الله حق طاعته واثبتوا على الإسلام حتى يدرككم الموت إلا وأنتم مسلمون. قال الكلبي حق تقاته أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر. وقال ابن عباس هو أن لا يعصى طرفة عين. وقال مجاهد معناه جاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم وقوموا لله بالقسط ولو على أنفسكم وأبنائكم فلما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله من يقوى على تقوى الله حق تقاته وشق ذلك عليهم فأنزل الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت هذه الآية وإلى هذا ذهب قتادة ومقاتل وجماعة من المفسرين. قال مقاتل وليس في آل عمران من المنسوخ إلا هذا. وقال بعضهم لا يجوز أن يكلف الله عباده ما لا يطيقون وليست هذه الآية منسوخة وإنما معناها اتقوا الله حق تقاته أي عليكم أن تتقوه فيه وهو ما أمر الله تعالى في كتابه في مواضع شتى. **قوله تعالى** ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون أي مؤمنون وقيل مخلصون مفوضون أموركم إلى الله. وقال الفضيل محسنون الظن بالله. وعن أنس رضي الله عنه قال لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه. **قوله عز وجل** واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا الآية قال مقاتل كان بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأصلح بينهم فافتخر بعد ذلك رجلان ثعلبة بن غنم الأوسي وأسعد بن زرارة الخزرجي فقال الأوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة. وقال الخزرجي منا أربعة أحكموا القرآن أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهم فغضبا وقال الخزرجي أما والله لو تأخر الإسلام قليلا وقدوم النبي صلى الله عليه وسلم لقتلنا سادتكم واستعبدنا أبناءكم ونكحنا نساءكم بغير مهر فقال الأوسي قد كان الإسلام متأخرا كثيرا فهلا فعلتم ذلك حين ضربناكم حتى أدخلناكم البيوت وتكاثرا وتسابا وأقبلا حتى اجتمع الأوس والخزرج ومعهم السلاح فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم في أناس من المهاجرين ودعا بعضهم إلى بعض وزجرهم فما كان طالع يومئذ أكره علينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأومأ إلينا بيده فكففنا ووقفنا فقرأ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا إلى قوله تعالى وأولئك لهم عذاب عظيم فألقى الفريقان السلاح والعداوة والحرب فلم يكن في الأرض شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول الآية ومشى بعضهم إلى بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعانق بعضهم بعضا يبكون فما رأيت يوما أكثر باكيا من يومئذ. **قوله تعالى** بحبل الله

أي تمسكوا بدين الله وقيل بالجماعة وقال مجاهد وعطاء بعهد الله وقال قتادة والسدي والضحاك معناه واعتصموا بالقرآن
وروى عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الله هو الحبل المتين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وقال ابن
مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع
عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه وقال مقاتل معنى قوله اعتصموا بأمر الله وطاعته وقال ابو العالية باخلاص التوحيد لله وقال
ابن زيد بالاسلام **قوله تعالى** ولا تفرقوا أي تناصروا في دين الله ولا تفرقوا فيه كما افترقت اليهود والنصارى وقال صلى الله
عليه وسلم ان بني اسرائيل افترقت على احدى وسبعين فرقة وان امتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة
قيل يا رسول الله وما هذه الفرقة الواحدة قال الجماعة ثم قرأ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله رضي لكم ثلاثا وكره لكم ثلاثا ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تسمعوا وتطيعوا لمن ولاه
الله امركم وكره لكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال **قوله عز وجل** واذكروا نعمة الله عليكم اي احفظوا منة الله
عليكم اذ كنتم اعداء في الجاهلية يقتل بعضكم بعضا فجمع الله بين قلوبكم بالاسلام بالتحريم للانفس والاموال الا بحقها فأصبحتم بنعمته اخوانا
في الدين قال محمد بن اسحق كان الاوس والخزرج اخوين لاب وام فوقعت بينهم عداوة بسبب سمير وحاطب في ذلك ان سمير بن يزيد احد
بني عمرو بن عوف قتل حليفا لمالك بن العجلان الخزرجي يقال له حاطب بن الحارث فوقع الحرب بين القبيلتين فتطاولت بينهم تلك العداوة
مائة وعشرين سنة ولم يقع بينهم من العداوة والحرب مثل ما كان بينهم واتصلت تلك العداوة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والف
بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث وظهر بمكة أمر نبيه الاوس والخزرج
بالمدينة فلما هاجر اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقعت الالفة بينهم وزالت العداوة من قلوبهم وكان ابتداء ذلك وكان
سبب الفتهم ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في الموسم وهو بمكة يعرض نفسه على قبائل العرب فبينما هو عند العقبة
اذ لقي رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر اسعد بن زرارة وعوف بن عفراء ورافع بن مالك وقطبة بن عامر
وجابر بن عبد الله فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من انتم فقالوا نفر من الخزرج فقال أفلا تجلسون حتى اكلمكم قالوا
بلى فجلسوا فدعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن وكان معهم بالمدينة يهود اهل كتاب وكانوا اذا كان بينهم شيء
قالوا ان نبيا مبعوث قد دنا زمانه فلما كلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض هذا والله النبي الذي تعدكم
اليهود فلا يسبقنكم اليه احد فأجابوه وصدقوه واسلموا وقالوا يا رسول الله ان بيننا من العداوة والشر ما بينهم
وعسى الله ان يجمع كلمتهم بك فإن قدم اليهم وادعهم الى امرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك ثم انصرفوا راجعين
الى بلادهم وقد اسلموا فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم
فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى الموسم منهم اثنا عشر رجلا اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر
ورافع بن مالك وذكوان بن عبد قيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة فهؤلاء خزرجيون وابو
الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس فاجتمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة وهي العقبة الاولى فبايعوه
على ان لا يشركوا بالله شيئا وان لهم الجنة وكان ذلك قبل ان يفرض عليهم الجهاد فلما رجعوا الى المدينة بعث معهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير بن هاشم وامره ان يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين فكان مصعب يسمى بالمدينة
المقرئ وكان نزوله في بني غنم على اسعد بن زرارة فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد
أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان اسعد بن زرارة ابن خالتي ولولا ذلك لكفيتك وكان سعد بن معاذ واسيد بن حضير سيدي قومهما
من بني عبد الاشهل وكلاهما مشرك فأخذ اسيد بن حضير حربته واقبل الى اسعد ومصعب وهما جالسان في حائط فلما رآه اسعد
بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه فلما وقف عليهما اسيد شتمهما وقال
ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما في انفسكما حاجة فقال مصعب اوتجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان
كرهته كففنا عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس عندهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقالا والله

لعرفنا في وجهه الاسلام قبل ان يتكلم ثم قال ما احسن هذا واجمله كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا في هذا الدين قال
اغتسل فتطهر ثوبك ثم اشهد شهادة الحق لا اله الا الله محمد رسول الله ثم تصلي ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبيه وقال
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم ركع ركعتين ثم قال ان ورائي رجلا ان تبعكما لم يتخلف احد
من قومه يعني سعد بن معاذ وسأرسله اليكما الآن ثم اخذ حربته وانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر
اليه سعد مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم اسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال له سعد ما فعلت
قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة
ليقتلوه لما عرفوا انه ابن خالتك ليحقروك فقام سعد مغضبا مبادرا للذي ذكر فأخذ الحربة منه ثم قال والله ما اراك اغنيت
شيئا ومضى اليهما فلما رآهما مطمئنين عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة يا ابا
امامة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره فقال له مصعب او تقعد فتسمع فان رضيت امرا
ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره فركز حربته وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله
في وجهه الاسلام قبل ان يتكلم به ثم قال كيف تصنعون اذا اسلمتم قالا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وتصلي ركعتين فقام واغتسل وغسل ثوبه وشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وصلى ركعتين ثم
أخذ حربته ومضى الى نادي قومه ومعه اسيد بن حضير الاوسي فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون امري
فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رأيا قال فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما امسى في دار بني عبد
الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما ومسلمة ورجع اسعد ومصعب الى منزل اسعد بن زرارة واقاما عنده يدعوان الناس الى
الاسلام فلم تبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار
من المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من
اواسط ايام التشريق وهي بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر اخبرناه وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا امرنا فكلمناه وقلنا يا جابر
انك سيد من ساداتنا وانا نرغب بك فيما نرغب لانفسنا ودعوناه الى الاسلام واخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشهد معنا العقبة وكان نقيبا فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى
الله عليه وسلم نتسلل مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب
من نساء بني النجار واسماء بنت عمرو بن عدي من نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس وهو يومئذ مشرك الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له فلما جلس كان
اول من تكلم العباس فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمي الاوس والخزرج باسم الخزرج اعلموا ان محمدا منا حيث قد
علمتم وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وقد ابى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون
له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم
فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا قولك فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت فتكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا القرآن ودعا الى الله ورغب في الاسلام وقال ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه
انفسكم ونساءكم وابناءكم قال فاخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه ابناءنا
فبايعنا يا رسول الله فنحن اهل الحرب واهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر فقال ابو الهيثم بن التيهان يا رسول الله
ان بيننا وبين الناس حبالا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم انتم مني وانا منكم احارب من حاربتم واسالم من سالمتم
ثم قال اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم فاخرجوا اثني عشر نقيبا
تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس فلما اجتمعوا للبيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة الانصاري

يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعونه إنما تبايعونه على حرب الأحمر والأسود فإن كنتم ترون أنكم إذا انهكت أموالكم
بالأخذ وأشرافكم بالقتل أسلمتموه فمن الآن فوالله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه
على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل
الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا قال لكم الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه وأول من ضرب على
يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم واحدا واحدا فلما بايعوا صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته أحد
قط فقال صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله شيطان العقبة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفضوا إلى رحالكم فقال
العباس بن عبادة والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن غدا على أهل منى بأسيافنا فقال صلى الله عليه وسلم لم أؤمر بذلك
إلى رحالكم قال فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم
هذا لتستخرجوا صاحبنا من بين أظهرنا وتبايعوه على حربنا وإنه والله ما حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم
منكم فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه وصدقوا لأنهم لم يعلموا على بعضنا
بعضنا ينظر إلى بعض ثم انصرف الأنصار إلى المدينة وقد شدوا العقد فلما قدموا أظهروا الإسلام بها وبلغ ذلك قريشا
فآذوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لأصحابه إن الله قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون
فيها فأمرهم بالهجرة إلى المدينة واللحوق بإخوانهم من الأنصار فأول من هاجر إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي
ثم عامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبي حثمة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
أرسالا إلى المدينة وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يؤذن له في الهجرة إلى أن أذن له فقدم المدينة
فجمع الله أهل المدينة أوسها وخزرجها بالإسلام وأصلح ذات بينهم برسوله ورفع عنهم العداوة القديمة وألف
بينهم وذلك قوله عز وجل ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم بالإسلام فأصبحتم
بنعمته إخوانا أي فصرتم ونظيره فأصبح من الخاسرين فأصبح من النادمين أو يصبح ماؤها غورا وقوله تعالى بنعمته
أي بدين الإسلام وقوله تعالى إخوانا أي في الدين والولاية ونظيره قوله تعالى إنما المؤمنون إخوة وقال صلى الله عليه وسلم
لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تنافروا ولا تحسسوا وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله التقوى
هاهنا وأشار بيده إلى صدره حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم قوله عز وجل وكنتم على شفا
حفرة من النار فأنقذكم منها أي كنتم في الجاهلية على طرف هوة من النار أي كنتم على الكفر لو متم عليه وقعتم
فيها لو أدرككم الموت على الكفر فأنقذكم الله منها أي خلصكم من النار والكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالإسلام
قوله تعالى كذلك يبين الله لكم آياته أي مثل هذا البيان الذي تلي عليكم يبين الله لكم الآيات والحجج في الأوامر
والنواهي لكي تهتدوا من الضلالة وتكونوا على رشاد الهداية قوله عز وجل ولتكن منكم أمة يدعون إلى
الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أي لتكن منكم جماعة يدعون إلى الصلح والإصلاح ويأمرون بالتوحيد
واتباع محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الطاعات الواجبة وينهون عن الكفر والشرك وسائر ما منع في شريعته وسنته
وأولئك هم المفلحون أي الناجون من السخط والعذاب وإنما قال ولتكن منكم ولم يقل ولتكن جماعتكم لأن الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين ويجوز أن يكون المراد بالأمة في هذه الآية
العلماء يدعون ما يدعون إليه. وذهب بعض المفسرين إلى أن لفظة من للتبيين لا للتبعيض كأنه قال كونوا كلكم لكن من هاهنا دخلت للتوكيد
وتخصيص المخاطبين من سائر الأجناس كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان أي فاجتنبوا الأوثان فإنها
رجس لأن المراد فاجتنبوا بعض الأوثان دون بعض واللام في لتكن لام الأمر قوله تعالى يدعون إلى الخير أي إلى
الإسلام ثم النهي عن المنكر على مراتب أولها الوعظ والتخويف فإن زال بذلك لم يجز للناهي أن يتعدى عنه إلى ما
فوقه ثم بالأذى والتعال ثم بالسوط ثم بالسلاح والقتال لأن المقصود زوال المنكر وأما إذا كان الناهي عن المنكر
خائفا على نفسه فقد قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه

وذلك أضعف الإيمان. وقال صلى الله عليه وسلم من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله
وخليفة كتابه وقال صلى الله عليه وسلم مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه كله
وقال علي رضي الله عنه أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشنآن الفاسقين. وقال أبو الدرداء لتأمرن
بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو خياركم فلا يستجاب
لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم. وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لأن يكون فيهم جيفة حمار
أحب إليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر. وقال الثوري إذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند إخوانه
فاعلم أنه مداهن قوله عز وجل ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات أي
ولا تكونوا كاليهود والنصارى الذين اختلفوا فيما بينهم وصاروا فرقا وشيعا من بعد ما جاءهم الكتاب في أمر محمد صلى الله عليه
وسلم وأولئك لهم عذاب عظيم على تفرقهم واختلافهم. وقال بعضهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وهم
المبتدعة من هذه الأمة ثم بين الله تعالى وقت العذاب العظيم الذي يصيبهم فقال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه مقابلة وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهو يوم القيامة وانتصب على الظرف أي في يوم
وقرأ يحيى بن وثاب تبيض وتسود بكسر التاء على لغة تميم. وقرأ الزهري تبياض وتسواد ومعنى الآية تبيض وجوه المخلصين لله
بالتوحيد أي تشرق وتبيض كالثلج بياضا والشمس ضياء وتسود وجوه الكفار والمنافقين من الحزن يحشرون يدعون إلى السجود
فلا يستطيعون. وعن ابن عباس رضي الله عنهما تبيض وجوه أهل العلم والسنة وتسود وجوه أهل البدعة وقال بعضهم البياض
من الوجوه إشراقها واستبشارها وسرورها بعملها وثواب الله والسواد حزنها وكآبتها وكسوفها بعملها وعقاب ربها
قوله عز وجل فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم جوابه محذوف أي فيقال لهم أكفرتم بعد
إيمانكم قيل هم قوم من أهل الكتاب كانوا مصدقين بأنبيائهم مصدقين بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فلما بعث
كفروا به وذلك قوله أكفرتم بعد إيمانكم وقيل هم من كفر بالله يوم الميثاق وحين أخرجوا من صلب آدم عليه السلام وقيل هم الخوارج
وأهل البدع كلها وقيل هم أهل الردة. قوله عز وجل وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها
خالدون وهم المؤمنون الذين ابيضت وجوههم في الآخرة في جنة الله تعالى وجادوا إليها برحمتهم فيها
مقيمون لا يخرجون منها وفي الآية بيان أن الجنة لا تنال إلا برحمة الله وإن اجتهد المجتهد في طاعته قوله عز وجل تلك
آيات الله نتلوها عليك بالحق أي هذه حجج الله نتلوها عليك جبريل عليه السلام ونقرؤها عليك بالصدق وما الله يريد ظلما
للعالمين أي للجن والإنس قوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور
يعني جميع ما في السموات والأرض من الخلق عبيد لله ومخلوقه فلا يريد ظلمهم فإن من بلغ غناه هذا المبلغ لا يحتاج إلى الظلم
قوله تعالى وإلى الله ترجع الأمور أي عواقب الأمور في الآخرة قوله عز وجل كنتم خير أمة أخرجت
للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله خطاب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يعم سائر أمته وقال الحسن نحن آخرها وأكرمها على الله وقيل معنى كنتم خير أمة أي كنتم في اللوح المحفوظ وقيل كنتم منذ
كنتم وقيل كان فيه زائدة أي أنتم خير أمة قوله تعالى تأمرون بالمعروف أي بالتوحيد واتباع الشريعة وتنهون عن المنكر
أي عن الشرك والظلم قوله تعالى وتؤمنون بالله أي توحدون الله تعالى بالإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم لأن من كفر
بالنبي صلى الله عليه وسلم لم يوحد الله تعالى ودليل هذا التأويل قوله تعالى ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم أي لو صدق
اليهود والنصارى مع إيمانهم بالله تعالى بإيمانهم بنبيه صلى الله عليه وسلم لكان خيرا لهم من إقامتهم على دينهم. وعن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى. وقال صلى الله عليه وسلم أهل الجنة مائة
وعشرون صفا ثمانون منها من هذه الأمة. وقال صلى الله عليه وسلم إن الجنة محرمة على الأمم حتى يدخلها أمتي.
وقال صلى الله عليه وسلم أمتي أمة مرحومة إذا كان يوم القيامة أعطي كل رجل من هذه الأمة رجلا من الكفار فيقال له هذا
فداؤك من النار. وقيل لعيسى عليه السلام يا روح الله هل بعد هذه الأمة أمة قال نعم أمة أحمد صلى الله عليه وسلم

علماء حكماء حلماء أبرار أتقياء كأنهم من العفة أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله تعالى منهم
باليسير من العمل يدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله **قوله عز وجل** منهم المؤمنون يعني أهل الكتاب
منهم عبد الله بن سلام وأصحابه وسائر من أسلم من أهل الكتاب وأكثرهم الفاسقون أي الكافرون
الخارجون عن أمر الله وهم الذين لم يسلموا منهم **قوله عز وجل** لن يضروكم إلا أذى أي لن تصلوا إلى ضرركم
أيها المسلمون إلا أن تؤذوكم باللسان بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله وثالث ثلاثة والتهمة على النبي بنعت وكل
أن رؤساء اليهود كعب بن الأشرف وأبو رافع وأبو ياسر وابن صوريا وغيرهم عمدوا إلى مؤمنيهم عبد الله بن سلام
وأصحابه فآذوهم لإسلامهم فأنزل الله عز وجل لن يضروكم إلا أذى أي باللسان يعني وعيدا وطعنا بألسنتهم ودعاء
إلى ضلالة وكلمة كفر تسمعونها منهم فتتأذون بها **قوله تعالى** وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون
أي تعطوا لهم الأدبار منهزمين يعني لا يضر عنكم أحد من تسكم إياهم وقتلكم تعوموهم وقوله تعالى ثم لا ينصرون ليس بجواب
الشرط إلا أنه استيناف فأجل ... على النون لقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون وتقديره ثم هم
لا ينصرون وكان في موضع آخر لا يقضى عليهم فيموتوا إذا لم يكن على رأس آية **قال الشاعر** ألم تسأل الربع القواء
فينطق أي فهو ينطق **قوله عز وجل** ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس أي جعلت
عليهم مذلة القتل والسبي أينما وجدوا **قوله تعالى** إلا بحبل من الله أي إلا أن يعتصموا بعهد الله وهو الإسلام وقوله
تعالى وحبل من الناس أي بعهد وأمان وعقد ذمة المسلمين عليهم يؤدون إليهم الخراج ويؤمنونهم وفي الآية
اختصار تقديره إلا أن يعتصموا بحبل الله **قوله تعالى** وباؤوا بغضب من الله أي استوجبوا من الله عز وجل
قوله تعالى وضربت عليهم المسكنة أي جعل عليهم زي الفقر والبؤس حتى صار وأثر الذلة إلى أهل
ملة تجد أنه كانوا أذوي عز ويسار وسعة ترى الرجل منهم عليه البؤس والمسكنة وإنه لغني وكم يهودي
سعة في موضع من المواضع **قوله تعالى** ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق أي ذلك
الذل والغضب عليهم من الله بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ورضاهم بقتل آبائهم الأنبياء بغير حق وعصيانهم وتجاوزهم
الحد **قوله عز وجل** ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون وذلك
ابن عباس ومقاتل لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسد بن عبيد ومن أسلم من اليهود قالت أحبار اليهود
ما آمن بمحمد إلا شرارنا لو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم ثم قالوا لهم قد خسرتم حين استبدلتم بدينكم دينا غيره
فأنزل الله هذه الآية وقيل لما ذكر الله تعالى في الآيات المتقدمة من آمن من أهل الكتاب ومن لم يؤمن قال عز وجل
ليسوا سواء أي ليس الفريقان سواء وهذا وقف تام ثم استونف قوله تعالى من أهل الكتاب أمة قائمة أي عادلة مستقيمة
مهتدية وقال الأخفش معناه ذو أمة أي ذي طريقة قال الأمة الطريقة ومعنى قوله يتلون آيات الله آناء الليل
يعني يقرؤون القرآن في ساعات الله وهم يسجدون أي وهم يصلون لأن القراءة لا تكون في السجود وطرح قوله تعالى وقيل
أي يصلون وقوله تعالى وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن أي صلوا وإنما ذكر الصلاة باسم السجود لأن السجود ذهابه ما فيها
من التواضع **قال** ابن مسعود رضي الله عنه أراد به صلوة العتمة وقيل أراد به ما بين المغرب والعشاء والصلاة
النجاة في وقت الأداء وقال بعضهم أنا شاهد واحد وقال بعضهم إني ليل نحيي وأنحاء وقال بعض المفسرين في الآية
حذف تقديره من أهل الكتاب أمة قائمة وأخرى غير قائمة فترك الأخرى اكتفاء بذكر أحد الفريقين قالوا وهو أصل
متفرع تقدم لغتهم أكلوني البراغيث وذهبوا أصحابك وقال آخرون تمام الكلام عند قوله ليسوا سواء
يعني المؤمنين والفاسقين لأنه ذكر الفريقين قد جرى في قوله منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ثم وصف الفاسقين
بأنهم لن يضروكم إلا أذى ووصف المؤمنين بأن لا أمة قائمة الآية **قوله عز وجل** يؤمنون بالله واليوم
الآخر قال ابن عباس لما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه قالت اليهود ما آمن بمحمد إلا شرارنا فأنزل الله هذه الآية
وأنها وإن نزلت فيهم فهو حث لكل مسلم أن يكون على هذه الصفة ومعنى الآية يصدقون بالله وبالبعث بعد الموت

ويأمرون بالمعروف أي باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر أي عن اتباع الجبت والطاغوت في مخالفة النبي
صلى الله عليه وسلم **قوله عز وجل** ويسارعون في الخيرات أي يبادرون إلى الطاعات والأعمال الصالحة
وأولئك من الصالحين أي من المؤمنين المخلصين وهم أبو بكر وعمر وسائر الصحابة **قوله عز وجل** وما
تفعلوا من خير فلن تكفروه أي فلن تجحدوه يعني تجزون وتثابون عليه قرأ الأعمش ويحيى وحمزة
والكسائي وحفص وخلف وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء فيهما إخبارا عن الأمة القائمة وقيل راجع إلى قوله
الصالحين وقرأ الباقون بالتاء فيهما على الخطاب لقوله كنتم خير أمة **قوله تعالى** والله عليم بالمتقين أي
عالم بأعمالهم وثواب أعمالهم **قوله عز وجل** إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله
شيئا معناه أن الذين جحدوا محمدا والقرآن لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئا وأولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون أي مقيمون **قوله عز وجل** مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح
فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته معناه مثل ما ينفقون اليهود في اليهودية على علمائهم وسائر
علمائهم وما ينفق أهل الأوثان على أصنامهم في تظاهرهم على النبي صلى الله عليه وسلم وإهلاكهم ما أنفقوا كمثل ريح فيها برد
شديد وقيل الصر صوت لهب النار التي تحرق الزرع وقيل الصر ريح فيها صوت ونار **قوله تعالى** أصابت حرث
قوم أي زرع قوم ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية ومنع حق الله فأهلكته أي أحرقته الريح فلم ينتفعوا منه بشيء في الدنيا
كذلك من ينفق في غير طاعة الله لا ينتفع بنفقته في الآخرة كما لا ينتفع صاحب هذا الزرع بزرعه في الدنيا **قوله تعالى** وما ظلمهم الله بإهلاك زرعهم ولكن أنفسهم يظلمون بمنع حق الله فيه وكفرهم ومعصيتهم **قوله عز وجل**
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا نزلت هذه الآية في الأنصار كانوا قد خالطوا
اليهود حتى صار كأن بينهم نسبا وكانوا يواصلونهم ويعاطفونهم حتى كان الرجل يتزوج منهم فيختارهم على قومه
قبل بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم والإسلام وآمن الأنصار أبغضهم اليهود وكان الأنصار يخالطونهم ويشاورونهم
كما كانوا يفعلونه قبل الإسلام للرضاعة والمصاهرة التي كانت بينهم فنهى الله الأنصار بهذه الآية وحاصل معناها
لا تتخذوا أخلاء من غيركم يعني اليهود وبطانة الرجل خاصته وأهل سره الذين يستبطنون أمره شبهوا بذلك على جهة
التشبيه ببطانة الثوب التي تلي جلد الإنسان وحرف من في قوله من دونكم للتبيين أي لا تتخذوا الذين هم أشباهكم أراد
بطانة **قوله تعالى** لا يألونكم خبالا أي لا يقصرون غاية ولا يتركون الجهد في إيقاعكم في الفساد يقال ما ألوت في
الحاجة جهدا أي ما قصرت ونصب خبالا على المفعول الثاني لأنه يتعدى إلى مفعولين وإن شئت على المصدر وإن شئت
بنزع الخافض أي بالخبال والخبال الفساد ويقال الخبل أيضا يقال رجل خبل الرأي أي فاسد الرأي وفلان مخبل أي
مجنون وقال مجاهد نزلت هذه الآية في قوم مؤمنين كانوا يصافون المنافقين ويخالطونهم فنهاهم الله عز وجل عن
ذلك **قوله عز وجل** قد بدت البغضاء من أفواههم أي قد ظهرت العداوة من ألسنتهم بالشتم والطعن وما
تخفي صدورهم أكبر أي وما يضمرون في قلوبهم من الغل لو ظهر لكم أعظم مما أظهروا لكم **قوله تعالى**
ودوا ما عنتم أي تمنوا إهلاككم وضركم وهلاككم والعنت في اللغة المشقة يقال أكمة عنوت أي طويلة
شاقة المسلك وقرأ عبد الله قد بدا البغضاء بالتذكير لتقدم الفعل ولأن المعنى البغض **قوله تعالى**
قد بينا لكم الآيات أي أخبرناكم بما أخفوه وأبانا الدلالات والعلامات إن كنتم تعقلون العدو
من الولي **قوله تعالى** ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم أي أنتم أيها المؤمنون تحبون اليهود الذين
نهيتكم عن مباطنتهم للأسباب التي بينكم من المصاهرة والرضاع والقرابة ولا يحبونكم لما بينكم من مخالفة الدين
هذا قول أكثر المفسرين وقال بعضهم يعني تحبونهم أي تريدون لهم الإسلام وهو خير الأشياء ولا يحبونكم لأنهم
يريدونكم على الكفر وهو الهلاك **قوله تعالى** وتؤمنون بالكتاب كله أي تؤمنون بالتوراة وبجميع
كتب الله تعالى وهم لا يؤمنون بكتابكم يعني تؤمنون بكتابهم **قوله تعالى** وإذا لقوكم قالوا آمنا يعني

منافقي أهل الكتاب إذا لقوهم قالوا آمنا بمحمد أنه رسول صادق فيما يقول وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل
أي أطراف الأصابع من الغيظ عليكم لما يرون من ائتلافكم واجتماعكم وإصلاح ذات بينكم وهذا مثل ضربه الله لشدة
عداوة اليهود للمؤمنين والواحد أنملة بفتح الميم وضمها قوله تعالى قل موتوا بغيظكم لفظه على
طريق الإيجاب أنه لو كان على طريق الإيجاب لماتوا كلهم من ساعتهم لكن معناه تموتون بغيظكم ولم تبلغون آمالكم
من قهر محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه قوله تعالى إن الله عليم بذات الصدور أي عالم بما في القلوب
من البغض والعداوة وغير ذلك • وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تستضيئوا بنار المشركين أي لا
تستشيروا المشركين في شيء من أموركم قوله تعالى إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها
قرأ السلمي بالياء • ومعنى الآية إن تصبكم أيها المؤمنون نعمة بظهوركم على عدوكم وغلبتكم لهم أو الغنيمة والخصب
تسؤهم تلك الحسنة أي تحزنهم يعني اليهود وإن تصبكم محنة من جهة أعدائكم ونكبة أو حرب تجيء بها قوله
تعالى وإن تصبروا وتتقوا أي وإن تصبروا على أذى اليهود والمنافقين وتتقوا معصية الله ومخالفة
نبيكم لا يضركم كيدهم شيئا أي لا يضركم إخبالهم إياكم بإيقاعكم في الهلاك إن الله بما يعملون محيط
أي أحاط علمه وقدرته بأعمالهم • قرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع لا يضركم بكسر الضاد والتخفيف وهو جزم على جواب
الجزاء • وقرأ الضحاك لا يضُرْكم بضم الضاد وجزم الراء من ضار يضور • وذكر الفراء عن الكسائي أنه سمع بعض أهل
العالية يقول لا ينفعني ذلك ولا يضورني • وقرأ الباقون بضم الضاد وتشديد الراء من ضر يضر ضرا وفي رفع
يضركم وجهان أحدهما أنه أراد الجزم وأصله يضرركم فأدغمت الراء في الراء ونقلت ضمة الراء الأولى إلى الضاد
وضمة الراء الأخيرة اتباعا لأقرب الحركات إليها وهي الضاد طلبا للمشاكلة والوجه الثاني أن لا بمعنى ليس والضم
الفاء فيه تقديره وإن تصبروا فليس يضركم والضير والضر بمعنى واحد قال الله تعالى قالوا لا ضير وقال
وإذا مسكم الضر وقوله تعالى إن الله بما يعملون محيط أي عالم • قرأ الحسن والأعمش بالتاء وقرأ الباقون بالياء
قوله عز وجل وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال قال مجاهد والكلبي غدا رسول الله صلى الله
عليه وسلم من منزل عائشة يمشي على رجليه إلى أحد يصف أصحابه للقتال كما يصفهم للصلوة • وذكر أن المشركين نزلوا بأحد
يوم الأربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار أصحابه فقال أكثرهم يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج
إليهم فإن أقاموا أقاموا في شر مجلس وإن دخلوا المدينة قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة
من فوقهم وإن رجعوا رجعوا خائبين فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرأي • وقال بعض أصحابه اخرج بنا يا رسول
الله إلى هؤلاء الكلاب لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا وأتاه النعمان بن مالك الأنصاري فقال يا رسول الله لا تحرمني الجنة
فوالذي بعثك بالحق نبيا لأدخلن الجنة فقال له بم قال لأني أشهد أن لا إله إلا الله وأني لا أفر من الزحف فقال صدقت
فقتل يومئذ شهيدا فقال صلى الله عليه وسلم إني قد رأيت في منامي أن في ذباب سيفي ثلما فأولتها هزيمة ورأيت أني
أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فإن
أقاموا أقاموا على شر مقام وإن دخلوا المدينة قاتلناهم فيها وكان صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدخلوا المدينة فيقاتلوا
في الأزقة • فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر وأراد الله لهم الشهادة يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا يا رسول
الله وكره الخروج إليهم يأمر بتبوئة المقاعد للقتال إلى أن نزل بهم المشركون والمقاعد هي المواطن ولم يزالوا برسول
الله صلى الله عليه وسلم يحثونه على لقائهم حتى دخل بيته ولبس لأمته وعزم على الخروج فندموا
وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقاموا واعتذروا إليه وقالوا اصنع ما رأيت
يا رسول الله • فقال لا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل وكان قد أقام المشركون بأحد يوم الأربعاء
والخميس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعدما صلى بأصحابه الجمعة فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت
في النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وكان من أمر حرب أحد ما كان فذلك قوله عز وجل وإذ غدوت من

أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال أي واذكر إذ غدوت من عند أهلك تهيئ المؤمنين مقاعد للقتال لحرب القتال
المشركين يوم أحد وقال الحسن نزلت هذه الآية في يوم الأحزاب وكل موضع منها قريب من المدينة قوله عز وجل إذ
همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما أي أن تجبنا وتضعفا وتتخلفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وكانوا جناحي العسكر وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى أحد
في ألف رجل وقيل في تسعمائة وخمسين رجلا وقد وعد أصحابه بالنصر والفتح إن صبروا فلما بلغوا إلى بعض الطريق
اعتزل عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس ورجع بهم فرجع في ثلاثمائة وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم أبو
جابر وقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت بنو سلمة وبنو حارثة
بالانصراف معه فعصمهم الله تعالى ولم ينصرفوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت الله قلوبهما فلم يرجعا فذكرهم
عظيم نعمته فقال إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما أي حافظهما وناصرهما وقرأ ابن مسعود والله وليهم لأن الطائفة
جمع لقوله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون في أمورهم قال جابر بن عبد الله
والله ما يسرنا أنا لم نهم بالذي هممنا به ولقد أخبرنا الله تعالى أنه ولينا قوله عز وجل ولقد نصركم الله ببدر وأنتم
أذلة بدر اسم موضع بين مكة والمدينة وهو من بلاد غفار وكان وقعة بدر أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنفسه وجملة مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة وعشرون غزوة وكان غزوة بدر الخامسة منهن وقاتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم في إحدى عشرة غزوة منها بدر الكبرى وأحد والخندق وغزوة بني قريظة وغزوة بني المصطلق وغزوة
بني لحيان وخيبر والفتح وحنين والطائف وتبوك • فأما بدر الكبرى فكانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة
اثنين من الهجرة على رأس تسعة عشر شهرا من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وغزوة أحد في شوال سنة ثلاث • والخندق
وبني قريظة في شوال سنة أربع وبني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس وخيبر سنة ست والفتح في رمضان سنة ثمان
وحنين والطائف في شوال سنة ثمان • فأول غزوة غزاها بنفسه وقاتل فيها بدر الكبرى وآخرها تبوك • وكانت
سراياه ستا وثلاثين سرية • ومعنى الآية ولقد نصركم الله ببدر وأنتم قليل في العدد وذكر أن المسلمين كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر
رجلا كان المهاجرون منهم سبعة وسبعين ومن الأنصار مائتين وستة وثلاثين وكان علي رضي الله عنه صاحب راية رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسعد بن عبادة صاحب راية الأنصار وكان عدد الكفار تسعمائة ونيفا قوله عز وجل فاتقوا الله
لعلكم تشكرون أي أطيعوه فيما أمركم به فتقوموا بشكر النعم التي أنعمها عليكم قوله تعالى إذ تقول للمؤمنين
ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين وذكر أن أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانوا يوم أحد بعد انصراف عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس سبعمائة وكان المشركون ثلاثة آلاف فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين من السماء • قرأ الحسن ومجاهد وابن عامر منزلين
بالتشديد وقرأ الباقون بالتخفيف قوله تعالى بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم
ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين معنى قوله تعالى بلى تصديق لوعد الله وقول رسوله إن تصبروا على العدو
مع نبيكم وتتقوا مخالفته ويأتوكم أهل مكة من وجههم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين أي معلمين
بالصوف الأبيض وقيل بالعهن الأحمر في نواصي الخيل وأذنابها أي بعثهم الله من السماء معلمين على الخيل بعلامة ويجوز أن يكون
بمعنى مسومين مرسلين من الإسامة وهي الإرسال ومن قرأ مسومين بكسر الواو فلأنهم سوموا خيولهم وقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه يوم أحد تسوموا فإن الملائكة قد تسومت بالصوف الأبيض في
قلانسهم ومغافرهم وقال قتادة كان على الملائكة يوم بدر سيما القتال وكانوا على خيل بلق • وقال ابن عباس كانت
يوم بدر سيما الملائكة عمائم بيض مرخية على أكتافهم وقال لم ينصر المؤمنون يوم أحد للقتال إلا قليل منهم ولو صبروا
لنزلت عليهم الملائكة وأتاهم الله ما وعدهم ولكنهم لم يصبروا فلم تنزل عليهم الملائكة • قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم مسومين
بكسر الواو وقرأ الباقون بالفتح قوله تعالى وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به أي ما جعل

امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم ولتطمئن قلوبكم به فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم حتى تنسوا الاعداء ثم قوله
تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم أي وان امدكم بالملائكة وقوى قوتكم فليس النصر بكثرة
العدد وقلته ولكنه من عند الله العزيز الحكيم اي المنيع في سلطانه الحكيم في امره • وفي الآية بيان ان الانسان لا يستغني في
حال من الاحوال عن الله وان كثر عدده واجتمع ماله • قال ابن عباس ان الملائكة لم تباشر القتال الا يوم بدر وفيما
سوى ذلك فانما تحضر الصف وتكثره ولا تقاتل وقال بعض المفسرين ان الملائكة لم تقاتل اصلا ولم يبعثوا الا للبشارة
ولو بعثوا للقتال لكان ملك واحد يكفيهم كما فعل جبريل عليه السلام بقوم لوط • وقال بعضهم ان الملائكة كانت تقاتل
وكان علامة ضربهم اشتعال النار في موضع ضربهم والله اعلم قوله تعالى ليقطع طرفا من الذين كفروا او
يكبتهم معناه نصركم لتقتلوا وتأسروا جماعة من الذين كفروا وتقصموهم ذلك او يهزمهم فينقلبوا خائبين أي
منقطعين عن آمالهم والكبت هو الهزيمة في القلب وتصرع المرء على وجهه لاجله ونظم الآية ولقد نصركم الله ببدر ليقطع طرفا
من الذين كفروا أي لكي يهلك طائفة من الذين كفروا • وقال السدي ليهدم ركنا من اركان المشركين بالقتل والاسر فقتل من
سادتهم يوم بدر سبعون واسر منهم سبعون وقوله تعالى فينقلبوا خائبين أي لم ينالوا شيئا مما كانوا يرجون من الظفر
قوله تعالى او يكبتهم قال الكلبي او يهزمهم وقال النضر بن شميل يقتلهم • وقال السدي يلعنهم • وقال ابو عبيدة يهلكهم
وقيل في الشاذ او يكبدهم يقال كبده اذا رماه فاصاب كبده والمكبود المكلف قوله عز وجل ليس لك من الامر شيء
او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وذلك لما شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسرت رباعيته وقتل
سبعون من اصحابه فجعل يمسح الدم عن وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فهم ان
يلعنهم ويلعن الذين نصبوا له الحرب منهم عبد الله بن ابي بن سلول فانزل الله هذه الآية ينهاه عن اللعن وليس له ان يلاحيهم
ليس اليه وانه ليس له من الامر شيء الا ان يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين • قال عكرمة وقتادة ادمى رجل من
هذيل يقال له عبد الله بن قميئة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسلط الله عليه تيسا فنطحه حتى قتله وشج عتبة بن ابي وقاص وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته فدعا
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافرا فما حال عليه الحول حتى مات كافرا
فانزل الله هذه الآية • وقال الكلبي لما شج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واصيبت رباعيته هم ان يلعن المنهزمين
ويدعو عليهم فانزل الله هذه الآية لعلمه ان كثيرا منهم سيتوبون يدل عليه ما روى انس قال لما كان يوم احد شج رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قرن حاجبه وكسرت رباعيته وجرح في وجهه فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة
يغسل عن وجهه الدم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم
فانزل الله هذه الآية • وقال سعيد بن المسيب لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من ادمى وجه
نبيه صلى الله عليه وسلم وعلت عالية من قريش على الجبل فقال عليه السلام لا ينبغي لهم ان يعلونا فاقبل عمر رضي الله عنه
ورهط من الانصار حتى اهبطوهم من الجبل ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها وقد ظاهر بين درعين فلم
يستطع فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى عليها فقال صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة • ووقعت هند والنسوة
معها يمثلن بالقتلى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والانوف حتى اتخذت هند من ذلك قلائد
واعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة رضي الله عنه فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها ثم علت صخرة مشرفة فصرخت وقالت
نحن جزيناكم بيوم بدر • والحرب بعد الحرب ذات سعر • ما كان عن عتبة لي من صبر • ابي وعمي واخي وبكري •
شفيت صدري وقضيت نذري • شفيت وحشي غليل صدري • فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ما
نزل باصحابهم من جدع الآذان والانوف وقطع المذاكير قالوا لئن ادالنا الله منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا ولنمثلن مثلة لم يمثلها
احد قط فانزل الله عز وجل هذه الآية • وقال عطاء قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد احد يدعو على بطون
من هذيل يقال لهم بنو لحيان وعلى بطن من سليم يقال لهم رعل وذكوان • وكان يقول اللهم اشدد وطأتك على مضر

واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الجلود واكلوا الميتة والعظام المحرقة ثم انزل الله هذه الآية
وعن ابي صالح قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم العن ابا سفيان اللهم العن الحارث بن هشام اللهم العن
صفوان بن امية فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء اي ليس لك من الامر بهم شيء وقد تكون اللام بمعنى الى كقوله
ينادي للايمان اي الى الايمان وقوله الذي هدانا لهذا ونحوه • وقال بعضهم قوله تعالى ليس لك من الامر شيء
اعتراض بين الكلام وتقدير الآية ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون
ليس لك من الامر شيء وهذا وجه حسن • وقال بعضهم او بمعنى حتى وقال بعضهم نصب باضمار ان تقديره او ان يتوب عليهم
قوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض أي له جميع ما فيهن من الخلائق كلهم عباد الله وفي ملكه يغفر
لمن يشاء الذنب الكبير اذا تاب ويعذب من يشاء على الذنب الصغير اذا اصر على ذلك والله غفور رحيم
في قبول توبتهم وتأخير العذاب عنهم وانما ختم الله هذه الصفة بالمغفرة والرحمة وان كان على التعذيب قادرا لكن الغالب
على امره وما يريد بخلقه الرحمة والمغفرة قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة
قال ابن عباس نزلت هذه الآية في اهل الطائف كانت بنو المغيرة يربون لهم فاذا حل الاجل وعجزوا عن ذلك زادوا في المال
وازدادوا في الاجل فنهاهم الله عن ذلك ومعنى مضاعفة هو ان الرجل اذا كان له على رجل مال فاذا حل الاجل طلبه منه فيقول
المطلوب اخر عني وازيدك في مالك فيفعلان ذلك فنهاهم الله عنه ومعنى اضعافا فانهم كانوا اضعافا ما اربوه
أي بتأخير الاجل ومعنى مضاعفة تضعيف المال بالزيادة في الاجل قوله واتقوا الله لعلكم تفلحون أي
اتقوا الله في الربا ولا تستحلوه لكي تنجوا من العذاب في الآخرة ثم صارت هذه الآية عامة في جميع الناس فاما اعاد الله تحريم
الربا بعد ما نزل في سورة البقرة لتأكيد التحريم ثم شرح النهي عنه ويجوز ان يكون المراد في سورة البقرة ربا النسيئة وهاهنا ربا
الفضل قوله تعالى واتقوا النار التي اعدت للكافرين أي اخشوا النار في اكل الربا التي خلقت للكافرين
بالله وتحريم الربا فان قيل اذا كانت النار معدة للكافرين فكيف يعذب بها غير الكافرين • قيل فائدة تخصيص الكافرين
بالذكر انهم الجملة في اعداد النار وقد يدخلها غير الكافرين على طريق التبع كما قال تعالى في الجنة اعدت للمتقين
وان كان الاطفال والمجانين يدخلونها تبعا للمتقين • وقيل معناه واتقوا النار في استحلال الربا فان من استحله
فهو كافر قوله تعالى واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون أي اطيعوا الله ورسوله
في تحريم الربا لكي ترحموا ولا تعذبوا قوله عز وجل وسارعوا الى مغفرة من ربكم معناه بادروا الى
ما يوجب لكم المغفرة من ربكم وهي التوبة • وقال ابن عباس الى الاسلام • وقال ابو العالية معناه سارعوا الى الهجرة
وقال علي رضي الله عنه الى اداء الفرائض • وقال عثمان بن عفان الى الاخلاص • وقال انس الى التكبيرة الاولى
وقال سعيد بن جبير الى اداء الطاعة • وقال الضحاك الى الجهاد • وقال عكرمة الى التوبة • وقال الوراق الى ائتمار
الاوامر والانتهاء عن الزواجر • وقال سهل بن عبد الله الى السنة • وقال بعضهم الى الصلوات الخمس • وقال بعضهم الى
الجمعة والجماعات • قرأ نافع وابن عامر سارعوا بحذف الواو على سبيل الابتداء والباقون بالواو على العطف قوله عز وجل وجنة
عرضها السموات والارض قال ابن عباس الجنان اربع جنة عدن وهي العلياء وجنة المأوى وجنة الفردوس
وجنة النعيم وفي كل جنة منها جنات عدد نجوم السماء وقطر المطر كل جنة منها في العرض والسعة لو الصقت
السموات السبع والارضون السبع بعضهن ببعض لكانت الجنة الواحدة اعرض منها • وانما خص العرض على المبالغة لان
طول كل شيء في الاغلب اكثر من عرضه يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها يدل عليه قول الزهري انما وصف
عرضها فاما طولها فلا يعلمه الا الله وهذا مثل قوله تعالى على فرش بطائنها من استبرق فوصف البطانة واخبر
بما يعلم من الزينة اذ معلوم ان الظاهر يكون احسن وانفس من البطائن • وقال بعض المفسرين ليس المراد هذه الآية
التقدير بل المراد بها اوسع شيء رأيتموه • قال اسماعيل السدي لو كسرت السموات والارض وصرن خردلا لكان
بكل خردلة جنة عرضها السموات والارض قوله تعالى اعدت للمتقين أي خلقت للمتقين

تعالى

السرادق المعي قد قيل اذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض فأين النار فقيل ان الله خلق الجنة عالية والنار سافلة والشيئان اذا كان احدهما عاليا والآخر سافلا لا يمتنعان لانهما يوجدان في مكانين متغايرين روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن هذا السؤال فقال سبحان الله اذا جاء النهار فأين يكون الليل قوله عز وجل **الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس** أو لهم لانه نعت للمتقين ومعناه الذين يتصدقون في حال السراء والضراء والشدة والرخاء يعني انهم ينفقون على الدوام لا يمنعهم قلة المال ولا كثرته عن الانفاق فلما ذكر الله من اخلاق المتقين الموجبة لهم الجنة السخاء قال صلى الله عليه وسلم الجنة دار الاسخياء والسخي قريب من الله قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل قوله تعالى والكاظمين الغيظ أي الكاظمين غيظهم عن امضائه يردون غيظهم في اجوافهم ويصبرون والكظم الحبس والشد تقال كظمت القربة اذا ملأتها ثم شددت رأسها على الامتلاء والغيظ هو هيجان الطبع بما يكرهه وهذا لا يجوز الغيظ على الله وان كان يجوز عليه الغضب لان الغضب هو ارادة العقاب قوله تعالى والعافين عن الناس معناه الذين يعفون عن المذنبين من الاحرار والمملوكين وقال الكلبي عن المملوكين وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه فلم ينفذه زوجه الله من الحور العين حيث شاء وما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا ولا نقصت صدقة مالا فتصدقوا ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر وان اعظم الناس عفوا من عفا عن قدرة قوله تعالى **والله يحب المحسنين** أي يثني على المحسنين الى الناس ويرضى عنهم قال علي عليه السلام ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك ذلك مكافأة انما الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان ابا بكر رضي الله عنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فجاء رجل فكان يشتم ابا بكر وهو ساكت والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم ثم رد ابو بكر على الرجل بعض الذي قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام فلحقه ابو بكر رضي الله عنه فقال يا رسول الله شتمني وانت تتبسم فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت فقال صلى الله عليه وسلم ان ملكا كان معك يرد عليه فلما تكلمت وقع الشيطان فلم اكن لاقعد في مقعد فيه الشيطان وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت يا جبريل لمن هذه فقال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين قوله عز وجل **والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم** متصل بقوله والعافين عن الناس قال ابن مسعود رضي الله عنه قال المسلمون يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب ذنبا اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على باب داره اجدع انفك اجدع اذنك افعل كذا افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بخير من ذلكم فقرأ عليهم الآيات وقال عطاء نزلت في ابي مقبل التمار اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت هذه الآية وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين احدهما من الانصار والآخر من ثقيف فخرج الثقفي في غزاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف الانصاري على اهله فاشترى لهم لحما ذات يوم فلما ارادت المرأة ان تأخذ منه دخل على اثرها فدخلت بيتا فتبعها فاتقته بيدها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيا فانصرف فقالت له والله ما حفظت غيبة اخيك ولا نلت حاجتك فخرج الانصاري ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه يسيح في الجبال ويستغفر فلما رجع المسلمون من غزاتهم لم ير الثقفي اخاه فسأل امرأته عنه فقالت كثر الله في الاخوان مثله واخبرته بفعاله فخرج الثقفي في طلبه فسأل عنه الرعاة في الجبال والقفار حتى دل عليه فوافقه ساجدا وهو يقول رب ذنبي ذنبي قد خنت اخي فقال يا فلان قم فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله ان يجعل لك فرجا ومخرجا فأقبل معه حتى قدم المدينة فسأل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لا توبة لك ما نعلم ان الله يغار للغازي في سبيله ما لا

للقوم فقام على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله الذنب الذنب فقال له مثل ما قال الصحابة فخرج يسيح في الجبال ثم مر على [illegible] حتى كان ذات يوم عند العصر نزل جبريل عليه السلام بتوبته فنزلت هذه الآية ومعناها والذين اذا فعلوا الكبيرة او ظلموا انفسهم بفعل الصغيرة مثل النظر واللمس والغمز والتقبيل ذكروا مقامهم بين يدي الله وعقابه وقيل معناه ذكروا اسم الله فقالوا ربنا ظلمنا انفسنا فاغفر لنا وقال السدي قوله فعلوا فاحشة يعني الزنا وقوله او ظلموا انفسهم قال الكلبي يعني ما دون الزنا مثل القبلة واللمس والنظر فيما لا يحل وقيل فعلوا فاحشة أي فعلوا الكبائر وقوله او ظلموا انفسهم يعني الصغائر وقيل فعلوا فاحشة فعلا او ظلموا انفسهم قولا قوله تعالى **ومن يغفر الذنوب الا الله** أي ليس احد يقدر على غفران الذنوب الا الله قوله عز وجل **ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون** معناه ولم يقيموا على ما فعلوا من المعصية فان الاستغفار باللسان بغير ندامة القلب توبة الكذابين قوله وهم يعلمون أي يعلمون انها معصية فانهم اذا لم يعلموا انها خطيئة كان اثما موضوعا عنه مثل ان يتزوج امه من الرضاعة او اخته من الرضاعة وهو لا يعلم او يشتري جارية فيطأها ثم يستحق الجارية كان اثم ذلك موضوعا عنه وقيل معناه وهم يعلمون ان لهم ربا يغفر الذنوب قال قتادة اياكم والاصرار فانما هلك المصرون لا ينهاهم مخافة الله عن حرام حرمه الله ولا يتوبون من ذنب اصابوه حتى اتاهم الموت وهم على ذلك قال السدي الاصرار السكوت وترك الاستغفار قال صلى الله عليه وسلم لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار واصل الاصرار الثبات على الشيء وقال صلى الله عليه وسلم من اذنب ذنبا وعلم ان له ربا يغفر الذنوب غفر الله له وان لم يستغفر وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله من علم اني ذو قدرة على المغفرة غفرت له ولا ابالي قوله عز وجل **اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين** أي اهل هذه الصفة ثوابهم ستر من ربهم لذنوبهم وحط العقاب عنهم وبساتين تجري من تحت شجرها وغرفها الانهار مقيمين دائمين فيها ونعم اجر العاملين في التوبة توضع عنهم ما كان مكتوبا على بني اسرائيل فانه كان اذا اذنب احدهم يرى توبته مكتوبة على باب داره اجدع انفك اجدع اذنك فوضع ذلك عن هذه الامة واكتفى منهم بالندم والاستغفار قوله تعالى ونعم اجر العاملين أي ثواب المطيعين قيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى ما اقل حياء من يطمع بغير عمل يا موسى كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي قال شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب قوله عز وجل **قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** معناه قد مضت من قبلكم سنن وهي الطرائق في الخير والشر وقيل معناه قد خلت من قبلكم سنن باهلاك المكذبين لرسلنا فسيروا في الارض فانظروا كيف كان آخر المكذبين للرسل والكتب أي اتعظوا بالآثار التي بقيت منهم في الارض مثل ديار قوم لوط وعاد وغيرهم قوله عز وجل **هذا بيان للناس** من الضلالة **وهدى** من العمى وهي **للمتقين** من المواعظ والبيان كل ما تظهر به المعنى والهدى بيان طريق الرشد دون طريق الغي والموعظة ما يدعو الى فعل الحسنة من ترغيب او ترهيب قوله عز وجل **ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون** هذا عائد الى ما تقدم ذكره من يوم احد معناه لا تضعفوا ولا تجبنوا يا اصحاب محمد عن قتال عدوكم لما نالكم يوم احد من القتل والجرح والهزيمة وكان قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة ومن الانصار سبعون رجلا وقوله تعالى وانتم الاعلون أي في الحجة وقيل وانتم الغالبون في العاقبة أي تكون لكم العاقبة بالنصر والظفر وقوله تعالى **ان كنتم مؤمنين** أي مصدقين بوعد الله بالنصر قوله عز وجل **ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله** أي ان يمسسكم قرح يوم احد فقد مس القوم قرح مثله يوم بدر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا قتلوا من المشركين يوم بدر سبعين رجلا واسروا سبعين وقتل يوم احد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سبعون وجرح سبعون وقرأ محمد بن السميفع قرح بفتح القاف والراء على المصدر وقرأ الاعمش وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بضم القاف فيهما وهي قراءة ابن مسعود وقرأ الباقون بفتح القاف وهي قراءة عائشة رضي الله عنها وهما لغتان مثل الجهد والجهد وقال بعضهم القرح بفتح القاف الجراحات

وإن جرحتها قرحة والقرح بالضم وجع الجراحة يقال قرح الرجل إذا جرح قوله عز وجل وتلك الأيام نداولها بين
الناس أي تارة لهم وتارة عليهم أديل المسلمون على المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين وأديل
المشركون يوم أحد حتى جرحوا سبعين وقتلوا خمسة وسبعين وقال أنس بن مالك رضي الله عنه أتي رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعلي رضي الله عنه وعليه نيف وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمسحها بيده وهي تلتئم بإذن الله كأنها لم تكن قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا بين الله عز وجل المعنى الذي
لأجله تداول الأيام بين المؤمنين والكفار فقال وليعلم الذين آمنوا معناه ليرى من ثبت على الإيمان ممن لم يثبت فيظهر المؤمن
المخلص والذي في قلبه مرض وقال الزجاج معناه ليعلم الله علم مشاهدة بعد ما كان علمه علم الغيب لأن العلم الذي علمه
الله قبل وقوع الشيء لا تجب به المجازاة ما لم يقع وأما الواو في قوله وليعلم فالعطف على خبر محذوف بعد قوله وتلك
نداولها بين الناس ليضرب بين المؤمنين وليعلم الله المؤمنين متميزين من المنافقين قوله تعالى ويتخذ منكم شهداء
أي يكرمهم بالشهادة وقال بعضهم معناه ويجعلكم شهداء على الناس على معاصيهم لأخلاقكم وتحقيقكم ثم قال الله تعالى
والله لا يحب الظالمين أي بعد أن الله لا يحب الظالمين فإنه لا يحب الظالمين وفي هذا بيان أن الله لم ينصر الكفار
على المسلمين إذ النصر يدل على المحبة والله لا يحب الكفار ولكن قد ينصر المسلمين في بعضها وقد يسلط الكفار في بعضها ودالت
على المسلمين إلى خطاياهم وذنوبهم لذنب كان حصل منهم فإنما جعل الله الدنيا متقلبة لئلا يطمئن المسلمون إليها ليعلموا أنها ولكنهم
يسعون للآخرة التي يكون نعيمها إلى الأبد قوله تعالى وليمحص الله الذين آمنوا معطوف على قوله ويتخذ منكم
شهداء ومعناه وليطهر الذين آمنوا من ذنوبهم يقال محص الشيء يمحصه محصا إذا خلصه من العيب ومحص الحبل يمحص
محصا إذا ذهب عنه الوبر لكد العمل فصار أملس قوله تعالى ويمحق الكافرين أي يفنيهم ويهلكهم وينقصهم
لأنهم يحزنون ثم يخرجون للحرب مرة أخرى فيستأصلهم دهرا أو يدل مداولة الأيام قوله عز وجل أم حسبتم أن
تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين معناه أظننتم يا معشر المؤمنين أن تدخلوا
الجنة ولم يعلم الله جهاد المجاهدين ومنكم صبر الصابرين واقعا منهم مشاهدة وهذا استفهام بمعنى الإنكار يظنهم وحسابهم
قوله تعالى ولما يعلم الله أي ولم يعلم الله تقول إن الرجل لما يفعل معناه لم يفعل النصر إليه حرف ما وقرأ الحسن ويعلم الصابرين بالكسر
عطفا على قوله ولما يعلم وأما قراءة النصب فهو نصب على الصرف يعني صرف آخر الكلام عن أوله على تقدير وأن يعلم الصابرين
والكوفيون وأما البصريون فيسمونه نصبا على الجمع قال الشاعر • لا تنه عن خلق وتأتي مثله • عار عليك إذا
فعلت عظيم • أي لا يكن منك النهي عن خلق مع إتيانك مثله وتقول لا تأكل السمك وتشرب اللبن أي لا يكن منك الجمع بينهما
قوله عز وجل ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون قال ابن عباس وذلك لما
أخبرهم الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما فعل بشهداء بدر من الكرامة والثواب في الجنة رغبوا في ذلك وقالوا
اللهم أرنا قتالا نستشهد فيه فنلحق بإخواننا في الجنة فأراهم الله تعالى يوم أحد فلم يثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
إلا بعضهم وخرج بعضهم فأنزل الله هذه الآية ومعناها ولقد كنتم تمنون الموت بعد وقعة بدر من قبل أن تنظروا
إليه يوم أحد فقد رأيتموه وأنتم تنظرون إلى السيوف فيها الموت وهذا تعيير لهم لفشلهم عند الحرب مع صدق رغبتهم
في الشهادة ومعنى فقد رأيتموه أي قد رأيتم أسبابه قوله عز وجل وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الآية قال المفسرون خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد حتى نزل
الشعب من أحد في سبعمائة رجل وأمر عبد الله بن جبير من بني عمرو بن عوف على الرماة وهم خمسون رجلا وقال أقيموا
بأصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا وإن كانت لنا أو علينا فلا تبرحوا من مكانكم فإنا لن نزال غالبين ما ثبتم
مكانكم فجاءت قريش وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف ويقلن
الأشعار وكانت هند تقول • نحن بنات طارق • نمشي على النمارق • أو تقبلوا نعانق • أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق • فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين فهزموهم وقتل علي بن أبي طالب رضي الله

عنه طلحة بن أبي طلحة وهو يحمل لواء المشركين وأنزل الله نصره على المؤمنين قال الزبير فرأيت هندا وصواحبها هاربات
مصعدات في الجبل فلما نظرت الرماة إلى القوم قد انكشفوا ورأوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتهبون الغنيمة
أقبلوا يريدون النهب واختلفوا فيما بينهم فقال بعضهم لا نترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم ما بقي
من الأمر شيء ثم انطلق عامتهم ولحقوا بالعسكر فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة
صاح في المشركين ثم حمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من خلفهم فهزموهم وقتلوهم ورمى عبد الله بن قمئة
الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه في وجهه وأثقله وتفرق عنه أصحابه صلى
الله عليه وسلم وكان مصعب بن عمير يذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل وظن قاتله أنه قتل النبي صلى الله عليه وسلم
فنادى قتلت محمدا وقيل أقبل عبد الله بن قمئة يريد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إني قتلت محمدا وصرخ إبليس
لعنه الله ألا إن محمدا قد قتل وانكفأ الناس عنه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلي عباد الله إلي
عباد الله فاجتمع إليه ثلاثون رجلا فحموه وكشفوا المشركين عنه وأصيبت يد طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فيبست
وبها كان يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصيبت عين قتادة بن النعمان رضي الله عنه حتى وقعت على وجنته فردها
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانها فعادت أحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركه أبي
بن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت إن نجا فقال القوم ألا يعطف عليه رجل منا يا رسول الله فقال دعوه حتى إذا
دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه وخدشه
خدشة فتدهده عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور وهو يقول قتلني محمد واحتمله أصحابه وقالوا ليس عليك
بأس قال لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم أليس قال لي أقتلك فلو بزق علي بعد تلك المقالة لقتلني فلم يلبث
إلا يوما حتى مات في الطريق وكان أبي قد قال للنبي صلى الله عليه وسلم قبل هذا عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة
أقتلك عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك إن شاء الله فأصدق الله قول نبيه صلى الله عليه وسلم وفشا
في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمانا من
أبي سفيان وبعض الصحابة جلسوا وألقوا بأيديهم وقال أناس من أهل النفاق إن كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم
الأول فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد حي لم يقتل وهو الله عز وجل
وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال
اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء القوم يعني المسلمين وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المنافقون ثم حمل بسيفه فقاتل
حتى قتل ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق إلى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
كعب بن مالك قال عرفت عينيه تحت المغفر تزهران فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأشار إلي أن اسكت فانحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على الفرار فقالوا يا رسول الله أتانا الخبر أنك قتلت
فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فأنزل الله هذه الآية وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أكرم الله محمدا
صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم اشتقه من اسمه المحمود فسماه محمدا وأحمد وفيه يقول حسان

ألم تر أن الله أرسل عبده • ببرهانه والله أعلى وأمجد •
وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد •
نبي أتانا بعد يأس وفترة • من الرسل والأوثان في الأرض تعبد •
فأرسله نورا منيرا وهاديا • يلوح كما لاح الصقيل المهند •

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا سميتم محمدا فأكرموه وأوسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجها وما من قوم
كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه محمد أو أحمد فأدخلوه في مشورتهم إلا خار الله لهم وما من مائدة وضعت فحضر عليها من
اسمه محمد أو أحمد إلا قدس في كل يوم ذلك المنزل مرتين قوله عز وجل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم معناه
أفإن مات على فراشه أو قتل في طاعة الله رجعتم إلى دينكم الأول وقلتم لو كان نبيا ما قتل قوله تعالى ومن ينقلب

على عقبيه فلن يضر الله شيئا أي من يرجع إلى دينه الأول فلن ينقص من ملك الله شيئا ومن سلطانه شيئا وإنما يضر نفسه
وسيجزي الله الشاكرين أي المؤمنين المجاهدين وإنما سماهم شاكرين لأنهم لم ينقلبوا على العقب فسماهم ثبوتا رجوع إلى
أتباع دينهم كان أنهم ينقلبون على العقب فسماهم شاكرين لأنهم ثبتوا وسمى المطيع شاكرا لأن الطاعات كلها شكر لله عز
وجل قال أبو هريرة رضي الله عنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر رضي الله عنه وقال إن رجالا من المنافقين
يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وإن رسول الله لم يمت والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقطعن
أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات • فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حين بلغه الخبر وقد دخل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم في بيت عائشة رضي الله عنها ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى ببرده فكشف عن وجهه ثم أكب عليه
يقبله قال بأبي وأمي أنت يا رسول الله أما الموتة التي كتبها الله عليك فقد ذقتها ثم رد الثوب على وجهه وخرج وإذا
هو عمر يكلم الناس فقال له على رسلك يا عمر أنصت فأبى إلا أن يتكلم فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس فحمد الله وأثنى
عليه وقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا هذه الآية
وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية قال عمر ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فعقرت حتى وقعت
على الأرض ما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله قد مات قوله عز وجل وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن
الله كتابا مؤجلا قال الأخفش اللام في النفس منقولة تقديره وما كانت نفس لتموت إلا بإذن الله كتب الله عز وجل
كتابا مؤجلا أي إلى أجل لرزقه وعمره وكل نفس لها أجل تبلغه فيه رزق تستوفيه لا يقدر أحد على تقديمه ولا تأخيره ففيه
تحريض للمؤمنين على القتال أي لا تتركوا الجهاد خشية الموت والقتل فإنهم لن يقتلوا قبلكم وانتصب قوله كتابا مؤجلا على
المصدر كقوله تعالى وعد الله حقا ورحمة من ربك وصنع الله وكتاب الله عليكم قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا
نؤته منها يعني من يرد بعمله وطاعته المدحة والرياء وحظه المقسوم له في الدنيا من غير أن يكون له حظ في الآخرة
نعطه من الدنيا ما نشاء مما قدرناه له نزل ذلك في الذين تركوا المركز يوم أحد طلبا للغنيمة قوله تعالى ومن يرد
ثواب الآخرة نؤته منها أي من يرد بعمله الآخرة نعطه منها مع ما نقسم له في الدنيا من الرزق نزل في الذين ثبتوا
مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا قوله تعالى وسنجزي الله الشاكرين أي المطيعين بجزيهم الجنة في الآخرة وقرأ
الأعمش وسيجزي الشاكرين بالياء يعني الله عز وجل قوله عز وجل وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير قرأ
الحسن وأبو جعفر وكاين مقصورا من غير همز ولا تشديد حيث وقع وقرأ مجاهد وابن كثير ممدودا مهموزا مخففا على
وزن فاعل وقرأ الباقون مشددا مهموزا على وزن كعين وكلها لغات صحيحة بمعنى واحد ومعناه وكم من نبي قتل
معه جماعات كثيرة فما وهنوا أي فما فتروا فيما نابهم لما أصابهم في طاعة الله وما ضعفوا وما استكانوا أي
وما جبنوا عن قتال عدوهم وما خضعوا لعدوهم والله يحب الصابرين على قتال عدوهم لدينهم لله • وقرأ
ابن كثير ونافع وأبو عمرو قتل معه • وقرأ الباقون قاتل معه لقوله فما وهنوا ويستحيل وصفهم بذلك بعد ما قتلوا
وإنما قيل قتل فله ثلاثة أوجه أحدها أن يكون القتل واقعا على النبي وحده وحينئذ يكون تمام الكلام عند قوله
قتل ويكون في الكلام إضمار تقديره ومعه ربيون كثير • والثاني أن يكون القتل للنبي ومن معه من الربيين ويكون
معناه قتل بعض من كان معه تقول العرب قتلنا بني تميم وإنما قتل بعضهم ويكون قوله فما وهنوا راجعا إلى الباقين • والثالث
أن يكون القتل للربيين لا غير وقوله تعالى ربيون • قرأ ابن مسعود والحسن وعكرمة ربيون بضم الراء وقرأ الباقون
بالكسر وهي اللغة الفاشية وهو جمع الربية وهي الفرقة • قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي جموع كثيرة وقال
ابن مسعود الربيون الألوف وقال الضحاك الربية الواحدة ألف وقال الكلبي الواحدة عشرة آلاف وقال الحسن
الربيون هم العلماء الفقهاء الصبر وقال ابن زيد الربانيون الولاة والربيون الرعية • وقال بعضهم الربيون
الذين يعبدون الرب كما نسب البصري إلى البصرة وقيل الربيون المنسوبون إلى الله قوله عز وجل وما كان
قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا حكاية قول الربيين أي ما كان قولهم عند قتل نبيهم

إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا الصغائر والكبائر والإسراف في اللغة مجاوزة الحد بارتكاب الذنوب العظام
قوله تعالى وثبت أقدامنا أي ثبتها للقتال بتقوية قلوبنا وانصرنا على القوم الكافرين أي
أعنا عليهم بإلقاء الرعب في قلوبهم أي هلا قلتم أيها المؤمنون كما قال الربيون وهلا فعلتم كما فعلوا • قرأ الأعمش وما
كان قولهم بالرفع على أنه اسم كان والخبر ما بعد إلا وقرأ الباقون بالنصب على خبر كان وجعلوا الاسم ما بعد إلا كما في قوله
وما كان جواب قومه إلا أن قالوا وما كان حجتهم إلا أن قالوا ونحوهما قوله عز وجل فآتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة أي أعطاهم الله النصر والغنيمة والفتح والثناء الحسن في الدنيا والجنة في الآخرة والله يحب
المحسنين أي المجاهدين وفي الآية دلالة أنه قد يجوز اجتماع الدنيا والآخرة لواحد وعن علي رضي الله عنه أنه قال
من عمل لدنياه أضر بآخرته ومن عمل لآخرته أضر بدنياه وقد يجمعهما الله لأقوام قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا
الذين كفروا يعني اليهود والنصارى فيما يقولون لكم إن محمدا صلى الله عليه وسلم لو كان حقا لما ظهر عليه المشركون يردوكم
على أعقابكم أي على دين الشرك فتنقلبوا خاسرين أي فتصيروا راجعين إلى دينكم الأول بل الله مولاكم أي وليكم
وناصركم وهو خير الناصرين المانعين من الكفار لأن أحدا لا يقدر أن ينصر كنصره ولا أن يدفع كدفاعه وقرئ
في الشواذ بل الله بالنصب على معنى بل أطيعوا الله قوله عز وجل سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم
ينزل به سلطانا قال السدي لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين نحو مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا
وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى لم يبق إلا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب في قلوبهم
حتى رجعوا عما هموا به وسيأتي هذه القصة بتمامها إن شاء الله تعالى فأنزل الله هذه الآية وقرأ أبو أيوب سيلقي بالياء يعني
الله تعالى لقوله بل الله مولاكم وقرأ الباقون على التعظيم أي سنقذف في قلوب الذين كفروا الخوف وثقل الرعب ابن عامر
والكسائي وخففه الآخرون وقوله تعالى بما أشركوا بالله أي بإشراكهم بالله ما لم ينزل به كتابا فيه عذر وحجة لهم
وقيل معنى قوله سلطانا أي حجة وبيانا وبرهانا قوله تعالى ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين أي ومصيرهم
في الآخرة النار وبئس مقام الظالمين النار في الآخرة وروي في الخبر أن أبا سفيان صعد الجبل يوم أحد فقال صلى الله عليه وسلم
اللهم إنه ليس لهم أن يعلونا فمكث أبو سفيان ساعة ثم قال أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب أين محمد فقال عمر رضي الله عنه
هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر وها أنا عمر فقال أبو سفيان أنشدك الله يا ابن الخطاب أمحمد في الأحياء قال
إي والله يسمع كلامك فقال أبو سفيان الموعد بيننا وبين محمد بعد هذا فقال صلى الله عليه وسلم قل بيننا بدر الصغرى وكانت وقعة
بدر الصغرى بعد الحديبية فخرج النبي صلى الله عليه وسلم لبدر الصغرى على الموعد ورعب المشركون ولم يحضروا وأعلى
الحصون وروي أن أبا سفيان ركب الجبل يوم أحد وقال اعل هبل اعل هبل فقال عمر رضي الله عنه الله أعلى وأجل فقال
أبو سفيان يوم بيوم وإن الأيام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قوله عز وجل
ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم
ما تحبون وذلك أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة وقد أصابهم ما أصابهم قال ناس
منهم من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فأنزل الله هذه الآية ولقد صدقكم الله وعده الذي وعد بالنصر والظفر
يوم أحد وهو قوله إن تصبروا وتتقوا الآية وقول النبي صلى الله عليه وسلم للرماة لا تبرحوا من مكانكم وكان صلى الله
عليه وسلم قد جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة فيما يلي جبل المشركين وأمر عليهم عبد الله بن جبير الأنصاري
وقال لهم احموا ظهورنا فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وأقبل المشركون وأخذوا في
القتال فجعل الرماة يرشقون خيل المشركين بالنبل والمسلمون يضربونهم بالسيف حتى ولوا هاربين وانكشفوا منهزمين فذلك
قوله إذ تحسونهم بإذنه أي تقتلونهم قتلا ذريعا شديدا في أول الحرب بأمره وعلمه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم
من بعد ما أراكم ما تحبون أي إلى أن فشلتم جعلوا حتى بمعنى إلى فحينئذ لا جواب له وقيل حتى بمعنى فلما وفي الكلام تقديم وتأخير
والواو في قوله وتنازعتم مقحمة تقديره حتى إذا تنازعتم في الأمر وعصيتم فشلتم أي جبنتم وضعفتم وكان تنازعهم أن

الرماة لما انهزم المشركون ووقع المسلمون في الغنائم قالوا انهزم القوم وأمنا وقال بعضهم تجاوزوا أمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فثبت عبد الله بن جبير في نفر يسير من أصحابه دون العشرة قيل ثمانية وانطلق الباقون ينتهبون
فلما نظر خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة من قبل ذلك الشعب ما بين خمسين ومائتين فارسا من المشركين
فكان خالد يومئذ مشركا فقتل عبد الله بن جبير ومن بقي معه من الرماة وأقبلوا على المسلمين من خلفهم ونفر المسلمون
واستعصت صفوفهم واختلطوا وحمل عليهم المشركون حملة رجل واحد وصار المسلمون بين قتيل وجريح ومنهزم ومنهم
ونادى ابليس الا ان محمدا قد قتل فذلك قوله تعالى حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر أي لما اختلفتم في الامر الذي أمركم
به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثبات على المركز وعصيتم الرسول من بعد ما اراكم ما تحبون من النصر على عدوكم
والظفر والغنيمة . وقال بعض المفسرين جواب اذا فشلتم هاهنا مقدر كانه قال اذا فشلتم وتنازعتم امتحنتم بما رأيتم
من القتل والبلاء قوله عز وجل منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة يعني من الرماة من يريد
الحيوة الدنيا وهم الذين تركوا المركز ولم يثبتوا فيه ووقعوا في الغنائم ومنكم من يريد الآخرة يعني الذين ثبتوا في
المركز مع عبد الله بن جبير وباقي الرماة حتى قتلوا . قال ابن مسعود رضي الله عنه ما شعرت ان احدا من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أحد قوله تعالى ثم صرفكم عنهم
ليبتليكم أي صرفكم الله عن المشركين بالهزيمة ليبتليكم قيل المراد بالصرف في هذا الموضع رفع النصر قوله تعالى ولقد
عفا عنكم أي لم يعاقبكم عند ذلك فلم تقتلوا جميعا . وقال الكلبي تجاوز عنكم فلم يؤاخذكم بذنبكم والله ذو
فضل على المؤمنين أي ذو من عليهم بالعفو والتجاوز قوله تعالى إذ تصعدون ولا تلوون على أحد
والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم راجع الى قوله
ولقد عفا عنكم لان عفوه لا بد ان يتعلق بذنب منهم وذلك الذنب ما بينه بقوله اذ تصعدون ولا تلوون على أحد أي
ولقد عفا عنكم اذ تصعدون أي اذ تبعدون هربا في الأرض بالهزيمة والاصعاد السير في مستوى الأرض وقرأ الحسن وقتادة
تصعدون بفتح التاء والعين . قال أبو حاتم يقال أصعدت اذا مضيت حيال وجهك وصعدت اذا ارتقيت على جبل وغيره
والاصعاد السير في مستوي الأرض وبطون الأودية والشعاب والصعود الارتفاع على الجبل والسطوح والسلالم
والدرج وكلا القراءتين صواب . وقد كان يومئذ منهم صاعد ومصعد أي صاعد الى الجبل ومصعد هارب على
وجهه والرسول يدعوهم الي يا معشر المسلمين ويا أصحاب البقرة والعراء أنا رسول الله فلم يلتفت اليه منهم أحد
حتى نزلوا على الجبل ويحتمل انهم ذهبوا في بطن الوادي أولا ثم صعدوا في الجبل فلا تنافي حينئذ بين القراءتين قوله
تعالى ولا تلوون على أحد أي لا تعرجون ولا تعطفون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لا يقيم بعضكم على بعض
ولا يلتفت بعضكم الى بعض . وقرأ الحسن تلون بواو واحدة كما يقال استحييت واستحيت . قال الكلبي يعني بقوله على أحد
النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى والرسول يدعوكم في أخراكم أي من خلفكم . وذلك انه لما انهزم المسلمون لم يبق
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا خمسة من المهاجرين أبو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وطلحة
بن عبيد الله وسعد وسبعة من الأنصار قوله تعالى فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم أي جازاكم
غما متصلا بغم فأحد الغمين الهزيمة وقتل أصحابهم والثاني اشراف خالد من فم الشعب مع خيل المشركين . وقيل الغم
الأول هو القتل والجراح والثاني سماعهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قتل فأنساهم الغم الأول . وقوله لكيلا تحزنوا
على ما فاتكم أي اذا اتاكم غم النبي صلى الله عليه وسلم نسيتم به كل غم من فوت الغنيمة والهزيمة وقيل معناه من توارد
عليه الغموم واعتاد ذلك يقل حزنه وتأسفه على ما يفوته من الدنيا . وقال الزجاج معنى قوله غما بغم أي أثابكم
غما بما غممتم النبي صلى الله عليه وسلم بمفارقتكم المكان الذي أمركم بحفظه . وقال الحسن يعني هذا الغم بغم المشركين يوم
بدر . وقيل لكيلا تحزنوا على ما فاتكم متصل بقوله ولقد عفا عنكم وقيل معناه لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من يعني
الغنيمة والفتح ولا ما أصابكم ما في موضع خفض أي ولا على ما أصابكم من القتل والهزيمة . وقال بعضهم لا زائدة

معناه لكي تحزنوا على ما فاتكم وما أصابكم عقوبة لكم في خلافكم وترككم المركز قوله تعالى والله خبير
بما تعملون أي عالم بأعمالكم من اغتمام المسلمين وشماتة المنافقين قوله تعالى ثم أنزل عليكم من
بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم الآية وذلك انه لما افترق الفريقان بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليا كرم الله وجهه في اثر المشركين وقال له انظر فان هم جنبوا الخيل وركبوا الإبل فهم يريدون
مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة فخرج علي في اثرهم فرآهم ركبوا الإبل وقادوا الخيل
فرجع علي رضي الله عنه وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم يقولون انا قد اجتمعنا لنحارب ثانيا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذبوا فانهم أرادوا الانصراف الى مكة فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
المسلمون والقى الله عليهم النوم فما بقي أحد الا وقد ضربت ذقنه صدره الا معتب بن قشير وأصحابه الذين كانوا
يشكون في أمر النبي صلى الله عليه وسلم لما علم الله من باطنهم خلاف ما علم من باطن المؤمنين فحرمهم ما اعطى المؤمنين
فقعدوا في الخوف وعلى نصيبهم وسوء الظن بهم بسوء نيتهم وشكوا في صادق وعده وصادق عهده ومعنى
الآية ثم أنزل عليكم من بعد الغم الذي لحقكم فيه أمنا وقوله نعاسا بدل من أمنة أي أمنكم أمنا تنامون معه لان
الخائف لا ينام ومن هذا قال ابن مسعود رضي الله عنه النعاس في الصلوة من الشيطان وفي القتال من الرحمن قوله
تعالى يغشى طائفة منكم قرأ الأعمش وحمزة والكسائي وخلف تغشى بالتاء وردوه الى الأمنة وقرأ الباقون بالياء
ردوه الى النعاس لان النعاس يلي الفعل فالتذكير أولى به مما بعد منه وهذا كقوله تعالى ألم يك نطفة من مني
يمنى بالياء والتاء والمراد بالطائفة التي غشيهم النعاس أهل الصدق واليقين . قال أبو طلحة رضي الله
عنه رفعت رأسي يوم أحد فجعلت ما أرى أحدا من الناس الا وهو يميد تحت حجفته من النعاس قال أبو طلحة وكنت
ممن ألقى الله عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدي ثم آخذه ثم يسقط من يدي ثم آخذه من النوم
قوله تعالى وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يعني المنافقين معتب بن قشير وأصحابه أحزنتهم أنفسهم وحملتهم
على الهم فيقال لكل من خاف وحزن في غير موضع الحزن والخوف أهمته نفسه قوله تعالى يظنون بالله غير
الحق ظن الجاهلية يعني هذه الطائفة التي قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله انه لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم
وأصحابه . وقيل ظنوا ان محمدا قد قتل قوله تعالى ظن الجاهلية أي كظن الجاهلية والشرك وقيل كظنهم
في الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء أي ما لنا من الأمر شيء لفظه استفهام ومعناه جحد يعنون
النصر وقيل معناه هل يطمع في أن يكون لنا شيء من الظفر والدولة . وقيل معناه لو كان الأمر الينا ما خرجنا وكنا
أخرجنا الى القتال مكرهين . قل لهم يا محمد ان النصر والظفر والدولة كل ذلك لله عز وجل من نصب كله جعله نعتا
للأمر ومن رفعه جعله خبر ان . قرأ أبو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء وخبره لله وهذا المبتدأ وخبره
خبر ان وقرأ الباقون بالنصب . وروى الضحاك عن ابن عباس في قوله يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يعني
التكذيب بالقدر وذلك انهم تكلموا بالقدر فقال الله تعالى قل ان الأمر كله يعني القدر خيره وشره من الله وهو
قوله لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج
مع محمد لقتال أهل مكة ولم يقتل رؤساؤنا فقال الله تعالى قل لهم لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم
القتل الى مضاجعهم أي لخرج الذين قضي عليهم القتل الى مصارعهم قوله تعالى يخفون في أنفسهم ما لا
يبدون لك أي المنافقون يسرون ويضمرون في قلوبهم ما لا يظهرون لك بألسنتهم يقولون لو كان لنا من
النصر والدولة شيء وكان دين محمد حقا ما قتل أصحابنا هاهنا في اتباعه وقيل معناه لو لم نخرج رؤساؤنا الى
الحرب ما قتلنا قوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم أي قل للمنافقين لو تخلفتم أنتم في بيوتكم لخرج الذين كتب عليهم القتل
الى مصارعهم ومواضع قتلهم لا محالة لينفذ قضاء الله وقيل معناه لو كنتم في بيوتكم لما أخطأكم ما كتب عليكم

وقيل معناه لو كنتم أيها المنافقون في بيوتكم لبرز الذين فرض عليهم القتال وهم المؤمنون المخلصون إلى مواضع القتال
صابرين محتسبين وقرأ ابن أبي عبلة لبرّز بضم الباء وتشديد الراء وقال قتادة القتال قوله عز وجل وليبتلي
الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم أي وليختبر الله ويظهر ما في قلوبكم بأعمالكم لأنه علمه غيبًا فيعلمه
شهادة ومعنى وليمحص ما في قلوبكم أي يبين ما في قلوبكم ويذهب نفاق من نافق منكم والله عليم بذات الصدور
أي بما في القلوب من خير وشر قوله عز وجل إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا أي إن الذين انهزموا منكم يا معشر المسلمين يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين إنما استزلهم
الشيطان عن أماكنهم ببعض ما كسبوا وهو مفارقة المكان الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه قوله تعالى
ولقد عفا الله عنهم حين لم يستأصلهم وتعالى في معنى أنهم لم يفروا على جهة المعاندة والفرار من الزحف لكن
أذكرهم الشيطان خطاياهم التي كانت منهم فكرهوا لقاء الله إلا على حالة يرضونها ولذلك عفا الله عنهم وقوله تعالى والله
غفور حليم أي متجاوز لذنوبهم لم يعجل بالعقوبة عليهم روي أن من الخوارج أتى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فسأله
عن عثمان رضي الله عنه أكان شهد بدرًا قال لا قال أشهد بيعة الرضوان قال لا قال أفكان من الذين تولوا يوم التقى الجمعان قال
نعم فولى الرجل يهتز فرحًا فلما علم ابن عمر بغضه لعثمان قال له ارجع فرجع فقال أما تخلفه يوم بدر فإن النبي صلى الله عليه
وسلم خلفه على ابنته رقية يقوم عليها كانت مريضة فتوفيت يوم بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه في نحو
وعثمان رضي الله عنه في تكفين ابنة رسول الله ودفنها والصلوة عليها فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم جعل أجره كأجرهم
وسهمه كسهمهم وأما بيعة الرضوان فقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليسرى على اليمنى وقال هذه عن عثمان ويسار رسول
الله صلى الله عليه وسلم خير من يمين عثمان رضي الله عنه وأما الذين تولوا يوم التقى الجمعان فقد عفى الله عنهم والله غفور رحيم
فاجهد على جهدك فقام الرجل خزيان ناكسًا رأسه قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا
لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزًّى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم
معناه يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالمنافقين أهل الكتاب عبد الله بن أبي وأصحابه قالوا لإخوانهم في النفاق إذا سافروا في الأرض تجارًا
مسافرين فماتوا في سفرهم أو كانوا في الغزو فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا في سفرهم وما قتلوا في الغزو وغزًّى جمع غازٍ مثل
راكع وركع وقد جمع غازٍ على غزاة مثل قاضٍ وقضاة وقوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم أي ليجعل الله ما ظنوا حسرة
في قلوبهم ثم أخبر الله أن الموت والحياة إليه لا بتقدم السفر ولا بتأخر الحضر قوله تعالى والله يحيي ويميت حذرهم
من التخلف عن الجهاد خشية الموت والقتل لأن الإحياء والإماتة إلى الله تعالى في السفر والحضر وحال القتال وغير حال القتال
قوله والله بما تعملون بصير ترغيب في الطاعة وتحذير عن المعصية قرأ ابن كثير والأعمش والكسائي وحمزة
يعملون بالياء والباقون بالتاء قوله تعالى ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير
مما يجمعون معناه ولو قتلتم في طاعة الله أو متم فيها لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون من الأموال هكذا
وإن كان هو مغلوبًا ملأن من الناس من آثار الدنيا على الجهاد خشية القتل قرأ حفص يجمعون بالياء على الخبر خير لكم أيها المؤمنون
مما جمع المنافقون في الدنيا وقرأ نافع وأكثر أهل الكوفة متم بكسر الميم من مات يمات وقرأ الباقون بضمها من مات يموت
قوله تعالى ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون معناه لئن متم على فرشكم أو قتلتم في الغزو فإلى الله ترجعون
في الآخرة كيفما دارت القضية فإن مصيركم إلى الله ولأن تصيروا إلى الله بالقتل الذي تستحقون عليه العوض خير من أن تصيروا
إليه بالموت الذي لا تستحقون عليه العوض قال علي رضي الله عنه فإن تكن الأبدان للموت أنشئت فقتل امرئ بالسيف
في الله أفضل واللام في لئن لام القسم وتصلح أن تكون للابتداء والتأكيد واللام في لمغفرة جواب القسم وتصلح أن تكون
جواب الشرط قوله عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم أي فبرحمة من الله عظيمة لنت لهم حتى صار لينك لهم
سببًا لدخولهم في الدين لأنه صلى الله عليه وسلم أتاهم بالحجة والبراهين مع لين وخلق عظيم وهذا قال صلى الله عليه وسلم
إنما أنا لكم مثل الوالد لولده وما في قوله فبما زائدة لا يمنع الكلام عملها مثل قوله فبما نقضهم ميثاقهم وقال بعضهم يحتمل أن
تكون ما استفهامية للتعجب تقديره فبأي رحمة من الله لنت لهم أخلاقك وكثرت احتمالك ولم تعنف عليهم فيما كان منهم

يوم أحد قوله تعالى ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك أي لو كنت يا محمد خشنًا في القول قاسي القلب
القلب لتفرقوا من حولك فلم ترهم أحدًا ولكن الله جعلك سمحًا سهلًا طلقًا لطيفًا بارًّا رحيمًا قوله تعالى فاعف عنهم
واستغفر لهم أي فاعف عنهم ما أتوه يوم أحد وتجاوز عنهم الجريمة التي تكون بينك وبينهم وكانوا عصوا النبي صلى الله
عليه وسلم في ترك المركز وترك الإجابة لدعوته إذ رجعوا فندب الله النبي صلى الله عليه وسلم إلى العفو عنهم قوله تعالى واستغفر
لهم أي فيما بينك وبين ربهم حتى يشفعك فيهم قوله تعالى وشاورهم في الأمر أي إذا أردت أن تعمل عملًا لم يكن
عندك فيه وحي فشاورهم فيه واعمل بما تدبرهم وتشاورهم وكان صلى الله عليه وسلم مستغنيًا عن مشورتهم فإنه كان أرشدهم
وأكملهم رأيًا لكن الله إنما أمره بالمشاورة ليقتدي به الأمة ولكن فيه تطييب لنفوس المؤمنين ورفع لأقدارهم وثناء عليهم فإن
النبي صلى الله عليه وسلم لو شاورهم في الأمر فإنه أطيب لأنفسهم وإذا شاورهم عرفوا الكرامة لهم قوله تعالى فإذا عزمت
فتوكل على الله أي إذا عزمت فثق بالله وفوض إليه ولا تتكل على مشورتهم إن الله يحب المتوكلين على الله واختلف العلماء
في معنى التوكل فقال سهل بن عبد الله أول مقام التوكل أن تكون بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء لا يكون له حركة
ولا تدبير والمتوكل لا يسأل ولا يرد ولا يحبس وقال إبراهيم الخواص التوكل إسقاط الخوف والرجاء مما سوى الله وقال بعضهم المتوكل الذي
إذا أعطي شكر وإذا منع صبر وأن يكون العطاء والمنع عنده سواء والمنع مع الشكر أحب إليه لعلمه باختيار الله ذلك وقال ذو النون التوكل
انقطاع المطامع مما سوى الله وقال بعضهم معرفة أن أرزاق الخلق ولا يصح لأحد التوكل حتى تكون السماء كالصفر والأرض كالحديد لا ينزل
من السماء مطر ولا يخرج من الأرض نبات ويعلم أن الله لا ينسى له ما ضمن من رزقه بين هذين وقال بعضهم خسارة التوكل أن لا تطلب
لنفسك ناصرًا غير الله ولا لرزقك خازنًا غيره ولا لعملك شاهدًا غيره وقال الجنيد التوكل أن تقبل بالكلية على ربك وتعرض عمن دونه
وقال الثوري أن تعني بتدبيرك في تدبيره وترضى بالله وكيلًا ومدبرًا وقال بعضهم هو السكون عن الحركات اعتمادًا على خالق
الحركات وقيل لحاتم الأصم على ما بنيت أمرك هذا من التوكل قال على أربع خصال علمت أن رزقي ليس يأكله غيري فلست أشتغل
به وعلمت أن عملي ليس يعمله غيري فأنا مشغول به وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره وعلمت أني بعين الله في كل حال فأنا
أستحيي منه قوله عز وجل إن ينصركم الله فلا غالب لكم معناه إن يمنعكم الله عز وجل من عدوكم فلا غالب لكم
من العدو مثل يوم بدر وإن يخذلكم بأن يكلكم إلى أنفسكم ويترك نصره عنكم كيوم أحد فمن ذا الذي ينصركم من بعده أي
من بعد خذلانه إياكم وعلى الله فليتوكل المؤمنون في النصرة قوله عز وجل وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل
يأت بما غل يوم القيامة وذلك أنهم اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغنائم يوم أحد حين وقعوا في عسكر المشركين
يأخذون الغنائم وظنوا أن من أخذ شيئًا فهو له وأن النبي لا يقسم لهم كما لم يقسم يوم بدر ولهذا ترك الرماة المركز فوقعوا
في الغنيمة وعن ابن عباس وابن جبير أنهما قالا نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض الناس لعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم أخذها فأنزل الله هذه الآية ومعناها وما كان لنبي أن يخون أصحابه بستر شيء من الغنيمة وهذا
على قراءة من قرأ بفتح الياء وضم الغين وهي قراءة مجاهد وابن كثير وأبي عمرو وعاصم وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الغين ومعناها
ما كان لنبي أن ينسب إلى الغلول وقيل يخون أصحابه وقيل معناه ما كان لنبي أن يخان وقيل معناه ليس من خلق النبي أن يستر
عليه شيء من الغنائم قوله تعالى ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة أي من يخن يأت بما خان يوم القيامة قال الكلبي يمثل له
ذلك الشيء في النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره فإذا بلغ موضعه وقع في النار ثم يكلف أن ينزل إليه
فيخرجه فإذا بلغ به موضعه وقع في أسفل جهنم فيكلف أن ينزل إليه ولا يزال كذلك دأبه ما شاء الله والغلول في اللغة أخذ
الشيء في الخفية وعن عبادة بن الصامت قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب بعير من المغنم ثم تناول وبرة
من سنام بعير وقال يا أيها الناس إن هذا من غنائمكم فأدوا الخيط والمخيط وما دون ذلك وما فوق ذلك فإن الغلول عار
على أهله يوم القيامة وشنار ونار وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أحد أحق بالغنيمة من أحد فقال لا ولا
السهم الذي تستخرجه من جنبك لست أحق به من أخيك المسلم روي أن رجلًا من الصحابة توفي يوم خيبر فقال صلى الله
عليه وسلم صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال إن صاحبكم غل في سبيل الله ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزًا من خرز

... يساوي درهمين روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدي له عبد أسود يقال له مدعم فبينما هو ذات يوم
يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه سهم فقتله فقال الناس هنيئا له الجنة فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا وروي عن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال إذا وجدتم الرجل قد غل فاحرقوا متاعه واضربوه وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر أحرقوا متاع الغال واضربوه ومنعوه سهمه قوله عز وجل ثم توفى كل نفس ما
كسبت أي جزاء ما عملت من خير وشر وهم لا يظلمون أي لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد في سيئاتهم قوله عز وجل أفمن اتبع
رضوان الله كمن باء بسخط من الله استفهام بمعنى تعديد حال الفريقين تقول ليس من اتبع رضوان الله أي من ترك الغلول وأخذ
الحلال من الغنيمة كمن استوجب سخط الله بأخذ الغلول والحرام وقيل معنى الآية أفمن اتبع رضوان الله بالجهاد في سبيل الله
كمن باء بسخط من الله بالفرار من الجهاد قوله تعالى ومأواه جهنم راجع إلى من باء بسخط من الله وبئس المصير قوله تعالى
هم درجات عند الله معناه أن الذين اتبعوا رضوان الله ذوو درجات رفيعة والآخرون ذوو دركات خسيسة فإن
لكلا الفريقين درجات في الجنة ولأهل النار دركات في النار والمعنى أن من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل
عند الله فلمن اتبع رضوان الله الكرامة والثواب العظيم ولمن باء بسخط من الله المهانة والعذاب الأليم وقال بعضهم هو راجع
خاصة في المؤمنين أي هم طبقات بعضهم أرفع من بعض في الجنة قوله تعالى والله بصير بما يعملون أي عالم بمن
يفعل قوله عز وجل لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم أي لقد أنعم الله على المؤمنين إذ بعث
فيهم رسولا منهم وهو النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله من العرب وهم يعرفونه بالصدق والأمانة وكان يتيما من
نزل الوحي وقيل بعثه الله من جنسهم آدميا ولم يبعثه من الملائكة لأنه إذا كان من جنسهم كان تعلمهم منه أسهل عليهم وقيل
في الشرف من أنفسهم نسبا وقيل أي من أشرفهم لأن العرب أفضل من غيرهم ومن أفضل العرب قوله تعالى يتلو عليهم
آياته أي يقرأ عليهم القرآن بما فيه من قصص الأمم السالفة وهو أمي لم يقرأ الكتب قوله تعالى ويزكيهم أي يطهرهم
من الشرك والذنوب ويأخذ منهم الزكاة التي يطهرهم بها قوله تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة أي القرآن والفقه
وإن كانوا من قبل أي من قبل أن يبعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم لفي ضلال مبين عن الهدى وخطأ بين قوله عز وجل أولما
أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها أي لما أصابتكم مصيبة يوم أحد قد أصبتم مثليها يوم بدر أي قتلتم يوم بدر سبعين
وأسرتم سبعين وقيل منكم يوم أحد سبعون ولم يؤسر منكم أحد قوله تعالى قلتم أنى هذا أي من أين أصابنا هذا
الهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا والوحي ينزل علينا وهم مشركون قل يا محمد هو من عند أنفسكم
بمخالفتكم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج عن المدينة وقد كان أمركم بالمقام فيها ليدخل عليكم الكفار فتقاتلوهم في أزقتها
وقيل لما أصابكم هذا من عند أنفسكم بترك الرماة مركزهم ما أمرهم به النبي صلى الله عليه وسلم إن الله على كل شيء قدير أي على
كل شيء من النصر وغير ذلك قادر قوله تعالى وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله معناه ما أصابكم معشر
المسلمين يوم أحد يوم التقى جمع المسلمين وجمع المشركين من القتل والجرح والهزيمة فبعلم الله وقضائه وقدره وقيل
أراد بالإذن التخلية بين المؤمنين والكفار لا أن الله يأذن في المعصية قوله تعالى وليعلم المؤمنين أي ليرى المؤمنين
وقيل ليعلموا أنتم أن الله قد علم نفاقهم وأنتم لم تكونوا تعلمون ذلك والمعنى ليرى الله إيمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم
ويرى نفاق المنافقين أنفسهم وقلة صبرهم على ما نزل بهم في ذات الله تعالى قوله تعالى وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو
ادفعوا وذلك أن عبد الله بن أبي وأصحابه لما رجعوا إلى المدينة قبل القتال قال لهم عبد الله بن جبير تعالوا يوم أحد
وقاتلوا في طاعة الله وادفعوا عن أنفسكم وحريمكم وأهلكم فقال المنافقون لو نعلم اليوم أنكم تلقون قتالا لكنا
معكم قوله عز وجل هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان أي كانوا قبل هذا القول عند المؤمنين أقرب إلى الإيمان
فلما ظهر حالهم حتى هتكوا سترهم وأظهروا ميلهم إلى الكفر فصاروا في ذلك اليوم أقرب إلى الكفر قوله تعالى يقولون بأفواههم
ما ليس في قلوبهم كناية عن كذبهم في قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم قوله تعالى والله أعلم بما يكتمون أي بما يخفون

من الشرك قوله تعالى الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا معناه الذين قالوا لإخوانهم من المنافقين
بالمدينة وقعدوا بأنفسهم عن الجهاد لو أطاعونا المسلمين الذين خرجوا للقتال ما قتلوا في الغزو قل لهم يا محمد فادرءوا عن
أنفسكم الموت إن كنتم صادقين في مقالتكم لو لم يخرجوا إلى القتال ما قتلوا قال الفقيه أبو الليث سمعت بعض المفسرين
يقول لما نزلت هذه الآية مات يومئذ سبعون نفسا من المنافقين قوله عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا
بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين قال ابن عباس وابن مسعود وجابر رضي الله عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل
من ذهب تحت العرش فلما رأوا طيب مقيلهم ومطعمهم ومشربهم وما أعد الله لهم من الكرامة قالوا يا ليت إخواننا يعلمون ما أعد
الله لنا من الكرامة وما نحن فيه من النعيم فلم ينكلوا عند اللقاء ولم يجبنوا في الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله
هذه الآية وقال جابر بن عبد الله الأنصاري قتل أبي يوم أحد وترك علي بنات فقال صلى الله عليه وسلم ألا أبشرك يا جابر
قلت بلى يا رسول الله قال إن أباك حين قتل أحياه الله وكلمه كفاحا فقال يا عبد الله سلني ما شئت قال أسألك أن تعيدني
إلى الدنيا فأقتل فيها ثانيا فقال يا عبد الله إني قضيت أن لا أعيد إلى الدنيا خليقة قبضتها قال يا رب فمن يبلغ قومي ما أنا فيه
من الكرامة قال الله أنا فأنزل الله هذه الآية ومعنى الآية ولا تظنن يا محمد الشهداء المقتولين في طاعة الله أمواتا نصب على المفعول
لأن الحسبان يتعدى إلى مفعولين بل هم أحياء عند ربهم يرزقون التحف جاءهم أحياء أنهم يأكلون ويتمتعون ويرزقون
كالأحياء وقيل جاءهم أحياء فإنهم يكتب لهم في كل سنة ثواب غزوة ويشركون في فضل كل جهاد إلى يوم القيامة وقيل لأن أرواحهم
ترتع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيامة كأرواح الأحياء وقيل لأن الشهيد لا يبلى في الأرض ولا تأكله الأرض في القبر وثلاثة
لا تبلى أجسادهم الأنبياء والعلماء والشهداء وحملة القرآن وعن عبد الله بن عبد الرحمن أنه بلغه أن عمرو بن الجموح
وعبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاريين كانا قد أخرب السيل قبريهما فوجدا في قبرهما لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس وكان
بين أحد ويوم خراب السيل ست وأربعون سنة وقيل سموا أحياء لأنهم لا يغسلون كما يغسل الأموات قال صلى الله عليه
وسلم زملوهم بدمائهم وكلومهم فإنهم يحشرون يوم القيامة بدمائهم اللون لون الدم والريح ريح المسك قرأ الحسن وابن
عامر قتلوا بالتشديد قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله أي من رزقه وثوابه وانتصب على الحال وقرأ ابن
السميفع فارحين وهما لغتان كالفره والفاره والطمع والطامع والحذر والحاذر قوله تعالى ويستبشرون بالذين
لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون أي يطلبون البشرى بقدوم من لم يتقدم عليهم من
إخوانهم يقولون ليت إخواننا قتلوا كما قتلنا فينالوا من الكرامة والثواب ما نلنا وقال السدي يؤتى الشهيد بكتاب
فيه من يقدم عليه من إخوانه وأهله فيقال له يقدم عليك فلان يوم كذا ويقدم عليك فلان يوم كذا فيستبشر بذلك
كما يستبشر أهل الدنيا بقدوم غائبهم فيستعجل السرور به قبل قدومه وأصل الاستبشار من البشرة لأن الإنسان إذا فرح ظهر
أثر السرور في بشرة وجهه ومعنى الآية يستبشرون بأن لا خوف على إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم من بعدهم وأنهم لا يحزنون
في الآخرة قوله عز وجل يستبشرون بنعمة من الله وفضل أي بجنة وكرامة ويستبشرون بأن الله لا يضيع ثواب
الموحدين قوله تعالى وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين قرأ الكسائي وإن بكسر الألف على الاستئناف وفي
قراءة ابن مسعود والله لا يضيع أجر المؤمنين وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما يجد الشهيد من القتل في
سبيل الله إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة وفي حديث آخر عضة نملة أشد على الشهيد من مس السلاح وفي حديث آخر إن
القرصة واللطمة على الشهيد مثل شرب الماء البارد قوله عز وجل الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما
أصابهم القرح يجوز أن يكون قوله هذه الآية في موضع الخفض على النعت للمؤمنين ويجوز أن يكون في موضع الرفع
على الابتداء وخبره للذين أحسنوا ومعنى الآية الذين أجابوا الله بالطاعة والرسول بالخروج إلى بدر الصغرى من
بعد ما أصابهم الجراح للذين أحسنوا منهم أي أوفوا بالميعاد واتقوا سخط الله ومعصيته ثواب وافر في الجنة وقال
ابن عباس وذلك أنهم تواعدوا يوم أحد أن يجتمعوا ببدر الصغرى في العام القابل فلما حضر الأجل بدا للمشركين ولقي

أبو سفيان نعيم بن مسعود وكان يخرج إلى المدينة للتجارة فقال إذا أتيت المدينة فخوفهم كيلا يخرجوا ولك عشر من الإبل إن رددتهم فلما قدم نعيم المدينة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون لميعاد أبي سفيان قال بئس الرأي رأيتم أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم إلا الشريد فتريدون أن تأتوهم في ديارهم وقد جمعوا لكم ما إن الرجل الواحد منهم يطوق عشرة منكم إذا والله ما يفلت منكم إلا الشريد فكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج إليهم وتثاقلوا فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لأخرجن إليهم وإن لم يخرج معي منكم أحد فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للميعاد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الله بن مسعود وحذيفة وأبو عبيدة في سبعين رجلا حتى انتهوا إلى بدر فلم يخرج إليهم أبو سفيان ولم يلقوا بها أحدا من المشركين وتسوقوا من السوق حاجتهم ثم انصرفوا فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح وقالت عائشة رضي الله عنها لعبد الله بن الزبير يا ابن أختي والله إن أباك وجدك تعني أبا بكر لمن الذين قال الله فيهم الذين استجابوا لله والرسول الآية قوله عز وجل **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا** معناه الذين قال لهم نعيم بن مسعود إن أبا سفيان وأصحابه قد جمعوا لكم فاخشوهم ولا تخرجوا إليهم فزادهم هذا القول تصديقا ويقينا وجرأة على القتال **وقالوا حسبنا الله** أي يكفينا الله وكافينا الله أمرهم **ونعم الوكيل** أي الناصر والحافظ [illegible] يرد [illegible] على الذين [illegible] وإنما ذكر الله نعيما بلفظ الناس لأن الواحد قد يذكر بلفظ الجماعة على معنى الجنس [illegible] [illegible] رجلا واحدا [illegible] قوله عز وجل **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء** أي فانصرفوا بأجر من الله وفضل وهو ما تسوقوا به من السوق وقد روي أنهم اشتروا أدما وزبيبا وأشياء غير ذلك [illegible] على ذلك ومعنى لم يمسسهم سوء لم تصبهم جراحة ولا قتل **واتبعوا رضوان الله** في الخروج إلى المشركين **والله ذو فضل عظيم** بدفع المشركين عن المؤمنين قوله عز وجل **إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه** نعيم بن مسعود [illegible] هو شيطان وقيل معناه ذلك التخويف من عمل الشيطان ووسوسته وقوله يخوف أولياءه يعني المنافقين ومن لا حقيقة له في إيمانه فلا تخافوا المشركين في الخروج إليهم وخافوني في القعود عن الجهاد إن كنتم مؤمنين مصدقين بما أعلمتكم [illegible] وألقى الرعب في قلوب الكفار وقيل معنى يخوف أولياءه يخوفكم أولياءه أي من أوليائه [illegible] التخويف يتعدى إلى مفعولين كما في قوله تعالى لينذر بأسا شديدا أي ببأس شديد وقرأ ابن مسعود يخوفكم أولياءه وفي قراءة يخوفكم بأوليائه والمعنى يخوف المؤمنين بالكفار قوله تعالى **وخافون** أي خافوني في ترك أمري وذهب بعض المفسرين إلى أن قوله تعالى الذين استجابوا نزلت في حرب أحد وذلك أنه لما رجع المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة قال لهم رحم الله قوما [illegible] المشركين ليعلموا أنا لم نستأصل فانتدب قوم ممن أصابهم الجراح في ذلك اليوم فخرجوا على ما بهم حتى [illegible] بعد [illegible] وقد كانوا هموا بالرجعة لقتل المسلمين فقذف الله في قلوبهم الرعب فانهزموا وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على [illegible] ودعا لهم [illegible] أبي سفيان وأصحابه بموضع يسمى حمراء الأسد [illegible] المسلمين [illegible] الرجوع إلى المدينة [illegible] فقال المسلمون حسبنا الله ونعم الوكيل فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالمسير إليهم فلما ساروا إلى حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة لم يروا المشركين هنالك فانصرف المسلمون إلى المدينة بنعمة من الله وفضل وهي كفاية الله لهم شر المشركين لم يمسسهم سوء وفي قوله والله ذو فضل عظيم بيان أنه تعالى تفضل عليهم من خير نعيم الدنيا والآخرة قوله تعالى **ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا** قرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاي في جميع ما كان في هذا الفعل في جميع القرآن إلا قوله لا يحزنهم الفزع [illegible] وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الزاي وهما لغتان وقرأ طلحة بن مصرف يسرعون في الكفر والباقون يسارعون ومعنى الآية ولا يحزنك يا محمد الذين يسارعون إلى الجحود والتكذيب فهم اليهود وكانوا يكتمون صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وكان ذلك يشق على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل يعني كفار قريش [illegible] وكان النبي [illegible] كان حريصا على إسلامهم [illegible] وقيل نزلت هذه الآية في قوم ارتدوا عن الإسلام فاغتم النبي

صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **إنهم لن يضروا الله شيئا** أي لن ينقصوا شيئا من ملك الله وسلطانه **يريد الله ألا يجعل لهم حظا** نصيبا من الجنة في الآخرة **ولهم عذاب عظيم** قوله عز وجل **إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا** أي الذين اختاروا الكفر على الإيمان لا ينقصون من ملك الله شيئا وإنما أضروا بأنفسهم حيث استوجبوا العذاب ولهم عذاب أليم أي وجيع في الآخرة قوله عز وجل **ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم** قرأ حمزة بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي لا تظنن يا محمد اليهود والنصارى والمنافقين أن إملاءنا لهم خير لهم من أن يموتوا كما مات شهداء أحد وقيل معناه لا تحسبن يا محمد إملاءنا لهم لخيرهم أو لنفع منهم إنما إملاؤنا لهم ليكون عاقبة أمرهم أن يزدادوا إثما بالمعصية إلى معصية **ولهم عذاب مهين** يهانون فيه وقيل المراد بالذين كفروا كفار مكة أي لا تظن ما أصابوه يوم أحد من الظفر خيرا لأنفسهم وإنما كان ذلك ليزدادوا معصية تزداد في عقوبتهم وقرأ الباقون ولا يحسبن بالياء ومعناه ولا يحسبن الكفار إملاءنا إياهم خيرا لهم والإملاء في اللغة إطالة المدة والإمهال والتأخير ومنه قوله واهجرني مليا أي دهرا طويلا قال ابن مسعود ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة وأما الفاجر فقد قال الله تعالى إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وأما البرة فقد قال الله تعالى وما عند الله خير للأبرار قوله عز وجل **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب** اختلفوا في نزولها فقال الكلبي قالت قريش يا محمد تزعم أن من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان ومن اتبعك على دينك فهو في الجنة والله عنه راض فأخبرنا بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن بك فأنزل الله هذه الآية ومعناها لم يكن الله ليترك من كان في علمه السابق أنه يؤمن على ما أنتم عليه من الكفر حتى يميز [illegible] الكافر والمنافق من المؤمن المخلص وما كان الله ليطلعكم على أهل مكة على من يصير منكم مؤمنا قبل أن يؤمن ولكن الله يصطفي للنبوة والرسالة من يشاء فيوحي إليه بما يشاء [illegible] الغيب يطلع عليه إلا الرسل بوحي من الله ليقيموا البرهان على أن ما أتوا به من عند الله فآمنوا بالله ورسله أي صدقوا وإن تؤمنوا بالله ورسله وتتقوا الشرك والمعصية فلكم أجر عظيم في الجنة وقال بعضهم الخطاب للكافرين والمنافقين معنى الآية ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل الخطاب للمؤمنين أي ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق حتى يميز الخبيث قرأ حمزة والكسائي [illegible] يميز بضم الياء والتشديد وكذلك في الأنفال والباقون بالتخفيف وفتح الياء [illegible] حتى لا يفرق بين الحق والباطل والمعنى حتى يميز المنافق من المخلص فميز الله المؤمنين يوم أحد من المنافقين [illegible] أظهروا النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم معنى الآية ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه من الإقرار حتى تفرض عليهم الجهاد والفرائض ليتميز بها من يثبت على إيمانه ممن ينقلب على عقبيه وما كان الله ليطلعكم على الغيب لأنه لا يعلمه إلا الله ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيطلعه على بعض علم الغيب وروي أن الحجاج بن يوسف كان عنده منجم فأخذ الحجاج حصيات بيده قد عرف عددها فقال للمنجم كم في يدي فحسب المنجم فأصاب فاستغفله الحجاج فأخذ حصيات لم يعدها فقال للمنجم كم في يدي فحسب المنجم فأخطأ ثم حسب فأخطأ فقال أيها الأمير أظنك لا تعرف عددها قال لا قال [illegible] أحصيت عدده فخرج عن حد الغيب فأصبت في حسابه وهذا لم تعرف عدده فصار غيبا والغيب لا يعلمه إلا الله قوله عز وجل **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم** من قرأ ولا تحسبن بالتاء فمعناه ولا تظنن يا محمد بخل الذين يبخلون بما أعطاهم الله من المال فيمنعون من ذلك حق الله تعالى الزكاة والجهاد [illegible] الحقوق التي وجبت عليهم [illegible] ذلك خيرا لهم وقوله هو الفصل [illegible] الكوفيون العماد ومعنى بل هو شر لهم أي بخلهم [illegible] ومن قرأ بالياء فالفعل للباخلين كأنه قال ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم قوله عز وجل **سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** أي سيأتون يوم القيامة بما بخلوا به من الزكاة ونفقة الجهاد طوقا في أعناقهم قال صلى الله عليه وسلم يأتي كنز أحدهم شجاعا أقرع يطوق في عنقه يلدغه بلحييه ويقول أنا الزكاة التي بخلت بها في الدنيا وقال بعضهم يجعل ما بخل به من الزكاة حية في عنقه تطوقه إلى يوم القيامة تنهشه من قرنه إلى قدمه وتنقر رأسه وتقول أنا مالك فلا تزال كذلك حتى يساق إلى النار وقيل هذا قول ابن مسعود وابن عباس والشعبي والسدي وقال صلى الله

بابن ذي رحم يأتي الى ذي رحمه فيسأله من فضل ما اعطاه الله فيبخل به عليه الا اخرج الله من جهنم شجاعا يتلمظ حتى يطوقه
ثم تلى هذه الآية وقال صلى الله عليه وسلم مانع الزكوة في النار • وذهب بعضهم الى ان المراد بهذه الآية اليهود بخلوا
ببيان صفة النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى سيطوقون على هذا القول وزره واثمه والاظهر في هذه الآية البخل بالمال
قوله تعالى **ولله ميراث السموات والارض** تحريض على الانفاق ومعناه تموت اهل السموات والارض كلهم من الملائكة
والجن والانس ويبقى الله واذا كانت الاموال لا تبقى للانسان ولا يحملها مع نفسه الى قبره فالاولى به ان ينفقها في الوجوه التي امر
الله بها فيستوجب بها الحمد والثواب قوله تعالى **والله بما تعملون خبير** اي عالم بمن يؤدي الزكوة ومن يمنعها قوله
عز وجل **لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء** قال مجاهد لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا قالت اليهود ان الله يستقرض منا ونحن اغنياء وقال الحسن قائل هذه المقالة حيي بن اخطب وقال عكرمة والسدي
ومقاتل كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر الصديق رضي الله عنه الى اليهود يدعوهم الى الاسلام والى اقامة الصلوة وايتاء
الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر مدارسهم فوجد ناسا كثيرا منهم قد اجتمعوا على رجل يقال له فنحاص بن عازورا
وكان من علمائهم فقال ابو بكر رضي الله عنه لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم
من عنده بالحق تجدونه مكتوبا عندكم في التورية والانجيل فآمن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان الله يستقرض
منا اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان ما تقول حقا فان الله فقير ونحن اغنياء فغضب ابو بكر رضي الله عنه وضرب
وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله
قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وهم اغنياء فغضبت لله وضربت وجهه فجحد فنحاص فانزل الله تعالى ردا على فنحاص وتصديقا
لابي بكر رضي الله عنه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قوله تعالى **سنكتب ما قالوا** اي سنأمر
الكاتبين الكرام عليهم بما قالوا **وقتلهم الانبياء بغير حق** بلا جرم نجازيهم به وقرأ حمزة والاعمش سيكتب بالياء وضم
التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء اعتبارا بقراءة ابن مسعود **ونقول ذوقوا عذاب الحريق** اي النار [illegible]
الحريق ان النار اسم للملتهبة وغير الملتهبة والحريق اسم للملتهبة منها قوله تعالى **ذلك بما قدمت ايديكم وان الله
ليس بظلام للعبيد** اي ذلك بما قدمت ايديكم على الكفر والتكذيب وقتل الانبياء صلوات الله عليهم وقوله وان الله ليس
بظلام للعبيد لا يعذب احدا بغير ذنب ولا يمنع احدا جزاءه حسب استحقاقه خيرا فعله العبد او شرا قوله عز وجل **الذين
قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار** قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وفنحاص بن عازورا اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد تزعم ان الله تعالى
بعثك الينا رسولا وانزل عليك كتابا وان الله قد عهد الينا في التورية ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار فان جئتنا
به صدقناك فانزل الله هذه الآية ومعناها وسمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا ونحل الذين حضرهم ردا على
الذين الاول ومعناها عهد الينا امرنا واوصانا في كتبه وعلى السنة رسله ان لا نصدق رسولا يزعم انه جاء من عند الله
حتى يأتينا بقربان وهو ما يتقرب به الى الله من صدقة وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبني اسرائيل وكانوا اذا قربوا
قربانا وغنموا غنيمة فتقبل منهم جاءت نار من السماء لا دخان لها ولها دوي وحفيف فتأكل ذلك القربان وتلك
الغنيمة فيكون ذلك علامة القبول واذا لم تقبل بقي على حاله فقال هؤلاء اليهود ان الله عهد الينا ان لا نؤمن
لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار كما كان في زمان موسى وزكريا ويحيى وغيرهم صلوات الله عليهم وكان هذا التعنت
منهم كذبا على الله وعنادا لا مدافعة في الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم لا احتجاجا صحيحا فاحتج الله عليهم بقوله
قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات اي بالعلامات الواضحات والمعجزات **وبالذي قلتم** من امر القربان
فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين يعني ما لكم وكانوا قتلوا زكريا ويحيى وغيرهم واراد بذلك اسلافهم فخاطبهم بذلك
لانهم رضوا بفعل اسلافهم قوله عز وجل **فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك** اي فان كذبوك يا محمد فلست

باول رسول كذب فقد كذبت نوح وهود وصالح وغيرهم **جاءوا بالبينات** اي بالعلامات الواضحات والزبر وهو جمع
زبور وهو كل كتاب ذي حكمة يقال زبرت اذا كتبت وزبرت اذا قرأت واما **الكتاب المنير** فهو الكتاب المبين للحلال والحرام
قوله عز وجل **كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة** قرأ الاعمش ذائقة بالتنوين ونصب الموت
قال ابن عباس لما نزل قوله كل من عليها فان قالت الملائكة هلك اهل الارض فلما نزلت هذه الآية ايقنت الملائكة بالهلاك •
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم اشتكت الارض الى ربها لما اخذ منها
فوعدها ان يرد اليها ما اخذ منها فما من احد الا يدفن في التربة التي اخذ منها وراى ابو هريرة قبر احد كذا فقال سبحان
الله انظروا كيف ساق هذا العبد الى تربته التي خلق منها قوله تعالى **وانما توفون اجوركم يوم القيمة** اي انما
تعطون جزاء اعمالكم يوم القيمة ان خيرا فخير وان شرا فشر والمعنى لا تغتروا بنعيم الكفار ولا تجزعوا من الشدائد للمؤمنين
فان كلا الفريقين سيوفون [illegible] في الدنيا قوله عز وجل **فمن زحزح عن النار** اي نحي وبعد عنها
وادخل الجنة فقد فاز اي نجا وسعد وظفر بما رجوا قوله تعالى **وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور** متاع
الغرور مثل القدر والقصعة والفاس يتمتع بها ثم تزول اي ينتفع بها ثم تذهب وتفنى كذلك الحيوة الدنيا • وقيل متاع
الغرور ما يغتر به الانسان في الحال كما ان التاجر يغتر بمتاع الغرور وهو ما يبرح اليه الفاسد مثل الزجاج والذي
يبرح اليه الكريم لا يصلحه الخير كذلك ينبغي للمؤمن ان يعبر من الدنيا الفانية الى متاع الآخرة وعن عبد الله بن عمر لما توفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم سجيناه بثوب وجلسنا حوله نبكي فاتانا آت نسمع صوته ولا نرى شخصه فقال السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته فقلنا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال **كل نفس ذائقة الموت** الى آخر الآية ثم قال ان في الله خلفا
من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب قال فتحدثنا انه
جبريل عليه السلام قوله عز وجل **لتبلون في اموالكم وانفسكم** وذلك ان الله تعالى لما ذكر الجنة ثم اعقبها بما يدعو
اليها ويوجبها فقال لتبلون في اموالكم وانفسكم اي لتختبرن بالنقص والذهاب في الاموال وفي ابدانكم بالامراض والاوجاع
وقيل بان المراد بهذا الابتلاء فرض الدين مثل الجهاد في سبيل الله والانفاق فيه قوله تعالى **ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا** معناه ولتسمعن من اليهود والنصارى ومن كفار العرب كلاما اذى كثيرا اما اليهود
فقولهم عزير ابن الله وقولهم ان الله فقير ونحن اغنياء ومن النصارى قولهم المسيح ابن الله وقولهم ان الله ثالث ثلاثة ومن
المشركين قولهم الملائكة بنات الله وعبادتهم الاوثان ونصبهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاذى ما يكرهه الانسان
ويغتم به • وقال الزهري نزلت الآية في كعب بن الاشرف وذلك انه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض
المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في شعره حتى اذاهم فقال صلى الله عليه وسلم من لي بابن الاشرف فقال محمد بن مسلمة
الانصاري انا لك به يا رسول الله انا اقتله قال افعل ان قدرت على ذلك فاجتمع محمد بن مسلمة وابو نائلة وهو اخو كعب
من الرضاعة وعباد بن بشر والحارث بن اوس وابو عبس ومشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بقيع الغرقد
ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم اعنهم ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في ليلة مقمرة فاقبلوا حتى
انتهوا الى حصنه فقدموا ابا نائلة فجاءه وهو اخوه من الرضاعة فتحدث معه ساعة ثم قال يا كعب اني جئتك لحاجة اريد
ان اذكرها لك فاكتمها علي قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل بلاء علينا عادتنا العرب ورمونا عن قوس واحدة وقطعت
السبل حتى ضاع العيال وجهدت الانفس فقال كعب بن الاشرف اما والله لقد اخبرتك ان الامر سيصير الى هذا فقال ان معي
اصحابا اردنا ان تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك وقد علمت حاجتنا اليوم الى السلاح فقال هاتوا بسلاحكم واراد
ابو نائلة بذكر السلاح ان لا ينكر السلاح اذا رآه فرجع ابو نائلة الى اصحابه فاخبرهم خبره فاقبلوا اليه حتى انتهوا الى حصنه وكان
كعب حديث عهد بعرس فناداه ابو نائلة فوثب في ملحفته فاخذت امرأته بصنفتها وقالت انك رجل محارب وصاحب
الحرب لا ينزل في مثل هذه الساعة فقال ان هؤلاء لو وجدوني نائما ما ايقظوني وانه ابو نائلة اخي فاتت كلمهم من فوق
الحصن فابوا عليها فنزل اليهم فتحدث معهم ثم قالوا هل لك ان تتماشى فنتحدث ساعة فتماشوا ساعة

أنا بالله حمل يده على رأس ابن كعب فشمها ثم قال ما شممت عنبرا قط مثل هذا قال كعب إنه لطيب أم فلان أحظى
نساء ساعة ثم قال أتأذن لي أن أشمها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها ثم أخذ بقرون رأسه حتى استمكن ثم قال اضربوا
عدو الله فاختلفت أسيافنا فلم تغن شيئا قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا في سيفي ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فصاح
صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار فوقع عدو الله على الأرض وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رأسه أصابه
بعض أسيافنا فنزفه الدم وأبطأ علينا فوقفنا له ساعة ثم احتملناه وجئنا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو
قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل كعب وجئنا برأسه إليه وتفل على جرح صاحبنا فبرأ ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا
وقد خافت اليهود لوقعتنا بعدو الله تعالى صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه **قوله عز وجل** وإن
تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور أي أن تصبروا على أذى الكفار وتتقوا معصية الله فإن ذلك من عزم
الأمور وخيرها أي من حقيقة الإيمان **قوله تعالى** وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا تكتمونه أي قد أخذ الله ميثاق أهل الكتاب بما فيه من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته للناس ولا يخفونه شيئا من ذلك
قرأ عاصم وأبو عمرو وابن كثير بالياء فيهما وقرأ الباقون بالتاء فيهما **قوله تعالى** فنبذوه وراء ظهورهم أي ضيعوه وتركوا
العمل به يقال للذي يترك العمل به جعل خلف ظهره **قوله تعالى** واشتروا به ثمنا قليلا أي اختاروا بكتمان نعت النبي صلى الله
عليه وسلم وصفته عرضا يسيرا من المأكل في الهدايا التي كانت تعطيهم من دون سفلتهم فبئس ما يشترون أي يختارون الدنيا على
قوله عز وجل لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا [illegible]
غيرهم بالتاء فمن قرأ بالياء فمعناه لا يحسبن الفارحون فرحهم منجيا لهم من العذاب ومن قرأ بالتاء فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وقوله فلا تحسبنهم إعادة توكيد قرأ الضحاك بالتاء وضم الباء أراد محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقرأ مجاهد وابن كثير وأبو عمرو
بالياء وضم الباء خبرا عن الفارحين أي فلا يحسبن أنفسهم واختلفوا فيمن نزلت قال مجاهد وعكرمة نزلت في اليهود كانوا
يقولون نحن أهل الصلوة والصوم والكتاب وأهل العلم الأول يريدون الفخر والسمعة والرياء لكي يثنى عليهم ويحمدوهم
مقبلهم على ما يفعلون من بيان صفة كتابهم وقال عطاء نزلت في المنافقين كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ويخالطون
المسلمين ويريدون الأعمال التي يحبون أن يحمدوا ويمدحوا على ذلك **قوله عز وجل** فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
أي لا تظننهم يا محمد بنجاة أي ببعيد من العذاب ولهم عذاب أليم وجيع في الآخرة وقرأ لا يحسبن لطول القصة وجوز
أن تكون خبر لا تحسبن الأول ومضمر المعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ناجين
في بما أتوا بالمد بما أعطوا من النعمة والصدقة ومن قرأ بما أتوا بما أعطوا من الدنيا **قوله عز وجل** ولله ملك
السموات والأرض والله على كل شيء قدير أي ولله خزائن السموات والأرض فخزائن السموات المطر وخزائن الأرض
النبات ووجه اتصال هذه الآية بما سبق أن تكذيب اليهود في قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء وبيان أن من كان مالكا
السموات والأرض فهو قادر على الانتقام من الكفار والإثابة للمؤمنين وعلى كل شيء قدير **قوله عز وجل** إن في خلق
السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب معناه أن في خلق السموات وما فيها من الشمس والقمر
والنجوم والأرض وما فيها من الجبل والبحر والدواب والنبات واختلاف الليل والنهار في المجيء والذهاب وفي اللون لعلامات
وأصحاب لذوي العقول على توحيد الله **قوله تعالى** الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم بيان
لصفة أولي الألباب ومعنى الذكر المطلق أي يذكرون الله في جميع أحوالهم وقيل المراد به الصلوة أي لا يتركون الصلوة
صحاحا أو مرضى يصلون قياما إن استطاعوا وقعودا إن لم يستطيعوا القيام ومضطجعين إن لم يستطيعوا الجلوس **قوله
تعالى** ويتفكرون في خلق السموات والأرض أي في عظم شأنهما وما فيهما من الآيات والعبرات قائلين ربنا ما
خلقت هذا باطلا أي ما خلقت هذا الخلق باطلا أي عبثا والعبث لا خلقته دليلا على وحدانيتك وصدق ما أتت
به أنبياؤك **وقوله تعالى** سبحانك أي نزهناك عن أن تكون خلقتهما باطلا فادفع عنا عذاب النار وقال صلى الله عليه وسلم
من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقال صلى الله عليه وسلم ذكر الله علم الإيمان وبراءة من النفاق وحصن من

الشيطان وحرز من النيران **قوله تعالى** ويتفكرون في خلق السموات والأرض لهما صانعا قادرا مدبرا حكيما وكان سفيان
الثوري يبول الدم من طول حزنه وفكرته وكان إذا رفع رأسه إلى السماء ورأى الكواكب غشي عليه وانتصب قوله باطلا
بنزع الخافض أي ما خلقته للباطل فعل على المفعول الثاني وقوله ما خلقت هذا باطلا ذهب به إلى لفظ الخلق ولو رده إلى
السماء والأرض لقال هذه **قوله عز وجل** ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته أي نعذبه وتذله وقيل
أهلكته وقيل فضحته وما للظالمين من أنصار أي ما لهم من مانع يمنعهم مما يراد بهم من العذاب **قوله تعالى** ربنا إننا
سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا أي يقولون ربنا إننا سمعنا محمدا صلى الله عليه وسلم يدعو الخلق
إلى الإيمان أن آمنوا بربكم فأجبنا إلى ما دعانا إليه وقال محمد بن كعب القرظي المنادي هو القرآن يدعو الناس كلهم إلى شهادة أن
لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقوله للإيمان أي إلى الإيمان كقوله لما نهوا عنه **قوله تعالى** ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
أي اغفر لنا الكبائر وما دونها وكفر عنا سيئاتنا أي شركنا في الجاهلية وتوفنا مع الأبرار أي اجعل أرواحنا مع أرواح
الأنبياء والصالحين الذين كانوا قبلنا **قوله تعالى** ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أي أعطنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك
ولا تخزنا يوم القيامة أي لا تعذبنا إنك لا تخلف الميعاد من الثواب والجنة للمؤمنين فإن قيل ما فائدة قولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا
على رسلك وقد علموا أن الله لا يخلف الميعاد قيل فائدته التعبد والخضوع له ورفع الحاجة إليه في عموم الأحوال **قوله عز وجل**
فاستجاب لهم ربهم أي أجابهم ربهم بأني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى **قوله تعالى** بعضكم من بعض قال
الكلبي يعني في الدين والنصرة والموالاة وقيل حكم جميعكم في الثواب واحد وقيل كلكم من آدم وحواء وقال مجاهد قالت أم سلمة يا رسول
الله إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء بشيء فأنزل هذه الآية فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى
بعضكم من بعض وقال الضحاك معناه رجالكم شكل نسائكم في الطاعة ونساؤكم شكل رجالكم في الطاعة **قوله عز وجل** فالذين هاجروا
وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي الآية أي فالذين هاجروا من مكة إلى المدينة وأخرجوا من أوطانهم وأوذوا في
طاعتي وقاتلوا المشركين مع محمد صلى الله عليه وسلم وقتلهم العدو في الجهاد لأكفرن عنهم ذنوبهم ولأدخلنهم جنات
تجري أي بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها الأنهار ثوابا من عند الله وانتصب ثوابا على المصدر يعني لأثيبنهم ثوابا
قوله تعالى والله عنده حسن الثواب أي حسن الجزاء للمطيعين الموحدين قرأ محارب بن دثار وقاتلوا وقتلوا النبي
[illegible] قتلوا وقتلوا يعني أنهم قتلوا المشركين ثم قتلهم المشركون وقرأ أبو رجاء وطلحة
والحسن وقاتلوا وقتلوا بالتشديد وقرأ عاصم وأبو عمرو ونافع وقاتلوا وقتلوا بالتخفيف وقاتلوا ثم قتلوا وقرأ الأعمش وحمزة
والكسائي وخلف وقتلوا وقاتلوا أي وقاتل من بقي منهم وقيل معناه وقتلوا وقد قاتلوا وأضمر فيه قد **قوله عز وجل** لا يغرنك
تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ابتداء هذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أصحابه كأنه قال
لا يغرنك أيها السامع ذهاب اليهود ومجيئهم في تجاراتهم ومكاسبهم في الأرض منفعة يسيرة في الدنيا تنقطع وتفنى ثم مصيرهم إلى جهنم
وبئس المهاد أي بئس الفراش النار وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يغره شيء ليحذر الله تعالى عن الاغترار بشيء وتأديبه إياه
وقيل نزلت في مشركي العرب كانوا في رخاء من العيش وكانوا يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين إن أعداء الله فيما نرى من الخير
ونحن قد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت هذه الآية وقرأ يعقوب لا يغرنك بإسكان النون **قوله تعالى** تقلب الذين كفروا في البلاد أي
تصرفهم في الأرض للتجارات والبياعات وأنواع المكاسب **قوله تعالى** متاع الدنيا قليل أي هو متاع قليل فإن قال البعض إن الدنيا
جعلت قليلا لأنه ما بقي منها إلا القليل من قليل **قوله عز وجل** لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
نزلا من عند الله تقدير هذه الآية مع ما قبلها لا يغرنك يا محمد تقلب الذين كفروا في نعيم الدنيا لما أعطي المتقون في الآخرة أفضل
فإن الذين اتقوا ربهم أي وحدوه وأطاعوه لهم جنات أي بساتين تجري من تحتها الأنهار ومساكنها الأنهار مقيمين فيها ولهم
نزلا أي رزقا وثوابا لهم وهذا نصب على التفسير كما تقول هذا الشيء هبة أو صدقة ويجوز أن يكون نصبا على المصدر يعني
أنزلوها نزلا والنزل ما هيئ للنازل من كرامة وبر وطعام وشراب ومطرح **قوله تعالى** وما عند الله خير للأبرار
أي ما عند الله من الجزاء والثواب خير للصالحين مما لهم في الدنيا وقرأ أبو جعفر لكن الذين بالتشديد وقرأ الحسن والنخعي نزلا

روى أنس بن مالك أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على سرير وتحت رأسه وسادة
من أدم حشوها ليف فدخل عليه عمر رضي الله عنه فانحرف النبي صلى الله عليه وسلم انحرافة فرأى عمر أثر الشريط في جنبه
فبكى فقال له ما يبكيك يا عمر فقال وما لي لا أبكي يا رسول الله وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا وأنت على
الحال الذي أرى فقال يا عمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال بلى قال هو كذلك قوله عز وجل وإن من
أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم معناه وإن من أهل الكتاب لمن يصدق بالله والقرآن
والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان وسائر كتب الله وهم عبد الله بن سلام وأصحابه خاشعين لله أي ذليلين أنفسهم
لله لا يكتمون نعت محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ثمنا قليلا لا عرضا يسيرا كما تفعله رؤساء اليهود أولئك لهم أجرهم عند ربهم
وقال قتادة نزلت هذه الآية في النجاشي ملك الحبشة لما مات نعاه جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم
الذي مات فيه فقال صلى الله عليه وسلم اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم قالوا ومن هو قال النجاشي فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى البقيع وكشف له من المدينة إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي فصلى عليه واستغفر له وقال لأصحابه
استغفروا له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله هذه الآية
قوله تعالى خاشعين لله نصب على الحال وقوله تعالى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أي لا يحرفون كتبهم ولا يكتمون
صفة محمد صلى الله عليه وسلم لأجل المأكل والرياسة كما فعلت رؤساء اليهود قوله تعالى إن الله سريع الحساب قد تقدم
قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا أي اصبروا على أداء الفرائض واجتناب المحارم وصابروا
أعداءكم في الجهاد في مقابلتهم ورابطوا خيولكم على الجهاد والرباط والمرابطة أن يربط كل واحد من الفريقين خيولهم في الثغر
وقيل المرابطة المحافظة على الصلوات قال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بما يمحو
الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة
بعد الصلاة فذلكم الرباط وقال الضحاك معنى الآية يا أيها الذين آمنوا اصبروا على أمر الله وقال الكلبي اصبروا
على البلاء وقالت الحكماء الصبر ثلاثة أشياء ترك الشكوى وصدق الرضا وقبول القضاء وقيل الصبر هو الثبات على أحكام الكتاب
والسنة قوله تعالى وصابروا أي صابروا الكفار ورابطوا يعني داوموا واثبتوا قال صلى الله عليه وسلم من رابط يوما في سبيل
الله كان كصيام شهر رمضان وقيامه ومن توفي في سبيل الله أجرى الله له أجره حتى يقضى بين أهل الجنة وأهل النار
ومن رابط يوما في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار سبعة خنادق كل خندق منها كسبع سموات وسبع أرضين وقال بعضهم
في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اصبروا عند قيام النفير على احتمال الكرب وصابروا على مقاساة العناء والتعب ورابطوا في دار
أعدائي بلا هرب واتقوا الله [illegible] لعلكم تفلحون غدا بلقائي عند بساط القرب وقيل
[illegible] صابروا على الدنيا رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا هوى النفس اللوامة واتقوا
ما يعقب لكم الندامة لعلكم تفلحون غدا على بساط الكرامة وقيل معناه اصبروا على بلائي وصابروا بالشكر على نعمائي ورابطوا
في دار أعدائي واتقوا محبة من سوائي لعلكم تفلحون بلقائي وقيل اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا
في دار الأعداء واتقوا إله الأرض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء وعن جعفر الصادق قال معنى هذه الآية اصبروا عن المعاصي
وصابروا مع الطاعات ورابطوا الأرواح بالمشاهدة واتقوا الله لكي تفلحوا أن تقفوا محل الصدق وإنما محل الفلاح والله سبحانه
أعلم

سورة النساء مائتان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس
اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها قال ابن عباس قد يكون يا أيها الناس عاما وقد يكون
خاصا لأهل مكة وهو ها هنا عام لجميع الناس ومعناه اخشوا ربكم وأطيعوه قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة يعني آدم
عليه السلام وإنما أنث النفس على لفظ النفس دون المعنى قال الشاعر أبوك خليفة ولدته أخرى وأنت خليفة ذاك الكمال

فقال ولدته أخرى لأن لفظ الخليفة مؤنث وإنما من الله علينا بأن خلقنا من نفس واحدة لأن ذلك أقرب إلى أن نعطف بعضنا على
بعض ويرحم بعضنا بعضا لرجوعنا في القرابة إلى أصل واحد قوله تعالى وخلق منها زوجها أي خلق من نفس آدم زوجها حواء
خلقها من ضلع من أضلاعه اليسرى وهي القصيرى بعدما ألقى عليه النوم فلم يؤذه ولو آذاه لما عطف عليها أبدا قال صلى الله
عليه وسلم إن المرأة خلقت من ضلع أعوج فإن أردت أن تقيمها كسرتها وإن تركتها وفيها عوج استمتعت بها على عوج قوله
تعالى وبث منهما رجالا كثيرا ونساء أي نشر وفرق وأظهر من آدم وحواء خلقا كثيرا من الرجال والنساء قوله
تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام أي اتقوا معاصي الله الذي تساءلون به أي يسأل بعضكم بعضا به
الحوائج والحقوق ويقول الرجل للرجل أسألك بالله أن تفعل لي كذا قرأ أهل الكوفة تساءلون مخففا وقرأ الباقون بالتشديد قوله
تعالى والأرحام قرأ عامة القراء بنصب الأرحام على معنى واتقوا الأرحام أن تقطعوها وقرأ النخعي وقتادة والأعمش وحمزة
بالخفض على معنى والأرحام على معنى تساءلون بالله وبالأرحام يقول الرجل أسألك بالله وبالرحم والقراءة الأولى أفصح لأن العرب
لا تعطف بظاهر على مضمر مخفوض إلا بإعادة الخافض يقولون مررت به وبزيد ولا يقولون به وزيد وقد جاء ذلك في الشعر قال
الشاعر فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب قوله عز وجل إن الله كان عليكم رقيبا أي
حفيظا لأعمالكم والرقيب هو الحافظ وقال بعضهم عليما والعليم والحافظ متقاربان لأن العليم بالشيء حافظ له قوله تعالى
وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال مقاتل والكلبي نزلت هذه الآية في رجل من غطفان كان في يده
مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب ماله فمنعه العم فترافعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية إلى قوله
تعالى إنه كان حوبا كبيرا فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرجل أطعنا الله وأطعنا الرسول ونعوذ بالله من الحوب
الكبير فدفع إليه ماله فقال صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره يعني جنته فلما قبض الصبي
ماله أنفقه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم ثبت الأجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله عرفنا أنه ثبت الأجر فكيف بقي الوزر
وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت الأجر للغلام وبقي الوزر على والده لأن الوالد كان مشركا وإنما سماهم الله تعالى اليتامى بعد البلوغ
استصحابا للاسم الأول كما قال تعالى وألقي السحرة ساجدين ولم يخرج من السحرة ولأنه قريب العهد باليتم قوله تعالى ولا
تتبدلوا الخبيث بالطيب أي لا تذروا أموالكم الحلال وتأكلوا الحرام من أموال اليتامى قال سعيد بن المسيب والنخعي
والزهري والسدي والضحاك كان أوصياء اليتامى وأولياؤهم يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الرديء وربما
كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من مال اليتيم ويجعل مكانها المهزولة ويأخذ الدراهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول
درهم بدرهم فذلك تبديلهم فنهاهم الله عن ذلك وقال مجاهد معنى الآية لا تعجل الرزق الحلال حراما تستعجله بأن تستهلك
مال اليتيم فتنفقه على نفسك أو تتجر فيه لنفسك وتعطيه غيره فيكون ما تأخذه من مال اليتيم حراما خبيثا وتعطيه مأكل الحلال
ولكن اتركوا أموالهم إذا غابوا وفي هذا دليل على أنه لا يجوز لولي اليتيم أن يستقرض مال اليتيم ولا أن يستبدله بنفسه وقيل
معنى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب أي تجعلوا الزيف بدل الجيد والمهزول بدل السمين قوله عز وجل ولا تأكلوا
أموالهم إلى أموالكم كقوله تعالى من أنصاري إلى الله أي مع الله وقيل معناه لا تأكلوا أموالهم مضيفين إلى أموالكم لأنهم
كانوا يخلطون أموال اليتامى بأموالهم حتى يصير دينا عليهم ثم كانوا ينفقون من أموالهم ويربحون عليها ويستبدلون بتلك
الأرباح قوله تعالى إنه كان حوبا كبيرا أي إثما عظيما وفيه ثلاث لغات قراءة العامة حوبا بالضم وهي قراءة النبي
صلى الله عليه وسلم وهي لغة أهل الحجاز وقرأ الحسن إنه كان حوبا بفتح الحاء وهي لغة تميم وقرأ أبي بن كعب حابا على
المصدر مثل القال ويجوز أن يكون اسما مثل الزاد ويقال للذنب حوب وحوب وحاب قوله عز وجل وإن خفتم ألا
تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى إن الذين يأكلون
أموال اليتامى ظلما الآية خاف الناس أن لا يعدلوا في أموال اليتامى كانوا يتزوجون من النساء ما شاءوا فنزلت الآية ومعناها
إن خفتم أن لا تعدلوا في أمر اليتامى فخافوا في النساء إذا اجتمع عندكم أن لا تعدلوا بينهن فتزوجوا ما حل لكم من النساء
ولا تنكحوا إلا ما يمكنكم إمساكهن مثنى وثلاث ورباع ولا تزيدوا على أربع الحرائر وقيل معنى الآية

إن خفتم أن لا تعدلوا معهن أولياء في اليتامى إذا تزوجتم بهن فانكحوا ما حل لكم من النساء غيرهن • وقال مجاهد معناه
إن خفتم في ولاية اليتامى إثماً وتصدقتم فخافوا في الزنا فانكحوا ما طاب من النساء • وقال بعضهم كانوا يتحرجون عن
من أموال اليتامى ويترخصون في النساء ولا يعدلون فيهن ويتزوجون منهن ما شاؤا فربما عدلوا وربما لم يعدلوا
فلما سألوا عن أموال اليتامى أنزل الله عز وجل وآتوا اليتامى أموالهم وأنزل وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى كما
خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى وهمكم ذلك فخافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهن ولا تتزوجوا أكثر مما يمكنكم إمساكهن والقيام بهن
لأن النساء كاليتامى في الضعف والعجز فما لكم ترقبون الله في شيء وتعصونه في مثله وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والربيع
والضحاك والسدي ورواية عن ابن عباس والإقساط في اللغة العدل يقال أقسط إذا عدل وقسط إذا جار وإنما قال
ما طاب لكم ولم يقل من طاب لأن ما مع الفعل بمنزلة المصدر كأنه قال فانكحوا الطيب يعني الحلال من النساء وقرأ ابن أبي عبلة
من طاب لأن ما لما لا يعقل ومن لمن يعقل إلا أن عامة القراء والعلماء يقولون إن العرب تجعل ما بمعنى من ومن بمعنى ما وقد
جاء القرآن بذلك قال الله تعالى والسماء وما بناها وقال تعالى فمنهم من يمشي على بطنه • وقال تعالى قال فرعون وما رب العالمين
قوله تعالى مثنى وثلاث ورباع بدل من طاب لكم وهو مما لا ينصرف لأن مثنى معدول عن اثنين وذلك نكرة وثلاث معدول
عن ثلثة • وذهب بعض الروافض إلى استحلال تسع نسوة لأن الأعداد المذكورة تسعة وليس لذلك شيء فإن الواو ههنا بمعنى أو وروي
عن قيس بن الحارث أنه كان عنده ثماني نسوة فلما نزلت هذه الآية أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمسك منهن أربعاً ويفارق
أربعاً وقال صلى الله عليه وسلم لغيلان الثقفي حين أسلم وتحته عشر نسوة أمسك منهن أربعاً وفارق سائرهن قوله عز وجل
فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم معناه إن خفتم أن لا تعدلوا في القسمة والنفقة بين النسوة
التي أحل الله لكم فتزوجوا امرأة واحدة لا تخافون الميل في أمرها واقتصروا على الإماء حتى لا تحتاجوا إلى القسم بينهن يعني الإماء
وقرأ الحسن وأبو جعفر فواحدة بالرفع أي فواحدة كافية أو فيكفيكم واحدة وقرأ العامة نصباً أي فانكحوا واحدة قوله تعالى
أو ما ملكت أيمانكم من الإماء فتتسرون بهن أو ما ملكتم قوله تعالى ذلك أدنى ألا تعولوا أي التزوج بالواحدة
والاقتصار على ملك اليمين أقرب إلى أن لا تميلوا وتجوروا والعول مجاوزة الحد ومنه العول في الفرائض مجاوزته مخرج الفرض
روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى أن لا تعولوا قال أن لا تجوروا وأن لا تميلوا وقال بعضهم
معنى أن لا تعولوا أن لا تكثر عيالكم وهذا يحكى عن الشافعي رضي الله عنه وقد قيل إنه خطأ في اللغة لأنه يقال في كثرة العيال
عال يعيل وإنما يقال عال يعول إذا جار وأعال يعيل إذا صار ذا عيال وفي الآية ما يبطل هذا التأويل وهو قوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم لأن الجمع
كل ما ملكت اليمين أدنى في العيال من أربع نسوة وقرأ طاوس أن لا تعيلوا من العيلة يقال عال الرجل يعيل إذا افتقر
العيلة قال الشاعر وما يدري الفقير متى غناه • وما يدري الغني متى يعيل • قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة
قال الكلبي هذا خطاب للأولياء كان الولي إذا زوج امرأة فإن كان زوجها معهم في العشيرة لم يعطها الولي من مهرها
قليلاً ولا كثيراً وإن كان زوجها غريباً حملها على بعير إلى زوجها ولا يعطونها من مهرها غير ذلك البعير فنهاهم الله تعالى عن ذلك
وأمرهم أن يعطوا الحق أهله • وقال بعض أهل التفسير هذا خطاب للأزواج كان الرجل يتزوج المرأة ولا يعطيها مهرها
فأمروا أن يعطوا نساءهم مهورهن التي هي أثمان فروجهن وهذا القول أصح والصدقات المهور واحدها صدقة بضم
الدال • قوله تعالى نحلة • قال قتادة فريضة واجبة وقال ابن جريج فريضة مسماة وقال الكلبي عطية وهبة وقال
أبو عبيدة عن طيب نفس وقال الزجاج تديناً وقيل معناه عطية من الله للنساء حيث جعل المهر لهن ولم يوجب لهن شيئاً
من الغرم لكونه استمتاعاً مشتركاً بينهن وبين الأزواج وقيل معنى نحلة ديانة فانتصب نحلة على المصدر وقيل على التفسير
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أدان ديناً وهو ينوي أن لا يؤديه لقي الله سارقاً ومن أصدق امرأة
صداقاً وهو ينوي أن لا يوفيها لقي الله زانياً • وقال صلى الله عليه وسلم أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج قوله
عز وجل فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً أي إذا أحللن لكم عن شيء من المهر ووهبن لكم
منه شيئاً ونصب نفساً على التمييز لأنه إذا قال طبن لكم لم يعلم في أي شيء وقع الطيب كأنه قال فإن طابت نفسهن بهبته

شيء من المهر فكلوا الموهوب لكم هنيئاً لا إثم فيه مريئاً لا ملامة فيه قال الحضرمي إن ناساً كانوا يأثمون أن يرجع أحدهم في شيء
مما ساق إلى امرأته فقال الله تعالى فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً من غير إكراه ولا خديعة فكلوه هنيئاً مريئاً أي سائغاً طيباً
وقيل معناه فكلوه دواء شافياً وقيل الهنيء الطيب السائغ الذي لا ينغصه شيء والمريء المحمود العاقبة الذي لا يضر ولا
يؤذي تقول لا تخافون في الدنيا به مطالبة ولا في الآخرة تبعة يقال هنأني الطعام ومرأني فإذا أفردوا قالوا أمرأني ولا يقال
أهنأني وهنيئاً مصدر • وعن علي رضي الله عنه أنه قال إذا كان أحدكم مريضاً فليسأل امرأته درهماً من مهرها حتى تهب
له بطيبة نفسها فليشتر بذلك عسلاً وليشربه مع ماء المطر فقد اجتمع الهنيء والمريء والشفاء والماء المبارك لأن الله تعالى سمى المهر
هنيئاً مريئاً إذا وهبته المرأة لزوجها وسمى العسل شفاء وسمى المطر ماء مباركاً فإذا اجتمعت هذه الأشياء يرجى له الشفاء
قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً أي لا تعطوا الجهال بمواضع الحق من النساء والصبيان
أموالكم التي جعل الله لكم قوام أمركم ومعيشتكم أي جعلكم تقومون به قياماً إذا علم الرجل أن امرأته سفيهة مفسدة وأن ولده
سفيه مفسد لم ينبغ له أن يسلط أحداً منهما على ماله الذي هو قوام أمره ومن قرأ قيماً فمعناه التي جعلها الله لكم قيمة للأشياء
فيها تقوم أموركم وقال مجاهد نهى الرجال أن يؤتوا النساء أموالهم وهن سفهاء من كن أزواجاً أو بنات أو أمهات وقال
الضحاك النساء من أسفه السفهاء ويدل على هذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم إنما خلقت النار للسفهاء قالها ثلاثاً ألا وإن
السفهاء النساء قالها ثلاثاً إلا أن السفهاء النساء إلا امرأة أطاعت قيمها • وعن أنس رضي الله عنه قال جاءت امرأة سوداء جريئة
المنطق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت بأبي وأمي أنت يا رسول الله بلغني أنك تقول فينا كل شيء قال أي شيء قلت
فينا قالت سميتنا السفهاء فقال الله تعالى سماكن السفهاء في كتابه قالت وسميتنا النواقص فقال وكفى نقصاً أن تترك كل واحدة
منكن الصلاة في كل شهر خمسة أيام لا تصلي فيها يعني أيام حيضها ثم قال صلى الله عليه وسلم ما يكفي إحداكن إذا حملت كان لها كأجر
المرابط في سبيل الله فإذا وضعت كانت كالمتشحط بدمه في سبيل الله فإذا أرضعت كان لها بكل جرعة عتق رقبة من ولد إسماعيل
فإذا سهرت كان لها بكل سهرة عتق رقبة من ولد إسماعيل وذلك للمؤمنات الخاشعات الصابرات اللاتي لا يكفرن العشير فقالت السوداء
يا له فضلاً لولا ما يتبعه من الشروط وروي أن امرأة مرت بعبد الله بن عمر لها شارة وهيئة فقال لها ابن عمر ولا تؤتوا
السفهاء أموالكم • وقال معاوية بن قرة عودوا نساءكم فإنهن سفهاء إن أطعت المرأة أهلكتك • وعن أبي موسى الأشعري
قال ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم رجل تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه
ورجل أعطى سفيهاً ماله وقد قال الله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أي الجهال بمواضع الحق قوله عز وجل التي جعل الله لكم
قياماً • وقرأ ابن عمر قواماً بفتح القاف والواو وقرأ عيسى بن عمر قواماً بكسر القاف وهما لغتان وقرأ الأعرج ونافع وابن عامر قيماً
بكسر القاف من غير ألف • وقرأ الباقون قياماً بالألف قوله عز وجل وارزقوهم فيها أي أطعموا النساء والأولاد والخدم
من أموالكم وقولوا لهم قولاً معروفاً أي عدوهم عدة حسنة نحو أن يقول الرجل سأفعل كذا إن شاء الله وقيل ادعوا
عليهم دعاء جميلاً وقولوا لهم قولاً لينا تطيب به أنفسهم والرزق من الله العطية غير المحدودة ومن العباد التي هي الموظف بوقت
محدود وإنما قال فيها ولم يقل منها لأنه أراد اجعلوا لهم حظاً فيها قوله عز وجل وابتلوا اليتامى أي اختبروهم في عقولهم
وتدبيرهم وأديانهم حتى إذا بلغوا النكاح وهو الحلم وهذا دليل جواز الإذن للصبي في التجارة قوله تعالى
فإن آنستم منهم رشداً أي علمتم منهم ووجدتم منهم صلاحاً في عقولهم وحفظاً لأموالهم فادفعوا إليهم أموالهم
التي عندكم نزلت هذه الآية في ابن رفاعة وكان رفاعة قد توفي وترك ابنه صغيراً فأتى عمه ثابت إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له إن ابن أخي يتيم في حجري فمتى أدفع إليه ماله فأنزل الله هذه الآية قوله تعالى ولا تأكلوها إسرافاً
وبداراً أن يكبروا أي لا تأكلوا أموال اليتامى بغير حق والإسراف مجاوزة الحد قوله تعالى وبداراً أي مبادرة
كبرهم يعني لا تبادروا إلى أكل أموالهم مخافة أن يكبروا فيأخذوا أموالهم منكم وموضع أن يكبروا نصب أي لا تبادروا
كبرهم ورشدهم حذراً أن يبلغوا فيلزمكم تسليم أموالهم إليهم قوله عز وجل ومن كان غنياً فليستعفف
أي فليتورع بغناه عن مال اليتيم ولا ينقص شيئاً من ماله والعفة الامتناع عما لا يحل فعله قوله تعالى ومن كان فقيراً

فليأكل بالمعروف اختلفوا في معنى ذلك قال عمر وسعيد بن جبير وعبيدة السلماني يعني قرضا فلما أخذ من مال اليتيم على وجه
القرض فمتى وجد رد حاجته فإذا أيسر رد عليه مثله وهكذا روى الطحاوي عن أبي حنيفة يعني قوله بالمعروف كالقرض
نظيره قوله تعالى إلا من أمر بصدقة أو معروف أي أو قرض وقال مكحول وعطاء وقتادة أن لولي اليتيم أن يأخذ من
مال اليتيم قدر ما يسد جوعته ويستر عورته ثم لا يجب عليه على صفة القرض قال الشعبي لا يأكل إلا أن يضطر إليه كما يضطر إلى
الميتة. وقال بعضهم فليأكل بالمعروف أي يأكل من ثمار نخيله ولبن ماشيته بقيامه عليه فما أكل واختلفوا في كيفية أكل المعروف
فقال عكرمة والسدي يأكل بأطراف أصابعه ولا يسرف في الأكل ولا يكتسي منه وقال النخعي لا يلبس الكتان ولا الحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى
العورة. وقال بعضهم يعني فليأكل بالمعروف وهو أن يأكل من ثمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء عليه. فأما الذهب
والفضة إذا أخذ منه شيئا رده وقال الضحاك المعروف ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له أن يأكل من ماله شيئا
وعن ابن عباس أن رجلا جاء إليه فقال له إن في حجري أموال أيتام فتأذن لي أن أصيب منها فقال إن كنت تبغي ضالة إبلها
وتهنأ جرباها وتلوط حياضها فاشرب غير مضر بالنسل ولا ناهك في الحلب. وعن ابن عباس رواية أخرى أن معنى الآية فليأكل
من مال نفسه بالمعروف حتى لا يصيب من مال اليتيم شيئا وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال لا يأكل من مال اليتيم قرضا ولا
غيره وهذا قول أبي حنيفة وروى بشر عن أبي يوسف أنه قال لا يأكل من مال اليتيم إذا كان مقيما فإن خرج في تقاضي دين اليتيم
أو إلى ضياع له فله أن ينفق ويكتسي ويركب فإذا رجع رد الثياب والدابة إلى اليتيم. وعن أبي يوسف رواية أخرى أن قوله
فليأكل بالمعروف يجوز أن يكون منسوخا بقوله تعالى لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم فحاصل
هذه الروايات أن الأصح على مذهب أبي حنيفة وأصحابه أنه ليس للوصي أن يأكل من مال اليتيم قرضا ولا غيره إلا أن يضطر
إلى شيء منه فيأخذه بالقرض ثم يرده إذا وجد. وعن ابن عباس أنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
إن في حجري يتيما أفأضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك. قوله تعالى فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم
وثيقة لكم وكفى بالله حسيبا أي شهيدا ومجازيا في الآخرة إلا أن الإشهاد فيما بين الناس من أحكام الدنيا لقطع الخصومة
وانتصب حسيبا على القطع يريد وكفى بالله الحسيب حسيبا. قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون
وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وذلك أن العرب كانت لا تورث الإناث إلا من طاعن بالرماح وذاد عن المال و
الغنيمة فأعلم الله تعالى أن حق الميراث للرجال والنساء وقال ابن عباس توفي أوس بن ثابت الأنصاري وترك ثلاث بنات له وترك
امرأة يقال لها أم كحة وهي أمهن فقام رجلان من بني عمه قتادة وعرفطة وكانا وصيين فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته
ولا بناته شيئا من المال فجاءت أم كحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أوس بن ثابت توفي وترك
ثلاث بنات وليس عندي ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالا حسنا وهو عند قتادة وعرفطة ولم يعطياني ولا بناته
شيئا وهن في حجري لا يطعمن ولا يسقين ولا يرفع لهن رأس فقال صلى الله عليه وسلم ارجعي إلى بيتك حتى أنظر ما يحدث الله
فيهن فرجعت إلى بيتها فأنزل الله هذه الآية ومعناها للرجال حظ مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء كذلك مما قل منه
المال أو كثر نصيبا مفروضا أي معلوما مقدرا فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى قتادة وعرفطة أن لا تقربا من مال أوس
شيئا فإن الله قد أنزل لبناته نصيبا ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل الله تعالى لهن فأنزل الله ذلك يوصيكم الله في أولادكم
إلى قوله ذلك الفوز العظيم فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى قتادة وعرفطة أن ادفعا إلى أم كحة الثمن من جميع المال وادفعا
إلى البنات الثلثين ولكما باقي المال وانتصب قوله نصيبا لخروجه مخرج المصدر كقول القائل عندي حقا وله علي درهم هبة
قوله عز وجل وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه أي إذا حضر قسمة المواريث
ذوو قرابة الميت في الرحم لا يورثون واليتامى المحتاجون والمساكين فأعطوهم شيئا من المال قبل القسمة وقولوا لهم قولا
معروفا أي عدوهم عدة حسنة وقيل اعتذروا إليهم إذا كان الوارث صغيرا فقولوا لهم كما نحب أن نكون أكثر من ذلك. وعن ابن عباس
روايتان أحدهما أن هذه الآية محكمة غير منسوخة وهو قول عطاء ومجاهد والزهري وجماعة حتى روي عن عبيدة
السلماني أنه ذبح للأقرباء شاة من أموال اليتامى فأعطاهم وقال أحببت أن يكون ذلك من مالي لولا هذه الآية وعن

ابن سيرين أنه فعل مثل ذلك وقال قتادة عن الحسن ليست منسوخة ولكن الناس بخلوا وشحوا وكان التابعون يعطون
الأواني والشيء الذي يستحيى من قسمته والرواية الثانية أن هذه الآية منسوخة بآية المواريث وهو قول سعيد بن المسيب
والسدي وأبي مالك وأبي صالح والضحاك لأنها لو كانت واجبة مع كثرة قسمة المواريث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
والصحابة ومن بعدهم لنقل وجوب ذلك واستحقاقه لهؤلاء كما نقلت المواريث لعموم الحاجة إلى ذلك لكن يستحب ذلك
في حق الورثة الحضور البالغين وحديث عبيدة السلماني محمول على أن الورثة كانوا بالغين فذبح الشاة من جملة المال
بإذنهم. قوله عز وجل وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم قال عامة المفسرين كان الرجل
إذا حضره الموت يقول له من يحضره عند وصيته انظر لنفسك فإن أولادك وذريتك لا يغنون عنك شيئا قدم لنفسك أعتق
وتصدق وأوص لفلان بكذا ولفلان بكذا حتى يذهب عامة ماله ويبقى عياله بغير شيء فنهاهم الله تعالى عن ذلك
وأمرهم أن يتركوا أموالهم لورثتهم. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على سعد بن أبي وقاص من وجع فقال سعد
يا رسول الله إني ذو مال وليس يرثني إلا ابنة واحدة أفأوصي بالثلثين قال لا قال فالشطر قال لا قال فالثلث قال الثلث
كثير إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس. وقال بعض المفسرين هذه الآية خطاب لمن يحضر
في أموال اليتامى ومعناه وليخش الذين يخافون الضياع على ذريتهم الضعاف من بعد موتهم فلا يفعلون في أموال اليتامى
إلا ما يحبون أن يفعل في أولادهم من بعد موتهم. والقول السديد هو الذي لا خلل فيه من جهة الفساد مأخوذ من سد الخلل
وهو العدل والصواب من القول. قوله عز وجل إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم
نارا نزلت في حنظلة بن الشمردل كان يأكل مال يتيم في حجره ظلما ومعناها أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما بغير حق إنما
يأكلون في بطونهم حراما وسمي الحرام نارا لأن الحرام يوجب النار فسماه باسمها على معنى أن آخره يقتضي نارا في الآخرة وقال
السدي من أكل مال اليتيم ظلما يبعث يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه وأذنيه وعينيه وأنفه كل من رآه عرف أنه أكل
مال اليتيم ظلما. قوله تعالى وسيصلون سعيرا أي سيدخلون النار في الآخرة ويلزمونها والصلا ملازمة النار [illegible]
قرأ العامة وسيصلون بفتح الياء أي يدخلونها كقوله تعالى إلا من هو صال الجحيم وقوله تعالى لا يصلاها إلا الأشقى
وقرأ أبو رجاء والحسن وابن عامر وأبو بكر عن عاصم بضم الياء على معنى وسيدخلون النار على ما لم يسم فاعله ونظيره سأصليه
سقر وسوف نصليه نارا. وقرأ أحمد بن قيس وسيصلون بتشديد اللام من التصلية لكثرة الفعل أي مرة بعد مرة نظيره ثم الجحيم
صلوه وكله صواب. يقال صليت الشاة إذا شويتها وفي الحديث أتي بشاة مصلية وأصليته ألقيته في النار وصليته مرة بعد مرة
والسعير النار المسعورة أي الموقدة قال صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي قوما لهم مشافر كمشافر الإبل إحداهما
قالصة على منخريه والأخرى على بطنه وخزنة النار يلقمونهم جمر جهنم وصخرها ثم يخرج من أسافلهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال
الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما. قوله عز وجل يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين قال ابن عباس كانت
المواريث للبنين وكانت الوصية للوالدين والأقربين إلى أن نزلت هذه الآية فصار ذلك منسوخا بها ومعناها يعهد الله إليكم ويفرض
عليكم في أولادكم إذا متم للذكر الواحد من أولادكم مثل نصيب الأنثيين في الميراث واسم الولد يتناول ولد الصلب حقيقة وولد
الابن مجازا فإذا كان للميت ولد من صلبه وجب حمل اللفظ على الحقيقة وإن لم يكن له ولد من صلبه حمل على بني
بنيه مجازا لأنهم ولد البنات فلا تعدين قرابتهم في النسب والعصبة لكنهم من ذوي الأرحام قال الشاعر. بنونا
بنو أبنائنا وبناتنا. بنوهن أبناء الرجال الأباعد. وعن هذا قال أصحابنا فيمن أوصى لولد فلان إن ذلك لولده لصلبه فإن لم
يكن له ولد من صلبه فهو لولد بنيه ولا يدخل أولاد البنات في هذه الوصية على أظهر الروايتين. قوله تعالى فإن كن نساء
فوق اثنتين أي إن كان أولاده نساء أكثر من اثنتين ليس معهن ذكر فلهن ثلثا ما ترك من المال والباقي للعصبة. قوله
تعالى وإن كانت واحدة فلها النصف قرأ العامة بالنصب على خبر كان وقرأ نافع واحدة بالرفع على أن معناه إن وقعت
واحدة فحينئذ لا خبر له وقراءة النصب أجود وتقديره وإن كانت المولودة واحدة فإن قيل لم أعطيتم الثنتين الثلثين وفي الآية
إيجاب الثلثين لأكثر من اثنتين قيل في فحوى الآية دليل على أن الفرض للاثنتين الثلثان لأن في قوله للذكر مثل حظ الأنثيين

يقتضي أن للابنة الواحدة مع الابن الثلث فإذا كان لها مع الابن الثلث كانت تأخذ الثلث مع عدمه أولى واحتجنا إلى بيان حكم
ما فوق الاثنتين فقال فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وتبين بهذا أنه إذا كان للابن الثلثان وللابنة الثلث دل على أن نصيب
البنتين الثلثان لأن الله تعالى جعل للذكر مثل حظ الأنثيين وجواب آخر أن الله تعالى جعل للأخت من الأب والأم النصف في آخر
هذه السورة كما جعل للابنة النصف في هذه الآية وجعل للأختين هناك الثلثين فأعطى الابنتين الثلثين قياسا على
الأختين في تلك الآية وأعطى جملة الأخوات الثلثين قياسا على البنات في هذه الآية قوله تعالى **ولأبويه لكل
واحد منهما السدس** أي لأبوي الميت كناية عن غير مذكور لكل واحد منهما السدس إن كان له ولد أو ولد ابن
قوله تعالى **فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث** أي إن لم يكن للميت ولد ذكر ولا أنثى ولا ولد ولد
فلأمه الثلث والباقي للأب وروي عن ابن مسعود أن الولد يحجبون الأم من الثلث إلى السدس وإن لم يرثوا بأن كانوا
كفارا أو مملوكين أو قاتلين لأن الله تعالى لم يفرق في الآية بين الولد الكافر والمسلم فقال لكل واحد منهما السدس مما ترك
إن كان له ولد وكان عمر وعلي وزيد بن ثابت لا يحجبون الأم إلا بمن يرث وجعلوا الكافر والرقيق بمنزلة الميت وحملوا الآية على ولد يحوز
الميراث قرأ أهل الكوفة الأعمش وحمزة والكسائي فلإمه بكسر الهمزة استثقالا للضمة بعد كسرة وقرأ الباقون بالضم على الأصل
قوله تعالى **فإن كان له إخوة فلأمه السدس** ذكره بلفظ الجمع وأقله ثلاثة وكذلك أن الحجب يقع بثلاثة من الإخوة
والأخوات وإن ذكر ... يقع بالواحد ... عامة الصحابة أن حكم الاثنين في هذا حكم الثلاثة كما في الاثنين من الأختين وعن
ابن عباس أنه كان لا يحجب الأم من الثلث إلى السدس بأقل من ثلاثة إخوة وهذا القول غير مأخوذ به وروي عنه أيضا أنه
جعل للاثنين النصف كنصف الواحدة بظاهر قوله تعالى فوق اثنتين ولم يقل بهذا أحد غيره ولا يعتد به وروي أن جدة
جاءت إلى أبي بكر رضي الله عنه وطلبت ميراثها فقال أبو بكر رضي الله عنه لا أجد في كتاب الله شيئا فقام المغيرة بن شعبة وشهد
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى الجدة أم الأم السدس فقال لا بد معك شاهد آخر فجاء محمد بن مسلمة وشهد بمثل شهادته
فأعطاها أبو بكر رضي الله عنه السدس قوله تعالى **من بعد وصية يوصي بها أو دين** أي أن هذه القسمة بعد فضل
المال على الدين وبعد إنفاذ الوصية من الثلث إن كان الميت وصى بها قرأ ابن كثير وابن عامر يوصى بها بفتح الصاد وقرأ الباقون
بكسر الصاد فإن قيل لم قدم ذكر الله الوصية قبل الدين والدين مقدم على الوصية قيل إن كلمة أو لا توجب الترتيب وإنما قصد به
تأخير القسمة للميراث في هذه الآية عن أحدهما إذا انفرد وعن كل واحد منهما إذا اجتمعا وعن علي كرم الله وجهه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه قضى بالدين قبل الوصية وهذا شيء قد أجمعت عليه الأمة حتى روي عن ابن عباس أنه قيل له إنك تأمر
بتقديم أفعال العمرة على أفعال الحج وقد قال الله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله فقال كما تقدمون الدين على الوصية وقد
قال الله تعالى من بعد وصية يوصي بها أو دين قوله تعالى **آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا** معناه
أن الذي ذكر في هذه الآية آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فقد يكون الولد أكثر
نفعا لوالديه وقد يكون الوالد أكثر نفعا لولده وأما في الآخرة فإن كان الأب أرفع درجة في الجنة سأل الله تعالى
أن يرفع ابنه إليه وإن كان الابن أرفع سأل الله أن يرفع أباه إليه وفي هذا جواب طعن الملحدين عن قولهم
هلا كان الرجال أولى بالميراث لكونهم قوامين على النساء وعن جواب آخرين منهم أجاز تفضيل الذكر على الأنثى في قسمة
الميراث للأنثى أو زيادة لعجزها عن التصرف وبين الله تعالى أنه فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة ومصلحة لهم ولو وكل
ذلك إليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فوضعتم الأموال على غير حكمة وقيل معناه لا يدري أحدكم أهو أقرب وفاة فينتفع ولده بماله
أو الولد أقرب وفاة فينتفع الوالد بماله قوله تعالى **فريضة من الله** نصب على الحال والتوكيد من قوله يوصيكم وقيل
مصدر قوله تعالى **إن الله كان عليما حكيما** أي لم يزل عالما بالمواريث وغيرها حكيما حين قسمة المواريث على الحكمة
وعن الحسن أن معناه كان الله عالما بالأشياء قبل خلقها حكيما فيما يقدر من تدبيره فيها قوله عز وجل **ولكم نصف ما ترك أزواجكم
إن لم يكن لهن ولد** أي لكم يا معشر الرجال نصف ما تركت نساؤكم إن لم يكن لهن ولد ذكر أو أنثى منكم أو من غيركم أو ولد ابن
فإن كان لهن ولد ذكر أو أنثى منكم أو من غيركم أو ولد ولد **فلكم الربع مما تركن** من المال من بعد وصية يوصين بها

أو دين أي من بعد قضاء دين عليهن وإنفاذ وصية أوصين بها من الثلث قوله عز وجل **وإن كان رجل يورث كلالة
أو امرأة وله أخ أو أخت** لأمه أي وإن كان رجل أو امرأة يورث كلالة وهو نصب على المصدر وقيل على الحال
وقيل على خبر ما لم يسم فاعله تقديره وإن كان رجل يورث ماله كلالة وقرأ الحسن يورث بكسر الراء يجعل الفعل له
واختلفوا في الكلالة قال ابن عباس هو من لا ولد له ولا والد وعن أبي بكر وعمر وجابر وقتادة والزهري الكلالة
من ليس له والد ولا ولد وقال الشعبي سئل أبو بكر رضي الله عنه عن الكلالة فقال أقضي فيها فإن كان صوابا
فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان والله بريء منه هو ما دون الوالد والولد يقول كل وارث دونهما كلالة
فلما كان عمر بعده قال إني أستحيي من الله أن أخالف أبا بكر هو ما خلا الوالد والولد وعن طاوس هو دون الولد
وعن الحكم هو ما دون الأب قوله تعالى وله أخ أو أخت إنما لم يقل لهما لأن من عادة العرب إذا ذكرت الرجل والمرأة ربما
أضافت إليهما وربما أضافت إلى أحدهما وكلاهما جائز ومعنى وله أخ أو أخت أي من أم وفي قراءة أبي وسعد بن أبي وقاص
وله أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما السدس مما ترك الميت من المال قوله تعالى **فإن كانوا أكثر من ذلك** أي
أكثر من واحد فهم كلهم شركاء في الثلث لا يفضل الذكر على الأنثى قوله تعالى **من بعد وصية يوصى بها أو دين** ثم قال
قوله تعالى **غير مضار** نصب على الحال أي يوصي بها الميت غير مضار في حال وصيته بأن يزيد على الثلث أو يفضل
بعض الورثة على بعض قال صلى الله عليه وسلم إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه ولا وصية لوارث إلا أن يجيزها الورثة
قوله تعالى **وصية من الله** نصب على المصدر **والله عليم** بما دبر من هذه الفرائض **حليم** على من عصاه بأن أخر
وقيل توبته قوله عز وجل **تلك حدود الله** أي هذه الفرائض التي ذكرها في المواريث وأمر اليتامى والحدود وهي المنتهى
التي ينبغي أن لا يتجاوز قوله تعالى **ومن يطع الله ورسوله** أي من يتبع حدود الله وحدود رسوله في أمر الميراث وغيره
يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار قرأ ندخله بالنون في الموضعين والباقون بالياء لقرب لفظ الآية قوله تعالى **خالدين
فيها** نصب على الحال أي يدخلهم مقدرين الخلود فيها **ذلك الفوز العظيم** أي النجاة الوافرة فازوا بها في الجنة
قوله تعالى **ومن يعص الله ورسوله** أي في قسمة المواريث فلم يقسمها لأن المنافقين كانوا لا يورثون النساء والصغار
الضعاف من قسمة المواريث شيئا وقوله تعالى **يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين** ظاهر المعنى قوله عز
وجل **واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم** أي اللاتي يزنين من حرائركم الثيبات المحصنات فاطلبوا عليهن أربعة
من الشهود من أحراركم المسلمين العدول فإن شهدوا عليهن بالزنا فاحبسوهن في البيوت وهي السجون في البيوت يمنعن
حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا أي مخرجا من الحبس قبل الموت وإنما كان هذا قبل نزول الحدود وكانت المرأة
أول الإسلام إذا زنت تحبس في البيت حتى تموت وإن كان لها زوج كان مهرها له حتى نزل قوله تعالى الزانية والزاني
فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب
جلد مائة ثم الرجم والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام فنسخ بذلك أنه نقض حكم الآية وهو الإمساك في البيوت في بعضها
محكما وهو ... وكان في هذا النسخ نسخ القرآن بالسنة ثم نسخ التغريب في البكر عندنا بقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة لأن ظاهر ذلك يقتضي أن الجلد بيان لجميع الحكم المتعلق بالزنا إذ لو لم يجعل كذلك لكان تقصيرا
في البيان في موضع الحاجة ونسخ جلد الزاني المحصن الثيب بحديث ماعز أن النبي صلى الله عليه وسلم رجمه ولم يجلده وعن عمر رضي
الله عنه أنه قال لولا أن الناس يقولون زاد عمر في كتاب الله لكتبت في حاشية المصحف الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة
وثبوتها على من ثابت وقال الشافعي رحمه الله جلد الثيب المحصن منسوخ وتغريب البكر غير منسوخ وعندنا ذلك منسوخ
... قوله تعالى **واللذان يأتيانها منكم فآذوهما** يعني الرجل والمرأة ... الذكر
والأنثى إذا اجتمعا غلب المذكر والهاء راجعة إلى الفاحشة قال المفسرون هما البكران يزنيان فآذوهما بالشتم والتعيير
بالقول لهما زنيتما فجرتما أما خفتما الله أما استحييتما منه وعن ابن عباس أراد بالأذى الضرب بالنعال والأيدي وقوله تعالى **فإن تابا**

وأصلحا فأعرضوا عنهما أي فإن تابا من الزنا وأصلحا العمل بعد التوبة فأعرضوا عنهما لا تسبوهما ولا تعيروهما وعن أبي هريرة أن رجلين اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما اقض بيننا بكتاب الله وقال الآخر أجل يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله وأذن لي أن أتكلم قال تكلم قال إن ابني كان عسيفا على هذا أي أجيرا فزنى بامرأته فأخبروني أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة وجارية ثم سألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام وإنما الرجم على امرأته فقال صلى الله عليه وسلم أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله أما غنمك وجاريتك فرد عليك وجلد ابنه مائة وغربه عاما وأمر أنيسا الأسلمي أن يأتي امرأة الآخر فإن اعترفت رجمها فاعترفت فرجمها **قوله تعالى إن الله كان توابا رحيما** أي لم يزل متجاوزا عن الناس رحيما بهم بعد التوبة **قوله عز وجل إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب** معناه إنما التجاوز من الله للذين يعملون المعصية بجهالة ثم يتوبون من قبل أن ينزل بهم سلطان الموت لا في وقت المعاينة فأولئك يتقبل الله توبتهم **وكان الله عليما** بأهل التوبة **حكيما** حكم بقبول التوبة قيل إن على في قوله على الله بمعنى عند أي إنما التوبة عند الله وقيل بمعنى من أي من الله واختلفوا في قوله بجهالة قال مجاهد والضحاك الجهالة العمد وقال الكلبي لم يجهل أنه ذنب ولكنه جهل عقوبته وقال سائر المفسرين يعني المعاصي كلها فكل من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته وقال قتادة أجمع الصحابة أن كل من عصى ربه فهو جاهل عمدا كان أو خطأ وقال الزجاج معنى قوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية **قوله تعالى ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم** أي ثم يتوبون قبل المعاينة أسباب الموت يسمي ذلك قريبا لأن كل آت قريب لأن أمد الحياة قليل وكل ما يكون فيه تاصية فهو موصوف بالقرب قال صلى الله عليه وسلم من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ثم قال إن الشهر لكثير ثم قال من تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه ثم قال إن الجمعة لكثير من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ثم قال إن اليوم لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ثم قال إن الساعة لكثير من تاب قبل أن يغرغر بنفسه تاب الله عليه وقال الكلبي في قوله من قريب أي ما دام في الصحة قبل المرض والموت وقال عكرمة ما قبل الموت فهو قريب وقال الضحاك قبل معاينة الموت وقال أبو موسى الأشعري هو أن يتوب قبل موته بفواق ناقة **قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار** أي وليس تقبل التوبة للذين يعملون المعاصي مقيمين عليها حتى إذا عاين أحدهم أسباب الموت في وقت النزع ومعاينة الموت قال إني تبت الآن ولا على الذين يموتون على الكفر أولئك هيأنا لهم عذابا أليما وهو النار التي مصيرهم إليها وذهب الربيع إلى أن المراد بالذين يعملون السيئات المنافقون ثم عطف الكفر في المجاهرين بالكفر على المنافقين وحاصل هذه الآية أن من وقع في النزع وقال إني تبت الآن فحينئذ لا تقبل منه كافرا كان أو مسلما عاصيا توبته وقوله والذين يموتون موضع خفض **قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها** الآية قال ابن عباس كانوا في الجاهلية وأول الإسلام إذا مات رجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من عصبته فألقى ثوبه على تلك المرأة فورث نكاحها بالصداق الذي كان أصدقها الميت فإن كانت جميلة أمسكها ودخل بها وإن لم تكن جميلة طول عليها لتفتدي نفسها منه بما ورثت من الميت أو تموت فيرثها فإن ذهبت إلى أهلها قبل أن يلقي عليها ثوبه فهي أحق بنفسها فكانوا يفعلون ذلك حتى توفي أبو قيس بن الأسلت وترك امرأته كبيشة بنت معن الأنصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن بن قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها ولم يقربها ولم ينفق عليها يضارها بذلك فأتت كبيشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أبا قيس توفي وورث ابنه نكاحي وقد أضر بي وطول علي فلا هو ينفق علي ولا هو يدخل بي ولا هو يخلي سبيلي فقال صلى الله عليه وسلم اقعدي في بيتك حتى يأتي فيك أمر الله فانصرفت وسمع بذلك نساء المدينة فأتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن يا رسول الله ما نحن إلا كهيئة كبيشة فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن أي لا تمنعوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فحينئذ يحل لكم ضرارهن ليفتدين منكم وقيل إنها إذا زنت المرأة حل لزوجها أن يسألها الخلع قال عطاء كان الرجل إذا زنت امرأته أخذ منها ما ساق إليها وأخرجها فنسخ الله ذلك بالحدود وقال قتادة والضحاك الفاحشة

النشوز يعني إذا نشزت المرأة حل لزوجها أن يأخذ منها الفدية **قوله تعالى مبينة** بخفض الياء أي مبينة حسنها ابن كثير وأبو بكر وحفص والكسائي وخلف وقرأ الباقون بالفتح ومبينات بنصب الياء وفي التوبة وقرأ الباقون بالفتح وبفتحها نافع وعن الضحاك أن هذه الآية نزلت في الرجل يكون في حجره يتيمة فيكره أن يزوجها لما لها فيترك فتحتاج ما لها أو أن تكون عنده عجوز ونفسه تتوق إلى شابة فيكره فراق العجوز فيتربص موتها لتموت فيأخذ مالها **قوله تعالى وعاشروهن بالمعروف** أمر للأزواج بحسن عشرتهن بالجميل وهو أن يوفيها حقها من المهر والنفقة والمبيت وترك أذاها بالكلام الغليظ والإعراض عنها والميل إلى غيرها وترك العبوس في وجهها بغير ذنب **قوله تعالى فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** فيه بيان أن الخيرة ربما كانت في الصبر على ما يكرهه وقيل معناه فعسى أن تكرهوا صحبتهن ويجعل الله في ذلك خيرا كثيرا أن يرزقكم منهن الولد الصالح وقيل تعطفكم عليهن وقيل يعني بالخير الكثير ما يحصل له من الثواب في الصبر عليها وقيل معناه عسى الله أن يقضي بالفراق على وجه يحمد فيستبدل به المرأة من هو خير لها منه ويستبدل هو بها من هي خير له منها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقال صلى الله عليه وسلم أبغض الحلال إلى الله الطلاق وقال صلى الله عليه وسلم تزوجوا ولا تطلقوا فإن الله لا يحب الذواقين والذواقات **قوله عز وجل وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج** الآية أي أردتم تخلية المرأة ونكاح غيرها لم تكن من قبلها نشوز ولا إتيان فاحشة وآتيتم إحداهن قنطارا أي مالا عظيما وقد تقدم تفسير القنطار فلا تأخذوا منه شيئا أي مما أعطيتموها **أتأخذونه بهتانا** أي ظلما وقيل ظاهرا والبهتان هو الباطل الذي يتحير من بطلانه ومن ذلك الكذب لعظم بهتانه لأنه يبهت به ويتحير ويتحير المكذب عليه بعظيمه وأصل البهت التحير قال الله تعالى فبهت الذي كفر أي تحير وانقطع بحجته وإنما سمى الله تعالى أخذ المهر منها بغير حق بهتانا لأن الزوج لما استعمل المكر والخداع في أخذ ما أعطاها كان في الوزر بمنزلة من يكذب وقيل البهتان الذي قاله حتى **قوله عز وجل وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا** أي كيف تستحلون أخذ شيء منه وقد وصل بعضكم إلى بعض قال ابن عباس الإفضاء كناية عن الجماع وقال جماعة من أهل التفسير إذا كان معها في لحاف واحد جامعها أو لم يجامعها فقد وجب المهر وهو قول من ذهب إلى أن الخلوة تقرر المهر وقد قضى الخلفاء الراشدون أن من أغلق على امرأة بابا وأرخى سترا وكشف خمارا فقد وجب المهر والعدة وذكر الفراء أن الإفضاء هو الخلوة وإن لم يقع دخول كأنه ذهب إلى أن الإفضاء مأخوذ من الفضاء وهو المكان الخالي الذي ليس فيه بناء يمنع عن إدراك ما فيه فسمي الخلوة إفضاء لوصول الزوج إلى مكان خال والقول الأول أولى فهو موضع ما يقع فيه ذلك **قوله تعالى وأخذن منكم ميثاقا غليظا** أي عهدا وثيقا وهو ذكر المهر في النكاح وقيل هو ما شرط الله تعالى للنساء على الرجال من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وقال الشعبي وعكرمة والربيع هو قول النبي صلى الله عليه وسلم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله

فصل فيما ورد من الأخبار في الرخصة في مغالاة المهور

قال عطاء خطب عمر رضي الله عنه إلى علي كرم الله وجهه ابنته أم كلثوم وهي من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي رضي الله عنه إنها صغيرة فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري فلذلك رغبت في هذا فقال علي كرم الله وجهه فإني مرسلها إليك حتى تنظر إلى صغرها فأرسلها إليه فجاءته فقالت إن أبي يقول لك هل رضيت الحلة فقال قد رضيتها فأنكحه علي فأصدقها عمر أربعين ألف درهم وعن نافع بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يزوج المرأة من بناته على عشرة آلاف درهم وتزوج ابن عباس رضي الله عنه امرأة على عشرة آلاف درهم

فصل في أقل المهر

روي عن عمر رضي الله عنه أنه خطب الناس فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال ألا لا تغالوا في صداق النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من نسائه ولا أصدقت امرأة من بناته فوق اثنتي عشرة أوقية وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يمن المرأة أن تتيسر صداقها

وإن يتيم رحمها وعن أبي هريرة قال كان صداقنا إذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر أواق وطبق بيديه
قوله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف روي أنهم كانوا يتعدون قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن
ترثوا النساء كرها إذا رضيت المرأة أمسكها ولي الميت برضاها على حكم النكاح فإذا استخطت تركها فحرم الله ذلك عليهم
بهذه الآية ومعناها لا تتزوجوا ما تزوج آباؤكم من النساء وتعالى لا تطأوا ما وطئ آباؤكم واسم النكاح يقع على العقد
والوطء جميعا وقوله تعالى إلا ما قد سلف معناه إلا ما قد سلف في الجاهلية من نكاح منكوحة الأب كان ذلك مغفورا لكم
لا تؤاخذون به ولا قطع بعد هو استثناء منقطع تقديره لكن ما قد سلف فدعوه واجتنبوه قوله تعالى إنه كان
فاحشة ومقتا وساء سبيلا يعني أن نكاح امرأة الأب كان فاحشة فيما سلف لأنهم كانوا يسمونه في الجاهلية نكاح
المقت وكان المولود يقال له المقتي فأعلمهم الله تعالى أن هذا الذي حرم عليهم لم يزل منكرا في قلوبهم ممقوتا عندهم والمقت
هو البغض على أمر قبيح ركبه صاحبه وقيل المقت هو أشد البغض والفاحشة اسم لما يرتفع ذكر قبحه فيما بين الناس
وقوله تعالى وساء سبيلا أي نكاح امرأة الأب بئس طريقا لأنه يؤدي إلى جهنم وسبيلا نصب على التمييز قوله عز وجل حرمت
عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم الآية قال ابن عباس حرم الله تعالى من النساء أربع عشر
صنفا سبعة بالنسب وسبعة بالسبب وتلا هذه الآية ثم قرأ السابعة في قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء والجدات
وإن علون محرمات لأن اسم الأمهات يشملهن كما أن اسم الآباء يتناول الأجداد وإن علوا واسم البنات يتناول بنات الأولاد
وإن سفلن وقوله تعالى وأخواتكم يشمل الأخوات من الأب والأم ومن الأب ومن الأم قوله تعالى وعماتكم وخالاتكم يشمل العمات
والخالات من الأم والأب قوله تعالى وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وقال صلى الله عليه وسلم
يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب وقال صلى الله عليه وسلم لا تحرم الجرعة والجرعتان ما يحرم الحولان الكاملان. وعن عائشة
رضي الله عنها أن أفلح أخا أبي القعيس جاء يستأذن عليها بعد نزول آية الحجاب وكان عمها من الرضاعة قالت فأبيت أن آذن
له حتى أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ائذني له فإنه عمك فقلت إنما أرضعتني المرأة ولم يرضعني الرجل فقال صلى الله عليه وسلم
ليلج عليك فإنه عمك وكان أبو القعيس زوج المرأة التي أرضعت عائشة رضي الله عنها قوله عز وجل وأمهات نسائكم قال ابن
عباس وعطاء وسعيد بن جبير أم المرأة مبهمة تحرم على زوج ابنتها بنفس العقد قوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم
لا يكون شرطا في تحريمها وإنما ذكره الله تعالى على عادة الناس أن الربيبة تكون في حجر زوج أمها ثم خرج الكلام على وفق العادة
دون الشرط وهذا كقوله ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ومعلوم أن المعتكف لا يحل له الجماع وإن كان قد خرج
لحاجة إلا أن الغالب من حال العاكف أن يكون في المسجد فقيده بذكر المسجد وأما قوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم بهن
فمن الناس من رد هذا الشرط على قوله من نسائكم وعلى قوله وأمهات نسائكم فشرط الدخول بالنساء في المسألتين في ثبوت
التحريم المذكور في الآية جميعا ومعنى أن الله عطف حكما على حكم وعقبهما بشرط الدخول بقوله اللاتي دخلتم بهن وهو قول بشر
وعامة العلماء أن هذا لا يصح لأن قوله وأمهات نسائكم جملة مستقلة بنفسها قوله تعالى وربائبكم مما فيه من شرط الدخول
راجعا إليه ولا جملة أخرى مستقلة بنفسها فلم يجز بناء إحدى الجملتين على الأخرى ولو جعلنا شرط الدخول راجعا إليهما
خصصنا عموم اللفظ الأول بالشك قوله تعالى فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم أي فإن لم تكونوا دخلتم
بنسائكم فلا حرج عليكم في تزويج الربائب إذا طلقتم أمهاتهن قبل الدخول أو ماتت أمهاتهن قبل دخول الزوج بهن قوله
عز وجل وحلائل أبنائكم أي ولا نكاح نساء أبنائكم الذين من أصلابكم وإنما سميت امرأة الابن حليلة لأنها
تحل معه في الفراش وقيل لأنها حلال له وأما أمة الابن فلا تسمى حليلته ولا تحرم على الأب ما لم يطأها الابن وقوله تعالى من
أصلابكم ليس هو على ظن بعض الناس أن من شرط الصلب في هذه الآية أخرج امرأة الابن في الرضاع من التحريم لأن امرأة الابن في
الرضاع بمنزلة امرأة الابن من الصلب في الحرمة وإنما شرط الله تعالى كون الابن من صلبه لإخراج امرأة الابن من التبني عن تحريمها
فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوج امرأة زيد بن حارثة بعد ما فارقها زيد تكلم فيه المشركون وقالوا إن محمدا يتبنى
ثم تزوج امرأته وكانوا يجعلون المتبنى بمنزلة ابن الصلب في الميراث والحرمة فأنزل الله هذه الآية وقوله ادعوهم لآبائهم

قوله عز وجل وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف وموضعه رفع ومعناه وحرم عليكم أن تجمعوا بين الأختين
وصورة الجمع أن يتزوج أختين معا أو في عقدين لا يدري أيتهما كانت هي الأولى وأما إذا تزوج امرأة ثم تزوج بعد ذلك أختها
فهو على الثانية نكاح الثانية حرام دون الأولى لأن الجمع حصل بالثانية ويحرم عليه أيضا الجمع بين وطء الأختين بملك اليمين
ويحرم عليه أيضا أن يتزوج أختها والأخرى معتدة منه في طلاق بائن أو رجعي قوله تعالى إلا ما قد سلف إلا ما مضى في الجاهلية
فإنه مغفور لكم إذا انتهيتم عنه قوله تعالى إن الله كان غفورا رحيما أي لا يؤاخذكم بما كان منكم قبل التحريم قوله عز وجل
والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم هذه الآية عطف على ما تقدم أي وحرم عليكم المحصنات وهن ذوات الأزواج
اللاتي أحصن بالأزواج إلا ما ملكت أيمانكم أي إلا ما أفاء الله عليكم من السبايا وروي عن أبي سعيد الخدري أن المسلمين أصابوا يوم
أوطاس سبايا لهن أزواج من المشركين فتأثم المسلمون من وطئهن وقالوا لهن أزواج في دار الحرب فأنزل الله هذه الآية فنادى
منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا الحيالى حتى يستبرئن بحيضة وذهب بعض الصحابة وهو أبي
بن كعب وأنس وجابر رضي الله عنهم أن الأمة إذا خرجت عن ملك مولاها إلى ملك رجل آخر حرمت على زوجها أي بسبب خروجها
روي عن ابن عباس أنه قال طلاق الأمة ست طلاقها وبيعها وهبتها وميراثها وسبيها وصدقتها وأنكر ذلك علي وعمر وعبد الرحمن
بن عوف رضي الله عنهم وقالوا إنما نزلت هذه الآية في السبايا خاصة بدليل ما روي أن عائشة اشترت بريرة وأعتقتها فخيرها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان زوجها عبدا حبشيا يسمى مغيثا قوله تعالى كتاب الله عليكم نصب على المصدر أي كتب الله
عليكم كتاب الله وقيل نصب على الإغراء أي الزموا كتاب الله واتبعوا كتاب الله قوله تعالى وأحل لكم ما وراء ذلكم قرأ أهل الكوفة
وأحل على ما لم يسم فاعله نسقا على قوله حرمت وقرأ الباقون بالفتح على أنه فعل الله لقوله كتاب الله والمعنى وأحل لكم نكاح ما سوى
ما ذكرت لكم من المحرمات قوله تعالى أن تبتغوا بأموالكم تقديره لأن تبتغوا فمن رفع أحل فموضعها رفع ومن نصب فموضعها
نصب وقال الكسائي موضعه نصب في القراءتين بنزع الخافض يعني لأن تبتغوا بأموالكم أي تطلبوا بأموالكم إما بنكاح أو بملك محصنين
أي غير مسافحين أي غير زناة وأصله من سفح الماء وهو صبه وفي هذا دليل أن بدل البضع يجوز أن يكون مالا وبما يستحق به تسليم
مالية لهذا قال أصحابنا إن تعليم القرآن لا يجوز أن يكون صداقا وكذلك خدمة الزوج لا تكون صداقا عند أبي حنيفة وأبي يوسف
وأصل الإحصان في اللغة المنع ومنه سمي الحصن حصنا لأنه يمنع من العدو ومنه الدرع الحصينة أي المنيعة والحصان بكسر الحاء
الفحل من الخيل لمنعه راكبه من الهلاك والحصان بالفتح من النساء العفيفة لمنعها فرجها من الفساد قال حسان
حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل والإحصان في القرآن يقع على معان مختلفة منها النكاح
كما في هذه الآية ومنها الحرية في قوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومنها الإسلام كما في قوله تعالى
فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة أي إذا أسلمن ومنها العفة كما في قوله تعالى والذين يرمون المحصنات قوله عز وجل فما
استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن اختلفوا في معنى ذلك فقال الحسن ومجاهد يعني فما استمتعتم وتلذذتم بالجماع من النساء
بالنكاح الصحيح فآتوهن مهورهن وهو قول ابن عباس وعطاء وسعيد بن جبير وقال آخرون هو نكاح المتعة وهي رواية عن ابن
عباس أنه سئل عن المتعة أسفاح أم نكاح فقال لا سفاح ولا نكاح قيل فما هي قال المتعة كما قال الله تعالى قيل له هل لها عدة
قال نعم حيضة قيل هل يتوارثان قال لا ثم روي عنه أنه رجع عن القول بالمتعة وقال عند موته اللهم إني أتوب إليك من قولي في المتعة
وقولي في الصرف في درهم بدرهمين يدا بيد وعن عمر رضي الله عنه أنه خطب حين ولي فقال أيها الناس إن الله تعالى أحل لنا المتعة
ثلاثا ثم حرمها وأنا أقسم بالله تعالى لا أجد أحدا تمتع إلا رجمته وعن ابن مسعود أن المتعة كانت رخصة لأصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم في غزاة شكوا فيها العزبة ثم نسختها آية النكاح وقد أجمع سائر الفقهاء والعلماء من الصحابة والتابعين والسلف
الصالحين على أن هذه الآية منسوخة ومتعة النساء حرام روى الربيع بن سبرة الجهني عن أبيه قال كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة فشكونا العزبة ثم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يقول يا أيها الناس إن الله سبحانه حرم
ذلك إلى يوم القيامة وقال بعضهم سألت الحسن عن نكاح المتعة فقال إنما كانت ثلاثة أيام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم نهى عنه قوله تعالى فآتوهن أجورهن فريضة أي مهورهن سمي المهر أجرا وقوله تعالى فريضة أي أعطوهن

أجورهن فريضة من الله لهن عليكم والفرض ما يكون في أعلام أسباب الإيجاب عن الله تعالى فلهذا لا يجوز إسقاط المهر
في ابتداء العقد قوله تعالى **ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة** في ابتداء النكاح قوله تعالى
إن الله كان عليما حكيما أي عليما بما يصلح من أمر العباد حكيما فيما أمركم به ونهاكم عنه قوله عز وجل **ومن لم يستطع منكم**
طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات قال ابن عباس وابن جبير وقتادة [illegible]
الطول الغنى والسعة أي ومن لم يستطع منكم غنى وقدرة ولم يجد ما يتزوج به الحرائر فليتزوج بعضكم من إماء بعض وقال
جابر بن زيد وربيعة والنخعي الطول الهوى أي من لم يقدر منكم على نكاح الحرائر هوى وعشقا بالأمة من الإماء [illegible]
لنكاح الحرة فليتزوج الأمة التي يهواها من الإماء المؤمنات قرأ الكسائي المحصنات بكسر الصاد في كل القرآن إلا [illegible]
وهي قوله والمحصنات من النساء قوله عز وجل **والله أعلم بإيمانكم** أي بحقيقة الإيمان وأنتم تعرفون الظواهر وليس
عليكم أن تبحثوا عن الباطن قوله تعالى **بعضكم من بعض** أي في الدين وقيل في النسب كلكم ولد آدم عليه السلام
وإنما قال ذلك لأن العرب كانت تطعن في الأنساب وتفتخر بالأحساب وتعير بالهجنة وتسمي ابن الأمة الهجين فأعلم الله أن
الأمة في جواز نكاحها كالحرة وبذلك قوله تعالى **فانكحوهن بإذن أهلهن** أي انكحوا الإماء بإذن مواليهن وآتوهن
أجورهن يعني بإذن أهلهن وقوله تعالى **بالمعروف** أي مهرا غير مهر البغي وهو أن يكون غير دراهم تماما قوله
تعالى **محصنات غير مسافحات** أي عفائف غير زوان في العلانية بالزنا **ولا متخذات أخدان** أي أخلاء في السر وذكر
أن أهل الجاهلية كان فيهم زوان في العلانية لهن رايات [illegible] وبعضهن يتخذن أخدانا في السر حتى [illegible]
كان فيهم من يحرم ما ظهر من الزنا ويستحل ما خفي منه فنهى الله عن نكاح الفريقين جميعا قوله تعالى **فإذا أحصن فإن**
أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب معناه أن الإماء إذا أسلمن وتزوجن • وقرئ فإذا أحصن بضم
الهمزة فمعناه إذا تزوجن أحصنهن الأزواج فإن أتين بفاحشة يعني الزنا فعليهن نصف حد الحرائر خمسون جلدة والمراد بهذه
الآية نصف الجلد لأن الرجم لا ينصف • وذهبت عامة الفقهاء إلى أن الإسلام والتزويج لا يكونان شرطا في وجوب الجلد
على الأمة فإنها وإن لم تكن محصنة بالإسلام والتزويج أقيم عليها نصف حد الحرة إذا زنت واستدلوا بما روي عن أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الأمة إذا زنت ولم تحصن فقال صلى الله عليه وسلم إن زنت فاجلدوها ثم إن زنت
فاجلدوها ثم إن زنت فبيعوها قوله تعالى **ذلك لمن خشي العنت منكم** أي تزويج الإماء
والرضا بنكاحهن عند عدم طول الحرة لمن خشي الزنا منكم وقيل لمن خشي الضرر في الدين والدنيا وأن تصبروا عن نكاح الإماء
خير لكم وإنما كان ذلك لأن ولده منها يكون رقيقا لمولى الأمة وله استخدام الأمة في الحاجات [illegible] الرجال [illegible]
قوله تعالى **والله غفور رحيم** أي غفور لما أصبتم من المحرمات بغير علم [illegible] رحيم [illegible]
على المذنبين • فإن قيل ما فائدة شرط الإحصان في قوله تعالى فإذا أحصن والأمة تجلد حد الزنا سواء كانت محصنة
بالإسلام والتزويج أو لم تكن قيل فائدة ذكر الإحصان للإماء في الآية أن حد الحرة يختلف بالإحصان والتزويج كما يختلف حد
الحرة فذكر الله تعالى ذلك الحد بالجلد في الحالة التي يجب فيها الرجم على الحرة ليعلم أن الإماء لا مدخل لهن في الرجم
قوله تعالى **من فتياتكم المؤمنات** الفتاة في اللغة الشابة لأن الأمة تسمى فتاة عجوزا كانت أو شابة لأنها لا توقر
توقير الحرة الكبيرة والأخدان جمع الخدن والخدين وهو الصديق والعنت في اللغة المشقة وسمي الزنا به لأن فاعله يلقى
به الإثم العظيم في الآخرة ويقام عليه الحد في الدنيا وقد تعلق أصحاب الشافعي بظاهر هذه الآية فقالوا إذا كان عند
الرجل من المال ما يمكنه أن يتزوج به الحرة لا يجوز له أن يتزوج الأمة وقالوا لا يجوز أن يتزوج الأمة اليهودية
ولا النصرانية ولا يجوز أن يتزوج أكثر من أمة واحدة قالوا ولا يجوز للعبد أن يتزوج على حرة لأن هذه الأحكام
للأحرار قال الله تعالى فمما ملكت أيمانكم وليست هذه الآية عند أصحابنا على طريق الشرط ولكن معناها بيان [illegible]
الله له من الرزق [illegible] ما قسم الله له [illegible] دون [illegible] على [illegible] وفي قوله من فتياتكم المؤمنات بيان
أن المؤمنة خير من الحرة الكتابية ولو كان جواز نكاح الأمة [illegible] بحال الضرورة [illegible] العيب كان الحر [illegible]

إذا تزوج حرة على الأمة يبطل نكاح الأمة وعندنا أن نكاح الحرة إذا طرأ على نكاح الأمة لم يبطل النكاح • وعن أبي يوسف
أنه قال هذه الآية على أن [illegible] الحرة في نكاحه على ما ورد به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال لا تنكح الأمة على الحرة وتنكح الحرة على الأمة وهذا تأويل صحيح لأن من لا تكون عنده حرة فهو غير مستطيع للطول
عليها لأن القدرة على المال [illegible] لا يوجب ملك الوطء لأن العقد وجوب النكاح قوله عز وجل **يريد الله ليبين لكم ويهديكم**
سنن الذين من قبلكم أي يريد الله أن يبين لكم ما تحتاجون إلى معرفته من الحلال والحرام وكيفية الطاعة ويهديكم
طرق الذين من قبلكم من أهل التوبة ولا يخذلكم على طاعته كما دل من قبلكم ويتوب عليكم أي يتجاوز عنكم ما كان قبل [illegible]
والله عليم بما يعلم [illegible] **حكيم** فيما أمركم به ونهاكم عنه واللام في قوله ليبين بمعنى أن والعرب تعاقب بين
لام كي وبين أن [illegible] أحدهما [illegible] كقوله تعالى وأمرت لأعدل بينكم وقوله وأمرنا لنسلم وفي موضع آخر وأمرت أن
أسلم وقال يريدون ليطفئوا وفي موضع آخر أن يطفئوا قال الشاعر أريد لأنسى ذكرها فكأنما • تمثل لي ليلى بكل
سبيل • يريد أن أنسى ومعنى الآية يريد الله ليبين لكم شرائع دينكم ومصالح أمركم • وقال الحسن معناه يبين لكم ما تأتون
وما تذرون • وقال عطاء يبين لكم ما يقربكم إليه • وقال الكلبي معناه يبين لكم أن الصبر عن نكاح الإماء خير لكم ويهديكم سنن
الذين من قبلكم أي شرائع الذين من قبلكم في تحريم البنات والأمهات والأخوات قوله تعالى **والله يريد أن يتوب عليكم** أي
يريد أن يدلكم على ما يكون سببا لتوبتكم **ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما** اختلفوا في الذين
يتبعون الشهوات من هم قال السدي هم اليهود والنصارى وقال بعضهم هم المجوس لأنهم كانوا يحلون نكاح الأخوات وبنات الأخ
وبنات الأخت فلما حرمه الله تعالى قالوا إنكم تنكحون بنات الخالة وبنات العمة والعمة والخالة حرام عليكم فانكحوا بنات الأخ
وبنات الأخت كما تنكحون بنات الخالة والعمة فأنزل الله هذه الآية • وقال مجاهد هم الزناة يريدون أن تميلوا عن الحق فتكونوا
مثلهم تزنون كما يزنون قوله عز وجل **يريد الله أن يخفف عنكم** في نكاح الأمة إذا لم يجد طول الحرة وفي كل
أحكام الشرع • وقيل معناه يريد الله ليسهل عليكم بوضع أوزاركم وحط ذنوبكم **وخلق الإنسان ضعيفا** أي أسير
الشهوة وقيل ضعيفا في كل شيء • وقال طاوس والكلبي معناه لا يصبر عن النساء لأنه لا يكون الإنسان في شيء أضعف منه في أمر النساء
وقال سعيد بن المسيب أيس الشيطان من ابن آدم إلا أتاه من قبل النساء وقد أتى علي ثمانون سنة وذهبت إحدى عيني وأنا أخوف
ما أخاف على فتنة النساء • وقال عبادة بن الصامت ألا ترونني لا آكل إلا ما لوق لي وقد مات
صاحبي يعني ذكره وما آمن أن أخلو بامرأة لا تحل لي مخافة أن يأتيني الشيطان فيحركه على أنه لا سمع له ولا بصر وقيل
وخلق الإنسان ضعيفا أي يخلو من [illegible] • وقيل كان الإنسان معناه تستميله هواه وشهوته وتستفزه الشيطان ويخوفه
قال ابن عباس ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد أن
يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الآية إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء إن الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم قوله عز وجل **يا أيها الذين**
آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالظلم وشهادة الزور واليمين الفاجرة والربا
والقمار ونحو ذلك من الغصب والسرقة والخيانة قوله تعالى **إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم** استثناء منقطع
خلاف المستثنى منه لأن التجارة ليست بباطل كأنه قال لكن كلوا ما ملكتم بالمبايعة عن تراض منكم قرأ أهل الكوفة تجارة
بالنصب على معنى إلا أن تكون الأموال تجارة • وقرأ الباقون بالرفع على معنى إلا أن تقع تجارة روي أنه لما نزلت
هذه الآية امتنع الناس عن أكل الأموال بالهبة والهدية والصدقة حتى نزل قوله تعالى ولا على أنفسكم أن تأكلوا
من بيوتكم أو بيوت آبائكم الآية قوله تعالى **ولا تقتلوا أنفسكم** أي لا يقتل بعضكم بعضا فإنكم أهل دين واحد
فأنتم كنفس واحدة قال صلى الله عليه وسلم المؤمنون كلهم كنفس واحدة إذا اشتكى عضو منه تداعى سائر الأعضاء بالحمى والسهر
وقيل معناه لا يقتل الرجل نفسه عند الضجر والغضب لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا كان ممن كان قبلكم أخذ [illegible]
في يده فقطعها فما رقأ دمها حتى مات فقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى بادرني ابن آدم بنفسه فقتلها بيده

فقد حرمت عليه الجنة • وعن جابر بن سمرة أن رجلا ذبح نفسه فلم يصل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم
معنى الآية لا تقتلوا أنفسكم لطلب المال بما يؤدي إلى التلف قوله تعالى **إن الله كان بكم رحيما** أي حيث لم يرض منكم
قتل بعضكم بعضا وأكل أموالكم بالباطل مع رجوع ضرره عليكم في الدنيا والدين قوله عز وجل **ومن يفعل ذلك عدوانا
وظلما فسوف نصليه نارا** أي من يأكل المال بالباطل ويقتل النفس بغير الحق عدوانا أي اعتداء وتجاوزا للحد
والعدوان أن تعدو ما أمرت به والظلم أن تضع الشيء في غير موضعه حتى إذا فعل ذلك على وجه التعمد فسوف نصليه
نارا أي ندخله النار **وكان ذلك على الله يسيرا** أي لا يمنع كثرة رحمته من تعذيب من يستحق العذاب قوله
عز وجل **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم** معناه إن تتركوا كبائر الذنوب نكفر عنكم الصغائر
كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر
وندخلكم مدخلا كريما يعني الجنة • قرأ أهل المدينة مدخلا بفتح الميم وهو موضع الدخول وقرأ الباقون بالضم على المصدر
بمعنى الإدخال • واختلفوا في الكبائر التي جعل الله تعالى اجتنابها تكفيرا للصغائر فقال ابن عباس هي كل شيء سماه الله فيه النار
لمن عمل بها أو شيء نزل فيه حد في الدنيا ويروى أن رجلا أتى ابن عمر رضي الله عنه فقال إني أصبت ذنبا فأحب أن تعد علي
الكبائر فعد عليه سبعا فقال الإشراك بالله وعقوق الوالدين • وقتل النفس وأكل الربا وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات
واليمين الفاجرة • وعن ابن مسعود قال الكبائر أربع الإياس من روح الله والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله والشرك
بالله • وقال مقاتل الكبائر ما نهى الله تعالى عنه من أول هذه السورة وقال لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار
وعن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم ماذا قال أن تقتل ولدك
خشية أن يأكل معك قلت ثم ماذا قال أن تزني بحليلة جارك وتصديق ذلك قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله إلها
آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة
ويخلد فيه مهانا • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أكبر الكبائر الإشراك بالله واليمين الغموس وعقوق الوالدين
وقتل النفس • وعن أنس قال قال رسول الله أربع من الكبائر الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وشهادة الزور
وسئل ابن عباس رضي الله عنه عن الكبائر أسبع هي قال هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع وقال الكبائر الشرك وعقوق
الوالدين وقتل المؤمن والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله والإياس من روح الله والسحر والزنا والسرقة وأكل
مال اليتيم وترك الصلاة ومنع الزكاة وشهادة الزور وقتل الولد خشية أن يأكل معك والحسد والكبر والحيف
في الوصية وتحقير المسلمين • وقال سعيد بن جبير كل ذنب أوعد الله تعالى عليه النار فهو كبيرة • وقال الضحاك ما أوعد الله
حدا في الدنيا وعذابا في الآخرة فهو كبيرة وقال بعضهم ما سماه الله في القرآن كبيرا وعظيما فهو كبيرة نحو قوله إنه كان حوبا
كبيرا إن قتلهم كان خطأ كبيرا إن الشرك لظلم عظيم إن كيدكن عظيم سبحانك هذا بهتان عظيم إن ذلكم كان عند الله عظيما
وقال سفيان الثوري الكبائر ما كان من المظالم بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله لأن الله كريم يعفو
وقيل الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبائر والسيئات مقدماتها وتوابعها مثل النظرة واللمسة والقبلة وأشباهها
وقيل الكبيرة ما تنتج في العقل والطبع مثل القتل والظلم والزنا والكذب والنميمة ونحوها وقال بعضهم الصغائر ما يستصغره
العبد والكبائر ما يستعظمه فيخاف منه قوله تعالى **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض** أي لا تتمنى الرجل
مال أخيه ولا نساء الذي لغيره ولكن ليقل اللهم ارزقني مثله ولا يتمنى الرجل امرأة أخيه ولا خادمه ولا دابته قوله
تعالى **للرجال نصيب مما اكتسبوا** أي حظ من الأجر بما اكتسبوا من العمل الصالح وللنساء حظ من الأجر بما عملن من العمل
الصالح قوله تعالى **واسألوا الله من فضله** أي من رزقه إن الله لم يزل لكل شيء من أعمال الرجال والنساء عالما
وعن جابر بن عبد الله قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه إذ أقبلت امرأة حتى وقفت
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك إن الله عز وجل رب الرجال ورب النساء
وآدم أبو الرجال وأبو النساء كتب الله الجهاد على الرجال فإذا خرجوا في سبيل الله فقتلوا فهم أحياء عند ربهم يرزقون وتحبس

عليهم ونحن نخدمهم فهل لنا من الأجر من شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرئي النساء مني السلام وقولي لهن إن طاعة الزوج
واعترافا بحقه يعدل ما هنالك وقليل منكن يفعله • وقال قتادة والسدي لما نزل قوله تعالى للذكر مثل حظ الأنثيين
قال الرجال إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضلنا عليهن بالميراث فيكون أجرنا مثل أجر النساء وقالت
النساء إنا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما لنا في الميراث النصف من نصيبهم فأنزل الله تعالى ولا تتمنوا ما
فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا من الميراث والعقاب وللنساء نصيب كذلك منه وقال قتادة يجزى الرجل الحسنة
عشر أمثالها والمرأة تجزى عشر أمثالها أيضا قوله تعالى **واسألوا الله من فضله** قرأ ابن كثير والكسائي وخلف وسلوا الله
من فضله وسل من أرسلنا وسئل الذين بغير همز إذا كان قبل السين واو أو فاء وقرأ الباقون بالهمز وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله من فضله
غضب عليه وقال سفيان بن عيينة لم يأمر بالمسألة إلا ليعطي قوله عز وجل **ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان
والأقربون** أي لكل واحد من الرجال والنساء جعلنا موالي أي عصبة يعطون مما ترك الوالدان والأقربون من ميراثهم
فالوالدان والأقربون على هذا التأويل هم المورثون وقيل معناه ولكل جعلنا موالي أي ورثة مما ترك أي من الذين تركهم ويكون ما بمعنى من ثم فسر الموالي
فقال الوالدان والأقربون أي هم الوالدان والأقربون فعلى هذا يكون معنى من والوالدان على هذا التأويل هم الوارثون
قوله تعالى **والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم** في محل الرفع بالابتداء والمعاقدة هي المعاهدة قرأ أهل الكوفة عقدت بغير ألف أي عقدت لهم أيمانكم قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية إذا أعجبه ظرف الرجل عاقده
وحالفه وقال أنا ابني ترثني وأرثك وحربي حربك وسلمي سلمك ودمي دمك وثأري ثأرك فيكون له السدس من ميراثه في ماله مثل نصيب
أحدهم إلا أن يقضي نصيبه عن السدس لكثرة الورثة فيعطى السدس خاصة لا ينقص منه شيء ثم نسخ بقوله تعالى وأولو
الأرحام بعضهم أولى ببعض • وقال قتادة أراد بقوله الذين عاقدت أيمانكم الحلفاء كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي
دمك وهدمي هدمك وثأري ثأرك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وأرثك وتعقل عني وأعقل عنك وتطلب بي وأطلب بك فلو هلك الحليف
أخذ السدس ثم نسخ ذلك بقوله تعالى وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض • وقال مجاهد أراد بقوله فآتوهم نصيبهم النصر
والعقل والرفد دون الميراث فعلى هذا تكون الآية غير منسوخة لقوله تعالى أوفوا بالعقود ولقوله صلى الله عليه وسلم
أوفوا الحلفاء بعهودهم التي عقدت أيمانكم ولكن معنى قول ابن عباس هل هذه منسوخة فيحكمها في الأصل وذكر معناه
بعدهم ذوي الأرحام على أهل العقد وهو قول ذوي من أن له أخ لا يحرج الأخ من أن يكون أهلا للميراث إلا أن الابن أولى
منه كذلك ذوو الأرحام أولى من الحليف فإذا لم يكن للميت رحم ولا عصبة فالميراث للحليف وهذا قول أصحابنا ومن أسلم على
يدي رجل ووالاه وعاقده ثم مات ولا وارث له غيره أن ميراثه له ولهذا قالوا من أوصى بجميع ماله ولا وارث له صحت
الوصية قوله تعالى **إن الله كان على كل شيء شهيدا** أي لم يزل شاهدا على كل شيء من إعطاء النصيب ومنعه قوله عز
وجل **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض** قال ابن عباس في رواية نزلت هذه الآية في
سعد بن الربيع وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير وهما من الأنصار نشزت عليه فلطمها فانطلق أبوها معها إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أفرشته كريمتي فلطمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه وكان القصاص
بينهم في اللطمة والشجة والجراح فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل أتاني وأنزل
الله تعالى هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص ومعناها الرجال
مسلطون على أدب النساء بالحق والقوامون المبالغون في القيام عليهن بتعليمهن وتأديبهن وإصلاح أمورهن قوله تعالى
بما فضل الله بعضهم على بعض أي جعل الله ذلك للرجال بفضلهم على النساء في العقل والرأي وقيل بزيادة الدين واليقين وقيل
بقوة العبادة والجهاد وقيل بالجمعة والجماعات وبإنفاقهم أموالهم في المهور وأقوات النساء قوله تعالى **فالصالحات
قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** أي والمحسنات المطيعات لله في أمر أزواجهن وقيل قانتات بحقوق أزواجهن
وأصل القنوت ملازمة الطاعة وقوله تعالى حافظات للغيب أي تحفظ فروجهن وأموال أزواجهن في حال غيبة أزواجهن
ويدخل في حفظ المرأة للغيب أن تكتم عليه ما لا يحل إظهاره مما يقع بينهما لأحد الزوجين على الآخر وقوله تعالى بما حفظ الله

أو بحفظ الله اياهن من معاصيه وتوفيقه لهن وقيل بما حفظهن الله في مهورهن والزام الزوج النفقة عليهن قال
صلى الله عليه وسلم خير النساء من اذا نظرت اليها سرتك واذا امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها
قوله تعالى **واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن** أي النساء اللاتي تعلمون عصيانهن لازواجهن فعظوهن
والنشوز الترفع عن الصاحب مأخوذ من النشز وهو المكان المرتفع والمراد بالوعظ والهجر والضرب في الآية ان يكون
ذلك على الترتيب المذكور فيها لان هذا من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا امكن الاستدراك بالاسهل لا يحتاج
الى الاثقل فاول ما ينبغي للزوج فيقول لامرأته الناشزة اتقي الله وارجعي الى فراشي فان اطاعته والا شتمها هكذا قال
ابن عباس والهجر الكلام الفاحش يقال هجر الرجل هجرا اذا هذى واهجر الرجل في منطقه يهجر هجارا اذا تكلم بقبيح وقال
الحسن وقتادة قوله واهجروهن في المضاجع من الهجر وهو ان لا يقربها ولا ينام معها لان الله تعالى قرنه بقوله تعالى
في المضاجع واذا لم ينفعها الوعظ هجرها زوجها في المضجع فان كانت تحب زوجها شق عليها الهجران وان كانت تبغضه
وافقها ذلك فكان دليلا على النشوز من قبلها فيضربها الزوج حينئذ ضربا غير مبرح ولا شائن كما يؤدب الرجل
ولده ويكون ذلك موكولا الى رأيه واجتهاده على ما يرى من المصلحة ولهذا قيل في هذا الضرب ينبغي ان يشترط السلامة
فالاولى ان يضربها بالنعل والقضيب وشبهه او يلكزها على جسدها مرارا قوله تعالى **فان اطعنكم** أي فيما يلتمس منهن **فلا
تبغوا عليهن سبيلا** أي لا تطلبوا عليهن عللا ولا تكلفوهن الحب لكم فانهن لا يملكن ذلك **ان الله كان عليا
كبيرا** فلا شيء اكبر منه اراد بالعلي العلو في القهر والقدرة لا علو المكان واراد بالكبير الجلال والعظمة
والمعنى انه مع علوه وكبريائه رضي من عباده بالطاعة ولا أخذهم بالحب الذي لا غاية بعده فان في اكثر عباده من
نفسه علي ولا يخلص حبه لي كل الاخلاص وقد روي انه لما شكى الرجال نساءهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لهم
بالضرب فاصبح ببابه يا رسول الله سبعون امرأة يشكون ازواجهن فاقبل على اصحابه بعد الصلوة وقال ان المرأة خلقت
من ضلع اعوج فان اردتم اقامتها كسرتموها وان تركتموها استمتعتم بها على عوج ثم قال خيركم خيركم لاهله قوله
عز وجل **وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله
بينهما** أي وان علمتم أيها المؤمنون بعد العظة والهجران تباعد الزوجين عن الحق وهو ان يكون كل واحد منهما
في شق على حدة ولم تدروا من ايهما جاء النشوز فابعثوا عدلا ذا رأي وعقل من اهل الزوج وعدلا من اهل المرأة يحكما
الحاكم حكما من اهله وحكما من اهلها فيخلو حكم الزوج به ويقول أخبرني ما في نفسك أهواها أم لا فان [illegible]
ومالها حتى ترى ما تريد فان قال ادخلها ولكنها تسيء معاشرتي فعظها وارضها عني علم ان الرجل ليس بناشز وان قال
لا حاجة لي بها فرق بيني وبينها وخذ لي منها ما استطعت علم انه ناشز وكذلك يفعل حكم المرأة ثم يلتقي الحكمان فيقصد
كل واحد منهما صاحبه فيما يسمع فيقبلان على الزوج ان كان ناشزا فيقولان له يا عدو الله انت العاصي لله الظالم
على امرأتك فيعظانه ويزجرانه وكذلك يفعلان بالمرأة ان كانت هي الناشزة فذلك قوله **ان يريدا اصلاحا يوفق
الله بينهما** أي ان الحكمين اذا ارادا عدلا ونصيحة الف الله بين الزوجين ويقال يوفق الله بينهما أي الحكمين **ان
الله كان عليما** بان الحكمين خبيرا بنصحهما ويقال عليما بما فيه صلاح الحال خبيرا بذلك وذهب بعض العلماء
الى ان الحكمين اذا رأيا ان يفرقا بينهما فرقا بينهما وكذلك اذا رأى الحاكم ان يفرق فعل اذا وقع اليأس عن زوال الشقاق
واعتبروا ذلك بالعنة فاما عند اصحابنا رحمهم الله فليس للحكمين ان يفرقا الا ان يكونا وكيلين في الخلع من جانبين او
يرضى الزوج بتفريقهما قوله عز وجل **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا** أي وحدوا الله تعالى
واطيعوه ولا تعبدوا معه غيره فان ذلك يفسد عبادته قال الحكماء العبودية ترك الاختيار وملازمة الذل له [illegible]
وقيل العبودية اربعة اشياء الوفاء بالعهود والحفظ للحدود والرضا بالموجود والصبر عن المفقود قوله تعالى
وبالوالدين احسانا أي احسنوا بالوالدين احسانا وقيل استوصوا بالوالدين احسانا وتقديره الحمد المنصوب على
تقدير فعل محذوف وكقوله تعالى فضرب الرقاب ومعناه الامر قوله تعالى **وبذي القربى واليتامى والمساكين**

أي واحسنوا بذوي القرابة وباليتامى والمساكين والاحسان الى ذوي القربى هو مواساة الفقير منهم اذا خاف عليه ضرر
الجوع والعري وحسن العشرة وكف الاذى عنه والمحاماة دونه ممن يريد ظلمه وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا
شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة في قلبه فقال ان اردت ان يلين قلبك فاطعم المساكين وامسح برأس اليتيم
واطعمه قوله تعالى **والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب** قال صلى الله عليه وسلم الجيران
ثلثة جار له ثلثة حقوق وهو الجار القريب المسلم وجار له حقان وهو الجار الاجنبي المسلم وجار له حق واحد وهو الجار
الكافر فعلى هذا يكون معنى الجار الجنب هو الجار الذي هو من قوم آخرين ليس بينك وبينه قرابة وقيل ان الجار ذا القربى هو
الذي يقاربك في الجوار ثم قربه ونفعه وكذا الجار الجنب هو الجار الغريب المتباعد والجنب في اللغة البعد وقرأ الاعمش والجار
الجنب بفتح الجيم واسكان النون وهما لغتان يقال رجل جنب وجنب اذا لم يكن قريبا وجمعه جانب وقيل للجنب [illegible]
الصلوة ويبعد من المسجد حتى يغتسل وقال بعضهم الجار الجنب هو الكافر قوله تعالى **والصاحب بالجنب** هو الرفيق
في السفر المنقطع الى الرجل رجاء خيره كذا قال ابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة وقتادة وقال بعضهم الصاحب بالجنب هو
الملاصق داره بدارك فهو الى جنبك وقيل هو جار الرجل في البيت الواحد وقال علي وعبد الله وابن ابي ليلى والنخعي هي الزوجة
تكون بجنبه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه وايما
رجل غلق بابه دون جاره مخافة على اهله وماله فليس جاره ذلك بمؤمن قالوا يا رسول الله ما حق الجار قال ان دعاك اجبته
وان اصابته فاقة عدت عليه وان استقرضك اقرضته وان اصابه خير هنأته وان مرض عدته وان اصابته مصيبة عزيته
وان مات شيعت جنازته ولا تستعلي عليه بالبنيان لتحجب عنه الريح الا باذنه ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها وان
اشتريت فاكهة فاهد له منها وان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج ولدك بها ليغيظ ولده وقال صلى الله عليه وسلم من آذى جاره
فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله قوله تعالى **وابن السبيل** قال مجاهد والربيع المسافر ومعناه صاحب الطريق
وقال قتادة والضحاك هو الضيف ينزل بك سمي ابن السبيل لانه كالمجتاز الذي لا يقيم والضيافة ثلثة ايام وما زاد صدقة
وقال الشافعي هو الذي يريد السفر ولا نفقة قوله تعالى **وما ملكت ايمانكم** يعني المماليك احسنوا اليهم ولا تكلفوهم
ما لا يطيقون قال صلى الله عليه وسلم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فانهم لحم ودم وخلق
امثالكم وقال انس كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته الصلوة وما ملكت ايمانكم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتغرغر بها في صدره وما يفيض بها لسانه قوله عز وجل **ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا** أي لا يرضى عمل
من يختال في مشيته ويفتخر على الناس بكبره وانما ذكر المختال في آخر هذه الآية لان المختال يأنف من ذوي قرابته اذا كانوا
فقراء ومن جيرانه اذا كانوا كذلك ولا يحسن عشرتهم قوله تعالى **الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم
الله من فضله** يجوز ان يكون اول هذه الآية في موضع نصب بدلا من قوله من كان ويحتمل ان يكون نصبا على الذم يعني
اعني الذين يبخلون ويحتمل ان يكون رفعا على الاستيناف على اضمار هم الذين يبخلون قال ابن عباس ومجاهد المراد
بالآية اليهود بخلوا بما كان عندهم من العلم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وامروا قومهم بالبخل وهو الكتمان ويقال كانوا
يقولون بين اخوانهم نصارى ويأمرون الناس بذلك وقال بعضهم الآية عامة في كل من يبخل بما اوتي من المال ويكتم ما اعطاه
الله من النعيم ولا يخرج زكوته قوله تعالى هذا يكون المراد بالكافرين في آخر الآية كافري النعم دون الكفار بالله فاما على التأويل الاول
فالمراد بالكافرين اليهود والبخل منع الواجب قرأ يحيى بن يعمر ومجاهد وحمزة والكسائي وخلف بالبخل بفتح الباء والخاء
وقرأ قتادة وايوب بفتح الباء وسكون الخاء وقرأ عيسى بضم الباء والخاء وقرأ الباقون بضم الباء وسكون الخاء وكذلك
في سورة الحديد وكلها لغة يجوز وقوعها الا ان اللغة الغالبة ضم الباء وسكون الخاء وفتح الباء والخاء لغة الانصار
قوله عز وجل **والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر** في محل النصب عطفا على
الذين يبخلون وان شئت جعلته خفضا عطفا على قوله واعتدنا للكافرين قال السدي نزلت هذه الآية في المنافقين
الذين يراؤون الناس في نفاقهم ولا يقصدون في الله وقيل المراد به كفار مكة انفقوا على الناس في تحزبهم

الى حزبه بعد قوله تعالى **ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا** اي من يعمل بما يدعوه اليه الشيطان و[قرنه] له تبين فيه ان الشيطان ان يغويه في الدنيا ويكون فيه تابعه في السلسلة في النار وقرينا نصب على التمييز وقيل على القطع اي بقطع الالف واللام قوله عز وجل **وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر** اي ما الذي لو صدقوا بالله واليوم الآخر وتصدقوا ايمانا ومما رزقهم الله من الاموال مما فرض عليهم من الصدقة **وكان الله بهم عليما** اي انهم لا يؤمنون وفي الآية بيان انهم انما اكفروا بالشؤم اختيارهم وذلك انه لا يقال لمن لم يقدر على الشيء ماذا عليك لو فعلت كذا قوله عز وجل **ان الله لا يظلم مثقال ذرة** اي لا ينقص من ثواب عمله زنة نملة حمراء صغيرة والمثقال مفعال من الثقل وهو ما يوزن به الشيء ومن ذلك سمي ما يوزن به الدينار مثقالا لانه يعادله في الثقل وقرأ عبد الله ان الله لا يظلم مثقال نملة والمعنى ان الله لا ينقص احدا من خلقه من ثواب عمله ذرة ولم يجازيه عليها ويثيبه بها وقال بعضهم الذر الهباء في الكوة فكل جزء منها ذرة قوله تعالى **وان تك حسنة يضاعفها** قراءة العامة حسنة بالنصب على معنى وان تك الفعلة حسنة• وقرأ اهل الحجاز بالرفع على معنى وان تقع حسنة او توجد حسنة قوله تعالى يضاعفها قرأ الحسن بالنون والباقون بالياء وهو الصحيح لقوله ويؤت من لدنه وقرأ ابو جعفر وابن كثير وابن عامر يضعفها بتشديد العين وهما لغتان وقال ابو عبيد يضاعفها يجعلها اضعافا كثيرة ويضعفها بالتشديد يجعلها ضعفين وقال الضحاك اراد بالحسنة التوبة ومن لم يكن له الا حسنة واحدة مقبولة غفر الله له وقيل معناه اذا زاد على سيئاته مثقال ذرة من الحسنة يضاعفه الله حتى يجعله مثل احد ويدخله الجنة ويعطيه من عنده الزيادة على ما يستحقه من اجر اعماله فذلك الاجر العظيم لا يعلم مقداره الا الله قوله تعالى **ويؤت من لدنه** اي من عنده اجرا عظيما وهو الجنة قوله عز وجل **فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد** معناه كيف يصنع الكفار وكيف يكون حالهم يوم القيامة اذا جئنا من كل جماعة بنبيها شهيدا عليهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء الذين بعثت اليهم **شهيدا** تشهد لمن صدق بالتصديق وعلى كل من كذب بالتكذيب قوله تعالى **يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض** معناه يوم وقوع الشهادة يتمنى الذين كفروا بالله وعصوا الرسول لو ان الارض تسوى بهم يمشي عليها اهل الجمع ويودون انهم لم يكتموا الله حديثا• وذلك حين يقول الله لاصحاب اليمين من اصحاب الشمال ويقول للوحوش والطيور والبهائم كونوا ترابا ويرى الكفار ذلك ويرون ما اكرم الله به المسلمين فيقول بعض الكفار لبعض هلموا نقول اذا سئلنا والله ربنا ما كنا مشركين فيقولون ذلك فيختم الله تعالى على افواههم وتأذن لجوارحهم في الكلام فتشهد عليهم عند ذلك يقولون يا ليتنا كنا ترابا ويتمنون انهم لم يكتموا الله حديثا لانهم كانوا كذبوا في قولهم ما كنا مشركين• وقال بعضهم معنى ولا يكتمون الله حديثا كلام مستأنف غير داخل في التمني ومعناه لا يقدرون على كتمان شيء مما عملوه لظهور ذلك عند الله اي لا ينفعهم كتمانهم وقال الكلبي يقول الله للبهائم والوحش والطير كونوا ترابا فتسوى بهم الارض فعند ذلك يتمنى الكافر ان يكون كذلك• وقال عطاء معناه يود الذين كفروا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا نعته قرأ اهل المدينة والشام تسوى بفتح التاء والتشديد على معنى تتسوى فادغمت التاء الثانية في السين• وقرأ اهل الكوفة الا عاصما بفتح التاء والتخفيف على حذف احدى التاءين مثل قوله لا تكلم نفس• وقرأ الباقون بضم التاء والتخفيف على المجهول اي لو سويت بهم الارض وصاروا هم والارض شيئا واحدا قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا** قال ابن عباس نزلت في جماعة من الصحابة كانوا يشربون الخمر قبل التحريم ياتون الصلوة مع النبي صلى الله عليه وسلم فيصلون معه فنهاهم الله تعالى عن ذلك وقيل الآية على هذا لا تقربوا مواضع الصلوة وهي المساجد وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وما يقرأ امامكم في الصلوة وسكارى جمع سكران وهذا خطاب لمن لم يبلغ به السكر الى حد لا يفهم الكلام كله لان الذي لا يفهم شيئا لا يصح ان يخاطب وكانوا بعد نزول هذه الآية يجتنبون السكر اوقات الصلوة حتى نزل تحريم الخمر في سورة المائدة• وقال مقاتل بن حيان نزلت في جماعة من الصحابة كانوا يشربون الخمر في دار عبد الرحمن بن عوف قبل التحريم فحضرت صلوة المغرب فقدموا رجلا يصلي بهم فقرأ قل يا ايها الكافرون وقال لا اعبد ما تعبدون وحذف لا

في جميع السورة فانزل الله هذه الآية فصلوا بعدها على هذا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون• وعن عمر رضي الله عنه انه قال لما نزلت هذه الآية اللهم ان الخمر تضر بالعقول وتذهب بالاموال فانزل الله فيها امرك فصبحهم الوحي بالآية التي في المائدة قوله تعالى **ولا جنبا** اي لا تقربوا مواضع الصلوة وانتم جنب حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مجتازين واذا لم يكن الماء الا في المسجد يتيمم الجنب ويدخل المسجد ويأخذ الماء ثم يخرج ويغتسل• وقال الشافعي يجوز للجنب العبور في المسجد بغير تيمم ولا يجوز له الاقامة فيه وقيل معنى الآية لا تصلوا وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين لا تجدون الماء فتيمموا وتصلوا هكذا روي عن علي كرم الله وجهه ومجاهد والحكم وانتصب قوله جنبا على الحال اي لا تقربوا الصلوة وانتم جنب قوله تعالى **وان كنتم مرضى او على سفر** اي اذا كنتم مرضى تخافون الضرر باستعمال الماء او كنتم مسافرين **او جاء احد منكم من الغائط** معناه وجاء احد منكم من الغائط والغائط هو المكان المطمئن من الارض يقال تغوط الرجل اذا دخل المكان المطمئن لقضاء الحاجة ويجعل هذا اللفظ كناية عن ذلك قوله تعالى **او لامستم النساء** قال علي وابن عباس رضي الله عنهما او جامعتم النساء وبه قال الحسن ومجاهد وقتادة وقال ابن مسعود وابن عمر والنخعي والشعبي اراد به اللمس باليد وكانوا يوجبون للجنب التيمم• واختلف العلماء في هذا فقال الشافعي اذا مس الرجل بدن المرأة ينتقض وضوؤه سواء كان باليد او بغيرها من الاعضاء وقال الاوزاعي ان مسها باليد ينتقض وان كان بغير اليد لم ينتقض وقال مالك واحمد بن حنبل والليث بن سعد ان كان اللمس بشهوة ينقض والا فلا• وقال ابو حنيفة وابو يوسف ان كان ملامسة فاحشة بحيث تنتشر مع التجرد ينقض والا فلا وقال محمد لا ينقض الملامسة بحال وهو قول ابن عباس والحسن البصري ودليل الشافعي ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الملامسة واللمس اكثر ما يستعمل في لمس اليد وحجة من لا يوجب الوضوء بالملامسة ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت انام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ورجلاي في قبلته فاذا سجد غمزني فقبضت رجلاي فاذا قام بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح• وعن عائشة رضي الله عنها ايضا قالت فقدت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعلت اطلبه بيدي فوقعت يدي على قدميه وهما منصوبتان وهو ساجد يقول اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك• فلما فرغ من الصلوة قال اتاك شيطانك قالوا فلمسته عائشة وهو في الصلوة فمضى فيها• وعن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل ازواجه ثم يصلي ولا يتوضى• ومذهب الشافعي في الملامسة على ثلثة اوجه لمس ينقض الوضوء مرة واحدة وهو لمس الشابة الاجنبية باي جزء من اجزائه ساهيا كان او متعمدا كان ناسيا او متنبها ولمس لا ينقض مرة واحدة وهو مس الشعر والظفر والسن ولمس فيه قولان وهو لمس الصغيرة والعجوز الكبيرة وذوات المحارم احدهما ينقض الوضوء لعموم حملة النساء والثاني لا ينقض لانه لا مدخل للشهوة فيهن ودليله ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو حامل امامة بنت زينب ابي العاص ولو كان اللمس بذي محرم ناقضا لا ينقض سواء كان الحامل ضعيفا او قويا وقال مالك لو كان رقيقا ينقض وقال الليث بن سعد ينقض سواء كان رقيقا او صفيقا• وفي الملموس للشافعي قولان احدهما ينقض كما في اللامس لوجود اللذة والثاني لا ينقض لخبر عائشة فوقعت يدي على اخمص رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل **فلم تجدوا ماء فتيمموا** اي اذا لم تقدروا على استعمال الماء وقد ذكرنا الوجود ويراد به القدرة على استعمال الماء وان كان بثمنه وثمن الماء يمنع او عدم لم يكن واجدا للماء في الحكم فتيمموا **صعيدا طيبا** اي فاقصدوا ترابا طاهرا ويقال ان الصعيد ما تصاعد على وجه الارض من التراب كان او صخرا لا تراب عليه لان الله تعالى قال فتصبح صعيدا زلقا واذا كان على الصخر تراب لا يلونه لقابلها الحجر وبه قال ابو حنيفة وتحل التيمم بكل ما كان من جنس الارض وقال مالك يجوز التيمم بالارض وبكل ما اتصل بها حتى لو ضرب يده على حجر ثم تيمم بها اجزاه• وقال الشافعي لا يجوز الا بالتراب الذي يعلق باليد والتيمم من خصائص هذه الامة وسبب نزول هذه الآية ما روي عن عائشة قالت كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في عقد لي فاستغربه من العقد فانقطع حتى اذا كنا بالبيداء فقدته فاحتبس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاناخ واناخ الناس معه واصبحوا بالتماسه فلم يكونوا في المنزل ليس عندهم ماء فجاء الناس الى ابي بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فعاتبني

ولا تحبها اليوم فلادة حبست المسلمين على غير ماء وقد حضرت الصلوة ثم طفق يطعن بيده على خاصرتي فما منعني من التحرك
إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي فأصبحا على غير ماء فأنزل الله هذه الآية ثم وجدنا
القلادة تحت البعير الذي كنت عليه فقال أسيد بن حضير ما هذا بأول بركتكم يا آل أبي بكر جزاك الله خيرا فوالله ما نزل
بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيرا قوله عز وجل فامسحوا بوجوهكم وأيديكم معناه بعد
الضرب بالأيدي على الصعيد الطيب قوله تعالى إن الله كان عفوا غفورا أي متفضلا عليكم بتسهيل الأمر وتخفيفها
لأنه نقلكم من الوضوء إلى التيمم عفوا متجاوزا عنكم يغفر لكم بهذه الطاعات المسهلة ذنوبكم روى جابر قال خرجنا في
سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة قالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء
فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه بذلك فقال قتلوه قتلهم الله هلا سألوا إذ لم يعلموا
إنما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم قوله عز وجل ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون
الضلالة قال ابن عباس هم اليهود كانوا يستبدلون الضلالة يأخذون الرشا بكتمان صفات النبي صلى الله عليه وسلم
يأخذون الرشوة على كتمانهم نعته يا أولوا العلم قوله تعالى ويريدون أن تضلوا السبيل أي يريدون أن تضلوا
أنتم طريق الهدى كما ضلوا هم بأنفسهم قوله تعالى والله أعلم بأعدائكم أي هو أعلم بهم يعلمكم ما هم عليه وكفى
بالله وليا أي أن عداوة اليهود لا تضر المسلمين إذ ضمن لهم النصر والولاية أي اكتفوا بولاية الله ونصرته من الخلق
أن تضلوا السبيل بفتح الضاد أي عن السبيل وقيل معنى والله أعلم بأعدائكم أي أعلم بهم منكم ولا تستنصحوهم وتحبون
أن يكون أعلم بمعنى عليم قوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه إن شئت جعلته متصلا بقوله الذين
أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وإن شئت جعلتها منقطعة مستأنفة قال ابن عباس كانوا يأتون رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيسألونه عن الأمر فيخبرهم ويرى أنهم كانوا يأخذون به فإذا انصرفوا من عنده حرفوا كلام رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويقولون له سمعنا قولك ويقولون وعصينا أمرك وقال بعضهم من الذين هادوا راجع إلى قوله والله
على جهة التبيين للأعداء كما يقال هذا الثوب من القطن قوله تعالى واسمع غير مسمع وراعنا معناه أنهم كانوا إذا
كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء قالوا اسمع ويقولون في أنفسهم لا أسمعت وقيل معناه غير مجاب إلى ما
تدعو إليه وكانوا يقولون راعنا يوهمون أنهم يريدون بهذا القول انظرنا حتى نكلمك بما نريد وكانوا يريدون
بذلك السب بالرعونة بلغتهم وكانوا يقولون هذه الكلمة على وجه التجبر والتكبر كما يقول المتكبر لغيره افهم كلامي
واسمع قولي وكانوا يقولون راعنا سمعك أي تفهم كلامنا وقيل هذا مما لا يخاطب به الأنبياء صلوات الله عليهم إنما يخاطبون
بالإجلال والإعظام قوله تعالى ليا بألسنتهم وطعنا في الدين أي كانوا يلوون ألسنتهم بالسب والتعيير والطعن
في الدين قوله تعالى ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا معناه لو قالوا سمعنا قولك وأطعنا أمرك مكان
قولهم سمعنا وعصينا لكان خيرا لهم وأقوم أي أصوب ولكن لعنهم الله بكفرهم أي خذلهم وأبعدهم من رحمته
مجازاة لكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا وقيل معناه لا يؤمنون إلا قليل منهم وهم عبد الله بن سلام وأصحابه
قوله عز وجل يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم أي يا أيها الذين أعطوا علم التوراة
صدقوا بهذا القرآن الذي نزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم موافقا لما معكم من التوراة من قبل أن نطمس وجوها أي
من قبل أن نمحو آثار الوجوه عنها بتخسيف العيون والأنف وغير ذلك من آثار الوجوه إلى الأقفية فتصير كالقفا يمشون القهقرى
روي أنه لما نزلت هذه الآية قدم عبد الله بن سلام من الشام فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتي أهله فقال
يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي في قفاي وقيل معنى فنردها على أدبارها نجعل وجوههم
على هيئة أقفائهم ونعني أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت أي نجعلهم قردة كما جعلنا أصحاب السبت وكان أمر الله
مفعولا قضاؤه كائنا لا شك فيه فإن قيل كيف قال الله تعالى آمنوا من قبل أن نطمس وجوها ولم يقع بهم طمس الوجوه
إن لم يؤمنوا قيل لم يؤمنوا ولم يقع طمس قيل يحتمل أن يكون هذا وعيدا لهم على ترك جميعهم الإسلام وقد آمن منهم جماعة

بعد هذه الآية كعبد الله بن سلام وعبد الله بن ثعلبة وأسيد بن ثعلبة وأسد بن عبيد وغيرهم ويحتمل أن يكون المراد
بالآية الطمس في الآخرة ويفعل الله ذلك بهم في الآخرة قوله عز وجل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء قال الكلبي نزلت في المشركين وحشي وابن حرب وأصحابه وقد كان جعل لوحشي إن هو قتل حمزة أن يعتقه
سيده فلم يوف بذلك فلما قدم مكة ندم هو وأصحابه على ما صنعوا من قتل حمزة فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا
قد ندمنا على ما صنعنا وإنه ليس يمنعنا عن الإسلام إلا أنا سمعناك تقول إذ كنت عندنا بمكة والذين لا يدعون مع الله إلها
آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد
فيه مهانا وقد دعونا مع الله إلها آخر وقتلنا النفس وزنينا ولولا هذه الآية لاتبعناك فنزل إلا من تاب وآمن وعمل
صالحا الآية • فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وحشي وأصحابه فلما قرأوها كتبوا إليه إن هذا شرط شديد
نخاف أن لا نعمل عملا صالحا ولا نكون من أهل هذه الآية فنزل قوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء فبعث بها إليهم فقالوا نخاف أن لا نكون من أهل المشيئة فنزل قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا
على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا فبعث بها إليهم فوجدوها أوسع مما كان قبلها فدخل
هو وأصحابه في الإسلام ورجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال صلى الله عليه وسلم لوحشي أخبرني
كيف قتلت حمزة فلما أخبره قال له ويحك غيب وجهك عني فلحق وحشي بالشام وكان فيها إلى أن مات قالوا وفي نطفه
الخمر قوله تعالى ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما أي ومن يشرك بالله سواه فقد اختلق على الله كذبا
عظيما غير مغفور له قوله عز وجل ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء قال ابن عباس نزلت هذه
في بحري بن عمرو ومرحب بن زيد أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهما طائفة من اليهود بأطفالهم فقالوا يا محمد هل على
أبنائنا هؤلاء من ذنب قال لا فقالوا والذي يحلف به ما نحن إلا مثلهم ما من ذنب نعمله بالنهار إلا كفر عنا بالليل وما من ذنب نعمله
بالليل إلا كفر عنا بالنهار فهؤلاء الذين يزكون أنفسهم بتزكيتهم من الذنوب بزعمهم أنهم أزكيا يقول الله تعالى بل الله
يزكي من يشاء أي يطهر من الذنوب من يشاء ويصلح من يشاء من كان أهلا لذلك قوله تعالى ولا يظلمون فتيلا أي
لا ينقصون من جزاء ما يستحقونه قدر الفتيل وهو ما تفتله بين أصابعك من الوسخ إذا مسحت إحداهما بالأخرى وقيل
الفتيل ما في بطن النواة في شقها من لحائها والنقير النقرة التي تكون في ظهر النواة والقطمير جملة ما التف عليها من لحائها قوله
عز وجل انظر كيف يفترون على الله الكذب أي انظر يا محمد كيف يختلق اليهود الكذب على الله وكفى بما يفعلون
دليلا قوله عز وجل ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت قرأ السلمي ألم تر ساكنة
الراء وكل القرآن كما قال الشاعر • من يهده الله يهتد وما مضل له • ومن أضل فما يهديه من هادي • قال ابن عباس كان كعب
الأشرف في سبعين راكبا من اليهود منهم حيي بن أخطب وجدي بن أخطب ومالك بن الصيف وغيرهم إلى أهل مكة ليحالفوهم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه قبل أجله فقال أبو سفيان يا معشر أهل الكتاب
إنكم أقرب للهدى نحن أم محمد وأصحابه فإنا نعمر مسجد الله ونسقي الحاج ونحجب الكعبة ونصل الرحم ومحمد قاطع الرحم فارق
دين آبائه شيخ الحجيج سنوا غفار ونحن أهديكم أم هم فقالت اليهود أنتم أهدى منهم فأنزل الله هذه ومعناها ألم ينته علمك يا محمد
إلى الذين أعطوا نصيبا من الكتاب أي علما بالتوراة وما فيها من نعت محمد وصفته يصدقون بالجبت والطاغوت قال ابن عباس
الجبت حيي بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف وقيل الجبت الكهنة والطاغوت الشياطين • وقيل الجبت والطاغوت
صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله وقيل الجبت الصنم والطاغوت من يترجم الصنم على لسانه وقال أهل اللغة كل
معبود سوى الله تعالى من حجر أو مدر أو صورة فهو جبت وطاغوت دليله قوله تعالى أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
وقوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وقال مجاهد الجبت السحر والطاغوت الشيطان يدل عليه قوله
تعالى والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان • وقال بعض المفسرين
لما خرج كعب بن الأشرف في يهود من معه إلى أهل مكة فعقد وتعهد إليه ليحالفوا قريشا على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مثواه ونزلت اليهود في دور قريش فقال أهل مكة إنكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكرا منكم فإن أردت أن نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل فذلك قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب لأهل مكة ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك ثم قال أبو سفيان لكعب إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأينا أهدى سبيلا وأقرب إلى الحق نحن أم محمد فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد فأنزل الله تعالى هذه الآية ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعبا وأصحابه يؤمنون بالجبت والطاغوت يعني الصنمين ويقولون للذين كفروا أي لأبي سفيان وأصحابه هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا قوله عز وجل **أولئك الذين لعنهم الله** أي أبعدهم الله من رحمته ومن يبعده الله من رحمته **فلن تجد له نصيرا** ناصرا قوله تعالى **أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا** أي ألهم نصيب من الملك والميم زائدة وهذا على جهة الإنكار أي ليس لهم من الملك شيء فإذا لا يؤتون الناس نقيرا يعني محمدا وأصحابه لا يعطيهم شيئا من حسدهم وبخلهم وبغضهم ورفع قوله يؤتون لا اعتراض بينه وبين إذا وفي قراءة عبد الله فإذا لا يؤتوا بالنصب ولم يبال بلا. وقال بعضهم معناه إن اليهود لو كان لهم نصيب من الملك ما أعطوا الناس مقدار النقير وهو النقطة التي تكون في ظهر النواة. قوله عز وجل **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله** أي بل يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما أعطاه الله من النبوة وقيل ما أحل الله له من النساء وقالوا لو كان نبيا لشغلته النبوة عن النساء. وقال قتادة أراد بالناس العرب حسدوهم على النبوة أكرمهم الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه أراد بالناس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما قوله تعالى **فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة** أي لما قالت اليهود لو كان محمد نبيا ما رغب في كثرة النساء ... في كثرة نسائه وعابوه بذلك فأكذبهم الله بقوله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة أراد بالحكمة النبوة **وآتيناهم ملكا عظيما** قال ابن عباس في ملك سليمان بن داود وكان لسليمان ألف امرأة ثلاثمائة مهرية وسبعمائة سرية وكان لداود مائة امرأة فأقرت اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ألف امرأة عند رجل ومائة امرأة عند رجل أكثر من تسع نسوة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكتوا قال الله تعالى **فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه** معناه من اليهود من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم عبد الله بن سلام وأصحابه ومنهم من أعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه من آمن بهذا الخبر عن داود وسليمان ومنهم من كذب به **وكفى بجهنم سعيرا** أي وقودا لمن كفر به أي إن صرف الله عن اليهود بعض العذاب في الدنيا مثل القحط وغيره فقد أعد لهم عذاب جهنم في الآخرة قوله عز وجل **إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا** أي إن الذين كفروا وجحدوا القرآن سوف ندخلهم نارا وقرأ حميد بن قيس نصليهم بفتح النون أي نشويهم من قولهم شاة مصلية أي مشوية ونصب نارا بنزع الخافض على هذه القراءة تقديره بنار قوله تعالى **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها** أي كلما احترقت جلودهم جددناهم جلودا غيرها بيضا كالقراطيس وذلك أنها تحترق احتراقا حتى ... عليهم النار ساعة ثم ... سعير وبدلوا خلقا جديدا فيهم الروح ثم عادت النار بحرقهم فهذا دأبهم أبدا وذلك قال الحسن تنضج جلودهم كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم النار وأنضجتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وعن مجاهد قال ما بين جلده ولحمه دود لها جلبة كجلبة حمر الوحش. وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا وضرسه مثل أحد فإن قيل كيف جاز أن يعذب الله جلدا لم يعصه قيل إن العاصي والمعذب الجلد لأن الجلود إنما هي آلة لإيصال العذاب إليهم بدليل على أن القصد تعذيب الأنفس لا تعذيب الجلد قوله تعالى **ليذوقوا العذاب** ولم يقل ليذوق الجلود وقيل معناه نبدل الجلود هي تلك الجلود المحرقة وذلك أنه عبر عن ... بإعادتها وعن تبديل صفاتها بالتبديل ... كقولك للشيء عن النهار والذكر عن الأنثى والثاني قولك لصائغ صغ هذا الخاتم خاتما غيره فيكسره ويصوغ لك منه خاتما والخاتم المصوغ هو الأول إلا أن الصياغة قد تغيرت والفضة واحدة وقال ... كالجلد المحترق فإذا أنبت كذلك تبدل بعد النضج وقال السدي تبدل من لحم الكافر يعاد الجلد لحما ويخرج من اللحم جلدا

آخر لأنه جلد لم يعمل خطيئة قوله تعالى **إن الله كان عزيزا حكيما** أي غالبا في أمره لا يملك أحد منعه من إنزال العذاب وغيره ذو حكمة فيما حكم من النار للكفار قوله عز وجل **والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات** أي بساتين **تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة** في الخلق والخلق **وندخلهم ظلا ظليلا** أي ظلا دائما وهو ظل الأشجار والقصور لا حر معه ولا برد وليس كل ظل يكون ظليلا وقيل الظليل الكثيف الذي لا تنسخه الشمس قوله تعالى **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة أتى البيت ليدخله فقال أين المفتاح فقيل هو مع عثمان بن طلحة من عبد الدار وكان سادن الكعبة فأرسل إليه فقال له هات المفتاح فأبى فلوى علي رضي الله عنه يده وأخذ منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج قال له عمه العباس بأبي أنت وأمي اجعل لي السدانة مع السقاية يعني اجعل لي مفتاح البيت فأنزل الله تعالى هذه الآية إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه أن يرد المفتاح إلى عثمان بن طلحة فرده عليه فقال عثمان أنا أشهد أن محمدا رسول الله وأسلم فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم ما دام هذا البيت أو اللبنة من لبناته قائمة فإن المفتاح في ولد عثمان بن طلحة وروي أنه لما طلب المفتاح من عثمان فقال صلى الله عليه وسلم يا عثمان إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فهات المفتاح فقال هاك يا رسول خذه بأمانة الله فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المفتاح ففتح الباب ودخل البيت ما شاء الله فلما خرج نزل جبريل عليه السلام ... وقد ... حمله الأمانة قوله تعالى **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** خطاب للأئمة أي ويأمركم الله أن تحكموا بين الناس بالحق **إن الله نعما يعظكم به** أي نعم الذي يأمركم الله به من أداء الأمانة والحكم بالحق **إن الله كان سميعا** لمقالة العباس **بصيرا** بأمانة عثمان قوله تعالى **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** فيما أمر وأطيعوا الرسول فيما بين وقيل أطيعوا الله في الفرائض وأطيعوا الرسول في السنن قوله تعالى **وأولي الأمر منكم** قال عكرمة هو أبو بكر وعمر لقوله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر إن لي وزيرين في أهل السماء ووزيرين في أهل الأرض ففي السماء جبريل وميكائيل وفي الأرض أبو بكر وعمر عندي بمنزلة الرأس من الجسد وقال الكلبي وهو أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. وقال عطاء هم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان لقوله تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان الآية. وقيل هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم. وقال جابر بن عبد الله والحسن والضحاك ومجاهد هم الفقهاء والعلماء أهل الدين والفضل الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فأوجب الله على العباد طاعتهم. وقال ابن عباس وليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وقال أبو هريرة هم ولاة المسلمين وقال الكلبي ومقاتل هم أمراء السرايا كان صلى الله عليه وسلم إذا بعث السرايا أمر عليهم رجلا وأمرهم أن يطيعوه ولا يخالفوه ولا ... وقيل إن المراد بهم العلماء لقوله تعالى فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول أي فإن اختلفتم في شيء من الحلال والحرام والشرائع والأحكام فردوه إلى أدلة الله وأدلة رسوله وهذا الرد لا يكون إلا بالاستدلال والاستخراج بالقياس لأن الحكم في نص الكتاب إذا علم وعمل به لا يوصف بأنه رد إلى الكتاب إنما يقال هو اتباع النص وعن العلماء يعلمون كيفية الرد إلى الكتاب والسنة ودلائل الأحكام الجواب وفي قوله **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** دليل أن الإيمان اتباع الكتاب والسنة والإجماع قوله تعالى **ذلك خير وأحسن تأويلا** أي ردكم الاختلاف إلى الله والرسول خير من التمادي على الاختلاف وأحسن عاقبة لكم وقيل أحسن تأويلا وتلك الذي يئول به من غير رد ذلك إلى الكتاب والسنة وعن عمر رضي الله عنه أنه قال الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل قوله عز وجل **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك الآية** قال الكلبي نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي انطلق بنا إلى محمد لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة ولا يجور في الحكم وقال المنافق بل

إلى كعب بن الأشرف وهو الذي سماه الله الطاغوت فأبى اليهودي أن يخاصمه إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا إلى عمر رضي الله عنه فأقبلا إلى عمر رضي الله عنه فقال اليهودي يا عمر اختصمت أنا وهذا إلى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه مخاصمي إليك فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم قال رويدكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج إليهما فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله وهرب اليهودي فنزلت الآية وقال جبريل إن عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق ومعنى الآية ألم تر يا محمد إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بالقرآن وما الكتاب الذي أنزل من قبلك وهم المنافقون يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت يعني كعب بن الأشرف وقد أمروا في كتاب الله أن يكفروا بالطاغوت ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا عن الحق قوله تعالى **وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا** قال ابن عباس اختصم الزبير بن العوام وثعلبة بن حاطب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أمر بينهما فقضى للزبير فخرجا من عنده فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال ثعلبة قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضيه بينهم وايم الله لقد أذنبنا في زمان موسى عليه السلام فقال لنا اقتلوا أنفسكم فقتلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفا في طاعة الله حتى رضي عنا فأنزل الله تعالى في شأن ثعلبة ولية شدقه وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول أي هلموا إلى التحاكم إلى أوامر الله في كتابه وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم رأيت المنافقين يعرضون عن حكمك قوله عز وجل **فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم** أي كيف يكون حالهم من ندم وحزن إذا أصابتهم مصيبة بقتل عمر لصاحبهم وظهور نفاقهم بما فعلوا من رد حكم النبي صلى الله عليه وسلم ولجأوا إلى الذي ثم جاؤك يعتذرون يحلفون بالله ما أردنا إلا إحسانا إلا بعد الاشتغال بخصومة وتوفيقا بين الخصوم بالتقارب في التوسط دون الحمل على مر الحق قال الله تعالى **أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم** من النفاق فأعرض عن عقوبتهم في الدنيا وقيل أعرض عن قبول عذرهم وعظهم مع ذلك باللسان وأعلمهم أن عادوا إلى رد حكمك يحل بهم العقوبة والقتل والقول البليغ أن يبلغ صاحبه بعبارته كنه ما في قلبه قوله عز وجل **وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله** أي ليطاع ذلك الرسول بأمر الله **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم** بتحاكمهم إلى الطاغوت جاؤوك أيها الرسول **فاستغفروا الله** وتابوا إليه **واستغفر لهم الرسول** عند ربهم لوجدوا الله توابا على التوبة رحيما بهم بعد التوبة قوله تعالى **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم** أي لا يكونوا مؤمنين عند الله حتى يحكموك فيما وقع من الاختلاف بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت أي ضيقا في صدورهم مما قضيت وقيل لا يجدوا شكا في حكمك ويسلموا تسليما أي ينقادوا لحكمك انقيادا والمشاجرة هي المخاصمة مأخوذة من الشجر شبهها بالخصومة في دخول بعض الكلام في بعض كالأشجار التفاف بعضها على بعض قوله عز وجل **ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم** نزلت في ثابت بن قيس بن شماس قال أما والله إن الله ليعلم مني الصدق لو أمرني محمد صلى الله عليه وسلم أن أقتل نفسي لقتلت نفسي وكان ثابت من القليل الذين استثناهم الله تعالى في الآية ومعنى الآية لو أنا فرضنا عليهم كما فرضنا على بني إسرائيل أن اقتلوا أنفسكم وأمرناهم أن يخرجوا من ديارهم لشق ذلك عليهم فلم يفعله إلا قليل منهم ورفع القليل على البدل من الواو والمعنى ما فعله إلا قليل منهم وقرأ أبي بن كعب وابن عامر إلا قليلا منهم بالنصب على معنى استثنى قليلا منهم قوله تعالى **ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به** أي لو فعل المنافقون ما يؤمرون به من الرضا بحكمك لكان خيرا لهم من التحاكم إلى غيرك وأشد تثبيتا لقلوبهم على الصواب لأن الحق ثابت والباطل يذهب قوله تعالى **وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما** أي إذ لو فعلوا ما أمرنا به لأعطيناهم من عندنا ثوابا جزيلا في الجنة ولهديناهم صراطا مستقيما أي إلى طريق مستقيم

وقيل معناه لهديناهم في الآخرة إلى طريق الجنة قوله عز وجل **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين** نزلت في ثوبان مولى النبي صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه فقال له صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك هناك لأنك ترفع مع النبيين وإني إذا دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك وإن لم أدخل الجنة فذاك حين لا أراك أبدا فأنزل الله هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين ومعنى الآية ومن يطع الله في الفرائض والرسول في السنن فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين وهم أفاضل الصحابة والشهداء هم الذين استشهدوا في سبيل الله **والصالحين** وهم الذين استوت أحوالهم وحسن عملهم والصالح هو المتقي من حسن عمله وقال عكرمة النبيون هاهنا محمد صلى الله عليه وسلم والصديقون أبو بكر والشهداء عمر وعثمان وعلي والصالحون سائر الصحابة فإن قيل كيف يكون المطيعون لله ورسوله مع النبيين ودرجتهم في أعلا عليين قيل إن الأنبياء وإن كانوا في أعلا عليين فإن غيرهم من المؤمنين يرونهم ويزورونهم ويستمتعون برؤيتهم فصلح أن يقال إنهم معهم قوله تعالى **وحسن أولئك رفيقا** أي حسن الأنبياء ومن معهم رفقاء في الجنة أي ما أحسن من يعيشهم فيها فذكر الرفيق بلفظ التوحيد لأنه نصب على التمييز كما في قوله تعالى فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا ويجوز أن يكون معناه حسن كل واحد من أولئك رفيقا كما قال تعالى ثم يخرجكم طفلا ولم يقل أطفالا قوله تعالى **ذلك الفضل من الله** أي ذلك التفضيل من الله على المطيعين **وكفى بالله عليما** بهم وبأعمالهم ومجازاتهم بما يستحقونه من ثواب وكرامة قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم** أي عدتكم وآلتكم من السلاح والحذر والحذر واحد فانفروا ثبات أي اخرجوا جماعات سرية بعد سرية كما أمركم النبي صلى الله عليه وسلم في جهاد عدوكم أو انفروا جميعا أي اخرجوا كلكم جميعا مع النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد الخروج والثبات الجماعات في تفرقة واحدها ثبة أي انفروا جماعة جماعة ويجوز أن يكون معنى الحذر الحذر واستدل أهل القدر بهذه الآية فقالوا لولا أن الحذر ينفع ويمنع عنكم مكائد العدو لما أمر الله تعالى به وأجيب بأن الله أمرهم بالحذر لتطمئن قلوبهم لا أنه يدفع القدر فإن القدر نافذ وهذا تعبد من الله تعالى ليطمئنوا به ولا يدخل عليهم الخوف وفي الآية دليل على أن الحذر لا يغني من القدر شيئا قوله تعالى **وإن منكم لمن ليبطئن** أي من يظهر الإيمان ليتثاقلن عن الجهاد ويثقل غيره وهم عبد الله بن أبي وأصحابه من المنافقين الذين كانوا يشاركون المسلمين في إظهار الإسلام كانوا يثبطون هؤلاء المسلمين وهم منهم يتثاقلون عن العمل ابتغاء المدة قوله تعالى **فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا** أي فإن أصابتكم نكبة أو هزيمة أو قتل قال هذا المبطئ قد من الله علي إذ لم أكن حاضرا في تلك الغزوة فيصيبني مثل الذي أصابهم قوله تعالى **ولئن أصابكم فضل من الله** أي وإن أصابكم أيها المؤمنون ظفر وغنيمة ليقولن هذا المبطئ نادما يا ليتني كنت معهم في الغزوة فأصيب حظا وافرا من الغنيمة قوله تعالى **كأن لم يكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما** قال بعضهم هو معترض بين التمني وما قبله تقديره ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما كأن لم يكن بينكم وبينه مودة أي يتمنى أن ينال ما لا من غير أن يرغب في الجهاد وقيل هو متصل بقوله قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا كأن لم يكن بينكم وبينه مودة أي صلة في الدين ومعرفة في الصحبة كأنه لم يعاقدكم قبل أن يجاهد معكم ثم أمر الله تعالى كل من عقد عقد الإيمان بالقتال فقال عز وجل **فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة** أي فليقاتل في طاعة الله ومرضاته الذين يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة وهم المؤمنون وقيل معناه الخطاب للمبطئين ومعنى يشرون يختارون الحياة الدنيا على الآخرة وهذا اللفظ من الأضداد يقال شريت بمعنى بعت وشريت بمعنى اشتريت فيكون معنى الآية على هذا اشتروا ثم قال تعالى لا يجوز أن يكون كافرا فلا بد من تقديم الإيمان ثم ذكر الله فضل المجاهدين فقال **ومن يقاتل في سبيل الله** أي في الجهاد الذي هو طاعة الله تعالى

فيقتل هو أو يغلب العدو فسوف نعطيه في كلا الوجهين ثوابا وافرا في الجنة وسماه الله تعالى الثواب عظيما لأنه
تعالى ثابر العبد بأعلا الأثمان وقد يكون من الشيء مثله ويكون دخل من الإيمان قوله عز وجل وما لكم لا
تقاتلون في سبيل الله معناه أي شيء لكم أيها المؤمنون في ترك الجهاد مع اجتماع أسباب الموجبة للحرص عليه وقوله
تعالى لا تقاتلون في موضع نصب على الحال كأنه قال وما لكم تاركين للجهاد كما قال تعالى في آية أخرى فما لهم عن التذكرة
معرضين وقوله تعالى والمستضعفين في موضع خفض بإضمار في ومعناه وفي نصرة المستضعفين أي وفي نصرة المستضعفين
ويجوز أن يكون معناه عن المستضعفين أي لكم عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين هم بمكة يلقون
فيها أذى كثيرا وهم سلمة بن هشام والوليد بن الوليد وعياش بن أبي ربيعة وغيرهم كانوا أسلموا بمكة فأراد عشائرهم من
أهل مكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم أن يفتنوهم عن الإسلام يقول الله تعالى ما لكم لا تقاتلون المشركين في
هؤلاء الضعفاء الذين يسألون الله ويقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أي خلصنا من هذه القرية يعني
مكة الظالم أي الكافر أهلها واجعل لنا من لدنك وليا أي من عندك حافظا يحفظنا من أذاهم واجعل لنا من
لدنك نصيرا أي مانعا يمنعنا منهم فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم حافظا وناصرا فتح مكة
على يديه واستعمل عليهم عتاب بن أسيد فكان عتاب ينصف الضعيف من الشديد قوله عز وجل الذين آمنوا يقاتلون في
سبيل الله معناه الذين آمنوا بمحمد يقاتلون في طاعة الله بأمر الله والذين كفروا أبو سفيان وأصحابه يقاتلون
في طاعة الشيطان فقاتلوا أيها المؤمنون أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا أي وسوسته إلى أوليائه
الظفر يكون لهم كيد ضعيف وإنما أدخل على هذا اللفظ كان ليبين أن صفة الضعف لازمة له وإن كان ضعيفا لم يزل
أولياءه لا حجة لهم يوم بدر حيث قال لهم إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون قوله عز وجل ألم تر إلى الذين قيل لهم
كفوا أيديكم وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة قال ابن عباس وقتادة والحسن والكلبي نزلت في جماعة
من الصحابة منهم عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والمقداد وغيرهم كانوا يلقون من المشركين
أذى كثيرا قبل أن يهاجروا إلى المدينة فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله ائذن لنا
في قتالهم فإنهم قد آذونا فقال صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فإني لم أومر بقتالهم وأقيموا الصلوة وآتوا
الزكوة أموالكم فلما خرجوا إلى المدينة وأمرهم الله تعالى بالقتال وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير إلى بدر
كره بعضهم وشق ذلك عليهم فنزلت هذه الآية فلما كتب عليهم القتال بالمدينة أي فرض إذا فريق منهم يخشون الناس يعني
مشركي مكة كخشية الله أو أشد خشية وقيل معناه وأشد خشية كقوله مائة ألف أو يزيدون قوله تعالى
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال أي لم فرضت علينا القتال أي الجهاد لولا أخرتنا إلى أجل قريب يعني الموت يعني
هلا تركتنا حتى نموت بآجالنا وقال الحسن لم يقولوا هذا كراهية لأمر الله ولكن لدخول الخوف عليهم من ذلك وقال بعضهم نزلت
في المنافقين لأن قولهم لم كتبت علينا القتال لا يليق بالمؤمنين وكذلك الخشية من غير الله وقيل نزلت في قوم من المؤمنين لم
يكونوا راسخين في العلم قالوا هذا القول لأنهم ركنوا إلى الدنيا وآثروا نعيمها على القتال قوله تعالى قل متاع الدنيا
قليل أي قل لهم يا محمد منفعة الدنيا يسير وينقطع وتفنى والاستمتاع بها قليل لأن الجديد منها إلى البلاء والشباب
منها إلى الهرم والمال نقصان قوله تعالى والآخرة خير لمن اتقى أي وثواب الآخرة خير أفضل لمن اتقى
ولا تظلمون فتيلا أي ولا تنقصون من جزاء أعمالهم الذي استحقوه مقدار الفتيل وقد تقدم تفسير الفتيل قوله تعالى
أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة أي أينما تكونوا يا معشر المؤمنين والمنافقين في بر وبحر وسفر وحضر
يلحقكم الموت وإن كنتم في حصون محصنة من حديد أو غيره مرتفعة إلى عنان السماء والمعنى أنكم وإن سوفتم وأخرتم
ترك القتال فإن آجالكم موت لا تنجون منه وقال عكرمة حتى مشيدة محصصة وقال العتبي مطولة قوله تعالى
وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله هذا حكاية عن قول المنافقين واليهود كانوا يقولون ما زلنا نعرف النقص
في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل علينا يعنون النبي صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة فقال الله وإن تصبهم

حسنة يقولوا هذه من عند الله أي إن تصبهم خصب ورخص سعر وتتابع أمطار يقولوا هذه من فضل الله وإن تصبهم قحط
وجدوبة وغلاء سعر يقولوا هذه من شؤم محمد وأصحابه يقول الله تعالى قل كل من عند الله أي قل لهم
يا محمد الحسنة والسيئة كلها بقضاء الله وتقديره فما لهؤلاء القوم اليهود والمنافقين لا يفقهون حديثا عن
الله والفقه هو الفهم أخص من الفهم ... وقال الحسن أراد بالحسنة في هذه الآية الظفر والغنيمة وبالسيئة
القتل والهزيمة وكانوا إذا غلبوا قالوا هذه من عند الله وإذا غلبهم العدو قالوا هذه من خطأ رأيك وتدبيرك قوله
تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك واختلف المفسرون في المخاطب بهذه
الآية قال بعضهم هو النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بها عامة الناس وقال قتادة المخاطب بها الإنسان كأنه
قال ما أصابك أيها الإنسان من حسنة أي من خصب ورخص سعر وفتح وغنيمة فالله هذا كله وأعانك عليه وبفضله وما
أصابك من قحط وجدوبة وهزيمة ونكبة وكل ما تكرهه فإنما أصابك ذلك بما اكتسبت يداك بقضاء الله وتقديره كما قال تعالى
وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة
قدم إلا بذنب وما يعفو الله أكثر وقال بعض المفسرين في هذه الآية وفي التي قبلها إضمار تقديره فما لهؤلاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك لأنه يستحيل بأمر الله
تعالى أن يضيف الحسنة والسيئة إلى أمره وقضائه في آية ثم يفرق بينهما بعد أن عاب الفرقة في الأولى
فكيف يجوز أن يذم على الجمع في الآية الثانية ومثل هذا الإضمار كثير في القرآن وقرأ في الشواذ بنصب الميم فمن نفسك أي لكل
من الله فمن أنت من نفسك حتى يضاف إليك شيء غير أن القراءة سنة متبعة ولا تعرف إلا بما يصح به الرواية وحاصل المعنى على
قراءة العامة أي ما أصابك من خير ونعمة فمن الله وما أصابك من نكبة أي شيء تكرهه فمن نفسك أي بذنوبك وأنا الذي
قدرتها عليك وقال الضحاك ما حفظ الرجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب ثم قرأ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم قال
فنسيان القرآن من أعظم المصائب قوله تعالى وأرسلناك للناس رسولا أي ومن نعم الله عليك أن أرسلك رسولا
إليهم وكفى بالله شهيدا على أنك رسول صادق يشهد لك بالرسالة والصدق وقيل يشهد على مقالة القوم أن الحسنة من
الله والسيئة من عندك وقيل معناه يشهد أن الحسنة والسيئة كلها من الله قوله عز وجل من يطع الرسول فقد أطاع
الله أي من يطع الرسول فيما أمره ونهاه فقد أطاع الله لأن الرسول إنما يأمر بما أمر به من عند الله ومن تولى
أي أعرض عن طاعته فما أرسلناك عليهم حفيظا أي ليس عليك إلا البلاغ وما أرسلناك عليهم مسلطا تجبرهم على
الإيمان والطاعة وتمنعهم عن الكفر والمعصية فإنك مبلغ وأنا العالم بسرائرهم وهذه الكلمة من آخر الآية منسوخة بآية
السيف قوله تعالى ويقولون طاعة معناه أن المنافقين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم أمرك طاعة وقولك
متبع فإذا خرجوا من عندك يا محمد غير جماعة منهم الأمر الذي أمرتهم به على وجه التكذيب يقال كل أمر قضي بالليل
قد بيت به والمراد يقال بيت لأن كل ما بيت غير حقيقي يجوز تغييره بلفظ الذكر وقيل معناه قدروا ليلا غير ما أعطوا
نهارا قوله تعالى والله يكتب ما يبيتون أي يحفظ عليهم ما يغيرون من أمرك وقيل ما يسرون من النفاق
قوله تعالى فأعرض عنهم أي لا تعاقبهم يا محمد واستر عليهم إلى أن يستقيم أمر الإسلام وتوكل على الله أي ثق
بالله وفوض أمرك إليه وكفى بالله وكيلا أي حافظا والوكيل هو القائم بما فوض إليه من التدبير قوله عز وجل أفلا
يتدبرون القرآن أي أفلا يتفكرون فيه أنه يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وأن أحدا من الخلائق لا يقدر على
مثله فيعلمون أنه حق ويعلمون أنه من عند الله إذ لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا أي تفاوتا وتناقضا وبعضه
يبطل بعضه متناقضا قوله تعالى وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به يعني المنافقين كانوا إذا أتاهم
خبر من السرايا الذين يبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفر ودولة وغنيمة إذا أتاهم عنهم خبر بلية أو هزيمة أفشوا
ذلك الخبر في الجموع قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحدث بخبر الظفر من يبتغي أن يحدث من الكفار وهو
يحرك الهزيمة في المسلمين قلب من كان يبتغي نكبة المسلمين منهم فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعناها إذا جاء المنافقين أمر

من الأمن يعني الغنيمة والفتح أو الخوف أي الهزيمة والقتل أذاعوا به أي أشاعوه وأفشوه **ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم** أي لو سكتوا به ولم يفشوه حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يتحدث به والمعنى لو تركوا أمر السرايا والعسكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر من المؤمنين وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وكبار الصحابة حتى يكونوا هم الذين يفشونه لعلمه الذين يطلبون الخبر ويستخرجونه من النبي صلى الله عليه وسلم وأكابر الصحابة أن ذلك الخبر صحيح أم فاسد وقال الكلبي لعلمه الذين يستنبطونه أي يتبعونه وقال عكرمة يسألون عنه أي لو تركوا إذاعته حتى يتحدث به النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه الذين يسألون عنه وقال القتبي لعلمه الذين يستخرجونه يقال استنبطت الماء إذا أخرجته قوله تعالى **يستنبطونه منهم** يعني الذين يستخبرون عن العلم قوله تعالى **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** أي لولا ما أنزل الله عليكم من القرآن وبين لكم الآيات على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم **لاتبعتم الشيطان إلا قليلا** أي كان قليل منكم نجى من الكفر والمراد بالفضل هاهنا النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل في الآية تقديم وتأخير معناه أذاعوا به إلا قليلا من الخبر لم يذيعوه أو إلا قليلا من المنافقين لم يذيعوه قوله تعالى **فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك** وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما التقى هو وأبو سفيان يوم أحد وكان من أمرهم ما كان ورجع أبو سفيان إلى مكة وواعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم الميعاد قال للناس اخرجوا إلى العدو فكرهوا ذلك كراهة شديدة أو بعضهم فأنزل الله هذه الآية فقاتل في سبيل الله أي لا تدع جهاد العدو ولو وحدك وقيل معناه لا تؤاخذ بفعل غيرك وإنما تؤاخذ بفعل نفسك وليس عليك ذنب غيرك **وحرض المؤمنين** أيضا على القتال لعل الله أن يكف قتال الكفار وعسى من الله واجب لأنه في اللغة الإطماع وإطماع الكريم لا يكون إلا تحقيقا والفاء في قوله فقاتل جواب عن قوله ومن يقاتل في سبيل الله **فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما** فقاتل وحرض المؤمنين على القتال أي حرضهم على القتال ورغبهم فيه فتثاقلوا ولم يخرجوا معه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا حتى أتى موسم بدر الصغرى وكفاهم الله تعالى بأس العدو ولم يوافهم أبو سفيان ولم يكن قتال يومئذ ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فذلك قوله تعالى عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا أي قتال المشركين وصولتهم والله أشد بأسا أي صولة وأعظم سلطانا وأشد تنكيلا أي عقوبة قوله عز وجل **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها** أي من يطلب من شيء يكن له أجر وثواب من ذلك الإصلاح ومن يمشي بالغيبة والنميمة يكن له حظ من وزرها وعقوبتها هكذا روي عن ابن عباس • وقيل معناه من يأمر بالتوحيد يكن له أجر من ذلك ومن يأمر بالشرك يكن له وزر من ذلك ويقال الشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنين والشفاعة السيئة الدعاء عليهم فإن اليهود كانوا يدعون على المؤمنين فذمهم الله بذلك قوله تعالى **كفل منها** قال ابن عباس وقتادة الكفل الإثم والوزر وقال الفراء وأبو عبيدة الكفل الحظ والنصيب قوله تعالى **وكان الله على كل شيء مقيتا** قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مقيتا أي مقتدرا مجازيا بالحسنة الحسنة قال الشاعر • وذي ضغن كففت النفس عنه • وكنت على مساءته مقيتا • أي مقتدرا • وقال الزجاج المقيت الحفيظ قال الشاعر • ألي الفضل أم علي إذا حوسبت • إني على الحساب مقيت • وقال مجاهد المقيت الشاهد وقال الفراء المقيت الذي يعطي كل إنسان قوته وجاء في الحديث كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت ويقيت قوله عز وجل **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** قال ابن عباس يريد بالتحية السلام أي إذا سلم عليكم أحد فأجيبوا بتحية أحسن منها وهو أن تزيدوا في التحية فتقولوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ويحيى بذلك المسلم عليه والملكين الحافظين معه بأبلغ التحية قوله تعالى أو ردوها وأجيبوا مثل الذي سلم عليكم • وقال بعضهم وإذا حييتم بتحية أي إذا أهدي إليكم هدية فكافئوا بأفضل منها أو مثلها لأن التحية في اللغة الملك وكانوا يقولون قبل الإسلام حياك الله أي ملكك الله ثم أبدلوا هذا اللفظ بالسلام بعد الإسلام وأقيم السلام مقام قولهم حياك الله قوله تعالى **إن الله كان على كل شيء حسيبا** أي مجازيا يعطي كل شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه أي يكفيه يقال أحسبك هذا أي كفاك ومنه قوله تعالى عطاء حسابا قوله تعالى **الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه** أي

لا إله في الأرض ولا في السماء غيره واللام في ليجمعنكم إلى يوم القيامة لام القسم كأنه قال والله ليجمعنكم في الموت وفي قبوركم إلى يوم القيامة لا ريب فيه أي لا شك أنه كائن لا محالة قوله تعالى **ومن أصدق من الله حديثا** استفهام بمعنى النفي ليس أحد أوفى من الله تعالى وعدا ولا أصدق منه قولا ولا صادق إلا ويجوز خبره على خلاف مخبره في بعض الأوقات إلا الله عز وجل ومن أصدق من الله حديثا قوله عز وجل **فما لكم في المنافقين فئتين** قال ابن هشام هاجر أناس من المشركين فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأسلموا ثم ندموا على ذلك وأرادوا الرجعة فقال بعضهم لبعض كيف نخرج قالوا نخرج كهيئة المتنزهين فقالوا للمسلمين إنا قد اجتوينا المدينة فنخرج ونتنزه أي نتفسح فصدقوهم فخرجوا فجعلوا يتباعدون قليلا قليلا حتى تباعدوا ثم أسرعوا في السير إلى مكة حتى لحقوا بها وكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا على ما فارقناكم عليه من التصديق ولكنا اشتقنا أرضنا واجتوينا المدينة ثم إنهم أرادوا أن يخرجوا إلى الشام واستبضعهم أهل مكة وقالوا أنتم على دين محمد فإن لقيكم فلا بأس عليكم منهم فخرجوا من مكة متوجهين إلى الشام فبلغ ذلك المسلمين فقالت طائفة منهم ما منعنا أن نخرج إلى هؤلاء الذين رغبوا عن ديننا وتركوا هجرتنا فنقتلهم ونأخذ ما معهم وقالت طائفة كيف تقتلون قوما على دينكم وكان هذا بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهى الفريقين فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي بعدها فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهم ومعناها فما لكم في هؤلاء المنافقين حتى صرتم في أمرهم فريقين من يحل دماءهم ومن يحرمها والله أركسهم بما كسبوا أي ردهم إلى كفرهم وضلالتهم بما كسبوا من أعمالهم الخبيثة ونفاقهم وخبث نياتهم وانتصاب فئتين على الحال تقول ما لك قائما أي لم قمت في هذه الحالة قائما وقيل على [illegible] قوله تعالى **أتريدون أن تهدوا من أضل الله** أي تريدون يا معشر المخلصين أن ترشدوا من خذله الله عن دينه وحجته وقيل معناه أتقولون أن هؤلاء مهتدون **ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا** أي لن تجد له هاديا وقيل لن تجد له طريقا إلى الهدى ومن أعند الله وأي والله نكسهم بالتشديد قوله عز وجل **ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء** أي تمنى المنافقون والكفار أن تكفروا أنتم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن كما كفروا فتكونون أنتم وهم سواء في الكفر **فلا تتخذوا منهم أولياء** أي أحبابا **حتى يهاجروا في** طاعة **الله** فإن أعرضوا عن الإيمان والهجرة فأسروهم **واقتلوهم حيث وجدتموهم** في الحل والحرم **ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا** أي حبيبا في العون والنصر وهذه الآية تحول على حال ما كانت الهجرة فرضا فلما [illegible] صلى الله عليه وسلم أمر كل مسلم أن يقيم [illegible] أظهر المشركين ثم نسخ ذلك يوم فتح مكة كما روي ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإن استنفرتم فانفروا قوله تعالى فتكونون سواء لم يرد جواب التمني لأن جوابه بالفاء منصوب وإنما أراد العطف على معنى ودوا لو تكفرون وودوا لو تكونون سواء مثل قوله ودوا لو تدهن فيدهنون أي ودوا لو تدهن وودوا لو يدهنون ومثله ودوا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون أي ودوا لو يميلون قوله تعالى **إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق** هذا استثناء متصل من الكفار يقوم بينهم وبين المسلمين ميثاق قال ابن عباس أراد بالقوم الأسلميين وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بردة هلال بن عويمر الأسلمي وأصحابه على أن لا يعينوه ولا يعينوا عليه من وصل إليهم ولجأ إليهم فلهم من الجوار مثل ما لهم وقال أراد بالوصول أن يدخل من سائر الكفار في عهد المسلمين على حسب ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش من الموادعة ثم دخلت خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ودخلت بنو كنانة في عهد قريش قوله تعالى **أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم** معناه أو يصلون إلى قوم جاءوكم ضاقت صدورهم أن يقاتلوكم مع قومهم أو يقاتلوا قومهم معكم وهم بنو مدلج **ولو شاء الله لسلطهم** يعني هلال بن عويمر وبني مدلج **عليكم فلقاتلوكم** إذا قاتلتموهم ظالمين لهم **فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم** أي فإن تركوكم فلم يقاتلوكم مع قومهم واستسلموا وخضعوا بالصلح والوفاء **فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** أي حجة في القتال وقال أهل النحو معنى وجاءوكم حصرت أي قد حصرت [illegible] لا يكون حالا إلا بقد قالوا ويجوز أن يكون حصرت صدورهم خبرا بعد خبر كأنه قال أو جاءوكم ثم أخبر بعد فقال

حصرت صدورهم أن يقاتلوكم وفي الشواذ وجاؤكم حصرةً صدورهم وأما اللام في لسلطهم جواب لو شاء الله واللام في فلقاتلوكم تكرار والفاء عطف بمنزلة الواو وقد روي عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية منسوخة بآية السيف يعني معاهدة المشركين وموادعتهم منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وذلك لأن الله تعالى أعز الإسلام وأهله ولا يقبل من مشركي العرب إلا الإسلام أو السيف بهذه الآية وقتل من أمر الله تعالى أهل الكتاب بقتالهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر إلى قوله تعالى وهم صاغرون ولا يجوز مهادنة الكفار وترك أحد منهم على الكفر من غير جزية إذا كان بالمسلمين قوة على القتال فأما إذا عجزوا عن مقاومتهم وخافوا على أنفسهم وذراريهم جاز لهم مهادنة العدو من غير جزية يؤدونها إليهم لأن حظر الموادعة كان لسبب القوة فإذا زال السبب زال الحظر قوله عز وجل **ستجدون آخرين** معناه ستجدون قوماً آخرين **يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم** أي يظهرون لكم الصلح ويريدون أن يأمنوا منكم بكلمة التوحيد يظهرونها لكم ويأمنوا قومهم بالكفر في السر كلما دعوا إلى الكفر قال ابن عباس أسد وغطفان كانوا حاضري المدينة تكلموا بكلمة الإسلام وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه إذا آمنت وبم إذا أسلمت فيقول آمنت بهذا القرد وبهذا العقرب وبهذه الخنفساء يريدون به الاستهزاء وإذا لقوا محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه قالوا إنا على دينكم وأظهروا الإسلام فأطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على ذلك بهذه الآية قوله تعالى **فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم** أي فإن لم يتركوا قتالكم ولم يستسلموا لكم في الصلح ولم يمنعوا أيديهم عن قتالكم **فخذوهم** أي أسروهم **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** أي حيث وجدتموهم **وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً** أي أهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم حجة ظاهرة بالقتال معهم قوله تعالى **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ** أي ما كان لمؤمن في حكم الله أن يقتل مؤمناً بغير حق إلا أن يكون وقع القتل منه على وجه الخطأ وهو أن لا يكون قاصداً لقتله فيكون مرفوع الإثم والعقاب. واختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية قال ابن مسعود نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة فأسلم ثم خاف أن يظهر إسلامه لأهله فخرج هارباً إلى المدينة فاختفى في جبل من جبالها فجزعت أمه جزعاً شديداً حين بلغها إسلامه وخروجه إلى المدينة فقالت لابنيها الحارث وأبي جهل ابني هشام وهما أخواه لأمه والله لا يظلني سقف ولا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى تأتوني به فخرجا في طلبه وخرج معهما الحارث بن زيد حتى أتوا المدينة فوجدا عياشاً في أطم أي في جبل فقالا له انزل فإن أمك لم يؤوها سقف بيت بعدك وقد حلفت لا تأكل طعاماً ولا تشرب شراباً حتى ترجع إليها ولك علينا أن لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك فحلفوا له على ذلك فنزل إليهم فأوثقوه بنسعة ثم جلده كل واحد منهما مائة جلدة ثم قدموا به على أمه فلما أتاها قالت له والله لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه مطروحاً موثقاً في الشمس ما شاء الله ثم أعطاهم الذي أرادوا فأتاه الحارث بن زيد فقال له يا عياش هذا الذي كنت عليه فوالله لئن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا ألقاك خالياً أبداً إلا قتلتك ثم إن عياشاً أسلم بعد ذلك وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ثم أسلم بعد ذلك الحارث بن زيد وهاجر إلى المدينة ولم يعلم عياش بإسلامه فبينما عياش يسير بظهر قباء إذ لقي الحارث بن زيد فقتله فقال الناس ويحك يا عياش إنه قد أسلم فرجع عياش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كان من أمري وأمر الحارث ما علمت ولم أعلم بإسلامه حتى قتلته فنزل قوله تعالى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ الآية أي وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً البتة لا خطأ ولا عمداً بحال لكن إن قتله خطأ على غير قصد أو قتله على ظن أنه مباح الدم فعليه عتق رقبة مؤمنة في ماله وعلى عاقلته تسليم دية كاملة إلى أولياء المقتول ويكون المقتول كواحد من العاقلة وإذا لم يكن له عاقلة كانت الدية في بيت المال في ثلاث سنين قوله تعالى **إلا أن يصدقوا** معناه إلا أن يتصدق أولياء المقتول فيتركوا الدية ويعفوا **فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن** أي إن كان المقتول خطأ من قوم حرب لكم فقتل في

دار الحرب وهو مؤمن أسلم في دار الحرب ولم يهاجر حتى قتل فعلى قاتله عتق رقبة مؤمنة ولم يذكر الدية لأن دم المقتول لا قيمة له إذ لم يحرز نفسه بدار الإسلام وليس هو في صلح المسلمين وقيل إنما لم يذكر الدية لئلا تسلم إلى أهل الحرب دية يتقوون بها علينا وهذا القول يقتضي أن الدية واجبة إلا أنها لا تسلم إليهم وفي وجوب هذه الدية خلاف بين العلماء قوله عز وجل **وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله** أي كان المقتول خطأ من قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد وصلح فعلى القاتل وعاقلته تسليم دية كاملة إلى أولياء المقتول وعلى القاتل عتق رقبة مؤمنة والفائدة في ذكر المؤمنة لأنه لو لم يذكرها لكان يتوهم متوهم أنه لما وجب في قتل المؤمن رقبة في مثل صفته يجب أيضاً في قتل الكافر رقبة في مثل صفة المقتول قوله تعالى **فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين** أي إن لم يجد رقبة مؤمنة فعليه صيام شهرين متتابعين لا يفصل بين صيامهما قوله **توبة من الله** أي اعملوا ما أمركم الله به للتوبة ليتوب عليكم وهذا نصب على ما يقال فعلت كذا حذار الشر أي الحذر من الشر وإنما سميت الكفارة توبة لأن قاتل الخطأ كان عاصياً في سبب القتل من حيث إنه لم يتحرز وإن لم يكن عاصياً في نفس القتل ويقال معنى التوبة التوسعة والتخفيف من الله قوله تعالى **وكان الله عليماً حكيماً** أي عليماً بكل شيء حكيماً فيما أمركم به من الدية والكفارة وقال بعضهم نزلت هذه الآية في أبي الدرداء حين قتل رجلاً خطأ قوله عز وجل **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم** قال ابن عباس نزلت في مقيس بن صبابة وجد أخاه قتيلاً في بني النجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل معه رجلاً من بني فهر وقال له ائت بني النجار فأقرئهم مني السلام وقل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم إن علمتم قاتل هشام أن تدفعوه إلى مقيس فيقتص منه وإن لم تعلموا له قاتلاً أن تدفعوا إليه ديته فأبلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعاً وطاعة لله ولرسوله والله ما نعلم له قاتلاً ولكنا نؤدي ديته فأعطوه مائة من الإبل وانصرفا راجعين نحو المدينة وبينهما وبين المدينة قريب فأتى الشيطان إلى مقيس فقال له أي شيء صنعت تقبل دية أخيك فتكون عليك سبة اقتل الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فرمى الفهري بصخرة فشدخ رأسه فقتله ثم ركب بعيراً منها وساق بقيتها راجعاً إلى مكة كافراً وجعل يقول

قتلت به فهراً وحملت عقله ... سراة بني النجار أرباب فارع
فأدركت ثأري واضطجعت موسداً ... وكنت إلى الأوثان أول راجع

نزلت فيه وقتل يوم فتح مكة ومعناها ومن يقتل مؤمناً متعمداً مستحلاً لقتله فجزاؤه جهنم خالداً فيها لاستحلاله وارتداده عن إسلامه **وغضب الله عليه** شدد عقوبته **ولعنه** أي باعده من رحمته **وأعد له عذاباً عظيماً** لجرأته على الله بقتل نفس بغير حق واختلف الناس في حكم هذه الآية قالت الخوارج والمعتزلة إنها في المؤمن إذا قتل مؤمناً عمداً على غير حق به وقالت المرجئة إنها نزلت في كافر قتل مؤمناً وأما المؤمن إذا قتل مؤمناً لا يخلد في النار وقالت طائفة من أصحاب الحديث كل مؤمن قتل مؤمناً فهو خالد في النار غير مؤبد ويخرج منها بشفاعة الشافعين وزعمت أنه لا توبة لمن قتل مؤمناً متعمداً والصحيح أن المؤمن إذا قتل مؤمناً متعمداً لا يكفر بذلك ولا يخرج من الإيمان إلا إذا فعل ذلك مستحلاً له وأن القود عن قاتله وذلك كفارة له وإن كان تائباً من ذلك ولم يقتص منه كانت التوبة أيضاً كفارة له فإن مات بلا توبة ولا قود فأمره إلى الله إن شاء غفر له بفضله وإن شاء عذبه على فعله ثم يخرجه بعد ذلك إلى الجنة التي وعده بإيمانه لأن الله تعالى لا يخلف الميعاد وترك المجازاة بالوعيد كرم منه وفضل وترك المجازاة بالوعد يكون خلفاً تعالى الله عن الخلف علواً كبيراً والدليل على أن المؤمن لا يصير بقتله المؤمن كافراً ولا يخرج عن الإيمان قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ولا يكون القصاص في قتل العمد سماهم مؤمنين وآخى بينهم بقوله ثم لم يرد به إلا الأخوة في الإيمان والكافر لا يكون أخا المؤمن ثم قال تعالى ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ولا يحصل ذلك للكافر ثم أوجب على المعتدي بعد ذلك عذاباً أليماً بقوله تعالى فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ولم يوجب الغضب ولا التخليد في النار ولا يجب أن يكون العذاب ناراً والعذاب قد يكون ناراً وقد يكون غيرها في الدنيا وقال الله تعالى يعذبهم الله بأيديكم يعني القتل والأسر ولو كان القتل يخرجهم من الإيمان لما خاطبهم بقوله يا أيها الذين آمنوا وقال تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية وأيضاً فإنه محجوج بالوعيد وروي أن مؤمناً قتل مؤمناً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يأمر القاتل بالإيمان ولو كان كافراً لأمره بالإيمان وقال لطالب الدم أتعفو قال لا قال أتأخذ الدية قال لا فأمر بقتله ثم أعاد عليه مرتين أو ثلاثاً حتى قبل الدية ثم لم يحكم عليه بالكفر فلو كان ذلك كفراً لبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن ذلك كان يورث تحريم ماله وحقن عليه

ولم يجز على رسول الله صلى الله عليه وسلم الاغفال عنه لانه الناصح الشفيق المبعوث بالتأديب والتعليم • ودليل آخر على أن القاتل لا يصير كافرا هو أن الكفر الجحود والإباء والشرك إضافة والقاتل لم يجحد فلم يأب ولم يضف إضافة إلى الله تعالى شريكا ولو جاز أن يكون كافرا من لم يأت بالكفر لجاز أن يكون مؤمنا من لم يأت بالإيمان فإن تعلقت الخوارج والمعتزلة بظاهر الآية وقالوا إن المؤمن إذا قتل مؤمنا متعمدا يبقى في النار مخلدا لأن الله تعالى قال خالدا فيها فيقال لهم إن هذه الآية نزلت في كافر قتل مؤمنا متعمدا وقد ذكرنا القصة فيه وسياق الآية يدل عليه [illegible] المفسرين يدل على أنا لو سلمنا أنها نزلت في مؤمن قتل مؤمنا فإنا نقول [illegible] ثم لو قلتم أن الخلود هو التأبيد فأخبرونا عن قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد هنا في الدنيا فإن قلتم أنه أراد التأبيد فالدنيا [illegible] وقوله تعالى يحسب أن ماله أخلده وإن قلتم لم نرد به التأبيد وذلك القول مسلم لا بد منه فقد ثبت أن معنى الخلود غير معنى التأبيد وكذلك العرب تقول لأخلدن فلانا في السجن فإن قلتم المراد به التأبيد فالسجن ينقطع ويفنى ويموت المسجون أو يخرج منه فإن قالوا إن الله تعالى لما قال وغضب الله عليه ولعنه دل على كفره لأن الله لا يغضب إلا على من كان كافرا قلنا هذه الآية تدل على الخصم لأنا نقول جزاؤه جهنم وجزاؤه أن يغضب الله عليه ويلعنه وما ذكره الله وجعله جزاء الشيء فليس يكون ذلك لأنه لو كان على الوجوب لكان بمنزلة قوله ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم وفي لغة العرب إذا قال الرجل جزاؤه كذا ثم لم يجازه لم يكن كاذبا وإذا قال أجزيه كذا ولم يفعل كان كاذبا فعلم أن بينهما فرقا واضحا • وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه وإن جازاه [illegible] الله عليه ولعنه من الأفعال الماضية ومتى قلتم إن المراد به مجازاته فذلك إن جازاه كان من الأفعال المستقبلة تقديره [illegible] الخطاب بالفعل الماضي والمراد منه المستقبل كقوله تعالى وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله أي إلا أن آمنوا بالله ومثله كثير وأما قول من زعم أنه لا توبة لمن قتل مؤمنا متعمدا فإنه مخالف للكتاب والسنة وذلك أن الله تعالى عم الذنوب جميعا وأخبر بالتوبة منها فقال عز وجل وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون فلم يفصل بين ذنب وذنب فإذا كان الله يقبل التوبة من الكفر فقبولها من القتل أولى وقال تعالى والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق إلى قوله تعالى إلا من تاب وآمن وعمل صالحا الآية وقال إخوة يوسف [illegible] وتكونوا من بعده قوما صالحين أي تائبين • وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ذنب يقبل التوبة قال نعم ثم العفو [illegible] في الدنيا فيما بين المقتول والقاتل [illegible] أولى [illegible] فإنما أخذ حق نفسه للتشفي ودرك الغيظ وأما العفو فلم يكن له في القصاص منفعة قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا قال ابن عباس نزلت في مرداس بن نهيك وكان مسلما لم يسلم من قومه غيره [illegible] بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم [illegible] وأقام الرجل في غنمه لأنه كان على دين الإسلام فلما رأى الخيل خاف أن يكونوا من غير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما سمعهم يكبرون عرف أنهم أصحاب [illegible] فكبر ونزل وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه أسامة بن زيد فقتله واستاق غنمه وكان أميرهم غالب بن فضالة الليثي ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قتلهم إياه إرادة ما معه فأنزل الله تعالى هذه الآية فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسامة فقال يا رسول الله استغفر لي قال فكيف بلا إله إلا الله قالها ثلاث مرات ثم استغفر له بعد ذلك ثلاث مرات وأمر أن يعتق رقبة وعن الحسن أن أناسا من المسلمين لقوا أناسا من المشركين فحملوا عليهم فهزموهم فشد منهم رجل فتبعه رجل يريد متاعه فلما غشيه بالسيف قال إني مسلم فكذبه ثم أوجره السنان وأخذ متاعه وكان قليلا فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] لقد كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء وقال يا رسول الله بينا نحن نطلب القوم وقد هزمهم الله تعالى إذ لحقت رجلا بالسيف فلما أحس بالسيف قال إني مسلم فقتلته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت مسلما قال يا نبي الله إنما قال ذلك متعوذا قال فهلا شققت عن قلبه فنظرت أصادق هو أم كاذب قال لو شققت عن قلبه ما كان يعلمني هل قلبه إلا مضغة من لحم قال فأنت قتلته لا ما في قلبه علمت ولا لسانه صدقت إنما يعبر عنه لسانه قال يا رسول الله

استغفر لي قال لا استغفر لك قال فمات القاتل فدفنوه فأصبح على ظاهر الأرض إلى جانب قبره ثم عادوا فحفروا له وأمكنوا ودفنوه فأصبح على ظاهر الأرض ثلاث مرات فلما رأى ذلك قومه استحيوا وخزوا فأخذوا برجله فألقوه في شعب من الشعاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الأرض لتقبل من هو أعظم جرما منه ولكن أراد الله أن يريكم حرمة الدم ومعنى الآية يا أيها الذين آمنوا إذا خرجتم مسافرين في طاعة الله فتبينوا أي ميزوا الكافر من المؤمن ولا تعجلوا في القتل حتى يتبين لكم ذلك ومن قرأ فتثبتوا بالثاء فمعناه قفوا في أمر من أظهر لكم الإسلام ولا تعجلوا بقتله ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم أي الانقياد والمتابعة واستعمل كلام الإسلام لست مؤمنا فتقتلوه تطلبون [illegible] استغنام ما معه من المال فعند الله مغانم كثيرة [illegible] ويبيح لكم أخذها • ومن قرأ السلام بالألف فمعناه من يقول لمن سلم عليكم ودعاكم لست مؤمنا والتسليم من علامات الإسلام به يتعارف المسلمون وبه يحيي بعضهم بعضا قوله تعالى تبتغون عرض الحياة الدنيا يعني تطلبون بذلك الغنم من الغنيمة وسلبه وعرض الدنيا منافعها ومتاعها قوله تعالى كذلك كنتم من قبل أي كذلك كنتم من قبل الهجرة تأمنون في قومكم من المؤمنين بلا إله إلا الله وتستخفون وتقتلون من قالها فنهاهم الله أن يخيفوا أحدا بأمر مما كانوا يأمنون بمثله وهم في قومهم وقيل معناه كنتم [illegible] من قبل الهجرة فمن الله عليكم [illegible] بالإيمان والهجرة فتبينوا ولا تخيفوا أحدا بأمر كنتم تأمنون بمثله إن الله كان بما تعملون من القتل وغير ذلك خبيرا قوله عز وجل لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر أي لا يستوي في الفضل والثواب القاعدون عن الجهاد من المؤمنين إلا أصحاب الذين [illegible] المرض أو الزمانة [illegible] عذر منعهم من الجهاد والمجاهدون في طاعة الله بإنفاق أموالهم والخروج بأنفسهم روي أنه لما نزل لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله جاء ابن أم مكتوم ورجل آخر معه وهما أعميان فقالا يا رسول الله أمر الله بالجهاد وفضل المجاهدين على القاعدين وحالنا على ما ترى فهل لنا من رخصة والله لو استطعنا لجاهدنا فنزل قوله تعالى غير أولي الضرر أي غير أولي الضرر في البصر فجعل لهم من الأجر ما للمجاهدين وروى ابن أبي ليلى قال لما نزلت قوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله قال ابن أم مكتوم اللهم أنزل عذري فنزل قوله تعالى غير أولي الضرر فوضعت بينهما وكان بعد يغزو ويقول ادفعوا إلي اللواء ويقول أقيموني بين الصفين • وعن زيد بن ثابت قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فأملى علي لا يستوي القاعدون من المؤمنين فجاء ابن أم مكتوم فثقلت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي حتى كادت تحطم فنزل عليه غير أولي الضرر • ومن قرأ غير أولي الضرر بالنصب فهو نصب على الاستثناء [illegible] أولي الضرر كما تقول جاءني القوم غير زيد ويجوز أن يكون على الحال أي لا يستوي القاعدون في حال صحتهم والمجاهدون وهذا كما تقول جاءني زيد غير مريض أي صحيحا ومن قرأ غير بالرفع فيجوز الرفع واستثناء الإثبات من النفي ويجوز أن يكون غير صفة للقاعدين وإن كان أصل غير أن يكون صفة لما هو نكرة المعنى لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر والمجاهدون في الفضل والثواب وإن كانوا كلهم مؤمنين واختار بعضهم قراءة الرفع لأن معنى الصفة على لفظ غير أغلب من معنى الاستثناء • واختار بعضهم قراءة النصب لأن قوله غير أولي الضرر نزل بعد قوله لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله فيكون معنى الاستثناء أليق قوله تعالى فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة أي فضيلة ومنزلة وكلا وعد الله الحسنى أي وكلا الفريقين المجاهدين والقاعدين وعدهم الله الحسنى يعني الجنة بالإيمان وفي هذا دليل أن الجهاد فرض على الكفاية لأنه لو كان فرضا على الأعيان لم يجز أن القاعد عنه يكون موعودا بالحسنى قوله تعالى فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما أي فضل الله المجاهدين على القاعدين عن الجهاد بغير عذر ثوابا جسيما في الجنة فقوله تعالى أجرا نصب على التفسير وقيل [illegible] على المصدر [illegible] أجرهم الله أجرا والفائدة في تكرار لفظ التفضيل أن في الأول بيان تفضيل من جاهد بالمال والنفس جميعا وفي الآخر بيان تفضيل المجاهد مطلقا فيدخل فيه المجاهد بالمال والنفس أو المجاهد بالمال دون

الغنيمة بالنشر دون المال قوله تعالى درجات منه ومغفرة ورحمة هذا بدل من قوله تعالى أجرا وصفة له وهو في موضع
نصب وعن ابن محيريز أنه قال فضل الله المجاهدين على القاعدين سبعين درجة بين كل درجتين مسيرة سبعين خريفا
للجواد المضمر وقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما أي غفورا لذنب من جاهد رحيما إذ سوى في وعد الحسنى
بين من له العذر وبين من جاهد فإن قيل كيف ذكر التفضيل في هذه الآية بدرجات وفي الآية قبلها بدرجة قلنا قد قيل
أراد بذكر الدرجة الأولى الفضيلة والكرامة في الدنيا وبذكر الدرجات درجات الجنة فهي منازل في النعيم بعضها أعلى من بعض
وذكر المغفرة لبيان تخليص بعضهم عن الكدر كما روي في الخبر أن الله تعالى ينسيهم في الجنة ما كان منهم من الذنوب في الدنيا
لئلا يخجلهم الحياء وذكر الرحمة لبيان أن الله أعطاهم ذلك النعيم العظيم على جهة النعمة مع ما يتضاعف لهم من الفضل والزيادة
والنعمة وقال بعضهم أراد التفضيل في الدرجة في الآية الأولى تفضيل المجاهدين على القاعدين لعذر وبالدرجات
تفضيلهم على القاعدين الذين لا عذر لهم قوله عز وجل إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم
كنتم الآية قال ابن عباس نزلت في قوم من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا أي أظهروا الإسلام وأسروا النفاق
فلما كان يوم بدر خرجوا مع المشركين إلى المسلمين فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم فقتلوا يومئذ
وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وقالت لهم لم خرجتم مع المشركين وتركتم الهجرة فكان سؤال الملائكة لهم هذا
على سبيل التقريع والتوبيخ ويجوز أن يكون معناه فيم كنتم أي في المشركين أم في المسلمين قالوا كنا مستضعفين في
الأرض أي مقهورين في أرض مكة فأخرجونا معهم كارهين قالت الملائكة ألم تكن أرض الله واسعة يعني أرض
المدينة واسعة آمنة فتهاجروا فيها أي إليها وتخرجوا من بين أظهر المشركين وقوله تعالى ظالمي أنفسهم نصب على الحال
المعنى توفاهم الملائكة في حال ظلمهم لأنفسهم بالشرك والنفاق والأصل ظالمين لأنفسهم إلا أن النون حذفت استخفافا وهي في
المعنى ويكون هذا في معنى النكرة وإن أضيف إلى المعرفة كما في قوله تعالى هديا بالغ الكعبة وقوله تعالى توفاهم الملائكة أي
تقبض أرواحهم عند الموت وإنما حذفت التاء الثانية لاجتماع التاءين قوله تعالى فأولئك مأواهم جهنم أي أهل
هذه الصفة مصيرهم ومنزلهم جهنم وساءت مصيرا لمن صار إليها واختلفوا في خبر إن الذين توفاهم الملائكة قال
بعضهم خبره قالوا فيم كنتم أي قالوا لهم فيم كنتم وقال بعضهم خبره فأولئك مأواهم جهنم وفي قوله ألم تكن أرض الله واسعة
فتهاجروا فيها دليل أنه لا عذر لأحد في المقام على المعصية في بلده لأجل المال والولد والأهل بل ينبغي أن يفارق وطنه إن لم
يمكنه إظهار الحق فيه ولهذا روي عن سعيد بن جبير أنه قال إذا عمل بالمعاصي في أرض فاخرج منها وروي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد
صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثنى من قوله تعالى فأولئك
مأواهم جهنم والمعنى إلا من صدق أنه مستضعف من الشيوخ والولدان والنساء لا يجدون نفقة للخروج إليها ولا يعرفون
الطريق حتى يهاجروا والمعنى إلا المستضعفين المخلصين المقيمين بمكة لا يستطيعون الهجرة ويتعوذون من الكفر ويأتمون بالنبي
وسلم وهم يريدون اللحوق به قوله تعالى ولا يهتدون سبيلا قال مجاهد معناه لا يعرفون طريق المدينة وقال
ابن عباس كنت أنا وأمي من الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا وكنت غلاما صغيرا أو شيخا نحن ممن استثنى
الله عز وجل قوله تعالى فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم أي أهل هذه الصفة من المستضعفين عسى الله أن يتجاوز
عنهم وعسى من الله كلمة إيجاب لأنه أرحم الراحمين والقادر على ذكر هذا اللفظ أن يكون العبد بين الخوف والرجاء
قوله تعالى وكان الله عفوا غفورا أي لم يزل عفوا عن عباده غفورا لهم قوله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله
يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة أي من يخرج في سبيل الله الذي أمر بالهجرة فيه وهو سبيل المدينة يجد في الأرض
متحولا كثيرا ومخرجا عما يكره وقوله وسعة أي سعة في الرزق وقال قتادة سعة في إظهار الدين والمراغم ما يذكر لما
يلحقهم من التضييق من جهة الكفار في إظهار دينهم قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله قال
ابن عباس لما نزل قوله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة سمعها رجل من بني الليث شيخ

كبير فقال له جندع بن ضمرة فقال أنا والله ممن استثنى الله تعالى وإني لأجد حيلة والله لا أبيت الليلة بمكة فخرجوا به
يحملونه على سرير فأتوا به التنعيم فأدركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم إن هذه لك وهذه لرسولك
أبايعك على ما بايعك عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات حميدا فبلغ ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا
يقولون لو بلغ إلينا لتم أجره وضحك المشركون وقالوا ما أدرك هذا ما طلب فأنزل الله تعالى هذه الآية ومن يخرج من
بيته مهاجرا إلى الله ورسوله أي مهاجرا من بلده وأهله وولده إلى طاعة الله وطاعة رسوله ثم يدركه الموت في الطريق
فقد وقع أجره على الله الملي الوفي بوعده وكان الله غفورا لما كان منه في الشرك رحيما به في الإسلام
قوله عز وجل وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة أي إذا سافرتم في الأرض لا الخروج
إلى الصحراء والقصد إلى القرية القريبة لا يسمى ضربا في الأرض وقوله تعالى فليس عليكم جناح أي ليس عليكم حرج ولا إثم
في أن تقصروا من الصلوة يعني من أربع ركعات إلى ركعتين إن خفتم أي إن علمتم أن يفتنكم الذين كفروا أو يقتلوكم إن
الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا أي عدوا ظاهر العداوة يتمنون عداوتهم لكم وفي الآية ذكر القصر من الصلوة بين
شرطين وأجمعت الأمة أن أصل القصر يتعلق بهما وإن ذكر واحد منهما يؤثر في القصر نوع تأثير فتأثير السفر في القصر في
العدد في الصلوة الرباعية وتأثير الخوف في القصر في أركان الصلوة إذا خاف إن قام في الصلوة أن يراه العدو أو خاف
أن ينزل عن الدابة أن يدركه العدو وكان له ترك القيام وأن يومئ على الدابة فيحتمل أن حرف العطف حذف في قوله إن خفتم
كأنه قال وإن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة وقال الحسن صلاة السفر ركعتان
فإذا قام الخوف فركعة وهذا اللفظ يقتضي القصر الذي هو في غاية في القصر متعلق بشرطين على مذهبه وروي أن رجلا
سأل عمر رضي الله عنه عن هذه الآية فقال كيف نقصر الناس وقد أمنوا فقال عمر عجبت مما عجبت منه حتى سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وصدقة الله علينا تقتضي إسقاط الفرض عنا وفي
قوله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا صدقته دليل أن القصر عزيمة لا رخصة لأن ظاهر الأمر على الوجوب ولهذا قال أصحابنا
إن المسافر إذا صلى الظهر أربعا ولم يقعد في الثانية قدر التشهد فسدت صلاته كمن صلى الفجر أربعا قوله عز وجل وإذا
كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم الآية قال ابن عباس
لما رأى المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا إلى صلوة الظهر وهو يؤمهم ندموا على تركهم الإقدام على قتالهم
فقال بعضهم دعوهم فإن بعدها صلوة هي أحب إليهم من آبائهم وأولادهم يريدون العصر فإذا رأيتموهم قاموا إليها فشدوا
عليهم فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية وأطلع الله النبي صلى الله عليه وسلم على قصدهم ومكرهم وعزمهم وكان إسلام خالد
بن الوليد حين عرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على ما كان من قصد المشركين فيما بينهم ومعنى الآية وإذا كنت يا محمد
مع المؤمنين في الغزو فأردت أن تصلي صلوة الخوف فلتقم جماعة منهم معك في الصلوة ولتكن أسلحتهم معهم في صلاتهم لأن ذلك أهيب
للعدو فإذا سجدت الطائفة التي معك وصليت ركعة فلينصرفوا إلى المصاف فيقفوا بإزاء العدو ولتأت طائفة أخرى
وهم الذين كانوا بإزاء العدو ولم يصلوا معك في الركعة الأولى فليصلوا معك الركعة الأخرى ولتكن أسلحتهم معهم في صلوتهم
ولم يذكر في الآية لكل طائفة إلا ركعة واحدة وفي صلاة الخوف خلاف بين العلماء قال بعضهم إنها غير مشروعة بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو رواية عن أبي يوسف وهو قول الحسن بن زياد لأن في هذه الآية ما يدل على كون النبي صلى الله عليه
وسلم شرطا في صلاة الخوف ولأنها إنما جازت للنبي صلى الله عليه وسلم ليحوز كل الناس فضيلة الصلوة خلفه لأن إمامة غيره
لم يكن تقوم مقام إمامته وذهب أكثر العلماء إلى أن صلاة الخوف شرعت بعد النبي صلى الله عليه وسلم وأن الخطاب في
عهده وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالأئمة بعده يقومون مقامه في قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة ونحو ذلك من الآيات
واختلفوا في كيفية صلاة الخوف قال أبو حنيفة ومحمد يجعل الإمام الناس طائفتين طائفة بإزاء العدو وطائفة معه
فيصلي بهم ركعة ثم تنصرف هذه الطائفة إلى وجه العدو بغير سلام وتأتي الأخرى فتقضي الركعة الثانية وحدانا بغير قراءة وإذا
سلم مضت فتقف بإزاء العدو وجاءت تلك الطائفة تقضي الركعة الأولى وحدانا بقراءة وعن أبي يوسف إذا كان العدو في وجه القبلة

وقف الإمام وجعل الناس خلفه صفين فافتتح بهم الصلوة معا فصلى بهم ركعة فإذا سجد سجد معه الصف الأول وبقي
الثاني يحرسونهم فإذا رفعوا رؤوسهم من السجود سجد الصف الثاني وتأخر الأول وتقدم الصف الثاني فيركع بهم جميعا
رؤوسهم ويسجد الصف المقدم سجدتين والصف المؤخر يحرسونهم ثم يسجد الصف المؤخر سجدتين بعدهم ثم تشهد الإمام وسلم
بهم جميعا وهكذا قال ابن أبي ليلى وقال مالك يجعل الإمام الناس طائفتين فيصلي بطائفة ركعة وسجدتين ثم ينتظر الإمام
حتى تصلي بقية صلاتهم ويسلموا وينصرفوا إلى وجه العدو وتأتي الطائفة الأخرى فيصلي بهم ركعة وسجدتين ويسلم
الإمام ويقومون فيتمون وقال الشافعي مثل ذلك إلا أنه قال في الطائفة الأخرى لا يسلم بهم الإمام ولكن ينتظر
حتى يقوموا فيتموا صلاتهم ثم يسلم بهم وإنما وقع بينهم هذا الاختلاف لاختلاف الأخبار الواردة في هذا الباب روي عن ابن
مسعود وجماعة من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلاها كما ذكرنا عن أبي حنيفة ومحمد وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه
وسلم صلاها كما قال أبو يوسف وعن سهل بن أبي حثمة أنه صلى الله عليه وسلم صلاها كما قال الشافعي فذهب
الأخبار على جواز الجميع وإنما النزاع في الكلام في الأولى والأقرب إلى ظاهر القرآن فظاهره يشهد للرواية التي رواها ابن
مسعود لأن في قوله تعالى فلتقم طائفة منهم معك دليل على أن الإمام لا يصلي بالطائفتين معا وفي قوله تعالى فإذا سجدوا
فليكونوا من ورائكم دليل على أن الطائفة الأولى تنصرف عقيب السجود وعند مالك والشافعي تنصرف الطائفة الأولى بعد
تمام الصلوة وفي قوله ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا دليل أن الطائفة الثانية تأتي وهي غير مصلية وهذا خلاف
ما قال أبو يوسف وهذا كله إذا أمكنهم إقامة الصلوة بالجماعة أما إذا لم يمكنهم الجماعة لقيام القتال وكثرة العدو
صلى كل واحد منهم لنفسه على حسب إمكانه إما إلى القبلة وإما إلى غيرها إذا لم يمكنه التوجه إليها وقد كان يومئ
إيماء كما قال الله تعالى فإن خفتم فرجالا أو ركبانا قوله عز وجل ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم
فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم
وخذوا حذركم قال ابن عباس غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم محاربا وبني أنمار فهزمهم الله تعالى فنزل النبي صلى الله عليه وسلم
والمسلمون ولا يرون من العدو أحدا فوضعوا أسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له قد وضع سلاحه
حتى قطع الوادي والسماء ترش فحال الوادي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم في أصل شجرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فانحدر من الجبل ومعه السيف وقال لأصحابه قتلني الله إن لم أقتل
محمدا فلم يشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم على رأسه وفي يده السيف مسلولا وقال يا محمد من يعصمك مني الآن
فقال الله عز وجل ثم قال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت فأهوى بالسيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليضربه فانكب لوجهه وندر سيفه فأخذ السيف وقال من يمنعك مني يا غورث قال لا أحد قال أتشهد أن لا إله إلا
الله وأني رسول الله وأعطيك سيفك قال لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبدا ولا أعين عليك عدوا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيفه فقال غورث للنبي صلى الله عليه وسلم والله لأنت خير مني فقال أنا أحق بذلك منك فرجع إلى أصحابه فقالوا ويلك
ما منعك منه لقد أهويت بالسيف قائما على رأسه ما منعك منه فقال لقد أهويت لكن والله ما أدري من زلخني بين كتفي فخررت
لوجهي وخر سيفي من يدي فسبقني إليه وأخذه ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطع الوادي وأتى أصحابه فأخبرهم
بالقصة فأنزل الله تعالى ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم أي لا إثم عليكم في ذلك
وخذوا حذركم من عدوكم لئلا يميلوا عليكم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا يهانون فيه وهو القتل في الدنيا والنار
في الآخرة قوله عز وجل فإذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم يعني صلاة الخوف أي إذا فرغتم
منها واذكروا الله أي فصلوا لله قياما للصحيح وقعودا للمريض وعلى جنوبكم للجرحى والزمنى الذين لا يستطيعون الجلوس وقيل
معناه واذكروا الله بتوحيده وتسبيحه وشكره على كل حال قال ابن عباس لم يعذر الله أحدا في ترك ذكره إلا المغلوب على عقله
قوله تعالى فإذا اطمأننتم أي رجعتم من سفركم وزال عنكم الخوف والمرض والقتال فأقيموا الصلوة أي أتموها أربعا
بركوعها وسجودها وسائر شرائطها إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا أي فرضا مفروضا موقتا وقيل
وقتا معلوما فرضه للمسافر ركعتين وللمقيم أربع ركعات وقال مجاهد موقوتا أي مؤقتا قوله تعالى ولا تهنوا

في ابتغاء القوم أي لا تضعفوا في طلب القوم أبي سفيان وأصحابه لما أصابكم من القتل والجراحات يوم أحد وقوله تعالى
إن تكونوا تألمون أي إن كنتم تألمون من الجرح فلهم مثل ذلك والمعنى إن كان لكم صارف عن الحرب فهو أنكم تألمون من الجرح
فلهم مثل ذلك من المصارف ولكم أشياء داعية إلى الحرب ليست لهم وهو أنكم ترجون من الثواب والنصر من الله ما لا
يرجون وكان الله عليما بمصالحكم حكيما فيما يأمر به قوله عز وجل إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس
بما أراك الله قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق سرق درعا من جار له يقال له قتادة
بن النعمان وكان الدرع في جراب فيه دقيق فانتثر الدقيق من خرق في الجراب حتى انتهى إلى باب منزله
ثم خبأ الدرع عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده فحلف لهم والله ما أخذها
وما له بها علم فقال أصحاب الدرع لقد أدلج علينا فأخذها وطلبنا أثره حتى دخل داره فرأينا أثر الدقيق فلما حلف
تركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذوه فقال دفعها إلي طعمة بن أبيرق وشهد له ناس من اليهود
على ذلك فقال قوم طعمة انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنكلمه في صاحبنا ونعذره ونجادل عنه فإن صاحبنا بريء
فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أهل لسان وبيان فسألوه أن يعذره عند الناس فهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يعذره ويعاقب اليهودي فأنزل الله هذه الآية وفي رواية عن ابن عباس أن طعمة سرق درعا وكان الدرع في جراب
فيه نخالة فخرق الجراب حتى كان ينتثر منه النخالة طول الطريق فجاء به إلى دار زيد السمين اليهودي وتركه على باب داره وحمل الدرع
إلى بيته فلما أصبح صاحب الدرع جاء على أثر النخالة إلى دار زيد السمين على أثر النخالة وحمله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يقطع يده فأنزل الله تعالى هذه الآية إنا أنزلنا إليك يا محمد القرآن بالحق أي
بالأمر والنهي والفصل لتحكم بين الناس بما أراك الله بما أعلمك الله وأوحى إليك ولا تكن للخائنين خصيما أي لطعمة وقومه معينا قوله تعالى
واستغفر الله أي تب إلى الله واستغفره مما هممت به من قطع يد زيد السمين وقال الكلبي مما هممت به من عقوبة اليهودي أن
تضربه وقال مقاتل استغفر الله من جدالك الذي جادلت عن طعمة إن الله كان غفورا لمن يستغفره رحيما بالتائبين
قوله عز وجل ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم أي لا تخاصم عن الذين يظلمون أنفسهم بالخيانة والسرقة
ورمي اليهودي بها إن الله لا يحب من كان خوانا أي خائنا في الدرع أثيما في رميه اليهودي وقيل الخطاب للنبي والمراد به
الأمة الآثم الفاجر الكذاب وذي البري وإنما قال يختانون أنفسهم وإن كانوا خانوا غيرهم لأن من خان غيره فقد خان نفسه
كما أن من ظلم غيره ظلم نفسه وإنما قال خوانا ولم يقل خائنا لعظم أمر الخيانة قوله تعالى يستخفون من الناس
ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول معناه يستخفي قوم طعمة أي يستترون من الناس
وهم يعلمون أنه سارق ولا يستترون من الله أي لا يكتمونه ولا يستحيون منه فإن سرهم عليهم عند الله ظاهر قوله تعالى وهو معهم
أي عالم بهم وهو شاهدهم فعالهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول أي يدبرون ويقولون بالليل قولا لا يرضاه الله وهو
اتفاق قوم طعمة على أن يرموا اليهودي قوله تعالى وكان الله بما يعملون محيطا أي عالما لا يعزب عنه شيء
ولا تعزب عليه خافية قوله عز وجل ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم
القيمة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يقطع طعمة في السرقة
فجادلوا عنه فأنزل الله هذه الآية ومعناها ها أنتم يا قوم طعمة خاصمتم النبي صلى الله عليه وسلم عن طعمة
وعن جماعته في دار الدنيا وفي قراءة أبي جادلتم عنه فمن يجادل الله عالم الغيب والشهادة يوم القيمة إذا أخذه بعذابه
وأدخله النار أم من يكون عليهم وكيلا من يتوكل لهم ويصلح أمورهم ويخاصم عنهم عذاب الله قوله عز وجل ومن
يعمل سوءا أو يظلم نفسه أي ومن يعمل عملا سوءا يسوء به غيره نحو السرقة والقتل والقذف أو يظلم نفسه بنحو الكذب
واليمين الفاجرة وشرب الخمر وترك الفرائض ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا رحيما للمستغفرين التائبين
رحيما بهم بعد التوبة وإنما شرط التوبة لأن الاستغفار لا يكون توبة بالإجماع ما لم يقل معه تبت وأسأت
ولا أعود إليه أبدا فاغفر لي يا رب وقيل معناه ومن يعمل سوءا بسرقة الدرع أو يظلم نفسه برميه البريء بالسرقة

وقيل معناه من يعمل سوءا أي شركا أو يظلم نفسه يعني بما دون الشرك ثم يستغفر الله أي يتوب إلى الله يجد الله غفورا
وقيل أراد بالسوء الكبيرة وبظلم النفس الصغيرة وعن علي كرم الله وجهه قال حدثني أبو بكر وصدق رضي الله عنه قال
ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضأ ويصلي ركعتين ويستغفر الله تعالى إلا غفر له وتلا هذه الآية ومن يعمل سوءا أو يظلم
نفسه قوله عز وجل ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه أي من يعمل معصية فإنما عقوبته على نفسه وكان الله
عليما حكيما أي لم يزل عليما بما يكون حكيما فيما حكم به من القطع على السارق وقيل معنى الآية ومن يكسب إثما يعني
بالباطل فإنما يضر نفسه وكان الله عليما بالسارق والدرع حكيما حكم بالقطع على طعمة بالسرقة وقد روي أنه لما نزلت هذه الآية
عرف قوم طعمة كلهم أنه هو الظالم فأقبلوا عليه وقالوا اتق الله وتب إلى الله واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل الذي
[illegible] الذي يحلف به ما سرقها إنما سرقها اليهودي فنزل قوله تعالى ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل
بهتانا وإثما مبينا أي ومن يعمل معصية بغير عمد أو بعمد ثم يرم بما فعل بريئا فقد استوجب عقوبة البهتان برميه غيره
بشيء لم يفعله وإثما مبينا أي ذنبا بينا ظاهرا وقيل معناه من يكسب خطيئة أي يمينه الكاذبة أو إثما سرقة الدرع ثم يرم به بريئا
اليهودي والبهتان أن يبهت الرجل بما لم يفعل وقال الزجاج البهتان الكذب الذي يتحير من عظمه قوله تعالى ولولا
فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك أي لولا فضل الله عليك يا محمد بالنبوة والإسلام بإرسال جبريل عليه السلام إليك بالقرآن الذي فيه خبر ما غاب عنك لعقدت جماعة من قوم طعمة أن يخطئوك ويحملوك على
الحكم بما هو غير واجب في الباطن وأن تبرئ الخائن من غير حقيقة وما يضلون إلا أنفسهم أي وما يكون ضلالهم
إلا على أنفسهم ولا يضرونك شيئا مع عصمة الله تعالى إياك وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة أي القرآن ومعرفة الحلال
والحرام وعلمك الوحي ما لم تكن تعلم قبله وكان فضل الله عليك عظيما بالنبوة والإسلام وفي هذه الآية دليل على
أنه لا يجوز لأحد أن يخاصم عن غيره في إثبات حق أو نفيه وهو غير عالم بحقيقة أمره وأنه لا يجوز للحاكم الميل إلى أحد الخصمين
وإن كان أحدهما مسلما والآخر كافرا وأن وجود السرقة في يد الإنسان لا توجب الحكم بها عليه قوله عز وجل لا خير في
كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس أي لا خير في كثير مما يتناجى قوم طعمة وما
يريدون منهم إلا نجوى من أمر بصدقة يتصدق بها ويجوز أن يكون إلا من أمر استثناء ليس من الأول على معنى لكن من
أمر بصدقة [illegible] الموضع الأول خفض وذهب الزجاج إلى أن النجوى في اللغة ما تفرد به الجماعة أو الاثنان سرا
كان أو ظاهرا قال ومعنى نجوت الشيء إذا خلصته وألقيته ونجوت فلانا إذا استنكهته قوله تعالى أو معروف
أي أمر بمعروف ويسمى البر كله معروفا قال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وأول أهل الجنة دخولا أهل المعروف
وصنائع المعروف تقي مصارع السوء قوله تعالى أو إصلاح بين الناس يعني الإصلاح بين المتخاصمين وإصلاح ذات البين
قال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأفضل درجة من الصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال إصلاح ذات البين
وفساد ذات البين هي الحالقة ولا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين قوله تعالى ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات
الله معناه من يفعل ذلك البر والإصلاح والصدقة لطلب مرضات الله تعالى لا للرياء والسمعة فسوف نؤتيه أجرا عظيما
أي ثوابا وافرا في الجنة قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نزلت
في طعمة وذلك أنه لما نزل فيه القرآن وعلم قومه أنه ظالم وخاف هو على نفسه القطع والفضيحة هرب إلى مكة فأنزل الله
هذه الآية ومعناها ومن يخالف الرسول في التوحيد والحدود معاندا من بعد ما تبين له حكم الله ويتبع دينا غير دين
المؤمنين وهو دين أهل مكة نوله ما تولى أي نكله في الآخرة إلى ما تولى في الدنيا وقيل نوكله في الآخرة ما تولى في الدنيا
نتركه إلى ما اختاره لنفسه في الدنيا أي لا نتولى الله نصره ولا معونته ونصله جهنم أي ونلزمه دخول جهنم في
وساءت مصيرا لمن صار إليها فلما نزل طعمة مكة نزل على [illegible] وأقام على الكفر ثم إنه نقب بيت رجل من بني سليم من أهل مكة
عليه حجر فنشب فيه فلم يستطع أن يدخل ولا يخرج حتى أصبح فأخذوه ليقتلوه فقال بعضهم دعوه فإنه قد لجأ إليكم
فأخرجوه من مكة فخرج مع القوم من التجار نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب فطلبوه فرموه بالحجارة

حتى قتلوه فصار قبره تلك الحجارة قوله عز وجل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال
ابن عباس نزلت هذه الآية في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه والمعنى إن الله لا يغفر شرك المشرك به إن مات بغير توبة وقال
الضحاك عن ابن عباس إن شيخا من الأعراب جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله إني شيخ منهمك في الذنوب
والخطايا إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي جرأة على الله ومكابرة
له وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هربا وإني لنادم تائب مستغفر فما حالي عند الله فأنزل الله تعالى هذه الآية إن الله لا يغفر أن يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا أي فقد ذهب عن الصواب والهدى ذهابا بعيدا
وحرم الخير كله والفائدة في قوله تعالى بعيدا أن الذهاب عن الجنة على مراتب فأبعدها الشرك بالله تعالى قوله تعالى
إن يدعون من دونه إلا إناثا أي ما يعبد أهل مكة من دون الله إلا الأصنام والأوثان وسماها إناثا لأنهم سموها
بأسماء الإناث اللات والعزى ومناة يعبدونها مع اعتقادهم نقصان مرتبة الإناث عن الذكور ولأن الإناث من كل جنس أرذله
وقيل إناثا أي أمواتا لأن الموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن الإناث تقول الأحجار تعجبني قوله تعالى وإن يدعون
إلا شيطانا مريدا أي ما يريدون بعبادة الأوثان إلا عبادة الشيطان والمريد العاتي الخارج عن الطاعة وسمي
مريدا لتعريه من الخير يقال شجرة مرداء إذا لم يكن عليها ورق وغلام أمرد إذا لم يكن على وجهه شعر قوله تعالى
لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا أراد به الشيطان أبعده الله من رحمته إلى عقابه بالحكم
له بالخلود في جهنم ويسقط بهذا قول من قال كيف يصح أن يقال لعنه الله وهو في الدنيا لا يخلو من نعمة تصل إليه من الله
وكيف يجوز أنه يعذب بتلك النعمة مع الحكم له بالخلود في النار قوله تعالى وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا أي قال
إبليس لأتخذن من عبادك نصيبا معلوما وكل ما أطيع فيه إبليس فهو مفروضه والفرض في اللغة القطع ومنه الفرضة
أي الثلمة والفرض في القوس ما يشد به الوتر والفريضة في العبادات الأمر الحتم القاطع وقوله تعالى قد فرضتم لهن فريضة
أي جعلتم لهن قطعة من المال وأما قول الشاعر إذا أكلت سمكا وفرضا • ذهبت طولا وذهبت عرضا •
فالفرض هنا التمر يعني من صلابته وجد من فيه الصدقة قوله تعالى ولأضلنهم ولأمنينهم حكاية عن قول إبليس
أي لأضلنهم عن الحق ولأمنينهم أنه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ولأرجينهم طول الحياة للدنيا ولآمرنهم فليبتكن
آذان الأنعام وهي البحيرة التي كانوا يفعلونها نسكا وعبادة للأوثان والبتك القطع ولآمرنهم فليغيرن خلق الله
قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والضحاك يعني فليغيرن دين الله نظيره لا تبديل لخلق الله أي لدين الله يعني به ذلك الدين
القيم وقال عكرمة معناه فليغيرن خلق الله بالخصي والوشم وقطع الآذان وفقء العيون وقال مجاهد كذب عكرمة إنما
هو دين الله قوله تعالى ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا أي من يتخذ ناصرا
من دون الله فقد غبن غبنا ظاهرا لأنه خسر الجنة والنعيم الذي فيها فإن قيل كيف علم إبليس أنه يتخذ من عباد الله نصيبا
قيل فيه وجوه منها أن الله لما خاطبه بقوله لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين علم إبليس أنه ينال من ذرية آدم ما تمناه
ومنها أنه لما وسوس لآدم فنال منه ما نال طمع في ذريته ومنها أن إبليس لما عاين الجنة والنار علم أن لهما سكانا من الناس
قوله تعالى يعدهم ويمنيهم أي يعدهم أن لا جنة ولا نار ويمنيهم طول البقاء في الدنيا ودوام نعيمها ليؤثروها على الآخرة
وما يعدهم الشيطان إلا غرورا أي باطلا والغرور إيهام النفع فيما فيه ضرر أولئك مأواهم جهنم أي أهل هذه
الصفة مستقرهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا أي مخلصا يقال حاص يحيص حيصا إذا عدل عن الشيء قوله تعالى
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار أي أنهار الماء واللبن والخمر
والعسل خالدين فيها أي مقيمين في الجنة إلى الأبد وإنما ذكر الطاعة مع الإيمان وجمع بينهما فقال آمنوا وعملوا الصالحات
ليبين بطلان قول من يتوهم أنه لا يضر المعصية والإخلال بالطاعة مع الإيمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر أي ليس
استحقاق الثواب على كل واحد منهما من دون قوله تعالى وعد الله حقا انتصب وعدا على المصدر تقديره وعدهم الله
هذا وعدا حقا كائنا ومن أصدق من الله قيلا أي ليس أحد أصدق من الله قولا ووعدا قوله عز وجل ليس

بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب أي ليس ثواب الله تعالى بأمانيكم فإن ليس يعطى أشياء، واختلفوا في المخاطبين
بهذه الآية قال قتادة والضحاك أراد أهل الكتاب افتخروا فقالوا أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى
بالله منكم وقال المسلمون نحن أولى بالله منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فأنزل الله تعالى
هذه الآية، وقال مجاهد المخاطبون بها عبدة الأوثان فإنهم قالوا لا بعث ولا حساب، وقال أهل الكتاب لن تمسنا النار
إلا أياما معدودة فأنزل الله ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب **من يعمل سوءا يجز به** ولا تنفعه تمنيه والمراد بالسوء الكبيرة
وقال بعضهم المخاطب بها المسلمون أي ليس بأمانيكم يا معشر المسلمين أن لا تؤاخذوا بسوء بعد الإيمان ولا أماني أهل الكتاب
أن لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى من يعمل معصية يجز بها ولا تنفعه تمنيه، روي أنه لما نزلت هذه الآية قال
أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله كيف الفلاح بعد هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض ألست
تنصب ألست تحزن ألست تصيبك اللأواء قال بلى قال فهو ما تجزون به، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال لما نزلت هذه الآية
شق ذلك على المسلمين فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قاربوا وسددوا فإن في كل ما يصيب المؤمن كفارة حتى الشوكة
يشاكها أو النكبة ينكبها، قال عطاء لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال أبو بكر الصديق هذه قاصمة الظهر
يا رسول الله وأينا لم يعمل سوءا وإنا لمجزيون بكل سوء عملناه فقال إنما هي المصيبات تكون في الدنيا، وقال أبو هريرة لما نزل قوله
تعالى من يعمل سوءا يجز به بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما أبقت هذه الآية من شيء قال أما والذي نفسي بيده إنها لكما أنزلت ولكن
يسروا وقاربوا وسددوا لا يصيب أحدكم مصيبة في الدنيا إلا كفر عنه بها خطيئة حتى الشوكة يشاكها في قدمه، وقال الحسن
في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به إنما هو الكافر وأما المؤمن فلا يجازى يوم القيامة إلا بأحسن عمله ويتجاوز عنه بيانه قوله تعالى
ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون، وقرأ وهل نجازي إلا الكفور وقول السلف إنما
أي تعالى أن الآية نزلت في الكفار أن في سياق الآية ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن لم يكن له يوم القيامة ولي ولا
نصير كان كافرا لأن الله تعالى قد ضمن نصر المسلمين في الدارين فقال تعالى إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم
يقوم الأشهاد، ولكن الخطاب إذا ورد مجملا وبين الرسول عليه السلام كان الحكم لبيانه لا للآية إذ البيان إليه صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى لتبين للناس ما نزل إليهم قوله عز وجل **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن** أي وهو مصدق
بالثواب والعقاب **فأولئك يدخلون الجنة** في الآخرة **ولا يظلمون نقيرا** أي ولا ينقصون مما استحقوه من جزاء أعمالهم
مقدار النقير وهو النقرة التي تكون في ظهر النواة قوله تعالى **ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن**
أي أحسن حكما وأصوب طريقة وسيرة ممن أخلص عمله لله وهو محسن في اعتقاده والعمل بما أمره به ونهى عنه **واتبع ملة
إبراهيم حنيفا** أي مائلا عن كل دين سوى الإسلام وقيل الحنيف المستقيم في سلوك الطريق الذي أمر بسلوكه ومعنى الإحسان
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الإحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قوله
تعالى **واتخذ الله إبراهيم خليلا** قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس خليلا أي صفيا وقيل في معنى تسميته خليلا وجهان
أحدهما الاصطفاء بالمحبة والاختصاص بالأسرار دون من لم تكن له تلك المنزلة والثاني من الخلة وهي الحاجة فخليل الله المحتاج
إليه المنقطع بحوائجه إلى الله تعالى دون غيره وقد يسمى الفقير خليلا قال زهير، وإن أتاه خليل يوم مسغبة
يقول لا غائب مالي ولا حرم، أي ولا ممنوع فإذا أريد به في الوجه الأول جاز أن يقال إبراهيم خليل الله والله خليل
إبراهيم وإذا أريد الوجه الثاني لم يجز أن يوصف الله تعالى بأنه خليل إبراهيم وجاز وصفه بأنه خليل الله وعن جابر وعبد الله
رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اتخذ الله إبراهيم خليلا لإطعامه الطعام وإفشائه السلام وصلاته
بالليل والناس نيام فإن قيل لم كان اتباع ملة إبراهيم أولى من اتباع غيره من الأنبياء مثل عيسى وموسى قيل لأن الفرق كلهم
يتفقون على تعظيمه ووجوب اتباع ملته وهو كان يدعو إلى الحنيفية دون اليهودية والنصرانية قوله تعالى
ولله ما في السموات وما في الأرض أي ما بين بهذا البيان أن إبراهيم مع كونه خليل الله عبد له وأنه لم يتخذه
لحاجة إليه ولكنه اختاره لأجل ما علم من عمله، وقال بعضهم إنه ذكر ذلك لئلا يأمر الناس بطاعته وحثهم على

الطاعة بما يوجب الرغبة فيها وهو كونه مالك السموات والأرض قوله تعالى **وكان الله بكل شيء محيطا**
أي لم يزل قادرا على كل شيء عالما بكل شيء من كل وجه ولا يخرج شيء من معلومه ومقدوره قوله عز وجل **ويستفتونك
في النساء قل الله يفتيكم فيهن** قال ابن عباس نزلت في أم كجة امرأة أوس بن ثابت وبناتها منه أتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم تشكو بنيهن عن أوس أبي عيينة بن حصن الفزاري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إنك قد
ورثت النساء والبنات الصغار ولم تكن العرب تورث إلا من قاتل على ظهور الخيل وحاز الغنيمة فأنزل الله هذه الآية
ويقال إنها نزلت بعد نزول قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم إلى قوله عليما حكيما قبل نزول فرض الزوجات فجاءوا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتونه في ميراث أم كجة امرأة المتوفى فأنزل الله هذه الآية ووعدهم أن يفتيهم في ميراث
الزوجات فأفتاهم في ذلك بقوله ولكم نصف ما ترك أزواجكم إلى آخر الآية، ومعنى الآية يستفتونك يا محمد في أمر النساء وما
يجب لهن من الميراث قل الله يبين لكم ميراثهن والذي يتلى عليكم **في كتاب الله** في أول هذه السورة يفتيكم ويبين لكم ما سألتم
عنه في يتامى النساء **اللاتي لا تؤتونهن** ما فرض لهن من الميراث وهو قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم قوله تعالى
وترغبون أن تنكحوهن أي وترغبون عن نكاحهن لدمامتهن ولا تعطونهن نصيبهن من الميراث لرغبتكم فيه عنكم وذلك
أن بني أعمام تلك البنات كانوا أولياءهن وكانوا لا يعطونهن حقهن من الميراث ويرغبون أن يتزوجوهن وهذا قول ابن عباس
وابن جبير وقتادة ومجاهد، وعن عائشة رضي الله عنها والحسن أن معناه وترغبون في أن تتزوجوهن لجمالهن ولا تعطوهن
ما أوجب الله لهن من الصداق وفي كلا القولين دليل على جواز نكاح الأولياء اليتامى قوله تعالى **والمستضعفين
من الولدان** أي وفي المستضعفين من الولدان أي في ميراث اليتامى وقوله تعالى **وأن تقوموا لليتامى بالقسط**
أي ويفتيكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط في أموالهم وحقوقهم بالعدل قوله تعالى **وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما**
أي وما تفعلوا من خير في أمر اليتامى والضعفاء فإن الله كان به عليما يجزيكم على ذلك، واختلف أهل النحو في موضع وما يتلى
عليكم فذهب أكثرهم إلى أنه موضع رفع تقديره وما يتلى عليكم في الكتاب يفتيكم فيه، وقال بعضهم هو في موضع خفض تقديره
وفي ما يتلى عليكم إلا أن هذا الوجه أضعف الأول لأنه لا يصح عطف الظاهر على المضمر المخفوض من دون إعادة حرف
الجر قوله عز وجل **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا** الآية نزلت في خولة ابنة محمد بن سلمة وفي
زوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر جفاها وتزوج عليها شابة آثرها عليها فشكت إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وهذا قول الكلبي وجماعة من المفسرين، وقال سعيد بن جبير كان رجل له امرأة
قد كبرت وكان له منها أولاد فأراد أن يطلقها ويتزوج عليها فقالت لا تطلقني ودعني على ولدي واقسم لي
في كل شهرين وإن شئت فلا تقسم لي فقال إن كان يصلح ذلك فهو أحب إلي فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر له ذلك فأنزل الله هذه الآية ومعناها وإن امرأة خافت أي علمت من زوجها نفورا أو إعراضا بوجهه عنها لا يقبل
عليها، وقال الكلبي نشوزا يعني ترك مجامعتها ومضاجعتها ومجالستها **فلا جناح** على الزوج والمرأة أن يصلحا
بينهما صلحا يعني يتراضيا بينهما وهو أن يقول لها الزوج إنك امرأة قد دخلت في السن وأنا أريد أن أتزوج عليك امرأة
شابة وأوثرها عليك في القسم لشبابها وأزيد في نصيبها من القسم فإن رضيت وإلا سرحتك بإحسان أو تزوجت أخرى فإن
رضيت بذلك فهي المحسنة وحل للزوج ذلك كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه طلق امرأته سودة فسألته
بوجه الله أن يراجعها ويجعل يومها لعائشة ففعل ومثل هذا الصلح يقع لأن لها إذا شاءت أن تعود في ذلك العاقبة
على النشوز كان لها ذلك قوله تعالى **والصلح خير** من الإقامة على النشوز وقيل خير من الفرقة ودخول الحرف والفعل
على الفعل في قوله تعالى وإن امرأة فعلى تقدير فعل مضمر وإن خافت امرأة خافت وعلى التقديم والتأخير كأنه قال وإن
امرأة من بعلها نشوزا على هذا قوله تعالى إن امرؤ هلك وإن أحد من المشركين استجارك وهذا لا يكون إلا في الفعل الماضي
كما يقال إن الله أمكنني فعلت كذا وأما في المستقبل فيقبح أن تفرق بين إن التي للجزاء وبين لفظ الاستقبال فلا يقال إن امرأة
تخف لأن إن تجزم المستقبل ولا ينفصل بين العامل والمعمول قوله تعالى **وأحضرت الأنفس الشح** أي جبلت الأنفس

على النكاح فنكح المرأة الكبيرة ليمنعها من الرضا بدون حقها وترك بعض نصيبها من الرجل لغيرها ونكاح الرجل ليمنعه من نصيبه من الشابة ليمنعه من توفير نصيب الكبيرة من القسم عليها قوله تعالى وإن تحسنوا وتتقوا أي وإن تحسنوا العشرة وتتقوا الظلم على النساء فإن الله كان بما تعملون خبيرا من الإحسان والجور عالما يجزيكم بأعمالكم الحسن والسيء فيجزيكم على ذلك قوله تعالى ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم أي لن تقدروا أن تسووا بين النساء ولو اجتهدتم في العدل كما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم إن هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني بما لا أملك وأراد به التسوية في المحبة قوله تعالى فلا تميلوا كل الميل في القسمة والنفقة … فتذروها كالمعلقة لغير قسمة كالمربوطة والمحبوسة لا أيم ولا ذات بعل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل قوله تعالى وإن تصلحوا وتتقوا أي وإن تصلحوا ما أفسدتم بالإفراط الميل وتعدلوا في القسمة بينهن وتتقوا الجور والعقوبة فيه فإن الله كان غفورا لما سلف منكم من الظلم عليهن رحيما بكم بعد التوبة قوله عز وجل وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته معناه أن الزوج والمرأة إذا تفرقا بالخوف من ترك حقوق الله تعالى التي أوجبها عليهما أغنى الله كلا من سعته أي يغني من رزقه الزوج بامرأة أخرى والمرأة بزوج آخر وكان الله واسعا لهما في النكاح حكيما حكم على الزوج بالإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان وقيل معناه وكان الله واسع الملك جوادا لا يعجزه شيء ذا حكمة فيما حكم من الفرقة يجعل لكل واحد منهما من يسكن إليه ويتسلى به عن الأول ومن حكم هذه الآية أن الرجل إذا قسم لنسائه لم يجب عليه وطء والجماع بينهن لأن الوطء لذة له فهو حقه فإذا تركه لم يجبر عليه وليس هو كالطعام والنفقة وعماد القسم الليل … لا يجامع المرأة في غير نوبتها ولا يدخل بالليل على التي لم يقسم لها ولا بأس أن يدخل عليها في النهار في حاجة ويعودها في مرضها في ليلة غيرها فإن ثقلت فلا بأس أن يقيم حتى تشفى أو تموت فإن أراد أن يقسم ليلتين ليلتين وثلاثا ثلاثا كان له ذلك قوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الأرض كلهم عبيده وإماؤه ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أي أمرنا أهل التوراة في التوراة وأهل الإنجيل في الإنجيل وأهل كل كتاب في كتابهم وإياكم أي وصيناكم يا أمة محمد في كتابكم أن اتقوا الله وأطيعوه في أمر النساء واليتامى والأحكام قوله تعالى وإن تكفروا أي تجحدوا وصية الله سبحانه فلا تعملوا بها فإن لله ما في السموات من الملائكة وما في الأرض من الجن والإنس وسائر الخلق وكان الله غنيا عن عبادكم لا تضره كفركم ولا تنفعه طاعة من أطاع حميدا محمودا في ذاته … خواص ملائكته وعباده حمد من لم يحمده وقيل حامدا لمن وحده وأطاعه قوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الأرض تنبيه بعد تنبيه كأنه تعالى ينبههم عن غفلتهم بأنه حفيظ على أعمالهم لكي يحفظوا … تعالى … وليس في هذه الألفاظ تكرار في كتاب الله تعالى وذلك لكل واحد منهما معنى وفائدة جديدة والفائدة في إعادة قوله ولله ما في السموات وما في الأرض … على الله تعالى والثقة به … ولذلك أعقبه بقوله تعالى وكفى بالله وكيلا أي حافظا لأعمالكم كفيلا بأرزاقكم قوله تعالى إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين أي كما ملك السموات والأرض … الاستدلال بأنه قادر على إفناء الخلق وإتيان آخرين وقيل هو خطاب للكفار لأنه تعالى … إن يشأ يذهبكم أيها الكفار ويأت بقوم آخرين أطوع منكم وكان الله على إهلاككم وخلق غيركم قادرا قوله عز وجل من كان يريد ثواب الدنيا أي من كان يريد بعمله منفعة الدنيا فلا يقتصر على طلب الدنيا فإن ثواب الدنيا إلى البر والفاجر والمؤمن والكافر ولكن ليسأل طلب الآخرة التي لا تنال إلا بالعمل وكان الله سميعا لكلام عباده بصيرا بما في قلوبهم وفي الآية تهديد للمنافقين المرائين وفي الحديث … جهنم كل يوم … للمرائين وقيل معنى الآية من كان يريد بعمله عوضا من الدنيا ولا يريد به وجه الله فإن الله غني عن عرض الدنيا … قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين أي كونوا قوامين بالعدل … والقوام بالقسط المستعمل له على حسب ما يجب من نصابه … العدل …

الرجل أقسط إذا عدل … بالقسط وقسط يقسط قسوطا إذا جار قال الله وأقسطوا إن الله يحب المقسطين أي اعدلوا وقال تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا أي الجائرون وقوله تعالى شهداء لله نصب على الحال … أن يكون خبرا بعد خبر … والثالث على أنه صفة لقوامين … معنى شهداء لله أي اشهدوا لله بالحق على من كان من قريب وبعيد وقيل معنى الآية كونوا قوامين بالعدل في الشهادة على من كانت ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين في الرحم فأقيموها عليهم لله ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما منكم فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا أي … الحق قوله تعالى ولو على أنفسكم أي قولوا الحق ولو على أنفسكم والشهادة على النفس إقرار وقوله تعالى أو الوالدين والأقربين أي ولو على والديكم وعلى أقربائكم وفي هذا بيان أن الشهادة للابن على الوالدين لا تكون عقوقا ولا يحل للابن الامتناع عن الشهادة على أبويه لأن في الشهادة عليهما بالحق منعا لهما عن الظلم وقوله تعالى إن يكن غنيا أو فقيرا معناه إن يكن المشهود عليه غنيا أو فقيرا فالله أحق بالغني والفقير من عباده من أحدهم بوالديه وقرابته وأرحم فأقيموا الشهادة لله … في الشهادة رحمة للفقير ولا تقصدوا … لغنى الغني … قال صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالما أو مظلوما قيل يا رسول الله كيف ننصره ظالما قال أن ترده عن ظلمه فإن ذلك نصره قوله تعالى فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا معناه لا تتبعوا الهوى لتعدلوا ويقال كراهة أن تعدلوا وهذا كقوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا ويقال معنى تعدلوا تميلوا من الحق إلى الهوى قوله تعالى وإن تلووا أو تعرضوا من قرأ تلووا بواوين فمعناه أن تماطلوا في إقامة الشهادة وتميلوا اللسان لتغيروا الشهادة أو تعرضوا عن إقامة الشهادة … في دينه أي دافع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لي الواجد ظلم والمعنى أن تلووا اللسان بتحريف الشهادة لتبطلوا الحق أو تعرضوا عنها فتكتموها فإن الله كان بما تعملون خبيرا ومن قرأ تلوا بواو واحدة فهو من الولاية معناه أن تلوا إقامة الشهادة أو تعرضوا وعن ابن عباس أن المراد بالآية القاضي يتقدم إليه الخصمان فيعرض عن أحدهما أو يدافع في إمضاء الحق أو لا يسوي بينهما في المجلس والنظر والإشارة ولا يمتنع أن يكون المراد بالآية القاضي والشاهد وعامة الناس … وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال عند نزول هذه الآية من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقم الشهادة على من كانت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجحد حقا هو عليه وليؤده عفوا ولا يلجئه إلى سلطان وخصومة ليقطع بها حقه وأيما رجل خاصم إلي فقضيت له على أخيه بحق ليس عليه فلا يأخذنه فإنما أقطع له قطعة من نار جهنم قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأسد بن كعب وأخيه أسيد وثعلبة بن قيس وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن أخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله وبمحمد وبالرسل كلهم وبكل كتاب أنزله الله قالوا لا نفعل فأنزل الله هذه الآية ومعناها يا أيها الذين آمنوا بمحمد والقرآن وبموسى والتوراة آمنوا بالله ورسوله محمد والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل يعني الكتب المتقدمة التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب المنزلة ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا أي أخطأ خطأ بعيدا فلما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله إنا نؤمن بالله ورسوله والقرآن وبكل كتاب كان قبل القرآن وبكل رسول كان من قبل والملائكة واليوم الآخر لا نفرق بين أحد منهم كما فرقت اليهود والنصارى وقيل الآية يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة وعيسى والإنجيل آمنوا بمحمد والقرآن وقال أبو العالية وجماعة من المفسرين هذه الآية خطاب للمؤمنين وتأويلها يا أيها الذين آمنوا آمنوا أي أقيموا واثبتوا على الإيمان وقال بعضهم إنها خطاب للمنافقين ومعناها يا أيها الذين آمنوا في الملأ آمنوا في الخلاء قوله تعالى ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله أي من يجحد بوحدانية الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد أخطأ خطأ بعيدا عن الحق والصواب قوله عز وجل إن الذين

إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا اختلف المفسرون في هذه الآية قيل إن المراد بهم اليهود وقال الكلبي آمنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم آمنوا بعزير عليه السلام ثم كفروا بعده بعيسى عليه السلام ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقال مقاتل آمنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا بعده ثم آمنوا بعيسى عليه السلام ثم كفروا بعده ثم ازدادوا كفرا ثم ماتوا على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل آمنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا بعده بعيسى عليه السلام ثم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ثم كفروا به بعد ما بعث ثم أقاموا على كفرهم وقال قتادة آمن اليهود بموسى عليه السلام ثم كفروا بعبادة العجل ثم آمنوا بالتوراة ثم كفروا وآمن بعد ذلك يعني ثم ازدادوا كفرا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى

لم يكن الله ليغفر لهم أي ما داموا على كفرهم ولا ليهديهم سبيلا أي ولا ليوفقهم طريقا إلى الإسلام ولكن يخذلهم مجازاة لهم على كفرهم فإن قيل إن الله لا يغفر الكفر مرة فما الفائدة في قوله ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا قيل إن الكافر إذا آمن غفر له كفره وإذا كفر بعد إيمانه لم يغفر له الكفر الأول وهو مطالب بجميع كفره قوله تعالى بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما أي أخبر المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه ومن يكون على سبيلهم إلى يوم القيامة بأن لهم عذابا وجيعا يخلص وجعه إلى قلوبهم قوله عز وجل الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين المخلصين الموحدين قوله تعالى أيبتغون عندهم العزة هذا استفهام بمعنى الإنكار أي كيف يطلبون عند الكفار العزة وهم أذلاء في حكم الله تعالى فإن العزة لله جميعا أي فإن القوة والمنعة له جميعا فمن أراد طلب العزة فليطلبها من الله تعالى لأنه المقتدر الجميع له العزة بين خلقه فجميع العزة له قوله عز وجل وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم أي وقد نزل عليكم في القرآن في سورة الأنعام بمكة إذا سمعتم الكفار يكفرون بها ويستهزئون بها فلا تجلسوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره القرآن وأراد بذلك المذكور في الأنعام قوله تعالى

وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره قوله تعالى إنكم إذا مثلهم أي مثلهم في الكفر والاستهزاء بآيات الله فهو مثلهم في الكفر لأن الرضا بالكفر والاستهزاء كفر ومن جلس معهم ساخطا لذلك منهم لم يكفر ولكنه يكون عاصيا بالقعود معهم فيكون في معنى قوله تعالى إنكم إذا مثلهم أي في أصل العصيان وإن لم يبلغ معصية المؤمنين معصية الكفار وهذا إذا لم يمكن خروج المؤمن من عندهم لحاجة أو قرض أو نسيئة أو ما أشبه ذلك فإن كان جلوسه هنالك لإقامة عبادة وهو ساخط لذلك الحال لا يقدر على تغييرها فلا بأس بالجلوس كما روي عن الحسن أنه حضر هو وابن سيرين جنازة وهنالك نوح فانصرف ابن سيرين فذكر ذلك للحسن فقال إنا كنا متى رأينا باطلا تركنا له حقا أسرع ذلك في ديننا ولم يرجع قوله تعالى إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا أي يجمعهم في جهنم مجازاة لهم على اجتماعهم في الدنيا للاستهزاء يوم القيامة فمن شاء منكم أن يكون معهم في جهنم فليكن معهم في الدنيا قوله تعالى الذين يتربصون بكم أي هم الذين ينتظرون بكم الدوائر ويراعون أحوالكم يعني المنافقين والمتربص للشيء هو المتوقع نيابته وسمي المتربص مترقبا لتوقعه على البيع قوله تعالى فإن كان لكم فتح من الله أي إن كان لكم ظفر ودولة وغنيمة قال المنافقون ألم نكن معكم على دينكم فأعطونا من الغنيمة وإن كان للكافرين نصيب أي ظهور على المسلمين قال المنافقون ألم نستحوذ عليكم أي ألم نستول عليكم بالمعونة لكم حتى صار لكم الظفر على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وننطلق على أيديهم وكنا بذلك لكم ونخذلهم عنكم ونخبركم بسرهم وأسرارهم فالله يقضي بين المؤمنين والمنافقين والكفار ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا أي لن يجعل الله لليهود يوم القيامة على المؤمنين وقيل السبيل الحجة أي ولن يجعل الله للكفار من اليهود وغيرهم حجة على المسلمين في الدنيا والآخرة وقيل معنى السبيل الدولة والظهور أي لن يجعل الله الكافرين الجنة فيقولون للمؤمنين ما أغنى عنكم تعظيمكم في الدنيا وما ضرنا كفرنا بعد أن تساوينا في الجنة لهم على المؤمنين بذلك السبيل والاستيلاء في اللغة هو الاستيلاء قوله تعالى إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم أي يخادعون أولياء الله بإظهارهم الإيمان وإبطانهم الكفر ليحقنوا بذلك دماءهم ويشاركوا المسلمين في غنائمهم وجعل الله أولياءه مخادعتهم كما قال تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وهو خادعهم أي مجازيهم جزاء خداعهم وذلك أنهم يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فإذا مضوا به على الصراط طفئ نورهم وبقي المؤمنون بنورهم فينادون المؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم فتناديهم الملائكة على الصراط ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقد علموا أنهم لا يستطيعون الرجوع فيخاف المؤمنون حينئذ أن يطفأ نورهم فيقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير قوله تعالى

وإذا قاموا إلى الصلاة يعني المنافقين قاموا كسالى أي متثاقلين لا يريدون بها وجه الله تعالى ولا يريدون الصلاة إلا رياء للناس خوفا منهم يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا أي لا يصلون لله إلا قليلا رياء وسمعة ولو كانوا يريدون بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا لهم قوله عز وجل مذبذبين بين ذلك أي مرددين مترددين بين ذلك وهذا نصب على الذم معناه مترددين بين الكفر والإيمان والإيمان في العلانية ليسوا من المؤمنين فيجب لهم ما يجب للمسلمين وليسوا من الكفار فيجب عليهم ما يجب على الكفار وقيل معناه متحيرين بين الكفر والإيمان لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء أي ليسوا من المؤمنين فيجب عليهم ما عليهم وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار لأنهم ما هم بمؤمنين ولا هم كفار مصرحين بالشرك وكان صلى الله عليه وسلم يضرب مثلا للمؤمنين والمنافقين والكافرين كمثل رهط ثلاثة انتهوا إلى نهر فقطعه المؤمن ووقف الكافر ونزل فيه المنافق حتى إذا توسط عجز فناداه الكافر هلم إلي لا تغرق وناداه المؤمن هلم إلي لتخلص فما زال المنافق يتردد بينهما حتى أتى عليه ماء فغرقه وكأن المنافق لم يزل في شك حتى يأتيه الموت قوله تعالى ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا أي ومن يخذله الله عن الهدى فلن تجد له يا محمد طريقا إلى الهدى قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أي لا تفعلوا أيها المؤمنون كفعل المنافقين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا أي حجة ظاهرة بموالاتكم الكفار عليكم في الدنيا والآخرة والسلطان في اللغة الحجة يقال للأمير سلطان يراد بذلك أنه حجة قوله عز وجل إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار أي في الطبق الأسفل وهي الهاوية لكفرهم وخيانتهم للنبي صلى الله عليه وسلم مع انطباق الكفر في أسفل جهنم والأدراك أي منازل كل منزلة منها درك ومن قرأ الدرك بإسكان الراء فهو لغة والكسائي الفراء على فتحها والدرك إلى النار مثل الدرجات في الجنة كل ما كان من درجات الجنة أعلى فثواب من فيه أعظم وما كان من دركات النار أسفل فعذاب من فيه أشد وسئل ابن مسعود عن الدرك الأسفل فقال هو توابيت من حديد مبهمة عليهم لا أبواب لها قوله تعالى ولن تجد لهم نصيرا أي مانعا يمنع عنهم العذاب وعن عبد الله بن عمر أن أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون قال الله تعالى في أصحاب المائدة فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وقال أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وقال إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار فإن قيل ما وجه التوفيق بين هذه الآية وبين قوله تعالى أدخلوا آل فرعون أشد العذاب قيل لا يمتنع أن يجمع القوم في موضع واحد ويكون عذاب بعضهم أشد من عذاب بعض ألا ترى أن البيت الداخل في الحمام يجمع فيه الناس فيكون بعضهم أشد حرا لما يركبه أذى في موضع الوقود وكذلك يجمع القوم في الشمس فيتأذى الأصفر وليس منها أشد وأكثر ما يتأذى السوداوي والمنافق في اللغة مأخوذ من النفق وهو السرب أي يستتر بالإسلام كما يستتر الرجل بالسرب وقيل هو مأخوذ من قولهم نافق اليربوع إذا دخل نافقاءه فإذا طلب من النافقاء خرج من القاصعاء وإذا طلب من القاصعاء خرج من النافقاء والنافقاء والقاصعاء والراهطاء أسماء جحر اليربوع قوله عز وجل

إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله أي إلا الذين تابوا من النفاق وأصلحوا العمل فيما بينهم وبين ربهم وتمسكوا بتوحيد الله ودينه وأخلصوا دينهم لله وعملهم لله أي أخلصوا ذلك من شوب الرياء وطلب عرض الدنيا فأولئك مع المؤمنين في الجنة والثواب فمن تاب من النفاق فلتأت وأصلح وتاب قوله تعالى وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما وهو الجنة وإنما حذفت الياء من يؤت في الخط كما حذفت في اللفظ لسكونها وسكون اللام في اسم الله كذلك سندع الزبانية ويدع الداع ويحتمل أن يكون معنى الآية بين أن هذه الثواب لمن لم يسبق منه كفر ولا نفاق فقد ذكر قوله تعالى وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما وسوف كلمة ترجية وأطماع وهي من الله سبحانه إيجاب لأنه أكرم الأكرمين ووعد الكريم إنجاز قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم لما ذكر الله تعالى أن المنافقين هم الذين أوقعوا أنفسهم في الدرك الأسفل من النار واستحقوا ذلك بنفاقهم وأنه ليس في حكمة الله تعذيب من شكر وآمن وإنما في حكمته أن يجزي كل عامل بما عمل فقد ذكر في قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم أي ما حاجته إلى تعذيبكم أيها المنافقون إن وحدتم

في السر وصدقتم في إيمانكم ويقال معناه إن شكرتم نعم الله التي أنعم بها عليكم وآمنتم به وبكتبه ورسله وقيل فيه تقديم وتأخير أي إن آمنتم وشكرتم لأن الشكر لا ينفع مع عدم الإيمان وبين الله تعالى أن تعذيبه عباده لا يزيد في ملكه وتركه عقوبتهم على فعلهم لا ينقص من سلطانه قوله تعالى **وكان الله شاكرا عليما** أي شاكرا القليل من أعمالكم مثيبا عليها يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليها أضعافها لكم واحدة إلى عشر إلى سبعمائة إلى ما شاء من الأضعاف والشكر من العبد هو الاعتراف بالنعمة الواصلة إليه مع ضرب من التعظيم والشكر من الله تعالى هو مجازاة العبد على طاعته قوله عز وجل **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم** قال ابن عباس معناه لا يحب الله الجهر بالدعاء بالشر على أحد إلا أن يظلم فيدعو على ظالمه فلا يعاقب على ذلك وهو مأذون له في أن يشكو ظالمه ويدعو عليه ويقال إلا من ظلم استثناء منقطع معناه لكن المظلوم يجهر بظلامته تشكيا وفي تفسير الحسن لا يحب الله الشتم في الانتصار إلا من ظلم فلا بأس له أن ينتصر ممن ظلمه بما يجوز له الانتصار به في الدين ونظيره قوله تعالى ولمن انتصر بعد ما ظلموا وقال الحسن يجوز للرجل إذا قيل له يا زاني أن يقابله بمثله من أنواع الشتم وقال مجاهد نزلت هذه الآية في الضيف إذا لم ينصف ومنع حقه فقد أذن له أن يشكو والضيافة ثلاثة أيام ومن قرأ إلا من ظلم بنصب الظاء فمعناه لكن الظالم يجهر بذلك ظلما واعتداء وقيل لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول قوله تعالى **وكان الله سميعا عليما** أي سميعا لدعاء المظلوم عليما بعقوبة الظالم ويقال سميعا بجميع المسموعات عليما بجميع المعلومات وموضع من رفع بفعله تعالى لأن من ظلم في موضع نصب على الاستثناء المنقطع قوله عز وجل **إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا** معناه إن تظهروا خيرا أو تسروه أو تعفوا عن مظلمة ظالمكم فإن الله كان عفوا العفو كثير العفو عن خلقه والقدير هو القادر بمعنى واحد أي إن الله قادر على العقوبة ثم يعفو عن عباده مع قدرته على الانتقام وقيل معنى الآية إن تردوا جوابا حسنا أو تسكتوا عن الجاهل ولا تجهروا ولا تؤاخذوه بظلمه فإن الله يعفو عن المظلوم ذنوبه وإن عفو الله عنكم معاصيكم أكثر من عفوكم عمن ظلمكم قوله عز وجل **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله** نزلت هذه في اليهود والنصارى آمنت اليهود بموسى والتوراة وكفرت بعيسى والإنجيل وآمنت النصارى بعيسى والإنجيل وكفرت بموسى والتوراة وجحدوا القرآن وكلهم كفروا بمحمد والقرآن فأعلم الله أنه ليس من الإيمان بالبعض والكفر بالبعض أن يتخذوا بين ذلك طريقا قوله عز وجل **أولئك هم الكافرون حقا** أي أهل هذه الصفة هم الكافرون البتة وانتصب قوله حقا على المصدر والتقدير في قوله حقا بيان أن إيمانهم بالبعض لا ينفعهم ولا يسلب اسم الكفر عنهم قوله عز وجل **والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم** يعني بالإيمان والتصديق **أولئك سوف يؤتيهم أجورهم** أي ثوابهم وسمي الثواب أجرا لأنه مستحق كالأجر قوله عز وجل **يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء** أي يسألك يا محمد كعب بن الأشرف وجماعة من اليهود أن تنزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى وهذا حين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قوله تعالى **فقد سألوا موسى أكبر من ذلك** أي لا يعجبك من سؤالهم إنزال الكتاب من السماء بعد أن جاءتهم البينات على نبوتك فإنهم سألوا موسى بعد ما رأوا الآيات أعظم من ذلك **فقالوا أرنا الله جهرة** أي معاينة ظاهرة منكشفة وهم السبعون الذين كانوا معه عند الجبل حين كلمه الله تعالى سألوه أن يريهم ربه رؤية يدركونها بأبصارهم في الدنيا وقال أبو عبيدة معنى الآية قالوا جهرة أرنا الله فجعل جهرة صفة لقولهم بالآية الرؤية لأن الرؤية لا تكون إلا جهرة قوله تعالى **فأخذتهم الصاعقة بظلمهم** أي أخذتهم النار عقوبة لهم بسؤالهم من موسى ما لم يستحقوه قوله تعالى **ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات** أي عبدوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات على توحيد الله وفي هذا بيان جهل اليهود وتعنتهم وعنادهم وأي جهل أعظم من اتخاذ العجل إلها بعد ظهور المعجزات وثبوت الآيات البينات قوله تعالى **فعفونا عن ذلك** أي تجاوزنا عنهم بعد توبتهم مع عظيم جنايتهم وجرمهم فإن سلفهم دل الله بذلك على سعة رحمته ومغفرته وتمام نعمته ومنته وبين بذلك أنه لا جرم يضيق عنها مغفرة الله وفي هذا منع من القنوط واستدعاء إلى التوبة قوله تعالى **وآتينا موسى سلطانا مبينا** أي أعطيناه حجة على من خالفه بينة ظاهرة وهي اليد والعصا قوله تعالى **ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم**

أي ورفعنا فوق رؤوسهم الجبل بإقرارهم بالله وبما جاء موسى وذلك حين أبوا قبول التوراة فرفع الله فوقهم الطور فقبلوه فخروا سجدا فرفع الله الطور عنهم قوله عز وجل **وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا** أي قلنا لهم ادخلوا باب أريحا منحنين بها خاشعين لله متخشعين لصلاتكم فدخلوا زحفا قد لووا أعناقهم ويقال وادا بالباب الذي عبدوا فيه العجل أمرهم الله أن يدخلوه بعد توبتهم عن عبادة العجل ساجدين لله عز وجل فيصير ذلك كفارة لعبادة العجل قوله تعالى **وقلنا لهم لا تعدوا في السبت** أي قلنا لهم مع هذا أيضا لا تستحلوا أخذ السمك في يوم السبت ومن قرأ لا تعدوا بتشديد الدال فأصله لا تعتدوا فأدغمت التاء في الدال وفيه التشديد معناه والقراءة بالتخفيف من عدى يعدو عدوانا قوله تعالى **وأخذنا منهم ميثاقا غليظا** أي إقرارا وثيقا شديدا يعني العهد الذي أخذه الله في التوراة فأبوا إلا المضي على المعصية وخرجوا عن الطاعة واستخفافا بأمر الله قوله عز وجل **فبما نقضهم ميثاقهم** أي بنقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم في التوراة وبجحدهم القرآن والإنجيل وبما في التوراة من نعت الإسلام وصفة النبي صلى الله عليه وسلم **وقتلهم الأنبياء بغير حق** بغير جرم **وقولهم قلوبنا غلف** أي في أوعية لا تعي شيئا بقول الله تعالى **بل طبع الله عليها بكفرهم** أي ليس كما قالوا ولكن ختم الله على قلوبهم مجازاة لهم على كفرهم **فلا يؤمنون إلا قليلا** أي إلا إيمانا قليلا لا يحب أن يسموا به مؤمنين وذلك أنهم آمنوا ببعض الرسل والكتب وكفروا ببعض وقال الحسن في هذا تقديم وتأخير معناه بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ويقال فلا يؤمنون المراد القليل عبد الله بن سلام ومن تابعه وما دخول ما في قوله تعالى فبما نقضهم فمعناه التأكيد وقال فبنقضهم العهد وجواب قوله تعالى فبما نقضهم مضمر في الآية تقديره فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وهذا لأن أول لزومه على الكفر ومن ذمه الله فقد لعنه يعني من ذمه على الكفر ويقال لأن الجالب للباء في قوله تعالى فبما قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا فقوله تعالى فبظلم بدل من فبما نقضهم وحتى كأنهما جميعا حرمنا عليهم طيبات قوله عز وجل **وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما** عطف على ما تقدم أي وبجحدهم بعيسى والإنجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم ورميهم مريم بالزنا وهو البهتان العظيم وذلك أن عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فقال بعضهم لبعض قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه فلما سمع بذلك عيسى قال اللهم أنت ربي وأنا عبدك بعثتني بكلمتك خرجت وبكلمتك خلقتني ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب والدتي فاستجاب الله دعاءه ومسخ ذلك الرهط الذين سبوه وسبوا أمه خنازير وكان رأسهم يهودا بن يعقوب بن متان قوله تعالى **وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله** قال ابن عباس وذلك أنه لما مسخ الرهط الذين سبوا عيسى وأمه خنازير فزع لذلك اليهود وخافوا دعوته فاجتمعوا على قتله فثاروا إليه ليقتلوه وهرب منهم ودخل بيتا في سقفه روزنة أي كوة فرفعه جبريل عليه السلام إلى السماء وأمر يهودا ملك اليهود رجلا يقال له ططيانوس أن يدخل البيت فيقتله فدخل فلم يجده فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام فلما خرج إلى أصحابه قتلوه وظنوا أنه عيسى ثم صلبوه فقال بعضهم قتلناه وقال بعضهم إن وجهه وجه عيسى وجسده جسد صاحبنا فإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى فاشتبه عليهم واختلفوا فيه ثم تبين عليهم ططيانوس فقتل بعضهم بعضا فقتل منهم مقتلة عظيمة قوله تعالى رسول الله قول الله خاصة لا قول اليهود كانت اليهود تقول لعيسى ابن مريم قال الله تعالى رسول الله أي يقتلون الذي هو رسول الله قوله تعالى **وما قتلوه وما صلبوه** أي وما قتلوا عيسى وما صلبوه ولكن ألقى الله على ططيانوس شبه عيسى عليه السلام فقتلوه ورفع عيسى إلى السماء وقال الحسن إن عيسى عليه السلام قال للحواريين أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل فيدخل الجنة فقام رجل من الحواريين فقال أنا يا رسول الله فألقى الله عليه شبه عيسى فقتل وصلب ورفع الله عيسى إلى السماء قوله تعالى **وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه** أي من قتله قال الكلبي اختلافهم فيه أن اليهود قالوا نحن قتلناه وصلبناه وقالت طائفة من النصارى بل نحن قتلناه وصلبناه فما قتله هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله إليه إلى السماء ويقال إن الله تعالى لما ألقى شبه عيسى على ططيانوس ألقاه على وجهه دون جسده فلما قتلوا ططيانوس نظروا إليه فإذا وجهه وجه عيسى وجسده غير جسد عيسى فقالوا إن كان عيسى فأين صاحبنا وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى فقال الله تعالى **ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا** نعت لمصدر محذوف

تعذيبه وما قتلوه يقيناً قوله تعالى بل رفعه الله اليه أي بل رفعه الله إلى السماء وإنما سمي ذلك رفعاً اليه لأنه رفع إلى موضع
لا يملك فيه أحد شيئاً إلا الله تعالى قوله تعالى وكان الله عزيزاً حكيماً تقدم تفسيره غير مرة وفائدة ذكره هاهنا أن
قدرة الله سبحانه على نجاة من يشاء وأنه حكيم فيما يفعل ويحكم. فلما رفع الله عيسى عليه السلام كساه الريش وألبسه النور
وقطع عنه شهوات المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش فكان إنسياً ملكياً سماوياً أرضياً. قال وهب بعث
عيسى على رأس ثلاثين سنة ورفعه الله وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وكانت نبوته ثلاث سنين قوله عز وجل وإن من أهل الكتاب
إلا ليؤمنن به قبل موته لما ذكر الله تعالى اختلاف اليهود والنصارى في عيسى بين بعده أن هذا الشك سيزول عن كل كتابي
فقال تعالى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته أي ما أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل أن يموت الكتابي يعني
إذا عاين اليهودي أمر الآخرة وحضرته الوفاة ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالت أتاك عيسى عليه السلام نبياً فكذبت به
فيؤمن حين لا ينفعه إيمانه وتقول للنصراني أتاك عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله فزعمت أنه هو الله وابن الله فيؤمن بأنه عبد الله
حين لا ينفعه إيمانه. وقيل معناه قبل موت عيسى وهذا قول الحسن وقتادة والربيع جعلوا الهاء في به وموته راجعاً
إلى عيسى عليه السلام والقول الأول هو قول عكرمة ومجاهد والسدي جعلوا الهاء في قوله به راجعة إلى عيسى وفي قوله موته
راجعة إلى الكتابي الذي يؤمن به إذا عاين الموت وهي رواية عن ابن عباس قال لا يموت يهودي ولا صاحب كتاب حتى يؤمن بعيسى وإن
احترق أو غرق أو تردى أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو أي ميتة كانت حتى قيل لابن عباس لو خر من بيت قال يتكلم به في
الهوي قيل له أرأيت لو ضربت عنق أحدهم قال يتلجلج به لسانه يدل على صحة هذا التأويل قراءة أبي قبل موتهم. وقال شهر بن حوشب
قال لي الحجاج يا شهر آية في كتاب الله ما قرأتها إلا تخالج في نفسي منها شيء فقلت وما هي قال وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن
به قبل موته وإني أوتى بالأسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فما أسمعه يقول شيئاً فقلت إن اليهودي إذا حضره الموت
ضربت الملائكة وجهه ودبره وتقول له يا عدو الله أتاك عيسى عبداً نبياً فكذبت به فيقول آمنت به فيؤمن به حين لا ينفعه
إيمانه ثم تقول للنصراني يا عدو الله أتاك عيسى عبداً نبياً فكذبت به وقلت إنه الله وابن الله فيقول إنه عبد الله ورسوله
حين لا ينفعه إيمانه قال الحجاج ومن حدثك بهذا الحديث فقلت حدثني به محمد بن الحنفية قال لقد كان منكما مخلص ثم نكت في الأرض
بقضيبه ساعة ثم رفع رأسه إلي وقال لقد أخذتها من عين صافية أخذتها من معدنها. قال الكلبي فقلت لشهر بن حوشب ما
الذي أردت بقولك للحجاج حدثني به ابن الحنفية وهو يكرهه ويكره من جاء من قبله قال أردت أن أغيظه وقيل إن
الهاء في قوله موته راجعة إلى عيسى لما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنا أولى الناس بعيسى لأنه لم يكن بيني وبينه
نبي ويوشك أن ينزل فيكم حكماً عدلاً فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض كأن رأسه يقطر
وإن لم يصبه بلل فيقتل الخنزير ويريق الخمر ويكسر الصليب ويذهب الجزية ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك الله في زمانه الملل
كلها غير ملة الإسلام وتكون السجدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال حتى لا يبقى أحد من
أهل الكتاب وقت نزوله إلا يؤمن به وتقع الأمنة في زمانه حتى ترتع الإبل مع الأسود والبقر مع النمور والغنم مع الذئاب
ويلعب الصبيان بالحيات لا يؤذي بعضهم بعضاً ثم يلبث في الأرض أربعين سنة ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه
وقال صلى الله عليه وسلم إن المسيح جاء فمن لقيه فليقرئه مني السلام وروي أنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على
أمته ينزل على ثنية جبل بالأرض المقدسة وفي يده عصا من حديد فيمكث في الأرض أربعين سنة إماماً مهدياً وقيل الهاء في
قوله ليؤمنن به كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم يؤمن به أهل الكتاب في وقت المشاهدة ولكن لا ينفعهم والقول الأول أصح
لأن الآية في قصة عيسى عليه السلام قوله تعالى ويوم القيمة يكون عليهم شهيداً أي يشهد عيسى عليه السلام على
نفسه يوم القيمة بالعبودية وعلى النصارى بأنهم عبدوه من غير حق وعلى اليهود بأنهم كذبوه قوله عز وجل فبظلم من
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم أي بظلم اليهود وجرمهم حرمنا عليهم أشياء كانت طيبة لهم في التوراة
من لحوم الإبل وألبانها والشحوم وكانوا إذا أصابوا ذنباً عظيماً حرم الله عليهم طعاماً طيباً وبصدهم عن سبيل الله
كثيراً معناه وبسبب منعهم الناس عن دين الله وهو الإسلام وبسبب أخذهم الربا وقد نهوا عنه في التوراة و

وأكلهم أموال الناس بالظلم وأخذ الرشا في الحكم قوله تعالى وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً أي هيأنا
للكافرين منهم عذاباً وجيعاً يخلص وجعه إلى قلوبهم وإنما خص الكافرين لبيان أن من آمن منهم غير داخل في هذا
الوعيد ثم استثنى الله تعالى منهم مؤمني أهل الكتاب فقال تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما
أنزل إليك وما أنزل من قبلك أي لكن الثابتون من أهل الكتاب وهم عبد الله بن سلام وأصحابه وسماهم راسخين
في العلم لثباتهم في العلم وتبحرهم فيه لا يضطربون ولا تميل بهم الشبه بمنزلة الشجرة الراسخة بعروقها في الأرض قوله
تعالى والمؤمنون يؤمنون أي والمؤمنون من غير أهل الكتاب من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون بما أنزل إليك يعني
القرآن وما فيه من تحريم ما حرم عليهم ويصدقون بما أنزل من قبلك على الأنبياء من الكتب والمقيمين الصلوة يجوز أن
يكون معناه يؤمنون بالنبيين المقيمين الصلوة فيكون قوله المقيمين نسقاً على قوله بما أنزل إليك ويجوز أن يكون نصباً على المدح
على معنى أعني المقيمين الصلوة وهم المؤتون الزكوة كأنه قال وهم المطيعون في الحال والصابرون في الشدائد قوله تعالى
والمؤمنون بالله واليوم الآخر أي المصدقون بالله وبالبعث بعد الموت أولئك سنعطيهم ثواباً وافراً في الجنة قوله عز وجل
إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده أي إنا أنزلنا جبريل عليك بهذا القرآن كما أوحينا إلى نوح
فأمرنا بما أمرنا به من التوحيد ودعوة الخلق إليه وكما أوحينا إلى النبيين من بعد نوح أوحينا إليك قيل إن نوحاً عليه السلام
عمر ألف سنة لم ينقص له سن ولم تشب له شعرة ولم يبالغ أحد من الأنبياء في الدعوة ما بالغ ولم يصبر على أذى قومه ما
صبر وكان يدعو قومه ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً وكان الرجل من قومه يضربه حتى يغمى عليه فإذا أفاق دعا وبلغ وقيل
هو أول من تنشق عنه الأرض بعد محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وأوحينا إلى إبرهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب
والأسباط وهم بنو يعقوب عليه السلام وهم اثنا عشر رجلاً وإلى عيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمن وآتينا داود
زبوراً الزبور هو الكتاب مأخوذ من الزبر وهو الكتابة ومن قرأ زبوراً بضم الزاي وهم الأعمش وحمزة وابن وثاب فمعناه الكتب
على الجمع فإن قيل كيف قدم الله ذكر عيسى على ذكر أيوب ويونس وهرون وسليمن وداود وهو من بعدهم قيل لأن الواو
لا تقتضي الترتيب فتقدم ذكره في الآية لا يوجب تقدمه في الخلق والإرسال والفائدة في تقديمه في الذكر الرد على اليهود
لطعنهم فيه وفي نسبه فقدمه الله في الذكر لأن ذلك أبلغ في كبت اليهود وفي تنزيهه مما رمي به ونسب إليه قوله
تعالى ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل عطف على إنا أوحينا إليك كأنه قال إنا أرسلناك وأوحينا إليك وأرسلنا
رسلاً قد قصصناهم عليك ويجوز أن يكون منصوباً بالفعل الذي بعده كأنه قال وقد قصصنا رسلاً عليك ومعنى قصصناهم
أي سميناهم لك في القرآن وعرفناك قصصهم وأرسلنا رسلاً لم نسمهم لك أمرناهم بالاستقامة على التوحيد ودعوة الخلق
إليه. وعن أبي ذر قال قلت يا رسول الله كم كانت الأنبياء وكم كان المرسلون قال كانت الأنبياء صلوات الله عليهم مائة
ألف وأربعة وعشرين ألفاً وكان المرسلون ثلثمائة وثلثة عشر وعن كعب الأحبار أنه قال الأنبياء صلوات الله عليهم ألف
ألف ومائتا ألف وخمسة وعشرون ألفاً والرسل ثلثمائة وثلثة عشر وكان داود عليه السلام قد أنزل عليه الزبور وكان يبرز
إلى البرية ويقرأ الزبور فيقوم معه علماء بني إسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن خلف الناس وتجيء الدواب
التي في الجبال إذا سمعت صوت داود فيقمن بين يديه تعجباً لما تسمع من صوته وتجيء الطير حتى تظلل على داود في خلائق
لا يحصيهن إلا الله ترفرف على رأسه وتجيء السباع حتى تحيط بالدواب والوحش لما تسمع فلما قارف الذنب لم ير ذلك فقيل له
ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية. وعن أبي موسى الأشعري قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتني البارحة
وأنا أستمع لقراءتك لقد أعطيت مزماراً من مزامير آل داود قال فقلت أما والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته تحبيراً
وكان عمر رضي الله عنه إذا رأى أبا موسى الأشعري رضي الله عنه قال ذكرنا يا أبا موسى فيقرأ عنده. وعن أبي عثمان النهدي
قال ما سمعت قط بربطاً ولا مزماراً ولا عوداً أحسن من صوت أبي موسى الأشعري. وكان يؤمنا في صلاة الغداة فنود أنه قرأ
سورة البقرة من حسن صوته. وفي تفسير الكلبي أن الله تعالى لما أنزل الآية التي قبل هذه الآية وقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الناس قالت اليهود ... محمد أنكر ما أنزل الله على موسى وبعد أوحى إليه كما أوحى إلى النبيين من قبله وأنزل

إنه تعالى هذه الآية فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو ان محمدا قد ذكره فيمن ذكره وفضله بكلامه عليهم وفائدة
تخصيص موسى عليه السلام بالكلام مع انه تعالى كلم غيره من الأنبياء انه كلمه من غير واسطة وكلم غيره من الأنبياء بالوحي
إليهم على لسان بعض الملئكة قوله تعالى تكليما يدل على انه كلمه كلاما حقيقيا لا مجازا عن معنى الوحي إليه قوله
عز وجل رسلا مبشرين ومنذرين معناه أرسلنا هؤلاء رسلا مبشرين بالجنة لمن أطاع ومخوفين بالنار لمن عصى
لئلا يكون للناس على الله حجة يوم القيمة بعد الرسل إليهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا
نتبع آياتك وكان الله عزيزا حكيما ظاهر المراد قوله تعالى لكن الله يشهد بما أنزل إليك قال ابن
عباس وذلك ان رؤساء مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سألنا اليهود عن نعتك وصفتك في كتابهم
فزعموا انهم لا يعرفونك فأتنا بما نشهد لك ان الله بعثك إلينا رسولا فأنزل الله هذه الآية وأنزل قوله تعالى قل أي شيء أكبر شهادة قل
الله شهيد بيني وبينكم الآية قوله تعالى أنزله بعلمه أي على علم منه بأنك أهل لما أنزله عليك وعلم من يقبل ومن لا يقبل كما
قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته وقيل معناه أنزله بعلمه أي علم ما فيه من الأحكام وما يحتاج إليه العباد من أمر دينهم
ودنياهم ثم أنزله وقيل معناه أنزله إليك من علمه لم يبدل ولم يغير بل وصل إليك كما كان في اللوح المحفوظ قوله تعالى
والملئكة يشهدون أي هم يشهدون على شهادة الله وعلى شهادتك بأن الذي يشهد به حق قوله تعالى وكفى
بالله شهيدا أي اكتفوا بالله شهيدا في شهادته ان لم تشهد اليهود بما في كتابهم قوله عز وجل ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا معناه ان الذين جحدوا وحدانية الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وصدوا
الناس عن دين الله وطاعته فقد أخطأوا خطأ بعيدا عن الهدى والصواب بين الله تعالى في هذه الآية ضلالتهم في الدنيا وعقوبتهم
في الآخرة فقال تعالى ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم أي ان الذين كفروا بما يجب الايمان به وظلموا أنفسهم بكفرهم
لم يكن الله ليغفر لهم ما داموا على كفرهم ولا ليهديهم طريقا إلى الاسلام لكن يتركهم على طريق جهنم وهو الكفر وقيل
معناه لا يرشدهم في الآخرة إلى طريق غير طريق جهنم كما في قوله تعالى فاهدوهم إلى صراط الجحيم خالدين فيها أبدا وكان ذلك
التخليد والتعذيب على الله يسيرا هينا قوله عز وجل يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم خطاب لعامة
الخلق وقد جاءكم الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بكلمة التوحيد والقرآن من عند ربكم فصدقوا بالله ورسوله وما جاء من عنده يكن
خيرا لكم من التكذيب قال الخليل والبصريون انتصب قوله تعالى خيرا لأنك إذا أمرت بفعل دخل معناه تقديره ائتوا خيرا لكم
وإذا نهيت عن فعل دخل في معناه إن تبدل خيرا لك وقال الفراء انتصب لأنه متصل بالأمر وهو من صفته تقديره هو خير لكم فلما سقط
هو اتصل بما قبله وعلى هذا انتهوا خيرا لكم وقال الكسائي انتصب بخروجه من الكلام قال وهذا انما تقوله العرب في الكلام التام
نحو قولك لتقومن خيرا لك وانته خيرا لك فاذا كان الكلام ناقصا رفعوا فقالوا ان انتهوا خير لكم قوله تعالى وان تكفروا
فان لله ما في السموات والأرض أي ان تكفروا فإن الله غني عنكم فان لله ما في السموات والأرض وقيل ان تكفروا فإن الله غني
عنكم لكونه مالك السموات والأرض وكان الله عليما حكيما أي لم يزل عليما بخليقته ممن يؤمن وممن لا يؤمن حكيما في أمره
بالسلام على عباده قوله تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق نزلت في نصارى نجران وهم
النسطورية الذين يقولون عيسى ابن الله والمار يعقوبية الذين يقولون عيسى هو الله والملكوسية الذين يقولون ثالث
ثلاثة وقيل هم الملكانية وقيل الآية عامة أهل الكتاب لا تجاوزوا الحد في الدين تغلوا فيه والغلو في الدين مجاوزة
الحد فيه وقد غلت النصارى في أمر عيسى حتى جاوزوا به منزلة الأنبياء فجعلوه إلها وقيل ان الآية خطاب لليهود والنصارى
لأن اليهود أيضا غلوا في أمر عيسى حتى جاوزوا به منزلة من ولد على الطهارة فجعلوه لغير رشدة قوله تعالى ولا تقولوا على
الله إلا الحق أي لا تصفوا الله إلا بالحق والحق أنه تعالى الله واحد لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد له ونزهوه عن النقائص
وعن جميع صفات المحدثين قوله تعالى إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله أي ليس المسيح إلا رسول الله لأن إنما تفيد
تحقيق المذكور ونفي ما سواه فقوله إنما الله إله واحد نفي في قوله عيسى ابن مريم بأنه لا يجوز ان يكون إلها أي كيف يكون
إلها وهو ابن مريم أمة الله وكيف يكون إلها وأمه قبله قوله تعالى وكلمته ألقاها إلى مريم أي لأنه كان

بكلمته عز وجل وهو قوله كن فيكون قوله تعالى وروح منه قال ابن عباس معناه أمر من الله عز وجل أتاها
جبريل عليه السلام والنفخ في اللغة يسمى روحا وقيل سماه الله روحا لأنه كان يحيي به الناس في الدين كما يحيون بالأرواح وقيل
لأنه روح من الأرواح أضافه الله إليه تشريفا كما تقول بيت الله وقال السدي معناه وروح منه أي مخلوق منه أي من
عنده وقيل معناه ورحمة منه جعله الله رحمة لمن أمن به يدل عليه قوله تعالى وأيدهم بروح منه أي قواهم برحمة منه وقيل
الروح الوحي أوحي إلى مريم بالبشارة وأوحي إلى جبريل بالنفخ وأوحي إليه أن كن فكان يدل عليه قوله تعالى ينزل الملائكة
بالروح أي بالوحي وكذلك وأوحينا إليك روحا من أمرنا أي وحيا وروي انه كان لهارون الرشيد طبيب نصراني وكان غلاما
حسن الوجه جليلا وكان كامل الأدب جامعا للخصال التي يتوسل بها إلى الملوك وكان الرشيد مولعا بأن يسلم وهو ممتنع وكان
الرشيد يمنيه الأماني ان أسلم فأبى فقال له ذات يوم مالك لا تؤمن قال ان في كتابكم حجة على من انتحله قال وما هي قال قوله
تعالى وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه نعم هذا ان عيسى جزء منه فضاق قلب الرشيد وجمع العلماء فلم يكن منهم من يزيل
شبهته حتى قيل له قد وفد حجاج خراسان وفيهم رجل يقال له علي بن الحسين بن واقد من أهل مرو وهو امام في علم القراءات
فدعاه فجمع بينه وبين الغلام فسأل الغلام عن ذلك فاستعجم عليه الجواب في الوقت وقال قد علم الله يا أمير المؤمنين في سابق علمه
ان هذا الخبيث يسألني في مجلسك عن هذا وانه لم يخل كتابه عن جوابه وانه ليس يحضرني الآن ولله علي ان لا أطعم ولا أشرب حتى أؤدي
الذي يجب من الحق ان شاء الله ودخل بيتا مظلما واغلق عليه بابه واندفع في قراءة القرآن حتى بلغ سورة الجاثية الى قوله وسخر
لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه فصاح بأعلى صوته افتحوا الباب فقد وجدت الجواب ففتحوا ودعا الغلام فقرأ عليه الآية
بين يدي الرشيد وقال ان كان قوله وروح منه يوجب ان يكون عيسى بعضا منه وجب أن يكون ما في السموات وما في الأرض
بعضا منه فانقطع النصراني وأسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل علي بن الحسين بصلة جزيلة فلما عاد علي بن الحسين الى
مرو صنف كتابا وسماه كتاب النظائر في القرآن وهو كتاب لا يوازيه كتاب قوله تعالى فآمنوا بالله ورسله أي
صدقوا بوحدانية الله وبما جاءكم به الرسل من الله ولا تقولوا ثلاثة أي لا تقولوا الآلهة ثلاثة أب وابن وروح قدس
انتهوا من هذه المقالة وتوبوا إلى الله هو خير لكم من الاصرار على الكفر قوله تعالى إنما الله إله واحد أي
ما الله إلا إله واحد سبحانه أن يكون له ولد كلمة تنزيه عن السوء أي تنزيها له عن أن يكون له ولد
له ما في السموات وما في الأرض كلهم عبيده وإماؤه وفي قبضته ويستحيل لمن يكون المملوك ابنا للمالك
أي لا يجتمع الملك مع الولادة ونظير هذا قوله تعالى وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات
والأرض إلا آتي الرحمن عبدا قوله تعالى وكفى بالله وكيلا أي اكتفوا بربوبيته وبكفالته فلا ولد
له ولا شريك سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا قوله عز وجل لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا
لله ولا الملئكة المقربون نزلت في وفد نجران ناظروا النبي صلى الله عليه وسلم في أمر عيسى عليه السلام
فقالوا لم تعيب صاحبنا فقال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي شيء أقول فيه قالوا تقول إنه عبد الله ورسوله فقال
ليس بعار لعيسى ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت هذه الآية لن يستنكف المسيح
أن يكون عبدا لله أي لن يأنف ولن يتعظم عن الإقرار بالعبودية لله عز وجل ولا الملئكة المقربون عن
عبوديته وهم حملة العرش وأفاضل الملائكة يعني ان النصارى كانوا يقولون عيسى ابن الله وقوم من العرب كانوا
يقولون الملائكة بنات الله فرد الله على الفريقين جميعا قوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فسيحشرهم إليه جميعا أي من يأنف ويمتنع عن توحيده وطاعته ويتعظم عن الإيمان فسيجمعهم الله جميعا
المستنكف والمتكبر والمقر والمطيع فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم
من فضله أي فالذين آمنوا بمحمد والقرآن وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم فيوفر عليهم جزاء أعمالهم في
الجنة ويزيدهم من عطاياه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأما الذين أبوا واستكبروا عن الإيمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فيعذبهم عذابا أليما وجيعا ولا يجدون لهم سوى الله قريبا ينفعهم ولا ناصرا ينصرهم
من النار قوله عز وجل يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا خطاب للناس

كلهم والبرهان هو النبي صلى الله عليه وسلم سماه برهانا لظهور معجزاته والنور المبين القرآن سماه نورا مبينا
لأن النور هو الذي يبين الأشياء حتى ترى والقرآن مبين الأشياء كلها قوله تعالى فأما الذين آمنوا بالله
واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل أي وأما الذين صدقوا بوحدانية الله وتمسكوا
بدينه وكتابه وسألوا العصمة من معاصيه فسيدخلهم في الآخرة في جنته وكراماته التي أعدها لهم ويهديهم إليه
صراطا مستقيما أي ويثبتهم في الدنيا سبيل الهدى وهو الإسلام ويثيبهم عليه وتقدير الآية يهديهم في الدنيا ويدخلهم
في الآخرة قوله عز وجل يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة نزلت في جابر بن عبد الله حين جاء إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال إن لي أختا فما لي منها إذا ماتت فأنزل الله هذه الآية وقد تقدم تفسير الكلالة
وابتدأ بالرجل فقال إنه مات قبل أخته قوله تعالى وله أخت يعني من أم وأب أو من أب وقوله تعالى
فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وحكم الثلاث والأربع فما عدا حكم الاثنتين كالبنات وإن كانوا
إخوة رجالا ونساء أي وإن كان الورثة إخوة من أم وأب ومن أب ذكورا وإناثا فللذكر مثل حظ الأنثيين قوله
تعالى يبين الله لكم أن تضلوا أي يبين الله لكم قسمة المواريث لئلا تخطئوا في قسمتها وقد تحذف لا في الكلام
ويراد إثباتها كما في قوله تعالى وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وتقول في القسم والله أبرح قاعدا أي لا أبرح وقد تزاد
لا ويراد طرحها كما في قوله تعالى لا أقسم وما منعك ألا تسجد • وذهب البصريون إلى أن معناه كراهة أن تضلوا فحذف
المضاف وأقام المضاف إليه مقامه كما في قوله تعالى واسأل القرية وقال الفراء موضعه نصب بنزع الخافض قوله
تعالى والله بكل شيء عليم ظاهر المعنى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة النساء أعطي
من الأجر كمن اشترى ذا رحم فأعتقه وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة

مدنية إلا قوله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم وقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم فإن هاتين الآيتين نزلتا بمكة
بعد الفتح وحكمهما حكم المدنية لورودهما بعد الهجرة وعدد حروفها أحد عشر ألفا وسبعمائة وثلاثة حرفا وعدد كلماتها ألفان
وثمانمائة وأربع كلمات وعدد آياتها مائة وعشرون آية عند الكوفيين واثنان وعشرون عند الحجازيين وثلاث وعشرون
عند البصريين •

بسم الله الرحمن الرحيم

• يا أيها الذين آمنوا أوفوا
بالعقود أي أوفوا بالعقود التي عقدها الله عليكم مما أحله لكم وحرمه عليكم وقيل معناه أتموا العهود التي بينكم
وبين المشركين ولا تنقضوها حتى يكون النقض من قبلهم هكذا روي عن ابن عباس والضحاك وقتادة وقال الحسن معناه
أوفوا بعقود الدين يعني أوامره ونواهيه وقيل معناه أوفوا بكل عقد تعقدونه على أنفسكم من نذر أو يمين وقيل
معناه أوفوا بالعقود التي يعقدها بعضكم لبعض نحو عقد البيع والإجارة والنكاح والشركة ولا تنافي بين هذه الأقوال إذ كل
هذه العقود يجب الوفاء بها قوله تعالى أحلت لكم بهيمة الأنعام أي أحلت لكم الأنعام بنفسها وأضاف
البهيمة إلى الأنعام كما يقال مسجد الجامع ونفس الإنسان والأنعام هي الإبل والبقر والغنم ودخل في هذه الآية أيضا
الظباء وبقر الوحش وحمار الوحش لأنها أنعام في التمييز من الأهلية ولهذا استثنى الله الصيد في حال الإحرام في قوله
تعالى غير محلي الصيد وأنتم حرم والبهيمة في اللغة تتناول كل حي لا تمييز له استبهم عليه الجواب أي استغلق قوله
تعالى إلا ما يتلى عليكم أي إلا ما يقرأ عليكم في القرآن مما حرم عليكم في هذه السورة من الميتة والدم ولحم الخنزير
والموقوذة والمتردية والنطيحة قوله تعالى غير محلي الصيد نصب على الحال من الكاف والميم التي في قوله أحلت
لكم كما يقال جاء زيد راكبا وجاء غير راكب والمعنى أحلت لكم بهيمة الأنعام غير محلي الصيد أي من غير أن تستحلوا قتل
الصيد وأنتم محرمون وقيل نصب على الحال من قوله أوفوا بالعقود أي أوفوا بالعقود غير محلي الصيد وأنتم
محرمون وهذا قول الأخفش والأول قول الكسائي ومعنى الآية أحلت لكم الأنعام إلا ما كان وحشيا فإنه صيد
لا يحل لكم إذا كنتم محرمين فذلك قوله وأنتم حرم قوله تعالى إن الله يحكم ما يريد أي يقضي على عباده بما شاء من
التحليل والتحريم على ما توجبه الحكمة قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله أراد به المناسك

أي لا تستحلوا مخالفة شيء منها ولا تجاوزوا مواقيت الحرم غير محرمين وتحرموا فيها وذلك أن الأنصار كانوا لا يسعون بين الصفا
والمروة وكان أهل مكة لا يخرجون إلى عرفة فأمر الله تعالى أن لا تتركوا شيئا من المناسك • وقال الحسن شعائر دين الله أي
لا تحلوا في دين الله شيئا مما لم يحل الله وقيل هي حدود الله في فرائض الشرع والشعائر في اللغة المعالم والإشعار الإعلام
والشعيرة واحدة الشعائر وهي كل ما جعل علما لطاعة الله تعالى قوله تعالى ولا الشهر الحرام أي لا تستحلوا القتال
والغارة في الشهر الحرام وأراد بذلك الأشهر الحرم كلها وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم إلا أنه ذكر باسم الجنس
كما في قوله تعالى إن الإنسان لفي خسر أراد به جنس الإنسان ولذلك استثنى المطيع بقوله إلا الذين آمنوا وكان في ابتداء الإسلام
لا يجوز المحاربة في الأشهر الحرم كما قال تعالى قل قتال فيه كبير ثم نسخ حرمة القتال في الشهر الحرام بقوله تعالى فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم قوله تعالى ولا الهدي ولا القلائد أي لا تحلوا الهدي أي لا تذبحوه قبل محله ولا تنتفعوا به بعد أن
جعلتموه لله ولا تمنعوه أن يبلغ البيت قوله تعالى ولا القلائد أي ولا تحلوا القلائد التي تكون في أعناق الهدايا أي لا تنتفعوا بها
قبل الذبح كما قال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه تصدق بجلالها وخطامها ولا تعط الجزار منها شيئا قوله تعالى ولا
آمين البيت الحرام معناه ولا تستحلوا القتل والغارة على القاصدين المتوجهين نحو البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنهما
أن الآية وردت في شريح بن ضبيعة بن هند اليمامي دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وقال أنت محمد النبي قال نعم قال
إلى ما تدعو قال إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال إن لي أمراء أرجع إليهم وأشاورهم فإن قبلوا قبلت ثم
انصرف من عند النبي صلى الله عليه وسلم فلما خرج قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبي غادر فمر شريح بسرح
لأهل المدينة فاستاقها وانطلق نحو اليمامة وهو يرتجز ويقول • بات يقاسيها غلام كالزلم
خدلج الساقين خفاق القدم • قد لفها الليل بسواق حطم • ليس براعي إبل ولا غنم • ولا بجزار على ظهر وضم هذا أوان الحرب
فاشتدي زيم • وقد كان عند دخوله على النبي صلى الله عليه وسلم خلف خيله خارج المدينة ودخل وحده فلما كان في العام
القابل خرج شريح نحو مكة في تجارة عظيمة في حجاج بني بكر بن وائل من أهل اليمامة وهم مشركون وكانت العرب في الجاهلية تغير
بعضهم على بعض فإذا كان أشهر الحج أمن الناس بعضهم بعضا وإذا سافر أحدهم في غير أشهر الحرم نحو مكة قلد هديه من الشعر
والوبر ومن لم يكن معه هدي قلد راحلته ومن لم يكن معه راحلة جعل في عنقه قلادة وكانوا يأمنون بذلك فإذا رجعوا
من مكة جعلوا أشياء من لحاء شجر الحرم في عنق الراحلة فأمنوا فلما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروج شريح وأصحابه
من أهل اليمامة إلى مكة أراد أهل شريح من أهل مكة أن يغيروا على شريح وأصحابه فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم
فأنزل الله هذه الآية قوله تعالى يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا في موضع نصب على الحال معناه قاصدين طالبين
رزقا بالتجارة ورضوانا أي رضا من الله تعالى على زعمهم ولا يرضى الله عنهم حتى يسلموا وقال الحسن وقتادة يعني رضوانا
أي يرضى الله تعالى عنهم فيصلح معاشهم ولا يعجل عليهم العقوبات في الدنيا إذ كانوا لا يقرون بالبعث ثم نسخ الله تعالى بعد ذلك
تعرض المشركين بقوله تعالى فاقتلوا المشركين كافة وبقوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقرأ الأعمش
ولا آمي البيت الحرام بالإضافة قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا
أي لا يحملنكم ولا يكسبنكم بغض قوم وعداوتهم أن صدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام على أن تظلموهم وتجاوزوا الحد
للمكافأة وموضع أن تعتدوا نصب لأنه مفعول وأن صدوكم مفعول له كأنه قال ولا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء عليهم
لصدهم إياكم • قرأ أهل المدينة إلا قالون وابن عامر والأعمش شنآن بجزم النون الأولى وقرأ الآخرون بالفتح وهما
لغتان إلا أن الفتح أجود لأنه أفخم اللغتين ولأن المصادر أكثر ما تجيء على فعلان مثل الضربان والسيلان والغليان
ونحو ذلك • قال ابن عباس يعني ولا يجرمنكم أي ولا يحملنكم وقال الفراء لا يكسبنكم شنآن قوم فلا تحرمه أهله أي كاسبهم
إن صدوكم • قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الألف على الاستئناف والجزاء وقرأ الآخرون بالفتح أي لأن صدوكم والفتح أجود
لأن الصد كان واقعا من الكفار يوم الحديبية قبل نزول هذه السورة قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
أي تعاونوا على الطاعة وترك المعصية • قال أبو العالية البر ما أمرت به والتقوى ترك ما نهيت عنه وظاهر الأمر

يقتضي وجوب المعاونة على الطاعة وظاهر الأمر على الوجوب قوله تعالى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان
أي لا يعن بعضكم بعضا على شيء من المعاصي والظلم وقال بعضهم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإثم والبر
فقال البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس قوله تعالى واتقوا الله إن الله
شديد العقاب أي اخشوه وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه إن الله شديد العقاب لمن عاقبه فعقابه شديد
قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به الميتة اسم لكل ذي روح
فارقه روحه حتف أنفه والمراد بالدم الدم المسفوح وحرم عليكم لحم الخنزير لعينه لكونه ميتة حتى لا يحل تناوله
مع وجود الذكاة فيه وفائدة تخصيص لحم الخنزير بالذكر دون لحم الكلب وسائر السباع أن كثيرا من الكفار ألفوا لحم
الخنزير واعتادوا أكله وأولعوا به ما لم يعتادوا أكل غيره وقيل فائدته أن مطلق لفظ التحريم يدل على نجاسة
عينه مع حرمة أكله ولحم الخنزير تخص هذا الحكم وذلك أن سائر الحيوانات المحرم أكلها إذا ذبحت كان لحمها طاهرا
لا ينفسد الماء إذا وقع فيه وإن لم يحل أكله بخلاف لحم الخنزير قوله تعالى وما أهل لغير الله به أي وحرم عليكم ما
ذكر عليه عند الذبح اسم غير الله وذلك أنهم كانوا يذبحون لأصنامهم يتقربون بذبحها إليهم فحرم الله كل ذبيحة إلى غير
الله تعالى وكذلك قال الفقهاء إن الذابح لو سمى النبي صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى فقال بسم الله ومحمد حرمت الذبيحة
قال في تفسير عبد الصمد وذكر الإمام أبو عاصم العامري محمد بن أحمد عن أصحابنا أن سلطانا لو دخل بلدا فذبح الناس
الذبائح تقربا إليه بذبحها وإراقة دمها لم تحل لنا ولا شيء منها لأنه قد أهل بها لغير الله وتقرب بذبحها إلى غير الله و
فرق بين هذا وبين ما يذبحه الرجل لضيفه فإن صاحب الضيف إنما يتقرب إلى ضيفه باللحم دون إراقة الدم ألا ترى
لو ذبح شاة بإسمه وكبسه ولم يقربها إليه لم يكن متقربا إليه فأما ما يذبح لأجل الأمراء عند دخولهم البلاد إنما
إليهم بالذبح وإراقة الدم دون اللحم وإن اللحم لا يحمل إليهم ولا يرجع إليهم شيء من منافعه فلذلك افترقا وكان يحكى عن
بعض المشايخ أن هذه المسألة وقعت ببلاد ما وراء النهر فاختلفوا فيها فكتبوا إلى أئمة بخارا فأفتوا بتحريمها
قوله تعالى والمنخنقة والموقوذة أي وحرم عليكم أكل لحم المنخنقة وهي التي تخنق بحبل وشبهه فتموت من غير
ذكاة وأما الموقوذة فهي المضروبة بالخشب حتى تموت قوله تعالى والمتردية هي التي تتردى من جبل أو في بئر
فتموت قبل الذكاة والتردي هو السقوط مأخوذ من الردى وهو الهلاك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم إذا
رديت رميتك من جبل فلا تأكل فإنك لا تدري أسهمك قتلها أم الماء فصار هذا الكلام أصلا في كل موضع اجتمع فيه معنيان
أحدهما حاظر والآخر مبيح أنه يغلب جهة الحظر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما
أمور مشتبهة فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك ألا وإن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه فمن وقع حول الحمى يوشك
أن يقع فيه وعن عمر رضي الله عنه أنه قال كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الربا قوله تعالى والنطيحة
هي التي تنطح حتى تموت وإذا تناطحت الحيوانات فقتل بعضها بعضا في النطاح فهي حرام بالآية قال ابن عباس
كان أهل الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى إذا ماتت أكلوها يقال رضه وقذه يقذه وقذا إذا ضربه
حتى أشفى على الهلاك قال الفرزدق * شغارة تقذ الفصيل برجلها * فطارة لقوادم الأبكار * قوله
تعالى والنطيحة إنما دخل الهاء فيها وإن كان الفعيل بمعنى المفعول تستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم لحية دهين
وعين كحيل لأنه خصصت لأن النطيحة لم يتقدمها اسم فلو أسقط الهاء منها لم يدر أهي مذكر أم مؤنث نظيره
ذلك لو قلت شاة نطيح لم تذكر الهاء لذكر الشاة وقرأ ابن أبي زائدة وأكيلة السبع وقرأ الحسن وطلحة السبع بسكون
الباء وهي لغة في السبع ومعنى قوله تعالى وما أكل السبع هو فريسته قوله تعالى إلا ما ذكيتم أي إلا
ما أدركتم ذكاته مما أكل منه السبع فذكيتم فإن ذلك يحل لكم وأما ما أبين من الصيد قبل الذكاة فهو ميتة
ويحتمل أن يكون قوله تعالى إلا ما ذكيتم راجعا إلى المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة
وأكيلة السبع فإنها كلها في الحكم بمعنى واحد وعن الحسن أنه كان يقول في هذه الجملة إذا طرفت بعينها

أو ركضت برجلها أو حركت بذنبها فذكها فكل وشرط أكثر العلماء في إباحة أكلها بالذكاة أن تكون حيوتها
وقت الذكاة أكثر من حيوة المذبوح وإن كانت هذه الصفة أثرت الذكاة في إباحتها وإلا فلا والتذكية تمام
فري الأوداج وإنهار الدم ومنه الذكاء في الفهم إذا كان تام العقل وذكيت النار إذا أتممت اشتعالها قوله تعالى
وما ذبح على النصب أي وحرم عليكم ما ذبح على النصب وهو جمع النصب والأنصاب فهي الحجارة كانوا ينصبونها
يعبدونها من دون الله تعالى ويقربون لها الذبائح والفرق بين النصب والأصنام أن الصنم اسم لما كان على صورة
الإنسان والنصب ما لا نقش له ولا صورة ولكنه يعبد والوثن ما كان منقوشا في الحائط لا شخص له وقيل النصب واحد
وجمعه أنصاب مثل عنق وأعناق وقرأ الحسن بن صالح وطلحة بن مصرف على النصب بجزم الصاد وقرأ الجحدري
بفتح النون والصاد جعله اسما موحدا كالجبل والجمع الأنصاب كالأجبال والأجمال وكلها لغات وهي الشيء المنصوب
ومنه قوله تعالى كأنهم إلى نصب يوفضون واختلفوا في معنى النصب هاهنا قال ابن جريج ومجاهد وقتادة
كانت حول البيت ثلثمائة وستون حجرا كان أهل الجاهلية يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها وكانوا يعظمونها
ويعبدونها ويذبحون لها وكانوا مع هذا يبدلونها إذا رأوا حجارة هي أعجب إليهم منها وقالوا ليست أصناما
إنما الصنم ما نقش وقال آخرون النصب هي الأصنام المنصوبة قال الأعشى * وذا النصب المنصوب لا تعبدنه *
لعاقبة والله ربك فاعبدا * قال قطرب معنى الآية وما ذبح للنصب أي لأجلها واللام وعلى يتعاقبان في
الكلام قال الله تعالى فسلام لك أي عليك وقال تعالى وإن أسأتم فلها أي فعليها وقال بعضهم معناه وما ذبح
على اسم النصب قوله تعالى وأن تستقسموا بالأزلام أي وحرم عليكم الاستقسام وهو طلب القسم بالأزلام
وهي القداح التي كانوا يجيلونها عند العزم على الميسر ويقسمون بها لحم الجزور على ما تقدم ذكره في قوله تعالى يسألونك
عن الخمر والميسر وقال الحسن كانوا يتخذون السهام فإذا أراد الرجل أن يخرج إلى سفر أو تجارة أو يتزوج أو حاجة
أخذ السهام بيده وكانوا يكتبون على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي فإن خرج الذي عليه أمرني ربي قال قد
أمرت بالخروج ولا بد لي من ذلك فيخرج فإن كره الخروج خرج غير بعيد ثم رجع ولا يدخل من باب بيته ولكن ينقب
ظهر بيته فيدخل ومنه يخرج إلى أن يشق له الخروج وإن خرج الذي عليه نهاني ربي قال قد نهيت عن الخروج
ولا يسعى فنهى الله عن ذلك تعالى هذا لأنه يحتمل أن يكون معنى الاستقسام طلبهم في الخروج والجلوس والخروج في ترك
الرزق والحوائج وظاهر هذه الآية يقتضي أن العمل على قول المنجمين لا تخرج من أجل نجم كذا واخرج من أجل نجم
كذا فسق لأن ذلك دخول في علم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله ومعنى الفسق الخروج من الطاعة قوله تعالى
ذلكم فسق إشارة إلى ما تقدم ذكره من المعاصي والحرام وقوله تعالى وأن تستقسموا في موضع رفع أي وحرم عليكم
الاستقسام بالأزلام والأزلام هي القداح التي لا ريش لها ولا نصل واحدها زلم مثل عمر وزفر وقيل زلم مثل قلم
وقال ابن جبير هي حصى بيض كانوا يضربون بها قوله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم قال ابن
عباس نزلت هذه الآية يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ومعه المسلمون وهو يوم الفتح يئس الكفار
يومئذ من رجوع المسلمين إلى دينهم مما ظهر من علو الإسلام والمسلمين على سائر الأديان وقال بعضهم أراد به
يوم حجة الوداع وقال الحسن أراد باليوم جميع زمان النبي صلى الله عليه وسلم وعصره كما يقال حادثة كذا في يوم
فلان يراد به عصره قوله تعالى فلا تخشوهم واخشون ليكن خوفكم لله وحده فقد أمنتم وحول الله الخوف
الذي كان يلحقكم إليهم بإظهار الإسلام وقيل معناه لا تخشوهم بإظهار تحريم ما كانوا يستحلون واخشوني في
ترك إظهار المحرمات قوله عز وجل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا
قال ابن عباس نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة يوم عرفة والناس وقوف رافعوا
أيديهم بالدعاء فبركت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم من ثقل هذه الآية تعذر أن كان عضدها يندق ولم ينزل
بعدها آية حلال ولا حرام وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وثمانين يوما وقبضه الله تعالى

الى رحمته • قال طارق بن شهاب جاء يهودي الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين آية تقرؤنها لو نزلت
علينا لاتخذنا يوم نزولها عيدا قال واي آية هي قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الآية فقال
عمر هل علمت في اي يوم نزلت وفي اي مكان نزلت انها نزلت يوم الجمعة يوم عرفة ونحن مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو واقف بعرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد ولا يزال ذلك اليوم عيدا • قال ابن عباس انها نزلت
في يوم عيدين يوم جمعة ويوم عرفة روي عن عمر رضي الله عنه انه بكى يوم نزلت هذه الآية فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر قال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاما اذا كمل فانه لم يكمل شيء الا نقص
قال صدقت • واختلفوا في معنى الآية وقال بعضهم اليوم اكملت لكم شرائع دينكم من الفرائض والسنن
والاحكام والحدود والحلال والحرام فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض وبينت لكم ما كنت
اريد ان ابينه لكم في الازل واما دين الله فلم يزل كاملا لا نقص فيه وهذا قول ابن عباس والسدي وقال
قتادة وسعيد معناه اكملت لكم دينكم فلم يحج معكم مشرك ويحتمل ان يكون المراد الاكمال للدين اظهاره على سائر
الاديان بالنصرة والغلبة واليوم نصب على الظرف كما يقال الآن وفي هذا الزمان قوله تعالى واتممت عليكم
نعمتي اي اتممت عليكم منتي باظهار الدين حتى لم يحج معكم مشرك وقيل نعمة الله بيان فرائضه وقيل هي ايجاب
الجنة وقيل معناه وانجزت لكم وعدي في قولي ولاتم نعمتي عليكم فكان من تمام نعمته ان دخلوا مكة آمنين وعليها
ظاهرين وحجوا مطمئنين ولم يخالطهم احد من المشركين قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا اي اخترت
لكم الاسلام من الاديان كلها دينا يعني ان الاسلام فقد استحق تولي ورضائي والدين اسم لجميع ما تعبد الله به
خلقه وامرهم بالاقامة عليه وهو الذي امروا ان يكون ذلك عادتهم والذي يجزون فان الدين في اللغة العادة
والدين الجزاء قوله تعالى فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم اي من دعته
الضرورة الى اكل شيء مما حرم الله عليه في مجاعة غير مائل الى اثم اي زائد على ما يسد به الرمق فان الله غفور
رحيم اباح له ذلك رحمة منه وتسهيلا على خلقه والمخمصة مأخوذة من الخمص وهو ضمور البطن والمجاعة
من الجوع وهو المثل قوله تعالى يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح
مكلبين قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم جاء عدي بن حاتم الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال انا لنأكل بما نصيد بها فقد احل البقر والظبا والحمر فمنها ما يدرك ذكاته ومنها ما لم يدرك وقد
حرم الله الميتة والحمر فانزل الله تعالى هذه الآية ومعناها يسألونك يا محمد اي شيء احل لهم من الصيد وغيره
قل احل لكم الطيبات يقال للطيب الحلال اي يحل قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي ما حل لكم وكل شيء
لم يات تحريمه في كتاب ولا سنة فهو من الطيبات وقال بعضهم اراد بالطيبات المستلذات والمشتهيات وهو عام
اريد به غير ما تضمنه الآية المتقدمة قوله تعالى وما علمتم من الجوارح مكلبين اي واحل لكم صيد ما علمتم فحذف
ذكر الصيد لان في الكلام دليلا عليه والجوارح هي الكواسب من الفهد والصقر والبازي والعقاب والنمر والكلب والباشق
والشاهين وسائر ما يصطاد به الصيد قال الله تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار اي كسبتم وقيل معنى الجوارح الجارحات
بناب او مخلب قوله تعالى مكلبين حال للمعلمين اي في حال اغرائهم الكلب على الصيد والتكليب اغراء السبع على الصيد
وارساله ومن قرأ مكلبين بفتح اللام فهو حال من الكواسب المعلمين وقرأ ابن مسعود والحسن مكلبين باسكان الكاف
وتخفيف اللام تعالى هذا المعنى يجوز ان يكون من قولهم اكلب الرجل اذا كثرت كلابه وامشى اذا كثرت ماشيته
وذكر الكلاب هنا اعم والاكثر والمراد به جميع الجوارح قوله تعالى تعلمونهن مما علمكم الله اي تؤدبونهن آداب
امساك الصيد عليكم كما ادبكم الله تعالى فكلوا مما امسكن عليكم اي مما حبسن لكم تعديلهن اياه
وهو ان لا ياكل الكلب من الصيد فاذا اكل منه حرم الصيد على صاحبه قال ابن عباس تعلم الكلب ان تضربه
حتى يترك الاكل وتعلم البازي ان تدعوه فيجيبك قوله تعالى واذكروا اسم الله عليه اي على الارسال

كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعدي بن حاتم اذا ارسلت كلبك المعلم وسميت الله تعالى فكل
وان اكل منه فلا تاكل فانه انما امسك على نفسه وفي بعض الروايات وان شارك كلبك كلبا اخر فلا تاكل فانك
انما سميت على كلبك ولم تسم على كلب غيرك وذهب بعض اهل العلم الى ان معنى الامساك في هذه الآية ان
يحفظ الكلب الصيد حتى يجيء صاحبه فان تركه حتى غاب عن صاحبه ثم وجده صاحبه بعد ذلك ميتا لم يحل
اكله كما قال صلى الله عليه وسلم كل ما اصميت ودع ما انميت • قيل ان الاصماء ما رأيت والانماء ما توارى عنك
واختلف اهل العلم في حد التعليم قال ابو حنيفة رحمه الله ليس فيه حد موقت وانما يرجع فيه الى اهل الصنعة
فان حكموا بتعليمه حل صيده بعد ذلك قال لان الاصطياد بالكلاب بمنزلة الحرف والصناعات للناس وكل
يرجع في كل صنعة الى اهلها وقال ابو يوسف ومحمد والشافعي من الفقهاء اذا دعي الكلب ثلث مرات على الولاء
فاجاب وارسل فاسترسل واخذ الصيد ولم ياكل حكمنا بكونه معلما لان التعليم لا يحصل بالمرة الواحدة
ويحصل بالمرات الكثيرة فجعل الحد الفاصل بين القليل والكثير بالثلاث التي هي اقل الجمع الصحيح قوله تعالى
واتقوا الله ان الله سريع الحساب قد تقدم تفسيره روي ابو رافع قال جاء جبريل عليه السلام الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فاذن له فلم يدخل فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه وخرج اليه فقال
له قد اذنا لك يا رسول الله قال اجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة فنظروا فاذا في بعض بيوتهم جرو • وعن علي
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب قال ابو
رافع فامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا ادع كلبا في المدينة الا قتلته فقتلت حتى بلغت العوالي فانتهيت
الى امرأة في ناحية المدينة عندها كلب يحرس عليها فرحمته ثم اتيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته
بامره فامرني بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته • وقال ابن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعا
صوته يقول اقتلوا الكلاب • وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل ثمن الكلب ولا حلوان الكاهن ولا مهر
البغي ونهى عن اقتنائها واتخاذها وامر بغسل الاناء من ولوغها سبع مرات احداهن بالتراب قال فلما امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب جاء اناس فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها
فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية فلما نزلت اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب
التي ينتفع بها ونهى عن اقتناء ما لا ينتفع بها وامر بقتل الكلب العقور وما يضر ويؤذي ودفع القتل عما سواها
مما لا ضرر فيه وعن عبد الله بن المغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت
بقتلها فاقتلوا منها الاسود البهيم وايما قوم اتخذوا كلبا ليس بكلب صيد او حرث او ماشية فانه ينقص من اجره
كل يوم قيراط • وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا ارض
فانه ينقص من اجره كل يوم قيراطان والحكمة في ذلك انه ينبح الضيف ويردع السائل قوله تعالى اليوم احل
لكم الطيبات اي الآن تمم الله لكم بيان الحلال وهو كل ما لم يجر ذكره في المحرمات قوله تعالى وطعام
الذين اوتوا الكتاب حل لكم اي ذبائح اليهود والنصارى حلال لكم والدليل على ان المراد بالطعام
هاهنا الذبائح ان ما سوى الذبائح من الاطعمة والاشربة حلال للمسلمين سواء كان من اهل الكتاب ولغيرهم فبان
ان المراد به الذبائح لان ذبائح غير اهل الكتاب من الكفار حرام على المسلمين قوله تعالى وطعامكم حل لهم اي
ويحل لكم ان تطعموهم ذلك قوله تعالى والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
قال الحسن اراد بالمحصنات هاهنا الحرائر من المؤمنات والكتابيات وقال ابن عباس اراد به الحرائر والعفائف
منهن • وتقدير الآية واحل لكم نكاح المحصنات من المؤمنات والكتابيات وقد استدل بعض الفقهاء بظاهر هذه
الآية على انه لا يجوز للمسلم نكاح الامة الكتابية والصحيح انه يجوز بظاهر قوله تعالى باذن اهلهن بدليل حل ذبائحهن
وانما خص الله المحصنات بالاباحة نكاحهن مع جواز نكاح غيرهن لان الآية خرجت مخرج الامتنان والمنة

في نكاح الحرائر العفائف أعظم وأتم يدل على ذلك أنه لا خلاف في جواز النكاح بين المسلم والأمة المؤمنة وإن كان
في الآية تخصيص المحصنات من المؤمنات ولا فضل لمن أراد النكاح أن لا يعدل عن نكاح الحرائر الكتابيات مع القدرة
عليهن وذلك لأن نكاح الأمة يؤدي إلى إرقاق الولد لأن الولد يتبع أمه في الرق والحرية ولا ينبغي للحر أن
يختار رق ولده كما لا ينبغي أن يختار رق نفسه قوله تعالى محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان أي
محصنين غير زانين معلنين بالزنا ولا متخذي صديقات بالزنا سرا قال الحسن كان بعض الجاهلية يسافح ويزني
بمن وجد من النساء وبعضهم يتخذ خليلة يزني بها سرا ويجتنب الزنا علانية فبين الله تعالى حرمة جميعه
قوله عز وجل ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين قال ابن عباس
رخص الله للمسلمين في نكاح الكتابيات قال أهل الكتاب لولا أن الله رضي أعمالنا لم يحل للمسلمين تزوج نسائنا وقال
المسلمون كيف يتزوج الرجل منا الكتابية وهي كافرة فأنزل الله تعالى ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله أي فقد
بطل ثواب عمله وهو في الآخرة من المغبونين غبن نفسه ومنزله وصار إلى النار ولا تغني عن المرأة الكتابية إسلام
زوجها ولا ينفعها ذلك [illegible] الكتابية قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة
فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين قال ابن عباس رضي الله عنه
من المفسرين معناه إذا أردتم القيام إلى الصلاة وإنما أضمر إرادة القيام لأن صحة قيام الصلاة بالطهارة ولا
يصح جزء من القيام قبل تقدم الطهارة وظاهر الآية يقتضي أن القيام إلى الصلاة يكون سببا لوجوب الطهارة
ولا خلاف بين السلف والخلف أن الطهارة لا تجب بسبب القيام إلى الصلاة إلا أنه روي عن عمر وعلي رضي الله عنهما
أنهما كانا يتوضآن عند كل صلاة فيحتمل أنهما كانا يفعلان ذلك ندبا واستحبابا لأن تجديد الطهارة
لكل صلاة مستحب وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من توضأ فهو على وضوئه ما لم يحدث
وقال لا وضوء إلا من حدث فثبت أن في الآية إضمارا آخر تقديره إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون فاغسلوا
وجوهكم وهذا نظير قوله تعالى فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر معناه فأفطر فعليه عدة من أيام أخر
وقوله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام معناه فحلق فعليه فدية وقال بعضهم معنى الآية إذا
قمتم من نومكم إلى الصلاة وقال هذا على أن النوم في حالة الاضطجاع حدث قوله تعالى فاغسلوا وجوهكم
الغسل إجراء الماء على المحل وتسييله سواء وجد معه الدلك أم لا والوجه ما يواجهك من الإنسان وحده من قصاص
الشعر إلى أسفل الذقن ومن شحمة الأذن إلى شحمة الأذن وظاهر الآية يقتضي أن المضمضة والاستنشاق غير واجبين
في الوضوء لأن اسم الوجه يتناول الظاهر دون الباطن قوله تعالى وأيديكم إلى المرافق أي مع المرافق هكذا قال علماؤنا
رحمهم الله تعالى إلا زفر رحمه الله فإنه ذهب إلى ظاهر الآية وقال إن حرف إلى للغاية والغاية لا تدخل في الحكم
كما في قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم فإذا احتمل اللفظ الغاية واحتمل معنى المقارنة صار مجملا فكان
موقوفا على بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي أنه كان إذا توضأ أدار الماء على مرفقيه فصار فعله
بيانا للمجمل على الوجوب قوله تعالى وامسحوا برؤوسكم اختلف العلماء في مقدار وجوب المسح منه فذهب مالك
إلى أن مسح جميع الرأس واجب وقال ظاهر الآية يقتضي الجميع دون البعض لأنك إذا قلت مررت بزيد أردت جملته لا بعضه
ومثل ذلك قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق والمراد كل البيت وكقوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه وذهب
الشافعي رحمه الله إلى أن الواجب مسح مقدار ما يتناوله الاسم ومن أصحابه من قدره بثلاث شعرات وهذا بعيد لأن
[illegible] ولأن ذلك القدر يحصل بغسل الوجه ويقل ذلك بعضه وقال أصحابنا
والاحتجاج على ما قلنا أن الباء قد تذكر ويراد بها التبعيض كما تقول أخذت برأس فلان ومسحت برأس اليتيم فإذا احتمل
اللفظ التبعيض كان مجملا يوجب الرجوع فيه إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي أنه توضأ
ومسح على ناصيته والناصية هي الربع المقدم من الرأس ومعلوم أنه كان لا يترك بعض الواجب فثبت أن الفرض

مقصود على هذا المقدار إلا أن الأفضل أن يمسح جميع الرأس ليخرج عن الخلاف وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم
توضأ ومسح جميع رأسه واختلف العلماء في عدد مسح الرأس فعند علمائنا الأفضل أن يمسح جميع رأسه بماء واحد وروي
عن الحسن عن أبي حنيفة أن يمسح رأسه ثلاث مرات بماء واحد كان سنة وقال الشافعي أن يمسح ثلاثا ثلاثا
بمياه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مسح رأسه مرة واحدة وقال صلى الله عليه وسلم الوضوء ثلاثا ثلاثا
إلا المسح وأما مسح الأذنين فهو سنة لا خلاف في ذلك بين أهل العلم وإنما اختلفوا في كيفية مسحهما قال أصحابنا
يمسح ظاهرهما مع الرأس بماء واحد كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مسح برأسه وأذنيه بماء واحد وفي
بعض الروايات مسح رأسه وأمسك بسبابتيه أذنيه ثم قال الأذنان من الرأس وقال الشافعي هما عضوان منفردان
يمسحان ثلاثا ثلاثا بمياه وأما مسح الرقبة فلم يذكر في شيء من الكتب المشهورة ويحتمل أن يكون سنة ويحتمل أن يكون
مستحبا لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمسح مقدم رأسه ومؤخره فقال بعضهم إن المقصود من مسح الرأس
مسح الرقبة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مسح رقبته في الوضوء أمن من الغل يوم القيامة قوله
عز وجل وأرجلكم إلى الكعبين قرأ ابن عامر ونافع والكسائي وحفص ويعقوب وأرجلكم بالنصب وهي قراءة علي رضي الله
عنه وقرأ الباقون وأرجلكم بالخفض وهي قراءة أنس وعلقمة قال الشعبي فمن نصب فمعناه واغسلوا أرجلكم عطفا على الوجه
واليدين ومن خفض فعلى العطف على الرؤوس على الاتباع والجوار لفظا لا معنى كقول العرب جحر ضب خرب وقولهم أكلت
التمر واللبن وتقول فلان تقلد سيفا ورمحا والرمح لا يتقلد وإنما يحمل قال الشاعر لبيد واطفل بالجلهتين
ظباؤها ونعامها والنعام لا تطفل وإنما تفرخ فقولهم جحر ضب خرب كان ينبغي أن يقال خرب لأنه نعت الجحر
وإنما خفض للمجاورة وقال بعضهم أراد بذلك المسح على الخفين فإن الماسح على الخفين يسمى ماسحا على الرجلين لغة
بالجوار كما تقول فلان قبل رجل الأمير ورأسه ويده وإن كانت الرجلان في الخف والرأس في العمامة واليد في الكم وفي
الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا ركع وضع يديه على ركبتيه وليس المراد أنه لم يكن بينهما حائل واختار
بعضهم المسح على الرجلين وهو قول ابن عباس وقال الوضوء غسلان ومسحان وذهب بعضهم إلى أن المتوضي مخير بين
غسل الرجلين ومسحهما وإذا احتملت قراءة الخفض المسح على الخفين واحتملت مسح الرجلين واحتملت غسلهما وجب الرجوع إلى
فعل النبي صلى الله عليه وسلم فقد روي أنه داوم على غسل رجليه ولم ينقل أنه مسح على نعليه وروى ابن عمر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه توضأ مرة مرة وغسل رجليه وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به ولأن الله تعالى قال وأرجلكم
إلى الكعبين وهذا يدل على الغسل كاليدين لما حدهما إلى المرفقين كان فرضهما الغسل دون المسح وقال صلى الله عليه وسلم
لا يقبل الله صلوة امرئ حتى يضع الطهور مواضعه فيغسل وجهه ويديه ويمسح برأسه ويغسل رجليه وعن جابر رضي الله
عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغسل أرجلنا إذا توضأنا وقال ابن أبي ليلى أجمع أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على وجوب غسل الرجلين وعن عبد الله بن عمر قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم وأعقابهم تلوح
فقال أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يتوضأ فقال اغسل باطن قدميك
فجعل يغسل حتى سمي أغسل وقالت عائشة رضي الله عنها لأن تقطع قدماي أحب إلي من أن أمسح عليهما من غير خفين
وذهب الروافض إلى أن الواجب في الرجلين المسح ورووا في المسح خبرا ضعيفا شاذا قوله تعالى إلى الكعبين هما الناتئان
من جانبي الرجل وهما مجمع مفصل الساق والقدم مأخوذ من الكعب وهو النتوء ومنه جارية كاعب إذا خرج ثدياها
وروى هشام عن محمد أن الكعب الذي في وسط القدم عند معقد الشراك والصحيح أن محمدا إنما قال ذلك في المحرم
أنه يقطع خفيه أسفل من الكعبين فإن الكعب هاهنا هو معقد الشراك فنقل هشام ذلك إلى الطهارة ولا خلاف
في الكعب في الوضوء بين علمائنا الثلاثة أنه داخل في غسل الرجلين قوله تعالى وإن كنتم جنبا فاطهروا
أي إن كنتم جنبا وأردتم القيام إلى الصلاة فاغسلوا والجنب يوضع موضع الجمع يقال رجل جنب ورجلان
جنب وقوم جنب ولفظ الاطهار يقتضي تطهير جميع البدن في الاغتسال من الجنابة كما قال صلى الله عليه وسلم

تحت كل شعرة جنابة فبلّوا الشعر وانقوا البشر ولهذا قال اصحابنا ان المضمضة والاستنشاق واجبان في
غسل الجنابة قوله تعالى فاطهروا اي فتطهروا والادغام التاء في الطاء لقرب مخرجهما • وعن انس رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني اذا اغتسلت من الغسل عن الجنابة فبالغ فيه فان تحت كل شعرة
جنابة فقلت يا رسول الله وكيف ابالغ قال تروي اصول الشعر وانق البشر يخرج من مغتسلك وقد غفر لك كل
ذنب قوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر اي مرضا من جدري او غيره فلم تطيقوا غسل هذه الاشياء
او كنتم مسافرين او جاء احد منكم من الغائط معناه وجاء احدكم من قضاء الحاجة لانه مخلا فان المريض والمسافر
لم يكونا محدثين لم يلزمهما الوضوء ولا التيمم وقد تذكر حروف او بمعنى الواو ومثل قوله تعالى وارسلناه الى مائة
الف او يزيدون قوله تعالى او لامستم النساء معناه او جامعتم النساء فلم تجدوا ماء اي فلم تقدروا على ما
تتطهرون به من الجنابة والحدث فتيمموا صعيدا طيبا اي اقصدوا ترابا نظيفا فامسحوا بوجوهكم وايديكم من بعض
الصعيد وهو التراب وقال ابو حنيفة ومحمد معنى من هنا ابتداء الغاية اي فانقلوا ثم تعدوا وضعها على الصعيد
الى الوجوه ولم يذكر غيرا ان يحللها ما يوجب الفصل قوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما
يريد الله ان يجعل عليكم بتكليف العبادات تضييقا في الدين وانما يريد ليطهركم من الذنوب في الاحداث والجنابة
كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايما رجل قام الى وضوئه يريد الصلوة ثم غسل كفيه نزلت خطيئته
كفيه مع اول قطرة فاذا تمضمض واستنشق نزلت خطيئة لسانه وشفتيه مع اول القطرة فاذا غسل وجهه ويديه
الى المرفقين ورجليه الى الكعبين سلم من كل ذنب هو عليه وكان كيوم ولدته امه قوله عز وجل وليتم نعمته عليكم
بالرخص بادخال الجنة وقال ابن عباس يجوز التيمم لكم بالتراب في حال عدم الماء لعلكم تشكرون نعمة الله عليكم في رخصته
لكم وتخفيفه عليكم في التكليف وقال عثمان رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما توضأ عبد فاسبغ
وضوءه ثم قام الى الصلوة الا غفر الله له ما بينه وبين الصلوة الاخرى قوله عز وجل واذكروا نعمة الله عليكم
وميثاقه الذي واثقكم به اي احفظوا نعم الله عليكم وانما ذكره بلفظ النعمة لانه ذهب فيه مذهب الجنس وميثاقه
اي عهده الذي عاهدكم به قال ابن عباس والحسن يعني الميثاق الذي اخذ الله تعالى على ذرية ادم حين اخرجهم
من صلبه وقال الست بربكم قالوا بلى • وقال السدي اراد الميثاق ها هنا مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم على السمع
والطاعة في كل ما امر به او نهى عنه في حال العسر واليسر والرضا والكره وهذا اقرب الى ظاهر الاية لان الله تعالى ذكرهم
الميثاق وهم يحفظون الميثاق الذي دعا ادم وقيل اراد به العهد الوثيق الذي اخذ الله على جميع عباده في اوامره
ونواهيه فسمعوه وقبلوه وامنوا به على ما قرره الله بقوله اذ قلتم سمعنا واطعنا قوله تعالى واتقوا الله اي اخشوا
عقابه في نقض الميثاق انه عليم بذات الصدور اي بما استقر في القلوب من الوفاء والنقض وذات الصدور ما تضمنته الصدور
وهي القلوب قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط اي كونوا قوامين بامر الله
قائمين به مبينين عن دين الله الحق والعدل ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا اي لا يحملنكم بغض الكفار
على ترك العدل فيهم مكافاة لما سلف منهم ويقال لا يحملنكم عداوة المشهود له على كتمان ما له عندكم من الشهادة ولا عداوة
المشهود عليه على اقامة الشهادة عليه بغير حق قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى اي اعدلوا في جميع اقوالكم وافعالكم
فيما لكم وعليكم فان العدل اقرب الى التقوى لعذاب الله واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون من الخير والشر والعدل
والجور قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات اي الذين صدقوا محمدا صلى الله عليه وسلم
والقرآن وعملوا الطاعات فيما بينهم وبين ربهم وهذا تمام الكلام يقال وعدت الرجل يراد بذلك الوعد خيرا
واوعدت الرجل يراد به كل شر فكان وعد الله لهم دليلا على عدة الخير ثم فسر ذلك الخير فقال لهم مغفرة
واجر عظيم اي مغفرة لذنوبهم وثواب عظيم في الجنة قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب الجحيم والجحيم من اسماء جهنم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم

قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم قال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية
سبعين رجلا الى بني عامر بن صعصعة وامّر عليهم المنذر بن عمرو الانصاري وكان طريقهم على بني سليم وكانوا اهل
صلح لرسول الله صلى الله عليه وسلم وامر عليه السلام السرية ان ينزلوا على بني سليم فنزلوا عليهم فبعث بنو سليم
الى بني عامر واخبروهم بامرهم وقلتهم فارتحل المسلمون من عند بني سليم الى بني عامر فاضل اربعة منهم بعيرا فاستاذنوا
اميرهم ان ينطلقوا نحوه ثم يلحقوا بهم فاذن لهم وسار المنذر بمن بقي معه حتى اتاهم وقد جمعوا لهم واستعدوا
لهم بالسلاح فالتقوا ببئر معونة فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل المنذر ومن معه جميعا ثم اقبل الاربعة الذين طلبوا
البعير فلقيتهم امة لبني عامر فقالت لهم امن اصحاب محمد انتم قالوا نعم قالت فان اخوانكم قد قتلوا جميعا على الماء فقال
احد الاربعة ما ترون قالوا نرى ان نرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بالامر فقال لكني والله لا اتعدى من عند
اصحابي رجعوا فقتلوا محمدا عليه السلام ثم اشرف على اصحابه فاذا هم مقتولون والمشركون يتعدون فانحدر اليهم
من الجبل بسيفه فقاتلهم حتى قتل ومضى الثلاثة الى المدينة فلقوا رجلين من بني سليم خارجين من المدينة فقالا لهما من انتما
قالا من بني عامر فقالوا هذان من الذين قتلوا اخواننا فقتلوهما واخذوا السلاح منهما ثم دخلوا المدينة واخبروا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال بئسما صنعتم قتلتم رجلين من اهل الميثاق وجاء اولياء القتيلين يطلبون القصاص فقال صلى الله عليه وسلم
ليس لكم ثم ان صاحبكم اعتزيا الى عدونا من بني عامر ولكنا نؤدي اليكم الدية فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر
وعمر وعثمان وعلي حتى اتى بني قريظة فقال لهم انكم جيراننا وحلفاؤنا وقد علمتم ما اصابنا من دم الرجلين من بني سليم وهما
من اهل ميثاق ونحن نريد ان نؤدي ديتهما فاتخذوا عندنا يدا تحمدكم بها بعد اليوم فان للايام دول فقالوا مرحبا
واهلا يا ابا القاسم ولكن اخواننا بني النضير لا نقضي امرا دونهم نعلمهم بذلك حتى تاتينا يوم كذا وقد جمعنا التي تريد
فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فلما كان يوم الميعاد اتاهم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن
بن عوف فاجلسوهم في بيت ثم خرجوا يجمعون السلاح وخلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه
الان فمن يظهر على البيت فيطرح عليه صخرة ثم يريحنا منه فقال عمرو بن جحاش انا اجيء الى رحى عظيمة لنطرحها عليه فامسك
الله ايديهم • وقيل لما جمعوا السلاح وهموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه جاء جبريل عليه السلام فاخبر
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقام على الباب واذا هم يجمعون ينتظرون قدوم كعب
بن الاشرف ولم يجمعوا على النبي صلى الله عليه وسلم قائما على الباب فقالوا يا رسول الله ابطات علينا حتى خشينا ان يكون قد غالك
احد فقال لقد ارادوا ذلك اللهم العنهم ثم خرج بقية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحقوا اجمعا بالنبي صلى الله
عليه وسلم فجاءت اليهود فقالوا يا رسول الله ان قدورنا تغلي نريد ان نطعمك وقد رجعت عنا علمنا فاخبرهم بما هموا
به وعزموا عليه فانزل الله هذه الاية ومعناها يا ايها الذين امنوا بالله وكتبه ورسله احفظوا منة الله عليكم اذ هم
قوم وهم بنو قريظة ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل فكف ايديهم عنكم بالمنع عن قتلكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون في جميع امورهم واحوالهم قوله عز وجل ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر
نقيبا اي اخذ الله العهد على بني اسرائيل ان يؤمنوا به وبجميع كتبه ورسله وبعث فيهم اثني عشر نقيبا من كل سبط
منهم رجلا ليأخذ على قومهم ما يأمرهم الله به من طاعته وقيل ان النقيب هو الرسول والامين وهم الذين ارسلهم الله
موسى الى قرية الجبارين عيونا فوجدوهم يدخل في كم احدهم اربعة منهم ولا يحمل عنقود عنبهم الا عشرة منهم وقيل
في شق رمانة اذا نزع حبه خمسة انفس او اربعة فرجع النقباء كلهم ونهى كل نقيب سبطه عن القتال الا يوشع
بن نون وكالب بن يوفنا امرا قومهما بالقتال وقال الحسن النقباء ان القوم اذا علموا ان عليهم نقيبا كانوا اقرب الى الاستقامة
والنقيب والعريف نظيران وقيل النقيب فوق العريف قوله تعالى وقال الله اني معكم خطاب للنقباء ومعناه
اني حفيظ عليكم في النصر لكم والدفع عنكم وقيل هو خطاب لجميع بني اسرائيل ضمن لهم النصر على عدوهم بالشرائط التي شرطها
عليهم بقوله تعالى لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم اي عظمتموهم ونصرتموهم

بالسيف على الأعداء وأقرضتم الله قرضاً حسناً أي تصدقتم من أموالكم تطوعاً صدقة حسنة وهي أن تكون من حلال المال وخياره برغبة وإخلاص لا تشوبها رياء ولا تكدرها منّ ولا أذى لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحت شجرها ومساكنها الأنهار الأربعة فمن كفر بعد ذلك منكم أي بعد العهد والميثاق منكم فقد أخطأ قصد الطريق وهو طريق الجنة فمن أضله وقع في طريق النار إذ لا طريق سواها قوله عز وجل **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه** أي فبنقض اليهود ميثاقهم الذي أخذ عليهم في التوراة باعدناهم من الرحمة وقيل عذبناهم بالجزية وقيل مسخناهم قردة وخنازير وما في هذه الآية صلة زائدة قوله تعالى **وجعلنا قلوبهم قاسية** أي صيرناها يابسة خالية من حلاوة الإيمان مجازاة لهم على معصيتهم قرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي قسية بتشديد الياء من غير ألف وقرأ الباقون قاسية بالألف وهما لغتان مثل زكية وزاكية وقيل معنى قاسية غليظة متكبرة لا تقبل الوعظ وقيل رديئة قاسية من الدراهم القسية المغشوشة قوله تعالى **يحرفون الكلم عن مواضعه** وقرأ السلمي والنخعي يحرفون الكلام بالألف أي يغيرون ألفاظه ولا يقرأونه على ما هو عليه في التوراة كما أخبر الله تعالى عنهم من إبدال الكتاب وقيل يغيرون تأويله قوله تعالى **ونسوا حظاً مما ذكروا به** أي وتركوا نصيباً مما أمروا به في كتابهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ومن رجم الزاني المحصن وأصل النسيان الترك قوله تعالى **ولا تزال تطلع على خائنة منهم** أي لا تزال يا محمد تطلع على خيانة ومعصية منهم وخائنة فاعلة من أسماء المصادر مثل عافية وكاذبة وقد تكون الخائنة من أسماء الجماعة كما يقال رجل خائن وفرقة خائنة فيكون المعنى ولا تزال تطلع على فرقة خائنة منهم مثل كعب بن الأشرف وأصحابه من بني قريظة حين نقضوا العهد وركبوا إلى أبي سفيان بمكة ليحالفوه وعاقدوه على رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما سوف نذكره قوله تعالى **إلا قليلاً منهم** لم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام وأصحابه وقال ابن عباس معنى قوله خائنة أي معصية وقال بعضهم أي كذب وفجور وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **فاعف عنهم واصفح** أي أعرض عنهم ولا تعاقبهم إن الله يحب المحسنين أي المتجاوزين وهذا منسوخ بآية السيف بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قوله تعالى **ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به** بين الله أن النصارى لم يكونوا بعد أخذ الميثاق أحسن معاملة من اليهود ومعنى أخذ الميثاق هو ما أخذ الله عليهم في الإنجيل من العهد المؤكد باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وبيان صفته ونعته كما قال تعالى في آية أخرى مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فنسوا حظاً مما ذكروا به أي تركوا نصيباً مما ذكروا به **فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء** أي هيجنا بين فرق النصارى وهم النسطورية واليعقوبية والملكانية فألقينا بينهم العداوة في الدين وذلك أن الله تعالى لما لعنهم ألقى بينهم العداوة والبغضاء فهم يتقاتلون إلى يوم القيامة وأصل الإغراء الإلصاق مأخوذ من الغراء وهو الذي يلصق به الأشياء فالعداوة تباعد القلوب بالنيات والبغضاء البغض قوله تعالى **وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون** أي يخبرهم في الآخرة بما كانوا يصنعون من الخيانة والمخالفة وكتمان نعت محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وصفته ثم خاطب الله تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى فقال تعالى **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب** يعني التوراة والإنجيل قوله تعالى تخفون يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وإضافة النصارى واليهود إلى الكتاب تعيير لهم كما يقال يا عاقل لمن يفعل ما يفعل الجاهل قوله تعالى **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** يعني بالنور محمداً صلى الله عليه وسلم يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الإسلام وآية الرجم وتحريم الزنا وغير ذلك قوله تعالى **ويعفو عن كثير** أي يتجاوز عن كثير مما كنتم تكتمونه ولا يعاقبكم عليه يعني مما لم يؤمر فيه ببيانه وقوله تعالى

وكتاب مبين يعني القرآن يبين لكم الحلال والحرام والأمر والنهي قوله تعالى **يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام** أي يهدي الله بالقرآن من قبل الحق ورغب في الإسلام وقوله تعالى رضوانه أي رضا الله وقوله تعالى سبل السلام أي طرق السلامة وهي دين الإسلام والسلام والسلامة كالرضاع والرضاعة ويقال السلام هو الله وسبل السلام طرق الله التي دعا إليها قوله تعالى **ويخرجهم من الظلمات إلى النور** أي يخرجهم من ظلمات الكفر بالنعم نعمها إلى نور الإيمان بإذن الله ومشيئته وسمي الإسلام نوراً لأن الإنسان إذا آمن أبصر به طريق نجاته فطلبه وطريق هلاكه فحذره قوله تعالى **ويهديهم إلى صراط مستقيم** أي ويرشدهم إلى طريق الحق قوله عز وجل **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم** نزلت في نصارى نجران وهم اليعقوبية قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قال الله تعالى **قل فمن يملك من الله شيئاً** أي قل لهم يا محمد من يقدر أن يدفع شيئاً من عذاب الله إن أراد أن يهلك عيسى ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً وهذا احتجاج من الله تعالى على النصارى بما لا يملكون دفعه إذ المسيح وأمه بشران يأكلان الطعام ويحتاجان إلى ما يحتاج إليه الناس وقد علموا اضطراراً أنه كان بعد أن لم يكونا وشاهد كثير منهم ميلاد عيسى وحاله في الطفولية والشباب والكهولية قوله تعالى **إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه** أي لو أراد الله إهلاك عيسى وأمه لما أعجزه ذلك ولما كان هناك دافع وكيف يكون إلهاً من لا يقدر على دفع الهلاك عن نفسه ولا عن غيره قوله تعالى **ولله ملك السماوات والأرض** لا يوصف بالولادة وقيل من كان مالك السماوات والأرض يقدر على خلق ولد بلا والد كما أن الله تعالى يخلق ما يشاء أي كما يشاء بأب وبغير أب ولو كان خلق عيسى من غير أب موجباً لكونه إلهاً وابنه لكان خلق آدم من غير أب ولا أم أولى بذلك لأنه أعجب وأبدع قوله تعالى **والله على كل شيء قدير** من خلق عيسى وغيره وقادر على عقوبتكم قوله عز وجل **وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه** وذلك أن جماعة من اليهود دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فدعاهم إلى الإيمان وحذرهم وأنذرهم فقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فلا يعذبنا وكذلك نصارى نجران قالوا نحن من الله بمنزلة الأبناء للآباء وقربنا من الله كقرب الولد من الوالد وغضب الله علينا كغضب الرجل على ولده والوالد إذا سخط على ولده في وقت رضي عنه في وقت آخر قوله تعالى **قل فلم يعذبكم بذنوبكم** أي لم عذب من قبلكم من اليهود والنصارى الذين كانوا أمثالكم في الدين فجعلهم الله في الدنيا وقوله تعالى **بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء** أي لستم بأبناء الله ولا أحبائه ولكنكم خلق كسائر الخلق يغفر لمن هداه للإسلام ويعذب من مات على الكفر قوله تعالى **ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما** أي له القدرة على أهل السماوات والأرض فله ما بينهما من الخلق والعجائب **وإليه المصير** أي مصير من آمن ومن لم يؤمن قوله عز وجل **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل** أي يا أهل التوراة والإنجيل قد جاءكم محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم الحلال والحرام على انقطاع من الرسل ودروس من العلم قال الكلبي كان بين ميلاد عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة وتسعة وتسعون سنة وبعد ميلاد عيسى أربعة من الرسل في مائة وأربعة وثلاثين سنة كما قال تعالى إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث ولا أدري الرسول الرابع من هو وقال بعضهم كان بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما ستمائة سنة قوله تعالى **أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير** معناه كيلا تقولوا يوم القيامة ما جاءنا من بشير ولا نذير أي من مبشر يبشر بالجنة ولا مخوف يخوفنا النار فقد جاءكم بشير ونذير يبشركم بالجنة إن أطعتموه وينذركم بالنار إن عصيتموه **والله على كل شيء قدير** من إرسال الرسل والثواب والعقاب قوله تعالى **وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً** معناه فاذكروا يا أهل الكتاب إذ قال موسى لبني إسرائيل احفظوا نعمة الله عليكم إذ أكرم بعضكم بالنبوة وهم السبعون الذين اختارهم موسى فانطلقوا معه إلى الجبل فأنعم الله عليهم بذلك لأن كثرة الأنبياء في القوم شرف وفضل لهم ولا شرف أعظم من النبوة وقوله تعالى وجعلكم أي أحراراً تملكون أمر أنفسكم بعد أن

كانت تستعبدكم القبط في مملكة فرعون وقيل ملوكا ذوي خدم وأهل ومنازل لا يدخل عليكم فيها إلا بإذن
قوله تعالى **وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين** أي أعطاكم ما لم يعط أحدا من عالمي زمانكم وقيل
أراد بذلك جميع العالمين فإنه تعالى أنزل عليهم المن والسلوى وظلل عليهم بالغمام ولم يؤت أحدا مثل هذه النعم فعلى هذا
لا يدخل المستقبل في اللفظ لأن اللفظ خبر عن ما مضى ولا يدل ذلك على أنه تعالى لم يؤت أمة محمد مثل الفضيلة
التي آتاهم أو أكثر والغرض من هذه الآية أن الله تعالى أراد أن يكلفهم دخول الأرض المقدسة وكان موسى قد
تقدم ذكر نعمه عليهم ليكون باعثا لهم على امتثال أمر الله تعالى قوله تعالى **يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة**
التي كتب الله لكم قال ابن عباس وذلك أن الاثني عشر نقيبا الذين أرسلهم موسى إلى قرية الجبارين جواسيس لما
انتهوا إلى مدينتهم أخذوا فأتي بهم الملك ويقال أخذهم عاج بن عنق وحملهم في ثوبه حتى ألقاهم بين يدي الملك
فقيل للملك إن هؤلاء يزعمون أنهم يبغون مدينتك ويظهرون عليك قال فطوفوا بهم المدينة فأروهم آباءها فطافوا
بهم وكانوا يطعمونهم حتى إذا الرجل منهم ليأتي بالقدح والسكرجة والقصعة فيدخل واحد منهم تحتها ثم
ردوهم إلى الملك فأراد قتلهم فقالت امرأته أيش تصنع بقتل هؤلاء ولكن خلهم يرجعوا إلى أصحابهم يحدثونهم
بما رأوا فأرسلوهم فلما خرجوا قال بعضهم لبعض قد علمتم خلاف بني إسرائيل لموسى وقد وعدهم الله موسى أن يفتح لهم
ولن يخلف الله وعده فهلموا نتحالف أن لا يخبر أحد منا أحدا بشيء حتى يأتي موسى فنخبره فلما خلوا بنسائهم جعلت المرأة تسأل زوجها
عما رأى فأخذ عليها المواثيق أن لا تخبر أحدا ثم يخبرها فجعلت المرأة تأتي ابنها وأباها وأمها وأخاها فتأخذ عليهم المواثيق
ثم تخبرهم فما ارتفع النهار حتى فشا الخبر في البلاد ولم يخبر يوشع وكالب أحدا بشيء من أمرهم إنما أخبرا بذلك
موسى عليه السلام فجمع بني إسرائيل وخطبهم وقال يا بني إسرائيل اذكروا نعمة الله إذ جعل فيكم أنبياء إلى قوله فتنقلبوا
خاسرين وأما قوله تعالى ادخلوا الأرض المقدسة قال ابن عباس هي الأرض بيت المقدس وقال مجاهد هي دمشق وفلسطين
وبعض الأردن وسميت المقدسة لأنها طهرت من الشرك وجعلت مسكنا وقرارا للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين
قوله تعالى **التي كتب الله لكم** أي أمركم بدخولها وقيل التي كتب الله لكم في اللوح المحفوظ أنها لكم مساكن
التي وهبها الله لكم أبيكم إبراهيم عليه السلام وجعلها ميراثا لكم وذلك أن إبراهيم حين ارتفع على الجبل قيل له انظر فلك ما
أدرك بصرك وهو ميراث لولدك من بعدك وقوله تعالى **ولا ترتدوا على أدباركم** أي لا ترجعوا وراءكم وتجبنوا
عن عدوكم لمخالفتهم فتنقلبوا خاسرين مغبونين بفوات النصر في الدنيا والعقوبة في الآخرة قوله تعالى **قالوا يا موسى إن**
فيها قوما جبارين أي قالت بنو إسرائيل يا موسى إن فيها قوما عظاما وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا
منها أي فإن يخرجوا منها فإنا داخلون حينئذ قوله تعالى **قال رجلان من الذين يخافون** أي قال
يوشع وكالب من الاثني عشر الذين أرسلهم موسى إلى قرية الجبارين وكانوا يخافون الجبارين أنعم الله عليهما أي
هداهما لليقين [illegible] ادخلوا عليهم الباب باب قرية الجبارين وهي أريحا فإذا دخلتم ذلك
الباب فإنكم غالبون عليهم لأنهم أجسام لا قلوب فيهم **وعلى الله فتوكلوا** أي ثقوا بالله
إن كنتم مؤمنين أي مصدقين بوعد الله وفي هذه الآية ثناء على الرجلين إذ لم يمنعهما الخوف من العدو
عن قول الحق وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يقول
الحق إذا رآه أو علمه فإنه لا يبعد من رزق الله ولا يدني من أجل قوله عز وجل **قالوا يا موسى إنا لن ندخلها**
أبدا ما داموا فيها وذلك أن موسى لما أمرهم بتجديد قول الرجلين أن يدخلوا قرية الجبارين قالت بنو إسرائيل
أنكذب العشرة ونصدق الاثنين إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون
قيل لهم اذهب أنت وربك يحتمل أنهم قالوا ذلك على وجه المجاز [illegible] ولذلك كان هذا القول فسقا
منهم [illegible] امتناعهم عن المضي إلى الجبارين وقيل يحتمل أنهم عنوا بذلك الذهاب ذهاب النقلة [illegible]
[illegible] كلامهم [illegible] الله تعالى خرج مخرج الإنكار عليهم والتعجب من جهلهم [illegible]

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما أراد الخروج إلى بعض الغزوات استشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في
ذلك فقالا إنا لن نقول لك مثل ما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون
ولكنا نقول اذهب فقاتل عدوك إنا معك مقاتلون وفي بعض الروايات قالوا اقعد أنت فإنا بأمرك نقاتل
وقال المقداد بن الأسود أنا والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا
قاعدون ولكنا نقول نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك ولو خضت بنا البحر لخضناه معك
ولو علوت جبلا لعلوناه معك فأشرق وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وسره قوله عز وجل **قال**
رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال ابن عباس وذلك أن موسى
عليه السلام غضب من مقالة قومه وكان رجلا حديدا فقال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي يعني لا يطيعني
من قومي إلا أخي هرون **فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين** أي اقض وافصل بيننا وبين القوم العاصين
وكانت عجلة عجلها موسى عليه السلام فأوحى الله إلى موسى إلى متى يعصيني هذا الشعب وإلى متى لا يصدقون بالآيات
لأهلكنهم ولأجعلن لك شعبا أشد وأكثر منهم فقال موسى إلهي لو أنك أهلكت هذا الشعب من أجل أنهم لم يستطيعوا
أن يدخلوا هذه الأرض فقتلتهم في البرية وأنت عظيم عفوك كثير نعمتك وأنت تغفر الذنوب فاغفر لهم فقال
الله تعالى قد غفرت لهم بكلمتك ولكن بعدما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم بي حلفت لأحرمن عليهم دخول
الأرض المقدسة فذلك قوله تعالى فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض أي يتحيرون في الأرض وقيل إن
قول موسى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين كان سؤالا منه الفرق في الحقيقة دون القضاء وكان دعاؤه
منصرفا إلى الآخرة أي إذا أدخلتنا الجنة إذا أدخلتهم النار ولم يعن بذلك في الدنيا لأنه لو عنى ذلك لأجاب الله دعاءه
وأهلكهم [illegible] لأن دعاء الأنبياء لا يرد من أجل أنهم يدعون بأمر الله تعالى ويقال كان هذا دعاء راجعا إلى الدنيا
وقد أجاب الله تعالى دعاءه لأنه عاقب قومه في التيه ولم يكن موسى وهرون يحسان في التيه لأن الأنبياء عليهم
السلام لا يعذبون وقال الحسن لا يجوز أن يكون موسى معهم فيها لأنها كانت عقوبة ولا يجوز أن يعذب الله قوما
في بلد إلا أن ينجي ذلك النبي ومن معه ويقال إن هذا الدعاء كان من موسى عليه السلام عند الغضب
ثم إنه عنى به الحقيقة ألا ترى أنه ندم على دعائه وجزع من تحريم قرية الجبارين عليهم جزعا شديدا حتى
قيل له لا تأس على القوم الفاسقين قوله عز وجل **قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة** أي قال الله تعالى
فإن الأرض المقدسة محرمة عليهم أي هم ممنوعون من دخولها أربعين سنة وأصل التحريم المنع قال الله تعالى
وحرمنا عليه المراضع من قبل وأراد به المنع قوله تعالى **يتيهون في الأرض** أي يتحيرون قال ابن عباس تحيروا في ستة فراسخ
أربعين سنة كانوا يسيرون كل يوم أول النهار فيمسون في مكانهم ويسيرون من أول الليل فإذا هم في الأرض فيصبحون في
مكانهم وقال الحسن عمي عليهم السبيل وأخفى عليهم الأعلام التي يهتدون بها إلى الطرق فلم يستطيعوا الخروج منها وذهب
بعضهم إلى أن قوله أربعين سنة منصوب بيتيهون قالوا وكانت الأرض المقدسة حراما على أولئك القوم الذين
عصوا الله عز وجل أبدا ولم يدخل منهم أحد بعد أربعين سنة إنما دخلها يوشع بن نون وكالب وقيل مات من النقباء العشرة
الذين أفشوا الخبر ثمانية وكان جميعهم ستمائة ألف مقاتل فكان كل من دخل في التيه ممن جاوز عشرين سنة مات
في التيه غير يوشع وكالب ولم يدخل أريحا ممن قالوا إنا لن ندخلها أحد ومات موسى وأخوه هرون في التيه
التيه **وفاة هرون** عليه السلام قال السدي أوحى الله إلى موسى إني متوف هرون فأت به جبل كذا فانطلق
موسى وهرون نحو ذلك الجبل فإذا هما بشجرة لم ير مثلها فإذا هو بيت مبني فيه سرير عليه فرش ورائحة طيبة فلما نظر هرون إلى ذلك
أعجبه فقال يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير قال له نم عليه فلما نام عليه جاءه ملك الموت فقال
يا موسى خدعتني فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير إلى السماء فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل وليس معه هرون
قالوا إن موسى قتل هرون وحسده على حب بني إسرائيل إياه فقال لهم موسى ويحكم أفتروني أقتل أخي فلما أكثروا

عليه صلى ركعتين ثم دعا فرفع السرير حتى نظروا اليه فصدقوه • وقال عمرو بن ميمون مات هرون في بعض الكهوف
فدفنه موسى ورجع الى بني اسرائيل فقالوا ان هرون قد مات قالوا لا ولكنك قتلته لحبنا اياه فتضرع موسى
الى ربه وشكى ما قال بنو اسرائيل فاوحى الله اليه انطلق بهم الى قبره فانا باعثه حتى يخبرهم انه مات ولم
[تقتله] فانطلق بهم الى قبره ونادى يا هرون فخرج من قبره ينفض التراب عن راسه فقال له موسى انا قتلتك فقال
لا ولكني مت قال فعد الى مضجعك وانصرفوا **وفاة موسى** عليه السلام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام فقال له اجب ربك فلطم عين ملك الموت ففقاها فقال يا رب انك ارسلتني
الى عبد لا يريد الموت ففقا عيني فرد الله عليه عينه وقال له ارجع الى عبدي وقل له ان كنت تريد الحيوة فضع
يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعره فلك بها سنة قال ثم ماذا قال ثم الموت قال فالان من قريب قال
رب ادنني من الارض المقدسة رمية بحجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لو اني عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق
عند الكثيب الاحمر قال محمد بن يحيى قد صح حديث ملك الموت وموسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرده الا كل
مبتدع كذا في تفسير الثعلبي وفي حديث اخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ملك الموت كان ياتي الناس
عيانا حتى اتى موسى عليه السلام ليقبضه فلطمه ففقا عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خفية • وقال وهب خرج
موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير احسن منه نظرا ونضرة فقال يا ملائكة الله لمن هذا
القبر قالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد من الله لبمنزلة ما رايت مضجعا احسن من هذا قالوا يا كليم الله اتحب ان يكون لك قال وددت
قالوا فانزل واضطجع فيه فتعالى فعل ذلك ثم تنفس وقبض الله روحه ثم سوت عليه الملائكة التراب **وروي** ان
يوشع راه بعد موته في المنام فقال كيف وجدت الموت قال كشاة تسلخ وهي حية وكان عمر موسى مائة وعشرين
سنة فلما مات موسى عليه السلام وقد كان استخلف يوشع سار يوشع بالناس حتى انتهوا الى مدينة الجبارين حاصرهم
فلما كان يوم الجمعة وكادت الشمس تغرب توضى يوشع وصلى ودعا ربه وسال ان يؤخر له ما دعا وقد كادت
الشمس تغرب وليلة السبت تقاتل فيها فرد الله الشمس حتى كانت في مقدار صلوة الظهر فجمع يوشع بني اسرائيل وجعل
في كل سبط منهم شبوزا فصاحوا بشابيرهم ودخلوا مدينة اعدائهم يقتلونهم حتى ان الثمانين من اصحاب يوشع كانوا
يقعدون على الرجل ويحزون راسه فما يطيقونه من عظمه وكان طول كل واحد من الجبارين ثمانين ذراعا وكان
موسى عليه السلام قد قتل عوج بن عنق قبل ذلك وكان طوله ثلثة وعشرين الف ذراع وثلثمائة وثلثين ذراعا وثلث
ذراع قاله ابن عمر رضي الله عنه وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس
ثم ياكله ويروى ان طوفان نوح عليه السلام عم جميع جبال الدنيا وما بلغ الا الى ركبتيه • **وعاش عوج** ثلثة الاف
سنة وستمائة سنة واهلكه الله على يدي موسى عليه السلام وسببه لانه كان محط عسكر موسى فرسخا في
فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم جاء الجبل وقور منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم فبعث الله طيرا
حتى قور الصخرة بمنقاره فانثقبت فوقعت في عنق عوج فطوقته فصرعته واقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة
اذرع وعصاه عشرة اذرع وتنزى عشرة اذرع في الجهة السماء فما اصاب الا كعبه وهو مصروع في الارض فقتله
قال جماعة كثيرة معهم سكاكين وخناجر حتى حزوا راسه وكانت امه عنوق ويقال لها عناق وكانت احدى بنات ادم عليه
السلام وهي اول امراة زنت على وجه الارض وكان كل اصبع من اصابعها ثلثة اذرع وعرضها ذراعين في كل اصبع
ظفران مثل المنجلين وكان موضع مجلسها في الارض جريبا فلما زنت بعث عليها اسودا كالفيلة وذبابا كالابل ونسورا
كالحمر وسلطهم عليها فاكلوها • **قوله عز وجل** واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل
من الاخر • معناه واقرا يا محمد على قومك خبر ابني ادم بالصدق اذ وضعا على الجبل قربانا والقربان ما تقرب به الى الله
تعالى وقيل معناه واقرا على اولاد هؤلاء الذين تقدم ذكرهم من اهل الكتاب حتى يقرؤا فارسالك **قوله تعالى** فتقبل
من احدهما اي قبل القربان من احدهما ولم يقبل من الاخر ومعنى التقبل ايجاب الثواب • قال ابن عباس وذلك ان

حوى

حوى كانت تلد في كل بطن ولدين ذكرا وانثى الا شيثا فانها ولدته منفردا فولدت اول بطن قابيل واخته اقليما
ثم ولدت في البطن الثاني هابيل واخته لبوذا فلما ادركوا امر الله ادم ان يزوج قابيل اخت هابيل ويزوج
هابيل اخت قابيل فرضي هابيل وكره قابيل لان اخته كانت احسنهما فقال ادم انما امر الله بهذا يا بني ولا
تحل لك فابى ان يفعل وقال ان الله لم يامر بهذا وانما هو من رايك فقال لهما قربا قربانا فايكما يقبل قربانه فهو
احق بها وكان هابيل صاحب غنم وقابيل صاحب حرث فقرب هابيل كبشا سمينا ولبنا وزبدا وقرب قابيل سنبلا
من رديء زرعه واضمر في قلبه ما ابالي ايقبل مني ام لا لا يتزوج اختي ابدا واضمر هابيل في نفسه الرضا لله عز وجل
فوضعا قربانهما على الجبل فنزلت نار من السماء فاكلت شاة من السنبل بعدما دنت منه ثم اكلت الكبش واللبن
والزبد فذلك قوله تعالى فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر فنزلا من الجبل وتفرقوا وكان ادم عليه السلام
معهم فذهب هابيل الى غنمه وذهب قابيل الى زرعه غضبان واظهر الحسد لهابيل فقال له قابيل لاقتلنك
قال ولم ذلك قال لان الله تعالى تقبل قربانك ورد علي قرباني وتنكح اختي الحسنة وانكح اختك القبيحة فيتحدث
الناس انك خير مني قال هابيل ما ذنبي في ذلك انما يتقبل الله من المتقين اي من الزاكية قلوبهم الذين يخافون على
حسناتهم ان لا تقبل ولم تكن انت زاكي القلب فرد الله قربانك لخبث نيتك وقيل اراد بالمتقين الذين يتقون الشرك
قال ابن عباس كان قابيل كافرا في اكثر الروايات لانه كان رجل سوء • قال الحسن كان الرجل اذا اراد ان يقرب
القربان يتعبد ويتوب ويتطهر من الذنوب ويلبس الثياب البيض ثم يقرب ويقوم يدعو الله فان قبل الله قربانه جاءت
نار فاكلته وذلك علامة القبول وان لم تجي نار فذلك علامة الرد **قوله تعالى** لئن بسطت الي يدك لتقتلني
ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اي قال هابيل مجيبا لقابيل لئن مددت يدك الى القتل ظلما ما انا بالذي
امد يدي اليك لاقتلك ظلما قال قابيل ولم ذلك قال اني اخاف الله رب العالمين في قتلك ظلما
واختلف العلماء في وقت مولد قابيل وهابيل قال بعضهم غشي ادم حوى بعدما هبطا الى الارض بمائة سنة
فولدت له قابيل وتوامته في بطن ثم بعد ذلك البطن هابيل وتوامته قال ابن عباس ولم يمت ادم حتى بلغ ولده
وولد ولده اربعين الفا • وقال بعضهم كان ادم يغشى حوى في الجنة فحملت بقابيل وتوامته فلم تجد عليهما وحما
ولا وصبا ولا طلقا ولا نفاسا لطهر الجنة فلما اهبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل
وتوامته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم **قوله عز وجل** اني اريد ان تبوء باثمي واثمك اي قال
هابيل لقابيل ان كنت تريد قتلي فلا ارجع عنه فاني اريد ان ترجع الى الله باثم دمي واثم ذنبك الذي من اجله
لم يتقبل قربانك فتكون من اصحاب النار في الاخرة وذلك جزاء الظالمين اي وذلك عقوبة من لم يرض
بحكم الله تعالى **قوله تعالى** فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله اي طاوعته نفسه وقيل زينت له قتله
نفسه • قال السدي لما قصد قابيل قتل هابيل اتاه في راس جبل وهو نائم وغنمه ترعى فاخذ صخرة فشدخ
بها راسه فمات وقال الضحاك كان قابيل لا يدري كيف يقتله حتى جاء ابليس وبيده حية فوضعها بين حجرين
فرضخ راسها بالحجر وقابيل ينظر فلما نظر ذلك جاء الى هابيل فلم يزل يضرب بالحجارة على راسه حتى قتله وكان لهابيل
يوم قتل عشرون سنة واختلفوا في موضع قتله قيل قتل على جبل ثور وقيل بالبصرة فلما مات هابيل جاءت السباع
لتاكله فحمله قابيل على ظهره حتى انتن ريحه فعكفت الطيور والسباع حوله ينتظرن متى يرمي به فتاكله فبعث
الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجله ثم القاه في الحفيرة وواراه وقابيل
ينظر اليه فقال يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي • وعن ابن عباس قال لما
قتل قابيل هابيل رجع الى بيته فلما اراد ان يدفنه قال ادم عليه السلام يا قابيل اين اخوك
قال ما رايته وكانت به ارسلت غنمه في زرع فافسده ولعله خاف ان يجئ من اجل ذلك فقال وجبت نفس
ادم فبات ليلته تلك محزونا • فلما اصبح قابيل غدا الى ذلك الموضع فاذا هو بغراب يبحث في الارض على غراب

ميت ليواريه وقيل بعث الله الغراب إكراماً لهابيل وكان الغراب يحثي التراب على هابيل ليرى قابيل كيف
يواريه أي كيف يغطي عورته وفي الخبر أنه لما قتله سلبه ثيابه وتركه عرياناً • وقيل أراد بالسوءة جسد
المقتول سماه سوءة لأنه بقي على وجه الأرض يتغير وينتن والسوءة في اللغة عبارة عن كل شيء مستكره
قوله تعالى فأصبح من النادمين أي صار من المغمومين بالوزر والعقوبة قال الكلبي كان قابيل أول
من عصى الله في الأرض من ولد آدم وهو أول من يساق إلى النار وقال مقاتل كان قبل ذلك تستأنس السباع والطيور
والوحوش فلما قتل قابيل هابيل نفرت فالتحقت الطيور بالهوى والوحوش بالبر والسباع بالغياض وشاك الشجر
وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه واغبرت الأرض • وقال عبد الله الحبر ومن لما قتل هابيل رجفت الأرض
بما عليها سبعة أيام وقال سالم بن أبي الجعد مكث آدم عليه السلام حزيناً على قتل ولده هابيل مائة سنة لا يضحك
قوله تعالى فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه أي أرسل الغراب يبحث في الأرض ودعا بالويل
على نفسه فقال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب والويل كلمة تستعمل عند الوقوع في الشدة والهلكة
قوله تعالى فأصبح من النادمين يحتمل أنه ندم ندم توبة عن جميع ما قال وفعل ويحتمل أنه ندم على ترك مواراة
سوءة أخيه فإن كانت الأولى فالله تواب رحيم وإن كانت الثانية فإثم القتل في عنقه • قال ابن عباس لو كانت
ندامته على قتله لكانت توبة منه وقيل إنه إنما ندم لأنه لم ينتفع بقتله ولم يحصل له مراده فكان ندمه لأجل ذلك
لا لقبح فعله ولو كان ندمه منه تقرباً إلى الله عز وجل • قال ابن عباس فقال الله تعالى لقابيل كن خائفاً أبداً لا ترى شيئاً
إلا خفت منه أن يقتلك قال فكان كل من رأى قابيل رماه بالحجارة حتى قتله وقيل كان على جبل فنطحه ثور فوقع
في سفح الجبل فتفرقت أوصاله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم
الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل • قال مقاتل وتزوج شيث قليما وقال الضحاك لما قتل قابيل
هابيل حمله على ظهره فلم يدر كيف يصنع به فمكث ثلاثة أيام يحمله على ظهره ولا يدري ماذا يصنع به فبعث الله غرابين
يقتتلان فقتل أحدهما صاحبه ثم أخذ يحفر في الأرض وأخذ برجل الغراب المقتول فألقاه في الحفيرة [illegible]
ثم أي بعث الله غراباً يبحث في الأرض قوله تعالى من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس
أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً أي من أجل ذلك القتل الذي عرفه بنو إسرائيل واشتهر عندهم وقضينا
وأوجبنا عليهم في التوراة أنه من قتل نفساً بغير نفس أي من غير أن وجب عليه القود وبغير فساد في الأرض من
الشرك وقطع الطريق والزنا بعد الإحصان فكأنما قتل الناس جميعاً أي استوجب النار بقتل النفس الواحدة كما استوجبها
من قتل الناس جميعاً وقيل معناه أن على الناس كلهم معونة ولي المقتول حتى يقيدوه ويكونون كلهم خصماء القاتل
حتى يقاد وقيل المراد به استحقاق القتل عليه بقتل النفس الواحدة قوله تعالى ومن أحياها فكأنما أحيا الناس
جميعاً أي من استنقذ نفساً من غرق أو حرق أو مما يشبههما من هلكة واستنقذها من كفر أو ضلال فأحياها بالنعيم
الدائم في الجنة أو عفا عن دمها بعد ما وجب عليه القصاص استوجب الجنة كما يستوجبها من أحيا الناس جميعاً وعن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سقى مؤمناً شربة من ماء والماء موجود فكأنما أعتق
سبعين رقبة ومن سقاها في غير موطنها فكأنما أحيا الناس جميعاً قوله تعالى ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون أي لقد جاءت بني إسرائيل رسلنا بالأوامر والنواهي
والعلامات الواضحات ثم إن كثيراً منهم بعد أن جاءتهم الدلائل والمعجزات في الأرض لمسرفون يشركون بارتكاب ما حرم الله
تعالى قوله عز وجل إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو
يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض قال ابن عباس وذلك أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وادع أبا بردة هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن أتاه من المسلمين فهو

أمن

آمن ومن أتى المسلمين منهم فهو آمن ومن مر بهلال بن عويمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو آمن فهاج
قوم من بني كنانة يريدون الإسلام على قوم من أسلم قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ حاضراً فخرج
أصحابه إليهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله فيهم هذه الآية
ومعناها إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض بالفساد نحو القتل والنهب والتخريب
وقطع الطريق أن يقتلوا إن قتلوا أحداً ولم يأخذوا المال أو يصلبوا مقتولين إن قتلوا وأخذوا المال
أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى من الكعب إن أخذوا المال ولم يقتلوا أحداً
أو ينفوا من الأرض إن أخافوا الطريق ولم يفعلوا سوى ذلك واختلفوا في معنى النفي قال بعضهم يعني الحبس وقال
بعضهم هو الطلب الدائم حتى لا يستقر لهم مكان قال التوفيق بين القولين أنهم إن أخذوا بعد ما أخافوا الطريق
أودعهم الإمام السجن حتى يتوبوا أو يموتوا وإن لم يوجدوا أمر بطلبهم وأمر أن ينادي في الناس أن من لقيهم
[illegible] عليه وإنما سمي الحبس نفياً لأنه يمنع المحبوس من التردد والتصرف في الأرض ويكون ذلك بمنزلة النفي من الأرض
واختلفوا في كيفية الصلب مع القتل قال أبو حنيفة يصلب حتى يراه الناس ويرونه ويكون في ذلك زيادة عقوبة له
ثم يبعج بطنه بالرمح ويطعن في خاصرته حتى يموت وقال أبو يوسف والشافعي يقتل ثم يصلب قوله تعالى ذلك لهم خزي
في الدنيا أي فضيحة في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم أعظم من هذا وقال مقاتل وسعيد بن جبير نزلت
هذه الآية في قوم من بني عرينة قدموا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الإسلام وهم كذبة
وليس يريدون الإسلام فاجتووا المدينة وعظمت بطونهم واصفرت وجوههم فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يخرجوا إلى إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا ذلك حتى صحوا ثم قتلوا الرعاة واستاقوا الإبل وارتدوا
عن الإسلام فصاح في الناس يا خيل الله اركبي فركبوا لا ينتظر فارس فارساً فأسرعوا في طلبهم وبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في طلبهم فجاء بهم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمل أعينهم وتركهم
في الحرة حتى ماتوا فأنزل الله هذه الآية فصارت عامة في قطاع الطريق ناسخة لسمل الأعين وقال الليث بن سعد
نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله وتعليماً له عقوبتهم فقال إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون
في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا ولم يكن جزاؤهم هذه المثلة التي هي السمل فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطيباً ونهى عن المثلة قوله تعالى إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم معناه أن يقتلوا أو يصلبوا
إلا الذين تابوا من قطع الطريق من قبل أن يقدر الإمام عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم بهم بعد التوبة
روى الشعبي أن حارثة بن زيد خرج محارباً على عهد رسول الله صلى الله عليه علي رضي الله عنه فأخاف السبيل
وسفك الدماء وأخذ الأموال ثم جاء تائباً فأتى الحسن بن علي فطلب إليه أن يستأمن له علياً كرم الله وجهه
وأتى عبد الله بن جعفر فأبى عليه فأتى سعيد بن قيس الهمداني فقبله وضمه إليه فلما صلى علي رضي الله عنه
صلاة الغداة أتاه سعيد بن قيس الهمداني وقال يا أمير المؤمنين ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله قال
أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف قال ما تقول فيمن تاب من قبل أن تقدر عليه قال كما قال
الله إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم فقال سعيد وإن كان حارثة بن زيد
قال نعم فجاء به إليه فبايعه وأمنه وكتب له أماناً منشوراً فقال حارثة • ألا أبلغا همدان إما لقيتها • على النأي
لا يسلم عدو يعيبها • لعمر أبيها إن همدان تتقي • الإله ويقضي بالكتاب خطيبها • قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اتقوا
الله وابتغوا إليه الوسيلة أي يا أيها الذين آمنوا اخشوا عذاب الله واحذروا معاصيه واطلبوا إليه القربة
بالأعمال الصالحة وجاهدوا أعداء الله في طاعته لعلكم تفلحون أي لعلكم تظفروا بعدوكم وتنجوا من عذاب الله
في العقبى والوسيلة القربة وهي فعيلة من توسل إلى فلان بكذا أي تقرب إليه وجمعها وسائل قال الشاعر
إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا • وعاد التصافي بيننا والوسائل • وقال عطاء الوسيلة أفضل درجات الجنة قال

صلى الله عليه وسلم سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا ينالها إلا عبد واحد وأرجو من الله أن أكون أنا هو
قوله تعالى إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل
منهم وفي هذه الآية قطع طمع الكفار عن التخلص من عذاب يوم القيمة يقول لو ماتوا على الكفر وكان لهم ما في الأرض
جميعا من أموالها بأسرها وضعفه معه ليشتروا به أنفسهم من عذاب الله ما تقبل ذلك الفدا منهم لو فادوا ولهم عذاب
وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم
قيل معناه كلما رفعتهم النار بلهيبها تمنوا أن يخرجوا منها يقول الله تعالى وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم أي دائم
لا ينقطع قوله عز وجل والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما قال ابن عباس نزلت في طعمة بن أبيرق سارق الدرع
وقد مضت قصته في سورة النساء ثم صارت عامة في جميع الناس ومعنى الآية والسارق من الرجال والسارقة من النساء
فاقطعوا أيديهما أي أيمانهما هكذا تأوله ابن عباس وفي قراءة ابن مسعود فاقطعوا أيمانهما وقرأ عيسى بن عمر والسارق
والسارقة بالنصب على إضمار اقطعوا السارق والسارقة كما تقول زيدا اضربه والقراءة المختارة الرفع لأن القطع
الحدي على السارق وقال المبرد ليس القصد من الكلام إلا واحدا بعينه وإنما معناه من سرق فاقطعوا يده بخلاف قولك
زيدا اضربه ولو أراد سارقا بعينه لكان وجه الكلام النصب وعلى هذا قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل
واحد منهما ولو أراد زانيا بعينه لنصب وإنما ذكر اليدين بلفظ الجمع لأنه أراد أيمانهما لأن ما كان واحدا من واحد فتثنيته
بلفظ الجمع والإضافة إلى الاثنين ومثل ذلك فقد صغت قلوبكما والإضافة إلى الاثنين تدل على أن المراد به التثنية
دون الجمع فإن قيل لأي معنى قدم الله ذكر السارق على السارقة وقدم ذكر الزانية على الزاني لأن السرقة في الرجال
أكثر والزنا في النساء أكثر فقدم ذكرهم بالتغليظ عليهم ولو أن السارقة بدأ بها كما أمر الله تعالى لم تتبع هي والرجال في الزيادة
واختلفوا في القدر الذي تقطع فيه يد السارق من المال الذي سرقه فقال في عشرة دراهم فصاعدا ولا تقطع فيما دون ذلك
وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه وكان سليمان بن يسار لا تقطع الخمس إلا في خمسة دراهم وقال مالك تقطع في ثلاثة دراهم
فصاعدا وقال الأوزاعي والشافعي تقطع في ربع دينار فصاعدا وقال بعضهم تقطع في القليل والكثير ولو كان
دانقا وهو قول ابن عباس وقال بعضهم في درهم ولو قطع السارق ثم عاد فسرق قطعت رجله اليسرى فإن سرق ثالثا
قال أبو حنيفة وأصحابه لا تقطع لما روي أن عليا كرم الله وجهه أتي بسارق فقطع يده اليمنى ثم أتي به مرة أخرى
فقطع رجله اليسرى ثم أتي به الثالثة فضربه وحبسه وقال إني لأستحيي من الله أن لا أدع له يدا يستنجي بها ولا رجلا
يمشي بها قوله تعالى جزاء بما كسبا أي عقوبة لهما على فعلهما وانتصب جزاء لأنه مفعول له كأنه قال فاقطعوها
لجزاء فعلهما قوله تعالى نكالا من الله أي عقوبة وفضيحة من الله والنكال هو أن ينكل به ليعتبر به غيره
فينكل أي لا يفعل مثل فعله قوله تعالى والله عزيز حكيم أي منيع بالنقمة من السارق وحكيم فيما حكم من
القطع لما في ذلك من زجر الناس عن غيهم صيانة لأموال الناس فظاهر الآية يقتضي وجوب القطع على السارق
في القليل والكثير وهو قول الخوارج إلا أنه قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تقطع في أقل من
عشرة دراهم وبه أخذ أصحابنا وروي عن علي وابن مسعود مثل قولنا وعن عمر أنه قال لا تقطع الخمس إلا في خمس
أي الخمس الأصابع لا تقطع إلا في خمسة دراهم وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لا يقطع إلا في ربع دينار وهو
قول الشافعي وقال عبد الله بن عمر ثلاثة دراهم قوله تعالى فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه
أي من تاب من السرقة من بعد سرقته وأصلح العمل فيما بينه وبين الله فإن الله يتوب عليه أي يتجاوز عنه ولا يؤاخذه
في الآخرة ولا تقطع يده إذا رد المال قبل المرافعة إلى الحاكم رحيم بمن تاب على التوبة وأما إذا رفع إلى الحاكم ثم تاب
فالقطع واجب فإن كانت توبته حقيقية كان ذلك زيادة درجات كما أن الله تعالى ابتلى الصالحين والأنبياء بالبلاء
والمحن والأمراض زيادة لهم في درجاتهم وإن لم تكن توبته حقيقية كان الحد عقوبة على ذنبه وهو مؤاخذ في الآخرة
إن لم يتب وعن عبد الله بن عامر قال سرقت امرأة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءوا بها إليه فقالوا

يا رسول الله إن هذه المرأة سرقتنا فقال قومها نحن نفديها فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا يدها فقالوا نحن نفديها
بخمسمائة مثقال فقال اقطعوا يدها فقطعت يدها اليمنى فقالت المرأة هل من توبة يا رسول الله قال نعم أنت اليوم من توبتك تخرج
عن خطيئتك كيوم ولدتك أمك فأنزل الله هذه الآية فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه وعن عائشة
رضي الله عنها قالت كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع يدها فأتى أهلها
أسامة فكلموه فكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أسامة لا أراك تكلمني في حد من حدود الله تعالى ثم قام خطيبا
فقال إنما هلك من كان قبلكم بأنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والذي نفسي بيده لو كانت
فاطمة ابنة محمد لقطعت يدها فقطع يد المخزومية قوله عز وجل ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض
أي له القدرة على أهل السموات والأرض والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء
أي يعذب من يشاء على الذنب الصغير وهو عدل منه ويرحم من يشاء على الذنب العظيم وهو فضل منه أي يعذب من توجب الحكمة
تعذيبه ويغفر لمن توجب الحكمة مغفرته والله على كل شيء قدير قوله تعالى يا أيها الرسول لا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم أي لا يحزنك يا محمد فعل الذين يسارع
بعضهم بعضا في الإقامة على الكفر والحث عليه وقرأ نافع يحزنك بضم الياء ومعناهما واحد وقرأ السلمي يسرعون في الكفر
قوله تعالى من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم المنافقون ومن الذين هادوا أي ومن
يهود المدينة الذين هم أهل الصلح للنبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت لفؤاده بوعد
النصرة والظفر وإعلام أن المنافقين واليهود لا تضره قوله تعالى سماعون للكذب سماعون لقوم
آخرين أي قائلون للكذب يعني بني قريظة سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يعني يهود خيبر وذلك أن رجلا
وامرأة من أشراف أهل خيبر زنيا وكانت خيبر حربا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الزانيان محصنين وكان حدهما
الرجم في التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما وقالوا إن هذا الرجل الذي في يثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب
فأرسلوا إلى إخوانكم بني قريظة فإنهم صلح له وجيرانه فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم
اسألوا محمدا عن الزانيين المحصنين ما حدهما فإن أمركم بالجلد فاقبلوا منه وإن أمركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا
منه وأرسلوا الزانيين معهم فقدم الرهط إلى بني قريظة والنضير وذكروا لهم ذلك وقالوا إنكم إخوان محمد وأهل
قضايته فقالت لهم بنو قريظة إذا والله يأمركم بما تكرهونه ثم انطلق منهم قوم مثل كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد
وشعبة بن عمرو ومالك بن الصيف وعازورا وغيرهم وقالوا يا محمد أخبرنا عن الزانية والزاني إذا أحصنا ما حدهما
وكيف تجد في كتابك فقال صلى الله عليه وسلم وهل ترضون بقضائي في ذلك قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بالرجم
فأخبرهم فأبوا أن يأخذوا به فقال جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك قالوا نعم قال فأي رجل هو فيكم قالوا
هو أعلم من على وجه الأرض من اليهود بالتوراة قال فأرسلوا إليه ففعلوا فأتاهم ابن صوريا فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال أتجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم
قد رضينا به إذا رضيت به فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنشدك بالله الذي لا إله إلا هو القوي إله بني إسرائيل
الذي أنزل التوراة على موسى والذي فلق لكم البحر فأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي ظلل عليكم الغمام وأنزل
عليكم المن والسلوى هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن قال ابن صوريا نعم والذي ذكرتني به ولولا خشية أن
تحرقني التوراة إن كذبت أو غيرت لما اعترفت لك ولكن كيف في كتابك يا محمد قال إذا شهد أربعة عدول أنه
أدخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل
على موسى فعاتبه قومه ما أسرع ما صدقته ما كنت لما أثنينا عليك بأهل وما أنت بأعلمنا فقال لقد ناشدني بالتوراة
ولولا خشية التوراة أن تهلكني لما أخبرته وخشيت إن كذبته أن ينزل بنا عذاب شديد فأمر رسول الله صلى

الله عليه وسلم برجم اليهوديين الزانيين وقال أنا أول من أحيى سنة إذا أماتوها فنزل قوله تعالى يا أهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ولا يخبركم به فقال ابن صوريا أنشدك
الله يا محمد أن تخبرنا بالكثير الذي أمرت أن تعفو عنه فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن صوريا أخبرني
عن ثلاث خصال قال ما هي قال أخبرني عن نومك قال تنام عيني وقلبي يقظان قال صدقت قال فأخبرني عن شبه
الولد بأبيه ليس فيه من شبه أمه وعن شبهه أمه ليس فيه من شبه أبيه شيء قال أيهما علا وسبق ماؤه ماء صاحبه كان
الشبه له قال صدقت قال فأخبرني ما للرجل من الولد وما للمرأة من الولد فقال للمرأة اللحم والدم والظفر والشعر وللرجل
العظم والعصب والعروق قال صدقت فأسلم ابن صوريا حينئذ وقال يا محمد من يأتيك من الملائكة بالوحي قال جبريل
قال صفه لي فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أنه في التوراة كما قلت وأنك رسول الله فلما أسلم ابن
صوريا شتموه قوله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أي من يرد الله بليته وعقوبته وفضيحته
فلن تقدر يا محمد أن تدفع عنه شيئا مما أراد الله به قوله تعالى أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم
من علامات الكفر مثل الختم والطبع والضيق كما شرح صدور المؤمنين فطهر قلوبهم بكتابة الإيمان فيها وقال الحسن
لم يرد الله أن يطهر قلوبهم أي لم يبرئ قلوبهم من الكفر وهم مقيمون على دينهم واعتقادهم لهم في الدنيا خزي
أي فضيحة بما أظهر الله في قلوبهم من كفرهم وقيل أراد بالخزي القتل والسبي والجزية ولهم في الآخرة عذاب
عظيم مما في الدنيا قوله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت أي هم سماعون للكذب يرجع إلى صفة اليهود
والمنافقين الذين سبق ذكرهم والفائدة في إعادة وصفهم بسماعين للكذب بيان أنهم إنما يستحقون الخزي والعذاب
بإصرارهم على الكذب في استماعه وضمهم إلى ذلك السحت ● واختلفوا في المراد بالسحت فقال ابن مسعود والحسن أراد
به الرشوة على الحكم وقال علي وأبو هريرة هو الرشوة على الحكم ومهر البغي وعسب التيس وحلوان الكاهن وعن الحسن
والسحت اسم لما لا يحل أخذه وأصل السحت من الهلاك يقال سحته وأسحته إذا استأصله ومنه قوله تعالى فيسحتكم بعذاب
أي يهلككم وسمي الحرام سحتا لأنه يؤدي إلى الهلاك والاستئصال ● وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به قيل ما السحت يا رسول الله قال الرشوة في الحكم ● وعن مسروق عن ابن مسعود
قال الرشوة سحت قلت له أفي الحكم قال ذاك الكفر ثم قرأ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون
وأراد بهذا استحلال الرشوة وجحد الحق والرشوة تنقسم على وجوه منها الرشوة على الحكم وذلك حرام على الراشي
والمرتشي لأنه لا يخلو إما أن يحكم له الحاكم بحقه فيكون المرتشي آخذا للأجرة على أداء ما فرض عليه ويكون الراشي
معطيا لما لا يصلح للحكم ولا ينفذ حكمه وإما أن يرتشي ليقضي له بما ليس له بحق فيكون الإثم أعظم وتفسيق الحاكم
وتجهيله وكذلك الراشي وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لعن الله الراشي والمرتشي
والرائش أراد بالرائش الذي يمشي بينهما ومنها الرشوة في غير الحكم كما روي عن وهب بن منبه أنه قيل له الرشوة
حرام في كل شيء قال لا إنما يكره أن ترشي لتعطى ما ليس لك أو تدفع حقا لزمك فأما أن ترشي لتدفع عن دينك
ودمك ومالك فليس بحرام وإنما الإثم على القابض ● قرأ عاصم ونافع وحمزة وابن عامر للسحت بضم السين وسكون
الحاء وقرأ أبو عمرو وابن كثير والكسائي بضمهما جميعا ● وقرأ أبو العباس للسحت بفتح السين وسكون الحاء
وكله بمعنى واحد وهو الحرام وقيل يقال رجل مسحوت المعدة إذا كان أكولا لا يلقى جائعا قيل نزلت هذه
الآية في حكام اليهود كعب بن الأشرف وأمثاله كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم ● وعن الحسن في قوله سماعون
للكذب أكالون للسحت قال الحكام يسمع كذبه ويأخذ رشوته فيكون الحاكم قد سمع دعواه الكاذبة وأكل
رشوته روي أن مسروقا شفع لرجل في حاجة فأهدى له جارية فغضب غضبا شديدا وقال لو علمت أنك تفعل
هذا ما كلمت في حاجتك ولا أكلم فيما بقي من حاجتك سمعت ابن مسعود رضي الله عنه يقول من شفع شفاعة
ليرد حقا أو يدفع بها ظلما فأهدي إليه شيء فهو سحت فقيل له يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك إلا أخذ

الرشوة على الحكم فقال الأخذ على الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وإذا
ارتشى الحاكم انعزل من ساعته وإن لم يعزل ● ومن السحت ثمن الخمر والخنزير والميتة وعسب الفحل وأجرة النائحة والمغنية
والساحر وهدية الشفاعة ومهر البغي وحلوان الكاهن هكذا قال عمر وعلي وابن عباس رضي الله عنهم ● وقال
ابن كيسان سمعت الحسن يقول إذا كان على رجل دين فأكلت في بيته فهو سحت قوله تعالى فإن جاؤوك فاحكم بينهم
أو أعرض عنهم وذلك أن اليهود لما أرادوا أن يتحاكموا عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد قصة الزنا تعلقت
بنو قريظة ببني النضير فقالوا يا محمد إخواننا بنو النضير أبونا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فإذا قتلوا منا قتيلا
أعطونا سبعين وسقا من تمر وإذا قتلنا منهم قتيلا أخذوا منا أربعين ومائة وسق وجراحتنا على النصف من جراحاتهم
فقال صلى الله عليه وسلم دم القرظي وفاء بدم النضيري فأنزل الله هذه الآية أي فإن جاءك الفريقان كلاهم راضين بحكمك فاحكم
بينهم بما أنزل الله وإن شئت فأعرض عنهم وقيل معناه فإن جاءك أهل خيبر في حكم الزنا فاقض بينهم بالرجم في هذه الحادثة
وفي نظيرها من الحوادث التي تقع من بعد أو أعرض عنهم ولا تحكم بينهم خيره الله تعالى وإن احكم بينهم بما أنزل الله قوله
تعالى وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا لإعراضك عنهم وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط أي بالعدل إن الله يحب
المقسطين أي العادلين قوله عز وجل وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله أي كيف يرضون بحكمك وعندهم
التوراة فيها حكم الرجم والقصاص وغير ذلك وهم يعرضون عن العمل بها من بعد البيان الذي في كتابهم لنبوة الصدق ومن
ما عندهم يزعمون أنهم مؤمنون بالتوراة وهم كاذبون وفي هذه الآية بيان على أن هؤلاء اليهود كانوا لا يحكمون
النبي صلى الله عليه وسلم بحكم رضا واعتقاد ولولا طلبهم الترخص واتباع ما لا يفي في كتابهم لما جاؤوه قوله عز وجل إنا
أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا أي إنا أنزلنا التوراة
على موسى فيها بيان من الضلالة ونور لمن آمن به يقضي بها النبيون الذين أخلصوا وهذه صفة الأنبياء لا أن فيهم
من لم يخلص كما يقال صلى الله على محمد وعلى آله الطيبين لا يراد به أن في آله غير الطيبين والمراد بالنبيين موسى
وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين وغيرهم من الأنبياء الذين كانوا في وقت موسى إلى وقت نبينا عليهم السلام وقيل
أراد بالنبيين محمدا صلى الله عليه وسلم فإنه كالكناية عن أنبياء دين أهل [illegible] أن يحكم [illegible] بينهم بحكم التوراة وقيل
معنى الذين أسلموا انقادوا لأحكام الله تعالى على أن غيرهم من النبيين لم يكونوا مسلمين وقيل معنى أسلموا أي صاروا
إلى السلامة كما يقال أصبحوا وأمسوا أي دخلوا في الصباح والمساء وقيل معنا الذين أسلموا أنفسهم إلى الله كما
روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا أوى إلى فراشه أسلمت نفسي إليك قوله تعالى للذين هادوا
يعني اليهود وقيل معنى الآية للذين تابوا من الكفر كما في قوله تعالى إنا هدنا إليك قوله تعالى والربانيون هم
العلماء العاملون يربون العلم أي يقومون به والأحبار سائر العلماء دون الأنبياء والربانيين وإنما سمي العالم
حبرا لكثرة ما يكتب بالحبر وقيل هو من التحبير وهو تحسين العلم وتقبيح الجهل قوله تعالى بما استحفظوا من
كتاب الله أي من الرجم وسائر الأحكام وكانوا عليه شهداء أنه كذلك ومعنى استحفظوا استودعوا
قوله تعالى ولا تخشوا الناس خطاب لعلماء اليهود أي لا تخشوا السفلة والجهال في إظهار نعت النبي صلى
الله عليه وسلم وآية الرجم واخشوا عقابي في كتمانها ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا أي لا تختاروا عرضا يسيرا
من الدنيا فإن الدنيا وما فيها قليل قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله ذهبت الخوارج إلى أن معنى الآية ومن
لم يحكم بما أنزل الله وحكم بخلافه كان كافرا يعتقد ذلك اعتقادا كان أو غير ذلك وكفروا بذلك كل من عصى الله
تعالى بكبيرة أو صغيرة فأداهم ذلك إلى الضلال والكفر بتكفيرهم الأنبياء صلوات الله عليهم بصغائر ذنوبهم وأما عامة
أهل الإسلام قالوا إن المراد بهذه الآية من جحد شيئا مما أنزل الله مثل ما فعله اليهود من التحريف والتبديل
وإنكار نعت وآيات الله تعالى فأولئك هم الكافرون أي أهل هذه الصفة بمنزلة الكافر بالكتب والرسل كلها
يدل على هذا أنه لا خلاف أن من لم يقض بينهم بما أنزل الله لا يكفر بأن لم يحكم لأن أكثر الناس على هذه الصفة والحاكم

بين الناس في كبيرها لانه يحكم فاذا صلح للخوارج ان يتدينوا في ظاهر اللفظ فيقولوا معناه ومن لم يحكم بما انزل الله
وحكم بخلافه صلح لغيرهم ان يقولوا معناه ومن لم يحكم بصحة ما انزل الله فاولئك هم الكافرون وهذا عام في اليهود
وغيرهم قوله عز وجل وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن
بالاذن والسن بالسن قال ابن عباس نزلت هذه الاية في الجراحات التي كانت بين بني قريظة وبني النضير كان لبني
النضير فضل على بني قريظة في الدية والدم ضعف ما كان لبني قريظة فانزل الله هذه الاية ومعناها واوجبنا على
بني اسرائيل في التورية ان النفس بالنفس يعني ان نفس القاتل بنفس المقتول وقاد والعين بالعين تفقأ بها والانف بالانف
يجدع بها والاذن بالاذن تقطع بها والسن بالسن تقلع به وخفف نافع الاذن في جميع القران وثقله غيره قوله تعالى
والجروح قصاص أي يجري فيها القصاص والقصاص عبارة عن المساواة وهذا مخصوص فيما يمكن القصاص فيه فاما
ما كان من رضة او هشيمة لعظم او هدة ركن لا يحيط العلم به ففيه ارش وحكومة. قرأ الكسائي والعين بالعين رفعا
الى اخره وكذا قوله والجروح رفعه ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ونصبوا ساير الحروف قبله قالوا لان لها نظاير
في القران منها قوله تعالى ان الله بريء من المشركين ورسوله وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين واذا قيل ان وعد الله حق والساعة. وقرأ نافع وعاصم وحمزة وخلف كلها بالنصب قوله تعالى
فمن تصدق به فهو كفارة له أي من عفى عن مظلمته في الدنيا فهو كفارة للجارح لا يؤخذ بها في الاخرة
ان القصاص كفارة له واما اجر العافي فعلى الله قال الله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله وهذا قول ابراهيم ومجاهد
وزيد بن اسلم ورواية عن ابن عباس وقيل معناه فهو كفارة للمجروح وولي القتيل وهو قول عبد الله بن عمرو والحسن
والشعبي وقتادة وجابر بن زيد ويدل لهذا قوله صلى الله عليه وسلم من تصدق من جسده بشيء كفر الله بقدره
من ذنوبه. فمن عفى كان عفوه كفارة لذنوبه يعفو الله عنه ما سلف من ذنوبه. واما الكافر اذا عفى
لا يكون عفوه كفارة له مع اقامته على الكفر. وقال صلى الله عليه وسلم من اصيب بشيء من جسده فتركه
لله كان كفارة له وروي ان رجلا طعن رجلا على عهد معوية رضي الله عنه فاعطوه دية فابى الا ان يقتص
فقال رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من تصدق بدم فما دونه كان
كفارة له من يوم ولد الى يوم تصدق به فتصدق به وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن يوم القيمة مع
ايمان دخل الجنة من اي ابواب الجنة شاء وتزوج من الحور العين حيث شاء من عفى عن قاتله ومن قرأ دبر
كل صلوة مكتوبة قل هو الله احد عشر مرات ومن ادى دينا خفيا قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه او
احداهن يا رسول الله قال او احداهن. واما القصاص في العين فلا يجب الا اذا ضرب رجل فاذهب ضوءها
وهي قايمة فانه تشد العين الاخرى وحوالي العين التي يجب فيها القصاص من الضارب بثوب او قطن مبلول ويحمى
مرآة وتقرب الى العين حتى يذهب ضوءها واما اذا قلعها فلا قصاص فيها لتعذر استيفائه على المماثلة لانا
لا نعلم القالع حد ما يقلع ما ينتهي اليه وهذا كمن قطع قطعة لحم من فخذ رجل او ذراعه فانه لا يجب القصاص
واما الانف فمعناه اذا قطع المارن وهو ما لان منه وجب فيه القصاص فان قطعه من اصله فلا قصاص فيه
لانه عظم لا يمكن استيفاؤه على المساواة كمن قطع يد رجل من نصف الساعد. وعن ابي يوسف ان الانف اذا
استوعبت بالقطع ففيه القصاص وكذلك الذكر واللسان. واما الاذن فمعناه اذا استوعبت القطع وان
قطع بعضها فلا قصاص فيها. واما السن فمعناه القلع وكسر البعض لان القلع يمكن استيفاؤه على المساواة
ولا يجوز استيفاء اليمنى باليسرى ولا اليسرى باليمنى وان تراضيا على ذلك لانه لا مساواة بينهما واما المماثلة
في النفس فلا تشترط الا ترى ان الرجل يقتل بالمرأة مع علمنا ان التساوي بين الرجل والمرأة في النفس غير
معتبر في القصاص في الاطراف معتبرة ولهذا لا يجري عندنا بين الرجل والمرأة في الاطراف قصاص ولا بين
الحر والعبد لعدم التساوي بين الطرفين في البدل وكذلك بين العبد والعبد لا يمكن معرفة التساوي

بين الطرفين فيما قوله تعالى والجروح قصاص يعني التي لها حد معلوم مثل الموضحة ونحوها فاما ما ليس له حد معلوم
ولا يمكن مراعاة التساوي فيه ففيه الارش دون القصاص قوله عز وجل وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا
لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل أي اتبعنا النبيين الذين ذكرناهم بعيسى عليه السلام وجعلنا
من بعدهم يقال قفوت اثره وقفيته اذا اتبعته وحقيقة التقفية الاتيان بالشيء في عقب وقوله مصدقا لما
بين يديه نصب على الحال من عيسى كان مصدقا لما كان الكتاب الذي انزل قبله وهو التورية وقوله تعالى وآتيناه
الانجيل فيه هدى ونور أي اعطيناه الانجيل فيه هدى من الضلالة وبيان الاحكام قوله تعالى ومصدقا
لما بين يديه نعت للانجيل أي اعطيناه ذلك كتابا فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه وموافقا لما تقدم
من التورية وهدى في بيان نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وموعظة للمتقين أي نهيا للذين يتقون
الفواحش والكباير قوله عز وجل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه أي وليقض اهل الانجيل وهذا
جزم بلام الامر أي قلنا لهم احكموا بما انزل الله في الانجيل وقال الكلبي بين الله حكم الرجم على الزاني المحصن وحكم
القصاص في النفس والاطراف وحكم القطع على السارق في التورية والانجيل فيما انزل على نبينا صلى الله عليه وسلم
وجميع هذه الكتب يصدق بعضها بعضا. قرأ الاعمش وحمزة وليحكم بكسر اللام وفتح الميم أي آتيناه الانجيل لكي يحكم
وقرأ الباقون بجزم اللام والميم. قال مقاتل امر الله الربانيين ان يحكموا بما في التورية وامر القسيسين والرهبان
ان يحكموا بما في الانجيل فكفروا بذلك وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقالوا العزير ابن الله وقالوا المسيح ابن الله قوله
تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون أي من لم يقض بما انزل الله في كتبه على رسله فاولئك
هم الخارجون عن امر الله قوله عز وجل وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه أي وانزلنا
اليك يا محمد القران بالصدق وموافقا لما تقدم من الكتب في التوحيد وبيان الحق من الباطل ومهيمنا عليه
أي امينا ومؤتمنا على ما قبله من الكتب ويقال شاهدا على الكتب كلها وهذا وصف خاص للقران دون ما سبق
واصل مهيمن مؤيمن على وزن مفيعل من الامانة الا ان الهاء بدلت من الهمزة كما قالوا ارقت الماء وهرقت
الماء واياك وهياك وههنا بدلت الهاء ونظير المهيمن المسيطر. قال الشعبي والكسائي ورواية الوالبي
عن ابن عباس معنى قوله ومهيمنا عليه أي شاهدا قال الشاعر ان الكتاب مهيمن لنبينا والحق يعرفه
ذوو الالباب أي شاهدا وقال ابن جبير وابو عبيدة والحسن امينا وفي رواية العوفي عن ابن عباس
واما امانة القران انه امين على ما قبله من الكتب فما اخبر بها اهل الكتاب في كتبهم فان كان ذلك في القران فصدقوا
والا فكذبوه. وقال الضحاك مهيمنا أي قاضيا وقال عكرمة دالا وقال ابن زيد مصدقا وقال الخليل رقيبا
وحافظا. ويقال هيمن فلان على كذا اذا شاهده وحفظه تقول العرب للطاير اذا طار حول وكره ورفرف
على فرخه صيانة له هيمن الطير يهيمن وكذلك يقال للطاير اذا ارخى جناحيه والبسهما بيضه وفرخه ورفرف
على فرخه صيانة له ومنه قيل لله عز وجل المهيمن أي الرقيب الرحيم قوله تعالى فاحكم بينهم بما انزل الله
أي احكم في الزاني والزانية بالرجم. ويقال احكم بين بني قريظة وبني النضير في الجراحات التي بينهم في التسوية بين
الفريقين ولا تتبع اهواءهم أي لا تتبع مرادهم عما جاءك من الحق قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا أي جعلنا لكل نبي منكم يا معشر الانبياء فرايض وسننا والشرعة والشريعة هو المخلص الى الجنة
كشريعة الانهار والحياض في الدنيا وهو المخلص الى الشيء ولا استقامة واصل الشرعة من قولهم شرع فلان
يشرع شرعا اذا دخل في امر دخولا ظاهرا. ويقال ان الشرعة والمنهاج كلاهما الطريق والطريق ها هنا
الدين وقد يعبر عن الشيء بلفظين مختلفين تاكيدا للكلام. وقال المبرد الشرعة ابتداء الطريق والمنهاج
الطريق المستمر. ويقال معنى المنهاج الدلايل الواضحة التي يستدل بها على الفرايض من كتاب وسنة وقيل
معناه لكل جعلنا منكم سبيلا وسنة والمنهاج الطريق البين الواضح وقال المفسرون عنى بذلك جميع اهل الملل

لمخالفته جعل الله لكل ملة شريعة ومنهاجا فلأهل التوراة شريعة ولأهل القرآن شريعة يحل فيها ما يشاء
ويحرم فيها ما يشاء والدين واحد والشريعة مختلفة قوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة أي
لجعلكم على أمر واحد في دعوة جميع الأنبياء ولكن ليبلوكم ولكن ليختبركم فيتبين من يطيع الله ومن يعصيه
قوله تعالى فاستبقوا الخيرات أي فبادروا يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم الخيرات والطاعات والأعمال
الصالحة قبل الفوت والموت قال صلى الله عليه وسلم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل
سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك قوله تعالى إلى الله مرجعكم جميعا أي
إلى الله مرجع من آمن ومن لم يؤمن فيجزيكم يوم القيامة بما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين والشريعة قوله
عز وجل وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم معناه أنزلنا إليك الكتاب بالحق وبأن تحكم بين اليهود
بما أنزل الله من رجم الزاني المحصن والقصاص من الشريف والوضيع ولا تتبع أهواءهم في الجلد وترك الرجم قوله
واحذرهم أن يفتنوك أي أن يستزلوك عن بعض ما أنزل الله في كتابه قال ابن عباس وذلك أن يهود بني النضير
مثل ابن صوريا وكعب بن أسيد وغيرهم قالوا فيما بينهم اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فإنما هو بشر فأتوه
فقالوا له يا محمد إنك قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وساداتهم وأنا إن اتبعناك اتبعك اليهود ولم يخالفونا
وأن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك وتقضي لنا عليهم ونؤمن بك فأبى النبي صلى الله عليه وسلم وكان حريصا
على إسلامهم فأنزل الله واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك قوله تعالى فإن تولوا فاعلم أنما
يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم أي إن أعرضوا عن حكمك فاعلم إنما يريد الله أن يعاقبهم بالقتل في بني
قريظة والجلاء إلى الشام في بني النضير ببعض ذنوبهم أي بما سلف من ذنوبهم وهو جحودهم لذلك وتغييرهم صفتك في
التوراة وإن كثيرا من الناس لفاسقون أي خارجون عن الطاعة ناقضون للعهد قوله عز وجل أفحكم
الجاهلية يبغون قرأ ابن عامر تبغون بالتاء وقرأ الباقون بالياء ومعنى الآية أيطلبون من حكم الزنا والقصاص
وهم أهل الكتاب شيئا لم ينزله الله عليكم كما يفعله أهل الجاهلية وأي أحد أعدل من الله تعالى قوله تعالى لقوم
يوقنون أي من أيقن تبين له عدل الله في حكمه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
أولياء وذلك أنه لما كانت وقعة أحد خاف الناس من المسلمين أن تظهر عليهم الكفار فأراد من كان بينه وبين
اليهود والنصارى صحبة أن يتولوهم ويتعاقدوهم فنهاهم الله عن ذلك ومعناه يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى أحبابا في العون والنصرة بعضهم على دين بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إذا
تولاه لأجل كفره صار كافرا مثله وأما إذا تولاه لا لأجل كفره صار من جملة المستحقين لعذاب الله لمخالفته أمر الله
وموالاته من أوجب الله عليه أن يعاديه وقال عكرمة نزلت هذه الآية في أبي لبابة حين قال لبني قريظة
حين رضوا بحكم سعد إنه الذبح قوله تعالى إن الله لا يهدي القوم الظالمين أي لا يرشد اليهود والنصارى
إلى دينه وحجته ما داموا على كفرهم قوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم وذلك أن
المنافقين كانوا يوادون يهود قريظة ونصارى نجران لأنهم كانوا أهل ريف فكان يميرونهم ويقرضونهم فقال
المنافقون كيف نقطع مودة قوم إن أصابتنا سنة واحتجنا إليهم وسعوا علينا في الأزل (?) وعرضوا علينا الثمار
إلى القابل فنزل قوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض أي ترى يا محمد الذين في قلوبهم شك ونفاق يبادرون
إلى موالاة الكفار ومعاقدتهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة أي شدة وجدوبة ويقال أراد بهذا القول
أنهم يخشون أن لا يتم أمر محمد صلى الله عليه وسلم فيدور الأمر على الحالة التي هم عليها فيحتاجون
إلى الكفار يقول الله تعالى فعسى الله أن يأتي بالفتح أي عسى أن يظهر المسلمون وعسى من الله واجب
ويسمى النصر فتحا لأن فيه فتح الأمر المغلق قوله تعالى أو أمر من عنده معناه أو يقضي بالخصب لمحمد صلى الله عليه
وسلم وأصحابه ويقال هو أن يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بإظهار أمر المنافقين وقتلهم فيصبح المنافقون

على ما أضمروا في أنفسهم من ولاية اليهود والنصارى نادمين فلا ينفعهم الندامة حينئذ قوله عز وجل ويقول
الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم قرأ أهل الكوفة ويقول بالواو والرفع
على الاستئناف وقرأ أهل البصرة بالنصب والواو عطفا على أن يأتي وقرأ الباقون برفع اللام وحذف الواو
ومعنى الآية يقول المؤمنون المخلصون عندما يظهر الله نفاق المنافقين أهؤلاء الذين أقسموا بالله يعنون
المنافقين الذين حلفوا بالله إنهم لمعكم على دينكم حبطت أعمالهم بطل ما أظهروه من الإيمان والأعمال الصالحة
فصاروا خاسرين في الدنيا والعقوبة قوله تعالى جهد أيمانهم تفسير للقسم بالله تعالى فإن من حلف بالله فقد
بذل جهد يمينه إذ لا يمين أعظم من اليمين بالله ولا حرمة أكبر من حرمة الله وقال ابن عباس رضي الله عنه
فتح الله بالفتح ونصر الرسول صلى الله عليه وسلم وجاء أمر الله من عنده بإجلاء بني النضير وقتل بني قريظة وسبي
ذراريهم فندم المنافقون حين ظهر نفاقهم وقال المؤمنون أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قرأ أهل المدينة
والشام يرتدد بدالين وفي الآية تهديد لمن ثبت له على الإيمان قال ابن عباس أسد وغطفان وأناس من كندة
ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في عهد أبي بكر رضي الله عنه وكان من المرتدين بنو حنيفة فقاتلهم بنو
حنيفة ببلد اليمامة ورئيسهم مسيلمة الكذاب وكان ادعى النبوة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر
سنة عشر وزعم أنه أشرك مع محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول
الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك وبعث بذلك رجلين من أصحابه نهشل والحكم
بن الطفيل وكانا من سادات اليمامة فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم أتشهدان أن مسيلمة رسول الله قالا نعم
فقال لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ثم أجاب من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن
الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ومرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي وجعل مسيلمة
يقوى أمره باليمامة يوما بعد يوم فبعث أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد في جيش عظيم حتى أهلكه الله على يدي
وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب بعد حرب شديد فكان وحشي يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وقتلت شر
الناس في الإسلام ومن المرتدين أيضا طليحة بن خويلد رئيس بني أسد وكان قد ادعى النبوة في حياة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقاتله أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليه خالد بن الوليد
فقاتله قتالا شديدا وهرب طليحة على وجهه نحو الشام فلجأ إلى بني حسنة (?) فأجاروه ثم أسلم بعد ذلك وحسن
إسلامه وارتد أيضا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير من العرب منهم فزارة ورئيسهم عيينة بن
حصن وبنو سليم وبنو يربوع وطائفة من بني تميم ورأسوا عليهم امرأة يقال لها سجاح بنت المنذر وادعت
النبوة ثم زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وارتدت كندة ورأسوا عليهم الأشعث بن قيس وارتدت بنو
بكر بن وائل بأرض البحرين وكفى الله المسلمين أمر هؤلاء المرتدين ونصر دينه على يدي أبي بكر رضي الله عنه وأخبار
أهل الردة طويلة مشهورة ولا نطول بذكرها الكتاب قوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
قال علي والحسن وقتادة هم أبو بكر وأصحابه وقال مجاهد هم أهل اليمن وقال عياض بن غنم لما نزلت هذه
الآية أومأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى الأشعري وقال هم قوم هذا وقال صلى الله عليه وسلم
أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوبا وأرق أفئدة الإيمان يمان والحكمة يمانية وقال الكلبي هم أحياء من اليمن
ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس فقاتلوا الذين ارتدوا عن الإسلام
وهم الذين أثنى الله عليهم بقوله أذلة على المؤمنين يلينون لهم جانبهم ليس هذا من الهوان إنما هو

من الابن والولد كما في قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة قوله تعالى أعزة على الكافرين أي
أشداء أقوياء غلاظا على الكافرين يعادون الكفار ويغالبونهم ونظير هذه الآية قوله تعالى محمد رسول
الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم • قال عطاء أذلة على المؤمنين كالولد لوالده وكالعبد
لسيده أعزة على الكافرين كالسبع على فريسته • وقال السدي يعني بقوله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه يعني
الأنصار وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فضرب يده على عاتق سلمان قوله تعالى
يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم أي يقاتلون العدو في طاعة الله ولا يخافون ملامة
اللائمين ذلك فضل الله أي ذلك التمكين والتوفيق فضل من الله يكرم به من يشاء ممن كان أهلا لذلك والله
واسع الفضل والرحمة عليم بمن يصلح للهدى قوله عز وجل إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون قال ابن عباس نزلت هذه الآية في مسلمي أهل الكتاب
عبد الله بن سلام وأصحابه قالوا يا رسول الله بيوتنا قاصية ولا نجد متحدثا دون هذا المسجد وأن قومنا من قريظة
والنضير لما رأونا قد آمنا بالله ورسوله وتركناهم ودينهم أظهروا لنا العداوة وأقسموا أن لا يناكحونا ولا
يؤاكلونا ولا يخالطونا ولا نستطيع أن نجالس أصحابك لبعد المواضع فبينما هم يشكون إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم والناس في المسجد يصلون فيه من قائم وراكع وساجد إذ مسكين يطوف يسأل الناس فدعاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأتاه فقال له هل أعطاك أحد شيئا قال نعم قال ماذا قال خاتم فضة قال من أعطاكه
قال ذاك الرجل فإذا هو علي رضي الله عنه قال على أي حال أعطاكه قال أعطانيه وهو راكع فقرأ عليهم
هذه الآية على عبد الله بن سلام وأصحابه وأخبرهم بما أنزل الله من ولايته وولاية رسوله وولاية المؤمنين ومعنى
الآية إنما حافظكم وناصركم الله ورسوله والمؤمنون الذين يقيمون الصلوة بحقوقها ويؤتون الزكوة في حال
ركوعهم وفي الآية دليل على إباحة العمل اليسير في الصلوة فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية
قال عبد الله بن سلام وأصحابه رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء وروي أن عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما كان ذات يوم جالسا عند شفير زمزم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل
فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال ذلك الرجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ابن عباس سألتك بالله من أنت فكشف العمامة عن وجهه وقال أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن
لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة البدري أنا أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بهاتين وإلا
فصمتا ورأيته بهاتين وإلا فعميتا يقول علي قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله
أما إني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الأيام صلوة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه
أحد فرفع السائل يديه إلى السماء وقال اللهم اشهد أني سألت في مسجد رسولك صلى الله عليه وسلم يوما فلم
يعطني أحد وكان علي راكعا فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم فأخذ السائل الخاتم من خنصره
وذلك بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من صلاته رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه إلى
السماء وقال اللهم إن أخي موسى سألك فقال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني
يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري فأنزلت عليه سنشد
عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لي صدري
ويسر لي أمري واجعل لي وزيرا من أهلي عليا اشدد به ظهري قال أبو ذر فما استتم رسول الله صلى الله عليه
وسلم الكلام حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة وهم راكعون قوله تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا أي من يعن بطاعة الله

ورسوله ومحبة المؤمنين فإن حزب الله هم الغالبون قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين
اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وذلك أن اليهود كانوا إذا قام بلال
للأذان يضحكون ويستهزئون ويقولون قام الغراب قام فإذا قام المؤمنون للصلوة قالوا قد قاموا لا قاموا
فإذا رأوهم ركعا وسجدا استهزؤا بهم وتغامزوا فيما بينهم تنفيرا للناس عن الصلوة وعن الداعي إليها ومعنى
الآية لا تتخذوا اليهود والنصارى الذين يتخذون دينكم هزوا ولعبا أي استهزاء وسخرية يسخرون منكم إذا
أذن مؤذنكم ويضحكون من صلاتكم إذا صليتم قوله تعالى والكفار فيه قراءتان النصب والخفض فمن نصبه فمعناه لا
تتخذوا الكفار أولياء وأراد بهم مشركي العرب ومن خفضه فمعناه من الذين أوتوا الكتاب ومن الكفار •
قوله تعالى واتقوا الله إن كنتم مؤمنين أي اخشوه في موالاة الكافرين إن كنتم مؤمنين بالله ورسوله
قوله تعالى وإذا ناديتم إلى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا أي إذا ناديتم الناس إلى الصلوة بالأذان وقاموا
اتخذوها سخرية واستهزاء وضحكا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ثواب الله
تعالى في إقامة الصلوات وعقابه في إضاعتها وروي أن يهوديا كان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا
رسول الله قال أحرق الله الكاذب فدخل خادمه البيت بنار فوقعت شرارة منها في البيت فالتهب البيت واحترق
اليهودي هو وأهله فاستجيبت دعوته على نفسه • وفي الآية دليل أن للصلوة أذانا يدعى به الناس إليها ونظير هذا
قوله تعالى إذا نودي للصلوة من يوم الجمعة • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلثة لا يكترثون من الحساب
ولا تفزعهم الصيحة ولا يحزنهم الفزع الأكبر حامل القرآن العامل بما فيه يقدم على الله سيدا شفيعا ومؤذن أذن سبع
سنين لا يأخذ على أذانه طمعا وعبد مملوك أحسن عبادة ربه وأدى حق مولاه • وعن أنس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذن سنة من نية صادقة أجلس يوم القيمة على باب الجنة فيقال له اشفع لمن شئت
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذن خمس صلوات إيمانا واحتسابا غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر • وقال صلى الله عليه وسلم المؤذن المحتسب كالشهيد المتشحط بدمه ما دام في أذانه
ويشهد له كل رطب ويابس فإذا مات لم يدود في قبره • وقال عمر رضي الله عنه لو كنت مؤذنا لكمل أمري وما باليت
أن لا أنتصب لقيام ولا لصيام سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اغفر للمؤذنين اللهم اغفر للمؤذنين
قوله عز وجل قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل أي قل
يا أهل الكتاب هل تطعنون علينا إلا بإيماننا بالله والقرآن ولأن أكثركم فاسقون أي لأن أكثرهم إيمانا
وأنتم تعلمون أنا على الحق لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة وكسبكم بها الأموال فهل تجدون شيئا
علينا إلا هذا فلم إذا تطعنون • وأما قوله تعالى فإن أكثركم فاسقون • قال بعضهم أراد بالأكثر كلهم والأكثر الشيء يقوم
مقام الكل • وقيل إنما ذكر بلفظ الأكثر لأن الآية خرجت مخرج التلطف للدعاء إلى الإيمان وكان في سابق علم الله تعالى أن
فيهم من يسلم وكان في المعلوم من لا يطعن بنفسه في دين الإسلام وإن كان يسكت عن طعن الطاعنين قوله تعالى قل
هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وذلك أن اليهود قالوا للمسلمين
ما نعلم أهل دين أقل حظا منكم في الدنيا ولا نرجو أن تكونوا في الآخرة كذلك فأنزل الله هذه الآية أي قل يا محمد لليهود
هل أخبركم بشر من الذين تلومون جزاء عند الله هو من لعنه الله أي أبعده من رحمته وسخط عليه وهم اليهود ويكون
موضع من لعنه رفعا على حتى هو ويجوز أن يكون خفضا بدلا من شر على معنى هل أنبئكم عن لعنه الله قوله تعالى
وجعل منهم القردة والخنازير أي مسخ بعضهم قردة في زمن داود عليه السلام بدعائه عليهم حين عدوا
في السبت واستحلوه ومسخ بعضهم خنازير في زمن عيسى عليه السلام بعدما أكلوا من المائدة حين كفروا بعدما رأوا الآيات
البينة وروي أنه لما نزلت هذه الآية قال المسلمون لليهود يا إخوة القردة والخنازير فنكسوا رؤوسهم
وفضحهم الله تعالى قوله تعالى وعبد الطاغوت فيه عشر قراءات قراءة العامة وعبد الطاغوت بفتح العين

والباء والدال على الفعل ومعناها وجعل منهم من عبد الطاغوت أي بالغ في طاعة الشيطان والكهان ورؤساء
المعصية • وقرأ ابن مسعود وعبدوا الطاغوت أي ومن عبدوا الطاغوت • وقرأ حمزة وعبد الطاغوت بفتح
العين وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت وهو لغة في عبد مثل سبع وسبع • وقرأ جميع القراء وعبد الطاغوت على
الفعل المجهول • وقرأ الحسن وعبد الطاغوت على الواحد • وقرأ بريدة الأسلمي وعابد الطاغوت بالألف • وقرأ ابن عباس
وعبد الطاغوت بالجمع • وقرأ أبو واقد الليثي وعباد الطاغوت مثل كفار • وقرأ عون العقيلي وأبان بن تغلب وعبد
الطاغوت مثل راكع وركع • وقرأ عبيد بن عمير وأعبد الطاغوت مثل كلب وأكلب • وقرأ الأعمش وعبد الطاغوت بضم
العين والباء وكسر التاء من الطاغوت • قال الشاعر • انسب العبد الى آبائه • أسود الجلدة من قوم عبد • قوله تعالى
أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل فإن قيل كيف معنى هذا وليس في الإيمان شر وضلال قيل تسمية الشيء
شر مكانا يوجب أن يكون في الإيمان شر ونظيره قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ومعلوم أنه
لا خير في مستقر الكفار ومقيلهم فلما نزلت الآية قال المسلمون لليهود يا إخوان القردة والخنازير فسكتوا وأفحموا وفيهم
يقول الشاعر • فلعنة الله على اليهود • إن اليهود إخوة القرود • قوله عز وجل وإذا جاؤكم قالوا آمنا
وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ومعناه وإذا جاءكم المنافقون من أهل الكتاب قالوا آمنا بك ونحن نعرف
نعتك وصفتك في كتاب الله وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به أي دخلوا عليكم وخرجوا من عندكم كافرين في السر كما دخلوا
خرجوا وقوله وهم للصلة والتأكيد والله أعلم بما كانوا يكتمون أي بما كانوا يضمرون في قلوبهم من الكفر
والنفاق وما علمكم به وأطلعكم عليه قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان أي وترى يا محمد كثيرا
من اليهود والمنافقين يبادرون في المعصية والاعتداء والظلم وأكل الرشوة والحرام في تغيير الأحكام لبئس ما كانوا
يعملون من المعصية ومجاوزة الحد قوله تعالى لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت
لبئس ما كانوا يصنعون معناه هلا ينهاهم العاملون بالعلم والعلماء الذين هم دونهم عن قولهم الشرك والكذب
وعن أكل الحرام والرشوة في الحكم • قال الحسن الربانيون علماء النصارى والأحبار علماء اليهود ويقال هو كله في اليهود
وقرأ أبو واقد الليثي لولا ينهاهم الربيون كقوله تعالى وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير وقوله تعالى لبئس ما كانوا
يصنعون أي بئس ما يصنع علماؤهم من كتمانهم الحق وتركهم النهي عن المعصية • قال ابن عباس والضحاك إن هذه الآية
أشد الآيات في تخويف من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يجاور
قوما يعمل بالمعاصي بين أظهرهم ولا يأخذون على يديه إلا أوشك أن الله يعمهم بعقاب منه • قوله عز وجل وقالت
اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا قال ابن عباس نزلت هذه الآية في فنحاص بن عازوراء
اليهودي وأصحابه كان الله قد بسط لهم في الرزق وكانوا من أخصب الناس وأكثرهم خيرا وأموالا فلما عصوا الله
تعالى في محمد صلى الله عليه وسلم وبالغوا في تكذيبه كف الله عنهم بعض الذي كان بسط عليهم فعند ذلك قالوا يد الله
مغلولة أي قالوا على سبيل الهزء إن إله محمد الذي أرسله ممسكة يده عنا في الرزق وقد بسط علينا كما كان بسط
وهذا اللفظ في كلام العرب عبارة عن البخل كما قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك أي لا تمسكها عن الإنفاق
وذكر بعضهم إنما قال هذه المقالة فنحاص فلم ينهه الآخرون ورضوا بقوله فأشركهم الله فيها وأرادوا باليد العطاء
لأن عطاء الناس وبذلهم في الغالب بأيديهم واستعمل الناس اليد في وصف الناس بالجود والبخل ويقال للبخيل جعد
الأنامل مقبوض الكف كز الأصابع مغلول اليدين • قال الشاعر • كانت خراسان أرضا إذ يزيد بها
وكل باب من الخيرات مفتوح • فاستبدلت بعده جعدا أنامله • كأنما وجهه بالخل منضوح • قوله تعالى
غلت أيديهم جواب عن كلامهم على طريق المقابلة والمجازاة أي أمسكت أيديهم عن الإنفاق في الخيرات وجعلوا
بخلاء واليهود أبخل الناس ولا أمة أبخل منهم ويقال يعني غلت أيديهم إلى أعناقهم في نار جهنم ويقال لا تجد
يهوديا من الدنيا إلا وتصير يده مغلولة إلى عنقه قوله تعالى ولعنوا بما قالوا أي عذبوا بالجزية وطردوا

من رحمة الله لقولهم يد الله مغلولة قوله تعالى بل يداه مبسوطتان عبارة عن الجود وكثرة العطية لمن
يشاء كما يقال فلان بسط اليدين وباسط اليدين إذا كان جوادا يعطي عنه وكثيرا • وعن ابن عباس أن معناه بل نعمتاه
مبسوطتان وأراد بالنعمة الدين والدنيا • وقيل نعمة الظاهرة ونعمة الباطنة • وقيل أراد بالتثنية في هذا الكلام
في صفة النعمة قال الأعشى • يداك يدا مجد فكف مفيدة • وكف إذا ما ضن بالمال تنفق • وهذا
كله لأن اليهود قصدوا تبخيل الله فاحتجوا على قدر كلامهم قوله تعالى ينفق كيف يشاء دليل على أن المراد
جواب اليهود بيان بسط النعمة وأن الله يرزق كيف يشاء بحسب الصلاح في أن يقتر وربما كان في أن يوسع ولا يخلو
حكمه عن الحكمة واعلم أن اليد في اللغة تنصرف على وجوه منها الجارحة وهي منفية عن الله تعالى عن الجوارح ومنها
النعمة كما يقال لفلان علي يد أي نعمة ومنها القوة كما قال تعالى أولي الأيدي والأبصار وقال تعالى والسماء
بنيناها بأيد ومنها الملك أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح أي يملكه ومنها القدرة كقوله تعالى بيده الملك أي بقدرته
ومنها الاختصاص بالفعل كقوله خلقت بيدي أي توليت خلقه وفائدته التشريف ومنها التصرف كما يقال هذه الدار
في يد فلان أي هو متصرف فيها بالسكنى والإسكان ويقال أسلم فلان على يدي فلان أي كان سببا في إسلامه
قوله عز وجل وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا معناه ليزيدنهم القرآن الذي
أنزل إليك وما فيه من حكم الإسلام وحكم الرجم كثيرا من اليهود طغيانا وكفرا أي كلما أنزل عليك شيء من القرآن كفروا
به فيزيد كفرهم قوله تعالى وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة أي جعلناهم مختلفين في دينهم
متباغضين كما قال تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وقوله تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله أي كلما أجمعوا
على قتالكم وأعدوا للحرب فرق الله جمعهم وأطفأ نار مكرهم وخالف بين كلمتهم قوله تعالى ويسعون في الأرض
فسادا أي يجتهدون في دفع الإسلام والله لا يحب المفسدين أي لا يرضى عمل أهل الفساد قوله تعالى ولو أن
أهل الكتاب آمنوا واتقوا معناه لو أن اليهود والنصارى صدقوا بالله وبالقرآن وتابوا من اليهودية والنصرانية
لعفونا عنهم وسترنا عليهم ذنوبهم وأدخلناهم في الآخرة جنات النعيم قوله تعالى ولو أنهم أقاموا
التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم أي لو أنهم عملوا بما في التوراة والإنجيل فلم يكتموا ما علموا أنهم ذكر
محمد صلى الله عليه وسلم فيهما وعملوا بما أنزل إليهم من ربهم يعني القرآن الذي أنزل على كافة الناس لوسعنا عليهم الرزق
بإنزال المطر من السماء وإخراج النبات من الأرض من الثمر والثمار وفي الآية دليل على بيان أن التقى سبب لتوسعة
الرزق واستقامة الأمر في الدنيا والآخرة ونظير هذا قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب قوله تعالى منهم أمة مقتصدة أي من أهل الكتاب أمة عادلة يعني جماعة عادلة في القول
وهم الذين أسلموا وهم ثمانية وأربعون رجلا النجاشي وأصحابه من النصارى وبحيرا الراهب وأصحابه وعبد الله
بن سلام وأصحابه وكثير منهم ساء ما يعملون أي كثير من أهل الكتاب بئس ما يعملون
من كتمان نعت النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبه وهم كعب بن الأشرف وأصحابه بئس أعمالهم يوم القيامة إذا رأوا
ذنوبها قوله عز وجل يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأمر له أن
يبلغ الناس جميع ما أنزل إليه من ربه من القرآن قوله تعالى وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته معناه إن لم تبلغ
أنه مما أنزل إليك وكتمت آية مما أمرت بتبليغه إليهم فكأنك لم تبلغ شيئا من الرسالة أي لا تحصل لك الثواب الموعود على
تبليغ الرسالة من قبل أن كتمان آية واحدة يحبط ثواب ما بلغ من الرسالة ويقال إن في هذه الآية دليلا أن
النبي صلى الله عليه وسلم كان أمر بشيء خاص بأنا قد لا عن تبليغه حذرا أو خوفا أن يبتليه الله بمثل ما ابتلى قبله
إبراهيم بالنار وإسماعيل بالذبح وزكريا ويحيى بالقتل • وكان صلى الله عليه وسلم عازما على فعل ما أمر به مع خوفه فقيل
له إن لم تفعل ما أمرت به من دعوتهم إلى الإسلام وعيب دينهم فقد بطل جميع ما فعلت من قبل من التبليغ كأنك لم
تبلغ شيئا من الرسالة ولهذا قرأ نافع وابن عامر وعاصم رسالاته بلفظ الجمع وقد يذكر الواحد ويراد به الجماعة

قوله تعالى: والله يعصمك من الناس أمان من الله للنبي صلى الله عليه وسلم كيلا يخاف ولا يحذر كما روي في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة قالت له اليهود يا محمد إنا ذوو عدد وبأس فإن لم ترجع قتلناك وإن رجعت ودنا أكرمناك فكان عليه السلام يحرسه مائة من المهاجرين والأنصار يبيتون عنده ويخرجون معه خوفا من اليهود فلما نزل قوله والله يعصمك من الناس علم أن الله يحفظه من كيد اليهود وغيرهم فقال للمهاجرين والأنصار انصرفوا إلى رحالكم فإن الله عصمني من اليهود فكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يخرج وحده في أول الليل وعند السحر إلى أودية المدينة وحيث ما شاء فعصمه الله مع كثرة أعدائه وقلة أعوانه حتى مات صلى الله عليه وسلم. قوله تعالى: إن الله لا يهدي القوم الكافرين أي لا يرشدهم إلى دينه وحجته ولا يهديهم إلى طريق الجنة في الآخرة. قوله عز وجل: قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم أي لستم على شيء من الدين والثواب إلا أن تقيموا التوراة والإنجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونبوته وسائر الأحكام التي فيها وتعملوا بالقرآن الذي أنزل على كافة الناس من ربهم • قوله تعالى: وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين • أي ليس عليك إلا تبليغ الرسالة فلا تحزن عليهم إن كذبوك أي لا تحزن على هلاكهم إذا أهلكناهم. قوله تعالى: إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون معنى الآية أن الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم والذين مالوا عن الإسلام وتسموا باليهودية والذين صبت قلوبهم وهم صنف من النصارى يقال لهم الساكنون يحلقون أوساط رؤوسهم • ويقال الصابئ هو الخارج من ملة إلى ملة … قبله. قوله تعالى: من آمن بالله أي من آمن من هذه الفرق بالله وبجميع ما أنزل الله وبالبعث بعد الموت وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه فلا خوف عليهم حين يخاف أهل النار ولا هم يحزنون حين يحزن أهل النار • وأما الرفع في قوله والصابئون فإن الكسائي هو نسق على المضمر في هادوا تقديره هادوا هم والصابئون وقال الخليل وسيبويه والبصريون أن قوله والذين هادوا والصابئون مرفوع بالابتداء تقديره إن الذين آمنوا من آمن من الذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وقيل إنما رفع لأنه عطف على الذين قبل دخول إن لأنه لم يحدث معنى كما تقول زيد قائم وإن زيدا قائم معناهما واحد • وقرأ الحسن إن الله وملائكته برفع الملائكة … نفي الحزن عن المؤمنين ها هنا فقد ذهب بعض المفسرين إلى أنه لا يكون عليهم حزن في الآخرة ولا خوف ونظيره قوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا • وقال بعضهم إن المؤمنين يخافون ويحزنون لقوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وقال صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة فقالت عائشة واسوأتاه فقال صلى الله عليه وسلم أما سمعت قول الله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه قالوا وإنما نفى الله تعالى في هذه الآية الحزن عن المؤمنين أن يحزنهم ما كان يعرض للزوال لكن لا … لم يعتد بذلك. قوله عز وجل: لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل أي أخذنا عهد بني إسرائيل على أن يعملوا بما في التوراة والإنجيل وكل نبي بعثه الله إلى قومه فآمنوا به فقد أخذ ميثاقهم وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم أي كلما جاءهم رسول بما لا يوافق هواهم والذي هم عليه فريقا كذبوا وفريقا يقتلون أي كذبوا جماعة من الرسل مثل عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وفريقا يقتلون مثل زكريا ويحيى عليهما السلام. قوله تعالى: وحسبوا ألا تكون فتنة أي ظنوا أن لا يكون عذاب وعقوبة وقيل بلاء بسبب قتلهم الأنبياء وتكذيبهم الرسل ومن قرأ تكون بالنصب فمعناه أن لا تكون ومن قرأ بالرفع فمعناه أنه لا تكون أي حسبوا أن فعلهم غير … فعموا عن الهدى وصموا عن الحق أي عملوا معاملة الأعمى الذي لا يبصر والأصم الذي لا يسمع فصاروا كالعمي والصم ثم تاب الله عليهم تجاوز عنهم بأن أرسل إليهم محمدا صلى الله عليه وسلم يعلمهم أن الله قد تاب عليهم إن آمنوا وصدقوا فلم يتوبوا أكثرهم … فقبل الله توبتهم • فلما

بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وجاءهم ما عرفوا كفروا به فذلك قوله ثم عموا وصموا أي عموا عن الهدى وصموا عن الحق بعد أن زاد لهم الأمر وضوحا بالنبي صلى الله عليه وسلم. قوله تعالى: كثير منهم بدل من الواو في قوله عموا كأنه قال عمي وصم كثير منهم وهذا كما قال تعالى … كما قال تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة وقال منهم أمة مقتصدة ويحكى عن بعض أهل اللغة جواز طرح الفعل متقدما على الاسم كما قالت أكلوني البراغيث ويجوز أن يكون كثير خبر مبتدأ محذوف تقديره العمي والصم كثير منهم. وقوله تعالى: والله بصير بما يعملون أي بما يعملون من التكذيب ونقض الميثاق وتحريف الكلم يجازيهم على عملهم. قوله تعالى: لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم نزلت في نصارى نجران السيد والعاقب ومن معهما وهم اليعقوبية قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم. قوله تعالى: وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إعلام من الله تعالى أن المسيح دعاهم إلى توحيد الله وأعلمهم أن حاله في أنه مربوب كحالهم وأعلمهم أن من أشرك بالله مع الله شيئا غيره فهو كافر من أهل النار فذلك قوله تعالى اعبدوا الله ربي وربكم أي وحدوه فهو خالقي وخالقكم ورازقي ورازقكم إنه من يشرك بالله غيره فقد حرم الله عليه الجنة أن يدخلها ومصيره في الآخرة النار وما للظالمين من أنصار أي ما للكافرين من مانع يمنعهم من عذاب الله ثم بين الله كفر الفرقة الأخرى من النصارى وهم المرقوسية فقال عز وجل لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة أي أحد ثلاثة أب وابن وروح قدس وما من إله إلا إله واحد … النصارى عن مقالتهم الأولى والثانية ليمسن الذين كفروا منهم أي ليصيبن الذين أقاموا على مقالة الكفر منهم عذاب وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم. قوله تعالى: أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه أول هذه الآية استفهام ومعناها الأمر أي توبوا إلى الله عن النصرانية واستغفروه عن هذه المقالة الشنيعة والله غفور لمن تاب وآمن رحيم بمن مات على التوبة. قوله عز وجل: ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فإن أبرأه الأكمه والأبرص وإتيانه بالمعجزات كما أتى موسى بالمعجزات أي الآيات وكما أتى إبراهيم عليه السلام وغيرهما من الأنبياء فلو وجبت عبادته لأجل ظهور المعجزات عليه لوجبت عبادة سائر الأنبياء واتخاذهم آلهة بسبب المعجزات. قوله تعالى: وأمه صديقة أي كثيرة الصدق والتصديق وذلك أن جبريل عليه السلام أتاها فقال إنما أنا رسول ربك فصدقته كما قال تعالى وصدقت بكلمات ربها. قوله تعالى: كانا يأكلان الطعام بيان أنهما محتاجين وهذا احتجاج من الله على القوم في أنه لم يكن إلها لأن الله تعالى وصفه في الآية بصفات تنافي الإلهية منها أنه رسول بعد أن لم يكن ومنها أنه كسائر الرسل فيما ظهر منه وعليه ومنها أنه مولود من أم ومنها أنهما كانا يعيشان بالغذاء كما يعيش سائر الآدميين وكيف يكون إلها من يكون حياته بالحيلة والبقية إلا أكل الطعام ومنها ما قالوا إن أكل الطعام في الآية كناية عن قضاء الحاجة لأن الذي يأكل الطعام لا بد له من قضاء الحاجة فكل هذه الصفات دالة على كونه عبدا مخلوقا مربوبا مستحيلا أن يكون إلها قد تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. قوله تعالى: انظر كيف نبين لهم الآيات أي انظر يا محمد كيف نبين لهم العلامات الواضحة في أمر عيسى أنه لم يكن إلها وأمه ثم انظر أنى يؤفكون لأنه ثم انظر يا محمد أنى يؤفكون أي من أين يصرفون عن الحق الواضح إلى الباطل والإفك هو الصرف فكل شيء صرفته عن شيء فهو مأفوك تقول أفكته عنه أفكه أفكا وسمي الكذب إفكا لأنه يصرف عن الحق. قوله تعالى: قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا أي قل يا محمد لهؤلاء النصارى كذبتم تلك طريقتهم في اتخاذ غير الله إلها أتعبدون من دون الله ما لا يقدر على دفع ضر عنكم ولا جر نفع إليكم والله هو السميع العليم لمقالتكم في عيسى عليه السلام وإنه العليم بكم وبعقوبتكم. قوله عز وجل: قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق أي قل لهم يا محمد لا تجاوزوا الحد في دينكم إلى غير الحق فتقولوا … إن عيسى لله ولدا فإنه ليس بحق وقيل هذا خطاب لليهود والنصارى أي لا ترفعوا عيسى عليه السلام عن درجة النبوة إلى درجة الربوبية ولا تحطوه عن درجته فتقولوا إنه مولود على غير رشدة. قوله تعالى: ولا تتبعوا أهواء قوم

قد ضلوا من قبل أي لا تتبعوا شهوات وأباطيل رؤسائكم ولا تؤثروا الهوى على البيان والبرهان وأضلوا
كثيرا من السفلة الذين أطاعوهم وأصروا على ضلالتهم عن قصد السبيل الطريق قوله تعالى لعن الذين
كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم أي طرد الذين كفروا من بني إسرائيل وبوعدوا من رحمة
الله على لسان داود أي بدعائه عليهم حين اعتدوا في السبت فمسخهم الله قردة ولعنوا على لسان عيسى حين كفروا
بعد ذلك بالمائدة فمسخهم الله خنازير ذلك اللعن والمسخ بعصيانهم واستحلالهم المعاصي وقتلهم الأنبياء عليهم السلام
بغير حق بين الله تعالى سبب المعصية والكفر قوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه أي لا ينهى بعضهم
بعضا عن قبيح يعملونه واصطلحوا على الكف عن نهي المنكر لبئس ما كانوا يفعلون ودخول اللام في بئس للقسم
والتوكيد قوله عز وجل ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا أي ترى يا محمد كثيرا من اليهود يتولون مشركي
العرب على معاداتك ومحاربتك يعني كعب بن الأشرف وأصحابه وقيل معناه ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود
لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أي بئس ما عملوا لأنفسهم حين سخط الله عليهم وموضع أن سخط نصب على ما قبل بئس الشيء
ذلك لأن السخط فانتصاب بلام كي ويجوز أن يكون موضعه رفعا على اضمار هو تقديره هو أن سخط
الله عليهم وفي العذاب هم خالدون أي مقيمون دائمون قوله تعالى ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي
وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء معناه لو كان اليهود يصدقون بوحدانية الله وبمحمد صلى الله
عليه وسلم والقرآن الذي أنزل إليه ما اتخذوا الكفار قريش وسائر عبدة الأوثان أحبابا في العون والنصر
على حرب النبي صلى الله عليه وسلم ولكن كثيرا من اليهود خارجون عن الطاعة ناقضوا العهد قوله
تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا أي لتجدن يا محمد أشد الناس عداوة
للذين آمنوا اليهود وهم يهود بني قريظة والنضير وفدك وخيبر كانوا أشد اليهود عداوة للنبي
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما خلا يهوديان بمسلم إلا وهما يهمان بقتله
قوله تعالى والذين أشركوا يعني مشركي العرب كانوا في العداوة مثل اليهود قوله تعالى ولتجدن أقربهم مودة
للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى لم يرد به جميع النصارى مع ما فيهم من عداوة المسلمين وتخريب بلادهم
وهدم مساجدهم وقتلهم وأسرهم وإحراق مصاحفهم وإنما نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه قال ابن عباس
وسعيد بن جبير والسدي نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه وكان النجاشي ملك الحبشة نصرانيا قبل ظهور
الإسلام ثم أسلم هو وأصحابه قال المفسرون ائتمرت قريش أن يفتنوا المسلمين عن دينهم فوثبت كل قبيلة
على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله منهم من شاء ومنع الله النبي صلى الله
عليه وسلم بعمه أبي طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بالجهاد
أمرهم بالخروج إلى أرض الحبشة وقال إن بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده أحد فاخرجوا إليه حتى يجعل الله
للمسلمين فرجا وأراد به النجاشي واسمه أصحمة وهو بالحبشة عطية وإنما النجاشي اسم الملك كقولك كسرى
وقيصر فخرج إليها سرا أحد عشر رجلا وأربع نسوة وهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم والزبير وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت
سهيل ومصعب بن عمير وأبو سلمة وامرأته أم سلمة وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى
بنت حثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة وذلك في
رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الأولى ثم خرج جعفر بن أبي
طالب وتتابع المسلمون وكان جميع من هاجر إلى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان
فلما علمت قريش بذلك فوجهت عمرو بن العاص وصاحبه بالهدايا إلى النجاشي وإلى بطارقته ليردوهم إليهم فعصمهم الله
وقد ذكرنا هذه القصة في سورة آل عمران فلما انصرفا خائبين أقام المسلمون هناك بخير دار وأحسن جوار إلى

أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلا أمره وذكر في سنة ست من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت هاجرت إليه مع زوجها فمات زوجها
فأرسل النجاشي إلى أم حبيبة جارية يقال لها أبرهة فأخبرتها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها فأعطتها
أوضاحا لها سرورا بذلك وأذنت أن توكل من يزوجها فوكلت خالد بن سعيد بن العاص فأنكحها على صداق أربعمائة دينار وكان
الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي وأنفذ الصداق إلى أم حبيبة على يدي أبرهة فلما جاءتها بذلك
أعطتها خمسين مثقالا فقالت أبرهة إن الملك أمرني أن لا آخذ منك شيئا فردته إليها ولم تأخذه ثم قالت لها
أبرهة أنا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنت به فحاجتي إليك أن
تقرئيه مني السلام ثم أمر الملك نساءه أن يبعثن إلى أم حبيبة بما عندهن من عود وعنبر فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يراه عليها ولا ينكره قالت أم حبيبة فخرجنا في سفينتين وبعث معنا النجاشي الملاحين فلما خرجنا من
البحر ركبنا الظهر إلى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فخرج من خرج إليه وأقمت بالمدينة حتى قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فكان يسائلني عن النجاشي فقلت له سلام أبرهة فرد عليها السلام وأنزل
الله تعالى عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني أبا سفيان مودة بتزويج أم حبيبة ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدري أنا بفتح خيبر أسر أم بقدوم جعفر وبعث النجاشي بعد أن قدم جعفر المدينة
ابنه أرها بن أصحمة في ستين من أكابر الحبشة وكتب يا رسول الله إني أشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد
بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت لله رب العالمين وقد بعثت إليك ابني وإن شئت أن آتيك بنفسي فعلت والسلام
عليك يا رسول الله فركبوا سفينة في أثر جعفر وأصحابه فلما بلغوا وسط البحر غرقوا وكان جعفر يوم وصل المدينة
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل في سبعين رجلا منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام
منهم بحيرا الراهب فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس إلى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن
وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان أنزل على عيسى عليه السلام فأنزل الله فيهم لتجدن أشد الناس عداوة
للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى يعني وفد النجاشي
الذين قدموا مع جعفر وهم سبعون وقال مقاتل والكلبي كانوا أربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية
من الروم من أهل الشام وقال عطاء ثمانون من أهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الروم من أهل
الشام وقال قتادة نزلت هذه الآية في النصارى الذين كانوا يتمسكون بشريعة عيسى يعني أن النصارى
كانوا أقل مظاهرة للمشركين من اليهود بقوله وإذا سمعوا على هذا التأويل معناه وإن منهم من إذا سمعوا ومنهم
من إذا سمعوا وفي الآية ما يشهد لهذا التأويل لأن الله تعالى وصفهم بقرب مودتهم للمسلمين ولم يصفهم
بأنهم يوادون المسلمين ولا يجوز أن يعتقد أحد في الآية مدحا للنصارى وإخبارا أنهم خير من اليهود
وإنما معنى شدة العداوة أن من تبع النظر في مقالة اليهود والنصارى علم أن مقالة النصارى أظهر فسادا
من مقالة اليهود لأن اليهود تقر بالتوحيد في الجملة وإن كانت فيهم مشبهة تنقض العقول بالتوحيد بالتشبيه
والنصارى لا يكونون منفردين بالتوحيد بوجه من الوجوه قوله عز وجل ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا أي إنما
قرب مودتهم للمسلمين وقلة مظاهرتهم للمشركين بأن من النصارى قسيسين أي علماء وعبادا أصحاب
الصوامع وأنهم لا يستكبرون عن اتباع الحق إذا تبين لهم والقس في اللغة مأخوذ من القس وهو التتبع
يقال فلان يقس الأذى إذا اتبعه والقس النميمة أيضا والرهبان العباد أصحاب الصوامع وقال قطرب
القس العالم بلغة الروم والرهبان جمع راهب مثل فارس وفرسان وراكب وركبان وقد يكون رهبان واحدا
وجمعه رهابين مثل قربان وقرابين وهو من قول القائل رهبت الله أي خافه قوله عز وجل وإذا سمعوا ما أنزل
إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال ابن عباس هم أربعون رجلا قدموا مع

مع جعفر بن ابي طالب من الحبشة اثنان وثلثون وثمانية من الشام فلما قرأ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن عرفوه
ثم قوله تفيض اعينهم ولم يستكبروا ان يدخلوا في دينه ومعنى الآية واذا سمعوا القرآن ترى الدمع يسيل من اعينهم
بما فهموا الحق من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في كتابهم يقولون **ربنا آمنا** اي صدقنا بوحدانيتك وكتابك
وبرسولك **فاكتبنا مع الشاهدين** اي مع من شهد من انبيائك ومؤمني عبادك بانك واحد لا اله
غيرك اي اجعلنا في جملتهم قال ابن عباس فلما رجعوا الى قومهم لاموهم على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن
وقالوا لهم تركتم ملة عيسى عليه السلام ودين آبائكم فردوا عليهم كما قال الله عز وجل **وما لنا لا نؤمن بالله وما
جاءنا من الحق** اي ما لنا لا نؤمن بوحدانية الله وما بين لنا من الكتاب والرسول **ونطمع ان يدخلنا
ربنا مع القوم الصالحين** ونحن نرجو ان يدخلنا ربنا في الآخرة الجنة مع صالحي امة محمد صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى **فاثابهم الله بما قالوا جنات** اي جازاهم الله بان اوجب لهم الجنة في الآخرة لقولهم ربنا آمنا
وقولهم وما لنا لا نؤمن بالله جنات اي بساتين **تجري من تحت** شجرها ومساكنها وغرفها انهار الماء والعسل
والخمر واللبن **خالدين فيها ابدا وذلك جزاء المحسنين** اي ذلك الثواب جزاء الموحدين المخلصين قوله
تعالى **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا** اي والذين جحدوا وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فما نزل على
ذلك فهم اهل النار الشديدة الى قوله قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا
تعتدوا** قال المفسرون جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فذكر النار ووصف القيمة فرق الناس
وبكوا فاجتمع جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ابو بكر وعمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعثمان
بن مظعون الجمحي والمقداد بن عبد الله بن عمرو وابو ذر وسالم مولى ابي حذيفة وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر
ومعقل بن مقرن رضي الله عنهم وتواثقوا في دار عثمان بن مظعون ان يصوموا النهار ويقوموا الليل ويرفضوا
الدنيا ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم ويعتزلوا النساء ولا ياكلوا اللحم ولا الدسم ويلبسوا المسوح فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله فيهم هذه الآية ومعناها لا تحرموا على انفسكم طيبات ما احل
الله لكم من الطعام والشراب واللباس والجماع ولا تطلبوا انفسكم بقطع المذاكير ولا تعتدوا اي لا تجاوزوا حدود
الله بتحريم حلاله فان محرم ما احل الله كمحل ما حرم الله قوله تعالى **ان الله لا يحب المعتدين** اي لا يرضى
عمل المعتدين على انفسهم المتجاوزين حدود الله قوله تعالى **وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا** اي كلوا مما
رزقكم الله من الطعام والشراب حلالا احله الله لكم **واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون** وقيل انه
لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم اتى دار عثمان بن مظعون فلم يجده فقال لامرأة عثمان بن مظعون ام حكيم
بنت امية واسمها الحولاء وكانت عطارة احق ما بلغني عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكرهت ان تبدي خبر زوجها فقالت يا رسول الله ان كان اخبرك عثمان فقد صدق فرجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء عثمان اخبرته زوجته بذلك فمضى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله
النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نعم فقال عليه السلام اما اني لم اؤمر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا
وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء ومن رغب
عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم وقال ما بال قوم حرموا الطعام والشراب والطيب والنوم اما
اني لم آمركم ان تكونوا قسيسين ولا رهبانا فانه ليس من ديني ترك اللحم والنساء واتخاذ الصوامع وان سياحة
امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة وآتوا
الزكوة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم
فشدد الله عليهم • وعن سعيد بن المسيب قال جاء عثمان بن مظعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله ان نفسي تحدثني بان اختصي قال مهلا يا عثمان فان اختصاء امتي الصيام قال يا رسول الله ان نفسي تحدثني

ان اترهب في رؤوس الجبال قال مهلا يا عثمان فان ترهب امتي الجلوس في المساجد لانتظار الصلوة قال يا رسول الله
ان نفسي تحدثني ان اخرج من مالي كله قال مهلا يا عثمان فان صدقتك يوما بيوم وتعف نفسك وعيالك وترحم
المساكين واليتيم فتعطيهما افضل من ذلك قال يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان اطلق امرأتي خولة قال مهلا
يا عثمان فان الهجرة في امتي من هجر ما حرم الله عليه او هاجر الي في حياتي او زار قبري بعد وفاتي او مات وله
امرأة او امرأتان او ثلاث او اربع قال يا رسول الله فان نفسي تحدثني ان لا اطلقها فان نفسي تحدثني ان لا اغشاها
قال مهلا يا عثمان فان المسلم اذا غشي امرأته او ما ملكت يمينه فلم يكن له من وقعته تلك ولد كان له وصيفا في الجنة
وان كان له من وقعته تلك ولد فمات كان له فرطا وشفيعا يوم القيمة وان مات بعده كان له نورا يوم القيمة
قال يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان لا آكل اللحم قال مهلا يا عثمان فاني احب اللحم وآكله اذا وجدته ولو سألت
ربي ان يطعمنيه في كل يوم لاطعمنيه قال يا رسول الله فان نفسي تحدثني ان لا امس الطيب قال مهلا يا عثمان فان
جبريل عليه السلام امرني بالطيب غبا وقال يوم الجمعة لا تترك له يا عثمان لا ترغب عن سنتي فان من رغب عن سنتي
ثم مات قبل ان يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيمة • وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل لحم الدجاج ورأيته ياكل الرطب والبطيخ • وعن ابن عباس انه قال كل ما شئت
والبس ما شئت ما اخطأتك اثنتان سرف ومخيلة وعن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
ياكل اللحم بالدجاج والفالوذج وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وقال ان في بطن المؤمن
زاوية لا يملأها الا الحلوى وروي ان الحسن كان ياكل الفالوذج فدخل عليه فرقد السبخي فقال يا فرقد
ما تقول في هذا قال لا آكله ولا احب اكله فاقبل الحسن على من عنده كالمتعجب فقال لعاب النحل ولباب البر مع سمن
البقر هل يعيبه مسلم وجاء رجل الى الحسن فقال له ان لي جارا لا ياكل الفالوذج قال ولم قال يقول لا يؤدي شكره قال افيشرب
الماء البارد قال نعم قال ان جارك هذا جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد اكثر من نعمته في الفالوذج قوله عز
وجل **لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم** قال ابن عباس هو ان يحلف الرجل بالله في الشيء يرى انه كذلك وقالت
عائشة هو قول الرجل لا والله وبلى والله يصل به كلامه ولا يعقد عليه قلبه واللغو في اللغة هو الكلام الساقط الذي
لا يعتد به قوله تعالى **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان** اي بما وكدتم الايمان • قرأ اهل الحجاز وحفص وابو عمرو
عقدتم بالتشديد بمعنى وكدتم وقرأ اهل الكوفة الا حفصا عقدتم بالتخفيف ومعناه ان يحلف الرجل على امر في المستقبل
ليفعله ثم لا يفعله او يحلف ان لا يفعله ثم يفعله فمن قرأ عقدتم بالتشديد فمعناه المبالغة والتأكيد وفائدته ان
يعقدها في قلبه ولفظه ولو عقد عليها في احدهما دون الآخر لم يكن معقدا وهو كالتعظيم وكان ابو الحسن
الكرخي رحمه الله يقول قراءة التشديد تحتمل الا العقد بالقول وقراءة التخفيف تحتمل عقد القلب وهو العزيمة
والقصد الى القول وتحتمل عقد اليمين قولا يقال عقدت على امر كذا اذا عزمت عليه وقيل ان الاصح ان المراد
بالعقد القول لانه لا خلاف بين الائمة ان القصد الى اليمين لا يتعلق به وجوب الكفارة فان وجوبها يتعلق باللفظ
دون القصد ويحتمل ان تكون معنى التشديد انه متى اعاد اليمين على وجه التكرار وهو يريد التكرار لا يلزمه الا
كفارة واحدة • وقرأ اهل الشام عاقدتم بالالف وهو من المعاقدة وهو ان يحلف الرجل لصاحبه على ما يقوله او
يحلف كل واحد منهما لصاحبه قوله تعالى **فكفارته اطعام عشرة مساكين** اي كفارة ما عقدتم من الايمان
عند الحنث اطعام عشرة مساكين من اعدل ما تطعمون اهليكم غداء وعشاء لا وكس ولا شطط وقيل معناه من اوسطه
في الشبع لا يفرط في الاكل ولا تكون دون المغني عن الجوع فان اراد ان يطعمهم اطعام تمليك اعطى لكل مسكين نصف صاع
من حنطة عند اصحابنا هكذا روي عن عمر وعلي وعائشة وقال الشافعي ومالك مد بمد النبي صلى الله عليه وسلم
والمد رطل وثلث وهكذا روي عن زيد بن ثابت وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم اجمعين • واما عددهم
وعشاؤهم فلا عبرة بمقدار الطعام الا ان يكون فيهم صبي صغير لا يستوي في الاشياء فلا يعتد به حينئذ

وانما قالوا لا يعدهم في تعشيتهم لأن ذلك أوسط طعام الأهل لأن أكثرهم يأكل ثلاث مرات وأقله مرتين والأوسط
الغالبية اثنان • وقال سعيد بن جبير يعطي لكل مسكين مد بر ومدا لطعامه ومدا لإدامه • وسئل شريح عن الكفارة
فقال الخبز والزيت فقال له السائل أرأيت إن أطعمت الخبز واللحم قال ذلك أرفع طعام أهلك وطعام الناس
وعن ابن مسعود وابن عمر أن أعلى ما نطعم لأهل الخبز واللحم والأدون الخبز البحت بغير إدام والأوسط الخبز
مع السمن ونحوه وظاهر الآية يقتضي أنه إذا أعطى مسكينا واحدا طعام العشرة لا يجزئه إلا عن واحد لأن الحكم
إنما اختار ودفع ذلك إلى الواحد في عشرة أيام على اعتبار المعنى أن المأخوذ على الحانث سد عشر خلات
وهي فرق بين سد خلة الواحد في عشرة أيام وسد خلة العشرة في يوم واحد قوله تعالى **أو كسوتهم** قرأه
السلمي أو كُسوتهم بضم الكاف وهما لغتان ومعنى الآية أو كسوة عشرة مساكين وأدنى ما يجوز في الكسوة
ثوب واحد رداء أو قميصا أو إزارا أو قباء أو كساء وأما القلنسوة والخمار والعمامة والسراويل فلا يجزئ
عن الكسوة في ظاهر الرواية وروي عن محمد أن السراويل تجزئ لجواز الصلوة فيها للرجل وعند الشافعي تجوز
السراويل والعمامة وعند سعيد بن المسيب والضحاك لكل مسكين ثوبان قوله تعالى **أو تحرير رقبة** معناه
أو إعتاق مملوك يستوي فيه الذكر والأنثى والصغير والكبير وظاهر اللفظ يقتضي رقبة سليمة من العاهات
لأنه اسم للشخص بكماله إلا أن الفقهاء اتفقوا أن النقص اليسير لا يمنع جوازها ولا يجوز عتق أم الولد والمعتق بعضه
بالإجماع وأما المدبر فالخلاف فيه كالخلاف في بيعه وأما المكاتب فيجوز عتقه عن الكفارة إذا لم يؤد شيئا من الكتابة
عندنا وقال الشافعي لا يجوز عندنا عتق الرقبة الكافرة والمؤمنة في كفارة اليمين والظهار لأن الرقبة مطلقة
فيهما إلا الحربي المرتد فإنه لا يجوز لأنه غير محقون الدم • وقال الشافعي لا يجوز قياسا على كفارة القتل
قوله تعالى **فمن لم يجد فصيام ثلثة أيام** معناه إذا لم يكن له فضل عن مسكنه وثياب بدنه وما يأتي به
في منزله مقدار ما يطعم عشرة مساكين أو يكسوهم أو يعتق رقبة فعليه صيام ثلثة أيام وظاهر الآية يقتضي أنه
يجزئ في الصيام التفريق وهو قول مالك والشافعي • وفي قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب فصيام ثلثة أيام متتابعات
وعن ابن عباس ومجاهد وإبراهيم وقتادة وطاوس أنهم قالوا هي متتابعات قوله تعالى **ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم**
أي ذلك الذي ذكرت لكم وأمرتكم به كفارة أيمانكم إذا حلفتم وحنثتم قوله تعالى **واحفظوا أيمانكم** أي
احفظوها من الحنث وهذا إذا لم يقع اليمين على منع واجب أو فعل معصية أما إذا كانت اليمين على منع واجب أو
فعل معصية فعلى الحالف أن يحنث نفسه ويكفر عن يمينه ويقال معناه احفظوا أيمانكم أي راعوا ألفاظ
أيمانكم ليعلم الرجل ما حلف عليه فيكفر إذا حنث ويقال معناه لا تحلفوا كما قال الشاعر
قليل الألايا حافظ ليمينه • إذا بدرت منه الألية برت • والتأويل الأول أقرب إلى ظاهر الآية
لأن الإنسان لا يؤمر بحفظ الشيء المعدوم لا يقال لمن لا مال له احفظ مالك قوله تعالى **كذلك يبين
الله لكم آياته لعلكم تشكرون** أي هكذا يبين الله لكم أمره ونهيه كما بين كفارة اليمين لكي تشكروا
إنعامه وبيانه قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه** الميسر هو القمار كله والأنصاب وهي الأحجار كانوا ينصبونها ويعبدونها والأزلام هي الأزلام
التي كانوا يخيلون بها عند العزم على السفر نهى الله عن هذه الأشياء وحرمها بآكد أسباب التحريم لأنه تعالى سماها كلها
رجسا والرجس هو الشيء المستقذر والنجس الذي يتبع ذكره بالقبح يقال رجس الرجل يرجس رجسا ورجس يرجس
والرجس بفتح الراء شدة الصوت ورعد رجاس إذا كان شديد الصوت وسميت هذه المعاصي رجسا لوجوب
اجتنابها كما يجب اجتناب الشيء المستقذر قوله تعالى **من عمل الشيطان** أي من تزيينه لأنه هو الداعي إليه والمرغب
فيه والمزين له في قلوب فاعليه قوله تعالى **فاجتنبوه** أمر بالاجتناب وهو تركه جانبا وظاهر الأمر على الوجوب
وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى لا يجمع الخمر

والإيمان في قلب مؤمن أبدا • وقال صلى الله عليه وسلم مدمن الخمر كعابد الوثن ومن شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب
منها حرمها في الآخرة • وقال صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الأساود وسم العقارب
إذا شربه تساقط لحم وجهه في الإناء قبل أن يشربها فإذا شربها تفسخ لحمه كالجيفة يتأذى به أهل الموقف
وإن مات قبل أن يتوب من شرب الخمر كان حقا على الله أن يسقيه بكل جرعة شربها في الدنيا شربة من صديد
جهنم • وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها
والمحمولة إليه وآكل ثمنها • وقال صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر بعد أن حرمها الله عليه على لساني فليس له
أن يزوج إذا خطب ولا يصدق إذا حدث ولا يشفع إذا شفع ولا يؤتمن على أمانة فإن ائتمنه على أمانة
فاستهلكها فحق على الله تعالى أن لا يخلف عليه قوله عز وجل **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر** وذلك أن من شرب الخمر وسكر زال عقله وارتكب القبائح وربما عربد على جلسائه
فيؤدي ذلك إلى العداوة والبغضاء وكذلك القمار يؤدي إلى ذلك • قال قتادة كان الرجل يقامر غيره على
ماله وأهله فيقمر ويبقى حزينا سليبا فيكسبه العداوة والبغضاء لذهاب ماله عنه بغير عوض ولا منة قوله تعالى
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة أي يريد الشيطان أن يصرفكم عن طاعة الله وعن الصلوة الخمس
على ما هو معلوم في العادة من أحوال أهل الشرب والقمار قوله تعالى **فهل أنتم منتهون** معناه انتهوا عنهما
وهذا من أبلغ الوجوه ليكون أدعى إلى الانتهاء كما قال تعالى فهل أنتم مسلمون معناه أسلموا فلما نزلت هذه
الآية قالوا انتهينا يا رب فأنزل الله تعالى قوله تعالى **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا**
أي أطيعوا الله والرسول في ترك جميع المعاصي عموما واحذروا شرب الخمر وتحليلها وسائر المعاصي **فإن
توليتم** أي أعرضتم عن طاعة الله وطاعة الرسول **فإنما على رسولنا** تبليغ الرسالة عن الله بأوامره ونواهيه
لتعرفوهما وأما التوفيق والخذلان والثواب والعقاب فإلى الله عز وجل فلما نزل تحريم الخمر والميسر قال
الصحابة يا رسول الله فكيف الذين ماتوا وهم يشربون الخمر حتى قال المهاجرون يا رسول الله قتل أصحابنا يوم
بدر وأحد وهم يشربون فما حال من مات منهم فأنزل الله قوله تعالى **ليس على الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جناح فيما طعموا** أي فيما شربوا من الخمر **إذا ما اتقوا** الشرك **وآمنوا وعملوا الصالحات
ثم اتقوا** الخمر والميسر بعد تحريمهما ثم اتقوا ما حرم الله كله **وأحسنوا** وقيل معناه ليس على الذين آمنوا بالله
ورسوله وعملوا الصالحات يعني الطاعات جناح أي حرج وإثم فيما طعموا أي الحلال وشربوا من الخمر قبل تحريمها
وقبل العلم بتحريمها إذا ما اجتنبوا الكفر والشرك وسائر المعاصي فيما مضى **وآمنوا** أي وصدقوا بمحمد صلى
الله عليه وسلم والقرآن وعملوا الطاعات ثم اتقوا شرب الخمر بعد التحريم وآمنوا أي أقروا بتحريمها ثم داموا
على الاتقاء وضموا إلى ذلك الإحسان في العمل وقيل أراد بالاتقاء الأول اتقاء جميع المعاصي فيما مضى وأراد
بالثاني اتقاء المعاصي في المستقبل وأراد بالثالث اتقاء ظلم العباد في المعاملات وقيل أراد بقوله إذا ما
اتقوا وآمنوا إذا ما اجتنبوا شرب الخمر بعد تحريمها وصدقوا بتحريمها ثم اتقوا سائر المعاصي وأقروا بتحريم كل
ما يحرم عليهم من بعد مع تجانبه ثم جمعوا بين اتقاء المعاصي وإحسان العمل والإحسان إلى الناس
قوله تعالى **والله يحب المحسنين** أي يرضى عمل الذين يعملون الأفعال الحسنة ويجتنبون قبائحها وروي
عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال شرب نفر من أهل الشام الخمر وعليهم يومئذ يزيد بن أبي سفيان وقالوا
هي لنا حلال وتأولوا قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إلى آخر الآية
فكتب بذلك يزيد إلى عمر رضي الله عنه فكتب إليه ابعثهم إلي من قبل أن يفسدوا من معك فبعثهم إليه فلما قدموا
جمع عمر رضي الله عنه جماعة فقال لهم ما ترون فيهم قالوا إنهم افتروا على الله وشرعوا في دينه ما لم يأذن به
فاضرب أعناقهم وكان في القوم علي كرم الله وجهه وهو ساكت فقال له عمر ما ترى قال أرى أن

نستتيبهم فان تابوا والا فاضربوهم ثمانين جلدة وان لم يتوبوا فاضرب اعناقهم فاستتابهم فتابوا فضربهم ثمانين ثمانين وارسلهم • وروي ان قوما شهدوا عند عمر رضي الله عنه على قدامة بن مظعون انه شرب الخمر فاراد عمر ان يجلده فقال قدامة ليس ذلك لان الله تعالى يقول ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا وقرأ الآية فقال عمر رضي الله عنه انك اخطأت التأويل يا قدامة ولو اتقيت الله ما شربت • وفي بعض الروايات لو اتقيت الله لاجتنبت ما حرم عليك ثم امر باقامة الحد عليه وانما لم يحكموا بكفر قدامة ولم يستتيبوه لانه كان يتأول الآية على الحالة التي هو فيها ونحو ذا الصفة التي ذكر الله تعالى في هذه الآية مكفرة لذنوبه وانه لا يستحق العقوبة على شربها مع اعتقاده لتحريمها وان احال كفر شاربه فرد الصحابة عليه هذا التأويل واقيم عليه الحد قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم اي ليعاملنكم الله معاملة المختبر ليجازيكم على ما يظهر منكم قوله تعالى بشيء من الصيد اختلفوا فيه فقال بعضهم من هاهنا للتبعيض واراد بذكر صيد البر دون صيد البحر وصيد الاحرام دون صيد الاحلال وقال بعضهم من هاهنا للتجنيس كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان معناه الرجس الذي هو وثن • وقال بعضهم اراد بقوله بشيء من الصيد ما يكون من جزاء الصيد وان لم يكن صيدا كالبيض والفرخ والريش والآية شاملة لجميع هذه المعاني قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم اي تاخذونه بايديكم من فراخ الطيور وصغار الوحش والبيض وما تصيبه رماحكم من كبار الصيد التي لا تصاد الا بالرمي قوله تعالى ليعلم الله من يخافه بالغيب اي ليميز من يخافه ممن لا يخافه في السر خشية من الله تعالى قوله تعالى فمن اعتدى بعد ذلك اي من تجاوز الحد في اخذ صيد البر مع الاحرام واخذ الصيد في الحرم بعد البيان له والنهي عنه فله عذاب اليم يعني التعزير والكفارة في الدنيا وقيل الضرب على اعضائه كلها ما خلا الوجه والرأس والفرج يضرب ضربا وجيعا ويؤمر بالكفارة ويكون هذا المعتدي ماخوذا بعذاب الآخرة ان مات قبل التوبة قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم روي ان هاتين الآيتين نزلتا بالحديبية وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم محرمين وكان الصيد من الوحش والطير يغشى رحالهم وفي قوله وانتم حرم وجهان احدهما وانتم محرمون بحج او عمرة والثاني وانتم داخلون في الحرم وفي قوله تعالى لا تقتلوا الصيد دليل ان كل ما يقتله المحرم من الصيد لا يكون مذكى لان الله تعالى سماه قتلا فلا يجوز اكل المقتول وانما يجوز اكل المذبوح على شرط الذكاة والصيد في اللغة اسم لكل ممتنع متوحش ولا فرق في الحكم بين جواز الجزاء بين المأكول منه وغيره الا انه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والعقرب والغراب والفأرة والكلب العقور واراد بالكلب العقور الذئب على ما ورد في بعض الروايات قوله تعالى ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم روي انه نزل في كعب بن عمرو عرض له حمار وحش فطعنه برمحه فقتله ولم يكن علم بنزول آية التحريم • واختلفوا في صفة العمد الموجب للجزاء والكفارة في قتل الصيد فقال الاكثرون من اهل العلم سواء قتل المحرم الصيد عمدا او خطأ فعليه الجزاء وجعلوا فائدة تخصيص العمد بالذكر في هذه الآية ما في نسقها بقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه لان المخطئ لا يجوز ان يلحقه الوعيد • والقول الثاني ما روي عن قتادة وطاوس وعطاء انهم قالوا لا شيء على الخاطئ وهو رواية عن ابن عباس • والقول الثالث وهو قول مجاهد والحسن ان المراد به اذا قتله ناسيا لاحرامه وحصل القتل عمدا وهذا القول يقتضي ان غير العامد لقتله الذاكر لاحرامه لا يؤمر بالكفارة ولكن الله تعالى يعاقبه في الآخرة على فعله وعلى هذا التأويل قالوا ان معنى قوله ومن عاد فينتقم الله منه اي عاد الى هذا الفعل من بعد العلم بالنهي كان عقوبته لا تنقية بل ينتقم الله منه • وقال آخرون هو القتل عمدا وهو ذاكر لاحرامه فحكم عليه في العمد والخطأ والكفارة والجزاء وهو اختيار الشافعي • وقال الزهري

نزل القرآن بالعمد وجرت السنة بالخطأ • وقال ابن عباس ان قتله عمدا يسئل هل قتلت قبله شيئا من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله شيئا حكم عليه فان عاد الى قتل الصيد ثانيا وهو محرم بعد ما حكم لم يحكم عليه ثانيا وملأ بطنه وظهره ضربا وجيعا وعندنا اذا عاد حكم ثانيا وعليه الجمهور • وقال بعضهم اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وامره الى الله لانه اعظم من ان تكون عليه كفارة والقول الاول اصح هذه الاقاويل كلها لان جنايات الاحرام لا تختلف بين المعذور وغير المعذور ولان الله اطلق المحرم حلق الرأس على الاذى واوجب عليه الفدية قوله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم نونه اهل الكوفة ورفعوا المثل على البدل من الجزاء كانه فسر الجزاء اي فعليه جزاء مثل الصيد المقتول من النعم وقرأ الباقون بالاضافة ومعناه عليه ان يجزي مثل المقتول اي يشتري بقيمته من النعم فيذبح وقد يجوز اضافة الشيء الى نفسه كما يقال ثوب خز وباب حديد ويوم الجمعة ويحتمل ان يكون معناه عليه جزاء مثل النعم المقتول ومثل النعم المقتول قيمته من جهة الحكم وقوله تعالى هديا منصوب على الحال اي يحكمان به مقدرا ان يهدي قوله تعالى بالغ الكعبة لفظه لفظ المعرفة ومعناه النكرة كانه قال بالغا الكعبة الا ان التنوين حذف استخفافا وكنى بالكعبة عن الحرم لان حرمته لاجل الكعبة وفي ذكر بلوغ الكعبة بيان اختصاص هذا الجزاء بالحرم وانه لا يجوز ذبحه الا فيه ومعنى قوله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم اي فعلى القاتل الفداء مثل المقتول من النعم والنعم في اللغة من الابل والبقر والغنم فاذا انفردت الابل قيل لها نعم واذا انفرد البقر والغنم لم تسم نعما • واختلف اهل العلم في كيفية الجزاء فقال ابو حنيفة وابو يوسف ينظر الحكمان العدلان من اهل المعرفة الى الصيد المقتول فيقومانه في ذلك المكان وذلك الزمان فاذا عرفا قيمته خير القاتل فان شاء اشترى بتلك القيمة هديا من النعم وذبحه في الحرم وان شاء اشترى بها طعاما فاطعمه مساكين الحرم وغيرهم كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من تمر او شعير كما في الكفارات وان شاء صام مكان كل نصف صاع من بر يوما وان لم تبلغ قيمة الصيد طعام مسكين صام يوما كاملا اذا اختار الصوم لان الصوم جملة لا يتبعض • وقال محمد والشافعي ان كان للصيد المقتول مثل من النعم من جهة الخلقة كان على القاتل النظير في الخلقة فيجب عليه في النعامة بدنة وفي بقر الوحش بقرة وفي الظبي شاة وفي الغزال عنز وفي الارنب عناق وفي اليربوع جفرة وان لم يكن للصيد مثل من النعم من جهة الخلقة كان عليه قيمته • وعن محمد ان الخيار في هذا الى الحكمين دون المصيب فهو قول مالك قوله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم اي يحكم بالجزاء فقيهان عدلان ينظران الى اشبه الاشياء به فيحكمان به • وروي عن قبيصة بن جابر قال خرجنا حجاجا وكنا اذا صلينا الغداة اقتدنا رواحلنا نتماشى ونتحدث فبينما نحن ذات غداة اذ سنح لنا ظبي فابتدره رجل منا بحجر فاصاب خشاه فركب ردعه فمات فلما قدمنا مكة سألنا عمر رضي الله عنه وكان حاجا وكان عبد الرحمن بن عوف جالسا عنده فسألناه عن ذلك فقال لعبد الرحمن ما ترى قال عليه شاة قال وانا ارى ذلك قال فاذهب فاهد شاة قال فخرجت الى صاحبي فقلت ان امير المؤمنين لم يدر ما يقول حتى سأل غيره قال فلم يفجأنا الا عمر ومعه الدرة فعلاني بالدرة وقال اتقتل في الحرم وتغمص الفتوى قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن قوله تعالى او كفارة طعام مساكين فيه قراءتان احداهما الرفع والتنوين في كفارة والرفع في طعام من غير تنوين والاخرى الرفع في كفارة بغير تنوين والخفض في طعام على الاضافة قوله تعالى ليذوق وبال امره اي ليذوق عقوبة صنعه والوبال ثقل الشيء في المكروه ماخوذ من الوبيل يقال طعام وبيل وماء وبيل اذا كانا ثقيلين قال الله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا اي ثقيلا شديدا قوله تعالى عفا الله عما سلف اي تجاوز الله عما مضى من قتل الصيد قبل التحريم قوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه اي من عاد الى قتل الصيد بعد العلم بالتحريم متعمدا للقتل يعذبه الله في الآخرة ويعاقبه على فعله واصل الانتقام الانتصار والانتصاف واذا اضيف الى الله تعالى يراد به المعاقبة والمجازاة قوله تعالى والله عزيز ذو انتقام اي منيع بالنقمة ينتقم ممن عصاه قوله عز وجل احل لكم صيد البحر وطعامه اي احل لكم اصطياد ما في البحر وطعامه اي ما لفظه البحر وحسر

عنه الماء وهذا قول أبي بكر وعمر وأبي هريرة ۞ وقال بعضهم طعامه المالح وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة والنخعي
وقتادة و قوله تعالى متاعا لكم أي منفعة لكم وهو مصدر مؤكد للكلام أي متعوا متاعا لكم قوله تعالى
وللسيارة أي منفعة للسيارة في السفر قال ابن عباس نزلت هذه الآية في قوم من بني مدلج كانوا أهل صيد البحر
أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إنا نصطاد من البحر وربما مد البحر فتعلوا الماء كل شيء ثم يرجع ويبقى السمك
بالأرض ويذهب الماء عنه فيبقيه ميتا فحلال لنا أكله أم لا فأنزل الله هذه الآية قوله تعالى وحرم عليكم
صيد البر ما دمتم حرما أي وحرم عليكم اصطياد ما في البر ويقال عن صيد البر ما دمتم محرمين ولا خلاف
في الاصطياد أنه حرام على المحرم في البر فأما غير الصيد فإن صاده حلال فإن صاده بأمر المحرم أو بإعانته أو دلالته
أو إشارته حرم على المحرم تناوله وإن صاده الحلال لغير أمر المحرم حل للمحرم تناوله كما روي في حديث أبي قتادة
أنه قال كنت في رهط من المحرمين وأنا حلال فبصرت بحمار الوحش فقلت ناولوني الرمح فأبوا فأخذته وأتيت
الصيد فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكله فقال هل أعنتم هل أشرتم هل دللتم فقالوا لا قال إذا
فكلوا قوله تعالى واتقوا الله الذي إليه تحشرون أي اتقوا الله في أخذ الصيد في الإحرام الذي إلى موضع جزائه
تبعثون قوله عز وجل جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام أي جعل الله الكعبة أمنا للناس
به يتقومون ويأمنون وذلك أن الرجل كان إذا أصاب ذنبا في الجاهلية والإسلام أو قتل قتيلا لجأ إلى الحرم وأمن
بذلك وكانت الكعبة قواما لمعاشهم وعمادا لهم في أمر دينهم ودنياهم لما يحصل في ذلك من الحج والعمرة والتجارة و
يجبى إليه من ثمرات كل شيء وقيل معنى قوله قياما للناس أي قبلة لهم أمروا أن يتوجهوا في الصلوة متوجهين إليها
قوله تعالى والشهر الحرام أي وجعل الشهر الحرام أمنا أيضا كانوا إذا دخل الشهر الحرام لم يقتلوا فيه أحدا حتى يمضي
قوله تعالى والهدي جعل الهدي الذي يهدى إلى البيت أمنا للرفقة وجعل القلائد أمنا والقلائد البدن
من البقر والإبل كانوا يقلدونها نعلا أو خفا ثم كانوا يقلدون رواحلهم إذا رجعوا من مكة من لحاء شجر الحرم فيأمنون
بذلك وكان أهل الجاهلية يأكل الواحد منهم القضب والشجر من الجوع وهو يرى الهدي والقلائد فلا يتعرض لهما تعظيما
له قوله ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض معناه ذلك الأمر في الجاهلية دليل أنه تعالى
يعلم ما في السموات وما في الأرض وما فيه صلاح الخلق إذ جعل في أعظم الأوقات فسادا أمانا من به وشرع الحج فيه وفيه
صلاح الخلق على نحو ما تقدم قوله تعالى اعلموا أن الله شديد العقاب لمن استحل ما حرم الله وأن الله غفور
رحيم لمن تاب قوله تعالى ما على الرسول إلا البلاغ أي ما على محمد صلى الله عليه وسلم إلا تبليغ الرسالة في أمر
الثواب والعقاب والله يعلم ما تبدون أي ما تظهرون من التوحيد والعمل وما تكتمون وليس على محمد
إلا ظاهركم ولا يعلم السرائر إلا الله عز وجل قوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب أي قل يا محمد لا يستوي الحلال
والحرام ولو أعجبك كثرة الحرام فقليل الحبة من الحلال أرجح عند الله من جبال الدنيا من حرام ۞ وقيل معناه لا يستوي
الكافر والمؤمن ولو أعجبك كثرة الكافر ولا العدل والفاسق وإن كان في الفساق كثرة ولا يبارك في الحرام وإنما البركة
في الحلال فاتقوا الله يا أولي الألباب أي اخشوا عذاب الله في أخذ الحرام يا ذوي العقول لكي تفوزوا بالنجاة
والسعادة في الآخرة قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم قال ابن عباس
رضي الله عنهما لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع قام رجل من بني أسد فقال يا رسول الله أفي
كل عام فغضب من قول ذلك الرجل غضبا شديدا ثم قال له ما كان يؤمنك أن أقول نعم فيجب عليكم في كل عام ولا
تطيقونه فإن لم تفعلوه كفرتم ذروني ما تركتكم وفي بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فسأله
الناس عن أشياء فقال لا تسألون عن شيء إلا حدثتكم به فأكثروا عليه السؤال حتى سأله رجل عن الحج أفي كل عام
فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأعاد عليه الرجل ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم لو قلت لكم نعم لوجبت ولما
استطعتم ثم قال رجل آخر فقال أين أنا في الجنة أم في النار قال في النار فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه

وسلم حتى تغير لونه فقال عمر رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبك نبيا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله صلى الله
عليه وسلم فسري عن النبي صلى الله عليه وسلم الغضب وروي أن رجلا قال يا رسول الله أين أبي فقال في النار فقام عمر
رضي الله عنه وقال رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن إماما إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية
فاعف عنا عفا الله عنك فسكن غضبه وروي أن رجلا من قريش يقال له عبد الله بن حذافة وكان في نسبه
الأحجى يطعن أي يدعى لغير أبيه فقال يا رسول الله من أبي قال أبوك حذافة قال الزهري فقالت أمه ما
رأيت ولدا أعق منك قط أكنت تأمن أن تكون أمك قد قارفت ما قارف أهل الجاهلية فتفضحها على رؤوس
الناس ۞ وفي رواية أخرى أنه لما قال أبوك حذافة قال يا رسول الله أبي فلان قال إنك ولد زنية وإن الذي
ولدت على فراشه كان كبير المال فتعرضت أمك لحذافة فجامعها فاشتملت بذلك فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين
آمنوا بالله ورسوله لا تسألوا عن أشياء إن أظهر لكم جوابها ساءكم ذلك وإن تسألوا عنها عند نزول القرآن أظهر لكم
جوابها عفا الله عنها أي عن مسائلكم لم يؤاخذكم بالبحث عنها ويقال المراد بالعفو الستر عليهم والله غفور حليم أي
متجاوز عن العباد حليم عن الجهال لا يعجل عليهم بالعقوبة قوله عز وجل قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها
كافرين أي قد سأل نحو هذه المسائل قوم من قبلكم قال ابن عباس كانت بنو إسرائيل يسألون أنبياءهم عن
أشياء لم تكن عليهم ولو تركوها فإذا بينوا لهم لم يفعلوا فعذبهم الله وأهلكهم بسبب ذلك كما سأل قوم عيسى المائدة
ثم كفروا وسأل قوم صالح الناقة ثم عقروها وكفروا قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة
ولا حام أي لم يجعل الله ما تقوله كفار قريش من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي ولكنهم هم الذين جعلوا
من ذات أنفسهم واختلقوا على الله بأنه حرم هذه الأشياء وأكثرهم لا يعقلون وهم السفلة والعوام لا يعقلون
أي يقلدون رؤساءهم فيما يقولون وأما تفسير البحيرة فقد كانت الناقة إذا نتجت خمسة أبطن ينظر فإن كان البطن
الخامس ذكرا ذبحوه لآلهتهم وكان لحمه للرجال من سدنة آلهتهم ومن أبناء السبيل دون النساء وإن مات قبل الذبح
أكله الرجال والنساء وإن كان الخامس أنثى بحروا أذنها أي شقوها شقا وهي البحيرة لا تركب ولا تذبح ولا تطرد عن
ماء ولا كلأ وألبانها ومنافعها للرجال من السدنة وأبناء السبيل دون النساء حتى تموت فإذا ماتت اشترك فيها
الرجال والنساء ۞ وأما السائبة فكان إذا قدم الرجل من سفر أو برئ من مرض أو نجا من شيء سيب شيئا من إناث الأنعام
وسيبها إلى سدنة آلهتهم فيطعمون منها أبناء السبيل من ألبانها وأما لحومها إلا النساء فإنهم كانوا لا يعطونهن شيئا
حتى تموت فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء جميعا ۞ وأما الوصيلة فهي من الغنم كانت الشاة إذا أنتجت سبعة أبطن
فإن كان البطن السابع ذكرا ذبحوه لآلهتهم وإن كانت أنثى صنعوا بها ما يصنعون بالأنثى من البحيرة وإن كان ذكرا أو
أنثى قالوا إنها وصلت أخاها فلم يذبح الذكر لمكانه منها وإن كان منافعهما للرجال دون النساء من السدنة وأبناء السبيل
إلى أن يموت واحد منهما فيشترك فيهما الرجال والنساء ۞ وأما الحامي فهو الفحل إذا ركب ولد ولده قالوا قد حمى
ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى حتى يموت فيأكله الرجال والنساء وقد روي عن زيد بن
أسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إني لأعرف أول من سيب السوائب وأول من غير عهد إبراهيم خليل
الله قالوا من هو يا رسول الله قال عمرو بن لحي ولقد رأيته يجر قصبه في النار يؤذي أهل النار بريح قصبه وإني
لأعرف أول من بحر البحائر قالوا من هو قال رجل من بني مدلج كانت له ناقتان فجدع أذنيهما وحرم ألبانهما ثم
بعد ذلك ولقد رأيته في النار تعضانه بأفواههما وتخبطانه بأخفافهما ۞ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لأكثم الخزاعي رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فما رأيت من رجل أشبه برجل منه بك ولا بك
منه وهو أول من غير دين إبراهيم عليه السلام ونصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي
ولقد رأيته في النار يؤذي أهل النار بريح قصبه قال أكثم يا رسول الله أيضرني شبهه فقال لا إنك مؤمن وهو كافر
قوله عز وجل وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا معناه

اذا قيل لاهل مكة هلموا الى التحليل والتحريم الى ما انزل الله في كتابه وبيّنه الرسول في سنته قالوا تكفينا ما وجدنا
عليه آباءنا من الدين والسنة يقول الله تعالى أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين والسنة ولا يهتدون
الى الطريق المستقيم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اي الزموا
انفسكم واحفظوها كما تقال عليك زيدا فنصبه بدا على الاغراء لمعنى الزم زيدا كأنه تعالى قال عليكم ايها المؤمنون اصلاح
انفسكم ومتابعة سنة نبيكم فانكم اذا فعلتم ذلك لا يضركم ضلالة من ضل من اهل مكة اذا اهتديتم الى الله
مرجعكم في الآخرة جميعا البر والفاجر والمؤمن والكافر فينبئكم بما كنتم تعملون من خير
او شر وقد روي من السلف في تأويل هذه الآية احاديث مختلفة الظاهر وهي متفقة في المعنى منها ما روي عن ابي
بكر رضي الله عنه انه قال على المنبر ايها الناس انكم تقرءون هذه الآية يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم واني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم يعمل بين ظهرانيهم بالمعاصي فلم يغيروها الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب
وعن ابي امامة قال سألت ابا ثعلبة الخشني عن هذه الآية فقال لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا ابا ثعلبة ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فاذا رأيت دنيا مؤثرة وشحا مطاعا واعجاب
كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك فان من بعدكم ايام الصبر والصبر فيها كالقبض على الجمر والمتمسك فيها على الذي انتم
عليه كأجر خمسين عاملا منكم ففي هذه الاخبار دليل على ان فرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يسقط الا عند العجز عن
ذلك كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رأى احدكم منكرا واستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم
يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وحكي انه لما مات الحجاج قال الحسن رضي الله عنه اللهم
انت امته فاقطع عنا سنته فانه اتانا اخيفش اعيمش يمد بيد قصيرة البنان والله ما عرق فيها في سبيل الله عنان رجل
جمته ويتبختر في مشيته ويصعد المنبر فيهدر حتى تفوته الصلوة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحيي فوقه الله وتحته
الف او يزيدون لا يقول له قائل الصلوة ايها الرجل ثم جعل الحسن يقول هيهات والله حال دون ذلك السيف
والسوط وفي هذا الخبر دليل ان السلف كانوا معذورين في ذلك الوقت في ترك الانكار باليد واللسان قوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان قال ابن عباس نزلت هذه الآية في
ثلثة نفر خرجوا من المدينة الى الشام للتجارة احدهم عدي بن بداء والآخر تميم بن اوس الداري وهما نصرانيان والثالث
بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فحضر بديل بن ورقا الوفاة وكان مسلما فاوصى الى صاحبيه
ان يدفعا متاعه الى اهله اذا رجعا فمات بديل ففتشا متاعه واخذا منه اناء من فضة منقوشا بالذهب كان فيه
ثلثمائة مثقال فلما قدما المدينة وسلما المتاع الى اهله وجد اهله كتابا في درج الثياب فيه اسماء الامتعة فقالوا
لهما هل باع صاحبكما شيئا من متاعه قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق شيئا على نفسه قالا لا انما هو مرض حين
قدم البلد فلم يلبث ان مات فقال لهما عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة فانا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية
متاعه وفيها اناء منقوش مموه بالذهب فيه ثلثمائة مثقال قالا لا ندري انما اوصى الينا بشيء وامرنا ان ندفعه
اليكم فقد دفعناه ثم رفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية ومعناها يا ايها
الذين آمنوا شهادة الحالة التي بينكم اذا حضر احدكم الموت واراد الوصية شهادة اثنين ذوي عدل منكم
اي من اهل دينكم وهذه جملة تامة بنفسها والحكم الشهادة على الوصية في الحضر والسفر قوله تعالى او آخران
من غيركم مقيد بالسفر خاصة معناه او آخران من غير اهل دينكم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم في السفر
مصيبة الموت ولم يكن بحضرتكم مسلمان قوله تعالى تحبسونهما من بعد الصلوة اي توقفونهما وهما النصرانيان
والمراد بقوله بعد الصلوة بعد صلوة العصر كان النبي صلى الله عليه وسلم يقضي بعد صلاة العصر وهو وقت اجتماع الناس
واهل الكتاب يعظمونه فيقسمان بالله اي الشاهدان النصرانيان يحلفان بالله اذا ادعى عليهما ورثة الميت
شيئا في جنايتهما ويقولان في اليمين لا نشتري بهذا القول الذي نقول له بانا دفعنا المال جميعه اليكم عرضا يسيرا

من الدنيا ولو كان ذا قربى اي وان كان الميت ذا قرابة منا في الرحم اي لا نخون في التركة لقرابته منا روي انه
كان بين الميت والمسلم وبين هذين النصرانيين قرابة في الرحم ومعنى قوله ان ارتبتم اي شككتم قوله تعالى ولا
نكتم شهادة الله اي ونقول في اليمين ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين اي العاصين لو
كتمناها كما قال تعالى في آية اخرى ومن يكتمها فانه آثم قلبه وانما اضاف الشهادة الى الله تعظيما لها وتهويلا
لأمرها وقرأ بعضهم شهادة الله بتنوين شهادة ونصب اسم الله على معنى ولا نكتم الله شهادة وقرأ الشعبي شهادة
الله بتنوين شهادة وخفض الهاء من اسم الله موصولا على القسم تقديره اي والله وقرأ ابو جعفر شهادة بالتنوين
آلله بقطع الالف وكسر الهاء على معنى ولا نكتم شهادة آلله بالاستفهام وكسر الهاء فجعل الاستفهام عوضا عن حرف القسم
قال ابن عباس فلما نزلت هذه الآية صلى صلى الله عليه وسلم صلاة العصر وحلفهما بعد الصلوة عند المنبر بالذي
لا اله الا هو انهما لم يخونا شيئا مما دفع بديل اليهما فحلفا فخلا عليه الصلوة والسلام سبيلهما فمكثا بعد ذلك
ما شاء الله ثم ظهر الاناء فبلغ الورثة ذلك فسألوا الذي بيده الاناء فقال اشتريته من تميم وعدي وقيل انه لما
طالت المدة اظهرا الاناء ثم بيعاه فقال لهما الورثة انكما حلفتما فما بال الاناء معكما فقالا انا كنا اشتريناه منه
ولم يكن لنا بينة فكرهنا ان نقر به لكم فتأخذوه فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى قوله
تعالى فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان معناه
فان اطلع على ان الوصيين استحقا ذنبا بالخيانة واليمين الفاجرة حيث قالا ان الميت باع شيئا من متاعه ثم قالا لا
[illegible] لما في ايديهما انهما ابتاعاه منه فآخران من اولياء الميت وهما عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة
يقومان مقام النصرانيين الخائنين في اليمين فيحلفان بالله لشهادتنا ان الاناء لصاحبنا وانهما لا يعلمان ان الميت باعه
في حيوته احق من شهادتهما اي اعدل واحق بالقبول من شهادة النصرانيين وما اعتدينا وحلفنا انا
اذا لمن الظالمين على انفسنا لو اعتدينا قوله من الذين استحق عليهم راجع الى قوله فآخران والاوليان بدل من آخرين
كانه قال فآخران من الذين استحق عليهم الوصية وهم ورثة الميت واولياؤه وهما الاوليان بالميت ويقال
الاوليان باليمين يقومان مقام النصرانيين في اليمين ويقال معنى استحق عليهم اي استحق فيهم الاثم وهم الورثة
استحق النصرانيان الاثم بسببهم وقد يقام على مقام في كما في قوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل وواحد الاوليان
الاولى والجمع الاولون والانثى الوليا والجمع الوليات والولى وقرأ الحسن وجعفر من الذين
استحق عليهم بفتح التاء والحاء اي وجب عليهم الاثم ثم قال الاوليان راجع الى قوله وآخران الاوليان ولم يرتفع
باستحقاق وقرأ الباقون استحق بضم التاء وكسر الحاء على المجهول يعني الذي استحق فيهم وعليهم الاثم
وهم ورثة الميت استحق الحالفان بسببهم وفيهم وقرأ الحسن من الذين استحق عليهم الاولان وقوله تعالى
لشهادتنا احق من شهادتهما اي يميننا احق من يمينهما ونظيره فشهادة احدهم اربع شهادات بالله
اي اربع ايمان فلما نزلت هذه الآية حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة فحلفا
فدفع المتاع الى اولياء الميت قال ابن عباس فذكرت هذه الآية لتميم بعد ما اسلم فقال صدق الله وبلغ رسوله
انا اخذت الاناء فاتوب الى الله واستغفره وانما انتقلت اليمين الى الاوليين لان الوصيين ادعيا عليهما الاناء
ثم ادعيا انهما ابتاعاه وكذلك لو ادعى رجل على رجل فاقر المدعى عليه بذلك وادعى انه قضاه فالقول
قول صاحب المال مع يمينه وكذلك اذا ادعى سلعة في يد رجل فاعترف بذلك ثم ادعى انه اشتراها من المدعي
او وهبها منه المدعي وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن تميم الداري قال بعنا الاناء بالف درهم فاقتسمتها انا
وعدي فلما اسلمت تأثمت من ذلك بعد ما حلفت كاذبا فأتيت اولياء الميت فاخبرتهم ان عند صاحبي مثلها
فأتوا به الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألهم البينة فلم تكن بينة فامر الاولياء ان يحلفوا فحلفوا فاخذت الخمسمائة
من عدي ورددت انا الخمسمائة بعد ذلك قوله تعالى ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها قوله عز وجل اي

ذلك أقرب لكم إلى أن تقيموا الشهادة على وجهها أو قربا إلى أن تخافوا أن ترد عليهم أيمانهم بعد
أيمان المسلمين ويقال أن ترد الأيمان إلى المدعين المسلمين بعد أيمان المدعى عليهم الكفار قوله تعالى
واتقوا الله واسمعوا أي اخشوه أن تحلفوا أيمانا كاذبة أو تخونوا أمانة واسمعوا أي اقبلوا الموعظة
والله لا يهدي القوم الفاسقين أي لا يصلح أمر الخائنين الخارجين عن طاعة الله روي عن مجاهد
أنه أخذ بظاهر الآية وقال إذا مات في السفر ولم يحضره إلا كافران أشهدهما على ذلك فإن رضي ورثته وإلا
حلف الشاهدان أنهما صادقان فإن ظهر أنهما خانا حلف اثنان من الورثة وأبطلت أيمان الشاهدين وعن
هذا قال شريح لا تجوز شهادة اليهودي والنصراني على المسلم إلا في السفر ولا تجوز في السفر إلا على الوصية
وذهب أكثر الفقهاء إلى أن شهادة الكافر لا تقبل على المسلم بوجه من الوجوه لأنه روي أن آية الدين من
آخر ما نزل من القرآن وتلك الآية تقتضي جواز نسخ شهادة الكفار على المسلمين لا محالة لأن قوله تعالى
واستشهدوا شهيدين من رجالكم تناول المؤمنين لأن الخطاب في تلك الآية توجه إليهم باسم الإيمان في
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا
يعني يوم القيامة ونصب يوم على إضمار اذكروا واحذروا ويحتمل أنه انتصب بقوله واتقوا الله والسؤال
للرسل توبيخ للذين أرسلوا إليهم كما في قوله تعالى وإذا الموءودة سئلت إنما تسأل الموءودة لتوبيخ قاتلها
وأما قول الرسل لا علم لنا فقال ابن عباس والحسن والسدي ومجاهد إن هذا الجواب إنما يكون في بعض
مواطن القيامة وذلك عند زفرة جهنم وجثو الأمم على الركب فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا قال نفسي
نفسي فعند ذلك تطير القلوب من أماكنها فيقول الرسل من شدة هول المسألة وهو الموطن لا علم لنا إنك
أنت علام الغيوب ثم ترجع إليهم عقولهم فيشهدون على قومهم أنهم بلغوهم الرسالة وأن قومهم كيف
ردوا عليهم فإن قيل كيف يصح ذهول العقل مع قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر قيل إن الفزع الأكبر دخول
جهنم وعن ابن عباس أن معنى لا علم لنا إلا ما علمتنا فحذف لحسننا وقيل معناه لا علم لنا بتفصيل ما مر
قوله تعالى إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك معناه واذكروا أيها المؤمنون
إذ قال الله يا عيسى ويجوز أن يكون عطفا على قوله يوم يجمع الله الرسل تقديره إذ يقول الله يا عيسى ابن مريم
إلا أنه ذكره بلفظ الماضي لتقديم ذكر الوقت ومعنى الآية اذكر منتي عليك بالنبوة وعلى أمك بأن طهرتها
واصطفيتها على نساء العالمين لتكون حجة على من كفر وإذا علم الغافلون ذلك حسرة وندامة عليهم يوم
القيامة وفي ذلك تنبيه أن الناس يتكلمون فيها كما تكلموا فيه ثم عد الله نعمة نعمة فقال إذ أيدتك
بروح القدس أي أعنتك وقويتك بجبريل الطاهر حين حاول بنو إسرائيل قتلك ويقال أيدتك به في المحنة في كل
أحوالك قوله تعالى يا عيسى ابن مريم انتصب ابن مريم لأنه منادى مضاف أي يا عيسى يا ابن مريم قوله تعالى اذكر
نعمتي معناه اذكر نعمي لفظه واحد ومعناه الجمع كقوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها أي نعم الله لأن
العدد لا يقع على الواحد قوله تعالى تكلم الناس في المهد أي تكلم الناس في حجر أمك في حال صغرك
كما تكلمهم بعد ثلاثين سنة على صفة واحدة وحد واحد وذلك من أعظم الآيات ويقال أراد بالمهد الذي يرقد فيه الأطفال
حين قال لهم وهو في المهد إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا قال الكلبي مكث في رسالته بعد ثلاثين سنة ثلاثين
شهرا ثم رفعه الله إليه وقيل ثلاث سنين ثم رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة قوله تعالى وإذ علمتك الكتاب
والحكمة أي علمتك كتب الأنبياء قبلك والفهم ويقال أراد بالكتاب الخط بالقلم وأراد بالحكمة كل صواب
من قول أو فعل قوله تعالى وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير معناه وإذ تصور من الطين كشبه الخفافيش
بأمري فتنفخ فيها أي في الهيئة فيصير طيرا يطير بين السماء والأرض بإذن الله ويكون النفخ كنفخ الراقي قوله تعالى
وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني الأكمه الذي ولد أعمى والأبرص الذي لا يعالجه الأطباء وهو الذي

إذا غمز لا يخرج منه الدم قوله تعالى وإذ تخرج الموتى بإذني أي تحيي الموتى وتخرجهم من قبورهم أحياء أراد
والمراد بالإذن أن الله تعالى كان يأذن له في المسألة والدعاء فيتبع ذلك من الله تعالى قوله تعالى وإذ كففت بني
إسرائيل عنك معناه وإذ منعتهم أن لا يقتلوك حين هموا بقتلك إذ جئتهم بالبينات أي بالمعجزات
الدالة على رسالتك فقال الذين كفروا من بني إسرائيل ما هذا الذي يرينا عيسى إلا سحر ظاهر ومن قرأ ساحر مبين
أراد به عيسى عليه السلام قوله عز وجل وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي معناه وإذ ألهمت
الحواريين وهم خواص عيسى وألقيت في قلوبهم أن صدقوا بتوحيدي وبرسولي قالوا آمنا معناه صدقنا واشهد
يا عيسى بأننا مسلمون أي مخلصون بالعبادة والتوحيد قوله عز وجل إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم
هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين كأنه قال
واذكر نعمتي عليك إذ قال الحواريون وقوله تعالى هل يستطيع ربك قرأ الكسائي هل تستطيع ربك بالتاء بالإدغام
ونصب الباء من ربك أي هل تقدر أن تسأل ربك وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كان الحواريون
أعلم بالله تعالى من أن يقولوا هل يستطيع ربك فإنهم أصفياء مؤمنون وقرأ الباقون هل يستطيع ربك وفيه ثلاثة
أقوال أحدها أن هذا السؤال كان في ابتداء أمرهم قبل أن تستحكم معرفتهم بالله ولذلك أنكر عليهم عيسى عليه السلام
فقال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين لأنه لم تستكمل إيمانهم في ذلك الوقت والقول الثاني معناه هل يفعل ذلك كما
يقول الرجل لآخر هل تستطيع أن تقوم معي في أمر كذا أي هل أنت فاعله والقول الثالث معناه هل يستجيب
لك ربك وهل يطيعك إن سألته كما يقال استجاب بمعنى أجاب والحواريون خواص أصحاب عيسى عليه السلام قال
الحسن كانوا قصارين وقال مجاهد كانوا صيادين وقيل كانوا ملاحين وقال قتادة الحواريون الوزراء وقال
على معناه هم الأصفياء وكانوا اثني عشر رجلا قوله تعالى قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا أي قال الحواريون
نريد بسؤالنا أن نأكل من المائدة وتسكن قلوبنا بما حسبناه من المعجزات ونعلم أن قد صدقتنا بأنك
رسول الله وقيل صدقتنا في دعائك وفيما وعدتنا من كفاية الله تعالى إيانا ونكون عليها من الشاهدين
إذا رجعنا إلى قومنا قوله تعالى قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء أي قال عيسى
اللهم يا الله إلا أنه أقيم الميم في آخره مقام النداء في أوله وقوله أنزل علينا مائدة من السماء أي طعاما تكون لنا عيدا
لأولنا وآخرنا قوله تعالى وآية منك أي ويكون المائدة دلالة وحجة لمن أنزل عليه
من كفر قوله تعالى وارزقنا وأنت خير الرازقين أي اجعل ذلك رزقا لنا وقيل ارزقنا الشكر عليه وأنت
أفضل المعطين والموفقين قوله تعالى قال الله إني منزلها عليكم أي قال الله يا عيسى إني منزل المائدة عليكم
قرأ أهل المدينة والشام وقتادة وعاصم منزلها بالتشديد لأنها نزلت مرات والتفعيل يدل على التكثير مرة بعد
مرة لقوله تعالى ونزلناه تنزيلا وقرأ الباقون بالتخفيف لقوله أنزل علينا قوله تعالى فمن يكفر بعد
منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين أي فمن يكفر بعد نزول المائدة وقيل بعد ما أكل
من المائدة فإني أعذبه بجنس من العذاب لا أعذب به أحدا من عالمي زمانهم بذلك العذاب فهو أن جعل الله من كفر منهم
بعد نزول المائدة خنازير ويقال أراد به عذاب الآخرة كما روي عن ابن عمر أنه قال أشد الناس عذابا يوم
القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون وروي عن ابن عباس في سبب نزول المائدة أن عيسى كان
إذا خرج اتبعه خمسة آلاف رجل أو أكثر من أصحابه الذين يقتدون به وأهل زمانه والمرضى والنظارة فسلك
بهم ذات يوم إلى القفار ففني طعامهم وجاعوا حتى عطشوا جدا فأعلم الناس الحواريين وقالوا لو أن كان صاحبكم
حقا فليدع ربه ينزل علينا مائدة من السماء فكلمه في ذلك رجل من الحواريين يقال له شمعون الصفار فقال لهم
قل لهم يتقوا الله ولا يسألوا البلاء فإنهم إن كفروا بعد نزولها عاقبهم الله فأخبرهم شمعون بذلك فقالوا نريد
أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا فقام عيسى فصلى ركعتين فأوحى الله إليه إني منزلها عليكم فمن يكفر

بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين • ثم انزل الله مائدة من السماء فوقها منديل والناس
ينظرون اليها وعيسى يبكي حتى استقرت المائدة بين يدي عيسى وهو يقول اللهم اجعلها رحمة ثم كشف المنديل وقال
بسم الله فاذا على المائدة سمكة مشوية لا شوك فيها والودك يسيل منها والخل عند راسها والملح عند ذنبها وعليها
اربعة ارغفة وعليها الوان البقول الا الكراث • قال عطية كان في السمكة طعم كل شيء فقال لهم عيسى كلوا من
رزق ربكم فاكلوا منها ورجعت المائدة كما كانت فلما رجع القوم الى قرارهم ونشروا هذا الحديث لسائر الناس ضحك
من لم يشهد وقال ويحكم انه قد سحر اعينكم • واخذ يعلو بهم فمن اراد به الخير ثبته على البصيرة ومن اراد فتنته
رجع الى كفره فلعنهم عيسى فباتوا ليلتهم ثم اصبحوا خنازير ينظر الناس اليهم الذكر ذكرا والانثى انثى ويلعنونهم
فلبثوا كذلك ثلثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولا طعموا ولا شربوا • وقال بعضهم لما دعا عيسى ربه ان ينزل عليهم
مائدة من السماء اقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين ايديهم فاكل
منها آخرهم كما اكل اولهم • وقال الكلبي دعا عيسى عليه السلام شمعون الصفا وكان افضل الحواريين فقال
هل معك طعام قال نعم معي سمكتان وستة ارغفة قال علي بها فقطعها عيسى قطعا صغارا ثم قال اقعدوا رفقة
رفقة كل رفقة عشرة ثم قام عيسى فدعا الله فاستجاب له وانزل فيها البركة فصارت خبزا صحاحا وسمكا صحاحا
ثم قال كلوا بسم الله فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فاكلوا كلهم وفضل شيء كثير وكان الناس خمسة الاف
ونيفا فقال الناس جميعا نشهد انك عبد الله ورسوله ثم سألوه مرة اخرى فدعا عيسى فانزل الله خبزا وسمكا خمسة
ارغفة وسمكتين فصنعوا بها ما صنعوا بالمرة الاولى فلما رجعوا الى بيوتهم ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهد
ذلك وقالوا لهم انما سحر اعينكم فمنهم من ثبته الله تعالى على بصيرته ومنهم من رجع الى كفره فمسخوا خنازير • وعن
سلمان الفارسي رضي الله عنه قال لما ان سأل الحواريون عيسى ان ينزل عليهم مائدة لبس صوفا وبكى وقال
اللهم انزل علينا مائدة من السماء وارزقنا عليها طعاما ناكله وانت خير الرازقين فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين
غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها منقضة تهوي حتى نزلت بين ايديهم فبكى عيسى وصلى وقال
اللهم اجعلني من الشاكرين واليهود ينظرون اليها لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا اطيب من ريحه فقام عيسى
فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيرا وكشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين • فاذا هي سمكة مشوية
ليس عليها فلوسها ولا شوك فيها تسيل سيلا من الدسم وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول
ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الآخر عسل وعلى الثالث بيض وعلى الرابع جبن
وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا هذا ام من طعام الآخرة فقال ليس من طعام الدنيا
ولا من طعام الآخرة ولكنه شيء انشاه الله تعالى بقدرته العالية كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله فقالوا يا
رسول الله لو اريتنا آية اخرى فقال عيسى عليه السلام يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت السمكة وعليها
فلوسها وشوكها ففزعوا من ذلك فقال ما لكم تسألون اشياء فاذا اعطيتموها كرهتموها ما اخوفني عليكم ان تعذبوا
يا سمكة عودي كما كنت باذن الله تعالى فعادت مشوية كما كانت فقالوا يا روح الله كن انت اول من ياكل منها ثم
ناكل نحن فقال معاذ الله ان آكل منها ولكن ياكل منها من سألها فخافوا ان ياكلوا منها فدعا عيسى اهل الفاقة
والمرضى واهل البرص والجذام والمقعدين والمبتلين فقال لهم كلوا من رزق الله لكم الهنيء ولغيركم البلاء فاكلوا
منها فصدر عنها الف وثلثمائة من رجل وامرأة فقير وزمن وابرص ومبتلى كلهم شبعان يتجشأ ثم نظر عيسى الى السمكة
فاذا هي كهيئتها وطارت الملائكة بالمائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت عنهم فلم ياكل يومئذ منهم زمن الا صح
ولا مريض الا برئ ولا مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم من لم ياكل منها من الحواريين
وكانت اذا نزلت اجتمع الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها • فلما رأى
ذلك عيسى جعلها نوبة بينهم فلبثت اربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبة ياكلون منها حتى اذا فاء الفيء

طارت صعدا وهم ينظرون وكانت تنزل يوما ولا تنزل يوما يعني كانت تنزل غبا كناقة صالح عليه السلام فاوحى
الله الى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا
الناس فيها وقالوا اترون ان المائدة نزلت من السماء فقال عيسى هلكتم بعذاب الله تعالى فاوحى الله اليه اني شرطت
على المكذبين شرطا اني معذب من كفر بها منهم عذابا لا اعذبه احدا من العالمين • فقال عيسى ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ الله منهم ثلثمائة وثلثة وثلثين رجلا
باتوا من ليلتهم على فرشهم مع نسائهم في ديارهم فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون
العذرة فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكى على الممسوخين اهلوهم فلما ابصرت الخنازير
عيسى بكت وجعلت تطيف بعيسى وجعل عيسى يدعوهم باسمائهم واحدا واحدا فيبكون ويشيرون برؤسهم ولا
يقدرون على الكلام فعاشوا ثلثة ايام وهلكوا قوله عز وجل واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله معطوف على قوله اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك
ويجوز ان تكون عائدا على ما تقدم من قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل كانه قال اذ يقول الله يوم القيمة وفي آخر
السورة ما يدل على هذا وهو قوله تعالى قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وذكر اللفظ على صيغة الماضي لتحقق
امر كانه قد وقع وشوهد ونظيره ونادى اصحاب الجنة وقوله وقال الشيطان لما قضي الامر اي سيقول وقال
السدي وقطرب ان الله تعالى قال لعيسى عليه السلام هذا القول حين رفعه واحتجا بقوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم ولا خلاف ان الله لا يغفر لمن مات على شركه وانما معنى الآية فان تغفر لهم بتوبتهم • وقال اكثر
المفسرين انما يقول له هذه المقالة يوم القيمة بدليل ما ذكرنا من قوله يوم يجمع الله الرسل ويوم ينفع الصادقين
صدقهم فان قالوا ان اذ للماضي قلنا وقد تكون بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت اي اذا فزعوا •
قوله تعالى أأنت قلت للناس يعني انت قلت لهم في الدنيا اتخذوني وامي الهين من دون الله فان قيل ما وجه سؤال
الله تعالى لعيسى مع علمه بانه لم يقل ذلك قلنا ذلك توبيخ لقوم عيسى وتحذير لهم عن هذه المقالة وقيل اراد الله بذلك ان
يقر عيسى بالعبودية على نفسه فيظهر منه تكذيبهم وانه لم يأمرهم بذلك حجة عليهم قال ابو روق وميسرة اذا قال الله لعيسى
عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من كل شعرة من جسده عين
من الدم ثم يقول عيسى مجيبا لله عز وجل سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق اي تنزيها لك يارب
ما ينبغي لي ان ادعي شيئا ليس بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما عندي وما في ضميري وما كان مني في الدنيا
ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب لا يعلم الغيب احد غيرك وقيل معناه تعلم ما اريد ولا اعلم
ما تريد انك انت علام الغيوب اي ما كان وما يكون وانما ذكر النفس في قوله ولا اعلم ما في نفسك تعالى من وجه الكلام
لان الغيب من الله في حكم الضمير من الآدميين والنفس في كلام العرب على ضروب تذكر ويراد بها ذات الشيء كما يقال جاءني
زيد نفسه اي ذاته وقيل فلان نفسه واهلك فلان نفسه ويراد بذلك الذات بكمالها وتذكر ويراد بها الروح كما
يقال خرجت نفس فلان اي روحه وتذكر ويراد بها ما في القلب كما يقال اضمر فلان في نفسه كذا وكذا فاذا احتمل اللفظ
هذه الوجوه كلها وجب حمل الآية على اصح الوجوه لقيام الدلالة على وجوب تنزيه صفات الله تعالى عما لا يجوز
ولو كانت النفس لا تستعمل الا في امر كان يجب في قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها ان يقال ان للنفس
نفسا فاذا بطل ذلك صح ان المراد به الجملة والذات كانه قال يوم ياتي كل احد يجادل عن نفسه فكان المراد بقوله
ولا اعلم ما في نفسك جملة الامر وحقيقته ما عند الله تعالى فان قيل ليس في النصارى من اتخذ مريم الها فما معنى هذا
القول قيل انه لم تكن فيهم من يقول هذا القول اليوم فلابد ان يكون فيهم من قال ذلك لان هذه الآية نزلت
على انهم قد قالوا ذلك والتصديق لكتاب الله تعالى وجب من التصديق لنقل ناقل قوله عز وجل ما قلت لهم
الا ما امرتني به اي ما قلت لهم شيئا الا القول الذي امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم اي وحدوه

وأطيعوه ﴿وكنت عليهم شهيدا﴾ بالبلاغ ﴿ما دمت فيهم﴾ مقيما بين أظهرهم في الدنيا قوله تعالى ﴿فلما توفيتني
كنت أنت الرقيب عليهم﴾ معناه فلما قبضتني إليك من بينهم ورفعتني إلى السماء كنت أنت الحفيظ عليهم
﴿وأنت على كل شيء﴾ من مقالتي ومقالتهم مطلع عالم شاهد • وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى قوله فلما توفيتني
وقالوا إن عيسى ليس بحي في السماء الآن بل هو ميت ولا يشهد ويحتمل أن الله تعالى أماته ثم أحياه ورفعه إلى
السماء • وقال الحسن الوفاة في كتاب الله على ثلاثة أوجه وفاة الموت كقوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها
ووفاة النوم كقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار أي ينيمكم • ووفاة الرفع كقوله تعالى
يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي قوله تعالى ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾ قرأ الحسن عبادك قيل معناه أي إن تعذب
الذين أقاموا على الكفر فإنهم عبادك وإن تغفر للذين أسلموا وتابوا فإنك أنت العزيز الحكيم لأنه قال أأنت قلت للناس
وما قلت لهم وفيهم المسلمون والمشركون فقوله إن تعذبهم راجع إلى الكافرين وقوله وإن تغفر لهم راجع إلى المؤمنين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الآية إن تعذبهم على هذه المقالة التي اخترعوها فإنهم عبادك وإن يتوبوا
تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم أي المنيع في ملكك لا يمنعك أحد مما تريد الحكيم في أمرك • فإن قيل ظاهر
الآية يقتضي سؤال المغفرة للكفار والله لا يغفر أن يشرك به فما معنى هذا السؤال قيل يحتمل أنه لم يكن في كتابه أن
الله لا يغفر أن يشرك به ويحتمل أن يكون معناه أن تغفر لهم كذبهم الذي قالوا علي • وقيل إن عيسى علم أن منهم
من آمن ومنهم من أقام على الكفر فكأنه قال إن تعذب الكفار منهم فإنهم عبادك وأنت القادر عليهم وإن تغفر لمن
آمن منهم فذلك بفضل منك لأنه كان لك أن لا تفعل ذلك بهم لعظم فريتهم عليك • وكان هذا القول من عيسى عليه السلام
على وجه الخضوع والانقياد والاستسلام على معنى إنك أنت المالك والقادر على كل شيء فلذلك قال فإنك أنت
العزيز الحكيم • ولو كان قال فإنك أنت الغفور الرحيم لأوهم الدعاء بطلب المغفرة والرحمة • وروي أنه لما نزلت هذه
الآية أحيى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته بها وكان بها يقوم وبها يقعد وبها يسجد ثم قال أمتي أمتي يا رب فنزل
عليه جبريل فقال الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك إنا سنرضيك في أمتك قوله عز وجل ﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم﴾ من قرأ يوم بالرفع فمعناه قال الله لعيسى عليه السلام هذا يوم ينفع النبيين صدقهم بتبليغ الرسالة و
إيمانهم الذي هو صدق في الدنيا والآخرة ولا ينفع الكفار صدقهم في الآخرة • وقرأ الأعمش هذا يوم بالتنوين قوله
تعالى ﴿لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ أي بساتين تجري من تحت شجرها الأنهار ﴿خالدين فيها أبدا
رضي الله عنهم﴾ بإيمانهم وطاعتهم ﴿ورضوا عنه﴾ بما أثابهم أي بما أكرمهم به من الثواب ﴿ذلك الفوز العظيم﴾
أي ذلك الثواب والخلود في الجنة النجاة الوافرة وحقيقة الفوز نيل المراد قوله عز وجل ﴿لله ملك السموات والأرض
وما فيهن﴾ أي لله خزائن السموات والأرض وما فيهن من الخلق يعطي من يشاء ما يشاء ويغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
﴿وهو على كل شيء قدير﴾ مما يريد بعباده من المغفرة والعذاب قادر والغرض من هذه الآية نفي الربوبية عن عيسى
عليه السلام وبيان أن الله تعالى هو المستحق للعبادة دون غيره فإنه هو القادر على كل شيء من الجزاء ترغيبا في
الطاعة وتحذيرا عن المعصية • وعن أبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة
المائدة أعطي من الأجر بعدد كل يهودي ونصراني تنفس في الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات

سورة الأنعام

مائتي عشر ألف حرف وأربعمائة واثنان وعشرون حرفا وثلاثة آلاف واثنان وخمسون
كلمة ومائة وخمس وستون آية كلها احتجاج على المشركين وكلها مكية غير ست آيات منها فإنها مدنيات • وما قدروا
الله حق قدره إلى آخر الآيات • وقوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم إلى قوله لعلكم تتقون • وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمكة ليلة نزلت هذه السورة ثم شيعها سبعون ألف ملك قائدهم جبريل عليه السلام قد سدوا ما بين الخافقين
لهم زجل بالتسبيح والتحميد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتبوها في ليلتهم قال جبريل يا محمد من قرأها
من أمتك إيمانا واحتسابا صلى عليه السبعون ألف ملك الذين شيعوها الكتاب بعدد كل آية منها يوما وليلة

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله عليه وسلم ساجدا شكرا لله تعالى

قوله تعالى ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض﴾ قال كعب الأحبار أول مفتاح التوراة الحمد لله
الذي خلق السموات والأرض وخاتمتها خاتمة سورة هود ولله غيب السموات والأرض • وقال مقاتل قال المشركون
للنبي صلى الله عليه وسلم من ربك قال الذي خلق السموات والأرض فكذبوه فأنزل الله حامدا نفسه دالا على
توحيده الحمد لله الذي خلق السموات والأرض أي خلق السموات وما فيها من الشمس والقمر والنجوم والأرض وما فيها من
البر والبحر والسهل والجبل والنبات والشجر خلق السموات وما فيها في يومين يوم الأحد ويوم الاثنين وخلق الأرض
وما فيها في يومين يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء قوله تعالى ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ قال السدي ظلمة الليل
ونور النهار • وقال الواقدي كل ما في القرآن من الظلمات والنور فهو الكفر والإيمان إلا في هذه الآية فإنه يريد
الليل والنهار • وقال قتادة يعني الجنة والنار • وقال الحسن يعني الكفر والإيمان • وقيل خلق الليل والنهار
لمصالح العباد يستريحون بالليل ويتصرفون في معايشهم بالنهار وإنما جمع الظلمات ووحد النور لأن النور يتعدى
والظلمة لا تتعدى • وقال أهل المعاني جعل هاهنا صلة والعرب تزيد جعل في الكلام كقول الشاعر
وقد جعلت أرى الاثنين أربعة • والواحد اثنين لما هدني الكبر • وتقدير الآية الحمد لله الذي خلق السموات والأرض
والظلمات والنور • وقيل معناه خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور لأنه خلق الظلمة والنور قبل السموات
والأرض • وقال قتادة خلق السموات قبل الأرض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار • وقال وهب أول ما
خلق الله مكانا مظلما ثم خلق جوهرة فأضاءت ذلك المكان ثم نظر إلى الجوهرة نظر الهيبة فصارت ماء فارتفع بخارها
وزبدها فخلق من البخار السموات ومن الزبد الأرضين قوله عز وجل ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾
ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون الأوثان أي يشركون وقيل حتى يعدلون أي يجعلون لله عدلا
ويعبدون الحجارة والأموات وهم يقرون بأن الله خلق هذه الأشياء فإن الأصنام لا تفعل شيئا من ذلك قوله تعالى
﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا﴾ معناه خلقكم من آدم عليه السلام فأخرج الخطاب لهم إذ هم ولده
قال السدي لما أراد الله خلق آدم بعث جبريل إلى الأرض ليأتيه بطائفة منها فاستعاذت الأرض بالله أن ينقص
مني فرجع ولم يأخذ فبعث الله ميكائيل فاستعاذت فبعث الله ملك الموت فاستعاذت بالله منه فقال وأنا أعوذ
بالله أن أخالف أمره فأخذ من وجه الأرض فخلط السوداء والبيضاء والحمراء فلذلك اختلفت ألوان بني آدم ثم عجنها
بالماء العذب والملح والمر فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم قال الله لملك الموت رحم جبريل وميكائيل الأرض ولم ترحمها لا جرم
أجعل أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك • وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تعالى
خلق آدم من تراب وجعله طينا ثم تركه حتى كان حمأ مسنونا ثم خلقه وصوره ثم تركه حتى إذا كان صلصالا كالفخار
مر به إبليس لعنه الله فقال لقد خلقت لأمر عظيم ثم نفخ الله فيه الروح قوله تعالى ﴿ثم قضى أجلا﴾ أي خلقكم من آدم عليه
السلام ثم قضى أجلا أي جعل لحياتكم وقتا تحيون فيه وهو مدة كل واحد منكم من يولد إلى أن يموت و قوله تعالى
﴿وأجل مسمى عنده﴾ أي مدة انقضاء الدنيا إلى أن تقوم الساعة ولا يعلم وقت قيامها إلا الله • وقال مجاهد
وابن جبير ثم قضى أجلا يعني أجل الدنيا وأجلا مسمى عنده وهو الآخرة قوله تعالى ﴿ثم أنتم تمترون﴾ أي ثم أنتم بعد
هذا البيان تشكون في موضع ليس هو موضع الشك والمرية هي الشك المختلف للشبهة أصلها من مريت الناقة
إذا مسحت ضرعها لتدر للحلب قوله عز وجل ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم﴾
معناه هو الله المعبود المتفرد بالتدبير في السموات والأرض العالم بما يصلحها وبما يحدث فيهما يعلم ضمائركم وما تبدون من أعمالكم
وعلانية أمركم ﴿ويعلم ما تكسبون﴾ أي ما تعملون من خير أو شر • وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى قوله ويعلم ما تكسبون وكل الله به أربعين
ملكا يكتبون له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد فإذا أراد الشيطان

ان يوسف بن لهو ضربه ضربة كان بينه وبينه سبعون رجاء فاذا كان يوم القيمة يقول الله تعالى امش في ظلي فقد كنت
تمشي في حاجتي واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل فانت عندي وما ربك قوله تعالى وما تأتيهم من
آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين اي ما يأتي كفار مكة من دلائل التوحيد والنبوة مثل انشقاق القمر
وانشقاق القمر والدخان الا كانوا عن هذه الآيات والعلامات معرضين مكذبين تاركين لها قوله عز وجل فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اي فقد كذبت اهل مكة بمحمد صلى الله عليه
وسلم والقرآن وبما رأوا من انشقاق القمر بمكة كما روي عن ابن مسعود ان القمر انفلق فلقتين حتى رأوا حراء بين
فلقتي القمر فرقة هنا فلقة وفرقة فلقة وقوله تعالى فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون هذا وعيد
لهم اي سيعلمون ما يؤول اليه عاقبة استهزائهم بالرسل والكتب والآيات التي كانت تأتيهم فقتلهم الله يوم بدر بالسيف
وما يأتيهم خبر استهزائهم حين يرون العذاب معاينة والنبأ عبارة عن الخبر الذي له عظم وشأن قوله عز وجل الم
يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي الم تعلم اهل مكة كم اهلكنا قبلهم من قرن يكونهم مثل قوم نوح وعاد
وثمود مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وامهلناهم في العمر والولد ودفع الموانع ما لم نمهل لكم وارسلنا السماء عليهم
مدرارا اي وانزلنا عليهم المطر دارا دائما يتبع بعضه بعضا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم تحت اشجارهم
وبساتينهم فلم يشكروا وعصوا ربهم وكذبوا رسلهم فاهلكناهم بذنوبهم بكفرهم وتكذيبهم وانشأنا من بعدهم
قوما آخرين فسكنوا ديارهم ثم بعث اليهم الرسل فلم يأخذ بملة الرسل ومنهاجهم اهلكهم والقرن في قول
اكثر المفسرين اهل عصر واحد سموا قرنا لاقترانهم في وقت واحد ويقال هو اهل كل عصر فيهم نبي او عالم
بالنبوة والعلم كما قال صلى الله عليه وسلم خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم واراد بالقرن الاول
الصحابة وبالثاني التابعين وبالثالث تابع التابعين. واختلفوا في مدة القرن قال بعضهم ثمانون سنة وقيل
مائة سنة وبين القرنين ثماني عشرة سنة قوله عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم قال
ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن امية المخزومي قال يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه
اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله وانك رسوله. وقال مقاتل والكلبي نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله
بن امية ونوفل بن خويلد قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من
الملائكة يشهدون انه من عند الله وانك رسوله فانزل الله تعالى هذه الآية ومعناها ولو نزلنا عليك كتابا في
صحيفة وعلقناه بين السماء والارض ينظرون اليه ويعاينونه ويلمسونه بايديهم لقال كفار مكة بعد معاينة
ذلك ان هذا الا سحر مبين كما قالوا في انشقاق القمر سحر مستمر. وفي الآية بيان انهم كانوا معاندين مصرين
على التكذيب قوله عز وجل وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون اي
قالوا لولا انزل على محمد ملك نشاهده ونعاينه يخبرنا بانه نبي يقول الله تعالى ولو انزلنا ملكا كما سألوه ولم يؤمنوا
لعذبناهم بعذاب الاستئصال ثم لا ينظرون اي لا يؤجلون ولا يمهلون بعد نزول الآيات المقترحة نحو ما
ذكر الله تعالى في قصة قوم صالح وغيرهم. وقال الضحاك معناه لو اتاهم ملك في صورته لماتوا قوله تعالى ولو
جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون اي لو ارسلنا اليهم رسولا لارسلناه في صورة
الانسان لانهم لا يستطيعون النظر الى الملائكة لان ذلك يؤدي الى هلاكهم وليكون الشكل الى الشكل اميل وبه آنس
والى الفهم عنه اقرب والى القبول منه اسرع ولو نظر ناظر الى الملك على هيئته لصعق وقد كانت الملائكة تأتي
الانبياء في صورة الانسان من ذلك ان جبريل عليه السلام كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية
الكلبي وجاءت الملائكة الى ابراهيم عليه السلام في صورة الضيفان وجاء الملكان الى داود عليه السلام في صورة رجلين
يختصمان اليه فذلك قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لو انزلنا عليهم ملكا لجعلنا الملك ذلك الملك
في صورة الرجل ايضا قوله تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون اي لخلطنا وشبهنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حتى

يشكوا

يشكوا فلا يدرون انه ملك ام رجل وهذا لانهم انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعدما عرفوه بالصدق والامانة
ثم لبسوا على انفسهم وعلى ضعفائهم فقالوا انما هو بشر فلو نزل ملك على صورة رجل لبسوا على انفسهم ايضا ولم
يقبلوا منه وقالوا انه في مثل صورتنا قوله عز وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك اي استهزأت الامم الماضية
بانبيائهم كما استهزأ بك يا محمد قومك فحاق بهم اي نزل بهم وحل بالمستهزئين من الكفار عقوبة استهزائهم بالكتاب والرسل
عليهم الصلوة والسلام. قال الضحاك كان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد الحرام مع جماعة من المستضعفين
بلال وصهيب وعمار وغيرهم فمر بهم ابو جهل في ملأ من قريش فقال لو زعم محمد ان هؤلاء ملوك الجنة فانزل الله تعالى
هذه الآية ليثبت فؤاده ويصبره على اذى المشركين اي ان سخر اهل مكة من اصحابك فقد فعل ذلك الجهلة برسلهم
قبلك والحيق في اللغة ما اشتمل على الانسان من المكروه بفعله ومنه قوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله واما
الاستهزاء فهو ايهام التفخيم بمعنى التحقير قوله عز وجل قل سيروا في الارض ثم انظروا بابصاركم وتأملوا بعقولكم
كيف صار آخر امر المكذبين بالرسل والكتب مثل عاد وثمود وغيرهم الذين عذبهم الله بعذاب الاستئصال فكانت آثار
ديارهم باقية قريبة من مكة. وقال الحسن يعني سيروا في الارض اي اقرؤوا القرآن فان من قرأه وتفكر فيه فكانه سار
في الارض قوله تعالى قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة اي قل يا محمد لكفار مكة
لمن ملك السموات والارض فان اجابوك والا فقالوا الله ولا تقل الله اذ هم يعلمون ويعترفون ان الاصنام لا تملك خلق شيء
وانما الله يملك ذلك وقوله تعالى كتب على نفسه الرحمة اي اوجب على نفسه الرحمة فضلا وكرما وقيل معناه اوجب
على نفسه الثواب لمن اطاعه وقيل اوجب على نفسه الرحمة بامهال من عصاه ليستدرك ذلك بالتوبة ولم يعاجله
بالعقوبة وهذا استعطاف من الله عز وجل للمتولين عنه الى الاقبال واخبار بانه رحيم بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة
ويقبل منهم الانابة والتوبة. وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق
الله الخلق كتب فوق العرش رحمتي سبقت غضبي وقال عمر رضي الله عنه لكعب الاحبار ما اول شيء ابتدأ الله به
فقال كعب كتب كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابة الزبرجد واللؤلؤ والياقوت اني انا الله لا اله الا انا
سبقت رحمتي غضبي. وفي الخبر ان لله تعالى مائة رحمة كلها ملء السماء والارض فاهبط الله منها رحمة واحدة
الى اهل الدنيا فبها يتراحمون وبها يتعاطفون وبها يتراحم الجن والانس وطير السماء وحيتان الماء وبها تتراحم الوحوش ودواب
الارض وهوامها واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيمة قوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيمة
لا ريب فيه بدل من الرحمة وتفسير لها فكانه قال ليجمعن بين المؤمن والكافر في الرزق والنعمة والدولة الى يوم القيمة
لا شك فيه عند المؤمنين انه حق كائن ثم تكون العاقبة بعد البعث للمؤمنين قوله تعالى الذين خسروا انفسهم
فهم لا يؤمنون ابتداء كلام وجوابه فهم لا يؤمنون لان الذين في موضع شرط فتقدير الآية للذين غبنوا
انفسهم واهليهم ومنازلهم وخدمهم في الجنة في سابق علم الله لا يؤمنون اي لا يصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن. وذهب بعضهم الى ان قوله ليجمعنكم كلام مستأنف على وجه القسم والذين بدل من الكاف والميم في ليجمعنكم
كانه قال ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا انفسهم الى هذا اليوم الذي يجحدونه ويكفرون به ويحتمل ان يكون
قوله الذين خسروا انفسهم الى المكذبين كانه قال عاقبة المكذبين الذين خسروا انفسهم قوله عز وجل وله ما
سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قال ابن عباس وذلك ان كفار مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا يا محمد قد علمنا انه ما يحملك على ما تدعونا اليه الا الحاجة فنحن نجعل لك من اموالنا حتى تكون اغنانا
رجلا وترجع عما انت عليه فانزل الله هذه الآية ومعناها ولله ملك ما استقر في الليل والنهار من الخلائق
كلهم وهذا اللفظ يشتمل على جميع المخلوقات لان من الحيوانات ما ينتشر في النهار ويسكن الليل ومنها ما ينتشر في
الليل ويسكن بالنهار. وقال محمد بن جرير كلما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار
والمراد جميع ما في الارض لانه لا شيء من خلق الله الا وهو ساكن في الليل والنهار. وقال اهل المعاني في الآية اضمار

تقديره وله ما سكن وتحرك في الليل والنهار فان قيل فلم قال وله ما سكن ولم يقل وله ما تحرك قيل لان الساكن
من الاشيا اعم لانه ما من متحرك الا ويسكن وفي الاشيا الساكنة ما لا يتحرك البتة قوله تعالى وهو السميع العليم معناه
السميع لمقالة الكفار العليم بهم وبعقوبتهم ويقال هو السميع للاصوات والعليم بالاشيا والارزاق قوله
عز وجل قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض أي قل لهم يا محمد أسوى الله أتخذ ربا وأحدا
ناصرا قوله تعالى فاطر السموات والارض اي خالقهما ومبتدئهما ومبتدعهما قال ابن عباس ما كنت ادري ما فاطر السموات
والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما لصاحبه انا فطرتها اي ابتدأتها اي ابتدأت حفرها قوله
عز وجل وهو يطعم ولا يطعم اي يرزق ولا يرزق ولا يعاون على الرزق وقرأ الاعمش ولا يطعم بفتح اليا اي
يرزق ولا يأكل اي لا يجوز عليه الحاجة قوله تعالى فاطر السموات والارض خفض لانه نعت لاسم الله تعالى ويجوز
نصبه على معنى اعني فاطر السموات والارض ويجوز رفعه على اضمار هو قوله تعالى قل إني أمرت أن أكون أول من
أسلم اي قل لهم يا محمد اني امرت ان اكون اول من اخلص لله بالتوحيد والعبادة من اهل هذا الزمان قوله تعالى
ولا تكونن من المشركين لا يجوز ان يكون عطفا على قوله قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لانه غير مامور
بان يقول ولا تكونن من المشركين وانما هو نهي معطوف على امر من حيث المعنى دون اللفظ لان معنى الآية قيل لي
كن اول من اسلم ولا تكونن من المشركين قوله عز وجل قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم اي
قل يا محمد اني اعلم اني ان عصيت ربي وعبدت غيره ان ينزل بي عذاب يوم عظيم شأنه وهو يوم القيمة قوله
تعالى من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه اي من يصرف الله عنه العذاب العظيم يوم القيمة فقد رحمه وذلك
وذلك الفوز المبين اي النجاة الوافرة الظاهرة قرأ اهل الكوفة الا حفصا يصرف بفتح اليا وكسر الرا وضمير
ما ذكرناه وقرأ الباقون يصرف على ما لم يسم فاعله اي من يصرف عنه العذاب بامر الله فقد سبقت رحمة الله
له بايجاب الثواب قوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو معناه ان يصبك الله بفقر
او مرض او بلاء فلا يقدر احد من الاصنام وغيرها على كشفه لك الضر الا الله وانما اطلق هذا اللفظ وان
كان يتصور ان يكشف الانسان عن صاحبه كربة من الكرب لان كاشف الضر في الحقيقة هو الله اما ان يكشفه
بفضله او بسببه قوله تعالى وإن يمسسك بخير اي بغنا وسعة في الرزق وصحة في الجسم فلا مزيل لها الا
هو الا انه لم يقل فلا مزيل لها الا هو لانه لما ذكر هذا في الضر دل على ذلك في الخير واستغنى عن اعادته وانما
قال يمسسك مع ان كون المس من صفة الاجسام لان المعنى يمسك الله تعالى الضر قوله تعالى فهو على كل شيء
قدير اي لا يقدر احد ان يمانعه من فعل ما اراد فعله من كشف ضر او غيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه وهو راكب على بغلة فلما صار مليا التفت الي وقال لي
يا غلام قلت لبيك يا رسول الله قال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك
في الشدة واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله وقد مضى القلم بما هو كائن ولو جهد الخلائق
ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا على ذلك ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتبه الله عليك لما قدروا عليه
واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب الفرج وان مع العسر يسرا قوله عز وجل وهو القاهر فوق عباده اي
هو الغالب على امر عباده والقهر هو الاستعلاء بالاقتدار على الغلبة واراد بقوله فوق انهم تحت التسخير والتذليل
بما علاهم من الاقتدار عليهم لا ينفك احد منهم قوله تعالى وهو الحكيم الخبير اي الحكيم لصنعه والخبير
باعمال الخلائق قوله تعالى قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم قال ابن عباس وذلك ان
رؤسا مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اما وجد الله رسولا يرسله غيرك ما نرى احدا
يصدقك بما تقول ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة ولا نعت فارنا
من يشهد انك رسول الله كما تزعم فانزل الله هذه الآية ومعناها قل لهم يا محمد اي احد اعظم واعدل

برهانا وحجة فان اجابوك وقالوا الله والا فقل الله اكبر شهادة من خلقه وهو شهيد بيني وبينكم باني رسوله وان
هذا القرآن كلامه والشاهد هو المبين للدعوى وقد بين الله تعالى دعوى رسوله بالبراهين والمعجزات والآيات الدالة
على توحيد الله ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ معناه
انزل علي هذا القرآن لاخوفكم به بما فيه من الدلائل واخبار الامم السالفة والانباء بما سيكون والتأليف الذي عجز عنه
العرب قوله تعالى ومن بلغ اي وانذر من بلغه القرآن سواكم من العجم وغيرهم من الجن والانس الى ان تقوم الساعة
لانه ليس بعد القرآن كتاب ولا من بعد محمد رسول قوله تعالى أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى
قل لا أشهد بما تشهدون به وانما قال اخرى ولم يقل اخر لان الجمع يذكر بلفظ وحدان التأنيث كما قال تعالى قالت
الاعراب ومثله كثير قوله تعالى إنما هو إله واحد لا شريك له ولا ولد وإنني بريء مما تشركون به من الاصنام
والاوثان قوله عز وجل الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم اي الذين اعطيناهم التورية
والانجيل يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم بما يجدونه مكتوبا عندهم من صفته ونعته كما يعرفون ابناءهم اذا رأوهم
بين الغلمان كما روي في الخبر ان عمر رضي الله عنه قال لعبد الله بن سلام يا ابا حمزة اتعرف محمدا صلى الله عليه وسلم
كما تعرف ابنك قال يا عمر ان معرفتي به اشد من معرفتي بابني لان امين السماء جبريل قد جا بنعته الى امين الارض وهو عيسى
عليه السلام فقال عمر وكيف ذلك فقال اشهد انه رسول الله حق من الله تعالى وقد نعته الله في كتابنا فنعرفه واما
ابني فلا ادري ما احدث النساء بعدي فقال عمر رضي الله عنه وفقك الله يا ابن سلام قوله تعالى الذين خسروا
أنفسهم فهم لا يؤمنون ابتداء كلام معناه الذين غبنوا انفسهم بذهاب الدنيا والآخرة عنهم وهم المعاندون
الذين لا يؤمنون ويجحدون من رؤسا اليهود والنصارى بانهم لا يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن قوله
عز وجل ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته معناه اي احد اظلم في فاحشته ممن اختلق
على الله كذبا باضافته اليه ما لم يصفه الى نفسه من صفة او امر او قول وهم الذين اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها اباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء قوله تعالى أو كذب بآياته اي بدلايله إنه لا يفلح الظالمون
اي لا يأمن من عذاب الله ولا يصل الى مراده وبغيته القوم الكافرون قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا اي واذكر
يوم نبعث الكفار والهتهم جميعا للحساب والجزاء وقال بعضهم الواو عاطفة على قوله لا يفلح الظالمون كانه قال لا يفلحون
في الدنيا ويوم نحشرهم والحشر جمع الناس الى موضع معلوم قوله تعالى ثم نقول للذين أشركوا معناه ثم نقول للذين اشركوا
بالله غيره أين آلهتكم التي كنتم تعبدون من دون الله وتزعمون انهم شركا الله وشفعاؤكم قوله تعالى ثم لم
تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين اي ثم لم يكن معذرتهم يوم القيمة الا مقالتهم والله ربنا
ما كنا مشركين في دار الدنيا وانما سميت المعذرة فتنة لانها عين الفتنة ومن قرأ فتنتهم بالنصب فعلى خبر لم تكن واسمها
ان قالوا ومن قرأ ربنا بالنصب فمعناه النداء وقرأ الخفض على البدل ويجوز الرفع على اضمار هو وقيل المراد بالفتنة
محبتهم للاوثان التي كانوا مفتتنين بها في الدنيا فاعلم الله تعالى انه لم يكن افتتانهم بشركهم واقامتهم عليه الا ان تبرؤا منها
وانتفوا عنه فحلفوا انهم ما كانوا مشركين قوله عز وجل انظر كيف كذبوا على أنفسهم اي انظر يا محمد كيف صاروا
الكذب عليهم وضل عنهم اي غاب عنهم افتراؤهم بما الحقهم من الدهش والدهشة قال الضحاك وذلك حين
نطقت الجوارح وشهدت عليهم ايديهم وارجلهم بعد حلفهم والله ربنا ما كنا مشركين يقول الله انظر كيف كذبوا
على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة
أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا قال ابن عباس وذلك ان ابا سفيان والوليد بن المغيرة وعتبة وشيبة والنضر
بن الحارث وابي بن خلف وجماعة من اهل مكة كانوا يستمعون الى حديث النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول
محمد قال لا ادري ما يقول الا اني اراه يحرك شفتيه ويتكلم بشيء وما يقول الا اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم
عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الاولين واخبارهم فانزل الله هذه الآية ومعناها

ومن أهل مكة من يستمع إلى حديثك وقراءتك وجعلنا على قلوبهم أغطية كراهة أن يفقهوه وفي آذانهم ثقلاً وصمماً فلا
يسمعون الهدى وموضع أن يفقهوه نصب على أنه مفعول له أي جعلنا على قلوبهم أكنة لكراهة أن يفقهوه والوقر
بفتح الواو الثقل في الأذن والوقر بكسر الواو ما يحمل على الظهر قوله تعالى وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها أي وإن
يروا كل حجة ودلالة لا يقروا بها ولا يصدقوا بها وقوله تعالى حتى إذا جاؤوك يجادلونك أي يخاصمونك بالباطل
يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين أي يقول النضر بن الحرث وأصحابه ما هذا الذي يقول محمد
إلا أحاديث الأولين وأباطيلهم قوله عز وجل وهم ينهون عنه وينأون عنه وقال مقاتل نزلت في أبي طالب
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون سوءاً بالنبي صلى الله عليه وسلم

فقال أبو طالب • والله لن يصلوا إليك بجمعهم • حتى أوسد في التراب دفينا •
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة • وابشر وقر بذاك منك عيونا • ودعوتني وزعمت أنك ناصحي • فلقد صدقت وكنت ثم أمينا •
وعرضت ديناً لا محالة أنه • من خير أديان البرية دينا • لولا الملامة أو حذار مسبة • لوجدتني سمحاً بذاك مبينا •

فأنزل الله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه أي ينهون الناس عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينأون عنه أي
يتباعدون عما جاءهم به من الهدى ولا يصدقونه • وقال السدي والضحاك نزلت الآية في جميع كفار مكة يعني وهم ينهون
الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان ويتباعدون بأنفسهم عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون
أي ما يهلكون إلا أنفسهم قوله عز وجل ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا أي لو ترى
يا محمد كفار قريش إذ حبسوا على النار إذا عاينوها وقيل أدخلوها وعرفوا عذابها فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات
ربنا يتمنون الرجعة إلى الدنيا • وقرأ ابن السميفع ويعقوب بفتح الواو والقاف من وقفوا والقراءة الأولى ... وجواب
لو محذوف تقديره لو تراهم في تلك الحالة لرأيت عجباً وقيل لعلمت ماذا انتهى بهم من الخزي والندامة ومن شر تحسرهم لها
من خسرتهم قوله تعالى ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين قرأ حمزة ويعقوب وحفص ولا نكذب ونكون
بالنصب على جواب التمني والعرب تنصب جواب التمني بالواو كما تنصبه بالفاء كما قالوا ليتك تصير إلينا ونكرمك وقرأ الآخرون كلاهما
منهما بالرفع • وقرأ ابن عامر ولا نكذب بالرفع ونكون بالنصب لأنهم تمنوا الرد وأن يكونوا من المؤمنين وأخبروا أنهم لا يكذبون
بآيات ربهم إن ردوا إلى الدنيا ومعناه يا ليتنا نرد ويا ليتنا لا نكذب كأنهم تمنوا الرد والتوفيق والتصديق
أن يكونوا رفعاً على معنى ونحن لا نكذب بآيات ربنا رددنا أم لم نرد قوله عز وجل بل بدا لهم ما كانوا يخفون من
قبل أي بل ظهر للذين اتبعوا الغواة ما كان الغواة يخفون عنهم من أمر البعث والنشور وما كان رؤساؤهم يخفون
من سفلتهم وقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والشرك قوله تعالى وإنهم لكاذبون
يعني إنهم لكاذبون في قولهم ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين إنهم لا يؤمنون لسابق علم الله فيهم أنهم خلقوا
للنار قوله تعالى وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا أي قال كفار مكة ما حياتنا إلا الحياة الدنيا وما نحن بمبعوثين
بعد الموت قوله تعالى ولو ترى إذ وقفوا على ربهم أي لو ترى يا محمد إذ حبسوا عند ربهم للسؤال والحساب قال أليس هذا
ما وعدهم ربهم من البعث والقيامة والجنة والنار يقول الله لهم أليس هذا البعث والعذاب بالحق أي بالصدق قالوا
بلى وربنا إنه الحق أي الصدق يقول الله تعالى فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون في الدنيا وإنما قال ذلك
بعد الخلود ليبين أن حالهم في كل وقت كحال من يعذب بالعذاب المبتدأ ومعنى وقفوا على ربهم أي على حكم ربهم وقضائه
فيقول لهم الملائكة بأمر الله تعالى أليس هذا العذاب بالحق قالوا بلى وربنا إنه حق قوله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلقاء
الله أي قد غبن الذين كذبوا بالبعث بعد الموت حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة أي فجأة يدعون بالويل وقت
الندامة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها في كل ساعة قوله تعالى قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها أي على
ما قصرنا وضيعنا في الدنيا من عمل الآخرة وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم معناه أن الكفار يحملون أثقال
آثامهم إذ ثقلت ظهورهم بذنوبهم والذنب من الثقل يحمل • وقيل معنى على ما فرطنا فيها أي في الصفقة وقوله تعالى

وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم • قال السدي ليس من رجل ظالم يدخل قبره إلا أتاه رجل قبيح الوجه أسود اللون
منتن الريح عليه ثياب دنسة فإذا رآه الظالم قال له ما أقبحك فيقول كذا كان عملك في الدنيا فيكون معه في قبره فإذا
بعث يوم القيامة قال له طالما كنت أحملك على اللذات والشهوات فأنت اليوم تحملني فيركبه ويقدمه يقوده بها
إليه فيفضحه على رؤوس الخلائق حتى يدخله النار فذلك قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم قوله تعالى ألا
ساء ما يزرون أي بئس الشيء الذي يحملون من آثامهم وتقال بئس الشيء شيئاً يزرونه أي يحملونه قوله عز وجل وما
الحياة الدنيا إلا لعب ولهو معناه باطلة الحياة الدنيا وزهرتها إلا استمتاع يفنى عن قريب ثم تعقبه حسرة وندامة
ويسمى ذلك لعباً تشبيهاً بلعب الصبيان يلعبون بها ثم يجدون منه لعبهم شيء فيلهون به كذلك أهل الدنيا يجمعون ما لا
يأكلون ويبنون ما لا يسكنون ويؤملون ما لا يدركون وهذا مثل ضربه الله لكفار مكة يفعلون ما لا يرجون به
الثواب ولا يخشون منه العقاب لا يتفكرون في العاقبة كالصبيان والبهائم واللعب شغل النفس عما لا حقيقة له
ولا مقصد له واللهو طلب الفرج بمثل ذلك قوله تعالى وللدار الآخرة خير للذين يتقون يعني الجنة أفضل
للذين يتقون الشرك والكبائر والفواحش أفلا تعقلون أن الآخرة الباقية خير من الدنيا الفانية • قرأ ابن
عامر ولدار الآخرة بلام واحدة على الإضافة قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون معناه قد نعلم أنه
ليحزنك ما يقول كفار مكة من تكذيبهم إياك في العلانية وجحودهم بالله فإنهم لا يكذبونك في السر ولا يقولونهم
أي هم يعلمون أنك صادق وكيف سمي تكذيبهم لاستين قبل الرسالة فما يحزنك تكذيبهم إياك فيما يعلمون صدقك فيه ولكن
الظالمين بآيات الله يجحدون بألسنتهم ما تشهد به قلوبهم بكذبهم فيه • وقال السدي التقى الأخنس بن شريق وأبو
جهل فقال الأخنس لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس هاهنا أحد يسمع كلامنا
فقال أبو جهل والله إن محمداً لصادق وما كذب محمد قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة
والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فأنزل الله هذه الآية وقال ناجية بن كعب لا يكذبونك أي لا يقدرون أن يقولوا لك
كذبت فيما أنبأت به مما في كتب الأنبياء فيكذبونك • وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك بالتخفيف ومعناه لا يجدونك
كاذباً يقال أكذبت فلاناً بالتشديد إذا قلت له كذبت وأكذبته إذا رأيت ما أتى به كذباً • وقرأ نافع ليحزنك
بضم الياء والمعنى واحد قوله عز وجل ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا
حتى أتاهم نصرنا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ليصبر على أذى الكفار ومعناه إن الرسل قبلك كذبهم
قومهم كما كذبك قومك وأوذوا كما أوذيت فصبر الرسل على تكذيبهم وأذاهم حتى أتاهم نصرنا أي أتاهم نصرنا
بإهلاك مكذبيهم فاصبر أنت على تكذيب قومك إياك وأذاهم لك حتى يأتيك نصرنا قوله تعالى ولا مبدل
لكلمات الله أي لا مغير لما وعد الله من النصر والظفر لقوله إنا لننصر رسلنا ولقد جاءك من
نبأ المرسلين أي من خبر المرسلين فلك بهم تكون لك فيه سلوة فاعتبر بأخبارهم قوله تعالى وإن كان
كبر عليك إعراضهم أي إن كان عظم عليك وثقل عليك يا محمد إعراضهم عن القبول منك وقولهم لولا أنزل عليه
ملك وسؤالهم كل معجزة شاؤوا فإن استطعت أن تطلب سرباً في الأرض نفقاً في الأرض تدخله فتأتيهم بآية
أو تطلب سلماً يصعد بك إلى السماء فتأتيهم بآية التي سألوها فافعل وليس في القرآن فافعل لأنه قد وجد
ما يكون في الكلام دليلاً عليه مثل قول الرجل إن رأيت أن تمضي معي إلى فلان ولا يذكر فافعل وقد بين الله في هذه
الآية أنما يأتي بالآيات بما أحب وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر لا يقدر على الإتيان بها إلا بما شاء
الله وكان الله قد علم أنه لو أنزل عليهم الملائكة وكل آية سألوها لم يؤمنوا فلم ينزل إلا ما تثبت به الحجة عليهم
وتوجد والبصيرة والثبات على الإيمان بالآية قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى أي لو شاء
الله لاضطرهم إلى الإيمان كما قال تعالى إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين وقيل
معناه ولو شاء الله لا طفهم على الهدى وقيل لوفقهم وقوله تعالى فلا تكونن من الجاهلين

أي لا تكونن من الجاهلين بترك الصبر وإظهار الجزع واستشعار الغم لإعراضهم عنك فإن هذا من أفعال الجاهلين
ويقال معناه لا تكونن من الجاهلين بتعاظم ذنوبهم عليهم فإن مقدورهم عليهم لكفر قوله عز وجل إنما يستجيب
الذين يسمعون معناه إنما يجيب الذين يعقلون الحق وأما الذي لا يقبل الحق فكأنه أصم أو ميت قوله تعالى
والموتى يبعثهم الله أراد به كفار مكة سماهم موتى لأنهم لم يستدبروا ولم يتأملوا ولم ينتفعوا بحياتهم فكانوا
بمنزلة الموتى وإن كانوا في الصورة أحياء ثم إليه يرجعون في الآخرة فيجزيهم بأعمالهم قوله تعالى وقالوا لولا
نزل عليه آية من ربه أي قال كفار قريش لولا نزل على محمد علامة من ربه لنبوته من ربه يعنون الآيات التي
كانوا يقترحونها قل يا محمد إن الله قادر على أن ينزل آية مما تقترحونها أنتم ولكن أكثر أهل مكة لا يعلمون
ما عليهم من المضرة في إنزال الآية إذ الحكمة تقتضي التعذيب بعذاب الاستئصال لمن كفر بعد إنزال الآية المقترحة
قوله تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم أي ما من دابة تدب
على وجه الأرض ولا طائر يطير في الهواء يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم في الفقر والحاجة والفاقة إلى مدبر يدبرهم في
أغذيتهم وأكسيتهم وهدايتهم إلى مراشدهم ومصالحهم وقيل معناه إلا أمم أمثالكم في الخلق والرزق والموت والبعث
لأنه قال والموتى يبعثهم الله فيكون المعنى وما من دابة ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم في أن الله يبعثها
للجزاء وقيل معناه إلا أمم أمثالكم يعرفه بعضهم بعضا كما يعرفه بعضكم عن بعض وذكر الجناحين في الآية على جهة
التأكيد لأنه يقال طار فلان في الأمر أي أسرع وفلان طير من الطيور لسرعته في الأمور فذكر الجناحين في الآية ليتبين أن
المراد الطير قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء معناه ما تركنا في اللوح المحفوظ شيئا لم نكتبه فيه
ويقال ما تركنا بيان شيء في القرآن مما يحتاج الناس إليه من أحكام الدين والدنيا بل قد بينا في الكتاب كل شيء إما مفصلا
أو مجملا أما المفصل كقوله تعالى أن النفس بالنفس والعين بالعين وأما المجمل كقوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا قوله تعالى ثم إلى ربهم يحشرون معناه أن الطيور والدواب يحشرون مع سائر الخلق
يوم القيمة للمجازاة والحكم كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى يحشر الخلق كلهم يوم
القيمة البهائم والدواب والطيور وكل شيء فيبلغ من عدله أن يأخذ للجماء من القرناء فإذا تميز أهل الجنة والنار
قال للبهائم والوحوش والطيور كوني ترابا فتستوي بهم الأرض فيكونون ترابا فعند ذلك يتمنى الكافر فيقول يا ليتني كنت
ترابا والمراد بهذا الحشر للبهائم بعد أن أحياها إنه إفناء لم يكن فيه ألم قوله عز وجل والذين كذبوا بآياتنا
صم وبكم في الظلمات معناه والذين جحدوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن صم من الخير لا يسمعون الهدى
بكم لا يتكلمون بخير أي تكون حالهم كحال الأصم الأبكم وحذف حرف التشبيه من قوله صم وبكم على جهة المبالغة
في الوصف كما يقال في وصف القوم بالبلادة هؤلاء حمير قوله تعالى في الظلمات أي في ضلالات الكفر في ظلمة السمع والبصر
والقلب من يشإ الله يضلله أي من يشأ الله يتركه في ضلالة الكفر فلا يخرجه منه ومن يشأ يرشده ويوفقه
للإسلام ويثبته على ذلك حتى يموت عليه ويقال معناه من يشأ الله يضله في الآخرة عن طريق الجنة إلى طريق النار ومن
يشأ يجعله على طريق الجنة قوله عز وجل قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أي قل لهم يا محمد
لأهل مكة أرأيتم والكاف زائدة في بيان الخطاب للتأكيد كما في ذلكم وأولئكم والمعنى قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله كما أتى
الأمم الماضين قبلكم المكذبين لرسلهم أو أتتكم القيامة بأهوالها وشدائدها ويقال أراد بالساعة الوقت الذي
فيه العباد ذنوبهم كلهم قوله تعالى أغير الله تدعون أي أغير الله تدعون في كشف ذلك العذاب ودفع ذلك عن
أنفسكم أم تدعون الله قوله تعالى إن كنتم صادقين أي في مقالتكم إن الأصنام شركاء لله فهلا تدعون
الأصنام عند الشدائد وهذا احتجاج من الله عليهم بما لا يدفعونه لأنهم كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله تعالى
قوله تعالى بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء أي بل تدعون الله لكشف العذاب عنكم وهو
وبل للاستدراك بعد النفي فيكشف ما تدعون إليه أي يكشف عنكم الضر الذي من أجله دعوتموه لكشفه وقوله

تعالى إن شاء إنما قرن بالمشيئة لأن كشف العذاب فضل من الله تعالى والفضل الله يعطيه من يشاء قوله تعالى
وتنسون ما تشركون أي وتتركون دعوة آلهتكم عند الشدة إذا أشرفتم على الهلاك إذا اضطربت بكم الأمواج
في لجج البحار أو في غير ذلك من المحن والأمراض والأوجاع التي لا صبر عليها ويذكر النسيان بمعنى الترك كما في قوله نسوا الله فنسيهم
أي تركوا ذكر الله فتركهم الله في العذاب قوله عز وجل ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء
أي ولقد أرسلنا رسلا إلى أمم من قبلك كما أرسلناك إلى قومك فلم يؤمنوا فأخذناهم بالبأساء والضراء وهي الشدة
إلا أنه مأخوذ من البأس وقيل من البؤس وهو الفقر والضراء وهو المرض والأوجاع وهي مأخوذة من الضر
قوله تعالى لعلهم يتضرعون أي لكي يخشع قلوبهم ويتضرع النفوس عند الشدة ثم رجعوا إلى الله
ويتوبوا إليه فيكشف عنهم فلم يفعلوا قوله عز وجل فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا أي فهلا حين جاءهم بأسنا
أي عذابنا دعوا الله وآمنوا به ولكن قست قلوبهم أي يبست وجفت قلوبهم فأقاموا على كفرهم
لم يكن في قلوبهم رقة ولا خوف من الله وزين لهم الشيطان أي حسن لهم ما كانوا يعملون يعني تكذيبهم
بأنبيائهم ودعاهم إلى اللذة والراحة دون النظر والتدبر لتبيان الحق من الباطل قوله تعالى فلما نسوا
ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء أي فلما تركوا ما وعظوا به وأمروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء
ما كان مغلقا عليهم من الخير والرزق والخصب والمطر وأخصبت بلادهم وكثر خيرهم حتى إذا فرحوا بما أعطوا من
النعيم والسعة والصحة أخذناهم بغتة أي فجأة بالعذاب بعد أن أبلسناهم في النعمة والشدة فلم يرتدعوا
عن الكفر فإذا هم مبلسون أي فإذا هم عند نزول العذاب بهم آيسون من كل خير متحيرون في غاية الحسرة
والمبلس اليائس الحزين الشديد الحسرة ويقال هو المنقطع عن الحجة فإن قيل لم أنعم الله عليهم حين نسوا ما
ذكروا به وهذا موضع العقوبة دون الإنعام قيل فيه قولان أحدهما أنه أنعم عليهم بالدعاء لهم إلى الطاعة
فإن الدعاء إلى الطاعة تارة تكون بالعنف والشدة وتارة باللين والإنعام والثاني أنه إنما فعل ذلك بهم
لأن من ينتقل من النعمة والراحة إلى العذاب يجتمع عليه العذاب والحسرة على ما فاته فيكون ذلك أشد
عليه ممن ينتقل من الشدة إلى العذاب قوله عز وجل فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي استؤصل بالهلاك
آخر من بقي من القوم الكافرين ودابر القوم آخرهم من نسلهم وغيرهم بحيث لا يبقى لهم بعد ذلك باقية قوله
تعالى والحمد لله رب العالمين يجوز أن يكون حمدا من الله لنفسه على إهلاك القوم الكافرين والمعاندين
بعدما أعذرهم وأنذرهم ويجوز أن يكون قوله والحمد لله رب العالمين تعليما من الله يحمدونه على هلاك
الظالمين وقد قطع الله دابر المعاندين من أهل مكة يوم بدر كما قطع دابر المكذبين قبلهم وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا رأيت الله يعطي عبدا في الدنيا على معصيته ما يحب فإن ذلك منه استدراج ثم قرأ
صلى الله عليه وسلم فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء الآية قوله عز وجل قل أرأيتم إن أخذ الله
سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر أي قل يا محمد لكفار مكة إن
سلب الله سمعكم وأبصاركم التي هي أشرف ما فيكم من الأعضاء وختم على قلوبكم بأن سلب عقولكم حتى لا تفقهوا
بما يعافيكم يدلكم على تكذيبكم الرسل هل من إله غير الله يرد عليكم ما سلبكم الله تعالى وهل يقدر على ذلك غيره
انظر يا محمد كيف نصرف لهم الآيات في القرآن ونخوفهم بها ثم هم يصدفون أي ثم هم يعرضون عما وضح
لهم مكذبين به لا يتحركون … والتصريف توجيه المعنى في الجهات التي تظهر أتم الإظهار قوله عز وجل قل أرأيتكم
إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة أي أرأيتم إن أتاكم ودهمكم في حال إصراركم على الكفر عذاب الله فجأة
أو علانية نهارا جهارا هل يهلك إلا أنتم ومن أشبهكم لأنكم كنتم معاندين فقد علمتم أنكم ظالمون وإنما قابل
البغتة بالجهرة وإن كان ضد الجهرة الخفية لأن ما يأتي فجأة فإنما يأتي خفية قوله تعالى وما نرسل المرسلين
إلا مبشرين ومنذرين أي ليس على الرسل أن يأتوا الناس بما يقترحون عليهم من الآيات إنما نرسلهم بالتبشير

بالجنة للمطيعين والتحذير بالنار للكافرين فمن آمن بالرسل والكتب وأصلح العمل فيما بينه وبين ربه بأداء ما عليه من
أمانة وتوبته فلا خوف عليهم حين يخاف أهل النار ولا هم يحزنون إذا حزنوا قوله تعالى والذين
كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون أي يصيبهم العذاب بفسقهم وجحودهم محمداً صلى
الله عليه وسلم والقرآن قوله عز وجل قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني
ملك نزلت هذه الآية جواباً عن قول الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد لولا أنزل عليك كنز تستغني به فإنك
فقير محتاج وعن قولهم لولا أنزل عليه ملك وقولهم لولا أنزل عليه آية ومعناها قل لهم يا محمد لا أقول لكم عندي
خزائن الله يعني خزائن العباد إنما خزائن الله مقدوراته التي لا توجد إلا بتكوينه إياها ولا أعلم الغيب يعني لا
أدعي علم الغيب فيما مضى وما سيكون ولا أقول لكم إني ملك من السماء شاهدت ما لم يشاهده البشر إن أتبع
إلا ما يوحى إلي أي لا أعمل ولا أقول إلا ما ينزله الله علي على لسان بعض الملائكة قل هل يستوي الأعمى
والبصير أي الكافر والمؤمن وقيل الجاهل والعالم أفلا تتفكرون في آيات الله ومواعظه
قوله تعالى وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم أي أنذر بالقرآن وخوف به الذين يعلمون أن يحشرهم
إلى ربهم أي إلى موضع لا يملك أحد فيه نفعهم ولا ضرهم إلا الله تعالى قالوا والذين يخافون البعث أحد رجلين
إما مسلم فينذر ليؤدي حق الله في إسلامه وإما رجل من أهل الكتاب فإنهم يقرون أن الله خلقهم وأنهم يبعثون
محاسبون قوله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه قال عبد الله بن
مسعود مر جماعة من المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وخباب بن الأرت وبلال وعمار بن ياسر
وغيرهم من ضعفاء المسلمين فأرادوا الحيلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرد أصحابه فقالوا يا محمد لو طردت
هؤلاء السفلة والعبيد عنك لأتاك أشراف قومك وسادتهم يستمعون مقالتك ويصدقونك وذكروا ذلك أيضاً لعمر رضي
الله عنه فذكره لرسول الله صلى الله عليه وسلم حرصاً على إسلام أشراف قومه فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يفعل بعض الذي طلبوا فأنزل الله هذه الآية تعليماً له أنه لا يجب أن تفضل غنياً ولا شريفاً على فقير وضعيف
في طريقة فيما أرسل به الذين دون أحوال الدنيا فذلك قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالصلوة المفروضة
غدواً وعشياً وهم ضعفة الصحابة وصفهم الله بالمواظبة على عبادته في طرفي النهار ثم شهد لهم بأنهم مخلصون
في دينهم بقوله يريدون وجهه أي يريدون وجه الله تعالى بذلك ويطلبون رضاه وذكر الوجه على سبيل
التعظيم كقوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه معناه إلا هو قوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء أي ما
عليك من حساب عملهم وباطن أمرهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء أي ما عليهم من باطن أمرك شيء
لا يسألون عن عملك ولا تسأل أنت عن عملهم وقيل معناه ما عليك من رزقهم من شيء وما من رزقك عليهم من شيء
قوله تعالى فتطردهم جواب ما عليك من حسابهم قوله تعالى فتكون جواب ولا تطرد ومعناه فتكون ظالماً
لنفسك إن طردتهم وتقدير الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي فتكون من الظالمين ما عليك
من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الأقرع
بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وأصحابهم من المؤلفة فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعداً مع بلال
وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المسلمين فلما رأوهم حوله حقروهم وقالوا يا محمد لو جلست في صدر
المسجد ونفيت عنا هؤلاء وروائح جبابهم لجالسناك وحادثناك وأخذنا عنك وكان عليهم جباب من صوف
لم يكن عليهم غيرها فقال صلى الله عليه وسلم ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف العرب
به فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا فإذا
نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال نعم قالوا اكتب لنا عليك بذلك كتاباً فدعا بالصحيفة ودعا علياً
عليه السلام ليكتب قال ونحن قعود في ناحية المسجد إذ نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية فألقى رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فأتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا
نقعد معه فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته
فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي
معكم المحيا ومعكم الممات وقال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن أم عبد لبايعنا محمداً فأنزل الله هذه الآية وقال
عكرمة جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي ونوفل بن الحرث وعمرو بن نوفل إلى أبي طالب فقالوا إن ابن
أخيك محمداً يطرد عنه موالينا فإنما هم عبيدنا وعتقاؤنا كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه
وتصديقنا له فأتى أبو طالب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو فعلت
ذلك يا رسول الله حتى ننظر ما يريدون وإلى ما يصيرون من قولهم فأنزل الله تعالى هذه الآية ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي وقال ابن عباس معناه يعبدون ربهم بالصلوة المكتوبة بالغداة والعشي يعني صلاة الصبح وصلاة العصر
قوله تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا قال ابن عباس معناه وكذلك
ابتلينا بعضهم ببعض العربي بالموالي والغني بالفقير والشريف بالوضيع ليقول الأغنياء والأشراف مثل عيينة بن حصن الذي دخل
على النبي صلى الله عليه وسلم وقال لو طردت هؤلاء السفلة ومثل أصحابه كانوا يقولون لهؤلاء يعنون سلمان وأصحابه
من الله عليهم بالمعرفة والإسلام من بيننا وقال الكلبي هو أن الشريف إذا نظر إلى الوضيع قد أسلم قبله استنكف وأنف
أن يسلم وقال قد سبقني هذا بالإسلام فلا يسلم ومعنى اللام في قوله ليقولوا لام العاقبة ومعناه ليكون عاقبة أمرهم أن
قال الأغنياء والأشراف هؤلاء المستضعفون تفضل الله عليهم علينا ونظير هذه اللام في هذه الآية قوله تعالى فالتقطه آل
فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ومعلوم أنهم لم يلتقطوه لأجل أن يكون لهم عدواً ولكن عاقبة التقاطهم إياه أن صار
لهم عدواً وحزناً وقال بعضهم اللام في قوله ليقولوا معناه الاستفهام أي ليقول بعضهم لبعض استفهاماً لا إنكاراً أهؤلاء من
الله عليهم من بيننا بالإيمان والفائدة أن الأغنياء كانوا ينكرون في أن سبق الفقراء إلى الإيمان وصبرهم على طريقة الدين هل
توجب أن يكون نعمة عظيمة من الله عليهم فأمرهم الله تعالى أن يستفهموا من الرسول صلى الله عليه وسلم لأجله تقدم الفقراء
بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم واستحقوا الإعظام فيظهر عند الاستفهام جواب النبي صلى الله عليه وسلم ويكون في سماعهم
لذلك مصلحة عظيمة توجب رضاهم بتقديم النبي صلى الله عليه وسلم أهل الدين قوله تعالى أليس الله بأعلم بالشاكرين
استفهام بمعنى التحقيق على معنى أن الله أعلم بمن هو من أهل التوحيد والثواب قوله تعالى وإذا جاءك الذين يؤمنون
بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح
فأنه غفور رحيم اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقال عكرمة نزلت في الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن
طردهم وكان صلى الله عليه وسلم إذا رآهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم
بالسلام وقال ابن عباس والكلبي لما نزلت هذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية جاء عمر
رضي الله عنه معتذراً من مقالته فأنزل الله تعالى وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم أي الذين يصدقون
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فقل سلام عليكم أي قبل الله عذركم وتوبتكم ومعنى السلام من جميع الآفات وقيل إن الله
تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسلم على المستضعفين إذا جاؤوا إليه وإنما أمره أن يبدأهم بالسلام مع أن العادة
أن الجائي يسلم على القاعد حتى يبسط إليهم بالسلام عليهم لئلا يحتشموا من الانبساط إليه وقال عطاء نزلت في أبي بكر
وعمر وعثمان وعلي وأبي عبيدة وبلال وسالم ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر وعن
أنس بن مالك رضي الله عنه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال فقالوا إنا أصبنا ذنوباً عظيمة فسكت عنهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة
أي قضى على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة أي أنه من تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم واختلفوا في

قوله سوءا بجهالة أي قال مجاهد معناه لا يعلم حلالا من حرام فمن جهالته ركب الأمر وقيل جاهل بما يورثه ذلك
الذنب وقيل جهله حين آثر المعصية على الطاعة واللذة اليسيرة الفانية على الكثيرة الباقية الدائمة قيل هذا
يسمى كل مرتكب للمعصية جاهلا • واختلف القراء في قوله تعالى أنه من عمل منكم سوءا بجهالة وقوله فأنه غفور رحيم
وكسرهما جميعا ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف والأعمش على الاستئناف • ونصبهما الحسن وابن عامر وعاصم
ويعقوب بدلا من الرحمة وفتح نافع الأول وكسر الثاني على الاستئناف قوله عز وجل وكذلك
نفصل الآيات أي كما بينا الأمر والنهي في القرآن قيل فكذا نبين وننزل الآيات متفرقة شيئا بعد شيء قوله
تعالى ولتستبين سبيل المجرمين معطوف على مضمر تقديره ليظهر الحق من الباطل ولتستبين طريق الكفر وإنما
لم يقل سبيل المؤمنين لأن في الكلام ما يدل عليه لأن معناه ولتستبين سبيل المجرمين على المؤمنين • وقرأ ولتستبين
بالتاء لأن السبيل تذكر وتؤنث فبنو تميم تذكره وأهل الحجاز تؤنثه ودليل التذكير قوله تعالى لم تصدون عن
سبيل الله من آمن به ولم يقل بها ودليل التأنيث قوله تعالى قل هذه سبيلي ولم يقل قل هذا وقرأ أهل المدينة
سبيل بالنصب على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم معناه ولتعرف يا محمد سبيل المجرمين فالخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد به عامة المسلمين كأنه قال ولتستبينوا وتزدادوا معرفة لطريق المجرمين قوله تعالى قل
إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله أي قل يا محمد لعيينة وأصحابه إني نهيت عن عبادة الذين تعبدونهم
من الأصنام من دون الله ولا أتبع أهواكم فإنكم تدعونها وسألتموني طرد سلمان وبلال وأصحابهما على حسب
الهوى لا على طريق البينة والبرهان وقوله تعالى قد ضللت إذا أي قد ضللت إن عبدتها معناه إن فعلت ذلك
فقد تركت سبيل الحق وسلكت غير سبيل الهدى • وقرأ يحيى بن وثاب وأبو رجاء قد ضللت بكسر اللام وهما
لغتان إلا أن الفتح أفصح لأنها لغة أهل الحجاز وقوله تعالى وما أنا من المهتدين عطف على ضللت يعني
إذا اتبعت هواكم فما أنا من الذين سلكوا طريق الهدى وقوله تعالى قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما
تستعجلون به أي قل يا محمد إني على بصيرة وبيان من ربي لا متبع للهوى وكذبتم به أي بالبيان وإنما ذكر الكناية لأن البينة
والبيان بمعنى واحد ويجوز أن يكون معناه وكذبتم بما أتيتكم به وهو القرآن ومعنى البينة الدلالة بين الحق والباطل قوله
تعالى ما عندي ما تستعجلون به روي أن رؤساء قريش كانوا يستعجلون العذاب حتى قام النضر بن الحارث في الحطيم وقال
اللهم إن كان ما يقول محمد حقا فأتنا بالعذاب فنزلت هذه الآية وقيل معناه ما عندي ما تستعجلون به من الآيات
التي تقترحونها وقوله تعالى إن الحكم إلا لله أي ما القضاء بنزول العذاب وقيل الآيات إلا لله يقص
الحق أي يحكم بالعدل ويقضي القضاء الحق وهو خير الفاصلين أي أعدل الفاصلين • من قرأ يقص الحق
بالصاد المشددة فمعناه يبين الحق ويأمر به ومن قرأ يقضي أي يحكم • وقرأ ابن عباس يقضي بالحق وأما سقوط الباء في
قراءة من قرأ يقضي فإنما سقطت في الخط لالتقاء الساكنين كما في قوله تعالى سندع الزبانية ونحو يدع الداع وفي
جميع المصاحف يقضي بغير ياء ؛ قوله تعالى قل لو أن عندي ما تستعجلون به أي قل يا محمد لو أن عندي ما تستعجلون
به من العذاب لأهلكتكم وانقطع ما بيني وبينكم من مطالبتي إياكم بالإخلاص في طاعة الله وعبادته واشتغالكم عن
ذكر والله أعلم بالظالمين أي بعقوبتهم في وقت عذابهم قوله عز وجل وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا
هو قرأ ابن السميفع مفاتيح الغيب بالياء • واختلفوا في معنى مفاتح الغيب فروي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا
تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت • وقال السدي مفاتح الغيب خزائن الغيب وهي المقدورات التي تتفتح
بما في الغيب وتسمى الخزانة مفتاحا لأنه يفتح منه الأمر وقيل مفاتح الغيب ما يفتح به علم الغيب وقيل نزول
العذاب الذي كانوا يستعجلون به وغير ذلك • وقيل معناه وعنده مفاتح الغيب أي نزول العذاب لا يعلم متى ينزل
ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وما يصير إليه أمري وأمركم إلا هو وقيل معنى مفاتح الغيب الآجال والأحوال العا

من السعادة والشقاوة وعواقب الأمور وخواتيم الأعمال • وقال ابن مسعود رضي الله عنه أوتي نبيكم عليه السلام
كل شيء إلا مفاتيح الغيب • والمفاتح جمع مفتح والمفاتيح جمع مفتاح وهو معرفة الغيب قوله تعالى ويعلم ما في
البر والبحر أي يعلم ما في البر من النبات والخلق وما في البحر من الدواب والعجائب وقيل يعلم رزق كل من في البر
والبحر ويسلي إلى كل ذي روح رزقه قوله تعالى وما تسقط من ورقة إلا يعلمها قال ابن عباس ما من
شجرة في بر ولا بحر إلا وبها ملك موكل يعلم ما يؤكل منها وما يسقط من ورقها ويعلم عدد ما يبقى على الشجرة من ورق
وما يسقط منه • وقيل معنى الآية وما يسقط من ورقة من ورق الشجر إلا يعلمها الله كلها ثابتة وساقطة ويعلم
سقوطها وموضع سقوطها قوله تعالى ولا حبة في ظلمات الأرض أي كل حبة تكون في الأرض حتى الحبة التي
تكون تحت الصخرة التي هي أسفل الأرضين يعلمها الله وقيل أراد كل حبة تكون في شقوق الأرض مما تخرج منها النبات
ومن قرأ ولا حبة بالرفع فعلى الابتداء وخبره إلا في كتاب مبين وقوله تعالى ولا رطب ولا يابس إلا في
كتاب مبين أراد بالرطب الماء الأخضر وباليابس الحجر والمدر كل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ أثبت الله فيه كل
ما يخلق قبل أن يخلقه كما قال تعالى ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها وأعلم
أنه قد أثبت ما خلق قبل خلقه والرطب واليابس عبارة عن جميع الأشياء التي تكون في السموات والأرض لأنها لا تخلو عن
أحدهما من الصفتين • وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من زرع على الأرض ولا ثمار على الأشجار إلا عليها مكتوب
بسم الله الرحمن الرحيم رزق فلان بن فلان • فإن قيل ما الفائدة في كون ذلك مكتوبا في اللوح مع أن الله لا يخفى عليه شيء
وإنه كان عالما بذلك قبل أن يخلقه وقبل أن يكتبه لم يكتبها لحفظها وتذكرها • قيل فائدته أن الحوادث إذا حدثت
موافقة للمكتوب ازداد الملائكة بذلك علما ويقينا بعظيم صفات الله عز وجل قوله عز وجل وهو الذي يتوفاكم
ويعلم ما جرحتم بالنهار معناه هو الذي يقبضكم عن التصرف بالنوم وما تصيرون في منامكم بالليل في قبضته لا تملكون
تصرفا في أموركم والتوفي في اللغة هو القبض إلا أن روح النائم لا تصير مقبوضة في حال نومه على جهة الحقيقة لأن
النائم تستمد من الهوى على حسب فعله المنتبه ولكن الله تحدث في حال النوم في بدن النائم ضربا من الاسترخاء في
أعضائه إما بسلب عقله أو بإحداث فعل في البدن يكون ذلك الفعل سببا لراحة البدن كما قال تعالى وجعلنا نومكم
سباتا فإذا صار النائم كالميت في أنه لا يعقل ولا يتصرف ولا ينقطع عن تمييزه شبه بالميت من حيث التوفي على هذا الوجه
كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال النوم أخو الموت وأهل الجنة لا يموتون كذلك لا ينامون وعلى
هذا الوجه يتأول قوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها إلى آخر الآية • وذهب بعضهم
إلى أن الروح يخرج من البدن في المنام ولكن لا ينقطع حركة النائم لأن نظر الروح لا ينقطع عن البدن إذ هو على العود
في كل وقت في كل ساعة وقال بعضهم لا يخرج منه الروح وإنما يخرج منه الذهن قوله تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار
أي ما كسبتم من الخير والشر قال تعالى جرح واجترح بمعنى كسب واكتسب وأصل الاجتراح عمل الجوارح قوله تعالى ثم
يبعثكم فيه أي ينبهكم من نومكم في النهار على علم منه بما اجترحتم من قبل وما تجترحون من بعد ليقضى أجل
مسمى أي لتبلغوا الوقت المقدر الذي قدره الله لحياتكم تستوفوا أرزاقكم وأعمالكم التي تعملونها في الدنيا من خير
أو شر قوله تعالى ثم إليه مرجعكم أي ثم إلى الله مصيركم ومنقلبكم بعد الموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون
أي يخبركم في الآخرة بما كنتم تعملون في الدنيا فيجازي كل عامل بما عمل قوله عز وجل وهو القاهر فوق عباده
ويرسل عليكم حفظة أي وهو الغالب لعباده المستعلي عليهم بالقدرة وليس معنى فوق معنى المكان لاستحالة
الأمكنة على الله تعالى وإنما معناه الغلبة والقدرة ونظيره فلان فوق فلان في العلم أي أعلم منه قوله تعالى
ويرسل عليكم حفظة فالمعنى الفعل عن الإتمام والحفظة هم الملائكة يحفظون على العباد أعمالهم على ما تقدم وقد
ورد في الخبر أن على كل واحد منا ملكين بالليل وملكين بالنهار يكتب أحدهما الحسنات والآخر السيئات وصاحب
اليمين أمير على صاحب الشمال فإذا عمل العبد حسنة كتبت له بعشر أمثالها وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال

بالليل

أن يكتب قال له صاحب اليمين امسك فيمسك عنه ست ساعات فإن تاب واستغفر الله تعالى لم يكتب عليه
وإن لم يستغفر كتبت عليه سيئة واحدة قوله تعالى حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون
يعني حتى إذا حضر أحدكم الموت قبض روحه ملك الموت وأعوانه وهم لا يقصرون ولا يؤخرونه طرفة عين • فإن قيل
كيف قال ههنا توفته رسلنا وقال في آية أخرى قل يتوفاكم ملك الموت قيل له إن ملك الموت هو الذي يقبض
الأرواح كلها وهو القائم بذلك إلا أن له أعوانا فتارة أضاف الروح إلى ملك الموت لأنه هو المخصوص بذلك وتارة
أضافه إليه وإلى غيره لأنهم يتصرفون في ذلك عن أمره • وقال مجاهد جعلت الأرض لملك الموت كالطست يتناول
من حيث شاء وله أعوان يتوفون الأنفس ثم يقبضها منهم • ويقال إن أعوان ملك الموت يستخرجون الروح من
عضو عضو حتى إذا جمعوه في صدره جعل يخرج ثم يقبضه بحديدة ملك الموت • وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه [وسلم]
أنه دخل على مريض يعوده فرأى ملك الموت عند رأسه فقال يا ملك الموت ارفق به فإنه مؤمن • فقال ملك الموت يا محمد
أبشر وطب نفسا وقر عينا فإني بكل مؤمن رفيق فإني لا أقبض روح المؤمن فيصرخ أهله فأعتزل في جانب الدار فأقول
ما لي من ذنب إني لمأمور وإن لي لعودة فالحذر الحذر وما من أهل بيت مدر ولا وبر في بر ولا بحر إلا وأنا أتصفحهم
في كل يوم خمس مرات حتى إني لأعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم والله لو أردت أن أقبض روح بعوضة
لما قدرت عليها حتى يأمرني الله تعالى بقبضها قوله عز وجل ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق أي ثم ردهم
الملائكة إلى الموضع الذي لا يملك أحد الحكم فيه إلا الله تعالى • قوله تعالى مولاهم الحق أي مولاهم من كل جهة
وإنه يملك خلقهم وإنشاءهم وتربيتهم وإماتتهم وإحياءهم وضرهم ونفعهم وهو الذي دبر أمرهم حين أنشأهم
ومعنى قوله تعالى مولاهم الحق أي الذي عادته حق ويعطي الثواب بالحق ويتولى العقاب بالحق وقيل إن هذه
أرجى آية في كتاب الله تعالى لأنه لا يرد العبد أحسن مرد إلى مولاه قوله تعالى ألا له الحكم أي الحكم
فيه • أي اعلموا أن بيده القصاص للعباد يوم القيامة يحكم فيهم بما يشاء وكيف يشاء قوله تعالى وهو أسرع
الحاسبين إذا حاسب فحسابه سريع لأنه لا يحاسب بعقد ولا يتكلم بآلة ولا يحتاج إلى الكلام مع بعضهم عن الكلام مع
غيرهم بل يحاسب الجميع في دفعة واحدة ومعنى المحاسبة تعريف كل واحد بما يستحقه من ثواب أو عقاب بحسب ما روي
في الخبر أنه يكون حسابه معهم في مقدار حلب شاة قوله عز وجل قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه
تضرعا وخفية أي قل لهم يا محمد من ينجيكم من شدائد البر والبحر وأهوالهما تقول العرب لليوم الذي فيه شدة
يوم مظلم حتى إنهم يقولون يوم ذو كواكب إذا اشتدت ظلمته حتى صار كالليل • ويقال أراد بالظلمات ظلمة الليل
وظلمة الغيم وظلمة الأمواج • قوله تعالى تدعونه تضرعا وخفية أي تدعونه علانية وسرا والتضرع إظهار
الضراعة وهي شدة الفقر والحاجة إلى الشيء وقرأ أبو بكر وخفية بكسر الخاء وقرأ الأعمش وخيفة من الخوف وكذلك
في آخر الأعراف • قوله تعالى لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين في موضع الحال معناه قائلين لئن أنجيتنا
من هذه الشدائد لنكونن من المؤمنين الموحدين المطيعين • قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب
أي قل الله ينجيكم من شدائد البر والبحر ومن كل غم ثم أنتم تشركون به الأصنام في الرخاء بعد النجاة وبعد
قيام الحجة قوله عز وجل قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم راجع إلى مشركي مكة أي قل لهم
يا محمد هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما بعث على قوم نوح وقوم لوط من الطوفان والحجارة أو
من تحت أرجلكم أي هو القادر على أن يخسف بكم كما فعل بقارون وقومه • ويقال أراد بقوله عذابا
من فوقكم الظلمة ومن تحت أرجلكم أن تغلب عليكم سفهاؤكم • قوله تعالى أو يلبسكم شيعا معناه أو
يخلطكم فرقا مختلفي الأهواء بأن تضرب بعضكم ببعض بما يلقيه بينكم من العداوة • وقيل معنى يلبسكم شيعا يكلكم إلى
أنفسكم ويخليكم من ألطافه بذنوبكم فتختلفوا حتى يذوق بعضكم شدة بعض بالحرب والقتال • ويقال ويذيق
بعضكم بأس بعض يعني بالسيوف يقتل بعضكم بعضا • قوله انظر كيف نصرف الآيات

أي انظر يا محمد كيف نبين لهم آية على إثر آية لعلهم يفقهون أي لكي يتفهموا أوامر الله ثم هم لا يفقهون
قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل ما بقاء أمتي على
هذه الخصال الأربع فقال إنما أنا عبد مثلك فادع ربك فاسأله لأمتك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتوضأ وأحسن الوضوء ثم قام فصلى وأحسن الصلاة ثم سأل الله أن لا يبعث على أمته عذابا من فوقهم ولا من تحت
أرجلهم ولا يلبسهم شيعا ولا يذيق بعضهم بأس بعض فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله قد سمع مقالتك
وإنه قد أجارهم من خصلتين أن لا يبعث عليهم عذابا من فوقهم ولا من تحت أرجلهم ولم يجرهم من الخصلتين الأخريين
وقال صلى الله عليه وسلم سألت ربي أن لا يبعث على أمتي عذابا من فوقهم ولا من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألته
أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني ذلك وأخبرني جبريل أن فناء أمتي بالسيف قوله عز وجل وكذب به قومك
وهو الحق أي كذب بالقرآن قومك وهو الصدق قل لست عليكم بوكيل أي بحفيظ أحفظ أعمالكم وأجازيكم
عليها وقيل معناه لست أقدر أن أحول بينكم وبين الكفر الذي يضركم كما يدفع الوكيل الضرر عن موكله • وعن ابن عباس
أن معناه لست بوكيل عليكم أجبركم على الإيمان قال ثم نسخ هذا بآية السيف قوله تعالى لكل نبإ مستقر
معناه لكل وعد ووعيد وقت وأجل غاية منه ما يكون في الدنيا ومنه ما يكون في الآخرة وسوف تعلمون
يا أهل مكة ذلك إذا نزل بكم قوله تعالى وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا
في حديث غيره معناه وإذا رأيت المشركين يكذبون ويستهزئون بك وبالقرآن فأعرض عنهم • أي اتركهم ولا
تجالسهم على وجه الإنكار عليهم إلا أن يتركوا استهزاءهم ويخوضوا في حديث غير القرآن وذلك أن المشركين
كانوا إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوه واستهزءوا فنهى الله المؤمنين عن
مجالستهم قوله تعالى وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين معناه وإما
يوقعنك الشيطان في النسيان بعد النهي فتجلس معهم فلا شيء عليك في تلك الحالة التي تكون فيها ناسيا ولا تقعد بعد
الذكرى أي إذا ذكرت ودع مجالسة المشركين قائما • وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد فلما نزلت
هذه الآية قال المسلمون يا رسول الله لئن كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن قمنا وتركناهم لا نستطيع أن نجلس
في المسجد الحرام ولا أن نطوف بالبيت فنزل قوله عز وجل وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء أي ما على الذين
يتقون الشرك والمعاصي والخوض من آثامهم ومجالستهم من شيء من العقاب ولكن ذكرى ولكن
ذكروهم بالقرآن ذكرى إذا فعلوا وعظوهم لعلهم يتقون الشرك والاستهزاء والخوض • موضع ذكرى نصب
على المصدر ويجوز أن يكون في موضع رفع أي هو ذكرى قوله تعالى وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
وغرتهم الحياة الدنيا أي وذر الكفار الذين اتخذوا في دينهم اللعب بالباطل والاستهزاء • ويقال معناه
الذين اتخذوا دينهم هوى أنفسهم ومن اتخذ دينه هوى نفسه فهو لاعب • وقال الفراء في معنى الآية ليس من قوم
إلا ولهم عيد يلهون فيه إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم فإن أعيادهم صلاة وتكبير وبر وخير قوله تعالى
وغرتهم الحياة الدنيا معناه وشغلتهم الحياة الدنيا بما فيها من زهرتها وزينتها قوله تعالى وذكر به أن تبسل
نفس بما كسبت أي ذكر بالقرآن وعظ به كراهة أن تبسل نفس بما كسبت ويقال قبل أن تبسل ويقال لئلا تبسل
نفس أي لئلا تهلك • وقال الحسن ومجاهد وعكرمة والسدي تبسل أي تسلم للهلكة • وقال ابن عباس معناه
وذكرهم أن تبسل أي تحبس • وقال الفراء ترتهن • وقال عطية العوفي من قال أن تبسل نفس أي من قبل
أن تسلم إلى خزنة جهنم والمبسل المسلم قوله تعالى ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع أي ليس لتلك النفس
من دون الله ولي ولا شفيع أي قريب يمنع العذاب عنها ولا شفيع يشفع لها في الآخرة قوله تعالى وإن تعدل
كل عدل لا يؤخذ منها أي لو جاءت بجميع ما كان في الأرض جميعا فداء عن نفسها لا تقبل منها

البداعة ثم انه مثل الشيء ويقال لا احد حاتى المحل عدل يا الكرمان كل واحد من العدل من مثل لصاحبه فمعنا
الآية وان تعتدي بكل فداء لا يوجد منها وقوله تعالى أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم
وعذاب أليم أي وجيع بما كانوا يكفرون أي بما كانوا يجحدون في الدنيا بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن قوله عز وجل قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا أي قل يا محمد للكفار الذين يدعونكم إلى
آبائهم أنعبد سوى الله من الأصنام ما لا ينفعنا إن عبدناه في رزق ولا معايش ولا يضرنا إن تركناه في رزق
ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله عطف على الاستفهام أي كيف نرجع إلى الكفر بعد إذ هدانا الله لدينه
والإسلام وعرفنا فنكون مثلنا المثل الذي هوت به الشياطين فأذهبته في الأرض ضالا وذلك قوله تعالى كالذي استهوته
الشياطين هواه فهو يعمل في الأرض بالمعاصي وقيل معناه كالذي استغوته الغيلان في المهامه فأضلوه فهو
حائر وحيران نصب على الحال قرأ الأعمش وحمزة كالذي استهواه بالألف والإمالة وقرأ طلحة بلا ألف وقرأ
الحسن الشياطون • وفي مصحف عبد الله استهواه الشيطان قوله تعالى له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا
أي له أصحاب يدعونه إلى الطريق المستقيم أن ائتنا واتبعنا وأطعنا فإنا على الطريق فيأبى أن يأتيهم ويطيعهم
وقيل إن الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر حين دعا أباه إلى الكفر فأنزل الله تعالى قل أندعوا من دون الله
ما لا ينفعنا ولا يضرنا الآية وقوله كالذي استهوته الشياطين هو عبد الرحمن بن أبي بكر وقوله تعالى له أصحاب
يدعونه إلى الهدى أي الهلاك وقيل كان أبوه وأمه يدعونه إلى الإسلام وكان الشياطين والكفار يدعونه إلى الكفر
إلى أن من الله عليه بعد ذلك بشرف الإسلام وقوله تعالى قل إن هدى الله هو الهدى أي قل لهم إن دين الله
هو الإسلام وأمرنا لنخلص العبادة لرب العالمين قوله عز وجل وأن أقيموا الصلاة واتقوه عطف على قوله لنسلم
أي أمرنا لنسلم فقيل لنا أسلموا وأقيموا الصلاة بركوعها وسجودها واتقوه أي اتقوا سخطه وهو الذي إليه تحشرون
أي تجمعون يوم القيامة قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق أي لإقامة الحق وهو الثواب
والعقاب في الآخرة ولم يخلقهما باطلا لغير شيء وقوله تعالى ويوم يقول كن فيكون أي وخلق الخلائق يوم
يقول كن فيكون • وقيل معناه واتقوا يوم يقول كن فيكون • وقيل واذكروا يوم يقول ليوم القيامة كن فيكون
يكون بإذن الله تعالى قوله تعالى قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور أي خبره في أمر يوم القيامة حق كائن
لا محالة وله الملك يومئذ وتخصيص ذلك اليوم بالملك لأنه اليوم الذي لا يظهر فيه من أحد سوى الله نفع ولا ضر
كما قال الله تعالى والأمر يومئذ لله والصور قرن ينفخ فيه إسرافيل نفختين فيفني الخلائق كلهم بالنفخة الأولى
ويحيون بالنفخة الثانية فتكون النفخة الأولى لانتهاء الدنيا والثانية لابتداء الآخرة قوله تعالى عالم الغيب
والشهادة أي وهو عالم بما غاب عن العباد وما علموه وهو الحكيم في أمره الخبير بأعمال العباد قوله عز وجل
وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة أي اذكر يا محمد إذ قال إبراهيم لأبيه آزر من قرأ آزر بالنصب
فموضعه خفض بدل من أبيه إلا أنه لا ينصرف لأنه اسم أعجمي ومن رفعه فعلى النداء أي يا آزر وكان آزر مسكنه
كوثى قرية من سواد الكوفة • قال السدي والحسن آزر اسم لأبي إبراهيم • وقال الفراء هو صفة عيب ومعناه
في كلامهم المعوج وقيل معناه الشيخ الهم وقيل كان لإبراهيم لأبيه المخطئ وقال لأبيه يا مخطئ وكان على هذا
القول اسم آزر تارخ بن ناحور • وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم وهو على هذا التأويل في موضع
نصب وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره أتتخذ آزر أصناما آلهة من دون الله وقيل كأن إبراهيم قال لأبيه
أتتخذ آزر إلها أتتخذ أصناما آلهة من دون الله وقيل تكاد إني أراك وقومك في ضلال مبين أي في ذهاب
عن الحق بين قوله تعالى وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض أي كما أرينا إبراهيم النصرة في
دينه والحق في مخالفة قومه نريه ملكوت السموات والأرض أي ملكهما ونريه القدرة التي تقوى بها دلالته على

توحيد

توحيد الله تعالى وهو ما رأى من السماء والأرض والكوكب والقمر والشمس • قال مجاهد وسعيد بن جبير معنى
وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض أي آيات السموات والأرض • وذلك أنه أقيم على صخرة وكشف
له عن السموات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين ونظر إلى مكانه في الجنة • وقيل معنى الآية كما أرينا إبراهيم
قبح ما كان عليه أبوه وقومه من المذهب كذلك نريه ملكوت السموات والأرض والملكوت عبارة عن عظم
الملك زيدت الواو والتاء فيه للمبالغة كما يقال رهبوت خير من رحموت هذا مثل تقوله العرب معناه لأن ترهب
خير من أن ترحم فملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الأرض الجبال والشجر وقوله تعالى وليكون
من الموقنين أي نريه الملكوت ليستدل بذلك على توحيد الله تعالى وليثبت على اليقين قوله عز وجل فلما جن
عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي قال المفسرون إن إبراهيم ولد في زمان النمرود بن كنعان وكان
النمرود أول من دعا الناس إلى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له إنه يولد في هذه السنة غلام يغير
دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه • وقال السدي رأى النمرود في منامه كأن
كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فدعا السحرة والكهان وسألهم
فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة يكون هلاك ملكك على يديه فأمر بذبح كل غلام يولد
في ناحيته تلك السنة وأمر الرجال باعتزال النساء وجعل عليهم الحراس فمكث كذلك ما شاء الله • قال السدي
خرج النمرود بالرجال إلى المعسكر ونحاهم عن النساء مخافة من ذلك المولود فبدت له حاجة إلى المدينة فلم
يأمن عليها أحدا من قومه إلا آزر فدعاه وأمره بحاجته إلى المدينة • وقال له إنك ثقتي فأقسمت عليك أن لا
تدنو من امرأتك ولا تواقعها وأوصاه بحاجته فلما دخل المدينة وقضى حاجة النمرود قال لو دخلت على
أهلي فرأيت كيف حالهم فلما نظر إلى امرأته لم يتمالك حتى وقع عليها وكانت قد طهرت من الحيض فحملت
بإبراهيم عليه السلام فلما حملت به قالت الكهنة للنمرود إن الغلام الذي أخبرناك به قد حملت به أمه
الليلة فأمر النمرود بذبح كل ولد من الغلمان فلما دنت ولادة أم إبراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة
مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في موضع ثم لفته في خرقة وجعلته في الحلفاء ثم رجعت فأخبرت زوجها
فأعلمته فانطلق أبوه إليه وحفر له سربا في ذلك المكان وجعله فيه وسد عليه بصخرة مخافة من السباع أن تأكله
وكانت أمه تختلف إليه سرا فترضعه وكان إذا بكى على أمه أتاه جبريل عليه السلام فوضع إصبعه في فيه
فيخرج منها اللبن فكان يمص منها فيغتذي • وقال أبو روق كانت أم إبراهيم كلما جاءته لتنظر إليه وجدته
يمص أصابعه وقالت ذات يوم لأنظرن إلى أصابعه فوجدته يمص من إصبع ماء ومن إصبع لبنا ومن إصبع عسلا
ومن إصبع سمنا • وقال بعضهم لما ولدت أم إبراهيم حملها ذهبت به وحفرت له حفرة وألقته فيها وسدتها
عليه بصخرة وسألها أبوه آزر ما فعل حملك قالت وضعت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان إبراهيم يشب
في اليوم مثل ما يشب غيره في الشهر ويشب في الشهر مثل ما يشب غيره في السنة فلم يمكث إبراهيم في المغارة إلا خمسة عشر
يوما ثم أخبرت أمه آزر بخبره وما صنعت به فلما شب إبراهيم في المغارة وعقل وتكلم قال لأمه ذات يوم
فقال لها من ربي قالت أنا قال ومن ربك قالت أبوك قال ومن رب أبي قالت النمرود قال ومن رب النمرود
قالت اسكت فسكت ثم رجعت إلى أبيه وأخبرته بذلك فأتاه آزر فقال له يا أبتاه من ربي قال أمك قال
ومن رب أمي قال أنا قال ومن ربك قال النمرود قال ومن رب النمرود فلطمه وقال اسكت ثم إنه خرج
بعد ذلك من السرب حين غربت الشمس فنظر إبراهيم إلى الإبل والخيل والغنم فقال لا بد أن يكون لهذه رب وخالق
ثم تفكر في خلق السماء والأرض • وقال إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني هو ربي ما لي إله غيره • فلما
جن عليه الليل أي غشيه الليل رأى الزهرة قال هذا ربي فلما أفل ذلك النجم قال لا أحب ربا يتغير ثم
نظر فرأى القمر طالعا في آخر الليل قال هذا ربي فلما رآه يتغير وينتقل من مكان إلى مكان علم أنه محدث ثم نظر

أن يكون ربا فقال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين • فلما رأى الشمس طالعة وقد ملأت كل شيء
قال هذا ربي هذا أكبر مما قبله فلما أفلت نجا إلى قومه فرآهم يعبدون الأصنام فقال يا قوم إني بريء مما تشركون
قوله تعالى فلما جن عليه الليل أي غطاه وأظلم تقول جنه الليل وأجنه وجن عليه إذا أظلم وجننت الميت
وأجننته دفنته وقوله تعالى رأى كوكبا قال هذا ربي في هذا القول ثلاثة أوجه أحدها أنه قال هذا ربي
في ظنه لأنه كان في حال تفكر واستدلال إذ كان في ذلك الوقت وقت مهلة له للتروي والنظر فلما رأى الكوكب في
علوه وضيائه قرر نفسه على ما يقتضيه حكمه من كونه ربا خالقا أو مخلوقا مربوبا فلما رآه طالعا آفلا ومتحركا
زائلا قضى بأنه محدث لمقارنته أمارات الحدث فإنه ليس برب وأن المحدث غير قادر على إحداث الأجسام
وأن ذلك يستحيل منه كما استحال ذلك من نفسه إذ كان محدثا مثلها لمساواته له في جهة الحدوث في امتناع كونه
خالقا ثم لما طلع القمر فوجد صفته في العظم والإشراق وانبساط النور أكثر قرر نفسه أيضا على ما يقتضيه حكمه
فقال هذا ربي فلما راعاه ورآه آفلا وجده في معنى الكوكب في الطلوع والأفول فحكم له بحكمه وإن كان أكبر منه ضوءا
ثم لما رأى الشمس في عظمها وإشراقها وتكامل ضيائها قال هذا ربي لأنها كانت تخالف الكوكب والقمر في هذه الأوصاف
فلما رآها آفلة منتقلة حكم لها بالحدث وأنها في حكم الكوكب والقمر لوجود دلالة الحدث في الجميع قالوا والذي
يؤيد هذا التأويل الذي ذكرناه أن قول إبراهيم كان على وجه النظر والفكر ما ذكره الله عنه أنه عليه السلام قال
لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين • والثاني فهو أقرب إلى الصحة أن إبراهيم إنما قال هذا في حالة
الطفولية قبل كمال عقله حين حركته الخواطر للفكر والنظر في دلائل توحيد الله تعالى • فإن قيل كيف يحمل
هذا القول من إبراهيم كان على ابتداء النظر وقد تقدم إنكاره على أبيه وقومه عبادة الأصنام لقوله أتتخذ أصناما
آلهة قيل تقدم الآية في التلاوة لا يوجب أنها متقدمة في الحال ولا يمتنع أن إبراهيم عليه السلام أنكر على أبيه
وقومه بعد هذا النظر الذي ذكرنا • والثالث أن قوله هذا ربي على وجه الإنكار الذي يكون مع ألف الاستفهام
وكان قصده من هذا القول استدراج قومه وإقامة الحجة عليهم وتنبيههم إلى الهدى فإنهم كانوا يعبدون
الأصنام والشمس والقمر والكواكب كأنه قال هذا ربي في زعمكم كما قال تعالى أين شركائي الذين كنتم تزعمون • ولما
أفل الكوكب بين أنه مسخر مذلل وقال لا أحب الآفلين أي لا أعظمه تعظيم الرب جل وعلا • قوله تعالى لئن لم
يهدني ربي معناه على هذا القول لئن لم يثبتني ربي على الهدى لأن الله تعالى أثنى على إبراهيم عليه السلام في آية
أخرى بقوله إذ جاء ربه بقلب سليم والسليم الذي لا شك فيه وفي سلامته من كل عيب • قوله عز وجل فلما رأى
القمر بازغا قال هذا ربي ومعناه فلما رأى القمر طالعا قال هذا ربي تقول بزغ القمر إذا ابتدأ الطلوع • قوله تعالى
فلما أفل أي فلما غاب قال لئن لم يهدني ربي أي لئن لم يرشدني ربي إلى دينه ويثبتني على الطريق المستقيم لأكونن
من القوم الضالين عن الهدى قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر أي فلما رأى
الشمس طالعة قال هذا الطالع ربي وهذا النور ربي فلما أفلت أي فلما غابت الشمس قال يا قوم إني بريء
مما تشركون بالله من الأصنام والأوثان والشمس والقمر والكواكب فقالوا له فمن تعبد أنت يا إبراهيم قال إني
وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا أي مائلا عن الأديان الباطلة إلى دين الحق مائلا بالرجوع
إليه وما أنا من المشركين أي لست على دينكم أيها المشركون قوله عز وجل وحاجه قومه قال أتحاجوني
في الله وقد هدان وذلك أن قوم إبراهيم خاصموه في مخالفته إياهم في دينهم وخوفوه بآلهتهم وقالوا إنا نخاف
آلهتنا أن تمسك أن تخبلك وتفسدك • وقالوا إن أهل موضع كذا تركوا عبادة الأصنام فامتحنوا وجهدوا
وأهل موضع كذا أحسنوا عبادة الأصنام فرزقوا السعة والخصب فأجابهم إبراهيم عليه السلام أتحاجوني في الله
تخاصمونني في توحيد الله ودينه وقد بصرني الله وعرفني دينه وتوحيده بما نصب لي من الدلالات قوله تعالى
ولا أخاف ما تشركون به أي لا أخاف من هذه الأشياء التي تعبدونها وهي مما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا

يضر قوله تعالى إلا أن يشاء ربي شيئا أي ولكن أخاف مشيئة ربي أن يعذبني ببعض ذنوبي أو يبتليني
بشيء من محن الدنيا وموضع أن نصب على تقدير لا أخاف إلا مشيئة الله تعالى • قوله تعالى وسع ربي كل
شيء علما أي أحاط ربي بعلم كل شيء وملأ كل شيء علما وهو تنبيه لهم على غير الجواب قوله تعالى أفلا تتذكرون
تنبيه على التفكر فيما كان يقوله لهم قوله عز وجل وكيف أخاف ما أشركتم أي كيف أخاف الأصنام التي أشركتموها
مع الله وهي لا تملك النفع والضر لا تعرف من عبدها ومن ترك عبادتها ولا تخافون أنكم أشركتم بالله الذي يملك
النفع والضر ويعلم من عبده ومن لا يعبده ما لم ينزل به عليكم سلطانا أي عذرا وحجة لكم فأي الفريقين أحق
بالأمن أنا أم أنتم الموحد أم المشركون إن كنتم تعلمون فلم يجيبوا فأنزل الله تعالى قوله تعالى الذين آمنوا
ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أي الذين أقروا بتوحيد الله ولم يخلطوا إيمانهم بشرك أولئك لهم الأمن من العذاب وهم
مهتدون إلى الحجة وقيل إلى الجنة وقيل إن قوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم قول إبراهيم عليه
السلام • وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا وأينا لم يلبس إيمانه بظلم فقال صلى الله عليه وسلم ليس هو كذلك ألا تسمعون إلى قول لقمان إن الشرك لظلم عظيم
قوله عز وجل وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه أي تلك المقالة التي حاج بها إبراهيم حجتنا أعطيناها وألقيناها
إبراهيم ليحتج بها على قومه نرفع درجات من نشاء في الدنيا بالحجة والنصرة وفي الآخرة بالثواب والفضيلة ومن
قرأ درجات بالتنوين لا على الإضافة معناه نرفع من نشاء درجات إن ربك يا محمد حكيم في تفضيل بعض الناس
على بعض وتخصيص بعضهم بالنبوة قوله عز وجل ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا
من قبل أي وهبنا لإبراهيم ابنه إسحاق لصلبه ويعقوب نافلة يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب هديناهم للنبوة والإسلام
ونوحا هديناه من قبل أي هديناه للنبوة والإسلام من قبل إبراهيم ومن ذريته داود وسليمان أي ومن
ذرية نوح وهذا قول بعضهم وجعلوا الهاء راجعة إلى نوح لأنها أقرب إلى اسمه ولأنه ذكر في جملة المعطوفين على
داود وسليمان من ليس من ذرية إبراهيم وهو من ذرية نوح كيونس عليه السلام وكلوط عليه السلام الذي كان
ابن أخي إبراهيم ولم يكن من ولده • وقال بعضهم الهاء راجعة إلى إبراهيم لأنه هو المقصود بالذكر فيما تقدم من الآي
وكذلك نجزي المحسنين أي كما تفضلنا على هؤلاء الأنبياء بالنبوة وما يتصل من العز والكرامة كذلك نتفضل
على المحسنين قوله تعالى وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين معناه ومن ذريته إبراهيم زكريا
ويحيى وعيسى وإلياس كل من المرسلين قال الضحاك كان إلياس من ولد إسماعيل بن إبراهيم • وقال بعضهم معنى هذه الآية
وهدينا زكريا ويحيى وعيسى وإلياس • وفي هذه الآية حجة على من أنكر في الحسن والحسين أنهما أبناء رسول الله صلى الله
عليه وسلم لأن الله تعالى جعل عيسى ولا أب له من ذرية إبراهيم قوله تعالى وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا معناه
وهدينا إسماعيل واليسع وهو تلميذ إلياس وخليفته من بعده • وقال محمد بن إسحاق هو ابن أخي موسى عليه السلام وفيه
قراءتان اليسع بالتشديد وبالتخفيف وكلا فضلنا على العالمين أي وكل هؤلاء الأنبياء فضلنا
بالنبوة والإسلام على عالمي زمانهم قوله تعالى ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم أي هدينا بعض آبائهم من قبلهم
مثل آدم وشيث وإدريس وبعض ذرياتهم من بعدهم وهم أولاد يعقوب ومن جملة ذرياتهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى وإخوانهم وهم إخوة يوسف في عصرهم ويحتمل أن يكون المراد بهم من كان آمن معهم فإنهم كلهم إخوة
في هداية الإسلام قوله تعالى واجتبيناهم أي اصطفينا هؤلاء الأنبياء بالنبوة والإخلاص وجمعناهم خصائص
الجنة مأخوذ من قولهم جبيت الماء في الحوض وجبيته إذا جمعته • قوله تعالى وهديناهم إلى صراط مستقيم
أي مستقيم وهو طريق الحق وهو دين الإسلام قوله عز وجل ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده أي
ذلك الطريق المستقيم دين الله يوفق له من يشاء من عباده من كان أهلا لذلك ولو أشركوا هؤلاء الأنبياء مع علو مرتبتهم واصطفاء
الله تعالى إياهم لبطل أعمالهم التي كانوا يعملون من الطاعة فكيف أنتم يا أهل مكة قوله تعالى أولئك الذين

أتيناهم الكتاب والحكم والنبوة أي أولئك الأنبياء صلوات الله عليهم أعطيناهم الكتاب والحكم
والحكم بين الناس وأكرمناهم بالنبوة والرسالة فإن يكفر بها هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها قوما
ليسوا بها بكافرين وهم أهل المدينة وأتباع النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم الملائكة وإنما قال
وكلنا بها ولم يقل فقد قاموا بها تشريفا للملائكة بالإضافة إلى نفسه على معنى أكرمنا ووفقنا إلى الإيمان بها أي
معناه فقد أرسلناها في قوم ليسوا بها بكافرين فقاموا بها قوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده أي أولئك الأنبياء الذين ذكرناهم من قبل هم الذين أكرمهم الله بالطريقة الحسنة فاقتد بسيرتهم
واصبر كما صبروا حتى تستحق من الثواب ما استحقوا وإنما أثبت الهاء في اقتده ليبين بها كسر الدال
فإن وصلت قلت اقتد قل لا أسألكم و قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا معناه قل يا محمد لا أسألكم على الإيمان
والقرآن جعلا إن هو يعني القرآن إلا عظة تبلغه للجن والإنس وفي الآية دليل على أن شرائع الأنبياء تلزمنا
ما لم يقم دليل نسخه لأن اسم الهدى يقع على التوحيد والشرائع قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا
ما أنزل الله على بشر من شيء قال ابن عباس وسعيد بن جبير في معنى هذه الآية جاء رجل من اليهود إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله يا مالك بالذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام أتجد فيها أن الله يبغض
الحبر السمين قال نعم قال فأنت الحبر السمين وقد سمنت من مأكلتك التي تطعمك اليهود ولست تصوم أي
فضحك به بعض القوم فغضب مالك وكان حبرا سمينا ثم التفت إلى عمر رضي الله عنه وقال ما أنزل
الله على بشر من شيء فأنزل الله هذه الآية وقال السدي نزلت في فنحاص بن عازوراء وهو قائل هذه المقالة
وقال محمد بن كعب جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محتب فقالوا يا أبا القاسم ألا تأتينا بكتاب
من عند الله كما جاء به موسى من عند الله فأنزل الله تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا
موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فقال رجل من اليهود ما أنزل عليك ولا على موسى
ولا على عيسى فأنزل الله هذه الآية ومعناها ما عظموا الله حق عظمته ولا عرفوه حق معرفته وجحدوا فقالوا ما
أنزل الله على بشر من شيء أي من كتاب ولا وحي قل لهم يا محمد من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى يعني التوراة
نورا وهدى للناس أي ضياء للناس وبيانا لهم من الضلالة تكتبونه صحائف تظهرون ما فيها مما ليس فيه صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمانه وصفته ونبوته وتخفون كثيرا أي تسترون ما فيه من صفة النبي
صلى الله عليه وسلم ونعته وآية الرجم قوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم يحتمل أن يكون
خطابا للمسلمين أي علمتم أنتم أيها المؤمنون من الأحكام والحدود ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ويحتمل أنه
خطاب لليهود ولأنه يتسق على ما سبق معناه علمتم بالقرآن ما كنتم تخفونه قبل نزول القرآن ثم
قد ضيعوا كثيرا من الأحكام وكانوا يعاندون ولا يعلمون حتى صاروا كأنهم لم يعلموه وقوله تعالى قل الله
معناه إن هم أجابوك وقالوا أعلمنا الله وإلا فقل الله معلمكم ونقال معناه قل الله أنزل الكلمات على موسى ثم
ذرهم في خوضهم أي دعهم واتركهم في باطلهم يلعبون ونقال لكل من عمل ما لا ينفعه إنما أنت لاعب
قال ابن عباس فلما رجع مالك بن الصيف من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه قالوا ويلك ما هذا
الذي بلغنا عنك زعمت أنه ما أنزل الله على بشر من شيء أتكفر بما جاء به إلى موسى وهو نبي قال إنه قد
أغضبني فلذلك قلت ما قلت فقالوا إذا غضبت قلت غير الحق والله لا يلي لنا أمرا من عمره ما كان يلي عليهم وولوا مكانه
كعب بن الأشرف قرأ ابن كثير وأبو عمرو يبدونها ويخفونها على الإخبار وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب قوله عز وجل
وهذا كتاب أنزلناه مبارك يعني القرآن الذي يكذب به أهل الكتاب ومشركو قريش هو كتاب أنزلناه مبارك
أي فيه بركة ومغفرة للذنوب لمن آمن به والبركة ثبوت الخير على النماء والازدياد قوله تعالى مصدق
الذي بين يديه أي يحق موافق للتوراة والإنجيل وسائر كتب الله في أصل الدين ويقال المراد الذي من بين يديه

النشأة الثانية قوله تعالى ولتنذر أم القرى ومن حولها أي أنزلناه للبركة ولتخوف به أهل أم القرى
وسميت مكة أم القرى لأنها أصل القرى حيث دحيت الأرض من تحتها ولأنها أعظم القرى شأنا ولأنها قبلة يأتيها
الناس بالصلاة إليها وقوله تعالى والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به أي الذين يقرون ويصدقون بالبعث
يؤمنون بالقرآن وفي هذا بيان أن الإيمان بالحساب والجزاء يقتضي الإيمان بالقرآن ولا ينفع بدون الإيمان به وبمحمد
صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وهم على صلاتهم يحافظون أي يداومون على الصلوات الخمس
بركوعها وسجودها ومواقيتها قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم
يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله قال ابن عباس نزلت هذه الآية في مالك بن الصيف ومسيلمة
الكذاب الذي يدعي النبوة وفي عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي كان عبد الله بن سعد تكلم بالإسلام وكان يكتب
للنبي صلى الله عليه وسلم القرآن الذي ينزل عليه في بعض الأحيان وكان إذا أملى عليه النبي صلى الله عليه وسلم
إن الله عزيز حكيم كتب من قبله إن الله غفور رحيم وقال هذا وذاك سواء فلما نزلت الآية في سورة قد أفلح
ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى قوله تعالى فكسونا العظام لحما ثم أملاها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما أملى عليه قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر عجب عبد الله بن سعد من تفصيل خلق الإنسان فجرى على
لسانه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال صلى الله عليه وسلم اكتب فهكذا أنزلت علي فشك عبد الله حينئذ
وقال إن كان محمد صادقا فلقد أوحي إلي مثل ما أوحي إليه ولئن كان كاذبا فلقد قلت كما قال فأنزل الله
هذه الآية معناها أي أحد أكفر وأشد عنادا في كفره ممن اختلق على الله كذبا بأن جعل له شريكا وولدا كما
قال المشركون ومالك بن الصيف ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله والمراد الذي قال أوحي إلي ولم يوح
إليه شيء مسيلمة الكذاب كان يسجع ويتكهن ويدعي النبوة ويزعم أن الله أوحى إليه وأما عبد الله بن سعد
بن أبي سرح فارتد ولحق بالمشركين وقال أنا أعلمكم بمحمد فلقد كان يملي علي فأغيره فأكتب كما شئت قوله عز وجل
ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم أي لو رأيت
الظالمين في غمرات الموت لرأيت لهم عذابا عظيما والظالمون هم الكافرون وقيل المنافقون يراهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر في صف المشركين وقد كانوا مسلمين بمكة فأخرجهم أهل مكة معهم كرها
فلما رأوا قلة المؤمنين رجعوا إلى الشرك فقالوا غر هؤلاء دينهم فعيروا به المؤمنين وقاتلوا مع المشركين فقتلوا
جميعا أو عامتهم قوله تعالى ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا
أنفسكم أي لو رأيت الظالمين في سكراته ونزعاته وشدائده وقوله تعالى والملائكة باسطوا أيديهم معناه أن
ملك الموت وأعوانه من ملائكة العذاب يبسطون أيديهم عليهم بالعذاب ويقولون لهم أخرجوا أنفسكم أي خلصوا
أنفسكم ولستم تقدرون على الخلاص وقيل معناه فارقوا أرواحكم الخبيثة كما يقال للذي تعذبه لأخرجن
نفسك ولأزهقن نفسك وقوله تعالى اليوم تجزون عذاب الهون أي يقال لهم اليوم يوم قبض الروح
وقيل يوم القيامة حين معاينة العذاب اليوم تجزون العذاب الشديد الذي تهانون فيه بما كنتم تقولون على الله
وبما كنتم تتعظمون عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن قوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما
خلقناكم أول مرة أي جئتمونا بلا أموال ولا ولد كما خلقناكم في الابتداء والمعنى أنه يقال لهم ولقد جئتمونا
فرادى وفي الخبر أنهم يحشرون يوم القيامة عراة حفاة غرلا قالت عائشة رضي الله عنها واسوأتاه الرجال
والنساء كذلك فقال صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال إلى النساء ولا النساء
إلى الرجال شغل بعضهم عن بعض قوله تعالى وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم أي تركتم وخلفتم ما
أعطيناكم من الأموال والخير كله أي خلفتم عليها غيركم في دار الدنيا ولم تقدموا منها لأنفسكم وما نرى معكم
شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء يشفعون لكم وتقربونكم إلى الله لقد تقطع بينكم أي وصلكم ومن

قرأ بينكم بالنصب فمعناه تقطع ما بينكم أي ما كنتم فيه من الشركة وضل عنكم ما كنتم تزعمون أنها شفعاؤكم
عند الله حين لم تقدر على دفع شيء من العذاب عنكم • وقال الحسن معنى قوله ولقد جئتمونا فرادى أي كل
واحد على حدة • وقال ابن كيسان منفردين عن المعبودين • وقيل فرادى أي وحدانا لا مال لكم ولا زوج ولا ولد
ولا أحد معكم وفرادى جمع فردان مثل سكران وسكارى وكسلان وكسالى • ويقال أيضا فرد بجزم الراء
وكسرها وفتحها وجمعه فراد وقرأ الأعرج فردى بغير ألف مثل سكرى • وقوله تعالى كما خلقناكم أول مرة
أي حفاة عراة غرلا وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم أي ما أعطيناكم وملكناكم من الأموال والأولاد والخدم
وراء ظهوركم في الدنيا • وقوله تعالى لقد تقطع بينكم قرأ أهل المدينة والحسن ومجاهد والكسائي وحفص بالنصب
وهي قراءة ابن مسعود لأنه شرط • وقرأ الباقون بالرفع • قوله عز وجل إن الله فالق الحب والنوى أي خالق الحب
والنوى كقوله فاطر السموات والأرض أي خالقهما • وقال الحسن وقتادة فالق الحب أي شاق الحبة عن السنبلة
والنواة عن النخلة والحب جمع حبة والنوى جمع نواة • قوله تعالى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من
الحي أي يخرج الإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان وسميت النطفة ميتا لأنها من جملة الموات وقيل معناه
يخرج النبات الغض الطري من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من النبات وكل ما يكون ناميا عند أهل
اللغة فهو بمنزلة الحي وما لا يكون ناميا فهو بمنزلة الميت • ويقال معناه يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر
من المؤمن • قوله تعالى ذلكم الله أي ذلكم الله الذي يفعل هذا الفعل هو الله فأنى تؤفكون أي من
أين تصرفون عن الحق والإفك في اللغة هو قلب الشيء وصرفه • قوله تعالى فالق الإصباح وجاعل الليل
سكنا أي شاق عمود الصبح من سواد الليل • وقال ابن عباس معناه خالق الإصباح • قال الزجاج الإصباح
والصبح واحد والأصباح جمع الصبح • ويقال الإصباح بكسر الألف مصدر ومعناه الدخول في ضوء النهار
وقوله تعالى وجاعل الليل سكنا لتسكنوا فيه من طلبه في أوطانكم • وقرأ الحسن فالق الأصباح بالفتح جمع صبح وجاعل
الليل سكنا يسكن فيه خلقه • وقرأ النخعي وجعل الليل سكنا على الفعل ومعناه نور النهار بالنور ليتسعوا من
فضله وجعل الليل سكنا • قوله تعالى والشمس والقمر حسبانا نصب الشمس على معنى وجعل لأن في جاعل معنى جعل
أي جعل منازل الشمس والقمر بحساب معلوم لا يختلف إذا انتهى أحدهما إلى أقصى منازله رجع فإن الشمس تدور
على الفلك كله في ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم والقمر يدور على الفلك كله في ثمانية وعشرين يوما ويكون
مستورا في ليلتين ثم يعود إلى ما كان فيعرف الناس بذلك أحوال عقودهم وأوقات معاملاتهم وعباداتهم
وسنين أعمارهم والحسبان مصدر يقال فلان حسبانه على الله أي حسابه على الله • ويقال إن الحسبان جمع
حساب كما يقال شهاب فهو شهبان • قوله تعالى ذلك تقدير العزيز العليم أي ذلك الذي وصفت تقدير المنيع
المنتقم في سلطانه الغالب الذي لا يغلب العالم بمصالح مملكته • وقوله عز وجل وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا
بها في ظلمات البر والبحر أي هو الذي جعل لكم النجوم التي تختلف مواضعها من جهة الشمال والجنوب والصبا
والدبور لتعرفوا بها الطرق من بلد إلى بلد في ظلمات البر والبحر أي في المفاوز ولجج البحار في الليالي المظلمة في
السفر فإن من النجوم ما يجعله السائر تلقاء وجهه ومنها ما يجعله خلفه ومنها ما يجعله عن يمينه ومنها ما يجعله
عن يساره ليظهر له الطريق التي تؤدي به إلى بغيته • وقوله تعالى قد فصلنا الآيات أي بينا العلامات مفصلة
لقوم يعلمون • قوله تعالى وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة أي أنشأ خلقكم من نفس آدم عليه السلام وحده
فإنه خلقنا جميعا منه وخلق أمنا حواء من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام والمنة علينا هذا لأن الناس
إذا رجعوا إلى أصل واحد كانوا أقرب إلى أن يألف بعضهم بعضا • قوله تعالى فمستقر ومستودع قرأ ابن
كثير وأبو عمرو فمستقر بكسر القاف على معنى فمنكم مستقر • وقرأ الباقون بفتحها على معنى ولكم مستقر • وقال
ابن عباس معنى قوله فمستقر ومستودع أي مستقر في أرحام الأمهات ومستودع في أصلاب الآباء • وقال بعضهم

على

على الضد من هذا لأن لفظ المستقر فيمن خلق كلفظ المستودع فيمن لم يخلق بعد • وقال ابن مسعود معناه
مستقر في الرحم إلى أن يولد ومستودع في القبر إلى أن يبعث • وقال الحسن مستقر في الدنيا ومستودع في القبر
وقال مجاهد المستقر على وجه الأرض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة • وقال أبو العالية مستقرها
أيام حياتها ومستودعها حين تموت وحين تبعث • وقال بعضهم مستقر في الرحم ومستقر فوق الأرض ومستقر تحت
الأرض ثم قرأ ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين • وقيل المستقر في القبور
والمستودع في الدنيا • قال الحسن يا ابن آدم أنت وديعة في أهلك ويوشك أن تلحق بصاحبك وأنشد قول
لبيد • وما المال والأهلون إلا ودائع • ولا بد يوما أن ترد الودائع • وقال آخر
فجع الأحبة بالأحبة قبلنا • فالناس مفجوع به ومفجع • مستودع أو مستقر مدخلا • فالمستقر يزوره المستودع
قوله عز وجل قد فصلنا الآيات أي بينا العلامات الدالة على توحيد الله تعالى مفصلة لقوم يفقهون أي لقوم يستدلون
معاني الآيات والفقه في اللغة هو الفهم لمعنى الكلام لأنه قد جعل في العرف عبارة عن علم الغيب على أنه يعني
أسبابه كمعنى الكلام بالاستنباط عن الأصول ولهذا لا يجوز أن يوصف الله بأنه فقيه لأنه لا يوصف بالعلم على جهة
الاستنباط ولكنه عالم بجميع الأشياء على وجه واحد • قوله عز وجل وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به
نبات كل شيء أي أنزل لنا من السماء المطر فإن الله تعالى ينزل المطر من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الأرض
كما قال تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا • وقوله تعالى فأخرجنا به نبات كل شيء أي فأخرجنا بالمطر نبات كل
صنف من أصناف الحبوب بعضا يأكلهم فإن قيل كيف قال الله تعالى فأخرجنا به نبات كل شيء فجعل المطر سببا للنبات
والفاعل بالسبب يكون مستعينا بفعل السبب والله تعالى مستغن عن الأسباب قيل إنما قال الله تعالى فأخرجنا به لأن
المطر سبب يؤدي إلى النبات وليس بمولد له والله تعالى قادر على إنبات النبات بدون المطر وإنما يكون الفاعل
بالسبب مستعينا بذلك السبب إذا لم يمكنه فعل ذلك الشيء إلا بذلك السبب كما أن الإنسان إذا لم يمكنه أن يصعد السطح إلا
بالسلم كان السلم آلة للصعود والطائر إذا صعد السطح بالسلم لم يكن آلة له لأنه يمكنه أن يصعد السطح بدون السلم
قوله تعالى فأخرجنا منه خضرا أي أخرجنا من المطر نباتا أخضر وهو ساق السنبلة • وقوله تعالى نخرج
منه حبا متراكبا أي نخرج من ساق السنبلة حبا قد ركب بعضه بعضا يعني سنابل البر والشعير والأرز
والذرة وسائر الحبوب تركب بعضه بعضا • قوله تعالى ومن النخل من طلعها قنوان دانية أي عذوق قريبة
المتناول ينالها القاعد والقنوان جمع القنو مثل صنو وصنوان والقنو عذق النخلة والعذق بفتح العين النخلة
قال الزجاج في الآية محذوف أي دانية وغير دانية وهي التي يكون بعيدة المتناول • وقرأ الأعرج قنوان بضم
القاف وهي لغة قيس • وقال مجاهد معنى قوله دانية أي مدلاة • وقال الضحاك ملتزقة بالأرض • وقوله تعالى
وجنات من أعناب عطف على قوله تعالى خضرا أي وأخرجنا جنات يعني بساتين وأشجار الكرم وكل نبت
متكاتف قد ستر بعضه بعضا فهو جنة من جن إذا استتر • وقرأ الأعمش ويحيى بن يعمر وعاصم وجنات بالرفع عطفا
على قنوان لفظا وإن لم يكن في المعنى من جنسها وكذلك قوله والزيتون بالرفع أيضا • وقوله تعالى والزيتون
والرمان مشتبها وغير متشابه أي وأخرجنا من شجر الزيتون وشجر الرمان مشتبها وغير متشابه أي منها
ما يشبه غيره في الصورة واللون ومنها ما لا يشبهه • وقيل معناه مشتبها في المنظر واللون وغير متشابه في الطعم
مثل الرمان الحامض والحلو والقابض في الجمع بين شجر الزيتون وشجر الرمان في هذه الآية لأنهما شجرتان يشتمل ورقهما
على الغصن من أوله إلى آخره تشبه أوراقهما وتختلف ثمارهما • قوله تعالى انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه
أي انظروا إلى خروج الثمر نظر الاعتبار إذا انعقد وهو غض وينعه إذا نضج واختلف اللون من بين أصفر وأبيض وأحمر
ومعناه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه أي ونضجه وإدراكه • وقرأ أبو رجاء ويانعه بالألف • قوله تعالى انظروا
إلى ثمره قراءة أهل الكوفة غير عاصم ثمره بضم الثاء والميم على جمع الثمار فيكون جمع الجمع لأن الثمر جمع الثمار • ومعنى

لأنه انظروا إلى الثمر في ابتداء طلوعه وانظروا إليه في انتهائه بحاله وقت إدراكه إن في ذلكم لآيات لقوم
يؤمنون أن في خلق هذه الأشياء وتصريفها ونقلها من حال إلى حال لعلامات دالة على البعث لقوم يؤمنون
الله وهذه الآية دالة للمؤمنين وغيرهم إلا أنه خص المؤمنين بالذكر لأنهم هم الذين ينتفعون بالاستدلال بها.
قوله عز وجل وجعلوا لله شركاء الجن قال ابن عباس نزلت هذه الآية في الزنادقة قالوا إن الله تعالى وإبليس
أخوان فالله خالق الناس والدواب والأنعام وكل خير وإبليس خالق السباع والحيات والعقارب وكل شر فذلك
قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا. وقال مقاتل نزلت الآية في جهينة
وخزاعة قالوا إن صنفا من الملائكة يقال لهم الجن بنات الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. وانتصب
الجن لكونه بدلا من شركاء أو لأنه مفعول ثان على تقدير وجعلوا الجن شركاء لله لقوله وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن إناثا قوله تعالى وخلقهم يجوز أن يكون الهاء والميم عائدة إلى أهل الشرك ويجوز أن يكون عائدة
على الجن على معنى أن الله خلق الجن فكيف يكونوا شركاء له قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم أي كذبوا
بنسبة البنين والبنات إلى الله تعالى فإن مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله تعالى والنصارى قالوا المسيح
ابن الله واليهود قالوا عزير ابن الله وكذبوا كلهم لعنة الله عليهم يقال خرق واخترق واختلق وافترى إذا كذب
وقرأ أهل المدينة وخرّقوا له بالتشديد على التكثير قوله تعالى بغير علم أي بجهلهم لا بحجة سبحانه وتعالى عما
يصفون كلمة تنزيه وتبعيد لله تعالى عن كل سوء أي تنزه عما يقول عليه الجاهلون وقوله
تعالى من العلو أي استعلى عما وصفوه ويجوز في صفات الله علا ولا يجوز ارتفع لأن العلو قد يكون بالاقتدار لا
يقتضي الجهة والمكان قوله عز وجل بديع السموات والأرض أي مبدع السموات والأرض منشئهما ابتداعا على غير
مثال سبق قوله تعالى أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة أي من أين يكون له ولد وكيف يكون له ولد
ولم يكن له زوجة ولا يكون الولد إلا من زوجة قوله تعالى وخلق كل شيء نفي للزوجة والولد أي كيف
يكون له ولد وصاحبة وقد خلق الأشياء كلها وهو بكل شيء عليم من خلق العباد ومصالحهم وجهل الكفار
وعنادهم قوله تعالى ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه معناه أن الذي خلق الأشياء
كلها وعلمها والذي أشركتم به هو الله تعالى ربكم لا إله غيره خالق كل شيء من الخلق فأطيعوه ووحدوه ولا تشركوا
به ومن غيره في العبادة وهو على كل شيء وكيل أي حافظ قوله تعالى لا تدركه الأبصار أي لا تحيط
الأبصار بكنهه وهو يدرك الأبصار أي يعلم كنهها وماهيتها فإنه لا أحد يعلم ما يبصر بعينيه ولا يبصر
بغيرهما وما الشيء الذي يبصر به الإنسان بصرا وكيف حقيقة البصر فأعلم الله تعالى أن خلقا من خلقه لا يدركون
كنهه ولا يحيطون بعلمه فكيف يحيطون بالله فمن حمل الآية على هذا التأويل لم يكن فيه ما ينفي الرؤية في الآخرة لأن
معنى الرؤية غير معنى الإحاطة بحقيقة الشيء. وقال بعض المفسرين إن الإدراك إذا قرن بالبصر كان المراد منه
الرؤية فإنه يقال أدركت ببصري ورأيت ببصري بمعنى واحد كما يقال أدركت بأذني وأصل الإدراك اللحوق ونحو قولك
أدركت زمان فلان وأدرك فلان أبا حنيفة وأدرك الزرع والثمرة وأدرك الغلام إذا لحق حال الرجال وإدراك
البصر الشيء لحوقه له برؤيته إياه إلا أنه لا يمتنع أن تكون هذه الآية عامة من جهة اللفظ والمراد بها الخصوص
توفيقا بين هذه الآية وبين قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة قوله تعالى وهو اللطيف الخبير
أي اللطيف بعباده في التدبير الخبير بمصالحهم قوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه
أي قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والبصائر جمع البصيرة وهي الحجة البينة فمن أبصر فلنفسه نفعه ومن عمي
عن الحق والقرآن فعلى نفسه ضرر ذلك وما أنا عليكم بحفيظ أي برقيب أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها فإن
الله يجازيكم على أعمالكم وقيل معناه لست عليكم بحفيظ فآخذكم بالإيمان وأمنعكم من أضدادكم إنما أنا رسول أبلغكم
رسالات ربكم وهو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم قوله تعالى وكذلك نصرف الآيات أي مثل

ما صرفنا الآيات وبيناها فيما تلي عليك نصرف الآيات ونبينها في المستقبل لئلا يقولوا اختلقه من تلقاء نفسك وليـ
يقولوا درست أي قرأت كتب أهل الكتاب ومن قرأ دارست فمعناه ذاكرت أهل الكتاب وكان أهل مكة يقولون
إنما يتعلم من جبر ويسار وكانا غلامين عبرانيين بمكة ومعنى درست أي درست هذه الأخبار التي تتلوها علينا ومعنى
دارست أي قارأت أهل الكتاب وتعلمت منهم وقرأت عليهم وقرؤوا عليك. وقرأ قتادة درست أي قرئت وتليت
وقرأ الحسن وابن عامر ويعقوب درست بفتح الدال والراء والسين وجزم التاء يعني تقادمت وامحت ومضت وذكر
الأخفش درست بضم الراء ومعناها درست إلا أن ضم الراء ومعناها درست أشد مبالغة. وقرأ ابن مسعود
والأعمش درس من غير تاء يعنون النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ولنبينه لقوم يعلمون أي
ولنبين القرآن والتصريف لقوم يعلمون قوله تعالى اتبع ما أوحي إليك من ربك أي اعمل يا محمد بما أنزل إليك في
القرآن من حلاله وحرامه لا إله إلا هو أنزله قوله تعالى وأعرض عن المشركين أي اتركهم في ضلالتهم وهذا منسوخ
بآية السيف وقيل معناه أعرض عنهم استخفافا لأنهم قوله عز وجل ولو شاء الله ما أشركوا أي ولو شاء الله لوفقهم
إلى الإيمان وما جعلناك عليهم حفيظا تمنعهم مما يضرهم وما أنت عليهم بوكيل أي وما أمرناك أن تلزمهم
الإيمان شاؤوا أو أبوا فإنك لا يمكنك أن تفعل ذلك بهم وإنما هو بقدرة الله على هذا ولكنه لم يفعل حتى لا يزول التكليف
وما جمع بين حفيظ ووكيل لاختلاف معناهما فإن الحافظ للشيء هو الذي يصونه عما يضره والوكيل بالشيء هو الذي
يجلب الخير إليه قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وذلك
حين قال تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها
خالدون قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا وعيبها أو لنشتمن إلهك الذي تعبده فأنزل الله تعالى هذه الآية
أي لا تسبوا معبودهم الذي يعبدونه من دون الله فيسبوا الله عدوا أي ظلما ونصب عدوا على المصدر أي يعدون
عدوا ويقال نصب على إرادة اللام أي يسبون للعدو قوله تعالى بغير علم أي يحملهم جهلهم بالله على أن يسبوه
وفي هذا دليل على أن الإنسان إذا أراد أن يأمر غيره بالمعروف وهو يعلم أن المأمور يقع بذلك في أشد مما هو فيه من شتم أو
ضرب أو قتل كان له أن لا يأمره ويتركه على ما هو فيه وقرأ بعضهم عدوا بغير علم أي أعداء نصب على الحال وقال
قتادة كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فإنهم قوم جهلة قوله تعالى كذلك
زينا لكل أمة عملهم كما زينا لك دينك وعملك كذلك زينا لكل أمة عملهم الذي يعملونه على الطبائع إليه مجازاة
لهم على فعلهم كما قال تعالى طبع الله عليها بكفرهم قوله تعالى ثم إلى ربهم مرجعهم أي مصيرهم ومنقلبهم
إلى الله فينبئهم بما كانوا يعملون في الدنيا قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها أي حلفوا
بالله واجتهدوا في المبالغة في اليمين لئن جاءتهم آية أي علامة لنبوتك لنصدقن بالله وتعظيما له لما آيات التي
كانوا يقترحونها عليه قل لهم يا محمد إنما تجيء الآيات من عند الله إن شاء أنزلها وإن شاء لم ينزلها وإنما ينزل على حسب
المصلحة قوله تعالى وما يشعركم خطاب للمؤمنين أي وما يدريكم أيها المؤمنون أنها إذا جاءت لا يؤمنون لما
سبق في علم الله من الشقاوة. قرأ مجاهد وقتادة وأبو عمرو وابن كثير إنها بالكسر على الابتداء وجزم لا يؤمنون
وقرأ الباقون بالفتح ومعناه عند الخليل وسيبويه لعلها إذا جاءت. وقرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء
على مخاطبة الكفار أي وما يشعركم يا أهل مكة أنها إذا جاءت لا تؤمنون. وقرأ الباقون بالياء. وقرأ الأعمش وما
يشعرهم أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون قوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة أي
نترك أفئدتهم وأبصارهم منقلبة كما هي في الحيرة التي هم فيها والغفلة التي فيهم ولا نوفقهم مجازاة لهم فلا يؤمنون
كما لم يؤمنوا به أول مرة أي أول مرة أتتهم الآيات وقيل معناه ونقلب أفئدتهم وأبصارهم على جمر جهنم ونارها
جزاء على ترك الإيمان وعقوبة عليهم ونذرهم في طغيانهم يعمهون أي نتركهم في ضلالتهم يتحيرون ويترددون
قوله عز وجل ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا

إلا أن يشاء الله نزلت هذه الآية في رهط من أهل مكة من المستهزئين وهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل
والأسود بن عبد يغوث وغيرهم قالوا يا محمد ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحق ما تقول أم باطل وأرنا
الملائكة يشهدون لك أنك رسول الله أو ائتنا بالله والملائكة قبيلا أي كفيلا على ما تقول أنه الحق فأنزل
الله هذه الآية ومعناها ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة معاينة للشهادة على نبوتك كما سألوا وكلمهم الموتى بأنك
رسول الله وأن القرآن كلامه وحشرنا عليهم كل شيء من الطيور والوحوش والسباع وسائر الدواب تقول بتصديقك
بصحة ما تقول يا محمد **ما كانوا ليؤمنوا** إلا أن يوفقهم الله للإيمان **ولكن أكثرهم يجهلون** أن
الحق ما جئتهم به [illegible] ذلك ويجوز أن يكون المعنى قبلا أي مقابلة ومواجهة من المقابلة وقال جماعة على معنى الجمع جمع
القبيل والقبيل جمع قبيلة كسفينة وسفن قرأ أهل المدينة والشام قبلا بكسر القاف وفتح الباء معاينة والمعنى
لو أنا أظهرنا لهم هذه الأشياء والطير والوحوش أن محمدا رسول الله وأن ما أتاكم به حق قالوا لهم ذلك معاينة ومشاهدة
ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله قوله عز وجل **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن** أي كما
جعلنا لك ولأمتك أعداء مثل أبي جهل وأصحابه كذلك جعلنا لكل نبي من الأنبياء وأممهم أعداء شياطين نصب على
البدل من عدوا ومعناه ويجوز أن يكون منصوبا ثانيا قال ابن عباس في معنى هذه الآية أن إبليس قسم جنده فريقين
فبعث فريقا منهم إلى الإنس وفريقا إلى الجن فشياطين الإنس وشياطين الجن يلتقي بعضهم ببعض فيقول بعضهم لبعض أضللت
صاحبي بكذا وكذا من قبل الشهوات واللذات من المراكب والملابس والطعام والشراب فإن أعياني من وجه أتيته من وجه
آخر فأضل صاحبك بمثله فذلك قوله عز وجل **يوحي بعضهم إلى بعض** أي يلقي بعضهم إلى بعض ويملي بعضهم
على بعض **زخرف القول** أي المموه الذي يكون باطنه خلاف ظاهره من الأعمال القبيحة قوله تعالى **غرورا** نصب على
المصدر كأنه قال يغرون به غرورا وذهب بعض المفسرين إلى أن الشياطين اسم لكل عات متمرد من الجن ومن الإنس شياطين
ومن الإنس شياطين كما روي عن أبي ذر رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فقال لي
أن صليت فقلت لا فقال قم فصل فقمت فصليت وجلست إليه فقال لي يا أبا ذر تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن قوله تعالى **ولو شاء
ربك ما فعلوه** أي ولو شاء ربك أن يمنع الشياطين من الوسوسة ما فعلوه ولكن يمتحن عباده بما يعلم أنه الأبلغ في الثواب
والأجزل في الثواب قوله تعالى **فذرهم وما يفترون** أي اتركهم وافتراءهم وكلهم على ضعفهم لأنهم لا يقدرون
عليهم قوله تعالى **ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة** عطف على غرورا أي يوحي بعضهم
إلى بعض زخرف القول غرورا ولتميل إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالبعث ولكن يرضوا القول المزخرف
وليكتسبوا ما هم مكتسبون من الإثم وهو ما يقضي عليهم في اللوح المحفوظ يقال اقترف فلان ذنبا إذا عمله وقيل
معنى ليقترفوا أي ليختلقوا وليكذبوا وقرأ النخعي ولتصغى بضم التاء وكسر الغين يميل والإصغاء الإمالة
ومنه الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصغي الإناء للهرة والأفئدة جمع فؤاد مثل غراب وأغربة
وليقترفوا ما هم مقترفون أي وليكتسبوا ما هم مكتسبون وقال أبو زيد وليعملوا ما هم عاملون
يقال اقترف فلان مالا أي اكتسبه وقارفت الأمر أي واقعته قال الله تعالى ومن يقترف حسنة وكل
قرأ ولترضوه وليقترفوا بجزم اللام على لفظ الأمر ومعناه التهديد أي اعملوا ما شئتم قوله عز وجل **أفغير
الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا** وذلك أن مشركي أهل مكة قالوا يا محمد اجعل بيننا
وبينك حكما من اليهود والنصارى فإنهم قرأوا الكتب قبلك فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعناها قل لهم يا محمد
أفغير الله أطلب بيننا ومعبودا يساوي حكمه حكم الله فاجعله حكما وهو الذي أنزل إليكم القرآن مبينا أمره
ونهيه بلغة تعرفونها وقيل مفصلا سورة سورة وآية آية **والذين آتيناهم الكتاب** أي اليهود
هم عبد الله بن سلام وأصحابه **يعلمون أنه منزل من ربك** بما تقدم من البشارة في كتبهم بأن
الله سيبعث في آخر الزمان نبيا من ولد إسماعيل وينزل عليه القرآن وقوله تعالى **بالحق** أي بما أمر به من

البراهين

البالغين على ذلك قوله تعالى **فلا تكونن من الممترين** أي لا تكونن يا محمد من الشاكين في أنهم يعلمون
ذلك وقيل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كأنه قال لا تكونن أيها الجاهل يا محمد صلى
صلى الله عليه وسلم من الشاكين في أمره وقرأ الحسن والأعمش وابن عامر وحفص منزل بالتشديد من التنزيل لأنه
أنزل نجوما مرة بعد مرة وقرأ الباقون بالتخفيف من الإنزال قوله عز وجل **وتمت كلمات ربك صدقا
وعدلا لا مبدل لكلماته** قرأ أهل الكوفة ويعقوب كلمة على التوحيد وقرأ الباقون كلمات على الجمع ومعنى
الآية وتم الإلزام والحجة على وجه الحكمة لا نقصان في ذلك قوله تعالى صدقا أي مخبرة على ما أخبر به تعالى
وعدلا أي أحكامه كلها عدل ولا مبدل لكلماته أي لا مغير لحكمه ودينه فإن اليهود والنصارى
وإن غيروا التوراة والإنجيل لم يمكنهم أن يأتوا بما حتى نقوم مقام حكمه وقيل معناه وتمت كلمة ربك أي وجب
وقيل بأنه ناصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأن عاقبة الأمر له صدقا وعدلا لا مغير لقوله إنا لننصر رسلنا
والذين آمنوا في الحياة الدنيا قوله تعالى **وهو السميع العليم** ظاهر المعنى قوله تعالى **وإن تطع أكثر من في
الأرض يضلوك عن سبيل الله** وذلك أن أهل مكة كانوا يستحلون أكل الميتة ويدعون المسلمين إلى أكلها وكانوا
يقولون أتأكلون ما ذبحه الله فهو أحل مما ذبحتم أنتم بسكاكينكم فأنزل الله هذه الآية ومعناها إن تطع يا محمد أكثر
من في الأرض يضلوك عن دين الله وإنما قال أكثر من في الأرض لأن أكثرهم كفار ضلال قوله تعالى **إن يتبعون
إلا الظن** معناه أن أكثرهم يتبعون أكابرهم بالشك يتبعوهم فيما لا يعلمون أنهم على الحق وإنما يعتقدون على
هذا الظن أنهم أنصفوا على الظن والجهل واتبعوا أهواءهم **وإن هم إلا يخرصون** أي ما هم إلا يكذبون
في قولهم ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم بسكاكينكم قوله تعالى **إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله** أي عن
دين الإسلام وشرائعه **وهو أعلم بالمهتدين** محمد والإسلام وإنما قال علم أن الله تعالى يعلم الذين من كل جهاته
يعلم الذين من بعض جهاته قوله تعالى **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه** عطف على ما دل عليه الكلام الذي قبله كأنه قيل
كونوا على الهدى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح **إن كنتم بآياته مؤمنين** هذا للترغيب في اعتقاد صحته
إباحته وفي أكله قوله تعالى **وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه** يعني من الذبائح وموضع أن نصب أي في
وقد فصل لكم ما حرم عليكم أي قد بين لكم ما حرم عليكم من الميتة والدم ولحم الخنزير على ما تقدم في سورة المائدة
قرأ الحسن وقتادة ومجاهد وأهل المدينة وحفص وأبو عمرو بنصبهما جميعا وقرأ أهل الكوفة إلا حفصا فصل بالفتح وحرم بالضم
وقرأ عطية العوفي فصل بالتخفيف يعني قطع الحكم فيما حرم عليكم وقوله تعالى **إلا ما اضطررتم إليه** أي إلا ما دعتكم
الضرورة إلى أكله فقد حل لكم حينئذ قوله تعالى **وإن كثيرا** يعني الكفار ليأكلون الميتة والذبائح التي لم يذكر اسم الله عليها
عمدا والتي ذبحوها للصنم بلا علم عندهم ولا بصيرة يتبعون الهوى والشهوة في ذلك قوله تعالى **ليضلون** قرأ حمزة وأهل
الكوفة بضم الياء لقوله يضلوك عن سبيل الله وقرأ الباقون بفتحها لقوله هو أعلم من يضل يعني قراءة من قرأ بضم الياء أنهم يضلون
الناس عن الهدى بالدعاء إلى أكل الميتة على وجه الجدال والخداع وقوله تعالى **إن ربك هو أعلم بالمعتدين** أي أعلم بمعتدين
المتجاوزين من الحلال إلى الحرام قوله تعالى **وذروا ظاهر الإثم وباطنه** أي لا تقربوا ما حرم الله عليكم جهرا وسرا
وقيل أراد بظاهر الإثم الزنا الظاهر وبباطنه الزنا السر فإن العرب كانوا يزنون الزنا الظاهر معصية ولا يرونه في الخفية
معصية وقوله تعالى **إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون** أي إن الذين يعملون المعصية ظاهرا وباطنا
سيعاقبون في الآخرة بما كانوا يكتسبون في الدنيا من المعاصي والفواحش قوله عز وجل **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه**
يعني من الذبائح روي عن عبد الله بن عمر أنه أتى على جزار يذبح شاة ونسي أن يذكر اسم الله عليها فأمر ابن عمر غلامه أن يقوم عنده
فإذا جاء إنسان يشتري منه قال إن ابن عمر يقول إنها لم تذك فلا تشتري وقال ابن سيرين إذا ترك التسمية ناسيا لم يذكر عليه
اسم الله لأن أكثر أهل العلم على أن نسيانها لا يوجب التحريم هكذا روي عن علي وابن عباس ومجاهد وعطاء وابن المسيب قالوا
إن ترك التسمية ناسيا لا بأس بأكلها لأن خطابه لا يتناول الساهي إذ الناسي في حال نسيانه لا يكون مكلفا وقوله تعالى

وإنه لفسق أي أن أكله لفسق وقيل إن ترك التسمية وقيل المذبوح بغير تسمية الله تسمى فسقا حتى ذبح على غير وجه
الحق لقوله أو فسقا أهل لغير الله به قوله تعالى وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم أي أن الشياطين
ليوسوسون إلى أوليائهم من الإنس وهم أبو الأحوص الجشمي وبديل بن ورقاء الخزاعي وغيرهما من أهل مكة كانوا
يخاصمون النبي صلى الله عليه وسلم في أكل الميتة واستحلالها والوحي إلقاء المعنى إلى النفس في الخفية وإن أطعتموهم
في استحلالها من غير اضطرار إنكم لمشركون مثلهم وفي هذا دليل أن من استحل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما
أحل الله فهو مشرك وإنما سمي مشركا لأنه اتبع غير الله فأشرك بالله غيره قوله عز وجل أومن كان ميتا فأحييناه
الآية قال ابن عباس نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل وقيل إن المراد بالآية النبي صلى الله عليه وسلم وأبو جهل ومعنى
الآية على القول الأول قال ومن كان كافرا فهديناه بالمعرفة والإسلام وجعلنا له نورا وهو نور الإيمان والقرآن
والحكمة يمشي بذلك النور فيما بين الناس كمن هو في الضلالة وظلمات الكفر ليس بخارج منها أبدا يعني
أن أبا جهل ليس بخارج من الضلالة أبدا. وقال بعضهم المثل زائد تقديره كمن في الظلمات وعن ابن عباس أيضا
معناه أومن كان ميتا فأحييناه يريد حمزة بن عبد المطلب كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها أبو جهل رمى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بفرث وحمزة كافر فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فأقبل وهو
غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع إليه ويقول يا أبا يعلى أما ترى ما جاء به محمد سفه عقولنا وسب
آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فأنزل الله هذه الآية قوله تعالى وكذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون
أي كما زين لأبي جهل عمله الذي كان يعمل كذلك زين للكافرين أعمالهم مجازاة لهم على كفرهم. وقال الحسن زينها لهم
الشيطان قوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها أي كما جعلنا في كل قرية ذا نور يمشي
به في الناس كذلك جعلنا في كل قرية رؤساءها وكبراءها وعظماء أهلها مجرميها. وقيل معناه جعلنا في أهل مكة عظماء
مجرميها كذلك جعلنا في كل قرية وقوله تعالى ليمكروا فيها أي ليصير أمرهم إلى أن يمكروا بالتكبر وتكذيب الرسل وما
يمكرون إلا بأنفسهم أي إن ذلك يحيق بهم وما يشعرون أن كل وبال مكرهم يرجع إليهم قوله تعالى
وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله أي إذا جاءت الأكابر المذكورين وقيل أهل
مكة إذا جاءتهم دلالة واضحة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لن نصدق حتى نعطى من الآيات مثل ما أعطي
رسل الله من المعجزات وذلك أن الوليد بن المغيرة قال والله لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لأني أكبر
منك سنا وأكثر منك مالا. وقال مقاتل قال أبو جهل زاحمنا بنو عبد المطلب الشرف حتى إذا كنا كفرسي رهان قالوا
منا نبي يوحى إليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فأنزل الله تعالى هذه الآية قوله
تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته أي هو أعلم بمن يرسل وبمن يختص بالرسالة وبمن هو أهل لها وهذا
جواب لهم ينبههم أن لا تكونوا رسلا لأنكم لا تكونون أتباعا للرسل بعد قيام الحجة للنبي صلى الله عليه وسلم بين
أنه تعالى إنما يجعل الرسالة عند من يقوم بأدائها ولا يجعلها عند من يضيع ولا يعتمد على التجارة. وقيل إنما
يجعل الله الرسل من الرؤساء والأغنياء لأن الناس يتبعونهم وإن لم يأتوا بالحجج تنزلوا من بعدهم إنما اتبعوهم
كانوا رؤساء أكابر قوله تعالى سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله أي سيصيب الذين أشركوا الجرم ذلة
وهوان بأنهم عند الله وعذاب شديد بمكرهم وتكذيبهم الرسل قال ابن عباس رضي الله عنهما ثم رجع إلى ذكر عمار
وأبي جهل فقال عز وجل فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام أي فمن يرد الله أن يوفقه للإسلام
يوسع قلبه ويثبته لقبوله الإسلام ومن يرد أن يخذله ويجعله في ضلالة الكفر يجعل صدره ضيقا حرجا قيل
الحرج هو موضع الشجر الملتف يعني أن قلب الكافر لا تصل إليه الحكمة كما لا تصل الراعية إلى الموضع الذي التف
فيه الشجر. وقال أهل اللغة الحرج الضيق. وقال مجاهد الحرج الشك. وقال قتادة حرجا ملتبسا. وقال

النضر بن شميل قلقا. وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ. قرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف وشدده الباقون مثل هين وهين
ولين ولين. قوله تعالى حرجا قرأ أهل المدينة وأبو بكر بكسر الراء وفتحها الباقون وهما لغتان مثل دنف ودنف قوله
تعالى كأنما يصعد في السماء يعني يشق عليه الإيمان ويمتنع ويعجز عنه كما يشق عليه صعود السماء. واختلف
القراء في قوله يصعد فقرأ أهل المدينة والبصرة والكوفة إلا أبا بكر يصعد بتشديد الصاد والعين من غير ألف
وقرأ طلحة والنخعي وأبو بكر يصاعد بتشديد الصاد وبالألف بعدها بمعنى يتصاعد. وقرأ الأعرج وأبو رجاء
كأنما يصعد مخففا أي لا يجد مخرجا مشبها ذلك بما لا يمكنه من الضيق يصعد إلى السماء ولا يستطيعه. والأعلى
الله لكأنما يصعد قوله تعالى كذلك يجعل الله الرجس أي مثل ما قصصنا عليك يجعل الله اللعنة في الدنيا والعذاب
في الآخرة على الذين لا يؤمنون أي لا يرغبون ولا يصدقون بالتوحيد روي أنه لما نزلت هذه الآية وقالوا
يا رسول الله كيف يشرح الله صدره للإسلام قال إذا دخل النور في القلب انشرح واتسع قالوا وما علامة
ذلك قال التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت. وقال بعض المفسرين
معنى الآية فمن يرد الله أن يهديه في الآخرة إلى الثواب ونيل الكرامة يشرح صدره للإسلام في الدنيا بالدلالات
ومن يرد أن يضله عن ثوابه ونيل كرامته في الآخرة يجعل صدره ضيقا حرجا في الدنيا عقوبة له على كفره قوله
عز وجل وهذا صراط ربك مستقيما هذا إشارة إلى الإسلام وقيل إلى بيان القرآن سمي ذلك مستقيما لأنه مستقيم
من شكله ولا يعوج به حتى يورده إلى الجنة وقوله تعالى قد فصلنا الآيات أي بيناها بأنه على تراتيبه مفصلة
مبينة لقوم يتعظون بآيات الله ويتذكرون في دلالة آيات القرآن فلم يبق لأحد عذر في التخلف عن الإيمان بعد
هذا البيان قوله تعالى لهم دار السلام عند ربهم قال ابن عباس الله السلام وداره الجنة كأنه قيل لهم جنة
الله. وقال الفراء معناه لهم دار السلامة الدائمة من كل آفة وبلية قوله تعالى عند ربهم أي في الآخرة وقيل معناه
مضمونة عند ربهم وهو وليهم أي يتولى أمرهم بنصرهم في الدنيا وإكرامهم في الآخرة بما كانوا يعملون من الطاعة
قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس معناه يوم يحشر الخلائق كلهم للحساب
إلى الجزاء نقول يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ممن أضللتموهم أي أضللتم كثيرا من الإنس فكثر متبعوكم منهم وقال
أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض أما استمتاع الإنس بالجن فما روي الحسن أن العرب كانوا إذا سافروا
ونزلوا واديا خافوا على أنفسهم فقالوا نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيتون في جوارهم وكانوا
يرون ذلك استجارة بالجن. وأما استمتاع الجن بالإنس فكان عظماء الجن يقولون قد سدنا الإنس مع الجن حتى
إن الإنس يعوذون بنا فيزدادون بذلك شرفا في قومهم وعظما في أنفسهم. وهو قوله تعالى وأنه كان رجال
من الإنس يعوذون برجال من الجن الآية قوله تعالى وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا أي إذا كنا وقتنا الذي
وقت لنا قيل إن المراد به وقت البعث. وقيل وقت الموت وفي هذا دليل أنه لا يكون المقتول إلا حلال نحلا وبايعو
بعض العلماء أن المقتول لو لم يقتل لكان يعيش حتما لا محالة لأنه قد كان في علم الله مقتولون وقد أخبر وأكلهم أنهم قد
بلغوا أجلهم الذي قد أجله الله لهم قوله تعالى النار مثواكم أي قال الله لهم النار مقركم ومنزلكم ومستقركم
فإنكم قد أقررتم على أنفسكم باستحقاق العذاب في لزوم الحق عليكم قوله تعالى إلا ما شاء الله قال ابن عباس كان ما شاء
الله يقول إن الله لا يغفر أن يشرك به. وقيل معناه إلا ما شاء الله ما بين البعث إلى وقت الفراغ من الحساب
فإنه لا يكون عذاب في ذلك الوقت. وقيل معناه إلا ما شاء الله أن يعذبهم من صنوف العذاب. قوله تعالى إن
ربك حكيم عليم أي حكيم في عقابهم عليم بقدر ما يستحقون من العذاب قوله عز وجل وكذلك نولي بعض
الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون أي مثل ما قصصنا عليك من تسليط الجن على الإنس نسلط بعض الظالمين
على بعض ثم نجمعهم جميعا في الآخرة بالنار. وقال بعضهم معناه نتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة وقال
بعضهم نسلط بعضهم على بعض ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم من أعان ظالما سلطه الله عليه قوله تعالى

يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي أي نقول لهم يوم القيمة يا معشر الجن والإنس لم لا تعلمنا ما فعلتم ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم القرآن ويخوفونكم لقاء يومكم هذا وهو يوم القيمة • قال ابن عباس كانت الرسل تبعث إلى الإنس وبعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى الجن والإنس قال وهذا كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من الملح منهما وكذلك الرسل من الإنس و قوله تعالى قالوا شهدنا على أنفسنا يعني هم يجحدون حيننا إلا الاعتراف بذنوبهم ويقولون أقررنا على أنفسنا بأنهم بلغوا الرسالة وكذبناهم يقول الله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا أي بزهرتها ونعيمها وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين في الدنيا أي الآخرة قوله تعالى ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون أي ذلك الأمر • وقيل أراد به الإشارة إلى إرسال الرسل و قوله تعالى أن لم يكن ربك أي فعلنا ذلك من أجل أنه لم يكن ربك معذب أهل القرى بظلمهم وذنوبهم وأهلها غافلون عن الأمر والنهي وتبليغ الرسل أي لم يهلكهم بذنوبهم قبل أن يأتيهم رسول ينذرهم وينهاهم عما هم عليه من المعصية فإن رجعوا وإلا عذبهم الله • وقيل معناه لم يهلكهم لظلم منه ولا تعذيبهم وهم غافلون عما كلفوا من غير إقامة الحجة بما ينبح ويحصل من تنبيه لهم من الرسل قوله عز وجل ولكل درجات مما عملوا أي لكل عامل من الخلق نفس مراتب في عمله لأهل الخير درجات في الجنة بعضها فوق بعض ولأهل الشر دركات في النار بعضها أشد عذابا من بعض وما ربك بغافل عما يعملون أي لا يجري عليه السهو عن طاعة المطيع ومعصية العاصي يجزي كل عامل بما عمل قوله تعالى وربك الغني ذو الرحمة أي هو الغني عن العباد وطاعتهم والغني هو الذي لا يحتاج إلى شيء فيكون وجود كل شيء عنده وعدمه سواء و قوله تعالى ذو الرحمة بيان أنه مع كونه غنيا عن شكر العباد وطاعتهم ذو إنعام عليهم والمعنى وربك الغني عن خلقه ذو الرحمة بهم إن يشأ يذهبكم أي إن يشأ يهلككم يا أهل مكة ويستخلف من بعدكم ما يشاء أي من بعد هلاككم خلقا آخر أطوع لله منكم كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين أي مثل ما ابتدأ خلقكم قرنا بعد قرن من أولاد قوم هالكين و قوله تعالى إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين أي إن الذي تخافون من البعث والعذاب لكائن لا خلف فيه وما أنتم بمعجزين أي بفائتين لستم تعدون ولن تعجزوا الله عن إدراككم قوله تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم أي قل لهم يا محمد اثبتوا على حالتكم وعلى علمكم القبيح الذي أنتم عليه وعلى منازلكم إني عامل في أمري على منزلي وهذا على سبيل الوعيد والتهديد فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار أي العاقبة المحمودة في الدنيا والآخرة إنه لا يفلح الظالمون أي لا يظفرون بمرادهم • وقرأ السلمي وعاصم غاصم حمزة والكسائي على لفظ الجماعة • وقرأ مجاهد وأهل الكوفة لا عاصم من يكون بالياء لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي قوله عز وجل وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا قال ابن عباس وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا حرثوا حرثا جعلوا لله حظا وقالوا هذا ودهوا لمن أهيلينا ينفق عليها وعلى خدام الأصنام وما دروا هذا الحظ لله يتصدقون به على أهل الحاجة والمسكنة والشائلين فكانوا إذا أرسلوا الماء في ما سموه لله تعالى وانفجر منه إلى الذي جعلوه لآلهتهم تركوه وقالوا هذا أحوج والله غني عنه وإن انفجر من الذي جعلوه لآلهتهم ردوه وقالوا لا بد لها من النفقة وكانوا إذا هلك الذي لآلهتهم وكثر الذي لله أخذوا الذي لله وأنفقوه على الأصنام وإذا هلك الذي لله وكثر الذي للأصنام قالوا لو شاء الله لأزكى الذي له ومعنى الآية وجعل المشركون من أهل مكة لله مما خلق من الزرع والأنعام نصيبا وللأصنام نصيبا فقالوا هذا النصيب لله بقولهم لم يأمرهم الله بذلك وهذا النصيب الآخر لآلهتنا وفي الآية إضمار والتقدير وجعلوا لله نصيبا ولشركائهم نصيبا و قوله تعالى بزعمهم قرأ السلمي والأعمش والكسائي بضم الزاي وقرأ الباقون بفتحها وهما لغتان و قوله تعالى فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله أي ما كان من نصيب آلهتهم الذي جعلوه لله وما كان لله فهو يصل إلى الذي جعلوه لشركائهم ساء ما يحكمون أي بئس ما يصنعون في تركهم نصيب الأصنام وينقصون نصيب الرحمن بئس الحكم حكمهم في الإشراك في القسمة وكانوا يفعلون في الأنعام

الثمانية

الثمانية الأزواج ونحوها كذلك قوله عز وجل وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم قال ابن عباس كان أهل الجاهلية يدفنون بناتهم أحياء كراهية للبنات وكان الرجل منهم يحلف لئن ولد له كذا وكذا غلاما لينحرن أحدهم كما فعل عبد المطلب على ابنه عبد الله وكانت لآلهتهم خدام ينفقون عليهم هم الذين كانوا يزينون للمشركين قتل أولادهم ومعنى الآية وكما زين تحريم الحرث والأنعام زين كثير من المشركين دفن بناتهم أحياء كراهية لهن ومخافة الفقر و قوله تعالى شركاؤهم أي قرناؤهم وشياطينهم وقيل سدنة آلهتهم يعني خدام أصنامهم • ثم إن بعضهم زين على ما لم يسم فاعله ورفع قوله قتل أولادهم وشركاؤهم يحمل على المعنى على الفاعل كأنه قال من زين لهم فقال شركاؤهم على إضمار زينه • وقرأ ابن عامر زين بضم الزاي وقتل بضم اللام أولادهم بالنصب وشركائهم بالكسر ومعنى ذلك على التقديم والتأخير كأنه قال زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم فيكون معنى الشركاء الكفار القائلين المعتدين منهم والباقين و قوله تعالى ليردوهم أي ليهلكوهم ويجوز أن تكون هذه لام العاقبة فإن لم يكن غرضهم بذلك الأمر إهلاكهم ويجوز أن تكون لام الغرض لأنه قد كان فيهم معاندون وغير معاندين فغلبت صفة المعاندين و قوله تعالى وليلبسوا عليهم دينهم أي ليخلطوا وليشبهوا عليهم دين أبيهم إسماعيل عليه السلام قوله تعالى ولو شاء الله ما فعلوه أي لو شاء الله لمنعهم عن دفن البنات أحياء فذرهم وما يفترون أي اتركهم وافتراءهم على الله أنه أمرهم بدفن بناتهم أحياء فإن الله تعالى لا يغره عليهم تركهم فاتركهم أنت فإن لهم موعدا يحاسبون فيه • وقرئ قتل أولادهم شركائهم كلاهما بالجر يريد الشركاء من نصيب الأولاد لأن أولادهم شركاؤهم في أموالهم قوله تعالى وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم أي قالوا هذه الأنعام والحرث التي جعلوا بعضها لله وبعضها للأوثان حجر أي حرام لا يأكلها ولا يذوقها إلا من نأذن له في أكلها وهم الرجال دون النساء بزعمهم أي بقولهم و قوله تعالى وأنعام حرمت ظهورها هي البحيرة والسائبة والحام حرموا الركوب عليها وأما الوصيلة فإنها كانت من الغنم خاصة و قوله تعالى وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها أي وأنعام أخر كانوا يذبحونها لأصنامهم تقربا إليها ويزعمون أن الله أمرهم بذلك و قوله تعالى افتراء على الله نصب على معنى لا يذكرون اسم الله عليها كذبا على الله وكذبا عليه وقيل نصب على المصدر أي افتروا افتراء و قوله تعالى سيجزيهم أي سيكافيهم بكذبهم وافترائهم على الله قوله تعالى وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا أي قال أهل الجاهلية إن الأجنة التي في بطون هذه الأنعام التي زعموا أنها لآلهتهم إذا انفصلت عن أمهاتها فهي حلال لذكورنا خالصة ألبانها وألبانها ومحرم على نسائنا ما دامت تلد حية • وأما تأنيث الخالصة فعلى المعنى كأنهم قالوا جماعة ما في بطون هذه الأنعام أو الأنعام التي في بطون هذه الأنعام • وإنما تذكير قوله ومحرم فلأنه مردود على لفظ ما • وقرأ الأعمش خالص لذكورنا بغير هاء ورده إلى ما ومن نصب خالصة فعلى القطع تقديره ما في بطون هذه الأنعام لذكورنا خالصة • وقرأ ابن عباس خالصة بالإضافة إلى الهاء قوله تعالى وإن يكن ميتة أي قالوا وإن يكن الأجنة التي في بطون الأنعام ميتة فهم فيه شركاء الرجال والنساء • وقرأ أبو جعفر وابن عامر وإن تكن بالتاء لأن الميتة بمعنى وإن تقع • وقرأ ابن كثير كذلك إلا أنه بالياء • وقرأ أبو بكر تكن بالتاء ميتة بالنصب على معنى وإن تكن الأجنة ميتة • وقرأ الباقون يكن بالياء والنصب وردوه إلى ما ويؤيد ذلك قوله فهم فيه شركاء ولم يقل فيها قوله تعالى سيجزيهم وصفهم أي سيجزيهم في الآخرة بوصفهم الذي وصفوا في هذه الأنعام إلا أنه لما حذف الباء انتصب ويجوز أن يكون معناه سيجزيهم جزاء وصفهم إلا أنه حذف الجزاء وأجرى إعرابه على وصفهم إنه حكيم في مجازاتهم عليم بمقدار جزائهم والمعنى سيجزيهم على وصفهم الكذب على الله قوله عز وجل قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم أي الذين قتلوا بناتهم أحياء جهلا منهم بغير علم بالإيمان ولا بحجة نزلت في ربيعة ومضر الذين كانوا يدفنون بناتهم أحياء مخافة السبي والفقر إلا من كان من بني

كما أنه فإنهم كانوا لا يفعلون ذلك • وقرأ الحسن والسلمي وأهل مكة والشام قتلوا بالتشديد على التكثير وخفف الباقون
قوله تعالى وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله أي حرموا على أنفسهم ما أعطاهم الله من الرزق ومن الأنعام
والحرث يعني أن هؤلاء الكفار جملتهم يقتلون البنات أحياء مخافة الفقر والإنفاق ويجعلون طائفة من أموالهم
للأوثان ويحرمونها على أنفسهم وأولادهم وقوله تعالى افتراء على الله أي يفترون ذلك افتراء على الله بأن الله حرم
هذه الأشياء قوله تعالى قد ضلوا وما كانوا مهتدين أي ضلوا في فعلهم هذا عن الهدى وما كانوا مهتدين
من الضلالة قوله عز وجل وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات الآية هذه الآية متصلة بما
قبلها كأنه قال افتراء على الله وهو الذي أنشأ جنات أي وهو الذي ابتدأ خلق بساتين معروشات وهي الكروم يرفع
بعض أغصانها على بعض وغير معروشات وهي النخل والزرع وكل ما لا يرتفع بعضه على بعض هكذا روي عن ابن عباس
والحسن وقتادة يعني معروشات ما لا يرتفع لو خيطان وغير معروشات ما لا يجعل عليه حائط • وقيل المعروشات ما انبسط
على الأرض وانتشر مما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ وشبهها وغير معروشات ما قام على ساق وطال مثل النخل
والزرع وسائر الأشجار • وقال الضحاك معروشات وغير معروشات الكرم خاصة منها ما عرش ومنها ما لم يعرش
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا أن المعروشات ما أنبته الناس وغير المعروشات ما أخذ من البراري والجبال
من الثمار يدل عليه قراءة علي رضي الله عنه مغروسات بالغين والسين قوله تعالى مختلفا أكله أي مختلف حمله
من الألوان كلها ومختلف في الطعم من الحلو والحامض والمر والجيد والرديء ونصب مختلفا على الحال أي أنشأه في حال
اختلاف أكله وقد تقدم أنه لم يرتفع أكل بالابتداء ومختلفا نعته إلا أنه لما تقدم النعت على الاسم نصب كما يقول عندي
طباخا غلام قال الشاعر • الشر منتشر يلقاك عن عرض • والصالحات عليها مغلقا باب • قوله تعالى
والزيتون والرمان أي وأنشأ شجر الزيتون والرمان متشابها وغير متشابه أي منها ما هو متشابه
ومنها ما هو غير متشابه وقيل متشابها في النظر وغير متشابه في الطعم مثل الرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف قوله
تعالى كلوا من ثمره إذا أثمر هذا أمر إباحة لا أمر إيجاب والفائدة في قوله تعالى إذا أثمر إباحة الأكل منه قبل
إخراج الحق الذي وجب فيه تابعا للمساكين قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده أي أعطوا حق الله تعالى
يوم يحصد أراد العشر فيما سقته السماء ونصف العشر فيما سقي بغرب أو دالية كذا قال ابن عباس والحسن وقال ابن
عمر رضي الله عنه يعني وآتوا حقه ما يتطوع به الإنسان عند دفع الغلة والصدقة وبه قال مجاهد إذا حصدت
فحضرك المساكين فاطرح لهم منه وإذا دسته وذريته فاطرح لهم منه وإذا عرفت كيله فأخرج زكاته • قال إبراهيم النخعي
هذه الآية منسوخة بالعشر ونصف العشر وفي قوله حصاده قراءتان بكسر الحاء وفتحها قوله تعالى ولا تسرفوا إنه
لا يحب المسرفين هذا خطاب للأئمة أي لا تأخذوا فوق حقكم • وقيل خطاب لأرباب الأموال أي لا تتصدقوا بالجميع
ولا تبقوا للعيال شيئا • قال ابن عباس كانوا يسارعون بالمعروف عند الحصاد يعطون المساكين والفقراء فأعطى ثابت
بن قيس بن شماس من نخله خاصة خمسمائة نخلة وقسمها في موضع واحد ولم يترك لأهله شيئا فكره الله له ذلك ونزل
قوله تعالى ولا تسرفوا أي لا تعطوا وتذروا الحد فتحتاجوا إلى ما عند الناس • وقال الزهري لا تسرفوا هو الإنفاق في معصية
الله تعالى • وقال مجاهد لو كان أبو قبيس ذهبا فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفا ولو أنفق درهما أو مدا في معصية
الله لكان مسرفا قوله تعالى إنه لا يحب المسرفين ظاهر المعنى • وقيل معنى ولا تسرفوا أي لا تمنعوا العشر ونصف العشر
فتمنعوا الصدقة فتأكلوا حق المساكين قوله عز وجل ومن الأنعام حمولة وفرشا الحمولة كبار الإبل التي يمكن الحمل عليها
والفرش صغارها التي لا يمكن الحمل عليها سميت فرشا لاستوائها في الصغر ولانحطاطها كاستواء ما ينفرش من الفرش وقيل
سميت فرشا لقربها من الأرض يعني أنها الغنم فرشا والمعنى وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشا ويقال لما ذبح فرش
لما يفترش من الثياب في البسط التي تعمل من الوبر لأن الحمولة لا تؤكل إذ أن الله تعالى ذكر في الآية تفسيرها بثمانية
أزواج أي أنشأها الله من الحمولة والفرش ثمانية أزواج قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله أذن في الأكل من الحرث

والأنعام

والأنعام ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم الحرث والأنعام ولا تتبعوا طرق الشيطان فإنه لا يدعوكم إلا إلى
المعصية إنه لكم عدو مبين أي ظاهر العداوة وقد أبان عداوته لأبيكم آدم عليه السلام قوله
تعالى ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين معناه وأنشأ لكم ثمانية أزواج أي أصناف
من الضأن اثنين ذكر وأنثى يعني الذكور زوجا والإناث زوجا تقول العرب لكل من له قرين زوج كما قال تعالى اسكن أنت
وزوجك الجنة قوله تعالى ومن المعز اثنين أي ذكر وأنثى زوجين اثنين والضأن ذوات الألية وهو جمع ضائن
كما يقال تاجر وتجر وقيل واحده ضائنة والمعز ذوات الأذناب القصار وفيه قراءتان تسكين العين وفتحها قوله تعالى
آلذكرين حرم أم الأنثيين أي قل لهم يا محمد من أين جاء هذا التحريم الذي تذكرونه أيها الكفار في الولد السابع
في الغنم أنه حرام على النساء أحرم الله الذكرين من الضأن والذكرين من المعز فحرم ولدهما لحرمة الذكرين أم حرم الأنثيين
من الضأن والمعز فحرم ولدهما لحرمة الإناث فإن جاء هذا التحريم من قبل ذكورهما فيجب أن يكون كل ذكر حراما عليكم
وإن جاء من قبل الأنثيين فيجب أن يكون كل أنثى حراما عليكم وإن جاء من قبل اشتمال الأرحام الأنثيين فيجب أن يكون كل ولد
من الذكر والأنثى حراما عليكم لأن أرحام الأنثيين تشتمل عليهما جميعا قوله تعالى نبئوني بعلم إن كنتم صادقين
أي قل للكفار نبئوني وفسروا لي ما حرم عليكم ببيان وحجة إن كنتم صادقين في مقالتكم إن الله حرم الوصيلة ونحوها
وإنما قال إن كنتم صادقين لأن الصدق لا يمكن إلا بعلم قوله تعالى ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين أي وأنشأ من الإبل
اثنين ذكرا وأنثى وهي من جملة الثمانية الأزواج ومن البقر اثنين ذكرا وأنثى قل آلذكرين حرم أي قل لهم يا محمد أحرم
الولد الخامس من الإبل والبقر على النساء فمن أين جاء هذا التحريم من قبل الذكور أو من قبل الإناث أم من قبل الذي اشتملت عليه
أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا أي أم شاهدتم الله تعالى حرم هذه الأشياء التي تحرمونها
وأمركم بتحريمها يعني إذ أنتم لا تعرفون نبيا من الأنبياء فمن أين علمتم تحريم الله إياها لأن الله تعالى لم يبعثه عليه الصلاة
والسلام إلا ناظرهم وتبين الحجة فساد قولهم وبطلان اعتقادهم فلما نزلت هذه الآية قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم
على عوف بن مالك الجشمي ومالك بن عوف فكان هو الذي يحرم لهم وكانوا يرجعون فيه إليه فسكت مالك وتحير في الجواب
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا مالك ما لك لا تتكلم فقال له مالك بل تكلم أنت وأنا أسمع منك قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى
على الله كذبا ليضل الناس بغير علم وهذا استفهام معناه التوبيخ والتعجب معناه أي لا أحد أعتى ولا أجرى على الله ممن
اختلق على الله كذبا ليضل الناس عن دينه ويحكم بالجهل إن الله لا يهدي القوم الظالمين أي لا يهديهم إلى الحجة فيما
افتروا على الله وقيل لا يهديهم إلى الجنة وثوابه فلما نزلت هذه الآية قال مالك بن عوف فما هذا التحريم الذي حرمه آباؤنا
من السائبة والوصيلة والحام والبحيرة فأنزل الله عز وجل قوله تعالى قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه
إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم
ثم قال يا مالك أسلم فقال إن لي أمرا من قومي فأخرهم عنك فأتى قومه فقالوا له كيف أنت فقال لهم أنت حلالا أو حراما
لهم فقالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون • ومعنى الآية قل لهم يا محمد لا أجد فيما أوحي إلي من القرآن شيئا
محرما على آكل يأكله إلا أن يكون ميتة لم تذك وهي التي تموت حتف أنفها • فمن قرأ إلا أن يكون بالياء فعلى معنى إلا أن يكون المأكول
ميتة • ومن قرأ بالتاء فعلى معنى إلا أن تكون تلك الأشياء ميتة • وقرأ علي رضي الله عنه تطعمه بتشديد الطاء أراد يتطعمه فأدغم
التاء في الطاء قوله تعالى أو دما مسفوحا أي دما مصبوبا سائلا وكانوا إذا ذبحوا أكلوا الدم كما يأكلون اللحم وفي الآية دليل
على أن الدم إذا لم يكن سائلا مثل الدم الذي يكون في عروق اللحم المذكى فإنه لا يكون محرما هكذا قال عكرمة وقتادة وقال
عمران بن حدير سألت أبا مجلز عما يتلطخ باللحم من الدم حتى ترى فيه حمرة الدم قال لا بأس به إنما نهى عن الدم المسفوح وهو الدم
السائل قوله تعالى فإنه رجس وفي هذه بيان أن لحم الخنزير لا يحرم لكونه ميتة لكن يحرم لعينه قوله تعالى أو فسقا
أهل لغير الله به عطف على قوله لحم خنزير والمراد بالفسق المذبوح للصنم وهو الذي يذكر على ذبحه غير اسم الله ومعنى
أهل به أي رفع به مأخوذ من الإهلال الذي هو رفع الصوت ومنه إهلال المحرم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم

إذا استهل الصبي ورث وصلي عليه. وأما الرجس فمعناه الحرام وكل ما استقذرته فهو رجس والرجس العذاب
أيضا في غير هذا الموضع. قوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد أي من دعته الضرورة إلى أكل شيء من هذه
المحرمات غير طالب لذلك بنفسه ولا متجاوز قدر الحاجة منه فإن ربك غفور رحيم إذ جعل لكم في تناول
هذه الأشياء عند الضرورة. فإن قيل لم نص التحريم في هذه الآية على الأشياء المذكورة فيه مع أنه تعالى قد حرم أشياء
في سورة المائدة قيل أن هذه الآية مكية نزلت في جواب الذين حادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في
تحريم البحيرة ونحوها فكانت هذه الأربع المحرمات المذكورات في هذه الآية محرمة يوم نزولها لم يرد بعد
الآية تحريم غيرها كقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير في سورة المائدة وهذه الآية لم تمنع تحريم
شيء آخر غير ما جاء والقياس على المحرمات المنصوصة لاتفاق الفقهاء على تحريم أشياء غير مذكورة في هذه الآية من
القرد والنجاسات. وأما الخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع
وكل ذي مخلب من الطير فهو بمنزلة آية من كتاب الله تعالى لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
قوله عز وجل وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر في هذه الآية بيان ما حرم الله على اليهود. قال ابن عباس
أراد بقوله كل ذي ظفر الإبل والنعام والبط والإوز وما أشبه ذلك مما لم يكن منفرج الأصابع وقيل أراد بذلك ما يصيد
بالظفر مثل النسور والبزاة وما أشكل ذلك من السباع والكلاب. وقال ابن زيد هي الإبل فقط. قرأ الحسن كل ذي ظفْر
بكسر الظاء وإسكان الفاء وقرأ أبو السماك ظِفِر بكسرهما جميعا وهي لغة قوله تعالى ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم أي وحرمنا عليهم من البقر والغنم شحومهما إلا
ما حملت ظهورهما من الشحم وهو السمين أو ما حملته الحوايا وهي المباعر والأمعاء التي عليها الشحم من داخلها واحدها حاوية
وحاويا وحوية سميت بذلك لأنها تحوي ما في البطن أو ما اختلط بعظم أراد به ما يكون من الشحم الذي اختلط بـ
عظم الجنب والألية فقد كانت داخلة في التحريم قوله تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم أي ذلك التحريم عاقبناهم بظلمهم
وإنا لصادقون فيما نقول أن هذه الأشياء كانت حلالا في الأصل فحرمناها على اليهود لمعصيتهم
وكان اليهود بعد هذا التحريم يجملون الشحوم فيبيعونها ويستحلون ثمنها كما قال صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت
عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا أثمانها إن الله إذا حرم شيئا حرم بيعه وأكل ثمنه فلما نزلت هذه الآية قال
النبي صلى الله عليه وسلم هذا ما أوحى الله إلي أنه محرم منه على المسلمين ومنه على اليهود فقال اليهود إنك لم تصب
فيما قلت قال عز وجل فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة أي إن أنكروا ذلك ولم يقبلوا قولك فقل ربكم
ذو رحمة واسعة بالإمهال أن لا يعاجلكم بالعقوبة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين أي لا يرد عذابه عن المشركين
واليهود إذا جاء وقت العذاب قوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا من قبلنا
استباهم وما حرمنا على أنفسنا من شيء من الحرث والأنعام ولكنه شاء لنا الشرك والتحريم قال الله تعالى كذلك كذب
الذين من قبلهم أي هكذا كذبت الذين من قبلهم رسلهم كما كذبك قومك حتى ذاقوا بأسنا أي عذابنا
كذلك كذب بالتخفيف فمعناه كما كذب قومك على الله كذلك كذب من قبلهم من الأمم الخالية على الله حتى ذاقوا عذابنا
قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا أي قل لهم يا محمد هل عندكم من علم من بيان وحجة غير ما في القرآن فتبينوه لنا إن
تتبعون إلا الظن يعني في تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وقوله تعالى وإن أنتم إلا تخرصون أي
ما أنتم إلا تكذبون على الله وأما قال المشركون لو شاء الله ما أشركنا على وجه الاستهزاء فكذبهم الله في ذلك وإن كان
المشيئة حقا كما في سورة المنافقين إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد
إن المنافقين لكاذبون فكذبهم الله في قولهم إنك لرسول الله وإن كان ذلك حقا لأنهم قالوا على وجه الاستهزاء قوله
تعالى ولا آباؤنا عطف على الضمير المتصل معناه ما أشركنا نحن ولا آباؤنا أعلم بتعظيمهم فإن مشيئة
إذا أضفناها إلى الله كان معناها الخذلان مجازاة لهم على سوء أفعالهم وإصرارهم على المعصية قوله عز وجل قل فلله

الحجة

الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين أي أن الله قد بلغكم بحجة وهو ما أحله لكم من الثمانية الأزواج
فلو شاء لوفقكم لدينه وأكرمكم بمعرفته. وقال الحسن معناه قد قامت عليكم الحجة بحالكم الرسول فلو شاء لوفقكم وحملكم
على الإيمان والحجة البالغة التامة الكافية قوله تعالى قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا
أي قل لهم يا محمد هاتوا شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذه الأشياء فإن شهدوا بأن الله حرمها فلا تشهد
معهم لأنهم لا يشهدون إلا بالباطل قوله تعالى ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا أي لا تتبع هوى الذين جحدوا
بك وبالقرآن ونحوهم الذين لا يصدقون بالبعث وإنما فصل بين الفريقين من الكفار من يؤمن بالبعث كأهل الكتاب
ومنهم من لا يؤمن بذلك كعبدة الأوثان قوله تعالى والذين هم بربهم يعدلون أي يسوون بالله في الطاعة.
قوله عز وجل قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أي قل يا محمد لمالك بن عوف الجشمي وأصحابه هلموا واجمعوا
أقرأ عليكم الذي حرمه ربكم عليكم وقوله تعالى أن لا تشركوا به شيئا أي وصيكم وأمركم أن لا تشركوا وقيل أتل عليكم أن
لا تشركوا وقيل معناه حرم عليكم أن تشركوا كما في قوله ما منعك أن لا تسجد قوله تعالى وبالوالدين إحسانا أي
ووصاكم بالوالدين إحسانا أي بالإحسان إلى الوالدين برا بهما وعطفا عليهما ولا تقتلوا أولادكم من إملاق أي
لا تدفنوا بناتكم أحياء مخافة الفقر والإملاق في اللغة نفاد الزاد والنفقة يقال أملق الرجل إذا نفد زاده ونفقته
ومنه الملق وهو بذل المجهود في تحصيل المراد قوله تعالى نحن نرزقكم وإياهم أي علينا رزقكم جميعا قوله تعالى
ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن أي لا تقربوا الزنا سرا ولا علانية ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا
بالحق إلا بإحدى ثلاث خلال زنا بعد إحصان أو كفر بعد إيمان أو قتل نفس بغير حق وروي أن عثمان رضي الله عنه حين
أرادوا قتله أشرف عليهم وقال على ما تقتلوني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى
ثلاث رجل زنا بعد إحصانه فعليه الرجم أو رجل قتل عمدا أو ارتد بعد إسلامه فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام
ولا قتلت أحدا فأقاد نفسي منه ولا ارتددت منذ أسلمت إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذلكم وصاكم به أي هذا الذي ذكر لكم أمركم الله به في كتابه لكي تعقلوا ما أمركم الله به في كتابه
ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده أي لا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن أي لا تقربوا
مال اليتيم الذي لا أب له إلا بحفظه وستره وإصلاحه حتى يبلغ أشده. قال الشعبي هو بلوغ الحلم حيث تكتب له
الحسنات وتكتب عليه السيئات. وقال السدي الأشد أن يبلغ ثلاثين سنة. وقال الكلبي ما بين ثماني عشرة سنة
إلى ثلاثين سنة. وجعل أبو حنيفة غاية الأشد خمسا وعشرين سنة فإذا بلغها دفع إليه ماله ما لم يكن معتوها
قوله تعالى وأوفوا الكيل والميزان بالقسط أي أتموا الكيل والوزن بالعدل لا نكلف نفسا إلا وسعها
إلا جهدها وطاقتها وهذه الآية أصل في جواز الاجتهاد في الأحكام وأن كل مجتهد مصيب فإذا اجتهد الإنسان
في الكيل والوزن ووقعت فيه زيادة يسيرة أو نقصان يسير لم يؤاخذ الله به إذا اجتهد جهده وإن اعتقد
الكمال على ذلك فإن أداه وقد نقص شيئا لم أجر إذا كان ذلك القدر من التفاوت مما يقع بين الكيلين قوله
تعالى وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى أي إذا قلتم فاعدلوا في المقالة وقيل معناه قولوا الحق
إذا شهدتم وحكمتم ولو كان المشهود عليه أو له ذا قرابة من الشاهد قوله تعالى وبعهد الله أوفوا أي
أتموا فرائض الله التي أمركم بها كما قال تعالى ألم أعهد إليكم يا بني آدم ويقال أراد بالعهد في هذه الآية اليمين والنذر
كما قال تعالى وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم قوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون أي
في هذا الذي ذكر الله لكم أمركم الله به في الكتاب لكي تتعظوا فتمتنعوا عن المحرمات قوله عز وجل وأن هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله المراد بالصراط ها هنا الشريعة سمي الشرع
طريقا لأنه يؤدي إلى الثواب في الجنة وقوله تعالى فاتبعوه أي اعتقدوا حلال هذا الدين وحرامه وما أمر
به ونهيه ولا تتبعوا اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر فإنها سبيل الشيطان وهي طريق النار قوله تعالى

فتفرق بكم عن سبيله أي فتضلكم تلك السبل التي اتبعتموها عن دين الله الذي هو الإسلام ذلكم وصاكم به
أي هذا الذي أمركم الله به في القرآن لتتقوا السبل المختلفة وتتبعوا على الإيمان • قال ابن عباس هذه الآيات
الآيات من المحكمات وهن أم الكتاب في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن فإن لم ينسخهن شيء في جميع الكتب وهي
محرمات على بني آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار • قال كعب الأحبار
والذي نفس كعب بيده إن هذه لأول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم
إلى آخر الآيات الثلاث قوله عز وجل ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء معناه
ثم آتينا موسى الكتاب وقيل معنى ثم معنى العطف كأنه قال قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ثم أتل ما آتاه الله موسى
من التوراة وقوله تعالى تماما على الذي أحسن أي تماما للإحسان على المحسنين أي موسى عليه السلام أخذهم
وتعالى معناه تماما على ما أحسن موسى وكان موسى عليه السلام محسنا في معرفة العلم وكتب المتقدمين فأعطيناه
التوراة زيادة على ذلك وتماما نصب على القطع وقيل على التفسير • وقرأ ابن عمر على الذي أحسن بالرفع على معنى
الذي هو أحسن قوله تعالى وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون أي تبيينا
للإحسان إليهم وتبيينا لكل شيء من الحلال والحرام وهدى من الضلالة ونجاة من العذاب لمن آمن وعمل به
لعلهم بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال يؤمنون فيصدقون قوله تعالى وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه
أي وهذا القرآن كتاب أنزلناه فيه بركة وخير كثير لمن آمن به ومعنى البركة ثبوت الخير ودوامه فاتبعوه أي اعملوا
به في أوامره ونواهيه واتقوا مخالفته وسخطه لتكونوا على رجاء الرحمة قوله تعالى أن تقولوا إنما أنزل
الكتاب على طائفتين من قبلنا أي كراهة أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا أراد به التوراة
على اليهود والإنجيل على النصارى وإن كنا عن دراستهم لغافلين أي وقد كنا عن قراءة كتبهم التوراة والإنجيل غافلين
عما فيه وقيل معناه وما كنا عن قراءة كتبهم التوراة والإنجيل إلا غافلين عما فيه قوله تعالى أو تقولوا لو أنا أنزل
علينا الكتاب لكنا أهدى منهم أي وكراهة أن تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب كما أنزل على اليهود والنصارى
لكنا أسرع إجابة منهم وذلك أن أهل مكة كانوا يقولون قاتل الله اليهود كيف كذبوا على أنبيائهم والله لو جاءنا نذير
وكتاب لكنا أهدى منهم قال الله تعالى فقد جاءكم بينة من ربكم أي القرآن بيانا ودلالة لكم من ربكم وهدى من الضلالة
ورحمة لمن آمن به واتبعه رحم الله بإنزاله عباده قوله تعالى فمن أظلم ممن كذب بآيات الله أي لا أحد أعتى
وأجرأ على الله ممن كذب بآيات الله وصدف عنها أي أعرض عنها سنجزي الذين يصدفون أي يعرضون عن آياتنا
سوء العذاب أي أشده بإعراضهم وتكذيبهم قوله عز وجل هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أي ما ينتظرون هؤلاء المكذبون
بعد نزول الآيات وقيام الحجج عليهم إلا إتيان ملك الموت وأعوانه بقبض أرواحهم أي كفر بهؤلاء قوله تعالى أو يأتي
ربك معناه أو يأتي أمر ربك بإهلاكهم والانتقام منهم إما بعقاب عاجل أو بالقيامة وقوله تعالى أو يأتي بعض آيات
ربك يعني طلوع الشمس من مغربها • قال الحسن أو يأتي بعض آيات ربك الحاجة من التوبة • قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بادروا بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها ودابة الأرض وخروج الدجال والدخان وخويصة أحدكم أي
موته وأمر العامة يعني القيامة • وقال صلى الله عليه وسلم باب التوبة مفتوح من قبل المغرب مسيرة أربعين سنة
ويلك قائم على ذلك الباب يدعو الناس إلى التوبة فإذا أراد الله أن تطلع الشمس من مغربها طلعت من ذلك الباب
سوداء لا نور لها فتوسطت السماء ثم رجعت فيغلق الباب وترد التوبة ثم ترجع إلى مشرقها فتطلع بعد ذلك مائة وعشرين
سنة إلا أنها سنون قصيرة • وعن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غربت الشمس رفع بها إلى
السماء السابعة في سرعة طيران الملائكة وتحبس تحت العرش فتستأذن من أين تطلع من مطلعها أم من مغربها وكذلك
القمر والنجوم لكن كل يحبس بأجل الله ما يوقت الذي يدفعه لتوبة عباده ويكثر المعاصي في الأرض ويذهب المعروف
ولا يأمر به أحد ولا ينهى عنه أحد فإذا فعلوا ذلك حبست الشمس تحت العرش فإذا مضى مقدار ليلة

فيسجدان ويستأذنان من أين يطلعان فلم يجئ لهما جواب حتى يوافيهما القمر فيسجد معها ويستأذنان من أين يطلع
فلا يجئ لهما جواب فيحبسان مقدار ثلاث ليال فلا يعرف مقدار تلك الليلة إلا المتهجدون في الأرض وهم يومئذ
عصابة قليلة في هوان من الناس فينام أحدهم تلك الليلة مثل ما ينام قبلها من الليالي ثم يقوم فيتهجد ورده فلا يصبح
فينكر ذلك فيخرج وينظر إلى السماء فإذا هو بالليل كأنه والنجوم مستديرة فينكر ذلك ويظن فيه الظنون فيقول
خففت قراءتي أم قصرت صلاتي أم قمت قبل حيني ثم يقوم فيعود إلى مصلاه فيصلي نحو صلاته في الليلة الثانية ثم ينظر
فلا يرى الصبح فيخرج فإذا هو بالليل كما هو فيخالطه الخوف ثم يعود وجلا خائفا إلى مصلاه فيصلي مثل ورده كل ليلة
ثم ينظر فلا يرى الصبح فيشتد به الخوف فيجتمع المتهجدون في كل بلدة في تلك الليلة في مساجدهم ويجأرون إلى الله
بالبكاء والتضرع فيرسل الله جبريل عليه السلام إلى الشمس والقمر فيقول لهما إن الله يأمركما أن ترجعا إلى مغربكما فتطلعا
منه فإنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيبكيان عند ذلك وجلا من الله بكاء يسمعه أهل السموات السبع وأهل سرادقات
العرش ثم يبكي من فيهما من الخلائق من خوف الموت والقيامة فبينما المتهجدون يبكون ويتضرعون والغافلون في غفلاتهم
إذ بالشمس والقمر قد طلعا من المغرب أسودين لا ضوء للشمس ولا نور للقمر كصفتهما في كسوفهما فذلك قوله تعالى وجمع
الشمس والقمر ثم يرتفعان كذلك مثل البعيرين يتنازع كل واحد منهما صاحبه استباقا فيتصارخ أهل الدنيا وتبكي
فأما الصالحون فينفعهم بكاؤهم ويكتب لهم عبادة وأما الفاسقون فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب ذلك عليهم
حسرة وندامة فإذا بلغ الشمس والقمر سرة السماء ومنتصفها جاء جبريل فأخذ بقرونهما فردهما إلى المغرب فيغربان
في باب التوبة فقال عمر بأبي وأمي أنت يا رسول الله ما باب التوبة قال يا عمر خلق الله تعالى بابا للتوبة خلف
المغرب له مصراعان من ذهب ما بين المصراع إلى المصراع أربعون سنة للراكب فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله
خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما فإذا غربا في ذلك الباب رد المصراعان والتأم ما بينهما فيصير
كأنه لم يكن بينهما صدع فإذا أغلق باب التوبة لم يقبل للعبد توبة بعد ذلك ولم تنفعه حسنة يعملها إلا من كان
قبل ذلك محسنا فإنه يجري عليه ما كان يجري قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع
نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا • قال السدي لا ينفع أحدا فعل الإيمان ولا فعل خير في
تلك الحالة إنما ينفع فعل هذا قبل تلك الحالة • وقيل معنى خيرا إخلاصا أي إذا لم تكن النفس مخلصة قبل مجيء الآيات
لم ينفعها الإخلاص بعد مجيء الآيات فقال أبي بن كعب يا رسول الله وكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا
فقال يا أبي إن الشمس والقمر يكسيان الضوء بعد ذلك ثم يطلعان ويغربان كما كانا قبل ذلك • وأما الناس فيلحون
على الدنيا حتى يجري فيها الأنهار ويغرسوا فيها الأشجار ويبنوا فيها البنيان • وقال حذيفة بن أسيد الغفاري
رضي الله عنه كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا الساعة يا رسول
الله فقال إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان والدابة والدجال ويأجوج ومأجوج ونارا تخرج من قعر عدن ونزول عيسى
وطلوع الشمس من مغربها • وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة
حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو
كسبت في إيمانها خيرا قوله عز وجل إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء قرأ حمزة والكسائي
فارقوا بالألف أي خرجوا من دينهم وتركوه وهي قراءة علي رضي الله عنه وقرأ الباقون بالتشديد بغير ألف وهي
قراءة ابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب أي جعلوا دين الله فرقا فتهود قوم وتنصر قوم يدل عليه قوله تعالى وكانوا
شيعا أي فرقا مختلفة • وقال مجاهد أراد بهم اليهود لأنهم كانوا يمالئون المشركين على المسلمين أشد عداوة
وقال قتادة هم اليهود والنصارى وأن بعضهم يكفر بعضا • وعن أبي هريرة أنه قال هم أهل البدع والضلالة
من هذه الأمة فإن بعضهم يكفر بعضا بالجهالة وقوله تعالى وكانوا شيعا أي فرقا مختلفة والشيع جمع الشيعة
وهي الفرقة التي يتبع بعضها بعضا يقال شايعه على الأمر إذا تبعه وقيل أصل الشيع من الظهور يقال شاع

الحديث تشنيع اذا ظهر قوله تعالى لست منهم في شيء أي لست من مذاهبهم الباطلة في شيء أي أنت بريء من جميع ذلك
إنما أمرهم إلى الله أي بمصيرهم ومنقلبهم إلى الله ثم ينبئهم في الآخرة بما كانوا يفعلون في الدنيا فيندم المبطل
ويفرح المحق قوله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أي من جاء بخصلة من الطاعة فله عشر حسنات ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها أي من جاء بخصلة من المعصية فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون بالزيادة على
المقدار المستحق من العقاب وإنما قال ذلك لأن التفضل بالنعم جائز والابتداء بالعقاب لا يجوز. وقرأ الحسن
وسعيد بن جبير ويعقوب فله عشرٌ بالتنوين أمثالُها بالرفع على معنى فله حسنات عشر أمثالها. وقد تكلم أهل العلم
في الحسنات العشر التي وعد الله في هذه الآية قال بعضهم المراد بها التحديد بالعشر. وقال بعضهم المراد بها
التضعيف دون التحديد بالعشر كما يقول القائل لئن أسديت إلي معروفا لأكافئنك بعشرة أمثاله. ثم اختلفوا
فقال بعضهم هو كله تفضل والثواب غير ذلك لأنه قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر حسنات من النعيم والسرور
والزيادة على الثواب حسنة قالوا ولا يجوز أن تساوي منزلة التفضل منزلة الثواب لأن الثواب لا بد أن تقارنه
التعظيم والإجلال. وقال بعضهم هذه الحسنات العشر تفضل من الله تعالى قالوا ويجوز أن يتفضل على من لا
يعمل مثل ثواب العامل ابتداء لأنه متفضل في فعله لا يستحق عليه شيء. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أحسن
إسلام أحدكم فكل حسنة يعملها تكتب له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله تعالى وكل سيئة يعملها
تكتب له بمثلها إلى أن يلقى الله. وعن خريم بن فاتك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الأعمال ستة موجبتان
ومثل بمثل وحسنة بعشر وحسنة بسبعمائة فأما الموجبتان فمن مات لا يشرك بالله شيئا
دخل الجنة ومن مات وهو مشرك بالله دخل النار. وأما مثل بمثل فمن عمل سيئة جزاء سيئة مثلها. وأما حسنة
بحسنة فمن هم بحسنة حتى يشعرها نفسه ويعلمها الله من قلبه كتبت له حسنة. وأما حسنة بعشر فمن عمل حسنة
فله عشر أمثالها. وأما حسنة بسبعمائة فالنفقة في سبيل الله قوله عز وجل قل إنني هداني ربي إلى صراط
مستقيم أي قل لهم يا محمد إنني دلني ربي وأرشدني إلى دين الحق الذي أدعو الخلق إليه قوله تعالى دينا
قيما أي دينا هو غاية في الاستقامة. قرأ أهل الكوفة والشام قيما بكسر القاف وفتح الياء مخففا بمعنى القيم
كالصغر والكبر ولم يقل قوما لأنه من قولك قام يقوم قياما وقيما. وقرأ الباقون بالتشديد كذكر الدين القيم
وذلك دين القيمة والقيم المستقيم. واختلف النحاة في نصبه فقال الأخفش معناه هداني دينا قيما وقيل
عرفني دينا وقيل أعني دينا وقيل انتصب على الإغراء أي الزموا دينا أو اتبعوا دينا قوله تعالى ملة إبراهيم
حنيفا أي دين إبراهيم وهو بدل من قوله دينا وقوله حنيفا أي مائلا عن الشرك وجميع الأديان الباطلة ميلا
لا رجوع فيه وهو نصب على الحال لأنه قال عرفني دين إبراهيم في حال حنيفيته قوله تعالى وما كان
من المشركين أي ما كان إبراهيم عليه السلام على دين المشركين وإنما أضاف هذا الدين إلى إبراهيم لأن إبراهيم
كان معظما في عيون العرب وفي قلوب سائر أهل الأديان إذ أهل كل دين يدعون أنهم يتبعون دين إبراهيم
عليه السلام قوله تعالى قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين أي قل لهم يا محمد إن صلاتي
يعني الصلوات الخمس المفروضة ونسكي أي طاعتي وأصل النسك كل ما تقرب به إلى الله ومنه قولهم للعابد ناسك
وقال ابن جبير معناه ونسكي في الحج والعمرة لله رب العالمين. وقيل أراد بالصلاة صلاة العيد وبالنسك
الأضحية قوله تعالى ومحياي ومماتي أي وحياتي ووفاتي لله رب الخلائق كلهم فإنما أضاف المحيا والممات
إلى الله وإن لم يكن ذلك مما يتقرب به إليه لأن الغرض بالآية التبري إلى الله من كل حول وقوة والإقرار له بالعبودية
وقيل المراد به أن الله تعالى هو المختص بأن يحييه ويميته لا شريك له في ذلك قوله تعالى وبذلك أمرت أي
أمرني ربي بذلك وأنا أول المسلمين أي أول من استسلم على الإيمان من أهل هذا الزمان. وقرأ أهل الكوفة
المدينة ومحياي بسكون الياء وقرأ الباقون بفتحها لئلا يجتمع ساكنان. وقرأ العامة ونسكي بإسكان السين

وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرب كبشا أملح أقرن فقال لا إله إلا الله والله أكبر
إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ثم ذبح فقال شعره وصوفه فداء لشعري من النار
وجلده فداء لجلدي من النار ودمه فداء لدمي من النار ولحمه فداء لحمي من النار وعظمه فداء لعظمي من النار وعروقه فداء
لعروقي من النار فقالوا يا رسول الله هذا لك خاصة فقال لا بل لأمتي إلى أن تقوم الساعة أخبرني بذلك جبريل
عليه السلام عن ربي عز وجل قوله عز وجل قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء أي قل يا محمد أغير الله أطلب إلها لكم
وهو رب كل شيء أي هو مالكي ومالككم ومالك كل شيء فكيف أطلب النفع من مربوب مثلي ومثلكم وأدع سؤال ربي مالكي
ومالككم فهل عن هذا وهل يحسن هذا لا بد أن يكون جوابه لا قوله تعالى ولا تكسب كل نفس إلا عليها أي لا تعمل
كل نفس طاعة ولا معصية إلا عليها. قال أهل الإشارة ولا تكسب كل نفس من خير أو شر إلا عليها أما الشر فهو مأخوذ
به وأما الخير فمطالب منه بصحة قصده وخلوه من الرياء والعجب والافتخار به قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى
أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى والمعنى لا يحمل أحد ذنب غيره بل كل نفس مأخوذة بجرمها ومعاقبة بإثمها والوزر في اللغة
هو الثقل قوله تعالى ثم إلى ربكم مرجعكم أي مصيركم ومنقلبكم فيخبركم بما كنتم فيه تختلفون في دار الدنيا
قوله تعالى هو الذي جعلكم خلائف الأرض أي جعلكم يا أمة محمد خلفاء في الأرض والخلائف جمع خليفة وكل قرن
خليفة للقرن الذين كانوا قبلهم في الأرض قوله تعالى ورفع بعضكم فوق بعض درجات أي فضل بعضكم في
المال والمعاش والجاه والمعالي [illegible] درجات. والتفاوت في الدرجات يكون على قدر ما رفعكم
درجات كما قال [illegible] قوله ليبلوكم فيما آتاكم أي ليختبركم فيما أعطاكم فيختبر الغني بالفقير والفقير بالغني
فيظهر للناس شكر الشاكرين وصبر الصابرين قوله تعالى إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم أي إذا
عاقب فإنه سريع العقاب وإنما قال سريع العقاب مع أنه موصوف بالحلم والإمهال لأن كل ما هو آت قريب وقيل أراد بقوله سريع
العقاب سريع الحساب قوله تعالى وإنه لغفور رحيم أي لغفور لمن تاب من الذنوب رحيم لمن مات على التوبة
قال عطاء سريع العقاب لأعدائه غفور رحيم لأوليائه.

سورة الأعراف

أربعة عشر ألف حرف وثلثمائة حرف وعشرة أحرف وثلاثة آلاف كلمة وثلثمائة وخمس وعشرون
كلمة وهي مائتان وست آيات وهي مكية.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين
قال ابن عباس في قوله المص معناه أنا الله أعلم وأفصل وقيل اللام افتتاح اسمه لطيف والميم افتتاح اسمه مجيد ومالك
والصاد افتتاح اسمه صمد وصادق الوعد وصانع المصنوعات وقيل هي حروف من اسم الله الأعظم وقيل هو حروف تحوي
معاني كثيرة وموضعه رفع بالابتداء وكتاب خبره كأنه قال المص حروف كتاب أنزل إليك وقيل كتاب خبر مبتدأ مضمر أي
هذا كتاب وقيل فيه تقديم وتأخير يعني أنزل إليك كتاب وهو القرآن قوله تعالى فلا يكن في صدرك حرج منه أي فلا
يقع في نفسك شك منه خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الخلق كلهم أي لا ترتابوا ولا تشكوا وأصل الحرج الضيق أي
لا يضيق صدرك من تأدية ما أرسلت به ولا تخاف من إبلاغ الرسالة فإنك في أمان الله والله يعصمك من الناس قوله
تعالى لتنذر به أي أنزل عليك لتخوف بالقرآن أهل مكة وذكرى للمؤمنين أي وليكون عظة لمن اتبعك قوله تعالى اتبعوا
ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء أي اعملوا بما أنزل إليكم من ربكم وحقيقة اتباع القرآن العمل
بتصريف القرآن لهم وتدبيرهم بتدبيره قوله تعالى ولا تتبعوا من دونه أولياء أي لا تتخذوا من دونه أولياء وأربابا ولا
تتولوا أحدا إلا لوجهه قوله تعالى قليلا ما تذكرون أي قليلا ما تتعظون قوله تعالى وكم من قرية
أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون أي كم من قرية أهلكنا أهلها بأنواع العذاب فجاءها عذابنا ليلا
وسمي الليل بياتا لأنه يبات فيه قوله تعالى أو هم قائلون أي وقت الظهيرة يعني نهارا في وقت القائلة والقائلون

قائلون وقت الهاجرة وإنما خص هذين الوقتين بنزول العذاب لأنهما وقتا الراحة وقيل هما وقتا الغفلة ومجيء
العذاب في حال الراحة أغلظ وأشد أهلك الله قوم شعيب في نصف النهار في حر شديد وهم قائلون وفائدة هذه
الآية التهديد والوعيد على معنى أن لم تتعظوا أتاكم العذاب ليلا أو نهارا كما أتى الأمم قبلكم الذين لم يتعظوا وأخبر
جل ذكره عن حال من أتاهم العذاب فقال عز وجل فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا
ظالمين معناه لم يكن قولهم ودعواهم ودعاؤهم حين جاءهم عذابنا إلا اعترافا بالظلم والشرك أي اعترفوا بهم كما لم
ينفعهم تضرعهم عند رؤية البأس لذلك لا ينفعكم إذا جاءكم العذاب تضرعكم قال سيبويه إن الدعوى تصلح في معنى الدعاء
ونحو أن تقول اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين ودعاء المسلمين فإن قيل إن الهلاك يكون بعد البأس فكيف قال
أهلكناها فجاءها بأسنا قيل لأنهما يقعان معا كما تقول أعطيتني فأحسنت ويجوز أهلكناها في حكمنا فجاءها بأسنا قوله
تعالى فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين أخبار عن حالهم يوم القيامة ودخول الفاء في قوله هذه
الآية لتعقيب ما بين الهلاك وبين يوم القيامة والمعنى فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين أخبار عن
أحوالهم يوم القيامة والمعنى فلنسألن الذين أرسل إليهم هل بلغكم الرسالة وماذا أجبتموهم ولنسألن المرسلين هل بلغتم
ما أرسلتم به وماذا أجابوكم قوله تعالى فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين أي لنخبرنهم بما علموا بعلم منا لأنا
إنما نسألهم لنعلم إنما نسألهم لإقامة الحجة عليهم قوله تعالى وما كنا غائبين معناه إنا كنا عالمين بكل شيء من تبليغ
الرسالة وجواب الأمم قوله تعالى والوزن يومئذ الحق أي وزن الأعمال يوم القيامة فلا ينقص من إحسان محسن
ولا يزاد على إساءة مسيء وقال مجاهد معناه والقضاء يومئذ العدل قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فأولئك
هم المفلحون أي من رجحت حسناته على سيئاته فأولئك هم الظافرون بالمراد ومن خفت موازينه أي رجحت
سيئاته على حسناته فأولئك الذين خسروا أي غبنوا حظ أنفسهم بما كانوا لمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يجحدون
والخسران ذهاب رأس المال ورأس مال الإنسان نفسه فإذا هلك بسوء عمله فقد خسر نفسه وقد تكلموا في ذكر الموازين
يوم القيامة قال ابن عباس توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان توضع فيه أعمالهم فأما المؤمن فيؤتى
بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل حسناته على سيئاته فيوضع عمله في الجنة عند منازله ثم يقال له الحق
بعملك فيأتي منازله في الجنة فيعرفها بعمله وأما الكافر فيؤتى بعمله في أقبح صورة فيوضع في كفة الميزان فيخف الباطل
حقيقة فيقع فيلقى في النار ثم يقال له الحق بعملك فيلحق فيأتي منازله في النار وقيل المراد بالعمل في هذا الخبر أن
الله تعالى يجعل الحسنات صورة حسنة والسيئات صورة قبيحة لأن عين الأعمال لا توزن لأن الأعمال أعراض منقضية
لا تعاد وقال ابن عمر توزن صحف الطاعات فتوزن الصحف وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤتى
بالعبد المؤمن يوم القيامة إلى الميزان ثم يؤتى بتسعة وتسعين سجلا كل واحد منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه
فتوضع في كفة الميزان ثم يخرج بطاقة من تحت العرش قدر أنملة فيها شهادة أن لا إله إلا الله فتوضع في الكفة الأخرى
فيقول العبد يا رب ما تزن هذه البطاقة مع هذه الصحائف فيأمر الله أن توضع فإذا وضعت في الكفة طاشت الصحف
ورجحت البطاقة وقال بعضهم يوزن الإنسان كما قال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل العظيم الأكول الشروب فيوزن
فلا يزن جناح بعوضة اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وأما ذكر الموازين بلفظ الجماعة فلأن
الميزان يشتمل على الكفتين والخيوط والشاهين فإن قيل ما الحكمة في وزن الأعمال والله عز وجل عالم بمقدار كل
شيء قبل خلقه إياه وبعده قيل لإقامة الحجة عليهم ونظيره قوله تعالى إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وإخراج
إثباتها مع علمه بها لما ذكرنا وقيل الحكمة فيه تعريف الله العباد ما لهم عنده من جزاء على الخير والشر وقيل جعله
الله علامة للسعادة والشقاوة وقيل امتحان الله عباده بالإيمان به في الدنيا قوله عز وجل ولقد مكناكم في
الأرض وجعلنا لكم فيها معايش أي مكناكم بالتمليك والاقتدار ورفع الموانع وجعلنا لكم في الأرض ما
تعيشون به من الزروع وهو ما يخرج من الأرض من الحبوب ومن الأشجار من الثمار وقيل معنى المعايش التوصل إلى ما

تعايش به من الحراثة والتجارة وأنواع الحرف والزراعات قوله تعالى قليلا ما تشكرون أي شكركم فيما صنع
إليكم قليل وقيل معنى قوله تعالى وجعلنا لكم فيها معايش أي تعيشون بها أيام حياتكم من المآكل والمشارب قوله
تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم أي خلقنا آدم الذي هو أصل خلقتكم ثم صورناه إنسانا ثم قلنا من بعد
خلقه من التراب وتصويره للملائكة الذين كانوا في الأرض مع إبليس اسجدوا لآدم سجدة تحية فسجد الملائكة إلا إبليس
لم يكن من الساجدين لآدم وقيل معنى الآية ولقد خلقناكم في بطون أمهاتكم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ثم لحما
ثم صورناكم الحسن والذميم والطويل والقصير وصورنا لكم عضوا من العين والأنف والأذن واليد والرجل وأشباه ذلك
قوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم قال الأخفش معنى ثم هاهنا معنى الواو أي قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم لأن قوله تعالى اسجدوا لآدم قبل خلقنا وتصويرنا وأنكر سيبويه والخليل أن يكون ثم بمعنى الواو
ولكن يكون للتراخي يجوز أن يكون معنى هاهنا للتراخي من حيث الإخبار دون تراخي الحال قوله تعالى
قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك أي ما منعك أن تسجد ولا زائدة في الكلام كما في قوله تعالى لئلا يعلم أهل
الكتاب أي ليعلم أهل الكتاب وقيل معناه ما دعاك إلى أن لا تسجد وقد علم الله ما منعه من السجود ولكن سأله إياه
توبيخا له وإظهارا أنه معاند ركب المعصية وعن يحيى بن ثعلب أنه قال كان بعضهم يكره أن يقال لا ونعوذ بالله
من ذلك ألا تسجد قوله تعالى قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ليس هذا الجواب عما
سأله تعالى من جهة اللفظ لأن هذا الجواب حق أن يكون خيرا إلا أن هذا جواب من جهة المعنى فإن معناه ما منعني
من السجود له إلا أني كنت أفضل منه وكان هذا القول من اللعين جهلا منه بخالقه كأنه قال إنك فضلت الظلمة
على النور وليس ذلك من الحكمة وأعلم الله تعالى أنه صاغر بهذا القول وكل الأمر على ما قاله الملعون لأنه رأى
أن جوهر النار أفضل من جوهر الطين في المنفعة وليس كذلك لأن عامة الثمار والحبوب والفواكه من الطين وكذلك
الملابس كلها لا تخرج إلا من الطين وعمارة الأرض من الطين وهو موضع القرار عليه لا يستغنى عنه بحال من الأحوال
وأما النار فهي للخراب وإن كان فيها بعض المنافع قال ابن عباس وابن سيرين فأخطأ القياس إبليس لعنه الله فمن
قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله مع إبليس وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس وقد أخطأ عدو الله حين فضل
النار على الطين بل الطين أفضل من وجوه كثيرة أحدها أن من جوهر الطين السكون والوقار والحياء والصبر
والحلم وذلك هو الداعي لآدم بعد السعادة التي سبقت له إلى التوبة والتواضع فأورثه المغفرة والاجتباء والهداية
والتوبة ومن جوهر النار الخفة والطيش والحدة والارتفاع والاضطراب وذلك هو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي
سبقت له إلى الاستكبار والإصرار فأورثه العذاب والهلاك واللعنة والشقاء والثاني أن الطين يستخرج الحبوب ثمرها
والنار سبب لتفريقها والثالث أن الخبر ناطق بأن تراب الجنة مسك أذفر ولم ينطق الخبر أن في الجنة نارا أو في
النار ترابا والرابع أن النار سبب عذاب الله تعالى لأعدائه وليس التراب للعذاب والخامس أن التراب مستغن
عن النار والنار تحتاج إلى المكان ومكانها التراب قوله تعالى قال فاهبط منها أي من الجنة وقيل من السماء
إلى الأرض فإن السماء ليس موضعا للمتكبرين وقيل معناه فاهبط من الأرض أي اخرج منها والحق بجزائر البحار فإنما
سلطانه في الجزائر فلا يدخل الأرض إلا كهيئة السارق وعليه أطمار يروع فيها حتى يخرج من الأرض قوله تعالى
فما يكون لك أن تتكبر فيها أي ليس لك أن تتعظم في الأرض على بني آدم فاخرج إنك من الصاغرين
أي من الأذلاء والصغار الذل قوله تعالى قال أنظرني إلى يوم يبعثون أي قال إبليس حين خشي أن
يعاجله الله بالعقوبة أمهلني وأخرني إلى يوم يبعثون من قبورهم وهي النفخة الأخيرة عند قيام الساعة
أراد الخبيث أن لا يذوق الموت قال الله تعالى إنك من المنظرين أي المؤخرين المؤجلين إلى يوم
الوقت المعلوم وهي النفخة الأولى عند موت الخلق كلهم وهذا ليس بإجابة إلى ما سأله لأنه سأل الله الإمهال
إلى النفخة الثانية فأبى الله أن يعطيه ذلك وقال إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم يعني إلى النفخة الأولى

موت جميع أهل السموات والأرض وموت إبليس معهم وبين النفخة الأولى والثانية أربعون سنة • واختلفوا
في أن الله تعالى هل يجيب دعوة الكافر أم لا قال بعضهم لا يجيب لأن إجابة الدعاء تكون تعظيما للداعي وهذا لا يجوز
للإنسان أنه مجاب الدعوة ولا يحسن من الله أن يعلم أحدا أنه يجيب دعوته لما في ذلك من الإغراء بالمعاصي وكيف يجوز
أن يجيب الله تعالى إبليس إلى ما سأل ولكن سؤاله على جهة التضرع والرغبة إلى الله وإنما سأل ليغوي الناس
ويضلهم وقال بعضهم يجوز إجابة دعاء الكافر استدراجا واستصلاحا له ولغيره ولا تكون إجابة الكافر تعظيما
له بحال أبدا قوله تعالى **قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم** أي فبما أضللتني عن الهدى لأقعدن
لهم على طريقك المستقيم أي لأرصدن على طريق بني آدم ولأصدنهم عن دينك المستقيم وقال الحسن معنى أغويتني
لعنتني وقيل أغويتني خيبتني وقد يكون الغوى بمعنى الخيبة وقيل أغويتني أهلكتني قوله تعالى **ثم لآتينهم
من بين أيديهم ومن خلفهم** قال ابن عباس معناه أن إبليس قال لآتينهم من قبل آخرتهم فلأخبرنهم أنه لا جنة
ولا نار ولا بعث ولا حساب ومن خلفهم أي من قبل دنياهم ولآمرنهم بجمع المال لمخافة الفقر وأن لا يؤدوا الحقوق
وعن أيمانهم أي من قبل دينهم فأزين لهم ضلالتهم وإن كانوا على هدى شبهته عليهم حتى أخرجهم منه وعن
شمائلهم أي من قبل اللذات والشهوات فأزينها لهم **ولا تجد أكثرهم شاكرين** لنعمك وقال السدي
معنى ثم لآتينهم من بين أيديهم أراد الدنيا أدعوهم إليها ومن خلفهم يعني الآخرة أشككهم فيها وعن أيمانهم الحق أشككهم
فيه وعن شمائلهم قال الباطل أخففه عليهم وأرغبهم فيه وقيل المراد بقوله وعن أيمانهم من جهة الحسنات
أثقلهم عنها وعن شمائلهم يعني من جهة السيئات فإن الحسنات تضاف إلى اليمين والسيئات تضاف إلى الشمال وقيل
معنى الآية لأحتالن في إغوائهم من كل وجه وقال قتادة أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لا يستطيع أن يحول
بينك وبين رحمة ربك فإنما تأتيك الرحمة من فوقك وقال شقيق بن إبراهيم ما من صباح إلا قعد لي الشيطان على
أربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي أما من بين يدي فيقول لا تخف فإن الله غفور
رحيم فأقول وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وأما من خلفي فيخوفني الضيعة على ذريتي ومن خلفي
فأقول وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها • وأما من قبل يميني فيأتيني من قبل الثناء فأقول والعاقبة للمتقين
وأما من قبل شمالي فيأتيني من قبل اللذات والشهوات فأقول وحيل بينهم وبين ما يشتهون وإنما ذكر من
في قوله من بين أيديهم ومن خلفهم وذكر عن في قوله وعن أيمانهم وعن شمائلهم لأن التقدم والخلف يكون ابتداء
الغاية وانتهاء الغاية والغاية تذكر بحرف من وأما من جهة اليمين والشمال فإنما يكون للانحراف فذكرهما بعن
فإن قيل من أين علم إبليس أنه لا يكون أكثر الناس شاكرين قيل لأنه ظن بهم ظنا فوافق ظنه كما قال ولقد
صدق عليهم إبليس ظنه وإنما ظن ذلك لأنه لما تمكن من استزلال آدم وحواء علم أن أولادهما أضعف
منهما فيكون تمكنه منهم أكثر قوله تعالى **قال اخرج منها مذءوما مدحورا** أي قال اخرج من الجنة وقيل
من السماء مذءوما أي مذموما معيبا والذام والذيم شدة العيب يقال ذأمته أذأمه ذأما إذا عبته
وذممته قوله تعالى مدحورا أي مبعدا من الخير والرحمة والدحور الدفع على وجه الهوان والذل وقال ابن عباس
مذءوما ممقوتا وقال مجاهد مذءوما صاغرا وقال أبو العالية مذءوما أي مزدرا به وقال عطاء مذموما أي
ملعونا وقال الكلبي المذءوم المقبوح قوله تعالى **لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين** واللام في
قوله لمن تبعك لام القسم دخلت على لفظ الشرط والخبر المقر اللام للتأكيد كأنه قال تعالى من تبعك بالغي
وتعذيبه عذابا شديدا بدليل قوله تعالى لأملأن جهنم منكم أجمعين أي منك ومن ذريتك ومن كفار ذرية آدم عليه
السلام قوله تعالى **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة** أي اسكن أنت وزوجك وفي الإضافة إليه دليل على
ذلك وحده فلما أخبر بما فيه من الاختيار من غير اختلاف للمعنى وأما الجنة التي أسكنهما الله فيها فهي جنة الخلد
في أكثر أقوال أهل العلم خلافا لما يقوله بعضهم إنها كانت بستانا في السماء غير جنة الخلد وذلك أن الله تعالى

غير الجنة بما ألقوا اللام على جهة التشريف قوله تعالى **فكلا من حيث شئتما** أي من حيث شئتما
موسعا عليكما **ولا تقربا هذه الشجرة** أي لا تقرباها للأكل وقد تقدم تفسير الشجرة في سورة البقرة قوله
تعالى **فتكونا من الظالمين** يجوز أن تكون منصوبا لأنه جواب النهي ويجوز أن تكون مجزوما عطفا على
النهي ومعناه فتكونا من الضارين لأنفسكما قوله تعالى **فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما
من سوآتهما** أي زين لهما إبليس الأكل من الشجرة ليظهر لهما ما ستر عنهما من عوراتهما والوسوسة إلقاء المعنى
إلى النفس بصوت خفي والفرق بين وسوس له ووسوس إليه أن معنى وسوس لهما أوهمهما ومعنى وسوس إليه ألقى
إليه وإنما سميت العورة سوأة لأنه يسوء الإنسان انكشافها قوله تعالى **إلا أن تكونا ملكين** قرأ
بعضهم ملكين بكسر اللام ومعناه إلا أن تكونا ملكين تعلمان الخير والشر وأن لا تكونا ملكين تكونا من الخالدين
أي لا تموتان وقال في البسيط الواحدي معناه ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين لا تموتان إلى يوم
القيامة كما لا تموت الملائكة قوله تعالى **أو تكونا من الخالدين** أي لا تموتان فتبقيان أبدا يدل قوله تعالى
فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد أي على شجرة من أكل منها لم يمت وقوله تعالى وملك
لا يبلى أي جديد لا يفنى وعلى قراءة من قرأ ملكين بكسر اللام استدلالا بقوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قيل
كيف أوهمهما أنهما إذا أكلا من تلك الشجرة تغيرت صورتهما إلى صورة الملائكة وتزداد في حسنهما قيل أوهمهما
أن من حكم الله تعالى أن من أكل منها صار ملكا أو لا يبيد حياته وقيل إنه لم يطمعهما في أن تصير صورتهما كصورة الملك
وإنما أطمعهما في أن تصير منزلتهما منزلة الملائكة في العلو والرفعة قوله تعالى **وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين**
أي حلف لهما إني لكما لمن الناصحين فيما أقول وإنما قال وقاسمهما على لفظ المفاعلة لأنه قابلهما بالحلف وهذا كما
يقال عاقبت اللص وناولت الرجل وقال قتادة حلف لهما حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله تعالى وقال لهما
إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما وكان بعض العلماء يقول من خادعنا بالله خدعنا • وقال صلى الله عليه
المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم قال الشاعر • إن الكريم إذا تشاء خدعته • وترى اللئيم مجربا لا يخدع •
قوله تعالى **فدلاهما بغرور** أي حطهما من علو إلى سفل لأن الخير عال والشر سافل وقال بعضهم معناه دلاهما
بما أراد من التدليس وهي لغة مأخوذة من إدلاء الدلو ويقال دلى فلان فلانا بغرور أي خدعه بكلام مزخرف
باطل وقال مقاتل فدلاهما بغرور أي زين لهما الباطل قوله تعالى فدلاهما بغرور الغرور ما تقدم ذكره بقوله
ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين • وفي بعض الروايات أن آدم عليه السلام
كان يقول وعزتك ما ظننت يا رب أن أحدا يجترئ فيحلف باسمك كاذبا قوله تعالى **فلما ذاقا الشجرة بدت
لهما سوآتهما** فيه دليل أنهما لم يبالغا في الأكل ولكن لما وصل إلى جوفهما تهافت عنهما لباسهما وظهر لكل واحد
منهما عورة صاحبه فاستحيا وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة أي عمدا وأخذا يلزقان عليهما من ورق التين
والخصف إلزاق بعضه إلى بعض كما يفعل الخصاف الذي يرقع النعل ومعنى طفقا أخذا في العمل يقال بات يفعل
كذا إذا فعله ليلا وظل يفعل كذا إذا فعله نهارا وطفق يفعل كذا إذا فعل في أي وقت كان • وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال كان آدم رجلا طوالا كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع بالخطيئة بدت سوأته
وكان لا يراها فانطلق هاربا في الجنة فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها أرسليني فقالت
لست بمرسلتك فناداه ربه يا آدم أمني تفر قال لا ولكني استحييت • وقال ابن عباس قال الله يا آدم ألم يكن لك
فيما أبحت لك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا من خلقك يحلف بك كاذبا
قال فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا بكد فأهبط إلى الأرض هو وحواء فعلم صنعة الحديد وأمر
بالحرث فحرث وزرع وسقى وحصد ثم داس وذرا ثم طحن ثم عجن ثم خبز ثم أكل فلم يبلغ إلى الأكل حتى بلغ ما
شاء الله أن يبلغ قوله تعالى **وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة** قال محمد بن قيس ناداه ربه

يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك قال يا رب أطعمتني حواء فقال لحواء لم أطعمتيه قالت أمرتني الحية فقيل للحية لم أمرتها
قالت أمرني إبليس فقال الله أما أنت يا حواء فكما أدميت الشجرة تدمين كل شهر وأما أنت يا حية فأقطع قوائمك
فتمشين في التراب على وجهك وتشدخ رأسك كل من لقيك وأما أنت يا إبليس فملعون مدحور قوله عز وجل
قالا ربنا ظلمنا أنفسنا أي ضررناها بالمعصية وهذا اعتراف بالخطيئة على نفسهما وإن لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين بالعقوبة قوله تعالى قال اهبطوا أي قال اهبطوا من الجنة إلى الأرض في حال عداوة
بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين أي إلى منتهى آجالكم قوله تعالى قال فيها تحيون
أي في الأرض تعيشون وفي الأرض تقبرون ومنها تخرجون من قبوركم للبعث قوله تعالى يا بني آدم قد
أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم أي أنزلنا المطر من السماء فكان منه الكسوة يعني أن لباسهم من نبات
الأرض من القطن والكتان وهو من ماء السماء وما يكون من الكسوة من أصواف الأنعام فقوام الأنعام أيضا من ماء
السماء كذا قال ابن عباس رضي الله عنهما وقوله يواري سوآتكم أي يستر عوراتكم قوله تعالى وريشا يعني المال قاله
ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي يقال تريش الرجل إذا تمول وقال ابن زيد الريش الجمال وقرأ عثمان بن عفان
والحسن وقتادة ورياشا بالألف وهو جمع ريش مثل ذئب وذئاب وقال الأخفش الرياش الخصب والمعاش وقيل
الريش ما يستر به في البيت من متاعه قوله تعالى ولباس التقوى قال قتادة والسدي هو العمل الصالح لأنه
يقي من العذاب والعقاب كأنه قال لباس التقوى خير من الثياب لأن الفاجر وإن كان حسن الثياب فهو بادي العورة
قال الشاعر إني كأني أرى من لا حياء له ● ولا أمانة وسط القوم عريانا ● وقال ابن جريج لباس التقوى هو
الإيمان وقال معبد الجهني هو الحياء وقيل هو السمت الحسن في الوجه وقال وهب الإيمان عريان ولباسه التقوى
وزينته الحياء وماله الفقه وثمرته العمل الصالح وقيل لباس التقوى ما يلبس من الثياب للتضرع والخشوع مثل الصوف
والثياب الخشنة فهو خير من لباس التكبر قرأ أهل المدينة والشام والكسائي لباس بالنصب عطفا على قوله لباسا
وقرأ الباقون بالرفع على الابتداء وخبره خير وجعلوا ذلك صلة في الكلام وكذلك قرأ ابن مسعود وأبي بن كعب
ولباس التقوى قوله تعالى ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون معناه أن إنزال اللباس من دلائل الله على
إثبات وحدانيته ونعمه لعلهم يذكرون أي لكي يتعظوا فيعرفوا أن ذلك كله من الله تعالى قوله عز وجل يا بني
آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة أي لا يضلنكم الشيطان بالدعاء إلى البغي والمعصية
كما استزل أبويكم آدم وحواء من الجنة وتسبب في نزع لباسهما لحملهما على المعصية قوله تعالى ليريهما سوآتهما
أي ليظهر لهما عوراتهما أن ذلك يخطئهما وإنما أضاف الإخراج من الجنة إلى الشيطان لأن ذلك كان بوسوسته
وإغوائه ● واختلفوا في لباسهما في الجنة فقال بعضهم كان من ثياب الجنة ● وعن ابن عباس أن لباسهما كان من الظفر
أي كان زينته الظفر فإنه كان مخلوقا عليهما خلقة الظفر ● وقال وهب كان لباسهما من النور ومعنى قوله
لا يفتننكم الشيطان أي كونوا على حذر من ذلك فإنه عدو لكم وهذا اللفظ أبلغ من أن يقول لا تقبلوا فتنة الشيطان
قوله تعالى إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم أي أن الشيطان ونسله يرونكم وأنتم لا ترونهم وإنما
قال هذا لأنا إذا لم نرهم لم نعرف قصدهم بالكيد والإغواء حتى نكون على حذر منهم فيما نجده في نفوسنا من
وساوسه ● وفي هذا بيان أن أحدا من البشر لا يرى الجن بخلاف ما يقول بعضهم أن منا من يراهم وإنما لا نراهم
لأنهم أجسام رقيقة تحتاج في رؤيتها إلى فضل شعاع والله تعالى لم يعطنا ذلك الشعاع فلذلك ما يمكننا أن نراهم وأما هم
فإنهم يروننا لأنهم يرى بعضهم بعضا لأنهم أجسام رقيقة فلأن يرونا ونحن أجسام كثيفة أولى ● وذهب
بعضهم إلى أنه يجوز أن يراهم البشر بأن يكثفوا أجسامهم وقد يتمكنون من ذلك وقيل أن هذا لا يصح لأنهم لو تمكنوا من
أن يكثفوا أجسامهم أنفسهم لتمكنوا أن يكثفوا أجسام غيرهم ● وقال مالك بن دينار إن عدوا يراك ولا تراه لشديد
المؤنة إلا من عصم الله وقيل صدر ابن آدم مسكن له يجري من ابن آدم مجرى الدم وأنت لا تنفك منه إلا بعون

الله فإن الشيطان يراك وأنت لا تراه وهو لا ينساك وأنت تنساه وفيه يقول بعضهم ● ومن أراه حيث يراني ●
وعندما أنساه لا ينساني ● فمن أين لي بعز سلطاني ● كما سبا آدم من جنانه ● وقال ذو النون إن كان هو يراك
وأنت لا تراه فإن الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه فإن كيد الشيطان كان ضعيفا قوله تعالى إنا جعلنا
الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون أي جعلناهم قرناء للذين لا يؤمنون بالله قوله تعالى وإذا فعلوا
فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا معناه أن كفار مكة كانوا إذا فعلوا معصية عظيمة فيما يطوفون بالبيت عراة
وتحريمهم ما أحل الله تعالى من البحيرة والسائبة قالوا وجدنا عليها آباءنا وأسلافنا والله أمرنا بها أي بهذه الأشياء
قل يا محمد إن الله لا يأمر بالفحشاء أي لا يأمر بالمعاصي أتقولون على الله ما لا تعلمون استفهام بمعنى الإنكار على جهة الإلزام
للحجة لأنهم إن قالوا أنقول على الله ما لا نعلم لزمتهم الحجة وإن قالوا لا نقول على الله ما لا نعلم لم تكن لهم حجة على ما قالوا
قوله تعالى قل أمر ربي بالقسط أي بالعدل والصواب وقال ابن عباس لا إله إلا الله وقال الضحاك بالتوحيد وأقيموا
وجوهكم عند كل مسجد قال مجاهد والسدي أي توجهوا إلى القبلة في الصلوة إذا عند كل مسجد ● وقال الكلبي معناه إذا
حضرت الصلوة وأنتم في مسجد فصلوا فيه ولا يقولن أحدكم أصلي في مسجدي وإذا لم يكن عند كل مسجد فليأت أي مسجد
شاء وليصل فيه وهذه الآية تدل على وجوب فعل الصلوة المكتوبة في الجماعة وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال من سمع النداء فلم يجب فلا صلوة له وقال صلى الله عليه وسلم لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أنطلق إلى قوم يتخلفون
عن الجماعات فأحرق عليهم بيوتهم قوله تعالى وادعوه مخلصين له الدين أي مخلصين له الطاعة والعبادة قوله
تعالى كما بدأكم تعودون أي كما خلقكم حين خلقكم مؤمنا وكافرا وشقيا وسعيدا فكما خلقكم فكذلك تعودون إليه يوم
القيمة فريقا هدى وهم المؤمنون وفريقا حق عليهم الضلالة وهم أهل الكفر وهذا قول ابن عباس
كما قال الله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيمة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا يبعث
المؤمن مؤمنا والكافر كافرا ● وقال الحسن ومجاهد معناه كما بدأكم خلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا كذلك تعودون
يوم القيمة أحياء قوله تعالى إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله أي أن أهل الضلالة اتخذوا
الشياطين أولياء يطيعونهم فيما دعوهم إليه ويحسبون أنهم مهتدون أي يظنون أنهم على الهدى
قوله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون
بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في الثياب التي أذنبنا فيها ودنسناها بالذنوب فكانت المرأة منهم تطوف بالبيت
عريانة بالليل إلا أنها كانت تتخذ ستورا مقطعة تشدها في حقوها وكانت الستور لا تسترها سترا تاما قال
المفسرون كانت بنو عامر في الجاهلية يفعلون ذلك وكان رجالهم يطوفون عراة بالنهار ونساؤهم ليلا وحكي أن
امرأة كانت تطوف عريانة وهي تقول ● اليوم يبدو بعضه أو كله ● فما بدا منه فلا أحله ● وكانوا إذا قدموا
منى طرح أحدهم ثيابه في رحله فإن طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه فأنزل الله هذه الآية يا بني آدم خذوا
زينتكم عند كل مسجد يعني الثياب ● وقال مجاهد يعني ما يواري عورتك ولو عباءة وقال الكلبي كان بنو عامر لا
يأكلون من الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما في أيام حجهم يعظمون بذلك حجهم وكذلك كانت قريش وكنانة تفعل
فقال المسلمون يا رسول الله نحن أحق أن نفعل ذلك فأنزل الله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا
واشربوا ولا تسرفوا أي البسوا ثيابكم عند كل مسجد وكلوا اللحم والدسم واشربوا من ألبان السوائب والبحائر ولا
تسرفوا أي لا تتجاوزوا وتحرموا ما أحل الله لكم والإسراف مجاوزة الحد فتارة يكون بمجاوزة الحلال إلى الحرام وتارة
يكون بمجاوزة الحد في الإنفاق وتارة بأن [illegible] على الإنسان فوق الشبع فيؤديه ذلك إلى الضرر وروي أن هارون
الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الأديان
وعلم الأبدان فقال له إن الله تعالى قد جمع الطب كله في نصف آية من كتابنا قال وما هي قال قوله تعالى وكلوا

مطلب

وأشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني وهل يؤثر عن رسولكم شيء من الطب فقال نعم جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم
الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وعود كل جسم ما اعتاد
فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قوله تعالى إنه لا يحب المسرفين أي لا يرضى عملهم [illegible]
عليهم فلما نزلت هذه الآية طاف المسلمون في ثيابهم وأكلوا اللحم والدسم فعيرهم المشركون بذلك فأنزل الله تعالى
قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق أي قل لهم يا محمد من حرم
الثياب التي يتزين بها الناس ومن حرم المستلذات من الرزق وقال أراد بالطيبات الحلال من الرزق وفي
قوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد أمر للإنسان أن يلبس أحسن ثيابه في الأعياد والجمع قوله تعالى قل هي
للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال ابن عباس إن المسلمين يشاركون المشركين في
الطيبات في الدنيا فأكلوا من طيبات طعامهم ولبسوا من خيار ثيابهم ونكحوا من صالحي نسائهم ثم يخلص الله تعالى الطيبات
في الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شيء وتقدير الآية قل هي للذين آمنوا مشتركة في الدنيا وخالصة يوم
القيامة وقيل معناه هي للمؤمنين في الدنيا غير خالصة من الهموم والأحزان والمشقة وقرأ ابن عباس وقتادة ونافع
خالصة بالرفع أي قل هي خالصة وقرأ الباقون بالنصب على الحال والقطع لأن الكلام قد تم دونه قوله
تعالى كذلك نفصل الآيات أي كما فصلنا لكم الدلائل والأوامر والنواهي هكذا نفصلها لقوم يفقهون
أوامر الله تعالى ثم بين الله تعالى ما حرم عليهم فقال عز وجل قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
والإثم والبغي بغير الحق معناه أن الله تعالى لم يحرم الثياب ولا الطيبات من الرزق وإنما حرم الذنوب
والفواحش هي الكبائر وقوله تعالى ما ظهر منها أي ما عمل علانية وما بطن يعني سرا والإثم يعني كل ذنب [illegible]
لم يكن فيه حد وإنما ذكر الإثم بيانا أن التحريم غير مقصور على الكبائر والبغي بغير الحق الإقدام على الغير بغير حق
وقوله تعالى وأن تشركوا بالله معناه وحرم عليكم أن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا أي حجة [illegible]
الله تعالى بما يصير جامعا للمآثم كلها وهو تحريم القول الذي لا علم لقائله به قوله تعالى وأن تقولوا على الله
ما لا تعلمون وقيل يعني بالفواحش الطواف عراة ويعني بقوله ما ظهر منها طواف الرجال عراة بالنهار وما بطن طواف
النساء بالليل عراة وقيل أراد بقوله ما ظهر منها التعري عن الثياب في الطواف وما بطن الزنا ويعني بالإثم كل [illegible]
وقوله تعالى والبغي طلب الترأس على الناس بالقهر والاستطالة عليهم بغير حق وقال الحسن يعني بالإثم الخمر قال
شربت الإثم حتى ضل عقلي • كذاك الإثم تذهب بالعقول قوله تعالى ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون تخويف ووعيد من الله تعالى لهم معناه لكل أهل دين مهلة وكل وقت
مؤقت فإذا انقضت مهلتهم ولا يتأخرون من بعد الأجل ساعة ولا يستقدمون في الأجل وليس ذكر الساعة في هذا
على وجه التحديد فإنهم لا يتأخرون ولا يستقدمون ساعة ولا أقل من ساعة ولكن ذكرت الساعة لأنها أقل
أسماء الأوقات من الناس فإن قيل لم قال لا يستأخرون ولم يقل يتأخرون قيل معناه لا يطلبون التأخر عن
ذلك الأجل الناس رغبة وقرأ ابن سيرين فإذا جاء آجالهم قوله تعالى يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون
عليكم آياتي معناه يا بني آدم إن يأتكم رسل من جنسكم يقرؤون عليكم ويعرضون عليكم كتابي وكلامي فمن اتقى
الله وأطاع الرسول وأصلح العمل فلا خوف عليهم حين يخاف أهل النار ولا هم يحزنون على ما خلفوا في
الدنيا قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ظاهر
المعنى وقيل معناه وتكبروا عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن قوله تعالى فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا
أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب أي حظهم مما قضى الله عليهم في الكتاب وهي سواد الوجوه
وزرقة الأعين كما قال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال الحسن معناه ما كتب
لهم من العذاب وقيل من الأرزاق والأعمار فإذا فرغ وقضيت جاءتهم رسلنا يتوفونهم أي يقبضون أرواحهم يعني ملك

الموت وأعوانه قوله تعالى حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم أي إذا جاءتهم ملائكة العذاب يتوفونهم عذابا
في الآخرة كما قال تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ويقال هم الملائكة وهم خزنة جهنم قالوا أين ما كنتم تدعون
من دون الله تعبدون من الأصنام يشفعون لكم ذلك توبيخا وتبكيتا وحسرة عليهم فيقول الكفار عند ذلك ضلوا عنا
أي ذهبت الأصنام عنا فلم يقدروا على نفع ولا دفع ضر وشهدوا على أنفسهم أي أقروا على أنفسهم أنهم كانوا
كافرين في الدنيا وقال مقاتل يشهدون على أنفسهم بعد ما شهدت عليهم الجوارح بما كتمت الألسن قوله تعالى
قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار معناه قال الله لهم ادخلوا النار مع أمم قد مضت
من قبلكم من الجن والإنس في النار قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها في الدين والملل ولم يقل أخاها لأنه
عنى بها الأمة والجماعة فلعنة المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والمجوس المجوس ويلعن الأتباع
القادة يقولون لعنكم الله أنتم غررتمونا قوله تعالى حتى إذا اداركوا فيها جميعا أي تلاحقوا واجتمعوا في النار
وقرأ الأعمش حتى إذا تداركوا فيها وقرأ النخعي حتى إذا أدركوا فيها بتشديد الدال من غير ألف والمعنى حتى إذا اجتمعوا في
النار يعني القادة والأتباع قالت أخراهم لأولاهم أي قالت أخراهم الأمم المكذبة لأولاهم ربنا هؤلاء
المتقدمون أضلونا عن الهدى بإلقاء الشبهة علينا فآتهم عذابا ضعفا من النار أي زدهم في عذابهم واجعل
عذابهم ضعفا مما علينا قال الله تعالى لكل ضعف أي لكل من الأولين والآخرين ضعف من العذاب ولكن
لا تعلمون أيها الأتباع ما عليهم وقرأ ولكن لا يعلمون بالياء معناه لا يعلم كل فريق منهم مقدار عذاب الفريق الآخر
وقال بعضهم معناه قالت أخراهم لأولاهم أي أخراهم دخولا النار وهم الأتباع لأولاهم دخولا وهم القادة وقيل السفلة
أخراهم الذين أتوا في آخر الزمان لأولاهم يعني الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقالت أولاهم لأخراهم فما كان
لكم علينا من فضل أي قالت القادة للأتباع والمتبوعون للتابعين لم يكن لكم علينا فضل في شيء حتى
نطلب من الله أن يزيد في عذابنا وينقص من عذابكم وأنتم كفرتم كما كفرنا ونحن وأنتم في الكفر سواء فكذلك تكونون في العذاب
سواء قوله تعالى فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون يجوز أن يكون هذا من قول الأولين للآخرين ويجوز أن
يكون قال الله لهم ذلك قوله تعالى إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء
أي إن الذين جحدوا بآياتنا وتعظموا عن الإيمان بها لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء إذا ماتوا كما تفتح
للمؤمنين كرامة لهم وقيل معناه لا تفتح لأعمالهم أبواب السماء لأنها خبيثة لا تصعد إليها الأعمال الصالحة ويرمى
في سجين التي تحت الأرضين كما قال الله تعالى كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم
قوله تعالى لا تفتح لهم أبواب السماء قراءة الأكثرين بالتاء المشددة راجع إلى جماعة الأبواب وقرأ بعضهم لا يفتح
بالياء والتخفيف لأن تأنيث الأبواب ليس بحقيقي قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
معناه لا يدخلون الجنة أبدا كما لا يدخل البعير في خرم الإبرة وهذا تمثيل في الدلالة على يأس الكفار من دخولهم
الجنة لأن العرب إذا أرادت تأكيد النفي علقته بما يستحيل كونه كما قال الشاعر • إذا شاب الغراب أتيت أهلي
وصار القار كاللبن الحليب • والخياط والمخيط بمعنى واحد وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سئل عن الجمل فقال
زوج الناقة كأنه استجهل من سأله وتعجب منه وفي قراءة ابن عباس حتى يلج الجمل بضم الجيم وتشديد الميم وهو
حبل السفينة يسمى القلس وقال عكرمة هو الحبل الذي يصعد به النخل قوله تعالى وكذلك نجزي
المجرمين أي هكذا نجزي المشركين قوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش أي لهم من جهنم
فراش من النار يضطجعون ويقعدون فيه ومن فوقهم غواش أي غاشية من فوق غاشية كما قال الله تعالى [illegible]
أحاط بهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
ما يلي [illegible] فذلك قوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وأصل غواش غواشي بإثبات الياء مع الضمة

فحذفت الضمة والياء لاستثقالهما وأدخل التنوين عوضاً عن ذهاب حركتها وياءها قوله تعالى وكذلك نجزي
الظالمين يعني الكافرين قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً إلا وسعها أي
إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات لم نضع في إيمانهم بوسعهم لا نكلف نفساً إلا وسعها أي طاقتها
وقدرتها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون أي مقيمون دائمون ونزعنا ما في صدورهم من
غل أي ونزعنا ما في قلوبهم من غش وحقد وعداوة كان من بعضهم على بعض في الدنيا والغش في قلوبهم
في الآخرة حتى لا يحسد بعض أهل الجنة بعضاً إذا رآه أرفع درجة منه قوله تعالى تجري من تحتهم الأنهار
أي من تحت غرفهم وشجرهم الأنهار في حال نزعنا الغل عن قلوبهم فيكون تجري في موضع الحال قيل نزلت
هذه الآية في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وابن مسعود وعمار بن ياسر وسلمان وأبي ذر
ينزع الله في الآخرة ما كان في قلوبهم من غش بعضهم لبعض في الدنيا من العداوة والقتل الذي كان بعد النبي
صلى الله عليه وسلم والأمر الذي اختلفوا فيه فيدخلون إخواناً على سرر متقابلين وقيل لما يدخلون الجنة
تعرض لهم عينان تجريان فيشربون من إحدى العينين فيذهب الله ما في قلوبهم من غل ثم يدخلون الأخرى
فيغتسلون فيها فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم ويلبسون الجمال والبهاء والنور ويطيب الله نعيمهم فعند
ذلك يقولون الحمد لله الذي هدانا لهذا أي أرشدنا إلى ما صرنا إليه حتى شربنا واغتسلنا من العينين
قوله تعالى وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله قرأ ابن عامر ما كنا لنهتدي بغير واو وقرأ الباقون
بالواو أي ما كنا لنهتدي إلى هذا الذي أكرمنا الله به لولا أن هدانا الله قال صلى الله عليه وسلم كل أهل النار
يرى منزله في الجنة فيقولون لو هدانا الله فيكون عليهم حسرة وكل أهل الجنة يرى منزله في النار فيقولون لولا
أن هدانا الله قوله تعالى لقد جاءت رسل ربنا بالحق شهادة منهم بتبليغ الرسل الحق عليهم أي جاؤوا بالصدق
تصديقاً لهم قوله تعالى ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون معناه ناداهم الملائكة
هذه الجنة التي وعدتم بها في الدنيا بأعمالكم وقيل معنى أورثتموها أنزلتموها وفي الخبر أنه يقال لهم جوزوا
على الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم قوله تعالى ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار
أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم وذلك حين يستقر أهل
الجنة في الجنة وأهل النار في النار ينادي أصحاب الجنة أصحاب النار إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا من
الكرامة حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم من العذاب حقاً قالوا نعم فاعترفوا في وقت لا ينفعهم الاعتراف
ثم قراءتان قرأ الكسائي نعم بكسر العين وكذلك في جميع القرآن وقرأ الباقون بالفتح وهما لغتان وإنما سأل أهل الجنة
أهل النار لأن الكفار كانوا ينكرون على المؤمنين فيما يدعون لأنفسهم من الثواب ولهم من العقاب فلهذا سألوهم
للمؤمنين قوله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة
المسلمين تبكيتاً لهم ليكون ذلك حسرة على الكافرين وسروراً للمؤمنين
الله على الظالمين وروي في الخبر أنه ينادي مناد بين الجنة والنار يسمعه الخلائق كلهم أن رحمة الله على المحسنين
وأن لعنة الله على الظالمين أي على الكافرين وقرأ بعضهم أن لعنة الله بالتشديد ونصب اللعنة قوله تعالى الذين
يصدون عن سبيل الله أي عن الدين الذي هو طريق الله إلى جنته ويبغونها عوجاً أي يطلبون غيراً
بإلقاء الشبهة التي يلبسون بها على الناس وهم بالآخرة كافرون أي جاحدون بالبعث بعد الموت قوله تعالى
وبينهما حجاب أي بين الجنة والنار سور يحجب بين الفريقين كما قال تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه
الرحمة وظاهره من قبله العذاب قوله تعالى وعلى الأعراف رجال أي على أعالي السور يقال لكل عال عرف
وجمعه أعراف ومنه عرف الديك وعرف الفرس والأعراف سور بين الجنة والنار يسمى أعرافاً لأن أصحابه
يعرفون الناس كلا بسيماهم يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه وأهل النار بسواد الوجوه قال عبد الله
بن عباس أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحالت حسناتهم بينهم وبين النار وحالت

سيئاتهم بينهم وبين الجنة فلم تكن لهم حسنات فاضلة يدخلون بها الجنة ولا سيئات فاضلة يدخلون بها النار
فوقفوا على السور بين الجنة والنار يعرفون الكل بسيماهم فمن دخل الجنة عرفوه ببياض وجهه أغر محجلاً من
أثر الوضوء صالحاً مستبشراً ومن دخل النار عرفوه بسواد وجهه وزرقة عينيه وعن أبي مجلز رحمه الله أنه قال
هم الملائكة فبلغ ذلك مجاهداً فقال كذب أبو مجلز يقول الله تعالى وعلى الأعراف رجال فبلغ ذلك أبا مجلز
فقال إنهم الملائكة والملائكة ذكور ليسوا بإناث صورهم صور الرجال وقال قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم
فوقفوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته وهم آخر من يدخل الجنة قد عرفوا أهل
الجنة وأهل النار وإذا أراد الله أن يعافيهم انطلق بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قصب الذهب
مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها ثم يؤتى بهم فيدخلون
الجنة يسمون مساكين أهل الجنة وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أصحاب
الأعراف فقال هم رجال غزوا في سبيل الله عصاة لآبائهم فقتلوا فأعتقوا من النار بقتلهم في سبيل الله وحبسوا عن
الجنة بمعصيتهم آباءهم فهم آخر من يدخل الجنة وروي عن ابن عباس أيضاً أنه قال هم أولاد الزنا وعن مجاهد
هم قوم رضي عنهم آباؤهم دون أمهاتهم أو أمهاتهم دون آبائهم يحبسون في الأعراف إلى أن يقضي الله بين خلقه ثم يدخلهم الجنة
قوله تعالى ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون معناه أن أصحاب
الأعراف إذا نظروا إلى أصحاب الجنة قالوا لهم سلام عليكم ويرد أهل الجنة عليهم السلام قوله تعالى لم يدخلوها
أي لم يدخل أصحاب الأعراف الجنة وهم يطمعون في دخولها بأن يعطيهم الله بسيماهم ويدخلهم الجنة وقيل معناه لم يجعل
الله الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم قوله تعالى وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا
تجعلنا مع القوم الظالمين معناه وإذا نظر أصحاب الأعراف إلى أصحاب النار دعوا الله واستعاذوا من النار
وقالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين في النار أي يدعون بذلك خوفاً من الله أن يجعلهم معهم قوله تعالى
ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون قال ابن عباس
أي أصحاب الأعراف ينادون الكفار من الكفار الذين كانوا عظماء في الكفر كالوليد بن المغيرة وأبي جهل وسائر رؤسائهم
يعرفونهم بسيماهم ينادونهم وهم على السور يا وليد بن المغيرة يا أبا جهل بن هشام يا فلان يا فلان ما أغنى عنكم
جمعكم في الدنيا من المال والولد وما كنتم تستكبرون أي تتعظمون عن الإيمان بالله عز وجل فهم ينظرون إلى الجنة
فيرون فيها الضعفاء والمساكين ممن كان يستهزئ بهم الكفار بمكة مثل صهيب وخباب وعمار وسلمان وبلال
وأشباههم فينادون أهؤلاء الضعفاء هم الذين حلفتم أيها المشركون وأنتم في الدنيا لا ينالهم الله برحمة
ادخلوا الجنة أي أقسمتم لا يدخلهم الله الجنة قال ابن عباس فيقول الله تعالى لأصحاب الأعراف ادخلوا
الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون فإن قيل كيف يصح هذا النداء ونزل في الحجاب بين الجنة والنار ومعلوم
أن الجنة في السماء والنار في الأرض قيل لم يبين الله حال الحجاب في الآية المذكورة ولا قدر المسافة فلا يمتنع أن يكون
بين الجنة والنار حجاب وإن بعدت المسافة وقرأ بعضهم وما كنتم تستكثرون بالثاء أي تجمعون المال الكثير
وقال مقاتل في تفسير هذه الآية إذا قال أصحاب الأعراف لأصحاب النار ما أغنى عنكم جمعكم قال لهم أصحاب النار ثم
ما أغنى عنكم جمعكم وأقسموا ليدخلن النار معنا فيقول الله تعالى أو تقول الملائكة لأهل النار أهؤلاء الذين أقسمتم
لا ينالهم الله برحمة أي لا يصيبهم الله برحمة ثم يقال لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون
قوله تعالى ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قال ابن
عباس وذلك أنه لما سكن أهل الجنة الجنة وسكن أهل النار النار وحرم أهل النار الماء والثمار مع ما هم فيه من ألوان
العذاب نادوا أصحاب الجنة أن اسقونا شيئاً من الماء أو أفيضوا أي صبوا علينا وأطعمونا شيئاً مما رزقكم الله من ثمار الجنة
فيجيبهم أهل الجنة إن الله حرمهما على الكافرين أي شراب الجنة وثمارها وإنما جعل شراب الكافرين من الحميم الذي

يصهر به ما في بطونهم والجلود وطعامهم الضريع والزقوم وقيل ان اهل النار ينادون اهل الجنة بعد ما يستغيثوا
تعالوا بماء كالمهل يستغيثون بالطعام فيغاثون بالزقوم والضريع فيقبلون على الصبر ولا يغني عنهم ثم يقبلون
على الجزع ولا يغني عنهم فيقولون سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ثم ينادون حينئذ اهل الجنة يا اهل السعادة
من الآباء والامهات والابناء والاخوات والجيران والمعارف والاصدقاء افيضوا علينا من الماء نطفي به
حر ما نجد من العطش او مما رزقكم الله من الطعام فناكل لعله يطفي عنا الجوع فلا يؤذن لاهل الجنة في
الجواب مقدار اربعين سنة ثم يؤذن لهم في جوابهم فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين يعنون الماء والطعام
وفي الاية بيان ان الانسان لا يستغني عن الطعام والشراب وان كان في العذاب قال ابو الجوزاء سألت
ابن عباس اي الصدقة افضل قال الماء الم تر ان اهل النار لما استغاثوا باهل الجنة قالوا افيضوا علينا من الماء
قوله تعالى الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا اي وهذه الاية نعت الكافرين ومعناه انهم اتخذوا دينهم لهوا
انفسهم لاهين لاعبين ويقال هم الذين اختاروا في دينهم الباطل واللعب والفرح والهزو وغرتهم الحيوة
الدنيا اي غرهم ما اصابوا من زينة الدنيا مع ما كانوا فيه من طول الامل ولذلك كانوا يستهزءون بالمسلمين
وروي في الخبر ان ابا جهل بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يستهزئ به ان اطعمني من عنب جنتك
فقال ابو بكر رضي الله عنه قل ان الله حرمهما على الكافرين قوله تعالى فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم
هذا معناه فاليوم يوم القيمة اي نتركهم في النار كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا ويقال معنى قوله ننساهم
في النار كالمنسي كما اعرضوا عن العمل للقاء يومهم هذا اعراض الناسي للشيء قوله تعالى وما كانوا باياتنا يجحدون في
موضع الجر عطف على ما نسوا المعنى وبجحودهم باياتنا الدالة على التوحيد قوله عز وجل ولقد جئناهم بكتاب فصلناه
على علم اي لقد جئناهم بالقرآن الذي بيناه اية بعد اية وسورة بعد سورة على علم منا بان ذلك
وقوله تعالى هدى في موضع نصب على بعد بهادينا وذا رحمة لقوم يصدقون انه من عند الله قوله تعالى هل
ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق معناه ما ينتظر اهل
مكة الا عاقبة ما وعدهم الله به في القرآن بانه كائن منه ما يكون في الدنيا ومنه ما يكون في الآخرة ويقال معناه هل
ينتظرون الا ما يؤول اليه امرهم من البعث والعذاب وورود النار قوله تعالى يوم ياتي تاويله اي يوم ياتي
عاقبة ما وعدوا فيه وهو يوم القيمة يقول الذين كفروا وتركوا العمل له في دار الدنيا قد جاءت رسل ربنا بالحق
في امر البعث بعد الموت فكذبناهم فهل لنا من شفعاء يقولون هذا القول حين يرون الشفعاء يشفعون للمؤمنين
فيقال لهم ليس لكم شفيع فيقولون هل نرد الى الدنيا فنصدق الرسل ونعمل الاعمال الصالحة وذلك قوله
تعالى فنعمل غير الذي كنا نعمل وجواب الاستفهام بالفاء يكون نصبا قوله تعالى قد خسروا انفسهم اي غبنوا
حظ انفسهم من الجنة ونورثهم المؤمنون قوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون اي ذهب عنهم اصنامهم
التي كانوا يفترون بها على الله تعالى انها شفعاؤهم ويقال معناه وضل عنهم حينئذ افتراؤهم على الله تعالى قوله
تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وذلك ان الله تعالى لما عير المشركين
بعبادة الاصنام بقوله وضل عنهم ما كانوا يفترون سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد من ربك الذي
تدعونا اليه فارادوا بذلك ان يجدوا معنى في اسمه او في شيء من افعاله فانزل الله تعالى هذه الاية فتحيروا
عن الجواب ومعنى الاية ان خالقكم ورازقكم هو الله الذي ابتدأ خلق السموات والارض على ما يسبق من
يا اهل مكة واعبدوه واطيعوه ودعوا هذه الاصنام فانها لا تخلق سماء ولا ارضا قوله تعالى في ستة ايام
قال ابن عباس اولها الاحد وآخرها يوم الجمعة وقال الحسن هي ستة ايام من ايام الدنيا ويقال في ست ساعات
من ستة ايام من ايام الدنيا ولو شاء لخلقها في اسرع من لحظة ولكنه علم عباده التأني والرفق والتدبير
والتثبت في الامور قوله تعالى ثم استوى على العرش اختلف المفسرون في ذلك قال بعضهم معناه استوى

كما نطق به القرآن ولا نكيفه وهذا القول محكي عن مالك بن انس فانه سئل عن معنى هذه الاية
فقال الاستواء غير مجهول والكيفية غير معقول والايمان به واجب والكفر به كفر والسؤال عنه بدعة
وقال بعضهم معنى استوى استولى كما يقال استوى الامير على بلد كذا اي استولى عليه واحتوى واحرزه
ولا يراد بذلك الجلوس قال الشاعر قد استوى بشر على العراق • من غير سيف ولا دم مهراق •
واراد به بشر بن مروان واستواؤه على العراق والملك وقال بعضهم لفظ الاستواء في الاية كناية عن نفاذ
الامر وعظم القدرة وقيل معناه ثم اقبل على خلق العرش وعمد الى خلقه وكذلك ثم استوى الى السماء اي عمد
الى خلق السماء فان قيل ما معنى دخول ثم في قوله تعالى ثم استوى على العرش وثم تكون للحادث واستيلاء
الله تعالى واقتداره وملكه للاشياء ثابت فيما لم يزل ولا يزال قيل معناه ثم رفع العرش فوق السموات
واستولى عليه وانما ادخل ثم على رفع العرش وان كان متصلا في اللفظ بالاستواء لان الاية قد دلت من جهة
العقل على ان اقتداره على الامور ثابت فيما لم يزل وهذا مثل قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم اي حتى يجاهد المجاهدون منكم ونحن عالمون بهم ويقال معنى ثم ههنا بمعنى الواو على طريق الجمع والعطف
دون التراخي فان خلق العرش والاستيلاء عليه كان قبل خلق السموات والارض وقد ورد في الخبر ان اول
شيء خلقه الله القلم ثم اللوح فامر الله القلم ان يكتب ما هو كائن الى يوم القيمة ثم خلق العرش ثم خلق حملة
العرش ثم خلق السموات والارض قوله تعالى يغشي الليل النهار اي يغشى ظلمة الليل ضوء النهار ولم يقل
يغشي النهار الليل لان في الكلام دليلا عليه وقد بين في اية اخرى فقال عز وجل يكور الليل على النهار
ويكور النهار على الليل ويقرأ يغشي ويغشي بالتشديد والتخفيف قوله تعالى يطلبه حثيثا اي يطلب سواد
الليل ضوء النهار سريعا حتى يغلب بسواده بياضه وكل واحد منهما في طلب صاحبه وتدبير ما يصيب الدنيا
من السرعة في السير من غير فتور قوله تعالى والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اي ذللهن
مسخرات للناس بالسير في ساعات الليل والنهار جاريات على مجاريهن لمنافع بني آدم بامر الله وتدبيره وصنعه
ويقرأ والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها بالرفع على الابتداء قوله تعالى الا له الخلق والامر كلمة
تنبيه معناه اعلموا ان خلق الاشياء كلها لله ومن الله وان الامر وهو القضاء نافذ في خلقه قوله تعالى فتبارك
الله رب العالمين اي تعالى الله وهو ثابت لم يزل ولا يزال ويقال تبارك تفاعل من البركة اي البركة كلها
من الله تعالى والتيمن ببركة لمن ذكره وقوله تعالى رب العالمين اي خالق الخلق اجمعين قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الله على عمل صالح وحمد نفسه فقد كفر وحبط عمله ومن زعم ان الله تعالى جعل للعباد
من الامر شيئا فقد كفر بما انزل على انبيائه لقوله تعالى الا له الخلق والامر قال الشاعر • الى الله كل الامر في خلقه
كلها • وليس الى المخلوق شيء من الامر • قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي ادعوه علانية
وسرا ان التضرع من الضراعة وهي اظهار شدة الحاجة ويقال معنى التضرع التملق والتخشع والميل في الجهات
يقال تضرع تضرعا اذا مال باصبعيه يمينا وشمالا خوفا وذلا وقوله وخفية اي ادعوه بالخضوع في
السر دون العلانية وكان الله تعالى امر في الدعاء ان يخفيه وامر ان نفعله في غاية الخضوع
والانقطاع اليه لان ذلك ابعد من الرياء وهذا القول اصح من الاول لقوله صلى الله عليه وسلم خير الذكر الخفي وعن
الحسن انه قال كانوا يجتهدون في الدعاء ولا تسمع الا همسا • وعن عمر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا رفع يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه • وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاشرفوا على واد فجعل الناس يكبرون ويهللون ويرفعون اصواتهم فقال ايها الناس
اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وانه معكم وقال الله عز وجل في مدح عبد صالح زكريا اذ نادى
ربه نداء خفيا قوله تعالى انه لا يحب المعتدين اي لا يحب المجاوزين في الدعاء • وفي الخبر عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم أنه قال إياكم والاعتداء في الدعاء فإن الله لا يحب المعتدين • واختلفوا في الاعتداء في الدعاء
قال بعضهم هو أن يدعو باللعن والخزي فيقول لعن الله فلانا أخزى الله فلانا أو يدعو بإثم أو بما يجاوز
حد العبودية • وقال بعضهم هو أن يسأل لنفسه منازل الأنبياء أو يسأل الله شيئا من حكمته أنه لا يفعله في الدعاء
وقيل هو أن يقول أسألك بحق جبريل أو بحق الأنبياء أن تعطيني كذا وقيل أن يدعو بالصياح وقيل هو أن يعمل عمل
الفجار ويسأل منازل الأبرار قوله تعالى **ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها** أي لا تفسدوا فيها بالكفر
والمعصية بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل إليها فأمروا فيها بالحلال ونهوا عن الحرام فصلحت الأرض بالطاعة وقيل
معناه لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر عنها ويهلك الحرث بمعاصيكم وقيل معناه لا تجوروا في الأرض فتخربوها
لأن الأرض قامت بالعدل وقد أصلحها الله بالنعمة قوله تعالى **وادعوه خوفا وطمعا** أي وادعوه خائفين
من عذابه طامعين في رحمته وثوابه وقال ابن جريج خوفا وطمعا أي رغبا ورهبا • وقال ابن جريج خوف العدل
وطمع الفضل • وقال عطية خوفا من النيران وطمعا في الجنان وقال ذو النون المصري خوفا من الفراق وطمعا في التلاق
قوله تعالى **إن رحمة الله قريب من المحسنين** معناه أن إنعام الله قريب من المؤمنين وثوابه إلى المحسنين
من أطوع حسناته من الأشياء وإنما قال قريب ولم يقل قريبة لأن الرحمة والعفو والغفران في معنى واحد ولم
يكن فيه تأنيث حقيقي كقيل بالخيار إن شئت ذكرته وإن شئت أنثته وقال ابن جبير الرحمة هاهنا الثواب • وقال
الأخفش هي المطر فيكون القريب نعتا للمعنى دون اللفظ كقوله وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين
فارزقوهم منه ولم يقل منها لأنه أراد بالقسمة الميراث والمال وكذلك قوله تعالى فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه
ثم استخرجها من وعاء أخيه والصاع مذكر إلا أنه أراد به السرقة والسقاية وقال الكسائي أراد أن مكان الرحمة
قريب كقوله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا أي لعل إتيانها قريب قوله تعالى **وهو الذي يرسل الرياح
نشرا بين يدي رحمته** قرأ عاصم بشرى بالباء المضمومة والشين المجزومة ههنا يعني أنها تبشر بالمطر ويدل عليه قوله
الرياح مبشرات وقرئ بشرا بضم الباء والشين على جمع بشير مثل نذير ونذر • وقرأ ابن عامر نشرا بالنون المضمومة
وإسكان الشين وقرأ حمزة والكسائي نشرا بالنون المفتوحة وجزم الشين على التخفيف • وقرأ مسروق نشرا بفتحتين
أراد منشورا • وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو نشرا بالنون وضمها وضم الشين وقرأ بعضهم وهو الذي يرسل الريح
بلفظ الوحدان واختار أبو عبيد لفظ الجماعة وكان يقول كل ما في القرآن من ذكر الرياح فهو للرحمة وما كان
من ذكر الريح فهو للعذاب واحتج بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا هبت ريح اللهم اجعلها
رياحا ولا تجعلها ريحا والنشر جمع النشور وهي الرياح التي تهب من كل جانب فتنشر السحاب لتصوب وتصير ومن
قرأ نشرا بضمة واحدة فللتخفيف كما يقال رسل ورسل • ومن قرأ نشرا بنصب النون يعني نشر السحاب نشرا والنشر
خلاف الطي كنشر الثوب بعد طيه وقال الفراء النشر من الرياح الطيبة اللينة التي تنشر السحاب • ومن قرأ بشرا بالباء
والضم فهو جمع بشير قوله تعالى بين يدي رحمته أي قدام المطر وقوله تعالى **حتى إذا أقلت سحابا ثقالا**
أي إذا حملت ورفعت سحابا ثقالا بالماء والسحاب هو الغيم الجاري في السماء وقوله تعالى **سقناه لبلد ميت**
أي سقنا السحاب بأمر الله إلى أرض ليس فيها نبات قال ابن عباس يرسل الله الرياح فتحمل السحاب فتمر به كما
يمر الرجل الناقة والشاة حتى يدر ثم يمطر فتخرج بالمطر من كل الثمرات قوله تعالى سقناه لبلد ميت أي إلى
بلد ميت أي محتاج إلى الماء بلد ميت ولا نبات فيه وقيل ما مطر السماء حتى يرسل الله أربع أرياح فالصبا تهيجه والشمال
تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه قوله تعالى **فأنزلنا به الماء** أي بالسحاب وقيل بالبلد الميت الذي
لا نبات فيه كما أنزل الله به المطر فيخرج به ألوان الثمرات **كذلك نخرج الموتى** أي مثل ذلك الإخراج
الذي ذكرنا في إحياء الأرض الميتة كذلك نخرج الموتى من قبورهم يوم القيامة **لعلكم** بما بينا لكم تستدلون

على

على أن يخرجنا الله وأنه سيبعث من في القبور • وقال ابن عباس وأبو هريرة رضي الله عنهم إذا مات الناس كلهم
في النفخة الأولى أمطرت السماء أربعين يوما قبل النفخة الأخيرة مثل مني الرجال فينبتون من قبورهم بذلك المطر
كما ينبتون في بطون أمهاتهم وكما ينبت الزرع من الماء حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيها الروح ثم يلقى عليهم نومة
فينامون في قبورهم فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية وهي نفخة البعث جاشوا وخرجوا من قبورهم وهم يجدون
طعم النوم في رؤوسهم كما يجد النائم إذا استيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم
المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قوله تعالى **والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه**
يعني المكان الزاكي من الأرض يخرج ريعه بلا كد ولا عناء ولا مشقة فينتفع به **والذي خبث لا يخرج** تربته وهي
الأرض السبخة لا يخرج ريعها **إلا** في كد وعناء ومشقة • قال ابن عباس هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر
فإن المؤمن يسمع الموعظة فينتفع وينفعه القرآن كما ينفع المطر البلد الطيب والكافر لا يسمع الموعظة ولا
يعمل عملا من الطاعة إلا شيئا يسيرا والنكد في اللغة هو القليل الذي لا ينتفع به وقيل معنى قوله تعالى لا يخرج إلا
نكدا أي عسرا قليلا بعناء ومشقة • وقرأ أبو جعفر نكدا بفتح الكاف أي بالنكد وقيل هو لغة في
نكد ونكد بالسكون بمعناها لغة أيضا ويقال رجل نكد إذا كان عسرا ممتنعا من إعطاء الحق على وجه البخل قوله
تعالى **كذلك نصرف الآيات** أي كما صرفنا الآية في تربة هكذا نبين الآيات **لقوم يشكرون**
نعم الله تعالى ويعتبرون بآياته وأمثاله قوله تعالى **لقد أرسلنا نوحا إلى قومه** هو نوح بن لمك بن متوشلخ
بن أخنوخ وهو إدريس وكان نوح نجارا بعثه الله إلى قومه وهو ابن خمسين سنة فقال يا قوم **اعبدوا الله**
أي وحدوه وأطيعوه ولا تعبدوا معه غيره قوله تعالى **ما لكم من إله غيره** قرأ أبو جعفر ويحيى بن وثاب
والأعمش والكسائي غير بالخفض نعتا للإله وقرأ الباقون بالرفع على معنى ما لكم إله غيره وقيل على نية التقديم
وإن كان مؤخرا في اللفظ تقديره ما لكم غير الله من إله قوله تعالى **إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**
معناه إني أخاف عليكم إن لم تؤمنوا عذاب يوم القيامة وقد تذكر الخوف ويراد به اليقين • **قال الملأ من قومه
إنا لنراك في ضلال مبين** أي قال الأشراف والرؤساء من قومه إنا لنراك يا نوح في ذهاب عن الحق لخطاك يعني
لنا **قال يا قوم ليس بي ضلالة** أي ليس بي ذهاب عن الحق فيما أدعوكم إليه ولكني رسول من رب العالمين
الذي يملك كل شيء وإنما لم يقل ليست بي ضلالة لأن معنى الضلالة الضلال قوله تعالى **أبلغكم رسالات
ربي وأنصح لكم** أي أؤدي إليكم ما حملني الله من الرسالة وإنما قال رسالات لأن الرسالة تتضمن أشياء كثيرة
من أمر ونهي والترغيب والترهيب والوعد والوعيد فذكر تارة بلفظ يدل على التفصيل وتارة بلفظ يدل على الوحدة
قرأ أبو عمرو أبلغكم بالتخفيف في جميع القرآن كقوله أبلغتكم رسالة ربي وليعلم أن قد أبلغوا وقرأ الباقون مشددا
كما قال تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك قوله تعالى **وأنصح لكم** أي أنصح لكم فيما أدعوكم إليه وأحذركم
عقابه والنصح إخلاص العمل من الفساد والفعل نصحته ونصحت له وشكرته وشكرت له قوله تعالى **وأعلم
من الله ما لا تعلمون** أي أعلم أن لم تؤمنوا أن العذاب أتاكم قوله تعالى **أوعجبتم أن جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم** الألف فيه للاستفهام دخلت على واو العطف على جهة
الإنكار والتعجيب والواو مفتوحة كما كانت ومعناه أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على آدمي مثلكم تعرفون نسبه فكلمكم لينذركم
أي ليعلمكم موضع المخافة ولتتقوا الشرك والمعاصي ولكي تطيعوا فترحموا **فكذبوه فأنجيناه والذين
معه في الفلك** أي فكذبوا نوحا فأنجيناه من الطوفان والمؤمنين الذين كانوا معه في السفينة وكانوا أربعين
ثمانين إنسانا وقال الكلبي أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل سام وحام ويافث وأزواجهم وستة
أناس ممن آمن به **وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا** أي بدلائلنا وآياتنا إنهم **كانوا قوما عمين** أي قد عموا عن

الحق والإيمان وواحد العمين عمٍ وهو الذي قد عمي عن الحق وقيل معناه أنهم كانوا قوماً جاهلين بأمر الله
وقيل كفاراً وقيل عمين عن نزول العذاب بهم قوله تعالى **وإلى عاد أخاهم هوداً** أي وأرسلنا إلى
عاد وهم قوم من اليمن وكان اسم ملكهم عاداً فنسبوا إليه وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح قوله
تعالى أخاهم هوداً أي أخوهم في النسب لا في الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم
بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح وإنما أرسل الله إليهم منهم لأنهم أفهم لقوله وآنس به
قال يا قوم اعبدوا الله ظاهر المعنى قوله تعالى **قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة**
أي قال الأشراف والرؤساء الذين كفروا منهم إنا لنراك في جهالة والسفاهة في اللغة خفة الحلم والرأي قوله
تعالى **وإنا لنظنك من الكاذبين** يعني أنهم كذبوه في دعوى الرسالة وفي نزول العذاب بهم **قال يا قوم
ليس بي سفاهة** أي ليس بي جهالة **ولكني رسول من رب العالمين** إليكم فيما أمركم به من عبادته وتوحيده
وفي الآية موضع أدب للخلق وتعليم من الله حسن جواب السفهاء لأن هوداً عليه السلام اقتصر على دفع ما نسبوه إليه
من ما قالوه فقط ولم يقابلهم بشيء من الكلام القبيح وكذلك فعله نوح عليه السلام فقال ليس بي ضلالة قوله
تعالى **أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين** على الرسالة وقوله ناصح أي أدعوكم إلى التوبة وقد كنت
فيكم قبل اليوم أميناً وكذلك نعتوهم في اليوم قوله تعالى **أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم**
قد تقدم تفسيره قوله تعالى **واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح** أي اذكروا هذه النعمة العظيمة
أن أورثكم الله الأرض بعد هلاك قوم نوح والخلفاء جمع خليفة على غير لفظ الواحد لأن لفظه فعيلة فجمع
على خلائف كما يقال صحيفة وصحائف إلا أنه شاط [illegible] قوله تعالى **وزادكم في الخلق بسطة** أي
فضيلة في الطول قال ابن عباس أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستون ذراعاً وقال وهب كان رأس أحدهم كالقبة
العظيمة وكان عين أحدهم يفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم قوله تعالى **فاذكروا آلاء الله** أي نعم الله عليكم واعملوا
بما يقتضيه نعمه **لعلكم تفلحون** أي لتظفروا بالنجاة والفلاح قوله تعالى **قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده
ونذر ما كان يعبد آباؤنا** أي قالوا يا هود أتأمرنا أن نعبد رباً واحداً ونترك ما كان يعبد آباؤنا من الآلهة
فقال لهم إن لم تفعلوا ما آمركم به أتاكم العذاب قالوا **فأتنا بما تعدنا** به من العذاب **إن كنت من الصادقين**
أنك رسول من عند الله **قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب** أي قد وجب عليكم من ربكم عذاب وسخط والرجس
والرجز بمعنى واحد قوله **أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم** أي أتخاصمونني في الأصنام التي
صنعتموها بأيديكم وسميتموها أنتم وآباؤكم **ما نزل الله بها من سلطان** أي لم ينزل بها برهاناً وحجة وعاد
فانتظروا حلول العذاب بكم **إني معكم من المنتظرين** أي بهلاككم الله بعذاب من عنده قوله تعالى **فأنجيناه
والذين معه برحمة منا** أي خلصناه من العذاب والذين معه بنعمة منا عليهم أمرناهم بالخروج من بينهم
قبل إنزال العذاب عليهم **وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا** أي استأصلناهم بالريح العقيم فما بقي منهم أحد

فصل وكانت **قصة عاد وهلاكهم** على ما ذكره السدي وغيره من المفسرين أن عاداً كانوا ينزلون اليمن
وكانت مساكنهم الأحقاف وهي رمال يقال لها رمل عالج والدهناء ويبرين ما بين عمان إلى حضرموت وكانوا قد
فشوا في الأرض وقهروا أهلها بقوتهم التي أعطاهم الله إياها وكانوا يعبدون الأوثان فبعث الله إليهم هوداً نبياً
عليه السلام من أوسطهم في النسب وأفضلهم في الحسب فأمرهم الله أن يوحدوا الله ولا يعبدوا غيره وأن يكفوا عن
ظلم الناس فأبوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وتجبروا في الأرض وبطشوا بطشة الجبارين فلما فعلوا
ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء وجهد طلبوا
إلى البيت الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم وسألوا الله الفرج وكل الناس مسلمهم وكافرهم معظم لمكة عارف بحرمتها
عارف بحرمتها وكان أهل مكة يومئذ العماليق أبوهم عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان رئيس العماليق يومئذ

بمكة رجلاً يقال له معاوية بن بكر وكانت أمه من عاد فلما قحط المطر عن عاد وجهدوا قالوا جهزوا منكم وفداً إلى
مكة يستسقوا لكم فبعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزال في سبعين رجلاً فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو في
خارج مكة فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما
قينتان لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يستغيثون من البلاء الذي أصابهم
شق ذلك عليه فقال هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي والله ما أدري كيف أصنع بهم أستحيي أن آمرهم
بالخروج إلى حاجتهم فيظنون أن ذلك لضيق مقامهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهداً وعطشاً فشكا ذلك إلى
قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال معوية

ألا يا قيل ويحك قم فهينم ● لعل الله يسقينا غماما ● فيسقي أرض عاد إن عادا ● قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو ● به الشيخ الكبير ولا الغلاما ● وقد كانت نساؤهم بخير ● فقد أمست نساؤهم أيامى
وإن الوحش يأتيهم جهاراً ● ولا يخشى لعادي سهاما ● وأنتم ها هنا فيما اشتهيتم ● نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ● ولا لقوا التحية والسلاما ●

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض يا قوم لقد
أبطأتم على أصحابكم فقوموا وادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقاموا فدخلوا الحرم فقام قيل بن عنز يستسقي في المسجد فقال
اللهم إني لم أجئ لمريض فأداويه ولا لأسير فأفاديه اللهم اسقنا فإنا قد هلكنا اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيهم وقال
قومه اللهم أعطنا قيلاً ما سألك واجعل سؤلنا مع سؤله فأنشأ الله سحابات ثلاثاً سحابة بيضاء وسحابة حمراء وسحابة سوداء ثم نودي
يا قيل اختر لنفسك ولقومك من هذا السحاب ما شئت فقال اخترت السوداء فإنها أكثر ماء فنودي اخترت رماداً رمدداً
لا يبقي من آل عاد ولداً ولا والداً إلا أوصى وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من
النقمة والبلاء إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها فرحوا وقالوا هذا عارض ممطرنا
يقول الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها أي كل شيء مرت به فسخرها الله عليهم
سبع ليال وثمانية أيام حسوماً أي دائمة فكانت الريح تحمل الظعن ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وكانوا قد
حفروا لأرجلهم في الأرض وغيبوها إلى ركبهم فجعلت الريح تدخل تحت أقدامهم وترفع كل اثنين وتضرب أحدهما
على الآخر في الهواء ثم تلقيهما في الوادي والناس ينظرون حتى نزعتهم كلهم ثم رمت بالتراب عليهم فكان يسمع أنينهم
من تحت التراب واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما كان يصيبهم من الريح إلا ما تلين جلودهم وتلذ به أنفسهم
وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال لما أراد الله إرسال الريح العقيم إلى عاد أوحى الله إلى الريح أن تخرج إلى عاد
فتهلكهم منهم فخرجت على قدر منخر الثور حتى رجفت الأرض ما بين المشرق والمغرب فقالت الخزان يا رب لن نطيقها
ولو خرجت على حالها لأهلكت ما بين مشارق الأرض ومغاربها فأوحى الله أن اخرجي على قدر خرق الخاتم فخرجت على قدر ذلك
قال السدي فلما بعث الريح إليهم ودنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض
فتبادروا إلى البيوت فأخرجتهم الريح من البيوت حتى أهلكهم الله على ما ذكرنا ● وعن علي رضي الله عنه أنه سأل رجلاً
من حضرموت قال رأيت كثيباً أحمر تخالطه مدرة حمراء فيه أراك وسدر كثير في ناحية كذا من حضرموت قال نعم يا
أمير المؤمنين والله إنك لتنعته نعت رجل قد رآه قال لم أره ولكني حدثت عنه قال يا أمير المؤمنين وما شأنه
قال فيه قبر هود عليه السلام ● وعن عبد الرحمن بن سابط قال بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين
نبياً وإن قبر هود وشعيب وصالح وإسمعيل في تلك البقعة ● وفي بعض الأخبار أنه كان إذا هلك قوم نبي ونجا هو ومن
آمن معه أتى مكة هو ومن معه يعبدون الله فيها حتى يموت قوله تعالى **وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** أي وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً في النسب وثمود اسم للقبيلة سموا
بهذا الاسم لأنهم كانوا على عين قليلة الماء وموضعهم بالحجر بين الشام والمدينة والثمد الماء القليل وثمود في كتاب
الله مصروف وغير مصروف قال الله تعالى ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعداً لثمود فصرف الأول دون الثاني

دون الثاني فمن صرفه جعله اسما للحي فيكون مذكرا ومسمى به مذكرا ومن لم يصرفه جعله اسما للقبيلة قوله تعالى
قد جاءتكم بينة من ربكم أي دلالة فاصلة بين الحق والباطل من ربكم قوله تعالى هذه ناقة الله اشارة
الى ناقة بعينها قال ابن عباس اتاهم صالح عليه السلام بناقة من الصخرة الملساء التي فيهم فتحركت الصخرة بدعائه
فانصدعت عن ناقة عشراء فلم يؤمنوا وفي بعض الروايات اخرج الله من الصخرة ناقة ثم خلق فصيلها أي ولدها
قوله تعالى لكم آية أي علامة لنبوتي فتعتبروا وتوحدوا ربكم قوله تعالى فذروها تأكل في أرض الله أي
دعوها ترعى في أرض الحجر من العشب ولا تمسوها بسوء بقتل أو ضرب أو مكروه فيأخذكم عذاب أليم أي
مؤلم ان فعلتم ذلك قوله تعالى واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد أي واذكروا اذ استخلفكم في الارض
من بعد هلاك عاد وانزلكم في أرض الحجر تتخذون من سهولها قصورا في الصيف وتنحتون من الجبال بيوتا في
الشتاء وقيل انهم لطول أعمارهم كانوا يحتاجون أن ينحتوا من الجبال لأن السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم
قوله تعالى فاذكروا آلاء الله أي احفظوا نعم الله عليكم ولا تعثوا في الأرض مفسدين أي لا تعملوا في الارض
بالمعاصي والدعاء الى عبادة غير الله قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن
منهم أي قال الأشراف والرؤساء منهم الذين تعظموا عن الايمان به للذين استضعفوا من المؤمنين أتعلمون
أن صالحا مرسل من ربه وفي هذا ذم للكفار من وجهين احدهما الاستكبار وهو رفع النفس فوق قدرها وجحود
الحق والآخر انهم استضعفوا من كان يجب أن يعظموه ويجلوه وفي قول قوم صالح انا بما ارسل به مؤمنون
مدح لهم حيث ثبتوا على الحق واظهروه مع ضعفهم عن مقاومة الكفار قوله تعالى قال الذين استكبروا انا بالذي
آمنتم به كافرون أي قال رؤساؤهم الذين تعظموا عن الايمان بصالح عليه السلام انا بالذي صدقتم به من رسالته
جاحدون قوله تعالى فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم معناه عقروا الناقة التي جعلها الله لهم آية
ودلالة على صدق نبيهم وقد كان صالح عليه السلام قال لهم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله
ولا تمسوها بسوء وانما اضافها الى الله على التخصيص والتفضيل كما يقال بيت الله وقيل اضيفت الى الله لانها كانت
تكون من غير نتاج ذكر وانثى ولم تكن في صلب ولا رحم ولم يكن للخلق فيها سعي قوله تعالى آية نصب على الحال
قوله وعتوا عن أمر ربهم أي تجاوزوا في الحد الكفر والفساد وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا به من العذاب
على قتل الناقة ان كنت من المرسلين قوله تعالى فأخذتهم الرجفة أي اخذتهم الزلزلة من صيحة
جبريل عليه السلام كما قال الله تعالى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون والصاعقة هي الاحراق واحتراق
فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين رمادا جثوما والجثوم البروك على الركب وقيل معنى الصيحة والصاعقة
واحد فان الصاعقة لما سمع لما يصعقون به أي يموتون قوله تعالى فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالة ربي ونصحت لكم معناه فاعرض صالح عنهم حين عقروا الناقة وعرف أن العذاب يأتيهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم في اداء الرسالة اليكم ولكن لا تحبون من نصح لكم وقال ابن عباس خرج
صالح ومن معه من المؤمنين وهم مائة وعشرة حتى اذا فصل من عندهم وهو يبكي التفت خلفه فرأى الدخان ساطعا
فعرف أن القوم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة فلما هلكوا رجع صالح ومن آمن معه فسكنوا ديارهم حتى
توالدوا وماتوا فيها فان قيل قوله تعالى فتولى عنهم وقال يا قوم عطف على قوله فاصبحوا في دارهم جاثمين
فكيف يكون النصيحة بعد هلاكهم قيل ان الفاء في قوله فتولى عنهم للتعقيب لا للاجتماع ولا للترادف في الحال وهذا
راجع الى حال عقرهم الناقة لكن الله انما ساق القصة في أمرهم الى آخرها ثم عطف على ذلك ما فعله صالح للكفرة
عن عذره في ساعة انزال العذاب بعد كثرة نصحه لهم واصرارهم على فعلهم وهو جواب آخر لا يمتنع أن صالحا
قال هذا القول بعد هلاك القوم ليعتبر بذلك من كان معه من المؤمنين فصل وقصتهم ما جاء في البدء
وغيره أن عادا لما هلكت عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الأرض فنزلوا فيها وكثروا وكانوا في سعة من عيشهم

فعتوا

فعتوا على الله وأفسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث الله اليهم صالحا من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله عز وجل
حتى شمط وكبر فما تبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما الح عليهم في الدعاء والتخويف سألوه أن يريهم آية تكون
مصداقا لقوله فقال لهم أي آية تريدون فاشاروا الى صخرة منفردة من ناحية الحجر وقالوا له اخرج لنا من
هذه الصخرة ناقة حمراء عشراء فان فعلت آمنا بك وصدقناك فاخذ عليهم صالح عليه السلام المواثيق ففعلوا فصلى
ركعتين ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت وانصدعت عن ناقة عشراء حمراء كما وصفوا
وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فلما خرجت الناقة قال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم
معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها في ارض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد الماء غبا فاذا كان يومها
وضعت رأسها في بئر يقال لها بئر الناقة فما ترفعه حتى قد شربت كل ما فيها لا تدع قطرة واحدة ثم ترفع رأسها
فتفحج حتى يحلبون لهم فيحلبون ما شاءوا من لبنها فيشربون ويدخرون ويملؤن آنيتهم كلها ثم تصدر من غير الفج
الذي وردت منه لانها لا تقدر أن تصدر من حيث ترد لضيقه قال ابو موسى الاشعري أتيت أرض ثمود
فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانوا اذا كان يوم ورودها الماء يفترقون ويسقون مواشيهم
ويدخرون من الماء ما يكفيهم لليوم الثاني فكانوا كذلك وكانت الناقة اذا رأتها مواشيهم تنفر منها وكانت تصيف
الناقة ترعى في وادي الحجر فكبر ذلك على اهل المواشي منهم فاجتمعوا وتشاوروا على عقر الناقة وكان في ثمود امرأة
يقال لها صدوق وكانت جميلة الخلق غنية ذات ابل وبقر وغنم وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام
وكانت تحب عقر الناقة لاجل انها اضرت بمواشيها فطلبت ابن عم لها يقال له مصدع وجعلت له نفسها ان عقر
الناقة وكانت من احسن النساء واكثرهم مالا فاجابها الى ذلك ثم طلبت قدار بن سالف فقالت له يا قدار
انكحك أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة وكان منيعا في قومه فاجابها ايضا فانطلق قدار ومصدع
فاستغووا غواة ثمود فاتبعهم سبعة رهط فاجتمعوا على عقر الناقة واوحى الله الى صالح عليه السلام ان
قومك سيعقرون الناقة فقال لهم صالح ذلك فقالوا ما كنا لنفعل ثم تقاسموا بالله لنبيتنه واهله وقالوا
نخرج فيرى الناس انا قد خرجنا الى سفر فنأتي الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده
قتلناه ثم رجعنا الى الغار فلبثنا فيه فاذا رجعنا قلنا ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون أي تعلمون انا خرجنا
في سفرنا وكان صالح عليه السلام لا ينام في القرية وكان له مسجد خارج القرية يقال له مسجد صالح يبيت فيه فاذا
اصبح أتاهم فوعظهم واذا امسى خرج الى المسجد فانطلقوا فدخلوا الغار فلما كان بالليل سقط عليهم الغار فقتلهم
فلما اصبحوا اذا هم رحل صالح في القرية فقال ما رضي صالح حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة وقال
ابن اسحق انما اجتمع التسعة الذين عقروا الناقة فقالوا هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلنا قتله وان كان
كاذبا الحقناه بناقته فأتوه ليلا ليبيتوه في اهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة وقال بعضهم انطلق قدار ومصدع
واصحابهما التسعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في اصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع
في اصل صخرة اخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم خرج قدار فعقرها بالسيف فخرت
ثم رغت ثم طعنها في لبتها ونحرها وخرج اهل البلد واقتسموا لحمها فلما رأى سقبها ذلك هرب ثم رغا ثلاثا وهرب
وصعد حتى اتى الصخرة التي خرجت منها فانفتحت له فدخلها فبلغ صالح عليه السلام عقر الناقة فاقبل اليهم فجعلوا
يعتذرون اليه ويقولون انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون سقبها فان ادركتموه
فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا في طلبه فلم يجدوه فقال صالح لكل دعوة أجل تمتعوا في داركم ثلاثة ايام
ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن اسحق عقروا الناقة وسقبها واقتسموا لحمه ولحم امه فقال لهم صالح ابشروا
بعذاب الله ونقمته فقالوا له وما علامة ذلك قال تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد محمرة وبعد ذلك
مسودة وكانوا عقروها يوم الاربعاء فاصبحوا يوم الخميس كأن وجوههم طليت بزعفران صغيرهم وكبيرهم

ذكرهم وأتاهم فأيقنوا بالعذاب وعلموا أن صالحا قد صدق فطلبوه ليقتلوه فهرب منهم واختفى في موضع فلم
يجدوه وجعلوا يعذبون أصحابه الذين آمنوا معه ليدلوهم عليه فلما أصبحوا يوم الجمعة أصبحت وجوههم
محمرة كأنما خضبت بالدماء فصاحوا بأجمعهم وضجوا وبكوا وعرفوا أن العذاب قد دنا إليهم وجعل كل واحد منهم
يخبر الآخر بما يرى في وجهه ثم أصبحوا يوم السبت ووجوههم مسودة كأنما طليت بالقار والنيل فصاحوا جميعا
ألا قد حضر العذاب فلما أصبحوا يوم الأحد خرج المسلمون إلى صالح عليه السلام فمضى بهم إلى الشام فلما اشتد الضحى
يوم الأحد أتتهم صيحة من السماء عظيمة فيها صوت كل صاعقة فانفطرت قلوبهم في صدورهم وتقطعت فلم يبق
منهم صغير ولا كبير إلا هلك كما قال الله عز وجل إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر وعن
جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر في غزوة تبوك يعني موضع ثمود قال لأصحابه لا يدخلن
أحد منكم هذه القرية إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم ثم قال لا تسألوا رسولكم الآيات فإن هؤلاء
قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله إليهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب
ماءهم يوم ورودها وأراهم مرتقى الفصيل حين ارتقى ثم أسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير حتى جاوز
الوادي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي رضي الله عنه أتدري من أشقى الأولين قال الله
ورسوله أعلم قال عاقر الناقة قال أتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك قوله تعالى
ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين معناه وأرسلنا لوطا إذ قال
لقومه أتأتون السيئة وهو إتيان الذكور في الأدبار والسيئة الفاحشة العظيمة القبح وقوله تعالى ما سبقكم بها من أحد
من العالمين أي لم يفعلها أحد قبلكم قال ابن عباس رضي الله عنهما أول ما عملوا عملهم الخبيث أن أخصبت بلادهم فانتجعهم
أهل البلدان فتمثل لهم إبليس في صورة شاب ثم دعا إلى دبره فنكح فعبثوا بذلك العمل ثم لما كثر فيهم عجت الأرض
إلى ربها فسمعت السماء فعجت إلى ربها فسمع العرش فعج إلى ربه فأمر الله السماء أن تحصبهم والأرض أن تخسف بهم وقوله
تعالى أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء أي إنكم لتأتون الرجال في أدبارهم شهوة
وتتركون إتيان النساء التي أباح الله لكم بل أنتم قوم مسرفون أي متجاوزون من الحلال إلى الحرام قوله تعالى
فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم أي ما كان جوابهم إذ قال لهم ذلك إلا أن قال بعضهم لبعض
أخرجوا لوطا ومن معه من بلدكم إنهم أناس يتطهرون عن فعلنا ويتقذروننا والعرب تسمي المدينة قرية قوله تعالى
فأنجيناه وأهله إلا امرأته أي خلصناه وابنتيه زعورا وريثا وأهل الرجل هم المختصون به اختصاص القرابة
قوله تعالى إلا امرأته أي إلا زوجته كانت على دينهم قوله تعالى كانت من الغابرين أي من الباقين في العذاب
غبرت بمعنى غبر ومعناه بقيت في العذاب ولم تذهب معه فهلكت مع القوم فيمن هلكوا قوله تعالى وأمطرنا عليهم
مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين قال ابن عباس أمطرت الحجارة على مسافريهم وعلى الذين لم يكونوا في المدينة
حتى هلكوا فأما المدينة جعل الله عاليها سافلها وقوله تعالى أمطروا أي رموا بالحجارة ثم خسف الأرض ... في قوله
وأمطرنا قال بعضهم يقال لكل شيء من العذاب أمطرت وللرحمة مطرت وقال بعضهم مطرت وأمطرت بمعنى
واحد قوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المجرمين أي تفكر في إجرام الكفرين المكذبين كيف فعلنا بهم قوله تعالى
وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره معناه وأرسلنا إلى مدين أخاهم
في النسب شعيبا قال الضحاك كان شعيب أفضلهم نسبا وأصدقهم حديثا وأحسنهم وجها يقال إنه بكى من خشية
الله حتى ذهب بصره وصار أعمى وأما مدين فإنه مدين بن إبراهيم خليل الله تزوج ريثا بنت لوط فولدت له
وكثر نسله فصار مدين قبيلتهم أو قبيلتهم قوله تعالى قد جاءتكم بينة من ربكم أي برهان وحجة
من ربكم على نبوتي فأوفوا الكيل والميزان أي أدوا حقوق الناس بالمكيال والميزان على التمام وعلى

تبخسوا الناس حقوقهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها أي لا تعملوا فيها بالمعاصي بعد إصلاح الله إياها
بالعدل وقيل معناه لا تظلموا الناس في الأرض بعدما أمر الله فيها بالعدل قوله تعالى ذلكم خير لكم أي إيفاء
الحقوق وترك الفساد في الأرض خير لكم إن كنتم مصدقين بالله ورسوله وقد كان لشعيب عليه السلام
آية تدل على نبوته كما قال الله تعالى قد جاءتكم بينة من ربكم إلا أنها لم تذكر في القرآن كما أن أكثر معجزات نبينا صلى
الله عليه وسلم غير مذكورة في القرآن قوله تعالى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل
الله من آمن به أي لا تقعدوا على كل صراط طريق تخوفون وتصرفون عن دين الله وطاعته من آمن بالله وذلك أنهم
كانوا يخوفون بالقتل كل من قصد شعيبا للإيمان به قوله تعالى وتبغونها عوجا أي تطلبون لها غيرا
وزيغا وعدولا عن الحق وقوله تعالى واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم أي احفظوا نعم الله عليكم إذ
كنتم قليلا في العدد فكثر عددكم ويقال يعني فكثركم جعلكم أغنياء ذوي مقدرة بعد أن كنتم ضعفاء فقراء قوله تعالى
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين أي تفكروا كيف كان آخر أمر من كان قبلكم من الكفار في إهلاك الله
تعالى إياهم وإنزال العذاب بهم فتحذروا من سلوك مسالكهم قوله تعالى وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي
أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا معناه وإن كان جماعة منكم صدقوا بالذي أرسلت به وجماعة لم يصدقوا فاصبروا
حتى يقضي الله بين المؤمنين والكافرين وهو أعدل القاضين يجزي كل واحد من الفريقين بما يستحقه على عمله في
الدنيا والآخرة يعني الله هلاك قوم شعيب قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا أي قال الذين تعظموا عن الإيمان به لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا
معك من قريتنا أو لترجعن إلى ديننا ومن بعد علمكم في رضاء على مخالفتنا قال شعيب أولو كنا كارهين معناه
أتعيدوننا وتجبروننا على ذلك وإن كرهنا فإن قيل كيف قالوا يا شعيب أو لتعودن في ملتنا وشعيب عليه السلام
لم يكن في ملتهم قط لأن الأنبياء لا يجوز عليهم الكفر في حال من الأحوال قيل يجوز أن يكون المراد بهذا الخطاب قومه
الذين كانوا على ملتهم فأدخلوه معهم في الخطاب ويحتمل أنهم توهموا أن شعيبا كان على ملتهم لأنهم لم يروا منه مخالفة
لهم إلا في وقت ما دعاهم إلى نبوته قوله تعالى قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله
منها أي قد اختلقنا على الله الكذب فيما دعونا لكم إليه إن عدنا في ملتكم بعد إذ خلصنا الله منها بالدلالة
على بطلانها وتبيين الحق لنا وقبولنا له قوله تعالى وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا
قال بعضهم معناه ما نعود فيها إلا أن يكون في علم الله ومشيئته أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وقال بعضهم إلا
أن يشاء الله أن نكره عليها بالقتل فنظهر كلمة الكفر مع طمأنينة القلب بالإيمان قوله تعالى وسع ربنا
كل شيء علما أي أحاط ربنا بكل شيء علمه فهو يعلم ما هو أصلح لنا فيتعبدنا به وهو يعلم بأنا هل ندخل في
ملتكم أو لا ندخل فيها قوله تعالى على الله توكلنا أي به وثقنا في الانتصار عليكم قوله تعالى ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق أي اقض بيننا وبينهم بما علينا أنا على الحق بأن يدلهم على الباطل وأنت خير الفاتحين
والفاتح هو الحاكم بلغة أهل عمان من يمن فالحاكم يفتح المشكلات ويفصل الأمور ويجوز أن يكون يعني افتح أظهر
أمرنا بإهلاك العدو حتى ينفتح ما بيننا وبينهم أي نظهر ذلك بكشف قوله تعالى وقال الملأ الذين كفروا من قومه
لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون معناه قال الأشراف الذين كذبوا شعيبا لئن اتبعتم شعيبا فيما دعاكم
إليه إنكم إذا بمنزلة من ذهب رأس ماله فإنكم العز في ترك الشهوات فتكونون مغبونين جاهلين قوله تعالى
فأخذتهم الرجفة أي الزلزلة الشديدة وقال ابن عباس رجفت بهم الأرض وأصابهم حر شديد
فبعث لهم سحابة فخرجوا إليها يطلبون الروح منها فلما كانوا تحتها سالت عليهم بالعذاب ومعه صيحة جبريل
عليه السلام قوله تعالى فأصبحوا في دارهم جاثمين أي لم يغب عنهم تحت الظلة كما قال تعالى فأخذهم
عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم وقوله تعالى جاثمين أي ميتين على وجوههم وركبهم

أنهم احترقوا تحت السحابة فصاروا رمادا واستبين ونزلت الرماد الجاثم أجسام ملقاة على الأرض محترقة قال ابن عباس
فتح الله عليهم بابا من جهنم فأرسل عليهم منه حرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فدخلوا جوف البيوت فلم ينفعهم
ماء ولا ظل فأنضجهم الحر فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها وظل السحابة فتنادوا
عليكم بها فخرجوا نحوها فلما اجتمعوا تحتها رجالهم ونساؤهم وصبيانهم ألهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم
فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى وصاروا رمادا وهو عذاب يوم الظلة قوله تعالى الذين كذبوا شعيبا
كأن لم يغنوا فيها يقول الله تعالى الذين كذبوا شعيبا كأن لم ينزلوا في ديارهم ويقال معنى كأن لم يغنوا
فيها كأن لم يقيموا فيها مقام المستغني وقال قتادة معناه كأن لم يعيشوا ولم يكونوا قال الضحاك معنى المنزل والمغاني
المنازل التي كانوا بها يقال غنينا بمكان كذا أي نزلنا فيه وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين
فيه بيان أن الخسران يحل بهم دون المؤمنين وإنما أعاد ذكر الذين كذبوا شعيبا للتغليظ عليهم قوله تعالى فتولى عنهم
وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين معناه فلما رأى العذاب
نازلا عليهم أعرض عنهم بعد ما كان بين ظهرانيهم وخرج من بين أظهرهم ولم تعذب قوم لوط حتى خرج نبيهم من بين أظهرهم
وقوله فكيف آسى على قوم كافرين أي كيف أشتد حزني على قوم كافرين حل بهم العذاب باستحقاقهم له بعد أن نصحتهم
فلم يقبلوا والأسى الحزن والأسى الصبر قوله تعالى وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء
أي ما أرسلنا في مدينة من رسول فكذبوه إلا عاقبنا أهلها بالبأساء والضراء وقال ... البأساء ما نزل بهم من الشدة في
نفوسهم والضراء ما نزل بهم من الضر في أموالهم وقيل على عكس هذا وقيل البأساء البؤس والشدة وضيق العيش
والضراء الفقر والجوع قوله تعالى لعلهم يتضرعون أي لكي يتضرعوا ويتوبوا وقوله تعالى ثم بدلنا مكان
السيئة الحسنة حتى عفوا أي ثم حولنا مكان الشدة والكرب العافية والخصب والسعة حتى كثروا وكثرت
أموالهم ونعمتهم وإنما سميت الشدة سيئة لأنها تسوء الإنسان كما سمي الرخاء حسنة لأنه يحسن أثره على الإنسان
ولا أن السيئة هي الفعلة القبيحة والله تعالى لا يفعل القبيح وقال الحسن عفوا سمنوا وأراد به السمن في المال
لا في تعظيم الجسم وقال قتادة حتى عفوا أي حتى أشروا وبطروا ولم يشكروا ربهم وأصله من الكثرة قال صلى الله
عليه وسلم أحفوا الشوارب واعفوا اللحى قال الشاعر: عفوا من بعد إقلال وكانوا زمانا ليس عندهم
بعير. وقال ابن عباس حتى عفوا أي جموا وقال ابن زيد حتى كثروا كما يكثر النبات والريش قوله تعالى وقالوا
قد مس آباءنا الضراء والسراء أي قالوا هكذا عادة الزمان أي يسيء تارة ويحسن أخرى وهكذا كانت عادته
مع آبائنا فثبتوا على دينهم ولم ينتقلوا عنه فاثبتوا أنتم على دينكم ولا تنتقلوا عنه يقول الله تعالى فأخذناهم
بغتة أي فأخذناهم بالعذاب وهم من حيث لا يشعرون بالعذاب والمعنى أخذناهم بالعذاب في أمن منهم وهم لا يشعرون
بنزوله قوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض معناه لو
أن أهل القرى أهلكناهم بتكذيبهم الرسل قالوا آمنا بالله وبالرسل واتقوا الشرك والمعاصي لفتحنا عليهم بركات
نامية من السماء وهي المطر ومن الأرض وهي النبات والثمار ولكن كذبوا الرسل فأخذناهم بالجدب بما
كانوا يكسبون من المعاصي وفي الآية دلالة أن الكفاية والسعة في الرزق من سعادة المرء إذا كان شاكرا
والمراد بقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الكثرة التي تكون وبالا على من لا يشكر الله تعالى
قوله تعالى أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون معناه أفأمن أهل القرى المكذبة لك
يا محمد أن ينزل بهم عذابنا ليلا وهم نائمون في فرشهم ومنازلهم لا يشعرون بالعذاب لغفلتهم قوله تعالى أوأمن
أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون معناه أوأمن أهل القرى المكذبة لك أن يأتيهم عذابنا
نهارا وهم مشغولون بلهوهم ولعبهم والضحى صدر النهار عند ارتفاع الشمس قوله تعالى أفأمنوا مكر الله فلا

معناه

معناه أبعد هذا كله أمنوا عذاب الله لهم من حيث لا يعلمون وإنما سمي العذاب مكرا على جهة الاتساع والمجاز لأن
المكر ينزل بالممكور من جهة الماكر من حيث لا يشعر وأما المكر الذي هو الاحتيال للإظهار بخلاف الإضمار فلا يجوز
على الله قوله تعالى فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون فإن قيل أليس الأنبياء قد أمنوا عذاب الله وليسوا
من القوم الخاسرين قيل معنى الآية لا يأمن عذاب الله من العصاة أو لا يأمن عذاب الله من المذنبين والأنبياء صلوات
الله عليهم لا يأمنون عذاب الله على المعصية ولهذا لا يعصون بأنفسهم قوله تعالى أولم يهد للذين يرثون
الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم قرأ قتادة أولم نهد بالنون على التعظيم ومعنى الآية
أولم يبين الله للذين يخلفون في الأرض من بعد أهلها الذين أهلكهم الله بتكذيبهم الرسل قوله لو نشاء أصبناهم
بذنوبهم أي أولم يتبين لهم أن لو نشاء لأصبناهم بعقاب ذنوبهم كما أخذنا من كان قبلهم بذنوبهم وقوله تعالى
ونطبع على قلوبهم أي نختم عليها عقوبة لهم وليس هو عطفا على أصبناهم لأنه لو عطف عليه لقال ولطبعنا
من قوله أصبناهم على لفظ الماضي وكان معنى ونطبع ونحن نطبع ومعنى الختم على قلوبهم أنهم لا يؤمنون على جهة
الذم قوله تعالى فهم لا يسمعون أي لا يقبلون الوعظ قوله تعالى تلك القرى نقص عليك من أنبائها
أي تلك القرى أهلكنا أهلها بجحودهم بآيات الله نقص عليك يا محمد في القرآن من أخبارها كيف أهلكت لما في ذكرها من
العبرة لمن تدبرها ولقد جاءتهم رسلهم بالحجج والبراهين القاطعة التي لو اعتبروا بها لاهتدوا قوله تعالى
فما كانوا ليؤمنوا قال مجاهد معناه فما أهلكناهم لم يؤمنوا وقد كان معلوما أنهم لا يؤمنون أبدا وقال الحسن
معناه فما كانوا ليؤمنوا لعتوهم وتمردهم في الباطل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ... معنى الآية
تلك القرى أي هذه القرى التي ذكرت لك يا محمد آثارها وأخبار أهلها يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب وقوله
تعالى فما كانوا ليؤمنوا قال أبي بن كعب معناه فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل لما سبق في علم الله أنهم يكذبون به قوله
تعالى وما وجدنا لأكثرهم من عهد أي ما وجدنا لأكثر المهلكين من وفاء فيما أمروا به تقول العرب لفلان لا
عهد له أي لا وفاء له بالعهد وهذا العهد المذكور في الآية يجوز أن يكون ما أودع الله العقول من وجوب شكر النعم
والقيام بحق المنعم ووجوب طاعة المحسن ويجوز أن يكون ما أخذ عليهم على ألسنة الرسل من هذه الأمور وقوله
تعالى وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين أي إنا وجدنا أكثرهم ناقضين للعهد تاركين لما أمروا به من الحلال
والحرام وإنما دخلت إن واللام في مثل هذا تعني وجه التأكيد كما يقال إن ظننت زيدا لقائما ويريد بذلك تأكيد الظن
قوله تعالى ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فظلموا بها معناه ثم بعثنا من بعد أولئك
الرسل الذين سبق ذكرهم موسى بدلالاتنا وحججنا من العصا واليد والطمس وغير ذلك إلى فرعون وأشراف قومه ويعني
بالذين بعث موسى من بعدهم نوحا وهودا وصالحا وشعيبا ولوطا واسم فرعون أعجمي لا ينصرف لاجتماع فيه العجمة
والتعريف كانوا يسمون كل من ملك مصر بهذا الاسم واسمه الوليد بن مصعب وكان من القبط وعمر أكثر من أربعمائة
سنة قوله تعالى فظلموا بها أي جحدوا بآياتنا وسماه ظلما لأنهم جعلوا بدل وجوب الإيمان بها الكفر وذلك من
أبين الظلم وقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين أي فانظر كيف صار آخر أمر المفسدين في العقاب
قال ابن عباس كان طول عصا موسى عشرة أذرع على طوله وكانت من آس الجنة وكان تضرب بها الأرض فيخرج
بها النبات وتلقفها فإذا هي حية تسعى وتضرب بها الحجر فيتفجر وضرب بها باب فرعون ففزع منها فشاب رأسه
فاستحيا فخضب بالسواد وأول من خضب بالسواد فرعون قوله تعالى وقال موسى يا فرعون إني رسول من
رب العالمين وذلك أن موسى دخل على فرعون ومعه أخوه هارون بعثهما الله إليه بالرسالة فقال موسى
يا فرعون إني رسول من رب العالمين فقال له فرعون كذبت فقال موسى حقيق على أن لا أقول على
الله إلا الحق أي جدير بأن لا أقول على الله إلا الحق وقرأ نافع علي بالتشديد أي واجب علي أن لا أقول على

الله الحق قوله تعالى قد جئتكم ببينة من ربكم أي برهان وحجة من ربكم فأطلق بني اسرائيل
من أسرك وقد استعبدتهم واحملهم إلى الأرض المقدسة وكان فرعون وقومه القبط قد استعبدوا بني اسرائيل وأتعبوهم
في الأعمال الشاقة مثل حمل الطين والماء وبناء المنازل وأشباه ذلك قوله تعالى قال إن كنت جئت بآية فأت
بها إن كنت من الصادقين معناه قال فرعون إن كنت جئت بعلامة لنبوتك فأت بها إن كنت من
الصادقين في أنك رسول الله فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين أي ثعبان بين لا لبس فيه ولا تشبيه
على أحد أنه ثعبان والثعبان الحية الصفراء الذكر الأشعر أعظم الحيات لها عرف كعرف الفرس وروي أنها
ملأت دار فرعون ثم فتحت فاها وأخذت قبة فرعون بين فكيها فتضرع فرعون إلى موسى وهرب الناس
واستغاثوا بموسى فأخذها موسى فإذا هي عصى بيده كما كانت. قال ابن عباس والسدي لما صارت حية
كان ما بين لحييها ثمانون ذراعا ووضعت لحيها الأسفل في الأرض ولحيها الأعلى على سور القصر ثم توجهت
نحو فرعون لتأخذه فوثب من سريره وهرب وهرب الناس وانهزموا وكانوا خمسة وعشرين ألفا فصاح فرعون
يا موسى خذها وأنا أومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فأخذها فعادت عصا كما كانت. فقال فرعون هل
معك آية أخرى. قال نعم فأدخل يده في جيبه ثم نزعها فإذا هي بيضاء لها شعاع يغلب نور الشمس.
قوله تعالى قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم أي قال الأشراف من قوم فرعون إن هذا الساحر
حاذق بالسحر يريد أن يخرجكم من أرضكم أي يريد موسى أن يستميل قلوب بني اسرائيل إلى نفسه ويتقوى بهم
فيقتلكم ويخرجكم من بلادكم فماذا تأمرون في أمره كأنهم خاطبوا فرعون ويجوز أن يكون قوله يريد أن يخرجكم
من أرضكم من مقالة فرعون لقومه ويعني بقوله من أرضكم أرض مصر وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر
وبين اليوم الذي دخلها موسى فيه رسولا سنة. قوله تعالى قالوا أرجه وأخاه أي قالوا لفرعون احبسه وأخاه
أي أخر أمرهما ولا تعجل بقتلهما فيكون مجالا للحجة عليك وأرسل في المدائن حاشرين أي ابعث الشرط
في المدائن التي حولك يحشرون كل سحار والسحر في اللغة لطف الحيلة في إظهار الأعجوبة وأصل ذلك خفاء
الأمر ومن ذلك سمي آخر الليل سحرا لخفاء الشخص ببقاء ظلمته والسحر الرئة سميت بذلك لخفاء أمرها بانتفاخها
تارة وضمورها أخرى. قوله تعالى وجاء السحرة فرعون قال ابن عباس كانوا سبعين ساحرا سوى
رئيسهم وكان الذي يعلمهم رجلين مجوسيين من أهل نينوى. وقال محمد بن اسحاق كانوا خمسة عشر ألف ساحر مع كل
واحد منهم حبل وعصى. وقال كعب كانوا اثني عشر ألفا. وقال ابن المنكدر ثمانين ألفا. وقال مقاتل كان
رئيس السحرة شمعون فلما اجتمعوا قالوا لفرعون إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين أي جعلا ومالا
قال نعم وإنكم لمن المقربين عندي في المنزلة. قال الكلبي يعني أول من يدخل علي وآخر من يخرج. قوله
تعالى قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين أي قالت السحرة يا موسى إما أن تلقي ما معك
من العصا وإما أن نلقي نحن ما معنا من العصي والحبال. قال ألقوا ما معكم من الحبال والعصي فلما ألقوا ذلك
أخذوا أعين الناس واسترهبوهم حتى رهبهم الناس وجاءوا بسحر عظيم في أعين الناس لأنهم
قد جعلوا فيها الزئبق بعد أن صوروها بصورة الحيات فلما أوقعوها في الشمس اضطربت بما فيها
من الزئبق لأنه لا يستقر ومتى زاد مكثه في الشمس زادت حركته فخيل إلى موسى من سحرهم أن عصيهم حيات
كما كانت عصى موسى عليه السلام. فإن قيل كيف يجوز من موسى أن يأمرهم بالإلقاء وكان إلقاؤهم إرادة منهم
معارضة موسى عليه السلام وذلك كفر ولا يجوز على الأنبياء أن يأمروا بالكفر قيل معناه ألقوا إن كنتم محقين
على علمكم ويجوز أن يكون أمرهم بالإلقاء ليبين معجزته. قوله تعالى وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك
من يدك فألقاها فإذا هي تلقف ما يأفكون أي تلتقم وتبتلع ما كانوا يكذبون أنها حيات والإفك

الكذب وقرئ تلقف بجزم اللام خفيفة وقرأ سعيد بن جبير تلقم. قال ابن عباس لما كثرت حبالهم جعلت عصى
تزداد عظما حتى سدت الأفق ثم فتحت فاها فابتلعت جميع ما ألقوه من حبالهم وعصيهم ثم أهوت تريدها
فعلقته برأس قبة فرعون وهو فيها وفتحت فاها لتبتلع فصرخ إلى موسى فأخذها فإذا هي عصى كما كانت
ونظر السحرة فإذا حبالهم وعصيهم قد ذهبت فذلك قوله تعالى فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون
من السحر وقال النضر بن شميل فوقع الحق أي صدعهم وأفزعهم فغلبوا هنالك يعني السحرة وانقلبوا
صاغرين أي رجعوا ذليلين قوله تعالى وألقي السحرة ساجدين قال الأخفش من سرعة ما سجدوا
كأنهم ألقوا وقد كانوا في اللوح المحفوظ سعداء شهداء قوله تعالى قالوا آمنا برب العالمين فقال لهم
فرعون إياي تعنون قالوا رب موسى وهارون فبهت فرعون وندم على ما سألهم وظهر للناس أنهم
آمنوا بالله عز وجل قوله تعالى قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم أي قال لهم فرعون أصدقتم
بموسى وهرون قبل أن آذن لكم في الإيمان إن هذا الشيء واطأتموه عليه حتى يدعي النبوة ثم تظهروا
إياه حتى إذا علمكم أظهرتم موافقته بعد ذلك أراد فرعون بهذا القول أن يموه على الناس لتنصرف وجوههم
إلى نفسه ثم قال للسحرة فسوف تعلمون ماذا أنزل بكم من النكال قوله تعالى لأقطعن أيديكم وأرجلكم من
خلاف أي لأقطعن أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى من خلاف ثم لأصلبنكم على شاطئ نهر مصر على جذوع النخل
حتى تموتوا من الجوع والعطش ولأتركنكم قوله تعالى قالوا إنا إلى ربنا منقلبون أي فقالت السحرة إنا لا نبالي من تعذيبك
وتخويفك فإنا نرجع إلى الله يوم القيامة فإن الحياة وإن طالت فإنها تختم بالممات قوله تعالى وما تنقم منا
إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا أي قالت السحرة ما تعيب علينا ولا تنكر إلا أنا صدقنا بعلامات توحيد
ربنا لما ظهر لنا ذلك حق من الله ثم ألهموا الدعاء فقالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين أي اصبب
علينا صبرا وأنزله علينا ووفقنا للثبات على الإيمان إلى وقت الممات قال ابن عباس فأخذ فرعون السحرة فقطعهم
وصلبهم على شاطئ نيل مصر ثم خلى سبيل موسى وهرون ولم يتعرض لهما فقال الملأ من القبط أتذر موسى وقومه
ليفسدوا في الأرض أي أتتركهم ليغيروا عليك دينك في أرض مصر ويدعوا الناس إلى مخالفتك فينتقص عليك
ملكك ويذرك وآلهتك أي ويترك عبادتك ولا يعبدك ويدع عبادة آلهتك التي أمرت بعبادتها قال الحسن كان
فرعون يستعبد الناس ويعبد الأصنام [illegible] وقال السدي كان يستعبد الناس ويعبد هو ما استحسن من البقر
ومنها أخذ السامري عبادة البقر وقيل كان فرعون قد صنع أصناما صغارا وأمر قومه بعبادتها وقال
أنا ربكم ورب هذه الأصنام فذلك قوله أنا ربكم الأعلى وقرأ الحسن وما تنقم بفتح القاف وهما لغتان قال الضحاك معناه
وما تطعن علينا وقال عطاء ما لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه إلا أن آمنا بآيات ربنا وقرأ الحسن ويذرك
بالرفع عطفا على أتذر وقرأ ابن مسعود وابن عباس والضحاك وإلاهتك أي عبادتك فلا يعبدك وقيل أراد
بالإلاهة الشمس وكان فرعون وقومه يعبدونها وقال ابن عباس كان لفرعون بقرة يعبدها وكانوا إذا رأوا
بقرة حسناء أمرهم بعبادتها ولذلك أخرج لهم السامري عجلا وروي أنه قيل للحسن هل كان فرعون يعبد شيئا
قال نعم كان يعبد تيسا قوله تعالى قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم أي قال فرعون سنعود إلى قتل
أبنائهم واستخدام نسائهم عقوبة لهم كما كنا نفعل قبل ولادة موسى قوله تعالى وإنا فوقهم قاهرون أي
مستعلون عليهم بالقوة فشكت بنو اسرائيل إلى موسى فقال لهم استعينوا بالله واصبروا أي استعينوا بالله في
دفع بلاء فرعون عنكم واصبروا على دينكم إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ثم يورثكم هذه الأرض
بعد إهلاك فرعون وقومه والعاقبة للمتقين أي آخر الأمر للذين يتقون الله وقيل أراد بالعاقبة الجنة
في الآخرة وقيل النصر والظفر وقيل السعادة والشهادة قوله تعالى قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن

بعد ما جئتنا قال ابن عباس وذلك أن فرعون عاد إلى قتل أبنائهم وزاد في إتعابهم في العمل كان يستعملهم قبل
مجيء موسى بضرب اللبن والبناء فلما أتاهم موسى غضب وكلفهم نصبا أشد من ذلك قال وهب جعلهم أصنافا
في خدمته وهم يحملون السواري من الجبال وقد قرحت أعناقهم وعواتقهم ودبرت ظهورهم من نقل ذلك وقوم
قد خرجوا من نقل الحجارة والطين للبناء وقوم يلبنون اللبن ويطبخون الآجر وقوم نجارون وحدادون
وأما الضعفاء الذين لا يطيقون العمل فجعل عليهم الخراج يؤدونه كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل أن
يؤدي ضريبته غلت يده إلى عنقه وأما النساء فيغزلن الكتان وينسجنه فلما شكوا على موسى قالوا أوذينا
من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال لهم عسى ربكم أن يهلك عدوكم يعني فرعون وقومه ويجعلكم
سكانا في أرض مصر من بعدهم وعسى كلمة إطماع وما أطمع الله فيه فهو واجب من الكريم إذا أطمع وعد
فيصير كأنه وعده على نفسه قوله تعالى فينظر كيف تعملون أي فيرى عملكم كيف تشكرون صنعه كأنه يقول
ويستخلفكم في الأرض لكي تعملوا بطاعة الله قوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين أي أخذنا
قوم فرعون وأهل دينه بالجوع عاما بعد عام إلى سبعة أعوام وآل الرجل خاصته الذين يؤول أمره إليهم
وأمرهم إليه والسنون في كلام العرب الجدب يقال مستهم السنون أي الجدب قوله تعالى ونقص من الثمرات
زيادة في القحط من الثمار قوت الناس وغذاؤهم لعلهم يذكرون أي لكي يتعظوا فيؤمنوا
وقيل أراد بقوله ونقص من الثمرات الغلاء قوله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه أي إذا جاءهم
الخصب والخير قالوا نحن أهل لهذه الحسنة ونحن بها فهي عادة بلادنا أي بالسعة والخصب لم يذكروا
شكرا ولا يعرفونه نعمة من الله وإن تصبهم سيئة أي جدوبة وقحط وبلاء وشدة يطيروا بموسى ومن معه
أي يتشاءموا بموسى وأصحابه وقالوا أصابنا هذا البلاء من شؤمهم والطيرة في اللغة التشاؤم كما روي أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل ويكره الطيرة والأصل في هذا أن العرب كانوا يتفاءلون بالطير فإن جاءهم
طائر من جهة اليمين وهو السانح تبركوا به وإن جاءهم من جهة الشمال وهو البارح تشاءموا به ثم كثر ذلك
في الطير حتى استعملوه في كل ما تشاءموا به ومعنى الآية يتطيروا بموسى ومن معه أي يتشاءموا بهم وقالوا ما أصابنا بلاء
حتى رأيناكم وقرأ طلحة تطيروا بالتاء وتخفيف الطاء على الفعل الماضي قال سعيد بن جبير كان ملك فرعون
أربعمائة سنة فعاش ثلاثمائة سنة لا يرى مكروها ولو رأى في تلك المدة جوع يوم أو حمى يوم أو وجع ساعة لما ادعى
الربوبية قوله تعالى ألا إنما طائرهم عند الله معناه الذي أصابهم من الخصب والجدب والخير والشر كل
ذلك من عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون أي أصابهم من عند الله وقال ابن عباس معناه ألا إنما شؤمهم
عند الله وقال من قبل الله وقيل معناه ألا إنما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في
الآخرة لا ما نالهم في الدنيا فإن الحظ الذي هم فيه قليل في جنب عقوبة الآخرة وقرأ الحسن ألا إنما طيرهم
عند الله بغير ألف والمعنى واحد قوله تعالى وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها قال الخليل أصل مهما
ما أدخلت مع ما الأولى ها لتخفيف اللفظ وقال بعضهم معنى مه الكف ثم ركبت معه ما الشرط أي ما تأتنا
به يا موسى من علامة لتسحرنا بها أي لتموه علينا أنه الحق فما نحن لك بمصدقين بالرسالة وكان موسى
عليه السلام رجلا حديدا فدعا عليهم فأرسل عليهم الطوفان كما قال عز وجل فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم اختلفوا في الطوفان ما هو قال الضحاك الغرق وقال عطاء ومجاهد الموت
الغالب الذريع وقال وهب الطوفان هو الطاعون بلغة اليمن وقال أبو قلابة هو الجدري وهو أول
عذاب وقع في الناس إلى الآن وقال الأخفش هو السيل الشديد وقال مقاتل هو الماء طغى فوق حروثهم
وقال بعضهم هو كثرة المطر والريح والأظهر ما قاله ابن عباس أنه المطر الدائم أرسل الله عليهم ثمانية أيام
من السبت إلى السبت حتى خربت أبنيتهم [illegible] قال ابن عباس وسعيد بن

جبير وقتادة لما آمنت السحرة وغلب فرعون وأبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتمادي في الشر
أخذهم الله بالسنين ونقص من الثمرات فلما عاينهم موسى بالآيات الأربع العصا واليد والسنين ونقص الثمرات
دعا فقال يا رب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغى وعتا وإن قومه قد نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك
رب فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم من الأمم عبرة فبعث الله عليهم
الطوفان وهو الماء أرسله عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط
مشتبكة مختلطة بعضها ببعض فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم من جلس منهم
غرق ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة واحدة فأقام ذلك عليهم سبعة أيام فقالوا يا موسى
ادع لنا ربك يكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم ذلك وأرسل
الريح فجففت الأرض وخرج من النبات شيء لم يروا مثله قط فقالوا هذا الذي كنا نتمناه وما كان
هذا الماء إلا نعمة علينا وخصبا فلا والله نؤمن بك يا موسى ولا نرسل معك بني إسرائيل فنقضوا العهد
وعادوا لكفرهم ودام على كفرهم شهرا فبعث الله عليهم الجراد وغشي مصر منه أمر عظيم حال بينهم وبين
السماء وغطى الشمس ووقع على الأرض بعضه على بعض ذراعا فأكل جميع ما نبت في الأرض حتى أكل الأشجار
حتى أكل الأبواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والأمتعة حتى مسامير الحديد ولم يدخل بيوت
بني إسرائيل منه شيء فعجوا إلى موسى وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا هذا
لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل وأرادوا بالساحر العالم فأعطوه عهده فدعا موسى ربه فكشف عنهم الجراد
بعد أن أقام في أرضهم سبعة أيام فلم يبق في الأرض جرادة ثم نظروا فإذا بقي بعض المواضع من نواحي مصر
بقية من كلأ وزرع فقالوا هذا يكفينا بقية عامنا هذا والله لا نؤمن لك يا موسى ولا نرسل معك بني
إسرائيل فأرسل الله عليهم القمل وهو صغار الجراد قاله ابن عباس وقيل أرسل الله عليهم السوس من الحنطة
فمكث في أرضهم سبعة أيام فلم يبق لهم عود أخضر إلا أكله ولحس جميع ما بقي في أرضهم وقال سعيد
بن جبير القمل هو السوس الذي يخرج من الحبوب وقال إن موسى عليه السلام أتى إلى كثيب أعفر بقرية من قرى
مصر وكان كثيبا أهيل عظيما فضربه بعصاه فانبعث قملا فأكل جميع ما على الأرض حتى لحسها وكان
يدخل بين ثيابهم وجلودهم فينهشهم ويأكل أشعارهم وحواجبهم وأشفار عيونهم ومنعهم النوم والقرار
وظهر بهم الجدري وكان أحدهم لا يأكل لقمة إلا مملوءة قملا فصرخوا إلى موسى ادع لنا ربك في هذه المرة
ونعطيك عهودا ومواثيق لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم بعد أن أقام
سبعة أيام وقالوا ما عسى ربك أن يفعل بنا وقد أهلك كل شيء من نبات الأرض فعلى أي شيء نوكل
بكل ذهب فما استطعت أن تفعل فافعل فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الضفادع فخرجت عليهم
من البحر مثل الليل الدامس فملأت بيوتهم وطرقهم وأطعمتهم ولا يكشف أحد طعاما ولا شرابا إلا وجد فيه
الضفادع وكان الرجل إذا جلس تراكبت عليه الضفادع حتى تكون إلى فمه فإذا هم أن يتكلم وثبت
الضفدع في فمه فاندخت وكان أحدهم إذا اضطجع تراكبت عليه حتى تكون ركاما فوق الذراع
بعضه على بعض حتى لا يستطيع أن ينقلب إلى جنب آخر ولا يقدر على القيام وكان إذا فتح أحدهم فمه
ليأكل لقمة وثبت الضفدع في فمه فتسبق اللقمة وكانوا لا يوقدون نارا إلا امتلأت ضفادع ولا
يطبخون قدرا إلا امتلأت ضفادع وكان بعضهم لا يسمع كلام بعض من كثرة صياح الضفادع وكانوا إذا
قتلوا واحدا منها جاءه حول حتى لا يستطيعون الخلوص من فيها قال عكرمة عن ابن عباس كانت الضفادع
برية فلما أرسلها الله على قوم فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف أنفسها في القدور وهي تغلي وفي
التنانير وهي تفور فأثابها الله بحسن طاعتها الماء فلما فشا في الأرض على قوم فرعون عجوا وشكوا

إلى موسى وقالوا يا موسى هذه المرة نتوب ولا نعود وحلف لك لئن رفعت عنا هذه الضفادع لنؤمنن لك
فأخذ عهودهم ومواثيقهم ثم دعا ربه فكشفها عنهم بريح عظيمة نبذتها في البحر فقال لهم موسى ويحكم
إلى كم تنقضون ربكم أرسلوا معي بني إسرائيل فأبوا ونقضوا العهود والمواثيق وعادوا لكفرهم وتكذيبهم فدعا
عليهم فأرسل الله عليهم الدم فجرت أنهارهم وآبارهم دما أحمر عبيطا وبنو إسرائيل في الماء العذب الطيب
وكان الإسرائيلي يستقي ماء عذبا صافيا فإذا أخذ القبطي تحول دما وكانت القبطية تقول للإسرائيلية
مجي الماء في فمي فكانت تمجه من فمها فيصير في فم القبطية دما عبيطا وكان فرعون يجمع بين الرجلين على
الإناء الواحد القبطي والإسرائيلي فيكون مما يلي الإسرائيلي ماء ومما يلي القبطي دما وكانا يستقيان من جرة واحدة
فيخرج للإسرائيلي ماء عذبا زلالا صافيا ويخرج للقبطي دما أحمر عبيطا وكان النيل ماؤه طيبا فإذا أخذ
منه القبطي عاد في إنائه وفي فمه دما فمكثوا على ذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم حتى مات كثير منهم
ثم إن فرعون أجهده العطش واشتد به فأتوا بأوراق الأشجار الرطبة فمصها فيصير دما عبيطا أو ملحا
أجاجا فكانوا لا يأكلون إلا الدم ولا يشربون إلا الدم فقال فرعون أقسم بإلهك يا موسى لئن كشفت عنا
هذا الدم لنؤمنن لك فدعا موسى ربه فأذهب عنهم الدم وعذب ماؤهم فعادوا إلى كفرهم إلى الله كان
من أمر الغرق وما كان قوله تعالى **آيات مفصلات** أي دلالات واضحات بعضها منفصل من بعض كل آية
من السبت إلى السبت وبين كل آية شهر قوله تعالى **فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين** أي تكبروا
وتعظموا عن الإيمان بموسى وكانوا قوما مجرمين أي مصممين على كفرهم ومكث موسى في آل فرعون بعد ما غلب
السحرة عشرين سنة يريهم الآيات قوله عز وجل **ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد
عندك** معناه ولما وقع عليهم العذاب الذي تقدم ذكره من الطوفان وغيره وقال عكرمة الرجز الدم لأنه
نغص عيشهم وقال ابن جبير هو الطاعون وذلك أن موسى أمر قومه من بني إسرائيل من بعد ما جاء قوم فرعون
بالآيات الخمس الطوفان وغيره فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل فأرسل عليهم الطاعون فهلك
منهم سبعون ألفا فقال فرعون عند ذلك يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك أي بما تقدم منه إليك أنه يجيب
دعاءك إذا دعوته كما أجاب دعاءك في إنزال هذه الآيات **لئن كشفت عنا** هذا الطاعون وقرأ سعيد
بن جبير ومجاهد **الرجز** بضم الراء وهما لغتان كالعضو والعضو قوله تعالى **لنؤمنن لك** أي لنصدقنك
ولنرسلن معك بني إسرائيل أي لنطلقنهم من التسخير والأعمال الشاقة قوله تعالى **فلما كشفنا عنهم الرجز**
أي العذاب **إلى أجل هم بالغوه** وهو الوقت الذي علم الله من حالهم أن صلاح غيرهم ببقائهم إلى ذلك الوقت
يعني وقت الغرق وقوله تعالى **إذا هم ينكثون** يعني ينكثون العهد قوله تعالى **فانتقمنا منهم فأغرقناهم
في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا** وذكر أن الله تعالى أمر موسى أن يخرج ببني إسرائيل فاستعار نسوة بني إسرائيل
من نساء آل فرعون حليهم وقلن إن لنا خروجا إلى عيد فخرج موسى ببني إسرائيل في أول الليل وهم ستمائة ألف
من رجل وامرأة وصبي فبلغ الخبر فرعون فركب ومعه ألف ألف ومائتا ألف فأدركهم فرعون حين طلعت
الشمس وانتهى موسى إلى البحر فانفلق اثني عشر طريقا فلما صاروا جميعا في البحر أمر الله البحر فالتطم عليهم فغرقوا
فسأل بنو إسرائيل موسى أن يريهم فرعون قد غرق فلفظهم البحر ولفظ فرعون فنظروا إليه بعد ما غرق
فقيل لما غرقنا بعد ذلك بدا ورجع موسى ببني إسرائيل فسكنوا أرض مصر ومعنى قوله فأغرقناهم في اليم
أي في البحر بلسان العبرانية وقوله تعالى بأنهم كذبوا بآياتنا أي بتكذيبهم بالآيات التسع التي آتاهم بها موسى
اليد والعصا والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم قوله تعالى **وكانوا
عنها غافلين** أي عاقبناهم بتعرضهم لأسباب الغفلة قوله تعالى **وأورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها** معناه أورثنا القوم الذين كان يستضعفهم القبط وهم بنو

إسرائيل

إسرائيل مشارق الأرض التي كانوا فيها ومغاربها وقيل أراد بها الأرض المقدسة الأردن وفلسطين
بارك الله فيها بكثرة المياه والأشجار والثمار قال ابن عباس إن المياه كلها تخرج من تحت الصخرة التي ببيت
المقدس قوله تعالى **وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل** أي تمت عدة ربك يعني قوله ونريد أن
نمن على الذين استضعفوا في الأرض وقوله عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض قال ابن عباس أهلك
الله فرعون وقومه وأورثهم أرض مصر وأرض الشام وقوله تعالى **بما صبروا** أي بصبرهم على دينهم أن
يرجعوا إلى دين فرعون وقومه قوله تعالى **ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه** أي أهلكنا ما كان
يصنع فرعون وقومه من المكايد قوله تعالى **وما كانوا يعرشون** أي وما كانوا يبنون من البيوت والقصور
والكروم والشجر ويستخدمون بني إسرائيل في بنائها ورفعها وقرأ ابن عامر وأبو بكر يعرشون بضم الراء وهما لغتان
فصيحتان قوله تعالى **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر** أي أمرناهم بمجاوزته ويسرناه عليهم حتى خلفوا البحر
وراءهم على سلامة وذلك من أعظم نعم الله تعالى **فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم** أي يعبدون
ويواظبون على عبادة أصنامهم وهم أهل الرقم أناس كفرة بعد أن راهم مرت بهم بنو إسرائيل وهم يعكفون
حول أصنامهم فقالوا يا موسى **اجعل لنا إلها** نعبده **كما لهم آلهة** يعبدونها هذا بيان غاية جهلهم وعنادهم
وأن الله خلصهم من عدوهم ونجاهم من الغرق وقالوا هذا القول حين رأوا ذلك القوم يعبدون الأصنام
فقال لهم موسى **إنكم قوم تجهلون** صفات الله وما يجوز عليه وما لا يجوز أي لا تعرفون أن
الذي يجوز أن يكون إلها هو خالق الأجسام ثم بين أن هؤلاء سيهلكون ويهلك ما يعبدونه فقال لهم كما ذكر الله
تعالى **إن هؤلاء متبر ما هم فيه** أي مهلك ما هم فيه وضلال **ما كانوا يعملون** والتبار هو الهلاك
قوله تعالى **قال أغير الله أبغيكم إلها** أي قال أسوى الله أطلب لكم ربا تعبدونه **وهو فضلكم على عالمي**
زمانكم من النبط وغيرهم بعد ما كنتم مستعبدين أذلاء قوله تعالى **وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم
سوء العذاب** أي يولونكم سوء العذاب **يقتلون أبناءكم** أي يذبحونهم **ويستحيون نساءكم** أي
يستبقونهن للاستخدام **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** أي نعمة والبلاء ينصرف على النعمة والنقمة
بعضها وهما لغتان وقرأ أهل الشام وإذ أنجاكم من آل فرعون وقرأ الباقون أنجيناكم وقوله تعالى
يقتلون أبناءكم قرأ نافع بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد على التكثير وقوله تعالى **وواعدنا موسى
ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر** قال مجاهد كان الله وعد موسى أن يعطيه التوراة لثلاثين ليلة يعني
ذا القعدة وعشرا من ذي الحجة كأنه قال شهرا وعشرة أيام وقال بعضهم أمر الله موسى إلى موضع سماه
له أن يصوم في ذلك الموضع ثلاثين يوما يصوم النهار ويقوم الليل لينزل عليه التوراة فلما صام ثلاثين أنكر
خلوف فيه فاستاك بعود خرنوب فقالت الملائكة كنا نستنشق منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك
فأمره الله أن يصوم عشرا بعد ذلك ليعود ذلك الخلوف فذلك قوله وأتممناها بعشر وقوله تعالى **فتم
ميقات ربه أربعين ليلة** أي تم الوقت الذي أمره الله بالعبادة فيه أربعين ليلة قوله تعالى **وقال
موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي** أي قال موسى لهرون قبل انطلاقه إلى الجبل الذي أمر بالعبادة
فيه قم مقامي في قومي **وأصلح** بينهم **ولا تتبع سبيل المفسدين** منهم ولا ترض بعملهم وذلك أن موسى
كان يشاهد كثرة خلافهم فخاف أن يغيروا حاله فأوصى أخاه هرون في أمرهم وأمر هرون بالرفق بهم فعناه قوله
قوله تعالى **ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه** أي لما انتهى موسى إلى المكان الذي وقتناه
وأمرناه بالمسير إليه وهو مدين وقوله تعالى وكلمه ربه أي كلمه من غير ترجمان ولا سفير كما كلم الأنبياء
على ألسنة الملائكة فلما فاجأته استحلى كلامه واشتاق إلى رؤية ربه وطمع فيها فقال **رب أرني أنظر
إليك** أي أعطني أنظر إليك **قال لن تراني** ولن تستطيع النظر إلي في الدنيا من نظر إلي مات فقال

الذي سمعت كلامك واشتقت إلى رؤيتك ولأن أنظر إليك ثم أموت أحب إلي من أن أعيش ولا أراك فقال
الله تعالى انظر إلى أعظم جبل بمدين وهو جبل زبير فإن استقر الجبل مكانه فسوف تراني قوله تعالى
فلما تجلى ربه للجبل أي ظهر له من نوره مقدار الخنصر من الأنوار جعله دكا أي
كسره أجزاء صغارا انقطع الجبل من هيبة الله عز وجل فصار ثمانية فرق أربع قطع منه وقعن بمكة ثور وثبير
وحراء وغار ثور وأربع قطع وقعن بالمدينة أحد وورقان ورضوى والمهراس قوله تعالى وخر موسى
صعقا أي سقط مغشيا عليه فلما أفاق من غشيته قال سبحانك أي تنزيها لك من قولي ومن كل سوء
تبت إليك من مسألتي الرؤية وأنا أول المؤمنين من أهل هذا الزمان أنك لا ترى في الدنيا وقد
روي أن الله تعالى قال لموسى أعرض دينك على الجبل فإن لم يحملها مع عظمه وبقائه على مر الزمان فأنت أيضا
لن تحملها قال ومعنى قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل أي أوحى ربه قال وما رأى شيء ربه قط ولكن وحي
الله إلى الجبل هل تطيق رؤيتي فساخ الجبل في الأرض وموسى ينظر وقيل إن الله تعالى أبرز من العرش
مقدار الخنصر فدك الجبل لأن أجسام الدنيا لا تحتمل آيات القيمة والأجسام العلوية إذ هي خلقة الدنيا
أن تعني آيات القيمة ولا تحملها الدنيا وقرأ بعضهم دكاء بالهمز والمد أي ظاهرا على الجبل وبقي أسفله
أيضا دكا والدكا واحدة الدكوات وهي ربى والى الأرض التي تكون ناشزة لا تمتنع أن تكون جبلا وناقة
دكاء إذا لم يكن لها سنام ويحتمل أن تكون بمعنى الدكة في الجبل في الأرض يقال دككت الشيء إذا
دققته وقرأ عاصم دكا هاهنا بالقصر والتنوين والتي بالكهف بالمد من غير تنوين وقد مدهما حمزة والكسائي
والباقون بقصر من غير تنوين. وقيل لما سأل موسى ربه الرؤية أرسل الله الغمام والصواعق والظلمة
والرعد والبرق وأحاطت بالجبل الذي عليه موسى وأمر الله الملائكة أن يمروا على موسى فقال لهم اهبطوا
إلى عبدي موسى الذي أراد أن يراني فهبطوا عليه في يد كل ملك منهم مثل النخلة الطويلة نار أشد
الضوء أشد ضوءا من الشمس ولباسهم كلهب النيران كلهم يتقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب
الملائكة والروح رب العزة أبدا لا يموت في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى
وجعل يسبح معهم وهو يبكي ويقول يا رب اذكرني ولا تنس عبدك فقال له رئيس الملائكة اصبر
لما سألت ثم رفعت الملائكة أصواتهم فارتج الجبل واندك وخر العبد موسى صعقا على وجهه فلما
أفاق قال سبحانك تبت إليك وصدقت أنه لا يراك أحد في الدنيا وإذا كان من نظر إلى ملائكتك انخلع
قلبه فما أعظمك يا رب. وعن سهل أن الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل
الجبل دكا قوله تعالى وخر موسى صعقا قال ابن عباس مغشيا عليه وقال قتادة ميتا وقول
ابن عباس أظهر لأن الله تعالى قال فلما أفاق ولا يقال للميت أفاق من موته ولكن يقال بعث من موته
قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي أي قال الله يا موسى إني اخترتك بصفوة
رسالتي التي أرسلتها إليك وبكلامي معك من غير وحي فخذ ما آتيتك أي اعمل بما أعطيتك من التوراة
وكن من الشاكرين لما أعطيتك وأرسلتك قوله عز وجل وكتبنا له في الألواح من كل شيء
أي في تسعة ألواح من الزبرجد الأخضر وقيل من الياقوت الأحمر أعطاها الله موسى وفيها التوراة
كتبت الخاتم طول كل لوح عشرة أذرع وقوله تعالى من كل شيء يعني من أمور الدين قوله تعالى موعظة
يعني ما يدعوهم إلى الطاعة ويزجرهم عن المعصية بالوعد والوعيد وأخبار الأمم الماضين قوله تعالى
وتفصيلا لكل شيء معناه لكل أمر من أمور الدين من الحلال والحرام والأمر والنهي قوله تعالى فخذها
بقوة أي اعمل بها بجد في طاعة الله من مواظبة عليها قوله تعالى وأمر قومك يأخذوا بأحسنها

أي أمر قومك يعملوا بأحسن ما بين لهم فيها أن يأمروا بالخير وينهوا عن الشر وعرفوا ما لهم في ذلك فيأمرهم بالأخذ
بالأحسن وقال بعضهم يأخذوا بالفرائض والنوافل والمباح الذي لا حمد فيه ولا ثواب وقيل معناه
يأخذوا بالناسخ دون المنسوخ قوله تعالى سأريكم دار الفاسقين أي سوف أريكم جهنم وهي
دار الخارجين عن طاعة الله وقال أي أراد به ما مروا عليه في سفرهم من منازل عاد وثمود والقرون
الذين أهلكوا بالتكذيب وقال قتادة معناه سأدخلكم الشام وأريكم منازل الكافرين وقيل معناه
سأريكم دار فرعون وقومه وهي مصر قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض
بغير الحق أي سأجعل جزاء المتكبرين الذين لا يؤمنون بالمعجزة الإضلال عن الهدى وعن معرفة ما أودع
الله في الكتاب فيعرفونه ولا يفهمون ما أراد الله به وقيل معناه سأصرفهم عن الاعتراض على آياتي بالإبطال وقيل
معناه سأصرف عنهم نيل ما في آياتي من العز والكرامة ويعني بالذين يتكبرون في الأرض بغير الحق هم الذين يرون
أنهم أفضل الخلق وأن لهم ما ليس لغيرهم قوله تعالى وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها معناه وإن يروا
كل علامة تدل على وحدانية الله ونبوة الأنبياء لا يصدقوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
لأنفسهم يعني هؤلاء المتكبرين وقرأ مجاهد والأعمش وحمزة والكسائي الرشد بفتح الراء والشين وهما لغتان كا
السقم والسقم والحزن والحزن وقيل الرشد بالفتح الاستقامة في الدين والرشد بضم الراء الإصلاح وقرأ أبو عبد الرحمن
وإن يروا سبيل الرشاد بالألف وقرأ مالك بن دينار فإن يروا بضم الياء قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا
يحتمل أن يكون ذلك في موضع الرفع على معنى أمرهم ذلك ويحتمل أن يكون نصبا على معنى فعل الله ذلك بهم بتكذيبهم
بآياتنا قال مقاتل أراد بقوله بآياتنا التسع كأنه ذهب إلى أنه هذا كله خطاب لموسى وقال الكلبي معناه ذلك
بأنهم كذبوا بآياتنا أي بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وذهب إلى أن قوله سأصرف خطاب لنبينا صلى الله عليه
وسلم قوله تعالى وكانوا عنها غافلين أي غفلة لاهين ساهين لا يتفكرون فيها ولا يتعظون بها قوله
تعالى والذين كذبوا بآياتنا أي بالبعث بعد الموت بطلت أعمالهم التي عملوها على جهة البر هل يجزون
في الآخرة إلا ما كانوا يعملون في الدنيا قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا
له خوار قال ابن عباس وذكر أن موسى كان وعد قومه بالانطلاق إلى الجبل ثلاثين يوما فلما تأخر رجوعه
قال لهم السامري وكان رجلا مطاعا إنكم أخذتم الحلي من آل فرعون فعاقبكم الله بتلك الجناية وحبس موسى
عنكم فاجمعوا الحلي حتى نحرقها لعل الله يرد علينا موسى فجمعوا الحلي وكان السامري صائغا فجعل الحلي في النار
واتخذ منه عجلا ونفخ فيه التراب الذي كان أخذه من أثر فرس جبريل وكان ذلك الفرس فرس الحياة ما وضع
حافره في موضع إلا أخضر فلما نفخ فيه شيئا من ذلك التراب صار عجلا جسدا له خوار فعبدوه
وقيل إن السامري حين صاغ العجل جعل فيه خروقا تجري فيه الريح فكان يسمع من تلك الخروق شبه الخوار
فأوهم بني إسرائيل أنه حي يخور قال الزجاج معنى قوله جسدا له خوار أي جثة لا يعقل ليس له روح ولا عقل
ولا كلام إنما له خوار فقط وأما إضافة الحلي إلى العجل في الآية فهو كما يقال صوت الحجر وصوت الطست وإنما
الحلي جمع الحلية وهو ما يتزين به من الذهب والفضة وقرأ علي رضي الله عنه له جؤار بالجيم والهمزة وهو الصوت
العالي وقوله تعالى حليهم قرأ يعقوب بفتح الحاء وجزم اللام وقرأ حمزة والكسائي حليهم بكسر الحاء واللام وتشديد
الياء اتباعا للحاء بكسر اللام وقرأ الباقون بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء وهما لغتان قوله تعالى ألم يروا
أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا معناه ألم ينظروا إلى العجل أنه لا يكلمهم بما يجري عليهم نفعا ولا يدفع عنهم ضرا
ولا يرشدهم طريقا إلى خير ليأتوه ولا إلى شر لينتهوا عنه ولو كان إلها لهداهم لأن الإله لا يهمل عباده قوله
تعالى اتخذوه وكانوا ظالمين يجوز أن يكون معناه لا يرشدهم الطريق الذي يتخذونه ويجوز أن يكون

ابدا على معنى عدوة العجل وكانوا لعبادتهم إياه ظالمين قوله تعالى ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد
ضلوا أي لما ندموا على عبادتهم العجل ورأوا أنهم قد ضلوا عن الحق قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا
لنكونن من الخاسرين بالعقوبة قال الزجاج يقال للنادم على فعل المتحسر على ما فرط منه قد سقط في
يده وأسقط والمعنى كما سقط الندم في أيديهم قوله تعالى قالوا لئن لم يرحمنا ربنا وقرئ لئن لم ترحمنا بالتاء وربنا بالنصب
على الخطاب بالدعاء كأنهم قالوا لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا قوله تعالى ولما رجع موسى إلى قومه غضبان
أسفا أي رجع موسى من الجبل إلى قومه شديد الغضب حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي بعبادة العجل أعجلتم
أمر ربكم معناه أسبقتم وعد ربكم الذي وعدني من الأربعين ليلة وألقى الألواح من يده التي كانت
فيها التوراة وألقاها من يده وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن عباس أخذ رأسه بيده اليمنى ولحيته باليسرى
فقال هرون يا ابن أم إن القوم استضعفوني أي قهروني واستذلوني وهموا بقتلي وكان هرون
أخاه لأبيه وأمه ولكنه قال يا ابن أم لترققه عليه وهذا طريقة العرب قوله تعالى ولا تشمت بي الأعداء أي
لا تفرحهم علي ولا تظنن أني رضيت بفعل الظالمين ولا تجعلني مع عبدة العجل في الغضب علي وكان هرون أكبر من موسى
بثلاث سنين وأحب إلى بني إسرائيل من موسى قرأ ابن عامر والكوفيون إلا حفصا يا ابن أم بكسر الميم هنا وفي طه
بالإضافة لأن مبنى النداء على الحذف وتبقى الكسرة على الميم دليلا على ياء الإضافة كقوله يا عبادي يا قوم
من الستمع يا ابن أمي يا ابن أم لكاء وقرأ الباقون بفتح الميم على معنى يا ابن أماه قوله تعالى استضعفوني يعني
بعبادة العجل قوله تعالى فلا تشمت بي الأعداء قرأه مجاهد ومالك بن دينار فلا تشمت بفتح التاء والميم ورفع
الأعداء والشماتة هي سرور العدو فإن قيل لم جاز لموسى أن يجر برأس هرون ولحيته والأنبياء لا يجوز
أحد أن يستخف بهم وكان هرون نبيا قيل إن هذا كان منه على جهة العتاب لا على جهة الهوان وقد
أجراه مجرى نفسه حين جنى لأنهما كانا في النبوة والأخوة كالنفس الواحدة وقد يقبض الإنسان عند الغضب على
لحية نفسه ويعض إبهامه وشفته كما روي أن عمر رضي الله عنه كان إذا أحزنه أمر فتل شاربه إلا
أن هرون خاف أن يتوهم جهال بني إسرائيل أن موسى غضبان عليه كغضبه على من عبد العجل فقال يا ابن أم
إن القوم استضعفوني الآية وقيل إن موسى فعل هذا بهرون في حالة الغضب الذي لا يملك الإنسان فيها
نفسه وكان ذلك صغيرة منه كما ألقى الألواح لشدة الغضب وكان الواجب عليه أن يعظمها قوله تعالى قال
رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك أي في جنتك وأنت أرحم الراحمين أي أرحم بنا منا وأرحم الراحمين
وأرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا قوله تعالى إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم و معناه إن الذين
اتخذوا العجل إلها سيصيبهم عذاب من ربهم في الآخرة والغضب من الله إرادة الانتقام على ما سلف و قوله تعالى
وذلة في الحياة الدنيا أراد به ما أمروا به من استسلامهم للقتل بتعود دهم وكذلك نجزي المفترين
أي كما جزيناهم كذلك نجزي الكاذبين على الله تعالى قوله تعالى والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها
وآمنوا قيل أراد بالسيئات الشرك وسائر المعاصي إذا تاب صاحبها عنها إن ربك من بعدها لغفور رحيم
ظاهر المعنى قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح أي سكن عن موسى الغضب بالتوبة
عصيه وقيل معناه سكت موسى عن الغضب وهذا من المقلوب كما يقال أدخلت القلنسوة في رأسي وإنما يريد
رأسي في القلنسوة قوله تعالى وأخذ الألواح بعدما كان ألقاها وبعدما تكسرت وذهب منها ستة أسباعها
قوله تعالى وفي نسختها قال عطاء وفي ما بقي منها ولم يذهب وقيل معناه وفي ما نسخه موسى فيما تكسر قوله
تعالى هدى ورحمة أي بيان من الضلالة ونجاة للذين هم يخشون الله ويعملون بها قوله تعالى واختار
موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا معناه واختار موسى من قومه سبعين رجلا لميقاتنا للوقت الذي

ونبأهم بحضورهم مع يوشع عند الخروج إلى الميقات فشهدوا عند قومهم على سماع كلام الله فإنهم كانوا لا يصدقون
موسى في أن الله كلمه وكانوا اثني عشر سبطا فاختار موسى من كل سبط ستة وحلف منهم رجلين وقال إنما أمرت
بسبعين فليرجع اثنان منكم ولهما أجر من حضر فرجع يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وذهب موسى مع السبعين
إلى الجبل قوله تعالى فلما أخذتهم الرجفة أي الزلزلة الشديدة عند الجبل قال موسى رب لو
شئت أهلكتهم من قبل وإياي أي بحملهم إلى الميقات وأهلكتني معهم بقتل القبطي وظن موسى أن الرجفة
إنما أخذتهم بسبب عبادتهم بني إسرائيل العجل فقال أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ولم يرد الاستفهام وإنما
أراد به النفي أي إنك لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا ثم قال إن هي إلا فتنتك يعني ما عبادة العجل إلا ابتليتك
إذا ما سمعوا الخوار في العجل تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء قوله تعالى أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا
أي أنت ناصرنا وحافظنا ومتولي أمرنا فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا ولا تعذبنا وأنت خير الغافرين قيل
إن موسى عليه السلام لما هلك السبعون جعل يبكي ويقول يا رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقد أهلكت
خيارهم فبعثهم الله تعالى كما قال ثم بعثناكم من بعد موتكم وقد تقدم تفسير ذلك كله في سورة البقرة قوله
عز وجل واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك أي اجعل لنا في هذه الدنيا حسنة
نعني العلم والعبادة وقوله تعالى وفي الآخرة أي واكتب لنا في الآخرة حسنة وهي الجنة قوله تعالى إنا هدنا إليك
أي تبنا إليك هاد يهود إذا رجع ولم يوجد اسم اليهود من هذا وإنما أخذ من يهودا قوله تعالى قال عذابي
أصيب به من أشاء ممن هو أهل لذلك ورحمتي وسعت كل شيء يعني وسعت البر والفاجر قال ابن عباس
لما نزلت هذه الآية تطاول لها إبليس وقال أنا شيء من الأشياء فأخرجه الله من ذلك بقوله فسأكتبها للذين
يتقون أي سأوجبها في الآخرة للذين يتقون الشرك والمعاصي ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا
يؤمنون فقالت اليهود والنصارى نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فأخرجهم الله منها بقوله الذين
يتبعون الرسول النبي الأمي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم سماه أميا لأنه لم يحسن الكتابة قال الله تعالى
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وقال صلى الله عليه وسلم إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب
قوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يعني نعته وصفته وخاتمه الذي بين
كتفيه ونعت أمته وشريعته قوله تعالى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر أي بالتوحيد وشرائع الإسلام
وينهاهم عن المنكر أي عن كل ما لا يعرف في شريعة ولا سنة و قوله تعالى ويحل لهم الطيبات أي ما استطابوه
من جهة طب ويحرم عليهم ما استخبثوه من وجه خبث ويضع عنهم إصرهم يعني ثقلهم قال قتادة يعني التشديد
الذي كان عليهم في الدين وما أمروا به من قتل أنفسهم في التوراة وقطع الأعضاء الخاطئة وقال عطاء يأمرهم بالمعروف
بخلع الأنداد ومكارم الأخلاق وصلة الأرحام وينهاهم عن المنكر أي عن عبادة الأصنام وقطع الأرحام
ويحل لهم الطيبات يعني الحلال التي كانت الجاهلية تحرمها من البحائر والسوائب والوصائل ويحرم عليهم الخبائث
يعني الميتة والدم ولحم الخنزير والزنا وغيره من المحرمات قوله تعالى والأغلال التي كانت عليهم كناية
عن الأمور الشديدة التي كانت عليهم كان إذا أصاب ثوب أحدهم شيء من النجاسة وجب قطعه وكان عليهم أن لا
يعملوا في السبت قوله تعالى فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور أي فالذين صدقوا بهذا
النبي وعظموه وأعانوه بالسيف على الأعداء واتبعوا النور الذي أنزل معه يعني القرآن الذي ضياؤه في
القلوب كضياء النور في العيون أولئك هم المفلحون أي الظافرون بالمراد والبقاء قوله عز وجل
قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا قال ابن عباس كان كل رسول يبعث إلى قومه وبعث الله محمدا صلى
الله عليه وسلم إلى قومه وغيرهم معنى الآية قل يا محمد إني رسول الله إليكم كافة أدعوكم إلى طاعة الله وتوحيده
واتباع شريعته وديني إليكم قوله تعالى الذي له ملك السموات والأرض ثم نعت الله الذي أرسله إليهم و قوله تعالى

لا إله إلا هو أي لا شريك له في الإلهية ولا خالق ولا رازق غيره يحيي ويميت أي يحيي الخلق من النطفة
ويميتهم عند انقضاء آجالهم لا يقدر على ذلك أحد سواه وقيل معناه يحيي الأموات للبعث ويميت الأحياء في الدنيا
قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي أي صدقوا بالله ورسوله النبي الذي لا يكتب ليؤمن من جهته
أن يقرأ الكتب وينقل إليهم أخبار الماضين ولكن يتبع ما يوحى إليه قوله تعالى الذي يؤمن بالله وكلماته
أي بالله وكتبه ومن قرأ وكلمته فهو عيسى قوله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون ظاهر المعنى قوله تعالى
ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق أي جماعة يدعون إلى الحق وبه يعدلون وبه يعملون وبه يحكمون
وهم مؤمنو أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وروي عن ابن عباس أنهم قوم من بني إسرائيل قبل المشرق
وخلف الصين عند المطالع أخذوا من بيت المقدس فرجعوا إلى ما هناك متمسكين بالتوراة مشتاقين إلى الإسلام يعملون
بفرائض الله يبيتون سنونه والأمانة بينهم فاشية قبورهم عند أبوابهم لا تباغض بينهم ولا تحاسد ولا خلاف ولا خيانة
ولا كذب ولا غش يعملون بالحق فيما بينهم بلا أمير ولا قاضي مر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به فعرض
عليهم الإسلام فقبلوه وذكر مقاتل أن بين الصين وبينهم واديا جاريا من رمل فيمنع الناس من إتيانهم ولحاقهم
إلا أنا لم نسمع أخبارهم إلا من النبي صلى الله عليه وسلم أخبره به ربه عز وجل وأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم
ابن عباس وقال السدي هم قوم بينكم وبينهم نهر من شهد وقال ابن جريج أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم
وكفروا [illegible] القوم منهم وسألوا أن يفرق الله بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا في الأرض فساروا فيه
سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك مسلمون يصلون إلى قبلتنا وقال الكلبي والربيع هم قوم خلف
الصين على نهر يجري على الرمل يسمى نهر أردواف يمطرون بالليل ويصحون بالنهار ويزرعون لا يصل
إليهم أحد ولا منهم إلينا وهم على الحق ذهب جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به فكلمهم فقال لهم جبريل
هل تعرفون هذا الذي يكلمكم قالوا لا قال هذا محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله النبي الأمي فآمنوا به وقالوا
يا رسول الله إن موسى أوصانا فقال من أدرك منكم محمدا صلى الله عليه وسلم فليقرأه مني السلام فرد محمد صلى الله
عليه وسلم على موسى السلام ثم أقرأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سور من القرآن أنزلت بمكة ولم تكن
نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة فأمرهم بالصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وأمرهم أن يجمعوا ويتركوا
السبت قوله تعالى وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما أي فرقنا بني إسرائيل اثنتي عشرة فرقة والسبط في
ولد إسحاق كالقبيلة في ولد إسماعيل وإنما ذكر اثنتي عشرة على لفظ التأنيث وإن كان السبط مذكرا لأن الأسباط
هي الفرق والجماعات فإن قيل كيف قال أسباطا بالجمع ولا يجمع ما بعد العشرة على لفظ الجمع وإنما يقال اثنا عشر
درهما ولا يقال اثنا عشر دراهما قيل ذكر الزجاج أن قوله أسباطا بدل لا تمييز كأنه قال وقطعناهم أسباطا
اثنتي عشرة وروي عن أبان بن يزيد عن عاصم وقطعناهم بالتخفيف قوله تعالى وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه
قومه أي أوحينا إليه في التيه حين طلب قومه منه الماء أن اضرب بعصاك الحجر قال ابن عباس كان
حجرا يحملونه معهم على حمار ولهذا عرف بالألف واللام وقوله تعالى فانبجست الانبجاس خروج الماء بقلة
والانفجار خروجه واتساعه وإنما قال فانبجست لأن الماء كان يخرج من الحجر في الابتداء قليلا ثم يتسع فجمع
فيه صفة الانبجاس والانفجار وانبجس منه اثنتا عشرة عينا لأنهم كانوا اثني عشر سبطا وكان لا يخالط كل
سبط السبط الآخر قد علم كل سبط موضع شربه قوله تعالى وظللنا عليهم الغمام أي ظللنا عليهم
بالنهار في التيه ليقيهم حر الشمس وأنزلنا عليهم المن والسلوى فالمن الترنجبين والسلوى طير يشبه السمانى
قوله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم أي من حلال ما رزقناكم من المن والسلوى وما ظلمونا أي وما
ضرونا بمخالفتهم أمرنا وإعراضهم عن شكر النعمة ولكن ضروا أنفسهم قوله تعالى وإذ قيل لهم اسكنوا هذه

القرية أي قيل لهم وقت خروجهم من التيه اسكنوا قرية أريحا بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم رغدا
من نعيمها وقولوا مسألتنا حطة أي احطط عنا ذنوبنا وادخلوا باب أريحا خاشعين لله خاضعين نغفر
لكم ما سلف من ذنوبكم باستغفاركم وخضوعكم وقرأ أهل المدينة تغفر بالتاء مضمومة وقرأ ابن عامر بالتاء
مضمومة خطيئتكم واحدة قوله تعالى سنزيد المحسنين أي الذين لا ذنب لهم في الدنيا نزيدهم فضلا في
الآخرة ثوابا قوله تعالى فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم أي غير الذين ظلموا أنفسهم القول
الذي أمروا به فقالوا حطة سمقاثا أي حنطة حمراء وتنادوا بالحنطة فأرسلنا عليهم رجزا من السماء أي
عذابا نزلت بهم نار فأحرقتهم بتبديلهم ما أمروا به قوله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر
معناه سل يا محمد يهود المدينة عن القرية التي كانت بقرب البحر وهي مدينة أيلة على ساحل البحر بين المدينة والشام
وهذا سؤال توبيخ وتقرير وتعريف لهم لا سؤال تعرف من قبلهم وفي السؤال لهم بيان أن يهود المدينة جروا على
عادة أسلافهم في التمرد والمعصية فكان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسألهم ما فعل الله بأهل تلك
القرية التي قد جعلهم الله قردة لما خالفوا أمر الله فما يؤمنكم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم من عذاب الله
قوله تعالى إذ يعدون في السبت أي حين يتجاوزون الحد باصطيادهم السمك في يوم السبت وقد أمروا أن لا
يصطادوا فيه وأن يتفرغوا للعبادة والطاعة قوله تعالى إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا قال
ابن عباس أي ظاهرة على وجه الماء وقال الضحاك متتابعة مثل الكباش البيض سبتا ويوما لا تصاد قوله تعالى
ويوم لا يسبتون لا تأتيهم أي يوم لا يكون السبت كانت الحيتان تغوص في الماء ولا تأتيهم شرعا وقرأ أبو نهيك
إذ يعدون في السبت بضم الياء وكسر العين وتشديد الدال يريد يعدون الآلة لأخذها وقرأ ابن السميفع في
الأسبات على جمع السبت وقرأ بعضهم إذ تأتيهم حيتانهم يوم إسباتهم شرعا فجعلت طائفة من أهل هذه المدينة
يلقون الشبكة في الماء في يوم السبت ويقولون حتى تقع فيها السمك ثم كانوا يخرجون الشبكة من الماء يوم
الأحد ويقولون إنا ما اصطدنا في يوم لا أحد قوله تعالى كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون أي كذلك نشدد
عليهم في التكليف بعصيانهم وفسقهم ووقف بعض القراء على قوله كذلك على معنى لا تأتيهم في غير يوم السبت كإتيانهم
في يوم السبت ثم ابتدأ فقال نبلوهم بما كانوا يفسقون فإن قيل كيف حرم الله الحيتان الفضل من يوم السبت وغيره
من الأيام قيل لا يمتنع أن الله حرم فيها ذلك ليزيد دواعيها إلى التشرع في يوم السبت محنة لهم ولكن ذلك لو
ابتلائهم لتلك القوم قوله تعالى وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا
شديدا في الآية بيان أنه كان في هذه القرية من يعظون المذنبين والمعنى إذ قالت عصبة من أهل تلك القرية
للواعظين لم تعظون قوما الله مهلكهم في الدنيا أو معذبهم عذابا شديدا في الآخرة ولم يقولوا هذا كراهة
الوعظ ولا رضى بالمعصية منهم ولكن قالوا ذلك لإياسهم عن قبول الوعظ قوله تعالى قالوا معذرة إلى ربكم
أي قالت الفرقة الواعظة موعظتنا إياهم معذرة إلى الله أن يبتلى بذلك عذرا عند الله ومن قرأ معذرة بالنصب
فعلى معنى نعتذر معذرة قوله تعالى ولعلهم يتقون أي ورجاء أن يتقوه فكان الواعظين رجوا
من قومهم الوعظ وقيل معناه ولعلهم يتقون صيد الحيتان قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أي فلما
تركوا ما وعظوا به أنجينا الذين ينهون عن السوء أي خلصنا الذين ينهون عن صيد السمك في يوم
السبت وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس أي شديد يقال بئس يبأس بأسا إذا اشتد ومن قرأ بئيس بئيسا إذا
افتقر قوله تعالى بما كانوا يفسقون أي بفسقهم ولم يذكر في الآية حال الفرقة الثالثة وقد روي عن ابن عباس
أنه قال كان القوم ثلاث فرق كانت الفرقة الوسطى تنهى بالقول والفرقة اليمنى تنهى وتحذرهم بأس الله
وكانت العصبة تكف أنفسها وتمسك أيديها فلما عملت الوسطى بذلك زمانا وكثرت أموالهم ولم تنزل بهم عقوبة
استبشروا وقالوا أما ترى السبت إلا قد حل لنا وذهبت حرمته وكانوا نحوا من سبعين ألفا وكانت

القرية الناهية وهم نحو اثني عشر الفا يقولون لهم لا تعتدوا ولا تأمنوا من عذاب الله فلم يتعظوا فاصبحوا وقد
مسخهم الله قردة خاسئين فلبثوا كذلك ثلثة ايام عبرة للناظرين ثم ماتوا قال ابن عباس وانجينا الذين
ينهون عن السوء وليت شعري ما صنع الله بالذين لم ينهوا وقال عكرمة بل اهلكهم الله انصار ما نجا الا
الذين ينهون عن السوء وهلك الباقون بظلمهم بالاستحلال وترك الامر بالمعروف وقال ابن عباس نزل الله
بالمداهن ما نزل بالمستحل • وقال الحسن بل نجا فرقتان وهلكت فرقة وانكر القول الذي ذكره عن ابن عباس
وقال ما هلكا الا فرقة لانه ليس شيء ابلغ في الامر بالمعروف والوعظ من ذكر الوعيد وقد ذكرت الفرقة
الثالثة الوعيد فقالت لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا وقول الحسن اقرب الى
ظاهر الاية قوله تعالى **فلما عتوا عما نهوا عنه** اي ابوا ان يرجعوا عن المعصية والعاتي هو شديد
الدخول في الفساد المتمرد الذي لا يقبل الموعظة و قوله تعالى **قلنا لهم كونوا قردة خاسئين**
اي مطرودين مبعدين عن كل خير من قولهم خسأت الكلب اذا ابعدته اخسا على وجه الطرد له قال ابن عباس
بالهامين كلهم ما اوجمها بمسخوا قردة في الدنيا وفي الاخرة النار • وعن الضحاك قال القى الله في بلد الناس
حتى ما عادوا رهنا المساكن وخرجوا من القرية نصبوا الخيام خارجا منها فاقبل العذاب فهم ينظرون فبدا المسخ
من الراس حتى صارت لهم اذناب كاذناب القردة وكان الناهون لا يرون احدا يخرج من القرية فقالوا لعل
القوم قد خسفوا ودعوا بالمجاذة من السماء فحملوا رجلا منهم على سلم فاشرف عليهم فاذا هم قردة لهم اذناب
فصاح فقال ان القوم قد صاروا قردة فكسروا الباب ودخلوا عليهم منازلهم فاذا هم يبكون ويضربون
باذنابهم فعرف الرجل من المراة فقالوا لهم الم ننهكم عن معصية الله فاشاروا برؤسهم بلى ودموعهم تسيل على
خدودهم • قال انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل هل في امتك خسف قال نعم قيل
ومتى ذلك يا رسول الله قال اذا لبسوا الحرير واستحلوا الزنا وشربوا الخمور وطففوا المكيال والميزان
واتخذوا القينات والمعازف وضربوا بالدفوف واستحلوا الصيد في الحرم • قال عكرمة جئت ابن عباس وهو
يبكي والمصحف في حجره فقلت ما يبكيك قال هؤلاء الورقات واذا هي سورة الاعراف فقال اتعرف ايلة قلت نعم قال
فانه حي من اليهود امروا باليوم الذي لم تزل فيه يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا فيه وحرم عليهم
فيه الصيد وامروا بتعظيمه ان اطاعوا اجروا وان عصوا عذبوا وكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا
سمانا كانها الكباش تنتطح ويوم لا يسبتون لا تاتيهم فوسوس لهم الشيطان وقال انما نهيتم عن اخذها يوم
السبت فاتخذوا الحياض وكانوا يسوقون اليها الحيتان يوم الجمعة فتبقى فيها ولا يمكنها الخروج منها لقلة الماء
فياخذونها يوم الاحد فلما راوا العذاب لا ياتيهم اخذوا واكلوا وباعوا وكثر مالهم فلعنهم داود عليه
السلام فاصبحوا قردة خاسئين • وقال قتادة صار الشبان قردة والشيوخ خنازير قوله تعالى بعذاب بئيس
اي شديد وجيع قرا اهل المدينة بئيس بكسر الباء وجزم الياء من غير همز • وقرا ابن عامر كذلك الا انه يهمز • وقرا عاصم
في رواية ابي بكر بالفتح وجزم الياء وفتح الهمزة على وزن فيعل مثل صيقل • وقرا اهل البصرة بئيس بفتح الباء وكسر
الهمزة على وزن فعيل • وقرا الحسن بئس بكسر الباء وفتح السين على معنى بئس العذاب • وقرا مجاهد بائس على وزن
فاعل وقرا ابو اياس بفتح الباء والياء من غير همز • وقرا الباقون بئيس على وزن فعيل قوله تعالى **واذ
تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب** معناه واذ علم ربك وقد يأتي تفعل
بمعنى افعل يقال اوعدني وتوعدني ومعناهما واحد وقيل معنى تاذن اقسم ربك • قوله تعالى ليبعثن عليهم
الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب اي ليبعثن على بني اسرائيل من الذين لا يؤمنون من يذيقهم الجزية والقتل
فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وامته فوضعوا عليهم الجزية الى يوم القيمة • وفي هذه الاية دلالة ان

اليهود لا ترتفع لهم راية عز الى يوم القيمة و قوله تعالى **ان ربك لسريع العقاب** يجوز ان يكون المراد
به انه سريع العقاب لمن يشاء ان تعاقبه في الدنيا و قوله تعالى **وانه لغفور رحيم** لمن تاب عن الكفر
والمعاصي قوله تعالى **وقطعناهم في الارض امما** معناه وفرقنا اليهود في البلاد تفريقا شديدا
اي شتتنا امرهم فليس لهم مكان يجتمعون فيه ولا يمكنهم المقام في موضع الا على ذل القتل والجزية قوله تعالى
منهم الصالحون اراد بالصالحين مؤمني اهل الكتاب وقيل اراد بهم الذين وراء النهر اراد بهم الذين
في رمل عالج من قوم موسى الذين ذكرنا ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به مر عليهم وقد ذكرناهم فيما
تقدم و قوله تعالى **ومنهم دون ذلك** اراد به الكفار منهم كانه قال منهم الصالحون ومنهم سوى الصالحين
وقيل معناه ومنهم دون الذين هم في رمل عالج يعني الذين هم في هذه البلاد من اليهود **وبلوناهم بالحسنات
والسيئات** اي اختبرناهم بالخصب والجدب لعلهم **يرجعون** من الكفر الى الايمان قوله تعالى **فخلف من بعدهم
خلف ورثوا الكتاب** اي خلف من بعدهم اي الذين قطعناهم في الارض ذرية سوء وهم الذين ادركهم النبي
صلى الله عليه وسلم قال ابن الاعرابي الخلف بفتح اللام الصالح وباسكانها اللام الطالح قال لبيد
ذهب الذين يعاش في اكنافهم • وبقيت في خلف كجلد الاجرب • ومنه قيل لرديء الكلام خلف ومنه المثل السائر
سكت الفا ونطق خلفا • وقال النضر بن شميل الخلف بفتح اللام واسكانها في القرن السوء واما في القرن الصالح فبتحريكها
لا غير قال الشاعر انا وجدنا خلفنا بئس الخلف • عبدا اذا ما ناء بالحمل خطف • وقال محمد بن جرير اكثر ما جاء
في المدح بفتح اللام وفي الذم بتسكينها وقد يحرك في الذم ويسكن في المدح قال حسان في المدح لنا القدم الاولى اليك
وخلفنا • لاولنا في طاعة الله تابع • قال واحسبه في الذم ماخوذ من خلف اللبن اذا حمض من طول تركه في السقا
حتى يفسد ومنه قولهم خلف فم الصائم اذا تغيرت ريحه وفسدت وكان الرجل الفاسد مشبه به • والحاصل ان كلاهما
يستعملان في الشر والخير الا ان الاكثر الاستعمال في الخير بالفتح قوله تعالى ورثوا الكتاب اي التورية والميراث ما صار
لهم في مرجعه البادي كانه قال الخلف من بعدهم الكتاب منهم خلف ورثوا كتابهم و قوله تعالى **ياخذون عرض
هذا الادنى** يعني اخذ الرشوة في الحكم لتغيير الحق الى الباطل وقال بعضهم كانوا يحكمون بالحق لكن بالرشوة والمراد
متاع الدنيا عرضا لقلة بقائه كانه يعرض فيزول وقال الله تعالى هذا عارض ممطرنا اراد به السحاب قوله تعالى **ويقولون
سيغفر لنا** اي يقولون مع اخذهم الرشوة انه سيغفر لنا ذلك وما عملنا بالليل كفرعنا بالنهار وما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل
وان ياتهم عرض مثله ياخذوه معناه وان عرض لهم ذنب اخر عملوه وفي هذا بيان انهم كانوا يصرون على الذنب ويأكل
الحرام وكانوا يستغفرون مع الاصرار فكيف يغفر لهم قوله تعالى **الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على
الله الا الحق** معناه الم يؤخذ عليهم الميثاق في التورية ان لا يقولوا على الله الا الصدق وكان في التورية ان من ارتكب
ذنبا عظيما لم يغفر له الا بالتوبة فكانوا يدرسون ما في التورية ويذكرون ما اخذ عليهم من المواثيق ويقولون مع اصرارهم
على الذنوب سيغفر لنا وقال الحسن معنى الاية انهم كانوا ياخذون الدنيا من كل وجه حرم عليهم ويتمنون كل
حق ويسعون في كل شرف ويتمنون مع هذه المغفرة على الله الاماني ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه
كما اخذوا الرشوة في الكتاب خلاف ما هم عليه • وقرا السلمي وادارسوا ما فيه مثل اداركوا قوله تعالى
والدار الاخرة خير للذين يتقون المعاصي والشرك واكل الحرام **افلا يعقلون** ما يدرسون في كتابهم
وقيل اولا تعقلون ان الاصرار على الذنب ليس من علامة المغفور لهم قوله تعالى **والذين يمسكون بالكتاب
واقاموا الصلوة** معناه والذين يعملون بما في كتاب الله قال مجاهد هم اليهود والنصارى الذين يمسكون بالكتاب
الذي جاء به موسى لا يحرفونه ولا يكتمونه احلوا حلاله وحرموا حرامه ولا يتخذونه ماكلة نزلت في عبد الله بن سلام
واصحابه • وقال عطاء يعني امة محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى واقاموا الصلوة اي عملوا الصالحات الا انه
خص الصلوة بالذكر لعظم شانها و قوله تعالى **انا لا نضيع اجر المصلحين** اي نعطيهم اجرهم انا لا نضيع اجر

للمخلصين في القول والعمل قوله تعالى **وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة** معناه واذكر يا محمد إذ قلعنا
الجبل من أصله فجعلناه كالظلة فوقهم وأصل النتق الزعزعة وكل شيء أقلعته فقد نتقته ومنه نتقت المرأة إذا كثرت الولد
أي اقتلعت ما في رحمها من ولدها وامرأة منتاق إذا كانت كثيرة الولد وقال مجاهد نتقنا الجبل أي قطعنا الجبل
وقال الفراء علقنا وقال بعضهم أصل النتق والنتوق أن يقطع الشيء من موضعه فيرمى به وقال أبان بن تغلب
سمعت رجلا من العرب يقول لغلام يمخض الحق ألق فانتقه أي نكسه قوله تعالى كأنه ظلة قال عطاء كأنه سقيفة
والظلة كل ما أظلك قوله تعالى **وظنوا أنه واقع بهم** أي ظنوا أنه ساقط عليهم إن لم يقبلوه وكان
السبب في رفعه فوقهم أنه لما شق عليهم ما كان في التوراة من المواعظ وخافوا أنه لا يمكنهم الوفاء به استعفوا
التوراة فرفع الله الجبل فوقهم قوله تعالى **خذوا ما آتيناكم بقوة** أي وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم بقوة
أي اعملوا به بجد ومواظبة في طاعة الله **واذكروا** ما في الكتاب الذي أعطيناكم من عظة وزجر لكي تتقوا
المعاصي وكان ذلك حين أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة ويعملوا بما فيها وكانت شريعة ثقيلة فرفع الله عليهم جبلا
على مقدار عسكرهم وكانوا فرسخا في فرسخ وقيل لهم إن قبلتم ما فيها وإلا ليقعن عليكم قال الحسن فلما نظروا إلى
الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوفا أن يسقط عليهم ولذلك ليس في الأرض
يهودي إلا وهو يسجد على حاجبه الأيسر ويقولون هذه السجدة التي رفعت بها العقوبة قوله تعالى **وإذ أخذ
ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى** قال المفسرون
لما خلق الله آدم مسح ظهره وأخرج منه ذريته كلهم كهيئة الذر واختلفوا في موضع الميثاق فقال ابن عباس
هو بطن نعمان واد إلى جنب عرفة وقيل هي أرض الهند وقال الكلبي هو ما بين مكة والطائف وقال السدي
أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه إلى الأرض فأخرج من ظهره ذريته وكل من هو خارج إلى يوم القيامة فأخرج
من صفحة ظهره اليمنى ذريته صغارا بيضا مثل اللؤلؤ فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي وأخرج من صفحة ظهره اليسرى
ذريته سودا وقال لهم ادخلوا النار ولا أبالي فذلك قوله وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين وأصحاب الشمال
وأصحاب المشأمة ثم ركب فيهم جميع العقول حتى سمعوا كلام الله وفهموا خطابه فقال لهم اعلموا أنه لا إله غيري
وأنا ربكم لا رب لكم سواي ولا تشركوا بي شيئا وإني مرسل إليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي ومنزل عليكم كتبا فتكلموا
ألست بربكم فقالوا بلى شهدنا أنك ربنا وإلهنا لا رب غيرك فأقروا وكلهم طائعين وأخذ بذلك ميثاقهم ثم
آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم فنظر إليهم آدم عليه السلام فرأى الغني والفقير وحسن الصورة وغير ذلك
فقال يا رب لو شئت سويت بينهم قال إني أحب أن أشكر ونظر إلى الأنبياء بينهم يزهرون مثل السرج فلما أخذ عليهم الميثاق ردهم
إلى صلب آدم فالناس محبوسون في أصلاب آبائهم حتى يخرج كل من أخرجه في ذلك الوقت وكل من ثبت على الإسلام
فهو على الفطرة الأولى وكل من جحد وكفر فإنما تغير عنها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على
الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه حتى يعرب عنه لسانه إما شاكرا وإما كفورا فلا تقوم الساعة
حتى يولد كل من أخذ ميثاقه لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ويقدر ما بينه وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
بني آدم ذرياتهم ولم يذكر ظهر آدم وإنما أخرجهم يوم الميثاق من ظهره لأن الله أخرج ذرية آدم بعضهم من
ظهر بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء فاستغنى عن ذكر ظهر آدم بقوله من بني آدم لأنه قد علم أنهم كلهم
وأخرجوا من ظهره قوله تعالى **شهدنا** يجوز أن يكون هذا من قول الذين أخذ عليهم الميثاق ثم ابتدأ قوله
تعالى **أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين** أي كيلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين
ويجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله ثم يقول الله تعالى شهدنا عليكم وأخذنا الميثاق كيلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا
عن هذا غافلين أي عن هذا الميثاق والإقرار **أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم**
ولكي لا تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاتبعناهم لأنا قد جعلنا في عقولكم ما يمكنكم أن تعرفوا

به صحة ما كان عليه آباؤهم قاله قتادة قوله تعالى **أفتهلكنا بما فعل المبطلون** أي آباؤنا المشركون
تعالى لهم لا نهلككم بما فعل آباؤكم وإنما نهلككم بما تعملون أنتم وإن قيل كيف يكون الميثاق حجة عليهم أي على الكفار منهم
وهم لا يذكرون ذلك حين أخرجهم من صلب آدم قيل لما أرسل الله الرسل فأخبروهم بذلك الميثاق صار قول
الرسل حجة عليهم وإن لم يذكروا ألا ترى أن من ترك من صلوته ركعة ونسي ذلك فذكره الثقات كان قولهم
حجة عليه قوله تعالى **ذرياتهم** قرأ أهل مكة وأهل الكوفة ذريتهم بغير ألف وقرأ الباقون بالألف على الجمع وقوله
تعالى **أو تقولوا يوم القيامة** أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا قرأ أبو عمرو بالياء وقرأ الباقون بالتاء فيهما قوله
تعالى **وكذلك نفصل الآيات** أي هكذا نبين الآيات كما بيناها في أمر الميثاق ونفصل الآيات ذكرا بعد
آية ببيان الموعظة والمعصية والوعد والوعيد قوله تعالى **ولعلهم يرجعون** أي لكيلا يرجعوا عن الكفر إلى
الإيمان والمعنى لتعلموها مفصلة ولعلهم يرجعون قوله تعالى **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها**
قال ابن عباس وابن مسعود نزلت في بلعم بن باعوراء وقال مجاهد ويقال له بلعم بن باعر وقال مقاتل ويقال له
أيضا بلعام وكان عابدا من عباد بني إسرائيل وكان في المدينة التي قصدها موسى عليه السلام وكان أهل تلك المدينة
كفارا وكان عنده اسم الله الأعظم فسأله ملكهم أن يدعو على موسى بالاسم الأعظم ليدفعه عن تلك المدينة فقال
لهم دينه وديني واحد هذا شيء لا يكون وكيف أدعو عليه وهو نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون وأنا أعلم
من الله ما أعلم وإني إن فعلت ذلك ذهبت دنياي وآخرتي فلم يزالوا به يفتنونه بالمال والهدايا حتى فتنوه
فركب أتانا له متوجها إلى الجبل ليطلعه فما سار عليها إلا قليلا فربضت فنزل عنها فضربها حتى كاد يهلكها فقامت
فركبها فربضت فضربها حتى كاد يهلكها فقامت فركبها فمشت قليلا فربضت فضربها فأنطقها الله تعالى فقالت يا بلعم
ويحك أين تذهب بي ألا ترى إلى هؤلاء الملائكة أمامي تردني عن وجهي فكيف تريد أن تذهب لتدعو على نبي
الله عليه السلام وعلى المؤمنين فخلى سبيلها وانطلق حتى وصل الجبل فجعل يدعو وكان لا يدعو بشيء إلا
صرف الله لسانه على قومه ولا يدعو بخير إلا صرف الله به لسانه إلى موسى فقال له قومه يا بلعم إنما أنت
تدعو علينا وتدعو لهم فقال هذا والله الذي أملكه وأنطق الله به لساني ثم امتد لسانه حتى بلغ صدره
فقال لهم قد ذهبت والله مني الدنيا والآخرة فلم يبق إلا المكر والحيلة فأمكر لكم واحتال جملوا النساء
وزينوهن وأعطوهن الطيب وأرسلوهن إلى العسكر وأمروهن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فإنه
إن زنا منهم رجل واحد كفيتموهم ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة منهم برجل من عظماء بني
إسرائيل فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه حسنها ثم أقبل بها إلى موسى وقال له إني لأظنك أن تقول هذه حرام
عليك لا تقربها قال فوالله لا نطيعك في هذا ثم دخل بها قبته فوقع عليها فأرسل الله على بني إسرائيل الطاعون
في الوقت وكان فنحاص بن العيزار صاحب أمر موسى وكان رجلا له بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غائبا
حين صنع ذلك الرجل بالمرأة ما صنع فجاء والطاعون يجوس في بني إسرائيل فأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت من
حديد كلها ثم دخل عليه القبة فوجدهما متضاجعين فدقهما بحربته حتى انتظمهما بها جميعا فخرج بهما يحملهما
بالحربة رافعا بهما إلى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه وأسند الحربة إلى لحيته وجعل
يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون من حينئذ عنهم فحسب من هلك من بني إسرائيل في ذلك
الطاعون فوجدهم سبعين ألفا في ساعة من نهار وهو ما بين أن زنا ذلك الرجل بها إلى أن قتل وقال مقاتل
دعا بلعم على موسى وقومه بالاسم الأعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وقومه في التيه بدعائه
عليه فقال موسى يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه فقال بدعاء بلعم قال يا رب فكما سمعت دعاءه علي
فاسمع دعائي عليه فدعا موسى أن ينزع عنه الاسم الأعظم والإيمان فسلخه الله مما كان عليه ونزع عنه المعرفة
فخرجت منه كحمامة بيضاء فذلك قوله تعالى فانسلخ منها الآيات في هذا ما يمنع صحته لأنه لا يجوز أن يستجاب

دعاء انسان على نبي من انبياء الله ولا سيما اذا قصد الدعاء على موسى صار كافرا والكافر لا يجوز ان يستجاب دعاؤه
وروى عن عبد الله بن عمرو انه قال انها نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي وهو رجل كان في وقت النبي صلى الله عليه
وسلم وكان قد آتاه الله العلم والحكمة وله اشعار في التوحيد والبعث وكان قد علم ان الله يبعث نبيا في وقته
وكان يرجو ان يكون ذلك النبي فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ورأى من أمره ما رأى عزم ان لا يؤمن به
حسدا له ومعنى الآية واتل يا محمد خبر الذي آتيناه علم آياتنا وفهم معانيها فصار عالما بها والنبأ الخبر
عن أمر عظيم وقوله تعالى فانسلخ منها أي خرج من العلم بها الى الجهل ومن الهدى الى الضلالة كما تقال
انسلخت الحية من جلدها وقوله تعالى فأتبعه الشيطان أي أتبعه بالتزيين له كالضلالة فيقال لحقه
وأدركه يقال اتبعت القوم اذا لحقتهم وتبعتهم اذا سرت في أثرهم وقوله تعالى فكان من الغاوين أي كان
في علم الله ان يكون في ذلك الوقت من الغاوين وقيل معناه صار من الضالين والغي يذكر بمعنى الهلاك ويذكر بمعنى
الخيبة وقوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها أي بالآيات بان نميته على الهدى ونعصمه عن الكفر ونخرجه
من المعصية وقيل معناه لفضلناه وشرفناه ورفعنا منزلته بالآيات وقال مجاهد وعطاء معناه ولو
شئنا لرفعنا عنه الكفر بالآيات وعصمناه وقوله تعالى ولكنه أخلد الى الأرض أي ركن الى الأرض وقال
مجاهد سكن الى الأرض وقال ابن قتيبة رضي بالدنيا وقيل مال الى سافل الأمور وترك معاليها وأصل الاخلاد
البقاء والاقامة واللزوم على الدوام كأنه لزم الميل الى الأرض لتعجل الراحة والدعة يقال فلان مخلد
أي بطيء الشيب وقوله تعالى واتبع هواه انقاد لهواه فلم ترفعه الآيات وقال عطاء اراد الدنيا واتبع شيطانه
وقال بعضهم واتبع هواه أي امرأته لانها كانت حملته على الخيانة وقوله تعالى فمثله كمثل الكلب ان تحمل
عليه يلهث أو تتركه يلهث اللهث شدة النفس عند الاعياء وهو في الكلب طبع وان كل شيء يلهث من اعياء
أو عطش ما خلا الكلب فانه يلهث في الاحوال كلها فانك ان طردته وزجرته يلهث وان تركته يلهث فكذلك
الكافر ان وعظته وزجرته لم يتعظ وان تركته لم يعقل وقال ابن عباس معناه ان الكافر ان حمل عليه الحكمة
لم يحملها وان ترك عنها لم يهتد اليها كالكلب ان كان رابضا لهث وان طرد لهث وقيل هو المنافق ليس
الى الحق دعي أو لم يدع وعظ أو لم يوعظ كالكلب يلهث ترك أو طرد وكذلك الكافر ان وعظته فهو ضال
وان تركته فهو ضال كالكلب ونظيره قوله تعالى وان تدعهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم
أم أنتم صامتون وقوله تعالى ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا أي ذلك صفة المكذبين بآياتنا.
فاقصص القصص أي اقصص عليهم أخبار الماضين ليعتبروا بهم ولا يسلكوا مسالكهم وقوله تعالى لعلهم
يتفكرون أي رجاء أن يتفكروا وقوله تعالى ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا أي بئس الوصف
وصف القوم الذين كذبوا بآياتنا وهذا السوء انما رجع الى فعلهم لا الى نفس المثل كأنه قال بئس فعلهم الذي جلب
اليهم هذا الوصف القبيح فاما المثل فهو من الله حكمة وصواب ومثلا منصوب على التمييز أي ساء المثل مثلا وقوله
تعالى وأنفسهم كانوا يظلمون أي انما نقصوا انفسهم بمعصيتهم والله تعالى لا يضره معصية العاصين
ولا ينفعه طاعة المطيعين وقوله تعالى من يهد الله فهو المهتدي أي من يوفقه الله لدينه فهو المهتدي
من الضلالة ومن يخذله عن دينه فاولئك هم الخاسرون المغبونون بعقوبة الآخرة وقوله عز وجل ولقد
ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس قال ابن عباس معناه ولقد خلقنا لجهنم أهلا لهم قلوب لا يفقهون
بها الخير ولهم أعين لا يبصرون بها الهدى ولهم آذان لا يسمعون بها الحق أولئك كالأنعام
في الأكل والشرب والذهاب في الصور بل هم أضل لان الانعام مطيعة لله تعالى والكافر غير مطيع وقوله
تعالى أولئك هم الغافلون أي عن ما ينفعهم وعن ما يحل بهم في الآخرة وقيل ان اللام في قوله لجهنم لام

العاقبة

العاقبة يعني ان عاقبتهم الى المصير الى جهنم وهذا كما قال تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
أي كان عاقبتهم ان صار لهم عدوا وحزنا والا فهم التقطوه ليكون لهم قرة عين كما قال تعالى وقالت امرأة
فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه ويقال لدوا للموت وابنوا للخراب قال الشاعر. أموالنا لذوي الميراث
نجمعها. ودورنا لخراب الدهر نبنيها. وقال آخر. ألا كل مولود فللموت يولد. ولست أرى
حيا لحي يخلد. وقال آخر. فللموت تغذو الوالدات سخالها. كما لخراب الدهر تبنى المساكن.
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية قال ان الله تعالى لما ذرأ لجهنم ما ذرأ كان ولد الزنا ممن ذرأ
لجهنم وقوله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سبب نزول هذه
الآية ان رجلا دعا الله في صلاته ودعا الرحمن فقال أبو جهل لعنه الله أليس يزعم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه
أنهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يعبد ربين اثنين فأنزل الله هذه الآية ومعناها ولله الصفات العلى وهي
الرحمن والرحيم والعزيز والجبار والمؤمن والمهيمن والقدوس وأشباه ذلك من الصفات التي تحسن معانيها
فادعوه بها أي بالأسماء الحسنى ولا ينبغي أن تقول يا سخي يا جلد يا رفيق ولكن تقول يا جواد يا قوي يا رحيم كما وصف
بها نفسه وقوله تعالى وذروا الذين يلحدون في أسمائه أي يكذبون في قال قتادة يشركون وقال عطاء
يضاهون وقال ابن عباس الحادهم في أسماء الله تعالى أنهم عدلوا بها عما هي عليه فسموا بها أوثانهم وزادوا فيها
ونقصوا منها واشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان قرأ الأعمش وحمزة يلحدون بفتح
الياء والحاء هاهنا وفي النحل وفي حم وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الحاء وهما لغتان بمعنى والالحاد
هو الميل عن القصد وروى عن الكسائي انه قرأ الذي في النحل بفتح الياء والحاء والذي في الاعراف وحم بالضم
وكان يفرق بين الالحاد واللحود فيقول الالحاد العدول عن القصد واللحود الركون وزعم ان الذي
في النحل بمعنى الركون وقوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون وعيد لهم على الكفر والتكذيب وقوله تعالى
وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال ابن عباس وذلك انه لما ذكر الله تعالى ومن قوم موسى أمة
يهدون بالحق وبه يعدلون قال ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الله هؤلاء الرهط بالخير الجسيم وان
آمنا بك وصدقناك جعل الله لهم أجرين ولنا أجر واحد ونحن صدقنا بالرسل والكتب فأنزل الله تعالى وممن
خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تخلو الزمان من فرقة منهم علماء
أنبياء يدعون الناس الى الحق وقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
أي الذين كذبوا بالآيات سنحطهم الى العذاب درجة فدرجة الى ان يبلغوا العذاب وقال عطاء سنمكر بهم
من حيث لا يعلمون. وقال الكلبي نزين لهم أعمالهم فنهلكهم وقال الضحاك كلما أحدثوا معصية جددنا لهم نعمة
وقال سفيان نطيل أعمارهم في اغترارهم وقال أهل المعاني الاستدراج ان تندرج الشيء خفية قليلا قليلا ولا تباغت
ولا تهاجم يقال استدرج فلان فلانا حتى تعرف ما صنع أي لا يجاهره ولا يكثر عليه السؤال دفعة واحدة ولكن كلمة
درجة درجة وقليلا قليلا حتى تعرف حقيقة ما فعل وقيل معنى قوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون أي
سنذيقهم بأسنا قليلا قليلا وقوله تعالى وأملي لهم ان كيدي متين أي أمهلهم وأطيل لهم المدة فانهم لا يفوتونني
ولا يعجزونني عن تعذيبهم وقوله تعالى ان كيدي متين أي صنيعي شديد محكم وأخذي قوي شديد والكيد
هو الاضرار بالشيء من حيث لا يشعر به وقوله تعالى أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة قال الحسن وقتادة
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد الى الصفا ذات ليلة يدعو قريشا الى عبادة الله قبيلة قبيلة ويحذر
يا بني فلان يا بني فلان يحذرهم بأس الله وعقابه فقال المشركون ان صاحبكم قد جن بات ليلة يصوت
الى الصباح فأنزل الله هذه الآية ومعناها أولم يتفكروا فيعلموا ان ليس بمحمد صلى الله عليه وسلم من

جنون قوله تعالى إن هو إلا نذير مبين أي ما هو إلا معلم بموضع المخافة ليتقى وبموضع الأمن ليبتغى قوله
تعالى مبين أي بين أمره بهذا يحاسبه الكفار فيطلبوا حقيقة أمره وتفكروا في دلائله ومعجزاته قوله تعالى
أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء معناه أولم ينظروا في ملكوت السموات
والأرض طالبين لما يدلهم على وحدانية الله تعالى وعلى صدق رسوله فيما دعاهم إليه والملكوت هو الملك الأعظم
وقوله وما خلق الله من شيء معناه وما خلقه بعد السموات والأرض فإن ذلك يدل على وحدانية الله تعالى مثل
ما يدل السموات والأرض بالمعنى الذي قوله تعالى وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم معناه أولم
ينظروا في عسى أن يكون قرب هلاكهم بعد تمام الحجة عليهم قوله تعالى فبأي حديث بعده يؤمنون
معناه إن لم يؤمنوا بهذا القرآن مع وضوح دلالته فبأي حديث بعده يؤمنون وليس بعده كتاب منزل ولا
نبي مرسل قوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له أي من يخذله الله عن دينه فلا هادي له إليه قوله
تعالى ويذرهم في طغيانهم يعمهون أي ويدعهم في تحادرهم الحد في كفرهم يتحيرون ولا يرجعون
إلى الحق ومن قرأ ويذرهم بالنون وضم الراء فهو على الاستئناف ومن قرأ ويذرهم بالجزم عطفا على موضع الفاء في
من يضلل الله يذره في طغيانه عامها قوله تعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها قال الحسن وقتادة
سألت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم متى الساعة التي تخوفنا بها فأنزل الله هذه الآية ومعناها
يسألونك عن الساعة أي أوان قيامها ومتى منتهاها يقال رسا الشيء يرسو إذا ثبت ومنه الجبال الراسيات
أي الثابتات والمرسى مستقر الشيء الثقيل قال ابن عباس سألت اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا له أخبرنا
عن الساعة إن كنت نبيا فإنا نعلم متى هي فأنزل الله هذه الآية قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها
إلا هو أي علم قيامها عند الله سبحانه يعني لا علم لي لا يجليها لوقتها إلا هو لا يكشفها ولا يظهرها لحينها إلا الله
عز وجل وقال مجاهد أي لا يأتي بها إلا هو وقال السدي لا يرسلها لوقتها إلا هو ووجه الامتناع
عن الإجابة عن بيان وقتها أن العباد إذا لم يعرفوا وقت قيامها كانوا على حذر من ذلك أدعى للطاعة وأزجر
عن المعصية قوله تعالى ثقلت في السموات والأرض قال الحسن ثقل وضعها على أهل السموات والأرض لما
فيها من انتثار النجوم وتكوير الشمس وتسيير الجبال وقال قتادة ثقلت على السموات والأرض فلا تطيقها لعظمها وقال
السدي ثقل علمها على أهل السموات والأرض فلم يطيقوه إذ كل شيء خفي فقد ثقل ولا يعلم قيامها
ملك مقرب ولا نبي مرسل قوله تعالى لا تأتيكم إلا بغتة أي فجأة لا تعلمون بدنو قيامها فتتقون والرجل
يهوي بلقمة في فيه فما يدرك أن يضعها في فيه قوله تعالى يسألونك كأنك حفي عنها قال الضحاك
ومجاهد معناه كأنك عالم بها وقال ابن عباس هذا على التقديم والتأخير معناه يسألونك عنها كأنك حفي بهم
أي بار لطيف بهم من قوله إنه كان بي حفيا وقيل معناه كأنك فرح بسؤالهم إياك وقيل معناه كأنك حاكم بها تقول
تحاكمنا إلى فلان أي تخاصمنا إليه والحاكم هو الحاكم قوله تعالى قل إنما علمها عند الله الثاني في إعادته
كلها إلى الله يكون التكرار على وجه التأكيد وقيل أراد بالأول علم وقتها وبالثاني علم كنهها قوله تعالى ولكن
أكثر الناس لا يعلمون أي لا يعلمون أنها كائنة وأن علمها عند الله وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول من يدعي
العلم بمدة الدنيا ويستدل بما روي أن الدنيا سبعة آلاف سنة لأنه لو كان كذلك كان وقت قيام الساعة معلوما
والتأويل أنه صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار إلى السبابة والوسطى فمعناه تقريب الوقت
لا تحديده كما قال تعالى فقد جاء أشراطها أي مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من أشراطها قوله تعالى قل لا
أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله قال ابن عباس وذلك أن أهل مكة قالوا يا محمد ألا يخبرك ربك
بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتريه وتربح فيه وبالأرض التي يريد أن تجدب فترتحل عنها إلى ما أخصب

فأنزل الله

فأنزل الله هذه الآية ومعناها قل يا محمد لا أقدر على نفع أجره إلى نفسي ولا على ضر أدفعه عن نفسي إلا ما شاء الله
أن يملكني بالتمكين من ذلك قوله تعالى ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير أي لو كنت أعلم خصب
الأرض وقحط المطر لأخرت من السنة المخصبة للسنة المجدبة وما مسني الفقر وقيل معناه لو كنت أعلم متى أموت
لبادرت بالأعمال الصالحة قبل اقتراب الأجل فلم أشتغل بغيرها ولا يحتاجون ولا أقع كما تقولون وقيل معناه
لو كنت أعلم متى الساعة لبادرت بالجواب عن سؤالكم فإن المبادرة إلى جواب السائل تكون استكثارا من الخير
وما مسني التكذيب منكم قوله تعالى إن أنا إلا نذير وبشير أي ما أنا إلا معلم بموضع المخافة ليتقى وبموضع
الأمن ليختار لقوم يؤمنون بالبعث قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة أي نفس آدم
وجعل منها زوجها أي خلق حواء من ضلع من أضلاعه ليسكن إليها أي ليطمئن إليها ويستأنس بها ويأوي
إليها لقضاء حاجته منها فلما تغشاها أي جامعها حملت حملا خفيفا فاستمرت به أي بذلك الماء أي قامت
وقعدت كما كانت تفعل من قبل ولا هي تدري أنها حبلى أم لا ولم تكترث بحملها ويدل عليه قراءة ابن عباس فاستمرت به
وقال قتادة معنى فمرت به استبان حملها وقرأ يحيى بن يعمر فمرت مخففا من المرية أي شكت أحملت أم لا قوله تعالى فلما
أثقلت أي لما كبر الولد في بطنها وتحرك وصارت ذات ثقل بحملها وشق عليها القيام أتاها إبليس في صورة رجل
فقال يا حواء ما هذا في بطنك قالت ما أدري إني أخاف أن يكون بهيمة وذلك أول ما حملت فقالت ذلك لآدم عليه
السلام فلم يزالا في هم من ذلك ثم عاد إبليس إليها فقال يا حواء أنا من الله بمنزلة فإن دعوت الله أن يجعله
إنسانا أتسمينه بي قالت نعم قال فإني أدعو الله وكانت هي وآدم يدعوان الله لئن آتيتنا ولدا حسن الخلق صحيح
الجوارح مثلنا لنكونن من الشاكرين لك في هذه النعمة فلما آتاهما صالحا سويا صحيحا أتاها إبليس فقال
لها عدتي قالت ما اسمك قال الحارث ولو سمى نفسه فقال عزازيل لعرفته ولكنه تسمى بغير اسمه فسمته عبد الحارث
ورضي آدم فعاش الولد أياما ثم مات وهذا لا يصح لأن حواء وإن لم تكن نبية فهي زوجة نبي وقد [illegible] به ما
يدل على ذلك أن الله تعالى قال جعلا له شركا ومثل هذه القبائح لا يجوز إضافتها إلى الأنبياء وإن الله
تعالى قال فتعالى الله عما يشركون ولأن الواحد منا لو آتاه من نعمته على أن يسمي ولده عبد شمس أو
عبد العزى أو نحو هذا لم يقبل ذلك ولو أمكنه أن يعاقبه على ذلك فعل فكيف يجوز مثل هذا على آدم وقد رفع
الله قدره بالنبوة وقال الحسن معناه أن الله خلق حواء من ضلع آدم وجعلها سكنا له ولكن لما جاء الخلق
من أزواجهم كأنه قال وجعل من كل نفس زوجها كما قال في آية أخرى ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا
لتسكنوا إليها وقال الحسن انقضت قصة آدم عند قوله ليسكن إليها ثم أخبر الله عن بعض خلقه أنه تغشى
زوجته فحملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلها ما في بطنها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنشكرنك فلما آتاهما
صالحا جعلا له شركا بجعلهما الذي عملاه بأن هوداه أو نصراه أو مجساه أو علماه شيئا من الأديان الخبيثة
التي يدعو إليها إبليس فهذا عظم الله نفسه في آخر الآية فقال تعالى فتعالى الله عما يشركون ولو كان المراد به
آدم وحواء لقال عما يشركان وقيل إن حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وأنثى ويقال ولدت لآدم في خمسمائة
بطن ألف ولد وقرئ جعلا له شركا بكسر الشين على المصدر وكان من حقه أن يقال على هذه القراءة جعلا لغيره شركا
لأنهما لا ينكران أن الأصل لله ويجوز أن يكون معناه جعلا له ذا شرك فحذف ذا كما في قوله واسأل القرية أي أهل
القرية قوله تعالى أيشركون ما لا يخلق شيئا معناه أيشركون في العبادة ما لا يقدر على خلق شيء ويستحق العبادة
لأن الخلق هو الذي يدل على الله والله تعالى إنما يستحق العبادة على الخلق بخلقه أصول النعم التي لا يقدر عليها أحد
سواه مثل الحياة والسمع والبصر والعقل فإذا لم يقدر الأصنام على خلق شيء لم تجز عبادتها قوله تعالى وهم يخلقون
معناه أن الأصنام مخلوقة مصنوعة وقيل أراد به الأصنام والعابدين جميعا قوله تعالى ولا يستطيعون لهم

نصراً أي لا تستطيع الأصنام دفع ضر عنهم ولا جلب نفع إليهم ولا أن تنصر أنفسها بأن تدفع عن أنفسها من أرادها بسوء
فإن قيل كيف قال أنفسهم على لفظ من يعقل والأصنام موات قيل لأن الكفار كانوا يصورونها على صورة من يعقل
ويجرونها مجرى من يعقل فأجرى عليها لفظ ما قدروا بما هم عليه قوله عز وجل وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم
أي إن تدعوا الأصنام إلى الهدى لم تقبل الهدى فإنها لا تهدي غيرها ولا تهدي أنفسها ولا ترد جواباً وإن دعيت
إلى الهدى سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون قوله تعالى إن الذين تدعون
من دون الله عباد أمثالكم أراد الأصنام مملوكة مخلوقة أشباهكم سماها عباداً لأنهم صوروها على صورة
الإنسان وقوله تعالى فادعوهم ليس هو الدعاء الأول ولكن أراد فادعوهم في مهماتكم عند الحاجة إلى كشف الأسواء
قوله تعالى فليستجيبوا لكم أي صيغته صيغة الأمر ومعناه التعجيز أي فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين
في أنها آلهة قوله تعالى ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين
يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها معناه أن معبودكم مصرحين يدفع كيدا لكيد عن ومعبودكم لا تقدر
على نصركم فإن قدرتم أنتم على ضر فاجمعوا أنتم مع الأصنام على كيدي ولا تمهلوني وهذا لأنهم كانوا
يخوفون النبي صلى الله عليه وسلم بآلهتهم عرف الله الكفار بهذه الآية أنهم مفضلون على الأصنام لأن لهم جوارح يتصرفون
بها وليس للأصنام ذلك فكيف تعبد من هم أفضل منهم فالعجب من أنفسهم عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم
مع ما قد أيده الله به من الآيات والمعجزة والدلائل الظاهرة لأنه بشر مثلهم ولم يأنفوا عن عبادة حجر لا قدرة
له ولا تصرف وهم أفضل منه في القدرة على التصرف قوله تعالى إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو
يتولى الصالحين معناه أن الذي يحفظني ويكلؤني ويتولى أمري الدائم على بإنزال القرآن علي وهو
يتولى الصالحين أي يتولى حفظهم لا يكلهم إلى غيره ولا ينصرهم عداوة من عاداهم وقوله تعالى والذين تدعون
من دونه لا يستطيعون نصركم لأنه قد تقدم تفسيره قوله تعالى وإن تدعوهم إلى الهدى
لا يسمعوا أي كما أنها لا تهدي غيرها فلا تسمع الهدى وتراهم ينظرون إليك يا محمد يا محمد أعينهم
محكمة يعني الأصنام ينظرون إليك وهم لا يبصرون وذلك أنهم كانوا يصورونها فيجعلون لها أعيناً وآذاناً
وأرجلاً وإذا نظر الناظر إليها خيل إليه أنها تنظر إليه وهي لا تبصر وكانوا يلطخون أفواه الأصنام بالخلوق
والعسل وكانت الذباب تجتمع عليها فلا تقدر على دفع الذباب عن نفسها وقال بعضهم معناه وتراهم ينظرون
إليك كقوله تعالى وترى الناس سكارى أي كأنهم سكارى وقال مقاتل معنى قوله وإن تدعوهم إلى الهدى
لا يسمعوا أي إن تدعوا يا محمد أنت والمؤمنون كفار مكة إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا
ينظرون إلى الهدى قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال ابن عباس والسدي
معناه خذ الفضل من أموالهم كما قال ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وهذا إنما كان قبل فرض
الزكوة فلما نزلت نسخت بالزكوة. وقال الحسن ومجاهد خذ العفو من أخلاق الناس في القصاد والاقتضاء وقبول
عذرهم وحسن المعاملة معهم وما تسهل عليهم وأصل العفو الترك من قوله فمن عفي له من أخيه شيء أي ترك
والعفو عن الذنب ترك العقوبة عليه ويقال معنى العفو المساهلة في الأمور. يقال خذ ما أتاك عفواً أي سهلاً
وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية فقال حتى أسأل فذهب ثم رجع فقال يا محمد إن
الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك قوله تعالى وأمر بالعرف أي بالمعروف
الذي تعرف العقلاء صحته. وقال عطاء يعني بالعرف لا إله إلا الله وقوله تعالى وأعرض عن الجاهلين أي
عن أبي جهل وأصحابه نسختها آية السيف ومعنى الإعراض عنهم أي أعرض عنهم بعد إقامة الحجة عليهم ودفع
عن قبولهم ولا تقابلهم بالسفه ولا تجاوبهم استخفافاً بهم وصيانة لقدرك وإن مجاوبة السفيه تضع القدر قوله

تعالى

تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله معناه إما يغرينك الشيطان بالوسوسة عند
الغضب فالتجئ إلى الله واستغث به إنه سميع لدعائك عليم بك والنزغ هو الانزعاج بالحركة إلى الشر قوله تعالى
إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وسوسة من الشيطان بالقاء الخواطر
الشر عليهم فزعوا إلى التذكر لما أوضح الله لهم من الحجة فإذا هم مبصرون عواقب أمورهم يرجعون من
الهوى إلى الهدى قرأ أهل البصرة وابن كثير وأبو عمرو والكسائي طيف وقرأ الباقون طائف وهما لغتان وقيل الطائف
ما يطوف حول الشيء والطيف الوسوسة والخطرة وقيل الطائف ما طاف به من الوسوسة والطيف اللمم واللمس
وقرأ سعيد بن جبير طيف بالتشديد. وقال الكلبي طائف من الشيطان أي ذنب. وقال مجاهد الغضب
وعن مجاهد هو الرجل يهم بالذنب فيذكر الله فيدعه. وقال السدي معناه إذا زلوا تابوا قوله تعالى وإخوانهم
يمدونهم في الغي أي وإخوان المشركين وهم الشياطين يدعونهم إلى المعاصي والجهل لأن لكل كافر أخاً من
الشياطين يمده في الغي قرأ نافع يمدونهم بضم الياء وكسر الميم وهما لغتان قوله تعالى ثم لا يقصرون أي
لا يقصر إخوان المشركين من الوسوسة لأنهم إذا علموا قبولهم لقولهم زادوا في إغوائهم وزاد الكفار في طاعتهم لهم
ولا يقصرون كما يقصر المتقون. وقيل معنى قوله تعالى وإخوانهم يمدونهم في الغي يعني إخوان الشياطين وهم
الضلال يمدون المشركين في الغي. وقرأ الجحدري يمادونهم في الغي. وقرأ عيسى بن عمر لا يقصرون بفتح الياء وضم
الصاد قوله تعالى وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها معناه إذا لم تأتهم يا محمد بالآية التي سألوها
تعنتاً قالوا هلا طلبتها من الله فأتيتنا بها وقالوا معناه هلا أتيت بها من تلقاء نفسك قال الحسن كانوا إذا أتاهم
آية كذبوا بها وإذا أبطأت عليهم اقترحوها قوله تعالى قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر
من ربكم أي قل لهم ليست الآيات إلي ولكن الله يوحي بها على ما يعلم من المصلحة وليس لي أن أسأله إنزالها
إلا إذا أذن لي في سؤالها هذا القرآن بصائر من ربكم أي حجج من ربكم وهدى من الضلالة ونجاة من العذاب
لقوم يصدقون أنه من الله قوله تعالى وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون
قال ابن عباس وابن مسعود وأبو هريرة وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والزهري أن هذه الآية نزلت
في الصلوة. وعن أبي العالية الرياحي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قرأ أصحابه خلفه حتى نزلت هذه
الآية فسكت القوم. وقال بعضهم المراد بالآية وقت نزول القرآن أمرهم الله بالاستماع والإنصات وقال الزجاج
يحتمل أن يكون معنى الاستماع العمل بما فيه. وعن ابن عباس قال كان المسلمون قبل نزول هذه الآية يتكلمون في
الصلوة ويأمرون بحوائجهم ويجيء الرجل إلى الرجل فيقول له كم صليتم فيقول كذا فأنزل الله هذه الآية
والقول الأول أصح وأقرب إلى ظاهر الآية لأنه ليس في الآية تخصيص زمان دون زمان ولا يجب على
القوم الإنصات لقراءة كل من يقرأ إلا في الصلوة وقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة
ودون الجهر من القول بالغدو والآصال يجوز أن يكون هذا الخطاب في هذه الآية للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد به جميع الخلق ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك أيها المستمع للقرآن إذا تلي عليك وقوله
تعالى في نفسك يعني التفكر في النفس والتعرض لتيمم العلم بالله لا يقدر عليها أحد سواه وأنه متى شاء سلبها منه
والمراد بقوله دون الجهر التكلم بذكر الله على وجه الخفية فالتضرع والعافية منه ولأن أفضل الدعاء ما كان خفياً
على إخلاص وخضوع لا يشوبه رياء ولا سمعة إشارة إلى الإخلاص. وقيل المراد بقوله واذكر ربك أيها المستمع في
الذكر الخفي وبقوله ودون الجهر إظهار الكلام بالصوت العالي. وقال ابن عباس معنى واذكر ربك يعني القراءة في
الصلوة تضرعاً أي جهراً وخيفة أي سراً ودون الجهر من القول أي دون رفع الصوت في خفض وسكون تسمع
من خلفك القرآن. وقال أهل المعاني معنى واذكر ربك في نفسك أي اتعظ بالقرآن واعتبر بآياته واذكر ربك فيما
يأمرك بالطاعة تضرعاً أي تواضعاً وتخشعاً وخيفة أي خوفاً من عقابه. وقال مجاهد أمر أن يذكر في الصدور

وأمر بالتضرع والاستكانة وكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء. قوله تعالى بالغدو والآصال
أي صلوة الغداة والمغرب والعشاء والآصال في اللغة ما بين العصر إلى الليل وجمعه أصل وأصال جمع الجمع
أصائل. وقيل المعنى بالغدو والآصال البكر والعشيات. قوله تعالى ولا تكن من الغافلين زيادة تحريض
على ذكر الله عز وجل كيلا يغفل الإنسان عن ذكره في أوقات العبادات. قوله تعالى إن الذين عند ربك لا
يستكبرون عن عبادته معناه أن الملائكة المقربين الذين أكرمهم الله لا يستعظمون عن طاعته إن استكبرتم
أنتم عن عبادته فإنهم أفضل منكم وهم الملائكة لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه عما لا يليق وله يسجدون
أي يصلون ويخرون له سجدا في صلواتهم. وقوله تعالى عند ربك يريد قربهم من الفضل والرحمة لا من جهة المكان
والمسافة. وعن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان جبريل عليه السلام إذا قرأ شيئا
من القرآن فيه سجود قرأ ثم يخر ساجدا ويأمرني بذلك ثم يقول يا محمد واجب عليك وعلى أمتك. وعن إبرهيم
قال من قرأ آخر الأعراف فإن شاء ركع وإن شاء سجد. وعن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
من قرأ سورة الأعراف جعل الله بينه وبين إبليس سترا يوم القيمة وكان آدم شفيعا له.

سورة الأنفال

مدنية وهي خمسة آلاف وثمانون حرفا وألف وخمس وتسعون كلمة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الأنفال أي عن الغنائم قل الغنائم لله والرسول الإضافة للغنائم إلى الله على جهة التشريف لها
والإضافة إلى الرسول لأنه كان بيان حكمها وتدبيرها إليه لأن الغنائم كانت كلها له كما قال صلى الله عليه وسلم في
وبرة أخذها من سنام بعير من الفيء والله ما يحل لي من فيئكم إلا الخمس والخمس مردود فيكم. وقيل إنما سألوه عن
الغنائم لأنها كانت حراما على من قبلهم كما قال عليه السلام لم تحل الغنائم لقوم سود الرؤوس قبلكم كانت تنزل نار
من السماء فتأكلها. وإنما سميت الغنائم أنفالا لأن الأنفال جمع النفل والنفل الزيادة وولد الولد نافلة لأنه زيادة على الولد
وعن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم رغب أصحابه يوم بدر فقال من قتل قتيلا فله
كذا ومن جاء بأسير فله كذا فلما هزم الله المشركين تسارع الشبان وأقبلوا بالأسارى وأقام الشيوخ عند الرايات
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يغتاله أحد من المشركين فوقع الاختلاف بينهم في استحقاق الغنيمة فقال
الذين يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنما أفضل من ذهابهم فلو أعطيتهم ما وعدتهم لم يبق لنا ولا لغيرك من
أصحابك شيء. وقال الآخرون نحن قتلنا وأسرنا وكان في ذلك مراجعة بينهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت
لا يقول شيئا فأنزل الله هذه الآية ومعناها يسألونك عن الأنفال لمن هي ويجوز أن يكون عن صلة في الكلام
والمعنى يسألونك الأنفال التي وعدتهم بها يوم بدر قل الأنفال ذرعها الله من أيديهم وجعلها إلى رسوله يقسمها بينهم
على سواء. وقيل إن التنفيل المذكور في هذه الرواية قبل القتال غلط وقع من الراوي لأنه لا يجوز على النبي صلى الله
عليه وسلم خلف الوعد ولا استرجاع ما جعل لأحد منهم والصحيح أنهم اختلفوا في الغنائم من غير تنفيل كان من رسول
الله صلى الله عليه وسلم. قوله تعالى فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم أي اتقوا معاصيه واحذروا مخالفة
أمره وأمر رسوله وأصلحوا ذات بينكم أي كونوا مجتمعين على ما يأمركم به الله ورسوله وأطيعوا الله ورسوله في
الغنائم وغيرها إن كنتم مؤمنين بالله ورسوله كما تزعمون. قوله تعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله
وجلت قلوبهم معناه أن بعضهم إذا ذكر الله عندهم فرقت قلوبهم عند الموعظة والوجل هو الخوف مع شدة
الحزن والمعنى ليس المؤمن الذي يخالف الله ورسوله إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم. قوله تعالى
وإذا تليت عليهم آياته أي إذا قرئت عليهم آياته بالأمر والنهي زادتهم إيمانا يقينا وبصيرة وتصديقا
بالفرائض مع تصديقهم بالله وعلى ربهم يتوكلون أي يفوضون أمورهم إلى الله لا يثقون بغيره ثم زاد

في نعت المؤمنين قوله تعالى الذين يقيمون الصلوة أي يتمونها بوضوئها وركوعها وسجودها في مواقيتها ومما
أعطيناهم من الأموال ينفقون في طاعة الله وإنما خص الله الصلوة والزكوة لعظم شأنهما وكثرة أمرهما. قوله تعالى
أولئك هم المؤمنون حقا أي أهل هذه الصفة الذين تقدم ذكرهم الذين استحقوا هذه الصفة صدقا لهم
درجات عند ربهم أي لهم فضائل ومنازل في الرفعة في الآخرة على قدر أعمالهم ومغفرة لذنوبهم وثواب
حسن في الجنة. قوله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلغه أن عير قريش أقبلت من الشام وفيهم أبو سفيان ومخرمة بن نوفل في أربعين رجلا من قريش تجارا فقال
عليه السلام لأصحابه هذه عير قريش قد أقبلت فاخرجوا إليها فلعل الله أن ينفلكموها فسيروا إليها على عدو كثير بعدد
على نواضحهم ومعهم فارسان لا غير أحدهما الزبير والآخر المقداد فخرجوا بغير قوة ولا سلاح وهم ثلثمائة وبضعة
عشر رجلا يرون أنه يكون قتال فبلغ ذلك أبا سفيان فأرسل من الطريق ضمضم بن عمرو الغفاري يخبر أهل مكة أن
محمدا قد اعترض لعيركم فأدركوها فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بنفير المشركين
يريدون غيرهم وقال يا محمد إن الله يعدك إحدى الطائفتين إما العير وإما العسكر فأخبر بذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم المسلمين فسروا بذلك وأعجبهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرف أنه نجا العير فقالوا
له والله لو أمرتنا أن نخوض البحر لخضناه ثم أخبرهم أن المشركين قد نفروا فشق على بعضهم وقالوا إلا أخبرتنا
لنتمكن وقال فنخرج معنا بسلاحنا وقوتنا إنما خرجنا في ثيابنا نريد العير فأنزل الله هذه الآية وهم
الزحف ومعناها امض على وجهك من الزحف كما أخرجك ربك من بيتك أي من المدينة بالحق أي بالأمر
الواجب وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يعني كراهة الطبع للمشقة لا كراهة الجحود. وقيل معناه
يجادلونك في الحق متكرهين له كما أخرجك ربك من بيتك بالحق مع تكرههم له ومعنى يجادلونك أي يخاصمونك
بقولهم هلا أعلمتنا أنه القتال حتى كنا نستعد له. قوله تعالى بعد ما تبين أي بعد ما ظهر لهم أنك لا تصنع
إلا ما أمرك ربك. قوله تعالى كأنما يساقون إلى الموت أي لما عليهم من شدة المشقة لقلة عددهم وعدتهم
وكثرة عدوهم كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون إلى أسباب الموت. قوله تعالى وإذ يعدكم الله إحدى
الطائفتين أنها لكم أي اذكروا إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين إما العير وإما العسكر أنها لكم وتودون أن
تكون لكم العير دون العسكر لأن العسكر ذات شوكة وهي السلاح ويريد الله أن يحق الحق أي يظهر الإسلام
بوعده الذي أنزل في القرآن وتقاتل بأمره لكم في القتال ويقطع دابر الكافرين أي يظهركم على ذات الشوكة
فتستأصلونهم ليحق الحق ويبطل الباطل بإهلاك أهله ولو كره المشركون ذلك. قوله تعالى إذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين معناه إذ تستغيثون أيها المسلمون ربكم حين
رأيتم قلة عددكم وكثرة عدوكم فلم يكن لكم مفزع إلا الدعاء لله وطلب المعونة منه فاستجاب لكم أي أجابكم
والاستجابة العطية على موافقة المسألة وقوله تعالى أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين قال ابن عباس
كان مع كل ملك ملك فكان جملتهم ألفين يقال ردفت الرجل إذا كنت خلفه وأردفته إذا أركبته خلفك. وقال
عكرمة وقتادة والضحاك معناه ألف من الملائكة متتابعين يتبع بعضهم بعضا وقد يجوز أن يقال أردفته
إذا جئت بعده وكذلك ردفته. وأما قراءة نافع مردفين بفتح الدال فمعناه أردفهم الله بالمؤمنين ويقال ردفه
وأردفه بمعنى تبعه قال الشاعر: إذا الجوزاء أردفت الثريا • ظننت بآل فاطمة الظنونا • أي جاءت بعدها
لأن الجوزاء تطلع بعد الثريا ونزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة ونزل ميكائيل في خمسمائة على الميسرة في صورة
الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض. قوله تعالى وما جعله الله إلا بشرى أي ما جعل الله إمداد الملائكة
إلا بشارة بالنصر للمؤمنين وقيل معناه ما جعل الله إخبار النبي بإمداد الملائكة إلا بشرى بالنصر. قوله تعالى
ولتطمئن به قلوبكم أي ولتسكن قلوبكم في الحرب فلا تخافون من عدوكم. قوله تعالى وما النصر

إلا من عند الله أي ليس النصر بقلة العدد ولا بكثرته ولا من قبل الملائكة ولكن النصر من عند الله إن الله عزيز
بالنقمة ممن عصاه حكيم في أفعاله وقد اختلفوا هل قاتلت الملائكة يوم بدر مع المؤمنين أم لا فقال
بعضهم لم تقاتلوا ولكن الله أيدهم المؤمنين لتشجع قلوبهم ويلقي بهم الرعب في قلوب الكافرين ولو بعثهم الله
بالمحاربة لكان يكفي ملك واحد فإن جبريل أهلك بريشة واحدة سبعة من قريات قوم لوط وأهلك بصيحة
جميع بلاد ثمود وهذا القول أقرب إلى ظاهر الآية وقال بعضهم إن الملائكة قاتلت ذلك اليوم لأنه روي
أن أبا جهل قال لابن مسعود من أين كان ذلك الضرب الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا فقال من الملائكة فقال
هم غلبونا لا أنتم قوله تعالى إذ يغشيكم النعاس أمنة منه قال جماعة من المفسرين وذلك أنه لما
أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم بالمسير إلى الكفار سار بمن معه حتى إذا كان قريبا من بدر لقي رجلين في الطريق
فسألهما هل مرت بكم العير قالا نعم مرت بنا ليلا وكان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من المسلمين
فأخذوا الرجلين وكان أحدهما عبد العباس بن عبد المطلب يقال له أبو رافع والآخر عبد لعقبة بن أبي معيط
يقال له أسلم كانا يسقيان الماء فجاؤوا بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلى بأبي رافع ودفع أسلم إلى أصحابه
يسألونه فقال صلى الله عليه وسلم لأبي رافع من خرج من أهل مكة فقال ما بقي بها أحد إلا وقد خرج فقال صلى الله
عليه وسلم ألقت مكة أفلاذ كبدها ثم قال هل رجع منهم أحد قال نعم ابن أبي شريق في ثلثمائة من بني زهرة
وكان خرج لمكان العير فلما أقبلت العير رجع فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخنس حين خنس بقومه
ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يسألون أسلم وكان يقول لهم خرج فلان وفلان
وأبو بكر رضي الله عنه يضربه بالعصا ويقول له كذبت أخنس الناس فقال صلى الله عليه وسلم إن صدقكم
ضربتموه وإن كذبكم تركتموه فعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عرف أمرهم فسار حتى نزلوا بجانب
الوادي على غير ماء ونزل المشركون على جانبه الأقصى على الماء والوادي بينهما فباتوا ليلتهم تلك وألقى الله
على المسلمين النوم فناموا ثم استيقظوا وقد أجنبوا وليس معهم ماء فأتاهم الشيطان فوسوس إليهم وقال
لهم تزعمون أنكم على دين الله وأنتم مجنبون تصلون على الجنابة والمشركون على الماء فأمطر الله الوادي وكان
رملا تغيب فيه الأقدام فاشتد الرمل وتلبدت بذلك أرضهم وأوحل أرض عدوهم وبنى المسلمون في مكانهم حياضا
واغتسلوا من الجنابة وشربوا وسقوا دوابهم وتهيؤوا للقتال فذلك قوله تعالى إذ يغشيكم النعاس أمنة منه
أي واذكروا إذ يلقي الله عليكم النعاس والنعاس أول النوم قبل أن يثقل وقوله تعالى أمنة منه أي أمنا من
الله آمنهم بوعد النصر أمنا حتى غشيهم النعاس في حال الاستعداد للقتال قال ابن عباس النعاس عند القتال
أمن من الله وفي الصلاة من الشيطان قرأ ابن كثير وأبو عمرو يغشاكم واحتجا بقوله تعالى يغشى طائفة منكم فجعل
الفعل للنعاس وقرأ نافع يغشيكم على أن الفعل لله تعالى ليكون مطابقا لقوله وينزل عليكم من السماء ماء واحتج
بقوله تعالى كأنما أغشيت وجوههم وقرأ الحسن وأبو رجاء وعكرمة وأهل الكوفة وابن عامر ويعقوب يغشيكم
بالتشديد لقوله تعالى فغشاها ما غشى قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعني
المطر يطهركم به من الجنابة والحدث ويذهب عنكم وسوسة الشيطان التي كان يوسوس إليكم بأن عدوكم
قد غلب على الماء وأنتم في مقام تسوخ أقدامكم في الرمل وقال أراد بالرجز الجنابة التي أصابتهم بالاحتلام
فإن الاحتلام إنما يكون من وسوسة الشيطان وقرأ سعيد بن المسيب ليطهركم بالطاء من أطهركم الله وقرأ
ابن محيصن رجز بضم الراء وقرأ أبو العالية رجس الشيطان بالسين والعرب تعاقب بين السين والزاي فتقول
بزق وبسق والسراط والزراط قوله تعالى وليربط على قلوبكم أي وليشد على قلوبكم بالصبر ويشجعها
على القتال وقيل معناه وليربط على قلوبكم باليقين والصبر قوله تعالى ويثبت به الأقدام أي يثبت بالمطر

الأقدام حتى لا تسوخ في الرمل وقيل معناه ويثبت بالصبر وقوة القلب الأقدام لأن الأقدام إنما تثبت في الحرب
بقوة القلب قوله تعالى إذ يوحي ربك إلى الملائكة إني معكم أي إذ يلهم ربك الملائكة النازلين من
السماء إني معكم بالنصر للمسلمين فثبتوا الذين آمنوا بالتبشير وقيل بالحضار بالقتال وتقاتلين وهم بالنصر
في قتال وهم أنفسكم مددا لهم فإذا عاينوكم ثبتوا وقيل أوحى إليهم المعنى إلى النفس من وجه خفي وعن ابن
عباس أنه قال سوى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوفهم وقدموا راياتهم وضعوها مواضعها ووقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير يدعو الله ويستغيث فهبط جبريل عليه السلام في خمسمائة على الميمنة
وميكائيل في خمسمائة على الميسرة فكان الملك يأتي إلى الرجل من المسلمين على صورة رجل ويقول له ادنوا من عسكر
المشركين فسمعتهم يقولون والله لئن حملوا علينا لا نثبت لهم أبدا وألقى الله في قلوب الكفرة الرعب بعد
قيامهم للصف فقال عتبة بن ربيعة يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش نقاتلهم فقام إليهم ثلاثة من
الأنصار وهم عوذ ومعوذ ومعاذ أمهم عفراء وأبوهم الحارث فمشوا إليهم فقالوا ارجعوا وأرسلوا إلينا أكفاءنا
من بني هاشم فخرج إليهم علي وحمزة وعبيدة بن الحارث قال علي فمشيت إلى الوليد بن عتبة ومشى إلي فضربته بالسيف
فطرحت يده ثم تركت عليه فقتلته وقام شيبة بن ربيعة إلى عبيدة بن الحارث فاختلفا بضربتين ثم ضرب عبيدة ضربة
أخرى فقطع ساق شيبة ثم قام حمزة إلى عتبة فقال أنا أسد الله وأسد رسوله فضربه حمزة فقتله فقام أبو جهل في
أصحابه يحرضهم ويقول لا يهولنكم ما لقي هؤلاء فإنهم عجلوا واستحمقوا ثم حمل هو وأصحابه فقتل ثم حمل المسلمون على
فهزموهم قوله تعالى سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب أي سأقذف في قلوبهم المخافة منكم ثم علمهم الله
القتال كيف يضربونهم قوله تعالى فاضربوا فوق الأعناق معناه على الأعناق وقال عطية والضحاك معناه
فاضربوا الأعناق كقوله تعالى في آية أخرى فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب وقال صلى الله عليه وسلم إني لم
أبعث لأعذب بعذاب الله تعالى إنما بعثت بضرب الرقاب وشد الوثاق وقال بعضهم فوق بمعنى على أي فاضربوا على
الأعناق وقال عكرمة معناه فاضربوا الرؤوس وقال ابن عباس فاضربوا الأعناق فما فوقها يعني الرؤوس والأعناق
نظيره قوله تعالى فإن كن نساء فوق اثنتين أي اثنتين فما فوقهما وإنما أمر الله تعالى بضرب الأعناق لأنها أعلى الجسد
والعنق هو المقتل قوله تعالى واضربوا منهم كل بنان قال عطية يعني كل مفصل وقال ابن عباس والضحاك يعني الأطراف
وقال بعضهم يعني بقوله تعالى فاضربوا فوق الأعناق الصناديد وبقوله تعالى واضربوا منهم كل بنان يعني السفلة والأول
أصح وقيل معناه واضربوا منهم كل عضو أمكنكم وليس عليكم أن تتقوا عضوا دون عضو وعن أبي سعيد الغازي أنه
كان يقول أراد الله أن لا يلطخ سيوف المسلمين بفرث الكفار فأمرهم أن يضربوا فوق الأعناق ويضربوا منهم كل بنان
والبنان في اللغة هو الأصابع وغيرها من الأعضاء التي يكون بها قوام الإنسان وحركته مأخوذ من قولهم أبن الرجل بالمكان
إذا أقام به قوله تعالى ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله أي ذلك الضرب والقتل بأنهم شاقوا أي خالفوا الله ورسوله
والمشاقة أن يصير أحد العدوين في شق والآخر في شق آخر كما أن المحاداة أن يصير أحدهم في حد غير حد الآخر
وقوله تعالى ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب أي ومن يخالف أولياء الله ورسوله فإن الله شديد العقاب له وأما إظهار
التضعيف في موضع الجزم في قوله يشاقق فهو لغة أهل الحجاز وغيرهم فيدغم أحد الحرفين في الآخر لاجتماعهما من جنس
واحد كما قال تعالى في سورة الحشر ومن يشاق الله بقاف واحدة وقوله تعالى ذلكم فذوقوه معناه أن
الذي ذكرت لكم أيها الكفار من العذاب العاجل في الدنيا فذوقوه ثم بين جل ذكره أن القتل في الدنيا لا يصير كفارة لهم
وأن الله سيعاقبهم في الآخرة بقوله وأن للكافرين عذاب النار وإنما قال تعالى في عذاب الدنيا فذوقوه
لأن الذوق يسير والقليل من الشيء وكل ما يلقى الكفار من ضرب أو قتل في الدنيا فهو قليل من العذاب يعجل لهم ويعظم
عذابهم مؤخر إلى يوم القيمة قوله تعالى وأن للكافرين عذاب النار في فتح أن وجهان أحدهما أنه في موضع الرفع
تقديره ذلكم فذوقوه وذلكم أن للكافرين والثاني في موضع النصب تقديره ذلكم فذوقوه واعلموا أن للكافرين

وقيل واعلموا ان للكافرين فلما اخذ في القتال نصب. قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا
زحفا فلا تولوهم الادبار خطاب من الله للمسلمين حين التقوا بالعدو يوم بدر ومعناه اذا لقيتم الذين
كفروا مزاحفة متدانين لحربهم فلا تنهزموا حتى تدبروا والزحف في اللغة هو الدنو قليلا قليلا والزحف
الذي تقاربت خطاه لقوم اذا نسب لهم فكانه قال تعالى اذا واقفتموهم للقتال فاثبتوا لقتالهم والتولية
جعل الشيء يلي غيره وهو متعد الى مفعولين وولى دبره اذا جعله اليه قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره
اي ومن يجعل ظهره اليهم وقت القتال الا ان يتحرف لقتال من موضع الى موضع اصلح في باب المحاربة او لطلب غرة يمكن
فيها من العدو وقوله تعالى او متحيزا الى فئة اي الا ان يقصد الانضمام الى جماعة يمنعونه من العدو يعني
اذا كثر العدو للمؤمن فيه يلجئون اليها فيحاربون العدو وبعد ذلك معهم كان لهم ترك القتال عند ذلك ومن
ولاهم الدبر على سبيل الانهزام من غير هذين الوجهين فقد احتمل غضبا من الله ومأواه في الآخرة جهنم وبئس
المصير صار اليه والتحرف في اللغة هو الزوال عن جهة الاستواء والتحيز طلب حيز يتمكن فيه. واختلف العلماء
هل الوعيد في هذه الآية مقصور على حرب بدر ام هو عام في جميع الاوقات قال بعضهم انه خاص في حرب بدر
لانه لم يكن يومئذ للمسلمين فئة سواهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم حاضرا في ذلك الحرب وكان النصر موعودا
لهم يومئذ مع حضوره وكان لا يعد غيره فئة وكان المنهزم عن القتال يومئذ غير متحيز الى فئة فاما اليوم المنهزم
عن الحرب يكون متحيزا الى فئة اعظم من المحاربين من المسلمين وقال بعضهم انه عام في جميع الاوقات وتحريم
الانهزام عن قتال المشركين مع قوة القتال والى هذا ذهب ابن عباس وذكر محمد بن الحسن في السير الكبير ان الجيش
اذا بلغوا اثنا عشر الفا فليس لهم ان يفروا من عدوهم وان كثر العدو. ونحتج بما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال خير الاصحاب اربعة وخير السرايا اربعمائة وخير الجيوش اربعة آلاف ولن تغلب اثنا عشر الفا
من قلة قوله عز وجل فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى معناه لم
تقتلوهم يوم بدر بانفسكم ولكن الله قتلهم بالملائكة واضاف الله قتلهم الى نفسه لان التسبب في قتلهم كان من الله
تعالى فانه هو الذي ايد المؤمنين بالملائكة واضاف الله قتلهم حتى تشجع قلوبهم وانزل المطر حتى تثبت به الاقدام
والقى في قلوب المشركين الرعب حتى انهزموا وقيل كان المسلمون يقولون قتلنا فلانا وقتلنا فلانا فاراد الله ان
لا يعجبوا بانفسهم قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى معناه ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لعلي رضي الله عنه ناولني كفا من تراب الوادي فناوله قبضة فاستقبل بها وجوه المشركين فرماهم بها
وقال شاهت الوجوه اي قبحت فملأ الله اعينهم بها فلم يبق منهم احد الا وقد شغل بعينه فحمل عليهم المسلمون
فهزموهم فذلك قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اعلم الله ان كفا من التراب لا يملأ عيون ذلك
الجيش برميه بشر لكنه تعالى تولى ايصال ذلك الى ابصارهم من الموضع الذي كان فيه النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اصاب عيني كل واحد منهم قسط من ذلك التراب قوله تعالى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا اي ولينعم
على المؤمنين بالنصر والغنيمة والابتلاء هنا نعمة حسنة وقوله تعالى ان الله سميع عليم اي سميع لدعائكم عليم
بنياتكم وضمائركم قوله عز وجل ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين اي ذلكم الذي ذكرت لكم من القتل
والرمي والابلاء الحسن وان الله اي واعلموا ان الله وفي فتح ان من الوجوه مثل ما في قوله وان للكافرين عذاب النار
وقد بيناه وقوله تعالى وان الله موهن كيد الكافرين اي مضعف كيدهم. قرأ اهل الكوفة الا حفصا
ويعقوب وابن عامر موهن بالتخفيف والتنوين كيد بالنصب. وقرأ الحسن والاعمش وحفص موهن كيد بتخفيف
الخبر طلبا للخفة كقوله مرسلوا الناقة كاشفوا العذاب قوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح هذا
خطاب للكافرين وذلك ان ابا جهل قال يوم بدر قبل القتال اللهم انصر اعز الجندين واكرم الفئتين وخير
الدينين اللهم اينا اقطع للرحم وافسد للجماعة فاحنه اليوم فاستجاب الله دعاءه على نفسه واتاه بالفتح ونصره

اي النصر اعز ومعلا واجاب عليه ابن مسعود وقال السدي والكلبي كان المشركون حين خرجوا الى بدر تعلقوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم اعل الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين اللهم اي الفئتين
احب اليك فانصرهم اللهم انصر بيننا وبينهم فانزل الله هذه الآية ان تستنصروا فقد جاءكم النصر بنصر محمد صلى
الله عليه وسلم وقال عكرمة قال المشركون اللهم لا نعرف ما جاء محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فانزل الله
هذه الآية ان تستحكموا فقد جاءكم الحكم وان تستقضوا فقد جاءكم القضاء قوله تعالى وان تنتهوا فهو خير
لكم اي وان تنتهوا عن الشرك والمعاصي فهو خير لكم وان تعودوا الى القتال نعد بان نأمر المسلمين بقتالكم
ونصرهم عليكم. وقال بعضهم هذه الآية خطاب للمؤمنين اي ان تستنصروا الله وتسألوه الفتح فقد جاءكم
الفتح والنصر وان تنتهوا عن فعلكم في الاسارى والفداء يوم بدر فهو خير لكم. وان تعودوا الى فعلكم بالاسارى
نعد الى الانكار عليكم ولن تغني عنكم فئتكم شيئا اي وان تنزل عنكم النصر حتى لا تغني عنكم جماعتكم شيئا ولو
كثرت في العدد قوله تعالى وان الله مع المؤمنين قرأ نافع وابن عامر وان الله بفتح ان بمعنى
ولان الله وقيل عطف على قوله وان الله موهن كيد الكافرين وقيل معنى واعلموا ان الله وقرأ الباقون
وان الله بالكسر على الابتداء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لان في قراءة عبد الله والله مع المؤمنين بالنصر والمعونة
قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون اي اطيعوا الله
ورسوله في امر الغنيمة وغيرها ولا تولوا عن امر الله وانتم تسمعون ما انزل الله تعالى وقال الحسن معناه وانتم
تسمعون الحجة في وجوب طاعة الله وطاعة رسوله. وانما خص المؤمنين بالامر لهم بالطاعة وان كانت
هذه الطاعة واجبة على غير المؤمنين لوجوبها على المؤمنين ولاحد معنيين اما اجلالا لهم ورفعا لقدرهم
فدخل غيرهم في الخطاب على جهة التبع لهم واما لانه لم يعتد بغير المؤمنين لاعراضهم عنها وجب عليهم
قوله تعالى ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اي لا تكونوا كالذين قالوا سمعنا على جهة
القبول وهم لا يسمعون للقبول وانما سمعوا به للرد والاعراض عنه ويقال معناه ولا تكونوا كالذين قالوا
قبلنا وهم لا يقبلون ومنه قوله سمع الله لمن حمده اي قبل الله حمد من حمده. واختلفوا فيمن نزلت هذه
الآية قال ابن جريج نزلت في المنافقين وقال الحسن في اهل الكتاب ويقال في مشركي العرب قوله عز وجل
ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون معناه ان شر الخليقة على وجه الارض الكفار
الذين لا يسمعون الهدى ولا يتكلمون بالخير ولا يتدبرون القرآن وسماهم صما بكما لانهم لم ينتفعوا بما يسمعون
من كلام الله تعالى قال الاخفش كل محتاج الى غذاء فهو دابة ومعنى الآية ان شر ما دب على وجه الارض
من خلق الله تعالى الصم البكم عن الحق فهم لا يسمعونه ولا يعقلونه وقيل هم القلوب وعميها قال الله تعالى فانها
لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم اي
لو علم الله فيهم انهم يصلحون بما يورده عليهم من الحجج والآيات لاسمعهم اياها وقيل لاسمعهم جواب كل ما سألوه
عنه ولبين لهم كل ما يختلج في نفوسهم قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم
لما يحييكم معناه اجيبوا الله ورسوله وقيل معنى الاجابة طلب الموافقة للداعي على وجه الطاعة
وقيل الجمع بين الاستجابة لله وللرسول اي استجيبوا لله بسرائركم وللرسول بظواهركم وقوله تعالى اذا دعاكم
لما يحييكم اي اذا دعاكم الى العلم الذي يحييكم في امر الدين. وقيل معناه اذا دعاكم الى الجهاد الذي يحيي امركم
وقيل اذا دعاكم الى ما يكون سببا للحيوة الدائمة في نعيم الاخرة لانه اذا حصل الامتثال لامر الله ورسوله حصلت
هذه الحيوة الدائمة وان لم يحصل الامتثال ادى ذلك الى العقاب الذي يتمنى معه الموت وقال القتيبي في قوله
تعالى لما يحييكم يعني الشهادة لان الله تعالى قال في الشهداء بل احياء عند ربهم يرزقون واللام في قوله لما بمعنى
الى قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فيه ثلاثة اقوال احدها ان معناه يحول

بين المرء وأمله بالموت أو غيره من الآفات فبادروا بالطاعات قبل الحيلولة ودعوا التسويف فإن الأجل يحول
دون الأمل . وقال مجاهد يحول بين المرء وقلبه لا يتركه يفهم ولا يعقل . والثاني أن معناه أن الله تعالى
أقرب إلى ذي القلب من قلبه فإن الذي يحول بين الشيء وغيره أقرب إلى ذلك الشيء من غيره كما قال تعالى
أقرب إليه من حبل الوريد وفي هذا تحذير شديد . والثالث أن معناه أن الله تقلب القلوب من حال إلى حال
كما جاء في الدعاء يا مقلب القلوب . وقال ابن جبير يحول بين الكافر أن يؤمن وبين المؤمن أن يكفر . وقال ابن
عباس والضحاك يحول بين المؤمن ومعصيته وبين الكافر وطاعته . وقال السدي يحول بين المرء وقلبه فلا
يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه . وقرأ الحسن يحول بين المر بتشديد الراء من غير همز . وقرأ الزهري بضم
الميم والهمز وهي لغات صحيحة قوله تعالى وأنه إليه تحشرون عطف على قوله أن الله يحول بين المرء وقلبه
ومعناه واعلموا أن محشركم في الآخرة إلى الله فيجزي كل عامل بما عمل إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر
وقيل في آخر الآية تأويل الآية أي الذي يحول بين المرء وقلبه قادر على أن يبدل خوفكم أمنا وأمن عدوكم
خوفا فيجعل القوي ضعيفا والضعيف قويا والعزيز ذليلا والذليل عزيزا والشجاع جبانا والجبان شجاعا
يفعل ما يريد فأجيبوا الرسول في الجهاد ولا تخافوا ضعفكم قوله عز وجل واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة نزلت في عثمان وعلي رضي الله عنهما أخبر الله النبي صلى الله عليه وسلم بالفتنة التي
تكون بسببهما أنها ستكون بعدك يلقاها أصحابك يصيب الظالم والمظلوم ولا تكون بالظلمة وحدهم خاصة
ولكنها عامة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أصحابه فكان من بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن
بين علي وعثمان رضي الله عنهما ما لا يخفى على أحد قوله تعالى لا تصيبن جواب الأمر بلفظ النهي كما تقول انزل عن
الدابة لا تطرحك ولا تطرحنك فإذا أتيت النون الخفيفة أو الثقيلة كان آكد للكلام ومثله قوله تعالى
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده والمراد بالفتنة البلاء الذي يكون الناس فيه الظلم وقال
الله أمر باتقاء الإنكار على أهل المعاصي واتقاء الاختلاط بأهل المعصية قال ابن عباس أمر الله المؤمنين
أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب قوله تعالى واعلموا أن الله شديد العقاب يعني
شديد العقوبة لمن أهاج الفتن قال صلى الله عليه وسلم الفتنة راتعة في بلاد الله واضعة خطامها
فالويل لمن أهاجها وفي بعض الأخبار الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها قوله تعالى واذكروا إذ أنتم قليل
مستضعفون في الأرض نزلت في المهاجرين خاصة أي احفظوا معشر المهاجرين إذ أنتم قليلون في العدد
مستضعفون في أرض مكة تخافون أن يتخطفكم الناس أي يختلسكم ويذهب بكم أهل مكة فآواكم
إلى المدينة وأيدكم بنصره يوم بدر بالملائكة ورزقكم من الطيبات الحلال من الغنائم لعلكم تشكرون الله ونعمه
فتطيعوه قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون نزلت
في أبي لبابة بن عبد المنذر فإن بني قريظة قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابعث لنا حلفاءنا من حلفائك ننزل على
حكمه فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا ينزلوا إلا على حكم سعد بن معاذ وكانوا يقولون أرسل إلينا أبا
لبابة وكان عياله وولده وأهله عندهم فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فقالوا يا أبا لبابة أننزل على حكم
سعد بن معاذ فأشار بيده إلى حلقه أي إنه الذبح فلا تفعلوا ولم تكلم بلسانه فأنزل الله هذه الآية قال
أبو لبابة فما زالت قدماي من مكانهما حتى علمت أني خنت الله ورسوله فذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا
الله والرسول كما فعل أبو لبابة فلما نزلت هذه الآية شد أبو لبابة نفسه على سارية من سواري المسجد وقال
لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاما ولا شرابا حتى
خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فحله بيده فقال أبو لبابة إن من تمام توبتي أن أهجر
دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي فقال صلى الله عليه وسلم يجزئك الثلث أن تصدق به

ابن عباس ومعنى الآية لا تخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سنته وتخونوا أماناتكم أي ولا تخونوا أماناتكم
نصب على الظرف أي أنكم إن فعلتم ذلك فإنما تخونون أماناتكم وقيل أراد بقوله لا تخونوا الله الخيانة من الغنائم
لأنها عطية الله والخيانة لله فيها خيانة للرسول أيضا لأنه كان القيم بقسمها وقوله وتخونوا أماناتكم يحتمل الخيانة
في الغنائم أيضا لأنهم كلهم مشتركون فيها فمن أخذ شيئا منها فقد خان ويحتمل الخيانة في أمانات بعض الناس لبعض من
حقوق وأنفسهم . وقال الأخفش قوله تعالى وتخونوا أماناتكم عطفا على ما قبله من النهي تقديره ولا تخونوا أماناتكم
قوله تعالى واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة معناه أن الإنسان ربما يترك الجهاد ويخون في
الأمانة لأجل الأولاد وحرصا على المال وقد روينا أن أبا لبابة إنما حمله على فعل ما فعل أهله وولده الذين
كانوا في بني قريظة لأنه إنما نصحهم لأجلهم وخان المسلمين بسببهم قوله تعالى وأن الله عنده
أجر عظيم أي ثواب جسيم في الآخرة لمن لم يعص الله لأجل المال والذرية قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا
إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم أي إن تتقوا الله في الأمانات فتمتنعوا
من معاصيه بأداء فرائضه يجعل لكم نورا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل وقيل يجعل لكم فتحا ونصرا
كما قال تعالى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان أراد به يوم بدر فإنه أعز فيه المؤمنين وخذل الكافرين . وقيل معناه يجعل
لكم مخرجا ونجاة في الدنيا والآخرة وقال الضحاك فرقانا أي بيانا قوله تعالى ويكفر عنكم سيئاتكم أي يمحو عنكم ذنوبكم
ويستر عليكم خطاياكم ولم يؤاخذكم بها والله ذو الفضل العظيم أي عظيم الفضل على عباده إذ أنعم بالنعم
قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ذكر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
بعض ما أنعم الله عليه من النصر والظفر يوم بدر بما كان من مكر المشركين في أمره بمكة فقال وإذ يمكر بك الذين كفروا
أي اذكر تلك الحالة . قال ابن عباس وذلك أن رؤساء قريش اجتمعوا في دار الندوة يمكرون برسول الله صلى الله عليه
وسلم ويحتالون له منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأبو سفيان والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام
ونبيه ومنبه وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ كبير عليه ثياب أطمار فجلس بينهم
فقالوا ما لك يا شيخ دخلت في خلوتنا بغير إذننا فقال أنا رجل من أهل نجد قدمت مكة فرأيتكم حسنة وجوهكم
طيبة ريحكم فأحببت أن أسمع حديثكم فأقتبس منكم خيرا فدخلت وإن كرهتم مجلسي خرجت وما جئت إلا أني سمعت
باجتماعكم فأردت أن أحضر معكم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقالوا هذا رجل لا بأس عليكم منه فتكلموا فيما بينهم فبدأ
عمرو بن هشام فقال أما أنا فأرى أن تأخذوا محمدا فتجعلوه في بيت تسدون عليه بابه وتشدون عليه وثاقه وتجعلون
له كوة تدخلون عليه منها طعامه وشرابه فيكون محبوسا عندكم إلى أن يموت فقال إبليس ما رأيت تعمدون إلى رجل
له في قلبه أهل بيته وقد سمع به من حولكم فتحبسونه يوشك أن يقاتلكم أهل بيته وتفسدوا عليكم جماعتكم فقالوا صدق
والله الشيخ ثم تكلم أبو البختري فقال أرى أن تحملوه على بعير فتشدوا وثاقه عليه ثم تخرجوه من أرضكم حتى
يموت أو يذهب حيث شاء فقال إبليس بئس الرأي ما رأيت تعمدون إلى رجل أفسد جماعتكم ومعه منكم طائفة فتخرجونه
إلى غيركم فيأتيهم فيفسد أيضا أناسهم جماعة بما يرون من حلاوة كلامه وطلاقة لسانه وتجمع إليه العرب وتستمع
إلى حسن حديثه ثم ليأتينكم بهم فيخرجوكم من دياركم وتقتل أشرافكم فقالوا صدق والله الشيخ فتكلم أبو جهل
فقال أرى أن تجتمع من كل بطن منكم رجل ويأخذون السيوف فيضربونه جميعا ضربة رجل واحد فإذا قتلتموه
تفرق دمه في القبائل كلها فلا تدري قومه من يأخذون ولا يقومون على حرب قريش كلها وإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا
الدية فتؤدي قريش ديته واسترحنا فقال إبليس صدق والله الشاب وهو أجودكم رأيا القول قوله لا أرى
غيره فتفرقوا على ذلك فنزل جبريل عليه السلام وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وأمره أن لا يبيت في
مضجعه الذي كان يبيت فيه وأمره الله بالهجرة إلى المدينة وكان من أمر الغار ما كان فذلك قوله تعالى وإذ
يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أي ليشدوك وثاقا أو يخرجوك قوله تعالى أو يقتلوك ظاهر المعنى ونحو ما قال أبو

جهل ثم قوله أو يخرجوك أي من بين أظهرهم وهو ما قال البحتري وابن هشام قوله تعالى ويمكرون ويمكر
الله والله خير الماكرين أي يريدون بك الشر والهلاك ويمكر الله أي يريد قتلهم ببدر مجازاة لهم على
فعلهم وسوء صنيعهم وقوله تعالى والله خير الماكرين أي أفضل الصانعين وأقوى المدبرين لأنه لا يمكر إلا بحق
وصواب ومكرهم باطل وظلم قوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن
هذا إلا أساطير الأولين يعني النضر بن الحرث وذلك أنه كان يختلف تاجرا إلى فارس والحيرة فيسمع سجع أهلها
وذكرهم أخبار العجم وغيرهم من الأمم ويمر باليهود والنصارى فيراهم يقرؤون التوراة والإنجيل فجاء مكة فوجد
محمدا يقرأ القرآن فقال قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين أي أخبار الأمم الماضية
وأسماؤهم وكان النضر يقول إن هذا الذي يحدثكم به محمد إنما هو الأمثل الذي أحدثكم به من أحاديث الأولين وكان
النضر كثير الحديث عن الأمم الخالية قوله عز وجل وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم نزلت في النضر بن الحرث أيضا قال لو شئت لقلت مثل هذا إن
هذا إلا في كتبهم ثم قال اللهم إن كان هذا الذي يقوله محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها
على قوم لوط أو ائتنا ببعض ما عذبت به الأمم وقيل نزل سأل سائل بعذاب واقع وكان النضر من بني عبد الدار وقوله
الآية واذكر يا محمد إذ قالوا اللهم وأنت بين أظهرهم بمكة فلم يعذبهم الله حينئذ وعذبهم من بعد فأسر النضر يوم
بدر وقتل صبرا وكان الذي أسره المقداد بن الأسود وقوله تعالى هو الحق من عندك هو عماد وتوكيد
في الكلام والحق نصب خبر كان قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون قال ابن عباس قال الحرث بن عامر بن نوفل يا محمد والله إنك فينا لصادق ولأنه بمكة وكنا
نؤمن بك عيرنا العرب فنزل وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم أي مقيما بين أظهرهم ولم تعذب أمة قط ونبيها
بين أظهرها حتى يخرج منها وما كان الله معذبهم أي وما كان الله ليسلط عليهم عدوهم وهم يستغفرون أي يصلون
قوله تعالى وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام يعني عذاب الآخرة وعن عبد الرحمن
بن أبزى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فنزل وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فنزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وكان من المسلمين بقية بمكة
لم يهاجروا وكانوا يستغفرون الله ويصلون فلما خرج كفار مكة إلى حرب بدر نزل قوله وما لهم ألا يعذبهم
الله وهم يصدون عن المسجد الحرام أي يمنعون المؤمنين عنه فعذبهم الله يوم بدر قوله تعالى وما كانوا
أولياءه إن ما كان الكفار أولياء المسجد الحرام قال الحسن وذلك أنهم كانوا يقولون نحن أولياء المسجد الحرام
فرد الله ذلك عليهم وقيل معناه وما كانوا أولياء الله قوله تعالى إن أولياؤه إلا المتقون أي ما أولياء
الله وقيل ما أولياء المسجد الحرام إلا المتقون الشرك ولكن أكثر الكفار لا يعلمون ذلك قوله عز وجل
وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية يعني أن تقرب المشركين إلى الله كان بالصفير والتصفيق
كانوا يفعلون ذلك عند البيت مكان الدعاء والتسبيح وقيل كانوا يأتون بأفعال الصلوة إلا أنهم مع ذلك يصفرون فيها
ويصفقون والمكاء طائر أبيض يكون في الحجاز يصفر فسمي بصوته باسمه ويقال مكا يمكو إذا صفر وصدى يصدي تصدية
إذا صفق بيده وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى في المسجد الحرام قام رجلان من بني عبد الدار
عن يمينه ورجلان عن يساره فيصفرون كما يصفر المكاء ويصفقون بأيديهم ليخلطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلوته
وقراءته وكانوا يفعلون كذلك بصلوة من آمن به فقتلهم الله يوم بدر وذلك قوله تعالى فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون ويقال إن المراد بهذا أن يقال لهم يوم القيمة فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وقال أبو
جعفر سألنا أبا سلمة عن قوله تعالى إلا مكاء وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقال ابن عباس كانت
قريش تطوفون بالبيت عراة ويدخلون أصابعهم في أفواههم يصفرون ويصفقون قوله تعالى إن الذين كفروا ينفقون

أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون نزلت هذه الآية في المطعمين
يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا وهم أبو جهل وأخوه الحرث والنضر بن الحرث وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود
وعتبة وشيبة كان لكل واحد منهم نوبة يوم في الإطعام ومعنى الآية إن الذين كفروا ينفقون أموالهم على
عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصدوا الناس عن دين الله فسيقع هذا الإنفاق منهم ثم يكون إنفاقهم
ندامة عليهم يوم القيمة ثم يموتون ولم يتلوهم ثم يبدل بما نفعهم نفقتهم والحسرة مأخوذ من الكشف يقال حسر
إذا كشفه والحاسر كاشف الرأس فيكون المعنى ثم ينكشف لهم عن ذلك ما يكون حسرة عليهم وكان يطعم كل واحد منهم
كل يوم عشر جزر قوله تعالى والذين كفروا إلى جهنم يحشرون بيان أن ذلك القتل والهزيمة لهم وإن
ذلك لهم وأنهم يحشرون في الآخرة إلى جهنم للجزاء وقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب أي ليميز الله نفقة
المؤمنين من نفقة الكافرين والعمل السيء من العمل الصالح وقرئ ليميز الله بالتشديد والمعنى ليميز الله بذلك الخبيث
من الطيب أي الكافر من المؤمن فيدخل المؤمن الجنان والكافر النيران قوله تعالى ويجعل الخبيث بعضه على بعض
أي يجعل ما أنفقه المشركون في معصية الله بعضه فوق بعض فيجعله ركاما فيكوى بذلك جباههم وجنوبهم في
جهنم وقيل أراد بقوله فيركمه جميعا طرح بعضه فوق بعض كما يفعل بالمتاع الخفيف تحقيرا له وقيل معنى
فيركمه أي يجمعه حتى يصير كالسحاب المركوم وهو المجتمع الكثيف فيجعله في جهنم وقوله تعالى أولئك هم
الخاسرون أي هم الذين خسروا أنفسهم في الدنيا والآخرة وغبنت صفقتهم وخسرت تجارتهم لأنهم اشتروا بأموالهم
عذاب الله في الآخرة قوله عز وجل قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف أي قل لأبي سفيان وأصحابه
إن ينتهوا عن الشرك وقتال محمد صلى الله عليه وسلم يغفر لهم ما قد سلف أي ما قد مضى من ذنوبهم قبل الإسلام •
وإن يعودوا إلى القتال محمد فقد مضت سنة الأولين في نصر الأنبياء والأولياء وهلاك الكفار وإن كفروا
النار في الآخرة وأنشد بعضهم • يستوجب العفو الفتى إذا اعترف • ثم انتهى عما أتاه واقترف • لقوله
قل للذين كفروا • إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف • قوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة أي قاتلوا
كفار مكة حتى لا يكون شرك وقيل حتى لا يكون كافر بغير عهد لأن الفتنة إنما تكون بأن يترك الكفار لا عهد وإن
الكافر بغير عهد يكون عزيزا في نفسه يدعو الناس إلى دينه ويجوز أن يكون المراد بالفتنة كل ما يؤدي إلى الفساد
وقوله تعالى ويكون الدين كله لله أي ويكون الطاعة كلها لله فيجتمع الناس على دين الإسلام وقوله
تعالى فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير أي فإن انتهوا عن الشرك فإن الله يجازيهم جزاء البصير بأعمالهم
وإن تولوا أي أعرضوا عن طاعة الله فاعلموا أن الله مولاكم أي ناصركم نعم المولى أي نعم الحافظ
ونعم النصير ينصركم عليهم قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول حتى الخيط
والمخيط قال ابن عباس كان خمس الغنيمة يقسم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم سهم لله ورسوله
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي منه الحاج والضعيف ويجعله في غزاة المسلمين من السلاح ونحوه وسهم
لذوي قرابة النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ليتامى المسلمين عامة وسهم لمساكين المسلمين وسهم لابن السبيل ثم
قسمه أبو بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أسهم اليتامى والمساكين وابن السبيل وكذلك فعل
عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وبهذا أخذ أبو حنيفة وأصحابه قالوا إن قوله لله خمسه افتتاح الكلام
باسمه على طريق التبرك لا لأن لله نصيبا من الخمس فإن الدنيا والآخرة كلها لله سبحانه وسهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم سقط بموته لأن الأنبياء عليهم السلام لا يورثون وسهم ذوي القرابات كان يحمل النبي صلى الله عليه وسلم
لبعضهم في نصرتهم ألا ترى أنه أعطى بني هاشم وبني المطلب وحرم بني نوفل وبني عبد شمس مع أنهما بني
عبد المطلب في القرب لأن بني هاشم لم يفارقوه في جاهلية ولا إسلام وإذا ظهر أن الأسهم بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم رجعنا إلى السهام الثلاثة التي ذكرت معهما فيقسم الخمس على ثلاثة أسهم ويدخل في استحقاقه فقراء

بني هاشم دون أغنيائهم بدلاً عما حرموا من الصدقات وأربعة أخماس الغنيمة للغانمين واليتيم كل حي من الحيوان
الذي ماتت أمه إلا ابن آدم فإنه الذي مات أبوه والمسكين الذي أضعف عن النهوض لحاجته وابن السبيل
المنقطع عن ماله. وقال بعضهم يقسم الخمس الآن على أربعة أسهم فيرد سهم من الخمس لفقراء قرابة النبي صلى الله
عليه وسلم. وقال الشافعي يقسم الخمس الآن على خمسة أسهم سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف إلى الإمام
وإلى مصالح المسلمين. ومن أصحابه من قال يصرف إلى الخليفة. وسهم ذوي قرابة النبي صلى الله عليه وسلم
لأغنيائهم وفقرائهم وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل قوله تعالى إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا
على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان معناه اقبلوا ما أمرتم به في الغنيمة إن كنتم صادقين بتوحيد الله
وبما أنزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وقوله تعالى يوم الفرقان أي يوم بدر فرق فيه بين الحق والباطل
بنصر المؤمنين وكبت الكافرين مع ضعف المسلمين وقلتهم. وقوله تعالى يوم التقى الجمعان أي جمع المؤمنين وجمع الكافرين
والله على كل شيء قدير من نصر المؤمنين وغير ذلك قوله عز وجل إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة
القصوى والركب أسفل منكم أي اذكروا يا أصحاب محمد إذ كنتم بالعدوة الدنيا منكم أي شفير الوادي الذي إلى المدينة
يقال لشفير الوادي عدوة وعدوة وهم بالعدوة القصوى يعني المشركين بالجانب الآخر من الوادي على شفيره
من المدينة وهو الجانب الذي يلي مكة. قوله تعالى والركب أسفل منكم أي والعير القافلة من الشام التي مع
أبي سفيان فيها كانت أسفل منهم بثلاثة أميال كانوا نازلين بأسفل الوادي قوله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم
في الميعاد أي إن الله جمعكم مع المشركين وأصحاب العير في ليلة واحدة بمنزل واحد ولو تواعدتم للاجتماع
لاختلفتم في الميعاد للعوائق التي تعوق عن ذلك ولأنكم لو كنتم تعلمون كثرة عدد المشركين وقلة عددكم لم تحضروا ذلك
المكان للقتال. قوله تعالى ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا أي ولكن قدر الله اجتماعكم في ذلك المكان ليقضي
الله أمرا كائنا لا محالة من إعزاز الإسلام وإعلائه على سائر الأديان قوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة
أي ليموت من مات منهم بعد قيام الحجة عليهم ويعيش من عاش بعد قيام الحجة عليهم وإن الله لسميع لمقالتكم
عليم بضمائركم يجازيكم على قدر أعمالكم. قرأ أهل مكة والبصرة بالعدوة بكسر العين وقرأ الباقون بضمها وهما لغتان
مشهورتان كالرشوة والرشوة. وكذلك قوله تعالى من حيي عن بينة قرأ نافع والبزي وخلف حيي بياءين
بإظهار على الأصل وقرأ الباقون بياء واحدة مشددة على الإدغام. ومعنى ليهلك من هلك عن بينة أي ليموت
من مات عن بينة رآها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه وكذلك حياة من يحيى لوعده وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا. قوله عز وجل إذ يريكهم الله في منامك قليلا قال ابن عباس وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم
رأى العدو في المنام قليلا فقص رؤياه على أصحابه فلما التقوا ببدر قلل الله المشركين في أعين المؤمنين تصديقا
لرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ولو أراكهم كثيرا لفشلتم أي لجبنتم وتأخرتم عن الصف ولاختلفتم وأمر
والفشل هو الضعف مع الوجل قوله تعالى ولتنازعتم في الأمر التنازع أن يحاول كل واحد من الاثنين
أن ينزع صاحبه مما هو عليه ولكن الله سلم أي سلمكم من ذلك إنه عليم بذات الصدور أي بما في قلوبكم
أنكم لو علمتم كثرة العدد المشركين لرغبتم عن القتال قوله تعالى وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا
ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وذلك أن الله تعالى قلل المشركين في أعين المسلمين ليجترئ
المسلمون على قتالهم وقلل المسلمين في أعين المشركين لئلا يستعد المشركون لحربهم كل الاستعداد. روي عن عبد الله
بن مسعود أنه قال قلت لرجل بجنبي أتراهم سبعين رجلا قال أراهم مائة فلما أسرنا رجلا منهم سألناه
عن عددهم قال كنا ألفا وتسعماية وخمسين قوله تعالى ليقضي الله أمرا كان مفعولا قد تقدم تفسيره والفائدة
في إعادته أن المراد بالأول إعلاء الإسلام على سائر الأديان وبالثاني قتل المشركين والفائدة في إعادته ويوم
يوم بدر وكلاهما كان كائنا في علم الله قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله

كثيرا لعلكم تفلحون أي إذا لقيتم جماعة من الكفار فاثبتوا لقتالهم واذكروا الله كثيرا في الحرب
بالدعاء والاستغفار لكي تفلحوا بالظفر على الأعداء قوله تعالى وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا
أي أطيعوا الله ورسوله في الثبات على القتال ولا تختلفوا فيما بينكم في لقاء العدو والتقدم إلى قتالهم فتجبنوا
من عدوكم وتذهب ريحكم قال قتادة يعني ريح النصر التي بعثها الله مع من نصره الله كما قال عليه
السلام نصرت بالصبا. وقيل معناه وتذهب دولتكم وقوتكم. وقال مجاهد وتذهب نصرتكم. وقال السدي جرأتكم
وحدتكم وجلدكم قوله تعالى واصبروا أي اصبروا على قتال المشركين ولا تولوهم الأدبار إن الله مع
الصابرين بالنصرة والمعونة قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا بطرا ورئاء الناس أي قاتلوا لوجه الله
ولا تكونوا في خروجكم إلى قتال المشركين كالمشركين الذين خرجوا من ديارهم إلى قتال المسلمين بطرا والبطر هو
الطغيان في النعمة ورئاء الناس والرياء هو إظهار الجميل مع إبطان القبيح ويصدون عن سبيل الله أي
هم مع بطرهم وريائهم يمنعون الناس عن دين الله قال ابن عباس وذلك أن بعض المشركين قالوا لأبي جهل وأصحابه
قبل وصولهم إلى بدر ارجعوا إلى مكة فقد نجت العير فقالوا لا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور وتغني القينات
وتسمع العرب بمسيرنا فلما أتوا بدرا ومعهم القينات يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين فسقاهم الله
بقتلهم المنايا مكان الخمور وناحت عليهم النوائح مكان القينات فنهى الله المؤمنين أن يكونوا مثلهم وأمرهم بإخلاص
النية والصبر في نصرة دينه ومؤازرة نبيه صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم
يوم بدر وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم أي واذكروا إذ زين لهم الشيطان أعمالهم
يوم بدر وقال لا غالب لكم اليوم من أحد من الناس لمنعتكم وكثرتكم وإني دافع الشر عنكم فلما تراءت الفئتان نكص
على عقبيه أي لما توافقتا رجع الشيطان القهقرى على عقبيه هاربا خوفا مما رأى وقال إني بريء
منكم إني أرى ما لا ترون الملائكة تنزل من السماء وأنتم لا ترون وكان يعرف الملائكة ويعرفونه قوله تعالى إني
أخاف الله أي أخاف أن يصيبني معكم بعذابه والله شديد العقاب لمن استحقه. فإن قيل كيف يقول عدو
الله ما كان به من خوف من الله وأن الله قد أنظره إلى الوقت المعلوم ولكنه خذلهم عند الشدة. قيل ظن
إبليس أن الوقت الذي أنظره الله إليه قد حضر. وعن ابن عباس أن أهل مكة لما وجدوا العير أرادوا الرجوع
فتمثل لهم إبليس في صورة رجل فقال له سراقة بن مالك بن جعشم من بني كنانة فقال لا ترجعوا حتى تستأصلوهم
فإنكم كثير وهم قليل ولا غالب لكم اليوم من الناس وإني مجير لكم من بني كنانة فلا تمرون بأحد من بني كنانة إلا
سار معكم فإنهم لا يخالفوني فسار وسار إبليس معهم ولم يخرج أحد من بني كنانة فجعلوا يقولون يا سراقة أين
ما ضمنت لنا فيقول [illegible] حتى قدموا بدرا فلما كان عند القتال رأى إبليس جبريل فنكص على عقبيه راجعا
فقال الحارث بن هشام يا سراقة أين تذهب فقال إني أرى ما لا ترون فقال الحارث وما نرى إلا جعاسيس
أهل يثرب والجعسوس الرجل القصير فلما رأى الحارث إبليس مطلقا أهوى بيده ليأخذه فدفعه إبليس فرمى به
ثم نكص على عقبيه وهو يقول إني أخاف الله والله شديد العقاب فلما انهزمت قريش جعلوا يقولون
هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقدم عليهم فقال بلغني أنكم تقولون إني هزمت الناس والذي يحلف به
ما بلغني ما تقولون ولا سمعت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فجعلوا يقولون له أما أتيتنا يوم كذا وكذا وهو يقول
لا والذي يحلف به ما كان من ذا قليل ولا كثير فلما أسلموا عرفوا أنه إنما كان من الشيطان. فإن قيل كيف
يجوز أن يتمكن إبليس من أن يخلع صورة نفسه ويلبس صورة سراقة ولو كان قادرا على أن يجعل نفسه في
مثل صورة إنسان لكان قادرا على أن يجعل غيره إنسانا قيل إذا صحت هذه الرواية فالجواب أن الله
خلق إبليس في صورة سراقة والله تعالى قادر على خلق إنسان في مثل صورة سراقة ابتداء وكان قادرا على
أن يصور إبليس في مثل صورة سراقة قوله عز وجل إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض

غرّ هؤلاء دينهم قال الحسن الذين في قلوبهم مرض هم المشركون وقيل هم أناس كانوا قد تكلموا بالكلمة بالإسلام
حين كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة من دون علم منهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون معنى قوله الذين
في قلوبهم مرض أي شك وهم الذين لا عزيمة لهم في الكفر ولا في الإسلام ولم يكونوا أعداء النبي صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى غرّ هؤلاء دينهم قال ابن عباس لما نفر المشركون من مكة إلى بدر ولم يتخلفوا بمكة أحداً قبل
الحلم إلا أخرجوا به وأخرجوا معهم أناساً كانوا قد تكلموا بالإسلام بمكة فلما التقوا ورأوا قلة المسلمين
وكثرة المشركين ارتابوا ونافقوا وقالوا لأهل مكة غرّ هؤلاء دينهم يعنون المسلمين غرهم دينهم حتى قدموا
إلى قتال المشركين مع كثرتهم فقتلوا جميعاً مع المشركين يومئذ وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم كما ذكر الله
بعد هذه الآية قوله تعالى ومن يتوكل على الله أي من يثق بالله في جميع أموره فإن الله عزيز حكيم
ينصره على عدوه وإن كثر عدده حكيم يضع الأمور مواضعها قوله تعالى ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا
الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم أي لو ترى يا محمد حين تقبض الملائكة أرواح الكفار ببدر
يضربون على وجوههم بالأعمدة وعلى أدبارهم ويقولون لهم ذوقوا بعد السيف في الدنيا عذاب الحريق
في الآخرة وقوله تعالى ذلك بما قدمت أيديكم أي ذلك العذاب الذي عاينتموه بكفركم وخيانتكم والجنايات إذا
أضيفت إلى الإنسان أكثرت ذكر اليد في العادة وقوله تعالى وأن الله ليس بظلام للعبيد أي علموا أن الله
لا يعذب أحداً بجرم أحد ولا يعذب أحداً بغير ذنب وموضع أن نصب بنزع الخافض عطفاً على قوله بما قدمت
تقديره وبأن الله وكان الحسن إذا قرأ هذه السورة قال طوبى لجيش بدر هم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومبارزهم أسد الله وجهادهم طاعة الله ومددهم ملائكة الله وثوابهم رضوان الله قوله تعالى كدأب
آل فرعون والذين من قبلهم أي عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون والذين من قبلهم كفروا
بآيات الله التي أتتهم بها الرسل فعاقبهم الله بذنوبهم إن الله قوي في أخذ الأعداء شديد العقاب
لمن عصاه والدأب في اللغة العادة يقال فلان يدأب في كذا وكذا أي يداوم عليه ويتعب نفسه فيه وآل
الرجل الذين يرجعون إليه وكذا من شيابه ولهذا يقال لقرابة الرجل ولأتباعه أصحابه • قال ابن عباس معناه
كفعل آل فرعون • وقال عطاء ومجاهد كسنتهم وقيل كشأنهم يعني أن أهل بدر من المشركين فعلوا كفعل آل فرعون
من الكفر والتكذيب ففعل الله بهم كما فعل بآل فرعون من الهلاك والعذاب قوله تعالى ذلك بأن الله لم يك مغيراً
نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أي لم يفعل الله ذلك العقاب لهم بأن الله لم يك مغيراً نعمة
على قوم بنعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من الدين والنعم إلى أحوال الكفر بجزائهم أن يغيروا النعم كما فعل أهل مكة بعد
أن أطعمهم الله من جوع وآمنهم من خوف وأرسل إليهم رسولاً منهم وأنزل إليهم كتاباً بلسانهم ثم إنهم غيروا هذه
النعم ولم يشكروها ولا عرفوها بأن الله غير الله ما بهم وأهلكهم وعاقبهم ببدر وتدخلهم النار في الآخرة وقال
الكلبي يعني بالآية أهل مكة بعث إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم نعمة وأنعمه الله وتغييرها كفرها وترك شكرها
وقال السدي نعمة الله يعني محمداً أنعم الله به على قريش فكذبوه وكفروا به فنقله الله إلى الأنصار قوله
تعالى وأن الله سميع عليم أي سميع لجميع المسموعات عليم بمصالحكم قوله تعالى كدأب آل فرعون أي عادتهم
في التكذيب بآيات الله كعادة آل فرعون والذين من قبلهم من الأمم الماضية كذبوا بآيات ربهم التي جاءتهم بها الرسل
فأهلكهم الله بذنوبهم وأهلكنا آل فرعون بالغرق حتى وكل هؤلاء كانوا ظالمين لأنفسهم
مستحقين العقوبة بسوء أعمالهم فإن قيل لم كرر كدأب آل فرعون قيل المراد بالأول أن هؤلاء جازاهم الله بالأسر
والقتل كما جوزي أولئك بالغرق والهلاك والمراد بالثاني أن صنع هؤلاء في النعم التي أنعم الله عليهم كصنع آل فرعون
فيما أعطاهم الله من الملك والعز في الدنيا فلما غير كل فريق النعم غير الله سبحانه ما بهم قوله تعالى إن شر الدواب
عند الله الذين كفروا أي إن شر ما يدب على الأرض الذين جحدوا توحيد الله ورسوله مصرين

على الكفر فهم لا يؤمنون قوله تعالى الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة
نزلت في يهود بني قريظة عاهدهم النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا يضروا به ولا يعينوا عليه عدواً فنقضوا
العهد وأعانوا أهل مكة بالسلاح على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم مرة
أخرى فنكثوا ومال كعب بن الأشرف إلى أهل مكة ووافقهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عاهدت
منهم أي معهم قوله تعالى وهم لا يتقون أي لا يخافون الله في نقض العهد قوله تعالى فإما تثقفنهم
في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون معناه فإما تصادفنهم في الحرب فافعل بهم فعلاً من
القتل والعقوبة والتنكيل يفرق منهم من وراءهم من أعدائك والتشريد التبديد والتفريق ويقال معنى شرد أي سمّع
بهم بلغة قريش • وقال ابن عباس شرد بهم أي نكّل بهم من وراءهم • وقال ابن جبير أنذر بهم من خلفهم وقيل
لعلهم فلا يتكون عنك من وراءهم وقيل أثخن فيهم القتل حتى يخاف غيرهم من أهل مكة وأهل اليمن وقال القتيبي
سمّع بهم • وقرأ ابن مسعود فشرّذ بالذال المعجمة وهما واحد • وقال قطرب التشريذ بالذال التنكيل وبالدال التفريق
وقوله تعالى لعلهم يذكرون أي لكي يعتبروا فلا ينقضوا العهد الذي بينك وبينهم مخافة أن يحل بهم مثل ما
حل ببني قريظة قوله عز وجل وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء أي إذا خفت من قوم
بينك وبينهم عهد خيانة في ذلك العهد من غدر بالمسلمين أي علمت أنهم يفعلون ذلك بالمسلمين خفية من غير أن
تظهر ونقض العهد فانبذ العهد إليهم على سواء لكي تكونوا منهم في العلم ولا تبادرهم بالقتال من قبل أن تعلمهم إعلاماً
بيناً بأنك نقضت العهد والمعنى أما تعلمن يا محمد من قوم معاهدين لك نكث عهد ونقض عهد تظهر لك منهم من
الغدر والخيانة كلما ظهر لك من بني قريظة والنضير فانبذ إليهم أي فاطرح إليهم عهدهم على سواء أي أخبرهم
وأعلمهم قبل حربك أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تصيروا أنت وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب
فيأخذوا للحرب أهبتها وتبرأ من الغدر وقوله تعالى إن الله لا يحب الخائنين أي لا يرضى عمل الذين يخونون
بالبداية بالقتال من غير إعلام بنقض العهد قوله عز وجل ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون
أي لا يظنن يا محمد أن من أفلت من الكفار من هذه الحرب قد سبقوا إلى الحياة • وقال آخرون لا يحسبن يا محمد
أن أعداك من المشركين فاتوا ونكبوا بأن لا نظفر بهم إلا الله عز وجل بهم بل الله تعالى يظهرك عليهم وتظفرك وقرأ
أبو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص بالياء على معنى لا يظنن هؤلاء المشركون أن من مات منهم فقد فات من
الله عز وجل وأن لا يبعثه يوم القيمة ولا يعاقبه • وقرأ أهل الشام إنهم لا يعجزون بالفتح ويكون لا صلة تقديره
ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون أي لا يفوتون وقيل معناه لأنهم وقرأ عامة القراء بالكسر
على الابتداء • وقوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة أي أعدوا للكفار ما استطعتم من آلات
الحرب • وعن ابن عباس وعقبة بن عامر قالا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وأعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ثم قال ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي فهو المؤمن في الخلاء وقوته عند اللقاء ومات عقبة
فأوصى بسبعين قوساً مع كل قوس سهامها في سبيل الله وقال عقبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله
ليدخل الثلاثة الجنة بسهم واحد صانعه يحتسب في صنعته الخير والمهدي له والرامي به وقال عليه السلام
كل شيء يلهو به الرجل باطل إلا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته أهله فإنهن من الحق قوله تعالى
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم معناه
ربط الخيل لهم ولقتالهم أي أعدوا لهم ذلك لتخوفوا به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم أي من دون
كفار العرب وأهل الكتاب لا تعلمونهم أي لا تعرفونهم قال ابن عباس يعني كفار الجن قال صلى الله عليه وسلم
لا يقرب صاحب فرس جني أبداً وقال إن الجن لا يدخل بيتاً فيه فرس ولا سلاح • وقال السدي أراد به
أهل فارس • وقال الحسن هم المنافقون • وقال الضحاك هم الشياطين ولا يمتنع أن يكون الكل مراداً بالآية

قوله تعالى وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم أي وما تنفقوا من شيء في الجهاد يوف لكم ثوابه
وأنتم لا تظلمون أي لا ينقص شيء من أجركم قوله تعالى وإن جنحوا للسلم فاجنح لها معناه فإن مالوا يعني
قريظة إلى الصلح فمل إليهم وصالحهم فكان هذا قبل نزول براءة ثم نسخ بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وبقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله والسلم والسلم بالخفض والنصب فإنما قال فاجنح لها لأن السلم والسلامة
بمعنى واحد فرد الكناية إلى المعنى قوله تعالى وتوكل على الله أي ثق بالله تعالى إن نقضوا العهد إنه
هو السميع لما تقولون العليم بما تفعلون قوله تعالى وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله معناه إن
يرد الذين يطلبون منك الصلح أن يخدعوك بإظهار الصلح ليكف عنهم إلى أن يتقووا بغيرك فإن الله كافيك
خديعتهم وقتالهم هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وهم الأوس والخزرج قوله تعالى وألف بين
قلوبهم أي جمعهم على المودة في الإيمان قوله تعالى لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم أي
ما قدرت على جمع قلوبهم على الألفة ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز في سلطانه لا يقدر أحد على أن يغلبه
ويمنعه على مراده حكيم تضع الأمور مواضعها قوله تعالى يا أيها النبي حسبك الله أي كافيك ومن اتبعك
من المؤمنين وقيل لما أسلم عمر رضي الله عنه نزل يا أيها النبي حسبك الله أي وحسبك من اتبعك من المؤمنين وقيل لما
أسلم عمر رضي الله عنه نزل يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين • قال بعض المفسرين موضع من خفض
عطفا على الكاف في قوله حسبك أي حسبك وحسب من اتبعك الله وقال بعضهم موضعه رفع عطفا على اسم الله
أي حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين قيل إن هذه الآية نزلت حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين نزلت في البيداء
في غزوة بدر قبل القتال قوله تعالى يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال أي رغبهم في القتال والتحريض
الترغيب في الشيء بما تدعوا إليه نحو وعد الثواب على القتال أو التنفيل عليه قوله تعالى إن يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين أي هذا وعد من الله أي تقوى واحد من المسلمين المستقرين في الدين على عشرة
من الكفار ويقوى مائة صابرة محتسبة على ألف من الكفار قوله تعالى بأنهم قوم لا يفقهون أي ذلك النصر
من الله لكم على الكفار وخذلانهم بأنكم تفقهون أمر الله وتصدقون بما وعد من الثواب والكفار لا يفقهون ذلك
ولا يصدقون • قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث المؤمنين على أن يقاتل
الرجل العشرة من الكفار والمائة منهم الألف من الكفار كما أمرهم الله فلما أمر الله المسلمين بقتال الكفار شق ذلك
فرض القتال على المسلمين كما ذكر الله في هذه الآية شق ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى قوله الآن خفف الله
عنكم وعلم أن فيكم ضعفا أي الآن هون الله عليكم القتال الذي افترضه عليكم وسهل الأمر عليكم لتعرفوا
وتشكروا وعلم في الأزل أن في الواحد منكم ضعفا عن قتال العشرة والمائة عن قتال الألف وقيل علم أن فيكم ضعفا
في البصر بأمر الدين • قرأ عاصم وحمزة وخلف ضعفا بفتح الضاد • وقرأ الباقون بضمها أي عجزا عما فرض عليكم
ومن قرأ ضعفا فمعناه شيوخا وضعافا وقرأ أبو جعفر ضعفاء بضم وفتح العين والمد وهمزة من غير تنوين على جمع
ضعيف مثل شركاء قوله تعالى فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين أمر الله بأن الواحد يثبت للاثنين وضمن
له النصر عليهما وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله أي بأمره والله مع الصابرين أي بمعونته
لهم • قال ابن عباس من فر من رجلين فقد فر ومن فر من ثلاثة لم يفر وهذا إذا كان للواحد المسلم من السلاح والقوة
مثل ما لكل واحد من الرجلين الكافرين كان فارا فأما إذا لم يكن لم يثبت حكم الفرار قوله عز وجل ما كان
لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض أي ما كان لنبي أن يكون له أسرى من المشركين فيعديهم أو يمن عليهم
ولكن حتى يتمكن في الأرض من القتال فيقتل منهم قتلا ذريعا ليرتدع من وراءهم والإثخان في كل شيء قوة الشيء
وشدته يقال أثخنه المرض إذا اشتدت قوته عليه وكذلك أثخنته الجراح قوله تعالى تريدون عرض
الدنيا خطاب للذين أسرعوا إلى أخذ الغنائم وشغلوا أنفسهم بذلك عن القتال وذلك أنه لما كان يوم بدر

يجعل

يجعل ناس من المسلمين فأصابوا من الغنائم ومعناه تريدون بالقتال المال وسماه عرضا لقلة لبثه وقوله
تعالى والله يريد الآخرة أي يريد لكم العمل بما تستحقون به ثواب الآخرة والله عزيز أي منيع في
سلطانه حكيم في أمره وقضائه فاعملوا ما أمركم به قوله تعالى لولا كتاب من الله سبق
لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم أي لولا حكم من الله سبق في إباحة الغنائم لمسكم فيما استحللتم قبل الإحلال
عذاب عظيم وقيل لولا كتاب من الله سبق في أهل بدر أن يغفر الله لهم ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر وقيل
معناه لولا حكم الله في اللوح المحفوظ وفي القرآن بأنه لا يعذب قوما حتى يبين لهم ما يتقون لأصابتكم عقوبة
عظيمة • وعن ابن عباس أنه قال في هذه الآية وذلك أنه لما قتل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سبعين
وأسر سبعين استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في أمر الأسارى فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول
الله هم قومك فإن تقتلهم يدخلوا النار ولكن فادهم فيكون الذي تأخذ منهم قوة للمسلمين ولعل الله يقلب قلوبهم
وقال عمر يا رسول الله والله ما أعلم قوما كانوا أشر لنبيهم منهم فاقتلهم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
برأي أبي بكر ثم ضرب لهما مثلا فقال مثل أبي بكر مثل إبراهيم عليه السلام حيث قال فمن تبعني فإنه مني ومن
عصاني فإنك غفور رحيم • ومثل عمر مثل نوح عليه السلام حيث قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين
ديارا ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الفداء على الأسارى فلما كان من الغد أنزل الله هذه الآية ما كان
لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون إلى آخر الآية • قال عمر فغدوت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعنده أبو بكر يبكيان فقلت ما يبكيكما حتى إن وجدت بكاء تباكيتما وإلا بكيت معكما فقال صلى الله
عليه وسلم إنما أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذ الفداء ثم قرأ عليه السلام ما كان لنبي أن يكون له أسرى
حتى يثخن في الأرض الآية • وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال لما جيء بالأسارى يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم
ما تقولون في هؤلاء فقال أبو بكر قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على
الكفار • وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم واضرب أعناقهم ومكن عليا من عقيل يضرب عنقه
ومكني من فلان نسيب لعمر فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس يأخذ
بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر فقال صلى الله عليه وسلم إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين
من اللين وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال إن تعذبهم
فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم • ومثلك يا عمر مثل موسى قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد
على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم • ثم قال صلى الله عليه وسلم للأسارى أنتم اليوم عالة فلا ينفلتن
أحد إلا بفداء أو ضرب عنق فنزل قوله تعالى ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض قوله تعالى
لولا كتاب من الله سبق أي لولا حكم الله في أنه يحل لهم الفدية التي أخذوها من الأسارى وقيل معناه لولا
ما سبق لهذه الأمة من الرحمة إذا عملوا الخطايا ثم عرفوا ما عملوا وتابوا ورجعوا قوله تعالى تريدون
عرض الدنيا مخاطبة لهم لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجلة أصحابه فإن أبا بكر كان مراده إعزاز الدين
وهداية الأسارى ورحمة الله بهم فيما أخذتم ثم لم تقل فيما غنمتم وأشباهه ثم قوله تعالى فكلوا مما
غنمتم حلالا طيبا الفاء في فكلوا هذه الآية للجزاء والمعنى أحللت لكم الغنائم فكلوا والطيب المستلذ ويوصف
بالحلال لئلا يتكل على الشبهة فإن الشبهة لا يكون فيه كراهية في الطبع وكذا الحلال لا يكون فيه كراهية في الدين
قوله تعالى واتقوا الله أي اخشوه ولا تقعلوا أشياء لم يؤمر وأبيه ولم يرخص لكم إن الله غفور لما أخذتم
منكم رحيم بكم إذ لم يعذبكم فيما فعلتم قبل الرخصة قوله عز وجل يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى
إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم قال ابن عباس إن النبي صلى الله عليه
وسلم لما وضع الفداء على كل واحد من الأسارى أربعين أوقية من ذهب جعل على عمه العباس مائة أوقية

قال العباس أتحمل علي بمائة أوقية وعلى عقيل وكسهيل بن عمرو أربعين أوقية قال نعم لقطعك الرحم والظلم
قال تركتني والله أسأل قريشا ما بقيت بيدي فكيف تترك عمك يسأل الناس بكفه فقال صلى الله عليه وسلم
وأين الذهب الذي أعطيته أم الفضل عند مخرجك فقلت إن حدث بي حدث في وجهي هذا فهو لك ولعبد الله
ولعبيد وللفضل قال وما يدريك قال أخبرني الله عز وجل بذلك فقال أشهد أنك صادق وإني لم أعلم أنك
رسول الله قط قبل اليوم وإني دفعت إليها الذهب ولم يطلع عليه أحد إلا الله وأنا أشهد أن لا إله إلا
الله وأنك رسول الله فأسلم وأمر ابن أخيه أن يسلم فأنزل الله هذه الآية ومعناها يا أيها النبي قل للعباس
وعقيل وغيرهم من الأسارى إن يعلم الله في قلوبكم رغبة إلى الإيمان وإخلاصا في النية يؤتكم خيرا مما أخذ منكم
من الفدية ويجوز أن يكون المعنى يخلف عليكم في الدنيا ويجوز أن يكون ويجازيكم في الآخرة وكان العباس
أحد الثلاثة عشر الذين ضمنوا إطعام أهل بدر بخروج معهم بعشرين أوقية من ذهب ليطعم بها الناس ولم تبلغه
نوبته الإطعام حتى أسر وأخذ وهي معه فأخذوها منه فلما وضع النبي صلى الله عليه وسلم على العباس في الفداء
مائة أوقية قال يا محمد احتسب لي بالعشرين أوقية من فدائي فأبى وقال له أما شيء خرجت تستعين به
علينا فلا أتركه لك فلما أسلم العباس كان إذا قرأ هذه الآية قال صدق الله ورسوله قد أعطاني خيرا
مما أخذ مني أبدلني مكان العشرين أوقية التي أخذت مني عشرين مملوكا كل مملوك يضرب بعشرين ألفا
في التجارة وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة أنجز لي أحد الوعدين وأنا أرجو
أن ينجز الوعد الثاني أنتظر المغفرة من ربي وعن العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه أنه بعث إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم من البحرين ثمانين ألفا فقال العباس أعطني من هذا المال فأعطاه رسول الله صلى الله
عليه ما أطاق حمله فجعل العباس يقول وهو منطلق أما إحدى اللتين وعدنا الله فقد أنجزها ولا
ندري ما يصنع بالأخرى يعني يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم قوله عز وجل **وإن يريدوا خيانتك فقد**
خانوا الله من قبل فأمكن منهم معناه إن يرد الذين أطلقتهم من الأسارى خيانتك بأن يعودوا حربا
لك فينصروا عدوك عليك فقد خانوا الله من قبل لمخالفته مما أخذ عليهم من العهود وذلك أن النبي صلى
الله عليه وسلم كان عاهد الذين أطلقهم على أن لا يعينوا عليه فخانوه وخالفوا وقوله تعالى فأمكن منهم
أي فأمكنك منهم يوم بدر وإن خانوك فسيمكنك منهم ثانيا **والله عليم بكل شيء حكيم** في كل ما
يفعل قوله تعالى **إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله** أي إن
الذين آمنوا بتوحيد الله وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وهاجروا من مكة إلى المدينة وجاهدوا
العدو بأموالهم وأنفسهم في طاعة الله ثم ذكر الله الأنصار فقال **والذين آووا** النبي والمهاجرين معهم
أعطوهم المأوى وأنزلوهم ديارهم **ونصروا** أي أعانوهم بالسيف على الكفار **أولئك بعضهم أولياء**
بعض أي أنصار بعض في الدين والموارث قوله تعالى **والذين آمنوا ولم يهاجروا** أي والذين صدقوا
من أهل مكة في ديارهم ولم يهاجروا إلى المدينة **ما لكم من ولايتهم من شيء** أي ليس بينكم وبينهم
ميراث **حتى يهاجروا** وإطلاق لفظ الولاية يقتضي التوارث في الجملة وإن كان يقتضي أسباب الموالاة أوله
من بعض قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قام الزبير بن العوام وأناس معه من المسلمين فقالوا يا
رسول الله كيف لا نرثنا إخواننا وهم على ديننا من أجل أنهم لم يهاجروا وأهل نعينهم على أمر إن استعانوا
علينا فأنزل الله تعالى **وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر** معناه وإن قاتلهم الكفار ليردوهم
عن الإسلام فاستنصروكم إلا أن يقاتلوا قوما بينكم وبينهم عهد فاستنصروكم عليهم فلا تقاتلوهم معهم
لأن عليهم أن يكلفوا على طلب النصر منكم لهم عليهم لأن إيمان واحد من المسلمين يلزم كافتهم فيجب الإصلاح
بينهم على غير وجه القتال قوله تعالى **والله بما تعملون بصير** أي بصير بأعمالكم يجازيكم عليها قال

ابن عباس فمكثوا على هذا ما شاء الله أن يمكثوا قوله تعالى **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض** أي
أنصار بعض في الدين وبعضهم أولياء بعض في الميراث يعني أن الكافر يرث المؤمن الذي لم يهاجر بل الكافر
يرث من الكافر والمؤمن يرث من المؤمن فصارت هذه الآية ناسخة للذي قبلها قوله تعالى **إلا تفعلوه تكن**
فتنة في الأرض وفساد كبير أي إن لم تفعلوا ما أمرتكم به ولم تتولوا الأعرابي الذي لم يهاجر من
المهاجر ولم تجعلوا ولاية الكافر للكافر وولاية المؤمن للمؤمن تكن فتنة أي محنة بالميل إلى الضلالة وفساد
في الدين فإن الكفار بعضهم أنصار بعض قوله تعالى **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله**
والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا أي أولئك الذين حققوا إيمانهم بالهجرة وإقامة الجهاد في
سبيل الله وقيل معناه أولئك الذين حقق الله إيمانهم بأن أثنى عليهم ومدحهم في كتابه قوله تعالى **لهم مغفرة**
ورزق كريم في الجنة بأن يطعمهم طعاما يصير كالمسك رشحا ولا يتحلل في أجوافهم نجوا قوله تعالى
والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم معناه والذين آمنوا من بعد
المهاجرين السابقين وهاجروا إلى المدينة وجاهدوا معكم الكفار فأولئك منكم في الدين والنصرة قوله تعالى
وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض أي أن القرابات بعضهم أولى ببعض في الميراث من غيرهم هاجروا
أو لم يهاجروا إذا كانوا مسلمين قوله تعالى **في كتاب الله** يجوز أن يكون المراد بالكتاب القرآن ويجوز
أن يكون معناه في اللوح المحفوظ ويجوز أن يراد بالكتاب الحكم كما قال الله تعالى كتب الله لأغلبن أي حكم الله
وقوله تعالى **إن الله بكل شيء عليم** أي عليم بكل ما فرض من المواريث وغير ذلك قال قتادة وكان
النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار وكانوا يتوارثون بالإسلام والهجرة وكان الرجل
يسلم ولا يهاجر وكان لا يرث أخاه فنسخ الله ذلك بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض وصارت الوراثة
بالقرابة كما ذكر الله في سورة النساء وقال صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وعن
أبي بن كعب قال قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأنفال والتوبة فأنا له شفيع وشهيد يوم القيامة
أنه بريء من النفاق وأعطي من الأجر بعدد كل منافق ومنافقة ورفع له بها عشر درجات

سورة التوبة

وهي مكية وهي عشرة آلاف وأربعمائة وثمانية وثمانون حرفا وأربعة آلاف وثمان وتسعون
كلمة ومائة وثلاثون آية قوله عز وجل **براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين**
أي هذه براءة من الله فتكون رفعا على الابتداء ويجوز أن تكون براءة رفعا بالابتداء وخبره إلى الذين عاهدتم
والبراءة هي رفع العصمة يقال برئ فلان من فلان وبرئ الله من المشركين وإنما ذكر الله هذه البراءة من العهد
لأن المشركين كانوا ينقضون العهد قبل الأجل ونقضوا بالغدر فأمر الله بنبذ العهد إليهم إما بخيانة
مستورة ظهرت أماراتها منهم وإما أن تكون بشرط النبي صلى الله عليه وسلم لنقضهم في العهد أن يقرهم على
ما أقرهم الله وأما ترك التسمية في أول هذه السورة فقد روي أن أبي بن كعب سئل عن ذلك فقال لأنها نزلت
في آخر ما نزل من القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر في أول كل سورة بسم الله الرحمن الرحيم
ولم يأمر في سورة براءة بذلك فضمت إلى الأنفال لشبهها بها يعني أن أمر العهود مذكور في الأنفال وهذه السورة
نزلت بنقض العهود وسئل علي رضي الله عنه عن هذا فقال لأن هذه السورة نزلت في السيف وليس للسيف أمان
وبسم الله الرحمن الرحيم من الأمان ولأن البسملة رحمة والرحمة أمان وهذه السورة نزلت بالسيف ولا
أمان فيه قوله تعالى **فسيحوا في الأرض أربعة أشهر** أي سيروا في الأرض على المهل وأقبلوا وأدبروا
في الأرض آمنين إلى أن تمضي أربعة أشهر وقيل هو على الخطاب أي قل لهم سيروا في الأرض مقبلين ومدبرين
آمنين غير خائفين من قتل ولا أسر ولا نهب قيل إن قوله فسيحوا في الأرض بيان أن هذا الفتح المذكور في
أول هذه إنما هو بعد أربعة أشهر فإن عهد الكفار باق إلى آخر هذه المدة قال الحسن رحمه الله جميع

صلى الله عليه وسلم أن ينظر في عهود الكفار فمن كان عهده أربعة أشهر على عهده إلى أن يمضي ومن كان
له عهد أكثر من أربعة أشهر إلى أربعة أشهر ومن لم عهد له أو من كان له عهد أقل من أربعة أشهر فيجعله
أربعة أشهر. واختلفوا في أول هذه الأربعة أشهر قال بعضهم من عشرين من ذي القعدة إلى عشر من
ربيع الأول. وروي في الخبر أن سورة براءة نزلت في سنة ثمان من الهجرة وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب
بن أسيد الموقف بالناس في الموسم واجتمع في تلك السنة في الوقوف المسلمون والمشركون فلما كانت سنة تسع ولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وبعث معه عشر آيات من أول براءة أو تسع آيات وأمره أن يقرأ على
أهل مكة وينبذ إلى كل ذي عهد عهده كما وصف الله تعالى فلما خرج أبو بكر رضي الله عنه منطلقا نحو مكة نزل
جبريل عليه السلام فقال للنبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عنك إلا رجل من أهل بيتك فدعا عليا وأمره
إلى مكة وقال لكن أنت الذي تقرأ هذه الآيات على أهل مكة ومر أبا بكر فليصل بالناس فسار حتى لحق أبا بكر
رضي الله عنه في الطريق فلحقه بذلك فضيا وكان أبو بكر على الموسم فلما كان يوم النحر واجتمع المشركون
قام علي كرم الله وجهه عند جمرة العقبة وقال يا أيها الناس إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم
إليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم إلى آخر الآيات التي نزلت وكان الحج في
السنة التي قرأ علي كرم الله وجهه فيها هذه السورة في العاشر من ذي القعدة ثم صار الحج في السنة الثانية
في ذي الحجة وكان النسيء في تقديم الحج في سنة العهد ما كان تفعله بنو كنانة في النسيء وهو التأخير. وذهب
بعض المفسرين إلى أن هذه الأربعة أشهر الحرم المذكورة في قوله منها أربعة حرم وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم
قوله تعالى واعلموا أنكم غير معجزي الله أي غير فائتين عن الله بعد هذه الأربعة أشهر فإنكم إن أحللتم هذه
الأشهر فلن تفوتوا الله تعالى و قوله تعالى وأن الله مخزي الكافرين أي معذب الكافرين في الدنيا بالقتل
وفي الآخرة بالنار. والإخزاء هو الإذلال على وجه الإهانة. قوله عز وجل وأذان من الله ورسوله إلى الناس
يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله أي وإعلام من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر
وهو يوم النحر لما روي عن ابن عباس وسمي يوم النحر يوم الحج الأكبر لأنه اتفقت فيه الأعياد على قول أهل الملل
وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يوم عرفة وقال بشر بن نجيح مدحة خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة
فقال أتدرون أي يوم هذا يوم الحج الأكبر. وروي أن عليا رضي الله عنه خرج يوم النحر على بغلته يريد إلى
الجبانة فجاءه رجل فأخذ بلجامها وسأله عن يوم الحج الأكبر فقال هو يومك هذا خل سبيلها. وسئل عبد الله بن
أبي أوفى عن يوم الحج الأكبر فقال سبحان الله هو يوم النحر يهراق فيه الدماء ويحلق فيه الشعر ويحل فيه الحرام. وقوله
تعالى وأذان عطف على قوله براءة قوله تعالى أن بريء من المشركين ورسوله أي أن الله بريء ورسوله بريء
من المشركين تقديره إن الله بريء ورسوله أيضا بريء ومن قرأ ورسوله بالنصب فعلى معنى وأن رسوله بريء
وقوله تعالى فإن تبتم فهو خير لكم أي إن تبتم من الشرك فهو خير لكم من الإقامة عليه و قوله تعالى
وإن توليتم معناه وإن أعرضتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله أي غير فائتين عن الله و قوله تعالى وبشر
الذين كفروا بعذاب أليم تكرار للوعيد. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه
حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراءة إلى مكة فقيل لأبي هريرة بم كنتم تنادون قال كنا ننادي
أن لا يدخل الجنة إلا مؤمن ولا يحج هذا البيت بعد هذا العام مشرك ولا عريان ومن كان بينه وبين رسول
الله عهد فإن أجله إلى أربعة أشهر فإذا مضت أربعة أشهر فإن الله بريء من عهد المشركين ورسوله.
قوله تعالى إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا
إليهم عهدهم إلى مدتهم استثنى الله تعالى من قوله براءة من الله ورسوله وأراد بقوله إلا الذين
عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا بني ضمرة وهم حي من بني كنانة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه

عام

عام الحديبية عند البيت وكان بقي لهم من عهدهم تسعة أشهر من بعد يوم النحر من السنة التي حج فيها أبو بكر رضي
الله عنه وكانوا لم ينقضوا شيئا من عهودهم ولم يتم لو أعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله النبي صلى الله
عليه وسلم أن يفي لهم بعهدهم إلى آخر مدتهم و قوله تعالى إن الله يحب المتقين أي يرضى عمل الذين يتقون
نقض العهد وإعطاء ما يضمنون من الصيانة المحرمة من نقض العهد قوله تعالى فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم أي إذا مضت الأشهر التي حرم الله القتال بالعهد فيها فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم ويقال أراد بذلك الأشهر الحرم حيث وجدتموهم في الحل أو في الحرم وخذوهم أي أسروهم واحصروهم
أي احبسوهم ويقال أراد بذلك أن حالوا بينهم وبين البيت أي امنعوهم دخول مكة و قوله تعالى واقعدوا لهم
كل مرصد أي اقعدوا لقتالهم على كل طريق يأخذون فيه إلى البيت أو إلى التجارة وهذا أمر بتضييق السبل عليهم
قوله تعالى فإن تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم معناه فإن تابوا عن الشرك
وقبلوا إقامة الصلوة وإيتاء الزكوة فأطلقوهم إن الله غفور لما سلف من شركهم رحيم بهم حين قبل
توبتهم. وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه معناه وإن أحد من
المشركين استأمنك ليسمع دعوتك واحتجاجك بالعدل فأمنه حتى يسمع القرآن كلام الله فإن أبى أن يسلم فاردده
إلى موضع مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون أمر الله تعالى قوله تعالى كيف يكون للمشركين
عهد عند الله وعند رسوله أي كيف يكون لهم عهد وهم يضمرون الغدر في عهودهم عند الله وعند رسوله
أي لن يكون لهم عهد يحالون فاته إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهم بنو ضمرة فما استقاموا
لكم في وفاء العهد فلم ينقضوا كما نقض غيرهم فاستقيموا لهم بوفاء أجلهم إن الله يحب المتقين نقض
العهد قوله تعالى كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة أي كيف يكون لهم العهد
قال الأخفش معناه كيف لا تقتلونهم وهم إن يظهروا عليكم لا يحفظوا فيكم قرابة ولا عهدا. وقال قتادة الإل
الحلف. وقال السدي هو العهد ولكنه كرر لما اختلف اللفظان وإن كان معناهما واحدا. وقال مجاهد الإل
هو الله عز وجل ومنه جبرئيل وميكائيل فإن معناهما عبد الله. وعن أبي بكر أنه لما سمع كلام مسيلمة قال هذا
كلام ليس هو من إل أي لم يتكلم به الله. وقرأ عكرمة إيلا بالياء يعني الله عز وجل مثل جبرئيل وميكائيل قوله
تعالى يرضونكم بأفواههم أي يتكلمون بالعهد بأفواههم وتأبى قلوبهم إلا نقض العهد وأكثرهم فاسقون
أي متمردون في الكفر قوله تعالى اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا أي اختاروا على القرآن عرضا يسيرا من الدنيا
فصدوا الناس عن طاعة الله فبئس العمل عملهم وذلك أنهم نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم بأكلة أطعمهم إياها أبو سفيان قوله تعالى لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة فإن قيل لم أعاد
قوله لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة قيل ليس هذا بإعادة لأن الأول ورد في جميع الكفار الذين نقضوا العهد
والثاني إنما ورد في طائفة اليهود الذين كانوا ينقضون العهد فإن هذه الطائفة منهم الذين اشتروا بآيات
الله ثمنا قليلا فإنهم كانوا يكتمون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من المأكلة التي كانوا يأخذونها
من سفلتهم وكانوا يأخذون الرشا على الحكم بالباطل ويغيرون أحكام الله التي أنزلها على أنبيائهم و قوله
تعالى فأولئك هم المعتدون يعني في نقض العهد قوله تعالى فإن تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا
الزكوة فإخوانكم في الدين أي فإن تابوا عن الكفر وقبلوا إقامة الصلوة وإيتاء الزكوة فهم إخوانكم
في الإسلام ونفصل الآيات أي نبين آية بعد آية لقوم يعلمون أمر الله وأحكامه قوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم
من بعد عهدهم أي إن نقضوا الأيمان والحلف من بعد العهود التي عاهدتهم أن لا تقاتلوهم ولا يعينوا عليك
ولا على حلفائك وطعنوا في دينكم الإسلام وعابوه وذلك أنهم قالوا ليس دين محمد بشيء فقاتلوا أئمة الكفر أي
رؤساء الكفر إنهم لا أيمان لهم قال ابن عباس نزلت في أبي سفيان والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة

بن ابي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد وهم الذين هموا باخراج الرسول • وقال مجاهد هم
اهل فارس والروم • قوله تعالى انهم لا ايمان لهم اي لا عهود لهم وقال عطية لا دين لهم اي هم قوم كفار
وقيل معناه لا امان لهم فلا تؤمنوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فيكون مصدرا من الامان • قوله تعالى
لعلهم ينتهون اي لكي ينتهوا عن الكفر ونقض العهد وفي الآية دليل على ان اهل العهد متى خالفوا
شيئا مما عاهدوهم عليه فقد نقضوا العهد وانما اذا طعن واحد منهم في دين الاسلام وان كان شرط في عهدهم
ان لا يذكروا كتاب الله ولا يذكرون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يجوز ولا يفتنوا مسلما عن دينه ولا يقطعوا
عليه طريقا ولا يعينوا اهل الحرب بدلالة على المسلمين فانهم اذا فعلوا ذلك فقد برئت منهم ذمة الله وذمة
رسوله صلى الله عليه وسلم فعلوا شيئا من هذه الاشياء حل دمهم وان كان لم يشترط ذلك عليهم في عهودهم
وطعن في القرآن وشتموا النبي صلى الله عليه وسلم نفسه خلاف بين الفقهاء قال اصحابنا يعزرون ولا
يقتلون واستدلوا بما روى انس بن مالك ان امرأة يهودية اتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة
فاكل منها فجيء بها فقيل الا نقتلها قال لا وبحديث عائشة ان قوما من اليهود دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا السام عليك ففهمت عائشة فقالت وعليكم السام واللعنة فقال صلى الله عليه وسلم مهلا يا
عائشة فان الله عز وجل يحب الرفق في الامر كله فقالت يا رسول الله لم تسمع ما قالوا فقال قد قلت
عليكم ولم يقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وذهب مالك الى ان من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
قتل الا ان يسلم • قوله عز وجل الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم
بدؤكم اول مرة • قال ابن عباس وذلك ان قريشا اعانوا بني الديل بن بكر وكانوا حلفاءهم على خزاعة
وخزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم فهزموا خزاعة نحوا وقدم خزاعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبروه بالقصة وناشدوه حلفه فقال قائلهم • يا رب اني ناشد محمدا • حلف ابينا وابيه الاتلدا •
والدا كنت وكنا ولدا • ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا • فانصر هداك الله نصرا ابدا • وادع عباد الله ياتوا مددا •
فيهم رسول الله قد تجردا • ان قريشا اخلفوك الموعدا • ونقضوا عهدك المؤكدا • وقتلونا بالوتير هجدا •
نتلو القرآن ركعا وسجدا • فقال صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصرهم فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله
انصرهم على قومنا فقال لا نصرت ان لم انصرهم ثم امر الناس ان يتجهزوا الى فتح مكة ففتحها الله تعالى على يديه
واحل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ القتال لخزاعة ولم يحل لاحد غيرهم فذلك قوله تعالى الا تقاتلون
قوما نكثوا ايمانهم اي نقضوا عهودهم يعني قريشا وهموا باخراج الرسول من مكة حين اجتمعوا على قتله في دار
الندوة وهم بدؤكم اول مرة اي هم الذين بدؤا بنقض العهد حين قاتلوا خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم • قوله تعالى اتخشونهم اي اتخافون ان ينالكم مكروه في قتالهم فتتركوا قتالهم فالله احق ان
تخشوه اي والله احق ان تخافوه في ترككم قتالهم ان كنتم مؤمنين مصدقين بعقاب الله وثوابه
قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم اي قاتلوا اهل مكة يعذبهم الله بايديكم بالسيف ويخزهم
اي ويذلهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة ويذهب غيظ قلوبهم اي كربها
ووجدها • قوله تعالى ويتوب الله على من يشاء استيناف كلام اي يتوب الله على من يشاء من اهل مكة فيهديهم
للاسلام والله عليم بجميع الاشياء حكيم في جميع الامور • قوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة معناه اظننتم ايها المؤمنون ان
تتركوا على الاقرار بالتصديق فلا تؤمروا بالجهاد قوله تعالى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم ير الله جهادكم
حين تجاهدون ولم ير الله الذين لم يتخذوا منكم من الكفار بطانة يفشون اليهم سرهم واسرارهم وكان الله
علم قبل ان تروا بالقتال من يقاتل ممن لا يقاتل ولكنه تعلم ذلك غيبا واراد العلم الذي يجازي عليه وهو علم

الله عالم بهم على عملهم لا على علمه فيهم والوليجة الرجل في القوم من غيرهم ومنه الشيء يلج اذا دخل والخطاب
في هذه الآية للمؤمنين حين شق على بعضهم القتال وكرهوه فانزل الله هذه الآية ام حسبتم ان تتركوا ولا تؤمروا
بالجهاد ولا تمتحنوا به ليظهر الصادق من الكاذب والمطيع من العاصي وقال قتادة يعني وليجة اي خيانة وقال
الضحاك خديعة وقال ابن الانباري الوليجة الدخيلة وقال عطاء اولياء وقال الحسن كفر ونفاق وقيل
الرجل من يختص بأمره يدخله دون الناس يقال هو وليجتي وهم وليجتي للواحد والجمع • قوله تعالى والله خبير
بما تعملون اي عالم باعمالكم وفي هذا تهديد للمنافقين وعظة للمخلصين • قوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا
مساجد الله • قال ابن عباس لما اسر العباس يوم بدر اقبل عليه المسلمون يعيرونه بالكفر وقطيعة الرحم وعون
المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم واغلظ علي رضي الله عنه القول له فقال العباس ما لكم تذكرون
مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له علي رضي الله عنه الكم محاسن قال نعم ان كنتم تجاهدون الاعداء وتسبقون
الى النبي صلى الله عليه وسلم فنحن نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك الاسير فنحن افضل منكم اجرا
فانزل الله هذه الآية ردا على العباس ومعناها ما كان للمشركين ان يقوموا بعمارة المسجد الحرام وان المساجد
لله والعمارة على وجهين تذكر ويراد بها البناء وتجديد ما انهدم منها وتذكر ويراد بها الزيارة ومن ذلك
العمرة ومعناها زيارة البيت فانتصب الآية نهي المشركين عن بناء المساجد وعن عمارتها بالطاعة فانهم لا يعمرونها
بعبادة الاوثان ومعصية الله ومن قرأ مسجد الله على التوحيد اراد المسجد الحرام خاصة وهي قراءة ابن
كثير وابي عمرو ومجاهد وسعيد بن جبير وقراءة ابن عباس وقرأ الباقون مساجد بالجمع وانما قال مساجد
قيل لان المساجد كلها وقيل لعكرمة لم قال مساجد وانما هو مسجد واحد فقال ان الصفا والمروة من مساجد
الله • قوله تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر نصب شاهدين على الحال معنى ما كانت لهم عمارة المسجد
في حال اقرارهم بالكفر وهم كانوا لا يقولون نحن كفار ولكن كان كلامهم يدل على كفرهم وهذا كما يقال للرجل
كلامك يشهد انك ظالم وهو قول الحسن وقال السدي شهادتهم على انفسهم بالكفر ان اليهودي لو قيل
له ما انت قال يهودي وتقول النصراني نصراني وتقول المجوسي هو مجوسي وقيل شهادتهم على انفسهم بالكفر
سجودهم للاصنام واقرارهم انها مخلوقة • قوله تعالى اولئك حبطت اعمالهم معناه ان الكفر اذهب ثواب
اعمالهم التي هي من جنس طاعة المسلمين • قوله تعالى وفي النار هم خالدون ظاهر المراد ثم بين الله تعالى
من يكون اولى بعمارة المسجد الحرام فقال تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة
وآتى الزكوة معناه انما يعمر مساجد الله بطاعة الله من كان بهذه الصفة • قوله تعالى واقام الصلوة يعني اقام
الصلوة المفروضة وآتى الزكوة الواجبة في ماله • قوله تعالى ولم يخش الا الله اي لم يخف غير الله ولم
يرج ثوابه وكلمة عسى من الله واجبة والفائدة في ذكرها في آخر الآية ليكون الانسان على حذر من فعل ما يحبط
ثواب عمله • قوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر روي عن
ابن عباس انه قال العباس ان كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج
فانزل الله هذه الآية يعني ان ذلك كان منكم في الشرك ولا اقبل ما كان في الشرك وروي ان المشركين قالوا عمارة
المسجد الحرام والقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد وكانوا يفتخرون بالحرم ويستكبرون به من اجل انهم اهله
وعماره • فانزل الله هذه الآية واخبرهم ان عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا تنفعهم عند الله مع
الشرك بالله وقال الحسن نزلت هذه الآية في علي والعباس وطلحة بن شيبة من بني عبد الدار وذلك انهم افتخروا فقال
طلحة انا صاحب البيت بيدي مفاتحه • وقال العباس انا صاحب السقاية وقال علي انا صاحب الجهاد
فانزل الله هذه الآية اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام اي اجعلتم صاحب سقاية الحاج وصاحب
عمارة المسجد الحرام كايمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله

وقيل معناه أجعلتم سقاية الحاج وعامر المسجد الحرام فجعل السقاية بمعنى الساقي والعمارة بمعنى العامر كقوله
والعاقبة للتقوى أي للمتقين وقرأ عبد الله بن الزبير أي أجعلتم سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام على
جمع الساقي والعامر قوله تعالى **والله لا يهدي القوم الظالمين** أي لا يرشدهم إلى الحجة ما داموا
مصرين على الكفر ولا يرشدهم إلى الجنة والثواب قوله عز وجل **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل
الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله** معناه الذين صدقوا بتوحيد الله وهاجروا من مكة
إلى رسول الله وجاهدوا العدو في طاعة الله أعظم درجة عند الله من الذين افتخروا بعمارة المسجد الحرام
وسقاية الحاج وغيرهم وإنما قال أعظم وإن لم تكن درجة عند الله لأنهم كانوا يعتقدون أن لهم درجة
عند الله وهذا كقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا وقوله تعالى **وأولئك هم الفائزون**
معناه أن المهاجرين هم الظافرون بأمانيهم من الخير الناجون من الشر قوله تعالى **يبشرهم ربهم برحمة
منه ورضوان** أي يبشرهم ربهم في الدنيا على ألسنة الرسل بالنجاة من العذاب في الآخرة ورضوان عنهم لكي
يرضيهم **وجنات لهم فيها نعيم مقيم** دائم لا يزول عنهم وقوله تعالى **خالدين فيها أبدا** أي دائمين
أبدا مع كونهم في النعيم مقيمين لهم **إن الله عنده أجر عظيم** أي ثواب كثير في الجنة قوله تعالى **يا أيها الذين
آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان** نزلت في المهاجرين ومعناه لا تتخذوا
آباءكم وإخوانكم الذين بمكة أولياء تستنصرون بهم وتنصرونهم إن اختاروا الكفر على الإيمان **ومن يتولهم
منكم فأولئك هم الظالمون** إنما جعلهم ظالمين لموالاة الكفار لأن الراضي بالكفر يكون كافرا وقيل
لما أمر الله المؤمنين بالهجرة وكانوا قبل فتح مكة من آمن ولم يهاجر لم يقبل الله إيمانه إلا بمهاجرة [illegible]
أي بمجانبتهم إذا كانوا كفارا فقال المسلمون يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين انقطع آباؤنا
وعشائرنا وتذهب تجارتنا وتخرب ديارنا فأنزل الله هذه الآية وقال الكلبي لما أمر الله النبي صلى الله عليه
وسلم بالهجرة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأخيه وأبيه وامرأته وقرابته إنا قد أمرنا بالهجرة إلى المدينة
فاخرجوا معنا إليها فمنهم من يعجبه ذلك فيسارع إليه معهم ومنهم من يأبى أن يهاجر فيقول الرجل لهم
والله لا أنفعكم بشيء ولا أعطيكم ولا أنفق عليكم ومنهم من تتعلق به زوجته وولده وعياله فيقولون له
ننشدك الله أن تضيعنا فيرق لهم فيجلس ويترك الهجرة فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم
وإخوانكم أولياء أي أصدقاء تفشون إليهم سركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة والجهاد إن استحبوا الكفر
على الإيمان ومن يتولهم فيطلعهم على عورة المسلمين وأهله ويؤثر المكث معهم على الهجرة إلى دار الإسلام
فأولئك هم الظالمون أي العاصون الواضعون الولاية في غير موضعها قوله تعالى **قل إن كان آباؤكم
وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم** أي قل يا محمد للذين تركوا الهجرة إن كان آباؤكم
وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وقرابتكم وأموال اقترفتموها بمكة أي اكتسبتموها **وتجارة تخشون
كسادها** أي عدم نفاقها إذا اشتغلتم بطاعة الله ومساكن تعجبكم الإقامة بها بمكة **أحب إليكم من
الله ورسوله** بطاعته وطاعة رسوله بالهجرة إلى المدينة وأحب إليكم من الجهاد في طاعة الله **فتربصوا حتى يأتي الله بأمره**
أي فانتظروا حتى يأتي الله بفتح مكة وقيل حتى يأتي الله بعذاب عاجل أو آجل **والله لا يهدي القوم الفاسقين**
أي لا يرشد الخارجين عن طاعته إلى معصيته ولا يهديهم إلى جنته وثوابه قوله عز وجل **لقد نصركم الله في
مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا** وذلك أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج من مكة بعدما افتتحها وكان فتحها في بقية أيام من رمضان فمكث بها حتى دخل شوال فخرج منها
متوجها إلى حنين فبعث رجلا من بني سليم عينا له يقال له عبد الله بن حدرد فأتى حنينا فكان بينهم

يسمع

يسمع أخبارهم فسمع مالك بن عوف يقول لأصحابه أنتم اليوم أربعة آلاف رجل فإذا لقيتم العدو فاحملوا عليهم حملة
رجل واحد فوالله لا تضربون بأربعة آلاف سيف شيئا إلا فرج لكم وكان مالك بن عوف على هوازن وكنانة
بن عبد ياليل على ثقيف فأقبل ابن حدرد حتى أتى رسول الله فأخبر بمقالتهم فخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم متوجها إليهم في عشرة آلاف رجل كذا قاله الكلبي وقال مقاتل كانوا أحد عشر ألفا وخمسمائة وقال
[illegible] خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر ألفا عشرة آلاف من المهاجرين
والأنصار وألفان من الطلقاء فقال رجل يقال له سلمة بن سلامة والله يا رسول الله لا نغلب اليوم من
قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمته وابتلى الله المسلمين بكلمته تلك فلما التقوا حمل العدو عليهم
حملة رجل واحد فلم يقوموا لهم حلب شاة أن انكشفوا وتبعهم القوم في أدبارهم وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم على بغلته البيضاء وأبو سفيان يقود به والعباس آخذ بالثفر وجول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يبق معه
إلا ثمانمائة رجل من المسلمين وانهزم سائر المسلمين عنه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار لا يألو
وكانت بغلته شهباء وهو ينادي يا معشر المهاجرين ويا معشر الأنصار إلى أين أصحاب الصفة أين أصحاب سورة
البقرة وكان العباس ينادي يا معشر المهاجرين أين الذين بايعوا تحت الشجرة يا معشر الذين آووا ونصروا هلموا فإن
هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان العباس رجلا صيتا جهوري الصوت **يروى** من شدة صوته أنه أغير
يوما على مكة فنادى واصباحاه فأسقطت كل حامل سمعت صوته فلما صاح بالمسلمين عطفوا حين سمعوا صوته
عطفة البقر على أولادها قالوا لبيك لبيك وجاءوا عنقا واحدا لنصرة دين الله وأقبل المشركون ليطفئوا
نور الله فأنزل الله تعالى من السماء جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وأظهر المسلمين عليهم وحمي
الوطيس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تطاول إلى قتالهم ثم أخذ بكفه الحصى فرماهم به وقال شاهت
الوجوه انهزموا ورب الكعبة انهزموا ورب الكعبة فوالله ما زال أمرهم مدبرا وحدهم كليلا وهرب [illegible]
أميرهم مالك بن عوف قال ابن إسحاق قلت للبراء هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولى المسلمون
منهزمين قال لا والذي لا إله إلا هو ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم دبره قط ولقد رأيته على بغلته
البيضاء يركض نحو الكفار وهو يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم قال للعباس ناد يا معشر الأنصار
يا معشر المهاجرين فعطف المسلمون عليه من حين وأنزل الله جنده ونصر عبده وهزم المشركين ونصر المسلمين
قال سعيد بن جبير أمد الله نبيه عليه السلام بخمسة آلاف ملك وقال الحسن ومجاهد كانوا ثمانية آلاف
وقال قتادة كانوا ستة عشر ألفا وقال سعيد بن جبير حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا
نحن وأصحاب محمد لم يقفوا لنا حلب شاة فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء
يعني النبي صلى الله عليه وسلم تلقانا رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا
أكتافنا فكانت إياها يعني الملائكة **وروي** أن الملائكة قاتلت يومئذ حتى أن رجلا من بني نصر بن معاوية قال
للمؤمنين وهو في أيديهم أين الخيل البلق والرجال عليهم الثياب البيض ما كنا نراكم فيهم إلا كهيئة الشامة وما كان قتلنا
إلا بأيديهم فأخبروا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة قال فلما هرب أمير المشركين مالك بن عوف
انهزم المشركون ولو أمدبرين انطلق المسلمون حتى أتوا أوطاس وبها عيال المشركين وأموالهم فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين رجلا من الأشعريين أمره عليهم يقال له أبو عامر فسار بهم إلى أوطاس فقاتل أهلها
حتى هزمهم الله وسبى المسلمون عيال المشركين وهرب مالك بن عوف حتى أتى الطائف فتحصن بها وأخذ ماله وأهله
فيمن أخذ وقتل أبو عامر رضي الله عنه ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما
دخل ذو القعدة وهو شهر حرام لا يحل فيه القتال رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة فأحرم منها

بعرة وقسم بها النبي والمال وغنائم حنين وأوطاس وتألفنا ناسا منهم أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو
والأقرع بن حابس فأعطاهم وجعل يعطي الرجل منهم الخمسين والمائة من الإبل فقالت طائفة من الأنصار أما
الرجل إن قومه لا يعجب إن أسيافنا تقطر من دمائهم وغنائمنا ترد عليهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فجمعهم وقال يا معشر الأنصار ما هذا الذي بلغني عنكم فقالوا هو الذي بلغك وكانوا لا يكذبون فقال ألم تكونوا
ضلالا فهداكم الله بي وكنتم أذلة فأعزكم الله بي وكنتم وكنتم فقال سعد بن عبادة ائذن لي أن أتكلم يا رسول الله
قال تكلم قال أما قولك كنتم ضلالا فهداكم الله بي فنحن كذلك وأما قولك كنتم أذلة فأعزكم الله بي فقد
علمت العرب أنه ما كان حي من أحياء العرب أمنع لما وراء ظهورهم منا فقال يا سعد أتدري من تكلم فقال نعم أكلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو سلكت الأنصار شعبا أو واديا وسلك الناس واديا
لسلكت وادي الأنصار الأنصار كرشي وعيبتي فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال يا معشر الأنصار أما
ترضون أن ينقلب الناس بالشاء والإبل وتنقلبون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيوتكم قالوا بلى رضينا
بالله فوالله قلنا ذلك إلا محبة لله ولرسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ورسوله يصدقانكم
ويعذرانكم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال أما خطيب الأنصار لو قال كنت طريدا فآويناك
وكنت خائفا فآمناك وكنت مخذولا فنصرناك ولكنت ولكنت لكان قد صدق فبكت الأنصار وقالت بل الله ورسوله
أعظم منا علينا وذكرنا أن ظئر النبي صلى الله عليه وسلم التي أرضعته من بني سعد أتته يوم حنين فسألته سبايا
حنين فقال صلى الله عليه وسلم إني لا أملكهم وإنما أملك نصيبي منهم ولكن ائتيني غدا فسليني والناس عندي
فإذا أعطيتك حتى أعطاك الناس فجاءت من الغد فبسط لها ثوبه فقعدت عليه ثم سألته ذلك فأعطاها نصيبه
فلما رأى الناس أعطوها أنصباءهم قال الزهري وابن المسيب أصابوا يومئذ ستة آلاف سبي وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد أمر مناديا فنادى يوم أوطاس ألا لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا الحيالى حتى يستبرئن
بحيضة ثم إن مالك بن عوف قال لأصحابه هل لكم أن تضمنوا من محمد مالا قالوا نعم فأرسل إلى النبي صلى الله عليه
وسلم أني أريد أن أسلم فما تعطيني قال أعطيك مائة من الإبل ودرعا فجاء وأسلم وأقام يوما أو يومين فلما رأى
المسلمين ورفقهم وزهدهم واجتهادهم رق لذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن عوف ألا نفي لك
بما وعدناك قال يا رسول الله أمثلي يأخذ على الإسلام شيئا ثم أسلم أهل الطائف وكان مالك بن عوف بعد ذلك
من أشج عامة الشام قوله عز وجل لقد نصركم الله في مواطن كثيرة أي لقد أعانكم الله على أعدائكم في مواضع
من قتال بدر وحرب بني قريظة والنضير وحنين وفتح مكة و قوله تعالى ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم أي واذكروا
يوم حنين وحنين اسم واد بين مكة والطائف وأضاف اليوم إلى حنين لوقوع الحرب يومئذ بها و قوله تعالى
إذ أعجبتكم كثرتكم أي إذ سرتكم كثرتكم والإعجاب هو السرور بالتعجب فلم تغن عنكم كثرتكم شيئا أي دفعا عنكم سوءا
قوله تعالى **وضاقت عليكم الأرض بما رحبت** أي ضاقت الأرض عليكم مع سعتها من خوف العدو
فلم تجدوا موضعا للفرار إليه و قوله تعالى **ثم وليتم مدبرين** أي أعرضتم منهزمين لا تلوون على أحد وقصدتم
الذهاب إلى الخلف قوله تعالى **ثم أنزل الله سكينته على رسوله** أي أنزل الله أمنة ورحمة على رسوله وعلى
المؤمنين حتى عادوا وظفروا والسكينة في اللغة اسم لما يسكن إليه القلب وقال الحسن أراد بالسكينة الوقار
قوله تعالى **وأنزل جنودا لم تروها** أي أنزل من السماء ملائكة لنصرتكم لم تروها بأعينكم قوله تعالى **وعذب
الذين كفروا** يعني بالقتل والأسر **وذلك** العقاب **جزاء الكافرين** في الدنيا قوله تعالى **ثم يتوب
الله من بعد ذلك على من يشاء** أي ثم يتوب الله من بعد الهزيمة على من يشاء منهم من كان أهلا لذلك **والله
غفور** لما كان منهم في الشرك إذا تابوا **رحيم** بهم في الإسلام قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** يعني إنما المشركون قذر وقيل جنب والنجس مصدر

أي بمقام النجس لا يثنى ولا يجمع يقال رجل نجس وامرأة نجس ورجال ونساء نجس ولا يؤنث ولا يجمع فلهذا لم يقل
إن المشركين أنجاس وسمي المشرك نجسا لأن شركه يجري مجرى القذر في أنه يجب تجنبه كما تجتنب النجاسات
أي يجب التبري من المشركين وقطع موداتهم والنجاسة على ضربين نجاسة الأعيان ونجاسة الذنوب وكان
يقول لا تصافحوا المشركين فمن صافحهم فليتوضأ وقال قتادة سماهم الله نجسا لأنهم يجنبون ولا يغتسلون
ويحدثون ولا يتوضؤون فمنعوا من دخول المساجد لأن الجنب لا يدخل المسجد قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام
بعد عامهم هذا أي لا ينبغي لهم أن يقربوه للحج والطواف بعد هذا العام وهو العام الذي حج فيه أبو بكر
رضي الله عنه ونادى علي فيه ببراءة وهو سنة تسع من الهجرة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام
الثاني حجة الوداع في سنة عشر من الهجرة قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم بيان أن المراد بالآية
إبعاد المشركين عن المسجد الحرام كما عن علي رضي الله عنه أنه كان ينادي فيهم في ذلك العام ألا لا يطوفن
هذا البيت بعد هذا العام مشرك ولا عريان قال ابن عباس فقال أناس من تجار بكر بن وائل وغيرهم من المشركين
بعد قراءة علي كرم الله وجهه هذه الآية ستعلمون يا أهل مكة إذا فعلتم هذا ما تلقون من الشدة
ومن أين تأكلون أما والله لنقطعن سبلكم ولا نحمل إليكم شيئا فوقع ذلك في نفس أهل مكة وشق عليهم وألقى
الشيطان في قلوب المسلمين الحزن وقال لهم من أين تعيشون وقد نفي المشركون وانقطعت عنكم الميرة فقال
المسلمون يا رسول الله قد كنا نصيب من تجاراتهم فالآن تنقطع عنا الأسواق والتجارة ويذهب عنا الذي
كنا نصيب فيها فأنزل الله عز وجل قوله تعالى **وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله**
يعني فإن خفتم فقرا من إبعاد المشركين فسوف يغنيكم الله من فضله بغيرهم فأخصبت تبالة وجرش
فحملوا إلى مكة الطعام والإدام وأغنى الله أهل مكة من تجارة بني بكر وروي أن أهل جدة
وصنعاء أهل اليمن أسلموا وحملوا إلى مكة الطعام في البر والبحر والعيلة الفقر والفاقة يقال عال
الرجل يعيل عيلة إذا افتقر قال الشاعر وما يدري الفقير متى غناه ۞ وما يدري الغني متى يعيل أي يفتقر وفي
مصحف عبد الله وإن خفتم عائلة فسوف يغنيكم الله قوله تعالى **إن شاء** استثناء فيما علم الله أنه سيكون
لئلا يترك العباد الاستثناء في أمورهم ولينقطع الآمال إلى الله في طلب الغنى منه قوله تعالى **إن الله عليم
حكيم** أي عليم بخلقه وما يصلحهم حكيم فيما حكم من أمره قوله عز وجل **قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله** الآية معناه قاتلوا اليهود والنصارى
الذين لا يؤمنون بآيات الله التي أنزلها على نبيه عليه السلام وقيل معنى قوله تعالى لا يؤمنون بالله أي
كانوا يصفون الله سبحانه بصفة لا تليق به لأن اليهود مشبهة والنصارى مثلثة و قوله تعالى **ولا
يدينون دين الحق** أي لا يعتقدون دين الإسلام ولا يخضعون لله بالتوحيد وقيل معنى دين الحق أي
دين الله لأن الله هو الحق و قوله تعالى **من الذين أوتوا الكتاب** يعني اليهود والنصارى **حتى
يعطوا الجزية عن يد** أي حتى يؤخذ الجزية من أيديهم وهم قيام أذلاء والآخذ جالس وقال أراد
باليد القهر كأنه قال عن قهر من المسلمين عليهم واعتراف منهم للمسلمين بأن أيدي المسلمين فوق أيديهم كما يقال
اليد في هذا الأمر لفلان ويراد به نفاذ الأمر ويحتمل أن يكون المعنى باليد إنعام المسلمين عليهم بقبول
الجزية عنهم وقال أراد باليد القوة على معنى أنه ليس على الفقير غير المعتمل جزية وأما طعن الملحدة كيف يجوز
إقرار الكفار على كفرهم بأداء الجزية بدلا عن الإسلام فالجواب أنه لا يجوز أن يكون أخذ الجزية عنهم
رضى بكفرهم وإنما الجزية عقوبة لهم على إقامتهم على الكفر وإذا جاز إمهالهم بعد الجزية لاستدعائهم إلى

الا ان كان امها لهم بالجزية اولى قال ابو عبيد يقال لكل من اعطى شيئا كرها من غير طيب نفس منه اعطاه عن يد
وقال ابن عباس هو ان يعطوها بايديهم يمشون بها كارهين ولا يجيئون بها ركبانا ولا يرسلون بها قوله تعالى
وهم صاغرون اي ذليلون مقهورون قال عكرمة معنى الصغار هو ان يأخذها وانت جالس وهو
قائم وقال الكلبي هو انه اذا اعطى الجزية صفع في قفاه وقيل هو انه لا تقبل منها رسالة ولا وكالة وتؤخذ
الجزية ايضا من الصابئين والسامرة لان سبيلهم في اهل الكتاب سبيل اهل البدع فينا وتؤخذ الجزية ايضا
من المجوس لانه قد قيل انهم كانوا اهل كتاب فرفع كتابهم وعن سعيد بن المسيب ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخذ الجزية من مجوس هجر واخذها عمر رضي الله عنه من مجوس اهل السواد وروي ان عمر رضي الله عنه
قال ما ادري كيف اصنع بالمجوس فقال له عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم قوله عز وجل وقالت اليهود عزير ابن الله
لهذه الآية اي قالت اليهود حين قرأ عليهم عزير التوراة عن ظهر قلبه ان الله لم يحمل التوراة في قلب احد الا وهو
ابنه وعن ابن عباس ان جماعة من اليهود منهم النعمان بن ابي اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف اتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا ولا تزعم ان عزيرا ابن الله فانزل
الله هذه الآية وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب وقالت اليهود عزير ابن الله بالتنوين وقرأ الباقون
بغير تنوين فمن نون قال لانه اسم خفيف فوجهه ان يصرف وان كان اعجميا مثل نوح وهود ولوط قال
ابو حاتم والمبرد والاختيار التنوين لانه ليس بصفة والكلام ناقص وابن في موضع الخبر وليس [illegible] انما
يحذف التنوين في النعت ومن ترك التنوين قال لانه اسم اعجمي قال الزجاج يجوز ان يكون الخبر محذوفا
تقديره عزير ابن الله معبودنا على ان يكون ابن نعتا لعزير قوله تعالى وقالت النصارى المسيح ابن الله
هذا قول نصارى نجران قوله تعالى ذلك قولهم بافواههم اي معناه انهم لا يتجاوزون في هذا
القول عن العبارة الى المعنى اذ لا برهان لهم لانهم يعترفون ان الله لم يتخذ صاحبة فكيف يزعمون ان له
ولدا قوله تعالى يضاهئون قول الذين كفروا من قبل اي يشابهون في قولهم ذلك قول اهل
مكة حين قالوا اللات والعزى ومناة وقيل المراد يشابهون قول الكفار الذين يقولون الملائكة بنات الله
وقرأ عاصم يضاهئون بالهمزة والعامة بغير الهمز يقال ضاهيته وضاهأته بمعنى واحد وقال قتادة [illegible]
ضاهت النصارى قول اليهود من قبل فقالت النصارى المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله قوله
تعالى يضاهئون اي يشابهون يقال امرأة ضهيا اذا شابهت الرجل لانها لا ثدي لها ولا تحيض قوله تعالى
قاتلهم الله اي لعنهم الله كذا قال ابن عباس وقال ابن جريج معناه قتلهم الله انى يؤفكون اي كيف
يكذبون ويصرفون عن الحق بعد قيام الدلالة عليه قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله اي اتخذ اليهود والنصارى علماءهم وعبادهم اربابا اي اطاعوهم في معاصي الله فجعلهم [illegible]
عبادتهم لانهم اتبعوهم وتركوا اوامر الله ونواهيه في كتبهم قال الضحاك الاحبار العلماء واحدهم حبر وحبر
بكسر الحاء وفتحها والكسر افصح والرهبان من النصارى اصحاب الصوامع واهل الاجتهاد في دينهم وقوله تعالى
اربابا من دون الله اي سادة من دون الله يطيعونهم في معاصي الله واما تسمية العالم حبرا فللكثير كتابه الحبر
وقيل لتحبيره المعاني بالبيان الحسن واما الراهب فهو الخاشع لله قوله تعالى والمسيح ابن مريم اي اتخذوا
المسيح الها قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا اي لم يؤمروا في جميع الكتب الا على السنة الرسل
الا بعبادة اله واحد قوله تعالى لا اله الا هو سبحانه نزه الله عن الشرك وما لا يليق به قوله تعالى
يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم اي يريدون ان يردوا القرآن ودلائل الاسلام بالتكذيب بالسنتهم
وقال الضحاك يريد اليهود والنصارى ان يهلك محمد واصحابه ولا يعبد الله بالاسلام ويأبى الله الا ان يتم نوره

ويعلي دينه وكلمته ويظهر الاسلام واهله على كل دين ولو كره الكافرون قوله تعالى
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله اي هو الذي بعث محمدا صلى الله عليه
وسلم بالقرآن ودين الاسلام ليظهره على سائر الاديان بالحجة والغلبة واختلف العلماء في قوله تعالى ليظهره
قال ابن عباس الهاء عائدة على الرسول عليه السلام يعني ليعلمه شرائع الدين كلها فيظهره عليها حتى لا يخفى
عليه منها شيء وقال آخرون الهاء راجعة الى دين الحق قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من
الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل معناه يا ايها الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن ان كثيرا من الاحبار وهم من ولد هارون وقوله تعالى والرهبان وهم اصحاب الصوامع وهم
ذوو الاخبار في العلم وقوله تعالى ليأكلون اموال الناس بالباطل اراد به اخذ الرشا على الحكم وما كان
يأخذونه من سفلتهم على كتمان نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته هكذا روي عن ابن عباس وقال
[illegible] الاحبار علماء اليهود والرهبان اصحاب الصوامع من النصارى واما خصص الاكل في الآية ولان معظم
المقصود من التملك الاكل فوضع الاكل موضع الملك قوله تعالى ويصدون عن سبيل الله اي يصرفون
الناس عن دين الله قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم
بعذاب اليم اي يجمعونها ويضعون بعضها فوق بعض ولا ينفقون الكنوز في طاعة الله وقيل معناه
ولا ينفقون الفضة وحذف الذهب لان في بيان احدهما حكم الآخر كما قال تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها والدليل على ان هذه الكناية راجعة الى الذهب والفضة جميعا انها لو رجعت الى احدهما لـ
بقي [illegible] عاريا عن الجواب فيصير كلاما منقطعا لا معنى له وتقديره ولا ينفقون منهما اي لا يؤدون زكاتهما
[illegible] حق الله منهما الا انه حذف من واراد اثباتها بدليل انه تعالى قال في آية اخرى خذ من اموالهم
صدقة وقال صلى الله عليه وسلم في مائتي درهم خمسة دراهم وفي عشرين مثقالا من الذهب نصف مثقال ولو
وجب انفاق جميع المال لم يكن لهذا التقدير وجه وسمي ذهبا لانه يذهب ولا يبقى وسميت فضة لانها
تنفض اي تتفرق ولا تبقى وحسبك على الاسمين دلالة على فنائهما وانه لا بقاء لهما وقوله تعالى فبشرهم بعذاب
اليم وضع الوعيد لهم بالعذاب موضع البشارة بالنعيم لغيرهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال كل مال
اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل مال لم تؤد زكوته فهو كنز وان كان ظاهرا قوله
عز وجل يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم اي يوم يوقد على الكنوز
في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم عقوبة لهم قال ابن عباس لا يوضع دينار ولا درهم على
دينار ولا على درهم ولكن يوسع جلودهم لذلك فلا يمس دينار دينارا ولا درهم درهما قوله تعالى هذا ما
كنزتم لانفسكم اي يقال لهم هذا ما جمعتم في دار الدنيا فذوقوا عقوبة ما كنتم تجمعون وسئل ابو بكر
الوراق لم خصت الجباه والجنوب والظهور بالكي فقال لان الغني صاحب الكنز اذا رأى الفقير انقبض واذا ضمه
واياه مجلس ازور عنه وولاه ظهره وعن ثوبان مولى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما نزلت هذه الآية
قالت الصحابة فاي المال نتخذ فقال عمر انا اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال عليه السلام
لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينك على ايمانك وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من صاحب كنز لا يؤدي زكوته الا احمي عليه في نار جهنم فيجعل صفائح فيكوى بها جنبه وجبينه
حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار
وما من صاحب ابل لا يؤدي زكاتها الا بطح لها بقاع قرقر [illegible] عليه كلما مضى عليه اخراها رد عليه اولاها حتى
يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وما من صاحب
غنم لا يؤدي زكاتها الا بطح لها بقاع قرقر كأوفر ما كانت فتطؤه باظلافها وتنطحه بقرونها ليس فيها عقصاء ولا جلحاء كلما مضى

الذهب

عليه أخراها رد عليه أولاها حتى يقضي الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى
سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قوله عز وجل إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم
خلق السموات والأرض معناه أن عدة الشهور التي تتعلق بها الأحكام من الحج والعمرة والزكوة والأعياد وغيرها
اثنا عشر شهرا على منازل القمر بأن يكون الحج والصوم مرة في الشتاء وتارة في الصيف على اعتبار الأهلة وقوله تعالى في
كتاب الله يعني اللوح المحفوظ وقوله تعالى يوم خلق السموات والأرض إنما قال ذلك لأن الله تعالى أجرى الشمس والقمر
في السموات يوم خلق السموات والأرض قوله تعالى منها أربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد أي
متتابعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم سماها حرما لعظم انتهاك حرمتها كما خص الحرم بمثل ذلك وكانت العرب
تعظمها وتحرم القتال فيها حتى أن الرجل لو لقي قاتل أبيه أو أخيه فيها لم يهجه قوله تعالى فلا تظلموا فيهن
أنفسكم أي في الأشهر الحرم بالعمل بالمعصية وترك الطاعة وقيل باستحلال القتال والغارة وقيل معناه لا تجعلوا
حلالها حراما ولا حرامها حلالا لأن الذنب والظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن وقال بعضهم معناه ولا تظلموا في
الاثني عشر شهرا أنفسكم قوله تعالى ذلك الدين القيم أي ذلك الحساب المستقيم قوله تعالى وقاتلوا
المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة يجوز أن يكون كافة راجعة إلى المسلمين أي قاتلوا جميعا المشركين
ويجوز أن يكون راجعة إلى المشركين أي قاتلوا المشركين جميعا قوله تعالى كما يقاتلونكم كافة أي كما يقاتلونكم
جميعا وقوله تعالى واعلموا أن الله مع المتقين أي معهم بالنصرة واختلف العلماء في حرمة القتال في
الأشهر الحرم فقال بعضهم لا يجوز القتال فيها ولا الغارة لأن الله سماها حرما فيكون قوله تعالى وقاتلوا
المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة دليل على جواز القتال فيها على وجه الدفع وذهب أبو حنيفة وأصحابه
إلى أن القتال فيها جائز والمراد بقوله منها أربعة حرم تعظيم انتهاك حرمتها بالظلم والفساد وتعظيم
الطاعة التي تفعل فيها وقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة يدل على أن الله أخرج هذه الأشهر الحرم من
أن يكون حرما في باب الجهاد لئلا يعتقد أحد أن الجهاد داخل تحت قوله تعالى فلا تظلموا فيهن أنفسكم وكأن
الله تعالى ميز الجهاد من الظلم الذي هو إقدام على النفوس والأموال وقوله تعالى كافة منصوب على
الحال قال قتادة وعطاء كان القتال كثيرا في الأشهر الحرم ثم نسخ وأحل بقوله وقاتلوا المشركين كافة
يعني فيهن وفي غيرهن وقال الزهري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم القتال في الأشهر الحرم بما
أنزل الله من تحريم ذلك حتى نزلت براءة وأحل قتال المشركين وقال سفيان الثوري لما سئل عن القتال في
الأشهر الحرم فقال لا بأس بالقتال فيهن وفي غيرهن لأن النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف
وحاصرهم في شوال وبعض ذي القعدة فقد ثبت أن حرمة القتال فيها منسوخ قوله عز وجل إنما النسيء
زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما أي إنما تأخير الشهر
الحرام من المحرم إلى صفر واستباحة المحرم زيادة في الكفر يغلط ويخطأ بالناس أئمة الكفار ومن قرأ يضل بنصب
الياء فمعناه هم يضلون بأنفسهم يحلون المحرم عاما فيقاتلون فيه ويحرمون صفر مكان المحرم ويحرمون
المحرم عاما فلا يقاتلون فيه ثم يقاتلون في صفر ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا في العدد أربعة أشهر
وكانوا يقولون هذه أربعة بمنزلة أربعة والمواطأة الموافقة وأصل النسيء التأخير ومنه نسأ الله في
أجل فلان ومنه المنسأة وهي العصا لأنه يزجر بها ويؤخر قرأ قتادة ومجاهد وأبو عمرو ونافع وغير
ذلك وعاصم وحمزة والكسائي وخلف وابن عامر النسيء بالمد والهمز وهو مصدر كالسعير والحريق ويجوز
أن يكون مفعولا مصروفا إلى فعيل مثل الجريح والقتيل والضريع تقديره إنما الشهر المؤخر وقرأ أبو
جعفر وورش إنما النسي بالتشديد من غير همز وروي ذلك عن ابن كثير على معنى المنسي أي المتروك كما قال
الله تعالى نسوا الله فنسيهم وقوله تعالى يضل به الذين كفروا قرأ أهل المدينة وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو

وأبو بكر بفتح الياء وكسر الضاد لأنهم هم الضالون لقوله يحلونه عاما ويحرمونه عاما وقرأ الحسن وقتادة
ومجاهد ويعقوب بضم الياء وكسر الضاد أي يضل به الذين كفروا الناس المقتدين بهم وقرأ أهل الكوفة إلا
أبا بكر بضم الياء وفتح الضاد وهي قراءة ابن مسعود لقوله تعالى زين لهم وقيل للتشبيه وقوله تعالى فيحلوا
ما حرم الله أي يحلوا ما حرمه الله من الغارة والقتال في الشهر الحرام وإنما كان يفعل هذا بنو كنانة وإنما
كانوا يؤخرون رجبا ويبدلونه صفرا لتكون الشهور متوالية وقوله تعالى زين لهم سوء أعمالهم أي
حسن في قلوبهم قبح أعمالهم من تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله قال الحسن زينها لهم أنفسهم والشياطين
والله لا يهدي القوم الكافرين أي لا يوفقهم مجازاة لكفرهم وقيل لا يهديهم إلى الجنة والثواب قال ابن
عباس كان الناسي رجلا من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة بن عوف وكان يكون على الناس بالموسم وإذا هم الناس
بالصدر وفرغوا من حجهم قام فخطب الناس وقال ألا إن آلهتكم حرمت عليكم صفر العام فيحرمون فيه الدماء
والأموال ويستحلون المحرم فإذا كان من قابل نادى ألا إن آلهتكم حرمت عليكم المحرم العام فيحرمون فيه
الدماء والأموال ويستحلون صفر لبعيرهم وفيه وفي بعض الروايات أنه كان يقول قبل هذا النداء يا أيها الناس
أنا الذي لا أعاب ولا أخلف ولا مرد لما قضيت فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه أن ينسئهم شهرا
يغيرون فيه فيقول ألا إن صفر العام حلال فيريدون به المحرم ثم يقول حرام فيحرمون فيسمون المحرم صفرا وكان إذا
قال الناسي في المحرم حلال عقدوا الأوتار وشدوا الأزجة وأعملوا السيوف وأغاروا على الناس
وإذا قال حرام حلوا الأوتار ونزعوا الأزجة وأغمدوا السيوف قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا
ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام
بالمدينة بعد مرجعه من الطائف ثم أمره الله بالجهاد لغزوة الروم وأمره بالخروج إلى غزوة تبوك وذلك في
زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت ثمار أهل المدينة وأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج
إلى الجهاد فكانوا يتثاقلون عن الخروج ويحبون الظلال والثمار فأنزل الله هذه الآية ومعناها
يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم اخرجوا إلى جهاد المشركين تثاقلتم إلى الأرض وتكاسلتم واطمأننتم إلى أوطانكم
أرضيتم بالحيوة الدنيا استفهام بمعنى الإنكار أي اخترتم عمل الدنيا على عمل الآخرة واخترتم الحيوة
في الدنيا على الحيوة في الآخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة إلا قليل أي ما منفعة الدنيا
في الآخرة وفيما يتمتع به أولياء الله في الجنة إلا اليسير لأن الدنيا تضمحل وتفنى أهلها والآخرة دار القرار
قوله تعالى إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم أي إن لا تخرجوا مع
نبيكم في الجهاد يعذبكم عذاب استئصال ويستبدل قوما غيركم أي أطوع منكم ولا تضروه شيئا أي ولا
تنقصوا من ملكه شيئا بقعودكم عن الجهاد والله على كل شيء قدير من العذاب والإبدال وغير ذلك
قادر قوله تعالى إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين وذلك
أن كفار مكة لما أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم أخبره جبريل بذلك وأمره بالخروج فقال صلى الله عليه
وسلم لعلي كرم الله وجهه نم مكاني على الفراش وخرج إلى أبي بكر رضي الله عنه فخرجا إلى غار جبل ثور
وهو جبل بأسفل مكة ومشى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أطراف أصابعه حتى حفيت فلما رآه
أبو بكر حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار وكان الغار معروفا بالهوام فلما أراد رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخول الغار قال له أبو بكر رضي الله عنه مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ الغار فدخل
واستبرأه وجعل يسد الجحرة بثيابه خشية أن يخرج منها شيء يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فبقي
جحر فوضع عقبه عليه ثم دخل رسول الله فبقيا في الغار ليلتهما فدخل الكفار على علي رضي
الله عنه فقالوا له يا علي أين محمد فقال لا أدري أين ذهب فطلبوه من الغد وأتاهم رجلان قال

له كرز بن علقمة الخزاعي فقفا لهما الأثر حتى انتهى إلى جبل ثور فقال انتهيا إلى هنا وهذا أثره فما أدري
أين أخذ يمينا أو شمالا أو صعد الجبل فصعدوا الجبل يطلبونه وأعمى الله عليهم مكانه فلم يهتدوا إليه
فقام رجل منهم يبول مستقبلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر بعورته فقال أبو بكر يا رسول الله
ما أراه إلا قد أبصرنا فقال عليه السلام لو أبصرنا ما استقبلنا بعورته وأقبل شبان من قريش من كل بطن
معهم قسيهم وعصيهم حتى أتوا باب الغار وكان صلى الله عليه وسلم مر على ثمامة وهي شجرة ضعيفة فأمر
أبا بكر أن يأخذها معه فلما صار إلى باب الغار أمره أن يجعلها على باب الغار وألهم الله العنكبوت فنسجت
حتى سترت وجه النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه وبعث الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا حتى وقعتا على
باب الغار بين العنكبوت وبين الشجرة فلما رأى المشركون الشجرة والحمامة ونسج العنكبوت علموا أن ليس في الغار
أحد وكان أبو بكر يقول يا رسول الله قد أتينا وما أنا إلا رجل واحد فإن قتلت أنت هلكت هذه الأمة
ولا يعبد الله بعد هذا اليوم فقال لا تحزن يا أبا بكر إن الله معنا ثم نزل المشركون من الجبل ولم يقدروا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثة أيام ولياليهن وكان
عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه يأتيهما بأخبار مكة فلما أمنا الطلب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمر بالهجرة إلى المدينة فخرج بهما إلى المدينة استأجر رجلا يقال له عبد الله بن أريقط هاديهم الطريق إلى
المدينة فخرج بهما إلى المدينة فتبع سراقة بن مالك بن جعشم الكناني يخرجه إلى المدينة يلتمس أمنه وركب
فرسه يتبع آثارهم حتى أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرسخت قوائم فرسه فقال يا محمد ادع الله أن يطلق لي فرسي فأرد عنك من أرى من الناس فقال عليه السلام
اللهم إن كان صادقا فأطلق فرسه فأطلق الله فرسه فرجع سراقة وتقدم أبو بكر رضي الله عنه مع النبي
صلى الله عليه وسلم حتى أتيا المدينة هكذا يروى وفي هذه قصة طويلة ومعنى الآية إلا تنصروا محمدا
صلى الله عليه وسلم في الخروج معه إلى تبوك فالله ينصره كما نصره إذ أخرجه الكفار من مكة وهو ثاني
اثنين أي لم يكن معهما غيرهما وقوله تعالى **ثاني اثنين** نصب على الحال أي واحد اثنين وقوله
تعالى **إذ هما في الغار** أراد به غار ثور حين خرج إليه والغار النقب الذي يكون في الجبل وقوله
تعالى **إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا** معناه إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لصاحبه أبي بكر لا تحزن على قتلي وذهاب الإسلام إن الله يحفظنا ويدفع شر المشركين عنا وقوله تعالى
فأنزل الله سكينته عليه أي أنزل طمأنينته على رسوله حتى سكن واطمأن ويقال أنزل سكينته على
صاحبه أبي بكر فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان ساكنا وقوله تعالى **وأيده بجنود لم تروها** يعني
وأعان محمدا صلى الله عليه وسلم وقواه يوم بدر والأحزاب وحنين بجنود لم تعاينوها وهم الملائكة
وقوله تعالى **وجعل كلمة الذين كفروا السفلى** أي جعل كلمة الشرك يعلو به مذمومة وجعل
أهلها أذلة أسفلين وقوله تعالى **وكلمة الله هي العليا** أي وجعل كلمة التوحيد هي الكلمة
العالية الممدوحة **والله عزيز حكيم** أي منيع بالنقمة ممن عصاه حكيم فيما حكم ودبر وقوله
عز وجل **انفروا خفافا وثقالا** أي انفروا إلى الجهاد في سبيل الله شبانا وشيوخا وقيل موسرين ومعسرين
وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل نشاطا وغير نشاط أي خفت عليكم الحركة أو ثقلت وقوله تعالى **وجاهدوا
بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله** أي جاهدوا العدو بأموالكم وأنفسكم في طاعة الله **ذلكم** الجهاد
خير لكم من القعود عنه **إن كنتم تعلمون** أن الله صادق في وعده ووعيده وقوله عز وجل **لو
كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك** اسم كان مضمر تقديره لو كان المدعو إليه عرضا قريبا

أهل

أي غنيمة وسفرا سهلا لاتبعوك أي لو علموا أنهم يصيبون مغنما لخرجوا معك نزل هذا في من تخلف عن
غزوة تبوك من المنافقين وقوله تعالى **ولكن بعدت عليهم الشقة** أي لكن بعدت عليهم
المسافة إلى الشام **وسيحلفون بالله** في اعتذارهم لكم لو كان لنا سعة في الزاد والماء **لخرجنا**
معكم في غزاتكم **يهلكون أنفسهم** بالأيمان الكاذبة والقعود عن الجهاد **والله يعلم** أن لهم سعة
في المال والزاد **وإنهم لكاذبون** في هذا الاعتذار وقيل معنى قوله سفرا قاصدا أي موضعا قريبا وقوله
تعالى **عفا الله عنك لم أذنت لهم** أي تجاوز الله عنك يا محمد لم أذنت لهم في القعود عن الجهاد
حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار **وتعلم الكاذبين** في عذرهم قدم الله العفو على العتاب حتى
تسكن قلبه صلى الله عليه وسلم ثم قال بعد العفو لم أذنت لهم ولو أن الله أخره بالذنب قبل أن
يخبره بالعفو لكان يخاف على النبي صلى الله عليه وسلم من هيبة قوله تعالى لم أذنت لهم وقوله تعالى
لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم أي لا يستأذنك المؤمنون
في القعود عن الجهاد وقوله أن يجاهدوا معناه أن لا يجاهدوا **والله عليم بالمتقين** أي عالم بالمخلصين
المطيعين فيميزهم على المنافقين وقوله تعالى **إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر**
أي إنما يستأذنك في القعود عن الجهاد الذين لا يصدقون بالله وبيوم البعث **وارتابت قلوبهم** أي
شكت واضطربت **فهم في** ريبهم يترددون والريب الشك مع اضطراب القلب وقوله تعالى **ولو أرادوا
الخروج لأعدوا له عدة** أي لو أراد والله لهم الخروج معك إلى العدو لأعدوا له أهبة **ولكن كره
الله انبعاثهم** أي لكن لم يرد الله خروجهم معك لأنهم لو خرجوا لكان يقع خروجهم على وجه
الإضرار على المسلمين وذلك كفر ومعصية وقوله تعالى **فثبطهم** أي حبسهم تعالى وثبطهم عن مراد حبسه
عنه وقوله تعالى **وقيل اقعدوا مع القاعدين** أي اقعدوا مع النساء والصبيان ويجوز أن يكون القائل
لهم النبي صلى الله عليه وسلم بأمر الله ويجوز أن يكون قد قال لهم بعضهم لبعض وقيل قال لهم الشيطان
ووسوس لهم ثم بين الله أنه لا منفعة للمسلمين في خروجهم بل عليهم مضرة لهم فقال تعالى **لو خرجوا
فيكم ما زادوكم إلا خبالا** أي لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا شرا وفسادا وقوله تعالى **ولأوضعوا
خلالكم** أي ولأسرعوا فيما بينكم **يبغونكم الفتنة** أي يطلبون لكم فساد الرأي وعيوب المسلمين
ويقال لأسرعوا فيكم بالنميمة والإيضاع الإسراع في السير يقال أوضع البعير إيضاعا وقوله تعالى **وفيكم
سماعون لهم** أي وفيكم قائلون منهم ما يسمعون منهم ويقال في عسكركم عيون لهم ينقلون إليهم ما
يسمعون منكم **والله عليم بالظالمين** يجازيهم على سوء أفعالهم وقوله تعالى **لقد ابتغوا الفتنة من قبل**
أي لقد طلب هؤلاء المنافقون صد أصحابك عن الدين وردهم إلى الكفر وتخذيل الناس عنك قبل هذا اليوم
كفعل عبد الله بن أبي يوم أحد وقوله تعالى **وقلبوا لك الأمور** أي احتالوا فيك وفي إبطال دينك
بالتخذيل عنك وتشتيت أمرك وكلمتك من قبل غزوة تبوك فقلبوا لك الأمور ظهرا لبطن **حتى جاء الحق**
أي حتى جاء الإسلام وأظهره الله على سائر الأديان **وهم كارهون** لذلك وقوله تعالى **وظهر أمر
الله** أي دين الله وقوله تعالى **ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا** نزلت في جد
ابن قيس من المنافقين دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الخروج إلى العدو وحرضه على الجهاد فقال له يا جد بن
قيس هل لك في جلاد بني الأصفر تتخذ منهم سراري ووصفاء يعني الروم وكان بنو الأصفر رجلا من الحبشة ملك
الروم وغلب على ناحية منها فتزوج حبشية في الروم فولد لهم بنات أخذن من بياض الروم وسواد الحبشة
فكن صفرا لعسا لم ير مثلهن فقال له جد بن قيس ائذن لي يا رسول الله أن أقيم ولا تفتني ببنات الأصفر

ومن عرف قومي عجبي بالنساء واني اذا رأيت المرأة تعجبني فما املك نفسي حتى اضع يدي على المحرم فلما سمع النبي
صلى الله عليه وسلم قوله اعرض عنه وقال اذنت لك و قوله تعالى ولا تفتني اي لا تاذن لي في التخلف ولا
تفتني ببنات الاصفر • قال قتادة معناه ولا توقعني وقوله تعالى الا في الفتنة سقطوا اي في الاثم
والشرك وقعوا بنفاقهم وبمخالفتهم امرك في ترك الجهاد وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي انهم
يدخلون جهنم لا محالة لان الشيء اذا كان محيطا بالانسان فانه لا يفوته ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس غير انه بخيل فقال صلى الله عليه وسلم واي داء
ادوأ من البخل بل سيدكم الفتى الابيض الجعد بشر بن البراء بن معرور فقال فيه حسان
وقال رسول الله والحق قوله • لمن قال منا من تعدون سيدا • فقلنا له جد بن قيس على التي
نبخله فينا وان كان انكدا • فقال واي الداء ادوى من الذي • رميتم به جدا وعالى بها يدا
وسود بشر بن البراء بجوده • وحق لبشر ذي الندى ان يسودا • اذا ما اتاه الوفد انهب ماله
وقال خذوه انه عائد غدا قوله عز وجل ان تصبك حسنة تسؤهم اي ان تصبك يا محمد حسنة
من فتح وغنيمة تسؤهم تلك الحسنة وتحزنهم يعني المنافقين وان تصبك مصيبة اي قتل وهزيمة
ونكبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل اي اخذنا حذرنا بالتخلف عنهم من قبل هذه المصيبة
ويتولوا عنك وهم فرحون بما اصابك من الشدة قوله تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله
لنا هو مولانا اي قل يا محمد للمنافقين لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ علينا وقال
الحسن معناه انا لسنا مهملين لان جميع ما يصيبنا من خير وشر فهو مكتوب في اللوح المحفوظ وقال
معناه قل لن يصيبنا في عاقبة الامر الا ما كتب الله لنا به من الفتح والنصر على الكفار وان اصابنا
الهزيمة في الحال فان امور العباد لا تجري الا على تدبير قد احكم وابرم • وقوله تعالى هو مولانا
اي ولينا يحفظنا وينصرنا قوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون معنى التوكل على الله تفويض
الامر اليه مع الثقة به قوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان
يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون اي هل تنتظرون بنا الا
النصر على الكفار والظفر بهم او القتل على وجه الشهادة في الدنيا مع ثواب الاجر ونحن ننتظر بكم احدى
الشرين اما ان يصيبكم الله بعذاب الاستئصال من عنده او بان ينصرنا عليكم فنقتلكم باسيافنا فانتظروا
بنا ما قلنا كي ننتظر نحن بكم عذاب الاستئصال والنصرة عليكم قوله تعالى قل انفقوا طوعا او كرها لن
يتقبل منكم معناه ان انفقتم في الجهاد طائعين من قبل انفسكم او مكرهين مخافة القتل لن يتقبل
منكم ما انفقتم لما انتم عليه من الكفر والنفاق وقد يذكر لفظ الامر ويراد به الشرط والجزاء كما قال الشاعر
اسيئي بنا او احسني لا ملومة • لدينا ولا مقلية ان تقلت • معناه ان احسنت بنا او اسأت بنا
غير ملومة • قوله تعالى انكم كنتم قوما فاسقين تعليل لنفي تقبل نفقتهم لان النفاق محبط للطاعة
ومنع من استحقاق الثواب قوله تعالى وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي
ما منعهم عن نيل الثواب على نفقاتهم الا كفرهم بالله وبرسوله ومعنى قوله نفقاتهم اي صدقاتهم وقرأ
حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لتقديم الفعل وقرأ الباقون بالتاء قوله تعالى ولا يأتون الصلوة
الا وهم كسالى اي متثاقلين لانهم لا يرجون باداءها ثوابا ولا يخافون بتركها عقابا والحال انهم

يصلون مراءاة الناس وكذلك ينفقون في الزكوة وغيرها لاجل التستر بالاسلام لا ابتغاء ثواب الله والكسالى
جمع كسلان كما يقال سكارى وسكران قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم اي لا تعجبك
يا محمد كثرة اموالهم ولا اولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد الله ان يعذبهم بها في الاخرة قال
الحسن التقدير لا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليشدد عليهم في التكليف بان يامرهم بالانفاق في الزكوات
والغزو وبما يشاكل ذلك من المكاره التي تشق عليهم لانهم لا يرجون بذلك ثوابا في الاخرة ويكونون معذبين بالانفاق
اذا كانوا ينفقونها على كره منهم وقيل اراد بقوله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا اي بما ينالهم من المصائب
في اموالهم لا يكون كفارة لذنوبهم قوله تعالى وتزهق انفسهم اي تخرج انفسهم على الكفر قوله تعالى
وهم كافرون اي في حال كونهم كافرين والزهوق خروج الشيء بصعوبة واصله الهلاك قوله تعالى ويحلفون
بالله انهم لمنكم وما هم منكم معناه ان هؤلاء المنافقين يحلفون للمؤمنين انهم على دينهم فيقول الله تعالى
وما هم منكم اي ليسوا على دينكم ولكنهم قوم يفرقون اي يخافون من المسلمين فاظهروا الاسلام
واسروا النفاق قوله تعالى لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون معناه
لو يجدون حرزا يلجأون اليه ويتحصنون فيه او غيرانا في الجبال او سربا في الارض او قوما يمكنهم الدخول
فيما بينهم يحفظونهم منكم لصاروا اليهم وهم يجمحون اي وهم يستبقون ويسرعون اسراعا لا يرد وجوههم
شيء يقال فرس جموح اذا ذهب في عدوه لم يرده اللجام • وقال عطاء في معنى قوله لو يجدون ملجأ
اي مهربا وقال ابن كيسان قوما يامنون فيهم • وقرأ عبد الرحمن بن عوف او مغارات بضم الميم وقوله تعالى او
مدخلا قال الكلبي نفقا كنفق اليربوع وقيل معناه موضع دخول يدخلون فيه • وقرأ الحسن مدخلا بفتح
الميم وتخفيف الدال • وقرأ ابي مندخلا باثبات النون وقوله تعالى لولوا اليه قرأ الاشهب العقيلي لوالوا اليه
بالالف من الموالاة اي تابعوا وسارعوا قوله عز وجل ومنهم من يلمزك في الصدقات اي ومن المنافقين من
يعيبك في الصدقات فان اعطوا من الصدقة مقدار مرادهم رضوا بالقسمة وان لم يعطوا منها لم يرضوا
بالقسمة نزلت هذه الاية في ابي الجواظ وغيره من اللامزين من المنافقين كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يقسم الصدقات فقال ابو الجواظ ما ترون صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم فقال صلى الله عليه
وسلم لا ابا لك اما كان موسى عليه السلام راعيا اما كان داود عليه السلام راعيا فذهب ابو الجواظ
فقال صلى الله عليه وسلم احذروا هذا واصحابه فانزل الله هذه الاية • وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسما اذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي فقال
اعدل يا رسول الله فقال ويلك من يعدل اذا لم اعدل فقال عمر رضي الله عنه ائذن لي يا رسول
الله ان اضرب عنقه فقال عليه السلام دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلوته مع صلوته وصومه
مع صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية • وقرأ الحسن بن يعقوب يلمزك بضم الميم • وقراءة
الاعمش يلمزك بضم الياء وتشديد الميم يقال لمز وهمز اذا عابه ورجل همزة لمزة • وقال عطاء
معنى يلمزك اي يغتابك قوله تعالى اذا هم يسخطون قرأ اياد بن لقيط اذا هم ساخطون قوله
تعالى ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله اي لو رضوا بما رزقهم الله وما يعطيهم رسوله
من العطية والصدقة وقالوا حسبنا الله اي كافينا الله سيعطينا الله من رزقه ويعطينا
رسوله مما يكون عنده من الصدقة والفضل وقالوا انا الى الله اي فيما عنده من الثواب راغبون
لكان خيرا لهم واعود عليهم الا انه حذف الجواب لان الحذف للجواب في مثل هذا الموضع ابلغ من الاثبات
لانك اذا حذفت الجواب ذهبت فيه النفس كل مذهب قوله عز وجل انما الصدقات للفقراء
والمساكين والعاملين عليها قال ابن عباس والحسن وجابر بن زيد والزهري ومجاهد

الفقير المتعفف الذي لا يسأل الناس والمسكين الذي يسأل الناس ومعنى الآية انما الصدقات للفقراء المذكورين لا للمنافقين وقال ابن عباس الفقراء هم اصحاب الصفة صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا نحوا من اربعمائة رجل لم يكن لهم منازل في المدينة ولا عشائر فآووا الى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمسون الرزق بالنهار ويأوون اليه بالليل فمن كان عنده فضل من الطعام أتاهم به اذا امسى وقال المساكين هم الطوافون الذين يسألون الناس وعلى هذا المسكين افقر من الفقير ومن الدليل على ذلك ان الله قال للفقراء الذين احصروا في سبيل الله ثم قال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ومعلوم ان الجاهل بحال الفقير يحسبه غنيا الا وله ظاهر جميل وبزة حسنة وقال تعالى او مسكينا ذا متربة قيل في التفسير الذي قد لصق بطنه بالتراب فهو جائع عار ليس بينه وبين التراب شيء يقيه وقال ابو العباس ثعلب حكي عن بعض اهل اللغة انه قال قلت لاعرابي افقير انت قال لا بل مسكين • وانشد الاعرابي • اما الفقير الذي كانت حلوبته • وفق العيال فلم يترك له سبد • فسماه فقيرا مع وجود حلوبته • وقال محمد بن سلمة الفقير الذي لا ملك له قال وكل محتاج الى شيء فهو مفتقر اليه • واحتج من قال ان الفقير افقر من المسكين بقوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاضاف السفينة اليهم وهذا لا دلالة فيه لانه روي انهم كانوا فيها اجراء قوله تعالى **والعاملين عليها** يعني السعاة الذين يجبون الصدقة ويتولون قبضها من اهلها فيعطون منها سواء كانوا اغنياء او فقراء واختلفوا في قدر ما يعطون قال الضحاك يعطون الثمن من الصدقة وقال مجاهد يأكل العامل من السهم الثامن وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يعطون على قدر عمالتهم وقال الاعمش يعطون بقدر اجور امثالهم وان كان اكثر من الثمن • وقال مالك واهل العراق انما ذلك الى الامام واجتهاده يعطيهم الامام قدر ما يرى وعن ابن عمر رضي الله عنه يعطيهم بقدر عملهم وعند الشافعي يعطون من الصدقات قوله تعالى **والمؤلفة قلوبهم** هم قوم كان يعطيهم النبي صلى الله عليه وسلم يتألفهم على الاسلام وكانوا رؤساء في كل قبيلة منهم ابو سفيان بن حرب من بني امية والاقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزاري وغيرهما من بني عامر بن لؤي والحرث بن هشام المخزومي وسهيل بن عمرو [illegible] اسد والعباس بن مرداس من بني سليم فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء المؤلفة قلوبهم الى ابي بكر رضي الله عنه فطلبوا منه سهمهم فامرهم ان يكتبوا كتابا فجاءوا بالكتاب الى عمر رضي الله عنه ليشهد فقال عمر اي شيء هذا قالوا سهمنا فقال عمر رضي الله عنه وقيل الجوهر تكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ان الاسلام اجل من ان يرشى عليه ثم اخذ عمر كتابهم ومزقه وقال انما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيكموه ليتألفكم على الاسلام واما اليوم فقد اعز الله الاسلام فان ثبتم على الاسلام والا فبيننا وبينكم السيف فرجعوا الى ابي بكر وقالوا انت الخليفة ام هو فقال هو ان شاء فبطل سهمهم قوله تعالى **وفي الرقاب** معناه عند اكثر الناس في فك الرقاب فهم المكاتبون وذهب مالك الى انهم رقاب يبتاعون من الزكوة فيعتقون فيكون ولاؤهم لجميع المسلمين ودون المعتقين • قال ولا يعطى المكاتب من الزكوة ولا من الكفارات شيئا وقد روي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال علمني عملا يدخلني الجنة قال فك الرقبة واعتق النسمة قال اوليسا سواء قال لا فك الرقبة ان تعين في عتقها فانتهى قوله تعالى وفي الرقاب المعونة في العتق قوله تعالى **والغارمين** يعني المديونين الذين لا يكون لهم فضل نصاب على الدين لان المال وان كان في ايديهم فهو مستحق بدينهم • وقال مجاهد والزهري انما تحل الصدقة للمديون اذا كان الدين قد لحقه بغير اسراف ولا معصية • وقال قتادة الغارمون هم قوم لحقتهم ديون في غير تبذير ولا فساد وعن مجاهد ان الغارم

من احترق بيته او ذهب السيل بماله او ادان على عياله قوله تعالى **وفي سبيل الله** اراد به المجاهدين اذا انقطعوا عن زادهم ورواحلهم وقال ابو يوسف هم الفقراء الغزاة واما اذا كان الغازي غنيا اختلفوا فيه فقال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد لا يعطى الغازي الغني • وقال الشافعي ومالك يعطى الغازي الغني وحجتهما قوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة رجل عمل عليها ورجل اشتراها بماله او رجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى اليه جاره وفي سبيل الله **وابن السبيل** قوله تعالى وابن السبيل هو المسافر المنقطع عن ماله سمي بذلك لملازمته السبيل كما يقال ابن الغنى وابن الفقير وقال مجاهد والزهري لابن السبيل حق في الزكوة وان كان غنيا • وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف قوله تعالى **فريضة من الله** اي فرض الله هذه الاشياء فريضة **والله عليم** بمصالح عباده **حكيم** في افعاله والغرض في ذكر الاصناف في هذه الآية بيان انه لا يجوز اخراج الصدقة منهم الى غيرهم لان الحاجة في جميع الاصناف المذكورين في هذه الآية موجودة ولان من عليه الزكوة اذا حمل الزكوة بنفسه الى المال لم يكن لاحد من العمال في ذلك نصيب وقال الشافعي تقسم الصدقة على الاصناف الثمانية كما هو مذكور في الآية الا ان يفقد صنف فيقسم على الباقين وقيل يقسم على اصله على سبعة اصناف لان المؤلفة قد سقطوا قال ويعطى كل سهم من الثمانية ثلاثة من كل صنف فان اعطى اثنين ضمن ثلث سهم • واختلف العلماء في المقدار الذي اذا ملكه الرجل دخل في حد الغنى وخرج من حد الفقر قال بعضهم اذا كان عند اهله قوت يومهم واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم من سأل عن ظهر غنى فانما يستكثر من جمر جهنم قيل يا رسول الله وما ظهر الغنى قال ان تعلم عند اهله ما يغديهم ويعشيهم وقال بعضهم اذا ملك اربعين درهما او عدلها من الذهب واستدل بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سأل منكم وعنده اوقية او عدلها من الذهب فقد سأل الحافا وكانت الاوقية يومئذ اربعين درهما • وقال بعضهم اذا ملك خمسين درهما او عدلها من الذهب لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يسأل عبد مسألة وله ما يغنيه الا جاءت يوم القيمة في وجهه كدوحا او خدوشا قيل يا رسول الله وما غناه قال خمسون درهما او عدلها من الذهب والصحيح ان من ملك ما يكفيه دهره او عدلها من عرض او غيره فاضلا عما يحتاج اليه من مسكن وخادم واثاث وفرس لم تحل له الصدقة لقوله عليه السلام امرت ان آخذ الصدقة من اغنيائكم واردها على فقرائكم فكره اخلاط الفقراء في نوعين ولا خلاف ان الذي يملك مائتي درهم يكون غنيا فوجب ان لا يكون داخلا في الفقر ولو كان الاعتبار بالقوت لكان الذي له غداء دون العشاء او عشاء دون الغداء لا يحل له الصدقة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق وان جاء على فرس والفرس في اكثر الاحوال يساوي اكثر من اربعين درهما قوله عز وجل **ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن** قال ابن عباس وذلك ان جماعة من المنافقين منهم الجلاس بن سويد ومخشي بن حمير وابو ياسر بن قيس وسماك بن يزيد وعبيد بن هلال ورفاعة بن المنذر كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون فيه ما لا يجوز فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه الخبر فقال الجلاس بل نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا فيما نقول فان محمدا اذن سامعة فانزل الله هذه الآية ومعناها ومن هؤلاء المنافقين من يؤذي النبي ويقولون هو صاحب اذن يصغي الى كل احد ويقبل كل ما قيل له قوله تعالى **قل اذن خير لكم** اي قل هو مستمع خير لا مستمع شر وقيل معناه هو يستمع الى ما هو خير لكم وهو الوحي • وقرأ الحسن هو اذن خير لكم كلاهما بالتنوين والضم معناه ان كان محمد كما قلتم اذن فهو خير لكم يقبل عذركم • وقرأ نافع قل اذن بجزم الذال وهو لغة في الاذن قوله تعالى **يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين** اي يصدق بما انزل الله عليه ولا يعانده بالله لا يعلم الا

بالحق ويؤمن للمؤمنين أي يصدق المؤمنين فيما يخبرونه واختلفوا في اللام التي في المؤمنين فقال بعضهم
هي زائدة كما في قوله ردف لكم معناه ردفكم وقال بعضهم انما ذكر اللام للفرق بين التصديق والايمان
فانه اذا قيل ويؤمن للمؤمنين لم يعقل عنه غير التصديق كما في قوله وما انت بمؤمن لنا أي بمصدق وقوله
تعالى لن نؤمن لكم أي لن نصدقكم قوله تعالى ورحمة للذين آمنوا منكم قرأ حمزة والاعمش ورحمة
ورحمة بالخفض على معنى اذن خير واذن رحمة وقرأ الباقون ورحمة بالرفع يعني هو رحمة جعله
الله النبي صلى الله عليه وسلم رحمة لهم لانهم انما نالوا الايمان ببركته وهدايته قوله تعالى والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وعد من الله لهم في المنافقين على مقالتهم تلك. قال ابن
عباس فلما نزلت هذه الآية جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وسلم يحلفون انهم لم يقولوا فانزل الله هذه الآية
قوله تعالى يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ولم يقل يرضوهما لانه يكره الجمع
بين ذكر اسم الله وذكر اسم رسوله في كناية واحدة كما روي ان رجلا قام خطيبا عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال عليه السلام بئس الخطيب انت هلا قلت
ومن يعص الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله
ثم شاء فلان فلما كره الجمع بين الله وبين غيره في الذكر تعظيما لله رد الضمير في قوله يرضوه الى الواحد لان
رضى الله متضمن رضى رسوله قوله تعالى ان كانوا مؤمنين أي ان كانوا مصدقين بقلوبهم غير
منافقين كما يدعون فطلبهم رضى الله اولى من طلبهم رضاكم قوله تعالى ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله
فان له نار جهنم خالدا فيها معناه ألم يخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم ان من خالف الله ورسوله
في الدين فيجعل نفسه في حد ورسوله في حد فله نار جهنم ودخلت ان موكدة وهي اعادة ان الاولى لانه لما
طال الكلام كانت اعادتها اوكد ومن قرأ بالكسر فهو على الاستئناف قوله تعالى ذلك الخزي العظيم
أي ذلك الهوان الشديد الدائم قوله تعالى يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم
اكثر المفسرين على ان هذا اخبار عن المنافقين انهم يحذرون ان الله ينزل سورة تخبر عما في قلوبهم من
النفاق والشرك وان بعض المنافقين كانوا لا يعلمون بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ولكنهم كانوا يكفرون
عند اهل الشرك عنادا وحسدا وبعضهم كانوا عند انفسهم شاكين غير مستبصرين وكانوا يخافون اذا اذنبوا
ذنبا ان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن ما يكشف عن نفاقهم وفي الآية ما يدل على هذا
وهو قوله تعالى ان الله مخرج ما تحذرون أي مظهر ما تخفون من ظهور النفاق وعن هذا سميت
هذه السورة سورة الفاضحة لانها فضحت المنافقين وتسمى ايضا الحافرة لانها حفرت عن قلوب المنافقين
وقوله تعالى قل استهزئوا ان الله تهديد وان كان لفظه لفظ الامر كما في قوله اعملوا ما شئتم. وذهب
الزجاج الى ان قوله يحذر المنافقون لفظه اخبار ومعناه الامر كأنه قال ليحذر وهذا كما قال تعالى والمطلقات
يتربصن قوله تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بينا
هو في مسيره راجع من غزوة تبوك وثلاثة نفر يسيرون بين يديه فجعل رجلان يستهزئان برسول الله صلى الله
عليه وسلم ويقولان ان محمدا قال نزل في اصحابه الذين تخلفوا كذا وكذا والثالث يضحك مما يقولون ولا يتكلم
بشيء فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بما يقولون فدعا عليه السلام عمار بن ياسر وقال
انهم يتحدثون بكذا وكذا ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب انطلق اليهم واسألهم عم يتحدثون وقل
لهم احرقتم احرقكم الله ففعل ذلك عمار فجاؤوا الى النبي صلى الله عليه وسلم يعتذرون ويقولون انما كنا نخوض
ونلعب فيما يخوض فيه الركب اذا سار فانزل الله هذه الآية. وعن الحسن وقتادة انهم كانوا في طريق
غزوة تبوك فقالوا أيطمع هذا الرجل ان تفتح له قصور الشام هيهات ما ابعده عن ذلك فاطلع الله نبيه على ذلك

قوله تعالى قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون فيه الف استفهام ومعناه التوبيخ لهم على ما
كانوا يفعلونه وقوله تعالى لا تعتذروا أي لا تعتذروا عن مقالتكم قد كفرتم بعد ايمانكم أي قد
ظهر لكم الكفر بعد اظهاركم الايمان فانهم قط لم يكونوا مؤمنين ولكن كانوا منافقين قوله تعالى ان نعف
عن طائفة منكم نعذب طائفة فيه قراءتان احداهما الضم على ما لم يسم فاعله والثانية ان نعف عن طائفة
منكم نعذب طائفة بالنصب قال ابن عباس معناه ان نعف عن الرجل الذي لم يتكلم بشيء ولكنه يضحك فهو جهني
من حمير نعذب الرجلين اللذين كانا يتكلمان بالهزء انهم كانوا مجرمين أي كافرين في السر وكل معصية جرم
الا انه اراد بالجرم هاهنا الكفر قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض أي بعضهم
يضاف الى بعض لاجتماعهم على الشرك والاستهزاء بالمسلمين كما يقال انا من فلان وفلان مني أي امرنا واحد
وكلمتنا واحدة وقوله تعالى يأمرون بالمنكر أي بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف أي الايمان والطاعة
وقوله تعالى ويقبضون أيديهم عن الخيرات كلها وقوله تعالى نسوا الله فنسيهم أي تركوا امر الله واعرضوا
عنه حتى صار كالمنسي عندهم باعراضهم فتركهم الله من رحمته حتى صاروا كالمنسيين عنده وان كان النسيان مما
لا يجوز على الله الا انه قال فنسيهم لمزاوجة الكلام كما في قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وقال
تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون أي هم المتمردون في الكفر والعتو
وكل شيء هو التمرد فيه وان كان النفاق اعظم من الفسق قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار نار جهنم خالدين فيها في الآية جمع بين المنافقين وبين الكفار في التسمية وان كان المنافقون هم
الكفار لتكون الآية دالة على ان المنافقين يلحقهم الوعيد من جهة الكفر والنفاق وجهنم من اسماء
النار يقول العرب للبئر البعيدة القعر جهنام فيجوز ان تكون جهنم مأخوذة من هذا اللفظ لبعد قعرها وقوله
تعالى هي حسبهم أي هي كفايتهم على ذنوبهم لان فيها جزاء اعمالهم قوله تعالى ولعنهم الله أي ابعدهم
من الثواب والمدح في الدنيا وعن الثواب والرحمة في الآخرة ولهم عذاب مقيم أي عذاب دائم قوله عز وجل
كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا أي وعد الله اهل زمانكم على الكفر والنفاق
نار جهنم كما وعد الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة في البدن واكثر اموالا واولادا فانتفعوا بنصيبهم من
الدنيا ولم ينفعهم ذلك حتى نزل بهم عذاب الله فكذلكم انتم والخلاق هو النصيب من الخير وقوله تعالى
فاستمتعتم بخلاقكم أي فاستمتعتم انتم بنصيبكم من الدنيا وخضتم فيها كما استمتع الذين من قبلكم في
وقوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا أي في الكفر والاستهزاء بالمؤمنين كما خاض أولئك وقوله تعالى أولئك
حبطت اعمالهم أي اهل هذه الصفة حبطت اعمالهم التي عملوها على جهة البر مثل الانفاق في وجوه الخير وصلة
الرحم حبطت في الدنيا حتى لا يستحقوا بها الاكرام والتعظيم في الدنيا وحبطت في الآخرة حتى لا يستحقوا
بها الثواب في الآخرة واولئك هم الخاسرون أي هم الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة والخسران
هو ذهاب رأس المال من ذنب ان يربح عليه قوله تعالى ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد
وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين معناه ألم يأت المنافقين والكفار خبر من قبلهم كيف اهلكهم الله عز وجل
حين تمردوا في الكفر والاستهزاء بالمرسلين وهم قوم نوح اهلكهم الله بالغرق وعاد قوم هود اهلكهم الله بالريح
وثمود اهلكهم الله بالصيحة والرجفة وهم قوم صالح وقوم ابراهيم اهلكهم الله نمرود منهم بالبعوضة وسائر قومه
بالهدم واصحاب مدين قوم شعيب اهلكهم الله بالصيحة وعذاب الظلة ومدين هو مدين بن ابراهيم نسبت القرية اليه
قوله تعالى والمؤتفكات أي المنقلبات وهي قريات قوم لوط اهلكهم الله بالخسف قلب مدائنهم عليهم ويقال
اراد بالمؤتفكات كل من انقلب امرهم عليهم من الخير الى الشر يقال للهالك انقلبت عليه الدنيا وقوله تعالى اتتهم
رسلهم بالبينات أي بالحجج والبراهين فما كان الله ليظلمهم أي لما كذبوا الرسل وكفروا بالآيات

اهلكهم الله ولم يكن ذلك ظلما لهم انهم استحقوا ذلك بعملهم وكانوا الظالمين لانفسهم قوله تعالى والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض اي بعضهم انصار بعض يأمرون بالمعروف اي بالتوحيد واتباع
محمد صلى الله عليه وسلم وشرائعه وينهون عن المنكر اي عما لا يعرف في شريعته ولا سنته ويقيمون الصلوات الخمس لوقتها
ويؤتون الزكوة الواجبة في اموالهم ويطيعون الله في الفرائض ورسوله في السنن اولئك سيرحمهم
الله اي يرحم عليهم في الآخرة والرحمة هي النعمة على المحتاج • وعن بعضهم هل الاشارة سيرحمهم في خمس
مواضع عند الموت وسكراته وفي القبر وظلماته وعند قراءة الكتاب وحسراته وعند الميزان ونقصانه وعند
الصراط ومشقته ان يؤمن بالله ورسوله قوله تعالى ان الله عزيز حكيم اي غالب في ملكه وسلطانه يحكم
على ما توجبه الحكمة قوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار اي
بساتين تجري من تحت شجرها وغرفها انهار الماء والعسل والخمر واللبن خالدين فيها اي مقيمين دائمين
فيها قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن اي ومنازل طاهرة عامرة تطيب لهم العيش وقيل
هي مساكن بناها الله من اللآلئ واليواقيت الحمر والزبرجد الاخضر قوله تعالى في جنات عدن اي بساتين
اقامة • قال ابن عباس رضي الله عنهما جنات عدن في وسط الجنة والجنان حولها محدقة بها وهي مغطاة
منذ خلقها الله حتى ينزلها اهلها النبيون والصديقون والشهداء والصالحون • وعن مجاهد قال
عمر رضي الله عنه وهو على المنبر هل تدرون ما جنات عدن قصور في الجنة من ذهب لكل قصر خمسة آلاف باب
على كل باب خمسة وعشرون الفا من الحور العين لا يدخلها الا نبي وهنيئا لصاحب هذا القبر واشار الى قبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم او صديق وهنيئا لابي بكر او شهيد واني لعمر الشهادة • قوله تعالى ورضوان من الله
اكبر اي رضى الرب عنهم اكبر واعظم من هذا النعيم كله لانهم انما نالوا ذلك كله برضوان الله عز وجل
والرضوان ارادة الخير والثواب قوله تعالى ذلك هو الفوز العظيم اي ذلك الذي ذكرته هو النجاة الوافية
نجا من النار وظفر بالجنة • وعن الحسن في قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اي سرورهم في الآخرة برضوان
الله عنهم يكون اكبر من سرورهم بهذا النعيم كله • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا انزل الله اهل
الجنة منازلهم قال الا اعطيكم ما هو اكبر من هذا كله فيقولون بلى يا رب وما اكبر من ذلك فيقول الله
عز وجل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
اي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واغلظ على الفريقين جميعا ومصيرهم في الآخرة جهنم وبئس المصير
الذي يصيرون اليه وقال الحسن معناه جاهد الكفار بالقتال والمنافقين بالحدود فانهم كانوا اكثر تعاطي
الاسباب الموجبة للحدود قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم
قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن ابي والجلاس بن سويد وعامر بن النعمان وغيرهم كانوا خمسة عشر رجلا خلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بتبوك وسمعهم رجل فقال الجلاس لئن كان ما يقول محمد حقا على اخواننا
لنحن شر من الحمير فسمعه عامر بن قيس فقال اجل والله ان محمدا لصادق ولانتم شر من الحمير فلما رجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اخبره عامر بن قيس بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب علي يا رسول الله
فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا على المنبر فحلفا جميعا فرفع عامر بن قيس يده الى السماء وقال
اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق فقال صلى الله عليه وسلم آمين فانزل الله هذه الآية ومعناها يحلف
المنافقون بالله ما تكلموا بكلمة الكفر ولقد تكلموا بها واظهروا الكفر بعدما اظهروا الاسلام وقيل كفروا
بقولهم ذلك بعدما كانوا مسلمين على زعمهم قوله تعالى وهموا بما لم ينالوا اي قصدوا الى ما لم يصلوا الى
ذلك والهم ما يثبت في النفس مقارنته دون الوقوع فيه وذلك انهم كانوا هموا بقتل الذي انكر عليهم قولهم
وقيل هم المنافقون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى غزوة بني المصطلق وقد جمعوا له ليقاتلوه

فالتقوا

فالتقوا على ماء لهم فهزمهم الله وسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابناءهم ونساءهم ورجع فلما نزل منزلا
في الطريق اختصم رجل من اصحاب عبد الله بن ابي ورجل من المخلصين غفاري يقال له الجهجاه فلطم الغفاري
صاحب عبد الله بن ابي فغضب عبد الله وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم ثم نظر الى اصحابه وقال لقد امرتكم
ان تمسكوا طعامكم عن هذا الرجل ومن معه حتى يتفرقوا فلم تفعلوا والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل فقال الغفاري اتقول مثل هذا والله لئن شئت لطعنتك فقال عبد الله سمن كلبك يأكلك
فسمع زيد بن ارقم وكان غلاما حدث السن ما قال عدو الله وعدو رسوله اتقول هذا والله لابلغن رسول
الله ما قلت ثم انطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم واعلمه وعنده عمر رضي الله عنه فقال عمر يا رسول الله مر عباد
بن بشر فليقتله فقال يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه فبلغ عبد الله بن ابي ما قال زيد بن
ارقم فمضى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اشراف الانصار يصدقونه ويكذبون زيدا ويقولون
عسى ان يكون زيد كذب وهم وكان ابن ابي يحلف بالله ما قال ذلك فقال اسيد بن حضير يا رسول الله ارفق
بهم فوالله لقد جاء الله بك وان قومه ينظمون له الخرز ليتوجوه فهو يرى انك سلبته ملكا عظيما فسار رسول
الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك حتى امسى وليلته حتى اصبح ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في
قول ابن ابي وهموا بما لم ينالوا ونزل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين قوله تعالى وما نقموا الا ان اغناهم
الله ورسوله من فضله معناه وما طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الا لان اغناهم الله من فضل
الله واغناهم رسوله وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان اهلها في شدة من العيش لا يركبون
الخيل ولا يحوزون الغنيمة فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة استغنوا قوله تعالى فان يتوبوا يك
خيرا لهم اي ان يتوبوا من النفاق يكن خيرا لهم في الدنيا والآخرة وان يعرضوا عن التوبة يعذبهم الله
في الدنيا بالقتل عند اظهار حالهم وفي الآخرة بالنار وما لهم في الارض من حافظ ولا دافع يدفع
عنهم عذاب الله قال ابن عباس فلما نزلت هذه الآية قام الجلاس بن سويد وقال يا رسول الله اسمع الله قد
عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قال لكذا انا استغفر الله عز وجل واتوب اليه فقبل منه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم تاب وحسنت توبته قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن
ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس معناه ومن المنافقين من عاهد الله وهو ثعلبة بن حاطب كان له مال بالشام
وابطأ عليه فجهد لذلك جهدا شديدا فحلف بالله لئن آتانا الله من فضله يعني المال الذي له بالشام لنصدقن
منه ولنصلن به الرحم ولنؤدين منه حق الله ولنكونن من المقيمين لفرائض الله فآتاه الله المال الذي كان له بالشام
فبخل بما وعد فلم يفعل ما عاهد الله عليه • وعن ابي امامة الباهلي ان ثعلبة بن حاطب جاء الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال له ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تؤدي
[illegible] ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة اما ترضى ان يكون
لك مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سألت الله ان يسيل على الجبال ذهبا وفضة لسالت فقال يا رسول الله
ادع الله ان يرزقني مالا فوالله لئن آتاني الله مالا لأوتين كل ذي حق حقه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم
ارزق ثعلبة مالا اللهم ارزق ثعلبة مالا ثلاث مرات فاتخذ غنما فنمت حتى ضاقت بها ازقة المدينة فتنحى بها وكان يشهد الصلوات
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرج اليها ثم نمت حتى تعذرت عليها مراعي المدينة فتنحى بها وكان يشهد الجمعة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرج اليها ثم نمت فترك الجمعة والجماعات فلما نزل قوله تعالى خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقات رجلا من الانصار ورجلا من
بني سليم وكتب لهما اسنان الصدقة وكيف يأخذانها وامرهما ان يأخذاها من الناس فأتيا ثعلبة فقال لهما اخرجا الى الناس فاذا
فرغتما فمرا علي ففعلا فقال ما هذه الا اخت الجزية فانطلقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله

هل من آية فركب عمر راحلته ومضى إلى ثعلبة وقال له ويحك يا ثعلبة هلكت فقد أنزل الله فيك كذا وكذا
فأقبل ثعلبة يبكي ويحثو التراب على رأسه ويقول يا رسول الله هذه صدقتي فلم يقبل النبي صلى الله عليه
وسلم صدقته حتى قبض ثم أتى إلى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبل صدقته ثم أتى إلى عمر رضي الله عنه فلم يقبل صدقته
ثم مات في خلافة عثمان رضي الله عنه ولم يقبل منه عثمان صدقته قوله عز وجل فأعقبهم نفاقا في قلوبهم
إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه أي أعقبهم بخلهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يموتون من أجل البخل
وقيل معناه فجازاهم بخلهم نفاقا في قلوبهم بما أخلفوا الله أي بإخلافهم ما وعدوا الله من الصدقة
وكذبهم فيما قالوا. وقال الحسن معناه أورثهم الله النفاق في قلوبهم بأن حرمهم الله التوبة كما حرم
إبليس قالوا وإنما أراد الله بهذا أن الله تعالى دلنا على أنه لا يتوب كما دلنا على أنه لا يتوب
كما دلنا من حال إبليس أنه لا يتوب لأن الله سلب عنه قدرة التوبة قوله تعالى إلى يوم يلقونه معناه على
قول الحسن وقتادة إلى يوم يلقون الله أي يلقون اليوم الذي لا يملك فيه الحكم والأمر والنهي إلا الله
وفي هذه الآية دلالة على أن من نذر نذرا فيه قربة يجب أن يقول إن رزقني الله ألف درهم فعلي أن أتصدق
بخمسمائة لزمه الوفاء به وفيها دلالة لجواز تعليق النذر بالشرط كقوله إن رزقني الله كذا فلله
علي صيام وصدقة وإن ملكت عبدا وهذا العبد فعلي أن أعتقه. وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صلى وصام من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف
وإذا عاهد غدر قوله تعالى ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب أي
يعلم المنافقون أن الله يعلم ما يسرون في أنفسهم وما يتناجون فيه فيما بينهم وأن الله عالم بكل شيء
على العباد وهذا استفهام بمعنى التوبيخ قوله تعالى الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات
والذين لا يجدون إلا جهدهم قال ابن عباس وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم
حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك يحث الناس على الصدقة وقال اجمعوا صدقاتكم فجاء عبد الرحمن بن
عوف رضي الله عنه بأربعة آلاف درهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أكثرت هل تركت لأهلك
شيئا قال يا رسول الله كان لي ثمانية آلاف فأمسكت أربعة لنفسي وعيالي وهذه أربعة أقرضها ربي
فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت فبارك الله له حتى بلغ ماله حين مات
وطلق إحدى نسائه في مرضه وصالحوها عن ربع ثمنها على ثمانين ألفا وتصدق عمر رضي الله عنه بنحو
من ذلك وجاء عثمان رضي الله عنه بصدقة وجاء عاصم بن عدي الأنصاري بسبعين وسقا من تمر وجاء
أبو عقيل بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي كلها أجر بالجرير حتى نلت صاعين أما أحدهما
فأمسكته لعيالي وأما الآخر فأقرضته ربي فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقة
فطعن فيهم المنافقون وقالوا والله ما جاء هؤلاء بصدقاتهم إلا رياء وسمعة وقالوا في أبي عقيل إنما جاء
ليذكر بنفسه ويعطى من الصدقة أكثر مما جاء به وإن الله لغني عن صاع أبي عقيل. فأنزل الله هذه
الآية ومعناها الذين يعيبون المطوعين من المؤمنين في الصدقات وهم المنافقون عابوا عمر وعبد
الرحمن بن عوف رضي الله عنهما قوله تعالى والذين لا يجدون إلا جهدهم أي ويعيبون على
الذين لا يجدون إلا جهدهم أي طاقتهم من الصدقة عابوا المكثر بالرياء والمقل بالإقلال والجهد بالضم والفتح
لغتان بمعنى واحد ويقال الجهد بالفتح المشقة والجهد بالضم الطاقة وقيل الجهد في العمل والجهد
في القوت وقرأ عطاء والأعرج جهدهم بالنصب وهما لغتان مثل الوجد والوجد والضم لغة أهل الحجاز
والفتح لغة أهل نجد قوله تعالى فيسخرون منهم أي يستهزئون بهم سخر الله منهم أي جازاهم
على سخريتهم ولهم عذاب أليم أي وجيع قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر

لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وذكر أنه لما نزلت هذه الآية التي قبلها أتى المنافقون إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله استغفر لنا وكان عليه السلام يستغفر لقوم منهم على ظاهر إسلامهم
من غير علمه بنفاقهم وكان إذا مات أحدهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء والاستغفار
فكان يستغفر لهم على أنهم مسلمون فأعلمه الله بأنهم منافقون وأخبر أن استغفار النبي صلى الله عليه
وسلم لا ينفعهم فقال تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وهذا لفظه أمر ومعناه الخبر أي إن شئت استغفر
لهم وإن شئت لا تستغفر فإنك إن استغفرت لهم سبعين مرة لن يغفر الله لهم قوله تعالى ذلك بأنهم
كفروا بالله ورسوله فيه بيان العلة التي لأجلها لا ينفعهم استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم قوله
تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين أي لا يوفقهم ولا يرشدهم إلى جنته وثوابه وكرامته وإنما خص
السبعين مرة بالذكر فهو لتأكيد نفي المغفرة بهذا لأن الشيء إذا بولغ في وصفه أكد بالسبع والسبعين وهذا كما
تقول العرب لو سألتني حاجة سبعين مرة لما قضيتها لا يريد أنه إذا زاد على السبعين قضى حاجته وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو علمت أني لو زدت على السبعين يغفر لهم لزدت عليها قوله تعالى فرح المخلفون
بمقعدهم خلاف رسول الله أي فرح المخلفون عن غزوة تبوك بقعودهم عن الجهاد بعد النبي صلى الله عليه
وسلم وقيل بقعودهم لمخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم رضوا بتخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمخلف ما يتركه الإنسان خلفه والمتخلف الذي يتأخر بنفسه والخلاف قد يكون بمعنى المخالفة وقد يكون
بمعنى خلف كما في قوله تعالى وإذا لا يلبثون خلفك إلا قليلا وقرئ خلافك على الحسنين قوله تعالى وكرهوا
أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أي وكرهوا أن يقاتلوا المشركين مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بأموالهم وأنفسهم قوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر أي قال بعضهم لبعض لا تخرجوا في الحر
وكانوا دعوا إلى غزوة تبوك في وقت نضج الرطب وهو أشد ما يكون من الحر قوله تعالى قل نار جهنم
أشد حرا أي قل لهم نار جهنم التي ستدخلونها بترك الخروج إلى الجهاد أشد حرا من هذا الحر قوله تعالى لو
كانوا يفقهون أي لو كانوا يفقهون أوامر الله ووعده ووعيده قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون أي فليضحكوا قليلا في الدنيا لأن ذلك يفنى وليبكوا كثيرا في الآخرة في النار
بعد لفظه أمر ومعناه الخبر وقيل بعد به فليضحكوا قليلا فليبكوا كثيرا. قال أبو موسى الأشعري إن أهل
النار ليبكون الدموع في النار حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت ثم إنهم ليبكون الدم بعد الدموع وقال
ابن عباس إن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا فلا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم. وقال صلى الله عليه
وسلم يرسل الله البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة
الأخدود. وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قوله تعالى فإن رجعك
الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا معناه إن
ردك الله من تبوك إلى طائفة من المنافقين بالمدينة فاستأذنوك للخروج معك إلى غزاة أخرى فقل لن تخرجوا
معي أبدا إلى الجهاد ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة في غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين
أي مع النساء والصبيان هذا قول الحسن والخالف الذي يقعد بعد الشاخص وقيل هو الذي يقعد لعلة فيه.
وعن ابن عباس أن معنى الخالفين المتخلفين بغير عذر وقيل إن هذا مأخوذ من قولهم خلف اللبن إذا فسد والخالف
الفاسد. وقيل الخلوف خساس الناس وأرذالهم ويقال فلان خالفة أهله إذا كان دونهم وقيل مع الخالفين
أي مع أهل الفساد من قولهم نبيذ خالف أي فاسد وخلف اللبن إذا حمض من طول وضعه في السقاء وخلف
فم الصائم إذا تغيرت رائحته. وقرأ مالك بن دينار مع الخلفين بغير ألف وقال الفراء يقال عبد خالف وصاحب
خالف إذا كان مخالفا قوله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره أي لا تصل على أحد

مات من المنافقين أبدا ولا تقم على قبر أحد منهم لتدفنه وتدعو له إنهم كفروا بالله ورسوله أي جحدوا الله ورسوله
بقلوبهم وماتوا على الكفر والنفاق • قال ابن عباس لما مرض عبد الله بن أبي بن سلول بعث إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليأتيه فلما دخل عليه طلب منه أن يصلي عليه إذا مات وأن يقوم على قبره وأن يكفنه في قميصه
الذي يلي جلده فقبل منه النبي صلى الله عليه وسلم فلما مات عبد الله انطلق ابنه إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ودعاه إلى جنازته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال الحباب بن عبد الله فقال
صلى الله عليه وسلم أنت عبد الله بن عبد الله إن الحباب هو الشيطان ثم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
معه فلما قام صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه قال عمر رضي الله عنه يا رسول الله أتصلي على عدو الله القائل
كذا وكذا فقال دعني يا عمر فعاد عمر لمقالته فقال دعني يا عمر فعاد عمر لمقالته الثالثة فقال إني خيرت في
ذلك ولو علمت أني إذا استغفرت له أكثر من سبعين مرة غفر له لفعلت وقال تأخر عني يا عمر فعجبت من جرأتي
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا يعني بعد ما صليت
على عبد الله بن أبي وروي أن عبد الله بن أبي لما حضرته الوفاة بعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله أحد ثوبيه
يكفن فيه فبعث له بأحدهما فقال ما أريد إلا الذي يلي جلدك من ثيابك فنزعه إليه ثم ذكر فقيل له في ذلك
صلى الله عليه وسلم إن قميصي لن يغني عنه من الله شيئا وعسى أن يسلم بسبب هذا القميص خلق كثير فأسلم ألف
الخزرج لما رأوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما والله
ما كانت تلك وما خادع رسول الله صلى الله عليه وسلم إنسانا قط • وقال مقاتل إن النبي صلى الله
عليه وسلم أراد أن لا يصلي على عبد الله بن أبي حين جاء إليه ابنه فقال أنشدك الله أن لا تشمت بي
الأعداء وكان ابنه مؤمنا حقا فأنزل الله هذه الآية فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصل
عليه • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أراد أن يصلي عليه فأخذ جبريل بثوبه فقال ولا تصل
على أحد منهم مات أبدا قوله تعالى وماتوا وهم فاسقون أي ماتوا على الكفر والنفاق وبعد نزول
هذه الآية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها على منافق ولا قام على قبره حتى قبض وكلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما فعل بعبد الله بن أبي فقال وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله إني
أرجو أن يسلم به ألف من قومه قوله تعالى ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم
بها في الدنيا أي لا تعجبك كثرة أموالهم وأولادهم في الدنيا إنما يريد الله أن يعذبهم بها وتخرج أرواحهم
بصعوبة وهم كافرون هذا على التقديم والتأخير في الآية على ما تقدم ذكره وأما إذا حمل على
نظم الآية فمعناه إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا بالتشديد عليهم في التكليف بالإنفاق والأمر بالجهاد
فإن قيل لم أعاد قوله ولا تعجبك أموالهم وأولادهم قيل فيه قولان أحدهما لتأكيد التحذير عن الاغترار بالأموال
والأولاد والثاني أنه أراد بالأول قوما من المنافقين وأراد بالثاني قوما آخرين منهم كما يقال لا تعجبك
أموال زيد وأولاده ولا تعجبك أموال عمرو وأولاده قوله تعالى وإذا أنزلت سورة أن آمنوا
بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم أي إذا أنزلت من القرآن قطعة
مشتملة على آيات أحاطت بها أن آمنوا بالله أي صدقوا وداوموا على الإيمان وجاهدوا الكفار مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنك في القعود عن الجهاد ذووا السعة والغناء منهم وقالوا
دعنا وأذن لنا نكن مع القاعدين عن الجهاد والطول في الحقيقة هو الفضل الذي يتمكن به من مطاولة
الأعداء قوله تعالى رضوا بأن يكونوا مع الخوالف أي رضي المنافقون بأن يكونوا في تخلفهم عن الجهاد
مع النساء المتخلفات في الحي بعد غزو أزواجهن قوله تعالى وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون
معنى الطبع في اللغة جعل الشيء كالطابع نحو طبع الدنانير والدراهم ويجوز أن يكون الطبع في اللغة على القلب

علامة

علامة تجعل الله بها قلب الكافر المعاند ليعلم من اطلع عليها من الملائكة أنه لا يجتهد في طلب الحق فهم
لا يفقهون أوامر الله ونواهيه قوله عز وجل لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم
وأنفسهم أي لكن الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه وهم أهل اليقين من أصحابه
جاهدوا بأموالهم وأنفسهم على ضد ما فعله المنافقون قوله تعالى وأولئك لهم الخيرات يجوز أن
يكون معناه أولئك لهم الحسنات المقبولات فإن الخيرات منافع تسكن النفس إليها ويجوز أن يكون معناه الزوجات
الحسنات في الجنة كما قال تعالى فيهن خيرات حسان قوله تعالى وأولئك هم المفلحون أي الظافرون
بالمراد واحدة الخيرات خيرة وهي الفاضلة في كل شيء قوله تعالى أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار
أي أعد الله لهم في الجنة بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها الأنهار قوله تعالى خالدين فيها أي مقيمين
دائمين فيها لا يموتون ولا يخرجون منها ذلك الفوز العظيم أي هو النجاة الوافرة فازوا بالجنة ونعيمها
ونجوا من النار وجحيمها قوله تعالى وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم قرأ ابن عباس ومجاهد
والضحاك المعذرون بالتخفيف وهم الذين اعتذروا أي جاءوا بالعذر وأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالتخلف لعذرهم وهم المخلصون وقيل المعذرون بالتخفيف المجتهدون المبالغون في العذر • وكان صلى الله عليه
وسلم قال لعن الله المعذرين بالتشديد يعني الذين يتخلفون في التخلف لا علة يوهمون أن لهم عذرا ولا عذر
لهم والمعذر المقصر في الشيء مع طلب العذر • وأما القراءة المشهورة المعذرون بالتشديد فمعناها ما تقدم
من قال الفراء أصله المعتذرون فأدغمت التاء في الذال ونقلت حركة التاء إلى العين قوله تعالى
وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قرأ العامة كذبوا مخففا يعني المنافقين قعدت طائفة منهم من دون
أن يعتذروا • وقرأ أبي والحسن كذبوا بالتشديد قوله تعالى سيصيب الذين كفروا منهم عذاب
أليم يجوز أن يكون الكناية في قوله منهم بيان أن منهم من يسلم ومنهم من يموت على كفره ونفاقه قوله
تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا
لله ورسوله أي ليس على الزمنى والشيوخ الكبار ولا على المرضى الذين لا يقدرون على الخروج إلى الجهاد
ولا على الذين لا يكون عندهم نفقة ينفقونها في الجهاد وهم الفقراء ليس عليهم مأثم في القعود عن ذلك إذا
كان قعودهم على وجه النصح لله ورسوله وهو أن يسعوا في صلاح ذات البين وما يرجع إلى الخير على
الجهاد ولا يكون قعودهم للتضريب على المسلمين وإفساد شيء من أمرهم والنصح إخراج الغش عن العمل قوله
تعالى ما على المحسنين من سبيل أي ما على المطيعين الموحدين من سبيل في العقاب والله غفور
لذنوبهم رحيم إذ رخص لهم في القعود بالعذر قوله تعالى ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت
لا أجد ما أحملكم عليه أي وليس على الذين إذا ما أتوك لتحملهم إلى الجهاد بالنفقة قلت لا أجد ما
أحملكم عليه ليس عليهم حرج في القعود عن الجهاد قال ابن عباس نزلت في سالم بن عمير وعبد الرحمن بن كعب وعمرو
بن الحمام وعبيد بن كعب وعبد الله بن مغفل ومعقل بن يسار وصخر بن سلمة الذي كان وقع على امرأته في
رمضان فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يكفر ونفر من بني مقرن من أهل الحاجة أتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا يا نبي الله إن الله قد ندبنا للخروج معك فاحملنا نغزو معك ولم يكن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما يحملهم عليه فقال لهم لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبكون فذلك قوله تعالى
تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون وقال الحسن نزلت في أبي موسى
الأشعري وجماعة من الأشعريين قوله عز وجل إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء معناه
إنما السبيل في العقاب على الذين يستأذنونك في القعود عنك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف
أي مع النساء وطبع الله على قلوبهم مجازاة لهم على فعلهم فهم لا يعلمون أوامر الله عز وجل

قوله تعالى يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم أي يعتذر إليكم المنافقون إذا انصرفتم إليهم
من هذه الحرب في تعوقهم عن الجهاد قل لا تعتذروا إلى نصرتكم وهو الله تعالى لن نصدقكم قد أخبرنا الله
من أخباركم أنه ليس لكم عذر وسيظهر الله عملكم ورسوله ثم تردون في الآخرة إلى عالم ما غاب
عن العباد وما علمه العباد فينبئكم بما كنتم تعملون من الخير والشر قوله تعالى سيحلفون بالله لكم
إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم أي سيحلف لكم المنافقون بالله فيما يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم لتعرضوا
عنهم فلا تعاقبوهم فأعرضوا عنهم على جهة الهوان لهم إنهم رجس أي هم نوش كالنتن الذي يجب الاجتناب
عنه واجتنبوهم ومصيرهم جهنم جزاء لهم على فعلهم قوله تعالى يحلفون لكم لترضوا عنهم أي يحلفون لكم
في عذرهم لترضوا عنهم أنتم تريدون الله أن تطلبوا رضى الله فإن أنت رضيت يا محمد والمؤمنون عنهم كاذ...
فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين أي عن الخارجين عن طاعة الله قوله تعالى الأعراب أشد كفرا
ونفاقا أراد الأعراب أسد وغطفان بين الله أنهم في كفرهم ونفاقهم أشد من منافقي أهل المدينة وعلى
غناه وأهل البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر قوله تعالى وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على
رسوله أي وأحرى وأولى أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله لأنهم أبعد من سماع التنزيل [illegible]
الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قيل إن من تعد عن الأمصار ونأى من حضرة العلماء كان أجهل [illegible]
والسنن ممن خالطهم وسمع منهم ولهذا تكره إمامة الأعرابي في الصلوة قوله تعالى ومن الأعراب من يتخذ
ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر معناه ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما في الجهاد [illegible]
يحسب فيه الأجر ولا يرجو الثواب إنه إنما ينفق خوفا أو رياء وينتظر بكم الموت والهلاك. ودوائر الزمان
صروفه يعني أنهم ينتظرون أن ينقلب الزمان عليكم بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهور [illegible]
قوله تعالى عليهم دائرة السوء أي عاقبة السوء والهلاك فإنما ينتظرون بكم يرجع إليهم [illegible]
اليقين المصدر والقصم الاسم وقوله تعالى والله سميع عليم ظاهر المراد قوله تعالى ومن الأعراب من
يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول معناه ومن الأعراب
من يصدق بالله واليوم الآخر في السر والعلانية قيل إن المراد بهذه الآية أسلم وغفار وقوله تعالى ويتخذ ما ينفق
قربات عند الله أي يتخذ نفقته في الجهاد تقربا إلى الله تعالى في طلب المنزلة عنده والثواب وقوله تعالى وصلوات
الرسول أي تطلب بذلك دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالمغفرة وصلاح الدنيا والآخرة كما تطلب المنزلة
عند الله تعالى قوله تعالى ألا إنها قربة لهم هذه كلمة تنبيه أي سيقربهم الله بهذا الإنفاق إذا فعلوه
قوله تعالى سيدخلهم الله في رحمته أي في جنته وثوابه إن الله غفور لذنوب العباد رحيم لمن
تاب وأطاع قوله تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أراد بالسابقين الذين
سبقوا إلى الإيمان وهم الذين صلوا إلى القبلتين وشهدوا بدرا وقال الشعبي هم الذين بايعوا بيعة الرضوان
الحديبية وقيل هم الذين أنفقوا قبل الهجرة كما قال تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل
وإنما مدح السابقين لأن السابق إمام للتالي وقوله تعالى والأنصار عطف على المهاجرين. وقرئ والأنصار
والأنصار بالرفع عطفا على السابقين وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يقرأ والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان
بغير الواو وسمع رجلا يقرأ والذين اتبعوهم بإحسان بالواو فقال من أقرأك هذه الآية قال أبي بن كعب
قال لا تفارقني حتى أذهب بك إليه فلما أتاه قال له يا أبي أقرأته هذه الآية قال نعم قال عمر كنت
أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا فقال أبي تصديق هذه الآية أول سورة الجمعة وآخرين
منهم لما يلحقوا بهم وأوسط سورة الحشر والذين جاؤا من بعدهم وقوله تعالى بإحسان الإحسان
هو الفعل الحسن وقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه أي رضي عنهم بإحسانهم ورضوا عنه بالثواب

والكرامة قوله تعالى وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار القراء يقرؤن تجري تحتها الأنهار في
هذا الموضع بغير من إلا ابن كثير فإنه يقرأ من تحتها قوله تعالى وممن حولكم من الأعراب منافقون
أي وممن حول مدينتكم من الأعراب منافقون قوله تعالى مردوا على النفاق أي عتوا ومرنوا على
النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم يا محمد بأعيانهم نحن نعلمهم ونعلم نفاقهم سنعذبهم مرتين أراد
[illegible] الفضيحة بالإخراج من المسجد والعذاب الثاني عذاب القبر روي أن النبي صلى الله عليه
وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال يا فلان اخرج فإنك منافق يا فلان اخرج فإنك منافق فأخرجهم
بأسمائهم وكان عمر رضي الله عنه لم يشهد الجمعة لحاجة له فلقيهم وهم يخرجون من المسجد فاختبأ عنهم
[illegible] لأنه لم يشهد الجمعة وظن أن الناس قد انصرفوا واختبؤا هم عن عمر رضي الله عنه وظنوا
أنه قد علم بأمرهم فدخل عمر المسجد فإذا هو بالناس لم يصلوا فقال له رجل يا عمر قد فضح الله المنافقين
[illegible] الحسن أراد بالعذاب الأول السبي والقتل وبالثاني عذاب القبر وقوله تعالى ثم يردون إلى
عذاب عظيم عذاب جهنم قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر
سيئا أي ومن أهل المدينة قوم آخرون أقروا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا بعمل سيئ أي تخلفوا عن
[illegible] تابوا وبقال خرجوا إلى الجهاد مرة وتخلفوا أخرى فجمعوا بين العمل الصالح والعمل السيئ كما
[illegible] خلط الدنانير والدراهم أي جمعها وخلط الماء واللبن أي أحدهما بالآخر وقوله تعالى عسى الله
أن يتوب عليهم أي يتجاوز عنهم إن الله غفور لما سلف من ذنوبهم رحيم بهم إذا قبل توبتهم
وإنما ذكر لفظ عسى ليكون الإنسان بين الطمع والإشفاق فيكون أبعد من الاتكال والإهمال. قال
ابن عباس نزلت هذه الآية في أبي لبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وغيرهم كانوا
[illegible] تخلفوا عن غزوة تبوك فلما بلغهم ما أنزل الله في المتخلفين ندموا على صنيعهم فربط سبعة منهم
أنفسهم على سواري المسجد وأقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي
[illegible] وكانوا لا يخرجون إلا لحاجة لا بد لهم منها فكانوا على ذلك حتى قدم صلى الله عليه وسلم المدينة
[illegible] أمرهم فقال صلى الله عليه وسلم وأنا لا أحلهم حتى أومر بهم فنزلت هذه الآية فعرف النبي
صلى الله عليه وسلم أن عسى من الله واجب وأمر بحلهم وانطلقوا إليه وقالوا هذه أموالنا التي خلفتنا
[illegible] فتصدق بها عنا فقال صلى الله عليه وسلم ما أمرت فيها بشيء فأنزل الله تعالى
خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ظاهر الآية يقتضي رجوع الكناية في قوله خذ من
أموالهم إلى المذكورين من قبل وهم الذين اعترفوا بذنوبهم إلا أن كل حكم حكم الله ورسوله في شخص من عباده
فذلك الحكم لازم في سائر الأشخاص إلا ما قام دليل التخصيص به. وقيل إن قوله خذ من أموالهم صدقة ابتداء
[illegible] جميع المسلمين لدلالة الحال على ذلك وإن لم يتقدم ذكر المسلمين كقوله تعالى إنا أنزلناه في ليلة القدر
يعني القرآن ومعنى الآية تطهرهم عن الذنوب وتزكيهم بها أي تصلح أعمالهم بها وقيل معناه تطهرهم أنت
بها من دنس الذنوب قوله تعالى وصل عليهم أي استغفر لهم وادع لهم إن صلواتك سكن أي
إن دعاءك واستغفارك طمأنينة لهم بأن الله قبل توبتهم والله سميع لمقالتهم عليم بنياتهم وتوبتهم
قوله تعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات استفهام بمعنى التنبيه
[illegible] التوبة إيجاب الثواب عليها وقوله تعالى ويأخذ الصدقات أراد به أخذ النبي صلى الله عليه
وسلم والأئمة بعده لأن أخذهم لا يكون إلا بأمر الله وكأن الله هو الآخذ وأن الله هو التواب. أي المتجاوز
عن من تاب الرحيم بمن مات على التوبة قوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمؤمنون أي اعملوا عمل من يعلم أن الله يرى عمله ويجازيه عليه وستردون إلى عالم الغيب

والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون تمام المعنى قوله تعالى وآخرون مرجون لامر الله
اما يعذبهم واما يتوب عليهم معناه ومن اهل المدينة قوم آخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم بتخلفهم
عن الجهاد واما يتجاوز عنهم بتوبتهم عن الذنوب والله عليم حكيم في امرهم ما يشاء وهذا كلام
لو توقع احد الشيئين والله تعالى عالم بما يصير اليه امرهم الا ان هؤلاء العباد خوطبوا بما يتعارفون فيما
بينهم والمعنى لكن امرهم عندكم على هذا اي على الخوف قال ابن عباس نزلت هذه الآية في الثلثة الذين خلفوا
وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع العمري وهلال بن امية الواقفي وهم من الانصار تخلفوا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وقال كعب بن مالك انا اثرى اهل المدينة جملا فمتى ما شئت لحقت رسول
الله صلى الله عليه وسلم واقام حتى مضت ثلثة ايام ثم ايس ان يلحقهم وندم على صنيعه واقام صاحباه
وندما ولكن لم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واوس ووديعة فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
هذه الآية ونهى الناس عن ان يجالسوهم او يكلموهم او يبايعوهم وارسل اليهم ان اعتزلوا نساءكم فارسلوا
الى اهاليهم فجاءت امرأة هلال فقالت ان هلالا لشيخ كبير وان لم آته بطعام هلك وانا [illegible]
قال كعب فمررت على ابي قتادة [illegible] فلم يرد علي السلام فكلمته فابى ان يكلمني فاستعبرت وقلت انشدك
والله انك تعلم اني احب الله ورسوله قال الله تعالى ورسوله اعلم فمضى على هذا خمسون يوما ضاقت
عليهم الارض بما رحبت انزل الله توبتهم بقوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الى
قوله ان الله هو التواب الرحيم قوله تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين
وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل قال ابن عباس وذلك ان سبعة عشر رجلا من المنافقين
من بني عمرو بن عوف قالوا فيما بينهم تعالوا نبني مسجدا يكون مجلسا ومجمعا لنا فانطلقوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم واستاذنوه ان يبنوا مسجدا لذوي العلة والكلالة والليلة المطيرة فاذن
مسجدا وكان يؤمهم في ذلك المسجد مجمع بن جارية وكان قارئا للقرآن فانزل الله هذه الآية ومعناها والذين
اتخذوا مسجدا للضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله
من قبل اي وانتظارا لمن حارب الله ورسوله وهو ابو عامر الراهب كان حارب النبي صلى الله عليه وسلم
قبل بناء هذا المسجد ومضى الى هرقل ملك الروم يستعين به على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وسماه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسقا وكان يسمى الراهب ودعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات
كافرا بقنسرين موضع بالشام قوله تعالى وليحلفن ان اردنا الا الحسنى معناه ويحلف المنافقون
انا لم نرد ببناء هذا المسجد الا الخير وهم كذبة في حلفهم يقول الله تعالى والله يشهد انهم لكاذبون
ما نووا للخير روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة مهاجرا اقبل اليه ابو عامر المذكور فقال ما
هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم عليه السلام قال ابو عامر فانا عليها فقال صلى الله عليه وسلم
فانك لست عليها قال بلى ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال صلى الله عليه وسلم ما فعلت ذلك
ولكن جئت بها بيضاء نقية فقال ابو عامر اماتك الله كاذبا طريدا وحيدا غريبا فقال صلى الله عليه وسلم
آمين وسماه ابا عامر الفاسق فلم يزل ابو عامر كذلك الى ان انهزمت هوازن فخرج هاربا الى الشام فارسل
الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم
وآت بجند من الروم واخرج محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وكان الذين
بنوه اثنى عشر رجلا فلما فرغوا منه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متجهز الى تبوك فقالوا يا رسول
الله انا قد بنينا مسجدا لذوي العلة والحاجة والليلة المطيرة الشاتية وانا نحب ان تاتينا فتصلي لنا فيه

وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا لاتيناكم فصلينا فيه فلما
رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك اتوه فسالوه اتيان مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه وياتيهم فنزل عليه
القرآن واخبره الله خبرهم وما هموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر
بن السكن والوحشي قاتل حمزة وقال انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه وحرقوه فخرجوا سراعا
[illegible] سعفا من النخل واشعلوا فيه النار وهدموه وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتخذ كناسة تلقى
فيه الميتة والجيف ومات ابو عامر بالشام وحيدا غريبا وقال عكرمة سال عمر رضي الله عنه رجلا منهم
ماذا اعنت في هذا المسجد قال اعنت فيه بسارية فقال ابشر بها في عنقك في نار جهنم وروي ان بني عمرو بن عوف
الذين بنوا مسجد قبا سالوا عمر رضي الله عنه ان يصلي بهم مجمع بن جارية فقال لا ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار فقال له
مجمع يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت فيه واني لا اعلم ما اضمروا عليه ولو علمت ما صليت معهم وكنت
غلاما وهم شيوخ لا يقرؤون من القرآن شيئا فصليت بهم ولا اعلم ما في نفوسهم فعذره عمر رضي الله عنه وصدقه
وامره بالصلوة في مسجد قبا قرأ اهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم قوله
تعالى لا تقم فيه ابدا اي لا تصل في مسجد هؤلاء المنافقين ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق
ان تقوم فيه يعني مسجد قبا اسس لوجه الله تعالى من اول يوم وقال [illegible] هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحق ان يحمل على
جميع ان يكون المراد بالمسجد الذي اسس على التقوى كلا المسجدين مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ومسجد قبا قوله
تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا اي في مسجد قبا رجال يحبون ان يتطهروا وقال الحسن معناه يتطهرون
من الذنوب بالتوبة والمشهور ان المراد بالتطهير في هذه الآية الاستنجاء بالماء كما روي انه لما نزلت هذه الآية وقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم بباب مسجد قبا وقال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد احسن الثناء عليكم في طهوركم فما هو
قالوا نتبع الاحجار الماء اي نستنجي بالحجر ثم نستنجي بالماء فقرأ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية وعن النبي
صلى الله عليه وسلم الاستنجاء بالماء قوله تعالى والله يحب المطهرين اي يثني على المتطهرين من الذنوب والمتطهرين
بالماء من الادناس قوله تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف
هار الالف في اول الآية الف استفهام دخلت في الكلام للانكار قوله تعالى جرف هار اي على طرف هوة
[illegible] هار اي ساقط واهله هائر لانه حرف الماء والجرف ما تجرفه السيول من الاودية فيصير جانبه بحيث
[illegible] الانسان عليه سقط وانهار وشفا الشيء حرفه وهو مقصور يكتب بالالف وتثنيته شفوان قرأ نافع واهل
الشام بضم الهمزة والنون على غير تسمية الفاعل وقرأ الباقون بفتحهما قوله تعالى على تقوى من الله قرأ ابن عمر تقوى
بالتنوين قوله تعالى جرف قرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر وخلف بالتخفيف وقرأ الباقون بالتثقيل فهما لغتان وهي
البئر التي لم تطو وقال ابو عبيدة هي الهوة وما يجرفه السيل في الاودية والهار الساقط الذي تداعى بعضه
على بعض كما ينهار الرمل والشيء الرخو وفي مصحف ابي فانهارت به قواعده في نار جهنم قال قتادة ذكر لنا
انه حفرت بقعة منها فرئي الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبد الله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار قوله
تعالى فانهار به في نار جهنم اي انهار الجرف بالبناء اي انهار به اي كما ان من بنى على جانب نهر صفته ما
ذكرنا انهار بناؤه في الماء وكذلك بناء اهل النفاق مسجد الشقاق وكبناء على حرف جهنم يتهور باهله فيها قوله
تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يوفقهم ولا يهديهم الجنة وثوابه قوله تعالى لا يزال بنيانهم
الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم اي لا يزال بنيانهم مسجد الضرار حسرة مترددة في قلوبهم وتعاظما
[illegible] لا يزال ذلك البناء سبب شك في قلوبهم [illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم عامر بن قيس ووحشيا مولى مطعم بن عدي فحرقاه وهدماه ثم امر الانصار بالقاء
الجيف والقذرات والكناسات فيه اذ لم يبن الله تعالى يعني ذلك حسرة وندامة في قلوب المنافقين حتى تقطع قلوبهم

أي حتى يموتوا على ذلك وقال معناه لا يزالون شاكين حتى يموتوا فإذا ماتوا صاروا على اليقين حيث ينفعهم اليقين
قال السدي معناه لا يزال هدم بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم أي حرارة وغيظا في قلوبهم إلى أن تقطع قلوبهم
بموتوا • وقرأ الحسن ويعقوب إلى أن تقطع قلوبهم على الغاية يدل عليه تفسير الضحاك وقتادة لا يزالون في شك
منه إلى أن يموتوا فيستيقنوا ويتبينوا • وقرأ نافع وابن عامر وحمزة وحفص تقطع بفتح التاء وتشديد الطاء
يعني تتقطع ثم حذفت إحدى التائين • وقرأ ابن كثير ومجاهد ونافع وعاصم وأبو عمرو والكسائي تقطع بضم
التاء وتشديد الطاء على غير تسمية الفاعل • وقرأ ابن يعقوب تقطع بضم التاء وتخفيفه الطاء من التقطيع
عن ابن كثير بفتح التاء وتخفيفه قلوبهم نصبا أي تفعل ذلك أنت بهم قوله تعالى والله عليم حكيم أي عليم
بأعمالهم حكيم فيما حكم من هدم مسجدهم وإظهار نفاقهم قوله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
بأن لهم الجنة معناه إن الله طلب من المؤمنين أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم ويخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله ليثيبهم
الجنة على ذلك فإن قيل كيف يصح هذا الشراء والجنة على ذلك مملوكة لله تعالى وكيف يشتري أحد ملكه قيل
إنما ذكر هذا اللفظ على وجه اللطف للمؤمنين في تأكيد الجزاء كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فذكر
لفظ القرض للتحريض على ذلك والترغيب فيه إذ القرض يوجب رد المثل لا محالة وكان الله عامل عباده معاملة
من هو غير مالك • وعن جعفر الصادق أنه كان يقول يا ابن آدم اعرف قدر نفسك فإن الله عز وجل عرفك قدرك
لم يرض أن يكون لك ثمن غير الجنة قوله تعالى يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون فيه بيان الغرض
الذي لأجله اشتراهم وهو أن يقاتلوا العدو في طاعة الله ومعناه فيقتلون المشركين ويقتلهم المشركون وعلى هذا
أكثر القراء • وقرأ حمزة والكسائي فيقتلون بالرفع ويقتلون بالنصب واختار الحسن هذه القراءة لأنه إذا قرئ كذلك
كان تسليم النفس إلى الشراء أقرب لأنما يستحق البائع تسليم الثمن إليه بتسليم المبيع قوله تعالى وعدا عليه حقا نصب
على المصدر أي أوجب الله لهم الجنة وعدهم وعدا حقا منه لهم وإنما أوجبه للفضل من الوعد الذي يحرزه على وجه
الجزاء لهم على العمل ومن الوعد الذي يخرج للتصديق على وجه التفضل لا الجزاء لهم على العمل قوله تعالى في التوراة
والإنجيل والقرآن أي وعد الله للمؤمنين الجنة في جميع كتبه التي أنزلها الله على أنبيائه عليهم السلام قوله
تعالى ومن أوفى بعهده من الله أي ليس أحد أوفى من الله سبحانه في وعده وشرطه وعدكم وعدا ومن أخلف وعده
قوله تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به أي ببيعكم أنفسكم من الله فإنه لا مشتري أنفع من الله سبحانه
ولا ثمن أعلى من الجنة وقيل المعنى هذا نزل في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان تحت الشجرة
صاروا كأنهم [illegible] قال محمد بن كعب لما بايعت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة
بمكة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال أشترط لربي أن
تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا وإذا فعلنا ذلك فما لنا
قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزل قوله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن
لهم الجنة ثم هناهم الله بقوله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به • قال الحسن اسمعوا إلى بيعة ربيحة بايع الله بها
كل مؤمن والله ما على الأرض مؤمن إلا وقد دخل في هذه البيعة • وقال مر أعرابي على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ
هذه الآية فقال كلام من هذا قال كلام الله تعالى قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج إلى الغزو فاستشهد
وأنشد الأصمعي لجعفر رضي الله عنه • أثامن بالنفس النفيسة ربها • وليس لها في الخلق كلهم ثمن • بها
تشترى الجنات إن أنا بعتها • بشيء سواها إن ذلكم غبن • إذا ذهبت نفسي بشيء أصبته • فقد ذهب الدنيا وقد
ذهب الثمن • وكان جعفر الصادق يقول • أيا من ليست له همة • إنه ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة • فلا تبيعوها إلا بها
وأنشدوا على الكلبي • من يشتري قبة في جنة العدن • في ظل طوبى رفيعات مبانيها • دلالها المصطفى والله بائعها
لمن أراد وجبريل مناديها قوله تعالى وذلك هو الفوز العظيم أي النجاة العظيمة والثواب الدائم

ممن يشتري الدار الباقية بالنفس الفانية قوله عز وجل التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون
الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر في الآية قولان أحدهما أن قوله تعالى التائبون
العابدون رفع بالابتداء كأنه قال التائبون العابدون إلى آخر الآية لهم الجنة أيضا أي من لم يقعد عن الجهاد غير
معاند ولا قاصد لتركه وهو على الصفة في هذه الآية فله الجنة والقول الثاني في قوله التائبون يدل على المقاتلين
كأنه قال المقاتلون التائبون العابدون ويجوز أن يكون قوله التائبون رفعا على المدح أي هم التائبون
من الشرك والذنوب المطيعون لله الحامدون الذين يحمدون الله تعالى على كل حال السائحون الصائمون
كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال سياحة أمتي الصوم وإنما سمي الصائم سائحا لأنه يشبه السائح
في الأرض لأن السائح ممنوع من الشهوات فكذا الصائم • وقال الحسن أراد بالسائحين صائمي شهر رمضان • وعن
أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السائحون الصائمون وسئل سعيد بن جبير عن
السائحين فقال هم الصائمون وقال الشاعر • تراه يصلي ليله ونهاره • يظل كثير الذكر لله سائحا •
أي صائما • وقال الحسن السائحون الذين صاموا عن الحلال وأمسكوا عن الحرام وهاهنا والله أقوام رأيناهم
يصومون عن الحلال ولا يمسكون عن الحرام والله ساخط عليهم • وقال عطاء السائحون هم الغزاة والمجاهدون
وسئل عكرمة عن قوله تعالى السائحون فقال هم طلبة العلم قوله تعالى الراكعون الساجدون أي الذين
يؤدون ما افترض الله عليهم من الركوع والسجود في الصلوات المفروضة قوله تعالى الآمرون بالمعروف
أي الآمرون بالإيمان والناهون عن الشرك وقيل معناه الآمرون بكل معروف والناهون عن كل منكر • وإنما
ذكر والناهون بالواو بخلاف ما سبق لأن النهي عن المنكر لا يكاد يذكر إلا وهو مقرون بالأمر بالمعروف فأدخل
الواو لتدل على المقارنة والمعروف هو السنة وأما المنكر فهو البدعة قوله تعالى والحافظون لحدود
الله عطف على ما تقدم وقيل المراد بهم جميع المذكورين من أول الآية إلى هذا الموضع وهذه الصفة من أتم ما يكون
من المبالغة في وصف العباد بطاعة الله والقيام بأوامره والانتهاء عن زواجره لأن الله تعالى بين حدوده في
الأمر والنهي وفيما ندب إليه فرغب فيه أو خير فيه وبين ما هو الأولى في تحري موافقة طاعة الله تعالى فإذا
قام العبد بفرائض الله وانتهى إلى ما أراد الله منه كان من الحافظين لحدود الله كما روي عن خلف بن أيوب
أنه أمر امرأته أن تمسك من أصابع ولده في بعض الليل وقال لا تمت له ستتان [illegible] حتى ترضعه
فقال ابن ثور هذا الحافظ لحدود الله قوله تعالى وبشر المؤمنين أي بشرهم بالجنة قوله تعالى
ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى قال ابن عباس وذلك أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم سأل عن أبويه أيهما أحدث عهدا به فقيل أمك فقال هل تعلمون موضع قبرها لعلي آتيه
وأستغفر لها فإن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبويه وهما مشركان فقال المسلمون ونحن أيضا نستغفر لآبائنا
وأهلينا فانطلق صلى الله عليه وسلم ثم أعلمه فنزلت هذه الآية قال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم استأذنت
ربي أن أستغفر لوالدي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرهما فأذن لي ومعنى الآية ما ينبغي وما يجوز
للنبي والذين آمنوا أن يطلبوا المغفرة للمشركين ولو دعتهم رقة القرابة إلى الاستغفار لهم من بعد ما
تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم أي من بعد ما ظهر لهم أنهم أهل النار بأنهم ماتوا على الكفر قوله تعالى وما كان
استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه أي ما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعد وعده
أبوه أن يسلم فلما تبين له أنه عدو لله بأن لم يؤمن حتى مات على الكفر تبرأ منه أي من أبيه ومن
دينه وقال إنما هذه الموعدة إنما كانت من إبراهيم لأبيه فإنه كان قال لأستغفرن لك ما دمت حيا ولم يكن الله
أعلم إبراهيم أنه لا يغفر للمشركين يدل عليه قراءة الحسن إلا عن موعدة وعدها أباه قوله تعالى إن إبراهيم

لأواه حليم الأواه التواب وقال ابن مسعود هو الدعاء وقال الحسن وقتادة هو الرحيم الرقيق وقيل
هو الموقن بلغة الحبشة الا ان من قال انه لا يجوز ان يكون في القرآن شيء غير عربي قال هذا مما اتفق فيه
بلغة الحبشة وقيل الأواه الفقيه وقال كعب هو الذي اذا ذكرت عنده النار قال آه وقيل هو الكثير التأوه
شفقا وفرقا المتضرع يقينا ولزوما للطاعة واما الحليم فهو الذي لا يعجل بعقوبة الجاهل قوله تعالى
وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون قال ابن عباس وذلك ان الله تعالى
لما انزل الفرائض وعمل بها الناس ثم انزل بعد ذلك ما نسخها وقد مات ناس وهم يعملون بالأمر الأول
مثل الصلوة الى بيت المقدس وشرب الخمر ونحو ذلك ومات بعض المؤمنين وهم على القبلة الأولى فذكر
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ومعناها وما كان الله ليضل عمل قوم ولا ليترك قوما منزلة الضلال
بعد اذ هداهم للايمان حتى يبين لهم ما يتقون من المعاصي ويقال حتى يبين الناسخ من المنسوخ ان الله بكل شيء
من الناسخ والمنسوخ وكل ما فيه مصلحة الخلق عليم قوله تعالى ان الله له ملك السموات والأرض يحيي و
وذلك ان الله لما امر المسلمين بقتال المشركين كافة وكان في المشركين ملوك لا يطمع المسلمون في شوكتهم وعددهم
اخبر الله تعالى ان الله مالك السموات والأرض يحيي من يشاء ويميت من يشاء وما لكم من دون الله من ولي
يتولاكم ولا نصير ينصركم قوله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في
ساعة العسرة معناه لقد تجاوز الله عن تولي النبي صلى الله عليه وسلم اذنه للمنافقين بالتخلف كما قال
تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم وتجاوز عن ذنوب المهاجرين والأنصار وقيل اراد به القوم الذين تخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرجوا فادركوه في الطريق قوله تعالى الذين اتبعوه في ساعة العسرة
مدح لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باتباعهم اياه في وقت الشدة في غزوة تبوك وكانت لهم العسرة في النفقة
والركوب والحر والخوف وكانت الدابة الواحدة بين جماعة يعتقبون عليها وكانت التمرة تشق نصفين فكان
الرجلان كل واحد نصفها وربما كانت جماعة يمصون تمرة واحدة يشربون عليها وربما كانوا ينحرون الابل
فيشربون من ماء كروشها في الحر قوله تعالى من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم أي من بعد ما كاد تميل قلوب
طائفة منهم عن الخروج الى الجهاد ويقال من بعد ما كادوا ان يرجعوا عن غزوهم من الشدة قوله تعالى ثم تاب
عليهم أي ثم رجع عليهم بما يغفلهم عن الحرب حتى كادوا يغفلون عن نيتهم وهذا كقوله تعالى وعلى الثلثة
الذين خلفوا أي وتاب على الثلثة وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية الذين تخلفوا
عن غزوة تبوك حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت مع سعتها لما امتنع الناس عن كلامهم وضاقت
عليهم انفسهم أي قلوبهم حتى كتب قيصر الى كعب بن مالك بلغني ان صاحبك قد جفاك فالحق بنا فان لك عندنا
منزلة وكرامة فقال كعب من خطيئتي ان يطمع في رجل من اهل الكفر قوله تعالى وظنوا ان لا ملجأ من الله الا
اليه أي علموا وايقنوا ان لا منجا من عذاب الله الا اليه بالتوبة قوله تعالى ثم تاب عليهم أي قبل توبتهم
ليتوبوا أي ليرجعوا عن مثل صنيعهم ويقال ليتوب الناس من بعدهم ان الله هو التواب أي المتجاوز
عن ذنوب المؤمنين الرحيم بعباده التائبين قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
أي يا ايها الذين آمنوا اخشوا الله ولا تعصوه وكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع الذين صدقت نياتهم واستقامت
قلوبهم واعمالهم في الشدة والرخاء قوله تعالى ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ان يتخلفوا عن
رسول الله أي ما جاز لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ان يتخلفوا عن رسول الله في الجهاد وهذا
نهي ورد بلفظ النفي ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه أي لا ينبغي ان يكونوا بانفسهم آثر واشفق من نفس
النبي صلى الله عليه وسلم بل عليهم ان يجعلوا انفسهم وقاية للنبي صلى الله عليه وسلم لما وجب له من الحقوق عليهم

بدعايته

بدعايته لهم الى الايمان حتى اهتدوا به ونجوا من النار قوله تعالى ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا
مخمصة في سبيل الله أي ذلك الزجر لهم عن التخلف عن الجهاد بأنهم لا يصيبهم عطش ولا تعب في ابدانهم ولا
مجاعة في طاعة الله ولا يجاوزون مكانا فيظهرون فيه من سهل وجبل يغيظ الكفار ولا ينالون
من عدو نيلا يجاوزونهم ذلك المكان فان الانسان يغيظه ان يطأ ارضه غيره قوله تعالى ولا ينالون
من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح أي لا يصيبون منهم من قتل وغارة او هزيمة الا كتب لهم بكل
واحد من هذه الأشياء ثواب عمل صالح يستحقونه في الآخرة قوله تعالى ان الله لا يضيع اجر المحسنين أي
لا يبطل ثواب من احسن عملا من جهاد وغيره قوله تعالى ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة أي لا
ينفقون في الجهاد نفقة صغرت او كبرت ولا يقطعون واديا من الأودية في طلب الكفار الا كتب ذلك
لهم ليجزيهم الله باحسن من اعمالهم التي كانوا يعملون في الدنيا قوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا
كافة قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية المتقدمة وما فيها من عيوب المنافقين وبيان نفاقهم قال المؤمنون
والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سرية ابدا فلما امر النبي صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك بالسرايا الى الغزو نفر المؤمنون جميعا وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فانزل الله تعالى في ذلك
هذه الآية ومعناها انه ليس للمؤمنين ان ينفروا كافة ويخلفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ليس عنده احد
من المسلمين يتعلم منه الحلال والحرام والشرائع والأحكام قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
ليتفقهوا في الدين أي فهلا خرج من كل جماعة طائفة الى الجهاد وبقي طائفة مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليتعلم الذين تخلفوا عند النبي صلى الله عليه وسلم الوحي اذا رجعت السرايا علموهم ما علموا فيستووا جميعا في العلم
في معرفة الناسخ والمنسوخ ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون أي ليخبر الذين تخلفوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قومهم الذين غزوا اذا رجعوا اليهم من غزاتهم ويخبروهم بما نزل بعدهم من
القرآن لكي يحذروا كلهم فلا يعملون شيئا خلاف ما انزل الله عز وجل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين
يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة أي قاتلوا الأدنى فالأدنى اليكم من العدو كمثل قريظة والنضير
وخيبر أي ابدؤا بمن حولكم ثم قاتلوا سائر الكفار لأن الاشتغال بقتال من بعد من المشركين مع ترك قتال من قرب
لا يؤمن معه هجوم من قرب على ذراري المسلمين ونسائهم وبلادهم اذا خلت من المجاهدين قوله تعالى وليجدوا
فيكم غلظة أي ليكن منكم قول غليظ وشدة عليهم في الوعيد كيلا يطمع فيكم احد من اهل الكفر واعلموا ان الله
مع المتقين في النصرة لهم على عدوهم قوله تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه
ايمانا معناه اذا ما انزلت سورة من القرآن فمن المنافقين من يقول ايكم زادته هذه السورة ايمانا كان بعضهم
يقول لبعض على جهة الهزء ويقال كانوا يقولون للمستضعفين من المسلمين ايكم زادته هذه السورة يقينا
وبصيرة يقول الله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم المخلصون من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
زادتهم تصديقا مع تصديقهم وهم يستبشرون أي يفرحون بكل ما نزل من القرآن قوله تعالى واما الذين
في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم معناه واما الذين في قلوبهم شك ونفاق فزادتهم السورة شكا الى
شكهم وكفرا الى كفرهم لأنهم كلما كفروا بسورة ازدادوا كفرا والمؤمنون كلما صدقوا بسورة ازدادوا تصديقا
قوله تعالى وماتوا وهم كافرون أي ادام شكهم فيما انزل الله من السورة الى ان ماتوا على الكفر وانما سمى
الله النفاق مرضا لأن الحيرة في القلب مرض كما ان الوجع في البدن مرض البدن قوله تعالى أولا يرون انهم يفتنون
في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون معناه أولا يرى المنافقون انهم يختبرون بالدعاء الى
الجهاد في كل عام مرة او مرتين ويقال يهلكون بهتك استارهم بما يظهر الله من سوء نياتهم وخبث سرائرهم ويقال
كانوا ينقضون عهدهم في السنة مرة او مرتين يعاقبون ثم لا يتوبون عن نقضهم ولا يتذكرون ما صنع الله بهم بنقضهم

العهد وقد أحرم وتعقوبسادة يرزون بالبادية خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قوله تعالى وإذا ما
أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد أي إذا أنزلت سورة فيها عيب المنافقين فخاطبهم النبي
صلى الله عليه وسلم وعرّض لهم في خطبته نظر بعض المنافقين إلى بعض هل يراكم من أحد من المخلصين إذا هو قام خرج
من المسجد فإن كان لا يراه أحد خرج من المسجد وانصرف وإن علموا أن أحدا يراهم قاموا وثبتوا مكانهم حتى
تفرغ النبي صلى الله عليه وسلم من خطبته قوله تعالى ثم انصرفوا أي انصرفوا عن الإيمان والعمل بشيء مما سمعوا
ويقال انصرفوا عن المكان الذي يسمعون فيه صرف الله قلوبهم عن اللطف الذي يحدثه للمؤمنين قوله تعالى
بأنهم قوم لا يفقهون أي ذلك الصرف بأنهم قوم لا يفقهون ما يريد الله بخطابه قوله تعالى لقد جاءكم
رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم هذا خطاب لأهل مكة والمعنى لقد جاءكم رسول من أهل نسبكم وجاءكم
شريف النسب تعرفونه وتفهمون كلامه وإنما قال ذلك لأنه أقرب إلى الألفة وقيل إن هذا خطاب لجميع الناس
معناه جاءكم آدمي مثلكم وهذا أوكد للحجة عليكم لأنكم تفهمون عمن هو من جنسكم • وقرأ ابن عباس والزهري من
أنفَسكم بفتح الفاء أي من أشرفكم وأفضلكم من قولك شيء نفيس وفي ... من أعلاكم نسبا قوله تعالى عزيز عليه ما عنتم
أي شديد عليه عنتكم وإثمكم والعنت الضيق والمشقة قوله تعالى حريص عليكم أي حريص على إيمانكم وهدايتكم
أن تؤمنوا فتنجوا من العذاب وتفوزوا بالجنة والثواب والحرص شدة الطلب للشيء مع الاجتهاد فيه قوله
تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم كلام مستأنف أي وهو شديد الرحمة لجميع المؤمنين ... من شفقته عليهم
قوله تعالى فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم أي فإن
أعرضوا عنك وعن الإيمان بك فقل الله تعالى يحسبني لا إله إلا هو أي لا ناصر ولا معين غيره عليه توكلت أي به وثقت
وإليه فوضت أمري قوله تعالى وهو رب العرش العظيم أي خالق السرير العظيم الذي هو أعظم من السموات والأرض وإنما
خص العرش بذلك لأنه إذا كان رب العرش العظيم مع عظمه كان رب ما دونه في العظم وقيل إنما خص العرش تشريفا
للعرش وتعظيما لشأنه • وقرئ في الشواذ العظيم بالرفع على نعت الرب

سورة يونس مكية

وهي مائة وتسع آيات وسبعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا وألف وثمانمائة واثنان وثلاثون كلمة وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة يونس أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس
وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون •

بسم الله الرحمن الرحيم الر
قال ابن عباس معناه أنا الله أرى وعنه أنه من حروف الرحمن وقيل معناه أنا الرب لا رب غيري قوله
تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم أي هذه آيات الكتاب وإنما أضاف السورة إلى القرآن لأنها بعض الكتاب
كما تضاف السورة لأنها بعضه وإنما وصف القرآن بأنه حكيم فلأن القرآن كالناطق بالحكمة لما فيه من التمييز بين الحق
والباطل ويقال معنى الحكيم المحكم بالحلال والحرام والأمر والنهي يقال أحكمت الشيء فهو محكم وحكيم كما يقال أكرمت
الرجل فهو مكرم قوله تعالى أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس
معناه أعجبهم أن أوحينا إلى رجل مثلهم من أهل نسبهم أن خوّف الناس بالعذاب وبشر الذين آمنوا أن
لهم قدم صدق عند ربهم وذلك أن الكفار كانوا يقولون لم يجد الله رسولا يبعثه إلا يتيم أبي طالب
ويقال كانوا يتعجبون من البعث بعد الموت قوله تعالى قدم صدق عند ربهم أي أعمالهم الصالحة التي قدموها
لأنفسهم سلف خير عند ربهم يستوجبون بها المنزلة الرفيعة في آخرتهم عند ربهم • وعن ابن عباس أنه قال قدم
الصدق شفاعة نبيهم لهم هو إمامهم في الجنة وهم بالأثر قوله تعالى قال الكافرون إن هذا لسحر مبين
أي قال كفار مكة إن هذا القرآن لسحر مبين • وقرأ أهل الكوفة وابن كثير لساحر بالألف يعنون محمدا صلى الله عليه

وسلم

وسلم قوله تعالى إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش
ولو شاء لخلقها في أقل من لحظة ولكن خلقها للترتيب ليكون حدوث شيء بعد شيء على الترتيب أبلغ للملائكة في التفكر
فيها من حدوثها كلها في حالة واحدة وقد تقدم تفسير الاستواء ودخلت ثم على الاستوى وهي في المعنى داخلة
على التدبير كأنه قال ثم يدبر الأمر وهو مستو على العرش فإن تدبير الأمور كلها ينزل من عند العرش ولهذا ترفع الأيدي
في الدعاء والحوائج نحو العرش ولا استواء بالاستيلاء ولم يزل الله سبحانه مستوليا على الأشياء كلها إلا أن تخصيص
العرش لتعظيم شأنه قوله تعالى يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه أي يقضي القضاء إلى الملائكة من
... له في تدبيره أحد من خلقه وعن عمرو بن مرة أنه قال يدبر أمر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل
وملك الموت وإسرافيل • أما جبريل فعلى الرياح والجنود وأما ميكائيل فعلى القطر والنبات وأما ملك الموت فعلى الأنفس
وأما إسرافيل فينزل عليهم ما يؤمرون به قوله تعالى ما من شفيع إلا من بعد إذنه جواب قول الكفار الأصنام شفعاؤنا
عند الله فبين الله تعالى أنه ما من ملك مقرب ولا نبي مرسل يشفع لأحد إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى فكيف تشفع
الأصنام التي ليس لها عقل وتمييز قوله تعالى ذلكم الله ربكم أي الذي يفعل ما هو المذكور في هذه الآية من خلق
السموات والأرض وتدبير الخلق هو الله خالقكم ورازقكم فاعبدوه ولا تعبدوا الأصنام فإنها لا تستحق
العبادة قوله تعالى أفلا تذكرون أي هلا تتعظون بالقرآن قوله تعالى إليه مرجعكم جميعا وعد الله
حقا أي إلى الله سبحانه رجوعكم جميعا وانتصب قوله جميعا على الحال وقوله وعد الله نصب على المصدر أي وعد
الله وعدا والمعنى وعد الله البعث بعد الموت وعدا حقا كائنا لا شك فيه قوله تعالى إنه يبدأ الخلق ثم يعيده
أي خلقكم في بطون أمهاتكم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ثم يخرجكم نسما للتمام ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم
ثم يبعثكم بعد الموت وفي هذا بيان أن خلق الشيء على الترتيب حالا بعد حال أدل على الاعتبار من خلقه جملة واحدة
في ساعة واحدة قوله تعالى ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط فيه بيان أن البعث للجزاء
ليجزيهم بالعدل فلا ينقص من ثواب محسن ولا يزيد على عقاب مسيء بل يجازي كلا على قدر عمله كما قال تعالى
جزاء وفاقا قوله تعالى والذين كفروا لهم شراب من حميم أي ماء حار قد انتهى حره وعذاب
وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم بما كانوا يكفرون بالكتب والرسل قوله تعالى هو الذي جعل الشمس
ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب أي هو الذي جعل الشمس ضياء للعالمين
بالنهار والقمر نورا بالليل في الخبر أن وجوههما إلى العرش وظهورهما إلى الأرض يضيء وجوههما لأهل
السموات السبع وظهورهما لأهل الأرضين السبع كما قال تعالى وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا
قوله تعالى وقدره منازل أي قدر القمر منازل وهي ثمانية وعشرون منزلة في كل شهر • وقيل معناه وقدره
منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونها وقيل جعل قدر مما يتعدى إلى مفعولين • ويجوز أن يكون المعنى
... فحذف التثنية للاختصار والإيجاز كما قال تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه قوله تعالى ما
خلق الله ذلك إلا بالحق أي ما خلق الله الشمس والقمر إلا لتعلموا الحساب وتعتبروا بهما وتستدلوا بطلوعهما
وغروبهما على صانعهما قوله تعالى لتعلموا عدد السنين والحساب أي لتعلموا بالشمس والقمر حساب السنين
وحساب الشهور والليالي والأيام على ما تقدم أن القمر يقطع في الشهر ما تقطعه الشمس في السنة وتعني بقوله
والحساب حساب الشهور والأيام والساعات وقوله تعالى ما خلق الله ذلك إلا بالحق رده إلى الفعل والخلق
والتقدير ولو أراد الأعيان المذكورة لقال تلك إلا بالحق لم يخلقه باطلا بل لإظهار الصنعة والدلالة على
قدرته وحكمته قوله تعالى يفصل الآيات لقوم يعلمون أي يبين علامات وحدانية الله بآية بعد آية
... يفصل الآيات • قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص يفصل بالياء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم
... ما خلق الله فيكون متبعا له وقرأ الباقون بالنون على التعظيم قوله تعالى إن في

عما

اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون معناه ان في اختلاف
الوان الليل والنهار وتقلبهما بذهاب الليل ومجيء النهار وذهاب النهار ومجيء الليل وفيما خلق الله
في السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح وفي الارض من الجبال والبحار والاشجار والانهار والدواب
والنبات لعلامات لقوم يتقون الله ويخشون عقوبته فلم يؤمنوا بهذه الآيات ولم يصدقوا فانزل الله
عز وجل قوله تعالى إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن
آياتنا غافلون معناه ان الذين لا يخافون عقاب الله ويتمنون الحياة الدنيا ولا يعملون الا لها ولا يرجون
الى ما وراءها واطمأنوا بها اي سكنوا اليها وآثروها على عمل الآخرة والذين هم عن دلائل توحيدنا غافلون
تاركون لها لا يتدبرون بها قوله تعالى أولئك مأواهم النار اي اهل هذه الصفة مصيرهم الى النار بما
كانوا يكسبون يعملون في دار الدنيا وقد يذكر الرجاء بمعنى الخوف كما قال تعالى ما لكم لا ترجون لله
وقارا اي لا تخافون لله عظمة ويجوز ان يكون المعنى لا يرجون لقاءنا اي لا يرجون جزاءنا فجعل لقاء
جزائه منزلة لقائه قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم اي ان الذين
صدقوا بمحمد والقرآن وعملوا الصالحات يرشدهم ربهم على الصراط الى الجنة بنور ايمانهم وقيل يرشدهم
الى منازلهم في الجنة وقيل يثبتهم على الايمان و قوله تعالى تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم اي
تجري الانهار بين أيديهم وهم في الغرف يتطلعون عليها كما قال تعالى حاكيا عن فرعون أليس لي ملك مصر وهذه
الانهار تجري من تحتي فيجوز ان يكون معناه تجري من تحت بحرهم ويأتيهم في جنات ينعمون فيها قوله
تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم اي قولهم ودعاؤهم في الجنة سبحانك اللهم فاذا سمع الخدام ذلك
من قولهم أتوهم بما يشتهون قال ابن جريج يمر الطير على الرجل من اهل الجنة فيشتهيه فيسبح الله تعالى فيقع بين
يديه فيأكل منه ما شاء فاذا فرغ قال الحمد لله ويقال يعني قوله تعالى دعواهم فيها اي مفتتح كلامهم التسبيح
ويختم كلامهم بالتحميد الا ان يكون الحمد آخر كلامهم حتى لا يتكلمون بعده بشيء قال طلحة بن عبيد الله سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن قول سبحان الله فقال هو تنزيه لله من كل سوء وسئل علي رضي الله عنه عن
ذلك فقال كلمة رضيها الله لنفسه وقال الحسن يعني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [illegible]
ان اهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح كما تلهمون انفاسكم قوله تعالى وتحيتهم فيها سلام اي يحيي
بعضهم بعضا بالسلام وتحييهم الملائكة بالسلام وتأتيهم الملائكة من عند ربهم بالسلام كما في قوله تعالى تحيتهم
يوم يلقونه سلام قرأ بلال بن ابي بردة وابن محيصن ان الحمد لله بكسر ان وتشديد النون ونصب الحمد قوله تعالى
ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم قيل ان هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث حين
قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية ثم صارت عامة في كل من يستعجل العقاب الذي يستحقه بالمعاصي
ومعناه لو يعجل الله للناس الشر كما يعجل الخير اذا دعوا بالرحمة والرزق والعافية لماتوا وهلكوا وقيل
المراد بهذه الآية دعاء الانسان على نفسه وولده وقومه مثل قول الرجل اذا غضب على ولده اللهم لا تبارك فيه
والعنه وقوله لنفسه رفعني الله من بينكم والمعنى على هذا لو يعجل الله للناس اجابة دعائهم في الشر كما يستعجلون
الاجابة في الخير لقضي اليهم اي لفرغ من عذابهم وماتوا جميعا وقال شهر بن حوشب قرأت في بعض الكتب
ان الله تعالى يقول للملكين الموكلين لا تكتبا على عبدي في حال ضجره شيئا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى
بفتح القاف والضاد اجلهم بفتح اللام وقرأ الاعمش لقضينا وقرأ العامة لقضي بضم القاف وكسر الضاد
ورفع قوله اجلهم قوله تعالى فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون اي نترك الذين لا
يخافون البعث في ضلالتهم ولكن هم يتحيرون ويترددون قوله تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا
لجنبه او قاعدا او قائما نزلت هذه الآية في هشام بن المغيرة المخزومي ومعناه اذا اصاب الانسان

الشدة والمرض دعانا لكشفه وهو مضطجع لما به من المرض او قاعدا اذا كانت العلة اهون او قائما اذا بقي فيه
اثر العلة او كان في شدة معيشة او غيرها فلما رفعنا ما كان به من الشدة استمر على الاعراض عن شكر ما انعمنا
عليه في كشف الضر عنه كأن لم يدعنا الى ضر مسه قط اي كأنه لم تمسه ضر وكأنا لم نكشف الضر عنه قوله
تعالى كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون في الشرك من الدعاء في الشدة وترك الدعاء في الرخاء
والغفران بما زين لهم قوله تعالى ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا اي ولقد اهلكنا الامم الماضية
من قبلكم حين كفروا وجاءتهم رسلهم بالدلالات الواضحات وما كانوا ليؤمنوا فيه بيان ان الله تعالى
انما اهلكهم لانه كان المعلوم من حالهم انه لو ابقاهم لكانوا لا يؤمنوا ولو كان في ابقائهم صلاح لهم ولغيرهم
لابقاهم قوله تعالى كذلك نجزي القوم المجرمين اي هكذا نجزي القوم المشركين نهلكهم كما اهلكنا الامم قوله
تعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون اي ثم اسكناكم الارض من بعد
الامم لنجازيكم على ما تعملون من الخير والشر ونشاهد هل تحترزون عما صنعوا ام لا وهذا على التهديد
اي ان عاملتكم مثل معاملتهم اهلكتهم فاهلكتكم وانما قال لننظر لانه سبحانه تعالى يعامل العبد معاملة المختبر
الذي لا يعلم الشيء حتى يكون مظاهره في الازل وانما يجازي العباد على عملهم لا على علمه فيهم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون قال قتادة وذكر لنا ان عمر رضي الله عنه
قال صدق ربنا ما جعلنا خلفاء الا لينظر الى اعمالنا فاروا الله من اعمالكم خيرا بالليل والنهار والسر والعلانية قوله
تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان
ابدله من تلقاء نفسي معناه واذا تقرأ على اهل مكة آياتنا المنزلة في القرآن قال الذين لا يخافون عقابنا ولا
يطمعون في ثوابنا ولا يقرون بالبعث يا محمد ائت بقرآن ليس فيه عيب الهتنا ولا ذكر البعث والنشور قوله تعالى او بدله
[illegible] قل يا محمد ما يكون لي ان ابدله اي ما يجوز وما ينبغي لي ان اغيره من قبل نفسي ان اتبع وما اعمل الا
ما يوحى الي من القرآن اني اخاف ان عصيت ربي فبدلت القرآن انه يكون علي عذاب يوم عظيم
قوله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم اي قل يا محمد لو شاء الله ما قرأت القرآن عليكم بان كان لا ينزله
علي ولا ادراكم به اي ولا اعلمكم الله به اي لو شاء الله لا يشعركم به وفي قراءة الحسن ولا ادرأتكم به اي
ولا اعلمكم به قوله تعالى فقد لبثت فيكم عمرا من قبله اي مكثت فيكم دهرا قبل انزال القرآن ولم اقل من هذا
شيئا [illegible] انه ليس من تلقاء نفسي قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي
لا احد اظلم ممن اختلق على الله كذبا بان جعل له شريكا او ولدا او ادعى النبوة بغير حق [illegible]
الاصنام تقرب بعبادتها اليه وقوله تعالى او كذب بآياته اي بانبيائه ورسله وكتبه قوله تعالى انه لا
يفلح المجرمون اي لا يوصلهم الى مرادهم قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
ان اهل مكة يعبدون من دون الله الاصنام التي لا تضرهم ان تركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها قوله تعالى
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فانه الذي اذن لنا في عبادتها انه يشفع لنا واراد بذلك شفاعة
الاصنام في مصالح دنياهم لانهم لا يقرون بالبعث قوله تعالى قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض
استفهام بمعنى الانكار ان الله خالق السموات والارض وهو عالم بما فيهما يعلم ان ليس فيهما لله شفيع ولا غيره اتخبرونه
بشيء لا يعلم باخباركم وهذا نفي للعلم والمراد به نفي ما قالوا في ان شفاعة الاصنام لا تكون ابدا قوله تعالى
سبحانه وتعالى عما يشركون اي تنزيها لله عن كل صفة لا تليق بذاته وارتفع وتبرأ عما يشركون
به من الاصنام والاوثان قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا اختلف الناس في المراد
بهذه الآية قال بعضهم اراد بذلك الناس كانوا امة واحدة في دين آدم عليه السلام ثم اختلفوا بان كفر بعضهم
بعضا ثم اختلف بعد ذلك وقيل اراد به ان الناس كلهم ولدوا على الفطرة ثم اختلفوا بالاديان

غير بعضهم الفطرة ولم يغير بعضهم من ثبت عليها وقال بعضهم اراد بذلك انهم كانوا امة واحدة على عهد ابرهيم
ونوح عليهما السلام كانوا كلهم كفارا من قبل فتفرقوا ما بين مؤمن وكافر وقال اراد بالناس ههنا العرب
كانوا على الشرك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا بعد مبعثه فآمن بعضهم وكفر بعضهم والقول
الاول اقرب الى ظاهر الآية قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون
أي لولا حكم من الله سبق بميعاد التكليف على الناس الى وقت يعلمون سوا اطاعوه او عصوه لما علم من المصلحة
لهم ولغيرهم في ذلك لعجل لهم العذاب عند العصيان فاضطرهم الى معرفة الحق فيما اختلفوا فيه وقرأ عيسى بن
لقضي بينهم بالفتح قوله تعالى ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه أي ويقول اهل مكة هلا انزل
على محمد آية من ربه يعنون الآية التي كانوا يقترحونها عليه سوى الآيات التي انزلها الله فقل إنما الغيب لله
أي قل لهم يا محمد نزول الآيات لله تعالى لو علم الصلاح في زيادة الآيات لزاد قوله تعالى فانتظروا أي فانتظروا
عقاب الله بالقتل في الدنيا والنار في الآخرة إني معكم من المنتظرين لهلاككم بما وعدني الله تعالى قوله
تعالى وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا معناه اذا اعطينا الناس
أي الكفار ما يسرهم من العافية والنعمة والرحمة والمطر من بعد فقر وبلاء ومرض وقحط وشدة اصابتهم اذا
هم مكر في آياتنا بالاحتيال في دفعها والتكذيب بها كانوا لا يقولون هو رزق الله ورحمته واذا تنوب عن
جواب الشرط كما ينوب الفعل في المعنى اذا مستهم راحة ورخاء بعد شدة وبلاء وقيل مطر بعد قحط اذا لهم مكر
وتكذيب وقال مقاتل لا يقولون هذا رزق الله وانما يقولون سقينا بنوء كذا وهو قوله تعالى وتجعلون رزقكم
أنكم تكذبون قوله تعالى قل الله أسرع مكرا أي اسرع جزاء على المكر واقدر على ذلك فسمي الجزاء باسم المجري عليه
وقيل معناه قل الله اعجل عقوبة واشد اخذا واقدر على الجزاء قوله تعالى إن رسلنا يكتبون ما تمكرون
أي الكرام الكاتبون يكتبون ما تمكرون انتم وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة ويعقوب ما يمكرون بالياء قوله تعالى
هو الذي يسيركم في البر والبحر أي هو الذي يسهل لكم السير ويحفظكم اذا سافرتم في البر والبحر على السفن
والسير في البحر مضاف الى الله تعالى في الحقيقة لان السفينة لا تكون لا تجري الا بالماء وبالريح الطيبة واما السير
في البر فاضافته الى الله تعالى على معنى تسخير المركوب وتيسير المسالك بقدرة الله تعالى ايضا وقرأ ابن عامر
وابو جعفر ينشركم بالنون والشين من النشر أي يبثكم في البر والبحر قوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك
وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف أي حتى اذا كنتم في السفن وقد يكون
الفلك واحدا وقد يكون جمعا فمن جعله واحدا فجمعه افلاك ومن جعله جمعا فواحده فلك كما يقال اسد
واسد وقوله تعالى وجرين بهم أي السفن جرين باهلها بريح لينة ساكنة وفرحوا بسكون ريحها واغتموا
واغتموا قال الزجاج ابتدأ الكلام خطابا وبعد ذلك اخبار عن غايبين لان مخاطبة الله لعباده لا تكون الا على
لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بمنزلة الاخبار عن الغايب قوله تعالى وجاءهم الموج من كل مكان
أي ركبهم الموج من كل جانب قوله تعالى وظنوا أنهم أحيط بهم أي ايقنوا انه قد دنا هلاكهم تقول العرب
لكل من وقع في الهلاك او في بلية عظيمة احيط بفلان أي احاط به الهلاك قوله تعالى دعوا الله مخلصين
له الدين أي دعوا الله لكشف ذلك عنهم مخلصين له الاعتقاد ولا يدعون في هذه الشدة غيره قال الحسن
ليس هو اخلاص الايمان ولكنه لعلمهم انه لا ينجيهم من تلك الشدة الا الله عز وجل قوله تعالى لئن أنجيتنا
من هذه أي من هذه الريح الشديدة والغرق لنكونن من الشاكرين لك على نعمائك قوله تعالى
فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق أي فلما انجاهم من البحر اذا هم يتطاولون على عباد الله
واوليائه ويعملون بالمعاصي والفساد والدعاء الى غير عبادة الله والبغي في اللغة هو الترامي الى الفساد يقال
بغى الجرح يبغي بغيا اذا ترامى الى الفساد وبغت المرأة اذا فسدت قوله تعالى يا أيها الناس إنما بغيكم

على

على أنفسكم متاع الحياة الدنيا أي انما ظلمكم وفسادكم يعود ضرره عليكم ويرجع وباله اليكم وقوله
تعالى متاع الحياة الدنيا أي هو تمتع قليل في الدنيا ومتاع الدنيا يذهب ويفنى ويجوز ان يكون قوله متاع الحيوة
الدنيا خبرا لقوله انما بغيكم على انفسكم أي لا تبتغوا لكم الا ان يبغي بعضكم على بعض في مدة يسيرة من الدنيا مع سرعة
انقضائها ثم إلينا مرجعكم قوله تعالى فننبئكم بما كنتم تعملون وقرأ حفص متاع بالنصب على المصدر قوله
تعالى إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء معناه انما صفة حيوة الدنيا وهي الحيوة الاولى
صفة ما انزل الله فنبت به انواع النبات واختلط بعضه ببعض لان المطر يختلط بالنبات ويدخل في خلاله قوله
تعالى مما يأكل الناس والأنعام أي مما يصير بعضه الى الناس من الحبوب والثمار وبعضه علفا للدواب
من العشب والكلاء قوله تعالى حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت أي زينتها من النبات والزخرف
حسن الشيء وقوله تعالى وازينت أي تزينت نباتها واثمارها من الاحمر والاصفر والاخضر وساير الالوان
التي لا غاية لها في الحسن بعدها قوله تعالى وظن أهلها أنهم قادرون عليها أي يحسب اهلها ادراك الانتفاع
بها قوله تعالى أتاها أمرنا ليلا أو نهارا أي اتاها عقابنا في ليل او نهار اما بردا او صواعق محرقة او
غيرها ويسمى العقاب امرا لانه انما يقع بامر الله سبحانه تعالى واتى بلفظ الامر لان ذلك ادل على سرعة الكون من غير
استبطاء ولا تعب قوله تعالى كأن لم تغن بالأمس أي كان لم يكن بذلك المكان شيء من الخضرة والحسن والنبات
والمغنى هو الموضع الذي يقام فيه ويعمر والمغاني المنازل التي يعمرها الناس بالنزول بها يقال غنينا بمكان كذا
اذا نزلوا به ووجه تشبيه الحيوة بالمطر الذي نزل فنبت به النبات ثم ينقضي وينقطع انه كما لا يبقى شيء من ذلك
النبات كذلك المتمسك بالدنيا اقوى ما ينتهي اليه امر دنياه ان يأتيه الموت وقرأ ابن مسعود وترتيب وقرأ ابو عثمان
النهدي والضحاك وازيانت على وزن احمارت وقرأ ابو رجاء والشعبي والحسن وازينت على مثال افعلت بقطع
الالف ساكنة الزاي قال قطرب معناه اتت بالزينة كما يقال اذكرت المرأة وانثت اذا اتت بالذكور والاناث قوله
تعالى كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون أي كما فصلنا لكم فكذلك نبين الآيات في القرآن في امر
الدنيا والآخرة وانما خص بذلك من يتفكر لان الغافل عن ذلك والمتغافل لا يكاد ينتفع بهذه الامور بل هو كالانعام
واضل قوله تعالى والله يدعو إلى دار السلام قال ابن عباس والله يدعو الى عمل الجنة والله السلام
وداره الجنة ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم أي يكرم من يشاء بالهداية الى الدين القيم رضاء الله
وهو الاسلام وقال قتادة دار السلام الدار التي يسلم اهلها عن الآفات في الامراض والهرم والموت والسلام
والسلامة بمعنى واحد كالرضاع والرضاعة قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة أي للذين احسنوا
العمل في الدنيا لهم الحسنى وهي الجنة ولذاتها قوله تعالى وزيادة روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال
حين تلى هذه الآية اتدرون ما الزيادة قالوا انت اعلم يا خليفة رسول الله قال الحسنى الجنة والزيادة النظر
الى وجه الله تعالى وعلى هذا القول حذيفة وابو موسى وصهيب وعبادة بن الصامت وكعب بن عجرة وعامر
بن سعد والحسن وعكرمة وابو الجوزاء والضحاك والسدي وعطاء ومقاتل وهو قول ابي بكر الصديق رضي
الله عنه يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة ان لكم عند الله
موعدا لم تروه فيقولون وما هو الم تبيض وجوهنا وتزحزحنا عن النار وتدخلنا الجنة قال فيكشف الحجاب
فينظرون اليه عز وجل فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب اليهم منه وقال ابن عباس للذين احسنوا الحسنى
أي الذين شهدوا ان لا اله الا الله الجنة وروى عطية عنه ان الحسنى هي واحدة من الحسنات بواحدة والزيادة
التضعيف عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وقيل الحسنى النضرة والزيادة النظر قال الله تعالى وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة وعن علي رضي الله عنه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة آلاف
باب ويقال الزيادة رضا الرب كما روي ان اهل الجنة يؤتون بالتحف والكرامات ويقول لهم رسول رب

العزة إن الله تعالى يقول قد رضيت عنكم فهل رضيتم عني قوله تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة
أي لا تعلو وجوههم ولا يلحقهم سواد وكسوف في الوجه ولا ذلة أي ولا هوان ولا حزن ولا يكون نعيمهم
كنعيم الدنيا لا يشوبه التنغيص والتكدير والرهق في اللغة هو اللحوق ومنه قولهم للصبي إذا قارب البلوغ
مراهق أي قارب أن يلحق بالاحتلام والقتر غبرة فيها سواد وقرأ الحسن قتر بإسكان التاء وهما لغتان وفي
الآية ظاهر المعنى قوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها معناه والذين تركوا طاعة الله فيما أمرهم
به ونهاهم عنه يجازيهم الله بما يستحقونه على العقوبة ولا يجازيهم بأكثر من الاستحقاق بخلاف الطاعة فإن
الله تعالى قد يتفضل على المطيع بزيادة الأجر فإنه كان يجوز أن يتفضل ابتداء بتلك الزيادة والجزاء مرفوع
بإضمار يكون قوله يعقد له أي فعليه ذلك ويجوز أن يكون مرفوعا بالابتداء وخبره بمثلها أي مثلها والباء فيه زائدة
كقوله تعالى وترهقهم ذلة أي تعلوهم كآبة وكسوف وهوان لأن العقاب لا يكون عقابا بمجرد الألم
فإنما يكون عقابا بما يقارنه بإرادة الإذلال والإهانة قوله تعالى ما لهم من الله من عاصم أي ما لهم من حافظ
يدفع عنهم عقاب الله وقوله تعالى من ها هنا صلة قوله تعالى كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما
أي كأنما ألبست وجوههم قطعا من الليل أكثر القراء على فتح الطاء وهو جمع قطعة ويكون مظلما على هذه القراءة
نصبا على الحال والقطع دون النعت كأنه أراد قطعا من الليل المظلم فلما حذف الألف واللام نصب على القطع ويجوز
أن يكون حالا أي قطعا من الليل في حال ظلمته. وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا ساكنة الطاء أي بعضا
كقوله تعالى بقطع من الليل ويكون مظلما نعتا للقطع قوله تعالى أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون
ظاهر المعنى قال ابن عباس نزلت هذه الآية في أهل الشرك وقوله تعالى جزاء سيئة بمثلها أي قصاص الشرك بالله
النار ليس في النار زيادة على جزاء المثل أي لا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أشد من النار كما قال تعالى جزاء
وفاقا وقال صلى الله عليه وسلم أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت
ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة كالليل المظلم إلى يوم القيامة وإن لونها أشد سوادا
من القير في عينين خضراوين وأهلها سود وكذلك طعامها وشرابها والذي نفس محمد بيده لو اطلع رجل من
أهلها على الأرض لسودت به الأرض من شدة سواده. قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا أي يوم نجمعهم جميعا
ونسوقهم إلى المحشر للفصل بينهم والحشر في اللغة جمع الحيوان من كل مكان قوله تعالى ثم نقول للذين أشركوا
أي نقول للذين أشركوا في عبادتهم مع الله غيره وأشركوا في أموالهم كما أخبر الله عنهم بقوله هذا لله وهذا لشركائنا
قوله تعالى مكانكم أنتم وشركاؤكم أي يقال لهم قفوا أنتم وآلهتكم وهذه كلمة تهديد كما يقال للغير مكانك
حتى تنظر ماذا يحل بك لسوء صنيعك وحتى يفصل بينك وبين خصمك قوله تعالى فزيلنا بينهم أي فرقنا بين
الكفار وبين آلهتهم في القول بالاختلاف لئلا يكون بينهم [illegible] ولكنه من قولك زلت الشيء عن
مكانه أزله زيلا والتزييل التكثير من هذا الباب في المزايلة هي المفارقة قوله تعالى وقال شركاؤهم ما
كنتم إيانا تعبدون معناه أن الله ينطق الأصنام التي عبدوها هل أمرتم هؤلاء بعبادتكم فيقولون
الذين كانوا يعبدونهم ردا عليهم ما كنتم إيانا تعبدون ولم نعلم بعبادتكم ولم نكن نختار ونحب عبادتكم
بعبادتكم فيقول الكفار بلى قد عبدناكم وأمرتمونا وأطعناكم فيقول الأصنام كما قال تعالى فكفى بالله
شهيدا بيننا وبينكم أي كفى بالله فاصلا للحكم بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين
لا نعلم شيئا من ذلك والفائدة في إحضار الأصنام أن يظهر الله للمشركين ضعف معبودهم ويزيدهم بذلك
حزنا على عبادتهم قوله تعالى هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت من قرأ تبلو بالباء فالمعنى تختبر كل نفس
ما قدمت من خير أو شر ومن قرأ تتلو بالتاء فالمعنى تقرأ كل نفس كتاب عملها ويجوز أن يكون معناه تتبع كل نفس
جزاء عملها وهنالك من الظروف وأصله هنا واللام زائدة والكاف للمخاطبة وكسرت اللام لسكونها وسكون

قوله تعالى وردوا إلى الله مولاهم الحق أي ردوا إلى جزاء الله وإلى الموضع الذي لا يملك الحكم فيه
أحد إلا الله والحق هو الذي يكون معنى اللفظ حاصلا فيه على الحقيقة والله تعالى حق لأن الإلهية حاصلة
له على الحقيقة باقتداره على جميع الأشياء قوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون أي وبطل عنهم ما
كانوا يختلقون من الكذب للأصنام أنها آلهة وأنها تشفع عند الله قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء
والأرض أي قل لكفار مكة من يرزقكم من السماء المطر ومن الأرض النبات والثمار أمن يقدر على أن
يخلق لكم السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت أي من يخرج الحي من النطفة ومن يخرج الميت من
الحي أي من يخرج النطفة من الحي والفرخ من البيضة والبيضة من الفرخ والسنبلة من الحبة والحبة
من السنبلة ومن يدبر الأمر أمر العباد على وجه الحكمة فسيعترفون بأن الله تعالى الذي يفعل هذه الأشياء وأن
الأصنام لا تقدر على فعل شيء منها فقل لهم يا محمد فلا تخافون من عذاب الله ولم تعبدون الأصنام قوله
تعالى فذلكم الله ربكم الحق أي الذي يرزقكم من السماء والأرض ويخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي ويدبر الأمر وهو ربكم الحق دون الأصنام الباطلة قوله تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال
أي فما بعدكم عن عبادة الله وهو الحق إلى عبادة الأصنام الباطلة إلا الضلال فمن أين تصرفون عن الإيمان
بالله وإخلاص الطاعة له بعد المعرفة قوله تعالى كذلك حقت كلمات ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون
أي كما وجبت كلمة العذاب فيهم وجبت على كل من تمرد بالكفر وقوله تعالى أنهم لا يؤمنون يجري مجرى التعليل
كأنه قال بإصرارهم على الكفر لأنه كلما كان تمردهم أكثر كانوا في الكفر أشد ضلالة والآية تعم أكثر
من الكفار. وقال ابن عباس وجبت كلمة العذاب عليهم وهم في صلب آدم عليه السلام قوله تعالى قل هل
من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده أي قل لهم يا محمد قل هل من شركائكم الذين أشركتم مع الله في العبادة
من ينشئ الخلق من النطفة بعد أن لم يكن ويجعل فيه الروح وقوله تعالى ثم يعيده احتجاجا لأن الإعادة رد
الشيء إلى الحالة الأولى ولا يكون ذلك إلا بعد الإفناء فيكون تقدير الآية من يبدأ الخلق من النطفة ثم يفنيه
ثم يعيده في الآخرة فأنى تؤفكون أي من أين تصرفون عن الإيمان بالله وإخلاص الطاعة له قوله
تعالى قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق أي قل هل من آلهتكم من يهدي الناس إلى الرشد وما فيه صلاح
لهم قل الله يهدي للحق الإرشاد وما فيه صلاح للإنسان يقال هديته إلى الحق وهديت للحق بمعنى واحد
قوله تعالى أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى معناه أفمن يدعو إلى عمل الحق
أحق أن يطاع ويعمل بأمره أمن لا يهدي طريقا إلا أن يحمل فيذهب به حيث يراد يعني الأصنام كأنه قال
إن التي تعبدونها من دون الله لا تهتدي بأنفسها إلا أن يهديها غيرها. واختلف القراء في قوله أمن لا
يهدي. وأجودها قراءتان يهدي بفتح الهاء ويهدي بكسر الهاء والأصل في ذلك يهتدي أدغمت التاء في الدال وطرح
فتحها على الهاء وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين قوله تعالى فما لكم كيف تحكمون معناه أي شيء لكم في
عبادة الأوثان فكيف تقضون لأنفسكم فتعبدون من لا يستحق العبادة قوله تعالى وما يتبع أكثرهم إلا
ظنا أي ما يعبد أكثرهم الأصنام إلا تقليدا لآبائهم وقبيلهم بظن يظنونه في تعيين يعني أن رؤساءهم
قالت لهم أن الأصنام تشفع لهم عند الله وأما السفلة فلا يعلمون إلا ما قالت رؤساؤهم قوله تعالى
إن الظن لا يغني من الحق شيئا أي أن الظن في موضع يمكن الوقوف فيه على العلم لا يغني عن الحق شيئا لأنه
لا يكون ذلك بمنزلة من عرف شيئا باليقين ثم ترك ما عرفه بالظن فإن علمه بالظن لا يغني عن عمل الحق شيئا
وعبادة الصنم بالظن لا تغني من عذاب الله شيئا قوله تعالى إن الله عليم بما يفعلون وعيد لهم على
كفرهم قوله تعالى وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله هذا جواب عن دعواهم على النبي
صلى الله عليه وسلم الافتراء على الله وعن قولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله معناه أن القرآن كلام الله في

أعلا طبقات البلاغة بحسن النظام فليس هو مما يقدر أحد أن يفتريه على الله **ولكن تصديق** الكتب المنزلة من التوراة والإنجيل والزبور يعني أنه شاهد لها بالصدق وبكونه مصادقا لما تضمنته تلك الكتب من البشارة ويجوز أن يكون معنى التصديق لما بين يديه التصديق لما بين يدي القرآن من البعث والنشور والحساب قوله تعالى **وتفصيل الكتاب** يعني وتبيين المعاني المختلفة من الحلال والحرام والأمر والنهي لا شك فيه أنه حق من رب العالمين قوله تعالى **أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله** يعني لم يقولون أن محمدا اختلق هذا القرآن من تلقاء نفسه قل يا محمد إن كان هو اختلقه فأتوا بسورة مثله وإنما قال ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم نشأ بين أظهرهم وتعلم اللغة منهم فإذا لم يأتوا مع حرصهم على تكذيبه وإبطال أمره دل أن مثله غير مقدور للبشر ومعنى الآية ولو قدرتم على افتراء القرآن لقدرتم أنتم على الإتيان بسورة مثله **وادعوا من استطعتم من دون الله** أي واستعينوا على الإتيان بسورة القرآن وبكل ما قدرتم عليه **إن كنتم صادقين** أن محمدا صلى الله عليه وسلم اختلقه من نفسه فإن العرب لم تجد إنسانا لا يقدر على كلام لا يقدر أحد أن يأتي بمثله فلما قرأ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية سكتوا ثم لم يحيروا فأنزل الله قوله تعالى **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه** أي كذبوا بما لم يدركوا من كيفية ترتيبه ونظمه وما فيه من الجنة والنار والبعث والقيامة والثواب والعقاب **ولما يأتهم تأويله** أي ولم يأتهم بعد حقيقة ما وعدوا في الكتاب مما يؤول إليه أمرهم من العقوبة والعذاب على التكذيب قوله تعالى **كذلك كذب الذين من قبلهم** أنبياءهم في البعث **فانظر كيف كان عاقبة الظالمين** يعني آخر أمرهم بالعذاب والهلاك بتكذيبهم كذلك تكون عاقبة هؤلاء قوله تعالى **ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به** قال ابن عباس يعني ومن اليهود من يؤمن بالقرآن في المستقبل ومنهم من يصر على كفره فلا يؤمن به **وربك أعلم** بما يعني ومن يؤمن ومن لا يؤمن وقال مقاتل نزلت في أهل مكة وقيل في الآية إشارة إلى أنه لو أن الله تعالى علم أن منهم من سيؤمن في المستقبل لأهلكهم جميعا في الحال قوله تعالى **وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم** أي إن كذبوك يا محمد فيما أتيتهم به فقل لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم **أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون** من جزاء عملكم وكان هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم على جهة حسن العشرة معهم لأنه كان شاكا في جزاء عمله وجزاء عملهم وقال الكلبي ومقاتل هذه الآية منسوخة بآية الجهاد قوله تعالى **ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم** قال ابن عباس نزلت في يهود المدينة كانوا يطلعون مكة فيأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه ويستمعون قراءته فيعجبهم ذلك ويشتهونه ثم يغلب عليهم الشقاء فلا يؤمنون به والمعنى ومنهم من يسمع إليك وهو في الظاهر متفكر فيما تقول وهو غير متفكر فيه ومنهم من ينظر إليك نظر من هو في الظاهر مستمع إلى كلامك وطالب للانتفاع به وليس هو في الحقيقة كذلك قوله تعالى **أفأنت تسمع الصم** أي كما لا تقدر أن تسمع كلامك الصم فكذلك لا تقدر أن تنفع من يسمع إليك لا أو غير طالب للانتفاع به وكما أنك لا تقدر على أن تبصر العمي وكذلك لا تقدر على أن تنفع بما تأتي من الأدلة من ينظر إليها ولا يطلب الانتفاع بها وفي الآية ما يدل على تفضيل السمع على البصر لأنه تعالى ذكر مع الصمم فقدان العقل ولم يذكر مع العمى إلا فقدان البصر قوله تعالى **إن الله لا يظلم الناس شيئا** أي لا ينقص من حسناتهم ولا يزيد في سيئاتهم ولا يمنعهم عن الانتفاع بكلامه وأدلته **ولكن الناس أنفسهم يظلمون** بأن لم يطلبوا الانتفاع به وأعرضوا عن التفكر فيه أخبر الله تعالى في هذه الآية أن تقدير الشقاوة عليهم لم يكن ظلما منه لأنه يتصرف في ملكه كيف يشاء وهم إذا كسبوا المعاصي فقد ظلموا أنفسهم لأن الفعل منسوب إليهم وإن كان القضاء من الله عز وجل قوله تعالى **ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم** أي ويوم نجمعهم في الموقف كأن لم يلبثوا في الدنيا إلا قدر ساعة من النهار وفي هذا بيان أن مكثهم

في الدنيا

في الدنيا وإن طال كان في جنب الآخرة بمنزلة مكث ساعة من النهار قوله تعالى **يتعارفون بينهم** أي يعرف بعضهم بعضا ويكون في معرفة بعضهم لبعض حسرة على من ضل تمام الحجة عليهم قال ابن عباس وذلك حين يخرجون من قبورهم ثم تنقطع المعرفة وقيل معناه كأن لم يلبثوا في قبورهم إلا قدر ساعة من النهار لهول ما استقبلوا من أمر البعث والقيامة يتعارفون بينهم توبيخ بعضهم بعضا يقول كل فريق للآخر أضللتني يوم كذا وأغويتني دخول النار قلت فعلى هذا يكون تعارف توبيخ قوله تعالى **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله** أي غبن الذين كذبوا بالبعث بعد الموت بذهاب الدنيا والآخرة عنهم **وما كانوا مهتدين** قوله تعالى **وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم** في الآية وعد من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أنه ينتقم له ممن كذبه أو بعد مماته قال المفسرون كانت وقعة بدر مما أراه الله في حال حياته مما وعد المشركين من العذاب أو نتوفينك قبل أن نريك فإلينا مرجعهم بعد الموت فنجزيهم بأعمالهم قال الزجاج أعلم الله أنه لم يبق منهم في العاجل ينتقم منهم في الآجل قوله تعالى **فإلينا مرجعهم** أي لا يفوتوننا ولا يعجزوننا وعن ابن عباس قال نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال إن ربي أمرني أن لا أفارقك اليوم حتى ترضى فهل رضيت قال نعم أراني بعض ما أوعدهم فله الحمد على ذلك قوله تعالى **ثم الله شهيد على ما يفعلون** من محاربتك وتكذيبك قوله تعالى **ولكل أمة رسول** أي ولكل أمة من الأمم رسول بعثه إليهم يأمرهم الله به وينهاهم عنه ويبشرهم بالجنة ويخوفهم من النار **فإذا جاء رسولهم** يوم القيامة شاهدا عليهم بأعمالهم **قضي بينهم بالقسط** بالعدل فيوفى كل إنسان جزاء عمله لا ينقص من ثواب محسن ولا يزاد على عقاب مسيء كما في الخبر أن الله تعالى يقول للأمم المكذبة يوم القيامة ألم يأتكم رسلي بكتابي فيه حلالي وحرامي فيقولون ما جاءنا رسول ولا كتاب ثم يؤتى بالرسول الذي أرسل إليهم فيقول بلى يا رب قد بلغتهم رسالتك وكتابك فيقولون من يشهد لك فتقول الملائكة نحن نشهد أنه قد بلغهم رسالتك وكتابك فيقولون يا ربنا هؤلاء خلقك يشهدون لك بما شئت فيختم الله على ألسنتهم ويأذن لجوارحهم في الكلام فيشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون قوله تعالى **ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين** أي يقول الكفار ربنا يا محمد متى يأتي هذا الوعد الذي وعدتنا به العذاب إن كنت من الصادقين أن العذاب نازل بنا **قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله** أي قل يا محمد لا أقدر لنفسي على دفع ضر وجر نفع إلا ما شاء الله أن يقدرني عليه فكيف أقدر لكم **لكل أمة أجل** أي لكل أمة مضت وقت **إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون** قدر ساعة عن الأجل **ولا يستقدمون** قوله تعالى **قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون** أي قل لهم يا محمد إن أتاكم عذاب الله ليلا أو نهارا ماذا تستعجل من العذاب المشركون أي كيف يصنعون إذا نزل بهم العذاب قوله تعالى **أثم إذا ما وقع آمنتم به** الألف في أثم ألف الاستفهام دخلت على جهة الإنكار والمعنى إذا نزل عليكم العذاب آمنتم به فلا ينفعكم ثم قيل لكم يا محمد **الآن** تؤمنون **وقد كنتم به تستعجلون** وكيف يقبل منكم إيمانكم وهو إيمان إلجاء **ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد** وهو العذاب الدائم الذي لا ينقطع **هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون** أي تقولون وتعملون في الدنيا قوله تعالى **ويستنبئونك أحق هو** معناه ويستخبرونك يا محمد أحق ما تعدنا به من العذاب والبعث بعد الموت قل نعم وأحلف عليه أنه صدق وكائن وما أنتم بمعجزين الله عن إحلال العذاب بكم ويحتمل أن يكون المراد بقوله تعالى أحق هو دين الإسلام قال الزجاج معنى قوله **إي وربي إنه لحق** أي أن العذاب نازل بكم قوله تعالى **ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب** أي ولو أن لكل إنسان ظالم كان له ما في الأرض جميعا لافتدى به من عذاب الله ثم لا ينفعه ذلك ولا يقبل منه قوله تعالى **وأسروا الندامة** أي أسر القادة الندامة عن الأتباع حين رأوا العذاب والمعنى أخفى

الرؤساء في الكفر الندامة عن الذين اضلوهم وستروها عنهم هذا قول عامة المفسرين وقال ابو عبيدة هو
من الاضداد يقال اسررت الشي اذا اخفيته واسررته اذا اعلنته وكذا من الاعلان في قوله تعالى واسروا
الندامة لما راوا العذاب اي اظهروها قبل معناه واخلصوا الندامة والاسرار الاخلاص قوله تعالى
وقضي بينهم بالقسط اي فصل بين الخلايق كلهم بالعدل وهم لا يظلمون بان يزاد على عذاب شي على
قدر المستحق قوله تعالى الا ان لله ما في السموات والارض لا يقدر احد على منعه من اخلال العقاب
بملوكه الا ان وعد الله حق باخلال العقاب بالمجرمين ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت
واليه ترجعون قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور يعني
نبيكم والموعظة القران ومواعظه التي تدعوا الى الصلاح وشفاء لما في الصدور اي دواء الذنوب الجهل وعرب
مزيل الجهل وكاشف لعمى القلوب وهدى وبيان من الضلالة ورحمة للمؤمنين اي ونعمة من الله لاصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى الموعظة لانه مما تدعوا الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة ومعنى الشفاء
ما يحرم من يستدل باعجاز القران من الزجر بزوال الشك والشبهة وهو شرح الصدر الذي ذكره الله بقوله
افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ومعنى الهدى بيان الشرايع من الحلال والحرام والفرض
والندب والاباحة واما الرحمة وهي الانعام على المحتاج بدليل انه لو اهدى الى ملك لم يكن نعمة
عليه وانما تخصيص المؤمنين بالرحمة فلانهم هم الذين ينتفعون بنعم الدين قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة فضل الله الاسلام ورحمته القران وهذا قول
عامة المفسرين وعن ابي سعيد الخدري قال في معنى هذه الاية فضل الله القران ورحمته ان جعلكم من اهله
والمعنى قل يا محمد لاصحابك بالقران الذي اكرمكم الله به وبالاسلام الذي وفقكم الله له فافرحوا هو خير مما
يجمع اليهود والمشركون من الاموال وقرا بعضهم فليفرحوا ويجمعون كلاهما بالتاء على المخاطبة وعن محمد بن كعب
القرظي قال اذا عملت عملا صالحا ثواب الله تعالى فبذلك فافرح فانه خير لك مما يجمع اهل الدنيا قوله تعالى
قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا اي قل يا محمد لاهل مكة ارايتم ما انزل
الله في الكتاب من رزق وجعله لكم حلالا لاطيبا من الانعام والحرث فجعلتم منه حلالا وحراما اي جعلتم البحاير والسوايب
حلالا للرجال منعتم بها وحراما على النساء وجعلتم لالهتكم من الحرث نصيبا فحرمتموه على النساء واحللتموه
للرجال فالله سبحانه لم يحرم شيا من ذلك قل لهم يا محمد الله امركم بتحريمه ام على الله تختلقون الكذب يعني
تثبتوا الحجة في ذلك والا فانتم تفترون على ربكم او عدهم على الكذب فقال تعالى وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب يوم القيمة اي ما ظن الذين يكذبون على الله في التحليل والتحريم ماذا انفعل بهم يوم القيمة
ايظنون ان الله لا يعاقبهم على افترائهم عليه قوله تعالى ان الله لذو فضل على الناس اي لذو من عليهم بتاخير
العذاب عنهم ولكن اكثرهم لا يشكرون نعم الله قوله تعالى وما تكون في شان وما تتلوا منه
من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه اي وما تكون في امر من امورك
الخير في شان من شان الدنيا وحوايجك فيها وما تتلوا منه اي من الله اي نازل منه من قران يوحى اليك من سورة
او اية تقراه على امتك فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واسند الحكوت نبوءة كان خطاب الرئيس خطاب الاتباع
يدل على ذلك قوله تعالى ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اي ما تعملون انتم جميعا يا بني ادم وما اعمركم
من خير او شر الا كنا على امركم وتلاوتكم وعملكم شهودا اذ تدخلون فيه قال الفراء معناه تشهد الله تعالى
شاهد على كل شي والمعنى انه بعلمه فنجازيكم به والافاضة الدخول في العمل • وقال ابن الانباري عادوا تعود
فيه • وقال ابن عباس اذ تدخلون فيه قوله تعالى وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة اي وما يغيب وما
يبعد عن ربك من قدرته وعلمه مما اصغر من اعمال العباد ولا اخف من الوزن من الذرة ولا اثقل منه الا وهو

مع علم الله تعالى مكتوب في اللوح المحفوظ والعزوب البعد والذهاب ويعزب بضم الزاي وكسرها لغتان وقوله
تعالى مثقال ذرة اي وزن ذرة ومثقال الشي ما وازنه قال الفراء قوله اصغر واكبر فانما اراد الخفض
بتبعيتهما المثقال والذرة الا انهما لا ينصرفان لانهما على وزن افعل ومن رفعهما فعلى اتباع معنى المثقال
لان [illegible] من المثقال من كان رفعا وهو كقوله ما اتاني من احد عاقل وعاقل وكذلك ما لكم من اله غيره
وغيره وقيل رفع على الابتداء وخبره الا في كتاب فمن قرا ولا اصغر ولا اكبر بالنصب فالمعنى وما يعزب عن
ربك من مثقال ذرة ولا اصغر ولا اكبر قوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
معناه الا ان الذين تولاهم الله بحفظه وحياطته لا خوف عليهم يوم القيمة ولا هم يحزنون على ما خلفوا
في الدنيا قوله تعالى الذين امنوا وكانوا يتقون تفسير اولياء الله اي هم الذين يؤمنون
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران ويتقون الشرك والفواحش وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
سئل عن اولياء الله فقال هم المتحابون في الله وعنه صلى الله عليه وسلم قال هم الذين اذا روا
ذكر الله يعني اذا رايتهم العامة ذكروا الله من اجل سيماهم في وجوههم وسئل عيسى عليه السلام عنهم
فقال هم الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها ونظروا الى اجلها حين نظر الناس الى
عاجلها فاحيوا ذكر الموت واماتوا ذكر الخلود يحبون الله ويحبون ذكره قوله تعالى لهم البشرى في
الحيوة الدنيا وفي الاخرة معناه لهم البشرى في الحيوة الدنيا بالقران وفي الاخرة بالجنة ويقال
اراد البشرى في الدنيا بشارة الملائكة للمؤمن وقت نزولهم لقبض ارواحهم كما قال تعالى تتنزل عليهم
الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا الاية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لم يبق من النبوة بعدي
الا المبشرات قيل وما المبشرات قال عليه السلام الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح او ترى له وهي
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فمن راى ذلك فليخبر بها قوله تعالى لا تبديل لكلمات الله
اي لا خلف في وعد الله قوله تعالى ذلك هو الفوز العظيم اي ذلك الذي وعدكم الله هو الثواب الوافر
والنجاة الوافرة قوله تعالى ولا يحزنك قولهم اي لا يحزنك يا محمد تكذيبهم اياك وتهديدهم لك بالقتل
وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم على كفرهم وتكذيبهم وتنبيههم له الى الافتراء على ربه وقوله تعالى
ان العزة لله جميعا استيناف كلام ولذلك كسرت ان والمعنى بان العزة لله جميعا يمنعهم عنك لم يرد
ولا يتعز احد الا باذنه وهو ناصرك وناصر دينك هو السميع العليم لمقال الكفار العليم بضمايرهم
ولم يحزن ان نصر ان العزة لله نصب ان لاستحالة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحزنه قول الكفار
بان العزة لله جميعا الا ان لله من في السموات ومن في الارض اي له ملكهما من الخلايق كلهم عبيده وفي
ملكه وتحت قهره وتدبيره وانما ذكره بلفظ من تغليبا لمن يعقل على من لا يعقل قوله تعالى وما يتبع الذين
يدعون من دون الله شركاء على الحقيقة والمخرقة ان يتبعون الا الظن اي ما يعبدونهم لا
بالظن تقليدا لابائهم وقول بعضهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويظنون انها تشفع لهم يوم القيمة
قوله تعالى وان هم الا يخرصون اي ما هم الا يكذبون في قولهم انها تشفع لهم عند الله قوله تعالى
هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا اي هو الذي خلق لكم الليل لتناموا فيه وتستريحوا
مما لحقكم من النصب بالنهار وخلق النهار مضيا للذهاب والمجي وطلب المعيشة وسماه مبصرا لانه يبصر فيه كما قال
رؤبة • فنام ليلي وتجلى همي • قوله تعالى ان في ذلك لايات اي فيما ذكرت لدلالات لقوم يسمعون
دلايل الله ويتفكرون فيها قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني اي قال الكفار اتخذ الله
ولدا وان المشركين قالوا الملائكة بنات الله واليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله
سبحانه وتعالى اي تنزيها له عن الولد والشريك هو غني عن اتخاذ الولد قوله تعالى له ما في السموات

وما في الأرض معناه ان من كان له ملك السموات والأرض وما بينهما فلا حاجة له الى اتخاذ الولد وانما يتخذ
الولد ذو الضعف ليتقوى به ويستعين به على بعض أموره وذو الوحشة ليستأنس به ومن يخاف الموت على
نفسه فيتخذ الولد ليخلفه في املاكه بعد موته والله تعالى لا يجوز عليه الشيء من ذلك المنافع ولا المضار ولا
يلحقه الموت فهو الغني عن اتخاذ الولد ثم طالب الكفار بالحجة والبرهان فقال عز وجل ان عندكم
من سلطان بهذا أي ما عندكم من حجة وبرهان على هذا القول ثم انكر عليهم ذلك تبكيتا لهم قوله تعالى
أتقولون على الله ما لا تعلمون وهذا على جهة الانكار والرد عليهم أي لم تقولون على الله ما لا علم لكم به
ولا حجة لكم عليه قوله تعالى قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون أي قل يا محمد ان الذين
يصفون كذبا يكذبونه على الله تعالى ثم لا يفلحون في الدنيا بالحجة ولا في الآخرة بالثواب ولا يسعدون في العاقبة
وان اغتروا بطول السلامة قوله تعالى متاع في الدنيا رفع على معنى ذلك متاع في الدنيا يتمتعون به
قليلا ثم ينقضي وقيل معناه لهم متاع في الدنيا يتمتعون به اياما يسيرة ثم الينا مرجعهم في الآخرة ثم
نذيقهم العذاب الشديد الغليظ الذي لا ينقطع بكفرهم بالله ورسله قوله تعالى واتل عليهم نبأ نوح
أي واقرأ عليهم خبر نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم أي ثقل عليكم وعظم طول مقامي
ومكثي فيكم وعظتي لكم بآيات الله تعالى فعلى الله توكلت أي به وثقت والله ناصري وذلك حين
قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قوله تعالى فأجمعوا أمركم وشركاءكم أي اعزموا على ما تريدون مع
شركائكم وقيل معناه فاعزموا على أمركم وادعوا آلهتكم واستعينوا بهم واجمعوا على أمر واحد في …
… قوله تعالى ثم لا يكن أمركم عليكم غمة أي ليكن أمركم عليكم ظاهرا منكشفا لا تسترونه …
مأخوذ من الغمام وتغار الغمة الغم أي لا يكن أمركم غما عليكم وفرجوا عن أنفسكم ثم امضوا الى ما تنقضون
من القتل ولا تمهلون قال الزجاج الواو في قوله وشركاءكم بمعنى مع والمعنى فاجمعوا أمركم مع شركائكم ثم لا يكن
أمركم عليكم مبهما يعني ليكن أمركم ظاهرا منكشفا لا تسترون معاداتي ثم امضوا الى مكركم وهمكم وما توعدونني
به ومعنى قضا الشيء امضاؤه والفراغ منه وهذا أحد معجزات نوح عليه السلام لانه كان وحيدا وقد وصفهم
بالعجز عن الوصول اليه والى قتله فلم يقدروا عليه بسوء قوله تعالى فان توليتم فما سألتكم من أجر معناه فان توليتم
عن الايمان بما جئتكم به لم تضروني اعراضكم فاني لا اطلب منكم اجرا ولم ادعكم الى الايمان لطمع مني في مالكم ما ثوابي
فيما ادعوكم اليه الا على الله وقد امرني الله ان أكون مع المسلمين على دينهم قوله تعالى فكذبوه فنجيناه
ومن معه في الفلك أي نجيناه ومن معه من المؤمنين من الغرق في السفينة وجعلناهم خلائف أي جعل
الله الذين نجوا مع نوح عليه السلام من الغرق خلفا وسكانا في الأرض من قوم اهلكوا بالتكذيب وكذلك
تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين وكذلك الناس كانوا من ذريته بعد الغرق وهلك أهل …
بتكذيبهم لنوح قوله تعالى وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا أي بدلائلنا وحججنا فانظر …
كيف كان عاقبة المنذرين الذين انذرتهم الرسل ولم يؤمنوا وهذا تحذير لقوم النبي صلى الله عليه وسلم
عن تكذيبه حتى لا ينزل بهم مثل ما نزل بقوم نوح وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ليصبر على اذاهم كما صبر
نوح عليه السلام على أذى الكفار مع قلة من معه من المؤمنين قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا
الى قومهم أي بعثنا من بعد نوح رسلا مثل هود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب وغيرهم عليهم السلام
الى قومهم فجاؤوهم بالحجج والبراهين فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به في الابتداء والمعنى ان ما كان
الذين بعث اليهم الرسل ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل يعني قوم نوح أي لم يصدقوا به كما كذب به قوم نوح
وكانوا سلفهم في الكفر والعتو قوله تعالى كذلك نطبع على قلوب المعتدين قال ابن عباس يريد
ان الله تعالى طبع على قلوبهم فأعماها فلا تبصر ولن تبصر سبيل الهدى وما بعد هذا من الآيات ظاهر التفسير

قوله تعالى قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا أي قالوا لموسى جئتنا لتصرفنا عما وجدنا
عليه آباءنا واللفت هو الصرف قوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الأرض أي وتكون لكما الملك و
السلطان والملك والشرف في أرض مصر وما نحن لكما بمصدقين وانما سمي الملك كبرياء لانه أكبر ما يطلب
من أمر الدنيا والكبرياء استحقاق صفة الكبر في أعلا المراتب ولهذا لا يجوز ان يوصف به أحد غير
الله قوله تعالى وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم أي بكل حاذق بالسحر فلما جاء السحرة قال
لهم موسى ألقوا ما انتم ملقون قال هذا لهم على جهة التعجيز لهم أي انكم لا تقدرون على ابطال أمري
فيكون هذا أمر تعجيز كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله ولا يجوز ان يكون هذا أمرا بالسحر اذ العمل بالسحر كفر
ولا يأمر الانبياء عليهم السلام بما يأمرون به قوله تعالى فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر معناه فلما ألقى
السحرة ما جاؤوا به قال لهم موسى الذي جئتم به السحر والخداع أي الذي جئتم به سحر ووقف بعض القراء على
ما جئتم به ثم قال السحر على معنى أي شيء جئتم به أهو السحر على جهة التوبيخ لهم قوله تعالى ان الله سيبطله
أي يبطل عمل السحر حتى يظهر الحق من الباطل ان الله لا يصلح عمل المفسدين أي لا يرضى عمل الساحرين قوله
تعالى ويحق الله الحق بكلماته أي ينصر دينه الحق بالوعد الذي وعده لموسى كما قال تعالى سنشد عضدك
بأخيك الى آخر الآية ويجوز ان يكون معنى الكلمات ما كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ قوله تعالى فما آمن لموسى
الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم أي ما صدق موسى بما جاء به الا ذرية
من فرعون وهم قوم كان آباؤهم من القبط وأمهاتهم من بني اسرائيل فاتبعوا موسى واتبعوا امهاتهم واخوالهم
وقيل … آباؤهم الذين كان موسى عليه السلام مبعوثا اليهم وقال الحسن أراد بقوله تعالى الا ذرية من
قوم موسى كان فرعون أخذهم على تعلم السحر وجعلهم من أصحابه بنفسه فلما أسلمت السحرة وآمنوا بموسى اتبعهم
الذرية في الايمان وكان يقول لم يؤمن من القبط أحد الا المؤمن الذي يكتم ايمانه من فرعون وقومه قوله
تعالى على خوف من فرعون وملائهم معناه على القول الأول آمنت الذرية على خوف من فرعون وآبائهم
وقومهم وعلى القول الثاني على خوف من فرعون واشرافهم ورؤسائهم ان يعلم بهم اشراف قومهم فيخبروا
فرعون فيقتلهم ويعذبهم او يصرفهم عن دينهم وقال الزجاج انما قال من فرعون وملائهم لان فرعون كان
ذا اصحاب يأمرون له قوله تعالى وان فرعون لعال في الأرض أي لمتكبر في أرض مصر وانه لمن المسرفين
في الكفر والمعاصي والاسراف هو التجاوز عن الحد في كل شيء وعن محمد بن المنكدر قال عاش فرعون ثلثمائة واربعين
سنة لم ير مكروها ودعا موسى عليه السلام اربعين سنة قوله تعالى وقال موسى يا قوم ان
كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا أي قال موسى لبني اسرائيل يا قوم ان كنتم صدقتم بالله تعالى كما تقولون
فليسندوا أموركم اليه ان كنتم مخلصين مستسلمين لاوامره وذلك حين قالوا لموسى أوذينا من قبل أن تأتينا
ومن بعد ما جئتنا وقيل ان موسى خاطب الخطاب للذكور في هذه الآية الذرية التي آمنت به على خوف
من فرعون وملائهم قوله تعالى فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين أي قالوا
لموسى اسندنا أمورنا الى الله وتعنيا ربنا لا تجعلنا فتنة أي لا تظهرهم علينا فيظنون انهم على الحق فيكون
ذلك فتنة لهم ولغيرهم وقيل معناه لا تمكنهم ان ينزلوا أمرا لا نطيق الصبر عليه فنصرف به عن الدين قوله
تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا وذلك ان فرعون لما أتاه موسى بالرسالة
أمر بمساجد بني اسرائيل فكسرت كلها وخربت ومنعهم من الصلوة علانية فانزل الله هذه الآية وأمروا ان
يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون والمعنى وأوحينا اليهما أن اتخذا لقومكما بمصر
بيوتا قال تبوأ اذا اعد لغيره بيتا وتبوأ اذا اتخذ لنفسه بيتا قوله تعالى واجعلوا بيوتكم
قبلة أي اجعلوها مصلى تصلوا فيها مستترين من فرعون وقومه وقيل معناه واجعلوا بيوتكم مساجد

وقال الحسن واجعلوا بيوتكم نحو القبلة وحيال الكعبة وقد كانت الكعبة قبلة موسى ومن معه من المؤمنين وقيل انما لم يذكر الله الزكوة في هذه الآية لان فرعون كان قد استعبدهم واخذ اموالهم فلم يكن لهم مال تجب الزكوة فيه قوله تعالى وبشر المؤمنين أي بشرهم بالثواب في الآخرة وبالنصر في الدنيا [illegible] قوله تعالى وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحيوة الدنيا أي قال موسى ربنا انك اعطيت فرعون وملأه زينة أي زهرة من المراكب والحلي والثياب واموالا أي كثيرة من الدنانير والعروض قوله تعالى ربنا ليضلوا عن سبيلك أي ربنا اعطيتهم الزينة والاموال لتكون عاقبة امرهم ان يضلوا عن سبيلك فلا يؤمنوا وهذه اللام لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم معنى الطمس على الاموال تغييرها عن جهتها الى جهة لا ينتفع بها وحقيقة الطمس اذهاب الشيء عن صورته بمحو الاثر قال مجاهد وقتادة غير الله اموال آل فرعون حتى صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة انصافا واثلاثا وارباعا وكذلك سائر اموالهم حتى السكر والفانيذ قال قتادة بلغنا ان حروثا لهم صارت حجارة وقال عطا لم يبق لهم معدن الا طمس الله عليه فلم ينتفع به احد قوله تعالى واشدد على قلوبهم معناه واربط على قلوبهم بالصبر حتى يتحولوا عن بلادهم الى بلاد الخصب فيقعوا في هذه العقوبة ابدا وقيل معناه امنعهم عن الايمان بك والمعنى اطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان قوله تعالى فلا يؤمنوا قال الزجاج والفراء هذا دعاء عليهم ايضا والتأويل فلا آمنوا حتى يروا العذاب الاليم يعني الغرق قوله تعالى قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما أي قال الله لموسى وهرون قد اجيبت دعوتكما وذلك ان موسى كان يدعو بالدعاء المذكور في الآية وكان هرون يؤمن على دعائه فسماهما الله داعيين قوله تعالى فاستقيما أي فاستقيما في دعاء الناس الى الايمان ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون أي سبيلهم كان الغي والضلال وخفف ابن عامر تتبعان من تبع يتبع والنون الثقيلة انما دخلت للنهي قوله تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر يعني بحر القلزم وهو بقرب بلاد مصر جعله الله لهم يبسا حتى جاوزوا فاتبعهم فرعون وجنوده ليبغوا عليهم ويظلموهم قوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق أي حتى اذا الجم فرعون الغرق من اتيان الالجاء فلم ينفعه ذلك الايمان [illegible] قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين قال له جبريل الآن تؤمن عند الغرق وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين بالكفر والمعاصي في وقت المهلة وروى ابن عباس ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو رأيتني وفرعون يدعو بكلمة الاخلاص وانا ادسه في الماء والطين لشدة غضبي عليه مخافة ان يتوب فيتوب الله عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل وما شدة غضبك قال يا محمد لقوله انا ربكم الاعلى وهي كلمته الاخرة وانما قالها حين انتهى الى البحر وكلمته ما علمت لكم من اله غيري وكان بين الاولى والاخرى اربعون سنة وهذه الرواية صحيحة الا قوله مخافة ان يتوب فيتوب الله عليه لانه لا يخلو ان يكون التكليف ثابتا في ذلك الوقت او غير ثابت فان كان ثابتا لم يجز على جبريل عليه السلام ان يمنعه من التوبة ولو منعه عن التكلم باللسان لكانت ندامة فرعون في القلب كافية في توبته لان الاخرس اذا تاب بالندم بقلبه وعزم على ترك المعاودة الى القبيح كانت توبته صحيحة وان لم يكن التكليف ثابتا في ذلك الوقت لم يكن للمنع عن التوبة معنى بوجه من الوجوه وانما لا يقبل الايمان في وقت الالجاء لان الذي يؤمن في تلك الحالة يعلم انه لو حاول خلاف ما يؤمر به حيل بينه وبين نفسه فلا يكون مثابا على ذلك الايمان لمعرفته من طريق الضرورة دون الاجتهاد قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك أي فاليوم نلقيك على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع ببدنك أي بدرعك قال ابن عباس كان فرعون قصيرا طوله ستة اشبار وكانت لحيته [illegible] وكانت له درع سلاسلها من ذهب يعرف فيها فجمع بني اسرائيل فقال لهم موسى يا بني اسرائيل قد دعا الله فاخرجه ببدنه حتى رأوه وعرفوا الدرع فطابت انفسهم بذلك ويقال كان في بني اسرائيل من لا يصدق بهلاك فرعون وكذلك

سأل

سأل موسى ان يلقيه الله على نجوة من الارض يرونه أي وحده دون قومه وقيل معناه نخرجك من الماء ببدنك دون روحك فاما روحك فتعذب على كل حال قوله تعالى لتكون لمن خلفك آية أي لمن بعدك من الكفار آية في النكال لئلا يقول احد مثل مقالتك ويعرفوا انك لو كنت الها ما غرقت قوله تعالى وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون يعني الغافلين عن التفكر في دلائلنا قوله تعالى ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق أي ولقد انزلنا بني اسرائيل في موضع خصب وامن وهي ارض مصر وما بين اردن وفلسطين وقيل هي الارض المقدسة التي ورثوها من ابرهيم عليه السلام وسماها منزل صدق لان فضلها على سائر البلاد كفضل الصدق على الكذب وقيل هم قريظة والنضير انزلناهم مبوأ صدق بين المدينة والشام من ارض يثرب ورزقناهم من الطيبات أي من النخل وما فيها من الرطب والتمر قوله تعالى فما اختلفوا حتى جاءهم العلم بغيا بينهم معناه انهم لم يزالوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل لم يختلفوا في ذلك حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فآمن به بعضهم وكفر به بعضهم ومعنى الآية ما اختلفوا في تصديق النبي صلى الله عليه وسلم انه نبي حق حتى جاءهم العلم قال ابن عباس يريد القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقال الفراء العلم محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان معلوما عندهم بنعته وذلك انهم لما جاءهم اختلفوا فيه وفي نعته فكفر به اكثرهم قوله تعالى ان ربك يا محمد يقضي بينهم يوم القيمة بتمييز المحق من المبطل ويجازي كلا منهم بما يستحقه فيدخل المصدقين بك الجنة ويدخل المكذبين بك النار قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك قال اكثر اهل العلم هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الشكاك ومثل ذلك قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره بدليل قوله ان الله كان بما تعملون خبيرا ولم يقل بما تعمل قال الزجاج ان الله يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم وذلك الخطاب شامل للخلق والمعنى فان كنتم في شك فاسألوا وقال ابن عباس لم يرد به النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يشك في الله ولا في ما اوحي اليه ولكن المراد من آمن به وصدقه امرهم ان يسألوا لئلا يبقى لهم شك [illegible] وعن ابن عباس ايضا [illegible] لان كفار قريش قالوا ان هذا القرآن يوحى الى محمد مما يلقيه الشياطين اليه فانزل الله هذه الآية واراد بالذين يقرءون الكتاب مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه فانهم يخبرونك انه مكتوب عندهم في التوراة قال صلى الله عليه وسلم لا اسأل احدا ولا اشك فيه بل اشهد انه الحق وكان صلى الله عليه وسلم اعلم بالله تعالى واشد يقينا من ان يسألهم وانما التقدير فان كنت في شك ايها السامع مما انزلنا على نبيك ومن عادة العرب انهم يخاطبون الرجل بالشيء ويريدون به غيره كما قالوا اياك اعني واسمعي يا جارة وكان الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثلث فرق مؤمن وكافر وشاك فخاطب الله بهذه الآية الشاك وامره ان يسأل الذين يقرءون الكتاب من قبله عن النبي صلى الله عليه وسلم المبشر به حتى اذا وافقت صفته في الكتب المنزلة قبل القرآن صفة النبي صلى الله عليه وسلم علم الشاك انه هو المبشر به قوله تعالى فلا تكونن من الممترين أي من الشاكين في الحق وما في الآية ظاهر المعنى قوله تعالى ان الذين حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون معناه ان الذين اخبر الله عنهم انهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الوجيع فيصيرون ملجئين الى الايمان فلم يقبل منهم الايمان حينئذ قوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها أي فهلا كانت قرية آمنت عند نزول العذاب فنفعها ايمانها وقبل منها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي أي لما آمنوا وعلم الله منهم الصدق صرفنا عنهم عذاب الهوان في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين آجالهم المضروبة لهم وعن ابن عباس ان معنى قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس والمعنى لم تفعل هذا امة قط الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم [illegible] النفي وقال قتادة لم يكن هذا لامة من الامم [illegible] آمنت عند نزول العذاب فكشف عنهم الا قوم يونس كشف عنهم العذاب بعد ما تدلى عليهم قوله تعالى ومتعناهم الى حين أي الى

حين خالفهم وذلك أن يونس عليه السلام بعثه الله إلى قومه ودعاهم إلى طاعة الله وترك الكفر فأبوا فقال لهم إني
قد دعوتهم وأبوا فأوحى الله إليه أن ادعهم فإن أجابوك وإلا فأعلمهم بأن العذاب يأتيهم إلى ثلثة أيام
فلم يجيبوا فأخبرهم بالعذاب وخرج من بينهم فقالوا أما جربنا عليه كذبا منذ كان فاحتالوا لأنفسكم فلما كان اليوم الثالث
رأوا حمرة وسواد أثر السماء وهيئة النار والدخان فجعلوا يطلبون يونس فلم يجدوه فلما أيسوا من يونس وجعل
يهبط السواد والحمرة فقال منهم فإن لم تجدوا يونس فإنكم تجدون رب يونس فادعوه وتضرعوا إليه فخرجوا
من القرية إلى الصحراء وأخرجوا النساء والصبيان والبهائم وعجوا إلى الله موقنين به وارتفعت الأصوات وقربت
الحمرة والدخان حتى غشى السواد سطوحهم وبلغهم حر النار فلما علم الله منهم صدق التوبة رفع عنهم العذاب بعد
ما غشيهم **قوله تعالى** **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا** أي لو شاء ربك يا محمد لآمن من في الأرض كلهم وقيل
معناه لو شاء ربك أن يجبر الناس على الإيمان لآمن من في الأرض كلهم جميعا كما آمن قوم يونس **قوله تعالى** **أفأنت
تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** معناه أفأنت تريد إكراه الناس على الإيمان إذ لم يرد الله إكراههم عليه
مع أنه قادر على إكراههم عليه ولا ينبغي أن تريد هذا وأنت غير قادر على إكراههم عليه وقيل في سبب نزول هذه الآية
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا على إسلام عمه أبو طالب في قومه فأعلمه الله تعالى بهذه الآية أن إسلامهم
ليس بيده **قوله تعالى** **وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله** معناه وما كانت نفس أن تؤمن إلا بإذن الله
بتوفيقه وتسهيله وقيل بأمره وقيل معناه لا يمكن إلا بإرادة الله وقيل معناه الإيمان **قوله تعالى** **ويجعل الرجس على الذين
لا يعقلون** قال ابن عباس السخط وقال الحسن العذاب على الذين لا يعقلون أي على الذين لا ينتفعون بعقولهم
وقال الحسن يحكم عليهم الكفر ويذمهم عليه **قوله تعالى** **قل انظروا ماذا في السموات والأرض** أي قل لهم يا محمد تفكروا
فيما في السموات والأرض من الآيات والدلالات نحو سير الشمس والقمر والنجوم في مجاريها في أوقات معلومة على الدوام
ونحو وقوف السماء والأرض بغير عمد ولا علاقة وخروج النبات من الأرض وانظروا إلى الجبال والبحر وغير ذلك مما
يقتضي تدبر الأشياء ولا تشبه بمن فإنكم إن تفكرتم **وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** **فهل
ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم** معناه ما ينفع الآيات ولا تدفع عن من سبق في علم الله أنه لا يؤمن فهل
ينتظرون إلا أن يصيبهم مثل ما أصاب الأمم قبلهم من العذاب يقال أيام فلان وقد أراد به أيام ردا ولنهم ومحنته **قوله تعالى**
قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين أي انتظروا حلول العذاب الذي أوعدكم به إني معكم من المنتظرين
لذلك **قوله تعالى** **ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا** معناه ثم ننجي رسلنا والمؤمنين من العذاب الذي نحل بالكفار وقوله
تعالى **كذلك حقا علينا** أي كما ننجي الرسل من العذاب كان علينا أن **ننجي المؤمنين** كلهم من العذاب
قوله تعالى **قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله**
أي قل لهم يا أهل مكة إن كنتم في شك من الدين الذي أتيتكم به فأنا مستيقن ولا أشك في بطلان دينكم ولا أعبد الذين
تعبدون من دون الله لشككم في ديني **قوله تعالى** **ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم** أي يميتكم ولا تعبدوا ولا أعبد
الذي لا يقدر على الضر والنفع والإحياء والإماتة **قوله تعالى** **وأمرت أن أكون من المؤمنين** **قوله تعالى** **وأن
أقم وجهك للدين حنيفا** أي وأمرت أن أخلص ديني وعملي لله تعالى والمراد بإقامة الوجه الإقبال على
ما أمر به من أمور الدين وقيل أراد بذلك إقامة الوجه في الصلوة والحنيف هو المستقيم في الدين وقيل هو العادل
عن الأديان الباطلة إلى دين الحق **قوله تعالى** **ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك** أي ما لا
ينفعك إن دعوته ولا يضرك إن تركت عبادته فإن دعوت غير الله إلها فإنك إذا من الضالمين لنفسك **قوله
تعالى** **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو** معناه إن يرد الله بك ضرا فلا يقدر أحد على دفع
ذلك الضر إلا هو **وإن يردك بخير فلا راد لفضله** **قوله تعالى** **يصيب به من يشاء** أي يختص
بالفضل من يشاء **من عباده** على ما توجبه الحكمة على ما يستحقون بأعمالهم **وهو الغفور** لذنوب
عباده **الرحيم** بمن مات على التوبة **قوله تعالى** **يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم** أي قل يا محمد للناس

كلهم قد جاءكم الحق من ربكم أي الكتاب والرسول **فمن اهتدى** بالكتاب والرسول **فإنما يهتدي لنفسه**
أي يرجع نفع هدايته إليه **ومن ضل فإنما** يكون وبال ضلاله على نفسه **وما أنا عليكم بوكيل**
أي بحفيظ عليكم أدفع عنكم الضر واطلب لكم النفع شئتم أو أبيتم **قوله تعالى** **واتبع ما يوحى إليك** أي
اتبع يا محمد ما يؤمر به في القرآن **واصبر على أذاهم حتى يحكم الله** بينك وبينهم **وهو خير الحاكمين**
لأن حكمه لا يكون إلا بالصلاح والسداد وكان حكمه أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم •

سورة هود مكية

في رواية عن ابن عباس أن قوله وأقم الصلوة طرفي النهار الآيتين فإنهما نزلتا بالمدينة • وعن من قرأ سورة هود
أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق هودا وكذب به ونوحا وشعيبا وصالحا وإبراهيم وكان يوم القيمة عند الله
من السعداء **قوله تعالى** **بسم الله الرحمن الرحيم** **الر**
قال ابن عباس معناه أنا الله الرحمن و**قوله تعالى** **كتاب أحكمت آياته** أي هذا كتاب أحكمنا آياته وقيل
بدل من قوله الر لأنه خبره كأنه قال هذه الحروف كتاب **قوله تعالى** **أحكمت آياته** أي أحكمت بالأمر والنهي **ثم
فصلت** بالثواب والعقاب وقال قتادة أحكمت من الباطل بالحجج والدلائل ثم فصلت بأن أنزلت شيئا فشيئا وقال
الكلبي أحكمت آياته لم ينسخ بكتاب كما نسخ الكتب والشرائع به ثم فصلت ببيان الأحكام من الحلال والحرام والوعد
والوعيد **قوله تعالى** **من لدن حكيم خبير** أي من عند حكيم في خلقه وتدبيره خبير بمن يصدق وبمن يكذب به **قوله
تعالى** **ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير** أي أحكم الله القرآن بالحجج لئلا تطيعوا إلها إلا الله وقيل
معناه أمركم أن تعبدوا غيره إنني لكم من الله نذير في موضع المخافة لتحذروا وفي موضع الخير لتطلبوا والنذير بمعنى المنذر كما
في قوله النبي بمعنى المولد **قوله تعالى** **وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه** أي وآمركم أن تطلبوا المغفرة من ربكم واجعلوها
غرضكم وتوصلوا إليها بالتوبة وهي الندم على القبيح والعزم على ترك المعاودة إليه وقيل معناه وأن استغفروا ربكم
بالتوبة عما سلف من ذنوبكم ثم توبوا إليه عما يقع منكم من الذنوب في المستقبل **قوله تعالى** **يمتعكم متاعا حسنا إلى
أجل مسمى** يمتعكم جزم على جواب الأمر أي إن تفعلوا ذلك أنعم الله عليكم نعما سابغة حسانا تستمتعون بها إلى آجالكم التي
قدرها الله لكم ولم نستأصلكم كما استأصل الأمم المكذبة قبلكم وقال القتيبي أصل الإمتاع الإطالة يقال أمتع الله بك ومتع
إذا طال فمعنى يمتعكم يعمركم **قوله تعالى** **ويؤت كل ذي فضل فضله** أي من كان ذا فضل في دينه فضله الله في
الآخرة بالثواب على عمله وقيل يعطي كل ذي عمل صالح أجره وثوابه وقال ابن عباس يعطي كل من فضلت حسناته على سيئاته
فضله يعني الجنة وهي فضل الله يعني أن من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة • وعن ابن مسعود قال في هذه الآية من عمل
حسنة كتبت له عشر حسنات ومن عمل سيئة كتبت له سيئة واحدة وإن لم يعاقب بتلك السيئة في الدنيا أخذ من عشر حسناته
واحدة وبقيت له تسع ثم قال هلك من غلبت آحاده أعشاره **قوله تعالى** **وإن تولوا** أي وإن أعرضوا عن الإيمان والتوبة
فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير أي عظيم الشأن وهو يوم القيمة وإنما ذكر الخوف في هذا الموضع لأن الخطاب
من الرسول صلى الله عليه وسلم والخوف عليه جائز **قوله تعالى** **إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير** أي
قدير على إعادتكم **قوله تعالى** **ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه** قال ابن عباس نزلت هذه الآية في
من شريق كان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم ويظهر له أمرا حسنا وكان حسن المنطق وكان حسن الحديث إلا أنه كان يضمر
في نفسه خلاف ما يظهر فأنزل الله فيه هذه الآية وقال أن طائفة من المشركين بلغ بهم الجهل إلى أن قالوا إذا
أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم كيف يعلم بنا
فأنبأ الله نبيه عليه السلام عما كتموه ومعنى الآية ألا إنهم يثنون صدورهم على الكفر وعداوة النبي صلى الله
عليه وسلم ليكتموا منه ما في صدورهم من عداوته بإظهار المحبة وقال يعني يثنون يعرضون ويصدون عن النبي
صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** **ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون** معناه ألا حين

يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يظهرونه بألسنتهم من محبة أو غيرها إنه عليم بذات الصدور
أي عالم بالقلوب التي في الصدور لأن الصدور من مواضع القلوب قوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على
الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها أي ما خلق من حيوان يدب قال الزجاج الدابة اسم لكل حيوان
مميز وغيره ذكراً كان أو أنثى وفي الآية أن الله عالم بالقلوب كلها وذكر أنه كان ضامناً رزق كل دابة في الأرض
وليس يرزقها إلا هو يعلم صغيرها وكبيرها من الذرة فما فوقها ومأواها وإذا علمها فقد علم مستقرها ومستودعها
المستقر موضع قرارها وهو الموضع الذي تأوي إليه والمستودع هو الموضع الذي تودع فيه وقيل المستقر الرحم
وقيل هو الموضع الذي تدفن فيه وقال قتادة ومجاهد أما المستقر ففي الرحم وأما المستودع ففي الصلب كل
ذلك عند الله في كتاب مبين يعني اللوح المحفوظ والمعنى أن ذلك ثابت في علم الله قوله تعالى إلا على الله رزقها
قال المفسرون فضلاً لا وجوباً فإن الله تكفل بذلك بفضله قال أهل المعاني على ها هنا بمعنى من أي من الله رزقها
قوله تعالى كل في كتاب مبين أي رزق كل دابة وأجلها مكتوب في اللوح قال ابن عباس إنما خلق الله تعالى
لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء عرضه ما بين السماء والأرض كتابه نور وقلمه نور ينظر
الله تعالى فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق بكل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء وأعلاه
معقود بالعرش وأسفله في حجر ملك كريم يسمى ماطريون قوله تعالى وهو الذي خلق السموات
والأرض في ستة أيام أولها الأحد وآخرها يوم الجمعة ولو أراد سبحانه خلقها في أقل من لحظة لفعل قوله
تعالى وكان عرشه على الماء فيه بيان أن السموات والأرض لم تكونا إذ خلق وأنه تقدم خلقهما خلق العرش
وفيه بيان زيادة القدرة وأن العرش مع كونه أعظم من السموات والأرض كان على الماء ولم يكن ذلك الماء على
قرار ولكن الله عز وجل أمسكه بقدرته قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملاً أي ليختبركم ليظهر أيكم
أحسن عملاً فيثيب المطيع المعتبر بما يرى من آيات السموات والأرض ويعاقب أهل العناد قوله تعالى ولئن قلت
إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين معناه ولئن قلت يا محمد للكفار إنكم
مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ما هذا إلا تمويه لا حقيقة له وقد أقروا أن خالق السموات والأرض
يمسكها بغير عمد لا يعجزه شيء فكيف يشكون في البعث بعد الموت قوله تعالى ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة
معدودة معناه ولئن أخرنا عن الكفار العذاب إلى أمة معدودة قال ابن عباس ومجاهد يعني إلى أجل وحين
والأمة ها هنا المدة ليقولن ما يحبسه يعني العذاب يعني إن كان ما تقوله يا محمد حقاً يقول الله تعالى ألا يوم
يأتيهم معناه ألا يوم يأتيهم العذاب لا يقدر أحد على صرفه عنهم والمعنى أنهم قالوا ما يحبس العذاب عنا على
وجه الاستهزاء قال الله تعالى ألا يوم يأتيهم يعني إذا أخذتهم سيوف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم
[illegible] حتى يقولوا كلمة الإخلاص قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون أي نزل بهم جزاء استهزائهم
وهو العذاب قوله تعالى ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه أراد بهذا الإنسان الكافر لأنه
تقدم ذكر الكافر وكأنه قال إذا أنعمنا على الكافر بنعمة ثم سلبناها منه إنه ليئوس لا يصبر على سلب تلك النعمة
ويصير آيساً وقانطاً من رحمة الله قال ابن عباس نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل في عبد الله بن أبي أمية المخزومي
والرحمة ها هنا الرزق قوله تعالى كفور أي لا يشكر نعمة الله قبل أن تسلب عنه ولا يصبر بعد أن زالت عنه
قوله تعالى ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني أي ولئن أذقنا الكافر النعم الظاهرة
بعد المحنة الظاهرة التي أصابته ليقولن الكافر ذهب الشدائد والضر والفاقة ولا أعود إليها عني ويفرح بذلك ويبطر
ويتجبر على الناس من دون أن يشكر الله على كشف الشدائد عنه قوله تعالى إنه لفرح فخور أي بطر بنعم الله
أو ليأس لما سبقت عليه وإنما نصب اللام في قوله ليقولن ذهب السيئات لأنه في موضع الوحدان وفي قوله ليقولن
ما يحبسه ضم اللام في موضع لفظ الجماعة قوله تعالى ليقولن الذين كفروا نصب اللام لأن الفعل مقدم

على الاسم فذكر بلفظ الوحدان قوله تعالى إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة
استثناء ليس من الأول ومعناه لكن الذين صبروا على الشدائد وعملوا الطاعات فيما بينهم وبين ربهم أولئك لهم
مغفرة لذنوبهم وثواب عظيم على طاعتهم وصبرهم قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق
به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك سبب نزول هذه الآية أن المشركين كانوا
يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم عبتنا وسببت آلهتنا [illegible] وكانوا يؤذونه ويقولون لولا أنزل على محمد
كنز من السماء فيعيش به وينفعه أو جاء معه ملك يشهد له ويعينه على أداء الرسالة وقيل إن المشركين
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيتنا بكتاب ليس فيه سب آلهتنا حتى نؤمن بك ونتبعك وقال بعض المشركين
هلا نزل عليك يا محمد ملك يشهد لك بالصدق أو تعطى كنزاً تستغني به وأنت فقير فهمّ رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يدع سب آلهتهم فأنزل الله هذه الآية ولا يجوز أن تكون كلمة لعل في أول هذه الآية على جهة الشك
وإنما الغرض تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم على ما أمر به لئلا يلتفت إلى قولهم ولكي ييأسوا عن تركه أداء الرسالة
حين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك يقول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم
إنما أنت نذير أي عليك أن تنذرهم وتخوفهم وتأتيهم بما يوحى إليك من الآيات وليس عليك أن تأتيهم بما
يقترحون من الآيات والله على كل شيء وكيل من مقالاتهم وغير ذلك أي حفيظ والفرق بين
ضائق وضيق أن الضائق يكون بضيق عارض والضيق تصور الشيء عن مقدار غيره أن يكون فيه وموضع أن
يقولوا خفض بالباء تقديره ضائق به صدرك بأن يقولوا قوله تعالى أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور
مثله مفتريات معناه بل يقول الكفار اختلق محمد هذا القرآن من تلقاء نفسه قل لهم يا محمد إن كان هذا مفترى
على الله فأتوا بعشر سور مثله مختلقات فإن القرآن نزل بلغتكم وأنا نشأت بين أظهركم فإن لم تقدروا أن تأتوا بمثل
القرآن فاعلموا أنه من عند الله قوله تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله أي استعينوا بكل أحد
تقدرون على الإتيان بعشر سور مثله مفتريات إن كنتم صادقين في مقالتكم أن محمداً اختلقه وذهب بعض المفسرين
إلى أن المراد بالسور العشر من سورة البقرة إلى هذه السورة والأولى أن يقال المراد بعشر سور مثل سور القرآن
أي سورة كانت لأن سورة هود مكية وسورة البقرة وما بعدها مدنيات قوله تعالى فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا
أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين أي فإن لم
يجبكم هؤلاء الكفار إلى الإتيان بمثل هذا القرآن فاعلموا أن هذا القرآن أنزله جبريل بعلم الله وأمره ويجوز أن يكون
بعلم الله أي بما أنزل الله من غيب ويجوز أن يكون معناه فإن لم يستجيبوا لكم أي فإن لم يجبكم الذين دعوتموهم إلى المعاونة
على الإتيان بمثل هذا القرآن فقد قامت عليكم الحجة فاعلموا أنما أنزل بعلم الله واعلموا أن لا إله إلا هو ولا ينزل الوحي
أحد غيره فهل أنتم مخلصون لله في التوحيد والعبادة قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف
إليهم أعمالهم فيها في الآية وجهان أحدهما أن المراد بالآية إذا أتى بالأعمال التي تكون حسنة في الفعل مثل صلة
الرحم والتصدق وإعانة الملهوف فإن الله يجازيه على هذه الأعمال في الدنيا بأن يمكنه مما خوله ويعطيه ما يبتغي
لطلبه وأقر عليه ويدفع عنه بذلك والثاني أن المراد بها المنافق إذا خرج إلى الغزو مع المسلمين وهو يريد
الغنيمة دون الثواب ونصرة الدين جازاه الله على غزوه بأن أمر بإعطائه سهمه من الغنيمة لا ينقص منه شيء من
سهمه قوله تعالى أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار معناه أن الذين عملوا لغير الله من الكفار والمنافقين
ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها أي الأعمال الحسنة لأنهم لم يريدوا بها ثواباً وباطل ما كانوا
يعملون من خير قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه في الآية اختصار معناه أفمن
كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه كالذي يريد الحياة الدنيا وزينتها وأراد بالبينة البرهان الذي هو من
الله تعالى وكان النبي صلى الله عليه وسلم على برهان وحجة من ربه ويتلو عليه القرآن شاهد من الله تعالى وهو جبريل

عليه السلام هكذا قال أكثر المفسرين أن المراد بقوله أفمن كان على بينة من ربه هو النبي صلى الله عليه وسلم قوله
تعالى ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أي ومن قبل القرآن كان جبريل عليه السلام يقرأ على موسى
التوراة إماما يقتدى به ونعمة من الله لمن آمن به وإماما نصب على الحال ورحمة أي وذا رحمة وقيل أراد بقوله
أفمن كان على بينة من ربه جميع المؤمنين وأراد بالشاهد النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى أولئك يؤمنون به
يعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن صدقه قوله تعالى ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده أي من يكفر
بالنبي صلى الله عليه وسلم من أصناف الكفار واليهود والنصارى وغيرهم فالنار مصيره التي وعده الله في الآخرة
قوله تعالى فلا تك في مرية منه أي لا تك في شك منه يعني القرآن وظاهر هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به
جميع الناس قوله تعالى إنه الحق من ربك يعني القرآن ولكن أكثر الناس لا يؤمنون أي لا يصدقون أن
القرآن من عند الله قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم أي ليس أحد أظلم
لنفسه من الكاذب على ربه بأن زعم أن له ولدا وشريكا أولئك يعرضون على ربهم معناه أولئك الكاذبون يساقون
يوم القيمة إلى ربهم ويوقفون في المقامات التي يطالبون فيها بأعمالهم ويسألون فيها ويجازون عليها قوله تعالى
ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم قال ابن عباس ومجاهد الأشهاد هم الملائكة والأنبياء وقال قتادة
يعني الخلائق وقال مقاتل هم الناس والأشهاد جمع شاهد مثل ناصر وأنصار وصاحب وأصحاب ويجوز أن يكون جمع
شهيد مثل شريف وأشراف والمعنى يقول الأشهاد يوم القيمة من الملائكة والنبيين والعلماء وعامة المؤمنين
ويشيرون إلى الكفار يقولون هؤلاء الذين كذبوا على ربهم فتفتضح الكفار على رؤوس الأشهاد قوله تعالى ألا لعنة
الله على الظالمين يجوز أن يكون من قول الأشهاد ويجوز أن يكون من قول الله تعالى وأراد بالظالمين المشركين
واللعنة الإبعاد من الخير وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدني المؤمن
ربه يوم القيمة ثم يقرره بذنوبه هل تعرف فيقول رب أعرف فيقول هل تعرف فيقول رب أعرف فيسأله
ما شاء أن يسأله قال فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى صحيفة حسناته بيمينه
وأما الكفار فينادى عليهم على رؤوس الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين رواه [illegible]
ومسلم قوله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون أي
إنه نعت للظالمين والمعنى الذين يصرفون الناس عن دين الله وطاعته ويبغون ملة الإسلام غيرا وعوجا
ويتأولون القرآن على خلاف تأويله وهم بالآخرة هم كافرون أعاد كلمة هم تأكيدا لشأنهم في الكفر قوله تعالى
أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض معناه أولئك ليسوا بفائتين على الله في الأرض ولا يعجزونه عن عذابهم
حتى يجزيهم بأعمالهم الخبيثة قوله تعالى يضاعف لهم العذاب أي لا يقتصر بهم على عقاب الكفر بل يعاقبون
على الكفر وعلى الصد عن سبيل الله وقيل معناه كلما مضى ضعف من العذاب جاءهم ضعف من العذاب قوله تعالى ما
كانوا يستطيعون السمع أي كان يثقل عليهم سماع الحق من شدة عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وما كانوا
يبصرون لأنهم صم عن الحق عمي فلا يبصرون ولا يهتدون قوله تعالى أولئك الذين خسروا أنفسهم أي
أهلكوا أنفسهم في الآخرة وذكر الهلاك بلفظ الخسران لأن الخسران هو ذهاب رأس المال ورأس مال الإنسان نفسه قوله
تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون أي ذهب عنهم الانتفاع بأعمالهم التي كانوا يتكلفونها على أنها لله
في الدنيا وقيل معناه ذهب عنهم الأصنام التي كانوا يعبدونها في الدنيا يفترون بقولهم إنها آلهة قوله تعالى
لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون قيل معنى لا جرم لا بد وقيل لا محالة ويقال حقا وقال سيبويه
جرم بمعنى حق وقال الزجاج [illegible] إنه ينفعهم كأنه قال لا ينفعهم ذلك جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون
أي كسب ذلك الفعل لهم الخسران وجرم معناه كسب ومنه قوله لا يجرمنكم قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وأخبتوا إلى ربهم الإخبات الخشوع والتواضع والطمأنينة أي تواضعوا وخشعوا لربهم

وقال مجاهد اطمأنوا وقال قتادة أنابوا وهذه الآية نازلة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قبلها نازلة
في المشركين ثم ضرب الله مثلا للفريقين فقال تعالى مثل الفريقين كالأعمى والأصم يعني الكفار والبصير
والسميع يعني المؤمنين لأنهم سمعوا الحق وأبصروه واتبعوه قوله تعالى هل يستويان مثلا أي هل يستوي الأعمى
والأصم والبصير والسميع عند عاقل لا يستويان عند أحد من العقلاء وكذلك لا يستوي حال المؤمن والكافر عند الله
في الدنيا والآخرة أفلا تذكرون أي أفلا تتعظون بأمثال القرآن قوله تعالى ولقد أرسلنا نوحا
إلى قومه إني لكم نذير مبين ابتدأ بذكر أول رسول جاء بالشريعة بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه
السلام أول من جاء بتحريم الأمهات والأخوات وقوله تعالى إني لكم من فتح الألف كان التقدير أرسلنا
نوحا بأني لكم ومن كسر فتقديره فقال إني لكم وقوله تعالى ألا تعبدوا إلا الله أي وليقول لا تعبدوا
إلا الله فإنه لا إله إلا هو إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم أي إني أعلم أن يكون عليكم إن لم تؤمنوا
عذاب يوم أليم وإنما وصف اليوم بالأليم لأن أسباب الألم تقع فيه فنسب الألم إليه قوله تعالى فقال الملأ
الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا أي قال الرؤساء والأشراف الذين كفروا من قوم نوح ما نراك
يا نوح إلا بشرا مثلنا في الصورة والخلقة فلم صرت أولى أن تكون نبيا ورسول الله منا قوله تعالى وما نراك
اتبعك إلا الذين هم أراذلنا أي ما نرى من يتبعك إلا الذين هم أسافلنا وأخساؤنا قال ابن عباس يريدون
المساكين الذين لا عقول لهم ولا شرف ولا مال والأرذل الدون من كل شيء قوله تعالى بادي الرأي من قرأ
بادئ بالهمز فمعناه إنهم اتبعوك بأول الرأي من دون تفكر ونظر من قولهم بدأت الأمر أي ابتدأته ويجوز أن يكون
المعنى بادي الرؤية بأول ما تقع الرؤية عليهم نعلم أنهم أراذلنا وقد تكون الرأي بمعنى الرؤية قال الله تعالى
يرونهم مثليهم رأي العين أي رؤية العين ومن قرأ بادي بغير همز فمعناه ظاهر الرأي وهم يعرفون الظاهر
وتمييزهم ويجوز أن يكون معناه اتبعوك في الظاهر وباطنهم على خلاف ذلك قوله تعالى وما نرى لكم علينا من
فضل أي ما نرى لك ولقومك علينا من فضل لأن الفضل بكثرة المال وشرف النسب والمنزلة في الدنيا بل نظنكم
كاذبين فيما تقولونه على الله وفيما تدعوننا إليه قوله تعالى قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي
أي قال لهم نوح أخبروني إن كنت على برهان وحجة من ربي وآتاني رحمة من عنده وهي النبوة فعميت
عليكم هذه النعمة التي ظهرت لمن اتبعني فلم تبصروها لشقاوتكم أنلزمكموها أنجعلكم قابلين لها وأنتم لها كارهون
هذا مما لا يكون وقال قتادة والله لو استطاع نبي الله لألزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك فإن قيل فهلا قال
فعميتم عنها وهم الذين كانوا عموا قلنا قد يشبه [illegible] وضع ذلك موضع فخفيت عليكم ثم لا فرق بين اللفظين كما لا فرق
بين قولهم أدخلت الخاتم في الإصبع وأدخلت الإصبع في الخاتم ومن قرأ فعميت بضم العين وتشديد الميم فالمعنى أبهمت
عليكم [illegible] قوله تعالى ويا قوم لا أسألكم عليه مالا أي لا أسألكم على دعائي لكم إلى الله مالا فتتهموني [illegible]
في أموالكم بإجابتي إن أجري إلا على الله أي ما ثوابي إلا على الله يعطيني الأجر قوله تعالى وما أنا
بطارد الذين آمنوا قال ابن جريج إنهم سألوا نوحا طرد الذين آمنوا ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا معهم على سواء
فقال لا يجوز لي طردهم بعد إيمانهم إنهم ملاقوا ربهم ما وعدهم ربهم فيجزيهم بأعمالهم ويقال فيخاصموني
عند الله إن طردتهم ولكني أراكم قوما تجهلون أمر الله وما فيه صلاح حكم قوله تعالى ويا قوم من ينصرني من
الله إن طردتهم معناه يا قوم من يمنعني من العقاب النازل بي يوم القيمة إن طردت من آمن بي وأردت
من [illegible] أن لا يتبعون بما أنزل الله ويؤمنون قوله تعالى ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب
أي لا أرفع نفسي فوق منزلتي ولا أقول إن عندي مقدورات الله فأخص بذلك من أشاء وأمنعه ممن أشاء وقوله تعالى
ولا أعلم الغيب أي ولا أدعي علم الغيب فإني لا أعلم إلا ما علمني الله ويقال إنهم لما قالوا لنوح عليه السلام إن هؤلاء
إنما آمنوا بك واتبعوك في ظاهر ما ترى منهم أجابهم نوح بهذا فقال لا أقول لكم عندي خزائن الله يعني غيوب الله

التي تعلم منها ما تضمر النفوس ولا أعلم الغيب اي لا اعلم ما تسرونه في انفسكم فسبيلي قبول ايمانهم الذي ظهر لي وضمائرهم
لا يعلمها الا الله قوله تعالى ولا أقول إني ملك هذا جواب لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا اي لا ادعي اني ملك نزلت
اليكم من السماء قوله تعالى ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا اي لا اقول للذين تحتقرهم اعينكم
وتستصغرهم لن يؤتيهم الله صلاحا في الدنيا ولا فلاحا في الآخرة يعني المؤمنين الذين قالوا هم اراذلنا قوله تعالى إني
إذا لمن الظالمين أي ان طردتهم تكذيبا لظاهر ايمانهم قوله تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا
حتى قالوا يا نوح قد خاصمتنا فأكثرت خصومتنا ودعاءنا ولا نقبل منك فأتنا
بما تعدنا ان الله يعذبنا على الكفر إن كنت من الصادقين ارادوا بهذا القول ان يلبسوا على ضعفائهم ان نوحا
عاجز عن انزال العذاب بهم قوله تعالى قال إنما يأتيكم به الله إن شاء اي ان العذاب ليس بيدي ولكن الله هو الذي
يعاقبكم به ينزله عليكم ان شاء وما أنتم بمعجزين الله من انزال العذاب بكم • وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان نوحا عليه السلام كان اذا جادل قومه ضربوه فاذا افاق قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم معناه قال لهم لا ينفعكم دعائي
وتحذيري اياكم ان اردت ان احذركم عذاب الله ان كان الله يريد ان يضلكم عن الهدى مجازاة لعملكم فان ارادة الله
فوق ارادتي ويكون ما يريده لا ما اريده فان قيل كيف يجوز ان تكون ارادة ابليس موافقة لارادة الله وارادة نوح مخالفة
لارادة الله فالجواب ان الله تعالى شاء لاولئك القوم الكفر وشاء لنوح ان يشاء لهم الايمان وشاء لابليس ان يشاء لهم الكفر ولكن
مشيئة الله تعالى وتقدس يعني قوله ان كان الله يريد ان يغويكم ان كان الله يريد ان يهلككم ويخيبكم من رحمته
كما قال تعالى فسوف يلقون غيا اي هلاكا وعذابا والغي قد تكون بمعنى الخيبة كما قال • فمن يلق خيرا يحمد الناس امره
ومن يغو لا يعدم على الغي لائما • اي ومن يخب يقال غوى الرجل يغوي غيا اذا فسد عليه امره وفسد هو في
نفسه وعصى آدم ربه فغوى اي فسد عليه عيشه في الجنة وهذا التأويل لا يعني الخيبة لان الخيبة فيها فساد
العيش وذكر الحسن معنى الآية لا ينفعكم نصحي اليوم اذا نزل بكم العذاب فاستدركوا امركم قبل نزول العذاب
لينفعكم نصحي قوله تعالى هو ربكم اي مالككم يقدر على انزال العذاب بكم وإليه ترجعون اي اليه مصيركم
بعد الموت فيجزيكم باعمالكم وهذه الآية مما يحتج بها ان الشرط اذا اعترض على الشرط من غير ان يتخللهما الجواب كان الشرط
الثاني متقدما على الاول في المعنى حتى لو قال قائل ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فعبدي حر لم يحنث حتى يكلم ثم
يدخل ليكون تقديره ولا ينفعكم نصحي ان كان الله يريد ان يغويكم ان اردت ان انصح لكم قوله تعالى أم
يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي معناه ان قومه يقولون ان نوحا قد تقول على الله الكذب
فأمر الله نوحا ان يجيبهم بالقول اللين بعد المبالغة في اقامة الحجة عليهم فيقول لهم ان افتريته اي ان تقولت
الكذب على الله تعالى فعقوبة جرمي وأنا بريء من عقوبة جرمكم وقيل معنى الآية ام يقول اهل مكة ان محمدا
صلى الله عليه وسلم قد افترى قصة نوح قل ان افتريته فعلي اجرامي والاجرام يستعمل في كسب الاثم خاصة قوله
تعالى وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن اي واوحى الله الى نوح انه لن يصدق
من قومك بعد هذا الا من قد صدق فلا تغتم بالحزن عليهم والابتئاس والغم على وجه الاستكانة للحزن على الشيء فقيل انما
دعا نوح عليه السلام بقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا بعد هذا الوحي قوله تعالى واصنع الفلك
بأعيننا ووحينا اي اصنع السفينة بحفظنا لك حفظ الرائي لغيره لدفع الضرر عنه وذكر الاعين لبيان كثرة الحفظ
وقيل تعمله باعين الملائكة الذين يعلمونك كيف تصنع السفينة قوله تعالى ووحينا اي وبامرنا اياك
قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي لا تراجعني الكلام في نجاة الذين ظلموا انفسهم بالكفر إنهم مغرقون
بالطوفان قوله تعالى ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه اي لما اخذ نوح عليه السلام
في علاج السفينة ... وكلما مر عليه ملأ من قومه هزئوا به لعلاجه

السفينة

السفينة لانهم كانوا يرونه يعمل السفينة مع انه لم يكن بقربه ماء وكان من لدن آدم عليه السلام الى نوح يسقون
بماء المطر لا بحر ولا نهر جار وكانوا يقولون انظروا الى هذا الشيخ الضال يصنع هذه السفينة يحفر في البر
يجعل للبناء اكافا فاين الماء وكانوا يقولون له في كلامهم فرغت من امر النبوة واخذت في امر التجارة وكانوا
يرونه يحمل الخشب وينحت شبه البيت العظيم فاذا سألوه عن ذلك قال أعمل سفينة تجري في الماء ولم يكن ثم ماء ولم
يكن قبل ذلك سفينة وكانوا يتضاحكون ويسخرون من عمله فقال لهم نوح إن تسخروا منا الآن فإنا نسخر منكم
عند نزول العذاب كما تسخرون اي تستهزئون الساعة اي ان كنتم تسخرون منا لما ترون من صنعة الفلك فانا
نتعجب من غفلتكم عما اظلكم فسوف تعلمون من احق بالسخرية منا ومنكم وتعلمون من الذي يأتيه عذاب
يخزيه في الدنيا ويحل عليه عذاب دائم في الآخرة قوله تعالى حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قال ابن عباس
وذلك ان الله اوحى اليه ان موعدك ان يخرج الماء من آخر مكان في دارك وهو تنور الخابزة تنور آدم عليه السلام
كان ... نوح عليه السلام الى ان صار تنور آدم عليه السلام فحمله معه ووهبه الله له فقال له اذا رأيت
الماء قد فار منه فاحمل في السفينة ما امرت به من اجناس الحيوان من كل زوجين اثنين واحمل اهلك الا من سبق
عليه القول بالعذاب وهي امرأته الكافرة وابنه كنعان استثناهما الله من جملة اهله قوله تعالى ومن آمن
اي احمل من آمن معك ايضا في السفينة وقال ابن عباس وعكرمة والزهري معنى قوله تعالى وفار التنور اي نبع
الماء على وجه الارض وقال علي رضي الله عنه وفار التنور اي طلع الفجر وقوله تعالى جاء امرنا اي عذابنا
قوله تعالى قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين اي احمل في السفينة من كل زوجين اثنين الذكر زوج
والانثى زوج وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة وقالوا ذكرا وانثى فلما فار التنور ارسل الله السماء بمطر شديد
فاقبلت الوحوش حين اصابها المطر من السماء الى نوح وسخرت فحمل في السفينة من كل طير زوجين ومن كل دابة وبهيمة
زوجين ومن كل سبع زوجين وحمل من البقر والغنم خمسة ازواج وبعث الله جبريل فقطع فقار العقرب وضرب
الحية فحملهما في السفينة وكانت السماء تمطر وكان هو عند قومه يحذرهم حتى ابتلت اقدامهم وصار الماء الى الكعب
يحذرهم حتى صار الماء الى نصف الساق ويحذرهم حتى صار الماء الى الركبة الى الحقوين كل ذلك يحذرهم وينذرهم
وكان ينوح ويبكي عليهم وقال ابن عباس سمي نوحا لانه كان ينوح على نفسه حيث لم تقبل قومه ولما بلغ الماء الثندوة
وما غرق قومه ثم قال لابنه كنعان يا بني اركب معنا فلم ... الماء حتى صار فوق الجبال خمسة عشر ذراعا بالذراع الاول
وكان للسفينة ثلاثة ابواب بعضها اسفل من بعض حمل في الباب الاسفل السباع والهوام وفي الباب الاوسط الوحوش
والسباع والبهائم وفي الباب الاعلى بني آدم وكانوا ثمانين انسانا اربعين رجلا واربعين امرأة وكان معه امرأته
سوى التي غرقت وثلاثة بنين سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون انسانا فيهم الخضر وهو ابن بنت نوح
واختلفوا في مقدار السفينة قال الحسن كان طولها الف ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقال ابن عباس كان طولها
ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلثين وهو قول قتادة قال وكان لها باب في عرضها قوله
تعالى وأهلك إلا من سبق عليه القول اي واحمل اهلك يعني ولده وعياله الا من سبق عليه القول يعني امرأته
واعلة وابنه كنعان ومن آمن اي واحمل من آمن قوله تعالى وما آمن معه إلا قليل اي الا نفر قليل
قيل ثمانون انسانا وقيل انما ... ثلاثة بنين وثلاث كنائن والكنائن زوجات البنين وقال ابن جريج كانوا ثمانية
نفر قوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها اي قال لهم نوح اركبوا في السفينة وقوله
بسم الله يجوز ان يكون متصلا بقوله اركبوا اي اركبوا بسم الله ويجوز ان يكون متصلا بقوله مجراها ومرساها
اي بسم الله اجراؤها وارساؤها • وقال الضحاك كانوا اذا ارادوا ان تجري السفينة قالوا بسم الله فجرت
واذا ارادوا ان يرسوها قالوا بسم الله فرست ومن قرأ مجراها بفتح الميم فهو عبارة عن الموضع التي تجري فيه
... مرساها الا بضم الميم ومن قرأ مجريها ومرسيها بالكسر فهو نعت لله وقال الحسن بسم الله الجريها حيث

تشاء والمرسى بها حيث تشاء قوله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال يعني السفينة تجري بهم في موج كالجبال يعني
السفينة تجري بهم في أمواج كالجبال العظيمة ونادى نوح ابنه كنعان وكان كافرا وكان في معزل عنه
قوم لم يركب معه وقيل معناه وكان في معزل من دين أبيه يا بني اركب معنا في السفينة بشرط الإيمان ولا ذكره قال ولا
تكن مع الكافرين أي على دينهم فتغرق معهم وقال الحسن إنما دعاه إلى ركوب السفينة لأن ابنه كان يظهر
له الإيمان نفاقا وكان يحسبه مؤمنا واختلف القراء في قوله يا بني فقرأ بعضهم بكسر الياء على الإضافة وهو الأجود لأن
الأصل يا بنيي ثلاث ياءات ياء التصغير ولام الفعل وياء الإضافة فحذفت ياء الإضافة وتركت الكسرة دليلا على الإضافة
وأدغمت إحدى الياءين في الأخرى وقرأ بعضهم يا بني بفتح الياء على أن أصله يا بنيا بالألف كما تقول العرب يا غلاما
أقبل يريدون يا غلامي أقبل فتبدل الألف من ياء الإضافة على وجه الندبة والتفجيع وكان الأصل يا بنيا ثم حذفت الألف
لسكونها وسكون الراء من قوله اركب قوله تعالى قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء أي قال ابن نوح
سأذهب وأرجع إلى مأوى من الجبل حرز يمنعني من آفات الماء قال له نوح عليه السلام لا عاصم اليوم
من أمر الله إلا من رحم بالنجاة وتقدير الكلام لا عاصم اليوم من عذاب الله تعالى إلا الله تعالى وقال بعضهم
لا عاصم اليوم من عذاب الله إلا من رحمه الله وهو نوح عليه السلام فإنه قد جعل الله إليه أركاب المؤمنين في
السفينة وقيل معناه لا معصوم اليوم إلا من رحمه الله كما قال الحطيئة • دع المكارم لا ترحل لبغيتها •
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي • أراد المطعم المكسو ومنه يقال سر كاتم أي مكتوم قوله تعالى وحال
بينهما الموج أي وحال الموج بين كنعان ونوح وقيل بين كنعان والجبل وصار من المغرقين قوله تعالى
وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي أي قيل بعد ما تناهى أمر الطوفان وذلك لما روي عن ابن عباس رضي الله
عنه أن السماء مطرت أربعين يوما الليل والنهار وخرج ماء الأرض أربعين يوما الليل والنهار وسارت بهم السفينة
وطافت بهم الأرض كلها في خمسة أشهر لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعا ورفع
البيت الذي بناه آدم إلى السماء وهو البيت المعمور وجعل الحجر الأسود على أبي قبيس وودع فيه ثم ذهبت بهم
السفينة في الأرض حتى انتهت إلى الجودي وهو جبل بأرض الموصل فاستقرت عليه بعد خمسة أشهر وركب
نوح عليه السلام في السفينة لعشر مضين من رجب وخرج منها يوم عاشوراء فذلك خمسة أشهر فلما استقرت
السفينة على الجودي كشف نوح الطبق الذي فيه الطير فبعث الغراب ليأتيه بالخبر فانصرف ووقع على جيفة
وأبطأ على نوح ولم يأته فأرسل الحداة على أثره فانطلقت عليه فلم تأته وقد دعا على الغراب أن يكون طويل
العمر في مخافة وشقاء ثم أرسل الحمامة بعد الحداة بسبع فلم تجد موقعا فرجعت فبسط لها نوح عليه السلام
كفه فوقعت عليه ثم مكث نوح ما شاء الله ثم أرسلها مرة أخرى فجاءت بورق الزيتون فعرف نوح أن الماء
قد نقص وظهرت الأشجار ثم أرسلها بعد ذلك فوقعت على الأرض وغابت رجلاها في الطين فعرف نوح أن
الأرض قد ظهرت فدعا لها فقال كوني أنس الطير وأنعمه وأكيسه قوله تعالى يا أرض ابلعي ماءك أي انشفي الماء
الذي خرج منك قوله تعالى ويا سماء أقلعي أي كفي عن الصب يقال أقلعت السماء إذا استمسكت المطر حتى لم
تمطر أثره وأقلعت الحمى عن فلان إذا تركته قوله تعالى وغيض الماء أي ونشفت الأرض ماءها ويقال
غاض الماء يغيض إذا غار في الأرض قوله تعالى وقضي الأمر أي وقع هلاك الكفار على التمام وهلك من
هلك ونجا من نجا قال ابن عباس نشفت الأرض ماءها الذي خرج منها وذهب ماء السماء إلى البحور لأن الله تعالى
قال يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي قوله تعالى واستوت على الجودي أي استوت السفينة على الجودي شهرا
وهو جبل بالجزيرة وقيل بعدا للقوم الظالمين يجوز أن يكون معناه وقال الله تعالى بعدا أي سحقا من
رحمة الله للقوم الكافرين ويجوز أن يكون هذا من قول أهل السفينة حين نجوا من الغرق وخرجوا من
السفينة قالوا بعدا للقوم الظالمين أي أبعدهم الله من رحمته في الآخرة أيضا قوله تعالى ونادى نوح

ربه

ربه فقال رب إن ابني من أهلي أي من قومي وإن وعدك الحق بنجاة قومي الصدق ولا شك فيه وأنت
أحكم الحاكمين في قولك وفعلك وكان دعاء نوح عليه السلام هذا الدعاء حين حال الموج بينه
وبين ابنه كنعان قوله تعالى قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح معناه قال الله تعالى يا نوح
ليس من أهلك الذي وعدتك أن أنجيهم أهل دينك وإن ابنك كافر ليس على دينك وانقطعت العصمة بينك وبينه بكفره
وإيمانك قوله تعالى إنه عمل غير صالح أي إن سؤالك إياي أن أنجي كافرا عمل غير صالح قرأ الكسائي ويعقوب
عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بالنصب أي إنه عمل الشرك والتكذيب • وقرأ الباقون عمل بالرفع والتنوين غير صالح بالرفع
أي إنه عمل غير صالح وقيل إن سؤالك إياي نجاة ولدك الذي ليس من أهلك سؤال غير مرضي قوله تعالى فلا تسألن
ما ليس لك به علم قرأ ابن كثير بتشديد النون وفتحها وقرأ أهل المدينة والشام بتشديد النون وكسرها والمعنى واحد
أي لا تسألني ما ليس لك به علم أنه صواب وأنا أفعله قوله تعالى إني أعظك أن تكون من الجاهلين أي إني
أعظك أن تسألني سؤال الجاهل ولكن سلني سؤال العالم وحد الوعظ في اللغة هو الزجر عن القبيح وكان نداء نوح رب إن ابني
من أهلي نداء تعظيم لله على ظن أنه ابنه من أهل دينه وقوله تعالى إنه ليس من أهلك نداء تنبيه على أنه ليس من أهل دينه
وهم من أهل أن يلطف به واختلفوا في هذا الابن فقال بعضهم إنه لم يكن ابن نوح لقوله تعالى إنه ليس من أهلك أي
من ولدك وهو قول مجاهد والحسن والمعنى على قولهما أنه ولد لغير رشده قال قتادة وسئل الحسن عنه فقال والله
ما كان ابنه • وقرأ فخانتاهما فقلت إن الله حكى عنه أنه قال إن ابني من أهلي وقال ونادى نوح ابنه وأنت تقول لم
يكن ابنه وإن أهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه فقال الحسن ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب إنهم يكذبون وروي
أنه ناداه وهو يحسب أنه ابنه وكان ولد على فراشه وقال بعضهم إنما كان ابن امرأته واستدلوا بقوله إن ابني من أهلي
ولم يقل إن ابني مني وهو قول أبي جعفر الباقر وقال أكثر المفسرين إنه كان ولده من صلبه وقوله تعالى إنه ليس
من أهلك أي الذي وعدتك أن أنجيهم قالوا وما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتهما في الدين لا في الفراش ولأن الله تعالى
يعصم أنبياءه صلوات الله عليهم أن تقع من نسائهم ما يلحق بهم عيبا في الدنيا وإن كان قد تقع منهن ما يكون عيبا في أمر الآخرة
وفي الحديث ما بغت امرأة نبي قط وكانت خيانتهما أنها كانت تقول للناس إنه مجنون وكانت تدل على الأضياف وهذا
قول ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك قال أبو عوانة البجلي قال رجل لسعيد بن جبير قوله إن ابني من أهلي
هل كان ابن نوح فسبح الله طويلا وقال لا إله إلا الله يحدث الله محمدا أنه ابنه وتقول إنه ليس ابنه كان ابنه
ولكن كان مخالفا في النية والعمل والدين فمن ثم قال إنه ليس من أهلك وهذا القول أولى بالصواب وأليق بظاهر
الكتاب قوله تعالى قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم أي قال نوح إني أمتنع بك أن أسألك
ما ليس لي به علم أنه صواب وإلا تغفر لي خطيئتي هذه وهي هذا السؤال وترحمني أكن من الخاسرين بالوزر
والعقوبة قوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك أي قال الله لنوح
اهبط من السفينة إلى الأرض بأمن وسلامة منا من الآفات وبركات أي وخيرات نامية عليك وعلى الذين معك من المؤمنين
قوله تعالى وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم أي وأمم سنمتع عليهم بعدك في الدنيا ثم يمسهم في الآخرة
منا عذاب أليم وهم الكافرون وأهل الشقاوة هبط نوح ومن معه من الجودي ولم يكن لواحد منهم نسل إلا لنوح وولده
كما قال تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين • وعن محمد بن كعب قال دخل في السلام والبركة كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم
القيامة ودخل في الإمتاع والعذاب كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة • وفي الآية دلالة على ذلك لأن لفظ الأمم يدل على
الجماعات الكثيرة ولم يكن مع نوح في السفينة إلا قليل قوله تعالى تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها
أنت ولا قومك من قبل هذا أي تلك القصة التي ذكرتها لك يا محمد قصة نوح من أخبار الأمور الغائبة عنك ما كنت تعلمها
أنت ولا قومك من قبل هذا القرآن وهذا منة من الله تعالى فاصبر على أذى الكفار كما صبر نوح على أذاهم واصبر على
القيام بأمر الله وتبليغ الرسالة وما تلقى من أذى قومك كما صبر نوح على أذى قومه إن العاقبة للمتقين أي

ان أجرهم بالسعادة والظفر والنصر للمتقين كما كانت لنوح ومن آمن به قوله تعالى والى عاد أخاهم هودا أي
وأرسلنا الى عاد أخاهم هودا في النسب قال يا قوم اعبدوا الله أي وحدوه دون الاصنام فانها ليست بآلهة
وما أنتم الا كاذبون في قولكم انها آلهة قوله تعالى يا قوم لا أسألكم عليه أجرا أي لا أسألكم على ما أؤدي
اليكم من الرسالة مالا فتتهموني أني أسعى بذلك نيل مال وتحسبون أن أزيلكم عما في ملككم إن أجري إلا على الذي
فطرني أي ما ثوابي إلا على الذي خلقني أفلا تعقلون أن الأمر على ما أقوله وأصل الفطر الشق وسمي الخلق
فطرا لانه تظهر به المخلوق كما يظهر الشيء بالشق قوله تعالى ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه أي استغفروا
ربكم من الكفر والذنوب ثم ارجعوا اليه بالندم والعزم على ترك العود في الذنوب يرسل السماء عليكم بالمطر
مدرارا دائما متواترا ويزدكم قوة في أبدانكم وأموالكم الى قوتكم التي لكم ولا تتولوا عما أدعوكم اليه
مجرمين قوله تعالى قالوا يا هود ما جئتنا ببينة أي بحجة وقد جاءهم بحجج الا انهم لم يعتقدوها حجة
قوله تعالى وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك أي ما نحن بتاركي عبادة آلهتنا بقولك وما نحن لك بمؤمنين أي
مصدقين فيما تقول قوله تعالى إن نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي ما نقول فيك الا انه أصابك بعض
آلهتنا بجنون بخبل عقلك لسبك إياها وكان القوم يعلمون وكل أحد أن الذي يعقل ويميز لو أراد أن تصيب غيره
بجنون لم يقدر على ذلك فكيف تقدر الأصنام التي لا عقل لها ولا تميز والاعتراء الافتعال من عراه يعروه إذا أصابه
قوله تعالى قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه أي قال هود إني أشهد الله على
واشهدوا أنتم أيضا أني بريء مما تشركون مع الله في العبادة ولم يكن الشهادة إياهم للاحتجاج بقولهم وإنما هو
للاحتجاج عليهم قوله تعالى فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون أي إن قدرتم على تنكيلي أنتم وآلهتكم فاعملوا في إزالة
السوء بي وافعلوا ولا تمهلوني طرفة عين ولم تقل هذا على جهة الأمر لهم وإنما قال لبيان عجزهم قوله تعالى إني توكلت
على الله ربي وربكم أي فوضت أمري الى الله خالقي وخالقكم متمسكا بطاعته وتاركا لمعصيته وهذا هو حقيقة التوكل
على الله وقوله تعالى ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها أي ما من أحد إلا وهو في قهرته وذلته والناصية
مقدم شعر الرأس قوله تعالى إن ربي على صراط مستقيم أي إن ربي مع كونه قاهرا على صراط مستقيم أي هو في تدبير
عباده لا يفعل إلا بالحق فإنه عادل لا يجور وقيل معناه أن طريق العباد على الله كما قال تعالى إن ربك لبالمرصاد
قوله تعالى فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم أي فإن تولوا أعرضوا عن الإيمان فما هو لتقصير مني في إبلاغ
الرسالة ولكن لسوء اختياركم ويستخلف ربي قوما غيركم أي أطوع له منكم أي يهلككم بعذاب استئصال ويستخلف
بعد هلاككم قوما غيركم أطوع له منكم ولا تضرونه شيئا أي لا تقدرون على أن تنقصوا شيئا من ملكه وهو
سبحانه لا يجوز عليه المضار قوله تعالى إن ربي على كل شيء حفيظ أي هو شاهد على أعمال العباد للمجازاة لا
يخفى عليه شيء منها قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا أي لما جاء أمرنا
بعقاب قوم هود بالريح العقيم نجينا هودا والمؤمنين به من ذلك العقاب برحمة منا أي بما أريناهم من الهدى والبيان
الذي هو رحمة ونجيناهم من عذاب غليظ يحتمل أن يكون المراد به أن نجاهم من الريح العقيم إلا أنه أعاد ذكر
النجاة للتأكيد وتفخيم الحال ويحتمل أن يكون معناه كما نجينا المؤمنين مما عذب به عاد في الدنيا فكذلك نجيناهم من
عذاب الآخرة قوله تعالى وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله أي كذبوا بدلائل الله الدالة على وحدانيته
وصدق أنبيائه وعصوا هودا ومن قبله ومن بعده لأنه عليه السلام أمر بتصديق من قبله وبالبشارة لمن بعده
فلما كذبوه فقد كذبوا الرسل كلهم قوله تعالى واتبعوا أمر كل جبار عنيد أي أمر كل عات طاغ معرض عن
الله قوله تعالى وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة أي أتبعوا بعد الإهلاك في هذه الدنيا بالإبعاد عليهم باللعن تلعنهم
الملائكة والناس ما دامت الدنيا قوله تعالى ويوم القيامة أي ويوم القيامة يبعدون من رحمة الله تعالى كما أبعدوا
في الدنيا قوله تعالى ألا إن عادا كفروا ربهم أي جحدوا ربهم فأبعدهم الله من رحمته إبعادا أو في هذه

بالكفار انه تعالى قال انظروا يا أهل مكة كيف فعلت عاد وكيف فعل بهم فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم قوله
تعالى والى ثمود أخاهم صالحا أي وأرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا في النسب فقال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض أي أنشأ أباكم آدم كما قال في آية أخرى وخلقكم من تراب قوله
واستعمركم فيها أي المراد أن تكونوا عمار الأرض وسكانها فمكنكم من عمارتها وأحوجكم الى السكنى فيها وقيل
جعلكم عمارها معناه أعمرها لكم أي جعلها لكم مدة أعماركم من العمرى وهي الهبة التي يهبها الرجل لغيره على أن تكون
للموهوب له مدة حياته ثم ترجع الى الواهب قوله تعالى فاستغفروه ثم توبوا اليه أي استغفروه من الشرك
والذنوب ثم دوموا على التوبة إن ربي قريب ممن تقرب اليه مجيب لمن دعاه وأطاعه وأراد بالقرب الإسراع
بالرحمة والإجابة لا قرب المسافة قوله تعالى قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أي كنا نرجو فيك
الخير قبل هذا اليوم لما كان فيك من الأخلاق الحسنة والشمائل المرضية والآن أن دعوتنا الى غير دين آبائنا يئسنا
منك أتنهانا أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا الألف ألف استفهام بمعنى الإنكار قوله تعالى وإننا لفي شك
مما تدعونا اليه مريب أي لو أجبناك الى ما تدعونا اليه لحصلنا على شك ظاهر فإنا لا نعلم صدقك فيما تقول
قوله تعالى قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة أي قال يا قوم أخبروني إن كنت
على برهان وحجة من ربي وآتاني نعمة وهي النبوة فمن ينصرني من عذاب الله إن عصيته مع نعمة علي فما
تزيدونني غير تخسير أي إن عصيت الله في اتباع دينكم ما تزيدونني إلا خسران الدنيا والآخرة قوله تعالى ويا قوم هذه ناقة الله لكم
آية أي دلالة ومعجزة على صدقي في أني نبي حيث أخرجها لكم بإذن الله تعالى ناقة عشراء من صخرة ملساء كما سألتم وقد تقدم
تفسير ذلك في سورة الأعراف قوله تعالى فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا
ومن خزي يومئذ أي لما جاء أمرنا بالعذاب نجينا صالحا من ذلك العذاب ونجينا الذين آمنوا معه بنعمة منا
ومن خزي يومئذ الخزي هو الذل الذي يستحيى منه وهو ما نزل بهم في كل يوم من علامة الأشقياء من اصفرار وجوههم
في اليوم الأول واحمرارها في اليوم الثاني واسودادها في اليوم الثالث قوله تعالى إن ربك هو القوي العزيز
أي هو القادر على أخذ أعدائه العزيز المنتقم ممن عصاه قوله تعالى وأخذ الذين ظلموا الصيحة معناه الذين
ظلموا أنفسهم بالكفر وقيل الذين ظلموا الناقة والصيحة هي صيحة جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة هائلة عند
صباح اليوم الرابع لم تحتملها قلوبهم فهلكوا وإنما قال في هذه الآية وأخذ وفي آية أخرى وأخذت لأن الصيحة والصياح
واحد فرد الكناية مرة الى الصياح ومرة الى الصيحة قوله تعالى فأصبحوا في ديارهم جاثمين أي ميتين
قد همدوا وجثوا على الركب وقال أصبحوا في بلادهم وانكبوا على وجوههم على الطرق قوله تعالى كأن لم يغنوا
فيها أي كأن لم يكونوا في الأرض قط قوله تعالى ألا إن ثمود كفروا ربهم أي بربهم ألا بعدا لثمود أي أبعدهم
الله من رحمته وقرأ لثمود بالكسر لقربها من قوله ألا إن ثمود فمن صرفه جعله اسما للحي ومن لم يصرفه جعله اسما للقبيلة
قوله تعالى ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قال ابن عباس وذلك أن جبريل عليه السلام ومعه اثنا عشر ملكا
جاؤوا الى إبراهيم ليبشروه بإسحاق من زوجته سارة فلما دخلوا عليه قالوا سلاما أي نسلم عليه سلاما وقيل قالوا
نسلم سلاما وهو نصب على المصدر قوله تعالى قال سلام أي أجابهم إبراهيم بأن قال عليكم سلام وإنما لم يقل عليكم
سلاما بالنصب لأنه لو كان كذلك كان يتوهم أن إبراهيم عليه السلام حكى قول الملائكة أي لكم سلاما فخالف بينهما
ليكون قوله جوابا لهم ومن قرأ بالكسر فالسلم والسلام بمعنى واحد كحل وحرم مثل حلال وحرام قوله تعالى فما لبث
أن جاء بعجل حنيذ أي ما لبث إبراهيم أن جاء بعجل محنوذ أي مشوي وقال ابن عباس الحنيذ النضيج وهو قول
مجاهد وقتادة والحنيذ اشتواء اللحم بالحجارة المحماة في شق في الأرض وهو من فعل البادية وقال بعضهم إنما جاءهم
بعجل لأنه كان أكثر ماله البقر وقال الحسن إنما جاءهم بالطعام لأنهم جاؤوا على صورة الآدميين على هيئة الأضياف
وذلك شيء أحبه من الضيفان ولو جاؤوا على صورة الملائكة لم يكن يقدم اليهم ذلك لعلمه باستغناء الملائكة

عن الطعام قوله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم أي لما وضع الطعام بين أيديهم فرآهم
لا يمدون إليه أيديهم أنكرهم وأضمر في نفسه خوفا منهم وكان أهل ذلك الزمان إذا لم يأكل بعضهم من طعام
بعض خافوا منه غائلة فلما علمت الملائكة خوفه منهم قالوا لا تخف منا يا إبراهيم فإن الله أرسلنا إلى قوم
لوط ليهلكهم قوله تعالى وامرأته قائمة فضحكت معناه وامرأته سارة كانت قائمة على رؤسهم بالخدمة وقيل
كانت قائمة من وراء الستر في حال محاورة إبراهيم مع الملائكة قبل أن سارة تسمع إبراهيم عليه السلام قوله
تعالى فضحكت أي ضحكت سرورا بزوال الخوف وقيل بشارة بإسحق عليه السلام قال السدي إن إبراهيم قال لهم
ألا تأكلوا قالوا إنا قوم لا نأكل إلا بثمن قال كلوا وأدوا ثمنه قالوا وما ثمنه قال أن تذكروا اسم الله في أوله وتحمدوه
في آخره فنظر جبريل إلى من معه من الملائكة وقال حق لهذا أن يتخذه الله خليلا فضحكت امرأته وقالت عجبا لأضيافنا
نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت لغفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم
وقيل ضحكت سرورا بالأمن منهم لما قالوا لا تخف وقال عكرمة ضحكت أي حاضت قوله تعالى فبشرناها بإسحق
ومن وراء إسحق يعقوب قرأ ابن عامر وحمزة يعقوب بالنصب على معنى ووهبنا لها من وراء إسحق يعقوب
وقيل بنزع الخافض أي وبشرناها من وراء إسحق بيعقوب فلما حذف الباء نصب وقال الزجاج لا يجوز
أن يكون ذلك في موضع خفض على ذلك لأنه لا يجوز الفصل بين الجار والمجرور وبينهما واو العطف إلا بإعادة
حرف الجر لأنه لا يجوز أن تقول مررت بزيد في الدار والبيت عمرو حتى تقول وبعمرو قوله تعالى فبشرناها بإسحق
قال المفسرون كان إبراهيم قد ولد له من هاجر إسمعيل وكبر وشب فتمنت سارة أن يكون لها ابن وأيست لكبر
سنها فبشرت على كبر السن بولد يكون نبيا ويلد نبيا قوله تعالى ومن وراء إسحق يعقوب قال الزجاج بشرها
بأنها تلد إسحق وأنها تعيش إلى أن ترى ولد ولدها وراها يعقوب قوله تعالى قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز
وهذا بعلي شيخا لا يجوز أن يكون هذا على جهة الإنكار فإن يا ويلتى كلمة تستعملها النساء عند وقوع أمر فظيع وتستعملها
في هذا الموضع على جهة التعجب ولهذا قالت إن هذا لشيء عجيب وأصله يا ويلتى فأبدل من الياء الألف لأنها أخف
من الياء والكسرة قال ابن عباس كانت سارة بنت تسعين سنة وكان زوجها ابن مائة وعشرين سنة فتعجبت من
أن يكون لشيخين كبيرين ولد قوله تعالى وهذا بعلي شيخا أي هذا الذي تعرفونه بعلي ثم قالت شيخا أي أنبهكم
له في حال شيخوخته فهو نصب على الحال وذهب الكوفيون إلى أنه نصب على القطع عن المعرفة إلى النكرة كما تقول
خرج زيد راكبا قوله تعالى قالوا أتعجبين من أمر الله أي قالت الملائكة أتعجبين من قدرة الله وأنت عارفة
أن الله قادر على كل شيء قال السدي أخذ جبريل عودا يابسا فدلكه بين أصبعيه فإذا هو أخضر يهتز فعرفت أنه
من الله قوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت معناه نعمة الله عليكم في الدين والدنيا وخيراته
عليكم يا أهل بيت إبرهيم عليه السلام إنه حميد أي محمود مجيد أي كريم يكرمكم بالنعم والكريم هو الذي
يبتدئ بالنعمة قبل الاستحقاق والمجيد الماجد وهو ذو الشرف والمجد والكرم قوله تعالى فلما ذهب عن إبرهيم الروع
أي الخوف والفزع وجاءته البشرى بإسحق جعل يجادلنا في قوم لوط واختلفوا في هذه المجادلة فقال
بعضهم سألهم عن سبب تعذيب الله لهم حتى قال إن الله أمرنا باستئصالهم وتخويفهم بالعقاب وقال
إن فيها لوطا وقال بعضهم أراد بالمجادلة الدعاء والتضرع وشدة الحرص على نجاة القوم رجاء إيمانهم كما روي
أن إبرهيم عليه السلام قام من الليل يصلي وهو يقول يا رب أتهلك قوم لوط قيل يا إبرهيم ليس فيهم مؤمن
قال يا رب فإن كان فيهم خمسون من أهل بيت مؤمنين أتهلكهم قيل لا قال فإن كان فيهم أربعون قيل لا فلم يزل يردد حتى
إن كان فيهم خمسة أبيات مؤمنين رفعنا عنهم البلاء يقول الله تعالى فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فلما
جادلهم إبرهيم عليه السلام قالت له الرسل يا إبرهيم أعرض عن هذا الجدال إنه قد جاء أمر ربك بعذابهم وإنهم
آتيهم عذاب غير مردود قوله تعالى إن إبرهيم لحليم أواه أي غير متسرع في الغضب والحليم المحتمل للأذى

مع قدرته على العقوبة والمكافاة والأواه الدعاء وقيل الرحيم وقيل المتأوه خوفا وأسفا على الذنوب
والمنيب هو الراجع إلى الله قوله تعالى يا إبرهيم أعرض عن هذا أي عن جدالك إنه قد جاء أمر ربك
بهلاكهم وإنهم آتيهم عذاب غير مردود أي مصروف عنهم قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم
ذرعا يعني لما جاءت الملائكة لوطا ساءه مجيئهم وضاق بمجيئهم قلبه فإنهم جاؤه في صورة الغلمان المرد الحسان
وكان قد علم عادة قومه فخاف عليهم من صنع قومه وقال في نفسه هذا يوم عصيب أي شديد لازم شره كالمعصوب
العصابة كأنه قال هذا يوم التف الشر فيه بالشر وأما ضيق الذرع فموضع موضع ضيق الصدر يقال ضاق فلان ذرعا
إذا لم يجد في ذلك مخلصا وقيل معناه ضاق بهم وسعا وكان لوط ضاق وسعه بهم أن يحفظهم وفي الخبر أنه حملهم
فيما بين مؤنته فلما كان في وقت غفلة الناس حملهم إلى داره فذهبت امرأته الخبيثة وأخبرت بهم وقالت إنه
نزل عند لوط أضياف لم نر قط أحسن وجوها منهم ولا أطيب رائحة ولا أنظف ثيابا قوله تعالى وجاءه قومه
يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات وذلك أن امرأة لوط لما أخبرتهم بأضيافه جاؤا إلى داره يهرعون
إليه ويهرولون هرولة والإهراع مشي بين مشيين ومن قبل ذلك كانوا يعملون المعاصي وهي ما كانوا يعملون من الفاحشة
مع الذكور فإنهم كانوا يعملون ذلك من دون أن يخفي بعضهم عن بعض قال لهم لوط عليه السلام يا قوم هؤلاء بناتي
عرض عليهم بناته نكاحا وأظهر في نفسه ضيقهم مما لا يبلغ منه إظهار الكرم في باب الأضياف وذكر بناته ليدل بذلك
على التشديد في دفعهم عما أرادوا وكان يجوز في ذلك الوقت تزويج المسلمة من الكافر كما كان يجوز في شريعتنا في ابتداء الإسلام
فإن النبي صلى الله عليه وسلم زوج ابنته من أبي العاص بن الربيع وقيل أراد بقوله هؤلاء بناتي بنات قومه لأن النبي
يكون للقوم بمنزلة الوالد قوله تعالى فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أي اتقوا عقاب الله ولا تلزموني
عيبا في ضيفي أليس منكم رجل رشيد في نفسه ينهى عن هذا الأمر ويزجر الآخرين عنه قوله تعالى
قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق أي من حاجة وإنك لتعلم ما نريد يعنون الغلمان دون النساء قوله تعالى
قال لو أن لي بكم قوة أي أدفعكم بها عن أضيافي ويمكنني أن أوي إلى ركن شديد أي قبيلة أستعين بها على دفعكم لمنعتكم أشد
المنع مما تحاولون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد أي
إلى الله وملائكته وقال ابن عباس فلما علم جبريل والملائكة خوف لوط من تهديد قومه وقد كان لوط أغلق
الباب على نفسه وعلى الملائكة وهو يناشد قومه قال له جبريل يا لوط إن ركنك لشديد وإنهم آتيهم عذاب غير مردود
إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فقام جبريل في الصورة التي يكون
فيها في السماء فنشر جناحه وضرب به وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون
إلى بيوتهم فقال لوط عليه السلام متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال أريد أسرع من ذلك فقال أليس الصبح بقريب
وذلك قوله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم ثم قالوا له فأسر بأهلك وفيه قراءتان فأسر بالقطع والوصل
وهما لغتان بمعنى واحد قوله تعالى بقطع من الليل أي في آخر الليل عند السحر وقال الضحاك بقطع
أي بقية وقال قتادة بعد ما مضى صدره ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك قرأ ابن كثير وأبو عمرو امرأتك
رفعا على الاستثناء من الالتفات أي ولا يلتفت أحد إلا امرأتك فإنها تلتفت فتهلك وقرأ الباقون بالنصب على الاستثناء
من الإسراء أي فأسر بأهلك إلا امرأتك فلا تسر بها وخلفها مع قومها قوله تعالى إنه مصيبها ما أصابهم ظاهر المعنى
قوله تعالى إن موعدهم الصبح أي قالت الملائكة إن وقت هلاكهم الصبح فقال لوط الآن يا جبريل وإنما قال ذلك لضيق
صدره وشدة غيظه عليهم فقال جبريل أليس الصبح بقريب وفي هذا بيان أن الله لا يهلك أحدا قبل انقضاء مدته
وإن ضاقت صدور أوليائه عنه وعن ابن عباس أن جبريل عليه السلام لما قالوا للوط فأسر بأهلك بقطع من الليل قال
لوط يا جبريل كيف أصنع وأبواب المدينة قد أغلقت فحمل له جبريل أهله وبقره وغنمه وماله واحتملهم على جناحه
حتى أخرجهم من المدينة فانطلق بهم متوجها إلى صغر وهي على أربع فراسخ من مداين لوط وهي إحدى القرى

الخمس سدوم وداد وعاموراء وصبوائم وكان أهل صغر يعملون عملهم وكان في كل مدينة ألف مقاتل
فما سار لوط فرسخين حتى سمع الصيحة كما روي أن جبريل عليه السلام جعل جناحه في أسفلها فرفعها من الأرض السابعة
إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها وجعل أسفلها أعلاها وأعلاها أسفلها وأقبلت
تهوي من السماء إلى الأرض فذلك قوله تعالى فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من
سجيل قال قتادة لما رفعت إلى السماء أمر الله عليهم حجارة الكبريت والنار ثم قلبت عليهم قوله تعالى وأمطرنا
عليها حجارة من سجيل قيل أمطر الله الحجارة على شذاذهم ومسافريهم واختلفوا في السجيل فقال هو فارسية معربة
وفيه بيان أن تلك الحجارة كانت شديدة صلبة نحو ما طبخ من الطين فيصير كالآجر وأصله سنك وكل يدل عليه قوله
تعالى لنرسل عليهم حجارة من طين وقال بعضهم هو من السجل وهو الإرسال فيكون معناه حجارة مرسلة ويقال
السجيل سماء الدنيا وقيل السجيل والسجين الشديد من الحجر قوله تعالى منضود أي بعضها فوق بعض قوله تعالى
مسومة أي معلمة بعلامة المعاقبين وكانت مخططة بالسواد والحمرة والبياض وقيل كان مكتوبا على كل حجر
اسم من هلك به قوله تعالى عند ربك أي أعلمها الملائكة في السماء بأمر الله قوله تعالى وما هي من الظالمين ببعيد
أي وما تلك الحجارة من ظالمي أمتك ببعيد وعن ابن عباس أنه قال والله لا تذهب الليالي والأيام حتى يستحل هذه الأمة
أدبار الرجال كما استحلوا النساء فإذا ذهبت الليالي حتى تصيب طوائف من هذه الأمة حجارة من عند ربك قوله
تعالى وإلى مدين أخاهم شعيبا أي وأرسلنا إلى مدين بن إبراهيم أخاهم في النسب قوله تعالى ولا تنقصوا
المكيال والميزان أي لا تنقصوا حقوق الناس عند الكيل والوزن عليهم بالتطفيف إني أراكم بخير أي أراكم في الخصب
والرخص ما يغنيكم عن بخس الناس حقوقهم وقيل معناه أراكم في كثرة الأموال وأنتم مستغنون عن نقص الكيل والوزن وإني أخاف
عليكم عذاب يوم محيط أي عذابا يحيط بكم فلا يفلت منكم أحد قوله تعالى ويا قوم أوفوا المكيال والميزان
بالقسط أي بالعدل ولا تبخسوا الناس أشياءهم أي لا تنقصوهم حقوقهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين
أي لا تضطربوا في الأرض بالقبيح مفسدين بالمعاصي قوله تعالى بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين معناه
ما أبقاه الله لكم من الحلال بعد إتمام الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه من البخس والتطفيف إن كنتم مصدقين بما أقوله
لكم ويقال أراد بالبقية طاعة الله فإنما هي التي تبقى ثوابها قوله تعالى وما أنا عليكم بحفيظ أي لم أوكل
بحفظكم فإنما أنا لكم واعظ قوله تعالى قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا
ما نشاء أي قالوا يا شعيب أكثرة صلواتك التي تفعلها تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا وتأمرك أن تأمرنا أن لا نفعل
في أموالنا ما نشاء وقال عطاء معنى قوله أصلواتك أي دينك يأمرك وكنى عن الدين بالصلاة لأنها من أمر الدين وكان شعيب
كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا قوله تعالى إنك لأنت الحليم الرشيد أي السفيه الجاهل فذكروا الحليم الرشيد
على جهة الاستهزاء هكذا روي عن ابن عباس ويقال قالوا ذلك على جهة التحقيق إنك لأنت الحليم الرشيد في قومك فكيف
تنهانا عن عبادة ما يعبد آباؤنا وعن أن نفعل في أموالنا ما نشاء من البخس والتطفيف كأنهم استبعدوا أن يكون آباؤهم
قد أخطأوا في دينهم ورأيهم قوله تعالى قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي أي قال لهم شعيب أخبروني
إن كنت على دلالة واضحة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا قيل أراد النبوة فإنها أعظم نعم الله تعالى وقيل
أراد به الحلال قال ابن عباس كان شعيب عليه السلام كثير المال كثير الصلاة وقيل معنى قوله رزقا حسنا أي علما
ومعرفة وأما جواب قوله إن كنت على بينة من ربي فمحذوف وتقديره إن كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال
أتبع الضلال فأبخس وأطفف وأشوب الحلال بالحرام كما تفعلونه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى ما
أنهاكم عنه أي ما أريد أن تتركوا ما أنهاكم عنه لأعمل أنا به والمعنى لست أنهاكم عن شيء ثم أدخل فيه إن أريد
إلا الإصلاح ما استطعت أي ما أريد إلا الإصلاح في أمر الدين والمعاش بقدر استطاعتي قوله تعالى وما توفيقي
إلا بالله أي ما توفيقي للإصلاح إلا بالله والتوفيق من الله هو كل فعل يقرب العبد عنده اختيار الطاعة والفلاح

ولو لم يكن لكان يختار خلاف ذلك قوله تعالى عليه توكلت أي فوضت أمري إلى الله قوله تعالى وإليه أنيب
أي أرجع قوله تعالى ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح
أي لا يحملنكم عداوتي أن لا تؤمنوا فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق وقوم هود من الريح العقيم وقوم صالح
من الصيحة وما قوم لوط منكم ببعيد أي قد بلغكم ما أصابهم وهم أقرب إليكم ممن تقدمهم ويجوز أن يكون المراد
بذلك قرب ما بينهم وبينهم ويجوز أن يكون المراد به قرب ديارهم منهم وكل ذلك أقرب إلى الاعتبار قوله تعالى واستغفروا
ربكم ثم توبوا إليه أي استغفروه من الشرك والذنوب ثم توبوا إليه بالإخلاص إن ربي رحيم ودود بعباده
يتودد إليهم بالنعم وقبول التوبة قوله تعالى قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول أي ما نفهم كثيرا مما
تقول قال ابن الأنباري معناه ما نفقه صحة كثير مما تقول تعظنا به من التوحيد والبعث وما تأمرهم به من الزكاة
وترك البخس والفقه في اللغة هو استدراك معنى الكلام قوله تعالى وإنا لنراك فينا ضعيفا قال ابن عباس
أرادوا بالضعيف أنه ضرير البصر وقال سعيد بن جبير معناه إنا لنراك أعمى وقد روي أنه كان قد ذهب بصره من كثرة بكائه
من خشية الله تعالى وفي بعض الروايات أنه عمي ثلاث مرات وكان الله تعالى يرد عليه بصره حتى أوحى الله يا شعيب
ما هذا البكاء قال شوقا إليك يا رب وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شعيب فقال ذاك خطيب الأنبياء صلوات
الله عليهم أجمعين قوله تعالى ولولا رهطك لرجمناك أي لولا عشيرتك لقتلناك بالحجارة وما أنت علينا
بعزيز أي إنا لا ندع قتلك لعزتك علينا ولكن لأجل قومك والمعنى لست تمتنع علينا أن نقتلك لولا ما نرعى من حق
عشيرتك قوله تعالى قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله أي إنكم تزعمون أنكم تتركون قتلي إكراما
لرهطي والله تعالى أولى بأن تتبع أمره أي إنكم تركتم قتلي لأجل عشيرتي ولا تتركونه لأجل الله قوله تعالى واتخذتموه
وراءكم ظهريا أي نبذتم أمر الله وراء ظهوركم إن ربي بما تعملون محيط أي عليم لا يعزب عنه علم شيء والظهري
ما ينبذه الإنسان وراء ظهره قوله تعالى ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل أي اعملوا على دينكم إني عامل على
ديني وهذا على سبيل التهديد والوعيد والمكانة والمكان بمعنى واحد قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب
يخزيه أي يذله ويهينه وتعلمون من هو كاذب على الله وارتقبوا إني معكم رقيب أي انتظروا إني منتظر
معكم قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا أي نجينا شعيبا من عذاب الله
ونجينا الذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة يعني من قوم شعيب قال ابن عباس صاح جبريل
بهم صيحة خرجت أرواحهم من أجسادهم فأصبحوا في ديارهم جاثمين أي ميتين ساقطين على وجوههم وقيل باركين على
ركبهم كأن لم يغنوا فيها أي كأن لم يكونوا على الأرض قط قوله تعالى ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود معناه ألا
هلاكا لقوم شعيب كما هلكت ثمود وإنما شبههم بثمود لأن الصيحة كانت سببا في هلاك الفريقين جميعا قال ابن عباس
وذلك أن مدين أصابهم حر شديد ولم تتحرك الريح ليلا ولا نهارا وكان يحرقهم بالليل حر القمر وبالنهار حر الشمس فبعث
الله سبحانه لهم سحابة الظلة فيها عذابهم فأتوها يستظلون تحتها ويطلبون الروح فأرسل عليهم الهلاك من فوقهم ومن
الأرض العذاب وأحرقتهم السحابة وذلك قوله تعالى فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم قال
ولم تعذب أمتان بعذاب واحد إلا قوم شعيب وقوم صالح فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب
فأخذتهم الصيحة من فوقهم قوله تعالى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين أي أرسلنا موسى
بدلائلنا والآية العلامة التي فيها العبرة وقوله تعالى وسلطان مبين أي وحجة بينة مسلطة على إبطال
الفاسد وقوله تعالى إلى فرعون وملئه أي إلى فرعون وأشراف قومه فاتبعوا أمر فرعون أي اتبعوا
قوله وتركوا أمر الله وما أمر فرعون برشيد أي ما هو بصائب لأنهم اتبعوه وخالفوا أمر موسى قوله تعالى
يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود أي يمشي أمام قومه يوم القيامة حتى يقحمهم
النار وإنما يمشي أمام قومه يوم القيامة لأنهم اتبعوه في الدنيا حتى هواهم إلى طريق النار فكذلك يمشي بهم في الآخرة

حتى يدخل بهم النار وانما عطف الماضي الذي هو فأوردهم على المستقبل فهو على معنى فهو اذا قدمهم أوردهم
النار وانما لم يقل يقدم ولم يقل فيسوق لان قوله يقدم قومه يدل على انه يمشي بين ايديهم قوله تعالى وبئس
الورد المورود أي بئس القوم المورود بهم الى النار. وقيل معناه بئس الموقف المورود فيه الى النار والورود
في الحقيقة انما يستعمل في الماء كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين ولكن لما كان فرعون وقومه في الآخرة يكونون
عطاشا ويردون على ما بهم من العطش استعمل فيهم هذه اللفظة قوله تعالى واتبعوا في هذه لعنة أي
واتبعهم الله في الدنيا لعنة بابعادهم عن الرحمة بالغرق ويوم القيمة لهم لعنة أخرى وهي النار بئست
اللعنة على اثر اللعنة ترادفت عليهم اللعنتان الغرق في الدنيا والنار في الآخرة والرفد في اللغة هو العون قال
الامر الا ان العطية تسمى رفدا لما فيها من العون كانه قال بئس العطاء ما اعطوا وقال بعضهم هذا من
المقلوب أي بئس الرفد المرفود والرفد لعنة الله عليهم والمرفود لعن الانبياء والمؤمنين قوله تعالى
ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد أي ذلك الذي ذكرت لك يا محمد من اخبار الامم الماضية
نزل به عليك جبريل عليه السلام نقصهم عليك مرة بعد مرة والقصص مأخوذ من اتباع الشيء الشيء قوله
تعالى منها قائم وحصيد أي منها قائم الابنية وقد باد اهله كما قال تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد والحصيد
ما هلك اهله فلا يبقى له مكان ولا اثر نحو مدائن قوم لوط حصدت من الارض السفلى. ويعني منها قائم تتبين
حيطانه ومنها حصيد مخسوف به قد امحى اثره قال ابن عباس قائم تنظرون اليه والى ما بقي من اثره وحصيد
قد خرب ولم يبق له اثر شبهه بالزرع اذا حصد قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم أي
ما ظلمناهم باهلاكهم ولكن ظلموا انفسهم بسوء اختيارهم فما اغنت عنهم آلهتهم أي فما نفعتهم آلهتهم.
التي كانوا يعبدون من دون الله لما جاء امر ربك بالعذاب وما زادوهم غير تتبيب أي غير تخسير
ومنه تبت يدا ابي لهب أي خسرت يداه وخسر هو قوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة
معناه كما اخذ ربك فرعون ومن بعده من الكفار فلذلك يكون اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي كافرة
قوله تعالى ان اخذه اليم شديد ظاهر المعنى وقوله تعالى وهي ظالمة من صفة القرى وهي في الحقيقة لاهلها
وسكانها ونحو هذا قوله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوما آخرين قوله تعالى
ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة أي ان في ذلك لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة فلا يتعدى بهم قوله
تعالى ذلك يوم مجموع له الناس معناه ان يوم القيمة يوم تجمع فيه الاولون والآخرون قوله تعالى وذلك
يوم مشهود أي يشهده اهل السماء والارض قوله تعالى وما نؤخره الا لاجل معدود أي ما نؤخر ذلك
الا لاجل معدود قد عده الله وعلم ان صلاح الخلق في ادامة التكليف عليهم الى ذلك الاجل قوله تعالى يوم يأت
لا تكلم نفس الا باذنه من قرأ يأتي باثبات الياء فعلى الاصل ومعناه يوم يأتي ذلك اليوم لا تكلم نفس في الشفاعة
الا بامر الله ويقال لا يجترئ احد ان يتكلم بالاحتجاج والاقامة الحذر من هيبة الله الا باذنه ومن قرأ يأت
بغير ياء فهي لغة هذيل وهكذا في مصحف عثمان رضي الله عنه تقول العرب لا ادر ولا ابل فيحذف الياء
ويجتزي بالكسرة قوله تعالى فمنهم شقي وسعيد أي من الناس يومئذ شقي وسعيد قوله تعالى فاما الذين
شقوا ففي النار أي فاما الذين كتبت عليهم الشقاوة ففي النار وقال بعضهم شقوا بفعلهم وقال بعضهم شقوا
في بطون امهاتهم وما شقي احد بفعله لانه ما شقي في بطن امه وما شقي في بطن امه الا بعد ما علم الله فيه
وانما الحجة اللوم بالشقاوة المخرجة بالشقاوة المعلومة وكذا السعادة على هذا الحكم قوله تعالى
لهم فيها زفير وشهيق الزفير شدة الانين في الصدر والشهيق الانين الشديد المرتفع نحو الرعقة التي
تكون من شدة البكاء في الحزن وربما يتبعها الغشية. ومن هذا قالوا ان الزفير اول صوت نهيق الحمار
والشهيق آخر صوته وقيل يسمى رأس الجبل شاهقا لارتفاعه قوله تعالى خالدين فيها أي دائمين

في النار قوله تعالى ما دامت السموات والارض قال بعضهم اراد بذلك مقدار سماء الدنيا وارضها
وذلك ان العرب اذا ارادت تأكيد التأبيد قالت ما دامت السموات والارض وما لاح كوكب وما اضاء القمر وما اختلف
الجديدان ولا يريد بذلك الشرط وانما تريد التأكيد والتأبيد قوله تعالى الا ما شاء ربك أي سوى ما شاء ربك
من الخلود بعد مضي مقدار سماء الدنيا وارضها. وقال بعضهم يعني الابد ما دام سماء النار وارضها وسماء
الجنة وارضها وقوله تعالى الا ما شاء ربك مذكور على وجه التأبيد ايضا قوله تعالى ان ربك فعال لما يريد
أي يفعل ما يشاء قوله تعالى واما الذين سعدوا من قرأ سعدوا بضم السين فمعناه رزقوا السعادة ومن قرأ
ذلك اهل الكوفة قوله تعالى عطاء غير مجذوذ أي اعطاهم النعيم عطاء غير مجذوذ أي غير مقطوع قوله تعالى
فلا تك في مرية أي فلا تك يا محمد في مرية مما يعبد هؤلاء من دون الله انه باطل والمرية هي الشك
مع ظهور دلائل التهمة قوله تعالى ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم معناه ما يعبدون الا على جهة التقليد
لآبائهم قوله تعالى وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص أي حظهم من العذاب غير منقوص عن مقدار ما
يستحقون آيسهم الله بهذا القول عن العفو وقيل اراد بالنصيب الارزاق والآجال وما قدر لهم في دنياهم قوله
تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه أي ولقد اعطينا موسى الكتاب يصدق به بعضهم ويكذب
به بعضهم ولولا كلمة سبقت من ربك أي لولا وعد الله سبق بابقاء التكليف على الخلق الى وقت انقضاء
الدنيا لما علم من المصلحة في ابقاء التكليف عليهم الى ذلك الوقت لقضي بتعجيل العقاب لمن استحق العقاب في الدنيا وتعجيل
الثواب في الدنيا قوله تعالى وانهم لفي شك منه مريب أي وانهم لفي شك من القرآن ونبيهم قوله تعالى وان
كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم معناه وان كلا من الفريقين المصدق والمكذب جميعا ان يوم القيمة ليوفينهم
ربك جزاء اعمالهم على التمام انه بما يعملون وبما يستحقون من الجزاء خبير قرأ ابن كثير ونافع وان كلا
لما كلاهما بالتخفيف. وقرأ ابو عمرو والكسائي وان كلا بالتشديد لما بالتخفيف. وقرأ ابو بكر عن عاصم وان مخففة لما
مشددة والباقون كلاهما بالتشديد فحجة ابي عمرو والكسائي ان اللام من قوله لما لام التأكيد دخلت في خبر ان
واللام التي في ليوفينهم لام القسم تقديره والله ليوفينهم ودخلت ما للفصل بين اللامين واما حجة نافع وابن كثير في
نصب كلا ما قال سيبويه انه سمع من العرب من يقول ان عمرا لمنطلق فيخففون ان ويعملونها وانشد
ووجه حسن النحر. كأن ثدياه حقان والمعنى على قراءة ابي عمرو وان كلا من السعيد والشقي ليوفينهم ربك
اعمالهم وما زائدة في قوله لما ومن خففها كان معناه معنى المشددة تقول ان زيدا القائم وان زيد لقائم
تريد اثبات قيامه فاذا قلت ان زيد قائم فمعناه ما زيد قائم ونظيره قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ بتخفيف
لما تقديره لعليها حافظ ومن خففها وشدد لما فاولئك المجد والمحققون أي ما كل الا ليوفينهم وتنصب
كلا على هذا التأويل بل ليوفينهم لا بان قوله تعالى فاستقم كما امرت أي استقم يا محمد في التمسك بطاعة
الله تعالى كما امرت وليستقم من تاب معك من الشرك ولا تطغوا لا تجاوزوا امر الله تعالى انه
بما تعملون من الخير والشر بصير قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار أي
لا تميلوا الى الذين ظلموا بالانس والمحبة لهم والرضا بفعلهم وقال السدي معناه ولا تداهنوا الظلمة وقال
ابو العالية لا ترضوا باعمالهم وقال عكرمة هو ان تطيعوهم وقال قتادة لا تلحقوا بالمشركين وقوله تعالى
فتمسكم النار أي فيصيبكم كما تصيبهم وما لكم من دون الله من اولياء أعوان يدفعون عنكم عذاب الله
ثم لا تنصرون على اعدائكم لان الله تعالى لا ينصر الظالمين قوله تعالى واقم الصلوة طرفي النهار أي
وقت الغداة والعصر وزلفا من الليل أي ساعة بعد ساعة من الليل يعني صلوة المغرب والعشاء والزلف
جمع الزلفة وهي الساعة القريبة من اول الليل وقال ان صلوة الظهر داخلة في قوله طرفي النهار لان
النهار لا يعد الزوال فاذا زالت الشمس فقد دخل الطرف الآخر خصوصا اذا اعتبر النهار من طلوع الفجر.

قوله تعالى إن الحسنات يذهبن السيئات أي إن الصلوات الخمس يذهبن الصغائر كما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر
وقيل معناه أن التوبة تكفر عقاب السيئات وقيل أراد بالحسنات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
قوله تعالى ذلك ذكرى للذاكرين أي ذلك الخطاب تذكير للذاكرين الذين يذكرون أوامر الله ونواهيه
بها ويذكرون نواهيه فيجتنبون معاصيه • وعن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في رجل تمار يقال له عمرو بن غزية
الأنصاري أتته امرأة تبتاع تمرا فأعجبته فقال إن في البيت تمرا أجود منه فانطلقي معي حتى أعطيك منه فانطلقت
معه فلما دخلت البيت وثب عليها فلم يترك شيئا مما يفعله الرجل بالمرأة إلا وقد فعله إلا أنه لم يجامعها
ثم ندم وقبلها وحدث في نفسه فقالت له اتق الله فتركها وندم ثم اغتسل وأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ما تقول في رجل راود امرأة عن نفسها ولم يبق شيئا مما يفعله الرجال بالنساء غير أنه لم يجامعها
فقال عمر لقد ستر الله لو سترت على نفسك ولم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا وقال ما أدري
ما أرد عليك حتى يأتي فيك شيء فحضرت صلاة العصر فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة نزل جبريل
بتوبته بهذه الآية فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله أخاص له أم عام فقال بل عام
للناس كلهم قوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية أي فهلا كان من القرون
الماضية وقيل فلم لا كان من القرون من قبلكم ذو تمييز ينهون عن الفساد في الأرض أي لما اطبقوا
كلهم على المعصية حتى استحقوا بذلك عذاب الاستئصال والبقية في اللغة ما يمدح به الإنسان يقال فلان في
بقية وفي بني فلان بقية قوله تعالى إلا قليلا ممن أنجينا منهم كانوا ينهون عن الفساد وهم
الأنبياء عليهم السلام والصالحون فأنجيناهم من العذاب قوله تعالى واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه
أي أقبلوا على ما خولوا في دنياهم واشتغلوا بذلك عن طاعة الله فلم ينهوا عن الفساد وعتوا عن أمر الله هم
وآثروا الدنيا وبطروا وكانوا مجرمين أي وكانوا مذنبين بترك الأمر بالمعروف قوله تعالى
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون أي لم يكن ربك ليهلك أهل القرى بظلم منه عليهم
إذا كان أهلها مصلحين ولكن إنما كان يهلكهم بظلمهم أنفسهم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه ما كان
ليهلك أهل القرى بشركهم وهم مصلحون يتعاطون الحق بينهم أي ليس من سنة الكفار إذا قصدوا الحق في المعاملة
وترك الظلم [illegible] الله بهم عذابا يهلكهم والمعنى ما كان الله ليهلكهم بشركهم وهم مصلحون فيما بينهم لا يتظالمون
ويتعاطون الحق بينهم وإنما يهلكهم إذا تظالموا من مكافأة الشرك بالنار أي إنما يهلكهم بزيادة المعصية على الشرك
كما في قوم لوط وقوم صالح وقوم موسى وغيرهم قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة أي
لجعلهم كلهم على دين الإسلام ولكن علم أنهم كلهم ليسوا بأهل لذلك وقيل لو شاء لألجأهم إلى الإيمان فآمنوا كلهم ضرورة
ولكن لو فعل ذلك لزال التكليف قوله تعالى ولا يزالون مختلفين أي في الدين على أديان شتى يهودي
ونصراني ومجوسي وغير ذلك قوله تعالى إلا من رحم ربك أي إلا من عصمه ربك من الباطل
ولم يذهب إلى المخالفة بأن لطف به ووفقه للإيمان المؤدي إلى الثواب فهو ناج من الاختلاف الباطل
قوله تعالى ولذلك خلقهم أي وللرحمة خلقهم أي لكي يؤمنوا فيرحمهم وقيل معناه وللاختلاف
خلقهم فتكون اللام في هذا لام العاقبة قوله تعالى وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة و
الناس أجمعين أي من كفار الجن وكفار الإنس قوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به
فؤادك أي كل القصص وكل ما تحتاج إليه نبينه لك من أخبار الرسل ما تطيب وتسكن به قلبك ونزيدك
يقينا ونقوي قلبك وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوذي وصدر من أذى قومه في الله يقص الله عليه
شيئا من أخبار الرسل المتقدمين مع أممهم ليثبت به فؤاده • قوله تعالى وجاءك في هذه الحق أي

هذه السورة الصدق من أقاصيص الأنبياء والمواعظ وذكر الجنة والنار وخصت هذه السورة بمجيء الحق
فيها تشريفا لها ورفعا لمنزلتها وقيل أراد بقوله في هذه الدنيا والموعظة تعريف القبيح للزجر عنه وتعريف
الحسن للترغيب فيه والذكرى هي الذكر قوله تعالى وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم أي اثبتوا على
ما أنتم عليه كثبات الرجل على مكانه وهذا على وجه التهديد وانتظروا ما يعدكم الشيطان • فإنا منتظرون
على ما وعد الله بنا ونزول ما وعد الله بكم قوله تعالى ولله غيب السموات والأرض أي له ما غاب
عن العباد في السموات والأرض وإليه يرجع الأمر أمر العباد كله فاعبده وتوكل عليه وما
ربك بغافل عما تعملون أي يجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته وقرئ تعملون بالتاء على معنى قل لهم ذلك وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة هود أعطي من الأجر بعدد من صدق نوحا وهودا وشعيبا ولوطا
وصالحا وإبراهيم وموسى ومن كذبهم عشر حسنات وكان عند الله يوم القيمة من السعداء •

سورة يوسف مكية

مائة وإحدى عشرة آية وألف وتسعمائة وستون كلمة وسبعة آلاف وسبعمائة و
ستة عشر حرفا • وعن أبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال علموا أرقاءكم سورة
يوسف فأيما مسلم قرأها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه من القوة أن لا يحسد مسلما
وبالله التوفيق •

بسم الله الرحمن الرحيم الر قد تقدم تفسيره
قوله تعالى تلك آيات الكتاب المبين قيل معناه هذه آيات الكتاب المبين وقيل معناه سورة يوسف آيات الكتاب
على القول الذي يقال إن الر اسم السورة وقوله تعالى المبين لأنه يبين الهدى والرشد وقيل المبين حلاله وحرامه
وحدوده وأحكامه قوله تعالى إنا أنزلناه قرآنا عربيا أي أنزلنا القرآن على مجاري كلام العرب في مخاطباتهم
لكي يعلموا معناه ويفهموا ما فيه ولو نزل بغير لغة العرب لما علموه قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص
بما أوحينا إليك هذا القرآن أي نحن نبين لك أحسن البيان والقاص هو الذي يأتي بالقصة على حقيقتها
واختلف العلماء لم سميت أحسن القصص من بين الأقاصيص فقيل سماها أحسن القصص لأنه ليس قصة في القرآن تتضمن
من العبر والحكم والنكت ما تتضمن هذه القصة وقيل سماها أحسن القصص لامتداد الأوقات فيما بين مبتداها إلى منتهاها
قال ابن عباس كان بين رؤيا يوسف ومسير أبيه وإخوته إليه أربعون سنة وقيل سماها أحسن القصص لأن
فيها ذكر الأنبياء والملائكة والصالحين والإنس والجن والأنعام والطير والملوك والممالك والتجار والعلماء والجهال
والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن وفيها أيضا ذكر التوحيد والفقه والسير وتعبير الرؤيا والسياسة والمعاشرة
والتدبير والمعاش فصارت أحسن القصص لما فيها من المعاني الجزيلة والفوائد الجليلة التي تصلح للدين والدنيا وقيل
أحسن بمعنى أعجب كذا في تفسير الثعلبي وقيل المراد بأحسن القصص جميع القصص التي في القرآن فإن الله تعالى ذكر
في القرآن أخبار الأمم الماضية وحال رسلهم عليهم الصلوة والسلام وذكر جميع ما يحتاج العباد إليه إلى
يوم القيمة بأعذب لفظ في أحسن نظم وترتيب قوله تعالى بما أوحينا إليك هذا القرآن أي بإيحائنا
إليك هذا القرآن قوله تعالى وإن كنت من قبله لمن الغافلين أي وقد كنت من قبل نزول جبريل عليك
بالقرآن غافلا عن قصة يوسف وعن الحكمة فيها قوله تعالى إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت
أحد عشر كوكبا الآية متصل بما قبله فإن معناه نحن نقص عليك أحسن القصص إذ قال يوسف لأبيه قرأه
طلحة بن مصرف يؤسف بكسر السين وقرأ ابن عامر يا أبت بفتح التاء في جميع القرآن وأصله على هذا يا أبتاه ثم
حذف الألف وأبقيت الفتحة دالة عليها قال رؤبة • يا أبتا علك أو عساكا • وقرأ الباقون يا أبت
أحد عشر كوكبا قال المفسرون رأى يوسف هذه الرؤيا وهو ابن اثنتي عشرة سنة قال ابن عباس وذلك
أنه قال لأبيه يا أبت إني رأيت في المنام أحد عشر كوكبا نزلت من أماكنها فسجدت لي ورأيت الشمس والقمر

نزلا من أماكنها فسجدا لي وأراد بذلك السجود سجود التحية والعبادة لله عز وجل كما تقدم في سجود الملائكة لآدم
عليه السلام وكانت رؤياه ليلة القدر ليلة الجمعة وكان تأويل رؤياه عند يعقوب بأن الشمس والقمر هو أبوه وخالته
وإنما أم يوسف وهي راحيل كانت قد ماتت وأن الأحد عشر كوكبا أخوة يوسف كانوا أحد عشر أخا له وأنهم
كانوا كلهم يخضعون ليوسف وإنما أولها يعقوب على ذلك لأنه أتى ضوء من الشمس والقمر وهدى بضوئها أهل
الأرض في أشياء تحتاج إليها وضوء من الكواكب فدلت رؤياه على أن الذين يخضعون له أئمة الهدى الذين يهتدى الناس
بهم قوله تعالى رأيتهم لي ساجدين ثنى رأيتهم بمكان لأنه أراد بالرؤية الثانية رؤية سجودهم له وإنما حمل الأولى على
على الرؤية بالعين لأنا نعلم أن الكواكب لا تسجد حقيقة للآدميين ولهذا قال يعقوب لا تقصص رؤياك
على إخوتك وعن ابن عباس أنه قال لما قص يوسف رؤياه على أبيه انتهره وزجره لئلا تنقطع إخوته وقال له يا بني
السر إذا رأيت رؤيا بعدها فلا تقصص رؤياك على إخوتك فذلك قوله تعالى لا تقصص رؤياك على إخوتك وإنما
قصها على يعقوب فقط وهذا القول أقرب إلى ظاهر الآية أي لا تخبرهم بذلك كيلا يحملهم الحسد والأنفة من الخضوع له على
إنزال الأذية والاحتيال لهلاكه والكيد هو طلب الشر بالإنسان على جهة الغيظ عليه ● واختلف النحاة في
اللام التي في قوله تعالى فيكيدوا لك كيدا قال بعضهم معناه فيكيدوك واللام صلة كقوله تعالى للذين هم لربهم يرهبون
وقال بعضهم هو مثل قولهم نصحتك ونصحت لك وأشباهه قوله تعالى إن الشيطان للإنسان عدو مبين
أي أن الشيطان عدو ظاهر العداوة لبني آدم فلا تذكر رؤياك لإخوتك لئلا يحملهم الشيطان على الحسد وإنزال المكر
بك وهذا أصل في جواز ترك إظهار النعمة عند من يخشى حسده وكيده وإن كان الله قد قال وأما بنعمة ربك
فحدث ● وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود
قوله تعالى وكذلك يجتبيك ربك أي مثل ما أراك من سجود الشمس والقمر والكواكب كذلك يصطفيك
ربك ويختارك قوله تعالى ويعلمك من تأويل الأحاديث قيل معناه من تأويل الرؤيا يعني تعبيرها
الناس عن رؤياهم وقيل معناه يفهمك عواقب الأمور في الحوادث ويقال ويعلمك الشرائع التي تعلم الأمر قبل الله تعالى
قوله تعالى ويتم نعمته عليك أي يتم نعمته عليك بالنبوة كما أتم النبوة على أبويك قوله تعالى وعلى
آل يعقوب أي ويتم نعمته أيضا على أولاد يعقوب بأن ذلك يكون من قبلهم أي تكون النبوة فيهم إن ربك
عليم بجميع الأمور حكيم في أفعاله وفي بعض التفاسير أن يعقوب عليه السلام لما خطب إلى خاله ابنته راحيل
أن يخدمه سبع سنين فأجابه فلما دخل لراحيل زوجه ابنته الكبرى ليا فقال يعقوب لخاله في ذلك فقال
على شرطي لأنا لا ننكح الصغرى قبل الكبرى فهلم فاخدمني سبع سنين أخرى وأزوجك راحيل وكانوا لا
يجمعون بين الأختين فرعى يعقوب سبع سنين أخرى وزوجه راحيل ودفع إلى كل واحدة من ابنتيه أمة
تخدمها فوهبتا الأمتين ليعقوب عليه السلام فولدت له ليا أربعة بنين روبيل وشمعون ويهوذا ولاوي
وولدت راحيل يوسف وبنيامين وولدت الأمتان نفتالي ونقابل ودان ويستاكر وجاد وأشير فكان
جملة بنيه اثني عشر ولدا سوى البنات فإن قيل إن كان يعقوب علم أن الله يجتبي يوسف ويعلمه من تأويل
الأحاديث فلم قال له لا تقصص رؤياك وكيف قال لهم وأخاف أن يأكله الذئب مع علمه أن الله سيبعثه
نبيا قيل أنه عليه السلام كان عالما من طريق القطع أن الله سيبلغه هذه المنزلة ولكن كان مع
ذلك يخاف من وصول الجفاء إليه بكيدهم وإن لم يخف الهلاك وأراد بقوله وأخاف أن يأكله الذئب
الزجر لهم عن التهاون في حفظه وإن كان يعلم أن الذئب لا يصل إليه ولذلك لم يصدقهم في قولهم فأكله
الذئب بل حاججهم بما ظهر به كذبهم وقيل أراد بقوله ويتم نعمته عليك تخليصه من البئر كما خلص أبويه
إبراهيم عليه السلام من النار وإسحاق من الذبح قوله تعالى لقد كان في يوسف وإخوته آيات
للسائلين معناه لقد كان في خبر يوسف وإخوته عبرة للسائلين عنهم ● وقرأ ابن كثير آية كأنه يجعل

آية كلها آية للسائلين وذلك أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فأخبرهم بها كما في
التوراة فتعجبوا منه وقالوا من أين لك هذا يا محمد قال علمنيه ربي وقيل معناه للسائلين أي لمن سأل عن أمرهم
قوله تعالى إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا هذه لام القسم تقديره والله ليوسف وأخوه
بنيامين أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة أي جماعة وكانوا عشرة سموا عصبة لأن بعضهم يعصب بعضا
ويعين بعضهم بعضا والعصبة ما بين الواحد إلى العشرة وقيل إلى الخمسة عشر قوله تعالى إن أبانا لفي
ضلال مبين أي في خطأ بين في ترك العدل في المحبة بيننا ويقال لفي خطأ بين من التدبير باختياره صغيرين
لا منفعة له فيهما علينا مع أنا نسعى في منافعه ونرعى غنمه ونتعهدها قوله تعالى اقتلوا يوسف أو
اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم اختلفوا في قائل هذا القول قال وهب قاله شمعون وقال
مقاتل قاله روبيل وقوله تعالى أو اطرحوه أرضا يعنون بعده على وجه يقع به الإياس من اجتماعه مع أبيه
قوله تعالى يخل لكم وجه أبيكم أي يخل لكم وجهه عن يوسف وتخلص محبته لكم وتكونوا من بعده
قوما صالحين أي وتوبوا بعد ذلك عن الذنب وتصلح حالتكم مع أبيكم قوله تعالى قال قائل منهم لا تقتلوا
يوسف وألقوه في غيابت الجب قال أكثر المفسرين القائل لهذا هو يهوذا وكان أعقلهم وأشدهم قوة
نهاهم أنه قال لهم اطرحوه في قعر البئر ليلتقطه بعض السيارة على الطريق والغيابة هو الموضع الذي غاب عن
عيونهم والجب هي البئر التي لم تطو بالحجارة قوله تعالى إن كنتم فاعلين معناه قال لهم إن كنتم لا بد فاعلين
به أمرا فاعدلوا إلى هذا الأمر وإلا فاتركوا كل ذلك والظاهر من قوله الجب أنه جب مشار إليه معروف في
وقت هو بأرض الأردن على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب فلما أجمعوا هذا التدبير وعزموا عليه تلطفوا
بالوصول إلى مرادهم وجاءوا إلى أبيهم فقالوا كما قال الله تعالى قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على
يوسف وإنا له لناصحون أي ما لك لا تأمنا عليه ترسله معنا وإنا له لناصحون في الرحمة والبر قوله
تعالى أرسله معنا غدا يرتع ويلعب أي يذهب ويجيء وينشط كلاهما بالنون والياء والرتع
هو التردد يمينا وشمالا للاتساع في الملاذ ومن قرأ يرتع بالياء فهو من يرتعي أي يرعى ماشيته واللعب هو
الفعل الذي يطلب منه التفرج من غير عاقبة وهو على وجهين مباح ومحظور كما قال عليه السلام كل
اللعب حرام إلا ثلاثة ملاعبة الرجل أهله ونبله بقوسه وتأديبه فرسه قوله تعالى وإنا له لحافظون
من الأسواء وعن كل ما تخافه عليه قوله تعالى قال إني ليحزنني أن تذهبوا به أي يحزنني ذهابكم
به لأنه يفارقني ولا أراه وأخاف أن يأكله الذئب ذكر شدة الحزن لذهابهم به والخوف أن يجده
الذئب وحده وقت غفلتهم عنه فيأكله وكان يعقوب قد رأى في منامه كأن ذئبا قد عدا على يوسف وكان
خائفا عليه فمن ذلك قال أخاف أن يأكله الذئب قوله تعالى قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة أي
ونحن جماعة ونرى الذئب قد قصده إنا إذا لخاسرون أي لعاجزون والخسران هاهنا العجز قوله تعالى
فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابات الجب أي فأرسله معهم فلما ذهبوا به واتفقت عزيمتهم
أن يجعلوه في الجب قال السدي خرجوا به من عند أبيهم وهم مكرمون له فلما صاروا في البرية أظهروا له العداوة
فجعل الأخ يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه لا يرى فيهم رحيما فضربوه حتى كادوا أن يقتلوه فجعل يصيح ويقول
يا أبتاه لو تعلم ما صنع بابنك فقال لهم يهوذا أليس قد أعطيتموني موثقا ألا تقتلوه فانطلقوا به إلى الجب
فدلوه فيه فتعلق بشفير البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به
فقالوا ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا يلبسوك ويؤنسوك ودلوه حتى إذا بلغ نصف البئر ألقوه وأرادوا
أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وجعل يبكي فناداه فظن أن الرحمة أدركتهم
فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه بالحجارة ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام قوله تعالى وأوحينا

أنه لتنبئنهم بأمرهم هذا ذكر المفسرون أن أوحى الله إلى يوسف في البئر تقوية لقلبه لتصدقن رؤياك
ولتخبرن إخوتك بصنيعهم هذا بعد اليوم وهم لا يشعرون بأنك يوسف في وقت إخبارك إياهم بأمرهم
وكان فيما أوحى إليه أن اصبر على ما أصابك وأني حافظك وأنك تخبرهم بما فعلوا بك. وعن ابن عباس أن يوسف
كان يومئذ ابن سبع عشرة سنة وبقي في الجب ثلاثة أيام وفي بعض الروايات أنه لما ألقي في الجب جعل يقول
يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي من أمري فرجا ومخرجا فأوحى الله إليه
وهو في البئر أن اصبر على ما أصابك وأني حافظك وأنك تخبر إخوتك في وقت عما فعلوا بك في وقت إخبارك
إياهم بأمرهم ثم عمدوا إلى سخلة فذبحوها وجعلوا دمها على قميص يوسف وجاءوا أباهم عشاء يبكون
كما قال الله تعالى وجاءوا أباهم عشاء يبكون أي يتباكون على يوسف فقالوا يا أبانا إنا ذهبنا
نستبق أي نتسابق في الرمي وقيل نتسابق في الاصطياد وتركنا يوسف عند متاعنا ليحفظه فأكله
الذئب وما أنت بمؤمن لنا أي بمصدق لنا في أمر يوسف لفرط محبتك له وتهمتك إيانا فيه وإن كنا أهل الصدق في
عندك في غير هذا الحديث ثم أروه قميصه ملطخا بالدم فذلك قوله تعالى وجاءوا على قميصه بدم كذب
أي بدم ذي كذب فلما نظر يعقوب إلى القميص قال ما عهدت ذئبا حليما مثل هذا الذئب كيف أكل لحمه ولم يخرق
قميصه ولو أنهم كانوا خرقوا قميصه حين لطخوه بالدم لكان ذلك أبعد من التهمة عنهم ولكن لا بد في التعامي
أن تعتريه الجهالات فقال لهم يعقوب كذبتم بل سولت لكم أنفسكم أمرا أي زينت لكم أنفسكم في هلاك
يوسف بصنيعكم ويقال إن يعقوب لما قال لهم لو أكله الذئب لشق قميصه قالوا قتله اللصوص قال لو
قتله اللصوص لما تركوا قميصه هل يريدون إلا الثياب والمتاع فسكتوا متحيرين قوله تعالى فصبر جميل
أي فصبر جميل أولى بي من الجزع والصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه قوله تعالى والله المستعان على ما
تصفون معناه أستعين بالله على الصبر فيما تقولون وروي أن شريحا كان جالسا للقضاء فجاءت امرأة
تبكي وتشكو بعلها فقال رجل يوشك أن تكون هذه مظلومة فقال شريح قد جاء إخوة يوسف أباهم عشاء يبكون
وهم كذبة قوله تعالى وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم أي جاءت قافلة من المسافرين بعد أن مكث
يوسف عليه السلام في الجب ثلاثة أيام روي أنهم جاءوا من قبل مدين يريدون مصر فأخطأوا الطريق
وتحيروا فجعلوا يهيمون حتى وقعوا في الأرض التي فيها الجب فأرسل كل قوم منهم واردهم والوارد الذي
يتقدم القوم لطلب الماء فوافى الجب مالك بن ذعر وهو رجل من العرب من أهل مدين فأدلى دلوه في
البئر فتعلق بها يوسف فلم يقدر على نزعه فنظر فرأى غلاما قد تعلق بالدلو فنادى أصحابه وقال يا بشراي
هذا غلام قالوا ماذا يا مالك قال غلام أحسن ما يكون من الغلمان فأخبرهم إليه فأخرجوه قال كعب
كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العين مستوي الخلق أبيض اللون غليظ الساقين والساعدين
والعضدين خميص البطن صغير السرة وكان إذا تبسم رأيت النور في ضواحكه لا يستطيع واصف وصفه وكان
حسنه كضوء النهار وكان يشبه آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل أن يصيب المعصية ويقال
إنه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد أعطيت سدس الحسن قوله تعالى قال يا بشراي هذا
غلام من قرأ يا بشراي أي بياء الإضافة فهو خطاب للفرح على القلب كما يقال يا فرحي ويا طربي ومن
قرأ بغير الإضافة فمعناه تبشير للأصحاب كما يقال يا عجبا [illegible] قوله تعالى وأسروه
بضاعة أي أخفاه الذين وجدوا يوسف من رفقائهم ومن القافلة مخافة أن يطلبوا منهم الشركة
في يوسف عليه السلام قوله تعالى بضاعة نصب على المصدر أي قالوا فيما بينهم إنا نقول لأهل الماء
استبضعناه بضاعة لنبيعها لهم ويجوز أن تكون بضاعة نصبا على الحال على معنى أنهم كتموه حين اعتقدوا
التجارة فيه ويقال إن قوله وأسروه بضاعة راجع إلى إخوة يوسف فإنه روي أنهم جاءوا بعد ثلاثة
أيام فلم يجدوه في البئر فنظروا فإذا القوم نزول بقرب البئر فإذا هم بيوسف فقالوا لهم هذا عبدنا

أبق منا منذ ثلاثة أيام وقالوا ليوسف لئن أنكرت أنك عبد لنا لنقتلنك وقالوا للقوم اشتروه منا
فذلك معنى قوله وأسروه بضاعة يريد أنهم طلبوا من يوسف كتمان نسبه إلا أن القول الأول أقرب إلى ظاهر
الآية قوله تعالى والله عليم بما يعملون أي بيوسف فهذا جرى مجرى الوعيد قوله تعالى وشروه
بثمن بخس دراهم أي باعوه إخوته من مالك بن ذعر بعشرين درهما فأصاب كل واحد منهم درهمين فلم يأخذ
يهوذا نصيبه وأخذه الباقون وقال الضحاك باعوه باثني عشر درهما وقال ابن عباس معنى قوله بثمن
بخس أي بثمن حرام لأن ثمن الحر حرام وسمي الحرام بخسا لأنه لا بركة فيه وقال الكلبي باعوه باثنين وعشرين درهما
قوله تعالى معدودة أي قليلة وذكر العدد عبارة عن القلة قوله تعالى وكانوا فيه من
الزاهدين أي لم تكن لهم فيه رغبة ولا في رده إلى أبيه ولم يعلموا منزلته من الله تعالى يعني أن إخوة يوسف
كانوا في يوسف من الزاهدين لأنهم لم يعرفوا كرامته على الله تعالى وقيل معناه وكانوا فيه من الزاهدين
إنما غرضهم أن يبعدوه عن أبيه وكتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته وشروه أي باعوه قال الشاعر

وشريت بردا ليتني ● من بعد برد كنت هامه ●

أي بعت بردا وهو غلامه ثم انطلق مالك بن
ذعر وأصحابه بيوسف وتبعهم إخوته يقولون استوثقوا منه فإنه أبق سارق كاذب وقد برئنا إليكم من عيوبه
فحمله مالك بن ذعر على ناقته وسار به نحو مصر وكان طريقهم على قبر أمه فلما بلغ قبر أمه أسقط نفسه من الناقة
وهو يبكي ويقول يا أماه ارفعي رأسك من الثرى وانظري إلى ولدك يوسف وما لقي بعدك من البلايا يا أماه
لو رأيت ضعفي وذلي لرحمتني يا أماه لو رأيتني وقد نزعوا قميصي وشدوني وفي الجب ألقوني وعلى حجر
جوعوني ولطموني وبالحجارة رجموني ثم فقده مالك بن ذعر فصاح في القافلة ألا إن الغلام رجع إلى أهله
فطلبوه فوجدوه فقال له رجل منهم يا غلام قد أخبرنا مواليك أنك آبق سارق فلم نصدق حتى رأيناك فقال
والله ما أبقت ولكنكم مررتم على قبر أمي فلم أتمالك أن رميت نفسي عليه فرفع يده ولطم وجهه وجره حتى
حمله على ناقته وذهبوا به حتى قدموا مصر فأمره مالك بن ذعر حتى اغتسل ولبس ثيابا حسانا وعرضه على
البيع فاشتراه قطفير بن روحيب وهو العزيز بمصر وكان على خزائن الملك الأعظم وصاحب أمره قال وهب
ترافع الناس في ثمنه وتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا فابتاعه قطفير بهذا الثمن وأتى به إلى
منزله وقال لامرأته واسمها راعيل أكرمي مثواه أي أحسني إليه طول مقامه عندنا عسى أن ينفعنا
في أمورنا وأن نبيعه فنربح في ثمنه أو نتخذه ولدا نتبناه وكان العزيز عقيما وحصورا لا يولد له ولد
وإنما قال ذلك لما رأى على يوسف من الجمال والعقل والهداية إلى الأمور قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف
في الأرض أي كما خلصناه من البئر ومن إخوته كذلك مكناه في أرض مصر ومكناه فيها حتى بلغ ما بلغ قوله
تعالى ولنعلمه من تأويل الأحاديث أي لنعلمه من ضروب العلم والله غالب على أمره أي لا يقدر أحد
منكم على دفع ما أراد من أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله غالب على أمره أي لا يقدر أحد
على دفع ما أراد من أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله غالب على أمره وهم المشركون قوله تعالى ولما بلغ
أشده آتيناه حكما وعلما قال ابن عباس لما بلغ ثماني عشرة سنة آتيناه النبوة والفقه وجعلناه
حكيما عليما قال والأشد من ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة ويقال أقصاه اثنان وستون سنة فأما
الاستواء فهو أربعون سنة وقال الحسن أعطي يوسف الرسالة عند هذه الحالة وكان أعطي النبوة من
قبل ويقال معناه آتيناه حكما وعلما آتيناه الحكم بين الناس فإن الناس كانوا إذا تحاكموا إلى العزيز أمر
يوسف أن يحكم بينهم لما رأى من عقله وأمانته وعلمه قوله تعالى وكذلك نجزي المحسنين أي
كما جزينا يوسف على صبره على المحن كذلك نجزي المحسنين في أعمالهم وأفعالهم قوله تعالى وراودته
التي هو في بيتها عن نفسه أي راودته امرأة العزيز واسمها زليخا وكان يوسف أحسن البشر وكان صورة

النهار والقمر وكان بحيث لا يستطيع آدمي أن يصفه فراودته أي طالبته بمرادها منه وغلقت الأبواب
عليه وعليها وطلبت منه أن يواقعها قوله وغلقت الأبواب قال المفسرون أغلقت سبعة أبواب قوله تعالى
وقالت هيت لك أي هلم إلى ما هيئ لك قرأ ابن كثير هيتُ لك بفتح الهاء وضم التاء وقرأ أهل المدينة
والشام بكسر الهاء وفتح التاء وقرأ الباقون بفتح الهاء والتاء وهي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ومعناه
جميعا هلم وأقبل قال مجاهد تدعوه إلى نفسها وهي كلمة حث قوله تعالى قال معاذ الله أي أعوذ بالله
أن أفعل ما لا يجوز لي فعله وقيل أعتصم بالله عن فعل ما تدعيني إليه قوله تعالى إنه ربي أحسن مثواي ذهب
أكثر المفسرين إلى أن معناه أن زوجك سيدي أحسن تربيتي وسر لي مدة مقامي عنده فلا أخونه في أهله سماه
ربا لأنه الذي كان يتربه في الظاهر عليه وقيل معناه أن الله ربي أحسن إلي بتخليصي من البئر ومما قصده بي
من الهلاك إنه لا يفلح الظالمون أي لا يأمن ولا ينجو من عذاب الله القوم الذين يظلمون أنفسهم بالإقدام على
الزنا ويجوز أن يكون أراد لو فعلت ما دعتني إليه لكنت ظالما لزوجها في أهله وفي قوله هيت خلاف فمن فتح
التاء فلسكونها وسكون الياء قبلها نحو كيف وأين ومن ضم التاء فلبنائها على الضم نحو حيث ومنذ ومن
فتح الهاء وكسر التاء فلأن الأصل في التقاء الساكنين حركة الكسر ويجوز أن يكون مبنيا على الكسر مثل أمس
وجير قوله تعالى ولقد همت به وهم بها قال الحسن أما همها فكان أخبث الهم وهو العزم على الفاحشة وأما
همه فهو ما طبع عليه الرجال من شهوة النساء من دون عزم على الزنا واختلف أهل العلم في ذلك فروي
عن ابن عباس أنه سئل ما بلغ من هم يوسف قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن وعن ابن أبي مليكة قال سألت
ابن عباس ما بلغ من هم يوسف قال استلقت له على قفاها وقعد بين رجليها ينزع ثيابه وهذا قول سعيد بن جبير
والسدي وروي عن ابن عباس أيضا لما دنا يوسف جعلت تذكر محاسنه وتشوقه إلى نفسها فقالت يا يوسف ما أحسن
عينيك قال هما أول ما يسيل على الأرض من جسدي قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب كله قالت ما أحسن شعرك
قال هو أول ما ينتثر من بدني قالت ما أحسن صورتك قال ربي صورني قالت يا يوسف صورة وجهك أحلت جسمي
قال الشيطان يعينك على ذلك قالت فراش الحرير قد بسطته لك فاقض حاجتك قال إذا يذهب نصيبي من الجنة قالت
ادخل في الستر معي قال ليس شيء يسترني من ربي فلم تزل تدعوه إلى اللذة ويوسف شاب يجد من شبق الشباب
ما يجد الرجل وهي حسناء جميلة حتى لان لها لما يرى من كلفها به وهم بها هذا قول جملة أهل التفسير وقال
جماعة من المتأخرين لا يليق هذا بالأنبياء عليهم السلام وأولوا الآية قال بعضهم هم بالفرار وهذا لا يصح لأنه لم
يذكر وقيل هم بضربها ودفعها ومخاصمتها وقال بعضهم معنى قوله وهم بها تمناها أن يكون له زوجة وقال
أهل الحقائق الهم همان هم ثابت وهو إذا كان معه عزم وعقد ونية ورضى مثل هم امرأة العزيز فالعبد مأخوذ
به وهم عارض وارد وهو الخطرة والفكرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف والعبد غير
مأخوذ به وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا
به وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد إلا يلقى الله تعالى قد هم بخطيئة أو عملها إلا
يحيى بن زكريا فإنه لم يهم ولم يعمل وقال بعضهم في قوله ولقد همت به وهم بها قال أبو العباس أحمد بن يحيى همت
المرأة بالمعصية مصرة على ذلك وهم يوسف بالمعصية ولم يأتها وقيل همت المرأة عازمة على الزنا وهم يوسف عارضا ما عرض له
الشباب من خطرات القلب وحديث النفس فلم يلزمه هذا الهم ذنبا إذ الرجل الصائم يخطر بقلبه شرب الماء البارد فإذا
لم يشرب كان غير مؤاخذ بما هجس في نفسه وقال الزجاج همت بها وهم بها وجلس منها مجلس الرجل من المرأة إلا أن الله
تعالى تفضل عليه بأن أراه البرهان الأول قال وما أبرئ نفسي قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه
اختلفوا في هذا البرهان قال ابن عباس والحسن وابن جبير ومجاهد رأى صورة يعقوب عاضا على أنامله
وقال قتادة سمع صوتا يا يوسف أتهم بفعل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء وقال خرج كف

بينهما بلا جسد مكتوب فيه ثلاثة أسطر أحدها واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله والثاني ولا تقربوا الزنا إنه كان
فاحشة والثالث وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين وعن محمد بن كعب القرظي قال معنى لولا أن رأى برهان
ربه لولا ما علمه من قبح الزنا ووجوب العقوبة عليه وهذا كله محذوف الجواب وجوابه لولا ذلك لعزم على الفجور
وعمل على مقتضى شهوته قوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء أي كما مكناه في الأرض كذلك
أريناه البرهان لنصرف عنه السوء والخيانة والفحشاء يعني الزنا قوله تعالى إنه من عبادنا المخلصين
الذين أخلصوا دينهم لله ومن قرأ بفتح اللام فمعناه من عبادنا الذين أخلصناهم واصطفيناهم قوله تعالى واستبقا
الباب وقدت قميصه من دبر قال السدي وذلك أن زليخا قالت ليوسف حين أغلقت الأبواب يا أحسن
شيء إلى آخر الكلام وقد تقدم ذلك حتى هم بها فلما رأى البرهان قام مبادرا إلى الباب هاربا فاتبعته المرأة فأدركته
قبل أن يخرج فتعلقت بثوبه من خلفه فجذبت قميصه مانعة له من الخروج والقد قطع الشيء باستطالة قوله تعالى وألفيا
سيدها لدى الباب أي صادفا زوجها عند الباب جالسا فلما رأته هابته فقالت سابقة بإلقاء
الذنب على يوسف ما جزاء من أراد بأهلك سوءا يعني الزنا إلا أن يسجن أي يحبس في السجن أو عذاب أليم
يعني الضرب بالوجيع فلما قالت المرأة ذلك لم يجد يوسف بدا من تبرئة نفسه قال هي راودتني عن نفسي
يعني طلبت مني مرادها من نفسي فأبيت وفررت منها فأدركتني فشقت قميصي وكان مع زوجها ابن عم لها حكيم
فقال ابن عمها إن كان شق القميص من قدامه فهي صادقة وإن كان من خلفه فهو صادق وقال الضحاك كان الشاهد
في المهد أنطقه الله تعالى قيل كان ذلك الصبي ابن خال المرأة قوله تعالى فلما رأى قميصه قد من دبر
يعني فلما رأى ابن عمها قد القميص من خلف وقيل فلما رأى زوجها ذلك قال إنه من كيدكن أي قولك
ما جزاء من أراد بأهلك سوءا من مكركن إن كيدكن عظيم ثم قال ليوسف بعد ظهور براءته يوسف
أعرض عن هذا أي أمسك عن ذكره حتى لا ينتشر في البلد وفيما بين الناس ثم أقبل عليها وقال استغفري
لذنبك فإن الخطأ كان منك لا من يوسف وقد احتج مالك والحسن بن حي في الحكم بالعلامة بهذه الآية
في اللقطة إذا ادعاها مدع ووصفها رجح على الملتقط أن يدفعها إليه على مذهبهما ولا حجة لهم في هذه
الآية لا خلاف بين الفقهاء أن الأملاك لا تستحق بالعلامات فإن العطار والدباغ إذا اختلفا
في شيء في أيديهما لم يكن للعطار أولى به وكذلك الإسكاف والصيرفي إذا اختلفا في خف في يد الصيرفي لم
يستحقه الإسكاف لأجل أن ذلك من صناعته وعن مجاهد أن امرأتين اختصما إلى شريح في ولد هرة فقال
شريح ألقوها مع هذه الهرة فإن هي درت وقرت فهي لها وإن هرت وفرت فليست لها وكان هذا القول
من شريح على جهة ما تغلب في الظن ليستحي المبطل من المدعين فيحكم عليه بالإقرار
قوله تعالى وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قال ابن عباس هن أربع
نسوة امرأة ساقي الملك وامرأة خازنه وامرأة صاحب سجنه وامرأة صاحب دوابه قلن إن امرأة العزيز تراود
عبدها إلى نفسها قوله تعالى قد شغفها حبا أي قد خرق حبه حجاب قلبها فلا تعقل غيره
وقيل قد أحبته حتى دخل حبه شغاف قلبها والشغاف جلدة تشتمل على القلب يقال شغفه إذا أصابه وأصاب
شغافه كما يقال كبده إذا أصاب كبده وقوله تعالى حبا نصب على التمييز كأنه قال أصاب حبه وسط
قلبها وسويداء قلبها وقرأ أبو رجاء والشعبي شعفها بالعين المهملة ومعناه ذهب بها الحب كل مذهب من
شعاف الجبال أي رؤوسها قوله تعالى إنا لنراها في ضلال مبين أي في خطأ بين في حبها عبدها
قال ابن عباس فجعلن يفشين هذا في المدينة فبلغ ذلك زليخا قوله تعالى فلما سمعت بمكرهن أرسلت
إليهن ودعتهن فلما سمعت بكلام هؤلاء النسوة وذمهن لها أرسلت إليهن ودعتهن لوليمة أعدتها
لهن وقيل إنما سمى قول النسوة مكرا لأنها كانت أطلعتهن واستكتمتهن فأفشين سرها قوله تعالى وأعتدت

لهن متكأ أي أصلحت وهيأت لهن أمكنة يقعدن عليها ويستندن عليها وفي قراءة ابن عباس متكا بالتخفيف
بغير همز قال الخليل المتك الأترج وقال ... ذهب دعنا أنه تفسير امرأة وأعدت لهن أترجا وبطيخا قوله تعالى
وآتت كل واحدة منهن سكينا لتقطع بها الفواكه والأترج على ما جرت به العادة ويقال كانت صنعت
لهن خبزا ولحما وهذه الفواكه وقالت ليوسف اخرج عليهن وذلك أنها كانت قد أجلسته في مجلس غير
الذي كن جلسن فيه قال عكرمة وكان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على النجوم وعن أبي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي فرأيت يوسف عليه السلام فقلت يا جبريل
من هذا فقال هذا يوسف قالوا فكيف رأيته يا رسول الله قال كالقمر ليلة البدر وروي أن يوسف عليه السلام كان إذا
مشى في أزقة مصر يرى نور وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس والماء على الجدر قوله تعالى وقالت اخرج عليهن
فخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه أي عظم عندهن وشغل قلوبهن رؤيته ما قطعن أيديهن بالسكاكين
قال قتادة قطعن أيديهن حتى ألقينها وهن لا يشعرن ويقال معنى أكبرنه أي حضن ويقال معنى أكبرن أي أمنين
قيل إنهن كن يقطعن أيديهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج ولم يجدن الألم لاشتغال قلوبهن برؤية يوسف قال
وهب بلغني أن سبعا من النسوة متن في ذلك المجلس وجدا بيوسف عليه السلام قوله تعالى وقلن حاش لله ما
هذا بشرا أي قلن معاذ الله أن يكون هذا آدميا بل هو ملك كريم من السماء فشبهنه بالملائكة في حسن الملك
وكذا الناس إذا وصفوا إنسانا في الحسن شبهوه بالملك ومعنى حاش لله تنزيها لله وفي قراءة الحسن إن هذا إلا ملك كريم وفي قراءة
ما هذا بشرى أي بعبد مشترى وليست هذه القراءة بشيء قوله تعالى قالت فذلكن الذي لمتنني فيه أي قالت
فذلكن الذي لمتنني في حبه وشغفي به وذا إشارة إلى يوسف في لكن المخاطبة لهن ثم أقرت لهن فقالت ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم أي دعوته إلى مرادي فامتنع بالعفة ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن
في السجن وليكونا من الصاغرين أي من الأذلاء في السجن وجعلت تقول له هذا تخويفا له وهو جالس
يسمع قال ابن عباس فلما قالت له هذا القول قلن له هؤلاء النسوة أطع مولاتك فقال قال تعالى
رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه أي قال يوسف يا رب نزول السجن أحب إلي مما يدعونني إليه من ترك العفة
والسجن أسهل علي من المعصية ومن قرأ السجن بفتح السين فهو المصدر قوله تعالى وإلا تصرف عني كيدهن أصب
إليهن أي وإلا تلطف بما تصرف عني كيدهن أمل إليهن بهواي وأكن بمنزلة الجاهلين في فعلهن وفي
هذا دليل على أن النسوة طلبن منه مثلما طلبت امرأة العزيز منه فإنه روي أنهن لما رأين يوسف استأذن امرأة
العزيز أن يخلو كل واحدة منهن به وتدعوه إلى امرأة العزيز وإلى طاعتها فلما خلون به دعته كل واحدة إلى نفسها
قوله تعالى فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن أي فأجابه ربه في دعائه فصرف عنه كيدهن
وعصمه من الفواحش إنه هو السميع لدعاء عباده العليم بضمائرهم ونياتهم قوله تعالى ثم بدا لهم من
بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين أي ثم بدا للعزيز وأصحابه من بعد ما رأوا العلامات من شق
القميص وقطع الأيدي وقضاء ابن عمها عليها أن يحبسوه إلى مدة حتى تنقطع مقالة الناس ويأتي على هذا ا
الحديث مدة فحبسوه بعد ظهور عذره خمس سنين قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان روي أنه دخل
على يوسف بعد دخوله بخمس سنين غلامان للملك وهو صاحب شرابه وصاحب طعامه غضب عليهما الملك واتهم صاحب
الطعام أنه يريد أن يسمه وصاحب الشراب أنه مالأه على ذلك وذلك أن أعداء الملك أرادوا المكر بالملك واغتياله
فطلبوا هذين وضمنوا لهما مالا ليسما طعام الملك وشرابه فأبى الساقي وقبل الخباز الرشوة فسم الطعام
فلما حضر وقت الطعام قال الساقي للملك لا تأكل فإنه مسموم وقال الخباز لا تشرب أيها الملك فإنه مسموم فقال
الملك للساقي اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فأبى فجربه الملك على دابة فأكلت من الطعام
فماتت فأمر الملك بحبسهما وكان يوسف قد قال لأهل السجن لما دخله إني أعبر الأحلام فقال أحدهما

الفتيين لصاحبه هلم فلنجرب هذا العبد العبراني نتراءى له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئا قال ابن مسعود ما
رأيا شيئا إنما كانا تحالما عليه ليجربا علمه وقال قوم كانا رأيا على حقيقة وتيقن وقال الساقي أيها العالم
إني رأيت كأني في بستان وإذا بكرمة عليها ثلاثة عناقيد فجنيتها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها فيه وسقيت الملك
فشربه وقال الخباز إني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال من خبز وألوان الأطعمة وإذا سباع الطير تنهشه وإنما
سمي العنب باسم الخمر لأن الشيء يسمى بما يؤول إليه وقال الضحاك الخمر هو العنب بلغة عمان يدل عليه قراءة ابن
مسعود إني أراني أعصر عنبا وقال الأصمعي أخبرني المعتمر أنه لقي أعرابيا معه عنب فقال ما معك قال خمر
قوله تعالى نبئنا بتأويله أي أخبرنا بتفسيره وتعبيره وما يؤول إليه أمر هذه الرؤيا إنا نراك من المحسنين
أي العالمين الذين أحسنوا العلم وقيل من المحسنين إلينا إن فعلت ذلك وفسرت رؤيانا وعن الضحاك في قوله تعالى
إنا نراك من المحسنين قال كان إحسانه إذا مرض رجل في السجن قام عليه وإذا ضاق وسع عليه وإذا احتاج سأل
له وقال قتادة إحسانه أنه كان يداوي مريضهم ويعزي حزينهم قال فكره يوسف أن يعبر لهما ما علم فيه
من المكروه على أحدهما فأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره فقال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا
نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما أي لا يأتيكما طعام تطعمانه وتأكلانه إلا أنبأتكما بتفسيره وألوانه أي طعام
كلون وما لونه هذا من فعل الكهنة قال ما أنا بكاهن وإنما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله وهم بالآخرة هم كافرون قوله تعالى واتبعت ملة آبائي إبراهيم أي بعد آبائي إبراهيم وإسحق
ويعقوب وباقي الآية ظاهر المعنى قوله تعالى يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد
القهار وذلك أن يوسف عليه السلام رأى أهل السجن وبين أيديهم أصنام يعبدونها فأراد أن يدعوهم إلى الإسلام
ويلزمهم الحجة فقال لهم أرباب متفرقون في أن شيء لا تضر ولا تنفع خير أم الله الواحد القهار الذي لا ثاني
له ليس غير الأصنام وضعفها فقال ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم
آلهة من غير أن يكون لتلك التسمية حقيقة ما أنزل الله بها من سلطان أي من حجة وبرهان إن
الحكم إلا لله أي ما القضاء والأمر والنهي إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه قوله تعالى ذلك الدين
القيم أي الذي أدعوكم إليه هو الدين المستقيم الذي رضاه الله تعالى وأمر به ولكن أكثر الناس لا
يعلمون ذلك قوله تعالى يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب
فتأكل الطير من رأسه معنى الآية أما أحدكما وهو الساقي فيسقي سيده يعني الملك خمرا وأما العناقيد
الثلاثة التي رآها فإنها ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يخرجه الملك ويعود إلى ما كان عليه وأما الآخر فيصلب
والسلال التي رآها فإنها ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يخرجه الملك في اليوم الرابع فيصلبه فتأكل الطير من رأسه
فقال الخباز إني لم أر شيئا فقال لهما يوسف قضي الأمر الذي فيه تستفتيان أي فرغ من الأمر الذي سألتما
عنه فهو كائن رأيتما أم لم تريا قوله تعالى وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك
أي قال يوسف للذي علم أنه ناج منهما وهو صاحب الشراب اذكرني عند سيدك الملك أني مظلوم عدا علي إخوتي
فباعوني وأنا حر وحبست في السجن فأنساه الشيطان ذكر ربه أي أنسى الشيطان الساقي أن يذكر
يوسف عند الملك أي شغله عن ذلك بما كان يدعو إليه من اشتغاله بركوب شهواته وخدمة الملك وقيل معناه
أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه حين التمس من الناجي منهما أن يذكره عند سيده وكان من حقه أن يتوكل على الله في
ذلك قوله تعالى فلبث في السجن بضع سنين أي لبث بسبب ذلك في السجن بضع سنين والبضع فيما بين الثلاث
إلى التسع وفي الخبر أنه بقي في السجن بعد هذا القول سبع سنين وعن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
رحم الله أخي يوسف لولا أنه ذكر ربه ولم يستغث المخلوق لما لبث في السجن ما لبث قال ثم يبكي الحسن وقال نحن
إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك قيل له يا

يوسف أنجدني من ذريتي وكيل الله طال حبسك فبكى يوسف وقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى وتخلى بي جبريل
عليه السلام دخل على يوسف السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يا أخا المنذرين ما لي أراك بين الخاطئين
وقال له جبريل إن ربك يقرئك السلام ويقول لك أما استحييت مني إذ استشفعت بالآدميين فوعزتي لألبثنك في
السجن بضع سنين فقال يوسف أهو عني في ذلك راض قال نعم قال إذاً لا أبالي قوله تعالى وقال الملك
إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات روي أن
يوسف مرض في السجن فأمر الله جبريل أن يعوده فعاده فبرئ به لكثرة اختلافه إليه أتاه فقال له جبريل يا طاهر
ابن الطاهر رب العزة يقول لك من حبسك إلى أبيك من إخوتك قال هو قال فمن أنقذك من أيدي إخوتك
قال هو قال فمن سهل لك البشارة في أرض العدو حتى أخرجك من قعر الجب قال هو ثم نشر جبريل جناحه
إلى الأرض فانفرجت قال يا يوسف انظر ماذا ترى قال أرى هواء ثم أشار إلى الأرض ثانيا فانفرجت كلها حتى
نظر يوسف إلى الصخرة التي عليها الأرضون فقال جبريل ما ترى قال صخرة عليها ذرة قال فما ترى في فم
الذرة قال أرى طعاما قال رب العزة يقول لك أنا أذكر هذه الذرة في هذا الموضع ثم أنساك على وجه
الأرض أما استحييت مني حتى تقول لعبد مثلك اذكرني عند ربك ولم تقل يا رب فعند ذلك قال يوسف
يا رب فأسألك بمنك القديم وفضلك العظيم إلا غفرت لي قال الآن يا يوسف غفرت لك وأخرجك من السجن ثم
كان من رؤيا الملك ما كان ومعنى الآية أن الملك واسمه ريان بن الوليد رأى في النوم سبع بقرات سمان
خرجن من نهر يابس فخرج من بعدهن سبع بقرات عجاف وابتلع العجاف السمان فدخلن في بطونهن ولم يتبين
منهن شيء فعجب منهن ورأى سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات أخر يابسات التوت اليابسات على الخضر
فعلت خضرتهن فلم يتبين عليهن شيء منهن فأرسل الملك في هذه الرؤيا إلى السحرة والكهنة فجمعهم ثم
قص عليهم ذلك وقال لهم أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون قوله تعالى قالوا أضغاث
أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين أي قالت الكهنة والسحرة هذه الرؤيا أباطيل أخلاط
كاذبة وما نحن بتعبير الأحلام المختلفة بعالمين ليس لها عندنا تأويل قوله تعالى وقال الذي
نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون أي قال صاحب الشراب الذي نجا من السجن والقتل
وتذكر بعد سنين وقوله بعد أمة أي بعد حين وأصل الأمة في اللغة هي المدة الكثيرة كما أنها في الجماعة الكثيرة
ومن قرأ بعد أمه فمعناه بعد نسيان وقوله تعالى أنا أنبئكم قول صاحب الشراب لما عجز الكهنة عن تأويل هذه الرؤيا قال
للملك وقد نسي بربه فخاطبه بلفظ الجماعة كما يخاطب الملك قال أنا أخبركم بتأويل هذه الرؤيا فأرسلون
إلى السجن ثم قال أيها الملك كنت عصيت خبيئتي أنا وخبازك فرأينا فيها رؤيا فقصصناها على رجل في السجن
عالم صالح صادق فأخبرنا بها فكان كما أخبر فأرسلوني إليه فأرسلوه فدخل عليه السجن وقال يا يوسف
أيها الصديق وحذف كلمة النداء اختصارا والصديق الذي يجري على عادته في الصدق والصديق الحق
قوله تعالى أفتنا في سبع بقرات سمان خرجن من نهر فابتلعهن سبع بقرات عجاف من النهر إليه وفي سبع
سنبلات خضر وأخر يابسات التوين على الخضر وغلبن خضرتهن قوله تعالى لعلي أرجع إلى الناس
لعلهم يعلمون أي لعلي أرجع بتأويل ذلك إلى الملك والناس ليعلموا به فقال له يوسف أما سبع بقرات
سمان فهي سبع سنين خصبة وأما سبع سنبلات خضر فهي الخصبة والرخص في سني الخصب وأما سبع بقرات عجاف
فهي السنون السبع الجدبة ثم علمه يوسف عليه السلام كيف يصنعون كما قال الله تعالى تزرعون سبع
سنين دأبا أي على ما هو عادتكم في الزراعة وقيل معنى قوله دأبا بجد واجتهاد قوله تعالى فما حصدتم فذروه
في سنبله أي فما حصدتم من الزرع فاتركوه في سنبله ولا تدوسوه إلا قليلا مما تأكلون من ذلك
في كل سنة وإنما أمرهم بهذا لأن الحنطة إذا كانت في سنبلها لا تفسد وإنها إذا ديست تأكلها
الدود وفسدت يحفظ الله عليها قوله تعالى ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد أي قحط صعبة على الناس يأكلون ما قدمتم لهن

ما ادخرتم

مما ادخرتم من زرع السنين المخصبة إلا قليلا مما تحصنون في موضع من المواضع ونسب الأكل
إلى السنين المجاز على التوسع لأن الأكل كان يقع فيها قوله تعالى ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس
وفيه يعصرون هذا خبر من يوسف عليه السلام عما لم يكن في رؤيا الملك ولكنه من علم الغيب الذي آتاه
الله إياه كما قال قتادة زاده الله علم سنة لم يسألوه عنها والمعنى أن يوسف عليه السلام قال لهم يأتي
من بعد هذه السنين الأربع عشرة سنة فيها يغاث الناس يجوز أن يكون هذا من الغوث أي يغيث الله في تلك السنة
عباده فيزول عنهم ما نزل بهم من جوعهم ونوائبهم وأعيانهم ويجوز أن يكون من الغيث وهو المطر أي يأتيهم الله
بالأمطار والخصب في تلك السنة قوله تعالى وفيه يعصرون قرأ أهل الكوفة إلا عاصما بالتاء لأن
الكلام كله خطاب وقرأ الباقون بالياء ردا إلى الناس قال أكثر المفسرين يعصرون العنب خمرا والزيتون
زيتا والسمسم دهنا أراد تعصرون الأعناب والثمار والحبوب من كثرة الغيث والخير وقيل معناه ينجون
من البلاء والشدة والعصرة النجاة والمنجاة قال الشاعر ولقد كان عصرة المنجود ومن قرأ يُعصرون
بضم الياء ونصب الصاد فمعناه يمطرون من قوله وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا فلما رجع الرسول إليه وأخبره
بمقالته قال الملك ائتوني به فذلك قوله تعالى وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال له إن الملك
يدعوك قال له يوسف ارجع إلى سيدك الملك فاسأله حتى يسأل عن شأن النسوة اللاتي قطعن أيديهن
أكن صادقات على يوسف أم كاذبات عليه وليعلم صحة براءتي ويعلم أني مظلوم بالحبس وأبى أن يخرج مع الرسول
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد عجبت من صبر أخي يوسف وكرمه ولو كنت أنا الذي دعيت إلى الخروج
لبادرتهم إلى الباب لكنه أحب أن يكون له العذر قوله تعالى قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن
نفسه فيه إضمار قبله تقديره الكلام فرجع الرسول إلى الملك فأعلمه بذلك فأرسل الملك إلى النسوة فأحضرهن
وقال لهن ما خطبكن أي ما شأنكن إذ طلبتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله هذا جواب النسوة للملك كلمة التنزيه
وهو يوسف عما اتهم به قوله تعالى ما علمنا عليه من سوء أي من قبيح قوله تعالى قالت امرأة العزيز الآن
حصحص الحق أي بان وظهر الحق ليوسف أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين في قوله إنه لم
يراودني قال ابن عباس فرجع صاحب الشراب إلى يوسف فأخبره بذلك فقال يوسف ذلك الذي
فعلت من ردي رسول الملك إليه في شأن النسوة ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب في زوجته في
حال غيبته عنه قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف وما أبرئ نفسي فإن
هذه الرواية كان المعنى وما أبرئ نفسي لهم إني ما أزكيها وتزكية النفس مما يذم قوله تعالى إن
النفس لأمارة بالسوء أي بالقبيح وذلك لكثرة ما تشتهيه وتنازع إليه قوله تعالى إلا ما رحم ربي
إلا ما عصمني ربي بلطفه وما بمعنى من تقديره فلا تنجو إلا ما طاب وفي هذا دليل أن أحدا لا يمتنع عن المعصية إلا
بعصمة الله تعالى وقوله تعالى إن ربي غفور رحيم أي غفور لذنوب المذنبين رحيم بهم بعد التوبة
قوله تعالى وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي أي قال الملك ائتوني بيوسف أجعله خالصا لنفسي
أرجع إليه في تدبير مملكتي وأعمل على إشارته فلما جاءه الرسول قال أجب الملك الآن فخرج يوسف فلما
دخل على الملك قال اللهم إني أسألك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره ثم سلم عليه يوسف بالعربية فقال له
الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي إسماعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان قال لسان آبائي
ويتكلم بما رأى منه وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة فلما رأى الملك حداثة سنه قال أيعلم هذا علم تأويل
رؤياي ولم يعلمه السحرة والكهنة ثم أجلسه وقال له إني أحب أن أسمع تأويل رؤياي شفاها منك فقال رأيتها
أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان حسان كشف لك عنهن النيل خرجن عليك من شاطئه فبينا أنت تنظر إليهن وتعجبك

حسنهن اذ نصب لنسل في غار ماؤه فخرج من حمايه ودخله سبع بقرات عجاف شعث غبر مقلصات البطون ليس
لهن ضروع ولهن اضراس وانياب واكف كاكف الكلاب واخلاط كاخلاط السباع فافترسن السمان افتراس السبع واكلن لحومهن
ومزقن جلودهن وهشمن عظامهن وتمششن مخهن فبينا انت تعجب اذ سبع سنبلات خضر وسبع اخر سود
في منبت واحد واصولهن في الماء اذ هبت ريح فجعلت اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشعلت فيهن النار
واحرقتهن فهذا ما رأيت من الرؤيا فقال الملك والله ان هذه الرؤيا وان كانت عجبا فان الذي سمعت منك
اعجب فما ترى فيها فقال تأويلها كذا وكذا وقد تقدم قوله تعالى قال انك اليوم لدينا مكين امين اي
قال له الملك انك اليوم لدينا متمكن من فعل ما تريد نافذ القول في الامر قد ظهرت امانتك وظهر كذب النساء
عليك ولم نظهر منك خيانة قوله تعالى قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم اي قال يوسف
اجعلني على خزائن ارضك واجعل تدبيرها الي واراد بذلك الخزائن التي يجمع فيها طعام الارض واموالها المحمولة من
مصرها الى الملك وكانت ارض مصر اربعين فرسخا في اربعين فرسخا وانما سأل يوسف ذلك لصلاح الخلق لان
الانبياء عليهم السلام بعثوا لاقامة العدل في وضع الاشياء مواضعها فعلم يوسف انه لا احد اقوم بذلك منه
قوله تعالى اني حفيظ عليم اي حافظ للخزائن عالم بوضعها مواضعها وقيل بجميع الالسن واللغات لانه
كان يتكلم بالعربي والعبراني والسرياني والقبطي وقيل عالم بساعات حاجات الناس وذلك انه امر الخازن
ان يجعلوا غداء الملك نصف النهار وفي زمن رحل الملوك غداهم نصف النهار فلما كانت الليلة التي وقع فيها الجوع
اول السنين الجدبة امر الخازن ان يجعلوا غداءه مع عشائه ففعلوا فوقع الجوع في نصف الليل فصاح الملك يا
يوسف الجوع الجوع فقرب اليه الطعام وفي الاية دليل على انه يجوز للانسان ان يمدح نفسه بالفضل
عند من لا يعرفه وان المراد بقوله ولا تزكوا انفسكم النهي عن تزكية النفس للفخر والسمعة قوله تعالى
وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء اي كما انعمنا عليه بنجاته وخلاصه من الحبس كذلك مكنا
له في ارض مصر يتبوأ منها اي ينزل منها حيث يشاء روي ان الملك توجه واعطاه سيفه ووضع له سريرا
من ذهب مكللا بالدر والياقوت ثم امره ان يجلس عليه فجلس ثم ان الملك لزم بيته وفوض اليه كل امره وولاه
سائر الملوك فتلطف يوسف للناس واقام فيهم العدل واخذ يدعوهم الى الاسلام فاحبه الناس كلهم وآمن كثير
منهم قوله تعالى نصيب برحمتنا من نشاء اي نخص بانعامنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين في
احسانهم قوله تعالى ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا اي ولثواب الآخرة خير من ثواب الدنيا للذين آمنوا
بالله وكتبه وكانوا يتقون الكفر والفواحش قوله تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه
وهم عشرة جاءوا من عند ابيهم في سني القحط لطلب الطعام كما يجيء غيرهم فدخلوا عليه وكلموه بالعبرانية وعليه
ثياب حرير وطوق ذهب وهو جالس على سرير ملكه فعرفهم انهم اخوته وكانوا ينكرونه لطول العهد لانهم
كانوا رأوه صغيرا ولم يظنوا انه يصير ملكا فلما رآهم واحسن اليهم وفاوضهم في الحديث حتى حدثوه بحديث
ابيهم وقالوا ان لنا ابا شيخا كبيرا وكنا اثني عشر فهلك واحد منا في الغنم وجدنا قميصه وعليه دم وان لنا
ابانا وله اخ هو احب الى ابينا منا فقال لهم ائتوني باخ لكم من ابيكم كما قال الله تعالى ولما جهزهم بجهازهم
قال ائتوني باخ لكم من ابيكم اي لما اعطاهم الميرة وكال لهم كيلهم قال لهم ائتوني باخ لكم من ابيكم
الا ترون اني اوفي الكيل اي اعطي الناس حقوقهم على التمام وانا خير المنزلين للاضياف منزلها فان لم تأتوني
به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون مرة اخرى قوله تعالى قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون
اي سنطلبه من ابيه وانا الضامنون انا سنجيء به وخاف يوسف ان لا يكون عند ابيهم من الورق ما يرجعون
به اليه مرة اخرى فامر ان تجعل دراهمهم في اوعيتهم على غير علم منهم فذلك قوله تعالى وقال لفتيانه
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم اي قال يوسف لخدامه من مماليكه اجعلوا دراهمهم ودنانيرهم التي

جاءوا بها في رحالهم لكي يعرفوها هذه الكرامة مني ويقال لكي يعرفوا انها دراهمهم فيرجعوا ليردوها علي
قوله تعالى فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل اي منع منا الكيل فيما يستقبل ان لم
يرسل معنا بنيامين فارسل معنا اخانا نكتل ومن قرأ يكتل بالياء اي يكتل اخونا لنفسه
حملا وانا له لحافظون حتى نرده عليك قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل
ضيعتموه وغيبتموه عني ولئن ارسلته معكم بنيامين فعلى الله اتوكل فان حفظ الله خير من حفظكم ومن
قرأ خير حافظا اي خير حافظ كلاهما نصب على التمييز وهو ارحم الراحمين [illegible] يعقوب
والله خير حفظا وقال الله تعالى وعزتي لارددن عليك كلاهما بعد ما توكلت علي قوله تعالى ولما فتحوا
متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم اي لما فتحوا اوعيتهم وجدوا دراهمهم ردت اليهم قالوا
لابيهم يا ابانا ما نبغي اي ما نطلب ولا نكذب فيما اخبرناك به ان ملك مصر اكرمنا والطفنا وهذا اذا كان
قوله ما نبغي من البغي واما اذا كان من الطلب فمعناه الاستفهام دون الجحد وموضع ما نصب تقديره اي شيء نبغي
وفي قراءة عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم معناه ما نطلب قوله تعالى هذه بضاعتنا ردت الينا ابتداء
كلام معناه ان دراهمنا وهي ثمن الطعام الذي اشتريناه بمصر ردت الينا قوله تعالى ونمير اهلنا اي نمتار
لاهلنا بمال والميرة الطعام الذي يحمله الانسان من غير بلده ومن قرأ ونمير بضم النون ان يجعلهم اصحاب ميرة ونحفظ
اخانا من ان يضيع ونزداد كيل بعير اذا كان هو معنا ويسمى الحمل كيلا لانه يكال قوله تعالى ذلك كيل
يسير اي هين سهل لا حبس فيه ان ارسلته معنا قال لهم يعقوب لن ارسله معكم بنيامين حتى تؤتون
موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي تعطوني عهدا وثيقا من الله لتردنه علي الا ان ينزل بكم امر من السماء والارض لا تقدرون على دفع
ذلك فلما آتوه موثقهم اي لما حلفوا على ذلك قال لهم يعقوب الله على ما نقول وكيل اي شهيد حافظ
قوله تعالى وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة قال ابن عباس خاف يعقوب
على بنيه العين لجمالهم وقوتهم ولم يكلهم بنو اب واحد ثم رجع الى علمه وقال وما اغني عنكم من الله من شيء
اي ما ادفع عنكم من قضاء الله ان كان قد قضى عليكم قوله تعالى ان الحكم الا لله اي ما القضاء الا لله فهو
امرني وامركم مع التمسك بطاعته والرضا بقضائه وعليه فليتوكل المتوكلون واختلف العلماء في امر العين
فقال بعضهم هي حق واستدلوا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه عوذ الحسن والحسين فقال اعيذكما من العين
وعلى اعيذكما بالله من كل عين لامة وقال صلى الله عليه وسلم العين حق وقال بعضهم انه يمتد من عين الناظر
اجزاء متصلة بما يستحسنه فتؤثر فيه كتأثير اللسع من النار والسم وانكر بعض العلماء الاصابة بالعين لانه لا شبهة
في ان الامراض والاسقام لا تكون الا من فعل الله وان الانسان لا يقدر على ذلك وفي قوله وما اغني عنكم من الله
من شيء بيان انه لا ينفع حذر من قدر قوله تعالى ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي لما دخلوا مصر
من ابواب متفرقة وكان لمصر اربعة ابواب فدخلوها من ابوابها كلها كما امرهم قوله تعالى ما كان يغني عنهم
من الله من شيء اي ما كان يغني يدفع عنهم شيئا من قضاء الله لو قدر الله ان تصيبهم العين لاصابتهم قوله
تعالى الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي دخولهم مصر من ابواب متفرقة قوله تعالى وانه لذو
علم لما علمناه اي ان يعقوب لذو يقين ومعرفة بالله وبامر الدين لتعليمنا اياه انه لا يصيب احدا شيء الا بقضاء
الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك قوله تعالى ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه اي ضم
اخاه بنيامين الى نفسه وقيل اذن لهم بالدخول عليه وحبس اخوته بالباب فلما دخل عليه قال له ما اسمك قال بنيامين
قال ما اسم امك قال راحيل قال فهل لك ولد قال لي عشرة فقال هل لك اخ من امك قال كان لي اخ من امي هلك
قال أتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك فقال ومن يجد اخا مثلك لكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فخنقت يوسف العبرة فبكى ثم وثب اليه فاعتنقه وقال له اني انا اخوك فبكى كل واحد منهما ثم اعلمه يوسف انه

سبحانك أجابيه عنده ثم أذن لإخوته بعد ذلك بالدخول عليه فدخلوا عليه قوله تعالى قال إني أنا أخوك فلا تبتئس
بما كانوا يعملون أي لا تحزن بما كانوا يعملون بي وبك من حسدنا وصرف وجه أبينا عنا فقد جمع الله بيني
وبينك والإخوان تحت الله بيننا وبين يعقوب ثم أوفى يوسف لإخوته الكيل قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم
جعل السقاية في رحل أخيه أي فلما كال لهم ثم أمر أصحابه المختفين به أن يجعلوا الصاع في رحل أخيه بنيامين
وسمي الصاع سقاية لأنه كان قبل ذلك مما يسقى به الملك الخمر وكان من ذهب قال ابن عباس كان قدحا من
زبرجد وقيل كان من فضة مموه بالذهب كان الشرب في مثل ذلك لا بأس في شرعهم فلما كان في أيام
القحط أمر الملك أن يكال به الطعام للناس قيل لما قال يوسف لبنيامين إني أنا أخوك قال فإني لا أفارقك
أبدا قال يوسف قد علمت اغتمام والدي بي فإن حبستك معي ازداد غمه ولا يمكنني حبسك إلا بأن أشهرك
بأمر فظيع قال لا أبالي فافعل ما شئت فإني أدس صاعي هذا في رحلك ثم أنادي عليك بالسرقة لأحبسك معي فلما
رحلت إخوة يوسف نادى مناد أيتها العير إنكم لسارقون وكان هذا النداء على ظن من هو الموكل
بالصاع أنهم كذلك ولم يكن هذا النداء بأمر يوسف ولا بعلمه لأن الأنبياء عليهم السلام لا يأمرون بالكذب ويروى
هذا النداء بأمر يوسف فيحتمل أن يكون معناه إنكم لسارقون يوسف على أبيه حين غيبتموه عنه والعير اسم للقافلة
الحمير دون القافلة ثم بالإبل ثم كثر استعماله في كل قافلة قوله تعالى قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون أي قالت
إخوة يوسف وأقبلوا على المنادي وأصحابه ماذا تطلبون تنسبونا إلى السرقة قالوا نفقد صواع الملك والصواع
والصاع واحد وهو السقاية قوله تعالى ولمن جاء به حمل بعير أي ولمن جاء بالصاع حمل بعير من الطعام وأنا به
زعيم أي كفيل وهذا القول المؤذن وقال لهم أيضا إن الملك قد اتهمني فأخاف عقوبته وسقوط منزلتي عنده إن
لم أجد الصاع قوله تعالى قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض أي حلفوا بالله وقالوا لقد علمتم ما
جئنا لنفسد في الأرض أي حلفوا بالله وقالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في أرض مصر بالسرقة من الناس وما كنا
سارقين ما تطلبونه قوله تعالى قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين أي ما جزاء من سرق إن كنتم كاذبين
قالوا جزاؤه السارق من وجد في رحله أخذ عبدا لسرقته فأسره فإنه جزاؤه كذلك نجزي الظالمين
أي هكذا جزاء السارقين في أرضنا وهي سنة يعقوب عليه السلام حكموا على أنفسهم بما كان يطلب يوسف
إحباس أخيه قوله تعالى فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه أي فبدأ يوسف بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم وجد
الصاع فيه فلما رأى إخوة يوسف ذلك تحيروا ونكسوا رؤوسهم وقالوا لبنيامين يا ابن المشومة وأخو المشوم ما
الذي حملك على أن تسرق صواع الملك تفضحنا وتزري بأبيك يعقوب فجعل يحلف بالله ما سرقته ولا علم لي بمن وضعه
ولم تقبلوا منه وقالوا له من وضعه في متاعك قال الذي وضع بضاعتكم في رحالكم في المرة الأولى فقالوا بينهم
لعل هذا الملك يريد بنا أمرا فبينما هم في الخصومة إذ أقبل فتى يوسف فأخذ برقبة بنيامين وذهب به إليه
قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك أي كذلك صنعنا ليوسف حتى أخذ
أخاه وفي هذا دليل على أن يوسف كان مأمورا بالإلهام من جهة الله في هذه الحيلة لتضاعف الثواب ليعقوب على فقد ابنيه
قوله تعالى ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله أي ما كان ليأخذ أخاه في قضاء الملك لأن في
حكم الملك في السارق أن يضرب ويغرم ضعفي ما سرق فلم يكن يوسف يتمكن من حبس أخيه عنده في حكم الملك لولا ما كان في
الله تلطفا حتى وجد السبيل في ذلك وهو ما جرى على ألسنة إخوته أن جزاء السارق الاسترقاق فأقروا به وكان
ذلك مراده وهو معنى قوله تعالى إلا أن يشاء الله ذلك مشيئته قوله تعالى نرفع درجات من نشاء أي في العلم
كما رفعنا درجة يوسف وفوق كل ذي علم عليم أي فوق كل عالم عالم حتى ينتهي العلم إلى الله قوله
تعالى قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل أي قال إخوة يوسف إن سرق بنيامين
سقاية الملك فقد سرق أخ له من أبيه وأمه من قبل يعني يوسف وذلك أن عمة يوسف كانت تحضنه وهو

صغير وكان يعقوب لا يتركه عندها فاحتالت وجاءت بمنطقة أبيها إسحق فشدتها على وسط يوسف تحت
القميص ثم قالت فقد سرقت منطقة أبي فأنا آخذه بذلك وهي التي أراد إخوته بإضافتهم السرقة إليه وعن
مجاهد أن يوسف جاءه سائل يوما فسرق بيضة من البيت فناوله إياها فعيروه بذلك وقيل كان يخبأ
الطعام من المائدة للفقراء وقيل جاء سائل ولم يكن في المنزل معه أحد فأعطاه جديا من غير أمر أبيه فعيروه
بسرقته قوله تعالى فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم أي أضمر هذه الكلمة في نفسه ولم يظهرها لهم
جوابا بل قال في نفسه أنتم شر مكانا أي صنيعا من يوسف بما قد سبق عليه من ظلمكم وعقوق أبيكم
والله أعلم بما تصفون به يوسف قوله تعالى قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ
أحدنا مكانه أي [illegible] وكان أشد بني يعقوب غضبا وكان إذا غضب صاح فلا يسمع صوته حامل إلا
وضعت وكان إذا غضب يقوم كل شعرة من جسده وينتفخ فلا تسكن غضبه حتى يمسه واحد من آل يعقوب فقال
يهوذا لبعض إخوته انظروا كم سوقا عندنا فنظر فإذا هي عشرة فقال لإخوته اكفوني أمر هذه الأسواق وأنا أكفيكم
أمر الملك ثم قال [illegible] ثم أمر يوسف ابنا له صغيرا فقال له اذهب فمس كتف الرجل فدنا منه فمسه فذهب
غضبه ثم هم أن يصيح ثانيا فقام إليه يوسف فركضه برجله ليريه أنه شديد ودفعه ثم أخذ بتلابيبه
وجذبه فوقع في الأرض ثم قال إنكم تزعمون يا معشر العبرانيين أن أحدا ليس مثلكم في الشدة فقال يهوذا لإخوته
هل مسني أحد من آل يعقوب قالوا لا فذلك يهوذا عند ذلك وقالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا في السن قد كبر
فخذ أحدنا على جهة الاسترحام وقيل معناه كبير القدر لا يحبس ابن مثله فخذ أحدنا مكانه عبدا وقيل رهنا كذا في
تفسير عبد الصمد وفي هذا دليل أنه كان يجوز للإنسان أن يرق نفسه لغيره وقد نسخ هذا الشريعة بنبينا محمد
صلى الله عليه وسلم قوله تعالى إنا نراك من المحسنين إلينا بأنك قد أوفيت لنا الكيل ورددت علينا
بضاعتنا وقضيت حاجتنا فإن رددت معنا أخانا كان ذلك أعظم منة علينا من جميع ما سبق قال يوسف معاذ
الله أي أعوذ بالله معاذ الله أن نأخذ بالسرقة إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إن فعلنا ذلك كنا ظالمين
بحبس من لم نجد متاعنا عنده ويجوز أن يكون أراد إنا إذا لظالمون عندكم وفي حكمكم قوله تعالى فلما
استيأسوا منه خلصوا نجيا أي لما يئسوا من يوسف أن يرد أخاهم عليهم انفردوا متناجين فيما بينهم
يتشاورون كيف يرجعون إلى أبيهم وماذا يقولون له والنجي مصدر يعبر به عن الواحد والجمع وقد يجمع النجي
أنجية قال الشاعر إني إذا ما القوم صاروا أنجيه واختلف ما بينهم كالأرشيه هناك أوصيني ولا
توصي بنيه قوله تعالى قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله أي قال
لهم روبيل وهو أكبرهم في السن ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم عهدا من الله لتردنه عليه قوله تعالى ومن
قبل ما فرطتم في يوسف أي وتعلمون تفريطكم في يوسف من قبل هذا فلن أبرح الأرض أرض مصر حتى
يأذن لي أبي في البراح أو يحكم الله لي في نوبتي أو وصولي إلى أخي فأرده إلى أبيه وهو خير
الحاكمين ثم علم الأب الحق ثم قال لإخوته كما قال الله تعالى ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك
سرق صواع الملك وقرأ ابن عباس سرق بضم السين وتشديد الراء وما شهدنا إلا بما علمنا إخبارا عن
ظاهر وجود الصاع في رحل بنيامين أنه الاختلاله وما كنا للغيب حافظين أي ما كنا ندري باطن الأمر
في السرقة أنه سرق أو كذب عليه قوله تعالى واسأل القرية التي كنا فيها أي سل من شئت من أهل مصر
القرية التي كنا فيها وهي مصر فإن هذا الأمر شائع فيهم يخبرك به من سألته وسمي المصر قرية لأن العرب تسمي الأمصار
والمدن قرى وقيل أراد بالقرية قرية من قرى مصر وهي التي ارتحلوا من مصر إليها قوله تعالى والعير
التي أقبلنا فيها أي واسأل أهل القافلة التي رجعنا منهم وكان قد صحبهم قوم من كنعان قوله تعالى
وإنا لصادقون أي لصادقون فيما نقول فلما رجعوا إلى أبيهم ذكروا ذلك فقال لهم يعقوب كما قال الله تعالى قال بل سولت لكم

انفسكم أمرا فصبر جميل أي قال أبي لم يكن كذلك وإنما سهلت لكم أنفسكم أمرا فعلتم فيه سرق فأمري
صبر جميل لا جزع فيه قوله تعالى عسى الله أن يأتيني بهم جميعا أي بيوسف وبنيامين وروبيل إنه هو العليم
الحكيم في تدبير أمر خلقه قوله تعالى وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف أي أعرض عنهم لشدة الحزن
وقال يا أسفى على يوسف أي أقبل أيها الأسف فهذا أوانك والأسف والحزن واحد وقيل الأسف أشد من
الحزن قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن أي ابيضت عيناه من شدة البكاء من الحزن لأن الحزن
لا يبيض العين والدمع مما لا يمكن الاحتراز عنه كما قال صلى الله عليه وسلم القلب يحزن والعين تدمع قوله تعالى
فهو كظيم أي ممسك للحزن يتردد حزنه في جوفه قال عطاء الكظيم الحزين وقال الضحاك كميد وقال ابن
عباس مهموم وقال مقاتل لم يبصر بعينيه ست سنين حتى كشفه الله بقميص يوسف قيل لم ير حزن يعقوب
حزن سبعين ثكلى قوله تعالى قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين
أي قال أولاد يعقوب والله لا تزال تذكر يوسف حتى تكون دنفا أو تموت والحرض الدنف البالي وعن الحسن
حتى تكون حرضا بعضين زاد كالأشنان المدقوق وقال الربيع الحرض يابس الجلد على العظم وقيل هو الضعيف
الذي لا حراك به وإنما أضمر في قوله تفتؤ لأن العرب تقول والله ندخل هذه الدار يريدون بذلك نفي الدخول فإذا
أرادت الإثبات قالت لندخلن قوله تعالى قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله أي قال يعقوب إنما أشكو
بثي وحزني إلى الله والبث هو تفرق الحزن الذي لا يصبر عنه صاحبه حتى يبثه وروي أن رجلا قال ليعقوب
عليه السلام ما الذي أذهب بصرك قال الحزن على يوسف قال فما الذي قوس ظهرك قال الحزن على أخيه فأوحى
الله إليه يا يعقوب أتشكوني وعزتي لا أكشف ما بك حتى تدعوني فقال عند ذلك إنما أشكو بثي وحزني إلى الله
فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي لو كانا ميتين لأخرجتهما لك حتى تنظر إليهما وقيل إن رجلا دخل عليه فقال له
يعقوب مالي أراك قد تهشمت وفنيت فقال هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى الله إليه أتشكوني
إلى خلقي فقال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي فقال قد غفرتها لك فكان بعد ذلك إذا سئل قال إنما أشكو
بثي وحزني إلى الله وقال وهب بن منبه أوحى الله إلى يعقوب أتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين
سنة قال لا قال لأنك شويت وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه كذا في تفسير الثعلبي وقيل إن سبب
ابتلاء يعقوب أنه كان له بقرة وكان لها عجل فذبح عجلها بين يديها وهي تخور فلم يرحمها يعقوب فأخذه
الله به وابتلاه بفقد أعز ولده من وسيط الواحدي قوله تعالى وأعلم من الله ما لا تعلمون أي أعلم أن
رؤيا يوسف صادقة وأنا سنسجد له وقيل إن يوسف حي ولم يمت لأنه روي أن ملك الموت دخل على
يعقوب فقال له يعقوب هل قبضت روح ابني يوسف في الأرواح قال لا وبشره عاجلا كذا في تفسير عبد الصمد
فبعد ذلك قال يعقوب لأولاده كما قال الله تعالى يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه أي اذهبوا
واستخبروا واطلبوا يوسف وأخاه وقال ابن عباس معناه فالتمسوا يوسف وأخاه ولا تيأسوا من روح
الله أي لا تقنطوا من فرج الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وسئل ابن عباس عن
الفرق بين التحسس والتجسس فقال التحسس في الخير والتجسس في الشر وروي أن يعقوب كتب كتابا إلى عزيز مصر
بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب بن إسحق بن إبراهيم إلى عزيز مصر أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء
ابتلي جدي بأن طرح في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وابتلي عمي إسمعيل بالذبح ففداه الله بكبش عظيم وابتليت
أنا بالعمى وابتليت بابني يوسف فذهب بصري وزعمت أن ابني سرق وما ولدت سارقا فخل سبيل ابني وإلا
فإن الله يفعل ما يشاء ثم دفع الكتاب إلى أولاده وقال لهم إذا دخلتم عليه فقولوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا
الضر وذلك قوله تعالى فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة
أي قليلة كاسدة والمزجاة هي التي يدفعها كل من تعرض عليه وروي أنهم جاؤوا بمتاع الأعراب مثل الأقط والجبن والسمن

والصوف وقيل جاؤوا بدراهم رديئة لا تنفق في الطعام وقال الضحاك النعال والأدم قوله تعالى فأوف لنا
الكيل وتصدق علينا أي وفر لنا الكيل كما كنت توفر في السنين الماضية ولا تنظر إلى قلة بضاعتنا وهذه
السنة وتصدق علينا أي تفضل علينا بنقصان السعر وقال سفيان بن عيينة سألوا الصدقة وهم أنبياء وكانت
حلالا لهم وإنما حرمت على النبي صلى الله عليه وسلم وكره مجاهد أن يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق علينا
فإن الصدقة إنما هي ممن يبتغي الثواب قوله تعالى إن الله يجزي المتصدقين أي على صدقاتهم بأفضل منها
قوله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون روي أنهم لما دفعوا إليه الكتاب
وقرأه عليه ارتعد حتى سقط الكتاب من يده ثم انتحب انتحابة كاد أن يتقطع منها قلبه وقال لهم عند ذلك هل علمتم
ما فعلتم بيوسف وأخيه وقص عليهم جميع ما عملوا به من إلقائهم إياه في الجب وبيعهم له وقولهم إن يسرق فقد سرق أخ
له من قبل وفعلهم بأخيه حتى صار ذليلا فيما بينهم وأراد بقوله إذ أنتم جاهلون جهالة الصبا وقيل أراد إذ أنتم
شبان أحداث لا تعرفون أمور الدين فلما قص عليهم ذلك قالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي
قد من الله علينا بصبرنا على الشدة إنه من يتق المعاصي ويصبر على الشدائد فإن الله لا يبطل ثواب المحسنين
قوله تعالى قالوا تالله لقد آثرك الله علينا أي فضلك علينا بما أنعم عليك وإن كنا لخاطئين أي وقد كنا
عاصين لله فيما فعلنا وهذا يدل على أنهم ندموا على ما فعلوا قوله تعالى قال لا تثريب عليكم اليوم أي لا تعيير
عليكم اليوم أي لا أذكر لكم ذنبكم بعد هذا اليوم وقال ابن عباس لا لوم عليكم قوله تعالى يغفر الله لكم وهو
أرحم الراحمين بعباده قوله تعالى اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا كما كان قال الضحاك
كان ذلك القميص من نسج الجنة قوله تعالى وأتوني بأهلكم أجمعين أنهم كانوا من نحو سبعين إنسانا قوله تعالى
ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون روي أنه لما خرجت القافلة من العريش
وهي قرية بين مصر وكنعان بينهم وبين يعقوب ثمانية أيام قال يعقوب لمن حوله وكان أولاده كلهم بمصر إلا أحد
ريح يوسف روي أن الريح حملت رائحة يوسف إلى أبيه قوله تعالى لولا أن تفندون أي لولا أن تسفهوني في
الرأي لقلت إنه حي وقال الخليل الفند إنكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لأنها لم تكن في شبابها
ذات رأي فتفند وقال ابن عباس تفندون تجهلوني وعن مجاهد لولا أن تقولوا ذهب عقلك وقال الضحاك وابن
جبير لولا أن تكذبون وقيل لولا أن تقولوا شيخ خرف وقال أبو عبيدة تضللوني والفند الفساد قال
الشاعر يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي فليس ما فات من أمر بمردود وفي بعض الروايات أن ذلك القميص
كان من الجنة وكان الله ألبسه إبراهيم حين ألقي في النار فصارت عليه بردا وسلاما ثم كساه إبراهيم إسحق وكساه إسحق يعقوب
وكان يعقوب أدرج ذلك القميص في قصبة وعلقه على يوسف لما كان يخاف عليه من العين وأمر جبريل أن أرسل إليه بقميصك
هذا فإن فيه ريح الجنة لا يقع على سقيم ولا مبتلى إلا عوفي فلذلك أصاب يعقوب ريحه من بعد ثلاثة أيام قوله
تعالى فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا البشير هو يهوذا وذلك أن يهوذا قال ليوسف
أنا ذهبت بالقميص وهو ملطخ بالدم إليه فأنا أذهب بالقميص إليه فأخبره بأنك حي وأفرحه كما أحزنته وكان هو البشير
فحمل القميص وخرج حافيا حاسرا يعدو وكان معه سبعة أرغفة لم يستوف كلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة
ثمانين فرسخا فلما أتاه ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال الضحاك رجع بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف
وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن ثم قال يعقوب للبشير على أي دين تركت يوسف قال على الإسلام قال
الآن تمت النعمة قوله تعالى قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون أي ألم أقل لكم إن يوسف حي
وأنتم لا تعلمون ذلك قوله تعالى قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا أي ادع الله أن يغفر لنا ذنوبنا إنا
كنا خاطئين أي مسيئين عاصين لله قوله تعالى قال سوف أستغفر لكم ربي روي أنه قال
لهم يعقوب أدعو لكم في ليلة الجمعة آخر السحر إنه هو الغفور الرحيم لعباده [illegible]

منه أن يستغفر لهم على الدوام وأن يجعلهم في ورده في الدعاء. قوله تعالى: فلما دخلوا على يوسف آوى إليه
أبويه. روي أن يوسف كان بعث إلى يعقوب بمائة راحلة وسأله أن يأتيه بأهله أجمعين فتهيأ يعقوب للخروج
فلما دنا من مصر وكان يوسف قد خرج في أربعة آلاف من الجند فلما رأى يعقوب الخيل قال يا [illegible] هذا قال ابنك فلما
دنا كل واحد من صاحبه ابتدأ يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الأحزان ثم عانق كل واحد منهما صاحبه ابتدأ
يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الأحزان وعانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا فقال يوسف يا أبت بكيت
علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى يا بني ولكن خشيت أن يسلب دينك فلا نجتمع
قوله تعالى: فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه أي ضمهما إلى نفسه
عنده قال عامة المفسرين يعني أباه وخالته لأن أمه كانت قد ماتت قبل ذلك وكان موتها في نفاسها بنيامين وكان
بنيامين بعد العز ابنه ابن أربع. قوله تعالى: وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين من العدو والقحط
والأسواء كلها. قوله تعالى: ورفع أبويه على العرش أي رفعهما معه على سريره. قوله تعالى: وخروا له سجدا
أي سجد له أبوه وخالته وإخوته لا على نحو عبادة بل تحية وتشريف فكان في ذلك الزمان سجود التحية للتشريف وقد
تقدم نسخ هذا السجود في سورة البقرة. وعن عمر رضي الله عنه أنه خرج إلى بعض القرى فخرج إليه رئيس
أهل القرية فسجد له فقال له ما هذا فقال هذا شيء نصنعه للأمراء والخلفاء فقال اسجد لربك الذي خلقك و
في معنى هذا أنهم سجدوا شكرا لله على ما أنعم عليهم من اجتماعهم على أحسن الأحوال ويجوز أن يكون بمعنى الخضوع
والانحناء. وعن ابن عباس أن معناه وخروا لله سجدا وقوله له كناية عن الله. قوله تعالى: وقال يا أبت هذا
تأويل رؤياي من قبل أي هذا السجود تصديق رؤياي التي رأيتها من قبل قد جعلها ربي حقا وقد
أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو هذا ثناء منه على الله تعالى لإنعامه عليه إذ خلصه من
السجن ونجاه من العبودية وجاء بأبيه وإخوته من البادية إليه. قوله تعالى: من بعد أن نزغ الشيطان
بيني وبين إخوتي بالحسد إن ربي لطيف لما يشاء أي لطيف في تدبير عباده ومن لطفه جمع بيننا على [illegible]
إنه هو العليم بمصالح العباد الحكيم في تدبيرهم واختلفوا في المدة التي كانت بين رؤيا يوسف
وبين تصديقها قال سلمان رضي الله عنه أربعون سنة وقال ابن عباس اثنان وعشرون سنة. قوله تعالى:
رب قد آتيتني من الملك يعني ملك مصر أربعين فرسخا في أربعين فرسخا وعلمتني من تأويل الأحاديث
أي تعبير الرؤيا وقيل كتب الدين. قوله تعالى: فاطر السموات والأرض نصب على النداء أي يا خالق السماء
والأرض ومبدعهما على غير مثال. أنت وليي في الدنيا والآخرة أي تتولى حفظي وصيانتي. توفني مسلما
أي الطف بي لطفا أثبت به على الإيمان إلى أن يلحقني الموت. وألحقني بالصالحين يعني ألحقني بآبائي الصالحين
وأما ما كان من أمر زليخا فإنه لما مات العزيز [illegible] قالت أنا من يوسف على [illegible] كل يوم
إلى بعض وذلك بعضي له يوسف فكيف له أقوم إلى هذا الصنم المشؤوم فأجعله جذاذا وألحق بيوسف
وأسلم على يديه لعل الله يرحمني ويقضي حاجتي فقامت وكسرت صنمها وجاءت إلى طريق يوسف توقفت له
في يوم ركوبه فإذا هي بالأعلام والرايات مكتوبات عليها قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن
تبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين فلما سار يوسف بحذاء زليخا نادت سبحان من جعل العبيد وجعلهم
ملوكا بطاعته وجعل الموالي عبيدا بمعصيته فسمع ذلك يوسف فقال علي بصاحب هذا الكلام
فأتي بها إليه فقال لها من أنت قالت زليخا أما تعرفني قال لا قالت قد أنكرتني لما اشتد [illegible]
أنا الذي راودتك عن نفسك فاستعظمت الله السماء [illegible] ووضعني وأعزك وأذلني وأغناك [illegible]
تعلقي بي باطل وغرور وكسرت صنمي وجئت طائعة مؤمنة تقول لا إله إلا الله [illegible]
في قلبه فقال سلي حاجتك قالت أتفعل قال نعم قالت لي ثلاث حوائج يا يوسف قد ذهب بصري فادع

الله أن يرده علي لأنظر إلى جمالك وجهك فدعا الله فرد عليها بصرها فأقبلت تنظر إلى يوسف ثم قالت وادع الله
أن يرد علي حسني وجمالي وشعري فرد الله عليها ذلك فلما نظر يوسف إليها نكس رأسه وقال أما الثالثة
يا ابنة العشرة قالت تتزوج بي حلالا قال لها قومي يا ابنة العشرة هذه حاجة ليس في نفسي قضاؤها
فقالت أما أنا فلا أقنط من رحمة الله فنزل جبريل على يوسف وقال إن الله يأمرك أن تتزوج بها فجعلت
تحمد الله وتشكره فتزوجها فلما دخل بها وجدها عذراء فولدت له ولدين فأقام يوسف عند يعقوب ثماني
عشرة سنة ومات قبل يوسف بسنتين. قوله تعالى: ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك أي ذلك الذي
ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وإخوته من أخبار ما غاب علمه عنك نوحيه إليك. قوله تعالى: وما كنت
لديهم أي وما كنت عندهم إذ عزموا أمرهم على إلقاء يوسف في الجب وهم يمكرون به وكان مكرهم إلقاءهم
إياه في البئر. قوله تعالى: وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين أي وما أكثر الناس بمؤمنين بالقرآن والرسول
ولو حرصت يا محمد على دعائهم إلى الإيمان وجهدت كل الجهد. قوله تعالى: وما تسألهم عليه من أجر أي وما
تسألهم يا محمد على دعائهم إلى الله من جعل فيما لهم فيصدهم ذلك عن الإيمان. قوله تعالى: إن هو إلا ذكر
للعالمين أي ما القرآن إلا موعظة للعالمين. قوله تعالى: وكأين من آية في السموات والأرض
يمرون عليها وهم عنها معرضون أي فكم من آية دالة على وحدانية الله مما في السموات من الشمس والقمر
والنجوم وما في الأرض من الأشجار والجبال والنبات وغير ذلك من الحيوانات يرونها ويشاهدونها لا يستدلون
بذلك أن لها مدبرا حكيما عليما قادرا لا يشبهه شيء من المخلوقات وقيل أراد بالآيات التي في الأرض آثار عاد وثمود
وقوم لوط وغيرهم كان أهل مكة يمرون عليها في أسفارهم ولا يتعظون بهم. قوله تعالى: وما يؤمن أكثرهم
بالله إلا وهم مشركون أي ما يصدق أكثرهم بلسانهم إلا وهم مشركون بعبادة غيره لأنهم يؤمنون من وجه كما
قال تعالى: ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ويشركون من وجه وهو عبادتهم الأصنام. وقال الحسن المراد بهذه
الآية أهل الكتاب معهم إيمان من وجه وشرك من وجه فإن مع اليهود إيمانا بموسى وكفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى: أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أي أفأمن الكفار أن يغشاهم العذاب من الله أو
تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون بنزول العذاب. قوله تعالى: قل هذه سبيلي أي هذه
الدعوة ديني وإيماني وإنما قال هذه لأن السبيل تذكر وتؤنث أدعو إلى الله على معرفة مني بالله تعالى. قوله تعالى:
أنا ومن اتبعني معناه يدعو إلى الله أي وقل سبحان الله وما أنا من المشركين أي
[illegible] على دينهم. قوله تعالى: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى أي وما
أرسلنا من قبلك يا محمد إلا رجالا لا ملائكة من أهل القرى مثلك يوحي إليهم كما يوحي إليك. قال الحسن لم يرسل الله امرأة
ولا رسولا من أهل البادية وذلك لأن أهل الأمصار يكونون أعقل من أهل البادية وأشد حلما منهم
قوله تعالى: أفلم يسيروا في الأرض يعني أفلم يسر أهل مكة في الأرض فينظروا آثار ديار الذين من قبلهم
من الكفار فيحذروا أن ينزل بهم من عذاب الله ما نزل بأولئك. قوله تعالى: ولدار الآخرة خير للذين اتقوا الكفر
والمعاصي أفلا تعقلون معناه أفليس لهم ذهن وإنسانية أن الآخرة الباقية خير من الدنيا الفانية
وأضاف الدار إلى الآخرة على سبيل إضافة الشيء إلى نفسه كما يقال يوم الجمعة. قوله تعالى: حتى إذا استيأس
الرسل أي حتى إذا يئس الرسل عن إجابة الأمم وأيقنوا أن القوم قد كذبوهم تكذيبا لا يرجعون عنه
جاءهم نصرنا بإهلاك قومهم. ومن قرأ كذبوا بالتخفيف فمعناه وظن الأمم أن الرسل قد كذبوهم
فيما أوعدوهم الله من العذاب. قوله تعالى: ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين أي لا يرد عذابنا عن الكافرين
قوله تعالى: لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب أي لقد كان في قصص من تقدم من الأنبياء عبرة
لذوي العقول من الناس وقيل في قصة يوسف وإخوته عبرة لمن أراد أن يعتبر بصبر على البلاء والمحن

كما صبر يعقوب ويوسف حتى ختم الله لهما بالملك والعلو والفرح من بعد الأحزان ولا يحسد أحد كما حسد إخوة يوسف فلم يغن عنهم كيدهم شيئا قوله تعالى **ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه** أي ما كان القرآن حديثا يختلق ولكن كان تصديقا للكتب التي من قبله من التوراة والإنجيل وغيرهما ومن قرأ تصديق بالرفع فعلى إضمار هو قوله تعالى **وتفصيل كل شيء** أي وبيان كل شيء يحتاج الناس إليه في دينهم ودلالة لهم ونجاة من العذاب **لقوم** يصدقون بمحمد والقرآن

سورة الرعد مكية

عند ابن عباس إلا آيتين ولا يزال الذين كفروا تصيبهم وقوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم إلى آخرها وقال قتادة هي كلها مدنية وعدد حروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف وكلماتها ثمانمائة وخمس وخمسون كلمة وآياتها ثلث وأربعون آية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيمة وكان يوم القيمة من الموفين بعهد الله عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم

المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق قال ابن عباس معنى المر أنا الله أعلم وأرى وقوله تعالى تلك آيات الكتاب أي هذه آيات القرآن والذي أنزل إليك من ربك الحق هو القرآن أيضا وقال قتادة المراد بقوله تلك آيات الكتاب الآيات التي أنزلت قبل القرآن من التوراة والإنجيل وسائر الكتب والمراد بالذي أنزل إليك القرآن قوله تعالى **الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها** أي هو الذي رفع السموات وأقامها وثبتها على غير عمد ترونها ثم لكن بلا عمد هكذا قال أكثر المفسرين وعن ابن عباس في رواية بعمد لا ترونها كأنه أراد بغير عمد مرئية والأول أقرب إلى الصحة لأنه لو كان للسماء عماد لكنا نرى ذلك العماد لأن مثل السموات في ثقلها وعظمها لا يقلها عماد إلا وقد يكون ذلك العماد جسما عظيما قوله تعالى **ثم استوى على العرش** قد تقدم تفسيره قوله تعالى **وسخر الشمس والقمر** تقديره الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم سخر الشمس والقمر ثم استوى على العرش لأن استيلاء الله على الأشياء قدرته عليها وقدرة الله لا تكون محدثة وتسخير الشمس والقمر إجراؤهما لمنافع بني آدم ومعنى التسخير أن يكون الشيء مقهورا لا يملك لنفسه ما يخلصه من القهر قوله تعالى **كل يجري لأجل مسمى** أي إلى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا فإذا انقضت الدنيا كورت الشمس وانكدرت النجوم قوله تعالى **يدبر الأمر** أي يقضي القضاء ويبعث الملائكة بالوحي وينزل الرزق والرحمة قوله تعالى **يفصل الآيات** أي يأتي بآية في إثر آية لكي يكون أمكن للاعتبار والفكر قوله تعالى **لعلكم بلقاء ربكم توقنون** أي لتستيقنوا بالبعث وبما وعدكم الله به من الثواب والعقاب قوله تعالى **وهو الذي مد الأرض** أي بسطها طولا وعرضا **وجعل فيها رواسي** أي خلق فيها جبالا ثوابت أوتادا لها ولو أراد أن يمسكها من غير الرواسي لفعل قوله تعالى **وأنهارا** أي وأجرى فيها أنهارا قوله تعالى **ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين** أي وخلق من جميع الثمرات من كل شيء لونين اثنين وجعل فيها الحلو والحامض والأسود والأبيض قوله تعالى **يغشي الليل النهار** أي يأتي بالليل ليذهب بضياء النهار فيسكن الناس بالليل ويأتي بضياء النهار ليمحو ظلام الليل فيتصرف الناس فيه في معايشهم **إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** في صنع الله فيستدلون بذلك على توحيده قوله تعالى **وفي الأرض قطع متجاورات** منها الجبل الصلب ومنها الأرض الحزنة التي لا يمكن النبات عليها إلا بالمشقة ومنها الأرض السبخة ومنها الأرض الطيبة وقيل الأراضي في ذلك متجاورة متلاصقة **وجنات من أعناب** أي وبساتين من كروم وقرئ وزرع ونخيل في القراءة وجنات على معنى وجعل فيها جنات ومن قرأ **وزرع** بالضم فهو عطف على القطع لأن الزرع لا يكون في الجنات وقرأ العامة وزرع ونخيل بالكسر على المجاورة قوله تعالى **صنوان وغير صنوان** أي يجتمع أصولها في أصل واحد ونخيل متفرق أصولها والصنوان جمع الصنو ومعنى الصنوان يكون لها أصل واحد

يخرج

يخرج منه النخلتان والثلاث والأربع كما ورد في الحديث عم الرجل صنو أبيه قوله تعالى **تسقى بماء واحد** أي المطر وأما النهر ويكون بعض أكلها أفضل من بعض في الطعم حتى يكون بعضها حلوا وبعضها حامضا وبعضها مرا والماء والتراب واحد وألوان الثمار وطعمها مختلفة وذلك من أدل الدليل على وحدانية الله تعالى لأنه المحدث لها هو الله قادر حكيم قد أحدثها على علم منه بها وقال مجاهد هذا مثل بني آدم أصلهم تراب واحد ومنهم صالح وخبيث وكامل الخلقة وناقص الخلقة وحسن الخلق وسيء الخلق **إن في ذلك لآيات** أي لعلامات ودلالات على توحيد الله **لقوم يعقلون** أن ذلك من الله قوله تعالى **وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد** معناه وإن تعجب يا محمد من تكذيب أهل مكة وإشراكهم بالله مع ما تعاينه من الدلائل على توحيد الله فقولهم أعجب عند العقلاء العارفين حيث قالوا أإذا كنا ترابا أنبعث ونرد فينا الروح بعد الموت والبلاء وإنما سمي قولهم أإذا كنا ترابا أإنا عجبا لأن البعث أسهل في القدرة مما شاهدوه لأن البعث إعادة إلى ما كان والإعادة أسهل في طباع الآدميين من الإنشاء قوله تعالى **أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم** أي تغل أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل في النار ويكون يسارهم وراء ظهورهم وهم مصعدون من فوقهم إلى أقدامهم قوله تعالى **ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة** أي يستعجلونك بالعذاب الذي توعدهم به على وجه التكذيب والاستهزاء قبل الثواب الذي تعدهم على الإيمان يعني مشركي مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم العذاب استهزاء منهم بذلك فقالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية قوله تعالى **وقد خلت من قبلهم المثلات** أي مضت من قبلهم العقوبات من الله في الأمم الماضية والمثلة العقوبة في اللغة قوله تعالى **وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم** أي لذو تجاوز عن الناس على ظلمهم أنفسهم **وإن ربك لشديد العقاب** لمن استحقه قوله تعالى **ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه** أي ويقول الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن هلا أنزل عليه آية من ربه تشبه بعض الآيات التي كانوا يقترحونها عليه نحو ما ذكر الله تعالى من قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا إلى آخر الآيات قول الله تعالى **إنما أنت منذر** أي إنما أنت يا محمد معلم موضع المخافة وليس إنزال الآيات لك إنما هو إلى الله قوله تعالى **ولكل قوم هاد** من جعل هذه الواو للجمع بين ما قبلها كان تقدير الكلام إنما أنت منذر وهادي لكل قوم ومن قطع هذه الواو كان المعنى أنت منذر ولكل قوم هادي أي نبي يدلهم ويهديهم وقال سعيد بن جبير والضحاك الهادي هو الله والمعنى أنت منذر يا محمد والله هادي كل قوم يهدي من يشاء قوله تعالى **الله يعلم ما تحمل كل أنثى** يعني من علقة أو مضغة أو ذكر أو أنثى أو كامل الخلق أو ناقص الخلق أو واحد أو اثنين أو أكثر قوله تعالى **وما تغيض الأرحام** أي وما تنقص من الأشهر التسعة في الحمل وما تزداد عليها فإن الولد قد يولد في ستة أشهر فيعيش وقد يولد لسنتين فيعيش وقال الحسن وما تغيض بالسقط وما تزداد بالتمام والغيض هو النقصان قوله تعالى **وكل شيء عنده بمقدار** أي بحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه خلقة الولد لأنه قدر أجل حياته وموته وصحته ومرضه ونقصان عقله وكماله وقدر له ما يجري عليه من رزق وما يكون منه من طاعة ومعصية وولد وغير ذلك قوله تعالى **عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال** أي عالم ما غاب عن العباد وقيل الغيب ما يكون والشهادة ما كان الكبير السيد الكامل المالك المقتدر على كل شيء المتعالي عما يقول المشركون قوله تعالى **سواء منكم من أسر القول ومن جهر به** أي سواء من أخفى

القول ومن كتمه ومن جهر به واظهره والسر والجهر عند الله سواء قوله تعالى ومن هو مستخف بالليل
وسارب بالنهار أي من هو مستتر متوار بالليل وسارب بالنهار أي ظاهر في الطرقات علم الله فيهم سواء
قال الزجاج معنى الآية الجاهر بنطقه والمضمر في نفسه والظاهر في الطرقات والمستخفي في الظلمات
علم الله فيهم جميعا سواء ومعنى السارب الظاهر بالنهار في سربه أي في طريقه فيتصرف في حوائجه وعن قطرب
مستخف بالليل أي ظاهر وسارب بالنهار أي مستتر يقال انسرب الوحش اذا دخل في كناسه والقول الاول
ابين وابلغ في وصف علم الغيب قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه أي للانسان معقبات
والكناية في قوله له رد على من أسر القول ومن جهر به وهم الآدميون وقال بعضهم له معقبات أي لله
تعالى ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل عقبتها ملائكة النهار واذا صعدت
ملائكة النهار اعقبتها ملائكة الليل قوله تعالى يحفظونه من أمر الله يعني من قدام هذا المستخفي بالليل والسارب
بالنهار ومن خلفه أي من وراء ظهره ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فاذا جاء القدر خلوا عنه
واختلفوا في المعقبات قال بعضهم الكرام الكاتبون وهم اربعة ملكان بالليل وملكان بالنهار قوله تعالى
يحفظونه من أمر الله أي بأمر الله حتى ينتهوا به الى المقادير فيخلوا بينه وبين المقادير وقال كعب
لولا ان الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفكم الجن قوله تعالى ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم أي لا يسلب قوما نعمه حتى يعملوا بمعاصيه يعني بهذا اهل مكة
بعث فيهم رسولا منهم واطعمهم من جوع وآمنهم من خوف فلم يعرفوا قدر هذه النعمة وغيروها وجحدوها
المدينة قوله تعالى واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له أي اذا اراد الله انزال عذاب على قوم
فلا دافع له وما لهم من دونه من وال يتولاهم وينصرهم وقيل من ملجأ يلجؤون اليه والوالي
قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا أي خوفا للمسافر ان يؤذيه ويبل ثيابه وطريقه ولا
يمكنه السير وطمعا للمقيم ان يسقي حرثه قوله تعالى وينشئ السحاب الثقال أي يخلق السحاب الثقال بالمطر
في الجو قوله تعالى ويسبح الرعد بحمده روي أن الرعد اسم ملك يزجر السحاب ويؤلف بعضه الى بعض
وتسبيحه زجره للسحاب قال عكرمة هو كالحادي للابل . وعن ابن عباس قال اقبلت اليهود الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم نسألك عن اشياء فان اصبت اتبعناك وآمنا بك قال سلوا قالوا
اخبرنا عن الرعد قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق يسوق بها السحاب حيث شاء الله قالوا
صدقت فما الذي يسمع قال زجر السحاب اذا زجره الملك قالوا صدقت . وقال عطية الرعد ملك وهذا تسبيحه
والبرق سوطه الذي يزجر به السحاب يقال لذلك الملك رعد ولصوته رعد . وقال ابو هريرة كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع الرعد قال سبحان من يسبح الرعد بحمده وكان ابن عباس اذا سمع قال سبحان
الذي سبحت له . وقال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من
خيفته وهو على كل شيء قدير فان اصابته صاعقة فعلي ديته . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك
قوله تعالى والملائكة من خيفته يعني وتسبح الملائكة من خيفة الله وخشيته قوله تعالى ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشاء أي يرسل النيران التي تسقط من الغيوم فتحرق ما تقع عليه كنيران البرق
فيهلك بها من يشاء من خلقه قوله تعالى وهم يجادلون في الله أي الكفار يخاصمون في الله وفي اثبات
شريك معه وهو شديد المحال أي شديد القوة والعقوبة قوله تعالى له دعوة الحق أي له
كلمة الاخلاص شهادة أن لا اله الا الله قوله تعالى والذين يدعون من دونه آلهة لا يستجيبون
لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء يدعو لعطشه شيئا مريدا باشارته ان يبلغ الماء

فاه وليس الماء ببالغه ومن المحال ان يجيبه ما اشار به وان كانت اشارته الى ماء في بئر او على بعد فهو لا
في الاجابة وكما لا يبلغ الماء فم الرجل ولا يجيبه وان مات من العطش كذلك لا ينفع الصنم لمن عبده بوجه
من الوجوه قال عطاء معناه كالرجل العطشان الجالس على شفير البئر يمد يده الى البئر فلا يبلغ الماء ولا
الماء يرتفع الى يده وما دعاء الكافرين الا في ضلال عن الصواب وذهاب عن الحق لان الاصنام
لا تسمع ولا تقدر على الاجابة قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم
بالغدو والآصال أي ولله يسجد ويصلي ويتعبد من في السموات والارض فالملائكة ومن دخل الاسلام
طوعا يسجد له طائعا وكرها والمكره هو الذي قوتل وسبي واجبر على الاسلام وقيل اراد بقوله
طوعا اهل الاخلاص وكرها اهل النفاق قوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال يعني اذا سجد الانسان
يسجد معه ظله قال الحسن اما ظل الكافر فيسجد لله واما هو فلا يسجد لله بئس والله ما يصنع قوله تعالى
قل من رب السموات والارض قل الله أي قل يا محمد لاهل مكة من رب السموات والارض فان اجابوك
وقالوا هو الله والا فقل الله تعالى ربهما وقل لهم افاتخذتم من دونه اولياء أي اربابا لا يملكون
لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف يملكون لكم النفع والضر قوله تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير
أي قل لهم هل يستوي اعمى القلب الذي يعدل عن عبادة الخالق هل يستوي مع البصير بقلبه العالم بانه تعالى
الهه ووليه والقادر على نفعه ودفع الضر عنه ام هل تستوي الظلمات والنور فيه تشبيه الكفر بالظلمات
وتشبيه الايمان بالنور قوله تعالى ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه معناه اجعل الكفار لله شركاء
خلقت شركاؤهم شيئا كما خلق الله فتشابه الخلق عليهم فلم يعرفوا خلق الشركاء من خلق الله فاشركوها
معه بالعبادة قل الله خالق كل شيء بلا شريك فاذا لم يكن الخلق الا من واحد لم يكن الخالق الا
واحدا فهو الذي يستحق العبادة بلا شريك وهو الواحد القهار لكل شيء لا يقهره احد ثم ضرب الله مثل
الحق والباطل قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا
أي انزل مطرا فسالت اودية من ذلك المطر بقدر الاودية فما كان منها كبيرا سال بقدره وما كان صغيرا
سال بقدره قوله تعالى فاحتمل السيل زبدا رابيا أي عاليا مرتفعا على الماء والسيل ما يسيل من الموضع
المرتفع قوله تعالى ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أي ومما يطرحون في النار من الذهب
والفضة لطلب حلية يلبسونها زبد أي خبث مثل زبد الماء قوله تعالى او متاع زبد مثله اراد
به الحديد والرصاص والنحاس كله مما يوقد عليه في النار لاتخاذ المتاع له زبد أي خبث مثل زبد الماء
قوله تعالى كذلك يضرب الله الحق والباطل أي هكذا يضرب الله مثل الحق والباطل فاما الزبد
فيذهب جفاء أي اما زبد هذه الاشياء فيذهب ناحية لا ينتفع به فان زبد الماء يتعلق باصول الاشجار
وجنبات الوادي والجفاء ما رمى به الوادي في جنباته مثل احجار القدر يرميها اذا قذفته
وكما ان زبد الماء يذهب خبثا لا ينتفع به كذلك خبث الحديد والفضة والحديد قوله تعالى كذلك
يضرب الله الامثال للناس في امر دينهم كما ضرب لكم المثل قال قتادة هذه ثلثة امثال ضربها الله في مثل
الحق والباطل كما انزل الله من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الصغير على مقداره والكبير على مقداره
كذلك انزل الله القرآن فاحتملت القلوب على قدرها ذا اليقين على قدر يقينه وذا الشك على قدر شكه قال
زبد الخطرات ووساوس الشيطان بالزبد يعلو على الماء وذكر من خبث التربة من عين الماء كذلك ما
يقع في النفس من وهم وشك فهو من ذات النفس من الحق قال غيره ان الزبد يذهب جفاء اذ هي
باطلا ويبقى صفو الماء كذلك يبطل الشك ويبقى الحق كما هو وكذلك مما يوقدون عليه
في النار لمنافع الناس يبطل زبده وخبثه ويبقى خالصه وصفوه كذلك الباطل يذهب ويبقى الحق

قوله تعالى للذين استجابوا لربهم الحسنى فيه بيان أن الذي ينبغي مما تقدم ذكره فهو مثل من يستجيب لربه
والذي يذهب جفاء هو مثل لمن لم يستجب والمراد بالحسنى في الآية الجنة ونعيمها قوله تعالى والذين
لم يستجيبوا له أي الذين لم يستجيبوا لربهم إلى الإيمان لو أن لهم ما في الأرض جميعا من الذهب والفضة
وسائر الأموال ومثله معه لافتدوا به أنفسهم من عذاب الله يوم القيامة لو قبل منهم ذلك ولكن لا يقبل قوله
تعالى أولئك لهم سوء الحساب أي شدته والمناقشة فيه قال إبراهيم النخعي هو أن يؤاخذوا بذنوبهم
كلها من دون أن يغفر لهم شيء منها قوله تعالى ومأواهم جهنم أي مصيرهم في الآخرة جهنم وبئس
المهاد أي المأوى يتقلبون في النار ويقعدون ويضطجعون عليها قوله تعالى أفمن يعلم أنما أنزل إليك
من ربك الحق كمن هو أعمى معناه أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك من القرآن أنه الحق فآمن به كمن
هو كافر لا يعلم قوله تعالى إنما يتذكر أولوا الألباب أي ذوو العقول ثم وصفهم الله قوله تعالى
الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق يريد بالعهد الذي عاهدهم عليه في صلب آدم قوله تعالى
والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل قيل المراد مواصلة المؤمنين فيما بينهم بالموالاة وصلة الأرحام
بالبر والشفقة وقيل أراد به الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل ويخشون ربهم أي يخافون
ربهم ويخافون سوء الحساب أي ويخافون أن يؤاخذوا بالعقاب قوله تعالى والذين صبروا ابتغاء
وجه ربهم معطوف على قوله الذين يوفون بعهد الله ومعناه على أداء الفرائض واجتناب المحارم وعلى
شدائد الدنيا لطلب ثواب الله ورضاه وأقاموا الصلوة المفروضة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
أي أخرجوا من أموالهم جميع الصدقات المفروضات خفية وجهرا وقيل أراد بالسر التطوع وبالعلانية الفرض
ويدرءون بالحسنة السيئة أي ويدفعون ظلم الظالمين وجور الجائرين بالحسنة وإنما يكون درء السيئة بالحسنة
على وجهين أحدهما الحلم والوعظ بالكلام الحسن والثاني أن تقابلوهم وتقبضوا على أيديهم قوله تعالى
أولئك لهم عقبى الدار أي أهل هذه الصفة لهم الدار التي أعقبتها لهم أعمالهم وهي الجنة ثم بين الله صفتها
قوله تعالى جنات عدن يدخلونها قال ابن عباس وهي وسط الجنة وهي معدن الأنبياء والصديقين
والشهداء والصالحين قوله تعالى ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم أي ويدخلها من صلح من
آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب يعني من أبواب البساتين يقولون
لهم سلام عليكم بما صبرتم على شدائد الدنيا وعلى المشقة في طاعة الله فنعم عقبى الدار التي أعقبها
لكم أعمالكم وقال ابن عباس لكل واحد من أهل جنات عدن خيمة من درة مجوفة لها ألف باب مصراعه من ذهب
يدخل من كل باب ملك يقولون سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قوله تعالى والذين ينقضون عهد
الله من بعد ميثاقه أي الذين يتركون فرائض الله من بعد تأكيده العهد عليهم ويقطعون ما أمر الله به
أن يوصل ويفسدون في الأرض بالظلم والدعاء إلى غير عبادة الله أولئك لهم اللعنة أي البعد من
رحمة الله ولهم سوء الدار وهو النار في الآخرة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أعجل الخير
ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغي واليمين الغموس تدع الديار بلاقع قوله تعالى الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر أي يوسع الرزق في الدنيا على من يشاء ويضيق على من يشاء وفرحوا بالحيوة الدنيا
يعني مشركي مكة أشرا وبطرا وما الحيوة الدنيا في جنب نعيم الآخرة إلا متاع قليل كمتاع البيت يتمتع
به ثم يفنى ويذهب قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم
ترجع قوله تعالى ويقول الذين كفروا أي يقولون على جهة التعنت هلا أنزل على محمد آية من ربه يعنون
الآيات التي اقترحوها عليه قل يا محمد إن الله يضل من يشاء من ثوابه وكرامته ويهدي إليه من أقبل

إلى الله

إلى الله ورجع عن الكفر قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله معناه الذين
آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وتسكن قلوبهم إلى ما وعد الله لهم من الثواب ألا بذكر الله
تطمئن القلوب قوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم أي لهم العيش الطيب
والكرامة والغبطة وحسن المرجع في الآخرة وقال مجاهد طوبى اسم الجنة بلغة الحبشة وعن
أبي هريرة أنه اسم شجرة في الجنة ساقها من الذهب وورقها الحلل وثمرها من كل لون وأغصانها ممتدة
في الجنة ليس في الجنة منزل إلا وفيه غصن من أغصانها ويخرج من أكمامها المسك والعنبر والزعفران لو أن
حقة أو جذعة صار بدار الشجرة لم يبلغ المكان الذي ارتحل منه حتى تموت القلوص هرما قوله تعالى كذلك
أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم أي هكذا أرسلناك إلى أمة قد مضت من قبلها أمم أرسلنا
فيهم الرسل لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك يعني القرآن وهم يكفرون بالرحمن يعني أهل
مكة فإنهم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة وكانوا يسمونه رحمن اليمامة قوله تعالى قل هو
ربي لا إله إلا هو يعني الرحمن هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب أي وإليه توبتي من
ذنوبي قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى وذلك أن
عبد الله بن أمية المخزومي وجماعة من كفار مكة قالوا يا محمد سير لنا جبال مكة وأذهبها حتى يتفسح فيها
فإنها أرض ضيقة ثم اجعل لنا فيها عيونا وأنهارا أو قرب أسفارنا فيما بيننا وبين الشام فإن السفر
يبعد فافعل كما فعل سليمان بالرياح كما تزعم فأنزل الله هذه الآية ومعناها ولو أن قرآنا أذهبت به الجبال
عن وجه الأرض أو قطعت به الأرض مسيرة شهر في يوم أو أحيي به الموتى فتكلموا لكان هذا القرآن لما فيه
من الدلالات الكثيرة على صحة هذا الدين ولو أمكن أن يفعل هذه الأمور لشيء من كتب الله لأمكن بهذا القرآن
وإنما حذف جواب لو في هذه الآية على وجه الاختصار لأن في الكلام دليلا عليه قوله تعالى بل لله
الأمر جميعا أي بل لله هو المالك لهذه الأشياء القادر عليها ولكن لا يختار إلا ما فيه مصلحة العباد
قوله تعالى أفلم ييأس الذين آمنوا معناه أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
إلى الإيمان بالإلجاء إليه أن الله قادر على ذلك ولكن لو فعل لبطل الامتحان والتكليف والإياس بمعنى العلم في لغة
النخع قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أي لا يزال الذين كفروا في عقوبات
من قبل الله يزجرهم عن الكفر ويبعثهم على التمسك بدين الله كما نزل بهم من القحط ونحوه من الشدائد
قوله تعالى أو تحل راجعة إلى القارعة والقارعة هي النازلة الداهية التي تنزل بأمر عظيم
وقيل أراد بالقارعة سرايا النبي صلى الله عليه وسلم وقوله أو تحل قريبا معناه أو تنزل أنت
يا محمد مع أصحابك قريبا من مكة تقاتلهم على الدين حتى يأتي وعد الله أي وقت هلاك الكفار وقيل
فتح مكة وقيل ما وعد الله من عذابهم في الآخرة إن الله لا يخلف ما وعد من عقاب الكفار قوله
تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك أي ولقد استهزئ بالأنبياء قبلك كما استهزئ بك قومك فأمليت
للذين كفروا بعد استهزائهم بالرسل ثم أخذتهم بذنوبهم فانظر كيف كان عاقبة ما حل من عقاب
الله بهم ولا يكن في صدرك حرج من استهزائهم قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أي
أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت بالتدبير ويعلم ما كسبت ويجازيها عليه كمن لا يعلم ذلك ولا يقدر
على المجازاة قوله تعالى وجعلوا لله شركاء أي ووصفوا لله شركاء في العبادة من الأصنام قل سموهم
الشركاء بأسمائها التي يستحقها وسموا منفعتها وتدبيرها إن كان لها شركة مع الله كما يوصف الله بالخالق
والرازق والمحيي والمميت قوله تعالى أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أي أتخبرون الله بما لا يعلم
أن يكون معلوما وهي كون الأصنام مستحقة للعبادة وهذا على وجه الإنكار قوله تعالى أم بظاهر

من القول الباطل يعني أنها أسماء للأصنام ... ظاهر كتاب من كتب الله وقيل بل تسمونها آلهة
ظاهرة بل تسمونهم آلهة بقول باطل ليس لكم دليل عليه قوله تعالى بل زين للذين كفروا مكرهم أي
قولهم وفعلهم في عبادة غير الله وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن قوله تعالى وصدوا
عن السبيل من قرأ بفتح الصاد فالمعنى صدوا الناس عن دين الله ومن قرأ برفعها فالمعنى صدوا وهم [illegible] عن دين الله
قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد ظاهر المعنى قوله تعالى لهم عذاب في الحياة الدنيا
يعني بالأسقام والقتل والأسر ولعذاب الآخرة أشق أي أغلظ من عذاب الدنيا وما لهم من الله من
واق يقيهم من عذاب الله قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم
وظلها أي صفة الجنة التي وعد المتقون الكفر والمعاصي أنها تجري من تحتها المياه بالأنهار دائم [illegible]
[illegible] قوله تعالى تلك عقبى الذين اتقوا
أي دار المتقين الجنة في العاقبة ودار الكافرين في العاقبة النار وفي الحديث أن الرجل من أهل الجنة
[illegible] من أهل الدنيا [illegible]
[illegible] قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك
وذلك أن عبد الله بن سلام ومن أسلم معه من أهل الكتاب قالوا يا رسول الله [illegible] ذكر الرحمن [illegible]
[illegible] في التوراة [illegible] قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن [illegible] والذين آتيناهم الكتاب يفرحون
بما أنزل إليك من ذكر الرحمن وغير ذلك قوله تعالى ومن الأحزاب من ينكر بعضه أي من اليهود والنصارى
من ينكر بعض القرآن [illegible] سورة يوسف وغيرها مما لا يكون فيه نسخ [illegible]
ينكرون من القرآن ما لا يوافق مذهبهم ودينهم قوله تعالى قل إنما أمرت أن أعبد الله أي قل يا محمد
إنما أمرت أن أعبد الله وحده ولا أشرك به إليه أدعو الخلائق وإليه رجوعي في الآخرة قوله تعالى
وكذلك أنزلناه حكما عربيا أي كما أنزلنا على الأنبياء المتقدمين بلسانهم كذلك أنزلنا إليك
القرآن حكما عربيا والحكم هو الفصل بين الشيئين على ما توجبه الحكمة وقد يكون الحكم بمعنى الحكمة كما في قوله
تعالى وآتيناه الحكم صبيا أي الحكمة والنبوة قوله تعالى ولئن اتبعت أهواءهم أي دين اليهود وقبلتهم
بعد ما جاءك من العلم أي دين الله دين إبراهيم وقبلته الكعبة ما لك من الله من ولي أي من ناصر
ينصرك ولا واق أي ولا دافع يدفع العقاب عنك قوله تعالى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا
لهم أزواجا وذرية قال ابن عباس وذلك أن اليهود كانوا يعيرون النبي صلى الله عليه وسلم
بتزويج النساء حتى قالوا لو كان محمد نبيا لشغلته النبوة عن تزويج النساء فأنزل الله هذه الآية
والمعنى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم نساء أكثر من نسائك وأولادا أكثر من أولادك
كان لداود عليه السلام مائة امرأة ولسليمان ثلاثمائة امرأة مهيرة وسبعمائة سرية قوله تعالى
وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله أي هل يملك أحد من الرسل أن يأتي بآية إلا بإذن الله
فإنه سبحانه وتعالى هو المالك للآيات لا يقدر أن يأتي أحد بشيء منها إلا بإذنه قوله تعالى لكل أجل
كتاب أي لكل مدة من آجال العباد في الخلق والفناء كتاب قد كتبه الله وذكر للملائكة ليعلمهم
به على علمه بالأشياء قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت قال ابن عباس يمحو الله ما يشاء من ديوان
الحفظة ما ليس من أعمال العباد مما لا جزاء له ويترك ما له الثواب والعقاب وقال الضحاك يمحو الله ما
يشاء من القرآن فينسخه ويثبت ما يشاء فلا ينسخه وعن الحسن يمحو أجل من حان أجله ويدع أجل من لم يحن أجله
[illegible] وقيل يمحو الله ما يشاء من الطاعات بإحباطها بالمعاصي ومن المعاصي بتكفيرها بالطاعات [illegible]

[illegible] يدخل في المحو والإثبات السعادة والشقاوة والموت [illegible] قال ابن عباس لا يدخل [illegible] وقال
عمر وابن مسعود يدخل فيه السعادة والشقاوة وكان من دعاء عمر اللهم إن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا
وإن كنت كتبتنا أشقياء فامحنا واكتبنا سعداء فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب قوله تعالى
وعنده أم الكتاب أي أصل الكتاب وقيل إنه اللوح المحفوظ كتب الله فيه كل شيء قبل أن يخلق الخلق
لا يزاد فيه شيء ولا ينقص منه قوله تعالى وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك أي وإما
نرينك يا محمد بعض الذي نعدهم من نصرة المؤمنين على الكفار ونقبضك إلينا قبل أن نكون ما نعدهم من
العذاب في حياتك فإنما عليك البلاغ ما أنزل إليك وعلينا حساب ما يعملون والجزاء عليه قوله تعالى
أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها قال ابن عباس أو لم ير أهل مكة أنا ننقص الأرض
من أطرافها بفتح ديارهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وقال الحسن أراد ننقص طرف الأرض بذهاب
فقهائها وخيار أهلها وقال [illegible] مثل العلماء مثل النجوم إذا بدت اهتدوا بها وإذا أظلمت [illegible] وموت العالم
ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار قوله تعالى والله يحكم لا معقب لحكمه أي والله
يحكم [illegible] معقب لحكمه بالرد وهو سريع الحساب إذا حاسب فحسابه سريع قوله تعالى وقد
مكر الذين من قبلهم أي قد مكر الذين من قبل هؤلاء الكفار بأنبيائهم صلوات الله عليهم كما مكر هؤلاء عند الله
مكرهم جميعا فإن ما يفعله الله من إنشاء المكروه [illegible] قوله تعالى يعلم ما تكسب كل
نفس من خير وشر فيجازيها عليه قوله تعالى وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار [illegible] إذا جهلوا
عاقبة أمرهم فسيعلمون إذا صاروا إلى الآخرة لمن عاقبة الدار المحمودة لهم أم للمؤمنين قوله تعالى
ويقول الذين كفروا لست مرسلا أي ويقول الذين كفروا من اليهود وغيرهم لست يا محمد مرسلا من الله
[illegible] قل لهم يا محمد كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على أني رسول إليكم وشهادة الله على
نبوته من المعجزات [illegible] قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب كان ابن عباس
[illegible] ومن عنده [illegible] يقول هو عبد الله بن سلام وأصحابه كان عندهم في التوراة نعت النبي صلى الله عليه وسلم
وصفته وكان يقول هذه الآية نزلت بالمدينة لأن هؤلاء أسلموا بالمدينة وكان ابن مسعود [illegible] ومن عنده بالخفض
[illegible] أن القرآن من عند الله وكان يقول هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة وقرأ ومن
عنده علم الكتاب بخفض [illegible] وضم العين وكسر اللام [illegible] هكذا روي عن سعيد بن جبير

سورة إبرهيم عليه السلام

وهي [illegible] ألف وأربعمائة [illegible] وثلاثون حرفا وثمانمائة وإحدى وثلاثون كلمة واثنان وخمسون آية [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الر

كتاب أنزلناه إليك قد تقدم تفسير الر قوله تعالى كتاب خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون
خبر الر قوله تعالى لتخرج الناس من الظلمات إلى النور أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان بأمر
ربهم أمرك أن تدعوهم إلى الإيمان وتخرجهم عن الكفر قوله تعالى إلى صراط العزيز الحميد أي إلى دين
العزيز الحميد والعزيز الذي لا يمكن أن يغلب ويقهر والحميد المستحق للحمد قوله تعالى الله الذي له ما في
السموات وما في الأرض ومن قرأ برفع الهاء فعلى الابتداء ومن قرأ بالخفض جعله بدلا من الحميد قوله
تعالى وويل للكافرين الويل كلمة تستعمل في الشدة ويقال هو واد في جهنم قوله تعالى الذين يستحبون
الحياة الدنيا على الآخرة أي يختارونها عليها ويصدون عن سبيل الله أي يصرفون عن طاعة الله
من الصد وهو الإعراض ويجوز أن يكون معناه ويمنعون الناس وقوله تعالى ويبغونها عوجا

أي وتطلبون لدين الله العوج والعوج بكسر العين وفتحها بالعصا قوله تعالى أولئك في ضلال بعيد
أي في ذهاب عن الحق بعيد قوله تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم أي ليفهمهم ليبين
لهم ما أمروا به ونهوا عنه ليفهموا ويتعلموا فيضل الله من يشاء ممن كان أهلا لذلك ويهدي من يشاء
من يشاء وهو العزيز الحكيم قوله تعالى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أي بدلائلنا التي دلت على صحة نبوته
مثل العصا واليد وغيرهما أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور قوله تعالى وذكرهم بأيام الله أي
بنعم الله وقيل بوقائع الله في الأمم السالفة مثل قوم نوح وعاد وثمود وقيل بنعم الله ونقمه والمعنى عظهم بالترغيب
والترهيب والوعد والوعيد قوله تعالى إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور على طاعته وعن معصيته شكور
والشكر هو إظهار النعمة على جهة الاعتراف بها قوله تعالى وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم هذه الآية قد سبق تفسيرها في سورة البقرة قوله تعالى وإذ تأذن ربكم هذا عطف على قوله
إذ أنجاكم وإذ تأذن ربكم وهذا إخبار عن ما قال موسى لقومه أي أعلمكم في الكتاب لئن شكرتم نعمتي
أي وحدتم نعمة ولئن كفرتم نعمتي إن عذابي لشديد لمن كفر قال ابن عباس يعني لئن وحدتم
وأطعتموني لأزيدنكم نعمة قال قتادة حق على الله أن يعطي من سأله ويزيد من شكره وقوله تعالى لئن
كفرتم أي جحدتم حقي وجحدتم نعمتي إن عذابي لشديد قوله تعالى وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في
الأرض جميعا نعمته فإن الله لغني عن طاعتكم لأنه لم يأمركم بطاعته لحاجته إليها وهو لحميد
وطاعة قوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم قيل
إن الخطاب في هذه الآية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب موسى لقومه قوله تعالى والذين من
بعدهم يعني قوم شعيب وغيرهم لا يعلم عددهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات أي بحجات قوله تعالى
فردوا أيديهم في أفواههم قال ابن عباس عضوا على أناملهم غيظا على الرسل فيما دعوهم إليه
مجاهد هذا كناية عن الجحد والتكذيب وقيل معناه وضع الكفار أيديهم على أفواههم إشارة إلى الرسل أن اسكتوا
وقيل وضع الكفار أيديهم على أفواه أنبيائهم قوله تعالى وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما
تدعوننا إليه من توحيد مريب ظاهر الشك والريب أشد الشك مع التهمة قوله تعالى قالت رسلهم أفي
الله شك أي في توحيد الله شك وهذا إنكار من الرسل عليهم أي لا شك في توحيد الله فاطر السموات
والأرض أي خالقهما فكيف تشكون فيه ودليل وحدانيته ظاهر يدعوكم إلى دينه ليغفر لكم من
ذنوبكم في الجاهلية ويؤخركم إلى منتهى آجالكم ولا تعذبكم [illegible] وأما دخول من في
من ذنوبكم [illegible] أن يكون للتبعيض [illegible]
ليغفر لكم بعض ذنوبكم فادعوا الله [illegible] في مغفرة الذنوب كلها قوله تعالى قالوا إن أنتم إلا
بشر مثلنا أي قالت الأمم لرسلهم هل أنتم إلا آدميون مثلنا لا فضل لكم علينا تريدون أن تصدونا
عما كان يعبد آباؤنا من الأصنام فأتونا بحجة واضحة [illegible] كانوا يقترحون [illegible]
أنبيائهم قوله تعالى قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم كما قلتم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده
كما أنعم علينا بأن أرسلنا [illegible] ونحن بشر مثلكم قوله تعالى وعلى الله
فليتوكل المؤمنون ظاهر المعنى فقالت الكفار لهم فتوكلوا أنتم على الله حتى تروا ما نفعل بكم قالت
الرسل وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا أي بيننا وأرشدنا [illegible] الدلالة على
الحق والرشد ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون والتوكل هو التمسك بطاعة الله
مع الرضا بقضائه وتدبيره قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن
في ملتنا أي قالت الكفار لرسلهم لا نسألكم على [illegible] أو لتعودن في ملتنا وقد ذكرنا ذلك في

قصة شعيب في سورة الأعراف فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين أي الكفار ولنسكننكم
الأرض من بعدهم وديارهم من بعد هلاكهم وهذا مثل قوله تعالى في الأنعام فإن هذا جزاء من توكل على الله ذلك جزاء
لمن خاف مقامي أي القيام عندي وخاف وعيد أي بالعقاب لمن عصاني قوله تعالى واستفتحوا وخاب
كل جبار عنيد أي سأل الرسل ربهم أن يحكم بينهم وبين الكفار لأن الفتح هاهنا بمعنى الحكم تعالى
الحاكم الفتاح فلما فزع الرسل إلى ربهم بإنجاز الوعد فتح لهم ما طلبوه فخاب كل جبار عنيد والجبار
هو كل جبار عنيد والجبار هو الطالب التجبر والعلو فوق كل علو والعنيد هو الدافع للحق على جهة
الاستكبار وقال قتادة العنيد المعرض عن طاعة الله وقال مجاهد هو المجانب للحق قوله تعالى
من ورائه جهنم معناه أمام هذا الجبار بعد الموت جهنم والوراء يكون من خلف وقدام و قوله تعالى
ويسقى من ماء صديد أي يسقى من ماء يسيل من حلوق أهل النار من القيح والدم قال ابن عباس
جهنم أودية في تلك الأودية صديد أهل النار وقيحهم ودماؤهم يسقون من ذلك الصديد قد نتن
يتجرعه مرارته والملك يضربه بالمقامع ويقول له اشرب فيقول لا أطيقه فيضربه حتى يشربه
يتجرعه جرعة جرعة ولا يكاد يسيغه من نتنه وحره قوله تعالى ولا يكاد يسيغه أي لا يقدر أن يبلعه
والإساغة هو دخول المشروب في حلقه من شوكة وجهه [illegible] وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال يقرب إليه فيكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فيه فإذا شربه
قطع أمعاءه فتخرج أمعاؤه من الجانب الآخر كما قال تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم قوله تعالى
ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت أي ويأتيه غم العذاب وألمه من كل مكان كان فيه يموت
بدن من ذلك في الدنيا قال ابن عباس يأتيه الموت من تحت كل شعرة وجسده وقيل يأتيه النيران من كل
جانب وما هو بميت فيستريح من العذاب ومن ورائه عذاب غليظ أي ومن بعد ذلك عذاب أشد
مما تقدم لا ينقطع ولا يفتر قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح
في يوم عاصف أي مثل أعمال الذين كفروا بربهم في انتفاعهم بها كرماد اشتدت به الرياح في يوم ذي
عاصف يقول كما لا يقدر أحد على الانتفاع بشيء من الأعمال التي عملوها على جهة البر مثل صلة الرحم ونحوها
لأنها الكفر والمعاصي فلا يكون كرماد اشتدت به الريح قوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد أي
ذلك الذي ذكر هو الذهاب عن النفع البعيد عن الحق والهدى قوله تعالى ألم تر أن الله خلق
السموات والأرض بالحق أي ألم تعلم يا محمد أن الله خلق السموات والأرض على ما توجبه الحكمة وتقتضيه
المصلحة والحق هو وضع الشيء موضعه قوله تعالى إن يشأ يذهبكم أيها الكفار أي يهلككم ويخلق
قوما آخرين أطوع لله منكم وليس ذلك على الله بشديد ولا ممتنع قوله تعالى وبرزوا لله جميعا أي
إذا كان يوم القيامة برز الناس من قبورهم للمسألة والمحاسبة فيسألون عن أعمالهم ويجازون عليها
فقال أتباع الظلمة والعصاة للذين استكبروا وهم الرؤساء والقادة إنا كنا لكم تبعا في المعصية
والظلم في الدنيا فهل أنتم دافعون عنا شيئا من عذاب الله فيقول لهم رؤساؤهم لو هدانا الله
إلى ما نتخلص به من هذا العذاب لهديناكم إليه أي لا مطمع لنا في ذلك فكيف تطمعون في سبيله من جهتنا
سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص أي لا حيلة لنا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من
تخلص من هذا العذاب قوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق هذا
إخبار عن خطبة الشيطان وذلك أنه إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قام إبليس خطيبا
على منبر من نار فقال يا أهل النار إن الله وعدكم وعدا وكان وعده حقا ووعدتكم فأخلفتكم وما كان
لي عليكم من سلطان تقدره الإكراه على المعصية ولا حجة على ما قلت إلا أن دعوتكم إلى طاعتي

بالوسوسة فاستجبتم لي بسوء اختياركم فلا تلوموني على ما حل بكم من العقاب ولوموا أنفسكم
فإني لم أجبركم على المعصية ما أنا بمصرخكم أي بمغيثكم وما أنتم بمصرخي والإصراخ في اللغة هو إغاثة المستغيث
به ويحكى أن أعرابيا أتى على رجل يقرأ هذه الآية فقال قاتله الله ما أفصحه قوله تعالى
إني كفرت بما أشركتمون من قبل هو إخبار عن كلام إبليس ومعناه إني كفرت من قبل بالذي أشركتموني به
في الطاعة من قبل أن أشركتموني به أي كفرت بربي من قبل ما عبدتموني به ويقال معناه إني كفرت اليوم بما
كان من إشراككم إياي في الطاعة إذ أطعتموني وخذلتموني كأني رب [illegible] شريكا لربكم وأنا اليوم [illegible]
من شرككم قوله تعالى إن الظالمين لهم عذاب أليم أي قال الله تعالى إن الظالمين من إبليس وغيره لهم عذاب
وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم قوله تعالى وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الأنهار أي في جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام
أي يحيي بعضهم بعضا بالسلام وترسل الله الملائكة إليهم بالسلام قوله تعالى ألم تر كيف ضرب الله مثلا
كلمة طيبة كشجرة طيبة أي ألم تعلم يا محمد كيف وصف الله شبها كلمة طيبة وهي كلمة التوحيد لا إله
إلا الله والإقرار بالنبوة كشجرة طيبة الثمر وهي النخلة ليس شيء أحلى من ثمرها وهو الرطب كما لا كلمة أحسن من كلمة
التوحيد قوله تعالى أصلها ثابت وفرعها في السماء فيه تشبيه ثبات الإيمان وما فيه من الأدلة بقرار النخلة
أي أصلها ثابت على نهاية الثبات في تمكن عروقها في الأرض بل المعرفة في قلب المؤمن أثبت من عروق النخلة
لأن النخلة تقلع ومعرفة العارف لا يقدر أحد من الناس أن يخرجها من قلبه وقوله تعالى وفرعها في السماء
تشبيه أعمال المخلصين التي هي فروع الإيمان في أنها ترفع وتعلو إلى جانب السماء لأن الأعمال لا تصلح إلا بالإيمان
والأصل هو الإيمان والفرع هو الأعمال الصالحة قوله تعالى تؤتي أكلها كل حين فيه تشبيه ما يحصل
من الثواب الدائم الذي لا منزلة أعلى منه وقوله تعالى بإذن ربها أي بعلمه وتقديره وقوله تعالى ويضرب
الله الأمثال للناس أي يبين الله الأشباه للناس في صفة التوحيد والدين لكي يتعظوا ويؤمنوا قوله تعالى
ومثل كلمة خبيثة يعني كلمة الشرك كشجرة خبيثة يعني شجرة الحنظل ليس فيها حلاوة ولا منفعة ولا من
طيبة لا تضر من تناولها فكذلك كلمة الكفر تضر صاحبها قوله تعالى اجتثت من فوق الأرض أي انقلعت
كما أنه ليس لشجرة الحنظل أصل يثبت عليه ويتقوى ولكن تقلع وتؤخذ جثته من أصله فكذلك الكفر يبطله الله [illegible]
أصله قوله تعالى ما لها من قرار قال ليس لهذه الشجرة من قرار فإن الريح تقلعها وتذهب بها كذلك ليس لكلمة
الكفر حجة يحتج بها صاحبها قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة
أي يثبت الله الذين آمنوا بقول ثابت وهو لا إله إلا الله في الحيوة الدنيا وفي الآخرة يعني في القبر كما روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن المؤمن إذا دخل قبره وأتاه منكر ونكير ويقولان له من ربك وما دينك
ومن نبيك فيثبته الله فيقول الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي فيقولان له صدقت هكذا كنا نظن بك
الدنيا ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له انظر إلى منزلك لو كفرت بربك فأما إذ آمنت بربك فهذا منزلك ثم يفتح له باب
إلى الجنة ويفسح له في قبره وإن كان كافرا أو منافقا فيقولان له ما تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري سمعت
الناس يقولون كذا وكذا فيقولان له لا دريت ولا اهتديت ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له هذا لك لو آمنت
فأما إذ كفرت فإن الله أبدلك بهذا ويفتح له باب إلى النار ثم تقمعه الملائكة بمطراق فيصيح صيحة يسمعها خلق
الله كلهم غير الثقلين ولا يسمع صوته شيء إلا لعنه ثم يفتح له باب إلى النار فيدخل عليه من ريحها وسمومها
ويقال له نم نومة اللديغ ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف عليه أضلاعه فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة قوله تعالى ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء فيه
تثبيت [illegible] في الإضلال لا مانع له مما يفعله قوله تعالى ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا فيه تعجب للنبي

صلى الله عليه وسلم من صنيع المشركين فإنهم بدلوا شكر نعمة الله بالكفر ثم لم يقتصروا على هذا في أنفسهم حتى أضلوا
قومهم وأحلوهم دار البوار أي دار الهلاك وهي جهنم يدخلونها يوم القيمة وبئس القرار قرار من يكون قراره
النار وقوله تعالى جهنم نصب يصلونها قوله تعالى وجعلوا لله أندادا أي أمثالا وأنظارا ليضلوا عن
سبيله أي كان عاقبتهم الضلال عن دين الله قل تمتعوا قليلا في الدنيا فإن مصيركم إلى النار قوله
تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة في الآية أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يأمر المؤمنين
بما يؤديهم إلى النعيم المقيم وقوله تعالى يقيموا الصلوة أي يؤدوها لمواقيتها بشرائطها ٭ واختلفوا في جزم يقيموا
فقال [illegible] جواب الأمر ٭ وقال بعضهم تقديره قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا قوله تعالى وينفقوا مما
رزقناهم سرا وعلانية من الأموال في وجه البر من الفرائض والنوافل سرا في النوافل وعلانية في الفرائض
من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه وهو يوم القيمة لا يقبل البدل للتخلص من النار ولا خلال يوم لا يقبل
البدل للتخلص من النار ولا خلال أي لا مودة تكون فيها تخلص أحدهما للآخر قوله تعالى الله الذي
خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء يعني المطر فأخرج به من الثمرات ما تنتفعون به قوله
تعالى وسخر لكم الفلك أي السفن لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار تجري حيث تشاؤن
وسخر لكم الشمس والقمر دائبين أي سخرهما لكم إلى يوم القيمة وسخر لكم الليل والنهار
أي يتعاقبان لتصرف الناس في معاشهم بالنهار ويهدؤا بالليل قوله تعالى وآتاكم من
كل ما سألتموه من العافية والسلامة وغير ذلك ومن قرأ من كل بالتنوين فالمعنى أعطاكم من
كل ما تقدم ذكره من النعم ثم قال ما سألتموه أي لم تسألوه بل ابتدأكم به تفضلا قوله تعالى وإن
تعدوا نعمة الله لا تحصوها أي إنعامه والنعمة هاهنا اسم أقيم مقام المصدر ولذلك لم يجمع
تحصوها أي لا تقدروا على جميعها بالعد وقيل لا تحفظوها ولا تطيقوا عدها قوله تعالى إن الإنسان
لظلوم كفار معناه أن الإنسان مع هذه النعم لظلوم لنفسه كفار لنعم ربه والإنسان اسم جنس لكن
يقصد به في هذا الموضع الكافر خاصة قوله تعالى وإذ قال إبرهيم رب اجعل هذا البلد آمنا أي
واذكر إذ قال إبرهيم بعد ما بنى البيت رب اجعل مكة آمنا يأمن فيها الناس والوحوش فاستجاب الله
دعاءه حتى اجتمع فيه الناس مع شدة العداوة بينهم وتدنو الوحوش فيه من الناس [illegible] منهم وأمناء
البلد في هذه الآية وذكرها في البقرة لأن النكرة إذا أعيدت تعرفت قوله تعالى واجنبني وبني أن نعبد
الأصنام أي والطف بي وبني لطفا نجتنب به عبادة الأصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس
يعني الأصنام وأضاف الإضلال إلى الأصنام وإن لم تكن تفعل شيئا لأنهم ضلوا بعبادتها قوله تعالى فمن تبعني
فإنه مني أي فمن تبعني على ديني فإنه مني ومعي ومن خالفني في ديني فإنك غفور رحيم أي غفور
لذنوبهم رحيم بهم قوله تعالى ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع أي قال إبرهيم ربنا إني
أسكنت بعض ذريتي وهو إسمعيل مع أمه هاجر بواد جدب ليس به شيء وأراد به وادي مكة وهو الأبطح
قوله تعالى عند بيتك المحرم أي عند مسجدك الحرام سماه المحرم لأنه لا يستطيع أحد الوصول إليه إلا
بالإحرام وقيل أراد به حرمة الاصطياد والقتال كما روي في الخبر أن مكة حرام لا يختلى خلاها ولا يعضد
شوكها ولا ينفر صيدها قوله تعالى ربنا ليقيموا الصلوة أي أسكنتهم عند بيتك المحرم ليقيموا الصلوة
بحرم مكة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم أي تنزع إليهم قال مجاهد لو قال إبرهيم أفئدة الناس
لازدحمت عليه الروم وفارس ولكن قال أفئدة من الناس وقال ابن جبير لو قال أفئدة الناس لحجت اليهود والنصارى
والمجوس ولكنه قال أفئدة من الناس فهم المسلمون وقرأ [illegible] تهوى من هوي يهوى إذا أحب إلا أن القراءة
المعروفة بالكسر قوله تعالى وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ظاهر المعنى قوله تعالى

ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن أي ما نسر في أنفسنا وما نظهر قوله تعالى وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء يحتمل أن يكون من كلام ابرهيم ويحتمل أن يكون قولا من الله معترضا بين الكلامين كأنه قال وصدق ابرهيم فانه لا يخفى على الله من شيء ثم رجع الى قول ابرهيم الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق روي أن ابرهيم كان ابن مائة سنة يوم ولد له اسحق وكانت سارة يومئذ بنت تسع وتسعين سنة وكان اسمعيل أكبر من اسحق بثلث عشرة سنة قوله تعالى ان ربي لسميع الدعاء قوله تعالى رب اجعلني مقيم الصلوة أي مثبتا ودائما على الصلوة واجعل من ذريتي من يقيم الصلوة ربنا وتقبل دعاء أي أجب دعائي ربنا اغفر لي ولوالدي قال بعضهم أراد آدم وحوى لأن الله كان نهاه عن استغفاره لأبويه من بعد ما تبين أنه عدو لله وقال بعضهم أراد به أبويه الأدنين وكان ابرهيم يستغفر لأبيه عن موعدة وعدها اياه وقرأ بعضهم ولوالدي لأن أمه كانت مسلمة قوله تعالى يوم يقوم الحساب يوم يحاسب الخلق قوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون أي لا تظنن الله يا محمد غافلا عن أعمال الظالمين ومجازاتهم على ما يعملون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار قال ابن عباس اذا سيقوا الى النار شخصت أبصارهم اليها وقال الحسن تشخص أبصارهم الى اجابة الداعي حين يدعوهم وهم لا يغمضون أعينهم من هول ذلك اليوم قوله تعالى مهطعين مقنعي رؤسهم أي مسرعين نحو البلاء الذي نزل بهم والاهطاع الاسراع وقال مجاهد مهطعين أي مديمين النظر وقال الخليل المهطع الذي يقبل على الشيء ببصره ولا يرفعه عنه أي رافعي رؤسهم الى ما يرون في السماء من الانفطار وانتثار الكواكب وتكوير الشمس ونحو ذلك قوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء أي لا يغمضون أعينهم من الهول والفزع وقوله تعالى وأفئدتهم هواء أي قلوبهم خالية من كل خير وأملي خير وقيل مجوفة لا عقول فيها وقال السدي هوت أفئدتهم من موضعها وبين الحنجرة ولا هي عائدة الى موضعها ولا هي خارجة منها ثم عاد الى خطاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب أي أعلمهم موضع المخافة يوم يأتيهم العذاب وهو يوم القيمة فيقول الذين ظلموا أي الكفار ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك استمهلوا مدة يسيرة كي يجيبوا الدعوة ويتبع الرسل ويقول الله تعالى أولم تكونوا أقسمتم من قبل أي حلفتم قبل هذا في الدنيا ما لكم من زوال من انتقال من الدنيا الى الآخرة كما قال تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم أي سكنتم في مساكن عاد وثمود وتبين لكم كيف فعلنا بهم أي ظهر لكم كيف كفروا بالله ورسله وكيف عاقبهم الله والمعنى كان ينبغي أن تنزجروا وترتدعوا عن الكفر اعتبارا بمساكنهم بعد ما تبين لكم فعلنا بهم قوله تعالى وضربنا لكم الأمثال أي بينا لكم الأمثال في القرآن المنبهة على التفكر ولم تعتبروا بتلك الأمثال قوله تعالى وقد مكروا مكرهم أي مكرت الأمم الماضية بأنبيائهم ما أمكنهم من المكر والله تعالى عالم بمكرهم وعنده جزاء مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال من قرأ لتزول بكسر اللام فالمعنى وان كان مكرهم قصد منهم الى أن تزول منه الجبال فهو لا يزول منه الجبال فكيف يزول منه الدين الذي هو أثبت من الجبال وقيل معناه المجد كأنه قال وما كان مكرهم ليزول منه دين الاسلام ونبوته كثبوت الجبال فاستحقر مكرهم ومن قرأ لتزول بفتح اللام فمعناه وان كان مكرهم منتهاه حتى تزول منه الجبال فلا يضر ذلك أنبياء الله ورسله فان الله وعد رسله النصر لقوله ليظهره على الدين كله قوله تعالى فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله أي لا تظنن الله يا محمد مخلف رسله ما وعدهم من النصر واظهار الدين ان الله عزيز ذو انتقام أي يعجزه شيء ذو نقمة ممن عصاه وكفر به قوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات تبديلها أن يزاد فيها وينقص منها وتسوى جبالها وأوديتها وتمد مد الأديم العكاظي أرضا بيضاء كالفضة وتبديل السموات انفطارها وانتثار كواكبها وتكوير شمسها وخسوف قمرها وذهب بعضهم الى أن الأرض تبدل على ظاهرها وأنه تعدم الأرض ثم تبدل يومئذ بأرض أخرى كما روي عن عائشة أن

النبي صلى الله عليه وسلم وأهله لا نه فقلت يا رسول الله فأين يكون الناس قال على جسر جهنم يعني الصراط وأما السموات على هذا القول فانها تطوى وتبدل سماء أخرى كما قال تعالى يوم نطوي السماء قوله تعالى وبرزوا لله الواحد القهار أي وبرزوا من قبورهم للمحاسبة قوله تعالى وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد أي وترى يا محمد الذين أجرموا يوم القيمة مقرنين مجموعين مع الشياطين في الأصفاد أي في الأغلال والسلاسل كما روي في الخبر أن يقرن كل كافر مع شيطانه في غل من حديد وقيد من حديد والأصفاد الأغلال واحدها صفد وصفاد وقيل الأصفاد الأغلال والقيود قوله تعالى سرابيلهم من قطران أي قمصهم من رصاص أسود كالقطر وهو ما هنا به الابل ومن قرأ قطران من القطر والآخر من القطران قوله تعالى وتغشى وجوههم النار أي وتعلو وجوههم النار وذلك أن بدن الكافر وشيطانه يحترق من الكبريت تشتعل في الوجه ليجزي الله كل نفس ما كسبت معناه وبرزوا لله الواحد القهار ليجزي الله كل نفس ما كسبت يجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ان الله سريع الحساب اذا حاسب يحاسبه سريع لأنه لا يحاسب بعقد وإشارة ولا يتكلم بلسان ولكن يكلم الجمع في وقت واحد قوله تعالى هذا بلاغ للناس ولينذروا به أي هذا القرآن ذكر بالغ وموعظة كافية للناس ويحتمل أن يذكر العقاب وليذكر أولوا الألباب أي ليتعظ ذوو العقول من الناس فيوصلهم ذلك الى الجنة ويخلصهم من النار وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابرهيم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام وبعدد من لم يعبدها ...

سورة الحجر

وهي تسع وتسعون آية بلا خلاف والفان وسبعماية وستون حرفا وستمائة وأربع وخمسون كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قد تقدم تفسير الر ومعنى تلك آيات الكتاب أي هذه آيات الكتاب الذي وعدت انزاله عليك قوله تعالى وقرآن مبين أي مبين الحلال والحرام مميز بين الحق والباطل قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين أي ربما يأتي على الكفار يوم يتمنون أن لو كانوا مسلمين وذلك في الآخرة اذا صار المسلمون الى الجنة والكفار الى النار قال ابن عباس وذلك أن الله تعالى اذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أخرج قوما من المسلمين ومن المنافقين على الصراط فيقول المنافقون لهم نحن جميعا كفرنا وايمانا فما نفعكم ايمانكم يا محمد بعبده ذلك يضحكون ضحكة لما غرهم المنافقون فيسمعها أهل الجنة فيتشوقون الى آدم وابرهيم ثم الى موسى ثم الى عيسى يطلبون الشفاعة لهم فيحيلون ثم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم وذلك هو المقام المحمود فيدخلهم الله الجنة فاذا نظر المنافقون اليهم تمنوا لو كانوا مسلمين قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل أي اتركهم يا محمد يأكلوا في الدنيا كالأنعام ويتلذذوا وأقبلوا ويشغلهم الأمل عن طاعة الله تعالى فسوف يعلمون ماذا ينزل بهم من العذاب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان أخوف ما أخاف على أمتي شيئان طول الأمل واتباع الهوى فأما طول الأمل فينسي الآخرة وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم أي أجل مؤقت أنه لا يهلكهم الله حتى يبلغوا اليه لا يهلك أمة قبل أجلها الذي كتب لها ولا تؤخر عن أجلها طرفة عين ولا يغتر هؤلاء الكفار بتأخير وقت هلاكهم فانه اذا جاء الوقت الذي كتب الله هلاكهم فيه لا يتأخروا عنه كما لا يستقدمون وفي هذا بيان أنه لا يموت أحد ولا يقتل الا بأجله الذي جعله الله له وهو معترض على هذا قول من قال كان يجب أن لا يكون القاتل ظالما للمقتول لأنه لو لم يقتله كان يموت في ذلك الوقت فلما كان يموت من غير القتل وكان القاتل بانصافه ذلك له ظالما له قوله تعالى وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون أي قال الكفار من أهل مكة وهم عبد الله بن أبي أمية المخزومي وأصحابه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا أيها الذي نزل عليه الذكر في دعواه وفي زعمه انك لمجنون في دعواك انه نزل عليك هذا فانهم كانوا لا يقرون بأن القرآن

أنزل عليه وقوله تعالى لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين أي هلا تأتينا بالملائكة من السماء
يشهدون على أنك رسول الله إن كنت من الصادقين فيما تدعي قوله تعالى ما ننزل الملائكة إلا بالحق جواب من
الله لهم يقول ما ننزل الملائكة من السماء إلا بالرسالة والعقاب والموت وكل ذلك حق قوله تعالى وما كانوا
إذا منظرين أي وما كانوا إذا مؤجلين إذا نزلت عليهم الملائكة بل يستأصلون بالعذاب حينئذ إلا من كان
في معلوم من حاله أنه يؤمن قوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون أي جعلناه معجزا لا يقدر على
الإتيان بمثله فهو محفوظ من الزيادة والنقصان ويقال هو محفوظ من كيد المشركين بالإبطال قوله تعالى
ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين أي ولقد أرسلنا رسلا من قبلك في الأمم الأولين والشيع جمع شيعة وهي
الأمة والفرقة قوله تعالى وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون في إنكار التوحيد والبعث كما يفعل بك
قومك قوله تعالى كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به أي كذلك نسلك القرآن في قلوب المجرمين بأن
نسمعهم ونفهمهم ثم لا يؤمنون به وقيل معناه كذلك نسلك الاستهزاء في قلوب المجرمين حتى يستمعوا عنه والسلك
إدخال الشيء في الشيء قوله تعالى وقد خلت سنة الأولين أي وقد مضت سنة الأولين بعذاب الاستئصال
عند معاندتهم في التكذيب قوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت
أبصارنا أي لو فتحنا على هؤلاء الكفار بابا من السماء ينظرون إليه فظلوا يصعدون إليه وينزلون عنه لم يؤمنوا
وقالوا إنما سكرت أبصارنا أي غطيت أبصارنا وغشيت عن حقيقة الرؤية بل نحن قوم قد سحرنا وتخيل لنا هذه الأشياء
على خلاف حقائقها كما قالوا لما رأوا انشقاق القمر وعاينوه هذا سحر مستمر ومن قرأ سكرت بالتخفيف فهو من السكر
وقراءة التشديد لتكثير الفعل والمبالغة قوله تعالى ولقد جعلنا في السماء بروجا وهي منازل الشمس والقمر
والكواكب السبعة وهي اثنا عشر برجا أولها الحمل والثور وآخرها الحوت قوله تعالى وزيناها للناظرين أي زيناها
بالكواكب للناظرين إليها قوله تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم أي حفظنا السماء من أن يدخل فيها
شيطان أو يكون له استماع إلى كلام الملائكة قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات كلها وكانوا يقعدون
في السماء مقاعد للسمع يستمعون إلى ما هو كائن في الأرض من الملائكة فينزلون به على كهنتهم فيتكلم به الكهنة للناس
حتى بعث عيسى عليه السلام فمنعوا من ثلاث سموات وكانوا يصعدون إلى أربع سموات إلى أن بعث النبي صلى الله
عليه وسلم فمنعوا من السموات السبع وحرست السماء بالنجوم والملائكة فما منهم أحد يريد استراق السمع إلا رمي
بشهاب فمنهم من يأتي على نفسه ومنهم من يخبل فذلك قوله تعالى إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين أي
نجم مضيء تحار منه وقد لا يخطئه والشهاب هو الكوكب المنقض قوله تعالى والأرض مددناها أي بسطناها
وألقينا فيها رواسي أي جبالا ثوابت أوتادا لها وأنبتنا فيها أي في الجبال من كل شيء موزون مثل الذهب
والفضة والحديد والصفر والرصاص ونحوها التي تكون في المعادن وأنبتنا في الأرض من كل شيء من النبات والثمار
مقدور لا يجاوز ما قدره الله على ما تقتضيه الحكمة وإنما خص الموزون لأن ما يكال من الحبوب يعاقبه
الوزن أيضا قوله تعالى وجعلنا لكم فيها معايش أي جعلنا لكم في الأرض معايش مما تأكلون وتشربون
وتلبسون قوله تعالى ومن لستم له برازقين أي وجعلنا لكم أي وجعلنا لمن لستم له برازقين معايش من الدواب
وغيرها وكأن من لغة العرب كقوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه الآية وقيل المعنى وجعلنا لكم من لستم له برازقين كأنه
قال جعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم العبيد والدواب وكفيناكم مؤنة أرزاقها قوله تعالى وإن من شيء إلا عندنا
خزائنه أي ما من شيء يحتاجون إليه من النبات والثمار والأمطار إلا ومفاتيحه الثابتة وهي في مقدورنا قوله
تعالى وما ننزله إلا بقدر معلوم أي ما ننزل الرزق والمطر إلا بمقدار معلوم تقتضي الحكمة إنزاله وتعلم الحاجة بمقداره
كما روي في الخبر مع كل قطرة ملك يضعها في موضعها إلا يوم الطوفان فإنه طغى الماء يومئذ على خزانه فلم يحفظوا ما
خرج منه يومئذ قوله تعالى وأرسلنا الرياح لواقح أي ذات لقاح تأتي بالسحاب فتلقح الشجر والريح هي الملقحة

السحاب

السحاب أي المحملة للسحاب المطر قال ابن مسعود يبعث الله الريح فتلقح السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر وعنه
أيضا قال يخلق الله الماء في الريح فتفرغه الريح في السحاب ثم تمر به قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه
يعني المطر وما أنتم له بخازنين أي لستم له بخازنين ولا مفاتيحه بأيديكم قوله تعالى وإنا لنحن نحيي
ونميت ونحن الوارثون أي نحيي بالبعث في الآخرة ونميت في الدنيا ونحن الوارثون لما في السموات والأرض بعد
موت أهلها ومعنى الإرث أن الخلائق كلهم يموتون ولا يبقى إلا الله عز وجل وما يبقى للحي بعد الميت يسمى ميراثا ●
قوله تعالى ولقد علمنا المستقدمين منكم أي علمنا الأولين منكم وعلمنا المستأخرين وقيل ولقد علمنا
السابقين منكم إلى الطاعة ولقد علمنا المتأخرين عن الطاعة ● وعن ابن عباس قال كانت امرأة حسناء تصلي خلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم في آخر النساء وكان بعضهم يتقدم في الصف الأول لئلا يراها وكان بعضهم يكون في آخر
الصف فإذا ركع نظر هكذا ونظر إليها من تحت إبطه فأنزل الله هذه الآية قوله تعالى وإن ربك هو يحشرهم
أي يجمعهم للجزاء والحساب إنه حكيم عليم بما يستحقه كل واحد منهم قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان
من صلصال من حمإ مسنون يعني آدم والصلصال هو الطين اليابس الذي لم تصبه نار فإذا ضربته صلصل
أي صوت وإذا مسته النار فهو فخار والحمأ جمع حمأة وهو الطين الأسود المتغير إلى السواد والمسنون المتغير الرائحة
المنتن من قوله لم يتسنه والذي أتى عليه السنون وذلك أن آدم كان في الأصل ترابا ثم عجن ذلك التراب
في الماء فصار طينا ثم صار حمأ مسنونا فصور وترك مصورا حتى يبس فصار صلصالا لا أربعين سنة
ثم صار بعد الحمأ ودما وعظما ثم نفخ فيه الروح قوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم
قيل إن الجان أبو الجن وهو إبليس ثم أسلم من ولده فهو جني ومن كفر فهو شيطان وقوله تعالى من قبل أي من
قبل آدم وقال الكلبي الجن ولد الجان وليس هو إبليس إنما إبليس أبو الشياطين وقوله تعالى من نار السموم
أي من نار حارة قال ابن مسعود سمومكم هذه جزء من سبعين جزءا من السموم الذي خلق منها الجان ويقال
السموم نار صافية لا دخان لها وعن هذا سمي الريح الحارة المحرقة سموما وأما المارج الذي ذكره الله تعالى
في قوله وخلق الجان من مارج من نار فيعني المارج ما اختلط من لهب النار قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة
إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون قد تقدم تفسيره فإذا سويته أي جمعت خلقه باليدين والرجلين
والعينين وسائر الأعضاء وأدخلت فيه روحا فصار بشرا بعد ما كان طينا يابسا فقعوا على وجوههم خاضعين
له بالتحية فسجد الملائكة كلهم أجمعون لآدم سجدة تحية له وعبادة لله وقوله تعالى أجمعون
يدل على اجتماعهم في السجود في حالة واحدة قوله تعالى إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين أي امتنع
من السجود لآدم قال الله تعالى له يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته
من طين أي كيف ينبغي أن أسجد له وأنا أشرف أصلا منه وهو من طين متصلصل مجوف يحتاج إلى الطعام والشراب
وهو من حمإ والحمأ طلمة وسواد والمسنون من المنتن قال الله تعالى فاخرج منها أي من الجنة وقيل
من الأرض فالحقه بجزائر البحار فإنك رجيم أي مطرود من الرحمة مبعد من كل خير وإن عليك مع هذا
لعنة ولعنة الخلائق إلى يوم الجزاء وهو يوم القيامة وهو أول من عصى الله من أهل السماء والأرض قوله
تعالى قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون أي أجلني إلى يوم بعث الخلائق أراد الخبيث أن لا يذوق
الموت قال الله تعالى فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم أي وقت النفخة الأولى حين يصعق من
في السموات ومن في الأرض وبين النفخة الأولى والثانية أربعون سنة وهذا لم يكن إجابة من الله لإبليس إلى ما
سأل لأنه لم يكن أجله إلى ما دون آخر التكليف ثم أجله إليه ولكن كان في علم الله أنه لو لم يسأل لكان أجله
ممتدا إلى آخر التكليف فيكون هذا جوابا ها هنا لا إجابة فلما لم يعط الخبيث ما سأل من النظرة قال رب بما أغويتني
أي خيبتني من جنتك ورحمتك لأزينن لبني آدم في الأرض من الشهوات واللذات حتى يختاروها على ما عندك وقوله

تعالى إلا عبادك منهم المخلصين من قرأ بكسر اللام فمعناه أخلصوا الطاعة لك ومن نصبها فمعناه الذين
أخلصتهم لنفسك قوله تعالى قال هذا صراط علي مستقيم أي افعل ما شئت فإن طريقك علي لا تفوتني وهذا
تهديد لإبليس وقيل معناه على ممر من أطاعك وعلى ممر من عصاك كما قال إن ربك لبالمرصاد وقيل معناه أن
هذا دين مستقيم علي بيانه والهداية إليه قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان أي لا تقدر
على أن تحملهم على المعصية وتكرههم عليها ولكن من يتبعك فإنما يتبعك باختياره قوله تعالى وإن جهنم لموعدهم
أجمعين أي لموعد إبليس ومن تبعه قوله تعالى لها سبعة أبواب بعضها أسفل من بعض وكل طبق منها أشد
حرا من الذي فوقه بسبعين ضعفا والباب الأول ... ولو أن رجلا بالمشرق وكشف عنها بالمغرب لخرج
دماغه من منخريه من شدة حرها والطبق الأول جهنم وفيه أهل القبلة من أهل الكبائر إذا ماتوا غير تائبين
الثاني لظى وفيه النصارى الثالث الحطمة وفيه اليهود الرابع السعير وفيه المجوس الخامس سقر
وفيه المشركون وأهل الأهواء المختلفة السادس الجحيم الصابئون والزنادقة السابع الهاوية وفيه
المنافقون فذلك قوله تعالى لكل باب منهم جزء مقسوم قوله تعالى إن المتقين في جنات وعيون
أي إن المتقين للمعاصي بالإيمان والطاعة في بساتين وأنهار ظاهرة تنبع مثل الفوارات وتجري بلا أخدود ويقال
لهم يوم القيامة ادخلوها بسلام أي بسلامة من الآفات وقيل بتحية من الله آمنين من كل ما تكرهون قوله تعالى
ونزعنا ما في صدورهم من غل أي ونزعنا ما في صدور أهل الجنة من أسباب العداوة من الحقد والحسد
والتباغض إخوانا أي نصيرهم بمنزلة الإخوان على سرر من ذهب متقابلين في الزيارة تسير سررهم في
الجنان بعضها إلى بعض والسرر جمع سرير وعن علي رضي الله عنه أنه قال إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير
من الذين قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين قوله تعالى لا يمسهم فيها نصب أي لا
يتعبون أنفسهم في طلب العيش وما هم منها بمخرجين أي ولا يخافون الإخراج منها أبد الآبدين لأنهم
أصحاب ... لأنهم لا يموتون قوله تعالى نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم أي أخبر عبادي أني أنا الغفور
لذنوب من تاب الرحيم بمن مات على التوبة قوله تعالى وأن عذابي هو العذاب الأليم لمن يستحقه قوله تعالى
ونبئهم عن ضيف إبراهيم إذ دخلوا عليه أي أخبرهم عن أضياف إبراهيم وهم الملائكة إلا أنه قال عن ضيف
والضيف مصدر قوله تعالى إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قد تقدم تفسيره قوله تعالى قال إنا منكم وجلون
أي قال لهم إبراهيم حين لم يطعموا من طعامه إنا منكم فزعون والوجل هو الفزع قالوا لا توجل أي لا تخف إنا
نبشرك بمولود إذا ولد كان غلاما وإذا بلغ كان عليما قال أبشرتموني بالولد بعد أن مسني الكبر قوله
تعالى فبم تبشرون قال هذا على جهة التعجب وقيل أراد بم تبشرون هذا بأمر من عند الله أم من تلقاء أنفسكم
قالوا بشرناك بأمر الله فإن أمر الله لا يكون إلا حقا فلا تكن من القانطين من رحمة الله فقال لهم كيف أقنط
من رحمة الله ومن يقنط منها إلا الضالون قوله تعالى قال فما خطبكم أيها المرسلون أي ما شأنكم
أيها المرسلون وأنتم رسل الله قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين وهم قوم لوط قوله تعالى إلا آل لوط
أي إلا خاصته الذين على دينه إنا لمنجوهم أجمعين من الهلاك قوله تعالى إلا امرأته استثنى أهله
وكانت امرأته منافقة ... قدرنا إنها لمن الغابرين أي الباقين في موضع العذاب قوله
تعالى فلما جاء آل لوط المرسلون أي لما جاء الملائكة إلى آل لوط قال لهم لوط إنكم قوم منكرون
وإنما قال لهم ذلك لأنهم جاؤوا على هيئة ... ولم يكن قد شاهد مثلهم في الجمال وكان يعلم طلب قومه أمثالهم وخاف
عليهم منهم فقال إنكم قوم منكرون ... أي في هذه الديار قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون
أي بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه قوله تعالى وأتيناك بالحق بأمر الله وإنا لصادقون في إهلاكهم
قوله تعالى فأسر بأهلك بقطع من الليل أي ببعض من الليل عند السحر واتبع أدبارهم أي كن خلفهم

لتستحثهم كي لا ينالهم العذاب قوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد أي لا يتخلف في موضع الهلاك وقيل لا
يلتفت إلى شيء يخلفه أي لا يعرج على شيء وامضوا حيث تؤمرون بالمضي إليه وهو صغر قوله تعالى وقضينا
إليه ذلك الأمر أي وأوحينا إليه ذلك الأمر قوله تعالى أن دابر هؤلاء مقطوع في موضع نصب بذلك من
قوله ذلك الأمر وقيل في موضع خفض لأن المعنى بأن دابر هؤلاء مقطوع وقطع الدابر هو الإتيان على آخرهم بالهلاك
حتى لا يبقى منهم أحد قوله تعالى مقطوع مصبحين أي مستأصلين عند الصباح ولا يبقى لهم نسل ولا عقب
قوله تعالى وجاء أهل المدينة يستبشرون أي أهل مدينة قوم لوط وهي سدوم يبشر بعضهم بعضا بأضياف
لوط لعلمهم بالحسن فإنهم كانوا يجاهرون بهذه الفاحشة قال لهم لوط هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا
الله في الحرام ولا تذلوني في أمري قالوا أولم ننهك عن ضيافة الغرباء قوله تعالى قال هؤلاء بناتي أزوجكم
إن كنتم لابد فاعلين مثل هذا الفعل وذلك أنه لم يجد ما يقي به أضيافه أبلغ من عرض بناته عليهم للتزويج
وابتداء ضيفه ببناته في الشفاعة وقد كان علم أنهم لا يرغبون في التزويج وقيل أراد بقوله بناتي بنات
قومه لأن نبي الأمة كل نبي بمنزلة أبيهم في شفقته عليهم قوله تعالى لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون هذا
قسم ... نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يقسم الله بحياة أحد غيره ... لعمرك قسمي إلا أنه حذف الخبر
وجوابه إنهم لفي سكرتهم أي لفي غفلتهم يتحيرون قوله تعالى فأخذتهم الصيحة مشرقين أي وقت الإشراق
وذلك أن الملائكة قلعت مدائنهم وقت الصبح فرفعوها إلى قرب السماء ثم قلبوها عند طلوع الشمس وصاح بهم
جبريل صيحة وقد تقدم تفسير باقي الآية في سورة هود قوله تعالى إن في ذلك لآيات للمتوسمين أي في
إهلاك قوم لوط لعلامات للمتفرسين والمتوسمون هم النظار المثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة السمة قوله
تعالى وإنها لبسبيل مقيم أي إن قريات لوط لبطريق واضح لا يندرس ولا يخفى على طريق قومك إلى الشام
والمعنى إن الاعتبار بها ممكن قوله تعالى إن في ذلك لآية للمؤمنين أي لدلالة للمؤمنين الذين يصدقون
بذلك قوله تعالى وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين أي وقد كان أصحاب الأيكة وهم قوم شعيب لظالمين
بكفرهم والأيكة الشجر الملتف الكثير وكان شعيب بعثه الله إلى قومين إلى أهل مدين كانوا يطففون الكيل والوزن
فأهلكوا بالصيحة وبعث إلى أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة ويقال إن مدين والأيكة واحد كانت ... الأيكة
غيضة فخرجوا من مدين إليها يطلبون الروح عندها فأخذهم عذاب يوم الظلة واضطرم المكان عليهم
نارا فهلكوا عن آخرهم قوله تعالى فانتقمنا منهم أي بالعذاب وإنهما لبإمام مبين أي قريات لوط وموضع
قوم شعيب لعلى طريق مبين قوله تعالى ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين أي ولقد كذب قوم صالح صالحا
ومن تقدم من المرسلين والحجر ديار ثمود وإنما سموا أصحاب الحجر لأن الحجر اسم لواديهم كانوا يسكنون فيه قوله تعالى
وآتيناهم آياتنا يريد الناقة فكانوا عنها معرضين قوله تعالى وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا
آمنين أي ينقبون بيوتهم في الجبال آمنين من الموت لطول أعمارهم وقيل من الخراب وسقوط السقف قوله تعالى
فأخذتهم الصيحة مصبحين أي وقت الصباح صاح بهم جبريل فهلكوا فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من الأموال
قوله تعالى وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق أي للحق وإظهار الحق لم نخلقها عبثا وإن
الساعة لآتية يعني القيامة لمجازاة الناس كلهم فاصفح الصفح الجميل أي أعرض عن مجازاة المشركين وعن
مجازاتهم فإن مجازاته السيئة سفه وقال مجاهد هذا منسوخ بآية القتال قوله تعالى إن ربك هو الخلاق
العليم أي الخالق للإنسان العالم بتدبير خلقه قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني أي أكرمناك
بإعطاء سبع من المثاني قيل هي السبع الطوال وهي السور السبع من أول البقرة إلى سورة الأنفال والتوبة وهما
جميعا سورة واحدة وسميت هذه السورة مثاني لأنه تثنى فيها الأمثال والقصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والمحكم والمتشابه
وعن ابن عباس السبع المثاني فاتحة الكتاب هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لما أنزل

الله في التوراة والانجيل والزبور مثل فاتحة الكتاب فانها السبع المثاني وانما سميت هذه السورة مثاني لانها تثنى في كل
صلوة وانما خص هذه السورة من جملة القرآن مع كونها من القرآن تعظيما لها لان كمال الصلوة متعلق بها كما خص جبريل وميكائيل
من جملة الملائكة تعظيما لهما قوله تعالى والقرآن العظيم أي وآتيناك القرآن العظيم قوله تعالى لا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم أي لا تنظرن بعين الرغبة الى ما اعطينا من الاموال رجالا من اليهود
والنصارى وغيرهم من قريش فانما نعطيك من النبوة والقرآن اعظم مما اعطيناهم من الاموال ولا تحزن عليهم
بما انعمنا عليهم بما لم ننعم به عليك ويقال لا تحزن على هلاكهم ان لم يؤمنوا وهذا القول قريب لان النبي صلى الله عليه
وسلم كان لا يجوز ان يحسد احدا بما انعم الله به عليه من نعيم الدنيا وانما كان يحزن على اصرارهم على الكفر قوله تعالى
واخفض جناحك للمؤمنين أي تواضع والن جناحك للمؤمنين لكي يتبعك الناس على دينك ولا تنفر وابين عندكم قوله
تعالى وقل اني انا النذير المبين أي المعلم بموضع المخافة المبين لكم بلغة تعرفونها قوله تعالى كما انزلنا على
المقتسمين قال الحسن معناه وانزلنا عليك القرآن كما انزلنا الكتاب على المقتسمين وهم اليهود والنصارى سماهم
مقتسمين لانهم اقتسموا كتاب الله تعالى فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها وهم الذين جعلوا القرآن عضين أي فرقوه
فآمنوا ببعضه وهو ما وافق دينهم وكفروا ببعضه وهو ما خالف دينهم وقال بعضهم هم رهط من اهل مكة كانوا اثنا
عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة ايام الموسم فاقتسموا عقاب مكة وقعدوا على طرقها فاذا جاء الحاج قال
فريق منهم لا تغتروا بالخارج منا المدعي النبوة فانه مجنون وقالت طائفة اخرى على طريق آخر انه كاهن وقالت
طائفة اخرى على طريق آخر انه شاعر والوليد قاعد على باب المسجد نصبوه حكما فاذا سئل عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال صدقوا وذلك يعني المقتسمين قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين هم هؤلاء المقتسمين جزؤوا القرآن
فقال بعضهم سحر وقال بعضهم كذب وقال بعضهم شعر وقال بعضهم اساطير الاولين وقال بعضهم مفترى ومعنى
التعضية التفريق يقال عضيت الشيء اذا فرقته قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين أي في الآخرة عما
كانوا يعملون من تفريق القرآن وصرفهم الناس عن دين محمد صلى الله عليه وسلم وعن انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم في هذه الآية قال فوربك لنسألنهم يوم القيمة عن قول لا اله الا الله وقال عطاء والذي لا اله غيره ما منكم
احد الا ويسأله الله يوم القيمة فيقول يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين واعترض
الملحدة على هذه الآية وعلى قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وحملوا عليهما بالتناقض والجواب انه
لا يقال لهم هل عملتم كذا لانه اعلم بذلك منهم ولكن يقول لهم لم عملتم كذا وقال قطرب السؤال على ضربين
استعلام واستخبار وسؤال تقريع وتوبيخ فقوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان يعني لا يسألهم سؤال
استخبار لانه عالم بهم قبل ان يخلقهم وقوله تعالى لنسألنهم اجمعين سؤال تقريع وتعيير قوله تعالى فاصدع
بما تؤمر أي اظهر امرك بمكة واتركهم حتى يجيء امر الله بقتالهم وكان صلى الله عليه وسلم مستخفيا بمكة قبل
نزول هذه الآية لا يظهر شيئا مما انزل عليه فلما نزلت هذه الآية اظهر النبي صلى الله عليه وسلم امره واعلنه بمكة
قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين بك وهم خمسة نفر اهلكهم الله في يوم واحد منهم العاص بن وائل
نزل شعبا من تلك الشعاب فلما وضع قدمه على الارض قال لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا فانتفخت رجله حتى صارت
مثل عنق البعير فمات مكانه ومنهم الحرث بن قيس اكل حوتا مالحا فاصابه عطش شديد فلم يزل يشرب حتى انقد
مكانه فمات ومنهم الاسود بن عبد المطلب بن الحرث قعد الى اصل شجرة فجعل جبريل يضرب رأسه على الشجرة
حتى مات وكان يستغيث بغلامه فقال غلامه لا ارى احدا يصنع بك شيئا غير نفسك ومنهم الاسود بن عبد يغوث
خرج من اهله فاصابه السموم فاسود حتى صار حبشيا واتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا دونه الباب حتى مات
ومنهم الوليد بن المغيرة خرج يتبختر في مشيته حتى وقف على رجل يعمل السهام فتعلق سهم بثوبه فجعل دما
على كتفه فاصابت السهم الاكحل فقطعه فلم ينقطع عنه الدم حتى مات فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين

أي ربك والقرآن قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون أي ولقد نعلم يا محمد انك يضيق
صدرك بما يقولون من التكذيب بانك شاعر وساحر وكاهن قوله تعالى فسبح بحمد ربك أي فصل بامر ربك
واحمده بالثناء عليه وكن من الساجدين أي من العابدين لله قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين
أي استقم على عبادة ربك وطاعته حتى يأتيك الموت سماه يقينا لانه موقن به وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال ما اوحي الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من
الساجدين وقال الضحاك قوله فسبح بحمد ربك أي قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين أي المصلين كان
صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار وبعدد المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة النحل

وهي سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة احرف وثمانمائة واربعون كلمة ومائة وثمانية وعشرون آية قال
صلى الله عليه وسلم من قرأها لم يحاسبه الله بالنعم التي انعم الله عليه في الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

أتى امر الله فلا تستعجلوه قال ابن عباس لما نزل قوله اقتربت الساعة قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا
يزعم ان القيمة قد اقتربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا انه لا ينزل شيء قالوا ما نرى
شيئا فانزل الله اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قرب الساعة فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما
تخوفنا به فانزل الله عز وجل اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم لا يشك ان العذاب قد اتى
فانزل الله تعالى فلا تستعجلوه يعني العذاب فجلس النبي صلى الله عليه وسلم واما ذكر لفظ الماضي في هذا لان امر الله
في القرب بمنزلة ما قد اتى كما قال تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب قوله تعالى سبحانه وتعالى
عما يشركون أي تنزيها له وتعالى بصفات المدح عما يشركون به من الاصنام قوله تعالى ينزل الملائكة
بالروح من امره أي ينزل الملائكة بالوحي على من يشاء من عباده قرأ الاعمش ينزل بنصب التاء وجزم
النون وكسر الزاي قال ابن عباس يعني بالملائكة جبريل وحده وسمي الوحي روحا لانه يحيي القلوب والحق
ويميت الكفر والباطل قوله تعالى ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون أي ان اعلموا بالتخويف انه
لا اله الا انا فاتقون أي فاتقوا معاصي قوله تعالى ان انذروا في موضع النصب بنزع الخافض أي بان
انذروا قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق أي ليستدل بهما على توحيد الله وليعمل بالحق تعالى
من ان يكون له شريك قوله تعالى خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين قال ابن عباس نزلت
في ابي بن خلف الجمحي حين قال من يحيي العظام وهي رميم والمعنى خلق الانسان من نطفة منتنة وانعم
عليه حالا بعد حال الى ان بلغه الحالة التي يخاصم عن نفسه وينكر اعادته بعد موته قوله تعالى
والانعام خلقها أي وخلق لكم الانعام وهي ذوات الخفاف والاظلاف دون ذوات الحوافر قوله تعالى
لكم فيها دفء ومنافع أي ما يدفئكم من اصوافها واوبارها من الاكسية ونحوها من الملابس والبسط
ومنافع يعني بنسلها ودرها والركوب والحمل عليها والفرش والبيوت من اصوافها ومنها تأكلون يعني
لحومها قوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون أي ولكم فيها منظر حسن بقاؤها
مواشي واين فيقولون له في ذلك جمال قال قتادة وذلك يكون اذا راحت عظاما ضروعها طوالا اسنمتها وقوله
تعالى حين تريحون أي حين تردونها في العشي من مراعيها الى مباركها التي تأوي اليها وحين تسرحون أي تخرجونها
بالغداة من مراحها الى مسارحها قوله تعالى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس

أراد به الإبل تحمل أمتعتكم وزادكم وما يثقل عليكم إلى بلد قصدتموه للحج إلى مكة أو تجارة إلى سائر البلدان
لولا الإبل لكان لا يمكنكم بلوغ تلك البلاد إلا بجهد ومشقة وقوله تعالى إن ربكم لرؤوف رحيم أي
متفضل منعم عليكم قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة أي وخلق لكم الخيل والبغال والحمير
لتركبوها وتتخذوها زينة فيحصل لكم منافعها وحسن منظرها للناس كما جعل تعالى المال والبنون زينة الحياة
قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون أي يخلق أشياء لا تعرفونها ولم نسمها لكم كما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تعالى خلق أرضا بيضاء مثل الدنيا ثلاثين مرة محشوة خلقا من خلق
الله لا يعلمون أن الله يعصى طرفة عين قالوا يا رسول الله أمن ولد آدم هم قال لا يعلمون أن الله خلق
آدم قالوا فأين إبليس عنهم قال ما يعلمون أن الله خلق إبليس ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخلق
ما لا تعلمون وهذه الآية مما يستدل بها على كراهة لحم الخيل على مذهب أبي حنيفة لأن الله تعالى قال
في الأنعام ومنها تأكلون ولم يذكر في آية الخيل والبغال إلا الركوب والزينة قوله تعالى وعلى الله
قصد السبيل ومنها جائر أي وعلى الله بيان الهدى والضلالة ليتبع الهدى ويجتنب الضلالة كما قال
تعالى إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا وقوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها قوله تعالى ومنها
جائر أي ومن الطرق ما هو عادل عن الحق قال الكلبي يعني اليهودية والنصرانية والمجوسية وقال ابن
المبارك يعني الأهواء والبدع قوله تعالى ولو شاء لهداكم أجمعين إلى جنته وثوابه ولأرشدكم كلكم
قوله تعالى هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون أي هو الذي
أنزل من السماء المطر لكم منه شراب مثل الركايا والغدران ولكم منه شجر فيه ترعون أنعامكم يعني الكلأ
والأشجار التي ترعاها الإبل قوله تعالى ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ظاهر المعنى
وقوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر يعني سخر الليل والنهار يجيء كل واحد منهما عقيب الآخر
بتقدير الله ليتصرف الناس في معايشهم بالنهار ويسكنون بالليل وسخر الشمس والقمر والنجوم مسخرة في أوقات
معلومة قوله تعالى وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه أي وسخر لكم ما خلق في الأرض من الدواب
والأشجار وغيرها مختلفا ألوانه ومناظره وصوره إن في ذلك لآية لقوم يذكرون دلالة الله
قوله تعالى وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا يعني السمك وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
وهو الغوص لاستخراج اللؤلؤ والمرجان لتلبسه نساؤكم قوله تعالى وترى الفلك مواخر فيه أي وترى
السفن في البحر مقبلة ومدبرة تشق الماء شقا وبما لا تعاين تجري السفينة في البحر إذا جرت جريا تشق الماء
شقا والمخر صوت هبوب الريح والسفينة تجري بالريح فسمي السفن مواخر والواحدة ماخرة قوله تعالى
ولتبتغوا من فضله يعني لتركبوه للتجارة فتطلبوا الربح من فضل الله لكي تشكروا نعمه قوله تعالى وألقى
في الأرض رواسي أن تميد بكم أي وجعل فيها جبالا عالية ثابتة لئلا تتحرك بكم الأرض وأجرى فيها
أنهارا مثل النيل والفرات ودجلة وسيحون وجيحون وجعل فيها طرقا لعلكم تهتدون إلى
الموضع الذي تقصدونه قوله تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون أي وجعل في الأرض علامات
للمسافرين من الجبال وغير ذلك قوله تعالى وبالنجم هم يهتدون معناه أن يسيروا بالليل فإنما تهتدي
إلى الطرق في البر والبحر بالنجوم مثل الثريا وبنات نعش والفرقدين يهتدى بها إلى القبلة والطرق
قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق أي أفمن يخلق هذه الأشياء وهو الله تعالى كمن لا يقدر أن يخلق

شيئا

شيئا وهي الأصنام أفلا تذكرون أنهما لا يستويان في استحقاق العبادة قوله تعالى وإن
تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني إذا أردتم تعرفوا تفاصيل نعم الله عليكم في الخلق والرزق والتمكين
من الأمور في الدنيا لم تقدروا على إحصاء هذه النعم إن الله لغفور رحيم لذنوب عباده إذا تابوا
رحيم بهم بإمهالهم إلى وقت التوبة قوله تعالى والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ظاهر المعنى قوله تعالى
والذين يدعون من دون الله يعني الأصنام لا يخلقون شيئا والله تعالى هو الخالق لها قوله تعالى
أموات غير أحياء يعني الأصنام والمعنى كيف تخلق شيئا وهي أموات لا روح لها وإنما جمع من قوله
أموات وبين قوله غير أحياء لأنه تعالى ذكر لأن الميت قد كان حيا إذ كان لا ينتفع به وكان الله تعالى
بين أنه لم يرد بالأصنام أمواتا من حيث إنه لا ينتفع بها ولكن لا حياة فيها فكيف تعبدون ما لا يخلق ولا يرزق
ولا يسمع وهي مع ذلك من الموات قوله تعالى وما يشعرون أيان يبعثون أي وما تشعر الأصنام متى يبعث الناس
من القبور ويحاسبون فكيف يرجو الكفار الخير من قبل الأصنام وأيان كلمة اختصار أصلها أي أوان قوله تعالى
إلهكم إله واحد وهو الله عز وجل فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة للحق وهم مستكبرون
عن قبول الحق أنفة من اتباعه وإنابة لك قوله تعالى لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون أي حقا
أن الله يعلم سرهم وعلانيتهم قوله تعالى وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم أي إذا قيل لهؤلاء الكفار ما الذي
يدعي محمد صلى الله عليه وسلم أنه نزل عليه من الله قالوا أساطير الأولين أي الذي تذكرون أنه منزل كلام
الأولين وما يسطرون في كتبهم من الأخبار والأقاصيص قوله تعالى ليحملوا أوزارهم أي آثامهم وافرة
يوم القيامة وليحملوا من آثام الذين يصرفونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن بلا علم ولا حجة يعني يكون
عليهم آثام إضلالهم غيرهم لا أن يحملوا ذنوب غيرهم كما قال تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى ألا
ساء ما يزرون ظاهر المعنى وقوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد أي قد مكر الذين
من قبل هؤلاء بأنبيائهم كما مكر هؤلاء المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة ليصدوا الناس عن دين الله فأتى الله بنيانهم
من القواعد بالعذاب فوقع عليهم السقف من فوقهم وأتاهم الهدم والاستئصال من حيث لا يشعرون
بإتيان العذاب منه واختلفوا في هؤلاء الذين خر عليهم السقف قال بعضهم هو نمرود بن كنعان الذي بنى صرحا
طوله خمسة آلاف وخمسون ذراعا وعرضه ثلاثة آلاف وخمسون ذراعا ليصعد إلى السماء فوقع الصرح على الذين
كانوا فيه وأهلك الله نمرود بالبعوض وقال بعضهم هذا على وجه المثل كأنه جعل أعمالهم بمنزلة الباني بناء
أسقط عليه قوله تعالى ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم يعني في العبادة وقوله
تعالى قال الذين أوتوا العلم أي قال المؤمنون إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين أن الذل
اليوم والهوان والعذاب على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم أي تقبض أرواحهم في حال ظلمهم
على أنفسهم بالكفر فألقوا السلم وانقادوا بالمذلة والهوان يقولون ما كنا نعمل من سوء أي من معصية
في الدنيا فيقول المؤمنون بلى قد علم ذلك إن الله عليم بما كنتم تعملون وتقول لهم خزنة
جهنم فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين عن توحيد الله وعبادته
قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا قال ابن عباس وذلك أن أهل مكة لما بعثوا
إلى عقاب مكة رجالا ليصدوا الناس عن دين الله بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجالا من أصحابه عبد الله بن مسعود
وغيره فكان وافد الناس إذا قدم فرده الكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الإيمان سأل أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا أي أنزل حقا وصوابا وعلى هذا انتصب قوله خيرا وإنما ارتفع
قوله في جواب المقتسمين من كفار مكة أساطير الأولين لأنهم كانوا لا يقرون بإنزاله بل كانوا يقولون على جهة

المكذبين هو أساطير الأولين قوله تعالى للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة أراد بالحسنة الثناء والمدح
على ألسنة المؤمنين وقيل للذين قالوا لا إله إلا الله تضعيف الأجر ولدار الآخرة يعني الجنة خير مما
يصل إليهم في الدنيا ولنعم دار المتقين أي نعم دار المتقين فقال جنات عدن أي بساتين إقامة
يدخلونها يوم القيامة تجري من تحت أشجارها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يكون مجازاة
المتقين للشرك والمعاصي قوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة عند قبض أرواحهم طيبين أي
أعمالهم متمسكين بما أمروا به مجتنبين لما نهوا عنه طيبة أرواحهم بما بشروا به من الجنة تقول لهم الملائكة سلام
عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في الدنيا قوله تعالى هل ينظرون إلا أن تأتيهم
الملائكة أي ما ينتظر أهل مكة في تكذيبهم للرسل واستبطائهم العذاب إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم
أو يأتي أمر ربك بعذاب الاستئصال كذلك فعل الذين من قبلهم هؤلاء الكفار من تكذيب الرسل مثل فعل
هؤلاء فعذبهم الله وما ظلمهم بذلك ولكن ظلموا أنفسهم حيث فعلوا ما استحقوا به العذاب قوله تعالى
فأصابهم سيئات ما عملوا أي عقاب ما عملوا أراد بالسيئات العقاب كما قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق
بهم ما كانوا به يستهزئون أي وحل بهم ما كانوا يستهزئون به من العذاب قوله تعالى وقال الذين أشركوا لو
شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء هذا نظير الآية التي في الأنعام سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما
أشركنا قد تقدم تفسيره يعني كفار أهل مكة قوله تعالى كذلك فعل الذين من قبلهم من الأمم الماضية من تكذيب
الأنبياء مثل ما فعل هؤلاء ولم يكن لهم بذلك حجة فهل على الرسل إلا البلاغ المبين عن الله تعالى يحرضهم
وقال بعضهم إنا لا نأتي بهذا القول استهزاء وسخرية كما قال قوم شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا قوله
تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا كما بعثناك رسولا في هؤلاء أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
أي اجتنبوا الشيطان وعبادة كل ما يعبد من دون الله فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة
أي الكفر قوله تعالى فسيروا في الأرض أي في أرض الذين عاقبهم الله فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
قوله تعالى إن تحرص على هداهم أي إن تطلب يا محمد جهدك هداهم فإن الله لا يهدي من يضل من حكم عليه بالضلال
ومن يضلله الله لا هادي له ولا يهتدي وما لهم من ناصرين أي من يدفع عنهم العذاب قوله تعالى وأقسموا
بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت أي حلف الكفار بالله مجتهدين في اليمين أنه لا يبعث الله من يموت
قوله تعالى بلى وعدا عليه حقا أي قل بلى وقيل إن الله تولى الجواب بنفسه كأنه قال يبعثهم بعد الموت
وعدا عليه حقا انتصب قوله حقا على المصدر أي وعد وعدا حقا كائنا واجبا على نفسه ولكن أكثر
الناس لا يعلمون أنه حق قوله تعالى ليبين لهم الذي يختلفون فيه معناه لكي يبين لهم ما يختلفون
فيه من الدين وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين في الدنيا بأن لا جنة ولا نار قوله تعالى إنما قولنا
لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون أي إنما أمرنا في البعث وغيره إذا أردناه أن نقول له كن فيكون
من رفع فيكون فمعناه فهو يكون ومن نصب فعلى جواب كن وقيل عطفا على أن نقول قوله تعالى والذين
هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر
وصهيب وبلال وأصحابهم الذين هاجروا إلى المدينة من بعد ما عذبهم أهل مكة والمعنى والذين هجروا أوطانهم
في طاعة الله وساروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من بعد ما ظلمهم الكفار لنبوئنهم في الدنيا حسنة أي
لننزلنهم في الدنيا أرضا كريمة وهي المدينة بدلا عن أوطانهم ولأجر الآخرة أكبر لهم مما أعطاهم
في الدنيا لو كانوا يعلمون الكفار ثم وصفهم الله فقال الذين صبروا يعني على الشدائد والعبادات وصبروا
عن المحرمات وعلى ربهم يتوكلون في طلب الدين والدنيا قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا

نوحي

نوحي إليهم نزلت جوابا لأهل مكة حين قالوا لو أراد الله أن يبعث إلينا رسولا لبعث رسولا من الملائكة
لا رجلا منا ومعنى الآية وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلى الأمم الماضية إلا رجالا أوحينا إليهم كما أوحينا إليك
فاسألوا يا أهل مكة أهل الذكر أي أهل الكتاب إن كنتم لا تعلمون أن الرسل كانت من البشر قوله
تعالى بالبينات والزبر راجع إلى قوله تعالى نوحي إليهم وقيل في هذا إضمار كأنه قال أرسلناهم
بالبينات والزبر فالبينات هي الدلالات الواضحات والزبر جمع الزبور وهو الكتاب قوله تعالى
وأنزلنا إليك الذكر أي القرآن لتبين للناس الحلال والحرام والحق والباطل لعلهم يتفكرون
فيه فيؤمنوا به قوله تعالى أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض قال ابن عباس يعني
أهل مكة عملوا السيئات يعني الشرك وقيل معناه أفأمن الذين مكروا في تكذيب الرسل وأذى المسلمين أن
يخسف الله بهم كما خسف بقارون أو يأتيهم العذاب من موضع لا يعلمون أو يأخذهم في تقلبهم
أي في أسفارهم وتجاراتهم وتصرفهم فما هم بمعجزين الله على ما يريد إحلاله بهم قوله تعالى أو يأخذهم
على تخوف أي على تنقص إما بقتل أو موت الأول فالأول حتى يهلكوا عن آخرهم عن عمر رضي الله عنه
أنه قال ما كنت أدري ما معنى على تخوف حتى سمعت قول الشاعر • تخوف السير منها تامكا قردا • كما تخوف
عود النبعة السفن • وقال الحسن معناه أن يخوفهم بأن يهلك قرية لتزدجر قرية أخرى قوله تعالى
فإن ربكم لرؤوف رحيم أي شديد الرحمة بتأخير العذاب عن الكفار أو شديد على من تاب منهم قوله
تعالى أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء أي من شخص قائم من شجر وإنسان ونحو ذلك يتفيؤ ظلاله
عن اليمين والشمائل سجدا لله أي تميل ظلاله عن اليمين والشمائل إذا طلعت الشمس وإذا غربت سجدا لله
أي فيئا لها ودورانها من موضع إلى موضع سجودها يسجد الظل غدوة إلى أن يفيء الظل ثم يسجد أيضا إلى
الليل • وفي هذا دليل توحيد الله تعالى قال الحسن أما ظلك فيسجد لله وأما أنت فلا تسجد قوله تعالى
وهم داخرون أي صاغرون ذليلون قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من
دابة أي ما يدب على الأرض والملائكة أي وتخضع الملائكة له وهم لا يستكبرون عن الخضوع له •
يخافون ربهم من فوقهم أي يخافون عقاب ربهم من فوقهم وقيل يخافون ربهم خوف مهابة وهو القاهر
فذكر لفظ فوق على هذا المعنى قوله تعالى ويفعلون ما يؤمرون يعني الملائكة لا يعصون
الله ما أمرهم • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لله ملائكة في السماء السابعة سجودا منذ
خلقهم الله إلى يوم القيامة ترعد فرائصهم من مخافة الله وتجري دموعهم وتضطرب أجنحتهم لا تقطر من دموعهم
قطرة إلا صارت ملكا قائما فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم وقالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك • وعن
ابن عباس أنه قال في هذه الآية من يسجد هذه السجدة إيمانا وتصديقا أعطاه الله بعدد الملائكة والشمس والقمر
والنجوم وقطر الماء ونبات الأرض وترابها ورملها ومدرها وعدد ما دب على وجه الأرض حسنة حسنة
قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد يجوز أن يكون قوله اثنين تأكيدا لما سبق
ويجوز أن يكون المعنى لا تتخذوا إلهين اثنين إنما الله لا إله إلا واحد فإياي فارهبون أي فاخشون
ولا تخشوا أحدا غيري وله ما في السموات والأرض ظاهر المعنى قوله تعالى وله الدين واصبا أي
دائما وقوله تعالى واصبا انتصب على القطع وإن كان فيه الوصف من شدة التعب لأن الله هو المستحق
أن يعبد في جميع الأوقات قوله تعالى أفغير الله تتقون أي كيف عليهم قوله تعالى وما بكم من
نعمة فمن الله ظاهر المعنى قوله تعالى ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون إليه فإليه تتضرعون
في كشفه والجؤار في اللغة رفع الصوت كأنه قال فإليه تصيحون وتضجون ثم إذا كشف الضر عنكم

عادوا ... ثم يعودون منكم الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم أي ليجحدوا نعمة الله في كشف الضر عنهم ثم أوعدهم
فقال فتمتعوا فسوف تعلمون أي تمتعوا في الدنيا فسوف تعلمون ما يحل بكم من العقاب قوله تعالى
ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم أي ويجعلون للأصنام التي لا تعلم نصيبا مما رزقناهم وهو
ما كانوا يجعلون لها من السائبة والبحيرة والحام وبعض الحرث ويجوز أن يكون لما لا يعلمون راجعا الى الكفار
على معنى أنهم لا يعلمون أنها لا تنفعهم ولا تضرهم قوله تعالى تالله لتسألن عما كنتم تفترون قسم بأن
الله يسألهم في الآخرة عن افترائهم فيما جعلوه للأصنام قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه معناه
أنهم يقولون ان الملائكة بنات الله وقوله تعالى سبحانه تنزيها لله تعالى عما لا يليق به وقوله تعالى ولهم ما
يشتهون أي ما يختارون لأنفسهم من البنين دون البنات قوله تعالى واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه
مسودا أي ظهر أثر كراهة الحزن على وجهه من ذلك يقال لكل من لقي مكروها قد اسود وجهه غما وحزنا
وتحيرا قوله تعالى وهو كظيم أي ممتلئ غيظا وغما يرد حزنه في جوفه قوله تعالى يتوارى من القوم من سوء
ما بشر به أي يختفي من المشركين لئلا يذكروه من خجلة به من كراهة ما بشر به من الأنثى أيمسكه على هون
أي أيحفظ المبشر به على هون ومشقة والهون الهوان أم يدسه في التراب يخفيه كما كان في عادة العرب كان
اذا ولد لأحدهم أنثى حفر لها حفرة ألقاها فيها ودفنها حتى تموت وهي الموؤدة وأما لفظ التذكير في قوله تعالى
أيمسكه فانه راجع الى المبشر به قوله تعالى ألا ساء ما يحكمون أي ألا ساء ما يقضون من اختيار البنين لأنفسهم
واضافة البنات الى الله وقيل الموؤدة قوله تعالى للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء أي لهم صفة السوء
من احتياجهم الى الولد وكراهيتهم للاناث خوف العار والاقتار ولله المثل الأعلى أي الصفة العليا وهي التوحيد
والربوبية لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد قوله تعالى وهو العزيز الحكيم أي الغالب الذي لا يقدر أحد
أن يغلبه الحكيم في أمره وتدبيره قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم أي بعقاب معاصيهم عاجلا ما ترك
على الأرض من دابة ولكن يؤخرهم أي يمهلهم الى وقت ضربه لامهالهم فاذا جاء ذلك الوقت لا يستقدمون
ساعة ولا يستأخرون فان قيل كيف قال ما ترك عليها من دابة مع علمنا أن في الناس من هو غير ظالم قيل معناه
ما ترك عليها من دابة ظالمة وقيل معناه لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم عاجلا لانقطع النسل لأنه لا أحد الا وقد
كان في آبائه وأجداده من هو ظالم فان قيل في الآية تعميم الناس والدواب في الهلاك فأي شيء يوجب هلاك الدواب
قيل ان الدواب انما خلقها الله لمنافع الناس فاذا أهلك الناس بمنع المطر عنهم لم يبق في الأرض دابة الا هلكت واذا
هلك الناس بوجه من الوجوه لم يبق الدواب أبدا قوله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون لأنفسهم في الآية
اعادة ذكر جهل الكفار أنهم يجعلون لله ما يكرهونه لأنفسهم وهي البنات وتصف ألسنتهم مع ذلك الكذب
أن لهم الحسنى أي أن لهم الجنة في الآخرة قوله تعالى لا جرم أن لهم النار أي حقا وقيل لا بد ولا محالة أن لهم
النار وأنهم مفرطون أي معجلون الى النار والفارط في اللغة هو المتقدم الى الماء ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم أنا فرطكم على الحوض أي سابقكم اليه ومن قرأ مفرطون بكسر الراء أي فهم الذين أفرطوا في الذنوب والمعاصي
ومن قرأ مفرطون بالتشديد فهو من التفريط وهو التقصير قوله تعالى تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك
فزين لهم الشيطان أعمالهم في الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أي كما أرسلنا اليك هؤلاء أرسلنا الى أمم
من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم في الكفر والتكذيب فهو وليهم في الدنيا يتبعون اغواءه ويتولونه وهو وليهم
يوم القيامة أي يتولاهم يومئذ ... فكيف يتولاهم الله يومئذ الى من لا يملك دفع العذاب عن نفسه فكيف عنهم العذاب
ومن كان الشيطان وليه دخل النار قوله تعالى وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا
فيه أي لتبين لهم الحق من الباطل وأنزلناه هدى ورحمة للمؤمنين قوله تعالى والله أنزل من السماء

ماء يعني المطر فأحيا به الأرض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون أدلة الله تعالى
ويتفكرون فيها قوله تعالى وان لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا
خالصا من دون أن تظهر فيه لون الدم ولا رائحة الفرث سائغا أي سهل المرور في الحلق ولا يغص
به شاربه وانما لم يقل في بطونها لأن الأنعام والنعم واحد فكأنه رد الكناية الى النعم وفي قوله تعالى نسقيكم
قراءتان فتح النون وضمها يقال سقى وأسقى بمعنى واحد قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون
منه سكرا ورزقا حسنا أراد بالسكر المسكر وهو من العنب الخمر ومن النخل نقيع التمر اذا غلا واشتد
ونزلت هذه الآية وهما لهم حلال يومئذ هكذا قال ابن عباس والرزق الحسن ما أحل منهما مثل الخل والزبيب
والتمر وسئل بعضهم عن هذه الآية فقال السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما أحل من ثمرها قوله تعالى
ان في ذلك لآية لقوم يعقلون دلائل الله قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل أي وألهم ربك النحل
وعرفها وقذف في قلبها ودعاها الى ما هو المذكور في الآية وتسمى الالهام وحيا لأن الوحي هو ظهور المعنى للنفس
على وجه خفي وقد ألهم الله كل دابة التماس منافعها واجتناب مضارها الا أن أمر النحل أعجب لأن فيها
من لطيف الصنعة ما فيه أعظم معتبر فان الله ألهمها اتخاذ المنازل والمساكن وأن تأكل من كل الثمرات
لمنافع بني آدم وأن لا تقذف مما أكلته بعد ما صار عسلا الا على حجر صاف وبمكان نظيف لا يخالطه طين
ولا تراب قوله تعالى أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر فهي تتخذ من الجبال بيوتا اذا لم تكن
لأحد وقوله تعالى ومما يعرشون يعني مما يبني الناس لها من خلاياها ومساكنها ولولا التسخير والالهام
لله ما كانت تأوي الى ما يبنى لها قوله تعالى ثم كلي من كل الثمرات أي من ألوان الثمر كله فاسلكي
سبل ربك ذللا أي طرق ربك لطلب الرعي وقوله تعالى ذللا يجوز أن يكون من نعت السبل أي لا يتوعر
عليها مكان سلكته وهي ترعى الأماكن البعيدة ثم تعود الى أماكنها فقد ذلل الله لها مسالكها أي سهلها وقال
ابن عباس ذللا نعت النحل أي مطيعة بالتسخير واخراج العسل من بطونها قوله تعالى يخرج من بطونها شراب
مختلف ألوانه يعني العسل تلقيه النحل أبيض وأصفر وأحمر يقال انه يخرج من شبابها الأبيض ومن كهولها
الأصفر ومن شيوخها الأحمر قوله تعالى فيه شفاء للناس أي في ذلك الشراب شفاء الأوجاع التي شفاؤها
فيه كذا قال السدي وليس المراد أن كل من في الناس ... العسل يعني في نفسه ما يوجب أن يخرج العسل من كونه
شفاء للناس فان الله جعل الماء حياة لكل شيء وربما يكون الماء سببا للهلاك لكن لا اعتبار للأعم وقال قتادة
فيه شفاء للناس من الأدواء وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحب الحلوى والعسل قوله تعالى والله خلقكم ثم يتوفاكم أي خلقكم في بطون أمهاتكم طورا بعد
طور حتى أخرجكم ثم يتوفاكم الى أن يقبض أرواحكم عند آجالكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر حتى يعود
في كبره وهرمه في نقصان قوته ونقصان عقله الى مثل حال الطفولية قوله تعالى لكيلا يعلم بعد علم
شيئا أي لكي يصير كالصبي الذي لا عقل له وقال السدي أرذل العمر الخرف وقال قتادة تسعون
سنة وعن علي رضي الله عنه أرذل العمر خمس وسبعون سنة قوله تعالى ان الله عليم قدير أي عليم
بكل شيء قادر على تحويل الأحوال قوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق أي
في المال والخدم والتبع وجعل بعضكم سادة وبعضكم مماليك فما الذين فضلوا أي فما أرباب الأموال الذين
فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أي فما أرباب الأموال والذين فضلوا في الملك
فاذا لم يرضوا في الحكمة أن يشاركهم مماليكهم لئلا يبطلوا فضلهم فكيف يرضى الله من خلقه أن يجعلوا له
شريكا في الملك من خلقه وهذا مثل ضربه الله للمشركين يقال اذا لم يكن عندكم عبيدكم سواء في الملك فكيف
تجعلون عبادي معي سواء قوله تعالى أفبنعمة الله يجحدون أي أتضيفون نعمة الله الى غيره ولا تشكروه

ارذل العمر

عليها وتجحد النعمة قوله تعالى والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا أي جعل لكم من جنسكم نساء
وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة قيل إن الحفدة الأختان وقيل ولد الولد وقيل الخدم وحقيقة
الحفدة من تعاون على ما يحتاج بسرعة من الحفد وهو الإسراع ويقال لكل من أسرع في الخدمة والعمل
حفدة ومنه قولهم في دعاء الوتر ونحفد أي نسرع في طاعتك قوله تعالى ورزقكم من الطيبات أي
من الملاذ والحلال قوله تعالى أفبالباطل يؤمنون أي أفبالأصنام يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون
أي يجحدونها بإضافتها إلى غير الله تعالى قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا
من السموات والأرض شيئا أي ويعبدون الأصنام التي لا تملك لهم رزقا من السموات بإنزال الغيث ومن
الأرض بإنبات النبات شيئا ولا يستطيعون أي لا يملكون وليست لهم استطاعة قوله تعالى فلا تضربوا
لله الأمثال أي لا تجعلوا لله الأشباه لأنه لا شبه له ولا يشبهه شيء قوله تعالى إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون
أي إن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون وأنتم لا تعلمون قدر عظم خطئكم في شرككم وتحريمكم الحلال
قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء أي ضرب الله المثل بعبد مملوك لا يقدر على شيء
ومن رزقناه منا رزقا حسنا وهو الحر فهو ينفق منه سرا وجهرا أي خفية وعلانية هل يستويان في المثل
كما أن الحر الذي يملك وينفق سرا وعلانية والذي لا يملك شيئا ينفقه لا يستويان في المثل كما لا يستوي
المنعم الذي جاء من قبله النعمة والأصنام الموات التي لا تقدر على النعمة قوله تعالى الحمد لله أي بل الحمد لله
أي لمن أوضح لنا السبيل والطريق بل أكثر الكفار لا يعلمون ذلك قوله تعالى وضرب الله مثلا رجلين أحدهما
أبكم لا يقدر على شيء أي وضرب الله المثل برجلين أحدهما أخرس لا يقدر على شيء من الكلام
وتعاطي الكلام من الذي ولد أصم لا يسمع ولا يفهم ولا يمكنه أن يفهم غيره وهو كل على مولاه أي ثقل
على وليه وصاحبه أينما يوجهه لا يهتدي إلى منفعة ولا إلى خير هل يستوي هو أي هل يستوي
هو الأبكم ومن يأمر بالعدل ومن يأمر بالعدل ناطق متكلم أمر بالعدل تام التمييز وهو على صراط مستقيم
أي دين مستقيم وهذا المثل للمؤمن والكافر قوله تعالى ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح
البصر أو هو أقرب قيل هذه الآية نزلت جوابا عن سؤالهم عن قيام الساعة وهي ظاهرة المعنى قوله تعالى
والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا أي أخرجكم جاهلين غير عالمين وجعل لكم السمع
والأبصار والأفئدة أي خلق لكم الحواس التي بها تعلمون نعمه وقدرته قوله تعالى ألم يروا إلى الطير
مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله أي ألم يروا إلى الطير مذللات في الهواء ما يمسكهن حتى لا يسقطن
على الأرض إلا الله إن في ذلك لآيات أي لدلالات على وحدانية الله لقوم يؤمنون قوله تعالى والله
جعل لكم من بيوتكم سكنا أي من بيوت المدر والحجر مواضع تسكنون فيها وجعل لكم من جلود الأنعام
بيوتا وهي الخيام يخف عليكم نقلها وحملها من مكان إلى مكان يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصواف
الضأن وأوبارها الإبل وأشعارها المعز أثاثا أي متاعا للبيت من الفرش والأكسية والبسط ومتاعا إلى حين
أي ومنفعة تنتفعون بها إلى حين آجالكم قوله تعالى والله جعل لكم مما خلق ظلالا أي أشياء تستظلون
بها مثل الأشجار ونحوها وجعل لكم من الجبال أكنانا وهي الكهوف والغيران تدخلها الناس ليسكنوا
فيها من الحر والبرد قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر أي جعل لكم سرابيل يعني القمص من القطن والكتان
والصوف تدفع عنكم الحر في الصيف والبرد قوله تعالى وسرابيل تقيكم بأسكم أراد به الدروع من
الحديد يلبسونها في الحرب سلاح العدو يعني الطعن والضرب والرمي قوله تعالى كذلك يتم نعمته
عليكم في سائر الأشياء كما أتمها عليكم في هذه الأشياء لكي تسلموا ۞ قال ابن عباس يعني قوله تعالى لعلكم

تسلمون

تسلمون أي لعلكم يا أهل مكة تعلمون أنه لا يقدر على هذا غير الله فتؤمنوا به وتصدقوا رسوله وفي
قراءة ابن عباس لعلكم تسلمون بنصب التاء أي لكي تسلموا من الجراحات إذا لبستم الدروع من
الحديد ومن الحر والبرد إذا لبستم القمص قوله تعالى فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين أي أعرضوا
عن الإيمان فإنما عليك يا محمد البلاغ الظاهر وهو أن تبلغ الرسالة وتبين الدلالة فلما ذكر لهم النبي صلى الله
عليه وسلم هذه النعم قالوا نعم يا محمد هذه كلها من الله ثم قالوا بشفاعة آلهتنا فأنزل الله تعالى يعرفون
نعمت الله ثم ينكرونها أي يعرفون أن هذه النعم كلها من الله ثم ينكرونها بإضافتها إلى الأوثان ويشكرون
الأوثان عليها قوله تعالى وأكثرهم الكافرون أي كلهم كافرون بالله وبنعمه فذكر الأكثر والمراد به الجميع
قوله تعالى ويوم نبعث من كل أمة شهيدا يعني يوم القيمة تشهد الأنبياء على أممهم بما فعلوا من التصديق
والتكذيب وتشهد العدول من كل عصر على أهل عصرهم قوله تعالى ثم لا يؤذن للذين كفروا أي لا يؤذن
لهم بعد شهادة الرسل في الاعتذار ولا ينفعهم الاعتذار يومئذ ولا يجابون إلى الرد إلى الدنيا قوله تعالى
وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم أي إذا رأوه بالدخول فيه فلا يرفه عنهم في وقت دون
وقت ولا يؤجلون بتأخير العذاب إلى وقت آخر قوله تعالى وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم أي إذا
رأى الذين أشركوا الأصنام مع الله في العبادة شركاءهم يعني الأصنام قالوا ربنا هؤلاء الأصنام شركاؤنا الذين كنا
معك في العبادة فألقى الأصنام إليهم القول إنكم لكاذبون في أنا آلهة وفي أنا أمرناكم بالعبادة واستسلموا
كلهم لأمر الله يومئذ وضل عنهم ما كانوا يفترون أنها آلهة والفائدة في إعادة الأصنام يومئذ تعييرهم
بها وأن يعذبهم بها في العذاب قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق
العذاب معناه الذين كفروا بالله ورسله وصدوا عن سبيل الله بامتناعهم عنه ومنع الناس عنه زدناهم
عذابا فوق العذاب قال ابن مسعود زيد عقارب لها أنياب كالنخل الطوال وقيل بل حيات كأمثال
الفيلة وقيل تجري من فوقهم أنها أنهار من نحاس ذائب إذا وقع على كتف الرجل اشتعل الجسد منه نارا فليس
فيها عذاب أشد منه قوله تعالى ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم فيه بيان أن كل عصر
لا يخلو من شهيد على الناس وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء يعني أمته قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب
أي القرآن تبيانا لكل شيء من أمور الدين وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل
والإحسان يعني بالعدل في الأفعال والإحسان في الأقوال فلا تفعل إلا ما هو عدل ولا تقل إلا ما هو حسن قال
ابن عباس العدل شهادة أن لا إله إلا الله والإحسان أداء الفرائض وقيل العدل هو الإنصاف ويدخل فيه
إنصاف المرء عن نفسه لغيره في الحقوق والمآثم ومن نفسه لنفسه فيما يكون حقا عليه من شكر نعم الله وأن
لا تعبد غيره وأن لا يصف الله بما لا يليق به من الصفات قوله تعالى والإحسان يدخل في ذلك التفضل على الغير
أسبابا المال أو المعاشرة الجميلة من قول أو فعل سرا كان أو علانية أو إكرام وتحبب وإيتاء ذي القربى
أي صلة الأرحام قوله تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي والفحشاء الزنا والمنكر الشرك والبغي الظلم
والكبر وقيل الفحشاء ما عظم قبحه من قول أو فعل سرا كان أو علانية والمنكر ما يظهر للناس فيجب إنكاره
والبغي الاستطالة والظلم وقيل معنى الآية إن الله يأمر بالعدل أي بالتوحيد والإحسان الإخلاص
وقيل الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وقيل الإحسان العفو عن الناس وقيل العدل استواء السر
والعلانية والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ على الوليد إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون فقال يا ابن أخي أعد علي فأعاد عليه
فقال إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمورق وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر

قوله تعالى لعلكم تذكرون معناه يأمركم بثلث ان تفعلوهن وينهاكم عن ثلث لتنتهوا عنهن لعلكم تتعظون
بما تؤمرون وتحترزون من التقصير قوله تعالى وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم أي أتموا العهد التي
بينكم وبين الناس إذا حلفتم بالله تعالى ولا تنقضوا العهود بعد توثيقها وقد قلتم الله شهيد علينا بالوفا
إن الله يعلم ما تفعلون من النقض والوفا فيجازيكم عليه وفي الآية دلالة على أن الرجل إذا قال علي عهد
الله أن أفعل كذا كان يمينا لأنه تعالى ذكر العهد أولا في الآية ثم عقبه بقوله ولا تنقضوا الأيمان بعد
توكيدها قوله تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا أي لا تكونوا في نقض العهود
كالتي نقضت غزلها من بعد ابرام وإحكام وهي امرأة من قريش أم الأخنس بن شريق وريطة الحمقا كانت
تغزل من الصوف والشعر والوبر بمغزل عظيم مثل طول الذراع وصنارة في رأس المغزل مثل طول الإصبع وفلكة عظيمة
وإذا غزلته وأبرمته أمرت جاريتها بنقضه والأنكاث جمع النكث وهو ما نقض من غزل الشعر والقطن ونحوها والمعنى
لا تكونوا في نقض الأيمان كهذه المرأة غزلت غزلا وأحكمته ثم نقضته فجعلته أنكاثا والأنكاث ما تقطع قوله تعالى
تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أي تتخذون عهودكم دخلا وخديعة وغشا وخيانة بينكم قوله تعالى أن
تكون أمة هي أربى من أمة أي لأن تكون جماعة هي أكثر وأعز من جماعة قال مجاهد إنهم كانوا يحالفون
الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون الأكثر فنهاهم الله عن ذلك وحاصل
التأويل النهي عن أن يحلف على شيء وهو يبطن على خلافه وأن يغر غيره بيمينه قوله تعالى إنما يبلوكم الله به
أي إنما يختبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بالعهد وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون في
الدنيا من الحق والباطل قوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة أي أهل ملة واحدة ودين واحد
ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء بتوفيقه وخذلانه ولتسألن عما كنتم تعملون من الخير والشر
قوله تعالى ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم أي مكرا وخديعة فتزلوا عن طاعة الله كما يزل قدم الرجل
بعد ثبوتها مثل الله زلة القدم عبارة عن سخط الله وثبات القدم عبارة عن رضى الله وقيل معنى قوله تعالى
فتزل قدم بعد ثبوتها أي فتهلكوا بعد أن كنتم آمنين وقال ابن عباس فتزلوا عن الإيمان بعد المعرفة قوله تعالى
وتذوقوا السوء يعني العذاب بما صددتم عن سبيل الله أي بما منعتم به الناس عن دين الله ولكم عذاب
عظيم في الآخرة قوله تعالى ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا أي ولا تختاروا الحلف بالله كاذبا عرضا
يسيرا من الدنيا ولا تنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عرضا يسيرا من الدنيا ولكن أوفوا فإنما عند الله من الثواب
في الآخرة على الوفا هو خير لكم مما عندكم إن كنتم تعلمون ثواب الله ما عندكم ينفد أي
يفنى ولا يبقى وما عند الله من الثواب باق دائم ويبقى قوله تعالى ولنجزين الذين صبروا قرأ ابن كثير وعاصم
بالنون وقرأ الباقون بالياء ومعناه الذين صبروا على الوفاء وعلى الطاعة أجرهم بالطاعات
بأحسن ما كانوا يعملون دون أسوئها ونعفو عن سيئاتها قال ابن عباس وذلك أن رجلا من حضرموت
يقال له عبدان بن الأشوع قال يا رسول الله إن الأشعث بن قيس الكندي جاورني في أرضي فقطعها
فقال صلى الله عليه وسلم ألك شهيد قال لا أحد قال إن القوم كلهم يعلمون إني صادق ولكنه أكرم عليهم
مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأشعث ما يقول صاحبك قال الباطل والكذب يا رسول الله فقال
احلف فلما هم بالحلف فأخره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ولا تشتروا بعهد
الله ثمنا قليلا إلى آخر الآية فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأشعث فقال إنما عندكم ينفد وما
صاحبي فيجزى بأحسن ما كان يعمل اللهم إنه صادق فقال لقد أعطيته أرضه والله ما أدري كم هي
ولكن يأخذ ما شاء من أرضي ومثلها معها لما أكلت من ثمرها فأنزل الله بعد ذلك في الأشعث قوله تعالى
من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة أي من عمل صالحا بنية [illegible]

بالحق

بالحق وهو مع ذلك مؤمن فلنحيينه حياة طيبة قيل المراد بها القناعة بما يؤتى من الرزق الحلال كما روي
عن وهب بن منبه أنه قال الحياة الطيبة هي القناعة بما رزق وقيل هو أن يكون صدره منشرحا في أمور
دنياه وقيل هو أن يكون صدره منشرحا بما يفعله من دلائل الله تعالى وبما يعرفه من وجوب مفارقة الدنيا
فيصير قليل الهم في أمور دنياه وقيل الحياة الطيبة الجنة لأنه لا يطلب أحد حياة إلا فيها قوله تعالى فإذا
قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم أي إذا أردت قراءة القرآن ونظيره إذا قمتم إلى
الصلوة فاغسلوا وجوهكم وإذا تكلم قوله تعالى وإذا قلتم فاعدلوا وفائدة الأمر بالاستعاذة قبل القراءة
نفي وساوس الشيطان عند القراءة وقد أجمع الفقهاء على أن الاستعاذة قبل القراءة إلا ما روي عن داود
بن علي ومالك أنهم قالوا الاستعاذة بعد القراءة وأن أخذا بظاهر الآية قوله تعالى إنه ليس له سلطان
على الذين آمنوا أي إن الشيطان ليس له سلطنة على المؤمن إلا في الوسوسة وعلى ربهم يتوكلون
إنما سلطانه على الذين يتولونه دعاءه والذين هم بالله مشركون فإنهم جعلوا له سلطانا على أنفسهم
قوله تعالى وإذا بدلنا آية مكان آية أي إذا نسخنا آية وأثبتنا مكانها أخرى والله أعلم بمصالح العباد
بما ينزل في كل وقت ما هو الأصلح لهم قالت كفار قريش إنما أنت يا محمد كاذب في الناسخ والمنسوخ مختلق من
تلقاء نفسك وذلك إن المشركين قالوا إن محمدا يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا قوله
تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقيقته قال ابن عباس وذلك
أن كفار مكة كانوا يقولون إن القرآن ليس من عند الله قوله تعالى قل نزله روح القدس أي قل أنزل القرآن
جبريل من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا ويقوي إيمانهم ليزدادوا تصديقا ويقينا وهدى وبشرى للمسلمين
قوله تعالى ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر قال ابن عباس وذلك أن كفار مكة كانوا يقولون إن القرآن
ليس من عند الله إنما يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم بشر أرادوا بذلك جبرا ويسارا كانا عالمين نصرانيين وكانت
صلى الله عليه وسلم يجالسهما ويعلمهما وكانا يقرآن كتابهما بالعبرانية وكانا قد أسلما وقيل كانوا يعنون
بقولهم بشر سلمان الفارسي قوله تعالى لسان الذي يلحدون إليه أعجمي أي لسان الذي يميلون إليه
ويزعمون أنه يعلمك أعجمي وهذا القرآن الذي نزل وهو عربي وكيف يقدر الأعجمي على تعلم مثله قوله تعالى
إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله إلى ثوابه ولهم عذاب وجيع في الآخرة قوله تعالى إنما
يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله معناه إنما يكذب على الله من لا يؤمن بدلائله من الله
أن الذين نسبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من افترائهم أحق به قوله تعالى من كفر بالله من بعد إيمانه إلا
من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان يجوز أن يكون من كفر رفعا على البدل من الكاذبين ويجوز أن يكون
كلاما مستأنفا قوله تعالى فعليهم غضب من الله خبر له أو خبر لقوله ولكن من شرح بالكفر صدرا
والمراد بقوله إلا من أكره عمار بن ياسر روي أن المشركين أخذوه في طريق مكة فعذبوه حتى سب النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير فلما فعل ذلك تركوه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدموع من عينيه وأخبره
القصة فأنزل الله هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالإيمان فقال
صلى الله عليه وسلم إن عادوا فعد فقوله عليه السلام فعد على جهة الإباحة والرخصة دون الإيجاب
فإن المكره على الكفر إذا صبر حتى قتل كان أعظم لأجره والإكراه المبيح لإجراء كلمة الكفر على اللسان هو
أن يخاف التلف على نفسه أو على عضو من أعضائه إن لم يفعل ما أمر به قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر
صدرا أي فتح صدره للكفر بالقبول واختاره على الإيمان قيل إنها نزلت في ابن أبي سرح القرشي رجع إلى الشرك
وباح الكفر ولحق بمكة قوله تعالى ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة أي ذلك العذاب بأنهم
اختاروا الدنيا على ثواب الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين إلى جنته وثوابه قوله تعالى

أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم قد تقدم تفسيره قوله تعالى لا جرم أنهم أي حقا
في الآخرة هم الخاسرون أي خسروا أنفسهم قوله تعالى ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا
الآية نزلت في قوم تخلفوا بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ثم إنهم هاجروا إلى المدينة من بعد
ما عذبهم أهل مكة ثم جاهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وصبروا على الجهاد فوعدهم الله المغفرة لما كان
منهم من التخلف عن الهجرة وذلك أنهم كانوا مستضعفين بمكة وكانوا مؤمنين فعذبهم أهل مكة حتى ارتدوا
عن الإسلام لسلامتهم ثم هاجروا من بعد ما فتنوا أي من بعد ما عذبوا ثم جاهدوا مع النبي صلى الله
عليه وسلم وصبروا على الجهاد إن ربك من بعدها أي من بعد تلك الفتنة وتلك الفعلة التي فعلوها من التلفظ بكلمة
الكفر لغفور رحيم وقرأ ابن عامر فتنوا بفتح الفاء أي فتنوا أنفسهم بإظهار ما أظهروا للفتنة قوله تعالى
يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها يجوز أن يكون يوم منصوبا بنزع الخافض أي في يوم تأتي كل نفس ويجوز
أن يكون المعنى واذكر يوم تأتي كل نفس وهو يوم القيمة تجادل فيه كل إنسان عن نفسه وتوفى كل نفس برة
وفاجرة جزاء ما عملت من خير وشر ثم لا ينقص من ثواب محسن ولا يزاد على عقاب مسيء واختلفوا في المجادلة
المذكورة في الآية قال بعضهم هو قول الكفار والله ربنا ما كنا مشركين وقولهم ربنا هؤلاء أضلونا ومعنى الآية
أن كل أحد لا تهمه إلا نفسه فهو يخاصم ويحتج عن نفسه ثم لا يتفرغ إلى غيره قوله تعالى وضرب الله مثلا قرية
كانت آمنة يعني أهل مكة كان أهلها آمنين لا يهاج أهلها ولا يغار عليها بخلاف قرى سائر العرب لأن
العرب كانت لا تقصد مكة احتراما لحرم الله قوله تعالى مطمئنة أي قارة أهلها لا يحتاجون إلى الانتقال
والانتجاع كما يحتاج إليه سائر العرب قوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان أي كان الرزق واسعا
على أهل مكة يحمل إليهم من البر والبحر كما قال تعالى يجبى إليه ثمرات كل شيء فكفر أهل مكة بأنعم الله وكذبوا
محمدا صلى الله عليه وسلم وخالفوا أمره وكذبوا بالقرآن بعد قيام الحجة عليهم فعاقبهم الله بسبع سنين
بالقحط وخوفهم من النبي صلى الله عليه وسلم ومن عساكره وسراياه بما كانوا يصنعون من تكذيبه روي
أنه بلغ بهم من الجوع ما لا غاية بعده حتى أكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب وكان ذلك بدعاء النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها سنين كسني يوسف فاستجاب الله دعاءه حتى
صار أمرهم إلى هذه الحالة قوله تعالى ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه أراد به محمدا صلى الله عليه وسلم
فأخذهم العذاب الذي تقدم ذكره من الجوع والخوف وهم ظالمون لأنفسهم قوله تعالى فكلوا مما رزقكم الله
حلالا طيبا أي كلوا يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله حلالا طيبا إلى آخر الآيتين قد تقدم تفسيره في سورة البقرة
قوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام أي لا تقولوا الكذب لما تصف
ألسنتكم بالحل والحرمة فتحلوا الميتة وتحرموا بعض الزرع والأنعام كما تقدم ذكره في سورة الأنعام
إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون أي لا يظفرون بالمراد ولا ينجون يوم القيمة أما لهم في الدنيا
متاع قليل ثم يعذبهم العذاب الأليم قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل
أراد به ما بينه الله في سورة الأنعام وقد تقدم هناك وفيه بيان أن التحريم الذي كان في اليهود كان
من قبل الله وأنه مخالف للتحريم الذي كان في كفار مكة قوله تعالى وما ظلمناهم أي ما ظلمناهم بتحريم تلك
فإن تحريمها كان عقوبة لهم ولا تكون العقوبة ظلما ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بمخالفتهم أمر الله
تعالى قوله تعالى ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فيه بيان أن من
ارتكب المعاصي وخالف أمر الله واستعمل الجهالة في ارتكابه لم يمنعه ذلك من التوبة فإنه إذا تاب وأصلح في
المستقبل تجاوز الله عنه كما بين الشاب قال ابن عباس كل سوء يعمله ابن آدم فهو جاهل فيه وإن كان يعلم أنه
ذنب سيئة قوله تعالى إن إبرهيم كان أمة قانتا لله حنيفا فيه بيان أن إبرهيم كان هو القدوة للناس

أمة

بالخير

بالخير ويسمى الإمام أمة لأنه يجمع خصال الخير ويقال للرجل المنفرد بدين لا شريك له فيه غيره أمة ويقال
للعالم أمة والأمة الرجل الجامع للخير قوله تعالى قانتا لله حنيفا القانت هو الدائم على الطاعة والقنوت
هو الدوام على الطاعة والقانت هو المطيع والحنيف قد تقدم تفسيره ولم يك من المشركين كما ادعاه
كفار قريش فإنهم كانوا يدعون أنهم يسلكون دين إبرهيم قوله تعالى شاكرا لأنعمه أي كان إبرهيم شاكرا
لأنعم الله عليه ونصب قوله شاكرا على البدل من قوله أمة قانتا قوله تعالى اجتباه أي اصطفاه بالنبوة
واختاره وهداه إلى صراط مستقيم أي إلى دين الإسلام قوله تعالى وآتيناه في الدنيا حسنة
قال ابن عباس يعني الذكر الحسن وقال الحسن هي النبوة وقال مجاهد لسان صدق في الآخرين وقال مقاتل
يعني الصلوة عليه مقرونة بالصلوة على محمد صلى الله عليه وسلم وهو قولهم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على إبرهيم وعلى آل إبرهيم قوله تعالى وإنه في الآخرة لمن الصالحين أي مع المرسلين في الجنة
قوله تعالى ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبرهيم أي أمرناك يا محمد باتباع ملة إبرهيم في مجانبة الكفار
كما كان إبرهيم يجانبهم وإن قيل كيف يجوز أن يؤمر الفاضل بمتابعة المفضول ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم
كان أفضل الأنبياء فكيف أمره الله بمتابعة إبرهيم عليه السلام قيل إن إبرهيم كان قد سبق إلى اتباع الحق
ولا يكون في سبق المفضول إلى اتباع الحق عيب على الفاضل في اتباعه قوله تعالى إنما جعل السبت
على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود وذلك أن موسى قال لبني إسرائيل تفرغوا إلى الله في كل سبعة
أيام يوما واحدا فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من أمور الدنيا وستة أيام لمعايشكم وصنائعكم
فأبوا أن يقبلوا ذلك منه وقالوا لا نريد إلا اليوم الذي فرغ فيه من الخلق يعنون السبت فجعل ذلك
عليهم وشدد عليهم فيه وقالت النصارى غيرهم بل أعظم الأيام يوم الأحد لأنه اليوم الذي بدأ الله فيه بخلق
الأشياء فاختاروا تعظيم غير ما فرض الله عليهم أي تركوا تعظيم يوم الجمعة قوله تعالى ادع إلى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة أي ادع إلى سبيل دين الله بالحكمة يعني بالنبوة والموعظة الحسنة يعني مواعظ
القرآن وقيل التخويف بالعذاب على جهة إظهار الشفقة عليهم ليكون ذلك أقرب إلى إجابتهم قوله تعالى
وجادلهم بالتي هي أحسن أي بالرفق واللطف وذكر أحسن ما عنده من الحجج وأعرض عن أذاهم ولا تقصر في أداء
الرسالة والدعاء إلى الحق وقيل إن هذه منسوخة بآية السيف قوله تعالى إن ربك هو أعلم بمن ضل
عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين أي هو أعلم بمن لا يقبل الهدى وبمن يقبله فيجزي كلا على عمله قوله
تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وذلك أن حمزة بن عبد المطلب وأصحابه الذين قتلوا يوم
أحد مثل بهم المشركون عمدوا إلى حمزة فشقوا بطنه وأخذت منه هند بنت عتبة كبده فجعلت تلوكها
ثم طرحتها وقطعوا مذاكيره وجدعوا أنفه وأذنيه ومثلوا به أشد المثلة وكذلك سائر شهداء أحد
مثل بهم المشركون بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمه حمزة لم
ينظر إلى شيء قط أوجع لقلبه منه فقال رحمة الله عليك فإنك كنت فعالا للخير وصولا للرحم والله
لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم وقال المسلمون والله لئن أمكننا الله منهم
لنمثلن بالأحياء فضلا عن الأموات فأنزل الله هذه الآية وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن
صبرتم لهو خير للصابرين فقال صلى الله عليه وسلم بل أصبر ولا أمثل وكفر عن يمينه ثم نزل قوله تعالى
واصبر وما صبرك إلا بالله بمعونة الله وتوفيقه ولا تقدر على الصبر في الحزن الذي لحقك بسبب الشهداء
إلا أن يسهل الله عليك قوله تعالى ولا تحزن عليهم أي لا تحزن على الكفار إذا اشتغلوا عن إجابتك
ثم قيل لا تحزن على الشهداء فإن الله أكرمهم بما نالهم في الجنة لو رأيتهم في الكرامة التي أكرمهم الله

بما تعطيهم عليها قوله تعالى ولا تك في ضيق مما يمكرون أي لا تضيق صدرك من مكرهم فلكون ذلك بناء على
لك حما كلفته من الدعاء الى سبيل ربك قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون أي ان
الله مع المتقين المحسنين وهم المسلمون ينصرهم ويظهرهم على الكفار ويعينهم عليهم.

سورة الأسرى مائة وأثنا عشر آية

مكية الا ثمان آيات من قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الى قوله واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا.
فانها مدنيات وهي ستة آلاف وأربعمائة وستة وخمسون حرفا وألف وخمسمائة وثلثة وثلثون كلمة ومائة واحدى عشر
آية قال صلى الله عليه وسلم من قرأها فرق قلبه عند ذكر الوالدين أعطي في الجنة قنطارين من الأجر والقنطار
ألف ومائتا أوقية الأوقية خير من الدنيا وما فيها.

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله أي سبحان
الذي أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة من مسجد مكة الى مسجد بيت المقدس وسمي مسجد بيت
المقدس المسجد الأقصى لانه لم يكن وراءه مسجد يعبد الله فيه وقيل لانه ابعد المساجد التي تزار قال صلى الله
عليه وسلم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر بين النائم واليقظان اذ أتاني جبريل بالبراق وذكر حديث المعراج
وقال ابن عباس رضي الله عنه أسري به من بيت أم هاني بنت أبي طالب أخت علي كرم الله وجهه والحرم كله
مسجد. وعن الكلبي عن أبي صالح عن أم هاني انها كانت تقول ما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا
وهو في بيتي قال مقاتل كان الاسرى قبل الهجرة بسنة قوله تعالى باركنا حوله صفة بيت المقدس
بارك الله فيما حوله بالأشجار والثمار والأنهار حتى لا يحتاجون الى أن يجلب اليهم من موضع آخر وقيل معناه
باركنا حوله جعلناه موضعا للانبياء عليهم السلام وفيه مهبط الملائكة والوحي وفيها الصخرة قوله تعالى
لنريه من آياتنا أي من عجائب قدرتنا انه هو السميع لمقالة قريش لكلامهم البصير بهم وبأعمالهم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة أسري بي وانا بين النائم واليقظان جاءني جبريل عليه السلام وقال
لي يا محمد قم فقمت فاذا جبريل ومعه ميكائيل فقال لي توضأ فتوضأت ثم قال لي انطلق يا محمد قلت الى أين قال
الى ربك فأخذ بيدي وأخرجني من المسجد فاذا انا بالبراق دابة فوق الحمار ودون البغل وجهه كوجه انسان
وذنبه كذنب البعير وأظلافه كأظلاف البقر وصدره كأنه ياقوتة حمراء وظهره كأنه درة بيضاء عليه رحل من
رحال الجنة خطوه منتهى طرفه فقال لي اركب فلما وضعت يدي عليه شمس فقال له جبريل مهلا يا براق أما
تستحي والله ما ركبك نبي أكرم على الله من هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم فارتعش البراق وانصب عرقا
حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خفض حتى لزق بالأرض فركبته واستويت على ظهره وأم جبريل نحو
المسجد الأقصى يخطو مد البصر والبراق يتبعه لا يفوت أحدهما الآخر حتى أتيت بيت المقدس فاذا بالملائكة
قد نزلوا من السماء يتلقوني بالبشارة والكرامة من عند الله فلما وصلت باب المسجد أنزلني جبريل وربط البراق
بالحلقة التي كانت تربط بها الأنبياء وكان للبراق خطام من حرير الجنة فصليت في المسجد ركعتين والملائكة
خلفي صفوفا يصلون بصلاتي ثم أخذ جبريل بيدي فانطلق بي الى الصخرة فصعد بي عليها واذا بمعراج أصله على
صخرة بيت المقدس ورأسه ملتصق بالسماء احدى عارضيه من ياقوتة حمراء والأخرى من زبرجد خضراء درجه
من زبرجد أخضر مكلل بالدر والياقوت فاحتملني جبريل حتى وضعني على جناحه ثم صعد بي في ذلك المعراج

حتى وصلنا الى السماء الدنيا فقرع الباب فقيل من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد صلى الله عليه
وسلم ففتحوا الباب فدخلنا فقالوا مرحبا ونعم المجيء جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت على آدم
عليه السلام فسلمت عليه فقلت يا جبريل من هذا قال هذا أبوك آدم فسلمت عليه فقال مرحبا بالابن الصالح
والنبي الصالح ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الثانية فاستفتح جبريل ففتحوا لنا وقالوا مرحبا برسول
الله صلى الله عليه وسلم ولنعم المجيء جاء فأتيت على عيسى ويحيى فقلت يا جبريل من هذان قال عيسى ويحيى
ابنا الخالة فسلمت عليهما فقالا مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الثالثة
فاستفتح جبريل فقالوا من هذا قال جبريل ومعي محمد صلى الله عليه وسلم ففتحوا وقالوا مرحبا به ولنعم
المجيء جاء قال فأتيت على يوسف عليه السلام فقال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم أتينا السماء
الرابعة فكان من الاستفتاح والمجيء مثل ما تقدم فوجدت ادريس فقال لي مرحبا بالأخ الصالح
والنبي الصالح وفي السماء الخامسة وجدت هرون فقال لي كذلك وفي السماء السادسة وجدت
موسى فقال لي كذلك وفي السماء السابعة وجدت ابراهيم عليه السلام فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي
الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى واذا نبقها مثل قلال هجر وورقها كآذان الفيلة ورأيت أربعة
أنهار تجري من أصلها فقلت يا جبريل ما هذه الأنهار فقال النهران الباطنان في الجنة وأما الظاهران
فالنيل والفرات وفيها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله وقام جبريل في وسطها فلما انتهيت اليها قال
لي جبريل تقدم فقلت تقدم أنت يا جبريل فقال بل تقدم أنت يا محمد فأنت أكرم على الله مني قال
فتقدمت وجبريل على أثري حتى انتهى بي الى حجاب من ذهب فحركه فقيل من هذا قال جبريل ومعي
محمد فأخرج الملك يده من تحت الحجاب فاحتملني وتخلف جبريل فقلت له الى أين فقال وما منا الا له مقام
معلوم وانما أذن لي في الدنو من الحجاب لاكرامك واجلالك فانطلق بي الملك في أسرع من طرفة عين الى
حجاب آخر فحركه فقال الملك من هذا فقال هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم معي فأخرج الملك يده
من تحت الحجاب فاحتملني حتى وضعني بين يديه فلم أزل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزت سبعين حجابا
غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة سنة وما بين الحجاب الى الحجاب خمسمائة سنة ثم حملت الى العرش فأوحى الى رسول
الله

صلى الله عليه وسلم الى حيث شاء الله ورأى من العجائب والقدرة ما شاء الله قال صلى الله عليه وسلم
أمرت بخمسين صلاة كل يوم فأقبلت حتى أتيت موسى فسألني بم أمرت فقلت بخمسين صلاة فقال لي ان
أمتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فقال فرجعت الى ربي فحط عني
خمسا فأقبلت حتى أتيت موسى فذكرت له ذلك فقال لي ارجع واسأله التخفيف لأمتك فحط عني خمسا
أخرى فلم أزل كذلك يقول لي موسى ارجع واسأله التخفيف وأنا أرجع حتى بقيت خمس صلوات فقال لي
موسى ارجع اسأله التخفيف فقلت قد رجعت حتى استحييت من ربي فنوديت أن قد أمضيت فريضتي
وخففت على عبادي وجعلت كل حسنة بعشرة أمثالها. قال ابن عباس فلما رجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في آخر الليل الى مكة وأخبر قريشا كذبوه ثم سألوه عن صفة بيت المقدس وما كان من شأنه
حين دخل وما كان من شأنه حين خرج وما استقبله فأخبرهم بصفاتهما كلها. وقال مررت على عير بني
فلان وهي بالروحاء وقد أضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه فأتوا فأخبرنا عن عيرنا فقال مررت بها
بالتنعيم قالوا فما عدتها وأحمالها وهيئتها قال كذا وكذا وفيها فلان وفلان ويقدمها جمل أورق عليه
غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قال فخرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون لقد قص
محمد شيئا فتبين لنا أنه كذب فلما أتوا الثنية جلسوا عليها فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبوه اذ قال قائل منهم
هذه والله الشمس قد طلعت وقال آخر وهذه العير قد طلعت يقدمها بعير أورق فيها فلان وفلان

كما أتى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا ولم يفلحوا وسعى ناس من المشركين إلى أبي بكر وقالوا هذا صاحبك
يزعم أنه قد أسري به الليلة إلى بيت المقدس ثم رجع من ليلته في ليلة واحدة فقال إن كان قال ذلك
فقد صدق قالوا أتصدقه أنه ذهب إلى الشام في ليلة واحدة ورجع قبل الصبح فقال فكيف لا أصدقه
على ذلك فسمي أبا بكر الصديق وأما المشركون فقالوا ما سمعنا بهذا قط إن هذا إلا سحر مبين فإن
قلت لما قال سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فلم قلتم أسري به إلى السماء قلت
الأخبار في هذا بلغت حد التواتر ظاهرة وما ذكر في سورة النجم دليل على صحة ذلك قوله تعالى وآتينا موسى
الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل أي أعطينا موسى التوراة وجعلناه دلالة لبني إسرائيل قوله
ألا تتخذوا من دوني وكيلا أي ربا ولا تتوكلوا على غيري ومن قرأ ألا يتخذوا بالياء فهو على الخطاب بعد
الغيبة مثل الحمد لله رب العالمين ثم قال إياك نعبد وإياك نستعين قوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح
إنه كان عبدا شكورا أي يا ذرية من حملنا مع نوح والناس كلهم ذرية نوح ثم أثنى على نوح فقال
إنه كان عبدا شكورا لنعم الله كان إذا أكل أو شرب أو اكتسى واحتذى قال الحمد لله قوله تعالى وقضينا إلى
بني إسرائيل في الكتاب أي أخبرناهم في التوراة لتفسدن في الأرض مرتين أي لتعصن بقتل
النفوس وتخريب الديار وأخذ الأموال ولتطغن طغيانا عظيما قوله تعالى فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا
لنا أولي بأس شديد أي سلطنا عليكم عبادا لنا ذوي عدة في القتال قال ابن عباس هم بخت نصر وأصحابه
المجوس سلطهم الله على بني إسرائيل حين عصت في ولد العبادين فقتل منهم بخت نصر أربعين ألفا ممن كان
يقرأ التوراة ودخل ديارهم فطلبهم طلبا شديدا حتى كانوا ينظرون في الأزقة والبيوت هل بقي أحد لم
يقتلوه وأسر من بقي منهم ونقلهم إلى بلاده فمكثوا أسرى في أيديهم تسعين سنة حتى مات
بخت نصر قوله تعالى وكان وعدا مفعولا أي موعدا كائنا لا محالة قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة
عليهم أي جعلنا لكم الدولة والرجعة عليهم وأعطيناكم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا أي أكثر
عددا ينفرون إليهم وذلك أن رجلا من أهل الكتاب يقال له [illegible] غزا أرض بابل وهي بلاد بخت نصر وظهر
عليهم فقتلهم وسكن ديارهم وتزوج امرأة من بني إسرائيل فطلبت من زوجها أن يرد
قومها إلى أرضهم ففعل فمكثوا في بيت المقدس مائتين وعشرين سنة وقام فيهم الأنبياء ورجعوا إلى أحسن
ما كانوا عليه فذلك قوله ثم رددنا لكم الكرة عليهم • وعن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن بني إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا الأنبياء بعث الله عليهم ملك فارس بخت نصر
فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس فحاصرهم وفتحها فقتل على دم يحيى بن زكريا سبعين ألفا وقيل سبعين
ألفا وسبى أهلها وسلب حلي بيت المقدس وكان سليمان بن داود قد بناه من ذهب وياقوت وزبرجد
وغير ذلك ذهب أعطاه الله ذلك وسخر الشياطين له يأتونه بهذه الأشياء ثم صار بخت نصر بالأسارى حتى
نزل بابل فأقام بنو إسرائيل في يده مائة سنة تستعبدهم المجوس وأبناء المجوس ثم إن الله تعالى رحمهم فسلط
عليهم ملكا من ملوك فارس يقال له كورش وكان مؤمنا فسار إليهم فاستنقذ بني إسرائيل منهم واستنقذ
حلي بيت المقدس حتى رده إليه فأقام بنو إسرائيل مطيعين لله مائة سنة ثم عادوا إلى المعاصي فسلط الله عليهم
ملكا أخربها وحرق بيت المقدس وسباهم قوله تعالى فإذا جاء وعد أولاهما يعني أولى المرتين وخالفوا
فيها تعالى قوله قال قتادة إفسادهم في المرة الأولى ما تركوا من أحكام التوراة وعصوا ربهم وخالفوا أمر
بينهم من سفك الدماء وركبوا المحارم وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن الفساد الأول قتل زكريا وقيل شعيا
نبي الله في الشجرة قال ابن إسحاق بعض العلماء أخبره أن زكريا مات موتا ولم يقتل وإنما المقتول
شعيا قوله تعالى بعثنا عليكم عبادا لنا يعني جالوت وجنوده وقال ابن إسحاق هو بخت نصر البابلي وأصحابه

أولي بأس شديد أي ذوي بطش شديد في الحرب فجاسوا خلال الديار أي طافوا وداروا وقال الفراء
قتلوكم بين بيوتكم قال حسان • ومنا الذي لاقى بسيف محمد • فجاس به الأعداء عرض العساكر •
وقيل فجاسوا أي طلبوا من فيها كما يجاس الأخبار وقوله تعالى فإذا جاء وعد الآخرة أي المرة الآخرة
وهو قصدهم قتل عيسى حين رفع وقتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام فسلط الله عليهم طيطوس
اسبيانوس الرومي حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم فذلك قوله تعالى ليسوءوا وجوهكم قوله
إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم أي إن نفعه لأنفسكم الحسنة إليكم وإن أسأتم فلها أي فإليها
ولم يقل فإليها على جهة المقابلة للكلام الأول وقيل هي الحروف قد يقام بعضها مقام بعض كما في قوله تعالى
بأن ربك أوحى لها قوله تعالى فإذا جاء وعد الآخرة أي وعد المرة الأخرى في الفساد ليسوءوا وجوهكم
بالقتل والسبي وليدخلوا المسجد أي مسجد بيت المقدس كما دخله بخت نصر وأصحابه أول مرة
وليتبروا ما علوا تتبيرا أي وليدمروا ما غلبوا عليه تدميرا والتبار والدمار والهلاك بمعنى واحد قال
ابن عباس وذلك أن سلط عليهم بعد ما بين وعشرين سنة طيطوس بن اسبيانوس الرومي فحاصرهم وقتل
منهم مائة ألف وثمانين ألفا وخرب بيت المقدس وذلك بعد قتلهم يحيى عليه السلام فلم يزل كذلك خرابا
إلى أن بناه المسلمون فلم يدخله رومي بعد ذلك إلا خائفا قال الله تعالى أولئك ما كان لهم أن يدخلوها
إلا خائفين وذهب بعضهم إلى أن بخت نصر غزا بني إسرائيل مرتين فتح مدينتهم في المرة الأولى وجاس خلالها
يقتلون منهم فتاب بنو إسرائيل إلى الله تعالى فأظهرهم الله على بخت نصر فرد عنهم ثم بعث الله إلى بني إسرائيل
أرميا النبي عليه السلام فقام فيهم بوحي الله تعالى فضربوه وقيدوه وحبسوه فسلط الله عليهم بخت
نصر مرة أخرى ففعل بهم ما فعل قوله تعالى عسى ربكم أن يرحمكم أي بعد انتقامه منكم وإن
عدتم لمعصيته عدنا إلى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فعاد
الله عليهم بالعقوبة بأن سلط عليهم بأخذ الجزية والقتل فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون قوله
تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا أي محبسا من الحصر وهو الحبس فهو محصور [illegible]
وقيل فراشا ومهادا أخذا بالحصير الذي يبسط ويفرش قوله تعالى إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم
أي يهدي للحالة التي هي أقوم الحالات وهي الطريقة التي هي أصوب وقيل يرشد إلى الكلمة التي هي أعدل الكلمات
وهي كلمة التوحيد والطاعة لله والإيمان به وبرسله قوله تعالى ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
أن لهم ثوابا عظيما وهو الجنة وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما أي الذين
لا يؤمنون بالآخرة نبشرهم بعذاب أليم وهو النار قوله تعالى ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير أي
يدعو على نفسه وعلى ولده بالسوء عند الضجر والغضب يقول اللهم العنه اللهم أهلكه ونحو ذلك كدعائه
ربه أن يهب له العافية والنعمة ويرزقه السلامة في نفسه وماله وولده ولو استجاب الله له دعاءه
ونظير هذا قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم قوله تعالى وكان
الإنسان عجولا أي عجولا في الدعاء بما يكره أن يستجاب له وقال ابن عباس معناه ضجورا لا صبر له على
السراء والضراء • وقيل أراد به آدم عليه السلام لما نفخ فيه الروح فبلغ إلى ركبتيه قصد القيام قبل
أن تجري فيها الروح فسقط فقيل له لا تعجل قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين أي علامتين
تدلان على قدرة خالقهما فمحونا آية الليل أي ضوء القمر قال ابن عباس أراد به السواد الذي
في القمر وذلك أن الله خلق القمر وجعله على صورة الشمس وكانت شمس الليل وشمس النهار وكان
لا يعرف الليل من النهار فأمر الله جبريل فمسح بجناحه شمس الليل فذهب ضوءها وبقي علامة جناحه
وهو السواد الذي ترونه في جوف القمر • وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما جعل الله نور

الشمس سبعين جزءا ونور القمر سبعين جزءا فانمحى من نور القمر تسعة وستون جزءا فجعلها مع نور الشمس
فصار ضوء الشمس مائة وتسعة وثلاثين جزءا والقمر جزءا واحدا و قوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة
وهي الشمس بضده مبصرة منيرة لتبتغوا فضلا من ربكم أي لتسكنوا بالليل وتطلبوا معاشكم
بالنهار لأنه حذف لتسكنوا بالليل لأنه ذكره في موضع آخر ولتعلموا عدد السنين والحساب
أي جعلنا ذلك لتعلموا حساب الشهور والأيام ومواقيت الصلوة والصيام والحج يعني محو آية الليل وكل
شيء من الأمر والنهي والحلال والحرام فصلناه تفصيلا أي بيناه في القرآن ليكون أقرب إلى فهمكم
وبيناه تبيينا لا يلتبس بغيره قوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه أي ألزمناه من خير
وشر في عنقه فجعلنا جزاء عمله لازما له كما يقال هذا الحق في عنق فلان وفي ذمته قال مجاهد مكتوب
في ورقة معلقة في عنقه شقي أو سعيد وروى الحاكم عن مجاهد ما من مولود إلا وفي عنقه مكتوب
شقي أو سعيد وفي الآية تشبيه العمل بالطائر الذي يجيء من ذات اليمين فيتبرك به والذي يجيء من
ذات اليمين فيتبرك به والذي يجيء من ذات الشمال فيتشاءم به وأما الإضافة إلى العنق دون سائر الأعضاء
فلأن ما تزين به من طوق أو ما تشين من غل فإنما يضاف إلى الأعناق قوله تعالى ونخرج له يوم القيمة
كتابا يلقاه منشورا أي ونخرج له يوم القيمة كتابا يرى فيه جزاء أعماله وقرأ الحسن ومجاهد
ويخرج له على ما لم يسم فاعله بمعنى ويخرج له الطائر يوم القيمة وقرأ الحسن ومجاهد ويخرج بفتح
الياء وكسر الراء بمعنى ويخرج الله له كتابا وقرأ الحسن ومجاهد ألزمناه طيره بغير ألف وقال
أهل المعاني أراد بالطائر ما قضي عليه أنه فاعله وما هو صائر إليه من شقاوة أو سعادة قوله تعالى
يلقاه منشورا قرأ ابن عامر وأبو جعفر بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف بمعنى يلقى الإنسان
ذلك الكتاب أي يؤتى وقرأ الباقون بالتخفيف أي يراه منشورا فيه حسناته وسيئاته قال ابن عباس
يعطى المؤمن كتابا بيمينه وهي صحيفة يقرأ فيها سيئاته في بطنها عملت كذا وقلت كذا في سنة كذا
في شهر كذا في يوم كذا في ساعة كذا في مكان كذا فإذا انتهى إلى آخرها قيل له قد غفر الله لك فاقرأ ما
في ظاهرها فيقرأ حسناته فيسر بما يرى فيها ويشرق لونه عند ذلك فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه إني
ظننت أني ملاق حسابيه قال ويعطى الكافر كتابه بشماله فيقرأ حسناته في باطنها فعملت كذا
في سنة كذا في شهر كذا في يوم كذا في ساعة كذا فإذا انتهى إلى آخرها قيل له هذه حسناتك قد ردت
عليك اقرأ ما في ظاهرها كتابه سيئاته كل صغيرة وكبيرة فيسود وجهه وتزرق
عيناه ويقول عند ذلك يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه قوله تعالى اقرأ كتابك
أي يقال له اقرأ كتابك قال الحسن يقرؤه إنسانا كان أو غير أمي وقال قتادة يقرؤه يومئذ من
لم يكن قارئا قوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أي محاسبا وإنما جعل محاسبا لنفسه لأنه
إذا رأى أعماله كلها تحقق أنه رأى جزاء أعماله مكتوبا لم ينقص من ثوابه شيء ولم يرد على عقابه
كفاه ذلك الحساب وكان الحسن يقول يا ابن آدم لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك قوله تعالى
من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه أي منفعة هدايته راجعة إليه ومن ضل في الدنيا عن الدين
فإن وبال ضلاله يرجع عليه ولا تزر وازرة وزر أخرى أي لا يحمل أحد حمل غيره ولا يؤخذ أحد بذنب
غيره وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا إقامة للحجة وقطعا للعذر قوله تعالى وإذا أردنا
أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أي إذا أردنا الحكم بهلاك قرية أمرنا مترفيها جبابرتها
ورؤساءها بالطاعة فعملوا بالمعاصي وهذا كما يقال للرجل أمرتك فعصيتني يعني أمرتك بطاعتي
فخالفتني وإنما ذكر الرؤساء دون المتبوعين لأن غيرهم تبع لهم فيكون الأمر لهم بالطاعة أمرا

للاتباع وقرأ مجاهد وأبو رجاء آمرنا بالتشديد أي جعلنا لهم أمرة وسلطانا و قوله تعالى فحق
عليها القول أي وجب عليها التوعد بالعذاب فدمرناها تدميرا أي أهلكناها إهلاكا قوله
تعالى وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح أي أهلكنا قرونا كثيرة بعد نوح قال ابن عباس
القرن مائة وعشرون سنة وقال المازني مائة سنة و قوله تعالى وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا
بصيرا ظاهر المعنى قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد أي من كان همه
مقصورا على طلب الدنيا دون الآخرة نحو أن يكون يريد بالجهاد الغنيمة وبعمله الذي فرضه الله عليه عرض
الدنيا ونعيمها خاصة عجلنا له في الدنيا ما نشاء من عرض الدنيا لا ما يشاء العبد ومن نريد تعطيه لا كل من
يطلب فأدخل الله في إعطاء المراد من العاجلة استثناءين استثناء العطية واستثناء المعطى لئلا يثق الطالبون
للدنيا بأنهم لا محالة سينالون بسعيهم ما يريدون قوله تعالى ثم جعلنا له جهنم أي لهذا الذي لم يرد
الله بعمله يصلاها أي يدخلها مذموما يذم نفسه ويذمه الناس مدحورا أي مطرودا
مبعدا من كل خير قوله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن شرط الله في ذلك ثلث
شرائط أحدها أن يريد بعمله ثواب الآخرة بالإخلاص في النية والثاني أن يسعى في العمل الذي يستحق به ثواب
الآخرة والثالث أن يكون مؤمنا لأنه إذا كان كافرا لا ينتفع بشيء من عمله قوله تعالى فأولئك كان
سعيهم مشكورا أي يضعف لهم الحسنات ويمحى عنهم السيئات ويرفع لهم الدرجات وقال مجاهد شكره
أن يثيبهم على طاعتهم ويعفو عن سيئاتهم قوله تعالى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك أي كل
واحد من الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة نمد من رزق ربك وما كان رزق ربك محظورا من البر
والفاجر وفي هذا بيان أن نعم الدنيا مشتركة بخلاف نعم الآخرة التي هي خاصة للمتقين ألا ترى أن سائر
نعم الله تعالى من الشمس والقمر والهواء والماء والنبات والحيوانات والأغذية والأدوية وصحة الجسم
والعافية وغير ذلك شاملة للمؤمن والكافر قوله تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق
في الدنيا بالمال والخدم فمنهم المقل ومنهم المكثر هذا في الدنيا وللدرجات الآخرة أكبر من درجات الدنيا وتفاضل
الآخرة وتفاوتها أرفع مما فضلوا في الدنيا فينبغي أن يكون سعيهم للآخرة أكثر قوله تعالى لا تجعل مع الله إلها
آخر قيل إن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به كافة المكلفين كما في قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن
عملك وقيل هو خطاب للإنسان كأنه قال لا تجعل أيها الإنسان مع من له العطاء عاجلا وآجلا إلها آخر
فتبقى في النار مذموما مخذولا لا ناصر لك قوله تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وأمر ربك
ألا تعبدوا إلا إياه وأمر بالوالدين إحسانا برا بهما وعطفا عليهما و قوله تعالى إما يبلغن عندك الكبر
أحدهما أو كلاهما أي إن عاشا عندك أيها الإنسان حتى يكبرا وقرأ حمزة والكسائي يبلغان لأن الوالدين قد
ذكرا قبله قوله تعالى فلا تقل لهما أف تقذرا حين ترى منهما شيئا من الأذى بل أمط عنهما كما كانا يميطان عنك
في حال الصغر والأف هو وسخ الأظفار والتف وسخ الأذن والمعنى لا تتأذى بهما كما لم يكونا يتأذيان بك وقال
صلى الله عليه وسلم لو علم الله شيئا من العقوق أدنى من أف لحرمه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل
البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار قوله تعالى ولا تنهرهما أي لا تزجرهما بإغلاظ وصياح في وجوههما
ولا تكلمهما ضجرا وقل لهما قولا كريما أي يكون فيه كرامة لهما كقول العبد المذنب للسيد الغليظ كذا
قال ابن المسيب وقال عطاء تسميهما ولا تكنهما وقل لهما يا أبتاه ويا أماه واخفض لهما جناح الذل
من الرحمة أي وكن لهما متضرعا متذللا لأن خفض الجناح عبارة عن الخضوع والمبالغة في التذلل
والتواضع وعن عطاء أنه قال جناحك يدك فلا ينبغي لك أن ترفع يدك عند أبويك ولا أن تحد بصرك عليهما

تعظيما لهما وعن عروة بن الزبير قال ما أبروا إليه من أحد النظر إليه وقيل خفض الجناح عبارة عن السكون
قرأ الحسن وسعيد بن جبير وعاصم جناح الذل بكسر الذال أي لا تستصعب عليهما قوله تعالى وقل رب ارحمهما
كما ربياني صغيرا هذا أمر بالدعاء لهما بالرحمة والمغفرة إذا كانا مسلمين والمعنى رب ارحمهما مثل
رحمتهما إياي في صغري حتى ربياني وقال قتادة هكذا علمتم وهكذا أمرتم وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رضى الله مع رضى الوالدين وسخطه مع سخط الوالدين وقال صلى الله عليه وسلم من أمسى
مرضيا لوالديه وأصبح أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة وإن كان واحد فواحد ومن أمسى [illegible]
رجل يا رسول الله وإن ظلماه قال وإن ظلماه وإن ظلماه ثلاث مرات قوله تعالى ربكم
أعلم بما في نفوسكم أي هو أعلم بما في قلوبكم من الرحمة عليهما والمعنى ربكم أعلم بما تضمرون من
البر والعقوق فمن بدرت منه بادرة وهو لا يضمر عقوقا فإنه يغفر الله له ذلك قوله تعالى إن تكونوا صالحين
أي إن تكونوا مطيعين لله تعالى فإنه كان للأوابين غفورا أي للراجعين من الذنوب إلى طاعة الله
النادمين على المعاصي والزلات والأواب هو الذي يتوب مرة بعد مرة كلما أذنب بادر إلى التوبة
وعن مجاهد أن الأواب هو الذي يتذكر ذنبه في الخلاء فيستغفر منه قوله تعالى وآت ذا القربى حقه أراد
بذي القربى قرابة الإنسان وحقه ما يصل به رحمه وقال بعضهم أراد به قرابة النبي صلى الله عليه وسلم
وحقهم هو الحق الذي جعل لهم من الخمس والأول أولى لأنه أقرب إلى ظاهر الآية لأن ذكر القربى معطوف
على ذكر الوالدين وذلك عام في جميع الناس قوله تعالى والمسكين وابن السبيل أي وآت المسكين
وابن السبيل حقهم الذي وجب لهم من الزكاة والعشر وغيرهما قوله تعالى ولا تبذر تبذيرا التبذير
تفريق المال في المعصية وقال مجاهد لو أنفق درهما أو مدا في معصية الله تعالى كان مبذرا ولو أنفق مثل
أبي قبيس في طاعة الله تعالى لم يكن مبذرا قوله تعالى إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين أي أتباع
الشياطين يتبعونهم ويجرون على سننهم وقيل يقرنون بالشياطين في النار قوله تعالى وإما تعرضن عنهم
ابتغاء رحمة من ربك ترجوها معناه إن أعرضت عن هؤلاء الذين أوصيناك بهم من ذوي القربى والمساكين
انتظار رزق ترجوه من الله تعالى لأنك لا تجد ما تصلهم ولكن منتظرا لرزق الله ترجوه من الله ليعطيهم
منه فقل لهم عند ذلك قولا سهلا لينا نحو أن تعدهم عدة حسنة وتقول أفعل وكرامة ليس عندي
اليوم شيء وسوف أعطيكم ولا تعطيكم إذا أدركت الغلة أو وصل إلى المال الذي في موضع كذا وتقول رزقنا
الله وإياكم من فضله قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك أي لا تمسكها بالمنع عن حقوقهم الواجبة
لهم والمراد أن الذي يترك الإنفاق يكون بمنزلة من تكون يده مشدودة إلى عنقه فلا يعطي من ماله شيئا والعرب
تسمي البخيل مثل هذه الصفات يقولون فلان قصير الباع وإذا كان كريما قالوا طويل الباع وقال صلى الله
عليه وسلم لنسائه أسرعكن بي لحاقا أطولكن يدا فكانت زينب بنت جحش لأنها كانت أكثرهن صدقة قوله
تعالى ولا تبسطها كل البسط أي لا تخرج جميع ما في يدك مع حاجتك وحاجة عيالك إليه فتقعد ملوما
ذا حسرة تلوم نفسك وتلام وتبقى ذا حسرة على ما تخرجه من يدك والحسرة الغم لانحسار ما فات وحسر عن
ذراعيه يحسر حسرا إذا كشف عنه وقد قيل إن المراد بالخطاب في هذه الآية غير النبي صلى الله عليه وسلم لأنه
صلى الله عليه وسلم لم يكن يدخر شيئا لغد وكان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه وقد كان كثير من فضلاء
الصحابة رضي الله عنهم ينفقون جميع أموالهم في سبيل الله تعالى على مثل ما فعله أبو بكر رضي الله عنه
حتى بقي في عباءة فلم يعنفهم النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليهم لصحة يقينهم وشدة بصائرهم وإنما نهى
الله تعالى عن الإفراط في الإنفاق لمن يخف عليه الحسرة على ما خرج من يده كما روي أن رجلا أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة من ذهب فقال وجدتها في معدن كذا وكذا لا أملك غيرها فتصدق

بها فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورماه بها حتى لو أصابه بها لشجه ثم قال يأتي أحدكم فيتصدق
بجميع ماله ثم يقعد يتكفف الناس ومن الدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن داخلا في هذا الخطاب
أنه تعالى قال فتقعد ملوما محسورا ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يتحسر على إنفاق ما كان
يملكه وذهب بعض المفسرين إلى أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فإن سبب نزول هذه الآية ما
روي أن امرأة بعثت ابنها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له قل له إن أمي تستكسيك درعا فإن
قال حتى يأتينا شيء فقل له إنها تستكسيك قميصك فأتاه فقال له كما قالت أمه فنزع النبي صلى الله عليه
وسلم قميصه ودفعه إليه [illegible] قميص يخرج فيه إلى الصلاة فنزلت هذه الآية بما فيها من الدلالة
بالنهي عن الإسراف فيكون النهي على هذا القول لتأخر خروجه إلى الصلاة بسبب القميص قوله تعالى إن
ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يوسع الرزق لمن يشاء ويضيق على من يشاء على ما يراه من الحكمة والصلاح
إنه كان بعباده خبيرا بصيرا وهذا كما قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض
الآية قوله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق أي خشية الفقر والإقتار نحن نرزقهم
وإياكم نزلت في جماعة كانوا يدفنون بناتهم خشية الفاقة ولئلا يحتاجوا إلى النفقة عليهم وكان ذلك
[illegible] بناتهم وهي الموؤدة التي ذكرها الله تعالى في قوله تعالى وإذا الموؤدة سئلت قوله تعالى
نحن نرزقهم وإياكم أي أن رزقكم ورزقهم جميعا على الله وإن كان السبب يجري على أيديكم فإن الله
تعالى لو لم يقدركم على الاكتساب ولم يمكنكم من تحصيل النفقة لم تتمكنوا من تحصيله قوله تعالى إن قتلهم
كان خطئا كبيرا أي إن ذنبهم كان ذنبا عظيما في العقوبة يقال خطئ الرجل يخطأ خطئا مثل أثم يأثم
إثما وقرأ ابن عامر خطأ بفتح الخاء على أنه مصدر أخطأ فيكون المعنى على هذا أن قتلهم كان غير صواب
قوله تعالى ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا الفاحشة ما يتفاحش قبحه ويعظم فكان
الزنا قبيحا في العقل قبل ورود السمع لأن فيه قطع الأنساب وما يتعلق به من المحرمات وإبطال حق الولد
على الوالد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزنا ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة
وأما اللواتي في الدنيا فتذهب نور الوجه وتقطع الرزق وتسرع الفناء وأما اللواتي في الآخرة فغضب
الرب وسوء الحساب والخلود في النار قوله تعالى وساء سبيلا أي بئس الطريق لمن سلكه قوله تعالى
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق أي لا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق الذي
يستحق قتلها به وهو أن تقتل نفسا بغير حق أو تزني وهو محصن أو ترتد عن الإسلام قوله تعالى ومن قتل
مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا أي من قتل بغير حق فقد جعلنا لوارثه حجة في كتاب الله تعالى في
إيجاب القود على القاتل وعن ابن عباس أنه قال أراد بهذا السلطان أن للولي أن يقتل إن شاء وإن شاء
أخذ الدية وإن شاء عفى ويجوز أن يكون المراد بالسلطان السلطان الذي يلي الأمر والنهي يجب عليه أن
يعين ولي المقتول حتى يطلب قاتله قوله تعالى فلا يسرف في القتل السرف أن يقتل غير القاتل كما
تفعله العرب وقيل معناه لا تمثلوا بالقاتل في القتل قوله تعالى إنه كان منصورا يعني ولي المقتول
حكم الله له بذلك وأمر المؤمنين أن يعينوه ويجب أيضا على الإمام أن يدفع إليه القاتل وقيل معناه أن
المقتول كان منصورا بالثواب وبإيجاب القصاص لوليه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أعتى
الناس على الله ثلاثة رجل قتل غير قاتله أو قتل بذحل الجاهلية أو قتل في حرم الله قوله تعالى ولا
تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن أي إلا بما يؤدي إلى حفظه وصيانته وتثميره وإنما خص
اليتيم بذلك لأن الطمع في ماله أكثر وهو إلى الحفظ أحوج لعجزه عن حفظ نفسه قوله تعالى حتى يبلغ
أشده أي حتى يكمل له ثماني عشرة سنة وقيل حتى يبلغ وقت الحلم ويكمل عقله قوله تعالى وأوفوا

بالعهد إن العهد كان مسؤولا أي وفوا بعهد الله إليكم في أمر اليتامى وكل ما أمر الله به ونهى عنه
يسأل عن العهد إن العهد كان مسؤولا عنه للجزاء فحذف الصلة استكفاء بدلالة الحال قوله تعالى وأوفوا الكيل
إذا كلتم أي أتموه ولا تبخسوه وزنوا بالقسطاس المستقيم أي بميزان العدل قرأ أهل الكوفة
بالقسطاس بكسر القاف وفيهما لغتان قوله تعالى ذلك خير وأحسن تأويلا أي ذلك الذي أمركم به خير لكم وأحسن
عاقبة ومآلا وقيل هو الذي يرجع الشيء من قولهم آل يؤول قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم
أي لا تقل ما ليس لك به علم وقال قتادة لا تقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم والقفو
في اللغة اتباع الأثر كأنه يتبع الأثر والمعنى على هذا لا تتبع لسانك من القول ما ليس لك به علم
قوله تعالى إن السمع والبصر والفؤاد يعني أن المرء مسؤول يوم القيامة عما تفعله هذه الجوارح من
الاستماع لما لا يحل والنظر إلى ما لا يجوز والإرادة لما يقبح قوله تعالى كل أولئك كان عنه مسؤولا أي
كل هذه الجوارح والأعضاء ولم تقل تلك قال الشاعر ذم المنازل بعد منزلة اللوى
والعيش بعد أولئك الأقوام • ويجوز أن يكون راجعا إلى أصحابها وأربابها قوله تعالى ولا تمش
في الأرض مرحا أي بطرا وكبرا وخيلاء والمرح شدة الفرح إنك لن تخرق الأرض بقدمك وكبرك
ولن تبلغ الجبال طولا بعظمتك أي لا تطاول الجبال فاستصغر نفسك عندما ترى من سعة الأرض وبسطها وعظم
الجبال وطولها من قرأ مرحا بنصب الراء فهو المصدر ومن قرأ بكسر الراء فهو اسم الفاعل قوله تعالى كل ذلك
كان سيئه عند ربك مكروها أي كل ما تقدم ذكره من قوله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق إلى
هذا الموضع كان سيئة لا حسنة فيه وهذا على قراءة من قرأ سيئة بالنصب ... قوله تعالى ذلك
مما أوحى إليك ربك من الحكمة أي ذلك الذي سبق ذكره من هذه الأشياء مما أوحى إليك ربك من صواب
التوحيد والعمل ولا تجعل مع الله إلها آخر هذا خطاب لكل من كان فقال ولا تجعل أيها الإنسان فتلقى
في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا أي مطرودا من رحمة الله تعالى قال ابن عباس هذه الثماني
عشرة آية يعني من قوله تعالى ولا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا إلى قوله تعالى كل ذلك كان
سيئه عند ربك مكروها كانت في ألواح موسى عليه السلام حين كتبها الله له وقد أنزلها الله على محمد صلى الله
عليه وسلم وهي في الكتب كلها موجودة لم تنسخ قط قوله تعالى أفأصفاكم ربكم بالبنين خطاب للذين
زعموا أن الملائكة بنات الله أنكر عليهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والمعنى أفخصكم ربكم بالبنين
أخالص لكم البنين دونه وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه فاختصكم بالأجل وجعل لنفسه الأدون ولا يكون
هذا من الحكمة أن يخص الحكيم عدوه بالأشرف ويختار لنفسه الأدون قوله تعالى إنكم لتقولون قولا عظيما
في الكفر والفرية على الله تعالى قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا أي بينا في هذا القرآن من
الأمثال والعبر ليتعظوا بها وما يزيدهم تصريفنا الأمثال إلا نفورا أي تباعدا عن الإيمان قرأ الأعمش وحمزة
ليذكروا مخففا قوله تعالى قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا أي قل لهم
يا محمد لو كان مع الله آلهة كما يقولون إذا لطلبوا ما يقربهم إلى مالك الملك لعلوه عليهم ولكونه يفضل عليهم •
وهذا قول مجاهد وذهب أكثر المفسرين إلى أن المعنى لطلبوا مغالبته واتبعوا طريقا إليه ليفعل كفعل الملوك
بطلب كل واحد مغالبة صاحبه ليصفو له الملك وقرأ ابن كثير كما يقولون بالياء على معنى كما يقول المشركون
قوله تعالى سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا قرأ الأعمش وحمزة والكسائي عما تقولون بالتاء
وقرأ الباقون بالياء ومعنى الآية تنزيها لله تعالى عن كل ما لا يليق به من الولد والشريك وتعالى عما يقولون
أي ترفع عما يقولون من إضافة البنات إليه تعالى وقوله تعالى علوا كبيرا أي تعظما كبيرا قوله
تعالى يسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بالتاء وقرأ غيرهم

بالياء وقال إبراهيم النخعي وجماعة من المفسرين كل شيء يسبح الله حتى صرير الباب وقال الله تعالى ولكن
لا تفقهون تسبيحهم أي لا تعلمونه وقال الحسن والضحاك يعني كل شيء فيه الروح • وقال قتادة يعني
الحيوانات • وقال عكرمة الشجر يسبح والأسطوانة تسبح • وقيل إن التراب يسبح ما دام يابسا فإذا ابتل
ترك التسبيح وإن الورق يسبح ما دام على الشجر فإذا سقط ترك التسبيح وإن الماء يسبح ما دام جاريا فإذا ركد
ترك التسبيح وإن الثوب يسبح ما دام جديدا فإذا توسخ ترك التسبيح وإن الوحش إذا صاحت سبحت وإذا سكتت
تركت التسبيح وعن أنس رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ كفا من حصا فسبح
في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في أيدينا فما سبحت في أيدينا قوله تعالى
إنه كان حليما غفورا أي حليما لا يعجل بعقاب الكفار غفورا يستر الذنوب على عباده • قوله تعالى وإذا
قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا نزلت في قوم من المشركين كانوا
يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ القرآن • قال الكلبي هم أبو سفيان والنضر بن الحرث وأبو جهل
وأم جميل امرأة أبي لهب فحجب الله رسوله عن أبصارهم عند قراءة القرآن وكانوا يأتونه ويمرون به ولا يرونه
وعن سعيد بن جبير قال لما نزلت تبت يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومعه أبو بكر فقال يا رسول الله لو تنحيت عنها فإنها امرأة بذية فقال صلى الله
عليه وسلم إنه سيحال بيني وبينها فجاءت أم جميل لها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول • مذمما أبينا
ودينه قلينا • وأمره عصينا • ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وأبو بكر إلى جنبه فقال أبو بكر رضي الله
عنه لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك يا رسول الله قال إنها لن تراني وقرأ وإذا قرأت القرآن جعلنا
بينك وبين الذين لا يؤمنون حجابا مستورا • قال فجاءت حتى قامت عند أبي بكر فلم تر النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت يا أبا بكر بلغني أن صاحبك هجاني فقال لا ورب البيت ما هجاك فانصرفت راجعة فقال أبو بكر يا رسول
الله أما رأتك قال لا لم يزل ملك بيني وبينها يسترني حتى ذهبت قوله تعالى حجابا مستورا أي ساترا لهم
عن إدراكه قوله تعالى وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه أي منعناهم عن تدبر كلام النبي صلى
الله عليه وسلم في وقت مخصوص وهو الوقت الذي أرادوا إيذاءه فيه وفي ذلك الوقت صرفناهم
عن الاستماع إليه والمعنى طبعنا على قلوبهم وقوله تعالى وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا
على أدبارهم نفورا يعني إذا قلت لا إله إلا الله أنكر ذلك المشركون وكبر عليهم • والمعنى أدبروا على أعقابهم
هاربين كراهية لما يسمعونه من توحيد الله تعالى قوله تعالى نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون
إليك وإذ هم نجوى أي نحن أعلم بما يستمعون إليه من قراءة القرآن إنهم لماذا يستمعون وأن قصدهم به
الأذى دون طلب الحق يستمعون الحق في أنك وأذاهم ونجوى في أمرك يتناجون فيقول بعضهم على هذا
كاهن ويقول بعضهم هذا ساحر ويقول بعضهم هذا مجنون ويقول بعضهم هذا شاعر • وقيل إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أمر عليا رضي الله عنه أن يتخذ طعاما فيدعو إليه أشراف قريش من المشركين ففعل ذلك
ودخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى التوحيد وكانوا يستمعون
ويقولون فيما بينهم متناجين هو ساحر وهو مسحور فأخبر الله تعالى نبيه بذلك وأنزل عليه نحن أعلم
بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى أي يتناجون بينهم بالتكذيب والاستهزاء إذ يقول
الظالمون أي أولئك المشركون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا أي مغلوبا على العقل مسحورا وأزيل
عن حد الاستواء قوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الأمثال أي كيف وصفوا لك الأشباه شبهوك
بالمجنون والكاهن والساحر فضلوا فلا يستطيعون مخرجا عن الضلال إلى الهدى قوله
تعالى وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أي إذا صرنا عظاما بالية وصرنا ترابا أإنا لمبعوثون بعد ذلك

أي أنبعث بعد ذلك وهذا استفهام إنكار وتعجب منهم والرفات في اللغة كل شيء حطم وكسر قال ابن عباس
يعني ترابا إذا ذهب اللحم والعروق وبقيت عظام قد بليت وإذا استنشقت بين يديك سحقوا أنبعث بعد ذلك
قوله تعالى قل كونوا حجارة أو حديدا أي قل لهم يا محمد كونوا الحجارة إن قدرتم عليها أو أشد منها بأن تكونوا
حديدا أو أقوى من الحديد أي شيء استعظمتم من الخلق نحو السموات والأرض والجبال فإني أعيدكم بعد ما
كنتم عليه من قبل قوله تعالى فسيقولون من يعيدنا أي إذا قلت لهم ذلك فسيقولون لك من يعيدنا قل لهم
يعيدكم الذي خلقكم أول مرة لأن من قدر على البناء كان على الهدم أقدر ومن قدر على ابتداء الشيء كان
على إعادته أقدر قوله تعالى فسينغضون إليك رؤوسهم أي يحركون إليك رؤوسهم تحريكا يقول لك
والإنغاض تحريك الرأس بالارتفاع والانخفاض على جهة الاستهزاء والاستبطاء ويقولون متى هو أي متى
يكون الإعادة قل عسى أن يكون الإعادة قريبة وعسى من الله واجبة يوم يدعوكم في النفخة الثانية
فتستجيبون داعي الله حامدين لله تعالى قال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم يقولون سبحانك وبحمدك ولا
ينفعهم في ذلك اليوم الحمد لأنهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد قوله تعالى وتظنون إن لبثتم إلا قليلا أي تظنون
أنكم لم تلبثوا في الدنيا إلا قليلا لسرعة انقلاب الدنيا إلى الآخرة كما قال الحسن كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل
وقال بعض المفسرين من قال هذه الآية خطاب للمؤمنين لأنهم يستجيبون لله بحمده على إحسانه إليهم وكما قال صلى الله
عليه وسلم ليس على أهل لا إله إلا الله وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا
الحزن قوله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن وذلك أن المشركين كانوا يؤذون الصحابة رضي
الله عنهم بالقول والفعل بمكة فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله ائذن لنا في
قتالهم فقال إني لم أؤمر فيهم بشيء وكان ذلك قبل أن نؤمر بالجهاد والمعنى قل للمؤمنين يقولون للكفار
الكلمة التي هي أحسن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجه الرفق ويقولون لهم يهديكم الله قوله
تعالى إن الشيطان ينزغ بينهم أي يغري المشركين على المسلمين فيوقع بينهم ويفسد بينهم إن الشيطان
كان للإنسان عدوا مبينا مظهر العداوة قوله تعالى ربكم أعلم بكم أي بأحوالكم إن يشأ يرحمكم
بأن يحكم من كفار مكة وينصركم عليهم أو إن يشأ يعذبكم أي يسلطهم عليكم وما أرسلناك عليهم وكيلا
أي حفيظا وكفيلا أي ما وكلناك بما بهم إن شاء الله تعالى هداهم وإن شاء خذلهم قوله تعالى وربك أعلم
بمن في السموات والأرض لأنه خلقهم فهدى بعضهم وأضل بعضهم على علم منه بهم لم يختر بعض الملائكة والأنبياء
لميله إليهم وإنما اختارهم لعلمه بباطنهم قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض قال قتادة
اتخذ الله إبراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وجعل عيسى كلمته وروحه وآتى سليمان ملكا لا ينبغي لأحد وغفر لمحمد
ما تقدم من ذنبه وما تأخر قوله تعالى وآتينا داود زبورا يعني كتابه الذي أعطاه إياه وهي مائة
وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا فريضة وإنما هو ثناء على الله تعالى قوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم
من دونه قال المفسرون ابتلى الله كفار مكة بالقحط سنين فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنزل الله هذه الآية أي قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة فلا يملكون كشف الضر
عنكم ولا تحويلا التحويل النقل من حال إلى حال قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون
إلى ربهم الوسيلة معناه أولئك الذين يدعون أنهم آلهة من المسيح وعزير والملائكة يتضرعون
إلى الله تعالى في طلب الجنة ويطلبون القربة إليه فكيف يعبدونهم آلهة والوسيلة القربة إلى الله تعالى
قوله تعالى أيهم أقرب إلى الله تعالى بالوسيلة يعني يتقربون إليه بالعمل الصالح وعن ابن مسعود في
تفسير هذه الآية أن قوما من الإنس كانوا يعبدون قوما من الجن فأسلم الجن وبقي الإنس على كفرهم
فأنزل الله هذه الآية قوله تعالى يبتغون إلى ربهم الوسيلة أي يطلبون أن يعلموا أيهم أقرب

إلى الله

إلى الله قوله تعالى ويرجون رحمته أي يريدون جنته قوله تعالى ويخافون عذابه إن عذاب ربك
كان محذورا أي مما يجب أن يحذر عنه قوله تعالى وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة
يعني بالموت أو معذبوها بعذاب الاستئصال ومعنى وإن من قرية وما من قرية قال ابن مسعود إذا ظهر
الزنا والربا في قرية أذن الله في هلاكها وقال غيره أما الصالحة فبالموت وأما الطالحة فبالعذاب
قوله تعالى كان ذلك في الكتاب مسطورا أي نقصان الله كما يصنعون ليس منه بد وقيل كان
ذلك في اللوح المحفوظ مكتوبا فإنه مكتوب فيه كيف يهلكهم الله ومتى يهلكهم وبأي عذاب يهلكهم قوله
تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وذلك أن قريشا قالت للنبي
صلى الله عليه وسلم حول لنا الصفا ذهبا وأزح الجبال عنا لنفسح فأنزل الله هذه الآية أي إن أجبتهم
ذهبا فلم يؤمنوا لم أمهلهم كسنتي فيمن قبلهم وموضع أن الأولى نصب يكون بتقدير ولكن هو مانع ومتناول اللفظ
عليه وموضع أن الثانية رفع تقديره وما منعنا الإرسال بالآيات إلا التكذيب الأولين بها وهذا
اللفظ أعني لفظ المنع على طريق المجاز لأن المنع لا يجوز على الله تعالى قوله تعالى وآتينا ثمود الناقة
مبصرة أي أخرجنا لثمود الناقة ليبصروا بها الهدى من الضلالة والسعادة من الشقاوة فظلموا
بها أي جحدوا بها وعقروها قوله تعالى وما نرسل بالآيات إلا تخويفا أي العبر والدلالات
إلا تخويفا للعباد ليؤمنوا فإذا لم يفعلوا عذبوا قال قتادة يخوف الله الخلق بما شاء من آياته لعلهم
يعتبرون أو يرجعون ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد عبد الله بن مسعود فقال يا أيها الناس
إن الله يستعتبكم فأعتبوه وعن الحسن في قوله وما نرسل بالآيات إلا تخويفا قال الموت الذريع
قوله تعالى وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس أي وقد قلنا لك إن ربك أحاط بالناس
علما وقدرة فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته وهو مانعك منهم وحافظك فلا
تهبهم ولا تخف منهم وامض لما أمرت به من تبليغ الرسالة وقال مقاتل معناه أحاط بالناس أي
أهل مكة أنها ستفتح قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس قال أكثر
المفسرين يعني ما ذكر في أول السورة من الإسراء في ليلة واحدة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى
على معنى أنها سبب من التكليف كما روي أن المشركين استعظموا ذلك فكذبوه وتكون بمعنى الرؤيا رؤية
العين قوله تعالى والشجرة الملعونة في القرآن أي وما جعلنا الشجرة الملعونة إلا فتنة للناس
والشجرة الملعونة شجرة الزقوم ومن عادة العرب كل طعام مضر ملعون وسموها فتنة لأنهم قالوا
إن النار تأكل الشجر فكيف تنبت الشجرة في النار وقال ابن الزبعرى ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد
فهذا الكلام منهم هو فتنتهم أي افتتنوا بذلك قوله تعالى ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا
كبيرا أي نخوفهم بما نرسل من الآيات فما يزدادون إلا تماديا في الجحد قوله تعالى وإذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم قد تقدم تفسير ذلك قوله تعالى أأسجد لمن خلقت طينا أي
قال إبليس أأسجد لآدم وهو مخلوق من طين وهذا استفهام بمعنى الإنكار ونصب طينا على الحال وقال
الله تعالى حاكيا عن إبليس قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي أي قال إبليس أخبرني
عن هذا الذي كرمته علي لم كرمته علي وقد خلقتني من نار وخلقته من طين اعتقد إبليس أن النار
أكرم أصلا من الطين قوله تعالى لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا أي
لأستأصلن ذريته بإغوائهم إلا قليلا منهم وهم الذين عصمتهم مني تقول العرب قد احتنكت السنة
أموالنا أي استأصلتها وقال الشاعر أشكو إليك سنة قد أجحفت أموالنا واحتنكت وحلقت
واحتنك الجراد ما على الأرض وقيل معنى لأحتنكن أي لأقطعن ذريته إلى المعاصي يقال حنك

ولان ما عند فلان من مال اذا اقتطعه. وقيل معناه لأقودن ذريته الى المعاصي او الى النار من
قولهم حنك دابته اذا شد في حنكها الاسفل حبلا تقوده به قوله تعالى قال اذهب فمن تبعك
منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا أي فمن تبعك من ذرية آدم فان جهنم جزاؤك وجزاؤهم جزاء وافرا
كاملا قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك أي استنزل واستخف واستجهل من استطعت
منهم بدعائك الى المعصية من قولهم صوت بفلان اذا دعاه. ويقال أراد بالصوت صوت الغناء
والمزامير وهذا على وجه التهديد وان كان في صورة الامر كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقولهم اجهد جهدك
قوله تعالى واجلب عليهم بخيلك ورجلك أي صح عليهم بخيلك ورجلك واحثثهم عليهم بالاغواء يقال
اجلب على العدو اذا جمع عليهم الخيول والمعنى على هذا اجمع عليهم كل ما تقدر من مكايدك. وقيل
معناه استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم والجلب والاجلاب هو قود الشيء وسوقه بالصوت يقال
للغنم جلب وجلوبة أي جلبت من موضع الى آخر. قال الحسن كل راكب في معصية الله فهو من خيل
ابليس وكل ماش في معصية الله فهو من رجل الشيطان وقرأ حفص ورجلك بكسر الجيم وهما
لغتان اتبع كسرة الجيم كسرة اللام وهذا على طريق الاهانة لابليس لان له خيلا ورجلا كما يقول الرجل
لغيره اجمع خيلك ورجلك وما امكنك قوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد شركته في الاموال
ان يجعلوا شيئا من اموالهم لغير الله كما جعلوا من الحرث والانعام وشركته في الاولاد ان يسموا اولادهم
عبد يغوث وعبد شمس وعبد الحرث. وقال بعضهم شركته في اولادهم اولاد الزنا كذا قال مجاهد والضحاك
ويقال شركته في الاموال كل ما اخذ من حرام وانفق في حرام وشركته في الاولاد الذي هوّده ابواه
ونصّرانه ومجّسانه قوله تعالى وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا أي منّهم بما يشتهون من الغرور
من طول الحيوة والتشكيك في البعث وما يكون من وعد الشيطان الا غرورا أي تزيينا باطلا قوله تعالى
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا في الوسوسة واما ان تمنعهم عن الطاعة او تحملهم على المعصية فلا
وقيل معناه ان اوليائي ليس لك عليهم حجة قوله تعالى وكفى بربك وكيلا أي حافظا لاوليائه يعصمهم
من غش ابليس لان الوكيل بالشيء يكون حافظا له ثم ذكر سبحانه نعمه على عباده قوله تعالى ربكم
الذي يزجي لكم الفلك في البحر أي ربكم الذي يسوق لكم ويجري لكم السفن في البحر لتطلبوا ما كان لكم من تجارة
لكم في دنياكم وتجرتكم من التجارة وغيرها انه كان بكم رحيما حين انعم عليكم بهذه النعم قوله تعالى واذا
مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه أي الشدة في البحر عند عصف الرياح وتزايد الامواج وخوف
الغرق ضل من تدعون من الاصنام عن تخليصكم أي بطل وزال ولا ترجون النجاة الا من الله قال ابن عباس
معناه اذا اصابكم الضر في البحر نسيتم الانداد والشركاء وتركتموهم واخلصتم لله فلما اجاب دعاءكم ونجاكم من البحر
واخرجكم الى البر اعرضتم عن الايمان والطاعة ورجعتم الى ما كنتم عليه وكان الانسان كفورا لنعم الله
تعالى واراد بالانسان الكافر قوله تعالى أفأمنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا معناه
أفأمنتم بعد ذلك ان نخسف بكم الارض كما فعل بقارون او نرسل عليكم حاصبا أي حجارة تمطر من السماء عليكم
كما امطرت على قوم لوط وقال القتيبي الحاصب الريح التي ترمي الحصباء وهي الحصا الصغار يقال حصبه بالحجارة
اذا رماه بها ثم لا تجدوا لكم وكيلا أي حافظا يحفظكم من عذاب الله قوله تعالى ام
امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى أي ام امنتم ان يعيدكم الله في البحر مرة اخرى. فيرسل عليكم
قاصفا من الريح أي ريحا شديدة تقصف الفلك. قال ابو عبيدة العاصف هي الريح التي تقصف كل شيء
أي تدقه وتحطمه وقال القتيبي هي التي تقصف الشجر قوله تعالى فيغرقكم بما كفرتم أي بكفركم ثم لا
تجدوا لكم علينا به تبيعا أي لا تجدون لكم من يتبعنا فيطالبنا بما فعلنا بكم والتبيع من يتبع غيره بأمر

قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم أي فضلناهم بالعقل والنطق والتمييز وعاملناهم معاملة الاكرام بالنعمة
وجعلناهم يهتدون الى معايشهم قوله تعالى وحملناهم في البر والبحر أي في البر على الدواب وفي البحر على السفن
قوله تعالى ورزقناهم من الطيبات أي لذيذ المطاعم والمشارب من قبل الثمر والزبد والتمر والحلوى
والعسل قوله تعالى وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا أي فضلناهم على كثير من حيوانات البر والبحر
ومن تفضيلهم انهم يأكلون بالايدي وغيرهم من الحيوانات يأكلون بالافواه. ويقال ان ابن آدم يمشي منتصبا وسائر
الحيوانات تمشي منكبة ولم يقل في الآية على كل من خلقنا لان الله فضل الملائكة كما قال تعالى في الملائكة
ولكن ابن آدم مفضل على سائر الحيوانات. وقال عطاء في هذه الآية ولقد كرمنا بني آدم بتعديل القامة
وامتدادها وقال محمد بن كعب بان جعل محمدا صلى الله عليه وسلم منهم وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحى
والنساء بالذوائب وقيل بتسليطهم على غيرهم من الخلائق وتسخير الخلائق لهم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير
هذه الآية قال الكرامة الأكل بالاصابع قوله تعالى ورزقناهم من الطيبات يعني الجماد والحبوب وكل الطعام
لين ورزق الدواب التبن والحشيش والشوك قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم يعني يوم القيمة وهو
منصوب على معنى واذكر يوم ندعوا كل اناس بامامهم أي بنبيهم فيقال هاتوا متبعي ابراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا
متبعي عيسى هاتوا متبعي محمد صلى الله عليه وسلم فيقومون ويأخذون كتبهم بايمانهم ثم يقال هاتوا متبعي الشيطان
هاتوا متبعي رؤساء الضلالة هاتوا متبعي الطاغوت فيقومون ويعطون كتبهم بشمائلهم. ويقال يدعى كل انسان
بعمله فيقال اين صاحب هذا الكتاب من فلان بن فلان المصلي وفلان بن فلان الصوام الى ان ينادي العازف
والدفاف والرقاص فيدعى كل انسان بعمله قوله تعالى فمن اوتي كتابه بيمينه أي من اعطي كتابه
الذي فيه ثواب عمله بيمينه فاولئك يفرحون ويسرون بما يقرؤن وقوله تعالى ولا يظلمون فتيلا ولا ينقص
من ثواب اعمالهم مقدار الفتيل وهو القشر الذي في شق النواة. ويقال هو الوسخ الذي يفتله من اصبعك
قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى أي من كان في هذه الدنيا التي هو شاهدها اعمى عن
الحجة لا يتفكر بقلبه في ملكوت السموات والارض فهو في الآخرة التي هي غائبة عن عينيه اشد عمى واخطأ طريقا
ويقال معناه من كان في الدنيا اعمى عن الحق فهو في الآخرة اشد تحيرا وذهابا عن طريق الجنة قوله تعالى
وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره وذلك ان ثقيفا ارسلوا وفدهم
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة فقالوا يا محمد نحن اخوالك واصهارك وجيرانك ونحن خير اهل
نجد لك سلما واضرهم عليك حربا ان سالمتنا سالمك من بعدنا وان حاربتنا حاربك من بعدنا فقال صلى الله عليه وسلم
وماذا تريدون قالوا نبايعك على ان تعطينا ثلاث خصال ان لا ننحني في الصلوة وان لا نكسر الاصنام
بايدينا وان تمتعنا بالاصنام سنة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا صلوة فيه ولا ركوع ولا سجود
واما قولكم ان لا نكسر الاصنام بايديكم فذلك لكم ونحن نبعث لها من يكسرها واما الاصنام فانا غير ممتعكم
بها فقالوا يا رسول الله فانا نحب ان تسمع العرب انك اعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان خفت ان تقول العرب
اعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله امرني بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقل لهم رجاء ان يسلموا فانزل
الله هذه الآية ومعناها قد كادوا يفتنونك أي يصرفونك عن الذي امرناك من كسر آلهتهم وعيب دينهم لتقول
علينا غير الذي امرناك به فلو فعلت ما ارادوه لاتخذوك خليلا أي صفيا لمتابعتك اياهم قوله تعالى ولولا
ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا أي لقد كدت تميل اليهم قال ابن عباس يعني حين سكت عن
جوابهم قوله تعالى اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات أي انك لو ملت اليهم لاذقناك ضعف عذاب
الدنيا وضعف عذاب الآخرة يريد عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به غيره ثم لا تجد لك علينا
نصيرا أي مانعا يمنعنا من تعذيبك قال ابن عباس رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم ولكن هذا

بأشياء فاسألوه عن الثالثة فهو نبي فسألوه عن فتية مضوا في الزمان وعن رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها
وسألوه عن الروح فسألوه عن ذلك فأنزل الله تعالى في الفتية أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم
إلى آخر القصة وأنزل الله تعالى ويسألونك عن ذي القرنين الآية وأنزل الله في الروح ويسألونك
عن الروح الآية وإنما سألته اليهود عن الروح لأنه ليس في التوراة قصته ولا تفسيره وليس فيها إلا ذكر
اسمه الروح وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يبلع السموات
السبع والأرضين السبع بلقمة لفعل صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على وجه الآدميين
ولولا أن بينه وبين الملائكة سترا من نوره لاحترقت السموات من نوره ويقال المراد بالروح روح الحيوان
وهو ظاهر الكلام وفي روح الحيوان خلاف بين العلماء ما هو وكل حيوان فهو روح وبدن وروح الحيوان
جسم رقيق على بنية حيوانية في كل جزء منها حيوة قوله تعالى قل الروح من أمر ربي أي من الأمر الذي
يعلمه الله ربي وإنما لم يجبهم عن ذلك لأن اليهود هم الذين سألوه عن الروح وكان في كتابهم أنه إن أجاب
عن الروح فليس بنبي فلم يجبهم تصديقا لما في كتابهم وكانت المصلحة في هذا أن لا يعرفهم الروح من جهة النص
بل يكلهم في تعريفه إلى ما في عقولهم لما في ذلك من الرياضة باستخراج الفائدة وقال بعضهم الروح هو الدم
ألا ترى أن من نزف دمه مات والميت لا يفقد من جسمه إلا الدم وزعم قوم أن الروح هو استنشاق الهواء
ألا ترى أن المخنوق ومن منع استنشاق نسيم الهواء يموت وقال بعض الحكماء إن الله خلق الروح من ستة
أشياء من جوهر النور والطيب والبقاء والحيوة والعلم والعلو ألا ترى أنه ما دام في الجسد كان الجسد نورانيا
يبصر بالعينين ويسمع بالأذنين ويكون طيبا فإذا خرج أنتن الجسد ويكون باقيا فإذا زايله الروح
صار فانيا ويكون حيا وبخروجه يكون ميتا ويكون عالما فإذا خرج منه الروح صار لا يعلم شيئا ويكون
الجسد علويا لطيفا ما دام فيه الروح فإذا خرج منه صار سفليا كثيفا والاختيار من هذه الأقوال
أنه جسم لطيف توجد فيه الحيوة بدليل قوله تعالى في صفة الشهداء بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين
والأرزاق والفرح من صفات الأجسام والمراد بهذا أرواحهم لأن أجسادهم قد بليت في التراب
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم إن أرواح الشهداء تعلق في شجر من الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة
تحت العرش وهذا لا يكون إلا في جسم ولا يتأتى ذلك في الأعراض كما زعمت المعتزلة والنجارية أن الروح
عرض وهو مردود بما ذكرناه وعن ابن عباس أن الروح إذا خرج مات الجسد وصار الروح صورة
أخرى لا تطيق الكلام لأن الجسد جرم والروح يصوت من جوفه ويتكلم فإذا فارق الجسد صار الجسد
مغمى وصار الروح صورة أخرى ينظر إلى الناس يبكونه ويغسلونه ويدفنونه ولا يستطيع أن يتكلم كما أن
الريح إذا دخل في مزمار ضيق سمعت له دويا فإذا خرج منه لا يسمع له صوت وكذلك المزامير فأرواح
المؤمنين ينظرون إلى الجنة ويجدون ريحها وأرواح الكفار يعذبون في قبورهم وهذا الذي ذكرناه
كله في تفسير الروح عند الخصوص ضرب من التكلف لأن الله سبحانه أبهم علم ذلك قال عبد الله بن بريدة
ما بلغ الإنس والجن والملائكة والشياطين علم الروح ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
يدري ما الروح ولم يخبر الله أحدا من خلقه به ولم يطلع عليه أحدا من عباده فقال قل الروح من أمر
ربي أي من علم ربي فإنكم لا تعلمونه قوله تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا أي وما أعطيتم من العلم
المنصوص عليه إلا قليلا لأن كثيرا من أحكام الله تعالى أن الروح من أمره وكذا الذي لا يصلح النص عليه لما
من الحكمة تقتضي تركه والخطاب لليهود وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم هذه الآية
قالوا أوتينا التوراة وفيها الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فأعلمهم الله أن علم التوراة

قليل

قليل في علم الله تعالى فقال تعالى ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما
نفدت كلمات الله قوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا
تتوكل عليه في رد شيء قوله تعالى إلا رحمة من ربك أي لكن لا نشاء رحمة من ربك فأثبتناه لك في قلبك
وقلوب المؤمنين قوله تعالى إن فضله كان عليك كبيرا حيث اختارك للنبوة واصطفاك للرسالة وخصك
بالوحي والقرآن وجعلك سيد ولد آدم وختم بك النبيين وأعطاك المقام المحمود وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه خرج وهو معصوب الرأس من وجع فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس ما
هذه الكتب التي تكتبون أكتاب غير كتاب الله كل من كتب كتابا غير كتاب الله يوشك أن يغضب الله لكتابه
ولا يدع ورقا ولا قلبا إلا أخذ منه قالوا يا رسول الله فكيف بالمؤمنين والمؤمنات يومئذ قال من أراد
الله به خيرا أبقى في قلبه لا إله إلا الله وعن عبد الله بن مسعود أن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر
ما تفقدون من دينكم الصلوة وليصلين أقوام ولا دين لهم وإن هذا القرآن ليصبح يوما وما فيكم منه شيء
فقال رجل كيف يكون ذلك يا أبا عبد الرحمن وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه
أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيمة قال يسرى به في ليلة فيذهب ما في المصاحف وما في القلوب ثم قرأ عبد الله ولئن
شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك وعن عبد الله قال أكثروا من الطواف بالبيت قبل أن يرفع وينسى الناس
مكانه وأكثروا من تلاوة القرآن قبل أن يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال قال
يسرى عليه ليلا فيصبحوا منه فقراء وينسون قول لا إله إلا الله ويقعون في قول أهل الجاهلية وأشعارهم
وعن عبد الله بن عمر قال لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوي كدوي النحل فيقول
الرب عز وجل ما بالك فيقول يا رب منك خرجت وإليك أعود أتلى ولا يعمل بي قوله تعالى قل لئن اجتمعت
الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله هذا تكذيب للنضر بن الحارث حين قال لو نشاء لقلنا
مثل هذا والمعنى بل لئن اجتمعوا على أن يأتوا بمثله في حسن النظم وجودة اللفظ وجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ
اليسيرة لا يأتون بمثله قوله تعالى ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أي عونا وإنما رفع لا يأتون ولا
جواب القسم غالب على جواب إن لوقوعه في صدر الكلام قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مثل
أي من التخويف والترغيب فأبى أكثر الناس أي أكثر أهل مكة إلا جحودا وإنكارا للحق قوله تعالى وقالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا روى عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان والنضر
بن الحارث وأبا البختري بن هشام والأسود بن المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل وأبي بن خلف
والعاص بن وائل وغيرهم اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد
وكلموه وخاصموه فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم النبي صلى الله عليه وسلم سريعا
يظن أنه بدا لهم في أمره شيء فجلس إليهم فقالوا يا محمد والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت
على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح
إلا جئت به فيما بيننا وبينك فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا
مالا وإن كنت إنما تطلب به الشرف فنحن نسودك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا من الجن بذلنا أموالنا
في طلب الطب لك حتى نبرئك منه فقال صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئتكم به لطلب أموالكم ولا للشرف
عليكم ولكن الله تعالى بعثني رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي
ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله
بيني وبينكم فقالوا يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلادا
ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا فاسأل لنا ربك الذي بعثك أن يسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا

تخوف بأمته لئلا تركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين في شيء من أحكام الله تعالى وشرائعه فلما نزلت
هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أدنى من ذلك وذهب
السدي في هذه الآيات إلى أن قريشا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إنك ترفض آلهتنا كل الرفض ولو أنك
تأتيها وتلمسها وتبعث بعض ولدك فيمسحها كان أرق لقلوبنا وأحرى أن نتبعك فهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يبعث بعض ولده فيمسحها فنهاه الله عن ذلك وقيل قالوا له اطرد عنك سقاط الناس ومواليهم
وهؤلاء الذين رائحتهم كرائحة الضأن حتى نتبعك فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل رجاء أن يسلموا
فأنزل الله هذه الآيات قوله تعالى وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم
لما قدم المدينة حسدته اليهود وقالوا له يا محمد أنبي أنت فقال نعم فقالوا والله لقد علمنا ما هذه بأرض الأنبياء
وإن أرض الأنبياء الشام كان بها إبراهيم وعيسى فإن كنت نبيا فائت الشام فإن الله سيمنعك بها من الروم إن كنت
رسوله وهي الأرض المقدسة وأرض المحشر فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرج إلى الشام فنزلت
هذه الآية ومعناها وقد كادوا ليستفزونك من أرض المدينة ليخرجوك منها إلى الشام وإذا لا يخرجوك
لا يلبثون خلفك إلا قليلا الأمد يسيرا حتى يهلكهم الله ومن قرأ خلافك فمعناه في مخالفتك قوله
تعالى سنة من قد أرسلنا نصب على المصدر أي سنهم سنة من قد أرسلنا فإن سنة الله قد جرت في
تلك من الرسل بأن أممهم إذا أخرجوهم من مواضعهم لم يلبثوا إلا قليلا والسنة هي العادة الجارية قوله تعالى
ولا تجد لسنتنا تحويلا أي لا يقدر أحد على تحويل السنة التي أجراها الله. وقال مجاهد وقتادة هم أهل
مكة بإخراج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة حين تشاوروا فيما بينهم ولو فعلوا لما أمهلوا ولكن الله كفهم
عن إخراجه حتى أمره بالخروج وقليلا ما لبثوا بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة حتى أهلكهم
الله يوم بدر [illegible] والأول أصح قوله تعالى أقم الصلوة لدلوك الشمس إلى غسق الليل قال
ابن مسعود رضي الله عنه أقم الصلوة لغروب الشمس فالصلوة المأمور بها على هذا هي المغرب والغسق بدو الليل
وعن ابن عباس رضي الله عنهما في إحدى الروايتين عنه مثل قول ابن مسعود وفي الرواية الثانية وهو
قول الحسن ومجاهد وقتادة أن دلوكها زوالها والصلوة المأمور بها هي الظهر والعصر والمغرب والعشاء
والغسق على هذا القول هو اجتماع ظلمة الليل قوله تعالى وقرآن الفجر أي وأقم قرآن الفجر في صلوة الفجر
إن قرآن الفجر أي وأقم قرآن الفجر في صلوة الفجر إن قرآن الفجر صلوة الفجر تشهدها ملائكة الليل وملائكة
النهار يصلون مع المسلمين وإنما سميت صلوة الفجر قرآنا لأن القراءة فيها أطول ولأن القراءة فرضية في الركعتين
جميعا وفي هذا بيان أن الصلوة لا تكون إلا بقراءة قوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك قال ابن
عباس فصل بالقرآن والتهجد هو التيقظ بعد النوم ويقال هجد إذا نام وتهجد إذا استيقظ والمعنى أقم
الصلوة بالليل بعد التيقظ من النوم ويقال المتهجد القائم إلى الصلوة من النوم وقيل له متهجد لإلقائه
الهجود عن نفسه قوله تعالى نافلة لك أي تطوعا وقيل فضيلة لك والنافلة في اللغة ما كان زيادة على
الأصل وصلوة الليل كانت زيادة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لرفع الدرجات لا للكفارات فإنه عليه
السلام قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وليست لنا بنافلة لكثرة ذنوبنا وإنما هي كفارة لغير النبي
صلى الله عليه وسلم هكذا قال مجاهد وقد روي ما يدل على أنها نافلة لغير النبي صلى الله عليه وسلم وكفارة
وهو ما روى أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الوضوء يكفر ما قبله وتصير الصلوة نافلة
قيل له أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ولا أربع ولا خمس
قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا أي المقام الذي تحمد عاقبته وهو المقام الذي يعطيه الله
النبي صلى الله عليه وسلم فيه لواء الحمد يجتمع تحته الملائكة والأنبياء فيكون النبي صلى الله عليه وسلم أول

شافع وأول مشفع قال ابن عباس وعسى من الله واجبة ويعني بقوله مقاما محمودا أي يعطيك الله يوم القيمة
مقاما تحمد فيه الأولون والآخرون تشرف به على جميع الخلائق والمقام المحمود مقام الشفاعة ومعنى يبعثك
يقيمك قوله تعالى وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق أي أدخلني المدينة وأخرجني
من مكة وقيل أدخلني فيما أمرتني به وأخرجني مما نهيتني عنه وقيل أدخلني مدخل صدق في جميع الأمور وأخرجني مخرج
صدق من جميع الأمور قوله تعالى واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا أي واجعل لي من عندك قوة أمنع بها
عن من عاداني وقيل حجة أتقوى بها على إبطال الأديان الباطلة وعن محمد بن المنكدر قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين دخل الغار رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق. وقال الضحاك معناه وأخرجني
مخرج صدق من مكة آمنا من المشركين وأدخلني مكة مدخل صدق ظاهرا عليها بالفتح وقال عطية عن ابن
عباس أدخلني القبر مدخل صدق عند الموت وأخرجني منه مخرج صدق عند البعث وقيل المعنى أدخلني حيث ما
أدخلتني بالصدق وأخرجني منه بالصدق أي لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه آخر فإن ذا الوجهين لا يكون
أمينا عند الله قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل يعني الحق هو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الشرائع
والإسلام وما جاء به من القرآن وقال السدي الحق الإسلام والباطل الشرك ومعنى زهق بطل واضمحل قال
ابن مسعود وابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وجد حول الكعبة ثلثمائة وستين صنما فجعل
يطعنها بمخصرة في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وكان الصنم ينكب لوجهه وكان
أهل مكة يتعجبون فيما بينهم ويقولون فيما بينهم ما رأينا رجلا أسحر من محمد قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين أي شفاء للمسلمين في الدنيا والآخرة يتبركون بقراءته على أنفسهم ويستشفون به على دفع
الأسقام والبلايا وقيل هو شفاء للقلوب بزوال الجهل منها كما يشفي المريض قوله تعالى ورحمة للمؤمنين أي نعمة
من الله تعالى عليهم وكون القرآن شفاء أي يزيل عمى الجهل وحيرة الشك فهو شفاء من داء الجهل. وقال ابن عباس
يريد شفاء من كل داء ويؤيد هذا ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله
قوله تعالى ولا يزيد الظالمين إلا خسارا أي لا يزداد الكفار عند نزول القرآن إلا خسارا لأنه لا ينتفع به
قوله تعالى وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه أي إذا أنعمنا عليه بكشف الضر وتبديل البؤس بالنعم
أعرض عن شكره وتباعد عن ذلك بنفسه وقوله تعالى ونأى بجانبه أي تعظم وتكبر وبعد بنفسه عن القيام بحقوق
النعم قال ابن عباس يريد بالإنسان الوليد بن المغيرة قوله تعالى وإذا مسه الشر كان يؤسا أي إذا أصابه
شدة كان قنوطا من رجاء الفرج من الله لا يثق بفضل الله تعالى على عباده فيطمع في كشف تلك البلية من جهته وهذه
صفة الكافر قوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته أي يعمل على طبيعته الذي جبل عليه وقيل على عادته
التي ألفها وفي هذا تحذير على الفساد والسكون إليه وقيل على نيته وقيل على طريقته التي تشاكل أخلاقه
قوله تعالى فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا أي إن الله تعالى أعلم أي الفريقين على الهدى وأيهما على الضلالة
من المؤمنين والكفار قوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي اختلفوا في الذي سألوا
عنه النبي صلى الله عليه وسلم. قال بعضهم سألوه عن جبريل وقد سماه الله روحا وقال بعضهم سألوه عن القرآن
وقد سماه الله روحا في قوله وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا وعن علي رضي الله عنه قال الروح ملك
من الملائكة له سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان من هذه الألسنة
فسألوه عن ذلك الملك. وعن عبد الله بن مسعود قال كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من اليهود
فقال بعضهم سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه ثم أتاه نفر منهم فقالوا له يا أبا القاسم ما تقول في الروح
فسكت ثم قام وأسند يده على جبهته فعرفت أنه ينزل عليه وحي فنزل قوله تعالى ويسألونك عن الروح
قل الروح من أمر ربي. وعن ابن عباس أن اليهود اجتمعوا فقالوا لقريش سلوا محمدا عن ثلث فإن أخبركم

ويجري لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن ممن يبعث لنا قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فإن صنعت لنا ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولا كما تقول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت إنما جئتكم من عند الله بما بعثني به قالوا فإن لم تفعل هذا فاسأل ربك أن يبعث ملكا يصدقك ويغنيك عما نراك فإنك تقوم في الأسواق وتلتمس المعاش فقال صلى الله عليه وسلم ما أنا بالذي يسأل الله هذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فأسقط علينا السماء كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل فقال صلى الله عليه وسلم ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم فقالوا قد أعذرنا إليك يا محمد أما والله ما نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا. وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام النبي صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أبي أمية المخزومي وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل لهم ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ سلما إلى السماء ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي بنسخة منشورة ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدقك. ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله حزينا لما ناله من سفاهة قومه وتباعدهم من الله فقال أبو جهل حين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وسب آلهتنا وإني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر قدر ما أطيق حمله فإذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فأنزل الله هذه الآية وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا. قرأ أهل الكوفة تفجر مخففة بفتح التاء وضم الجيم واختاره أبو حاتم لأن الينبوع واحد وقرأ الباقون بالتشديد ولم يختلفوا في الثاني أنه مشددة لأجل الأنهار لأنها جمع وذلك أنهم لما عجزوا وأعجزهم الإتيان بسورة مثل القرآن وانقطعت حجتهم جعلوا يقترحون من الآيات ما ليس لهم نحو أن الذي أتاهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وانشقاق القمر وغير ذلك من دلائل النبوة كان أبلغ في الدلالة مما اقترحوه من تفجير الينبوع وغيره ذكر الينبوع عين ينبع بالماء وأرادوا بقولهم من الأرض أرض مكة. قوله تعالى **أو تكون لك جنة** أي بستان **من نخيل وعنب** فتشقق الأنهار في وسط ذلك البستان تشقيقا. قوله تعالى **أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا** من قرأ بسكون السين أي قطعا جمع الكثير كسدرة وسدر وقيل أراد جانبا ومن قرأ كسفا بفتح السين فهو جمع القليل أي جمع كسفة نحو كسفة من هذا الثوب أي قطعة منه والكسف فهو انقطاع الثوب. قوله تعالى **أو تأتي بالله والملائكة قبيلا** قال قتادة والضحاك عيانا والمعنى تأتي بهم حتى نراهم مقابلة ونشاهدهم ويشهدون على صدق دعواك. قوله تعالى **أو يكون لك بيت من زخرف** أي من ذهب والزخرف في الأصل هو الزينة كما في قوله تعالى حتى إذا أخذت الأرض زخرفها أي زينتها. قوله تعالى **أو ترقى في السماء** معناه أو تصعد **ولن نؤمن لرقيك** أي لن نصدق قولك حتى تأتينا بكتاب من الله نقرؤه أنك رسول من الله إلينا. قوله تعالى **قل سبحان ربي** أي قل لهم يا محمد تنزيها لربي عن المقابلة التي وصفتم أنه يأتي العيان والله يعلم أنه لا يجوز المقابلة على الله. قوله تعالى **هل كنت إلا بشرا رسولا** أي ما كنت إلا بشرا رسولا كسائر الرسل فلا أقدر على الإتيان بالآيات المقترحة كما لم يقدر عليها من كان قبلي من الأنبياء. قال مجاهد كنت ما أدري ما الزخرف حتى رأيته في قراءة ابن مسعود أو يكون لك بيت من ذهب. قوله تعالى قل سبحان ربي قرأ أهل مكة والشام قال سبحان ربي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم. قوله تعالى **وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا**

أي

أي ما ترك الناس عن الإيمان إذ جاءهم الهدى إلا شبهة أدخلوها على أنفسهم وهو قولهم أبعث الله بشرا رسولا وهذه شبهة ضعيفة وتعجب منهم في غير موضع التعجب ومرادهم هلا بعث الله ملكا رسولا فأجابهم الله. قوله تعالى **قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين** أي لو كان في الأرض ملائكة يمشون على أقدامهم مقيمين في الأرض كما أنتم مقيمون فيها **لنزلنا عليهم من السماء ملكا** من جنسهم رسولا كما أرسلنا إليكم بشرا من جنسكم رسولا لأن الملك إنما يبعث إلى الملائكة. قوله تعالى **قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم** أني رسوله إليكم فإن الله يشهد لي بالنبوة في القرآن وأنتم تنكرون نبوتي **إنه كان بعباده خبيرا بصيرا** بأحوالهم. قوله تعالى **ومن يهد الله فهو المهتد** أي من يوفقه الله لدينه بالطاعة فهو المهتدي **ومن يضلل** أي فإن يخذلهم عن دينه **فلن تجد لهم أولياء** يهدونهم من دون الله. قوله تعالى **ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا** عما يسرهم **وبكما** عما ينفعهم **وصما** عما ينفعهم وقيل يحشرون في أول الحشر عميا وبكما وصما على هذه الصفة ثم تزول هذه الصفات عنهم فيرون ويتكلمون ويسمعون كما قال تعالى ورأى المجرمون النار وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال دعوا هنالك ثبورا وقيل إنه لم يرد بالحشر في هذه الآية الحشر عن القبور وإنما أراد به الحشر عن موضع المحاسبة فإنهم يحشرون عن ذلك الموضع على وجوههم على هذه الصفات. وعن أنس أن رجلا قال يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة فقال أليس الذي أمشاه على رجليه قادرا أن يمشيه على وجهه. وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف مشاة وصنف ركبان وصنف على وجوههم قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك. قوله تعالى **مأواهم جهنم** أي مصيرهم إليها. قوله تعالى **كلما خبت زدناهم سعيرا** أي كلما سكن لهيبها من جانب زدناهم اشتعالا من جانب آخر يقال للنار إذا سكن لهيبها خبت فإذا أطفئت ولم يبق منها شيء من النار قيل همدت وقال ابن عباس معنى قوله تعالى كلما خبت أي سكنت وقال مجاهد طفئت وقال قتادة لانت وضعفت. قوله تعالى زدناهم سعيرا أي وقودا. ثم بين الله تعالى لم ازدادوا ذلك سعيرا فقال تعالى **ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا** أي ذلك العذاب جزاؤهم بكفرهم بآياتنا وإنكارهم البعث وهو قولهم **أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا**. قوله تعالى **أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض** قادر على أن يخلق مثلهم هذا جواب لقولهم وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا والمعنى أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض في عظمها وشدتها قادر على أن يخلق مثلهم في صغرهم وضعفهم ونظير هذا قوله تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء وقوله لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ومن قدر على خلق الأكبر علم أنه قادر على خلق الأصغر فإذا قدر على خلق أمثالهم قدر على إعادتهم. قوله تعالى **وجعل لهم أجلا لا ريب فيه** أي جعل لإعادتهم وقتا لا شك فيه أنه كائن **فأبى الظالمون إلا كفورا** مع وضوح الدلالة والحجج. قوله تعالى **قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق** جواب لقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا والمعنى لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم لأنفسكم مخافة أن يفنى بالإنفاق ولا يبقى لكم. قوله تعالى **وكان الإنسان قتورا** أي وكان الكافر ممسكا بخيلا وقوله تعالى خشية الإنفاق أي خشية الفقر والحاجة وقيل خشية أن ينفقوا فيفتقروا. قوله تعالى **ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات** أي تسع دلالات واضحات قال ابن عباس هي العصا واللسان فإنه كان في لسانه عقدة فرفعها الله كما قال واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي والبحر واليد والخمس التي هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال محمد بن كعب هذه الخمسة والعصا واليد والسنون ونقص الثمرات قال محمد بن كعب في الطمس كان الرجل منهم مع أهله في فراشه وإذا قد

صار حجرين وان المرأة لقائمة تختبز وقد صارت حجرا وان المرأة في الحمام وانها لحجر وكانت تنقلب الفواكه
والفلوس في الدراهم والدنانير حجارة و روي ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي فأتياه
فسألاه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس ولا تزنوا
ولا تسرقوا ولا تأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا ببريء الى السلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا
من الزحف وعليكم خاصة يا يهود ان لا تعدوا في السبت فقبلوا يده وقالوا نشهد انك نبي قوله تعالى
فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم كان
يقع له العلم من عند الله فكان لا يحتاج في معرفة ذلك الى الرجوع الى اهل الكتاب فكأنه تعالى قال فاسأل ايها
السامع وايها الشاك بني اسرائيل اذ جاءهم موسى بالبينات وقال ابن عباس في بني اسرائيل يعني المؤمنين من قومه
والنصير قوله تعالى فقال له فرعون اني لأظنك يا موسى مسحورا أي اني لأظنك يا موسى قد سحرت فلذلك تدعي
النبوة وقيل هذا مفعول بمعنى فاعل كأنه قال اني لأظنك ساحرا وقيل المسحور المخادع قوله تعالى قال لقد
علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض أي قال موسى لفرعون لقد علمت يا فرعون ان هذه الآيات
لا تدخل تحت مقدور العباد فلم ينزلها الا رب السموات والارض بصائر أي حججا للناس يبصرون بها في امر دينهم
واني لأظنك يا فرعون انكارها لك يقال ثبر الرجل فهو مثبور اي هالك والظن قد يذكر بمعنى اليقين على ما تقدم
وقرأ الكسائي لقد علمت بضم التاء وهي قراءة علي كرم الله وجهه وقال والله ما علم عدو الله ولكن موسى
هو الذي علم فبلغ ذلك ابن عباس فقال انه لقد علمت بنصبها لقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا وقراءة النصب اصح واشهر وليست قراءة الضم مشهورة عن علي رضي الله عنه ولا ثابتة وانما رواها
عنه رجل مجهول لا يعرف ولا تمسك بها احد من القراء غير الكسائي وقوله تعالى مثبورا قال ابن عباس مغلوبا
وقال مجاهد هالكا وقيل مخبلا لا عقل لك وقيل بعيدا من الخيرات وقيل ملاحا في القطيفة قال مجاهد
دخل موسى على فرعون وعليه قطيفة فالقى عصاه فرأى فرعون ثعبانا ففزع واحدث في القطيفة وروى
أبو سعيد الجوهري قال كنت قائما على رأس المأمون وهو يناظر رجلا وهو يقول يا مثبور فأقبل الي
فقال ما معنى يا مثبور قلت لا ادري فقال حدثني الرشيد قال حدثني المهدي قال كنت جالسا عند امير
المؤمنين المنصور فسمعته يقول لرجل يا مثبور فقلت يا امير المؤمنين ما معنى يا مثبور قال حدثني ميمون قال ابن عباس
في قوله تعالى يا فرعون مثبورا قال ناقص العقل قوله تعالى فاراد ان يستفزهم من الارض أي فاراد فرعون
ان يخرج بني اسرائيل ويخرجهم من ارض مصر قهرا والاستفزاز الازعاج بالخوف والشدة ويجوز ان يكون المراد بقصدهم
قتلهم فاغرقناه أي امرنا موسى وقومه بالخروج من مصر فتبعه فرعون وقومه فجعلنا في الماء طريقا يبسا
نجا موسى وقومه بالبحر فتبعهم فرعون وقومه فاطبقنا الماء عليهم حتى غرقوا كلهم وقلنا من بعد هلاك
فرعون لبني اسرائيل اسكنوا الارض الشام وارض مصر واورثت بني اسرائيل مساكنهم وديارهم وفي هذا تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم وانه يفعل به وبالمشركين ما فعل بموسى وعدوه فاظهر الله النبي صلى الله عليه وسلم على
المشركين ورده الى مكة ظافرا قوله تعالى فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا يعني القيمة جئنا لكم
جميعا أي جئنا بكم من كل قبيلة واللفيف الجماعات من قبائل شتى وقيل جئنا بكم مختلطين لا تتعارفون والمعنى
جئنا بكم من قبوركم الى المحشر اخلاطا يعني جميع الخلق المسلم والكافر والبر والفاجر قوله تعالى وبالحق انزلناه
وبالحق نزل يعني القرآن ويجوز ان يكون الهاء كناية عن جبريل فان الله انزله بالقرآن ونزل جبريل به قوله تعالى
وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا أي مبشرا للمطيع بالجنة ومخوفا بالنار للكفار قوله تعالى وقرآنا فرقناه
بيناه وانزلناه مفرقا فرقناه شيئا بعد شيء فانه كان ينزل منه شيء فشيء على ما شاء الله ولم ينزل منه شيء آخر وكان
بين اوله وآخره عشرون سنة قوله تعالى لتقرأه على الناس على مكث أي على تثبت وتؤدة ليفهموا بالتأمل

ويعلموا

ويعلموا ما فيه بالتفكر وهو بمعنى قوله تعالى ونزلناه تنزيلا أي كذلك انزلناه مرة بعد مرة لعظم شانه
قوله تعالى قل آمنوا به او لا تؤمنوا أي قل لهم يا محمد اهل مكة آمنوا بالقرآن او لا تؤمنوا وهذا وعيد
لهم أي ان آمنتم وان لم تؤمنوا فالله غني عنكم ومن آمن فايمانه له ولا ينفع غيركم وكفركم لا يضر سواكم
قوله تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله أي من قبل نزول القرآن والمراد به مؤمنوا اهل الكتاب
اذا يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجدا أي يقعون على وجوههم سجدا لله والمراد بالاذقان
الوجوه كذا قال ابن عباس قوله تعالى ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا أي ويقولون
في سجودهم تنزيها لله تعالى عما لا يليق به وقد كان وعد ربنا كائنا لا محالة وهؤلاء الذين سجدوا
كانوا يسمعون ان الله يبعث نبيا من العرب وينزل عليه كتابا فلما سمعوا القرآن سجدوا لله وحمدوه
على انجاز الوعد ببعث الرسول والكتاب وقالوا قد كان وعد ربنا مفعولا قوله تعالى ويخرون
للاذقان يبكون أي يسقطون على الوجوه باكين في السجود ويزيدهم البكاء في السجود خشوعا
أي خشوعهم لان بكاءهم لله داعية الى الطاعة والاخلاص في عبادته وفي الآية دليل على ان البكاء في الصلوة
من خوف الله لا يقطع الصلوة لان الله مدحهم عليه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي
فيسمع لصدره ازيز كازيز المرجل من البكاء و روي عبد الله بن شداد قال كنت اصلي خلف عمر رضي الله
عنه صلوة الصبح وكان يقرأ سورة يوسف حتى بلغ انما اشكو بثي وحزني الى الله سمعت نشيجه وانا في آخر الصفوف
قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن قال ابن عباس تهجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات ليلة بمكة فجعل يقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال ابو جهل ان محمدا ينهانا ان نعبد الهين
وهو يدعو الها آخر مع الله يقال له الرحمن وهم لا يعرفون الرحمن فانزل الله هذه الآية ومعناها
قل يا محمد ادعوا الله يا معشر المؤمنين او ادعوا الرحمن ان شئتم فقولوا يا رحمن وان شئتم فقولوا يا الله وان
شئتم يا رحمن أي اسماء الله تدعونه بها فاسماؤه كلها حسنة فادعوه بصفاته العلى و قوله تعالى أيا ما تدعوا
فقال بعضهم ما في هذا صلة ومعناها التأكيد تقديره ايا تدعوا ومثله عما قليل وجند ما هنالك وفيما رحمة
من الله قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال ابن عباس نزلت بمكة كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن انزله ومن جاء به ولغوا وصفقوا
وصفروا وخلطوا كل ذلك ليغلطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يؤذونه واذا خافت بالقراءة لم يسمعه
اصحابه فانزل الله هذه الآية أي لا تجهر بقراءتك في الصلوة فيسمعها المشركون فيؤذونك ولا تخافت بها
فلا يسمعها اصحابك وقال الحسن معناه لا تجهر بقراءتك في الصلوة كلها ولا تخافت بها في الصلوات كلها
ولكن اجهر بها في بعض الصلوات وخافت بها في بعضها وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر عن قراءته
بالليل فقال اخافت بها لاني اناجي ربي وقد علم حاجتي فقال صلى الله عليه وسلم احسنت
وسأل عمر رضي الله عنه عن قراءته بالليل فقال اني ارفع صوتي اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فقال
احسنت فلما نزلت هذه الآية قال لابي بكر زد في صوتك وقال لعمر انقص من صوتك وعن ابن عباس يعني
الآية لا تصل مراءاة للناس ولا تدعها مخافة للناس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احسن
الناس قراءة فقال الذي اذا سمعت قراءته رأيت انه يخشى الله تعالى وقوله تعالى وقل الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا يرث ملكه او يرثه او ينتفع به وهذا تكذيب لليهود والنصارى وغيرهم من اهل الشرك
قوله تعالى ولم يكن له شريك في الملك يعاونه عليه ولم يكن له ولي من الذل أي من اهل الذل
وهم اليهود والنصارى لانهم كانوا يخرجون رؤوسهم ويقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقال مجاهد
معناه لم يحالف احدا ولم يبتغ نصر احد والمعنى انه عز وجل لا يحتاج الى موالاة احد لذل يلحقه فهو

مستغن عن الولي والنصير قوله تعالى وكبره تكبيرا أي عظمه عظمة تامة عن أن يكون له شريك أو ولي
وصفه بأنه أكبر من كل شيء وأنه القادر الذي لا يعجزه شيء العالم الذي لا يخفى عليه شيء الغني عن كل شيء معتقدا
لذلك بقلبك عاملا على أمره فيما أمرك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أفصح الولد من بني
عبد المطلب علمه هذه الآية وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وروي أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني كثير الدين كثير الهم فقال له اقرأ آخر سورة بني إسرائيل قل ادعوا الله أو
ادعوا الرحمن إلى آخر السورة ثم قل توكلت على الحي الذي لا يموت ثلاث مرات • وعن ابن عباس أنه قال من قرأ
سورة بني إسرائيل في سفر أو حضر إيمانا واحتسابا ضرب الله عليه سورا من حديد من الحرق والغرق والسرق وعن
عبد الحميد أنه قال من قرأ آخر بني إسرائيل كتب الله له من الأجر مثل السموات السبع والأرضين السبع وحجم الجبال

سورة الكهف مائة وعشر آيات مكية

غير آيتين منها واصبر نفسك إلى آخرهما وعدد حروفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفا وكلماتها ألف وخمسمائة
وسبع وسبعون كلمة وآياتها مائة وعشر آيات عند الكوفيين وإحدى عشرة عند البصريين ••

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي
أنزل على عبده الكتاب أي الذي أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم القرآن ولم يجعل له عوجا
أي لم يجعله ملتبسا لا يفهم ومعوجا لا يستقيم قيما أي مستقيما عدلا أي مستويا قيما على الكتب كلها ناسخا
لشرائعها قوله تعالى لينذر بأسا شديدا من لدنه أي لينذر العبد الذي أنزل عليه الكتاب بأسا شديدا أي
لينذر الكفار عذابا شديدا من عند الله تعالى قوله تعالى ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا
حسنا أي ثوابا حسنا في الجنة ماكثين فيه أبدا أي مقيمين في ذلك الأجر خالدين فيه قوله تعالى وينذر
الذين قالوا اتخذ الله ولدا يعني الكفار الذين قالوا اتخذ الله ولدا وهم قريش واليهود والنصارى قالت
قريش الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله قوله تعالى
ما لهم به من علم ولا لآبائهم أي هم وآباؤهم كلهم جهلة ليس لهم على ذلك بيان ولا حجة بل قالوا جهلا وافتراء
على الله تعالى قوله تعالى كبرت كلمة تخرج من أفواههم أي كبرت مقالتهم تلك كلمة تخرج من أفواههم
إن يقولون إلا كذبا وكلمة نصب على التمييز وإنما كبرت هذه الكلمة لأن صاحبها يستحق العذاب ومن
ذلك سميت الكبيرة كبيرة لأن عقابها يزيد على استطاعة صاحبها قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم
إن لم يؤمنوا فيه نهي للنبي صلى الله عليه وسلم عن إهلاك نفسه حزنا عليهم بسبب إعراضهم عن الإيمان لشدة شفقته
عليهم وحقيقة الأسف الحزن على ما فات ومعنى الآية فلعلك قاتل نفسك يقال بخع الرجل نفسه إذا قتلها غيظا
من شدة حزنه على الشيء أو وجده بالشيء قوله تعالى على آثارهم أي من بعدهم يعني من بعد توليهم وإعراضهم عنك
إن لم يؤمنوا بهذا الحديث يعني القرآن قوله تعالى أسفا أي حزنا قوله تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة
لها أي جعلنا جميع الأرض من الأشجار والثمار والنبات والمياه والذهب والفضة والجواهر زينة للأرض
وجعلناها محفوفة بالشهوات قوله تعالى لنبلوهم أيهم أحسن عملا أي لنأمرهم فنظهر أيهم أعمل بطاعة الله
هذا أم هذا • وقال الحسن أيهم أزهد في الدنيا وأترك لها وقيل ليقال إنهم أصلح فيما أوتي من المال وحسن
العمل والزهد فيما يزيله من الدنيا بين الله تعالى أنه يفني ذلك كله قوله تعالى وإنا لجاعلون ما عليها
صعيدا جرزا أي نجعل ما عليها من الحيوان والنبات ترابا يابسا مستويا على الأرض والجرز الأرض التي لا ماء فيها
ولا نبات ويقال سنة جرز إذا كانت جديبة • وقال عطاء يريد يوم القيامة يجعل الله الأرض جرزا لا ماء فيها ولا
نبات قوله تعالى أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا أي لم يكونوا أعجب آياتنا

فقد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك • قال الزجاج أعلم الله أن قصة أصحاب أهل الكهف ليست بعجيبة لأن
خلق السموات والأرض وما بينهما أعجب من قصة أصحاب أهل الكهف والكهف الغار في الجبل والرقيم قيل هو
واد دون فلسطين وهو الوادي الذي فيه أصحاب الكهف وقيل الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص
كتبوا فيه أسماء أهل الكهف وقصصهم ثم وضعوه على باب الكهف فهو على هذا التأويل بمعنى المرقوم أي
المكتوب والرقم الخط والعلامة والرقم الكتابة • قال ابن عباس وذلك أن قريشا بعثوا خمسة رهط
إلى اليهود يسألونهم عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لهم إنه يزعم أنه نبي مرسل واسمه محمد
وهو فقير يتيم بين كتفيه خاتم وإنا نزعم أنه يتعلم من مسيلمة فإنه يقول أنا رسول من عند الرحمن ولا
نعلم في الرحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة فلما أتاه هؤلاء الرهط المدينة أتوا أحبار اليهود وعلماءهم
فسألوهم عنه ووصفوا لهم صفته وخاتمه فقالوا نحن نجده في التوراة كما وصفتموه ولكن سلوه عن ثلاث
خصال فإن كان نبيا أخبركم بخصلتين ولم يخبركم بالثالثة فإنا قد سألنا مسيلمة عن هذه الخصال فلم يدر
ما هي وأنتم سلوه عن خبر ذي القرنين وعن الروح وعن أصحاب الكهف فرجعوا وأخبروا قريشا بذلك فسألوا
النبي صلى الله عليه وسلم فقال سأخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فأبطأ عليه جبريل خمس عشرة ليلة
وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نزل جبريل بهذه الآية ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك
غدا إلا أن يشاء الله ثم أخبره عن أصحاب الكهف وحديث ذي القرنين وأمر الروح وحدثه أن مدينة الروم
كان فيها ملك كافر يدعو إلى عبادة النيران والأوثان ويقتل من خالفه وفي المدينة شباب يدعوا إلى الإسلام
فتابعه فتية من أهل المدينة فعظم أمرهم على الملك فأخذهم ودفعهم إلى آبائهم ليعظوهم فهربوا منهم والغلام
وراعٍ تابعهم ومعه كلبه حتى أتوا غارا فدخلوه وألقى الله عليهم النوم سنين عددا والملك طالبهم ثم قص
على أثرهم وعمي عليه خبرهم ثم اطلع عليهم فسد باب الكهف ليموتوا فيه وكانوا أهل الكهف ثم عمد رجل إلى لوح من
رصاص فكتب فيه أسماءهم وأسماء آبائهم ومدينتهم وأنهم خرجوا فرارا من دين ملكهم في شهر كذا في سنة كذا
والرقيم بالسد وكان السد داخل الكهف وذكر القصة إلى آخرها فهذا اللوح الرصاص هو الرقيم ثم أخبر
النبي صلى الله عليه وسلم قريشا بذلك كله ووافق النبي صلى الله عليه وسلم قول اليهود أخبرهم بخصلتين ولم
يخبرهم بالثالثة قالت كفار قريش ساحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون • وقال محمد بن إسحق
كثرت في أهل الإنجيل الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الأوثان والأصنام وفيهم بقايا على دين المسيح بن مريم
متمسكون بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك ملك من ملوكهم يقال له دقيانوس وكان قد عبد
الأصنام وذبح للطواغيت فسار حتى دخل مدينة أهل الكهف وهي أفسوس فلما دخلها عظم على أهل الإيمان
واستخفوا منه وهربوا إلى كل ناحية فأمر دقيانوس أن يجمع له أهل الإسلام واتخذ شرطا من الكفار من أهلها
وأمرهم باتباع المسلمين وإحضارهم فجعلوا يتبعون المسلمين حتى أخذوهم ومضوا بهم إلى دقيانوس فخيرهم
بين القتل وبين عبادة الأوثان فمنهم من رغب في الحياة ومنهم من قال لا أعبد غير الله فيقتله فلما رأى
ذلك أهل الإيمان جعلوا يصبرون للعذاب والقتل فيقتلهم ويقطع لحومهم ويربطها على سور المدينة ونواحيها
كلها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت المحنة على المسلمين فلما رأى الفتية ذلك قاموا وصلوا واشتغلوا
بالتسبيح والدعاء إلى الله تعالى وكانوا من أشراف الروم وكانوا ثمانية نفر فبكوا وتضرعوا وجعلوا يقولون
ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا اكشف عن عبادك المؤمنين هذه
الفتنة وارفع عنهم البلاء فبينما هم كذلك إذ دخل عليهم الشرط إلى مصلاهم فوجدوهم سجودا يبكون
ويتضرعون إلى الله ويسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وفتنته فقالوا لهم ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا
إليه ثم خرجوا من عندهم إلى دقيانوس وأخبروه بخبرهم وقالوا أنت تجمع الخلق وهؤلاء الفتية يعصونك

أمركم فأرسل إليهم الشرط فأتوا بهم تفيض أعينهم من الدمع معصورة وجوههم بالتراب فقال دقيانوس ما منعكم أن
تشهدوا الذبح للأصنام وتعبدوها وتجعلوا أنفسكم كغيركم اختاروا إما أن تعبدوا الأصنام مثل الناس وإما
أن نقتلكم فقال مكسلمينا إن لنا إلها ملأ السموات والأرض عظمته لن ندعو من دونه إلها أبدا ولن نفعل
هذا الذي تدعونا إليه ولكنا نعبد الله ونسبحه ونحمده خالصا من أنفسنا إياه نعبد وإياه نسأل النجاة وأما
الأصنام فلا نعبدها أبدا فاصنع بنا ما بدا لك وقال أصحاب مكسلمينا كلهم لدقيانوس مثل هذه
المقالة فقال دقيانوس إني سأؤخركم وأمهلكم حتى ترجعوا عقولكم وأجعل لكم مدة تشاورون فيها فإنكم
طاغين وخالفتم أمري وقد وجبت بكم العقوبة وما منعني أن أعجل عليكم إلا أني أراكم شبانا أحداثا أكره أن
أهلككم حتى أجعل لكم مدة تنظرون فيها ما يصلح لكم ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فنزعت
عنهم وأمر بإخراجهم من عنده فعمد كل واحد منهم إلى بيت أبيه وأخذ منه زادا وخرجوا هاربين فمر بهم كلب
فتبعهم وطردوه ثم تبعهم ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تخشون مني أنا أحب أحباء الله فناموا حتى أحرسكم
وقال ابن عباس كانوا سبعة هربوا ليلا فمروا براع ومعه كلب فتبعهم على دينهم فوصلوا إلى الكهف قريب
من البلد فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلوة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد وجعلوا نفقتهم على يد واحد منهم
يقال له يمليخا وكان يشتري لهم طعامهم من المدينة سرا وكان من أجملهم وأجلدهم وكان إذا أراد أن يدخل
المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يسألون الناس ثم يأخذ ورقه
ويشتري طعاما ويتحسس لهم الأخبار ويسمع هل يذكر هو وأصحابه ثم يعود إلى أصحابه فلبثوا كذلك ما لبثوا ثم إن
دقيانوس الجبار شدد على من بقي من المسلمين وأمرهم بالذبح للطواغيت وكان يمليخا حينئذ هناك يشتري لهم
فأخبر أن دقيانوس يطلب الفتية ويسأل عنهم فرجع يمليخا إلى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل فأخبرهم أن
دقيانوس يسأل عنهم ففزعوا ووقعوا سجودا يتضرعون إلى الله ويتعوذون به من فتنتهم وذلك عند غروب
الشمس فبيناهم كذلك إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فأصابه ما أصابهم
وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤوسهم فلما كان من الغد التمسهم دقيانوس فلم يجدهم فغضب غضبا
شديدا وأرسل إلى آبائهم فسألهم عنهم وقال أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا أما نحن فلا ندري
أين ذهبوا ولقد أخذوا أموالنا وهربوا وليس لنا في ذلك ذنب نحن لم نعصك فلا تعاقبنا بهم فخلى سبيلهم
وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية فبلغه الخبر أنهم في الجبل فالتمسهم هناك حتى وجدوا الكهف
ودعوهم فيه ليموتوا جوعا وعطشا ولكن الكهف الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون
ما يصنع بهم وقد توفى الله أرواحهم في النوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف وقد غشيه ما غشيهم
يقلبون ذات اليمين وذات الشمال فمضى دقيانوس ما أتى ثم مات وقرون بعده كثيرة وجاءت ملوك
بعد ملوك وقيل إن دقيانوس أتى إلى الكهف ليطلبهم كان كلما أراد رجل أن يدخل عليهم الكهف
أرعب فلم يطق الدخول فجعلوا يقولون لو قدرنا لحلفنا أن ندخل عليهم لقتلناهم فلما لم يستطع أحد
الدخول عليهم قال سدوا عليهم باب الكهف فيموتوا جوعا وعطشا ففعلوا ذلك فلما مضى على ذلك قرون
وأزمان جاء راعي غنم إلى الكهف بغنمه فأدركه المطر عند الكهف ففتح الكهف ليدخل غنمه فيه من المطر
فوجدهم هناك فرد الله عليهم أرواحهم فجلسوا فرحين مستبشرين وظنوا أنهم أصبحوا من ليلتهم فقاموا
إلى الصلوة فصلوا لا يرى في أجسامهم ولا في ألوانهم شيء يكرهونه وهم يخشون أن دقيانوس في طلبهم
ثم قالوا ليمليخا ما الذي قال الناس في شأننا بالأمس فقال سمعت أنهم يلتمسونكم فقال مكسلمينا
يا إخوة اعلموا أنكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا طلبكم غدا فقالوا ليمليخا اذهب إلى المدينة
واسمع لنا الأخبار وما الذي يذكر اليوم فينا عند دقيانوس وتلطف ولا يشعرن بنا أحدا واشتر لنا

طعاما فإنا قد أصبحنا جياعا فمضى يمليخا وقد أخذ الثياب الذي كان يتنكر فيها وأخذ ورقا من نفقتهم التي
عليها طابع دقيانوس ثم دخل المدينة مستخفيا يصد عن الطريق لئلا يراه أحد يعرفه فيعلم دقيانوس ولم يعلم
يمليخا أن دقيانوس وقومه قد هلكوا منذ ثلثمائة سنة فرأى يمليخا على باب المدينة علامة أهل الإيمان فعجب
وجعل ينظر يمينا وشمالا مستخفيا ثم ذهب إلى الباب الثاني فرأى عليه كذلك فخيل إليه أن المدينة ليست التي
كان يعرف ثم رأى أناسا كثيرا يتحدثون لم يكن يراهم قبل ذلك فخيل إليه أنه حيران وجعل يقول لعل هذه
عشية ثم سمع الناس يتحدثون بحديث أهل الإسلام ويحلفون بالله ويذكرون عيسى بن مريم عليه السلام فقال
لعل هذه مدينة أخرى وقام كالحيران فرآه إنسان فسأله ما هذه المدينة فقال هذه أفسوس فقال لعلي
ذاهب العقل ثم دخل السوق ليشتري طعاما فأخرج الورق الذي معه فأعطاها رجلا وقال بعني بهذه طعاما
فتعجب الرجل من نقشها وضربها ثم أعطاها رجلا من أصحابه لينظر إليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى
رجل فقالوا هذا أصاب كنزا في الأرض فجعلوا يتشاورون في أمره فلما رآهم يتشاورون ظن أنهم يريدون
يمضون به إلى دقيانوس ففزع فزعا شديدا فقالوا له من أنت يا فتى وما شأنك فوالله إنك وجدت كنزا من الأرض
من كنوز الأولين فإما أن تشاركنا فيه ونخفي عليك أمرك وإلا سلمناك إلى السلطان يقتلك فقال في نفسه قد
وقعت في الذي كنت أحذر منه فجعل يمليخا لا يدري ما يقول لهم وفزع حتى إنه ما أطاق يخبرهم بشيء فلما رأوه
لا يتكلم أشاعوا خبره وجعلوا يقودونه في سكك المدينة وهم يقولون إن هذا رجل وجد كنزا فاجتمع عليه أهل
المدينة فجعلوا ينظرون إليه ويتعجبون ويقولون ما هذا الرجل من أهل المدينة وما رأيناه فيها قط ولا نعرفه
وقال لهم أنا من أهل هذه المدينة لم تصدقوه وكان يستيقن أن آباءه وإخوته في المدينة وأنهم سيأتونه
من جملة الناس إذا سمعوا خبره ثم إنهم انطلقوا به إلى رئيس المدينة ومدبري أمرها وهما رجلان صالحان
اسم أحدهما أريوس والآخر اسطوس فظن يمليخا حين مضوا به أنهم يمضون به إلى دقيانوس فرفع رأسه إلى
السماء وقال اللهم إله السماء والأرض أفرغ اليوم علي صبرا وأدخل معي روحا تؤيدني به عند هذا الجبار
فلما انتهوا به إلى الرجلين الصالحين سكن خوفه فأخذ الرجلان الورق فنظرا إليه وتعجبا منه وقالا يا فتى
أين الكنز الذي وجدته هذا الورق يشهد عليك أنك وجدت كنزا فقال يمليخا والله ما وجدت كنزا ولكن
هذا ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن لا أدري ما شأني وما أدري ما أقول لكم فقال له أحدهما من
أنت فقال أنا ما أرى فكنت أرى أني من أهل هذه المدينة فقال له من أبوك ومن يعرفك فأنبأهم باسم أبيه
ولم يعرفوه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تخبر بالحق فلم يدر يمليخا ما يقول فقال رجل هذا مجنون
وقال آخر إنه ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه حتى يطلقوه ونظر إليه آخر شزرا وقال أتظن أنا نصدقك
ونطلقك فإن هذا الورق ضربه أكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب وليس عندنا من هذا الضرب درهم
ولا دينار فقال يمليخا أنعي فون نبأ أسألكم عنه فقالوا سل قال ما فعل دقيانوس قالوا لا نعرف اليوم على
وجه الأرض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن إلا ملك قد هلك منذ زمان طويل وهلكت بعده قرون كثيرة
فقال يمليخا والله لقد كنا فتية وإنه أكرهنا على عبادة الأوثان فهربنا منه عشية أمس فنمنا فلما انتبهنا
خرجت لأشتري لأصحابي طعاما وأتحسس الأخبار فإذا أنا كما ترون فانطلقوا معي إلى الكهف لأريكم أصحابي
فلما سمع أريوس ما يقول يمليخا قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم على يد هذا الفتى فامضوا
بنا معه يرينا أصحابه فمضوا معه ومشى جميع أهل المدينة فلما سمع الفتية الذين في الكهف الأصوات وجلبة
الخيل مصعدة نحوهم وقد كان أبطأ عليهم يمليخا ظنوا أنه دقيانوس جاء في طلبهم فسبق يمليخا الفتية وجاء
إليهم فسألوه عن شأنه فأخبرهم بالخبر كله فعرفوا أنهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله وإنما أوقظوا ليكونوا
آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها فلما فرغ يمليخا من كلامه قبض الله أرواحه

وأنا واحد منهم وعمي على ذلك القوم باب الكهف فلم يهتدوا اليه قوله تعالى إذ أوى الفتية إلى الكهف
أي اذكر لقومك إذ أوى الفتية يعني الشباب إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة ننجو بها من قومنا
وهيئ لنا من أمرنا رشدا أي اجعل لنا طريقا ومخرجا ووفقنا للرشد وأرشدنا إلى ما تحب يا الله قوله تعالى
فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا أي أنمناهم في الكهف سنين معدودة وهم أحياء يتنفسون
ثم بعثناهم من نومهم لنعلم أي لنعرف غيرهم أنه ليس فيهم من يعرف مقدار السنين التي ناموا فيها والمراد
بأحد الحزبين الفتية والحزب الآخر [illegible] ذلك الزمان وقيل المراد بأحد الحزبين المؤمنين والحزب الآخر الكافرين قوله تعالى
نحن نقص عليك نبأهم بالحق أي نبين لك خبرهم بالصدق إنهم فتية أي شباب آمنوا بربهم وزدناهم
هدى أي ثبتناهم على الإيمان قوله تعالى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا أي ألهمنا قلوبهم الصبر وثبتناها حين
قاموا بحضرة الكفار يعني بين يدي دقيانوس الذي كان يفتن أهل الإيمان حتى قالوا بين يديه ربنا رب السموات
والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا أي كذبا وجورا والمعنى أن عبدنا غير الله ودعونا
معه إلها آخر قلنا قولا ذا شطط أي متجاوزا للحق في غاية الضلالة قوله تعالى هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه
آلهة أي قالوا هؤلاء قومنا عبدوا من دون الله آلهة أي عبدوا الأصنام يعنون الذين كانوا في زمن دقيانوس
قوله تعالى لولا يأتون عليهم بسلطان بين أي هلا يأتون على عبادتهم لها ببرهان واضح قوله تعالى فمن أظلم
ممن افترى على الله كذبا أي فمن أظلم لنفسه ممن اختلق على الله كذبا بأن جعل معه شريكا في العبادة
قوله تعالى وإذ اعتزلتموهم أي قال بعضهم لبعض قيل إن القائل هذا مليخا وهو رئيس أصحاب الكهف قال
لأصحابه إذا فارقتموهم وتنحيتم عنهم جانبا أي عن عبدة الأصنام وما يعبدون وهو أحد الكلام ثم قال إلا
الله يعني إلا الله فلا تعتزلوا عبادته قوله تعالى فأووا إلى الكهف أي صيروا إلى الكهف واجعلوه مأواكم
ينشر لكم ربكم من رحمته أي يبسط لكم من نعمته ويهيئ لكم ما ترتفقون به هناك في معايشكم بكون مخلصا لكم من
ظلم هؤلاء الكفار وقال ابن عباس يعني ويسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه ويأتيكم فيه مرفقا بكسر الميم وفتح
الفاء وفتح الميم وكسر الفاء وكذلك في مرفق اليد قوله تعالى وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم قرأ أهل الكوفة تزاور بالتخفيف على حذف أحد التاءين وقرأ أهل الشام تزور وتزور أي
تميل وكلها بمعنى واحد أي تميل وفيه بيان أن الكهف الذي أووا إليه كان بابه نحو القطب الذي نحو بنات
نعش وكانت الشمس تطلع مزاورة على باب الكهف عند الطلوع وعند الغروب قوله تعالى ذات اليمين أي
ناحية اليمين قوله تعالى وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال أي تعدل عنهم وقال الكلبي تميل إذا طلعت
الشمس مالت عن كهفهم ذات يمين الكهف وإذا غربت تمر بهم ذات الشمال يعني شمال الكهف لا تصيبه وكان كهفهم
في أرض الروم أعلم الله أنه تميل عنهم الشمس طالعة وغاربة لا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرها وتغير ألوانهم
قوله تعالى وهم في فجوة منه أي في متسع من الكهف هيأ الله لهم مكانا واسعا لا تصيبهم فيه حر ولا سموم
ولا تغير لهم ثوب ولا لون ولا رائحة ولكن كان يبلغهم فيه نسيم الريح وبردها قوله تعالى تقرضهم ذات
الشمال القرض القطع من قولهم قرضته بالمقراض إذا قطعته كأنه قال تقطعهم في ذات الشمال
وقيل تعطيهم الشمس شيئا عند الغروب كأنه شبهه بقرض الدراهم التي تعطى ثم تسترد قوله تعالى ذلك
من آيات الله أي إنما هم طول السنين التي ذكرها الله تعالى ناموا ثم يستيقظون من دون طعام ولا شراب
من آيات الله قوله تعالى من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ظاهر
المعنى قوله تعالى وتحسبهم أيقاظا وهم رقود أي تظنهم يا محمد منتبهين وهم نائمون وإنما كان يحسبهم
الرائي منتبهين لأنهم كانوا نياما وهم مفتحو الأعين وكانوا يتنفسون قوله تعالى ونقلبهم ذات اليمين
وذات الشمال قرأ الحسن وتقلبهم بالتخفيف والمعنى ونقلبهم تارة عن اليمين إلى الشمال وتارة عن الشمال

إلى اليمين كما يتقلب النائم لئلا تأكل الأرض أجسامهم ذكر قتادة أن لهم في كل عام تقلبتين وعن ابن عباس
في كل عام مرة قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد أي على باب الكهف أنامه الله كما
أنامهم والوصيد من قولهم أوصدت الباب وأصدته إذا أغلقته وقد يقال لذلك الأصيد أيضا وقيل الوصيد
فناء الكهف وقال سعيد بن جبير الوصيد التراب وقال السدي الوصيد الباب وقال عطاء عتبة
الباب وكان لون الكلب أحمر كذا قال ابن عباس وقال مقاتل كان أصفر يضرب إلى الحمرة وقيل كان
كلون الحجر وقيل كلون السماء وقال علي رضي الله عنه كان اسمه ريان وقال ابن عباس كان اسمه قطمير
وقال سفيان كان اسمه حمران وقال عبد الله بن سلام اسمه بسيط روي عن بعضهم أنه مما أخذ على الكلب
أن لا ينبح بأحد نفرا وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا أي لو
اطلعت عليهم يا محمد لوليت منهم فرارا لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة حتى لا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله
فيهم فينتبهوا من رقدتهم وقيل لأنهم كانوا في مكان موحش من الكهف وقيل لأن أعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي
يريد أن يتكلم وهم نيام وعن ابن عباس قال غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف
فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله ذلك من هو خير منك فقال
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فقال معاوية لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث أناسا فقال
اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم من الكهف قوله تعالى وكذلك بعثناهم
ليتساءلوا بينهم أي وكذلك أيقظناهم كما أنمناهم ليتحدثوا ويسأل بعضهم بعضا قال قائل منهم وهو رئيسهم
ويسمى مكسلمينا كم لبثتم في نومكم في الكهف قالوا لبثنا يوما فلما نظروا إلى الشمس وقد بقي منها شيء قالوا
أو بعض يوم ثم قالوا من الكذب فلما نظروا إلى أظفارهم وأشعارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم قالوا ربكم أعلم
بما لبثتم قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة أي فابعثوا أحدكم بالورق الفضة مضروبة
كانت أو غير مضروبة وأما المدينة فهي أفسوس وقيل طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أفسوس فلما جاء الإسلام
سموها طرسوس ومعنى الآية فابعثوا المختار بدراهمكم هذه السوق فلينظر أيها أزكى طعاما أي أحل ذبيحة
لأن عامتهم كانوا مجوسا وفيهم مؤمنون يخفون إيمانهم وقيل أطيب خبزا وأبعد عن الشبهة لأن ملكهم كان
يظلم الناس في طعامهم وكانوا يحسبون أن ملكهم دقيانوس الكافر وقال عكرمة معناه أكثر وأفضل في معنى
أن الزكاء هو الزيادة قوله تعالى فليأتكم برزق منه وليتلطف أي بثوب وطعام وقوله تعالى
وليتلطف أي يترفق في الذهاب والمجيء وفي دخوله المدينة حتى لا يعرفه الكفار ولا يشعرن بكم أحدا أي لا
يخبرن أحدا من أهل المدينة بمكانكم قوله تعالى إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أي إنهم إن علموا بمكانكم يرجموكم بالحجارة
حتى يقتلوكم وقيل يشتموكم ويؤذوكم وكان من عادتهم القتل بالرجم وقيل هو أخبث القتل قوله تعالى أو
يعيدوكم في ملتهم أي إلى دينهم الكفر ولن تفلحوا إذا أبدا أي إن عدتم إلى دينهم ولم تظفروا بخير في الدنيا
ولا في الآخرة فإن قيل أليس لو أكرهوهم وأظهروا الكفر لم يكن في ذلك مضرة عليهم قيل يجوز أنه لم يكن في زمنهم
الإسلام جواز إظهار كلمة الكفر على وجه التقية قوله تعالى وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق
أي أطلعنا عليهم وذلك أنهم لما بعثوا بورقهم على يد يمليخا ومضى إلى السوق فإذا ملكهم مسلم قد أظهر علامات
الإسلام فبحث عن تغير الأمر وقال للخباز بعني طعاما بهذا الورق فلما رأى الخباز دراهمه أنكرها وقال له
من أين لك هذه وقد مضت ثلاثمائة سنة فإما أن تعطيني من هذا الكنز وإما أن أرفعك إلى الملك فإنك وجدت
كنزا فحمله إلى الملك فلم يجد بدا من أن يذكر للملك قصتهم فجاء الناس معه إلى باب الكهف فدخل هو عليهم وأخبرهم
بأن الملك تابعهم فجعلوا يشكون إذ ظهر القوم عليهم فسألوهم عن أمرهم فقصوا عليهم قصتهم فنظروا فإذا اللوح
الرصاص وفيه أسماؤهم وفرارهم من دقيانوس فقال الملك هؤلاء قوم هلكوا في زمان الكافر فأحياهم الله

في زمان تحصنوا المدة فوجدها ثلاثمائة سنة وتسع سنين فبناهم كذلك يحدثونهم إذ دخلوا المكان وقد ضرب
الله على آذانهم النوم فهكذا روي عن ابن عباس وذهب عكرمة إلى أن القوم دخلوا الكهف وقد ضرب الله
على آذانهم فهذا معنى قوله تعالى وكذلك أعثرنا عليهم قوله تعالى ليعلموا أن وعد الله حق أي ليعلم الملك وقومه
وغيرهم أن البعث بعد الموت كائن وأن الساعة لا ريب فيها قوله تعالى إذ يتنازعون بينهم أمرهم قيل كان
التنازع في أن قال بعضهم لبعض إنهم قد ماتوا في الكهف وقال بعضهم بل ناموا كما ناموا أول مرة وسيوقظهم
الله من بعد وقيل كانوا يتنازعون في البناء كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا أي قال بعضهم
ابنوا عليهم بنيانا كما تبنى المقابر كي نسترهم عن الناس وقال بعضهم بل نبني في هذا الموضع مسجدا يعبد الله فيه
وهو قوله الذين غلبوا على أمرهم وهم رؤساؤهم قوله تعالى ربهم أعلم بهم أي بلبثهم ورقادهم ودخولهم
لأن قوم الملك تنازعوا في قدر مكثهم في الكهف وفي عددهم وفيما يفعلون بعد ذلك قوله تعالى سيقولون ثلاثة
رابعهم كلبهم الآية وذلك أن أهل الكتاب الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهل هذه القصة
يختلفون في عددهم روي أن السيد والعاقب وأصحابهما من النصارى وكانوا أهل نجران كانوا عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب كانوا خمسة سادسهم
كلبهم رجما بالغيب أي ظنا من غير يقين كأنهم يرجمون بالغيب لقولهم فيهم بالغيبة عنهم وقال المسلمون
كانوا سبعة وثامنهم كلبهم وقال بعضهم هذه الواو واو الثمانية وذلك أن العرب يقولون واحد اثنان ثلاثة أربعة
خمسة ستة سبعة وثمانية لأن العقد عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة ونظيره قوله تعالى التائبون العابدون
الحامدون إلى قوله والناهون وقوله في صفة أهل الجنة وفتحت أبوابها وقوله في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
وأبكارا قوله تعالى قل ربي أعلم بعدتهم أي قل ربي أعلم كم كان عددهم وقوله تعالى ما يعلمهم إلا قليل
عني به الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه تعالى أخبره بعددهم وأمره أن لا يماري من ادعى معرفة عددهم إلا بأن
يبين له أنه يقوله بغير حجة ولا خبر عنده من الله تعالى فإن هذا العلم ليس هو عند أهل الكتاب وهذا هو المراء
الظاهر قوله تعالى ولا تستفت فيهم منهم أحدا أي لا تستفت في أصحاب الكهف من اليهود وأهل الكتاب
أحدا فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته فإنه كان مستغنيا بأخبار الله إياه عن أن يستفتيهم
وعن ابن عباس أنه قال أنا من القليل الذين يعلم عددهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم وإنما عرفه مما عاين من
رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله أي لا تقل
إني سأفعل شيئا حتى تقرن به قولك إن شاء الله فلعلك لا تبقى إلى الغد ولا تقدر من الغد وقال المفسرون لما
سأل اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن خبر الفتية وعدهم أن يخبرهم غدا ولم يقل إن شاء الله فحبس عنه الوحي حتى
شق عليه فأنزل الله هذه الآية يأمره بالاستثناء بمشيئة الله قوله تعالى واذكر ربك إذا نسيت قال ابن عباس
ومجاهد معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرته فاستثن وقال سعيد بن جبير إذا قلت لشيء إني فاعله غدا ونسيت أن تقول إن
شاء الله ثم تذكرت فقل إن شاء الله وإن كان بعد يوم أو شهر أو سنة وعن ابن عباس معناه إذا حلفت على شيء ثم
لم تستثن ثم ذكرت فاستثن بعد ذلك وقل إن شاء الله ولو كان إلى سنة ما لم يحنث وقال الحسن له أن يستثني في اليمين
ما لم يقم من المجلس وقال إبراهيم وعطاء والشعبي لا يصح الاستثناء إلا موصولا بالكلام فيكون المعنى على هذا القول
واذكر ربك إذا نسيت أي إذا نسيت شيئا فاذكر الله يذكرك وقال عكرمة واذكر ربك إذا غضبت قال وهب مكتوب
في الإنجيل يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب وقال الضحاك والسدي هذا في الصلاة لقوله صلى الله
عليه وسلم من نسي صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها قوله تعالى وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا
أي قل عسى أن يعطيني ربي من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشد وأدل من قصة أصحاب الكهف
قوله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا يعني من يوم دخلوا الكهف إلى أن بعثهم الله

وأطلع عليهم الخلق قال الفراء والزجاج والكسائي التقدير سنين ثلاثمائة لأن التفسير لا يكون بلفظ الجمع وقال
أبو علي الفارسي سنين بدل من ثلاثمائة وقرأ حمزة ثلاثمائة سنين بالإضافة غير منونة وقال الضحاك نزل قوله
تعالى ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة فقالوا أياما أو شهورا أو سنين فنزلت سنين قوله تعالى قل الله أعلم
بما لبثوا أي بمقدار ما لبثوا له غيب السموات والأرض أي له العلم بكل مستور عن الخلق في السموات والأرض
وفي قعر البحار قوله تعالى أبصر به وأسمع أي أخبر به لكل الناس فهو من خفي صفاته وقيل معناه ما أبصر الله لكل
موجود وما أسمعه لكل مسموع قوله تعالى ما لهم من دونه من ولي أي ما لأهل السموات والأرض من دون الله من
ولي ولا ناصر قوله تعالى ولا يشرك في حكمه أحدا أي لا يشرك في حكمه أحدا غيره وقرأ ابن عامر ولا تشرك
على المخاطبة أي لا تشرك أيها الإنسان على النهي قوله تعالى واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك أي اقرأ عليهم
القرآن وعرفهم أنه الحق لا مبدل لكلماته ولا خلف لخبره ولا مغير له قوله تعالى ولن تجد من دونه ملتحدا
أي ملجأ ومعدلا لهرب إليه من قولهم لحدت إلى كذا إذا ملت إليه ومنه اللحد لأنه يمال به إلى ناحية القبر ومنه
الإلحاد في الدين الميلان عنه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه نزلت هذه الآية في سلمان الفارسي وصهيب بن سنان وعمار بن ياسر وخباب وعامر بن فهيرة وغيرهم من
الفقراء كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان مع سلمان شملة قد عرق فيها إذ دخل عيينة بن حصن الفزاري
فقال يا محمد إنا رؤوس مضر وأشرافها والله ما يمنعنا من الدخول عليك إلا هذا يعني سلمان وأصحابه ولو أنا
إذا دخلنا عليك أخرجتهم عنا لاتبعناك لأنه يؤذينا ريحه أما يؤذيك ريحه فأنزل الله في سلمان وأصحابه
هذه الآية ومعناها واحبس نفسك يا أيها النبي مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه أي
رضوانه وتعظيمه قوله تعالى ولا تعد عيناك عنهم أي لا تصرف بصرك عنهم لفقرهم إلى غيرهم من ذوي
الهيئات والزينة قوله تعالى تريد زينة الحياة الدنيا أي مجالسة أهل الشرف والغنى وتريد هنا في موضع
الحال أي مريدا قوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا يريد عيينة
وأتباعه أي لا تطعهم في تنحية الفقراء عنك ليجلسوا إليك ومعنى أغفلنا قلبه عن ذكرنا أي جعلناه غافلا عن
القرآن والإسلام قوله تعالى وكان أمره فرطا أي ضياعا وندما وقيل هلاكا وقيل مخالفا للحق وقيل
باطلا وقيل ضيع أمره وعطل أيامه قوله تعالى وقل الحق من ربكم أي قل القرآن والدلالات على وحدانية
الله ونبوة رسوله هو الحق من ربكم والحق مرفوع على الحكاية وقيل خبر مبتدأ مضمر أي هو الحق والمعنى وقل
يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا يا أيها الناس الذي أتاكم به الحق من ربكم لم أتكلم به من قبل نفسي قوله تعالى
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر تهديد بلفظ التخيير والمعنى من شاء فيؤمن ومن شاء فليكفر فقد أعددت لكم نارا
على كفركم أحاط بهم سرادقها قال ابن عباس السرادق حائط من النار يحيط بهم وقيل دخان يحيط بهم قبل
أن يصلوا إلى النار وعن أبي سعيد الخدري قال سرادق النار أربعة جدر غلظ كل جدار مسيرة أربعين
سنة فهذه الجدر محيطة بهم وقال ابن عباس معنى الآية فمن شاء الله له الإيمان آمن ومن شاء له الكفر كفر
قوله تعالى وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي معناه وإن يستغيثوا من شدة الحرارة يغاثوا بماء
كعكر الزيت أسود غليظ وقيل إن المهل هو الصفر المذاب ويقال هو القيح والدم قوله تعالى يشوي الوجوه
إذا قرب ليشربه أنضج الوجه بحرارته فأسقط فروة وجهه ولحمه فيه بئس الشراب وساءت النار مرتفقا
أي بئست منزلا لهم مأخوذ من المرفق لأنهم يتكئون على مرافقهم وقيل معناه وساءت منزلا ومقيلا وقيل مجتمعا
مأخوذ من المرافقة قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا أي لا
نبطل ثواب من أخلص لله تعالى ويجوز أن يكون معناه إنا لا نضيع أجر من أحسن منهم بل نجازيهم ثم ذكر جزاءهم
قوله تعالى أولئك لهم جنات عدن أي بساتين إقامة وقد ذكرنا صفات جنات عدن قوله تعالى يحلون

فيها من أساور من ذهب أي يلبسون في الجنان ذلك قال الزجاج أساور جمع أسورة وأسورة جمع أسوار وهي زينة تلبس في الزند من اليد من زينة الملوك تسور في اليد وتتوج على الرأس قال ابن جبير على كل واحد منهم ثلثة من الأساور واحد من فضة وواحد من ذهب وواحد من لؤلؤ ويواقيت وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن أدنى أهل الجنة حلية عدلت حليته بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما حلاه الله في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعها قوله تعالى ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق الخضر جمع أخضر وهو أحسن ما يكون من الثياب والسندس الديباج الرقيق الفاخر وقيل هو الحرير وواحد السندس سندسة والإستبرق الديباج الغليظ الذي له بريق قوله تعالى متكئين فيها على الأرائك أي في الجنان على الأرائك أي على السرر في الحجال وهي سرر ذهب مكلل بالدر والياقوت نعم الثواب جزاء أعمالهم وحسنت الأرائك مرتفقا أي متكئا قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب الآية هذا مثل ضربه الله لعباده ليستدعيهم إلى طاعته ويزجرهم عن كفران نعمته والمعنى واضرب لهم مثلا رجلين قال ابن عباس كانا أخوين في بني إسرائيل توفي أبوهما وترك ثمانية آلاف دينار وكان أحدهما مسلما والآخر كافرا واقتسما لكل واحد منهما أربعة آلاف دينار فالمسلم أنفقها في سبيل الله حتى أنفدها فأوجب الله له الجنة والكافر اشترى بها بساتين واحتاج المسلم إليه فأتاه يتعرض لمعروفه فقال له أين مالك قال أنفقته في سبيل الله فقال له الكافر لا أعطيك شيئا حتى تتبع ديني ثم أخذ بيد أخيه وأدخله بساتينه وجعل يطوف به فيها ويقول له ما أظن أن تبيد هذه أبدا فذلك قوله تعالى جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب أي جعلنا للكافر منهما بساتين من كروم وحففناهما بنخل أي أطفنا حول البساتين نخلا وجعلنا بينهما زرعا أي بين البساتين زرعه قوله تعالى كلتا الجنتين آتت أكلها أي كل البساتين أخرجت ثمرها ولم تظلم منه شيئا أي لم ينقص منه شيء كان لا يذهب صنف من الثمار إلا أثمر صنف آخر وإنما قال آتت ولم يقل آتتا لأن المعنى أعطت كل واحدة من الجنتين ولفظ كلتا واحد لأن الألف في كلتا ليست ألف التثنية كأنه قال كل واحدة منهما آتت أكلها قوله تعالى وفجرنا خلالهما نهرا أي فجرنا وسط البساتين نهرا يسقيهما وكان له ثمر أي كان لهذا الكافر ذهب وفضة ومن كل المال وقيل ثمار من قرأ بضم الثاء فمعناه صنوف من أموال الذهب والفضة وغيرهما يقال أثمر الرجل إذا كثر ماله ومن قرأ بنصب الثاء كان معناه ثمرة البساتين والأول أقرب لأن قوله كلتا الجنتين آتت أكلها يدل على الثمار فيقتضي أن يكون الثمر غير ذلك قوله تعالى فقال لصاحبه أي لأخيه المسلم وهو يحاوره أي يراجعه بالكلام ويناجيه أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا يعني خدما وحشما ولذلك قال ذلك على أخيه ورأى تلك النعم من قبل نفسه لا من قبل الله قوله تعالى ودخل جنته وهو ظالم لنفسه أي دخل الكافر بستانه وهو ظالم لنفسه بالكفر وترك الشكر قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا أي ما أظن أن تفنى هذه أبدا قال المفسرون أخذ بيد أخيه المسلم فأدخله وطاف به فيهما وأراه إياها وجعل يعجبه منها ويقول ما أظن أن تفنى هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة أنكر البعث والثواب والعقاب وأخبر أخاه بكفره وإنكاره للقيامة قوله تعالى ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا يعني لئن كان البعث حقا ورددت إلى ربي على زعمك لأجدن في الآخرة خيرا منها مرجعا ومنزلا ولو لم يعطني الله هذه في الدنيا لما أعطانيها لفضل منها لكرامتي عليه ومن قرأ منهما فمعناه الجنتين التي تقدم ذكرهما وفي هذا بيان أن الكافر لم يكن قاطعا بنفي المعاد ولكن كان شاكا فيه والشاك في المعاد كافر قوله تعالى قال له صاحبه وهو يحاوره أي أجابه صاحبه وهو المسلم منكرا له بما قال وهو يخاطبه أكفرت بالذي خلقك من تراب أي بالذي خلق أصلك من تراب ثم خلقك من نطفة أبيك ثم سواك رجلا أي أكملك وجعلك معتدل الخلق والقامة وجعلك بشرا سويا قوله تعالى لكن هو الله ربي معناه إما أنا فلا أكفر لكني هو الله ربي ومعناه لكن أنا وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره لكن هو الله ربي أنا علم بذلك أخاه

الكافر

الكافر بأنه موحد مسلم ومن قرأ لكنا فالمعنى لكن أنا إلا أنه حذفت الهمزة وألقيت حركتها على النون الساكنة التي قبلها فالتقى نونان فأدغمت أحدهما في الأخرى قوله تعالى ولا أشرك بربي أحدا ظاهر المراد قوله تعالى ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله معناه أن المسلم قال للكافر فهلا قلت حين دخلت ما شاء الله أي الأمر بمشيئة الله وما شاء الله كان يعني إن شاء الله خراب هذه الجنة وأهلاكها كان ذلك عشية الله لا قوة إلا بالله أي لا يقوى أحد على ما في يده من ملكه ونعمه إلا بالله ولا يكون له إلا ما شاء الله ولا قوة في بدنه وملكه إلا بالله قوله تعالى إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا معناه أن المسلم قال له إن كنت أنا أقل منك مالا لأني عتقت فأنا راض بما قسم لي قوله تعالى أقل منصوب لأنه مفعول ترني وقوله أنا عماد ومن قرأ أقل بالرفع يجعل معنى أنا مبتدأ وأقل خبره والجملة في موضع المفعول قوله تعالى فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك أي لعل الله يعطيني في دار البقاء بستانا خيرا من بستانك في الدنيا ويرسل عليها أي على بستانك حسبانا من السماء يعني فيها وسمي العذاب حسبانا على معنى أنه يرسل عليها بحسبان ما كسبت يداك وقال النضر بن شميل الحسبان المرامي أي يرسل عليها مرامي عذابه إما بردا أو حجارة وغيرهما مما يشاء من أنواع العذاب فتصبح صعيدا زلقا أي أرضا ملساء لا نبات عليها قوله تعالى أو يصبح ماؤها غورا أي غائرا في الأرض يعني النهر الذي في خلالها فلن تستطيع له طلبا أي لا يبقى له أثر تطلبه بوجه من الوجوه لا تناله الأيدي ولا الأرشية قوله تعالى وأحيط بثمره أي أهلك ماله وبستانه يقال أحيط بالقوم إذا أهلكوا فأصبح الكافر يقلب كفيه أي يضرب بإحدى يديه على الأخرى وتقليب الكفين يفعله النادم كثيرا وصار عبارة عن الندم على ما أنفق فيها أي في جنته وهي خاوية على عروشها أي ساقطة على سقوفها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا فندم حيث لا ينفعه الندم ولم يكن ندمه على شركه إيمانا منه لأنه لم يقل تحقيقا للتوبة ولكن كان تأسفا على إهلاك ماله قوله تعالى ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله أي لم تنصره الفئة الذين افتخر بهم في قوله وأعز نفرا وما كان منتصرا بأن يسترد ما ذهب منه قوله تعالى هنالك الولاية لله الحق أي في ذلك الموطن علم الكافر أن الولاية والنصر لله الحق فهو الذي يملك النصر هذا معنى قراءة الولاية بخفض الواو وأما الولاية بفتح الواو فهو نقيض العداوة وقيل إن معنى قراءة الولاية بالكسر الإمارة والسلطان يعني يوم القيمة الولاية لله ومن قرأ بفتحها فهو من الولاية كقوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يعني بالكسر فهو نعت لله ومن رفعه فهو نعت للولاية قوله تعالى هو خير ثوابا أي هو خير من أثاب وجازى على العمل وخير عقبا أي خير من أعقب عاقبة وقيل عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره قال ابن عباس هذان الرجلان هما اللذان ذكرهما الله في سورة والصافات قال قائل منهم إني كان لي قرين إلى قوله تعالى فاطلع فرآه في سواء الجحيم قوله تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الآية أي اضرب يا محمد لهؤلاء المتكبرين المعرضين من قومك الذين سألوك طرد فقراء المؤمنين صفة الحيوة الدنيا في بقائها وفنائها كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فنجع في النبات حتى خالطه وأخذ النبات زخرفه فصار أجناسا مختلفة بعضها مختلط ببعض فأصبح هشيما متفتتا وهو ما تكسر وانحطم من قرقة الرياح وطارت به كما تطير بالأشياء الخفيفة ولا يبقى له أثر كذلك الدنيا تنقضي ولا يبقى منها شيء كما لا يبقى من الهشيم شيء وكان الله على كل شيء مقتدرا أي لم يزل قادرا على خلق الأشياء قال الحكماء شبه الله الدنيا بالماء لأن الماء لا يستقر في موضع كذلك الدنيا لا تبقى على أحد قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا أي مما يتمتع به في الدنيا لا في الآخرة والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا قيل إنها الصلوات الخمس وقيل جميع الطاعات وسميت الباقيات لبقاء ثوابها للإنسان بخلاف الأموال والأولاد التي لا تبقى قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد هي قول العبد سبحان الله

والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يدل عليه ما روي عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ غصناً فخرطه حتى سقط ورقه فقال إن المسلم إذا قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تحاتت خطاياه كما تحات هذا خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن فإنهن من كنوز الجنة وهن الباقيات الصالحات وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خذوا جنتكم من النار قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنهن المقدمات وهن المنجيات وهن المعقبات وهن الباقيات الصالحات. وقال عثمن بن عفان وابن عمر وسعيد بن المسيب هن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هي يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عجزتم من الليل أن تكابدوه وعن العدو أن تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنها من الباقيات الصالحات. وقيل هي كل عمل صالح يثاب عليه قوله تعالى خير عند ربك ثواباً وخير أملاً أي أفضل ثواباً وأفضل أملاً من المال والبنين قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة أي واذكر يوم نسير الجبال ويجوز أن يكون المعنى وخير أملاً يوم نسير الجبال وتسييرها قلعها فإن الله تعالى يقلعها عن وجه الأرض يومئذ فيسيرها في الهواء كما يسير السحاب في الدنيا ثم يجعلها هباء منبثاً فتعود في الأرض حتى لا يبقى شيء وكذلك قال الله تعالى وترى الأرض بارزة أي ظاهرة مستوية لا تستر شيئاً ولو كان عليها شيء من الجبال والأشجار والبنيان لم تكن الأرض بارزة قوله تعالى وحشرناهم يعني المؤمنين والكافرين أي بعثناهم من قبورهم فلم نغادر منهم أحداً أي لم نترك منهم أحداً في قبره لنسيان ولا غفلة قوله تعالى وعرضوا على ربك صفاً أي معناه أن الناس كلهم يعرضون على الله تعالى في صفوف من كل زمرة وأمة صف فيكون ثم صفاً بعد صف كصفوف في الصلوة إلا أنهم صف واحد قوله تعالى لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة أي أعدناكم كما خلقناكم أول مرة وقال ابن عباس جئتمونا حفاة عراة غرلاً ليس معهم شيء مما اكتسبوه في الدنيا كما في أول الخلق قال صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة من قبورهم حفاة عراة غرلاً فقالت عائشة واسوأتاه يا رسول الله أما يستحيي بعضهم من بعض فقال صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه قوله تعالى بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً أي بل زعمتم في الدنيا أن لن نجعل لكم أجلاً للبعث وهذا خطاب لمنكري البعث خاصة قوله تعالى ووضع الكتاب أي كتاب كل إنسان في يده بعضهم في اليمين وبعضهم في الشمال فترى المجرمين أي المذنبين وهم المشركون مشفقين مما فيه أي خائفين مما في الكتاب يدعون على أنفسهم بالويل والثبور ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك وقال ابن جبير الصغيرة المسيس والقبل والكبيرة الزنا والمعنى لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمالنا إلا أثبتها قوله تعالى ووجدوا ما عملوا حاضراً أي وجدوا أجر ما عملوا مكتوباً مثبتاً في الكتاب ولا يظلم ربك أحداً أي لا ينقص ثواب أحد من حسناته ولا يزيد في سيئات أحد ولا يعاقب بغير جرم وروي أن الفضيل بن عياض كان إذا قرأ هذه الآية قال يا ويلتاه ضجوا إلى الله من الصغائر قبل الكبائر قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قد تقدم تفسيره قوله تعالى كان من الجن قد تقدم أيضاً الخلاف في أنه كان من الملائكة أم من الجن بني الجان والصحيح أنه من الجان وهم جنس غير جنس الملائكة لأن الملائكة رسل الله ولا يجوز على رسول من رسل الله أن يكفر قوله تعالى ففسق عن أمر ربه أي خرج عن طاعة ربه وقيل ذا أمر ربه أفتتخذونه

وذريته

وذريته أولياء من دوني هذا استفهام بمعنى الإنكار تقول كيف تطيعونه وقد فسق وهو لكم عدو بئس للظالمين بدلاً أي بئس ما استبدل الظالمون عن رب العزة إبليس لعنه الله حيث تركوا الطاعة من خلقهم وأنعم عليهم وتجاوزهم جنة الخلد وأطاعوا من يوردهم إلى العقاب الدائم قوله تعالى وذريته قال قتادة والحسن يعني أولاد إبليس وهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم قال مجاهد فمن ذرية إبليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلوة والهفاف وزلنبور صاحب راية إبليس بكل سوق وثبر صاحب المصائب يأمر بضرب الوجه والدعاء بالويل والثبور وغير ذلك والأعور وهو صاحب أبواب الزناء ومسوط وهو صاحب الأخبار يأتي بها فيلقيها في أفواه الناس ولا يوجد لها أصل وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته فلم يسلم ولم يذكر اسم الله بصره في المتاع ما لم يرفع ولم يوضع في موضعه وإذا أكل الرجل ولم يذكر اسم الله أكل معه ومن أولاد إبليس أيضاً الهفاف ومرة وبه كان يكنى أبا مرة وقال ابن عبد البر إبليس أبو الجن كما أن آدم أبو البشر قال الله تعالى لإبليس إني لا أخلق لآدم ذرية إلا جعلت لك مثلها فليس من ولد آدم أحد إلا وشيطان قرن به قوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم يعني إبليس وذريته والمعنى ما أطلعتهم على خلق السموات والأرض ولا خلق بعضهم ولم يكونوا موجودين يوم خلقت السموات والأرض ولا أشهدت بعضهم خلق بعض ولا أعطيتهم العلم بكيفية خلق الأشياء ولو كنت مستعيناً بأحد لما استعنت بالمضلين وكيف يعتمد على مستحيله إذا أردت خلق شيء كان والمعنى أنكم اتبعتم الشيطان كاتباع من يكون عنده علم بباطن الأشياء وأنا ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم قوله تعالى وما كنت متخذ المضلين عضداً أي ما كنت متخذ الشياطين الذين يضلون الناس أعواناً يعضدونني. وقرئ وما كنت بالفتح والمعنى وما كنت يا محمد تتخذ المضلين أنصاراً قوله تعالى ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم معناه يوم القيمة يقول الله للمشركين نادوا شركائي الذين زعمتم أنهم شركائي وهم الأصنام والشيطان وذريته ليدفعوا عنكم عذابي فدعوهم فلم يستجيبوا لهم أي فلم يجيبوهم وجعلنا بينهم موبقاً أي جعلنا بين العابد والمعبود من العذاب ما يوبقهم أي ما يهلكهم وقيل معناه وجعلنا بينهم وبين المؤمنين أي بين أهل الهدى وأهل الضلالة موبقاً وقال عبد الله بن عمرو هو واد في جهنم من الصديد والقيح والدم تفرق به يوم القيمة بين أهل لا إله إلا الله وبين من سواهم وقال عكرمة هو نهر من النار يسيل نار على حافتيه حيات مثل البغال الدهم وقال الضحاك معناه وجعلنا بينهم مهلكاً وقال الحسن عداوة وتقاطعاً وبغضة الله أي أهلكه وقيل أي هلك قرأ حمزة ويوم نقول بالنون قوله تعالى ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها أي ورأى المشركون النار من مسيرة أربعين سنة وأيقنوا أنهم داخلوها ولم يجدوا عنها مصرفاً أي لا يجدون عنها معدلاً لأنها أحاطت بهم من كل جانب والمواقعة ملابسة الشيء بشدة ومنه وقائع الحروب قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل أي بينا لهم من كل مثل يحتاجون إليه في دينهم وكان الإنسان أي الكافر أكثر شيء جدلاً في تكذيب الرسل وما جاؤوا به من الآيات قيل أراد بالإنسان النضر بن الحارث وجداله في القرآن وقال الكلبي يعني أبي بن خلف وجداله في البعث معناه ما ليس شيء من الملائكة والجن والشياطين [illegible] وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل قوله تعالى وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلاً أي ما منع أهل مكة أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى يعني محمداً صلى الله عليه وسلم جاءهم من الله بالرشاد ويستغفروا ربهم أي يتوبوا من الكفر ما منعهم من ذلك إلا طلب أن تأتيهم سنة الأولين وهي أنهم إذا لم يؤمنوا جاءهم العذاب من حيث لا يشعرون أو مقابلة من حيث يرون وهذه الآية فيمن قتل من المشركين ببدر وأحد وهو قوله أو يأتيهم العذاب قبلاً أي عياناً مقابلة وقرأ أهل الكوفة

قبلا بسم الفاقه الباء جمع قبيل أي صنوفا من العذاب وضروبا منه مختلفة قوله تعالى وما نرسل المرسلين
إلا مبشرين ومنذرين ظاهر المعنى ويجادل الذين كفروا بالباطل أي يخاصم الذين كفروا الأنبياء
والرسل بالحجة الباطلة ليدحضوا به الحق أي ليبطلوا به الإسلام والقرآن قال ابن عباس يعني المستهزئين
والمقتسمين وأتباعهم يقال دحضت حجته إذا بطلت قوله تعالى واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا أي
اتخذوا القرآن وما خوفوا به من النار والقيامة هزوا قوله تعالى ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه الآية ليس
أحد أظلم ممن وعظ بالقرآن وما فيه من الوعيد فأعرض عنها أي تهاون بها ولم يتفكر فيها و قوله تعالى
ونسي ما قدمت يداه أي ونسي ما قدمت يداه أي ترك ذكر ما عملت يداه وتغافل عن ذكره إنا جعلنا
على قلوبهم أكنة أي أغطية لئلا يفقهوا الهدى وجعلنا في آذانهم وقرا لئلا يسمعوه قوله تعالى وإن تدعهم
إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا أي إن تدعهم إلى القرآن وإلى الإيمان فلن يهتدوا أخبر الله أن هؤلاء طبع الله على
قلوبهم قوله تعالى وربك الغفور ذو الرحمة أي الغافر الساتر على عباده ذو الرحمة حين لا يعاجلهم بالعقوبة
لو يؤاخذهم بعقاب ما كسبوا لعجل لهم العذاب في الحال بل لعذابهم أي أجل ضربه الله لهم موعد لن يجدوا
من دونه موئلا أي ملجأ ولا منجا قوله تعالى وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا أي القرى الماضية قرى
عاد وثمود لما أشركوا والمراد أهل القرى وجعلنا لمهلكهم موعدا أي لوقت إهلاكهم أجلا قوله تعالى وإذ
قال موسى لفتاه لا أبرح أي واذكر إذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون قال ابن عباس في قصته ذلك أن موسى عليه
السلام قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه فقال له إن لي عبدا بمجمع البحرين هو
أعلم منك قال موسى كيف لي به يا رب دلني عليه فقال تأخذ معك حوتا وتمضي إلى شاطئ البحر فحيث ما فقدت الحوت
فهو ثم فأخذ حوتا من السمك في مكتل وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون إلى شاطئ البحر وأتيا إلى صخرة عندها عين
تسمى ماء عين الحياة فجلس يوشع متوضئا من تلك العين فانتضح من ذلك الماء على الحوت فحيي ووثب في الماء واتخذ
سبيله في البحر سربا أي اتخذ الحوت طريقا في البحر مسلكا يابسا وقيل يعني قوله سربا أي ذاهبا فقام يوشع حين
رأى ذلك الحوت وذهب إلى موسى ليخبره بذلك فنسي وذهبا يومهما ذلك حتى صليا الظهر من الغد فعيي
موسى فقال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا أي تعبا وعيا وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح أي لا أزال أمضي
حتى أبلغ الموضع الذي يلتقي فيه بحر فارس والروم أو أمضي سنين كثيرة والحقب جمع أحقاب والأحقاب جمع حقب
والحقب ثمانون سنة وقيل سبعون سنة بلغة قريش وسمي يوشع فتاه لأنه كان يخدمه ويلازمه في الحضر والسفر
للعلم منه قوله تعالى فلما بلغا مجمع بينهما أي الموضع الذي يجتمع فيه البحران نسيا حوتهما نسي صاحبه أن يخبره بخبر
الحوت قال المفسرون وكانا تحوتا في زنبيل وكانا يأكلان منه عند الغداء والعشاء فلما انتهيا إلى الصخرة
على ساحل البحر وضع فتاه الزنبيل فأصاب الحوت من الماء الذي ذكرنا شيء فتحرك في الزنبيل فانسرب في البحر
وقد قيل كان لموسى تزود معه حوتا مالحا فحيث يفقد الحوت فهناك يجد الرجل العالم فلما انتهيا إلى الصخرة
قال موسى لفتاه امكث هنا حتى آتيك وانطلق لحاجته فجرى الحوت في البحر تعالى فتاه إذا جاء نبي الله أخبره
بذلك فأنساه الشيطان وذلك قوله تعالى نسيا حوتهما وإنما نسيه يوشع أن يذكر قصته لموسى وأضاف النسيان
إليهما لأنه يشغلهما جميعا تزوداه فصار كما يقال نسي القوم زادهم وإنما نسيه أحدهم قوله تعالى فاتخذ
سبيله في البحر سربا أي جعل الحوت يضرب بذنبه في البحر ولا يضرب شيئا وهو ذاهب إلا يبس موضعه كهيئة السرب
قال قتادة جعل لا يسلك طريقا إلا صار الماء جامدا وقال الربيع انجاب الماء عن مسلك الحوت في الماء فصار
كوة لم يلتئم والسرب في اللغة المحفور في الأرض وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر وقال ابن
عباس جعل الحوت لا يمس شيئا من الماء إلا يبس حتى صار صخرة قوله تعالى فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا

قيل

أي

أي لما جاوزا مجمع البحرين قال موسى ليوشع آتنا بما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا تعبا ومشقة فلما قال
له موسى ذلك تذكر قصة الحوت قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة عند مجمع البحرين فإني نسيت ما رأيت
هنالك من أمر الحوت أي أن أذكره لك ثم أنساني الله وما شغلني عن ذكره لك إلا وسوسة الشيطان أن أذكره
واتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا أي شيئا عجيبا وهو أن الماء انجاب عنه وبقي كالكوة لم يلتئم قوله تعالى
قال ذلك ما كنا نبغ أي قال له موسى ذلك الذي كنا نطلب لأنه كان أمارة لنا من الله تعالى على موضع الخضر ونريد من
العلامة فارتدا على آثارهما قصصا أي رجعا عادا في الطريق الذي جاءا منه يقصان آثارهما قصصا
والقص اتباع الأثر ومنه قوله قصيه قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا وهو الخضر قال ابن عباس وذلك
أنهما لما انتهيا إلى الصخرة جعل يوشع يري موسى مكان الحوت وأثره في الماء وكان موسى يتعجب من ذلك إذ
وقع بصر موسى على رجل قائم يصلي فانتظره حتى فرغ وسلم عليه فرد عليه السلام وإنما سمي الخضر لأنه إذا صلى
في مكان اخضر ما حوله قوله تعالى آتيناه رحمة من عندنا أي أكرمناه بالنبوة وعلمناه من لدنا علما
بواطن الأمور قال ابن عباس أعطاه علما من علم الغيب قوله تعالى قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما
علمت رشدا أي ما يهديني إلى الصواب ويجوز أن يكون بمعنى رشدا أرشد به رشدا والرشد والرشد لغتان
قال قتادة لو كان أحد مكتفيا عن العلم لاكتفى نبي الله موسى عليه السلام ولكنه قال هل أتبعك على أن تعلمن
قال الزجاج إن في فعل موسى عليه السلام وهو من كبار الأنبياء من طلب العلم والرحلة فيه دليل أنه لا ينبغي
لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه قوله تعالى قال إنك لن تستطيع
معي صبرا أي قال الخضر لموسى إنك ترى مني شيئا لا تصبر عليه وكيف تصبر على ما ظاهره منكر والأنبياء
والصالحون لا يصبرون على ما يرونه منكرا قال ستجدني إن شاء الله صابرا على ما أراه منك ولا أعصي
لك أمرا تأمرني به قوله تعالى قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء أي قال الخضر لموسى فإن اتبعتني فلا
تسألني عن شيء أنكرت فعله ولا تعجل في المسألة عنه حتى أبين لك الوجه فيه وأفسر لك ما قد غاب علمه عنك
قوله تعالى فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها أي فمضيا حتى إذا ركبا في السفينة نقبها
الخضر وذلك أنهما لما مشيا على الساحل مرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهما فحملوهما بغير أجرة قال ابن عباس
فلما ركبا في السفينة أخذ الخضر فأسا ومسمارا وأكب على السفينة يخرقها فقال له أهل السفينة
سلكك الله تعالى لم تخرقها وأتاه موسى فقال له يا عبد الله لا تفعل كذا وإنك تغرقهم فلم يكلمه الخضر
حتى خرق السفينة قيل إنه قلع لوحين مما يلي الماء فحشاهما موسى بثوبه وقال منكرا عليه أخرقتها
لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا أي منكرا ثم نحي موسى فجلس وقال ما أصنع في اتباع هذا الرجل الذي
يظلم الناس كنت في بني إسرائيل أقرأ عليهم التوراة بكرة وعشية ويقبلون مني فتركت ذلك وصحبت هذا الظالم
فقال له الخضر بعد ما أخرج أهل السفينة متاعهم إلى الساحل تدري ما تحدث به نفسك قال وما هو قال أخبرك
بما حدثت به نفسه ثم قال له الخضر ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا قوله تعالى لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني
من أمري أي بما تركت من عهدك ووصيتك وقيل أراد به النسيان الذي هو ضد الذكر قوله تعالى ولا ترهقني
من أمري عسرا أي لا تكلفني مشقة وعاملني باليسر لا بالعسر ولا تضيق علي في صحبتي إياك وأصل الرهق الغشيان
يقال رهق الفارس فلانا إذا غشيه وأدركه قوله تعالى فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال
سعيد بن جبير وجد الخضر غلمانا يلعبون فأخذ غلاما وضيء الوجه قال ابن عباس كان من أحسنهم
وأصبحهم فأخذ من بينهم فصرعه وأضجعه ثم ذبحه بالسكين وكان غلاما لم يبلغ الحنث وقيل إنه أخذ
رأسه فقلعه وكان اسم الغلام جيسور وقيل حيسور فقال له موسى حين رأى ذلك أقتلت نفسا
زاكية بغير نفس أي قتلت نفسا بريئة من الذنوب لم تجن ما يوجب قتلها ومن قرأ زاكية فمعناه

فطاهرة من الذنوب لم تبلغ الحلم لقد جئت شيئا نكرا أي فظيعا منكرا لا يعرف في شرع وقد اختلفوا في
هذا الغلام أنه كان بالغا لأن غير البالغ لا يقتل وإن قتل غيره وكان هذا الغلام يقطع الطريق ويلجأ
إلى أبويه فيحلفان دونه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الغلام الذي قتله الخضر
طبع كافرا وقوله تعالى شيئا نكرا أي منكرا عظيما قال القتيبي النكر أبلغ من الإمر في الإنكار لأن قتل النفس أشد
من خرق السفينة وقال الزجاج الإمر أبلغ في الإنكار لأن خرق السفينة يوجب غرق أهلها وذلك أعظم من
قتل النفس واحدة قوله تعالى قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا ظاهر المعنى قوله تعالى قال إن
سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني إن طلبت صحبتك قد بلغت من لدني عذرا أي بلغت من
عندي إلى وقت العذر وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله أخي موسى استحيا فقال إن سألتك
عن شيء بعدها فلا تصاحبني ولو تثبت مع صاحبه لأبصر الأعاجيب قوله تعالى من لدني قرأ العامة بتشديد
النون وهو الأجود لأن أصل لدن الإسكان وإذا أضفتها إلى نفسك زدت نونا ليسلم سكون النون الأولى
كما تقول عن زيد وعني ومن قرأ بتخفيفها قال لدن اسم غير متمكن يجوز حذف النون منه قوله تعالى فانطلقا
حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها قيل هي قرية أنطاكية وقوله تعالى استطعما أهلها أي سألاهم
الطعام فأبوا أن يضيفوهما قال صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية لئاما قوله تعالى فوجدا فيها
جدارا يريد أن ينقض فأقامه أي جدارا مائلا قد قارب الانهدام بحيث يسقط بسرعة قال وهب كان جداره
طوله في السماء مائة ذراع وأما قوله يريد أن ينقض هذا من مجاز كلام العرب لأن الجدار لا إرادة له وإنما
معناه قرب ودنا قوله تعالى فأقامه قال ابن عباس هدمه ثم أعاد بناءه وقال ابن جبير مسح الجدار ورفعه
بيده فاستقام وقوله تعالى فأبوا أن يضيفوهما قرأ أبو رجاء يضيفوهما مخففة وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال كانوا أهل قرية لئاما وقال قتادة في هذه الآية شر القرى التي لا تضيف الضيف ولا
تعرف لابن السبيل حقه قوله تعالى قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا أي قال له موسى لو شئت لاتخذت
على إعادتك الجدار جعلا نأكله وقرئ لتخذت ومعناه معنى الأول قوله تعالى قال هذا فراق بيني وبينك
أي هذا الكلام والإنكار على تركك الأجر هو المفرق بيننا لأنك قد حكمت على نفسك وقيل معناه هذا فراق بيننا
أي فراق اتصالنا والشرح لها اتحاد قوله تعالى سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أي سأخبرك
بتأويل الأشياء التي رأيتها مني ولم تصبر عليها قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر
فأردت أن أعيبها بالخرق وكان أمامهم ملك يقال له جلندى يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا وقوله
وراءهم يعني قدامهم وفيه دليل أن للوصي أن يعيب مال اليتيم إذا رأى فيه مصلحة قوله تعالى وأما الغلام فكان
أبواه مؤمنين أي الغلام الذي قتلته كان كافرا وكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا
وكفرا ولذلك قتلته وكان قد علمه الله بذلك قال صلى الله عليه وسلم إن الغلام الذي قتله الخضر طبع
كافرا ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا رواه مسلم في الصحيح قوله تعالى فأردنا أن يبدلهما ربهما
خيرا منه زكاة وأقرب رحما أي فأراد الله أن يبدلهما ولدا خيرا منه صلاحا وطهارة وقوله تعالى
وأقرب رحما أي وأوصل للرحم وأبر بالوالدين قال ابن عباس أبدلهما الله جارية تزوجها نبي من الأنبياء فولدت
سبعين نبيا قوله تعالى وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة أي في القرية المذكورة وكان اسم اليتيمين
أصرم وصريم وكان تحته كنز لهما قيل إنه كان مالا وقيل كان علما وعن ابن عباس أنه قال لوح من
ذهب وفيه بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن
أيقن بالنار كيف يضحك وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن
إليها وقيل كان ذهبا وفضة قوله تعالى وكان أبوهما صالحا أي كان ذا أمانة كان يقال له كاشح

وقيل

وقيل كان بينهما من الآباء ... قال سعيد بن جبير عن ابن عباس حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاحا قال
جعفر بن محمد كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء وعن محمد بن المنكدر قال إن الله تعالى ليحفظ بالرجل
الصالح ولده وولد ولده وأهل دويرته وأهل دويرات حوله والتي هو فيها فما يزالون في حفظ الله ما دام
فيهم قوله تعالى فأراد ربك أن يبلغا أشدهما أي فأراد ربك ترك الأمر بتسوية الجدار إلى أن يكبرا ويعقلا
ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وهذا نصب على المصدر أي رحمهما الله بذلك رحمة قوله تعالى وما
فعلته عن أمري وإنما فعلته بأمر الله تعالى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا وأصله تستطع الأول التاء
والثاني مخرج واحد فحذفت التاء لما اجتمعا لتخف اللفظ وروي أن الخضر لما أراد أن يفارق موسى وصاه
قال يا موسى انزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير المذنبين بخطاياهم
وابك على خطيئتك يا ابن عمران قوله تعالى ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا يعني يسألك اليهود
يا محمد عن خبر ذي القرنين قل سأقرأ عليكم خبره قال مجاهد ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان
سليمان وذو القرنين والكافران النمرود وبختنصر واختلفوا في تسميته بذي القرنين فقال بعضهم لأنه ملك
فارس والروم وقيل لأنه دعا قومه إلى التوحيد فضربوه على قرنه الأيمن ثم قيل على قرنه وقيل لأنه دخل النور والظلمة
وقيل لأنه بلغ قطري الأرض وكان اسمه إسكندر قوله تعالى إنا مكنا له في الأرض أي ملكناه في الأرض
وآتيناه من كل شيء سببا أي من كل شيء يستعين به الملوك على فتح المدائن ومحاربة الأعداء سببا أي بلاغا إلى حيث
أراد وقيل قربه إلى أقطار الأرض كما سخرنا الريح لسليمان وقال علي رضي الله عنه سخر الله له السحاب فحمله
عليها ومد له في الأسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وهذا معنى تمكينه في الأرض وهو أنه سهل
عليه السير فيها وذلل له طرقها قوله تعالى فأتبع سببا أي طريقا يؤديه إلى مغرب الشمس قوله تعالى حتى إذا
بلغ مغرب الشمس أي إلى قوم لم يكن بينهم وبين مغرب الشمس أحد لأنه لا أحد يمكنه أن يبلغ موضع مغرب الشمس
قوله تعالى وجدها تغرب في عين حمئة أي أنها تغرب في الماء وقيل في عين ذات حمأة وهي الطين الأسود
المنتن ومن قرأ حامية أي حارة وهم العبادلة الثلاثة عبد الله بن مسعود وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو
وابن عامر وأهل الكوفة قوله تعالى ووجد عندها قوما أي عند العين قلنا يا ذا القرنين قيل في
هذا دليل أن ذا القرنين كان نبيا من الأنبياء لأن الإنسان لا يعلم أمر الله إلا بالوحي ولا يجوز الوحي إلا إلى الأنبياء
وقيل كان معه نبي فأوحى الله إلى ذلك النبي وفي الجملة لا يمكن إثبات النبوة إلا بدليل مقطوع به وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذي القرنين فقال هو ملك مسح الأرض وقال ابن الأنباري إن كان نبيا فإن الله
قال له كما قال للأنبياء إما تكلم أو بوحي وإن قال لم يكن نبيا فإن معنى قوله قلنا ألهمنا كقوله وأوحينا إلى
أم موسى أي ألهمناها قوله تعالى إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا أي قلنا له إما أن تقتلهم
على الكفر إن أبوا الإسلام وإما أن تأسرهم فتعلمهم الهدى وتبصرهم الرشاد قوله تعالى قال أما من
ظلم أي من أشرك فسوف نعذبه أي نقتله وكل من أشرك فقد ظلم نفسه ثم يرد إلى ربه في الآخرة
بعد قتلي إياه فيعذبه عذابا نكرا أي في النار أنكر من القتل وأعظم قوله تعالى وأما من آمن وعمل صالحا فله
جزاء الحسنى أي فله في الآخرة جزاء الحسنى أي الجنة بالطاعة التي عملها في الدنيا وقرأ أهل الكوفة جزاء
الحسنى نصبا قال هو مصدر وقع موقع الحال أي فله الحسنى مجزيا بها قال ابن الأنباري جزاء نصبا على المصدر
أي يجزى الحسنى جزاء قوله تعالى وسنقول له من أمرنا يسرا أي سنأمره في الدنيا بما يتيسر عليه قوله تعالى
ثم أتبع سببا أي سلك طريقا آخر نحو المشرق قوله تعالى حتى إذا بلغ مطلع الشمس أي حتى إذا انتهى
إلى آخر العمارة من جهة المشرق قوله تعالى عند الشمس قوله تعالى لم يكن لهم جبل ولا شجر ولا شيء يسترهم عن
الشمس قال الكلبي معناه حفاة عراة يفترش أحدهم أذنه ويلبس الأخرى قوله تعالى كذلك وقد

أحطنا بما لديه خبرا أي وجدنا قوما كذلك القبيل الذين كانوا عند مغرب الشمس وقيل معناه كما بلغ مغرب
الشمس كذلك بلغ مطلعها ... قال وقد أحطنا بما لديه خبرا أي بما عنده ومعه من الملك والجيوش
والآلات خبرا أي علما قوله تعالى ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين أي ثم أتبع سببا آخر يبلغه
قطرا من الأقطار ... وقيل ثم أتبع طريقا ثالثا بين المشرق والمغرب آخذا نحو الروم حتى إذا بلغ بين الجبلين اللذين جعل الردم
بينهما وهما السدان قرأ ابن كثير وأبو عمرو السدين بفتح السين وقرأ الباقون بضمها وهما لغتان وجد من
دون الجبلين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا أي لا يكادون يفقهون قول غيرهم
ولا يعرفون لغة غيرهم قرأ حمزة والكسائي يفقهون بضم الياء وكسر القاف ومعناه لا يكادون يفهمون
أحدا قولا وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يفقهون كلام أحد ولا أحد يفقه كلامهم قوله تعالى قالوا يا ذا
القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض أي قالوا بالإشارة أو بترجمان لأنه قد تقدم
أنهم لا يفقهون قولا إن يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان من أولاد يافث بن نوح مفسدون في الأرض يفسدون
أموال الناس ... كانوا أهل بغي وظلم وقال الكلبي كانوا أهل بغي وظلم وقال يخرجون إلى أرض هؤلاء الذين
شكوهم إلى ذي القرنين أيام الربيع فلا يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتملوه وعن عبد الله
قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج قال يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعمائة
ألف أمة لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح قلنا يا رسول الله صفهم لنا قال
هم ثلاثة أصناف صنف منهم طول الرجل منهم مائة وعشرون ذراعا وصنف طوله وعرضه سواء عشرون
ومائة ذراع أيضا وهم الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش كل واحد أحد أذنيه
ويلتحف الأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه لهم مخالب
في أيديهم وأضراس كأضراس السباع وأنياب يسمع لها حركة كحركة الجرير في حلوقهم ولهم من الشعر في أجسامهم
ما يواريهم وما يتقي به الحر والبرد يتعاوون عوي الذئاب ويتسافدون تسافد البهائم إذا التقوا وقال
وهب يشربون ماء البحار ويأكلون دوابها ويأكلون الخشب والشجر ومن ظفروا به من الناس أكلوه وقال كعب
هم زيادة في ولد آدم وذلك أن آدم احتلم ذات يوم فامتزجت نطفته في التراب فخلق الله من ذلك يأجوج
ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم وقال ابن عباس هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم
جزء وقيل إن الترك منهم إلا أن أولئك أشد فسادا من الترك فتباعدوا وأعز الناس ... اللصوص
ويأجوج ومأجوج اسمان أعجميان لا ينصرفان لأنهما معرفة قوله تعالى فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل
بيننا وبينهم سدا أي قالوا هل نجعل لك نصيبا من أموالنا في كل سنة على أن تجعل بيننا وبينهم
حاجزا وسدا والردم هو السد وردمت الباب أي سددته والخرج والخراج واحد قوله تعالى قال ما
مكني فيه ربي خير أي قال لهم ذو القرنين ما مكني الله من الاتساع في الدنيا خير من خراجكم الذي تبذلونه
لي يريد ما أعطاني وملكني أفضل من عطيتكم قوله تعالى فأعينوني بقوة أي بالرجال والآلات أجعل
بينكم وبينهم ردما والردم ما سد الحجاب وهو أكثر من السد قوله تعالى آتوني زبر الحديد أي
أعطوني قطع الحديد والزبرة القطعة العظيمة فأتوه بها فبناه حتى إذا ساوى بين الصدفين أي
حتى إذا ملأ ما بين الجبلين وسماهما صدفين لأنهما متصادفان أي متقابلان فلما وضع بينهما الحديد وجعل بين
كل قطعتي حديد حطبا حتى ملأ ما بين الجبلين وأمر بالنار فأرسلت فيه وقال للحدادين انفخوا بالمنافخ حتى
إذا صار الحديد كالنار قال أعطوني قطرا وهو النحاس الذائب أصبه على الحديد والحطب فيسقط في سقط
الماء فيفعل حتى إذا دخل بعضه في بعض صار الجميع شيئا واحدا صلدا من حديد ونحاس قيل إنه حفر له
الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا وجعل علاه ... وشرفه قوله تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه

وما

وما استطاعوا له نقبا أي ما قدروا أن يعلوه لارتفاعه وملاسته وما قدروا أن ينقبوه من أصله
لشدته وصلابته و... أبي هريرة أن يأجوج ومأجوج يحفرونه كل يوم ثم يقولون نرجع إليه غدا
فيأتونه وقد أعاده الله كما كان قبل أن يحفروه قوله تعالى قال هذا رحمة من
ربي أي قال لهم ذو القرنين لما فرغ من بنائه هذا التمكين الذي أدركت به السد رحمة من ربي
من حيث ألهمني وقواني ونعمة من ربي عليكم قوله تعالى فإذا جاء وعد ربي جعله دكا أي وقت
اشتراط الساعة جعل السد كسرا ومن قرأ دكاء فمعناه أرضا منبسطة يقال ناقة دكاء إذا لم يكن لها
سنام وكان وعد ربي حقا أي كان ما تقدم من الوعد جزما صدقا كائنا قوله تعالى وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض أي تركنا يأجوج ومأجوج يوم انقضاء أمر السد يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم يقال
ماج الناس إذا دخل بعضهم في بعض حيارى كموج الماء فيخرجون على الناس فيشربون المياه ويأكلون
الدواب ومن ظفروا به من الناس أكلوه فإذا كثر فسادهم في الأرض بعث الله عليهم نغفا فيقتلهم فيموتون
كموت الجراد قوله تعالى ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا يعني النفخة الثانية التي تكون للحشر يحشر بها
الناس من قبورهم ويجمعون جمعا في الموقف قوله تعالى وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا أي أظهرنا
جهنم يوم القيمة للكافرين حتى يروا فيها جزاء أعمالهم بمعاينة قوله تعالى الذين كانت أعينهم في غطاء عن
ذكري أي أظهرنا جهنم حتى يشاهدها الناس الذين كانت أعين قلوبهم في غطاء عن ذكري لما بها من
الرين والقساوة وكانوا لا يستطيعون سمعا أي كان يثقل عليهم سماع ذكر الله تعالى قوله تعالى أفحسب
الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء أي أفحسب الكفار أن ينفعهم اتخاذهم عبادي مثل المسيح
والملائكة الذين عبدوهم من دوني أربابا قوله تعالى إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا أي إنا جعلناها
نزلهم ومأواهم ومعدة عندنا كما يهيأ المنزل للضيف قوله تعالى قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا أي قل لهم
يا محمد هل نخبركم بالأخسرين أعمالا في الآخرة يعني كفار أهل الكتاب اليهود والنصارى وقال علي رضي الله
عنه الرهبان والقسيسون الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع وقيل هم جميع اليهود والنصارى الذين
ضل سعيهم في الحياة الدنيا أي بطل عملهم واجتهادهم في الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا
أي وهم يظنون أنهم يعملون عملا صالحا من برهم قوله تعالى أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه
أي جحدوا دلائل توحيده وأنكروا البعث بعد الموت فحبطت أعمالهم أي بطلت حسناتهم التي عملوها
من صلة الرحم والإحسان إلى الناس فلا يرون سعيهم مع الكفر شيئا ولا يكون لهم عند الله قدر ولا منزلة قوله
تعالى ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا أي ذلك الإحباط جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي أي الكتاب
القرآن ونبوة أنبيائهم هزوا ويسخرون بهما قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات
الفردوس نزلا الفردوس في اللغة ذات كروم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة
ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض الفردوس أعلاها منها تتفجر أنهار الجنة الأربعة فإذا سألتم الله فاسألوه
الفردوس وقال صلى الله عليه وسلم جنات الفردوس أربع جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما من فضة
وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما من ذهب وقيل خلق الله الفردوس بيده يفتحها كل يوم خمس مرات يقول
ليبشر بأن دخلك طوبى لأوليائي وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأفضلها وأرفعها وقال
أبو أمامة الفردوس سرة الجنة وقال كعب ليس في الجنة جنة أرفع من الفردوس فيها الآمرون بالمعروف
والناهون عن المنكر قوله تعالى خالدين فيها لا يبغون عنها حولا أي مقيمين فيها لا يطلبون عنها تحويلا وقال
صلى الله عليه وسلم إن الفردوس أرفع موضع في الجنة وأحسنه قوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي
الآية وذلك أنه لما نزل قوله تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا قالت اليهود والنصارى أوتينا علما كثيرا أوتينا التوراة

فيها علم كل شيء. قال الله هذه الآية أي لو كان البحر مدادا لعلم ربي وحكمه فتكتب من البحر كما تكتب من المداد
لنفد البحر وتكسرت الأقلام قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا بمثل البحر مددا لهذا
البحر ونفاد الزاد بكلمات ربي معاني القرآن والأحكام المستنبطة منه والمدد هو الجاري شيئا بعد شيء
قوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم أي قل يا محمد إنما أنا آدمي مثلكم قال ابن عباس علم الله نبيه التواضع
لئلا يزهى على خلقه وأمره الله أن يقر على نفسه بأنه آدمي كغيره إلا أنه أكرم بالوحي وهو قوله تعالى
يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد لا شريك له فمن كان يرجو لقاء ربه أي يخشى لقاء ربه
ويقال فمن كان يؤمل لقاء ربه ويخاف البعث والمصير إليه فليعمل عملا صالحا أي خالصا لا يرائي
في عبادة الله أحدا ولا يشرك مع الله غيره في العبادة. وقال سعيد بن جبير معناه لا يرائي. وقال ابن عباس
قوله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ولم يقل ولا يشرك به لأنه أراد العمل الذي يعمله لله ويحب أن
يحمد عليه. وقال الحسن هذا فيمن أشرك بعمله يريد الله به والناس وعن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى صلاة يرائي بها فقد أشرك ومن صام صوما يرائي فيه فقد أشرك ثم قرأ هذه
الآية فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا. وعن أبي بن كعب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الكهف فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة تكون فيها ومن قرأ
الآية التي في آخرها حين يأخذ مضجعه كان له نور يتلألأ إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه
حتى يقوم من مضجعه وإن كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نور يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك
النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ. وقال صلى الله عليه وسلم من حفظ عشر آيات
من أول سورة الكهف ثم أدرك الدجال لم يضره. وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة
فهو معصوم إلى ستة أيام من كل فتنة تكون فإن خرج الدجال عصم منه.

والله الموفق آخر الجزء الأول من
تفسير القرآن العظيم للإمام
الحدادي رحمه الله تعالى
ونفعنا بعلومه
والحمد لله رب
العالمين
[illegible]

سورة مريم عليها السلام

وهي مكية الا آية وثمانمائة حرف وتسعمائة واثنان وستون كلمة وثمان وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا ● قال ابن عباس اول هذه السورة ثناء اثنى به الرب على نفسه
والكاف من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق وصمد وقيل معناه كاف
لخليقه هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم ببريته صادق في وعده قوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا اي هذا ذكر
رحمة ربك على زكريا او مما نتلو عليكم ذكر رحمة ربك وعبده منصوب بالرحمة وقوله تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا
اي اذ دعا ربه سرا في جوف الليل مخلصا لا يطلع عليه الا الله وقوله تعالى قال رب اني وهن العظم مني اي
ضعف العظم مني قال قتادة اشتكى ذهاب اضراسه والوهن في اللغة نقصان القوة واشتعل الراس شيبا
يقول نحفت وضعفت ودنا الموت مني والاشتعال انتشار شعاع النار واشتعاله في الشيب من احسن الاستعارة
لانه ينتشر في الراس كما ينتشر شعاع النار وقوله تعالى شيبا نصب على المصدر وهذا يدل على ان افضل الدعاء ما
كان خفيا قال صلى الله عليه وسلم خير الدعاء الخفي وافضل الرزق ما يكفي قوله تعالى ولم اكن بدعائك رب شقيا
اي كنت تجيبني اذا دعوتك وقد عودتني الاجابة فيما مضى فلم لا تجيبني قوله تعالى واني خفت الموالي من ورائي
اي خفت العصبة وبني العم ان يرثوا علمي دون من كان من نسلي ويقال خفتهم على الدين من ورائي لانهم كانوا شرار
بني اسرائيل قرا يحيى بن يعمر خفت بفتح الخاء وتشديد الفاء والموالي بسكون الياء ويعني ههنا الموالي وقلت من
تعالى من ورائي اي بعد موتي قوله تعالى وكانت امراتي عاقرا ● اي عقيما من الولد والرجل العاقر الذي لا يولد له
وامراته هي اخت ام مريم بنت عمران بن ماثان قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا ● اي اعطني من عندك ولدا يرث
نبوتي ومكاني ويرث من آل يعقوب العلم والنبوة اراد بذلك يعقوب بن ماثان وهم اخوال يحيى وبنو ماثان كانوا رؤساء
بني اسرائيل وليس يعقوب هذا ابا يوسف قرا ابو عامر والكسائي يرثني ويرث بالجزم فيهما على جواب الدعاء وقرا الباقون
برفعهما على الحال والصفة وقوله تعالى وليا اي وارثا قوله تعالى واجعله رب رضيا ● اي وفقه للعمل حتى يصير
مرضيا عندك وقال ابو صالح معناه واجعله رب نبيا كما جعلت اباه وقيل اجعله صالحا تعتاد (?) امره
بعض المفسرين ان معنى قوله تعالى يرثني اي يرث مالي الا ان حمل الآية على ميراث العلم اولى لان الانبياء كانوا
لا يشحون على المال ولا يأسفون على مصير المال بعد موتهم الى مستحقه ولانه قال ويرث من آل يعقوب ولم يرد
بذلك المال ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وانما دعا زكريا ان
يلي امور الدين بعده لخوفه من بني اعمامه ان يبدلوا دينه بعد وفاته وخاف ان يستولوا على علومه وكتبه فيحرفوها
ويأكلون الناس ويفسدون دينه ويصدون الناس عنه قوله تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى
معناه ان الله استجاب له فاوحى اليه يا زكريا انا نبشرك اي نفرحك بغلام اسمه يحيى وانما سمي يحيى لان الله احيا
به الايمان والحكمة قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا ● قال الكلبي وقتادة معناه لم يسم احد قبله يحيى
وقال ابن جبير وعطاء لم نجعل له شبيها ومثلا لانه لم يعص ولا هم بمعصية وقيل لم تلد العواقر مثله ولدا وانما قال
تعالى من قبل لانه تعالى اراد ان يخلق بعده افضل منه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى لم يرد
بهذا القول جمع الفضائل كلها ليحيى وانما اراد في بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وكانا افضل منه قوله
تعالى قال رب انى يكون لي غلام ● اي قال زكريا لجبريل يا سيدي من اين يكون لي ولد وكانت

امرأتي عاقرا ● من الولد وقد بلغت من الكبر الى حال اليبس والجفاف روي انه كان له يومئذ بضع وتسعون
سنة والعتي هو الذي غيره طول الزمان الى اليبس قال قتادة انما قال ذلك لنحول عظمه يقال رجل عات اذا
كان قاسي القلب غير لين وقرا حمزة والكسائي عتيا بكسر العين وهما لغتان وقد تقدم ان هذا القول من زكريا
لم يكن على جهة الانكار ولكن احب ان يعلم من اي وجه يكون أيردهما الى الشباب فيرزقهما الولد ام هما على هذه
الصفة قوله تعالى كذلك قال ربك هو علي هين ● اي قال له جبريل هكذا قال ربك هو علي هين اي
خلقه علي هين ● وقد خلقتك من قبل يحيى ولم تك شيئا وقرا حمزة والكسائي وقد خلقناك من قبل بالنون والالف
قوله تعالى قال رب اجعل لي آية ● اي قال زكريا يا رب اجعل لي علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به لاتعجل
السرور قال علامتك ان لا تقدر ان تكلم الناس وانت سوي لا خرس بلسانك ولا آفة فانه كان يقرأ الزبور
ويذكر الله ويسبحه ولكن اعتقل لسانه عن كلام الناس وقوله سويا اي صحيحا سالما من غير بأس ولا خرس وسويا
منصوب على الحال قوله تعالى فخرج على قومه من المحراب ● اي خرج عليهم من مصلاه متغير اللون وهم ينظرون
فانكروه وقالوا ما لك يا زكريا ● فاوحى اليهم ● اي اشار اليهم واومى وقال الكلبي كتب لهم ان سبحوا بكرة
وعشيا ● اي صلوا لله غدوة وعشية والسبحة الصلاة والمعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيامرهم
بالصلاة فلما كان وقت حمل امرأته ومنع من الكلام خرج اليهم فامرهم بالصلاة اشارة لم يكلم بعد ثلاث وأتى امرأته
علم بحمل يحيى قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة ● اي قال الله ليحيى بعدما بلغ المبلغ الذي يجوز
ان يخاطب خذ الكتاب بقوة اي اعمل بما في التوراة بجد ومواظبة وصحة وعزيمة قوله تعالى وآتيناه الحكم
صبيا ● اي اعطيناه الحكمة وهي الفهم بكتاب الله صبيا وكان يحيى عليه السلام على هيئة الصبيان وله عقل
الحكماء (?) وقال ابن عباس معناه واعطيناه النبوة في صباه وهو ابن ثلاث سنين وروي انه مر بالصبيان وهو
صغير فقالوا له تعال حتى نلعب فقال ما للعب خلقنا قوله تعالى وحنانا من لدنا وزكاة ● اي آتيناه تحننا
على قومه ورقة قلب عليهم ليدعوهم الى ربهم وقوله تعالى وزكاة اي عملا صالحا واخلاصا وقيل معناه جعلناه طاهرا
من الذنوب وقيل معناه وحنانا من لدنا اي جعلناه رحمة من عندنا لابويه وزكاة اي صدقة عليهما وقوله تعالى
وكان تقيا ● اي مطيعا مخلصا لجميع ما يرضاه الله من عباده قال المفسرون وكان من تقواه انه لم يعمل
خطيئة ولا هم بها قوله تعالى وبرا بوالديه ● اي عطوفا لطيفا بوالديه محسنا اليهما ولم يكن جبارا
عصيا ● اي لم يكن متكبرا في دينه ولا عاصيا لربه قوله تعالى وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ● اي سلامة
وسعادة له عليه حين ولد وحين يموت وحين يبعث حيا من الفزع قال عطاء يريد له سلامة منا قال
سفيان بن عيينة اوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت فيرى
قوما لم يكن عاينهم واحكاما لم يعهدها ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم يره فخص الله يحيى بالكرامة والسلامة
في المواطن الثلاثة وروي ان يحيى وعيسى عليهما السلام التقيا فقال له عيسى استغفر لي فانت خير مني وقال
يحيى استغفر لي فانت خير مني فقال له عيسى بل انت خير مني انا سلمت على نفسي وانت سلم الله عليك قوله تعالى
واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا ● اي اذكر يا محمد في القرآن خبر مريم ليعتبر الناس
بدينها وصلاحها والمعنى اذكر خبرها لاهل مكة قوله تعالى اذ انتبذت اي تنحت من اهلها وتفردت مكانا
في الدار الى مكان في جانب الشرق وجلست فيه لانها كانت في الشتاء في مشرقة الشمس وقال عكرمة اراد الغسل
من الحيض فتحولت الى مشرقة دارهم للغسل ● فاتخذت من دونهم حجابا ● اي من دون اهلها سترا لئلا
يروها فبينما هي في مشرقة الدار تغتسل من الحيض اذ دخل عليها جبريل عليه السلام بعدما فرغت من اغتسالها
في صورة شاب امرد حسن الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا
وانما ارسل الله جبريل في صورة البشر لتثبت مريم وتقدر على استماع كلامه قال ابن عباس لما رأت جبريل يقصد

نحوها لأنه من بعيد **قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا** أي إن كنت تقيا مخلصا مطيعا
فستنتهي لتعوذي بالله منك وقيل إن تقيا كان رجلا أمثل الناس في ذلك الزمان فقالت إن كنت في الصلاح
مثل تقي فإني أعوذ بالرحمن منك قوله تعالى **فأرسلنا إليها روحنا** يعني جبريل عليه السلام خص بالإضافة
إلى الله تعالى تشريفا له وسمي روحا لأن الناس يحيون بما جاء في دينهم كما يحيون بأرواح أبدانهم قوله تعالى
قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا أي لأهب لك بأمر الله ولدا صالحا طاهرا من الذنوب
ومن قرأ ليهب لك غلاما زكيا فالمعنى ليهب الله لك قوله تعالى **قالت أنى يكون لي غلام** أي من أين يكون
لي ولد ولم يقربني زوج **ولم أك بغيا** أي لم أكن فاجرة زانية والبغي هي الطالبة للزنا قال ابن عباس
قالت مريم ليس لي زوج ولست بزانية ولا يكون الولد إلا من الزوج أو الزنا قوله تعالى **قال كذلك قال ربك**
أي قال لها جبريل كما قلت لك قال ربك **هو علي هين** أي خلقه علي هين من غير أب كما هين خلق
آدم بلا أب ولا أم قوله تعالى **ولنجعله آية للناس ورحمة منا** أي لنجعله دلالة على قدرتنا ورحمة للخلق
وقيل رحمة لمن اتبعه على دينه وصدقه **وكان** خلقه **أمرا مقضيا** أي محكوما به مقدرا وعلامة
سابقا في علم الله أن يقع قوله تعالى **فحملته فانتبذت به مكانا قصيا** وذكر أنها لما سمعت كلام جبريل اطمأنت
إلى قوله ودنا منها فنفخ في جيبها فوصلت تلك النفخة إلى بطنها فحملت بعيسى عليه السلام وقيل نفخ جبريل النفخ من
بعيد فوصلت إليها النفخة فحملت فلما ظهر حملها انتبذت أي خرجت وانفردت وتنحت بولدها إلى مكان بعيد من
الناس والانتباذ مأخوذ من تنبذ الشيء إذا رميت به وجلس نبذة أي ناحية والقاصي والقصي خلاف الداني
واختلفوا في مدة حملها فقال بعضهم تسعة أشهر كحمل سائر النساء على ما جرت به العادة وقال بعضهم ثمانية
أشهر وكان ذلك آية أخرى لأنه لم يعش مولود وضع لثمانية أشهر غير عيسى عليه السلام وقال بعضهم ستة
أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما هو إلا أن حملت فوضعت
ولم يكن بين الحمل والانتباذ إلا ساعة لأن الله تعالى لم يذكر بينهما فصلا وقال مقاتل حملته في ساعة
وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشر سنين وقد حاضت حيضتين
قبل أن تحمل بعيسى عليه السلام وقوله تعالى مكانا قصيا أي مكانا بعيدا قال ابن عباس أقصى الوادي فرارا من
قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج قوله تعالى **فأجاءها المخاض** أي فألجأها الطلق وأجاءها
بمعنى واحد كما يقال ذهبت به وأذهبته والمخاض وجع الولادة وقيل تحرك الولد للولادة وقيل الحمل
وقرأ بعضهم فاجأها المخاض قوله تعالى **إلى جذع النخلة** وكانت نخلة يابسة في الصحراء ولم يكن لها سعف
أي ألجأها وقيل كانت نخلا يابسا قد أتى به لبناء بيت قوله تعالى **قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت
نسيا منسيا** أي لم أخلق وقيل شيئا متروكا لا يذكر والنسي في كلام العرب الشيء الحقير الذي إذا ألقي نسي ولم
يلتفت إليه قال السدي إنما تمنت الموت استحياء من الناس خافت الفضيحة وقيل للحالة التي دفعت
إليها من الولادة والصحيح أنها إنما تمنت الموت لعلمها أن الناس سيرمونها بالفاحشة فيأثمون بسببها فتمنت
أن تكون ماتت قبل أن يعصي الناس بسببها لئلا يسخط الله تعالى قرأ حمزة وحفص نسيا بفتح النون وهما
لغتان قوله تعالى **فناداها من تحتها ألا تحزني** قال ابن عباس والسدي والضحاك وقتادة
أن المنادي من تحتها هو جبريل عليه السلام كأنه كان في مكان أسفل من مكانها فناداها ألا تحزني يا مريم
على ولادة عيسى فقد أحسن الله كرامته واختيارك وجعل تحتك سريا قال السدي هو النهر الصغير سمي سريا
لأنه يسري بمائه وقال الحسن هو عيسى وهو والله السري من الرجال وهذا التأويل على قراءة من قرأ
من تحتها بكسر الميم والتاء وهي قراءة نافع وحمزة والكسائي وحفص وقرأ الباقون بالفتح وهو عيسى عليه
السلام لما خرج من بطن أمه ناداها أن لا تحزني **قد جعل ربك تحتك سريا** أي نهرا صغيرا

قوله تعالى وهزي إليك بجذع النخلة قال ابن عباس ضرب جبريل وقيل عيسى عليه السلام برجله الأرض
فظهرت عين ماء عذب وجرى تحت النخلة فحيت بعد يبسها فأورقت وأثمرت وأرطبت ومعنى الآية حركي إليك
جذع النخلة والباء فيه زائدة تقول العرب هزته وهززت به وخذ الخطام وخذ بالخطام قوله تعالى
تساقط عليك رطبا جنيا قرأ يعقوب يساقط بالياء يعني الجذع وقرأ حفص تساقط بضم التاء وتخفيف السين
وكسر القاف وقرأ حمزة تساقط بفتح التاء والقاف مخففة وقرأ الباقون بفتح التاء والقاف وتشديد السين أي
تتساقط فأدغمت التاء في السين ومعناه تسقط عليك النخلة والرطب الجني هو المجني من الثمرة الرطبة الطرية
ونصب رطبا على التمييز ومن قرأ تساقط بالضم انتصب على المفعول قوله تعالى **فكلي واشربي وقري عينا**
أي فكلي من الرطب واشربي من النهر وقري عينا بولدك عيسى وطيبي نفسا يقال قرت عينه أي بردت من برد السرور
بما ترى وقيل قرت سكنت سكون السرور برؤية ما تحب وقيل من القرار والثاني من القرار وانتصب عينا على التمييز
المحول كما يقال طيبي نفسا أي طابت نفسك قوله تعالى **فإما ترين من البشر أحدا** أي فإما ترين من الآدميين
أحدا فسألك عن الولد أو لامك عليه **فقولي إني نذرت للرحمن صوما** أي صمتا وكذلك كان يقرؤها
ابن مسعود وأنس رضي الله عنهما وقال ابن عباس رضي الله عنهما صمتا أي أوجبت على نفسها أن لا تتكلم وقال
قتادة صامت عن الطعام والشراب والكلام ولهذا قالت **فلن أكلم اليوم إنسيا** أي آدميا وكان قد أذن
لها أن تتكلم بهذا القدر ثم سكتت وقال ابن مسعود رضي الله عنه أمرت بالصمت لأنها لم تكن لها حجة عند الناس
في شأن ولدها فأمرت بالكف عن الكلام ليكفيها ولدها الكلام بما يبرئ ساحتها وفي هذه دلالة أن الصمت كان
قربة في زمانهم ولولا ذلك لما نذرت مريم ثم نسخ ذلك حين نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت ويروى أنه
صلى الله عليه وسلم نهى عن صمت يوم إلى الليل قوله تعالى **فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت
شيئا فريا** روي أنها أتت بعيسى تحمله إلى قومها بعد ما طهرت من نفاسها أي بعد أربعين يوما فكلم عيسى في الطريق وهو
ابن أربعين يوما فقال يا أماه أبشري فإني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على قومها بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين
وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا أي منكرا عظيما لم نعرف منك ولا من أهل بيتك قوله تعالى **يا أخت هارون
ما كان أبوك امرأ سوء** قال ابن عباس هو رجل صالح من بني إسرائيل ينسب إليه والمعنى يا شبيهة هارون في العبادة
روي أن أهل الكتاب قالوا كيف تقولون إن مريم أخت هارون وبينهما سنين كثيرة فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه
وسلم فقال إنهم كانوا يسمون بأسماء الأنبياء والصالحين فعلى هذا أخوها أن أخا مريم كان يسمى هارون وقال السدي
هو هارون أخو موسى عليهما السلام ينسب إليه لأنها من ولده كما يقال يا أخا بني فلان وقيل كان رجلا فاسقا
معروفا بالفسق فنسبت إليه وقوله تعالى **وما كان أبوك امرأ سوء** قال ابن عباس زانيا **وما كانت أمك بغيا**
أي ما كانت زانية فمن أين لك هذا الولد قوله تعالى **فأشارت إليه** أي أشارت إلى عيسى عليه السلام وهو في
يان كلموه فعجبوا من ذلك **قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا** أي في الحجر رضيعا والمهد هاهنا
حجر أمه وقيل هو المهد بعينه وقال أبو عبيدة كان هاهنا زائدة لا معنى لها والتقدير كيف نكلم صبيا في المهد
ويجوز أن تكون من في موضع الشرط والجزاء والمعنى من يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه والماضي بمعنى المستقبل في باب
الجزاء ويجوز أن يكون صبيا نصب على الحال أي كيف نكلم من في المهد صبيا أي في هذه الحالة قال السدي فلما أشارت
إلى عيسى عليه السلام غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد من زناها فلما سمع عيسى عليه السلام كلامهم ترك الرضاع
وأقبل بوجهه عليهم **قال إني عبد الله آتاني الكتاب** يعني علمني التوراة والزبور وقال مقاتل علمه
الله الإنجيل في بطن أمه **وجعلني نبيا** أي حكم لي بالنبوة فيما قضى قوله تعالى **وجعلني مباركا**
أي معلما للخير نفاعا حيثما كنت أدعو إلى الله تعالى وإلى توحيده وعبادته قوله تعالى **وأوصاني
بالصلاة والزكاة** أي أمرني بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة **ما دمت حيا** قوله تعالى **وبرا**

بوالدتي أي وجعلني برا بوالدتي قال ابن عباس لما قال عيسى عليه السلام بوالدتي ولم يقل بوالدي علموا أنه
شيء من الله تعالى ولم يجعلني جبارا أي متعظما أقتل وأضرب على الغضب ولا شقيا أي ولا عاصيا لربه
قوله تعالى والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا معناه والسلامة علي من الله يوم
ولدت حتى لم يضرني شيطان ويوم أموت ويوم أبعث حيا من القبر. وفي هذا دليل على أن للإنسان أن
يصف نفسه بصفات الخير إذا أراد تعريفها إلى غيره ولم يرد الافتخار وهو مثل قول يوسف عليه السلام للملك
اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم. قال ابن عباس إنما كلمهم عيسى عليه السلام بهذا الكلام لا غير ثم سكت
ولم يتكلم حتى بلغ مقدار مدة ما يتكلم الصبيان قوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم قول الحق أي ذلك الذي
قال إني عبد الله عيسى ابن مريم قول الحق من قرأه بنصب قول الحق فالمعنى أقول قول الحق ومن رفعه فالمعنى هو قول
الحق أو كلمة الحق والحق هو الله تعالى ومعنى قراءة النصب أقول الذي فيه يمترون أي يشكون ويختلفون
وأنهم اختلفوا أعني النصارى فقائل منهم يقول هو الله وقائل يقول هو ابن الله واليهود يقولون إنه لغير
رشدة قوله تعالى ما كان لله أن يتخذ من ولد أي ما ينبغي لله أن يتخذ ولدا وليس ذلك من صفاته وقوله
تعالى سبحانه أي تنزيها له عن الولد والشريك قوله تعالى إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون أي كيف
يتخذ الولد من إذا شاء أمرا كان كما خلق عيسى بلا أب قوله تعالى وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا إخبار
عن عيسى أنه قال ذلك من قرأ بفتح الهمزة فالمعنى ولأن الله ربي وربكم أو قضى أن الله ربي وربكم ومن
كسرها فعلى الاستئناف ويجوز أن يكون عطفا على إني عبد الله والصراط المستقيم هو الدين المستقيم الذي يؤدي
إلى الجنة قوله تعالى فاختلف الأحزاب من بينهم من رأيه ويعني بالأحزاب النصارى كانوا أحزابا اختلفوا
في أمر عيسى عليه السلام فبعضهم يقول هو الله وبعضهم يقول هو ابن الله وبعضهم يقول ثالث ثلاثة قوله
تعالى فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أي فويل للذين يتحدثون على عيسى من مشهد يوم عظيم يشهده
الخلائق قوله تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة أي يشاهدون من العجب
ما يسمع ويبصر بلا شك ولا مرية. قال قتادة سمعوا حين لم ينفعهم السمع وأبصروا حين لم ينفعهم البصر
وقال الحسن لأن كانوا في الدنيا عميا وصما عن الحق فما أبصرهم وأسمعهم يوم القيامة قوله تعالى لكن الظالمون اليوم
في ضلال مبين أي لكنهم في الدنيا في خطأ بين قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة
أي خوف يا محمد أهل مكة يوم يتحسر المسيء هلا أحسن العمل والمحسن هلا ازداد من الإحسان. وقال أكثر
المفسرين يعني الحسرة يوم يذبح الموت بين الفريقين ولو مات أحد فرحا لمات أهل الجنة ولو مات أحد حزنا
لمات أهل النار. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالموت
يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون عليه
فيقولون نعم هذا الموت فيقال يا أهل النار كذلك فكلهم قد عرفه فيذبح ويقال يا أهل الجنة خلود فلا
موت ويا أهل النار خلود ولا موت ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر
وهم في غفلة. قال مقاتل لولا ما قضى الله من تخليد أهل النار وتعميرهم فيها لماتوا حسرة حين رأوا
ذلك قوله تعالى إذ قضي الأمر أي قضي لهم العذاب في الآخرة وهم في الدنيا في غفلة. وقال السدي إذ
قضي الأمر أي ذبح وهم في غفلة في الدنيا عما يصنع بهم الموت ذلك اليوم وهم لا يؤمنون بما يصنع بالموت
ذلك اليوم. ويقال يعني قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة هو يوم يأتيهم ملك الموت ليقبض أرواحهم
يا ذا وقعت المعاينة قال عند ذلك رب ارجعون قال الله تعالى حتى إذا جاءهم الموت قال رب ارجعون
لعلي أعمل صالحا فيما تركت قوله تعالى وهم في غفلة أي وهم في الدنيا في غفلة وهم لا يؤمنون بالقرآن
قوله تعالى إنا نحن نرث الأرض ومن عليها أي نميت سكانها فنرثها ومن عليها وهذا كقوله تعالى

ونحن الوارثون لأنهم إذا ماتوا انقطع ملك العباد عن الأرض قوله تعالى وإلينا يرجعون أي نعيد الموتى
نجزيهم بأعمالهم قوله تعالى واذكر في الكتاب إبرهيم إنه كان صديقا نبيا أي واذكر في القرآن لقومك
قصة إبرهيم إنه كان كثير التصديق بالحق موقنا صادقا رسولا نبيا قوله تعالى إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر أي لم تعبد من دون الله ما لا يسمع إن دعوته ولا يبصر إن عبدته يعني الصنم ولا يغني
عنك شيئا من عذاب الله ولا يدفع عنك ضرا قوله تعالى يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك أي
من العلم بالله والمعرفة وأن من عبد غير الله عذبه فاتبعني على ديني أهدك صراطا سويا أي أرشدك
إلى دين مستقيم قوله تعالى يا أبت لا تعبد الشيطان فيما يزين لك من الكفر والمعاصي إن الشيطان كان
للرحمن عصيا أي كثير العصيان لله تعالى قوله تعالى يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن أي
عذاب من الله لطاعتك للشيطان فتكون للشيطان وليا أي قرينا في النار قوله تعالى قال أراغب أنت عن
آلهتي يا إبرهيم أي قال له أبوه مجيبا له أمعرض وتارك أنت عبادة آلهتي لئن لم تنته عن مقالتك و
عن شتم آلهتي وعيبها لأرجمنك أي لأرمينك بالشتم والعيب وقيل لأقتلنك رجما واهجرني مليا أي أبعد
مني دهرا طويلا. وقال الحسن وقتادة معنى مليا أي سالما سويا قبل أن يلحقك مكروه مني وأصل الملا
الزمان الطويل من الدهر يقال أقام في موضع كذا مليا أي زمانا طويلا والملوان الليل والنهار قوله تعالى
قال سلام عليك أي قال إبرهيم لأبيه سلمت مني لا أصيبك بمكروه وذلك أنه لم يؤمر بقتاله على كفره وهذا سلام
من ذايع قوله تعالى سأستغفر لك ربي أي سأسأل الله لك توبة تنال بها مغفرته وترزق بها التوحيد قوله
تعالى إنه كان بي حفيا أي لطيفا رحيما وقيل عالما مستجيبا لي إذا دعوت قوله تعالى وأعتزلكم وما
تدعون من دون الله أي وأتنحى عنكم وأفارقكم وأعتزل ما تدعون من دون الله يعني الأصنام فاعتزلهم وهاجر
إلى الأرض المقدسة قوله تعالى وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا أي محروما خائبا قوله
تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله أي فلما خرج إلى ناحية الشام وتركهم وترك أصنامهم آنس الله
وحشته بأولاد كرام على الله تعالى ووهبنا له نعما كثيرة وأكرمناهم بالثناء الحسن قوله تعالى ووهبنا له إسحق
ويعقوب أي ووهبنا لهم المال والولد وبسطنا لهم في الرزق وقال بعضهم يعني الكتاب والنبوة قوله تعالى وجعلنا
لهم لسان صدق عليا أي ثناء حسنا في الناس عليا مرتفعا سائرا في الناس كل أهل الملل يحمدونهم ويحسنون الثناء عليهم
ويتولون إبرهيم ودينه قوله تعالى واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا أي واذكر في
القرآن خبر موسى إنه كان مخلصا لله بالعبادة والتوحيد وكان رسولا رفيعا ومن قرأ مخلصا بفتح اللام فمعناه أخلصناه
واخترناه قوله تعالى وناديناه من جانب الطور الأيمن قيل إن النداء هو قول الله تعالى له يا موسى إني أنا الله
رب العالمين والطور جبل بالشام ناداه الله تعالى من ناحية اليمين يعني يمين موسى والمعنى أن موسى سمع النداء عن
يمينه ويجوز أن يكون للجبل يمين ويسار قوله تعالى وقربناه نجيا أي جعلناه محلا من قربه مخصوصا من كرامته
والنجي هو المختص بالإدراك كلامه وتكليمه قال ابن عباس رضي الله عنهما قربه الله تعالى لموسى إلى أعلى الحجب حتى سمع
صرير القلم قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وذلك حين سأل موسى ربه فقال واجعل
لي وزيرا من أهلي هرون أخي فاستجاب الله دعاءه قوله تعالى واذكر في الكتاب إسمعيل إنه كان صادق
الوعد هو إسمعيل بن إبرهيم ومعنى صادق الوعد أنه كان إذا وعد أنجز قال ابن عباس إنه وعد رجلا أن ينتظره
حتى يرجع إليه فأقام مكانه ينتظره حتى حال عليه الحول فرجع إليه الرجل وكان رسولا نبيا إلى جرهم
قوله تعالى وكان يأمر أهله بالصلوة والزكوة قيل أراد بالأهل أمته وأهل كل نبي أمته وقيل أهله وأمر
أهله بالصلوة أي قومه وكان عند ربه مرضيا أي صالحا زكيا قوله تعالى واذكر في الكتاب
إدريس إنه كان صديقا نبيا اسم إدريس أخنوخ وهو جد أبي نوح وسمي إدريس لكثرة دراسته الكتب وكان

خياطا وهو اول من خط بالقلم واول من خاط الثياب ولبس المخيط واول من نظر في علم النجوم والحساب
قوله تعالى انه كان صديقا نبيا انزلت عليه ثلاثون صحيفة وهو اول من لبس القطن وكانوا قبل ذلك
يلبسون جلود الضان قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا روى عن انس بن مالك وابي سعيد الخدري
ومجاهد انه رفع الى السماء الرابعة وقال ابن عباس والضحاك الى السماء السادسة وقيل معناه ورفعناه
في العلم والنبوة الى درجة عالية روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما عرج بي رأيت ادريس في السماء
الرابعة وكان سبب رفعه على ما قال ابن عباس انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب
اني مشيت يوما واحدا فكيف من حملها خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها واحمل عنه حرها فلما
اصبح الملك الموكل بها وجد خفة في حرها بخلاف ما يعرف فقال يا رب ما الذي قضيت فقال ان عبدي ادريس
سالني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته فقال يا رب اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه صحبة فاذن له
حتى اتى ادريس فسأله عن ذلك فاخبره انه دعا له شفقة عليه ثم حمله ملك الشمس على جناحه ورفعه الى
السماء باذن الله تعالى قوله تعالى أولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم معناه ان الله
ذكرهم هم الذين اكرمهم الله بالنبوة والاسلام من ذرية آدم وانما فرق ذكرهم مع ان كلهم كانوا من آدم لبيان مراتبهم
في شرف النسب فانه كان لادريس شرف القرب بآدم وكان ابرهيم من ذرية نوح وكان اسمعيل واسحق من ذرية
ابرهيم وكان موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى من ذرية اسرائيل فقوله من ذرية آدم يعني ادريس ونوحا
ومن حملنا مع نوح في السفينة يعني ابرهيم لانه ولد سام بن نوح ومن ذرية ابرهيم يعني اسمعيل واسحق
ويعقوب وقوله تعالى واسرائيل يعني ان من ذرية اسرائيل موسى وهرون ومن ذكرناه قوله تعالى وممن هدينا
واجتبينا اي هديناهم الى الايمان وارشدنا واصطفيناهم لاداء الرسالة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن اي اذا قرئت
عليهم خروا سجدا وبكيا اي وقعوا يسجدون لله تعالى ويبكون من مخافة الله والسجد جمع ساجد والبكي
جمع باك قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات اي فخلف من بعد هؤلاء
المذكورين والصالحين خلف اي قوم سوء وهم اليهود والنصارى ومن لحق بهم يقال في الرداءة خلف بسكون اللام
وفي الصلاح خلف بفتح اللام وقوله تعالى اضاعوا الصلوة اي اخروها عن مواقيتها لغير عذر وقيل تركوها
اصلا وقوله تعالى واتبعوا الشهوات يعني المعاصي وشرب الخمر واشتغلوا باللذات في ما حرم عليهم واثروها
على طاعة الله تعالى وقال وهب شرابون القهوات لعابون بالكعاب ركابون الشهوات متبعون
اللذات تاركون الجماعات مضيعون الصلوات قوله تعالى فسوف يلقون غيا قال ابن مسعود وعطاء هو واد
في جهنم بعيد القعر وقال ابن عباس الغي واد في جهنم تستعيذ اودية جهنم من حره اعد للزاني وشارب
الخمر واكل الربا واهل العقوق وشاهد الزور ولامرأة ادخلت على زوجها ولدا من غيره وقيل الغي واد
في جهنم تسيل قيحا ودما اعد للغاوين وقيل غيا لانه جزاء الغي كما قال تعالى يلق اثاما اي جزاء الاثم
وقال كعب الغي واد في جهنم ابعدها قعرا واشدها حرا فيه بئر تسمى بهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك
البئر تسعر بها جهنم قوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا معناه
الا التائبين منهم ويجوز ان يكون نصبا استثناء من غيرهم وقيل على معنى لكن من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون
الجنة ولا ينقصون من حسناتهم قوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي بما غاب عنهم
وقوله تعالى بالغيب يعني انهم غابوا عما فيها ونصب قوله جنات لانه بدل من الجنة قوله تعالى انه كان وعده
مأتيا اي موعوده آتيا كائنا ويجوز ان يقال اتيانا ان كل ما اتاك فقد اتيته قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا
الا سلاما اي لا يسمعون في الجنة كلاما ساقطا ولا يسمعون الا سلاما يسلم بعضهم على بعض والسلام هو
الكلام الذي لا لغو فيه ولا اثم وقيل معناه لا يسمعون في الجنة كلاما باطلا ولغوا وهجرا او فضولا من الكلام

وقال مقاتل يمينا كاذبة ولا يسمعون الا سلاما يسلم بعضهم على بعض ويسلم الملائكة عليهم ويرسل اليهم الرب
السلام قوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال المفسرون ليس في الجنة بكرة ولا عشية
ولكنهم يؤتون رزقهم على مقدار ما يعرفون من زمن الغداء والعشاء وقال قتادة كانت العرب اذا حصل لاحدهم
الغداء والعشاء اعجب به فاخبر الله تعالى ان لهم في الجنة رزقهم بكرة وعشية على قدر ذلك الوقت اي يجيء لهم
الطعام في هذين الوقتين كما يكون في الدنيا ويأكلون فيها غدا هذين الوقتين ما يشتهون كما في الدنيا قوله
تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا اي هذه الجنة التي وصفها الله تعالى هي التي نورث
من عبادنا من اتقى معصية الله وعمل بالطاعة والايمان قوله تعالى نورث اي نعطي وانما قال نورث لان الله تعالى
اورثهم من الجنة مساكن اهل النار لو اطاعوا وقيل انه تمليك في حال يسند ابعد انقضا اجال الدنيا قوله تعالى
وما نتنزل الا بامر ربك وذلك ان جبريل عليه السلام ابطأ على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي فلما اتاه
قال له ما زرتنا حتى اشتقنا اليك وقيل قال له ما منعك يا جبريل ان تزورنا اكثر مما تزورنا فانزل الله عز وجل
والمعنى قل له وما نتنزل الا بامر ربك وقيل استبطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل ثم جاءه فقال له يا جبريل
ابطأت علي حتى ساء ظني واشتقت اليك فقال له اني كنت اشوق اليك ولكني عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا
حبست احتبست فانزل الله هذه الآية وما نتنزل الا بامر ربك قوله تعالى له ما بين ايدينا وما خلفنا
وما بين ذلك اي له ما بين ايدينا من امر الدنيا وما خلفنا من امر الآخرة وما بين ذلك يعني ما بين النفختين
وبينهما اربعون سنة قوله تعالى وما كان ربك نسيا اي ما كان ربك ليتركك وان تأخر عنك الوحي قوله
تعالى رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته اي اصبر على امره ونهيه حتى الموت
هل تعلم له سميا اي شبيها ومثلا وقيل هل تعلم من يستحق الالهية سواه وقيل هل تعلم احدا يسمى الله غيره
وقيل هل تعلم من احد يسمى رب السموات والارض قوله تعالى ويقول الانسان أإذا ما مت لسوف اخرج
حيا قال ابن عباس هو ابي بن خلف الجمحي قال هذا القول لما انكر البعث وقوله تعالى لسوف اخرج حيا اي
اخرج من القبر حيا استهزاء وتكذيبا منه للبعث قوله تعالى اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل قرأ
نافع وابن عامر وعاصم اولا يذكر بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد وهو الاختيار اي اولا يتعظ ويتفكر وعلى القراءة
الاولى يذكر بالتخفيف ضد النسيان والمعنى اولا يتعظ الانسان انا خلقناه من نطفة ولم يك شيئا موجودا
فيستدل بالابتداء على الاعادة قوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين يعني المنكرين للبعث اقسم الله تعالى
بنفسه ليحشرنهم من قبورهم مع الشياطين الذين اضلوهم ثم ليحضرنهم حول جهنم باركين على الركب لان المحاسبة انما
تكون بقرب جهنم يقرن مع كل كافر شيطان في سلسلة قوله تعالى ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على
الرحمن عتيا اي ثم لنخرجن من كل فرقة وجماعة ايهم اشد على الرحمن تمردا وجراءة وفجورا وكفرا ابلغ الاعتا
والاعتا واكبر جرما وقال قتادة المعنى لننزعن من كل فرقة اهل دين قادتهم ورؤساءهم في الشر والشيعة
الجماعة المتفقون على امر من الامور قوله تعالى ايهم ارتفع على الابتداء وفي لننزعن يعمل في موضع من كل شيعة هذا
قول يونس وقال الخليل على معنى الذين يقال لهم ايهم اشد فلنخرج قوله تعالى ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى
بها صليا اي نحن اعلم بالاولى بدخول النار وشدة العذاب واحقهم بعظم العقاب والصلي هو اللزوم من قولهم
صلي بالنار صليا قوله تعالى وان منكم الا واردها اختلفوا في الخطاب الذي في اول هذه الآية وقال
بعضهم هو راجع الى الكفار لانه تقدم قوله تعالى ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا وقال الاكثرون
هو خطاب لجميع الخلق وذلك لقوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا اي ننجي من الورود من اتقى ثم اختلف
ايضا في معنى الورود وقال بعضهم هو الدخول كما في قوله تعالى فاوردهم النار اي ادخلهم النار
وقالوا انها تكون على المؤمنين بردا وسلاما واستدلوا بما روى جابر رضي الله عنه انه اهوى بيده الى اذنيه

وقال صحابه ان لم اكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها
فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يموت له ثلاثة اولاد لم يلجوا النار الا تحلة القسم يعني قوله وان منكم
الا واردها ومعنى تحلة القسم انه ان كان في هذه الآية دينها اضمار القسم تقديره والله ما منكم من احد الا واردها وروي عن ابن
مسعود انه قال الصراط على متن جهنم مثل حد السيف فتمر عليه الطائفة الاولى كالبرق والثانية كالريح
والثالثة كالجواد السابق والرابعة كاجود البهائم ثم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم وعن
ابي هريرة انه اوى الى فراشه فقال يا ليت امي لم تلدني فقالت له امرأته يا ابا هريرة ان الله عز وجل قد احسن
اليك هداك للاسلام قال اجل ولكن الله تعالى قد بين لنا انا واردو النار ولم يبين لنا انا خارجون منها
وقال بعضهم الورود هو الاشراف على النار بلا دخول لان موضع المحاسبة يكون قريبا من النار وقد قال
الله تعالى ولما ورد ماء مدين ولم يكن موسى دخل الماء واستدلوا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لن يدخل النار ان شاء الله تعالى واحد شهد بدرا والحديبية وعن مجاهد انه قال الحمى حظ كل مؤمن من
النار فعلى هذا من حم من المسلمين فقد وردها لان الحمى من فيح جهنم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه عاد
مريضا من وعك كان به فقال له ابشر ان الله تعالى يقول هي ناري اسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا ليكون حظه من
النار وقال الزجاج والحجة القاطعة على انهم لا يدخلون النار قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون وهذه حجة لا معارض لها قوله
تعالى كان على ربك حتما مقضيا الحتم القطع بالامر والمقضي هو الذي قضي بانه يكون قوله تعالى ثم ننجي
الذين اتقوا اي الذين اتقوا الشرك وصدقوا ونذر الظالمين فيها جثيا اي وندع المشركين فيها جثيا
على الركب قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات معناه واذا تتلى على الكفار آيات القرآن المنزلة قالوا
للذين آمنوا اي الذين خير مسكنا واحسن مجلسا في الدنيا فكذلك يكون في الآخرة يعني انهم كانوا في مجالس
لفقراء المؤمنين أي الفريقين خير مقاما اي وانتم والمقام المسكن والمنزل والندي والنادي مجلس
القوم ومجتمعهم وكانوا يلبسون احسن الثياب ثم يقولون مثل هذا للمؤمنين فاجابهم الله تعالى قوله تعالى وكم
اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا اي وكم اهلكنا قبل قريش من الامم الخالية هم احسن ابل
واحسن منظرا والاثاث المال اجمع الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال الحسن الاثاث اللباس والرئي المنظر وقرئ
وريا بغير همز من الري الذي هو ضد العطش والمراد ان منظرهم مرتو من النعمة كان النعيم بين فيهم لان الري
يتبعه الطراوة كما ان العطش يتبعه الذبول قوله تعالى قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا اي
قل لهم يا محمد من كان في الغواية عن التوحيد ودين الله فليمدد له الرحمن اي ليزد في ماله وعمره وولده ويتركه
ليدعه الله في طغيانه بمعنى اذا وصل الى الآخرة لم يكن له فيها نصيب وهذا لفظ الامر ومعناه الخبر قوله تعالى حتى اذا
رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة يعني الذين مدهم في الضلالة واخبر عن الجماعة لان لفظ من
يصلح للجماعة ثم ذكر ما يوعدون فقال اما العذاب واما الساعة يعني القتل والاسر او القيمة والخلود في النار قوله
فسيعلمون حينئذ من هو شر مكانا اهم ام المؤمنون لان مكانهم جهنم ومكان المؤمنين الجنة قوله تعالى واضعف
جندا هذا رد عليهم في قولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا قوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا
هدى اي يزيدهم هدى بالايمان والشرائع والالطاف ويزيدهم هدى بالادلة والحجج والطاعات التي يدعوا اليها
قوله تعالى والباقيات الصالحات قد تقدم تفسيرها سميت باقيات لبقاء ثوابها للانسان قوله تعالى خير عند
ربك ثوابا اي انفع من مفاخر الكفار التي يفتخرون بها وخير مردا اي وافضل مرجعا في الآخرة وافضل
ما يرد على صاحبه قوله تعالى أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا انزلت هذه الآية

في العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لي دين على العاص بن وائل فجئت اتقاضاه فقال لا اقضيك حتى تكفر
بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فدعني حتى اذا بعثت اعطيت مالا وولدا فاقضيك
هناك قال فقال ذلك مستهزئا قال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وقال الحسن
نزلت في الوليد بن المغيرة ومعنى قوله لأوتين مالا وولدا ان كان ما يقول محمد في الآخرة حقا لاعطين مالا
وولدا في الآخرة ومن قرأ وولدا بالضم فمعناه واحد كالحزن والحزن وقيل انه جمع الولد كما يقال اسد واسد
قوله تعالى اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا اي اعلم ذلك غيبا ام عهد الله اليه عهدا بما يتمنى وقال
ابن عباس معناه اعلم ما غاب عنه حتى يعلم أفي الجنة هو ام لا وقال الكلبي انظر ما في اللوح المحفوظ قوله تعالى
ام اتخذ عند الرحمن عهدا قال ابن عباس اي قال لا اله الا الله فارحمه بها وقال قتادة اقدم عملا
صالحا يرجوه كلا ليس الامر على ما قال انه يؤتى المال والولد ويحتمل ان يكون معناه كلا انه لم يطلع الغيب
ولم يتخذ عند الرحمن عهدا قوله تعالى سنكتب ما يقول اي سنأمر الحفظة باثبات ما يقول ليجازيه به في الآخرة
ونمد له من العذاب مدا اي نزيده عذابا فوق العذاب قوله تعالى ونرثه ما يقول اي نرثه المال والولد بعد
اهلاكنا اياه ولا يعود بعد ذلك اليه كما لا يعود المال الى من خلفه بعد موته ويأتينا فردا في الآخرة فردا اي وحيدا
خاليا من المال والولد قوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا اي واتخذ اهل مكة من
دون الله اصناما آلهة ليكونوا لهم اعوانا وشفعاء في الآخرة والعز الامتناع من الضيم فهم اتخذوا هذه الآلهة ليصيروا
بها الى العز في زعمهم ولا يصيبهم شيء وذلك انهم رجوا منها الشفاعة والنصرة والمنع من عذاب الله قوله تعالى كلا
اي لا ينفعهم شيء سيكفرون بعبادتهم اي تجحد الآلهة عبادة المشركين كما قالوا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا
يعبدون قوله تعالى ويكونون عليهم ضدا اي يصيرون اعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم ويتبرؤون منهم
قوله تعالى ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا اي الم تعلم انا خلينا بين الشياطين
والكفار وسلطناهم عليهم فلم نعصم الكفار من القبول منهم وقد تسمى التخلية ارسالا في سعة اللغة قوله تعالى تؤزهم
ازا تزعجهم الى معصية الله تعالى ازعاجا وتغريهم اغراء وقال القتيبي تحركهم الى المعاصي واصله الحركة والغليان
ومنه الحديث المروي وفي جوفه ازيز كازيز المرجل قوله تعالى فلا تعجل عليهم اي لا تعجل بانزال العذاب بهم
انما نعد لهم عدا اي نعد انفاسهم نفسا بعد نفس كما نعد ايامهم واحوالهم قوله تعالى يوم نحشر المتقين
الى الرحمن وفدا اي اذكر لهم يا محمد الذي تحشر فيه من يتقي الله في الدنيا ولجتنب الكبائر والفواحش الى دار الرحمن
وهي موضع الكرامة والثواب قوله تعالى وفدا اي ركبانا وقال علي رضي الله عنه وهل يكون الوفد الا ركبانا
وقال ابن عباس يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحال الذهب وازمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى
يقرعوا ابواب الجنة وانما وحد الوفد لانه مصدر قوله تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا اي نحثهم
على السير الى جهنم وقوله تعالى وردا اي عطاشا مشاة حفاة عراة قد تقطعت اعناقهم من العطش والورد الجماعة
التي ترد الماء ولا يرد احد الماء الا بعد العطش قوله تعالى لا يملكون الشفاعة اي لا يقدرون على الشفاعة
الا من اتخذ عند الرحمن عهدا اي لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا وهم المؤمنون فانهم يملكون الشفاعة
وقال ابن عباس العهد شهادة ان لا اله الا الله ومن في موضع نصب على الاستثناء المنقطع وقال ابن عباس لا يشفع
الا من قال لا اله الا الله وتبرأ من الحول والقوة ولا يرجو الا الله عز وجل وعن ابن مسعود قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عهدا عند الله قالوا
كيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد
اليك في هذه الدنيا اني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان
تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعله لي عهدا عندك توفينيه يوم

لقيته انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى
منادٍ اين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة قوله تعالى **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا
ادًّا** أي قالت المشركون الملائكة بنات الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود عزير ابن
الله تعالى قال لهم لقد جئتم شيئا ادًّا أي منكرا عظيما قوله تعالى **تكاد السموات يتفطرن منه** أي يتشققن
من عظيم هذا القول **وتنشق الارض** فتصدع **وتخر الجبال هدًّا** أي تسقط بعضها على بعض بشدة
صوت بان سمعوا **أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا** قرأ اهل الحجاز والكسائي يتفطرن
بالتاء مشددة وقرأ نافع يكاد بالياء لتقدم الفعل قال المفسرون لما قالوا اتخذ الرحمن ولدا اقشعرت
الارض وغضبت الملائكة واستعر جهنم وفزعت السموات والارض والجبال قوله تعالى **ان كل من في
السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا** أي ما من احد في السموات والارض الا سيأتي الرحمن مقرا بالعبودية
ويأتيه يوم القيمة عبدا ذليلا يعني ان الخلق كلهم عبيده وان عيسى والعزير من جملة العبيد قوله تعالى **لقد
احصاهم وعدهم عدا** أي لقد علم عددهم وافعالهم ولا يخفى عليه شيء منهم مع كثرتهم قوله تعالى **وكلهم
آتيه يوم القيمة فردا** فردا لا انصار لهم ولا اعوان ولا مال له ولا ولد كل امرء مشغول بنفسه لا يهمه
غيره قوله تعالى **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا** أي يحبهم في الدنيا ويحببهم
الى عباده المؤمنين من اهل السموات والارض وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله العبد
قال الله تعالى يا جبريل اني قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السموات ان الله قد احب
فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم توضع له المحبة في الارض واذا ابغض العبد قال مثل ذلك وما اقبل عبد
بقلبه على الله الا اقبل الله بقلوب المؤمنين عليه حتى يرزقه الله مودتهم ومحبتهم قوله تعالى **فانما يسرناه بلسانك**
أي يسرنا قراءة القرآن على لسانك **لتبشر** بالقرآن **المتقين وتنذر به قوما لدا** أي قوما ذوي جدل بالباطل
واللد جمع الالد وهو شديد الخصومة نظيره الاصم والصم قوله تعالى **وكم اهلكنا قبلهم من قرن** أي
كم اهلكنا يا محمد قبل قومك من قرون ماضية **هل تحس منهم من احد** أي هل ترى منهم من احد **او تسمع لهم
ركزا** أي صوتا والاحساس مأخوذ من الحس تقال هل احسست فلانا أي هل رأيته والركز هو الصوت
الخفي الذي لا يفهم ومنه الركاز وهو المغيب في الارض وقال الحسن في معنى الآية ذهب القوم فلا يسمع لهم صوت
وقال قتادة معناه هل ترى من عين او تسمع من صوت ٭ وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من قرأ سورة مريم اعطي من الاجر بعدد من صدق بزكريا ويحيى ومريم وعيسى وهرون وابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب وادريس وبعدد من كذب بهم وبعدد من دعا لله ولدا وبعدد من وحد الله تعالى

سورة طه مائة وخمس وثلثون آية

وهي خمسة آلاف ومائتان واثنان واربعون حرفا والف وثلثمائة واربعون كلمة ومائة وخمس وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طه قرأ ابو عمرو وورش بفتح الطاء وكسر الهاء ٭ وقرأ حمزة والكسائي وخلف بكسر الطاء والهاء ٭ وقرأ
الباقون بالتفخيم فيهما ٭ واختلفوا في معناه فقال اكثر المفسرين معناه يا رجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم وهو
قول ابن عباس والحسن وعكرمة وابن جبير والضحاك وقتادة ومجاهد الا ان عكرمة قال هو بلسان الحبشة
وقال قتادة انما هو بلغة اهل السريانية وروى السدي عن ابي مالك ان معنى قوله طه يا فلان
وقال الكلبي هو بلغة عك يا رجل وقال ابن الانباري ولغة قريش وافقت تلك اللغة ايضا في هذا المعنى

لان الله تعالى لم يخاطب نبيه الا بلسان قريش قال الشاعر ٭ ان السفاهة طه في خلائقكم ٭ لا
قدس الله ارواح الملاعين ٭ يريد يا رجل وقال آخر ٭ هتفت بطه في القتال فلم يجب ٭ وقرئ طه بسكون
الهاء وله تفسيران احدهما ان تكون الهاء بدلا من همزة الطاء كقولهم في ارقت هرقت والآخر ان تكون على ترك
الهمزة طأ يا رجل بقدميك الارض ثم تدخل الهاء للوقف فانه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجتهد
في صلوة الليل بمكة حتى تورمت قدماه وكان اذا صلى رفع رجلا ووضع اخرى فانزل الله تعالى طه اي
طأ الارض بقدميك ٭ وقال بعضهم ان السورة قسم اقسم الله بطوله وهدايته وقال بعضهم الطاء الطهارة
والهاء من الهداية كانه تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم يا طاهرا من الذنوب ويا هاديا الى علام الغيوب
قوله تعالى **ما انزلنا عليك القرآن لتشقى** أي لتجهد نفسك وتتعب وذلك انه لما نزل عليه الوحي اجتهد في
العبادة حتى كانه يصلي على احدى رجليه لشدة قيامه وطوله فامره الله ان يخفف على نفسه وذكر له انه ما انزل
عليه القرآن ليتعب ذلك التعب ولم ينزله **الا تذكرة لمن يخشى** الله قال مجاهد نزلت هذه الآية بسبب ما كان
يلقى النبي صلى الله عليه وسلم من التعب والسهر من قيام الليل وقال الحسن هذا جواب للمشركين وذلك ان ابا جهل والنضر
بن الحرث قالا للنبي صلى الله عليه وسلم انك لتشقى لما رأوا من طول عبادته وشدة اجتهاده فقال صلى الله عليه
وسلم بعثت رحمة للعالمين قالوا بل انت شقي فانزل الله هذه الآية ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولكن لتسعد
وتنال الكرامة في الدنيا والآخرة والشقاء في اللغة استمرار ما يشق على النفس من التعب قوله تعالى **تنزيلا** نصب على
المصدر أي نزلناه تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى جمع العليا قوله تعالى **الرحمن على العرش استوى** أي استولى وقد تقدم
الشرح قوله تعالى **له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى** أي له ما في السموات وما في الارض
وما بينهما من الخلق معناه انه مالك كل شيء ومدبره وقوله تعالى وما بينهما يعني الهواء قوله تعالى **وما
تحت الثرى** أي وما تحت التراب المغبر الذي يقولون هو التراب الندي الذي تحت الارض السفلى وتبلغ الصخرة
التي عليها الثور ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله قوله تعالى **وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى** معناه ما
حاجتك الى الجهر فان الله لا يحتاج الى الجهر ليسمع فانه تعالى يعلم السر واخفى منه قال ابن عباس السر ما اسررت
في نفسك واخفى منه ما لم تحدث به نفسك مما تكون في غد علم الله فيهما سواء والتقدير واخفى منه ما لم يكن وهو كائن
فالله تعالى يعلم ما خفي عن ابن آدم مما هو فاعله قبل ان يفعل قوله تعالى **الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى**
أي له الصفات العليا قوله تعالى **وهل اتاك حديث موسى** هذا استفهام تقرير يعني الخبر يريد قد اتاك حديث
موسى **اذ رأى نارا** قال ابن عباس كان موسى عليه السلام رجلا غيورا لا يصحب الرفقة لئلا ترى احد امرأته
فأخطأ الطريق في ليلة مظلمة فرأى نارا من بعيد **فقال لاهله امكثوا** أي قال لامرأته اقيموا مكانكم **اني
آنست نارا** أي رأيتها وابصرتها **لعلي آتيكم منها بقبس** أي بشعلة **او اجد على النار هدى** أي من
يدلني على الطريق ٭ وقال مجاهد يعني هاديا يهديني الى الطريق قال الفراء اراد هاديا فذكر بلفظ المصدر وقال
السدي لان النار لا تخلو من اهل لها وناس عندها وكانت رؤيته للنار ليلة الجمعة وكان قد استأذن شعيبا
عليه السلام في الرجوع الى والدته فاذن له فخرج بامرأته فولدت في الطريق في ليلة باردة مثلجة وقد حاد
عن الطريق فقدح النار فلم تور المقدحة شيئا فبينما هو في مداولة ذلك اذ ابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق
فقال لامرأته امكثوا أي اقيموا مكانكم اني ابصرت نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار من يدلني على الطريق
قوله تعالى **فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك** أي فلما اتى النار رأى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها
كانها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وتعجب فالقيت عليه السكينة ثم نودي
يا موسى اني انا ربك وانما كرر الكناية لتوكيد الدلالة وازالة الشبهة وتحقيق المعرفة وقرئ اني انا ربك
بفتح الهمزة وكسرها فمن فتح فعلى معنى باني ومن كسر فعلى معنى الابتداء قال وهب نودي من الشجرة فقيل

يا موسى فأجاب سريعاً ما يدري من دعاه فقال إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت قال أنا فوقك ومعك
وأمامك وخلفك وأقرب إليك من نفسك فعلم أن ذلك لا ينبغي إلا لربه عز وجل فأيقن به قوله تعالى فاخلع
نعليك قال الحسن إنما أمر بخلع نعليه لتناله بركة الوادي المقدس ويباشر تراب الأرض المقدسة بقدميه
فتناله بركتها وقوله تعالى المقدس أي المطهر وقال عكرمة كانت نعلاه من جلد حمار ميت قوله تعالى إنك
بالواد المقدس طوى المقدس هو المطهر وقيل المبارك ولا يستدل بما قاله عكرمة على أن جلد الميتة
لا يطهر بالدباغ لأنه إن كان كذلك فهو منسوخ بقوله عليه السلام أيما إهاب دبغ فقد طهر قوله تعالى طوى هو
اسم الوادي قوله تعالى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى أي اخترتك للرسالة لكي تقوم بطاعتي فاستمع لما يوحى
إليك واحفظه حتى تؤديه إلى الناس وقرأ حمزة وأنا اخترناك بالتشديد في أنا للتعظيم قوله تعالى إنني أنا الله
لا إله إلا أنا فاعبدني ولا تعبد غيري ظاهر المعنى قوله تعالى وأقم الصلاة لذكري أي لتذكرني فيها
بالتسبيح والتعظيم كذا قال مجاهد والحسن وقيل لأن أذكرك بالثناء والمدح وقال مقاتل إذا نسيت الصلاة
فأقمها إذا ذكرتها قال صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها فإن ذلك وقتها ثم
قرأ وأقم الصلاة لذكري قوله تعالى إن الساعة آتية أكاد أخفيها قال ابن عباس معناه أن القيمة آتية
أكاد أخفيها عن نفسي فكيف أظهرها لغيري وقال المبرد هذا على عادة مخاطبة العرب يقولون إذا بالغوا
في كتمان الشيء كتمته عن نفسي أي لم أطلع عليه أحداً والمعنى أنه بالغ في إخفاء الساعة فذكره بأبلغ ما تعرف العرب وقال
قتادة هي في بعض القراءة أكاد أخفيها من نفسي ولعمري لقد أخفاها الله عن الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين وفي مصحف
عبد الله أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وقيل معنى الآية أكاد أخفيها عن عبادي كيلا تأتيهم إلا بغتة والفائدة
في إخفائها عن العباد التهويل والتخويف وفي ذلك مصلحة لهم لأنهم إذا لم يعلموا متى قيامها كانوا على حذر منها في كل
وقت خائفين من الموت مستعدين لذلك بالتوبة والطاعة قوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى أي بسعيها إما
الثواب وإما العقاب وقرأ الحسن وابن جبير أكاد أخفيها بفتح الهمزة أي أظهرها وأبرزها يقال خفيت الشيء إذا
أظهرته وأخفيته إذا سترته قوله تعالى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها أي فلا يصرفنك عن الإيمان بالساعة من
لا يصدق بها واتبع هواه للإنكار فتردى أي فتهلك وهو خطاب لموسى عليه السلام والنهي لسائر المكلفين
والصد هو الصرف وعن الخبر تعالى صد عن الحق وصد عن الإيمان ولا يقال صده عن الشر وإنما يقال صرفه
عن الشر ومنعه عنه قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى أي وما التي بيمينك يا موسى قال هي عصاي
أتوكأ عليها أي أعتمد عليها إذا أعييت وإذا مشيت ولفظ الآية استفهام ومعناه التقرير على المخاطب أن الذي
في يده عصا لكيلا يهوله إذا صارت ثعباناً وقيل كان الغرض هذا السؤال إزالة الوحشة منه لأن موسى كان خائفاً
مستوحشاً قوله تعالى وأهش بها على غنمي أي أخبط بها الشجر ليتناثر ورقه فتأكله غنمي وقرأ عكرمة وأهس
بالسين غير معجمة أي أزجر بها الغنم وكلام العرب يقولون هس وهش قوله تعالى ولي فيها مآرب أخرى
أي حوائج أخرى يقال لا أرب لي في هذا أي لا حاجة لي فيه واحد المآرب مأربة بفتح الراء وضمها
وإنما لم يقل أخر لأجل رؤوس الآي قال ابن عباس كانت مآربه أنه إذا قصر رشاؤه وصله بالمحجن ثم أدلى
العصى وكان في أسفلها عكازة يقاتل بها السباع وكان يلقي عليها كساءه يستظل تحتها ومن مآربه أيضاً أنه
كان إذا أراد الاستقاء من بئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كالدلو وكان يظهر على
شعبتيها كالشمعتين بالليل تضيء له مد البصر ويهتدي بها وإذا اشتهى ثمرة من الثمار ركزها في الأرض
فتغصنت أغصان تلك الشجرة وأورقت وأثمرت ثمرها ومن المعلوم أن موسى لم يرد بهذا الجواب
إعلام الله تعالى لأن الله عالم بذلك منه ولكن لما اقتضى السؤال جواباً لم يكن بد له من الإجابة بذكر
منافع العصى إقراراً بالنعمة فيها والتزاماً لما يجب عليه من الشكر لله وهكذا السبيل والله تعالى

نعم

في المواقف بشكر نعم الله وفي هذا الجواب عن طعن بعض الملحدة بأن المسألة كانت بما في يده ولم يكن غرضه منها
ولكان الجواب بما لم يسأله قوله تعالى فألقاها فإذا هي حية تسعى تشتد رافعة رأسها عيناها تتوقدان
ناراً تمشي بسرعة على بطنها لها عرف كعرف الفرس فلما عاين ذلك موسى ولى مدبراً ثم تعقبها رأسها
فنودي يا موسى ارجع فرجع وهو شديد الخوف فقال الله له خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها
الأولى عصاً كما كانت فلما أمره الله بأخذها أدنى طرف ثوبه على يده وكان عليه مدرعة من صوف
فلما جعل طرف المدرعة على يده ليتناولها قال له ملك يا موسى أرأيت لو أن الله قدر عليك ما تحاذره
أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً قال لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت فأمر أن يدخل يده في فمها فكشف
عن يده ثم وضعها في فم الحية وإذا يده في الموضع الذي كان يضعها فيه بين الشعبتين اللتين فوق رأس
العصى وإنما أمره بإدخال يده في فمها لأنه إنما يخشى من الحية من فمها فأراد الله أن يريه من الآية التي
لم يقدر عليها مخلوق ولكيلا يفزع من إلقائها عند فرعون فلا تولي مدبراً قوله تعالى واضمم يدك
إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى قال الفراء جناح الإنسان عضده إلى أصل
إبطه والمعنى أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء ذات شعاع من غير مرض ولا برص آية أخرى نعطيكها
مع العصى لنريك من آياتنا الكبرى سوى هاتين الآيتين فكان عليه السلام إذا أدخل يده في جيبه خرجت
بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر
وأشد ضوءاً قوله تعالى اذهب إلى فرعون إنه طغى أي جاوز الحد في العصيان وكفر وتكبر قوله تعالى
قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري أي وسع لي صدري وهون علي أمري ليمكنني تحمل أثقال الرسالة
والقيام بأدائها ومخاصمة الناس فيها وسهل لي أمري برفع المشقة ووضح الحجة قوله تعالى واحلل
عقدة من لساني يفقهوا قولي أي وارفع العقدة من لساني ليفهموا كلامي وكان سبب العقدة في
لسانه أنه كان في حجر فرعون ذات يوم فأخذ بلحيته فنتفها فقال فرعون لامرأته آسية
إن هذا عدوي المطلوب وهم بقتله فقالت له آسية لا تفعل فإنه طفل لا يعقل ولا يفرق بين الأشياء ويميز
وعلامة ذلك أنه لا يميز بين الدرة والجمرة فجاءت بطستين فجعلت في أحدهما الجمر وفي الآخر الجوهر
والحلي ووضعتهما بين يدي موسى فأراد موسى أن يأخذ شيئاً من الحلي فأخذ جبريل بيده فوضعها على
النار فأخذ جمرة ووضعها في فمه حتى أحرق لسانه وكان في لسانه رتة فدفع عنه القتل
وقد اختلفوا في هذه العقدة هل زالت بأجمعها وقت نبوته أم لا قال بعضهم زالت كلها
بدلالة قوله ولا يكاد يبين وقال بعضهم وهو الأصح والله أعلم ذهب الحسن أن الله استجاب له فحل
العقدة من لسانه فإنه تعالى قال قد أوتيت سؤلك يا موسى فعلى هذا يكون قول فرعون ولا يكاد يبين
أي لا يأتي ببيان يفهم ومن هذا القول لزيادته لينصرف الوجوه عنه قوله تعالى واجعل لي وزيراً
من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري الوزير الذي يوازر الأمير فيحمل عنه بعض
ما حمل فيكون المعنى واجعل لي عوناً وظهيراً من أهلي وقال الزجاج اشتقاقه من الوزر وهو الجبل
الذي يعتصم به لينجي من الهلكة يريد الوزير من هو فقال هارون أخي قيل هارون مفعول
جعل تقديره اجعل هارون أخي وزيراً لي اشدد به أزري أي قو به ظهري والأزر الظهر ليعاون
على الأمر الذي أمرتنا به يقال آزرت فلاناً إذا عاونته قوله تعالى وأشركه في أمري أي اجعله شريكاً
لي في تبليغ هذه الرسالة ومن قرأ أشدد بفتح الألف وأشركه بضم الألف فعلى الفعل لموسى عليه السلام
قوله تعالى كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً أي كي نصلي لك وقيل كي نسبحك تسبيحاً كثيراً ونذكرك بالحمد
والثناء ذكراً كثيراً وأولينا من نعمك ومننت علينا من تحمل رسالتك قوله تعالى إنك كنت بنا بصيراً أي

عالما قوله تعالى ﴿قال قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ أي أعطيت جميع ما سألت يا موسى وأعطيت مرادك قوله تعالى ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ أي أنعمنا عليك مرة أخرى قبل هذه المرة ثم بين تلك النعمة قوله تعالى ﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى﴾ أي ألهمناها حين خافت عليك وما كان فيه سبب نجاتك من القتل ما يوحى أي ما يلهم ثم فسر ذلك الإلهام فقال ﴿أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم﴾ كان السبب في ذلك أن فرعون كان يقتل غلمان بني إسرائيل على ما تقدم ذكره ثم خشي أن يفني نسل بني إسرائيل فكان يقتل بعد ذلك في سنة ولا يقتل في سنة فولد موسى في السنة التي يقتل فيها الغلمان فنجاه الله من القتل بأن ألهم أمه أن اجعليه في التابوت واطرحي التابوت في اليم وهو البحر وأراد به النيل ومعنى قوله تعالى أن اقذفيه أي اجعليه قوله تعالى ﴿فليلقه اليم بالساحل﴾ لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر تقديره حتى يلقيه اليم بالساحل قوله تعالى ﴿يأخذه عدو لي وعدو له﴾ أراد به فرعون قوله تعالى ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ أي وذلك أن أم موسى لما اتخذت لموسى تابوتا جعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى والقته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فبينما هو جالس على البركة مع امرأته آسية إذا بالتابوت يجيء به الماء فلما رآه أمر الجواري والغلمان بإخراجه فأخرجوه وفتحوه فإذا صبي من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك فذلك قوله تعالى وألقيت عليك محبة مني قال عطية العوفي جعل عليه مسحة من جمال وأحبه كل من رآه وقال عطاء عن ابن عباس معنى قوله تعالى وألقيت عليك محبة مني أي لا يلقاك أحد إلا أحبك من مسلم وكافر وقال عكرمة الحسن ملاحة وحسنا لحين نظرت آسية وجهه قالت لفرعون قرت عين لي ولك وقال أبو عبيدة معناه وجعلت لك محبة عندي وعند غيري أحبك فرعون فسلمت من شره وأحبتك امرأته فتبنتك قوله تعالى ﴿ولتصنع على عيني﴾ أي ولتربى وتغذى بمرأى مني أي لتجري أمرك على ما أريد بك من الرفاهية في غذائك وقال قتادة معناه لتغذى على محبتي وإرادتي قوله تعالى ﴿إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله﴾ وذلك أن موسى جعل يبكي ويطلب اللبن فأمر فرعون حتى أتي بالنساء اللواتي حول دار فرعون ليرضعن موسى فلم يقبل ثدي واحدة منهن وكانت أخت موسى متبعة للتابوت ناشئة خلفه فلما حمل التابوت إلى فرعون ذهبت هي معه فقالت هل أدلكم على من يكفله أي يرضعه ويضمه وتحضنه فقالوا لها من هي قالت امرأة قد قتل ولدها وهي تحب أن تجد صبيا ترضعه وأذن لها فرعون في إحضارها فانطلقت وأتت بأم موسى فأعطته الثدي فأخذه موسى وفرح به فرعون وجعل لها أجرة على الإرضاع وحملته أمه إلى دارها فذلك قوله تعالى ﴿فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن﴾ أي رددناك إليها كي تطيب نفسها ولا تحزن على ابنها قوله تعالى ﴿وقتلت نفسا﴾ يعني القبطي الذي وكزه موسى فقضى عليه ﴿فنجيناك من الغم﴾ أي غم القود وخلصناك من أن تقتل قوله تعالى ﴿وفتناك فتونا﴾ أي أوقعناك في محنة بعد محنة ونجيناك وخلصناك منها وذلك أنه حمل به في السنة التي يذبح فرعون فيها الأطفال ثم إلقاؤه في البحر ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه ثم جره لحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة ثم قتله القبطي ثم خروجه إلى مدين خائفا يترقب فمعنى فتناك فتونا أي خلصناك من تلك المحن وقيل معناه شددنا عليك في أمر المعاش حتى رعيت لشعيب عشر سنين وقال ابن عباس معناه اختبرناك اختبارا وقال الضحاك ابتليناك ابتلاء وقال مجاهد خلصناك إخلاصا قوله تعالى ﴿فلبثت سنين في أهل مدين﴾ يعني لبثت في أهل مدين حين كنت راعيا لشعيب عشر سنين وتقدير الكلام وفتناك فتونا فخرجت إلى أهل مدين فلبثت سنين ومدين بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر وقال وهب لبث في أهل مدين عند شعيب ثماني وعشرين سنة عشر سنين التي رعى فيها لشعيب وثماني عشر سنة أقام عنده

حتى ولد له وقتل القبطي يوم قتله وهو ابن اثني عشر سنة قوله تعالى ﴿ثم جئت على قدر يا موسى﴾ معناه فلبثت في أهل مدين حين كنت راعيا لشعيب ثم جئت على المقدار الذي قدره الله لمجيئك وكتبه في اللوح المحفوظ وقال ابن كيسان جاء على رأس أربعين سنة وهو القدر الذي يوحى فيه إلى الأنبياء قوله تعالى ﴿واصطنعتك لنفسي﴾ أي اختصصتك بوحيي ورسالتي والاصطناع هو الإخلاص له وقال الزجاج معناه اخترتك لإقامة حجتي وجعلتك بيني وبين خلقي قوله تعالى ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي﴾ أي باليد والعصا ﴿ولا تنيا في ذكري﴾ أي لا تفترا في تبليغ رسالتي إلى فرعون ولا تضعفا عن ذكري وقيل لا تقصرا ولا تبطئا قوله تعالى ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ قد تقدم تفسيره قوله تعالى ﴿فقولا له قولا لينا﴾ أي قولا له بالشفقة ولا تقولا له قولا عنيفا فيزداد غضبا لغلظ القول وقال السدي وعكرمة كنياه قولا له يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقيل يعني بالقول اللين هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى وعن السدي قال القول اللين أن موسى أتاه فقال له تؤمن بما جئت به وتعبد رب العالمين على أن لك شبابك ولا تهرم وتكون لك ملكك لا ينزع منك حتى تموت ولا ينزع عنك لذة الطعام والشراب والجماع حتى تموت وإذا مت دخلت الجنة فأعجبه ذلك وكان لا يقطع أمرا دون هامان وكان هامان غائبا فقال فرعون إن لي ذا أمر وهو غائب فاصبر حتى يقدم فلما قدم قال له فرعون يا هامان إن موسى دعاني إلى أمر فأعجبني وأخبره بالذي دعاه إليه وأردت أن أقبل منه فقال هامان قد كنت أرى أن لك عقلا بينما أنت رب تريد أن تكون مربوبا وأنت تعبد تريد أن تعبد فقلبه على رأيه وروي أن رجلا قرأ عند يحيى بن معاذ هذه الآية فقولا له قولا لينا فبكى يحيى وقال إلهي هذا رفقك بمن يقول أنا الإله فكيف رفقك بمن يقول أنت الإله إلهي إن يقول لا إله إلا الله بعد كفر خمسين سنة قوله تعالى ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ أي يتعظ أو يخشى العاقبة وكلمة لعل للترجي والطمع أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وأنا عالم بما يفعل فإن قيل كيف قال لعله يتذكر وعلمه سابق في فرعون أنه لا يؤمن ولا يتذكر ولا يخشى قيل هذا منصرف إلى غير فرعون لعله يتذكر متذكر أو يخشى خاش إذا رأى بري وألطافي بمن خلقته ورزقته وصححت جسمه وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية دوني قال بعض العارفين في قوله تعالى فقولا له قولا لينا إذا كان هذا رفقك بمن يعاديك فكيف رفقك بمن يصافيك هذا رفقك بمن يعاديك فكيف رفقك بمن يواليك هذا رفقك بمن يسبك فكيف رفقك بمن يحبك هذا رفقك بمن يقول ندا فكيف رفقك بمن يقول فردا هذا رفقك بمن ضل فكيف رفقك بمن دل هذا رفقك بمن أنكر فكيف رفقك بمن اعترف هذا رفقك بمن أصر فكيف رفقك بمن أقر هذا رفقك بمن استكبر فكيف رفقك بمن استغفر وعن وهب بن منبه قال أوحى الله إلى موسى أن انطلق إلى فرعون برسالتي فإنك بعيني ونظري وإنك جند عظيم من جندي بعثتك إلى خلق ضعيف قد غرته الدنيا حتى تمرد وأنكر ربوبيتي لولا اتخاذ الحجة عليه والعذر إليه لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والأرض والجبال والبحار فإن أذنت للسماء حصبته وللأرض ابتلعته وللجبال دمرته وللبحار أغرقته ولكنه هان علي ووسعه حلمي فبلغه رسالتي وقل له فيما بين ذلك قولا لينا ثم ذكر كلاما إلى أن قال وأخبره بربك الذي هو واسع المغفرة أنه قد أمهلك منذ خمسمائة سنة لم تهرم ولم تسقم ولم تفتقر واعلم أن أفضل ما تزين به العباد الزهد في الدنيا ومن أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة قوله تعالى ﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى﴾ معناه قال موسى وهارون ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا قال ابن عباس يعجل بالقتل والعقوبة وقيل يعلو علينا وأن يطغى يتكبر ويستعصي علينا ويقال فرط علينا فلان إذا عجل بمكروه وفرط منه أمر أي بدر وسبق قوله تعالى ﴿قال لا تخافا إنني معكما﴾ أي معكما بالنصر

والعون أسمع ما يرد عليكما وأعلم ما تصنعه بكما وقيل معناه أسمع دعاكما وأجيبه وأرى ما يراد بكما وأمنع
ولست بغافل عنكما فلا تهتما • فأتياه فقولا إنا رسولا ربك أرسلنا إليك فأرسل معنا بني إسرائيل
أي أطلقهم من أعمالك ولا تعذبهم بأعمال الشاقة قد جئناك بآية من ربك أي بعلامة من ربك وهي
اليد والعصا وهما آيتان وقيل اليد خاصة وكان فرعون قد استعبد بني إسرائيل في أعمال الشاقة مثل
اللبن والطين والبناء وما لا يقدرون عليه فلما قال له موسى قد جئناك بآية من ربك قال وما هي فأدخل يده
في جيب قميصه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس فعجب منها ولم يره العصا إلا بعد ذلك
يوم الزينة قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى ليس هو بتحية لفرعون ولكن معناه أن من اتبع
الهدى سلم من عذاب الله بدليل أنه عقبه قوله تعالى إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى
أي إنما يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه وأما من اتبعه فإنه يسلم قوله تعالى قال فمن ربكما
يا موسى أي من الحكيم الذي أرسلكما قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه أي ربنا الذي خلق كل شيء
على الهيئة التي ينتفع بها فأعطاه صحته وسلامته وركب فيه شهوته ثم هداه لمعيشته وقيل معناه الذي
صور كل جنس من الحيوان على صورة أخرى فلم يجعل خلق الإنسان كخلق البهائم ولا خلق البهائم كخلق الإنسان
ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا • وقال الضحاك أعطى كل شيء خلقه يعني لليد البطش وللرجل المشي وللسان
النطق وللعين النظر وللأذن السمع • وقال سعيد بن جبير أعطى كل شيء شكله للإنسان زوجة وللبعير
ناقة وللفرس رمكة وللحمار أتان وللثور بقرة ثم هدى أي ثم ألهم وعرف كيف يأتي الذكر الأنثى في
النكاح قوله تعالى قال فما بال القرون الأولى قال فما حال وما شأن الأمم الماضية لم يبعثوا ولم يجازوا
على أعمالهم ومعنى البال الحال والشأن والمعنى ما حالها فإنها لم تعرف الله وكلها عبدت الأوثان ويا القرون
الأولى نوح وعاد وثمود فقال موسى علمها عند ربي في كتاب وإذا علم لا بد يجازي وقيل معناه
علم أعمالها عند ربي في كتاب أراد به اللوح المحفوظ قوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى أي لا يذهب عليه شيء
ولا يخطئ ولا ينسى ما كان من أمرهم حتى يجازيهم عليه وقيل لا يغفل ربي ولا يترك شيئا ولا يغيب عنه شيء وفي
هذا دليل أن الله تعالى لم يكتب أفعال العباد لحاجته في معرفتها إلى الكتاب ولكن لمعرفة الملائكة وقوله تعالى
سؤال فرعون عن القرون الأولى هل بعث فيهم أنبياء كما بعث إلينا فأحالها على ما في المعلوم من أمرها قوله
تعالى الذي جعل لكم الأرض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وقرأ أهل الكوفة مهدا بغير ألف أي
فرشا والمهاد الفراش والمهد لغة فيه كالفرش والفراش أي جعلها مبسوطة ليمكن القرار عليها ولم يجعلها
حادة كرؤوس الجبال قوله تعالى وسلك لكم فيها سبلا أي طرقا تذهبون وتجيئون فيها وتسلكونها قال ابن
عباس سهل لكم فيها طرقا وأنزل من السماء ماء يعني المطر قوله تعالى فأخرجنا به أزواجا من نبات
شتى أي فأخرجنا بالمطر أصنافا من نبات مختلف الألوان قوله تعالى شتى أي مختلف الألوان والطعوم والمنافع
من أخضر وأحمر وأصفر قوله تعالى كلوا وارعوا أنعامكم أي كلوا من نبات الأرض وارعوا من عشبها أنعامكم إن في
ذلك لآيات لأولي النهى أي إن فيما ذكرت لكم لعلامة دالة على العقلاء ذوي العقول من الناس والنهى
العقول لأن أصحابها ينهون عن القبيح والمعاصي قوله تعالى منها خلقناكم أي من الأرض خلقنا أباكم
آدم وكلكم من ذريته وفيها نعيدكم عند الموت والدفن ومنها نخرجكم تارة أخرى للبعث وقد جرى
ذكر الأرض في قوله تعالى جعل لكم الأرض مهادا قوله تعالى ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى أي أرينا
فرعون آياتنا التسع كلها فكذب أي فكذب بها وزعم أنها ليست من الله وأبى أن يسلم ويقبل وتبع موسى إلى البحر قال
أجئتنا لتخرجنا من أرض مصر بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثل ما جئتنا به فاجعل بيننا وبينك
موعدا أي ميقاتا ومحلا في موضع معلوم لا نخلفه نحن ولا أنت أي لا نجاوزه ولا نقع ما خلف

في حضوره قوله تعالى مكانا سوى أي مكانا مستويا بين الناس ما بيننا وتستوي حال الناس الرضى به
وقيل تستوي مسافته على الفريقين فتكون مسافة كل فريق إليه كمسافة الفريق الآخر فواعد موسى يوما
معلوما وهو قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة أي يوم العيد الذي لكم قال سعيد بن جبير
كان ذلك يوم عاشوراء وقرأ الحسن يوم الزينة نصبا أي في يوم وقرأ الباقون بالرفع على الخبر
قوله تعالى وأن يحشر الناس ضحى أي ضحى ذلك اليوم وأراد بالناس أهل مصر ومعنى يحشر أي
يجتمعون إلى العيد وإنما جعل موسى موعدهم نهارا في يوم اجتماعهم ليكون أبلغ في الحجة وأبعد من الريبة
قوله تعالى وأن يحشر يحتمل أن يكون في موضع رفع على معنى موعدكم حشر الناس في وقت الضحى من يوم
الزينة ويحتمل أن يكون في موضع خفض عطفا على الزينة المعنى يوم الزينة ويوم حشر الناس ووقت
الضحى قوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى أي فأعرض فرعون عن الحق والطاعة فجمع كيده
ومكره وذلك جمعه السحرة ثم أتى الموعد والمعنى فجمع كيده أي سحرته قيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا فقال موسى
للسحرة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا أي لا تشركوا معه أحدا ولا تختلقوا عليه كذبا بتكذيبكم
فيسحتكم بعذاب أي فيهلككم ويستأصلكم بعذاب من عنده وقد خاب من افترى أي وقد خسر
من اختلق على الله كذبا ومعنى قوله ويلكم أي ألزمكم الله الويل وقرأ أهل الكوفة فيسحتكم بضم الياء وكسر الحاء
يقال سحته الله وأسحته أي أهلكه قوله تعالى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى أي تشاور
السحرة فيما بينهم سرا من فرعون في أمر موسى وأسروا المناجاة فقالوا إن غلبنا موسى اتبعناه وآمنا
به فهذا نجواهم قوله تعالى قالوا إن هذان لساحران أي قال الملأ من قوم فرعون إن موسى
وهارون لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرض مصر ويذهبا بطريقتكم المثلى أي بدينكم
الأمثل وقيل معناه ويذهبا بأهل طريقتكم واختلف القراء في قوله تعالى إن هذان فقرأ أبو عمرو وهذين
على اللغة المعروفة وهي لغة الحجاز وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي هذان بالألف وهي لغة
كنانة وبني الحارث بن كعب وخثعم وزبيد وقبائل من اليمن يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض
على لفظ واحد يقولون أتاني الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان • وقال الفراء أنشدني
رجل من بني أسد وما رأيت أفصح منه • وأطرق إطراق الشجاع ولو يرى • مساغا لناباه الشجاع لصمما
ويقولون كسرت يداه وركبت علاه يعني يديه وعليه وقال شاعرهم • تزود منا بين أذناه ضربة
دعته إلى هابي التراب عقيم • أراد بين أذنيه وقال آخر أي قلوص ابن كعب تراها
طاروا علاهن فطر علاها • أي عليهن وقال آخر إن أباها وأبا أباها • قد بلغا في المجد
غايتاها • وقال بعضهم إن هاهنا بمعنى نعم روي أن أعرابيا سأل ابن الزبير شيئا فحرمه فقال لعن الله
ناقة حملتني إليك فقال ابن الزبير إن وصاحبها يعني نعم وقال الشاعر بكر العواذل في الصبوح يلمنني
وألومهنه • ويقلن شيب قد علاك • وقد كبرت فقلت إنه • أي نعم وقد ذكر أهل النحو لتصحيح هذه
القراءة وجوها أحدها ضعف عمل إن لأنها تعمل بالشبه للفعل وليست بأصل العمل ألا ترى أنها إذا خففت لم تعمل
أنها للتثنية كالذين في الشبه لأن الذين في الرفع والنصب والخفض سواء ولأن الألف في هذان ليس ألف
التثنية لوجودها في الوحدان وإنما زيدت النون في التثنية ليكون فرقا بين الواحد والاثنين كما قالوا الذي
ثم زادوا نونا تدل على الجمع فقالوا الذين في رفعهم ونصبهم والثالث أن ها هنا مضمر لأنه حذف
الهاء والرابع أنه لما حذفت الألف صارت ألف التثنية عوضا منها والخامس أن إن بمعنى نعم وقوله تعالى
فأجمعوا كيدكم قرأ أبو عمرو فاجمعوا كيدكم بوصل الألف وفتح الميم من الجمع وتصديقه قوله تعالى
فجمع كيده • وقرأ الباقون فأجمعوا بقطع الألف وكسر الميم مأخوذ من أجمعت الأمر إذا عزمت عليه وأحكمته

وقوله تعالى كيدكم أي مكركم وسحركم وقوله تعالى ثم ائتوا صفا أي مصطفين مجتمعين ليكون أنظم
لأموركم وأشد لهيبتكم وقيل معناه ثم ائتوا المصلى والعرب تسمي المصلى صفا قال الزجاج يجوز على هذا معناه
ثم ائتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم قوله تعالى وقد أفلح اليوم من استعلى أي قد فاز بالفلاح
والبقاء من كانت الغلبة له قوله تعالى قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى أي
قالت السحرة يا موسى إما أن تلقي عصاك إلى الأرض وإما أن نكون أول من ألقى العصا والحبال قال لهم موسى
بل ألقوا أنتم فألقوا حبالهم وعصيهم روي أنهم كانوا سبعين ألف ساحر وكان عدد ما عملوا من
الحبال والعصي حمل ثلاثمائة بعير فالتقمتها ما معهم فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها
تسعى أي تمشي وتتحرك وكانوا قد احتالوا فيها بحيلة وكان كل من رآها من بعيد يخيل إليه أنها تتحرك
قرأ ابن عامر تخيل بالتاء رده إلى الحبال والعصي وقرأ الباقون بالياء ردوه إلى الكيد والسحر وذلك
أنهم لطخوا حبالهم وعصيهم بالزئبق فلما أصابه حر الشمس ارتهشت واهتزت فظن موسى أنها تقصده
فأوجس في نفسه خيفة موسى أي أحس ووجد وقيل أضمر في نفسه خيفة موسى فإن قيل لم
خاف أن يأمرهم بالإلقاء وهو كفر قيل يجوز معناه ألقوا إن كنتم محقين كما زعمتم ويجوز أن يكون أمر
بالإلقاء على وجه الاعتبار قوله تعالى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف
خافه موسى قيل خاف أن يلتبس على الناس أمر السحر فيتوهموا أن حبالهم وعصيهم بمنزلة عصاه وقيل
كان خوفه خوف الطبع لما رأى من كثرة الحيات العظام قوله تعالى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى
عليهم بالظفر والغلبة قوله تعالى وألق ما في يمينك يعني العصا تلقف ما صنعوا أي تبتلع وتلقم
ما طرحوا من العصي والحبال إنما صنعوا كيد ساحر أي أن الذي صنعوا كيد ساحر وقرئ كيد سحر
قالوا فيه حرير ولا يفلح الساحر أي لا يفلح حيث كان بباطله وقيل لا يسعد الساحر حيث كان والحيوة
تلقفت جميع ما صنعوا ثم أخذها موسى فرجعت عصا كما كانت فألقي السحرة سجدا لما رأوا من
حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات
والنار ورأوا منازلهم قال وكانت امرأة فرعون تسأل من غلب فقيل لها موسى غلب فقالت آمنت
برب موسى وهرون فأرسل إليها فرعون فقال انظروا إلى أعظم صخرة تجدونها فإن هي رجعت
عن قولها وإلا فألقوها عليها فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فرأت بيتها في الجنة فقالت رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة فانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه قوله تعالى قالوا آمنا برب
هرون وموسى قال فرعون آمنتم له قبل أن آذن لكم في الإيمان له وأفهم بهذا أنهم لو أذن لهم
به أن آمنتم له بمعنى الاتباع له وآمنتم بما أتاكم من غير اتباع له فيما دعا إليه قوله تعالى إنه
لكبيركم الذي علمكم السحر أي رئيسكم ومعلمكم وإنما قال فرعون هذا لقصد أنه لا يصرف الناس
عن اتباع موسى لأن السحرة لم يتعلموا من موسى وإنما كانوا يعلمون السحر قبل قدوم موسى وقيل ولادته قوله
تعالى فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف قد تقدم تفسيره ولأصلبنكم في جذوع النخل أي
على جذوع النخل أي حزن في مقام حرف على لأن فرعون أول من قطع اليد والرجل من خلاف وصلب
قوله تعالى ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى أي لتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى أنا أم رب موسى
قوله تعالى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات أي قالت السحرة لفرعون لن نختارك على ما جاءنا
من اليقين والبراهين يعني اليد والعصا وقال عكرمة هو أنهم لما رفعوا رؤوسهم من السجود رأوا الجنة والنار
ورأوا منازلهم في الجنة قوله تعالى والذي فطرنا أي لن نؤثرك على الله الذي فطرنا أي خلقنا ويجوز أن يكون
قوله والذي فطرنا قسما فاقض ما أنت قاض أي اصنع ما أنت صانع إنما تقضي هذه الحيوة

الدنيا

الدنيا أي إنما تحكم علينا في الدنيا وهي منقضية لا محالة وأما الآخرة فليس لك فيها حظ قوله تعالى إنا
آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا أي الشرك الذي كنا في الجاهلية ويغفر لنا ما أكرهتنا عليه من السحر قال
ابن عباس كان فرعون يكره الناس على تعلم السحر حتى لا يستطيع عنهم وقيل إنه أكره هؤلاء السحرة على معارضة
موسى قوله تعالى والله خير وأبقى أي هو خير ثوابا إن أطيع وأبقى عقابا إن عصي وقيل معناه ما عند الله
من الكرامة والثواب أفضل وأدوم مما تعطيناه من المال وهذا جواب عن قوله ولتعلمن أينا أشد
عذابا وأبقى وههنا انتهى قول السحرة قوله تعالى إنه من يأت ربه مجرما أي من يأت إلى الموضع
عاصيا فإن له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه وقال ابن عباس المجرم الكافر قوله
تعالى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات أي قد عمل الطاعات فأولئك لهم الدرجات العلى أي
الرفيعة في الجنة ودرجات الجنة بعضها أعلى من بعض والعلا جمع العليا قال صلى الله عليه وسلم إن أهل
الجنة ليتراءون أهل الدرجات العلى كما ترون الكوكب الدري وإن أبا بكر وعمر منهم قوله تعالى جنات عدن
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى أي من تطهر من الذنوب بالطاعة
وتطهير النفوس من المعصية قوله تعالى ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي يعني أسر بهم في أول الليل
من أرض مصر يعني بني إسرائيل فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا أي يابسا وذلك أن الله تعالى أيبس
لهم الطريق حتى لم يكن فيه ماء ولا طين قوله تعالى لا تخاف دركا ولا تخشى أي أنك لا تخاف
أن يدركك فرعون ولا تخشى الغرق من البحر وقرأ حمزة لا تخف على النهي ولا تخشى
تقديره وأنت لا تخشى كقوله يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون قوله تعالى فأتبعهم فرعون بجنوده
من قرأ فأتبعهم بالتخفيف معناه لحق بجنوده والباء في بجنوده زائدة والمعنى أمرهم أن يتبعوا موسى وقومه
ومن قرأ فاتّبعهم بالتشديد فالمعنى اتبعهم بنفسه ومعه الجنود قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم
أي علاهم وسترهم من البحر ما علاهم وهو الغرق وذلك أنه لما تراءى الجمعان أمر الله موسى أن تضرب
بعصاه البحر فانفلق الماء في عرض البحر حتى صار فيه اثنا عشر طريقا وبقي الماء قائما بين الطرق
والطرق يابسة فسلك موسى وأخذ كل سبط من بني إسرائيل طريقا من هذه الطرق فلما أتبعهم فرعون وقومه
ورأى البحر منفلقا فيه طرق يابسة أوهم قومه أن البحر إنما انفلق من هيبته فدخل فرعون خلف
بني إسرائيل فصاحت الملائكة في القوم أن الحقوا الملك حتى إذا دخل آخرهم وهم أولهم أن يخرج أطبق
الله تعالى البحر عليهم فغرقوا وقال وهب استعار بنو إسرائيل حليا كثيرا من القبط ثم خرج بهم
موسى بني إسرائيل من أول الليل وكانوا سبعين ألفا فأخبر فرعون بذلك فركب في ستمائة ألف من القبط يقص أثر بني
إسرائيل فلما رأى قوم موسى رهج الخيل أي غبارها قالوا إنا لمدركون قال موسى كلا إن معي ربي سيهدين
فلما قربوا قالوا يا موسى أين نمضي البحر أمامنا وفرعون خلفنا فضرب البحر بعصاه فانفلق فصار فيه
اثنا عشر طريقا يابسة لكل سبط طريق وصار بين كل طريقين كالطود العظيم من الماء وكانوا يمرون
في الطريق ولا يرى بعضهم بعضا فاستوحشوا وخافوا فجعل الله الأطواد شبكات يرى بعضهم بعضا ويسمع
بعضهم كلام بعض فلما أتى فرعون الساحل فرأى بني إسرائيل قد عبروا البحر جاء جبريل على رمكة طالبة
للذكر وكان فرعون على حصان فأدخل الرمكة في الماء فلم يتمالك حصان فرعون أن اقتحم على أثرها ودخل
القبط على آخرهم فلما ولجوا كلهم أوحى الله إلى البحر أن أغرقهم فعلاهم الماء فغرقوا قال كعب وعرف
السامري جبريل فقبض قبضة من أثر ترابه وألقاه في العجل حين اتخذه قوله تعالى وأضل فرعون قومه
وما هدى أي أضلهم حين دعاهم إلى عبادته وما هدى أي وما أرشدهم حين أوردهم موارد
الهلكة وهذا تكذيب له في قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد قوله تعالى يا بني إسرائيل قد أنجيناكم

من عدوكم يعني فرعون اغرقه بمرأى منهم وواعدناكم جانب الطور الأيمن قرأ حمزة والكسائي
أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم بغير ألف وذلك أن الله وعد موسى بعد ما أغرق فرعون ليأتي جانب الطور الأيمن
فيؤتيه التوراة فيها بيان ما يحتاجون إليه ونزلنا عليكم المن والسلوى قوله تعالى كلوا من طيبات
ما رزقناكم أي من حلال ما رزقناكم من المن والسلوى واشكروا انعامي قوله تعالى ولا تطغوا فيه
أي لا تبطروا في ما انعمت عليكم ولا تظلموا ولا تجاوزوا عن شكري الى المعاصي وكفر النعمة فتكونوا طاغين
فيحل عليكم غضبي أي فيجب عليكم عقوبتي وقرأ الأعمش والكسائي فيحل أي ينزل قوله تعالى ومن يحلل عليه
غضبي فقد هوى أي فقد تردى في النار وقرأ الكسائي ومن يحلل بضم اللام وقال الفراء والكسر في موضعه
أحب إلي من الضم لأن الضم من الحلول وهو الوقوع ويحلل بالكسر يجب وجاء التفسير بالوجوب لا بالوقوع
قوله تعالى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى أي لمن تاب من الشرك وآمن بالله
وعمل صالحا ثم استقام على معرفة الله تعالى واداء فرائضه واجتناب محارمه حتى مات على ذلك وقيل معنى
ثم اهتدى أي قام على السنة والجماعة وتعلم العلم ليهتدي به وقيل علم أن ذلك من توفيق الله قوله تعالى وما
أعجلك عن قومك يا موسى الآية أن موسى لما ذهب مع السبعين الذين اختارهم الى الميقات ليأخذ
التوراة من ربه تعجل الى الميقات قبل السبعين شوقا الى ربه وخلفهم وكان السبعين وأمرهم أن يتبعوه الى
الجبل وهو الطور والميقات فقال الله تعالى له وما أعجلك عن قومك يا موسى قال يا رب هم أولاء
على أثري أي هم هؤلاء يجيئون بعدي وعجلت إليك رب لترضى أي لتزداد رضا عني وارضاء
الله عز العباد لايجاب الدرجة والكرامة لهم قوله تعالى قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري
أي ابتلينا قومك الذين خلفتهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف وقال الزجاج معنى فتنا قومك أي ألقيناهم
في فتنة ومحنة وقال ابن الأنباري صيرناهم مفتونين أشقياء بعبادة العجل فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر
ألفا قوله تعالى من بعدك أي من بعد انطلاقك الى الجبل قوله تعالى وأضلهم السامري أي دعاهم الى عبادة العجل
وحملهم عليها فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا أي رجع من الميقات مع السبعين الى قومه فلما علم بهم
الفتنة رجع غضبان أسفا أي حزينا شديد الحزن جزعا مع غضبه قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا
حسنا أي ألم يعدكم انزال التوراة لتعملوا بما فيها لتستحقوا الجنة والكرامة الدائمة أفطال عليكم العهد
مدة مفارقتي اياكم أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم بأن ينزل العذاب بكم بعبادتكم العجل فأخلفتم
ما وعدتموني من حسن الخلافة بعدي قوله تعالى قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا أي ما أخلفنا موعدك بعبادة
العجل بأنا أخلفنا موعدك ونحن نملك من أمرنا شيئا أن لم نطق رد عبدة العجل عن ما ارتكبوه لكثرتهم وقلتنا
اثني عشر ألفا والذين عبدوا العجل خمسمائة ألف وثمانون ألفا لأنهم كانوا جميعا ستمائة ألف [illegible]
بملكنا بالكسر أي بأمرنا ومن قرأ بفتح الميم فهو المصدر ومن قرأ بضم الميم فمعناه سلطاننا وقدرتنا أي لم نقدر
على ردهم قوله تعالى ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم أي آثاما لأن [illegible]
والوزر في اللغة هو الحمل الثقيل وذلك أن موسى كان أمرهم أن يستعيروا من حليهم حتى [illegible]
هكذا روي عن ابن عباس وقيل أنهم كانوا استعاروها ليتزينوا بها في عيد كان لهم ثم لم يردوها عليهم
عند الخروج وكان ذلك ذنبا منهم فعلى هذا يكون معناه يكون حملنا آثاما من حلي القوم قوله تعالى
فقذفناها أي فقذفنا الحلي في النار لتذوب وكذلك ألقى السامري ما معه من الحلي فيها
[illegible] وذلك أن الله تعالى [illegible] فلما [illegible]
إنما أصابكم هذا عقوبة لكم بالحلي الذي معكم فاجمعوها [illegible]
في ثلاثة أيام فقذف فيها القبضة التي أخذها من أثر فرس جبريل قوله تعالى فأخرج لهم عجلا

جسدا له خوار أي أخرج لهم من النار صورة عجل صاغها من الحلي قوله تعالى له خوار أي صوت كصوت
العجل واختلفوا في هذا الخوار قال مجاهد خواره حفيف الريح إذا دخلت جوفه وذلك أنه كان جعل في
جوف العجل خروقا فإذا دخلتها الريح أوهم أنه يخور وقال الحسن وقتادة والسدي كان السامري
ألقى في فيه من تراب أثر فرس جبريل كما قال فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها فانقلب العجل حيوانا
يخور وكان معلوما في ذلك الزمان أنه من أخذ من حافره [illegible] فألقاها على شيء صار ذلك الشيء حيوانا
[illegible] أن تلك الدابة دابة جبريل لأنها كانت تضع حافرها على موضع إلا اخضر وروي
أن هرون مر بالسامري وهو يصنع العجل فقال له ما تصنع قال أصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال هرون
اللهم أعطه ما سألك كما يحب فسأل الله أن يجعل للعجل خوارا فكان الخوار يخرج من ذلك الجسد
الجسد كما يخور الثور فأوهمهم السامري أنه حي فافتتن به قوم فعبدوه ولو رجعوا الى عقولهم لعرفوا أنه
لا يصلح أن يكون إلها لأنه مصنوع صنعة آدمي مخلوق من حلي مخلوق قوله تعالى فقالوا هذا إلهكم
وإله موسى أي قال لهم السامري ذلك ووافقه قوم على ذلك قوله تعالى فنسي السامري الإسلام أي
تركه وقيل معناه قال السامري لمن وافقه على كفره أن موسى أراد هذا العجل فترك الطريق الذي كان يصل
إليه أي أن موسى ترك إلهه هاهنا وذهب يطلبه قوله تعالى أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولا أي أفلا
يرى السامري وأصحابه أنه يعني العجل لا يرد إليهم جوابا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا قوله تعالى ولقد
قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وذلك أن السامري لما دعاهم الى عبادة العجل قال لهم
إن هذا إلهكم وإله موسى وإن موسى مضى في طلبه وهو هاهنا فقام هرون فيهم خطيبا وقال يا قوم إنما فتنتم
بعبادة العجل وإن ربكم الرحمن لا العجل فاتبعوني لما أدعوكم إليه وأطيعوا أمري
لا أمر السامري [illegible] قالوا لن نبرح عليه عاكفين أي لا نزال مقيمين على عبادته حتى يرجع إلينا
موسى ومعنى قوله تعالى ولقد قال لهم هرون من قبل أي من قبل أن يأتي موسى فلما رجع موسى قال يا هرون
ما منعك إذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل ألا تتبعني لا زائدة أي ما منعك من اتباعي واللحوق
بي [illegible] على ايمانه أفعصيت أمري بإقامتك بينهم وقد كفروا ثم أخذ موسى برأس هرون ولحيته غضبا
[illegible] قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أي لو فارقتهم واتبعتك لم أقم على
[illegible] خشيت أن يقتل بعضهم بعضا فتقول فرقت بين بني إسرائيل ولم تحفظ قولي
ووصيتي ولم تنتظر قدومي وأمري فلذلك لم أتبعك بل أقمت بينهم على دينه وقال ابن عباس كان هرون أخا
موسى لأبيه وأمه وإنما قال يا ابن أم ليرققه ويستعطفه عليه وفي قوله يا ابن أم قراءتان من قرأ بفتح الميم جعله
[illegible] اسم واحد لاتصال الثاني بالأول ومن قرأ بالكسر فعلى معنى الاضافة وحذف [illegible] كسرة الميم على الياء التي
حذفها فإن قيل كيف جاز أن يأخذ موسى بلحية هرون ورأسه مع أن ذلك يقتضي الاستخفاف به قيل لأن
[illegible] لم يكن لهذه العادة بل كان يجري ذلك في زمانهم مجرى القبض على يده وقيل لأنه أجرى
هرون مجرى نفسه لأنه لم يكن يتهم عليه كما لا يتهم على نفسه وقد يأخذ الإنسان بلحية نفسه إذا غضب
وقال [illegible] إن عمر رضي الله عنه كان إذا غضب يفتل شاربه قوله تعالى أفعصيت أمري أي أفتركت وصيتي
قوله تعالى ولم ترقب قولي يعني ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي وأصلح فلما اعتذر
هرون [illegible] أقبل موسى على السامري فقال فما خطبك يا سامري أي ما شأنك وما الذي دعاك
الى ما صنعت وقيل معناه ما هذا الخطب العظيم الذي دعاك الى ما صنعت والخطب هو الجليل من الأمر
[illegible] وكان السامري من عظماء بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ولكنه بعد ما قطع البحر مع بني إسرائيل
[illegible] يعكفون على أصنام لهم [illegible] فقالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة

فأعطيها السامري فاتخذ العجل فقال السامري مجيبا لموسى بصرت بما لم يبصروا به أي رأيت ما لم يروا
وعرفت ما لم يعرفوا وفطنت بما لم يفطنوا له قال له موسى وما الذي بصرت به دون بني إسرائيل قال
فقبضت قبضة من أثر حافر فرس جبريل وكان قد ألقي في نفسي أن أقبضها وما ألقيته على شيء إلا صار
له روح ولحم ودم فحين رأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلها حدثتني نفسي بذلك فنبذتها
أي فطرحتها في العجل **وكذلك سولت لي نفسي** أي وكما حدثتك يا موسى سولت لي نفسي
أي زينت لي نفسي أي الصنيع نفسي فأخرج العجل يتقلب جوارا. وقرأ الحسن فقبصت قبصة بالصاد
غير المعجمة والفرق بينهما أن القبض بجميع الكف والقبص بأطراف الأصابع **قال فاذهب فإن لك في الحياة
أن تقول لا مساس** أي قال له موسى فاذهب من بيننا فإن لك ما دمت حيا أن تقول لا تمسني ولا أمسك
لا أمسك ولا تمسني ولا أخالطك وأمر موسى أن لا يؤاكلوه ولا يخالطوه ولا يبايعوه فحرم عليهم مخالطة السامري
زجرا لفعله وكان هو وهم في البرية مع الوحش والسباع ويقال إنه ابتلي بالوسواس وقال إن موسى
هم بقتل السامري فقال الله لا تقتله فإنه سخي فكان السامري إذا لقي أحدا يقول لا مساس أي لا تقربني
ولا تمسني فكان ذلك عقوبة له ولولده عاقبه الله بذلك حتى إن بقاياهم إلى اليوم يقولون كذلك وذكر
أنه إذا مس أحد من غيرهم أحدا منهم حم كلاهما في الوقت قوله تعالى **وإن لك موعدا لن تخلفه** معناه
وإن لك يا سامري أجلا يكافئك الله فيه على ما فعلت وهو يوم القيمة. قرأ الحسن وابن كثير وأبو عمرو
بكسر اللام أي لن تغيب عنه بل توافيه ولا مذهب لك عنه وقرأ الباقون بفتح اللام بمعنى لن يخلفه الله قوله
تعالى **وانظر إلى إلهك** أي وانظر إلى العجل الذي أقمت على عبادته وزعمت أنه إلهك
الذي ظلت عليه عاكفا أي مقيما تعبده تقول العرب ظلت أفعل كذا بمعنى ظللت قوله تعالى **لنحرقنه
ثم لننسفنه في اليم نسفا** قال ابن عباس نحرقه في النار ثم نذريه في اليم وهذه القراءة تدل على أن ذلك
العجل صار حيوانا لحما ودما لأن الذهب والفضة لا يمكن إحراقهما بالنار وذكر في بعض التفاسير أن موسى
أخذ العجل فذبحه فسال منه دم لأنه كان قد صار ذا لحم ودم ثم أحرقه بالنار ثم ذراه في البحر وكان
الحسن يقرأ لنحرقنه بالتخفيف ومعناه لنذبحنه ثم لنحرقنه بالنار لأنه لا يجوز إحراق الحيوان قبل الذبح
كما روي في الخبر لا تعذبوا أحدا بعذاب الله وقرأ أبو جعفر وأشهب العقيلي لنحرقنه بضم النون
والراء أي لنبردنه بالمبرد يقال حرقت الشيء أحرقه إذا بردته والمحرق هو المبرد وهذه القراءة تدل
على أن العجل بقي ذهبا ولكن كان له خوار قوله تعالى ثم لننسفنه في اليم نسفا أي لنذرينه في البحر ذرية
يقال نسف فلان الطعام بالمنسف إذا أراه ليطير عنه قشوره وترابه قوله تعالى **إنما إلهكم الله
الذي لا إله إلا هو** أي لا معبود للخلق سواه فهو الذي يستحق العبادة لا العجل قوله تعالى **وسع
كل شيء علما** أي أحاط علمه بكل شيء فلا يخفى عليه شيء من أعمال العباد **كذلك نقص عليك من
أنباء ما قد سبق** أي كما قصصنا عليك يا محمد خبر موسى وقومه كذلك نقص عليك من أخبار من قد مضى
وتقدم من أخبار الرسل وأممهم **وقد آتيناك من لدنا ذكرا** أي وقد أنزلنا إليك القرآن العظيم
قوله تعالى **من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيمة وزرا** أي من أعرض عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه
حمل يوم القيمة إثما والوزر هاهنا الحمل الثقيل من الإثم قوله تعالى **خالدين فيه** أي مقيمين في عقوبة
ذلك الإثم **وساء لهم يوم القيمة حملا** قوله تعالى **يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا**
قرأ أبو عمرو ننفخ بنون مفتوحة وقرأ الباقون بياء مضمومة على غير تسمية الفاعل والصور قرن ينفخ فيه
ليقوم الناس من قبورهم مثل بوق الرحيل في الدنيا قوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا قيل معناه قد

ازرقت أعينهم من شدة العطش لأن العطش إذا اشتد تغير سواد العين إلى الزرقة وقيل معناه عميا ومعنى
الزرقة الخضرة في سواد العين كعين السنور والمعنى في هذا تشويه الخلق بسواد الوجوه وزرقة العين
قوله تعالى **يتخافتون بينهم** أي يتسارون فيما بينهم يقول بعضهم لبعض **إن لبثتم إلا عشرا**
أي ما لبثتم من النفخة الأولى إلى الثانية إلا عشر ليال وذلك أنه يكف عنهم العذاب فيما بين النفختين
وهو أربعون سنة فاستقصروا مدة لبثهم لما عاينوا وقيل معناه يقولون ما لبثتم في الدنيا إلا عشر ليال
وذلك لشدة ما يرون من هول يوم القيمة ينسون ما لبثوا في الدنيا قوله تعالى **نحن أعلم بما يقولون
إذ يقول أمثلهم طريقة** أعلمهم عندهم **إن لبثتم إلا يوما** نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم فقالوا
هذا القول وهو كذب منهم قوله تعالى **ويسألونك عن الجبال** أي يسألك الكفار عن حال الجبال
يوم القيمة أين تذهب مع عظمها وقال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
تكون الجبال يوم القيمة فأنزل الله هذه الآية قوله تعالى **فقل ينسفها ربي نسفا** أي يصيرها رملا
يسيل سيلا ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كتذرية الطعام من القشور والتراب فيصيرها كالهباء وكالصوف
المنفوش قوله تعالى **فيذرها قاعا صفصفا** أي أرضا ملساء مستوية لا نبات فيها والصفصف
الأملس الذي لا نبات فيه قوله تعالى **لا ترى فيها عوجا ولا أمتا** قال ابن عباس العوج الأودية
والأمت الروابي. وقال مجاهد انخفاضا وارتفاعا. وقال قتادة لا ترى فيها صدعا ولا أكمة وقال
الحسن العوج ما انخفض من الأرض والأمت ما نشز من الروابي يقال مد حبله حتى ما ترك فيه أمتا ومد السقاء
حتى ما ترك فيه أمتا أي انثناء قوله تعالى **يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له** أي يومئذ يتبعون داعي
الله الذي يدعوهم إلى موقف القيمة وهو إسرافيل لا عوج له عن دعائه وقيل لا عوج لهم عن دعائه أي لا يزيغون
عنه بل يتبعونه سراعا لا يعدلون عن الطريق يمينا ولا شمالا ولا يملكون التأخر قوله تعالى **وخشعت الأصوات
للرحمن** أي ذلت الأصوات لهيبة الرحمن وقيل سكنت الأصوات يوصف الأصوات بالخشوع والمعنى لأهلها
قوله تعالى **فلا تسمع إلا همسا** أي الأصوات خفيا يعني صوت نقل الأقدام إلى المحشر والهمس الصوت الخفي كأصوات
أخفاف الإبل في المشي وقال ابن عباس معنى الهمس تحريك الشفاه بغير منطق وهو قول مجاهد والكلام الخفي
والمعنى على هذا التفسير سكنت الأصوات فلا يجهر أحد بكلام إلا كالسر من الإشارة بالشفة وتحريك الفم من غير
صوت قوله تعالى **يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن** أي لا تنفع الشفاعة لأحد من الناس
إلا من أذن الله أن يشفع له فذاك الذي تنفعه الشفاعة وقيل لا تنفع الشفاعة أحدا إلا من أذن له الرحمن
في أن يشفع **ورضي له قولا** في الدنيا وهم المؤمنون فإن الله لا يرضى إلا قول المؤمن قوله تعالى **يعلم
ما بين أيديهم وما خلفهم** الكناية راجعة إلى الذين يتبعون الداعي أي يعلم ما قدموا وما خلفوا
قوله تعالى **ولا يحيطون به علما** الكناية تعود إلى ما في قوله ما بين أيديهم وما خلفهم أي هو يعلم ذلك
وهم لا يعلمونه ويجوز أن تعود الكناية إلى الله أي لا يعلمونه ما هو صانع قوله تعالى **وعنت الوجوه للحي
القيوم** أي ذلت الوجوه وخضعت واستسلمت للحي الذي لا يموت القائم الذي لا بدء له والعاني في اللغة
هو الأسير ومنه قولهم أخذت الشيء عنوة أي غلبة بذل المأخوذ منه قال الشاعر. مليك على عرش
السماء مهيمن. لعزته تعنو الوجوه وتسجد. وقال الحسن القيوم القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها
قوله تعالى **وقد خاب من حمل ظلما** أي خاب من ثواب الله من حمل شركا ومعصية ومعنى خاب أي
خسر قوله تعالى **ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما** بالزيادة في سيئاته **ولا هضما**
بالنقصان من حسناته والهضم النقص يقال هضمني فلان حقي أي نقصني ومن هذا هضم الطعام أي
نقص ثقله قوله تعالى **وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا** أي وكما ذكرنا أنزلناه قرآنا على اللغة العربية

ذهب الى ان آخر النصف الأول من النهار طرف وأول النصف الثاني طرف وبين الطرفين وقت الزوال وقيل عن وجهها الظهر
والعصر وأطراف النهار صلوة التطوع قوله تعالى لعلك ترضى قرأ الكسائي وأبو بكر بضم التاء أي
تعطى الرضا بالدرجات الرفيعة وترضاك الله وتسمى مرضيا وتصديقه قوله تعالى وكان عند ربه مرضيا وقرأ
الباقون بفتح التاء أي لعلك ترضى بالثواب والشفاعة ودليله قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى والمعنى
أقم هذه الصلوات لكي تعطى من الثواب ما ترضى قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا
منهم زهرة الحيوة الدنيا أي لا تنظرن نظر الرغبة الى ما متعنا به رجالا منهم زينة الحيوة الدنيا.
لنفتنهم فيه أي لنختبرهم فيما أعطيناهم من الزينة وقيل لنجعله فتنة لهم وضلالا بأن أزيد لهم في
النعمة فيزدادوا كفرا وطغيانا قال أبو رافع بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهودي يقال
له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب منك أن تسلفه كذا وكذا من الدقيق وتبيعه وتصبر عليه
الى هلال رجب قال فأتيته فقال والله لا أبيعه ولا أسلفه الا برهن فأتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأخبرته فقال والله لو باعني وأسلفني لقضيته واني لأمين في الأرض اذهب بدرعي اليه ثم
حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك فنزلت هذه الآية تعزية له عن الدنيا وقيل معنى قوله أزواجا
أي أصنافا من نعم الدنيا وزهرتها قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى أي ما يرزقك الله وما
وعدك في الجنة خير وأبقى مما رزقهم في الدنيا قوله تعالى وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها أي داوم
[illegible] على دينك لا نسألك رزقا لخلقنا ولا لنفسك لم نخلقك لحاجتنا اليك كحاجة السادة الى عبيدهم
نحن نرزقك ونرزق جميع خلقنا قوله تعالى والعاقبة للتقوى أي العاقبة المحمودة لمن يتقي الله
[illegible] وتعذيبه والعاقبة لأهل التقوى وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل على بعض أهله ضيق في
الرزق أمر أهله بالصلوة ثم قرأ هذه الآية وأمر أهلك بالصلوة الى آخرها قوله تعالى وقالوا لولا يأتينا بآية
من ربه أي قال المشركون من أهل مكة هلا يأتينا محمد بآية من ربه كما أتى بها الأنبياء نحو الناقة والعصا
أو لم تأتهم بينة ما في التورية ولم يخل من البشارة بما وافقهما من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل
معناه أو لم يأتهم ما في الكتب الأولى من أنباء الأمم الذين أهلكناهم لما سألوا الآيات ثم كفروا بها فما الذي
يؤمنهم أن يكون حالهم في سؤالهم الآية كحال أولئك وهذا البيان انما قص عليهم في القرآن قوله تعالى
ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك أي
لو أنا أهلكناهم بعذاب الاستئصال من قبل ارسال الرسل لقالوا هلا أرسلت الينا رسولا يرشدنا الى دينك
فنتبع دلائلك من قبل أن نذل ونخزى في الدنيا بالقتل ونفتضح في الآخرة بالعذاب والمعنى لو أنا أهلكنا
كفار مكة بعذاب من قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن لقالوا يوم القيمة ربنا هلا أرسلت
الينا رسولا يدعونا الى طاعتك فنتبع آياتك من قبل أن نذل بالعذاب ونخزى في جهنم قوله تعالى
قل كل متربص فتربصوا أي قل لهم يا محمد كل منا ومنكم منتظر فانتظروا ونحن ننتظر بكم ما وعدنا الله فيكم
من النصر والفتح وأنتم تنتظرون بنا أن نموت فتستريحوا منا وذلك أنهم كانوا يقولون نتربص بمحمد ريب
المنون قوله تعالى فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى أي فستعلمون بعد مجيء أمر الله
القيمة من أصحاب الدين المستقيم ومن اهتدى الى الرشد والصلاح نحن أم أنتم. وعن أبي بن كعب عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة طه أعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والأنصار.

سورة الأنبياء مائة واثنتا عشرة آية

وهي أربعة آلاف وثمانمائة وتسعون حرفا وألف ومائة وثمانية عشر كلمة ومائة واثنتا عشرة آية

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم
عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اقترب للناس حسابهم أي اقترب لأهل مكة حسابهم والمعنى قرب وقت حسابهم وقرب للناس
وقت حسابهم والحساب هاهنا اظهار ما للعبد وما عليه ليجازى على ذلك قوله تعالى وهم في غفلة
معرضون أي في غفلة عما يفعل الله بهم ذلك اليوم معرضون عن التأهب له بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن وقيل معناه وهم في غفلة عن قرب الحساب والموت معرضون عن الفكرة في ذلك والتأهب له وهذا
من الله تنبيه وعظة لئلا يغفلوا عن ذكر الله والآخرة قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث أي ما
يأتيهم من وحي محدث تنزيله والمحدثات تعود الى الانزال قوله تعالى الا استمعوه وهم يلعبون
قال ابن عباس يستمعون القرآن مستهزئين قوله تعالى لاهية قلوبهم منصوب بقوله يلعبون ومعناه غافلة
قلوبهم عما يراد بهم معرضة عن ذكر الله تعالى قوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا أي تناجوا فيما بينهم سرا
وبين من هم فقال الذين ظلموا أي الذين أشركوا بالله والذين في موضع الرفع بدل من الضمير في أسروا كما في قوله
عموا وصموا كثير منهم ويجوز أن يكون خفضا نعتا للناس أي اقترب للناس الذين هذا حالهم ثم بين النجوى
التي أسروها قوله تعالى هل هذا الا بشر مثلكم أطلع الله النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا هل محمد
الا بشر مثلكم فلماذا تستمعون بشرا مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون أي أنه سحر قال السدي قالوا ما
محمد الا ساحر والمعنى أتقبلون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر قوله تعالى قل ربي يعلم القول في السماء والأرض
أي قل لهم يا محمد ربي الذي أعبده وأدعوا الى عبادته هو الذي يعلم ما يسر العباد من القول في السماء والأرض
وهو السميع لذلك كله العالم بما يجري عليه ومن هذه صفته فهو الذي يحق أن يعبد دون الأصنام. وقرأ أهل
الكوفة قال ربي على الخبر قوله تعالى وهو السميع العليم أي السميع لأقوالهم العليم بأفعالهم قوله تعالى
بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر أي قال الكفار ان ما أتى به محمد تخاليط رؤيا
رآها في المنام وبل هاهنا انتقال الى خبر آخر عنهم وقوله تعالى بل افتراه أي قالوا اختلقه كذبا من تلقاء نفسه
ثم قالوا بل هو شاعر [illegible] يناقضون أقوالهم [illegible] لا يمكنه الجزم على أمر واحد قوله تعالى فليأتنا
بآية سوى القرآن كما أرسل الأولون بالآيات نحو انفلاق البحر واحياء الموتى والناقة والعصا فقال الله
تعالى مجيبا لهم ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون أي ما آمنت قبل مشركي مكة من قرية
يعني أهلها والمعنى ما آمنت قرية مهلكة بالآيات المرسلة فكيف يؤمن هؤلاء والمعنى أن مجيء الآيات لو كان
سبب الايمان من غير ارادة الله لكان سببا لايمان أولئك فلما بطل ذلك بطل هذا قوله تعالى وما أرسلنا
قبلك الا رجالا يعني ما أرسلنا قبلك من الرسل الا رجالا مثلك وهذا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم
فقال الله تعالى لم أرسل قبل محمد الا رجالا من بني آدم لا الملائكة فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
[illegible] وأراد بأهل الذكر علماء أهل الكتاب وذلك أن اليهود والنصارى لا ينكرون أن الرسل كانوا من
البشر وان أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل أراد بالذكر القرآن والمعنى فاسألوا المؤمنين من أهل القرآن
ان كنتم يا أهل مكة لا تعلمون وقال علي كرم الله وجهه لما نزلت هذه الآية نحن أهل الذكر قوله تعالى
وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام أي وما جعلنا الأنبياء ذوي أجساد لا يأكلون الطعام
ولا يشربون الشراب وما كانوا خالدين لا يموتون وذلك أنهم قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام
واعلموا أن الرسل كانوا جميعا يأكلون الطعام وأنهم يموتون كسائر البشر وانما وحد الجسد لأنه مصدر
[illegible] الخلق قوله تعالى ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء أي ثم أنجزنا وعد الأنبياء في انجائنا

أباهم وأهلاك الكفار والمكذبين لهم وأراد بالمسرفين الكفار لأن المسرف في اللغة هو الذي يتجاوز حد الحق
ويتباعد عنه والكافر أحق شيء بهذه الصفة قوله تعالى فأنجيناهم أي من العذاب ومن نشاء يعني الذين صدقوهم
قوله تعالى لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أي لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش كتابا فيه شرفكم
وعزكم إن تمسكتم به يعني القرآن والذكر هو الشرف قال الله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك أي شرف لك ولهم
ولأن تذكرون به في الدنيا إذا كان نزله بلغتكم وقال الحسن معنى قوله ذكركم أي ما تحتاجون إليه من أمر دينكم
أفلا تعقلون ما فضلناكم به على غيركم إذ أنزلنا عليكم حرمي وبعثت فيكم نبيي قوله تعالى وكم قصمنا من قرية
كانت ظالمة أي كم أهلكنا من أهل قرية كانوا مشركين والقصم هو الكسر والدق وأنشأنا بعدها
قوما آخرين أي وأحدثنا بعد إهلاكهم قوما آخرين فسكنوا ديارهم قوله تعالى فلما أحسوا بأسنا
إذا هم منها يركضون أي فلما أحس أهل القرية الكافرة عذابنا إذا هم منها يهربون يسرعون هرب المنهزم من
عدوه ومعنى قوله أحسوا أي رأوا وقيل تيقنوا لما رأوه والإحساس هو الإدراك بحاسة من الحواس الخمس
قوله تعالى لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم أي قيل لهم لا تركضوا وارجعوا
إلى ما نعمتم فيه وإلى منازلكم تقول لهم الملائكة ذلك استهزاء بهم وتقريعا على ما فرطتم بحيث تسمعون النداء قوله
تعالى لعلكم تسألون يقال لهم ذلك على طريق الهزء بهم وهو توبيخ في الحقيقة والمعنى لكي تسألون
شيئا من دنياكم فإنكم أهل ثروة ونعمة فقالوا عند ذلك يا ويلنا إنا كنا ظالمين ثم نسخت كذبنا الرسل
واعترفوا بالذنب حين رأوا العذاب فقالوا هذا على سبيل الندم ولم ينفعهم حينئذ الندم والويل هو نوع في
الهلكة قوله تعالى فما زالت تلك دعواهم أي فما زالت تلك الكلمة وهو قولهم يا ويلنا إنا كنا ظالمين
أي لم يزالوا يرددونها إلى أن ماتوا وخمدوا فصاروا كالزرع المحصود والحصيد هو الزرع المحصود
والخمود هو الهمود كخمود النار إذا طفئت قيل نزلت هذه الآية في أهل حضور وهي قرية من اليمن كان أهلها
من العرب بعث الله إليهم نبيا يدعوهم إلى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر حتى قتلهم وسباهم
ونكل بهم فلما أثخن فيهم القتل ندموا وهربوا وانهزموا فقالت لهم الملائكة على طريق الاستهزاء لا تركضوا
وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم فاتبعهم بخت نصر وأخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء يا ثارات الأنبياء
فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم فقالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم
حتى جعلناهم حصيدا بالسيوف كما يحصد الزرع خامدين أي ميتين قوله تعالى وما خلقنا السماء
والأرض وما بينهما لاعبين أي ما خلقناهما عبثا وباطلا بل خلقناهما لأجزي أوليائي وأعذب
أعدائي وقيل معناه خلقناهما دلالة على قدرتنا ووحدانيتنا ليعتبروا بخلقهما ويتفكروا فيهما فيعلموا
أن العبادة لا تكون إلا لخالقهما قوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا قال قتادة اللهو
بلغة اليمن المرأة وقال ابن عباس يريد النساء وقيل هذا قول عطاء ومجاهد والحسن فإن اللهو في هذه
الآية المرأة وقال اللهو المرأة وفي رواية الكلبي اللهو الولد وقيل معناه لو أردنا أن نتخذ شريكا أو ولدا
لم نتخذ ما تنسبونه إليه من الذي لا يسمع ولا يعقل ولا من هذه النساء والولدان بل كنا نتخذه من جنس
أشرف من هذا الجنس كما قال تعالى في آية أخرى لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء وقيل
معناه لو أردنا أن نتخذ ولدا ذا لهو لاتخذناه عندنا لا عندكم لأن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده
وبحضرته لا عند غيره فدل أنه في الدنيا ولو اتخذ الله ولدا ولو كان ذلك جائزا في صفة الله تعالى لم يتخذه
بحيث يظهر لكم ويستره حتى لا يطلعوا عليه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا قوله تعالى إن
كنا فاعلين أي إن كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله وقيل إنها بمعنى ما أي ما كنا فاعلين
قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه أراد بالحق القرآن وبالباطل الكفر وقيل بالحق الحجج

ع ذلك الذي قالوه فإنه كذب وباطل نقذف بالحق على الباطل كذبهم فيدمغه أي فيهلكه ويذهبه
فإذا هو زاهق أي زائل ذاهب والمعنى إنا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يضمحل ويذهب
ثم أوعدهم على قولهم قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون أي لكم العذاب بما تصفون الله تعالى
به من الصاحبة والولد ثم بين أن جميع الخلق عبده قوله تعالى وله من في السموات والأرض عبيدا وملكا
ومن عنده يعني الملائكة لا يستكبرون عن عبادته قال الزجاج معناه أن الذين ذكرتم أنهم أولاد
الله هم عباده لا يأنفون عن عبادته ولا يتعظمون عنها قوله تعالى ولا يستحسرون أي لا ينقطعون عن
العبادة من الإعياء والتعب من قولهم بعير حسير إذا أعيا وقام قوله تعالى يسبحون الليل والنهار أي يصلون
لله تعالى في الليل والنهار لا يفترون أي لا يضعفون عن عبادته ولا يملون وقيل معناه ينزهون الله
دائما يقولون سبحان الله لا يملون وقال الزجاج مجرى التسبيح منهم كمجرى النفس منا كما لا يشغلنا عن النفس
شيء فكذلك تسبيحهم دائم قوله تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون استفهام بمعنى الإنكار أي
أعبد أهل مكة أصناما يحيون الموتى وفيه تقريع لهم بأنهم كاذبون بأنها آلهة لأن الإله يحيي الموتى وهي
لا تحيي فكيف تستحق العبادة وقيل معنى الآية أم اتخذوا آلهة من الأرض أصنامهم كانت من الأرض أي من
خشب وحجارة أو فضة أو ذهب هم ينشرون أي يحيون الموتى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة
إلا الله لفسدتا أي لو كان في السماء والأرض آلهة غير الله لما قامت السموات والأرض لأنه لو أراد أحدهما
إيجاد جسم في حالة وأراد الآخر إيجاد جسم آخر في ذلك الحال لم يخل إما أن يوجد مرادهما أو لا يوجد مرادهما
أو يوجد مراد أحدهما دون الآخر فالأول باطل لأن في ذلك وجود جسمين في مكان واحد والثاني باطل
لأن في ذلك وجود جسمين في مكان واحد كونهما عاجزين والعاجز لا يستحق الألوهية وإن وجد مراد أحدهما
دون الآخر فالذي لم يوجد مراده يكون عاجزا لا يصلح أن يكون إلها والمعنى لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا
وخربتا وهلك من فيهما وغير صفة لآلهة أي لو كان فيهما آلهة غير الله كما يزعم المشركون هذا قول
جميع النحويين قالوا إلا ههنا بمعنى غير وليست باستثناء ولكنه مع ما بعده صفة للآلهة في معنى غير قال الزجاج
ولذلك يقع ما بعدها على لفظ الذي قبلها قال الشاعر • وكل أخ مفارقه أخوه • لعمر أبيك إلا
الفرقدان • المعنى كل أخ غير الفرقدين مفارقه أخوه قوله تعالى فسبحان الله رب العرش عما
يصفون أي نزه الله عما يقولون عليه من الولد والشريك لا يسأل عما يفعل عن تعاليه وتقدسه
في حكمه من إعزاز وإذلال وهدى وإضلال وإسعاد وإشقاء لأنه الرب مالك الخلق قوله تعالى وهم
يسألون أي يسألهم يوم القيامة لم تعلم كذا لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم والله سبحانه
وتعالى ليس فوقه أحد يقول له لشيء فعله لم فعلته قوله تعالى أم اتخذوا من دونه آلهة هذا
إنكار عليهم وتوبيخ قل هاتوا برهانكم أي حجتكم بأن رسولا من رسل الله أنبأ أمته بأن لهم
إلها غير الله قوله تعالى هذا ذكر من معي وذكر من قبلي معناه هذا القرآن فيه ذكر من معي بما يلزمهم
من الحلال والحرام والخطأ والصواب وقيل خبر من معي على ديني بما لهم من الثواب والعقاب وذكر من قبلي
من الأمم من نجا منهم بالإيمان أو هلك بالشرك وقيل معناه هذا القرآن الذي هو ذكر من معي والتوراة
والإنجيل هما ذكر من قبلي فانظروا هل في واحد منهما أن الله أمر باتخاذ إله سواه قوله تعالى بل
أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون عن النظر في دلائل الله مقتصرين على جهلهم وتقليدهم قوله
تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون أي ما أرسلنا من قبلك
يا محمد من رسول إلا أوحينا إليه أن يقول لقومه إنه لا إله إلا أنا فاعبدوه أي وحدوه قوله تعالى وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا سبحانه أراد به قولهم إن المسيح ابن الله والملائكة بنات الله قوله تعالى

بل عباد مكرمون يعني بل هم عبيد أكرمهم الله بالطاعة واصطفاهم قوله تعالى لا يسبقونه بالقول أي لا يتكلمون إلا بما أمرهم وهم بأمره يعملون قوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم أي يعلم ما قدموا وما أخروا من أعمالهم وقيل ما بين أيديهم من الدنيا وما خلفهم من الآخرة وقيل ما عملوا وما هم عاملون قوله تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى أي لا يشفعون إلا لمن رضي عنه وارتضى عمله وقال ابن عباس لمن قال لا إله إلا الله قوله تعالى وهم من خشيته مشفقون أي وهم من خشيتهم منه خائفون لا يأمنون مكره وفي هذا كله بيان أن من هذه صفته لا يكون إلها مع الله ولا ولدا له قوله تعالى ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم أي من يقل من الملائكة إني إله من دونه فذلك نجزيه قال المفسرون يعني إبليس لأنه دعا إلى طاعة نفسه ودعا إلى عبادة نفسه قوله تعالى كذلك نجزي الظالمين أي كما جزيناه جهنم نجزي الظالمين أي المشركين قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما قال ابن عباس وعطاء والضحاك يعني كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهواء وقال كعب خلق الله السموات والأرضين بعضها على بعض ثم خلق ريحا وسطها ففتحها وقال مجاهد كانت السموات طبقة واحدة ففتقها الله تعالى فجعلها سبع سموات وكانت الأرضون مرتتقة طبقة واحدة ففتقها الله تعالى فجعلها سبع أرضين وقال عكرمة كانت السماء رتقا لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات وأصل الرتق السد ومنه قيل للمرأة التي فرجها ملتحم رتقاء وأصل الفتق الفتح وذلك أن السموات والأرض كانتا مستويتين لا فتق بينهما للخروج الزرع وورود الغيث ففتقت السماء بالمطر والأرض بالنبات قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي أي وأحيينا بالمطر والنبات كل ما على الأرض من الحيوان يعني أنه سبب لحياة كل شيء وقال بعضهم يعني أن كل شيء حي فهو مخلوق من الماء كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وقال أبو العالية يعني النطفة فعلى هذا لا يستقيم هذا بما قبله وهو احتجاج على المشركين بقدرة الله تعالى قوله تعالى أفلا يؤمنون أي أفلا يصدقون بالإله الذي فعل ذلك ليعلموا أنه الإله دون غيره وإنما قال رتقا ولم يقل رتقين لأن الرتق مصدر المعنى كانتا ذوي رتق فجعلناهما ذواتي فتق قوله تعالى وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم أي وجعلنا فيها جبالا أوتادا فهي راسية كي لا تميد بهم أي لا تحرك ولا تميد الاضطراب بالذهاب في الجهات قال ابن عباس إن الأرض بسطت على وجه الماء فكانت تميد بأهلها كما تميد السفينة فأرساها الله بالجبال الثوابت قوله تعالى وجعلنا فيها فجاجا سبلا أي وجعلنا في الأرض طرقا واسعة لتهتدوا إلى مواطنهم والفج الطريق الواسع بين الجبلين وقوله تعالى سبلا تفسير للفجاج قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا من السقوط وقيل محفوظا من الشياطين بالنجوم قال الله تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم قوله تعالى وهم عن آياتها معرضون يعني المشركين يعرضون عن آياتها يعني شمسها وقمرها ونجومها لا يتفكرون فيها فيعلمون أن خالقها لا شريك له قوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار أي بظلمتهما بعد ذهاب السماء عن وجه الأرض والشمس والقمر كل من الشمس والقمر والنجوم مواضعها التي ركبت فيها يسبحون أي يجرون بسرعة كالسابح في الماء وقد قال في موضع آخر والسابحات سبحا يعني النجوم قال الضحاك الفلك هو المجرى الذي تجري فيه الشمس والقمر وقال الحسن هو موج مكفوف يجريان فيه وقال الكلبي الفلك القطب الذي تدور به النجوم وهو كوكب خفي بقرب الفرقدين وبنات نعش تدور عليه السماء وقال آخرون هو كهيئة فلكة المغزل والفلك في كلام العرب كل شيء دائر وجمعه أفلاك قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وروي أن هذا نزل جوابا لقول الكفار نتربص بمحمد ريب المنون فنستريح والمعنى ما جعلنا لبشر من قبلك البقاء الدائم يعني أن سبيله سبيل من مضى قبله من الرسل ومن بني آدم في الموت أفإن مت فهم الخالدون يعني مشركي مكة لما قالوا نتربص بمحمد ريب المنون يقول لهم إن مات محمد فأنتم أيضا تموتون لأن كل نفس ذائقة الموت قالت عائشة استأذن أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مات وسجي عليه الثوب فكشف عن وجهه ووضع فمه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه وقال وا نبياه وا خليلاه وا صفياه صدق الله ورسوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة أي نبلوكم بالشدة والرخاء والمرض والعافية والفقر والغنى كلاهما ابتلاء من الله وتشديد في التعبد ليظهر شكرهم فيما يحبون وصبرهم فيما يكرهون وإلينا ترجعون للجزاء قوله تعالى وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا روي أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بأبي سفيان وأبي جهل فقال أبو جهل لأبي سفيان هذا نبي عبد مناف كالمستهزئ به فنزلت هذه الآية ومعناها وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أي مستهزئا بك قوله تعالى أهذا الذي يذكر آلهتكم أي يقول بعضهم لبعض أهذا الذي يعيب آلهتكم ويلومكم على عبادتها تقول العرب فلان يذكر الناس أي يغتابهم ويعيبهم وفلان يذكر الله أي يصفه بالتعظيم ويثني عليه فيحذفون من الذكر ما يعقل معناه فيكون معناه قوله يذكر آلهتكم أي يذكر آلهتكم بسوء قوله تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون أي يجحدون بالألوهية ممن هو منعم عليهم المحيي المميت وهذا في نهاية جهلهم قوله تعالى خلق الإنسان من عجل أي خلق الإنسان مستعجلا للعجلة فيما يهواه ولذلك يستعجل أهل مكة مجيء الوعد والوعيد يقال فلان خلق من اللعب إذا كان الغالب عليه ذلك الشيء كما يقال خلق من الكرم وفلان من اللهو والإنسان اسم جنس وقال عكرمة لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح وصار في رأسه أراد أن ينهض قبل أن تبلغ رجليه فسقط فقيل خلق الإنسان من عجل وقال السدي لما دخل الروح عيني آدم نظر إلى ثمار الجنة فلما دخل الروح في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلا إلى ثمار الجنة فلم تقدر فذلك قوله تعالى خلق الإنسان من عجل وإذا كان آدم خلق من عجل أوجد ذلك في أولاده وأورث أولاده العجلة حتى استعجلوا في كل شيء قوله تعالى سأريكم آياتي فلا تستعجلون يعني القتل ببدر أنه نازل بكم وقيل معناه سأريكم آياتي الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد أي يقول المشركون متى هذا الوعد الذي تعدنا به من العذاب فلا تستعجلون العذاب بكم وعدهم يوم القيامة إن كنتم من الصادقين في هذا الوعد قال الله تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم أي لو يعلمون حين يدخلون النار ولا يدفعون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم أي ولا يجدون من يمنع عنهم ما نزل بهم وجواب لو محذوف أي لو يعلمون ذلك ما استعجلوه وما قالوا متى هذا الوعد وقيل معناه لو علموا ذلك لعلموا صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يوعدهم به قوله تعالى بل تأتيهم بغتة فتبهتهم معناه بل تأتيهم الساعة فجأة وهم غافلون فتبهتهم أي تحيرهم يقال فلان مبهوت إذا واجهه بشيء تحيره فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون أي يمهلون للتوبة أو عذر أو إصلاح عمل قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك أي ولقد استهزأت الأمم من قبلك برسلهم كما استهزأ بك قومك فحاق بهم أي فحل بهم وبال استهزائهم وكان ما أرادوه بالأنبياء عائدا عليهم كما قال تعالى ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله وقيل في الفرق بين الهزء والسخرية أن في السخرية طلب الذلة ولأن التسخير هو التذليل وأما الهزء فهو استصغار القدر بضرب من القول قوله تعالى قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن أي قل من يحفظكم من بأس الرحمن وعوارض الآفات في الليل والنهار وعقوبات الدنيا والآخرة بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يلتفتون إلى شيء من الحجج والمواعظ قوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا أي من عذابنا قوله تعالى لا يستطيعون نصر أنفسهم معناه أن آلهتهم لا يقدرون على الدفع عن أنفسهم في دفع ما نزل بهم من كسر أو فساد فكيف تنصرهم وتمنعهم ما نزل بهم قوله تعالى ولا هم منا

يصحبون يعني الكفار قال الكلبي معناه ولا هم يجارون من عذابنا أي لا يجيرهم منا أحد لأن المجير صاحب
الجار يقال صحبك الله أي حفظك الله وأجارك وقال قتادة معناه ولا هم يصحبون من الله بخير ويقال
أصحب الرجل إذا أعطيته أمانا يأمن به وقوله تعالى بل متعنا هؤلاء وآباءهم يعني أهل مكة متعهم الله
بما أنعم عليهم حتى طال عليهم العمر فاغتروا بذلك والمعنى ما حملهم على الإعراض إلا الاغترار بطول الإمهال قوله
تعالى أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها معناه أفلا يشهدون أنا نفتح الأرض لمحمد من
جوانبها وننقص من الشرك بإهلاك أهلها فيزداد هو كل يوم تمكنا ويزدادون ضعفا نقصا والمعنى أفلا يرى
المشركون الذين يحاربون النبي صلى الله عليه وسلم ويقاتلونه أنا ننقصهم ونأخذ ما حولهم من قراهم وأرضهم
أفلا يرون أنهم هم المنقوصون المغلوبون ومعنى قوله تعالى أفهم الغالبون النبي صلى الله عليه وسلم
بل هو الغالب لهم • وعن ابن عباس في معنى ننقصها من أطرافها أي بذهاب فقهائها وخيار أهلها [illegible]
قوله تعالى قل إنما أنذركم بالوحي أي قل لهم يا محمد إنما أخوفكم من عذاب الله بالقرآن الذي يوحى إلي
كما من قبلي نبي وذلك أن الله أمره بإنذارهم كقوله وأنذر به الذين يخافون قوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء إذا
ما ينذرون هذا تمثيل للكفار بالصم الذين لا يسمعون الدعاء والمعنى أنهم معاندون فإذا أسمعتهم لم يعملوا
بما يسمعوه قوله تعالى إذا ما ينذرون أي إذا ما يخافون قوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك
أي لو أصابهم أدنى عذاب لأيقنوا بالهلاك وقال ابن كيسان معناه ولئن مسهم قليل من عذاب الله وقال
ابن جريج نصيب من عذاب الله والمعنى ولئن مسهم طرف من العذاب لأيقنوا بالهلاك ودعوا على أنفسهم بالويل
مع إقرارهم أنهم ظلموا أنفسهم بالشرك وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم والنفحة هي الدفعة اليسيرة وأقل
الشيء دون معظمه يقال نفحه نفحة بالسيف أي ضربه ضربة خفيفة قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم
القيامة أي نضع الموازين ذوات القسط لأهل يوم القيامة وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان يوزن
فيها عين الحسنات والسيئات يجاء بالحسنات في أحسن صورة والسيئات في أقبح صورة فلا ينقص من حسنات
أحد ولا يزاد في سيئات أحد وقال مجاهد هذا مثل وإنما أراد بالميزان العدل وروي أن داود
عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه غشي عليه ثم أفاق فقال إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته
حسنات فقال يا داود إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة • ويقال إنما توزن خاتمة العمل فمن كان
خاتمة عمله خيرا جوزي بخير ومن كان خاتمة عمله شرا جوزي بشر قوله تعالى وإن كان مثقال حبة من
خردل أتينا بها معناه وإن كان العمل الذي عمله وزن حبة خردل أتينا بها للجزاء وقيل معناه وإن
كان الظلامة مثقال حبة من خردل أتينا بها أحضرناها للمجازاة حتى لا يضيع لأحد عند أحد ظلامة وقرأ
أهل المدينة مثقال بالرفع على أن كان بمعنى وقع لا خبر لها وقراءة العامة بالنصب على معنى وإن كان ذلك
الشيء ومثله في لقمان قوله تعالى وكفى بنا حاسبين أي محصين وقيل حافظين لأن من حسب شيئا
علمه وحفظه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان أي التوراة تفرق بين الحق والباطل
والحلال والحرام وضياء وذكرا للمتقين من صفة التوراة مثل قوله هدى ونور والمعنى أنهم استضاؤوا
بها حتى اهتدوا في دينهم وقوله وذكرا للمتقين أي وعظة للمتقين الكبائر والفواحش وعن ابن عباس أنه
كان يقرأ ضياء بحذف الواو وكان يقول أتينا موسى وهارون الفرقان ضياء قوله تعالى الذين يخشون
ربهم بالغيب في الدنيا غائبين عن الآخرة وهم من الساعة مشفقون أي خائفون أن تلحقهم الساعة
وما يجري فيها من المحاسبة قبل إصلاح أعمالهم قوله تعالى وهذا ذكر أي هذا القرآن الذي أنزلناه عليك
ذكر مبارك من قرأه يفوز به بالأجر العظيم أفأنتم له منكرون يا أهل مكة وهذا توبيخ لهم قوله تعالى
ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل أي من قبل بلوغه وقيل معناه من قبل موسى وهارون والمعنى آتيناه

هداه وهو صغير حين كان في السرب حتى عرف الحق من الباطل وكنا به عالمين أنه أهل للهداية
والنبوة قوله تعالى إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل أي آتيناه رشده حين قال لأبيه وقومه حين
الذي خرج من السرب ورآهم يعكفون على الأصنام ما هذه الصور التي أنتم لأجلها عاكفون عليها قالوا
وجدنا آباءنا لها عابدين بين بهذا الجواب أنه لا حجة لهم في عبادة الأصنام إلا تقليدهم لآبائهم فأجابهم
إبراهيم لقد كنتم أنتم وآباؤكم في عبادة الأصنام في ضلال عن الحق ظاهر قوله تعالى قالوا أجئتنا
بالحق أم أنت من اللاعبين أي قالوا له أجاد أنت فيما تقول محق أم لاعب مازح وذلك لأنهم كانوا
يستبعدون إنكار عبادتها فقال لهم بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن أي بل إلهكم مالك
السموات الذي خلقهن وأنا على ما قلت لكم من الشاهدين قوله تعالى وتالله لأكيدن أصنامكم
أي لأبطلنها ولأكسرنها ولأمكرن بها وقت مغيبكم عنها وذلك لأنهم كانوا يعزمون على الذهاب إلى عيد لهم فقال
عند ذكرهم هذا العيد والكيد في اللغة هو الاحتيال بالشيء وقال مجاهد وقتادة إنما قال إبراهيم هذا القول
في نفسه سرا من قومه ولم يسمع ذلك إلا رجل منهم وهو الذي أفشاه عليه وهو الذي قال سمعنا فتى يذكرهم
يقال له إبراهيم • قال السدي كان لهم في كل سنة مجمع وعيد وكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام
فسجدوا لها فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم له يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج
إبراهيم معهم فلما كان في بعض الطريق ألقى نفسه وقال إني سقيم أي أشتكي رجلي فوطئوا رجله وهو
صريع فلما مضوا نادى في آخرهم وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ثم رجع إلى بيت الأصنام
فوجد معهم صنما كبيرا إلى جنبه أصنام أصغر منه وإذا هم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين يدي الأصنام
وقالوا إذا كان وقت رجوعنا رجعنا وقد باركت الآلهة لنا في طعامنا فأكلنا فلما نظر إبراهيم إليهم وإلى
ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلم يجيبوه قال ما لكم لا تنطقون فراغ
عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهم بفأس في يده حتى لم يبق إلا الصنم الأعظم فعلق الفأس في عنقه ثم خرج فذلك
قوله تعالى فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم فإنه لم يكسره قوله تعالى فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم
فيه إضمار أي لما ولوا مدبرين جعلهم جذاذا وقرأ الكسائي بكسر الجيم أي كسرا وقطعا جمع جذيذ وهو الهشيم
مثل خفيف وخفاف وكريم وكرام فإنه لم يكسره لعلهم إليه يرجعون فيحتج عليهم إبراهيم ويذهبهم على
أن أصنامهم لما لم تقدر على دفع الكسر عن نفسها فلم تعبدونها وكيف تكون آلهة لا تقدر على دفع ما نزل
به وقيل معناه لعلهم يرجعون إلى دين إبراهيم وإلى ما يدعوهم إليه بوجوب الحجة عليهم في عبادة ما لا يدفع
الضر عن نفسه وينتهوا عن جهلهم وعظم خطاياهم قوله تعالى قالوا من فعل هذا بآلهتنا أي
فلما رجعوا من عيدهم ورأوا أصنامهم مكسرة قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين أي فعل ما لم يكن
له أن يفعله فقال الذي سمع إبراهيم سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم وذكر أن بعضهم كانوا قد
سمعوه يذكر أصنامهم بالعيب فيقول إنها ليست بآلهة فقالوا لا ينبغي أن يكون ذلك الفتى هو الذي كسرها قالوا
فأتوا بذلك الفتى على أعين الناس كي يشهد والذي عرفوه أنه يعيب الأصنام وقيل أنه لما بلغ النمرود وأشراف
قومه ما فعل بأصنامهم وما قالوا في إبراهيم أنه هو الذي فعل ذلك بهم قال النمرود ومن معه فأتوا به على
أعين الناس لعلهم يشهدون أنه هو الذي فعل ذلك بهم وكرهوا أن يأخذوه بغير بينة وقيل معناه
لعلهم يشهدون ما نصنع بهم من العقوبة أي يحضرون قوله تعالى قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم
أي فلما أتوا به قالوا أأنت فعلت هذا الكسر بآلهتنا قال بل فعله كبيرهم هذا الذي الفأس في عنقه
فاسألوهم إن كانوا ينطقون حتى يخبروكم وأراد بهذا تقريرهم بأنهم ضالون في عبادة ما لا يدفع عن
نفسه لأن جماعتهم كانوا يعلمون أن الصنم لا يعقل ولا يفعل شيئا ولا ينطق فأراد إبراهيم بذلك تبكيت القوم

وتوبيخهم على عبادة من لا يعقل ومن لا يفعل ولذلك قال فاسألوهم ان كانوا ينطقون وعلق النطق بقوله تعالى فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون أي فرجعوا على انفسهم بالملامة فقالوا انكم انتم الظالمون في سؤالكم لها لو كانت آلهة لم يصل الى كسرها احد ثم نكسوا على رؤسهم أي أدركتهم حيرة فنكسوا لاجلها رؤسهم واقروا بما هو حجة عليهم فقالوا لقد علمت يا ابرهيم ما هؤلاء ينطقون فكيف نسألهم لذلك وقيل معنى الآية تذكروا انفسهم ورجعوا الى عقولهم فقالوا ما نراه الا كما قال انكم انتم الظالمون بعبادتكم آلهة لا تنطق ولا تبطش ثم أدركتهم الشقاوة فعادوا الى قولهم الاول وضلالهم القديم وهو قوله ثم نكسوا على رؤسهم أي ردوا الى الكفر بعد ان اقروا على انفسهم بالظلم فقالوا لابرهيم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فلذلك لم نسألهم فلما اتجهت الحجة عليهم باقرارهم وبخهم ابرهيم فقال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أي لا يعلم ولا ينصركم اذا لم تعبدوه أف لكم أي تبا لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة اذ هي احجار لا حركة ولا بيان ولا نطق أوليس لكم ذهن الانسانية قوله تعالى قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم أي لما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب غضبوا فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم بتحريقه لانه يعيبها ويطعن فيها فاذا حرقتموه كان ذلك نصرا منكم اياها وقيل معناه واستنقموا لآلهتكم وعظموها ان كنتم فاعلين في هذا شيئا فاشتغلوا بجمع الحطب حتى كان الشيخ الكبير يأتي بالحطب الى الهشيم وحتى ان المريض كان يوصي بكذا وكذا من ماله فيشترى به حطب فيلقى في المواقد وحتى ان المرأة لتغزل فتشتري به حطبا فتلقيه في النار قال ابن عمر ان الذي اشار عليهم بتحريق ابرهيم رجل يسمى هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة قال فلما اجمع النمرود وقومه على احراق ابرهيم حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة فذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ثم جمعوا له صلاب الحطب من انواع الخشب حتى ان المرأة كانت اذا مرضت تقول لئن عافاني الله لاجمعن حطبا لابرهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب لئن اصابته لتحطبن في نار ابرهيم التي يحرق فيها احتسابا في دينها قال ابن اسحق كانوا يجمعون الحطب شهرا فلما اجمع الحطب اشعلوا في كل ناحية منه نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان الطير اذا مرت بها احترقت من شدة وهجها ثم عمدوا الى ابرهيم وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا ووضعوه فيه مغلولا فصاحت السموات والارض ومن فيها من الملائكة صيحة واحدة يا ربنا ان ابرهيم ليس في ارضك احد يعبدك غيره يحرق فأذن لنا في نصرته فقال الله ان استغاث بشيء منكم او دعاه فلينصره فقد اذنت في ذلك وان لم يدع احدا غيري فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بيني وبينه فلما ارادوا القاءه في النار اتاه خازن المياه فقال ان اردت اخمدت النار فان خزائن المياه والامطار بيدي واتاه خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابرهيم لا حاجة لي اليكم ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انت الواحد في السماء وانا الواحد في الارض ليس احد يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل وروي ان ابرهيم قال حين اوثقوه ليلقوه في النار لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك قال ثم رموا به في المنجنيق فاستقبله جبريل عليه السلام وقال يا ابرهيم ألك حاجة قال اما اليك فلا قال جبريل فسل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله عز وجل قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم قال ابن عباس لو لم يتبع بردها سلاما لمات ابرهيم من بردها فلم تبق يومئذ نار في الارض الا طفئت وخمدت قال السدي واخذت الملائكة بضبعي ابرهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس قال كعب ما احرقت النار من ابرهيم الا وثاقه قالوا وكان ابرهيم في ذلك الموضع سبعة ايام قال ابرهيم ما كنت ايام قط انعم مني من الايام التي كنت فيها في النار ثم بعث الله ملك الظل في صورة ابرهيم فقعد فيها الى جنب ابرهيم

وهو يؤنسه وبعث الله بقميص من حرير الجنة قال فنظر النمرود من صرح له واشرف على ابرهيم ومات كل في موته فرأى ابرهيم في روضة ورأى الملك قاعدا الى جنبه والنار محيطة به فناداه النمرود يا ابرهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته الى ان حال بينك وبين ما ارى حتى لم تضرك قال قتادة والزهري ما انتفع احد من اهل الارض يومئذ بنار ولا احرقت شيئا الا وثاق ابرهيم ولم يبق يومئذ دابة الا اطفأت عن ابرهيم النار الا الوزغ فلذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا قال شعيب الحماني القي ابرهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة وهي بنت سبعين سنة ولما علمت سارة بما اراد الله باسحق اضطربت يومين وماتت اليوم الثالث قوله تعالى وارادوا به كيدا أي ارادوا به الحيلة في الاضرار به فجعلناهم الاخسرين يعني الكفار الذين ارادوا احراقه بان لم ينلهم ما عزموا عليه وبين عجزهم عن نصرهم الهتهم وتحسيرهم وقال ابن عباس هو ان الله سلط البعوض على النمرود وخيله حتى اخذت لحومهم وشربت دماءهم ووقعت واحدة في دماغه حتى اهلكته قوله تعالى ونجيناه ولوطا أي نجينا ابرهيم من كيد النمرود ونجينا لوطا معه أي ورفعنا ابرهيم ولوطا من الهلكة الى الارض المباركة وهي ارض الشام وسميت ارض الشام مباركة لكثرة الانبياء الذين بعثهم الله فيها وعن ابي العالية انه ليس ماء عذب الا وهو يخرج من الصخرة التي ببيت المقدس قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة أي ووهبنا لابرهيم ولده اسحق وولد ولده يعقوب يسمى يعقوب نافلة لانه ولد ولد والنافلة في اللغة زيادة على الاصل ومنه نوافل الصلوة ما تطوع به المصلي ويقال انهما جميعا نافلة لانهما عطية زائدة على ما تقدم من النعم قال ابن عباس وقتادة سأل ابرهيم ربه ولدا واحدا فقال رب هب لي من الصالحين فاعطاه الله اسحق ولدا وزاده يعقوب قال ابن عباس نافلة يعقوب أي زيادة اياه على ما سأل قوله تعالى وكلا جعلنا صالحين يعني ابرهيم واسحق ويعقوب جعلناهم انبياء عاملين بطاعتنا صالحين قوله تعالى وجعلناهم ائمة أي قادة في الخير يهدون بأمرنا أي يدعون بامرنا الى ديننا وأوحينا اليهم فعل الخيرات أي شرائع النبوة وقيل أمرناهم بفعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين أي خاضعين مطيعين وانما قال واقام الصلوة بغير هاء لان الاضافة صارت عوضا عن الهاء قوله تعالى ولوطا آتيناه حكما وعلما أي وآتينا لوطا النبوة والعلم ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث يعني سدوم وكان اهلها يأتون الذكران في ادبارهم ويتضارطون في مجالسهم انهم كانوا قوم سوء فاسقين قيل انهم كانوا يعملون مع ذلك اشياء اخر من المنكرات قوله تعالى وادخلناه في رحمتنا بان نجيناه من القوم السوء واهلكناهم انه من الصالحين أي من الانبياء قوله تعالى ونوحا اذ نادى من قبل أي واذكر نوحا اذ نادى ربه من قبل ابرهيم ولوط يعني دعا على قومه بالهلاك فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاستجبنا له فنجيناه واهله من المؤمنين من الغرق ومن الكرب العظيم أي من الغم الشديد من تكذيب قومه ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا أي منعناه من ان يصلوا اليه بسوء انهم كانوا قوم سوء أي كفارا فاغرقناهم اجمعين بالطوفان قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث أي واذكرنا داود وسليمان بالنبوة والحكمة اذ يحكمان في الحرث قال قتادة كان الحرث زرعا وقال ابن مسعود كان كرما قد نبتت عناقيده قوله تعالى اذ نفشت فيه غنم القوم أي دخلت فيه بالليل ورعته وافسدته والنفش في اللغة الرعي بالليل يقال نفشت الدابة وهملت بالنهار اذا رعت والهمل الرعي بالنهار بلا راع قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين أي لا يخفى علينا منه شيء ولا يغيب عن علمنا وانما قال لحكمهم بلفظ الجمع لاضافة الحكم الى من حكم والى المحكوم لهم وقد يذكر لفظ الجمع في موضع التثنية كما في قوله تعالى فان كان له اخوة فلأمه السدس أي اخوان قوله تعالى ففهمناها سليمان أي فهمنا القضية سليمان دون داود وكلا منهما آتيناه العلم والفضل في الحصومة قال ابن مسعود وقتادة والزهري وذلك ان رجلين دخلا

على داود عليه السلام احدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع والكرم ان هذا انفلتت غنمه
ليلا فوقعت في حرثي فلم تبق منه شيئا فقال لك رقاب الغنم وكان قيمة الغنم سواء فاعطاه الغنم بالحرث فخرجا فمرا
على سليمان وهو يومئذ ابن احدى عشرة سنة فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان نعم ما قضى وغير هذا كان ارفق
بالكل ولو وليت امركما لقضيت بغير ما قضى فاخبر داود بذلك فدعاه فقال كيف تقضي بينهما قال ادفع الغنم الى
صاحب الحرث فيكون له نسلها ورسلها ومنافعها وسمنها واصوافها الى الحول ويقوم اصحاب الغنم على الكرم
حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يدفع هولاء الى هولاء غنمهم ويدفع هولاء الى هولاء كرمهم فقال داود عليه السلام
نعم ما قضيت فيه والقضاء قضاؤك وحكم داود بينهم بذلك فعوم تعدد لك الكرم وما اصابوه من الغنم في
شئل من الكرم وهكذا روي عن ابن عباس قال الحسن كان الحكم ما قضى به سليمان ولم يعنف الله داود في حكمه وهذا
يدل على ان كل مجتهد مصيب والى هذا ذهب بعض الناس فقالوا اذا نفشت الغنم ليلا في زرع فافسدته كان على صاحب
الغنم ضمان ما افسدته وان كان نهارا لم يضمن شيئا واستدلوا ايضا بما روي ان ناقة كانت للبراء بن عازب
دخلت حائط رجل فافسدته فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل المواشي
حفظها بالليل قال اصحابنا ولا يرون في هذه المسئلة ضمانا ليلا ولا نهارا اذا لم يكن صاحب الغنم هو الذي
ارسله فيه ولا حجة لهم في هذه الاية لانه لا خلاف ان من نفشت غنمه في حرث رجل انه لا يجب عليه تسليم الغنم
ولا تسليم اولادها والبانها واصوافها اليه فثبت ان الحكمين اللذين حكم بهما داود وسليمان عليهما السلام
منسوخان بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العجماء جبار
وهذا خبر مستعمل متفق على استعماله في البهيمة المنفلتة اذا اصابت انسانا او مالا انه لا ضمان على صاحبها
اذا لم يرسلها هو عليه وليس في قصة البراء بن عازب ايجاب الضمان ولان الاشياء الموجبة للضمان لا تختلف
بالليل والنهار قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير اي وسخرنا الجبال والطير يسبحن مع
داود روي ان الجبال كانت تسبح مع داود اينما ذهب ومما يؤيد هذا قوله تعالى يا جبال اوبي معه
والطير قوله تعالى وكنا فاعلين اي فاعلين هذه الاشياء دلالة على نبوته قوله تعالى وعلمناه
صنعة لبوس لكم اي وعلمنا داود صنعة الدرع وسماه الدرع لبوسا لانها تلبس كما يقال للبعير ركوب
لانه يركب والسلاح كله لبوس عند العرب درعا كان او جوشنا او سيفا او رمحا والجوشن هو الدرع
الصغير قال قتادة اول من صنع الدروع داود وانما كانت صفائح فهو اول من سردها وحلقها
قوله تعالى لتحصنكم من باسكم اي لتحرزكم من شدة القتال وقرأ ابو بكر ويعقوب لنحصنكم بالنون
لقوله وعلمناه وقرأ ابن عامر وحفص بالتاء يعني الصنعة وقرأ الباقون بالياء على معنى ليحصنكم اللبوس وقيل على
معنى ليحصنكم الله عز وجل قوله تعالى من باسكم اي من حربكم وقيل من وقع السلاح فيكم فهل انتم
شاكرون يا اهل مكة قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا
فيها اي وسخرنا لسليمان الريح عاصفة اي شديدة الهبوب قال ابن عباس ان امر الريح ان تعصف عصفت
وان اراد ان ترخي رخت وذلك قوله تعالى رخاء حيث اصاب قوله تعالى تجري بامره الى الارض
اي تجري بامر سليمان من اصطخر الى الارض التي بارك الله فيها بالماء والشجر وهي الارض المقدسة روي ان الريح
كانت تجري بسليمان واصحابه الى حيث شاء سليمان ثم تعود الى منزله بالشام قوله تعالى وكنا بكل شيء عالمين
في صحة التدبير فيه علمنا ان ما نعطي سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه قوله تعالى ومن
الشياطين من يغوصون له اي وسخرنا له من الشياطين في البحر لاستخراج ما فيه من لؤلؤ ومرجان وغيرهما
من الجواهر قوله تعالى ويعملون عملا دون ذلك اي ويعملون دون الغوص من اعمال البنا قوله تعالى
وكنا لهم حافظين اي من ان يفسدوا ما عملوا وقيل ان يهيجوا على احد في زمانه قوله تعالى وايوب

اذ نادى ربه اني مسني الضر اي دخل الضر في جسدي وانت ارحم الراحمين بالعباد وكان
هذا تعريضا منه بالدعاء لازالة ما به من الضر فاستجبنا له دعاءه فكشفنا ما به من ضر قوله تعالى
وآتيناه اهله ومثلهم معهم قال ابن مسعود وقتادة والحسن احيى الله له اولاده الذين هلكوا
في البلاء باعيانهم ورد الله مثلهم وقيل انزل الله اليه بكل شيء ذهب عنه ضعفين وعن ابن عباس مرفوعا قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ووهبنا له اهله ومثلهم معهم فقال يا ابن عباس رد الله
امراته اليه وزاد في شبابها حتى ولدت له ستة وعشرين ذكرا قوله تعالى رحمة من عندنا اي فعلنا ذلك
به رحمة من عندنا وذكرى للعابدين اي وموعظة للمطيعين قال وهب بن منبه كان ايوب
عليه السلام رجلا من الروم من ذرية اسحق بن ابرهيم وكانت امه من ولد لوط وكان الله قد اصطفاه
ونباه وبسط عليه الدنيا وآتاه من اصناف المال من البقر والابل والغنم والخيل والحمير ما لا يؤتيه احدا وكان
قد اعطاه الله اهلا واولادا من رجال ونساء وكان له خمسمائة عبد لكل عبد امراة وولد ومال وكان
ايوب عليه السلام برا تقيا رحيما بالمساكين يكرم الارامل والايتام ويكفلهم ويكرم الضيف وكان
شاكرا لانعم الله مؤديا لحق الله قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من اهل الغنى من العزة
والغفلة والسهو والتشاغل عن امر الله بما هو فيه من الدنيا وكان كثير الذكر لله تعالى مجتهدا في العبادة
وكان ابليس لا يحجب عن شيء من السموات ومن هنالك وصل الى آدم عليه السلام حين اخرجه من الجنة
فلم يزل على ذلك يصعد في السموات حتى رفع الله عيسى عليه السلام فحجب عن اربع وكان يصعد في الثلاث
فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حجب من الثلاث الباقيات فهو وجنوده محجوبون من جميع السموات
الى يوم القيمة الا من استرق السمع فاتبعه شهاب ثاقب فلما كان ابليس في زمان ايوب يصعد الى
السماء سمع تجاوب الملائكة بالصلوة على ايوب وذلك حين ذكره الله واثنى عليه فادركه الحسد لايوب
فصعد سريعا حتى وقف من السماء موقفا كان يقفه وقال الهي عبدك ايوب انعمت عليه فشكرك وعافيته
فحمدك ولم تجربه بشدة ولا بلاء وانا لك زعيم لئن ضربته بالبلاء ليكفرن بك فقال الله تعالى
انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض ابليس حتى وقع على الارض وجمع عفاريت الجن وقال لهم ماذا عندكم
من القوة فاني قد سلطت على مال ايوب وهي المصيبة الكبرى والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال فقال عفريت
من الجن اعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من النار فاحرقت كل
شيء آتي عليه فقال ابليس اذهب الى الابل ورعاتها فذهب الى الابل فوجدها في المرعى فلم يشعر الناس حتى ثار
من تحت الارض اعصار من نار لا يدنو منه احد الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى اتى على آخرها
فلما فرغ منها تمثل ابليس على قعود منها كراعيها وانطلق الى ايوب فوجده قائما يصلي فقال يا ايوب
هل تدري ما صنع ربك الذي اخترته وعبدته بالابل ورعاتها فقال ايوب انها ماله اعارنيه وهو اولى
به اذا شاء نزعه وقد وطنت مالي ونفسي على الفناء فقال ابليس ان ربك ارسل عليها نارا فاحرقت
هي ورعاتها فصار الناس مبهوتين متعجبين منهم يقولون لو كان اله ايوب يقدر على ان يصنع شيئا
لمنع من وليه وقوم منهم يقولون بل اله ايوب هو الذي فعل ذلك ليشمت به عدوه ويفجع به صديقه
فقال ايوب الحمد لله على ما قضى الله وقدر ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا لنقلك وجعلك مع تلك الارواح
فاجرني الله فيك فتموت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرك وخلصك فرجع ابليس الى اصحابه خاسئا ذليلا
فقال لهم ماذا عندكم من القوة اني لم اكلم قلبه فقال عفريت عندي من القوة ما اذا شئت صحت صوتا
لا يسمعه ذو روح الا خرجت روحه فقال ابليس اذهب الى الغنم ورعاتها فانطلق اليهم فلما توسط الغنم
صاح صوتا فماتوا جميعا ثم خرج ابليس متمثلا براع من رعاتها الى ايوب فاخبره بذلك فحمد الله

ودايه مثل ما قال في المرة الاولى فرجع ابليس الى اصحابه ذليلا خاسئا وامرهم الى اصحاب الحرث والزرع
فاهلكوهم وكان ايوب عليه السلام كلما انتهى اليه هلاك مال من ماله حمد الله واثنى عليه ورضي بالقضاء والزم
نفسه الصبر على البلاء حتى لم يبق له مال فلما راى ابليس ان ماله قد فني وانه لم تصب منه حاجة صعد الى
السماء وقال يا رب ان ايوب يرى انك ما اهلكت من ماله اخلفته عليه فهل انت مسلطي على اولاده فانها
الفتنة المضلة والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال ولا تقوى عليها صبرهم فسلطه الله على ذلك وانتهى
ابليس حتى جاء الى اولاد ايوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزله حتى تداعى من قواعده ثم جعل يرمي منهم بالخشب والحجارة
حتى مثل بهم كل مثلة ثم ذهب ابليس الى ايوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو مجروح يسيل دمه
ودماغه فاخبره بذلك فقال له يا ايوب لو رايت بنيك كيف حالهم تنكسوا على رؤوسهم يسيل دماغهم من انوفهم
ولو رايت كيف شقت بطونهم وتناثرت امعاؤهم لتقطع قلبك عليهم ولم يزل يردد عليه هذا القول حتى رق
قلبه وبكى فقبض قبضة من التراب ووضعها على راسه فاغتنم ابليس ذلك وصعد سريعا بالذي كان من جزع
ايوب ثم لم يلبث ايوب ان ندم على ذلك واستغفر ربه فصعدت الملائكة بتوبته فسبقوا ابليس فوقف
ابليس خازيا ذليلا وقال الهي هل مسلطي على جسده فاني زعيم لك ان سلطتني عليه ليكفرن بك فقال
الله تعالى قد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه ولا على عقله ولم يسلط
الله الا ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين وليقتدوا به في الصبر فانقض ابليس
سريعا فوجد ايوب ساجدا فاتاه من قبل الارض في وجهه فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده وخرج
به من قرنه الى قدمه مثل الثآليل ووقعت عليه حكة لا يملكها فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها
بالفخار والحجارة فلم يزل يحكها حتى تقطع لحمه وتقطع وتغير وانتن فاخرجه اهل القرية وجعلوه على
كناسة واعتزله جميع الناس الا امراته رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب فانها كانت تختلف
اليه بما يصلحه وتكرمه فلما طال عليه البلاء وتمادى عليه الضر ورفضه جميع الناس حتى اهل دينه وكره
ولم يتركوا ادنيه فاقبل على الدعاء متضرعا وقال الهي لاي شيء خلقتني ليتك لم تخلقني يا ليتني كنت
حيضة القتني امي ولو كنت اعلم كان اجمل بي الهي انا عبد ذليل ان احسنت الي فالمن لك وان عاقبتني
فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا وقد وقع بي بلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله
فكيف يحمله ضعفي الهي تقطعت اصابعي فاني لا اقدر احمل اللقمة بيدي الهي تساقطت لهواتي ولحم راسي
فما بين اذني وسال دماغي من فمي وتساقط شعر عيني فكانما احرق بالنار وجهي وحدقتاي متدليتان على
وجهي وورم لساني حتى ملأ فمي فما ادخل فيه طعاما الا غصني وورمت شفتاي حتى غطت العليا انفي
ورقت السفلى ذقني وتقطعت امعائي في بطني الهي ذهبت قوة رجلاي حتى لا اطيق حملهما وذهب المال
حتى صرت اسال النعمة من كنت اعوله فيمتنها علي ويعيرني الهي هلك اولادي ولو بقي منهم احد لاعانني
ونفعني الهي قد ملني اهلي وعقني ارحامي وانكرني معارفي واعرض عني صديقي وهجرني اصحابي وجحدت
حقوقي ونسيت صنائعي اصرخ فلا احد يصرخني واعتذر فلا احد يعذرني وادعو فلا احد منهم يجيبني
وان فضلك هو الذي اذلني واعماني وسلطانك هو الذي اسقمني ولو ان ربي نزع الهيبة التي في صدري
واطلق لساني حتى اتكلم بما ينبغي للعبد ان يحاج عن نفسه لرجوت ان يعافيني ولكنه القاني وتعالى عني
فهو يراني ولا اراه ويسمعني ولا اسمعه لا هو نظر الي فرحمني ولا هو ادناني منه فاتكلم بحاجتي وانطق ببراءتي
واخاصم عن نفسي فلما قال ذلك ايوب نودي يا ايوب اني لم ازل منك قريبا قم فخاصم عن نفسك وتكلم
ببراءتك واشدد ازرك وقم مقام جبار يخاصمني يا ايوب انك اردت ان تخاصمني بعيك وتحاجني بخطلك
ام اردت ان تكابرني بضعفك اين انت مني يوم خلقت السموات والارض هل علمت باي مقدار قدرتها ام

كنت

ام كنت معي يوم مددت اطرافها ام هل علمت ما في زواياها اين انت مني يوم فجرت البحار وانبعت الانهار اقدرتك
حبست البحار وامواجها ام قدرتك فتحت الانهار حين بلغت مدتها اين انت يوم نصبت الجبال ويوم صببت
الماء على التراب بحكمتك احصيت القطر وقسمت الارزاق ام قدرتك تسير السحاب ام هل خزنت ارواح
الاموات هل تدري يا ايوب باي لغة تتكلم الاشجار ام هل تدري اين خزانة الثلج وجبال البرد وهل
تدري اين خزانة الليل والنهار واين طريق النور ومن جعل العقول في اجواف الرجال واين انت
يا ايوب يوم خلقت التنين رزقه في البحر ومسكنه في السحاب عيناه توقدان نارا ومنخراه يثوران
دخانا يثور منهما لهب كانه اعصار النار اجوفه يحترق ونفسه تلتهب كان صريف اسنانه اصوات
الصواعق وكان وسط عينيه لهيب البرق ولا يفزعه شيء ويهلك كل شيء يمر به هل انت يا ايوب
اخذه بحبولتك او واضع اللجام في شدقه هل تحصي عمره او تعرف اجله او تعطيه رزقه فقال عند
ذلك يدي قصرت عن هذا الامر ليت الارض تنشق لي فاذهب فيها اجتمع علي البلاء الهي قد جعلتني
لك كالعدو وقد كنت تكرمني الهي هذه كلمة زلت على لساني فلن اعود لشيء تكرهه مني قد وضعت
يدي على فمي وعضضت على لساني والصقت بالتراب خدي ودسست فيه وجهي لذلي واسكتتني
خطيئتي رب فاغفر لي ما قلت فلا اعود لمثله ابدا فقال الله عز وجل يا ايوب قد نفذ فيك علمي وسبقت
رحمتي غضبي ان اخطات فقد غفرت لك ورددت عليك مالك واهلك ومثلهم معهم لتكون
لمن خلفك اية وتكون عبرة لاهل البلاء وعبرا للصابرين اركض برجلك هذا مغتسل بارد
وشراب فيه شفاؤك فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل منها فاذهب الله عنه كل
ما كان به من البلاء فاقبلت امراته تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت كالوالهة فوجدته جالسا
عند العين فلم تعرفه فقالت له يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان ها هنا فقال وهل
تعرفينه قالت نعم وما لي لا اعرفه فتبسم فقال انا هو فعرفته فقالت له يا عبد الله وضحكت
فاعتنقته قال ابن عباس فوالذي نفسي بيده ما فارقته من عناقه حتى مر بهما كل مال لهما وولد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام ايوب في بلائه ثماني عشرة سنة فرفضه البعيد والقريب
وقال الحسن مكث ايوب مطروحا على كناسة في مزبلة سبع سنين وكان مع ذلك لا يفتر من
ذكر الله والثناء عليه والصبر على بلائه فصرخ ابليس صرخة جمع فيها جنوده من اقطار الارض
جزعا من صبر ايوب فلما اجتمعوا اليه قالوا له ما اصابك قال اعياني هذا العبد الذي سالت الله
ان يسلطني عليه وعلى ماله وولده فلم ادع له ولدا ولا مالا فلم يزدد بذلك الا صبرا وثناء على الله ثم
سلطت على جسده فتركته جيفة ملقى على كناسة بني اسرائيل لا يقربه الا امراته فاستعنت بكم لتعينوني عليه
فقالوا له واين مكرك واين خداعك التي اهلكت بها من مضى من الامم قال بطل ذلك كله مع ايوب
فاشيروا علي قالوا ارايت حين اخرجت ادم من الجنة من اين اتيته قال من قبل امراته قالوا فشانك
يا ايوب من قبل امراته فانه لا يعصيها وليس يقربه احد غيرها قال اصبتم فانطلق حتى اتى امراته فتمثل لها
في صورة رجل فقال اين بعلك يا امة الله قالت هو ذاك يحك قروحه والدود يتردد في جسده فوسوس
لها وذكرها بايام شباب ايوب وجماله وما كان فيه من النعيم والحال الطيب وكيف انقلب عليهم
الزمان حتى صار ايوب في هذا الضر العظيم ولم يزل يذكرها بايام قد مضت حتى ابكاها فلما علم
انها قد جزعت وحزنت اتاها بسخلة وقال لها قولي لايوب يذبح هذه الشاة لي وهو يبرا قال فجاءت الى
ايوب فقالت الى متى يعذبك الله الا يرحمك اين المال اين الماشية اين الولد اين لونك الحسن قد تغير
وصار كما ترى اين جسمك الحسن قد بلي وتردد فيه الديدان فاذبح هذه السخلة لي فاني مري واسترح

حتى قال في نفسه ما هذا فاوحى الله اليه وهو في بطن الحوت هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو في بطن
الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا سمعنا صوتا ضعيفا بارض غريبة فقال ذلك عبدي يونس
عصاني فحبسته في بطن الحوت قالوا العبد الصالح الذي كان اليك له في كل يوم وليلة عمل صالح قال
نعم فشفعوا له فامر الله الحوت فقذفه على الساحل وهو سقيم وعن ابن عباس قال اتى جبريل الى يونس
فقال انطلق الى اهل نينوى فانذرهم ان العذاب قد حضرهم قال حتى التمس دابة قال الامر اعجل من
ذلك فانطلق الى السفينة فركبها فاحتبست السفينة فساهموا فخرج السهم عليه فجاء الحوت يبصبص
بذنبه فالتقمه فنودي الحوت انا لم نجعله رزقا لك وانا جعلناك له حرزا ومسجدا وانطلق به الحوت من ذلك
المكان حتى مر به على الايلة ثم مر على دجلة وكان ابن عباس يقول كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت
ودليل هذا ان الله ذكر قصة يونس في سورة الصافات ثم عقبها بقوله وارسلناه الى مائة الف
او يزيدون وقال اخرون بل كانت قصة الحوت بعد دعائه قومه وتبليغه الرسالة قوله تعالى
فاستجبنا له ونجيناه من الغم اي اجبنا دعوته ونجيناه من تلك الظلمات وكذلك ننجي المؤمنين
واختلفت القراء في قوله وكذلك نجي المؤمنين بنون واحدة وتشديد الجيم وتسكين اليا وجميع النحويين
حكموا على هذه القراءة بالغلط وقالوا هي لحن ثم ذكر الفراء لها وجها فقال اضمر المصدر في نجي اي نجي النجاء
المؤمنين كقولك ضرب الضرب زيدا على اضمار المصدر اي ضرب الضرب زيدا قال الشاعر

ولو ولدت فقيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابا

اي لسب بذلك الجرو السب الكلابا وممن صوب هذه القراءة ابو عبيد واما ابو حاتم السجستاني فانه لحنها
ونسب قاريها الى الجهل وقال هذا الجزء لا يجوز في اللغة ولا يحتج بمثل ذلك البيت على كتاب الله لان
يقول وكذلك نجي المؤمنين ولو قرئ ذلك لكان صوابا قال ابو علي الفارسي هذا مما يجوز في ضرورة
الشعر فان قيل لم كتب في المصاحف بنون واحدة قيل لان النون الثانية لما سكنت وكان الساكن غير
ظاهر على اللسان حذفت كما فعل ذلك في الا فحذفوا النون من ان لاخفائها اذا كانت مدغمة في اللام
قوله تعالى وزكريا اذ نادى ربه لا تذرني فردا وانت خير الوارثين اي واذكر زكريا اذ نادى
ربه فقال رب لا تتركني وحيدا اي ارزقني ولدا اشد به ويعينني على امر الدين والدنيا ويقوم بامر
الدين وبعدي فاني وانت وارث جميع الخلايق لانهم وامورهم صايرون اليك قوله تعالى فاستجبنا
له اي فاجبنا له دعاه هذا ووهبنا له ابنه يحيى واصلحنا له زوجه عقرا فيها قال قتادة كانت عقيما
فجعلناها ولودا وقيل كانت سيئة الخلق فرزقها الله حسن الخلق وقوله تعالى انهم كانوا يسارعون
في الخيرات اي يبادرون الى الطاعات مخافة ان يعرض لهم ما يشغلهم عنها ويعني بذلك زكريا
وامراته ويحيى وقال بعض المفسرين الكناية تعود على الانبيا الذين ذكرهم الله في هذه السورة قوله
تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا اي طمعا في ثوابنا وخوفا من عقابنا وكانوا لنا خاشعين
اي خاضعين حذرين قوله تعالى والتي احصنت فرجها وهي مريم بنت عمران فنفخنا فيها
من روحنا اي نفخ جبريل في جيبها حين نزعها بارناف الغني واذكر التي حفظت فرجها مما لا يحل
وقوله تعالى وجعلناها وابنها اية للعالمين اي دلالة للعالمين من انها جات بالولد من غير
فحل بكلم في المهد بما يوجب براة ساحتها من العيب وفي ذلك دليل على حقيقة وراث الله وعلى هذا لم يقل ايتين
لان شانهما في الدلالة كان واحدا قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة قال ابن عباس
ومجاهد والحسن معناه ان هذا دينكم دين واحد والامة الدين ومنه قوله تعالى انا وجدنا اباءنا
على امة اي على دين الاصل انه يقال للقوم يجتمعون على دين واحد امة فتقام الامة مقام الدين

وهو نصب على الحال اي حال اجتماعها على الحق قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة قال ابن
عباس ومجاهد والحسن معناه ان هذا دينكم دين واحد والامة الدين منه قوله تعالى انا
وجدنا اباءنا على امة اي على دين الاصل انه يقال للقوم يجتمعون على دين واحد امة فتقام الامة
مقام الدين وهو نصب على الحال اي حال اجتماعها على الحق قوله تعالى وانا ربكم فاعبدون
اي لا دين سوى ديني ولا رب غيري قوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا
راجعون معناه كان امرهم في الدين واحدا ولكنهم تفرقوا واختلفوا بما لا يجوز وهم معناه كان
امرهم في الدين واحد وهم اليهود والنصارى والمجوس قوله تعالى كل الينا راجعون اي جميع
اهل هذه الاديان راجعون الى حكمنا يوم القيامة فنجزيهم باعمالهم قوله تعالى فمن يعمل من
الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه اي لا جحود لعمله بل يتقبلها الله ويثيبه عليها والمعنى
لا يمنع ثواب عمله ولا يجحد احسانه قوله تعالى وانا له كاتبون اي نامر الحفظة ان يكتبوا ذلك
العامل عمل ليجازيه عليه قوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اي
واجب على قرية اذا اهلكت لا ترجع الى دنياها قال الكلبي يعني بقوله اهلكناها عذبناها انهم لا يرجعون
الى الدنيا والمعنى ان الله حكم على من اهلك ان يبقى في الارض مدفونا الى يوم القيمة وان لا يرجع
الى الدنيا قرا حمزة والكسائي وحرم بكسر الحا وحزم الرا من غير الف وهما لغتان مثل حل وحلال
قوله تعالى حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج حتى اذا فتحت جهة ياجوج وماجوج وفتحهما اخرا
من السد وقرا ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد على التكثير وقوله تعالى وهم من كل حدب
ينسلون اي من كل اكمة ورابية مرتفعة من الارض يخرجون باسراع والحدب الارتفاع
ومنه الحدبة خروج الظهر ونتوه والنسول هو الخروج بسرعة كنسل لان الذيب يعني
مشيته اذا اسرع فيها والمعنى انهم من كل نشز من الارض يسرعون ويتفرقون في الارض فلا
ترى اكمة الا وقوم منهم يهبطون منها مسرعين فلا يمرون بما الا شربوه ولا بشي الا
افسدوه قال المفسرون اولاد ادم عشرة اجزاء تسعة منهم ياجوج وماجوج فقد ذكرنا نعتهم في
سورة الكهف قوله تعالى واقترب الوعد الحق قيل ان الواو ههنا مقحمة والمعنى حتى اذا فتحت
ياجوج وماجوج اقترب الوعد الحق اي يكون ذلك اقتراب الساعة وذكر الوعد والمراد به
الموعد روي عن حذيفة رضي الله عنه انه قال لو ان رجلا اقتنى فلوا بعد خروج ياجوج وماجوج
لم يركبه حتى تقوم الساعة قوله تعالى فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا اي تشخص
ابصارهم يوم القيامة نحو الجهة التي يتوقعون نزول العذاب بهم منها وقيل تخشعت ابصارهم
من شدة ذلك اليوم قال الكلبي شخصت ابصارهم فلا تطبق تطرف من شدة الاهوال واما الضمير في
قوله فاذا هي شاخصة يعود الى معلوم قد بينه وهو قوله ابصار الذين كفروا كقول الشاعر

لعمر ابيها لا تقول ظعينتي الا فرعنها مالك ابن ابي كعب

فكنى عن الظعينة ثم اظهرها ويكون تقدير الكلام فاذا الابصار شاخصة ابصار الذين كفروا وقيل
يكون قوله هي عمادا مثل قوله فانها لا تعمى الابصار قوله تعالى يا ويلنا اي قالوا يا ويلنا
قد كنا في غفلة من هذا اليوم في الدنيا بل كنا ظالمين لانفسنا بالكفر قوله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون معناه انكم يا اهل مكة وما تعبدون
من الاصنام وقود جهنم والحصب في اللغة كل ما يرمى به يقال حصبه بالحصبا اذا رماه بها وفي القراة
الشاذة حطب جهنم وهي قراة ابن عباس والحضب ما هيج به النار ومنه قيل للدقاق النار حضب

فقال لها ايوب اتاك عدو الله فنفخ فيك فاجبتيه ويلك ارايت الذي يبكين عليه من المال والولد والصحة من اعطانيه قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنه قال فكم ابتلانا الله قالت سبع سنين قال ايوب ما عدلت ولا انصفت الا صبرت حتى نكون في البلا ثمانين سنه كما كنا في الرخا ثمانين سنه والله لان شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة كيف تامريني ان اذبح لغير الله طعامك وشرابك علي حرام ان اذوق شيا مما تاتيني به بعد اذ قلت لي هذا القول فاعتزلي عني ولا اراك فطردها فذهبت وقال وهب لما امرها ابليس بذبح السخلة وانما قال لها ان بعلك اكل طعاما ولم يسم الله عليه لعوفي من البلاء وروي ان ابليس قال لها اسجدي لي سجدة وارد عليك المال والاولاد واعافي زوجك فانا الذي صنعت بكم ما صنعت فرجعت اليه فاخبرته بذلك فقال لها اتاك عدو الله ليفتنك عن دينك وحلف ان عافاه الله ليضربنها مائة ضربة وحرم طعامها وشرابها وطردها فلما نظر ايوب الى انه قد طرد امراته وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله عز وجل وقال الهي مسني الضر وانت ارحم الراحمين من طمع ابليس في سجود امراتي له ودعايه اياها واياي الى الكفر وقيل انما قال مسني الضر حين نفذت الدود الى قلبه ولسانه فخشي ان يفتر عن ذكر الله وقيل انما قال ذلك حين اتاه صديقان له فقاما من بعيد لا يقدرون على الدنو منه من ريحته فقال لاحدهما لصاحبه لو علم الله في ايوب خيرا ما ابتلاه بما نرى قال فما سمع ايوب شيا كان اشد عليه من هذه الكلمة فعند ذلك قال مسني الضر من شماتة الاعدا يدل عليه ما روي انه قيل له بعد ما عوفي ما كان اشد عليك في بلايك قال شماتة الاعدا وانشد واني عناه

كل المصايب قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الحساد

كل المصايب تنقضي ايامها وشماتة الحساد بالمرصاد

قال وهب فلما طرد ايوب امراته وبقي وحيدا ليس معه من يطعمه ويسقيه قال عند ذلك يا رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقال الله له ارفع راسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق من دايه شي ظاهر الا سقط عنه واذهب الله عنه كل الم وسقم وعاد اليه شبابه وجماله احسن مما كان وافضل ثم ضرب برجله فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه دا الا خرج فقام صحيحا وكسي حله ثم التفت عن يمينه فراي جميع ما كان له من اهل ومال وولد وقد صار معهم مثلهم قال الله تعالى واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا قال وهب كان له سبع بنات وثلثه بنين وقال ابن يسار سبعه بنين وسبع بنات فردهم الله باعيانهم واعطاه مثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود وقتاده وكعب قالوا احياهم الله عز وجل وابدله بكل شي ذهب عنه ضعفين قال ابن عباس في شبابها حتى ولدت له سته وعشرين ولدا ذكرا وقوله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل اي واذكر اسمعيل وادريس وذا الكفل واختلفوا في ذا الكفل قال ابو موسى الاشعري وقتاده ومجاهد كان ذا الكفل رجلا صالحا تكفل لنبي من الانبيا انه يصوم النهار ويقوم الليل وان لا يغضب ويقضي بالحق فوفى بذلك كله فاثنى الله عليه وذكره مع الانبيا وذلك ان نبي من الانبيا بني اسرايل من تكفل لك انه يصلي الليل لا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب ملكك اليه فيفعل ذلك فقام شاب فقال انا اتكفل لك بهذا فتكفل ووفا به بهذا فشكره الله واثنى عليه ولذلك اسمي ذا الكفل اي ضوعف ثوابه على ثواب غيره ممن امن به في زمانه وقال مجاهد ايضا لما كبر اليسع عليه السلام قال لو اني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى انظر كيف يعمل قال فجمع الناس وقال من يتكفل لي بثلاث استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويحكم بين الناس ولا يغضب فقام رجل تزدريه العيون فقال انا فرده في ذلك

اليوم

اليوم ثم قال كذلك في اليوم الثاني فقام ذلك الرجل فرده فقال مثل ذلك اليوم الثالث فقام ذلك الرجل فاستخلفه فوفا بذلك كله قوله تعالى كل من الصابرين اي على طاعة الله وعن معاصيه وادخلناهم في رحمتنا يعني ما انعم عليهم من النبوة وما صيرهم اليه في الجنة من الثواب قوله تعالى وذا النون فذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه يعني يونس بن متى حبسه الله في بطن الحوت وهو الحوت ومعنى الاية واذكر ذا الحوت اذ ذهب مغاضبا لقومه روي انه خرج من بينهم قبل ان يوذن له في الخروج وكان خروجه من بينهم خطية وانما خرج منهم على تركهم الايمان به هكذا روي عن ابن عباس والضحاك وقيل كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبا منهم خلقا كثيرا فاوحى الله الى شعيا النبي عليه السلام اذهب الى الملك حزقيا فقل له يوجه نبيا قويا امينا فاني القي في قلوب اوليك حتى يرسلوا معه بني اسرايل فقال الملك من ترى نرسل وكان في مملكته خمسة من الانبيا فقال له ارسل يونس فانه قوي امين فدعى الملك يونس هل امرك الله باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فههنا انبيا غيري اقويا امنا فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي والملك ولقومه فاتى بحر الروم فاذا سفينة مشحونه فركب مع اصحابها فلما صارت في لجة البحر انكفات حتى كادوا يغرقون فقال الملاحون ههنا عبد ابق من سيده فتقترعوا فمن وقعت عليه القرعة القيناه في البحر لان يغرق واحد منا خير من ان تغرق السفينه بما فيها فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة كلها على يونس فقال يونس انا الرجل العاصي والعبد الابق والقى نفسه في الما فجا حوت فابتلعه ثم جا حوت اخر اكبر منه فابتلع الحوت ايضا فاوحى الله الى الحوت لا يوذي منه شعرة فاني قد جعلت بطنك سجنه ولم اجعله رزقا لك قوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه اي فظن ان لن يقضي عليه بالعقوبه يقال قدر الله الشي وقدره اي قضاه وقيل معنى فظن ان لن نضيق عليه الحبس من قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه اي ضيق وقوله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر وقد ضيق الله يونس اشد تضييق وقيل معناه فظن ان لن نقدر عليه ما قدرنا من كونه في بطن الحوت قوله فنادي في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك قال ابن عباس هي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وقال سالم ابن ابي الجعد كان حوتا في بطن حوت وقوله تعالى اني كنت من الظالمين اي الظالمين لنفسي في خروجي من قومي قبل الاذن قال الحسن وهذا من يونس اعتراف بذنبه وتوبته من خطيه تاب الى ربه في بطن الحوت وراجع نفسه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم كلمة لا يقولها مكروب الا فرج الله عنه كلمة اخي يونس لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقال وهب بن منبه ان يونس بن متى عليه السلام كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حملت عليه اثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها بين يديه وخرج هاربا منها فلذلك اخرجه الله من اولي العزم فقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اي لا تلق امري كما القاه قوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه اي ظن ان لن نقضي عليه بما قضينا من العقوبه ودليله قراة الزهري ان لن نقدر عليه مشددا وقرا عبيد بن عمير يقدر عليه بالتشديد على المجهول واختلفوا في مدة لبثه في بطن الحوت فقيل اربعين يوما وقيل سبعة ايام وقيل ثلاثة ايام وامسك الله نفسه فلم يقتله هنالك روي ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما اراد الله حبس يونس في بطن الحوت اوحى الله تعالى الى الحوت خذه ولا تخدش له لحما وتكسر له عظما فاخذه ثم اهوى به الى مسكنه في البحر فلما انتهى به الى اسفل سمع يونس

وقرا علي وعايشة حطب جهنم قوله تعالى انتم لها واردون اي فيها داخلون والحكمة في ادخال الاصنام
النار مع انها لا ذنب لها في عبادة من يعبدها اي يقصد بادخالها تعذيب عبادها فما كان منها حجرا او
حديدا احمي فيلتزق بعبادها وما كان منها خشبا يجعل جمرة فيتعذبون بها ويكون في ادخال معبودهم معهم
في النار زيادة ذل وصغار عليهم قوله تعالى لو كان هؤلاء الهة ما وردوها اي ما الالهة في عبادة
الاصنام اي لو كان الاصنام الهة كما يزعموا الكفار ما وردوها اي ما دخل عابدوها النار وكل فيها خالدون
يعني العابد والمعبود وقوله تعالى لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون الزفير شدة النفس بحيث
ما يرد على صاحبه وهم فيها لا يسمعون شيا اي لا يرى احد منهم ان في النار احد يعذب غيره قال ابن
مسعود يجعلون في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت اخرى فلا يسمعون شيا وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اتى قريشا وهم في المسجد مجتمعون وحولهم ثلثماية وستون صنما
مصفوفة كل صنم لكل قوم محيا لهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم انتم لها واردون ثم ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق عليهم ذلك فاتاهم
عبد الله ابن الزبعري فرآهم يتهامسون فقال فيما خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعري اما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له ابن الزبعري انت قلت انا وما نعبد في النار قال خصمتك ورب الكعبة اليست
اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبني مليح يعبدون الملائكة افترى ان هولاي يكونون
على النار رضين له النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اراد به الاوثان وفي الاية ما يدل على ذلك
لان قوله تعالى وما تعبدون لا يكون الا لما لا يعقل اذ لو اراد الملائكة والناس لقال ومن تعبدون
ثم انزل الله قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون يعني بمعناه ان عيسى
وعزيرا والملائكة هم الذين سبقت لهم منا الحسنى اي وجبت لهم العدة من الله تعالى بالبشرى
والسعادة ويدخل في هذه الاية جملة المومنين لما روي ان عثمان رضي الله عنه سمع عليا كرم الله وجهه
يقرا هذه الاية ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون فقال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان
وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن وابو عبيدة وقال الجنيد سبقت لهم من الله العناية
في الهداية فظهرت الولاية في النهاية قوله تعالى اولئك عنها مبعدون اي ينحون عن النار قوله تعالى
لا يسمعون حسيسها اي حسها وحركة تلهبها والمعنى لا يسمعون صوت النار وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون
اي فيما اشتهت انفسهم في نعيم الجنة مقيمون دايمون قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر قال
المفسرون حين اطبقت جهنم على اهلها وقال ابن عباس هو النفخة الاخيرة وقيل هو ذبح الموت بين
الفريقين وقيل هو حين يومر باهل النار الى النار وذلك حين يقال وامتازوا اليوم ايها المجرمون
قوله تعالى وتتلقاهم الملئكة اي بالتهنية على باب الجنة فيقولون لهم هذا يومكم الذي كنتم
توعدون فيه بالفوز قوله تعالى يوم نطوي السما كطي السجل للكتاب قال ابن عباس
ومجاهد السجل هو الصحيفة تطوى بما فيها من الكتابة واللام في قوله للكتاب بمعنى على وقال السدي
هو ملك موكل بالصحف اذا مات الانسان رفع كتابه اليه فطواه وقيل ان السجل كاتب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل هو الرجل بلغة الحبشة وقرا ابو جعفر تطوى السما بالتا ورفع السما على
ما لم يسم فاعله وقرا اهل الكوفة الكتب على الجمع والمراد بطي السما ان الله تعالى يطويها ثم يعيدها
ولذلك قال كما بدانا اول خلق نعيده اي كما بداناها اول مرة نعيدها الى الحالة الاولى ويجوز
ان يكون معنى قوله كما بدانا اول خلق نعيده نعيد الخلق للبعث كما بداناه من النطفة ودليل هذا

القول قوله تعالى كما بداكم تعودون والطي في هذه الاية يحتمل معنيين احدهما الدرج الذي هو ضد
النشر لقال الله تعالى والسموات مطويات بيمينه والثاني الاخفاء التعمية والمحو والطمس لان
الله تعالى يمحو رسومها وتكدر نجومها وقيل معنى قوله تعالى كما بدانا اول خلق نعيده كما بداناهم
في بطون امهاتهم حفاة عراة غرلا نعيدهم يوم القيمة قوله تعالى وعدا علينا نصب على المصدر
معنى قد وعدنا مذ وعدا قوله تعالى انا كنا فاعلين اي قادرين على فعل ما نشا لا اخلف
لوعدنا وسنفعل ما قلنا وقيل معناه ما كنا فاعلين ما وعدنا لهم من ذلك وقيل انا كنا فاعلين الاعادة
والبعث قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون
اي كتبنا في زبور داود من بعد توريه موسى وقال ابن عباس والضحاك الذكر التوريه
والزبور الكتب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور زبور داود والذكر الفرقان وبعد
بمعنى قبل كقوله تعالى وكان وراءهم ملك اي امامهم وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها
اي قبل ذلك قوله تعالى ان الارض يرثها عبادي الصالحون من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
جميع المومنين العاملين بطاعة الله قوله تعالى ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين اي ان في
هذا القران بلاغا للكفاية والمعنى ان من اتبع القران وعمل به كان القران بلاغه الى الجنة
وقوله تعالى لقوم عابدين قال كعب هم امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يصلون الصلوات
الخمس ويصومون شهر رمضان روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا ان في هذا لبلاغا
لقوم عابدين ثم قال هي الصلوات الخمس والجماعة في المسجد الحرام قوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين اي وما ارسلناك يا محمد الا نعمة للعالمين قال ابن زيد يعني للمومنين
خاصة وقال ابن عباس هو عام لمن امن به كتب له من الرحمة في الدنيا والاخرة ومن لم يومن عوفي
مما اصاب الامم من المسخ والخسف والقذف والمعنى انه كان اذا ارسل نبي من الانبيا فان امن به
قومه والا عذبوا وارسل النبي صلى الله عليه وسلم مما اصاب الامم من قبل قوله تعالى قل
انما يوحى الي اي قل لهم يا محمد انما يوحى الي هذا القران انما الهكم اله واحد وهو الله لا شريك
له فهل انتم يا اهل مكة مسلمون مخلصون له بالعبادة والتوحيد قوله تعالى فان تولوا
اي فان اعرضوا عن قبول قولك فقل اذنتكم على سوا اي اعلمتكم بالوحي من الله على سوا في
الاعلام اي لم اظهر لبعضكم شيا كتمته من غيره وقيل على سوا في العلم اني حرب لكم لا صلح بيننا
واني مخالف لدينكم فتاهبوا لما يراد بكم اذ ليس الغدر من اخلاق الانبيا صلوات الله عليهم قوله
تعالى وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون اي ما ادري متى توعدون به من العذاب
قوله تعالى انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون معناه ان الله يعلم ما تعلنون به من
القول ويعلم ما تكتمونه من سركم ولا يغيب من علمه شي منكم قوله تعالى وان ادري لعله فتنة لكم
اي وما ادري لعل تاخير العذاب ليرى كيف صنعكم ومتاع الى حين اجالكم اي تتمتعون الى
انقضاء اجالكم قوله تعالى قل رب احكم بالحق اي قل لهم يا محمد رب احكم بعذاب اهل مكة الذي
هو حق نازل بهم والحق هاهنا هو العذاب كانه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقال
قتادة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق قال الكلبي فحكم عليهم بالقتل
يوم بدر ويوم الاحزاب ويوم حنين ويوم الخندق والمعنى افصل بيني وبين المشركين بما يظهر
به الحق للجميع وقرا حفص قال رب احكم بالحق على الخبر اي قال الرسول ذلك وقرا الضحاك
ويعقوب قل رب احكم بالحق باثبات اليا على وجه الخبر اي هو احكم الحاكمين وكيف يجوز ان يسا

ان حكم بالحق وقولا حكم الايه قوله تعالى وربنا الرحمن المستعان على ما يصفون اي على كذبكم
وباطلكم وقولكم هل هذا الا بشر مثلكم وقولكم اتخذ الرحمن ولدا والوصف يعني الكذب كقوله
تعالى سيجزيهم وصفهم وقوله ولكم الويل مما تصفون

الايات قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الى اخر الايتين وقوله اذن للذين يقاتلون الى اخر
الايتين وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا فهو مدني وكل شي فيه يا ايها الناس فهو مكي وسائر مدني ولا نجد
يا ايها الذين الا مدنيا فقط هكذا روي عن ابن عباس عدد ايات السورة ثماني وسبعون اية وخمسة
الاف وخمسة وتسعون حرفا وثمانمائة واحد وتسعون كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شي عظيم قال ابن عباس يريد باهل مكة اتقوا ربكم واحذروا
عقابه ان زلزلة قيام الساعة شي عظيم اي هول عظيم لا يوصف لعظمه والزلزلة شدة الحركة مع المهابة
قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت اي يوم ترون تلك الزلزلة تذهل في ذلك
اليوم كل مرضعة عما ارضعت اي تنسا وقيل تشتغل كل مرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل
ما في بطنها لغير تمام وهذا انما يكون على وجه التشبيه والمعنى ان لو كانت ثم مرضعة لذهلت عن ولدها
او حامل لوضعت حملها قوله تعالى وترى الناس سكارى اي من شدة الفزع والخوف من عذاب
الله يحيرون كانهم سكارى وما هم بسكارى من الشراب والمعنى ترى الناس كلهم سكارى من هول
عقولهم ما امرهم يضطربون اضطراب السكران وسكارى جمع سكران وقرا اهل الكوفة سكرى
وسكرى بغير الف قال الفرا هو وجه جيد في العربية لانه بمنزلة الهلكى والجرحى والمرضى وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى يوم القيمة لادم يا ادم قم فابعث بعث النار
فيقول لبيك وسعديك وما بعث النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد
الى الجنة فعند ذلك تشيب الصغير وتضع الحامل ما في بطنها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل الذي يبقى قال ابشروا اني لارجوا ان يكون من ياجوج وماجوج الف
ومنكم واحد ثم قال اني لارجوا ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا وحمدنا ثم قال اني لارجوا ثلث اهل الجنة
فكبرنا وحمدنا ثم قال اني لارجوا ان تكونوا ثلثي اهل الجنة وان اهل الجنة مائة وعشرون بغير حساب
مع كل واحد سبعون الفا فقال عكاشة بن محصن ادع الله تعالى يجعلني منهم فقال انت منهم فقام رجل
من الانصار فقال يا رسول الله ادع لي ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة قوله تعالى
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم قال ابن عباس نزلت في النضر بن الحرث كان يكذب بالقران ويزعم
انه من اساطير الاولين وكان كثير الجدل ويقول الملائكة بنات الله ويزعم ان الله غير قادر على
احياء الموتى والمعنى ومن الناس من يخاصم في دين الله بغير علم ولا حجة ويتبع كل شيطان مريد
اي متمرد على الله قوله تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله اي كتب على الشيطان اضلال
من تولاه وهدايته اياه الى عذاب السعير وقيل ان الها في قوله كتب عليه راجعة الى من يتبع
الشيطان فيرجع فيقبل منه قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث معناه يا اهل
مكة ان كنتم في شك من البعث بعد الموت فتفكروا في ابتدا خلقكم فان اعادتكم ليست باشد من
اول خلقكم ثم بين ابتدا خلقهم فقال انا خلقناكم من تراب اي خلقنا اباكم ادم ثم صيرناه نما
وذريته قوله تعالى ثم من نطفة ثم خلقناكم بعد ذلك من النطفة التي تكون من الذكر والانثى

ثم خلقنا تلك النطفة علقة وهي قطعة من الدم ثم جعلنا العلقة مضغة وهي قطعة من اللحم
تسمى مضغة لانها بمقدار ما يمضغ من اللحم قوله تعالى مخلقة وغير مخلقة اي تامة الخلق وغير
تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط قال عبد الله بن مسعود اذا وقعت النطفة
في الرحم بعث الله ملكا ياخذها بكفه فيقول يا رب مخلقة او غير مخلقة فان قال غير مخلقة مجتها
الارحام دما وان قال مخلقة قال يا رب اذكر ام انثى وما رزقها وما اجلها اشقي ام سعيد وباي
ارض تموت فيقال له اذهب الى ام الكتاب فانك تجد ذلك فاستنسخ منه هذه النطفة فينطلق
فينسخها فتخلق فتعيش في اجلها وتاكل رزقها حتى اذا جا اجلها ماتت فتذهب الى المكان الذي
كتب لها قوله تعالى لنبين لكم اي لنبين لكم كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريفنا في الخلق قوله
تعالى ونقر في الارحام ما نشا الى اجل مسمى اي ونترك في الارحام ما نشا من الولد الى
وقت التمام ولا نسقطه روي عن عاصم ونقر بالنصب على العطف وقراة الباقين بالرفع
على معنى ونحن نقر قوله تعالى ثم نخرجكم طفلا اي ثم نخرجكم من الارحام طفلا صغارا
وانما لم يقل اطفالا لانه لم يخرجهم من ام واحدة ولكن يخرجهم من امهات شتى كانه قال ثم نخرج
كل واحد منكم طفلا قوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم اي ثم ليعمركم لتبلغوا اشدكم يعني
الكمال والفتوة ومنكم من يتوفى قبل بلوغ الاشد ومنكم من يعمر حتى يرد الى ارذل
العمر اي اهونه واخسه وهو الهرم والخرف قوله تعالى لكيلا يعلم من بعد علم شيا
اي لكيلا يعقل من بعد عقله الاول شيا قوله تعالى وترى الارض هامدة هذه دلالة
اخرى لهم على احيا الموتى باحيا الارض الميتة والهامدة هي اليابسة الجافة كانه قال
وترى الارض يابسة جافة ذات تراب كالنار اذا طفيت ورمدت فاذا انزلنا عليها الما
اي على الارض اهتزت وربت اي تحركت بالنبات وازدادت واضعفت النبات
وذلك ان الارض ترتفع على النبات فذلك تحركها وهو معنى قوله وربت اي ارتفعت
وزادت وانتفخت للنبات من ربا يربو اذا زاد قوله تعالى وانبتت من كل زوج بهيج
اي واخرجت بالما من كل لون حسن البهجة ومن كل صنف مونق العين والبهيج الحسن قال
الله تعالى وانزلنا من السما ما فانبتنا به حدايق ذات بهجة قوله تعالى ذلك بان الله هو
الحق وانه يحيي الموتى اي ذلك الذي وصفناه من تصريف الخلق على هذه الاحوال وفي احيا
الارض الميتة لتعلموا وتقروا بان الله هو المستحق لصفات التعظيم وهو الاله الواحد الذي
يقدر على كل شي قوله تعالى وانه يحيي الموتى اي ويدلكم على انه يحيي الموتى كما احيا كما ابتدا وبانه
على كل شي من الايجاد والاعدام قدير ويدلكم ان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث
من في القبور للحساب والجزا قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى
ولا كتاب منير نزلت في النضر بن الحرث ايضا وقيل نزلت في ابي جهل ومعناه يجادل
ليحق الباطل ويبطل ما دل عليه الدليل بغير معرفة ولا دليل ولا كتاب مضي فيه حجة ما يقول
وقوله تعالى ثاني عطفه اي لاوي عنقه متكبرا معرضا عما يدعى اليه كبرا وهو منصوب
على الحال والمعنى ومن الناس من يجادل في الله متكبرا اثانيا بانفه ليضل عن سبيل الله اي
من دين الله وطاعته قوله تعالى له في الدنيا خزي اي عقوبة بالمذمة والقتل ونذيقه
في القيمة عذاب الحريق اي عذاب النار فقتل النضر بن الحرث يوم بدر صبرا ومن قال
نزلت في ابي جهل فهو قتل ايضا يوم بدر قوله تعالى ذلك بما قدمت يداك مبالغة في اضافة

ارذل العمر

الخزي البعيد وان الله ليس بظلام للعبيد ظاهر المعنى فان قيل لما قال تعالى بظلام على صيغة المبالغة وهو
لا يظلم مثقال ذرة فقيل انه تعالى لو فعل اقل قليل الظلم لكان عظيما منه قوله تعالى ومن الناس
من يعبد الله على حرف قال ابن عباس نزلت هذه الايات في اناس من بني اسد بن خزيمة اصابتهم
سنة شديدة فاجدبوا فيها فمضوا بعيالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
مهاجرين فكانوا اذا اعطوا من الصدقة واصابوا خيرا اطمانوا بذلك وفرحوا به وان منهم
اصابهم وجع وافة وولدت نساؤهم البنات وتاخرت عنهم الصدقة فقالوا ما اصابنا منذ كنا على هذا
الدين الا شر فينقلب عن دينه وذلك الفتنة ومعنى الاية ومن الناس من يعبد الله على حرف
اي على ضعف في العبادة كضعف القيام على حرف جرف لا يدخل في الدين على ثبات وتمكن وقيل
معناه على شك كانه قائم على حرف جدار او طرف جبل لا يدخل في الدين على ثبات ويقين وطمانينة
فهو كالمضطرب على شفا جرف فان اصابه رخاء وعافية وخصب اطمان على عبادة الله بذلك الخير
وان اصابته فتنة اي محنة بضيق العيش ونحو ذلك انقلب على وجهه اي رجع الى دينه الاول
وهو الشرك بالله قوله تعالى خسر الدنيا والاخرة اي خسر في الدنيا العز والغنيمة وفي الاخرة
الجنة ذلك هو الخسران المبين اي الظاهر وقرا الاعرج ويعقوب انقلب على وجهه خاسر
الدنيا والاخرة بالالف والاخرة بالخفض ونصب خاسر على الحال قوله تعالى يدعوا من دون
الله ما لا يضره وما لا ينفعه اي يعبد من دون الله ما لا يضره ان ترك عبادته ولا ينفعه ان
عبده ذلك هو الضلال البعيد عن الحق والرشد قوله تعالى يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه
اي يدعوا ما لا نفع له اصلا ومن عادة العرب انهم يقولون لشيء لا منفعة فيه ضره اكثر من نفعه
كما يقولون لشيء لا يكون اصلا هذا بعيد قوله تعالى لبئس المولى اي لبئس الناصر [illegible]
ولبئس العشير اي لبئس الصاحب والمعاشر يعني الصنم واختلفوا في اللام في قوله تعالى يدعوا لمن
ضره فقيل معناها التاخير كانه قال يدعوا من والله لضره اقرب من نفعه وانما قدمت اللام
للتاكيد ونظيره هذا عندي لما غيره خير منه معناه عندي ما لغيره خير منه وقيل لمن ضره كلام مبتدا
وخبره لبئس المولى ولبئس العشير ويكون الغني الذي هو الضلال البعيد يدعو فهذا اخر الكلام
وما بعده كلام مستانف وقيل هذه اللام صلة اي يدعو من ضره اقرب من نفعه قوله تعالى
ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ظاهر المعنى ان الله
يفعل ما يريد باوليائه واهل طاعته من الكرامة وباهل معصيته من الهوان قوله تعالى من كان
يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء الاية معناه من كان يظن ان لن ينصر
الله محمدا صلى الله عليه وسلم فليطلب سببا يصل به الى السما ثم ليقطع نصرة الله لنبيه صلى الله عليه
وسلم ولينظر هل يتهيا له الوصول الى السما بحيلة فكما لا يمكنه ان يحتال في الوصول الى السما كذا
لا يمكنه ان يحتال في الوصول الى السما كذا لا يمكنه الحيلة في قطع نصر الله تعالى للنبي صلى الله عليه
وسلم وقيل معناه من كان يظن ان لن ينصر الله النبي صلى الله عليه وسلم حتى يظهر على الدين
فليمت غيظا وقيل ان الهاء راجعة الى من كان كانه قال من كان يظن ان لن يرزقه الله فليمدد
بحبل الى سقف بيته واضعا ذلك على حلقه مختنقا نفسه ليذهب غيظ نفسه وهذا مثل ضرب لهذا
الجاهل اي مثل هذا الذي يظن ان لن يرزقه الله على سبيل التسخط مثل من تكلف هذا الفعل بنفسه هل كان
ذلك الا زائدا في بلائه وهل يذهب حنقه بنفسه فلعله في رزقه وانما ذكر النصرة بمعنى الرزق لان
العرب يقول من ينصرني نصره الله اي من يعطيني اعطاه الله قوله تعالى وكذلك انزلناه اي وكذلك

انزلناه

انزلناه القران على محمد صلى الله عليه وسلم دلالات واضحات وان الله يهدي الى النبوة من يريد
وقيل يهدي الى الدين والى الثواب قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا اي ان الذين امنوا
بمحمد والقران وجميع اصناف الكفار من اليهود والنصارى والصابئين والذين اشركوا ان الله
يفصل بين هولاء الفرق الخمس وبين المومنين يوم القيمة بان يدخل المومنين الجنة والك[فار]
ان الله على كل شي شهيد اي عليم بكل شي من اعمال هولاء قوله تعالى الم تر ان الله
يسجد له من في السموات اي الم تعلم يا محمد ان يسجد له اهل السموات من الملائكة ومن في
الارض من الجن والانس من المومنين قوله تعالى والشمس والقمر والنجوم والجبال
والشجر والدواب يسجدون اي يخضعون لان سجود هذه الاشيا هو خضوعها وانقيادها
لخالقها فيما يريد منها وقال ابو العالية ما في السما نجم ولا شمس ولا قمر الا وهو يسجد لله حين يغيب
ثم لا ينصرف حتى يوذن له قوله تعالى وكثير من الناس اي وكثير من الكفار يسجدون
من بعد وانقطع ذكر الساجدين ثم ابتدا فقال وكثير حق عليه العذاب اي ممن لا يوحده
وابى السجود قوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم اي من يهن الله بالشقا فما احد مكرمه
بالسعادة ان الله يفعل ما يشاء من الاهانة والكرامة والشقاوة والسعادة وهو المالك
للعقوبة والمثوبة قوله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم اراد بالخصمين المومنين
والكفار وقيل هم اهل الكتاب واهل القران والمعنى خصموا في دين ربهم فقالت اليهود والنصارى
نحن اولى بالله منكم لان نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقالت المسلمون نحن احق بالله منكم امنا
بكتابنا وكتابكم ونبيكم وانتم كفرتم بنبينا حسدا وقيل اراد بالخصمين الفريقين الذين تبارزوا
يوم بدر والخصم يقع على الواحد والجميع الا ترى انه جعل الكفار خصما والمومنين خصما ولهذا
قال اختصموا لانهما جمعان وليسا برجلين وكان ابو ذر رضي الله عنه يقسم ان هذه الايات
نزلت في ستة نفر من قريش تبارزوا يوم بدر ثلثة من المومنين وهم حمزة وعلي وعبيدة بن
الحرث وثلثة من المشركين وهم عتبة وشيبة والوليد بن عتبة قال وقال علي رضي الله عنه
انا اول من يجثو للخصومة يوم القيمة بين يدي الله عز وجل قوله تعالى فالذين كفروا
قطعت لهم ثياب من نار اي من نحاس قد اذيب في النار فجعل على بدنهم بمنزلة الثياب وليس شي
اذا حمي اشد حرا من النحاس يصب من فوق رؤوسهم الحميم وهو الماء الحار الذي قد انتهى حره
قوله تعالى يصهر به ما في بطونهم والجلود اي يذاب بالحميم الذي يصب رؤوسهم ما في بطونهم
من الشحوم حتى يخرج من ادبارهم ويذاب به الجلود ايضا فان جلودهم تتساقط من حر الحميم
والصهر الاذابة يقال صهرت الالية بالنار اصهرها اي اذبتها قوله تعالى ولهم مقامع من
حديد المقامع جمع مقمعة وهي مدقة الراس روي ان الملائكة يضربون وجوههم باعمدة
من حديد فيهوون في النار سبعين خريفا قال مقاتل تضرب الملائكة راس الكافر بالمقمعة
فتنصدع راسه ثم يصب فيه الحميم الذي قد انتهى حره فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوف الكافر
فتسلت ما في جوفه من الامعاء حتى تخرق قدميه قوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها
من غم اعيدوا فيها اي كلما رفعتهم النار بلهبها نحا ولوا الخروج منها من غم العذاب اعيدوا الى
النار بضرب المقامع وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اي المحرق مثل الاليم بمعنى المولم
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في قوله تعالى ولهم مقامع من حديد قال
لو وضع مقمع من حديد على الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما رفعوه من الارض ثم ذكر الله

الخصم الاخر فقال ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
يحلون فيها من اساور من ذهب ولولو قد تقدم تفسيره في سورة الكهف قرا اهل المدينة وعاصم
ولولوا بالنصب على معنى ويحلون فيها لولوا من قرا بالخفض كان المعنى ويحلون فيها اساور من ذهب
ولولو ولباسهم فيها حرير ظاهر المراد قال ابو سعيد الخدري من لبس الحرير
في الدنيا لم يلبسه في الاخرة وان دخل الجنة لبسه اهل الجنة كلهم غيره قوله تعالى وهدوا الى الطيب
من القول اي هدوا في الدنيا الى القول الطيب وهو قول لا اله الا الله وقيل الى القران قوله تعالى
وهدوا الى صراط الحميد فالله الحميد وصرطه طريق الجنة والمعنى ارشدوا الى الاسلام ويجوز ان يكون
الحميد نعتا للصراط كما في قوله تعالى حق اليقين ومعنى الاية وارشدوا الى القول الطيب في الاخرة
مثل قوله الحمد لله الذي صدقنا وعده قوله تعالى ان الذين كفروا يصدون عن سبيل الله معناه
ان الذين كفروا بمحمد والقران ويصدون عن سبيل الله عطف المضارع على الماضي لان المراد
بالمضارع الماضي ايضا ويجوز المعنى ان الذين كفروا فيما مضى وهم الان يصدون عن سبيل الله
مع كفرهم والمعنى يمنعون الناس عن طاعة الله وعن الطواف في المساجد المسجد الحرام وهم ابو
سفيان واصحابه الذين صدوا النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبيه قوله تعالى الذي جعلناه
سوا العاكف فيه والباد معناه الذي جعلناه للناس كلهم لم نخص به بعضهم دون بعض سوا المقيم
فيه والذي ياتي من غير اهله وليس الذين صدوا عنه باحق به من غيرهم وقيل ان المراد بالمسجد
الحرام في هذه الايه الحرم كله كما في قوله تعالى الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وكان العهد
بالحديبيه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة حرام لا يحل بيع رباعها ولا
اجارة بيوتها وقيل المراد بالمسجد الحرام نفس المسجد سوا العاكف فيه المجاور والبادي الذي لا يكون
ملازما له في حرمته وحق الله عليهما فيه سوا قرا حفص سوا بالنصب بايقاع الجعل عليه لان الجعل
يتعدى الى مفعولين وقرا الباقون بالرفع على الابتدا وما بعده خبره وقيل سوا خبر مبتدا مقدم
تقديره العاكف فيه والبادي سوا وقوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب
اليم معناه ومن يرد فيه الحادا بظلم وفي هذا دليل ان المراد بالمسجد الحرام كل الحرم فان الذنب
في الحرم اعظم منه في غيره فعلى هذا يكون معنى قوله سوا العاكف فيه والبادي اي سوا في النزول
فليس احدهما احق بالمنزل يكون فيه وحرموا بهذه الاية كري دور مكة واجارتها في ايام الموسم
قال عبد الرحمن ابن اسباط كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن احد من اهل مكة احق بمنزله منهم روي
انها كانت تدعى السوايب في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر ومن احتاج سكن ومن
استغنى اسكن والالحاد هو الشرك بالله تعالى وقيل كل ظالم فيها فهو ملحد وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال احتكار الطعام بمكة الحاد وانما دخول البا في قوله بالحاد فعلى معنى ومن
اراد به فيه بان يلحد بظلم وقيل الالحاد دخول مكة بغير احرام واخذ حمام مكة واشيا كثيرة
لا يجوز للمحرم وان يفعلها قوله تعالى نذقه من عذاب اليم خبر لكل ما تقدم من الجملتين من قوله
تعالى ان الذين كفروا ويصدون ومن قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم قوله تعالى
واذ بوانا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بي شيا معناه واذكر اذ جعلنا البيت مبوا لابراهيم
ومنزلا قال الحسن بوانا اه انزلناه وقال مقاتل دللناه عليه وقيل هيانا نظيره تبوي المؤمنين
ويبوا كم في الارض لنبوينهم من الجنة غرفا وقيل معنى بوانا اي بينا له مكان البيت قال السدي
لما امر الله ببنا البيت لم يدر ابن يبني فبعث الله اليه ريحا فكنست له ما حول الكعبة عن الاساس

الاول الذي كان البيت عليه قبل ان يرفع ايام الطوفان وقال الكلبي فبعث الله اليه سحابة
على قدر البيت فيها راس يتكلم فقامت بحيال البيت وقالت يا ابراهيم ابن على قدري قوله تعالى
على ان لا تشرك بي شيا اي قلنا له واوحينا اليه ان لا تعبد معي غيري قوله تعالى وطهر بيتي
للطايفين والقايمين اي طهره من ذبايح المشركين وما كانوا يطرحون حوله من الدم والفرث
وقيل طهره من عبادة الاوثان ومن دخول المشركين فيه قوله تعالى للطايفين اي الذين
يطوفون حوله واما القايمون والركع السجود فهم المصلون قوله تعالى واذن في الناس
بالحج ياتوك رجالا اي وعهدنا الى ابراهيم ايضا ان اذن في الناس بالحج يعني اعلم وناد في الناس
بالحج وذلك ان ابراهيم لما فرغ من بنا البيت من بنا البيت امره الله ان ينادي في الناس
بالحج فقال ابراهيم يا رب وما يبلغ صوتي فقال عليك الاذان وعلي البلاغ فصعد ابا قبيس ونادى
في الناس الا ان ربكم قد بنا بيتا وامركم ان تحجوه فحجوه واسمع الله نداه جميع من في اصلاب
الرجال وارحام النسا وما بين المشرق والمغرب والبر والبحر فلباه كل حجر ومدر وكل مومن
ومومنة لبيك اللهم لبيك فجعل الله التلبية شعارا للحج فكل من حج فهو ممن اجاب ابراهيم عليه السلام
قوله تعالى ياتوك رجالا وعلى كل ضامر معناه ياتوك مشاة على ارجلهم وعلى كل جمل مهزول
قد اضمره السفر ورجال جمع راجل نحو صاحب واصحاب وعن ابن عباس انه قال ما ندمت
على شي فاتني الا اني لم احج راجلا وقد حج الحسن بن علي رضي الله عنهما خمسا وعشرين حجة ماشيا
من المدينة الى مكة وان الجنايب لتقاد معه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للحاج الراكب
بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة وللحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة
من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف قوله تعالى ياتين من كل فج
عميق اي من كل طريق بعيد من بلدان شتى يقال بير عميقة اذا كانت بعيدة القرار وانما قال
ياتين لانه في موضع الجمع وقيل على كل ناقة ضامرة وعن بشر ابن محمد قال رايت في الطواف كهلا
قد اجهدته العبادة واصفر لونه وبيده عصى وهو يطوف معتمدا عليها فتقدمت اليه لاساله
فقال لي كم تقطعون هذا الطريق قلت في شهرين او ثلثه قال افلا تحجون كل عام وانتم جيران
هذا البيت قلت وانتم كم بينكم وبين هذا البيت فقال مسيرة خمس سنين فقلت والله ان هذا الجهد
المبين والطاعة الجميلة والمحبة الصادقة فضحك في وجهي وانشا يقول

زر من هويت وان شطت بك الدار وحال من دونه حجب واستار
لا يمنعنك بعد من زيارته ان المحب لمن يهواه زوار

قوله تعالى ليشهدوا منافع لهم اي ليشهدوا ما ندبهم الله اليه مما لهم فيه نفع اخرتهم ويدخل
في ذلك منافع الدنيا من التجارة بيعا ورخصه قال ابن جبير يعني بالمنافع التجارة وقال مجاهد
هي التجارة وما يرضي الله من امر الدنيا والاخرة وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يقول اذا وقف
بعرفة اللهم انك دعوت الى الحج بيتك وذكرت المنفعة على شهود مناسك وقد جيتك فاجعل
منفعة ما تنفعني به ان توتيني في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وان تقيني عذاب النار قوله
ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام قال الحسن الايام المعلومات
الايام العشر والايام المعدودات ايام التشريق وانما قال لها معدودات لانها قليلة وقيل لتلك المعلومات
للحرص على علمنا بحسابها من اجل وقت الحج في اخرها والى هذا ذهب ابو حنيفة وقال ابو يوسف
الايام المعلومات ايام النحر وهي ثلثة ايام والايام المعدودات ايام التشريق وهي ثلاثة ايام

بعد اليوم الاول من ايام النحر فيكون اليوم الاول من ايام النحر من المعلومات دون المعدودات واليوم الاخر
من ايام التشريق من المعلومات دون المعدودات ويومين في وسطها من المعلومات والمعدودات جميعا
وكان يستدل على هذا القول في الايام المعلومات بهذه الاية فانه تعالى قال ويذكروا اسم الله في ايام معلومات
على ما رزقهم من بهيمة الانعام فاقتضى ظاهره ان المراد به التسمية على ما ذبح من هدي المتعة والقران ولما
على قول ابي حنيفة فالمراد بالذكر اكثار الذكر في ايام العشر كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال ما من ايام العمل الصالح افضل فيهن من ايام العشر فاكثروا فيها من التحميد والتكبير والتهليل وعلى هذا يكون
معنى ما رزقهم من بهيمة الانعام كما قال ولتكبروا الله على ما هداكم اي لما هداكم وقال محمد بن كعب
المعلومات والمعدودات واحد قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام يعني الهدايا والضحايا من
الابل والبقر والغنم **قوله تعالى** فكلوا منها واطعموا البايس الفقير قال الحسن وذلك ان اهل
الجاهلية كانوا اذا ذبحوا لطخوا بالدم وجه الكعبة وشرحوا اللحم فوضعوه على الحجارة حتى تاكله
السباع والطير وقالوا لا يحل لنا ان ناكل شيئا جعلناه لله فلما جاء الاسلام قال الناس يا رسول الله كنا
نصنعه في الجاهلية ولا نصنعه الان فنزلت هذه الاية فكلوا منها يعني من الانعام التي تنحر واللحم
البايس وهو الذي قد اصابه ضرر الجوع والفقير الذي لا شيء له وقيل البايس الذي يبين عليه
البوس بان يمد يده اليك وقيل البايس الزمن وانما خص البايس لفقير لانه احوج من غيره **قوله**
تعالى ثم ليقضوا تفثهم ▪ قال ابن عباس التفث هو المناسك كلها والمراد ههنا رمي الجمار والحلق
ويقال قضاء التفث ازالة الشعث وفي هذا دليل على ان المراد بقوله ما رزقهم من بهيمة الانعام
دما المتعة والقران لانه تعالى رتب عليه قضاء التفث والطواف بالبيت والاذم يترتب عليهم هذه
الافعال لا دم المتعة والقران لانه تعالى رتب عليه قضاء التفث والطواف بالبيت فذكر هذه
الاية في جواز الاكل مما يذبح للمتعة والقران وقيل التفث هو الوسخ والقذر من طول الشعر
والاظفار وقضاؤه اذهابه وازالته **قوله تعالى** وليوفوا نذورهم ▪ يعني نحر ما نذروا من البدن
وقيل ما نذروا من اعمال البر في ايام الحج وربما نذر الرجل ان يتصدق ان رزقه الله لقاء الكعبة **قوله**
تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق يعني طواف الزيارة بعد التعريف اما يوم النحر واما بعده وسمي
طواف الافاضة والعتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس وقيل اعتق من ايدي الجبابرة فلا يظهر
عليه جبار قط الا اذله الله وعن ابن عباس قال حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اتى وادي
عسفان قال لقد مر بهذا الوادي نوح وهود وابراهيم على بكرات خطمهن الليف يحجون البيت
العتيق **قوله تعالى** ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه اي ذلك الذي
امرتم به ومن يعظم حرمات الله باجتناب ما حرم الله تعظيما لله فهو خير له والاخرة من ترك
استعظامه وقال بعضهم الحرمات ههنا البيت الحرام والليلة الحرام والشهر الحرام والمسجد
الحرام قوله تعالى فهو خير له عند ربه اي فالتعظيم خير له عند ربه من التهاون يعني في الاخرة
قوله تعالى واحلت لكم الانعام اي رخصت لكم بهيمة الانعام ان تاكلوها الا ما يتلى عليكم
في كتاب الله من الميتة والدم وغير ذلك مما بينه الله في سورة المائدة من المنخنقة والموقوذة
والمتردية والنطيحة وما لم يذكر اسم الله عليه وقيل معناه احلت لكم الانعام في حال احرامكم الا ما يتلى
عليكم من الصيد فانه حرام في حال الاحرام **قوله تعالى** فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي فاجتنبوا
عبادتها وتعظيمها وان تذبحوا لها كما يفعل المشركون سماها رجسا استقذارا لها واستخفافا بها
وذلك ان المشركين كانوا يذبحون عليها هدايا ويصبون عليها الدماء وكانوا مع هذه النجاسات

ويعظمونها ويجوز ان يكون سماها رجسا للزوم اجتنابها كاجتناب الانجاس واما حرف من في قوله
من الاوثان فهو لتخليص جنس من الاجناس المعنى فاجتنبوا الرجس الذي هو الوثن **قوله تعالى**
واجتنبوا قول الزور حنفاء لله ▪ يعني قول الكذب ومن اعظم وجوه الكذب الكفر بالله والكذب
على الله ويدخل في ذلك شهادة الزور بالاشراك بالله وقال صلى الله عليه وسلم شاهد الزور لا تزول
قدماه من مكانهما حتى يجب له النار **قوله تعالى** حنفاء لله غير مشركين به ▪ اي مخلصين لله مستقيمين
على امره غير مشركين به في تلبية ولا حج وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك اللهم
لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه يعنون الصنم وانتصب قوله حنفاء على الحال
قوله تعالى ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء ▪ اي سقط من السماء ▪ فتخطفه الطير في الهوى
فتمزقه او تذهب به الريح في موضع بعيد مرتفع الى منحدر فيقع على راسه فيهلك اي كان الذي
سقط من السماء لا يملك لنفسه نفعا ولا دفع ضر وكذلك الذي تهوي به الريح في مكان سحيق
فكذلك المشرك لا ينتفع بشيء من اعماله ولا يقدر على شيء منها قرا اهل المدينة فتخطفه الطير
بالتشديد اي تتخطفه فادغم احد التاءين في الاخرى والتخطف الاخذ بسرعة قال ابن عباس
يريد تخطف لحمه او تهوي به الريح اي تسقطه من مكان سحيق اي بعيد شبه حال المشرك
بحال هذا الهاوي من السماء في انه لا يملك حيلة حتى يسقط فهو هالك لا محالة اما باستلاب
الطير لحمه واما بالسقوط من المكان السحيق **قوله تعالى** ذلك ومن يعظم شعائر الله اي ذلك
التباعد والهلاك لمن اشرك بالله ومن يعظم شعائر الله اي مناسك الله وقيل اراد بالشعائر
البدن لمن عظمها باستسمانها واستحسانها ▪ فانها من تقوى القلوب ▪ يعني من صفاوة القلوب
وانما اضاف التقوى الى القلوب لان حقيقة التقوى تقوى القلوب **قوله تعالى** لكم فيها منافع
الى اجل مسمى ▪ اي لكم في بهيمة الانعام منافع تركبونها وتشربون البانها قبل ان يسموها ويسموها
هديا الى ان تقلدوها وتسموها هديا واما اذا قلدتموها وسميتموها هديا انقطعت هذه المنافع فلا
يجوز لها حينئذ شرب البانها ولا اجتزاز اصوافها ولا بيع اولادها واما ركوبها فعند الشافعي يجوز اذا
احتاج اليها وعندنا لا يجوز الا اذا اضطر اليه وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم انه راى رجلا يسوق بدنة فقال له ويحك اركبها فقال انها بدنة فقال له ويحك اركبها
وهذا عندنا محمول على انه عليه السلام انما اباحه لضرورة علمها من الرجل فاذن له في ذلك الى ان
يجد ظهرا غيرها يدل على ذلك انه لا يجوز له ان يوجرها للركوب **قوله تعالى** ثم محلها الى البيت
العتيق ▪ يعني ان منحرها الى الحرم وعبر عن الحرم بالبيت لان حرمة الحرم متعلقة بالبيت
كما قال تعالى هديا بالغ الكعبة ومن المعلوم انه لا يذبح عند البيت **قوله تعالى** ولكل
امة جعلنا منسكا ▪ اي لكل امة مسلمة سبقت قبلكم جعلنا لها عيدا ▪ ليذكروا اسم الله تعالى
على بهيمة الانعام عند الذبح وقيل معناه ولكل امة جعلنا عبادة في الذبح وقيل معناه جعلنا
متعبدا يتعبدون الله فيه قرا اهل الكوفة منسكا بكسر السين اي مذبحا وهو موضع القربان
وقرا الباقون بفتح السين على المصدر مثل المدخل والمخرج اي اهراق الدماء وذبح القرابين
لمن فتح السين اخذه من نسك ينسك مثل دخل يدخل ويستوي فيه المكان والمصدر ومن كسرها
اخذه من نسك ينسك مثل جلس يجلس **قوله تعالى** فالهكم اله واحد فله اسلموا ▪ اي اخلصوا
نيتكم واعمالكم لله ▪ وبشر المخبتين ▪ اي بشر المتواضعين بالجنة واشتقاق المخبت من الخبت
وهو المكان المطمئن وقال مجاهد يعني بالمخبتين المطمئنين الى الله وقال الاخفش الخاشعين وقيل

الخائفين وقيل هم الذين اذا ظلموا لا ينتصرون **قوله تعالى** الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم • نعت للمخبتين الذين يخافون على اعمالهم ان لا تقبل منهم وقيل معنى قوله تعالى والصابرين
على ما اصابهم • اي وبشر الصابرين على ما اصابهم من البلاء والشدائد وبشر المقيمي الصلوة
اي وقاتها وحذفت النون لطول الاسم **قوله تعالى** ومما رزقناهم ينفقون اي يتصدقون
من الواجب وغيره **قوله تعالى** والبدن جعلناها لكم من شعائر الله البدن جمع بدنة وهي
الناقة والبقرة والبدانة الضخامة والمعنى والابل جعلناها لكم من اعلام دين الله اي جعلنا لكم
فيها عبادة الله من سوقها الى البيت وتقليدها واشعارها ونحرها والاطعام منها **قوله تعالى**
لكم فيها خير يعني النفع من الدنيا والاخرة **قوله تعالى** فاذكروا اسم الله عليها صواف اي
عند نحرها والصواف جمع الصافة وهي القائمة على ثلث قوائم قد عقلت وكذا السنة من
الابل ومعنى الاية فاذكروا اسم الله على نحرها قياما معقوله احدى يديها وهي اليسرى **وعن**
يحي بن سالم قال رايت ابن عمر وهو ينحر بدنة ينحرها وهي قائمة معقوله احدى يديها يعني
اليسرى وروي عن ابن مسعود كان يقرا صوافن بالنون من المعقولة من قولهم صفن
الفرس اذا قام على ثلاث قوائم قال الله تعالى الصافنات الجياد وقرا الحسن ومجاهد صوافي
بالياء اي صافية خالصة لله تعالى **قوله تعالى** فاذا وجبت جنوبها اي سقطت بعد النحر
فوقعت جنوبها على الارض وخرجت روحها فكلوا منها ولا يجوز الاكل من البدن الا بعد
خروج الروح لان ما ابين من الحي فهو ميت واصل الوجوب الوقوع منه وجبت الشمس اذا
وقعت في المغيب ووجب الحائط اذا وقع ووجب القلب اذا وقع فيه الفزع ووجوب الفعل
اذا وقع ما يلزم به فعله قوله تعالى فكلوا منها امر اباحة ورخصة مثل قوله فاذا احللتم
فاصطادوا وقوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض **قوله تعالى** واطعموا
القانع والمعتر اختلفوا في معناهما فروي عن ابن عباس ومجاهد ان القانع هو الذي يقنع
ويرضى بما عنده ولا يسال والمعنى الذي يتعرض لك ان تطعمه من اللحم يقال قنع قناعة
اذا رضي فهو قانع وعراه واعتراه اذا ساله ولذلك قال عكرمة وقتادة ان القانع هو المتعفف
الجالس في بيته والمعتر السائل الذي يعتريك ويسلك وقال سعيد بن جبير والكلبي القانع هو
الذي يسال والمعتر هو الذي يتعرض لك ويريك نفسه ولا يسالك فعلى هذا يكون القانع
من القنوع وهو السوال يقال منه قنع الرجل يقنع اذا سال مثل ذهب يذهب فهو قانع قال الشماخ
لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره اعف من القنوع اي من السوال وقال زيد
بن اسلم القانع هو المسكين الذي يطوف فيسال والمعنى الصديق الزائر والمعتر الذي
يعتري القوم للحمهم وليس بمسكين الا انه ليست له ذبيحة ياتي القوم لاجل لحمهم وقرا الحسن
والمعتري بالياء من قولهم اعتراه اذا غشيه لحاجته وروي عطاء عن ابن عباس ان القانع الذي
يسال والمعتر الذي ياتيك بالسلام ويريك وجهه ولا يسال وعن مجاهد ان القانع جارك
الغني والمعتر الذي يعتريك من الناس اي يسالك فعلى هذا يقتضي الاية ان المستحب
ان يتصدق بالثلث لان في الاية امرا بالاكل واعطاء الغني واعطاء الفقير السائل **وعن**
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في لحوم الاضاحي كلوا واذخروا وقال تعالى فكلوا منها
واطعموا البائس الفقير فاذا جمعت بين الاية والخبر حصل الثلث للصدقة **قوله تعالى** كذلك سخرناها
لكم اي مثل ما وصفنا من نحرها وقيامها سخرناها لكم اي ذللناها لكم لتتمكنوا من نحرها على الوجه المسنون

لكي تشكروا نعم الله تعالى **قوله تعالى** لن ينال الله لحومها ولا دماؤها • قال الكلبي كان اهل الجاهلية ينحرون
البدن للاصنام ويلطخون البيت بدمائها قربة الى الله فنهاهم الله عن ذلك والمعنى لن يرفع الله لحومها
ولا دماؤها ولكن يرفع الله منكم الاعمال الصالحة والتقوى وهو ما اريد به وجهه الكريم وقال انما
لا يتقبل الله اللحوم والدماء اذا كانت من غير تقوى وانما يتقبل منكم التقوى والطاعة فيما يامركم
به بالنية والاخلاص له **قوله تعالى** كذلك سخرها لكم • اي ذللها لكم • لتكبروا الله • اي لتعظموه على
ما هداكم • لدينه • وبشر المحسنين • بالجنة يعني الموحدين المخلصين وقيل المعنى قوله تعالى على
ما هداكم يعني ما بين لكم وارشدكم لمعالم دينكم ومناسك حجه **قوله تعالى** ان الله يدافع عن الذين
امنوا • اي اذا فعلتم ما امرتم به وخالفتم فعل الجاهلية في نحرهم واشراكهم بالله فان الله يدفع
عنكم غائلة المشركين واذاهم وينصركم عليهم • ان الله لا يحب كل خوان كفور • اي لا يحب كل مظهر
للنصيحة مضمر للغش والنفاق كافر بالله ونعمه قال ابن عباس يريد الذين خانوا الله بان جعلوا
شريكا وكفروا نعمه وقال الزجاج من ذكر غير اسم الله وتقرب الى الاصنام بذبيحته فهو خوان
كفور قرا ابو عمرو وابن كثير يدفع وقرا الباقون يدافع وهو بمعنى واحد **قوله تعالى** اذن للذين
يقاتلون بانهم ظلموا • قال ابن عباس هذه اول اية نزلت في الاذن بالقتال اذن الله تعالى للمؤمنين
المهاجرين ان يقاتلوا كفار مكة بسبب ما ظلموا بان اخرجوا من مكة • وان الله على نصرهم
لقدير • هذا وعد لهم بالنصر قيل كانوا مشركوا مكة يؤذون اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلا يزالون يجيئون من مشجوج ومضروب ويشكون ذلك على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجروا فانزل الله هذه الاية المدنية
قرا نافع وابو عمرو وعاصم اذن بضم الالف وكسر الذال وقرا الباقون اذن بالفتح اي
اذن الله لهم وقوله يقاتلون قراءة نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اي اذن للمؤمنين الذين
يقاتلهم المشركون وقرا الباقون بكسرها يعني اذن لهم في الجهاد يقاتلون المشركين **قوله
تعالى** الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق • اول الاية بدل من الذين يقاتلون اي اخرجهم اهل
مكة من منازلهم بغير جرم **قوله تعالى** الا ان يقولوا ربنا الله • معناه لم يخرجوهم الا بانهم
كانوا يوحدون الله تعالى فاخرجوهم لتوحيدهم المعنى لم يخرجوهم من ديارهم الا بقولهم
ربنا الله فتكون ان في موضع الخفض رد على الباء في قوله بغير حق ويجوز ان يكون ان
في موضع نصب على الاستثناء **قوله تعالى** ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت
صوامع وبيع وصلوات ومساجد • اي لولا ان يدفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في
كل نبي ما بني للصلوة والعبادة نحو الصوامع قال مجاهد والضحاك يعني صوامع الرهبان وقال
قتادة الصوامع للصابين وهي متعبداتهم والبيع جمع بيعة وهي متعبد النصارى والصلوات
هي كنائس اليهود كانت اليهود يسمونها بالعبرانية صلوتا والمساجد التي يصلي فيها المسلمون
والمعنى لولا كف الله الناس بعضهم ببعض بالجهاد وكف الظلم بالحرب في شريعة كل نبي المكان الذي
يصلى فيه فكان لولا الدفع لهدم في زمن موسى عليه السلام الكنائس وفي زمن عيسى عليه
السلام الصوامع والبيع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد وعن مجاهد انه قال
البيع لليهود ويسمونها صلوات وقال ابو العالية هي مساجد الصابين فعلى هذا يكون المعنى
لهدمت صوامع الصلوات ويقال المراد بالصلوات الصلوة المعهودة التي للمسلمين وهدمها
ابطالها واهلاك من يفعلها والاولى ان يستدل بهذه الاية على ان هذه المواضع المذكورة

التي يجري فيها اسم الله تعالى لا يجوز ان يهدم في شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على كل من كان له
ذمة او عهد من الكفار فاما في دار الحرب فيجوز للمسلمين هدمها اذا فتحت دارهم عنوة ولم يقروا
عليها بالجزية كما يجوز هدم سائر دورهم قوله تعالى لهدمت الهدم وهو نقض البنا قرا اهل الحجاز
لهدمت بالتخفيف فان قيل لم قدم مصليات الكافرين على مساجد المومنين قيل لانها اقدم وقيل
لقربها من الهدم وقرب المساجد من الذكر كما اخر السابق في قوله فمنهم ظالم لنفسه الى قوله بالخيرات
قوله تعالى ولينصرن الله من ينصره • اي لينصرن الله تعالى من ينصر دينه • ان الله لقوي
عزيز • اي لقوي على اخذ الاعدا عزيز اي ممتنع بالنقمة منهم قوله تعالى الذين ان مكناهم
في الارض اقاموا الصلوة • نعت للذين ينصرون دين الله اي هم الذين ان مكنهم الله في
الارض بنصرهم الله على عدوهم حتى تمكنوا في البلاد لم يعملوا ما عملة الذين من قبلهم ولكن قاموا
الصلوة المكتوبة واعطوا الزكوة المفروضة وامروا بالحق ونهوا عن الباطل قال مقاتل
هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقال الحسن هم هذه الامة اهل الصلوة الخمس قوله
تعالى ولله عاقبة الامور اي يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير الامور كلها اليه بلا
منازع ولا مدع قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود في
هذه الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان يكذبوك قومك فقد كذبت الامم
الذين من قبلك وقوله تعالى وكذب موسى اي كذبه فرعون • فامليت للكافرين • اي امهلتهم
واخرت عقوبتهم ثم اخذتهم بالعقوبة فكيف كان نكير • اي فكيف كان انكاري عليهم حتى
بادوا وخربت قراهم با بدلتهم بالنعمة نقمه وبالكثرة قلة وبالحيوة هلاكا قال الزجاج معناه فلكم
ابلغ الانكار قوله تعالى فكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة • اي كم من اهل قرية اهلكناها
بالعذاب بكفرهم وقرى اهلكناها والاختيار اهلكناها لقوله فامليت وقوله تعالى
وهي خاوية على عروشها • اي ساقطة على سقوفها وذلك ان السقف يقع على الحيطان ثم تقع
الحيطان عليه قوله تعالى وبير معطلة • اي وكم من بير عطلها اربابها وكم من قصر مشيد
معطل اهله والمشيد هو المجصص والشيد الجص والنورة ويجوز ان يكون معنى المشيد الرفيع
يقال شاد البنا وشاده اذا رفعه وشاده اذ طلاه بالشيد قوله تعالى افلم يسيروا في الارض
فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها • اي افلم يسيروا قومك يا محمد في ارض اليمن
والشام لينظروا اثار المكذبين فيعقلوا بقلوبهم ما نزل بمن كذب من قبلهم ويسمعوا باذانهم اخبار
الامم المكذبة قوله تعالى فتكون لهم نصيب على جواب الجحد قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار •
الها في قوله فانها عماد وهو اضمار على شريطة التفسير والمعنى ان الابصار لا تعمى اي يرون بالابصار
ولكن عمي قلوبهم بذهابها عن ادراك الحق بما يودي اليه الدليل وفي الاية دليل ان العقل
في القلب بخلاف ما قاله الفلاسفة والاطباء ان محل العقل الدماغ لان العقل لو لم في القلب لم
يوصف القلب بان يعمى كما لا يوصف بذلك اليد والرجل واما وصف القلوب بانها في الصدور فعلى
وجه التاكيد كما في قوله تعالى يقولون بافواههم وقوله ولا طاير يطير بجناحيه قوله تعالى ويستعجلونك
بالعذاب ولن يخلف الله وعده • اي يستعجلونك يا محمد بالعذاب كما قالوا فاسقط علينا كسفا
من السما فقالوا فامطر علينا حجارة من السما ولن يخلف الله وعده في انزال العذاب بهم في الدنيا
قال ابن عباس يعني يوم بدر قوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون معناه انهم
يستعجلون بالعذاب وان يوما من ايام عذابهم في الاخرة الف سنة فكيف يستعجلونه قال الفرا في هذه

الاية

الاية وعيد لهم بالعذاب في الدنيا والاخرة الف سنة فكيف يستعجلونه وقيل معناه عندنا
والف سنة في قدرته لواحد فليس تاخير العذاب عنهم الا تفضلا من الله عليهم قال الزجاج اعلم
انه لا يفوته شي وان يوما عنده والف سنة سوا ولا فرق بين ايقاع ما يستعجلونه من العذا
وتاخيره في القدرة الا ان الله سبحانه تفضل بالامهال فسوا عنده الامهال يوم والف سنة
لانه قادر عليهم متى شا اخذهم قرا الكوفيون وابن كثير مما يعدون بالياء وقرا الباقون بالتا
قوله تعالى وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها • ظاهر المعنى قوله تعالى قل
يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اي قل لهم يا محمد يا اهل مكة انما انا لكم رسول مخوف بالنار
لمن عصى الله بلغة تعرفونها فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم ورزق
حسن في الجنة وقوله تعالى والذين سعوا في اياتنا معاجزين • اي والذين اسرعوا في تكذيب
اياتنا وابطال الدين معاندين لله ظانين ان يعجزونا ويفوتونا بقولهم • ان لا جنة ولا نار ولا بعث
ولا نشور اولئك اصحاب الجحيم • قال قتادة ظنوا بجهلهم انهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم
وهيهات وهذا كقوله ام حسب الذين يعملون السيات ان يسبقونا ومن قرا معجزين فمعناه
انهم كانوا يعجزون من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم اي ينسبونهم الى العجز وقوله تعالى وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشياطين ثم
يحكم الله اياته • قال ابن عباس وابن جبير والضحاك وذلك ان الشيطان اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في صورة جبريل وهو قايم يصلي عند الكعبة يقرا سورة والنجم حتى اذا انتهى
الى قوله تعالى افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه تلك
الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فلما سمع المشركون اعجبهم ذلك فلما انتهى الى اخر
السورة سجد وسجد معه المسلمون والمشركون الا الوليد بن المغيرة فانه لم يقدر على السجود
لكبره فقال ايتوني بالتراب فاتوه به فوضعه على كفه ثم سجد على كفه فلما نزل جبريل على النبي صلى
الله عليه وسلم ذكر له ذلك فقال ما جيتك بهذا ولا انزله الله تعالى فقال اتاني شي في مثل
صورتك فالقاه علي وهذا حديث انكر اهل العلم اجراه على ظاهره وقالوا وكيف يجوز ان
يجعل الله للشيطان على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا السلطان او يختار لرسالته من لا يميز
بين وحي الله ووساوس الشيطان ومن المعلوم ان من نسب النبي صلى الله عليه وسلم الى ما يرجع الى
تعظيم الاصنام فقد كفر الا انه يحتمل ان يكون الشيطان القى في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم
ما لم يقل وخيل الى من سمع تلاوته من الذين كانوا بالبعد منه انه جرى على لسانه وانما هو من لسان
الشيطان وكان ذلك فتنة للسامعين وكان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما من ان يجري على
لسانه ما لم ينزله الله وقد يذكر التمني ويراد به القراة كما قال الشاعر • تمنى كتاب الله اول ليلة • واخر
لاقى حمام المقابر • وقال جماعة من المفسرين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على ايمان قومه
وتمنى في نفسه ان ياتيه من الله شي ما يقارب علقه دين قومه فجلس ذات يوم في مجلس لهم كثير اهله
واحب يومئذ ان ياتيه من الله شي فقرا عليهم سورة النجم فلما بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش
ذلك فرحوا وقالوا قد ذكر محمد الهتنا باحسن الذكر ومضى النبي صلى الله عليه وسلم في قراته فلما ختم
سورة سجد في اخرها وسجد معه المسلمون والمشركون الا الوليد بن المغيرة وسعيد بن
العاص فانهما اخذا حفنة من البطحا ورفعاها الى جبهتهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين

لم يستطيعا ان يسجدا فتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا قد عرفنا ان الهتنا تشفع لنا فنزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد لقد تلوت على قومك ما لم اتك به عن الله عز وجل فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وحزن حزنا شديدا وخاف من الله خوفا كثيرا فانزل الله هذه الاية يطيب نفس محمد صلى الله عليه وسلم ويخبره ان الانبيا قبله قد كانوا مثله ولم يبعث نبيا الا تمنى ان يومن قومه ولم يتمنى ذلك نبي الا القى الشيطان عليه ما يرضى قومه فلما نزلت هذه الاية قالت قريش ندم محمد على ما ذكره من منزلة الهتنا عند الله فغير ذلك وجا بغيره وقال عطا عن ابن عباس ان شيطانا يقال له الابيض اتى النبي صلى الله عليه وسلم فالقى في قراته انها الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى ولم يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بل سمعه القوم من الشيطان وكل ذلك فتنة من الله تعالى لعباده المسلمين والمشركين فالمشركون ازدادوا بذلك كفرا والمسلمون اشتد عليهم الحال ومعنى الاية وما ارسلنا من قبلك من رسول وهو الذي ياتيه جبرئيل بالوحي عيانا وشفاها ولا نبي وهو الذي تكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي مرسل قوله تعالى الا اذا تمنى اي احب شيا واشتهاه وحدث نفسه من غير ان يومر به القى الشيطان في امنيته اي مراده وقال اكثر المفسرين معنى قوله تعالى تمنى قرا كتاب الله تعالى تمنى قرا كان الله تعالى القى الشيطان امنيته اي في قراته وتلاوته ونظيره قوله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي قراة يقرا عليهم قال الشاعر • تمنى كتاب الله اول ليلة • واخره في حمام لقا در • وقال الحسن اراد بالغرانيق الملايكة يعني ان شفاعتهم ترتجى منهم لا من الاصنام قوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يبطله ويزيله ثم يحكم الله اياته فيثبتها والله عليم بمصالح عباده حكيم في تدبيره • **قوله تعالى** ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض • اي ليجعل ما يلقي الشيطان في قراته فتنة للذين في قلوبهم شك ونفاق لانهم افتتنوا بما سمعوا فازدادوا عتوا وظنوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول النبي من عند نفسه فيبطله **قوله تعالى** والقاسية قلوبهم • يعني المشركين كذلك ازدادوا فتنة وضلالة وتكذيبا سماهم قاسية قلوبهم لانها لا تلين لتوحيد الله **قوله تعالى** وان الظالمين • يعني اهل مكة • لفي شقاق بعيد • اي مباينة بعيدة عن الحق **قوله تعالى** وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك معناه وليعلم المومنون رجوعك الى الصواب ان ذلك حق من ربك فتخضع وتذل له قلوبهم وقيل معناه وليعلم الذين اوتوا العلم التوحيد والقران وقال السدي التصديق انه الحق اي نسخ ذلك وابطاله حق من الله فيومنوا به ويصدقوا النسخ فتخبت لهم قلوبهم اي ترق قلوبهم للقران فينقادوا لاحكامه خلافا للمشركين الذين قيل لهم والقاسية قلوبهم **قوله تعالى** وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم • فيه بيان ان هذا الايمان والاخبات انما هو بلطف الله وهدايته اياهم والمعنى وان الله لهاديهم الى دين الحق برضاه • **قوله تعالى** ولا يزال الذين كفروا في مرية منه • اي في شك من القران • حتى تاتيهم الساعة بغتة • يعني ساعة موتهم • او ياتيهم عذاب يوم عقيم يعني يوم بدر في قول ابن عباس وقتادة ومجاهد سماه الله عقيما لانه لم يكن للكفار فيه بركة ولا خير فهو كالريح العقيم التي لا تاتي بخير وقيل يعني يوم القيمة سماه الله عظيما لانه لا مثل له في عظم امره **قوله تعالى** الملك يوميذ لله يحكم بينهم اي الملك يوم القيمة لله تعالى من غير منازع ولا مدع لا يظهر الامر فيه الا لله تعالى يقضي فيه بين المومنين والكفار بادخال المومنين الجنة وادخال الكافرين النار **قوله تعالى** والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا معناه الذين هاجروا • واخرجوا من ديارهم واوطانهم في طاعة الله تعالى من مكة الى المدينة ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وهو نعيم الجنة لهم فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين • خالدين فيها لا يبغون عنها حولا **قوله تعالى** وان الله لعليم حليم • اي عليم بمصالح عباده وبنياتهم حليم لا يعجل

بعقوبة اعدايه **قوله تعالى** ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه اي ذلك الامر الذي قصصنا عليك ثم قال ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله نزلت هذه الاية في قوم من المشركين لقوا جماعة من المسلمين فنصروا عليهم اي ومن عاقب بالقتال بمثل ما عوقب به اي بالقتال في الشهر الحرام والحرم ثم بغي على الرافع لينصرنه الله على من بغى عليه ان الله لعفو اي يتجاوز عمن تاب غفور لمن تاب **قوله تعالى** ذلك بان الله يولج الليل في النهار اي ذلك النصر بانه القادر على ما يشا من قدرته على ان يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير اي سميع لمن دعاه بصير لعباده **قوله تعالى** ذلك بان الله هو الحق اي ذلك الذي فعلته من نصره المومنين بان الله ذو الحق في فعله وقدرته وانما يدعوا المشركون من دونه هو الباطل ليس فيه نفع ولا ضر وان الله هو العلي على كل شي بقدرته الكبير الذي لا يصغر كل سواه **قوله تعالى** الم تر ان الله انزل من السما ما فتصبح الارض مخضرة اي الم تعلم وتشاهد ان الله انزل من السما ما يعني المطر فتصبح الارض مخضرة ذات خضرة بالنبات ان الله لطيف بارزاق عباده واستخراج النبات من الارض خبير بما في قلوب العباد وبما يصلح لهم **قوله تعالى** له ما في السموات وما في الارض عبيدا او ملكا وان الله لهو الغني عن عبادة الحميد الى اوليايه واهل طاعته وقيل الغني عن ايمان الخلق وطاعتهم المحمود في افعاله **قوله تعالى** الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اي الم تعلم ان الله ذلل لكم ما في الارض يعني البهايم التي تركب وسخر لكم الفلك اي السفن تجري في البحر بامره ويمسك السما ان تقع على الارض الا باذنه اي يحبس عنكم السما حتى لا تقع عليهم فيهلكوا وقوله تعالى الا باذنه اي الا بارادته ان الله بالناس لروف اي متفضل على عباده منعم عليهم وهو الذي احياكم ثم يميتكم اي احياكم في ارحام امهاتكم ولم يكونوا شيا وقيل معناه احياكم بعد ان كنتم نطفة ميتة ثم يميتكم بعد انقضا اجالكم ثم يحييكم بعد الموت عند البعث للحساب ان الانسان لكفور يعني المشرك اي لجحود لنعم الله حين ترك توحيده بعد ظهور الايات الراعية الى الحق **قوله تعالى** لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه اي لكل اهل دين جعلنا شريعة هم عاملون بها وقيل موضعا يعتادونه لعبادة الله ومكانا يغشونه ويعملون الخير فيه وقيل معناه لكل امة جعلنا عيدا وقال قتادة موضع قربان يذبحون فيه وقيل المنسك جمع العبادات التي امر الله بها كما قال صلى الله عليه وسلم يوم الاضحى ان اول نسكنا في يومنا هذا الصلوة ثم الذبح وقيل اراد بالمنسك في هذه الاية المذبح الذي يتقربون بذبايحهم الى الله تعالى كما جعل منى منحرا للناس لان المنسك اذا اطلق اريد به الذبح على جهة القربة كما قال تعالى ففدية من صيام او صدقة او نسك **قوله تعالى** فلا ينازعنك في الامر معناه النهي عن المنازعة بعد ظهور ما يوجب نسخ شرايع الامم المتقدمة كما يقال لا يخاصمك فلان في هذا الامر وقيل معناه لا ينازعنك في امر الذبح وذلك ان كفار قريش وخزاعة خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وامر الذبيحة وقالوا انكم تاكلون ما قتلتم بايديكم ولا تاكلون ما قتله الله **قوله تعالى** وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم اي ادع الى دين ربك وطاعته انك على هدى مستقيم وقيل على دلالة ودين مستقيم وان جادلوك على سبيل المرا والتعنت كما يفعله السفها فقل الله اعلم بما تعملون اي ذرهم بهذا القول ولا تجادل الا لتبيين الحق والمعنى وان خاصموك في امر الذبيحة فقل الله اعلم بما تعملون من التكذيب فهو مجازيكم به وهذا قبل الامر بالقتال **وقوله تعالى** الله يحكم بينكم يوم القيمة اي يقضي بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون من الدين والذبيحة **قوله تعالى** الم تعلم ان الله يعلم ما في السما والارض اي قد علمت وايقنت ذلك وهذا استفهام يراد به

التقدير وقيل معناه ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم أعمال أهل السماء والأرض كل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ إن ذلك
على الله يسير • أي علم الله بجميع ذلك عليه يسير سهل قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا
وما ليس لهم به علم • معناه ويعبدون من دونه الأصنام ما لم ينزل به كتابا ولا حجة وما ليس لهم به علم أنها آلهة
وما للظالمين من نصير • أي وما للمشركين من مانع يمنع عذاب الله عنهم نزلت هذه الآية في أهل مكة قوله
تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر • أي وإذا تلوا عليهم القرآن تعرف
في وجوههم الإنكار للقرآن من الكراهة والعبوس • يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا •
أي يكادون يسطون بالمؤمنين ليردوهم وقيل معناه يكادون يقعون بمحمد صلى الله عليه وسلم من شدة
الغيظ وقيل يكادون يبسطون إلى المؤمنين أيديهم بالسوء يقال سطا فلان على فلان إذا تناوله
بالسطو والعنف وأخذه بالشدة والإخافة قوله تعالى قل أفأنبئكم بشر من ذلكم • أي قل لهم يا محمد أفأخبركم
بشر عليكم من غيظكم على التالي لآيات الله وهو النار وعدها الله الذين كفروا • يصيرون إليها وبئس
المصير وقيل إن الكفار قالوا والله ما رأينا قوما أقل حظا منكم يا أصحاب محمد فقال الله تعالى قل لهم
وقيل أن الكفار قالوا والله ما رأينا قل لهم يا محمد أفأخبركم بشر من ذلكم أي بشر مما قلتم النار من دخلها فحاله
شر من حالنا قوله تعالى يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له • معناه يا أهل مكة بين مثل آلهتكم فاستمعوا له
إن الذين تدعون من دون الله من الأصنام • لن يخلقوا ذبابا مع صغره وقلته ولو اجتمع
العابد والمعبود على ذلك وكان لهم ثلثمائة وستون صنما حول الكعبة قوله تعالى وإن يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه قال ابن عباس كانوا يطلون أصنامهم بالزعفران والعسل فيأتي الذباب فيختلسه فلا
يقدرون أن يستردوه من الذباب وقال السدي كانوا يجعلون للأصنام طعاما فيقع عليها الذباب فيأكله
منه فلا يستطيعون استنقاذه منه • ضعف الطالب • من الأصنام • والمطلوب • هو الذباب وقال
الضحاك معناه ضعف العابد والمعبود وقيل معناه ضعف الذباب الطالب لما يأخذه من الصنم وضعف
المطلوب يعني الصنم وقيل ضعف الطالب من هذا الصنم التقرب إليه والصنم المطلوب منه ذلك
وقيل إن المشركين كانوا خرجوا في عيد لهم بأصنام لهم وقد زينوها باليواقيت واللآلي وأنواع الجواهر
وطيبوها بأنواع الطيب وغشوها بالحلي والحلل فجاء ذباب فأخذ شظية من تلك الزينة أي قطعة
فطار بها في الهوى فأراهم الله تعالى العبرة في ضعفهم وضعف معبودهم فلا أحد أضعف مما لا تمكنه
الاستنقاذ من الضعف قوله تعالى ما قدروا الله حق قدره أي ما عرفوه حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه حيث
عدلوا به ما لا يقدر أن يخلق ذبابا أو يستنقذ من ذباب ما ذهب به منه إن الله لقوي عزيز أي قوي على خلقه
عزيز في ملكه لا يقدر أحد على مغالبته قوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس معناه الله يختار من
الملائكة رسلا يعني جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ومن الناس يعني النبيين أخبر الله عز وجل أن الاختيار إليه
ويختار من يشاء من خلقه فيجعلهم رسله وأنبياءه ويبعثهم إلى خلقه فأطيعوهم واحذروا معصيتهم إن الله سميع
لمقالتكم بصير بأعمالكم وضمائركم قوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم أي يعلم ما بين أيدي الملائكة والرسل قبل
أن خلقهم وما خلفهم أي ما يكون بعد فنائهم • وإلى الله ترجع • عواقب الأمور قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا
أي صلوا قوله تعالى واعبدوا ربكم أي جميع العبادات وافعلوا الخير من أنواع البر مثل صلة الرحم ... ومكارم الأخلاق
لعلكم تفلحون • روي أنهم كانوا في أول الإسلام يسجدون بغير ركوع حتى نزلت هذه الآية قوله تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده • أي جاهدوا
أعداء المشركين بحسب الطاقة واستفراغها ولا تخافوا في الله لومة لائم وقال بعض المفسرين معناه اعبدوا الله حق عبادته واعملوا
حق طاعته قال السدي هو أن يطاع فلا يعصى وقال مقاتل نسخها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقيل هو مجاهدة النفس والهوى
وذلك هو حق الجهاد وهو الجهاد الأكبر لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين رجع من بعض غزواته رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وقال

فيه حق الجهاد الكلمة

أنه كلمة عدل عند سلطان جائر وقال الحسن هو أن تؤدي جميع ما أمر الله به وتجتنب جميع ما نهى الله عنه
وتترك رغبة الدنيا رهبة الآخرة وقال الضحاك معناه جاهدوا بالسيف من كفر بالله وإن كانوا الآباء
والأبناء قوله تعالى هو اجتباكم أي اختاركم لدينه وجهاد أعدائه والاجتباء هو اختيار الشيء بما
فيه من الصلاح فالله تعالى يجتبي الحق ويلغي الباطل قوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج أي ما جعل
عليكم في شرائع دينكم من ضيق لا تخرج منه وذلك أن منه ما يتخلص منه بالتوبة ومنه ما يتخلص منه برد المظالم ومنه
ما يتخلص منه بالقصاص وليس في دين الإسلام ما لا سبيل إلى الخلاص من العقاب به بل من أذنب ذنبا جعل
الله له مخرجا منه بالتوبة والكفارات ولم يبق في ضيق ذلك الذنب وقال مجاهد يعني الرخص عند الضرورات
كالقصر والتيمم وأكل الميتة والإفطار عند المرض والسفر قوله تعالى ملة أبيكم إبراهيم أي الزموا
واتبعوا ملته وقيل معناه وسع عليكم في الدين كملة أبيكم إبراهيم إلا أنه لما حذف حرف الجر نصب الملة وإنما أمر باتباع
ملة إبراهيم لأنها داخلة في ملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإنما قال أبيكم إبراهيم وإن لم يكن جميعهم من نسبه لأن
حرمة إبراهيم عليه السلام على المسلمين كحرمة الوالد على الولد وحقه كحق الوالد كما قال تعالى وأزواجه أمهاتهم
قوله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل قال ابن عباس ومجاهد معناه الله تعالى سماكم المسلمين من قبل نزول
القرآن وفي هذا القرآن كما روي أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم سأبعث بعدك نبيا ويكون قومه مسلمين وقيل معناه
أن إبراهيم سماكم المسلمين كما قال في دعائه ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قوله تعالى ليكون الرسول شهيدا
عليكم أي ليكون محمد صلى الله عليه وسلم شهيدا عليكم يوم القيامة بطاعة من أطاع في تبليغه وعصيان
من عصى وتكونوا أنتم شهداء على الناس أي الرسل بلغتهم قوله تعالى فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
أي أدوهما كما وجبا قوله تعالى واعتصموا بالله أي اعتصموا بدين الله وتمسكوا به وقيل معناه ثقوا بالله وتوكلوا
عليه هو مولاكم أي هو ربكم وحافظكم فنعم المولى ونعم النصير أي نعم الحافظ لكم ونعم الناصر وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة الحج أعطي من الأجر كحجة وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنون مائة وثماني عشرة آية

وهي أربعة آلاف وثمانمائة حرف وألف وثمانمائة وأربعون كلمة ومائة وثماني عشرة آية • وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قد أفلح المؤمنون أي فاز ونجا وسعد المصدقون بالله ورسوله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
لما خلق الله جنة عدن وخلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال لها تكلمي فقالت قد أفلح
المؤمنون ثلاثا ثم قالت أنا حرام على كل بخيل ومرائي وقرأ طلحة بن مصرف قد أفلح المؤمنون على المجهول أي أبقوا في الثواب
وحرف قد في اللغة لتزيين الكلام وتحسينه وقيل لتقريب الحالة الماضية إلى الحالة الآتية فدل على أن فلاحهم قد
حصل وهم عليه في الحال وهذا أبلغ في الصفة من تجريد ذكر الفعل والفلاح هو البقاء والنجاح قوله تعالى الذين هم
في صلوتهم خاشعون أي متواضعون خائفون وقيل ساكنون والخشوع في القلب والجوارح فلا يلتفتون يمينا ولا شمالا كما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال صلى الله عليه وسلم لو خشع قلبه لخشعت جوارحه
وعنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا وقف في الصلوة رفع بصره نحو السماء فلما نزلت هذه الآية جعل نظره إلى موضع
سجوده ... الخشوع هو جمع الهمة لتدبر أفعالها وأذكارها وعن الحسن أنه كان يقول إن الخاشعين هم الذين
لا يرفعون أبصارهم في الصلوة إلا في التكبيرة الأولى • وقال ابن عباس معنى قوله تعالى خاشعون أي أذلاء وقال
مجاهد الخشوع هو غض البصر وخفض الجناح وكان الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلوة هاب الرحمن أن يشد بصره

إلى شيء وأن لا يحدث نفسه بشيء من الدنيا وقال عمرو بن دينار ليس الخشوع الركوع والسجود ولكنه السكون وحسن
الهيئة في الصلوة وقال عطاء هو أن لا تعبث بشيء من جسدك في الصلوة • وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا قام أحدكم إلى الصلوة فإن الرحمة تواجهه فلا يحركن الحصا وقيل نظر الحسن إلى رجل يعبث بالحصا ويقول
اللهم زوجني من الحور العين فقال له الحسن بئس الخاطب أنت تخطب وأنت تعبث وقال قتادة الخشوع هو وضع
اليمين على الشمال في الصلوة وقال بعضهم هو جمع الهمة لها والإعراض عما سواها قوله تعالى والذين هم عن اللغو
معرضون • قال الحسن يعني عن المعاصي معرضون وقال الزجاج اللغو هو كل باطل ولهو ولعب وهزل وقيل اللغو
الذي يعرضون عنه فهو كل ما لا فائدة فيه ومنه قوله تعالى وإذا مروا باللغو مروا كراما أي أشغلهم الجد فيما
أمرهم الله به عن كل باطل ولهو ولعب عن كل ما لا فائدة فيه من قول وفعل وقال مقاتل اللغو هو الشتم والأذى
قوله تعالى والذين هم للزكوة فاعلون أي مؤدون فعبر عن التأدية بالفعل لأنه فعل وقال ابن عباس يعني
به الصدقة الواجبة وقيل معناه والذين هم للعمل الصالح فاعلون ويدخل في هذا كل فعل يذكره الإنسان ويحمد
عليه ثم قال إنما أعطى الله أحدا من نعمه إلا أوجب عليه فيها زكوة فزكوة العلم نشره وتعليمه وزكوة الجاه إغاثة الملهوف
قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون أي يحفظونها عن الحرام ويعفون عما لا يحل لهم قوله تعالى إلا
على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم أي يلامون في إطلاق ما حرم عليهم إلا على أزواجهم وإمائهم فإنهم لا يلامون
فيه قال مجاهد يعرض على الرجل حفظ فرجه إلا من امرأته وأمته فإنه لا يلام على ذلك قوله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك
فأولئك هم العادون أي من طلب الوطء طريقا سوى ما أحل الله من النساء الأربع أو ما ملكت أيمانهم فأولئك هم
المتجاوزون من الحلال إلى الحرام فمن زنا فهو عاد قوله تعالى والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون أي والذين هم
لما استؤمنوا عليه فيما بينهم وبين الله وبين الناس حافظون حتى يؤدوه على وجهه والراعي هو القائم على إصلاح
ما يتولاه كما قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وقال الله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا
الأمانات إلى أهلها وقرأ ابن كثير لأمانتهم بالتوحيد لأنه مصدر واسم جنس فيقع على الكثير والأمانة قد تكون
بين العبيد كالودائع وأشباهها وتكون بين الله وعبيده كالصيام وغسل الجنابة والصلوة فيجب على
المؤمنين أداء جميع حقوق الأمانات قوله تعالى وعهدهم راعون العهد يشتمل على طاعة الله تعالى التي يجب
أداؤها على جميع العقود والأيمان والنذور قوله تعالى والذين هم على صلواتهم يحافظون أي يواظبون على
الصلوات ويجتهدون في إقامتها لمواقيتها بفرائضها وسننها وآدابها قوله تعالى أولئك هم الوارثون أي أهل
هذه الصفات التي ذكرها الله من أول هذه السورة إلى هاهنا هم الوارثون الذين يرثون يوم القيمة منازل أهل
النار من الجنة التي كانت لهم لو أطاعوا الله ورسوله قال صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وله منزلان
منزل في الجنة ومنزل في النار فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله قوله تعالى الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون الفردوس في اللغة هو البستان الجامع لمحاسن أجناس الكروم وغيرها وقال عكرمة الفردوس
هو الجنة بلغة الحبشة وفي الحديث أن حارثة بن سراقة قتل يوم بدر • فقالت أمه يا رسول الله إن كان ابني من
أهل الجنة لم أبك عليه وإن كان من أهل النار بالغت في البكاء عليه فقال يا أم حارثة إنها جنان وقد أصاب
الفردوس الأعلى من الجنة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن
دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون إلى آخر الآيات العشر وقال مجاهد من حفظ العشر من سورة المؤمنين ورث
الفردوس قال ابن عباس الفردوس جنة الجنان قال صلى الله عليه وسلم إن الله غرس الفردوس بيده
[illegible] لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث قالوا وما الديوث يا رسول الله قال الذي يرضى الفواحش في أهله
قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين أي خلقنا آدم من سلالة سلت من طين والسلالة
ما سل من الشيء أي نزع واستخرج منه يقال للنطفة سلالة والولد سليل وسلالة وقال مجاهد السلالة

بني آدم وقال عكرمة هو الماء يسيل من الظهر سيلا والمراد بالإنسان ولد آدم وهو اسم جنس يقع على الجميع والمعنى
خلقنا ابن آدم من سلالة من طين أي من صفوة ماء آدم الذي هو من طين قوله تعالى ثم جعلناه نطفة
في قرار مكين أي ثم خلقنا ولد آدم من نطفة في موضع حريز يعني الرحم تمكن فيه الماء إذ هي مستقره فيه إلى
بلوغ أمده الذي جعل له وإنما سمي المني سلالة لأنه سل من أصلاب الرجال وترائب النساء ثم يكون قراره في
أرحام الأمهات قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة أي صيرنا النطفة دما منعقدا ثم صيرنا الدم لحما
بلا عظم والمضغة هي القطعة الصغيرة من اللحم قوله تعالى فخلقنا المضغة عظاما أي حولنا المضغة عظاما
ثم كسونا العظام لحما ليكون أحسن في المنظر ويكون اللحم وقاية للعظم وقرأ ابن عامر فخلقنا المضغة عظما فكسونا
العظم لحما قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر بأن جعلنا فيه الروح بعد أن لم يكن ثم جعلناه ذكرا أو أنثى
إلى أن أعطيناه الفهم والتمييز ليأخذ ثدي أمه عند الحاجة ثم يرتضع ويبكي إذا تضرر بشيء وقال مجاهد يعني
قوله ثم أنشأناه خلقا آخر يعني سوينا شبابه وقال قتادة يعني أنبتنا شعره وأسنانه وقيل معناه أعطيناه
العقل والقوة والفهم ونقلناه حالا بعد حال إلى أن بلغ أن يتقلب في البلاد وقيل إذا اجتمع الماء المخلوق
من الولد فأول الحالات أن يتزبد ثم يستحيل دما كأنه علقة وهو دم عبيط جامد ثم يصير مضغة وفي تلك الحالة
تظهر الأعضاء النفسية كالقلب والدماغ والكبد فالقلب أول عضو متكون ثم الدماغ ثم الكبد ثم يتميز بعضها
عن بعض ويتخطط الأطراف ثم يصير لحما على عظام وعظام البدن ما تبين وإن تعول عظما فإذا نفخ فيه الروح
أربعة أشهر انقسم دم الحيض ثلاثة أقسام قسم يتغذى به الولد وقسم يحتبس إلى النفاس وقسم يصعد إلى الثدي
وإنما ينفخ الروح في الجنين بعد أربعة أشهر لأنه يكون نطفة أربعين يوما ثم يكون علقة أربعين يوما ثم يصير
مضغة أربعين يوما ثم ينفخ فيه الروح ويكون الولد في بطن أمه معتمدا على ركبتيه وراحة يديه على
ركبتيه وظهره إلى وجه الأم ووجهه إلى ظهرها حتى لا تتأذى الأم بنفسه وإنما خلق الله عينيه في رأسه
ليكون مشرفه على جميع الأعضاء في الجهات كلها كالطليعة للعسكر وأصلح المواضع للطلايع المكان المشرف
وجعلهما في كهفين حراسة لهما ولتوفير الضوء فيهما وجعل لهما الهدب ليدفع ما يطرأ إليهما وخلق الله الأنف
ليجتمع فيه الهوى المستنشق لترويح الرئة والدماغ وخلق الفم وعاء لجميع الكلام وخلق الأسنان آلة للنطق
ولتقطيع الطعام الممضوغ والمضغ وتكون في جانبي الفم حراسة لآلات النطق وخلق الشفتين غطاء للفم والأسنان
ولحبس اللعاب ومعينا على الكلام وجمالا في الصورة والأسنان تقطع والأنياب تكسر والأضراس تطحن وجعل
الفك الأسفل يتحرك لأن تحرك الأخف أحسن لأنه على ما يشتمل على الأعضاء الشريفة فلم يخاطرها في الحركة
من الحركة تضعفها وجعل ما للأذن مرا لئلا تقيم فيها الهوام فإذا دخل الأذن دابة لم يكن لها هم
إلا الخروج وجعل ماء العين مالحا لئلا يذوب وجعل ماء الفم عذبا لتطيب طعم المطعم وخلق الله الأصابع
آلة لعمل الأشياء كالكتابة والصياغة والخياطة وجعلها على الكف ليحفظ ما يجعل فيها ولم يخلق للأصابع
[illegible] من العظام ليكون فعالها قوية ولم يجعل عظامها مجوفة ليكون أقوى على القبض والحركات وجعل القلب
في وسط الصدر لأنه أعدل الأماكن وقد أميل قليلا إلى اليسار ليبعد عن الكبد والرئة وطاء للقلب ووقاية
له وهو بيت النفس ومنزل الفرح وخلق الله الأمعاء كثيرة الالتفاف ليطول مستقر الغذاء فلا يحتاج الإنسان
إلى الغذاء في كل وقت وخلق الله القدمين أخمصين ليسهل المشي في الدرج قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين
أي أحسن المصورين المحولين من حال إلى حال ومعنى قوله تبارك الله أي استحق التعظيم والثناء وقيل دام لم
يزل ولا يزال وقوله أحسن الخالقين لا يقتضي أن يكون معه خالق آخر كما قال أصحاب الجنة يومئذ خير
مستقرا وأحسن مقيلا ويقال أحسن الخالقين أي أحسن المقدرين فإن الخلق هو التقدير كما قال تعالى
مخبرا عن عيسى عليه السلام إني أخلق لكم من الطين أي أقدر لكم من الطين وقال ابن عباس كان عبد الله بن سرح

يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاملا عليه هذه الآية فلما بلغ الى قوله خلقا آخر خطر بباله فتبارك الله
احسن الخالقين فلما املاها عليه النبي صلى الله عليه وسلم كذلك قال عبد الله ان محمدا نبي يوحى اليه
وانا نبي يوحى الي فلحق بمكة فمات كافرا قوله تعالى ثم انكم بعد ذلك لميتون اي بعد الخلق
والخلق الحسن والصورة الحسنة ميتون عند انقضاء آجالكم قرأ اشهب العقيلي لمائتون والمائت
الذي لم تفارقه الروح وهو سيموت والميت بالتخفيف الذي فارقه الروح فلذلك لم تخفف
لقوله انك ميت وانهم ميتون قوله تعالى ثم انكم يوم القيمة تبعثون يعني من قبوركم للجزاء
والحساب قوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق اي سبع سموات سميت طرائق لان كل شيء فوق شيء
فهي طريقة يقال طارقت نعلي اذا ركبت جلدا على جلد ويقال سميت طرائق لانها طرائق الملائكة قوله
تعالى وما كنا عن الخلق غافلين اي وما كنا عن حفظ السموات وعن انزال المطر على العباد و
الحاجة غافلين ولو جازت الغفلة لسقطت السموات بعضها على بعض قوله تعالى وانزلنا من السماء
ماء بقدر فاسكناه في الارض اي انزلنا المطر من السماء بقدر الحاجة اليه اي بقدر ما يكفيهم للمعيشة
وقيل بقدر يعلمه الله قوله تعالى فاسكناه في الارض اي جعلناه ساكنا ومستقرا في الارض مثل العيون
والغدران والركايا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انزل الله من الجنة خمسة انهار سيحون
وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله
من عين واحدة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل وذلك قوله تعالى فاسكناه في الارض واذا كان
عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم والحجر الاسود وهذه الانهار
الخمسة فيرفع ذلك الى السماء وذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء
فقد اهلها خير الدين والدنيا قوله تعالى فانشأنا لكم به جنات من نخيل واعناب اي اخرجنا لكم
بذلك المطر بساتين من نخيل وكروم وانما خصهما بالذكر لانها اشرف الثمار قوله تعالى لكم فيها فواكه كثيرة
اي لكم في البساتين فواكه كثيرة سوى النخيل والاعناب ومنها تأكلون باباحة الله لكم تأكلون من اصنافها
قوله تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء اي وانشأنا بذلك المطر شجرة وهي الزيتونة تخرج من جبل سيناء
قيل معنى سيناء البركة كأنه قال من جبل البركة وقرئ طور سيناء بفتح السين واختلفوا في المراد بالطور قال
بعضهم هو الجبل الذي ناجى موسى ربه عنده يقال ان اصل شجرة الزيتون من ذلك الجبل اي اول
ما نبتت فيه وقال بعضهم هو جبل بالشام كثير الاشجار والثمار وقيل ان الزيتونة اول شجرة نبتت في الارض
بعد الطوفان قوله تعالى تنبت بالدهن وصبغ للآكلين قرأ اكثر القراء تنبت بفتح التاء وضم الباء اي
تنبت ثمارها وفيه الدهن يعني تنبت وقرأ ابن كثير وابو عمرو بضم التاء وكسر الباء ومعناه معنى الاول والباء في
قوله تعالى بالدهن للتعدية يقال انبته ونبت به ونبت الشيء وانبت بمعنى واحد قال الشاعر
رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم • قطينا لهم حتى اذا انبت البقل • ويجوز ان تكون الباء
زائدة على قراءة من ضم التاء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم وقوله تعالى وصبغ للآكلين يعني الادام لان الزيت
ادام تصبغ به الخبز يقال صبغ وصباغ كما يقال لبس ولباس قوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة اي
لعظة ودلالة على وحدانيتنا لو اعتبرتم واستدللتم نسقيكم مما في بطونها يعني اللبن ولكم فيها
منافع كثيرة من الاولاد والاوبار والاصواف والاشعار والركوب على الابل ومنها تأكلون يعني لحومها
قوله تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون اي تحملون على الابل في البر وعلى السفن في البحر نظيره قوله
تعالى وحملناهم في البر والبحر يقال ان الله تعالى حمل للناس مركبين مركبا لنا لبس البر ومركبا
لبس البحر قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اي ارسلناه اليهم ليدعوهم الى عبادتنا فقال يا قوم

اعبدوا

اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون عبادة غيره فقال الملأ من قومه اي الاشراف
منهم والرؤساء قالوا لسفهائهم ما هذا الذي يدعوكم الى التوحيد الا بشر مثلكم اي آدمي مثلكم يريد
ان يتفضل عليكم اي يتقدم عليكم بدعوى النبوة ليكون له الفضل عليكم فتكونوا له تبعا ولو شاء الله ان يرسل
الينا رسولا من عنده لانزل ملائكة من عنده ما سمعنا بهذا بمثل هذه الدعوى في آبائنا الاولين
وما ارسل اليهم ثم ان هو الا رجل به جنة اي قالوا ما نوح الا رجل مجنون فتربصوا به حتى حين
اي فانتظروا حتى يموت فتستريحوا منه فلما يئس من ايمانهم قال رب انصرني بما كذبون اي اعني عليهم بتكذيبهم
اياي وجحودهم نبوتي والمعنى انصرني عليهم باهلاكهم جزاء لهم بتكذيبهم قوله تعالى فاوحينا اليه ان اصنع
الفلك باعيننا ووحينا اي ارسلنا اليه جبريل وامرناه ان يعلمه صنعة الفلك ليصنعها بمرأى منا فاذا جاء
امرنا بهلاكهم واهلاكهم ونبع الماء من تنور الخابزة • وعن علي رضي الله عنه انه يعني قوله تعالى وفار التنور اي
طلع الفجر قوله تعالى فاسلك فيها من كل زوجين اثنين اي احمل في السفينة من كل حيوان ذكرا وانثى كما روي
ان الله تعالى حشر اليه جميع الحيوانات حتى اخذ من كل جنس زوجا ونوعا من كل زوج ذكرا وانثى بالتنوين يعني هذه القراءة
يكون الفعل واقعا على زوجين واما على القراءة الاولى فالفعل واقع على اثنين قوله تعالى واهلك معناه
واحمل فيها اهلك الا من سبق عليه القول منهم اي الا من حق عليه العذاب منهم بكفره وهو ابنه كنعان وامرأته
واهله قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي لا تسألني في نجاة الذين ظلموا من اهلك انهم مغرقون مع الآخرين
قوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك اي اذا اعتدلت في السفينة راكبا واستقر بك وبمن معك الفلك
في الماء فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب انزلني منزلا مباركا اي انزلني من السفينة موضعا
مباركا وقال بعضهم اراد به الانزال في السفينة وهو الاقرب لانه امر بهذا الدعاء في حال استوائه على السفينة
فالمعنى ان السفينة هي المنزل دون منزل آخر وقراءة العامة منزلا بضم الميم على المصدر اي انزالا مباركا وقرأ ابو بكر
بفتح الميم وكسر الزاي اي موضعا مباركا قال بعضهم يعني البركة انهم توالدوا وكثروا قوله تعالى وانت خير المنزلين
اي انت خير المنزلين في الدنيا والآخرة وهذه اللفظة تكلم بها كل من اراد ان ينزل منزلا قوله تعالى ان في ذلك لآيات
معناه ان في امر نوح والسفينة وهلاك اعداء الله لدلالات على قدرة الله ووحدانيته وان كنا لمبتلين اي
ما كنا الا مبتلين بارسال الرسل اليهم اي مختبرين اياهم لكي نرى طاعة المطيعين ومعصية العاصين قوله تعالى
ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين اي ثم خلقنا من بعد اهلاك قوم نوح قوما آخرين يعني عادا فارسلنا فيهم
رسولا منهم يعني هودا عليه السلام فان اول نبي بعد نوح هود عليه السلام فقال لهم اعبدوا الله الى آخر
الآية فقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة اي جحدوا البعث والنشور واترفناهم في
الحيوة الدنيا اي نعمناهم في الدنيا واعطيناهم من نعم العيش ووسعنا عليهم ونعمناهم قوله تعالى ما هذا الا بشر
مثلكم يأكل مما تأكلون منه اي قال الاشراف من قوم هود ورؤساؤهم الذين جحدوا البعث والنشور ونعمناهم
في الحيوة الدنيا ما هذا اي ما هود الا بشر مثلكم اي آدمي مثلكم يأكل من الطعام الذي تأكلون منه ويشرب مما
تشربون فليس هو اولى بالرسالة منكم قوله تعالى ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون
هيهات هيهات لما توعدون معناه لئن اطعتم آدميا مثلكم انكم اذا لمغبونون وهذا القول منهم دليل
على غاية جهلهم حيث عبدوا اصناما لا تبصر ولا تسمع ولم يعدوا ذلك خسرانا والاصنام اجسام مثلهم بل دونهم ثم
عدوا عبادة الله وطاعته هو خسرانا قالوا ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما بالية انكم تخرجون من قبوركم
هيهات هيهات اي بعيدا بعيدا لما توعدون من البعث بعد الموت وهذه كلمة استنكار واستبعاد وتقرأ هيهات
بتسع قراءات بالنصب والكسر والرفع والتنوين وغير التنوين والسكون فمن نصب جعلها مثل اين وكيف وقيل
انها اداتان مثل خمسة عشر وبعلبك ومن رفع جعله مثل منذ وقط وحيث ومن كسر جعله مثل امس و

الشاعر • تذكرت أياماً مضين من الصبا • وهيهات هيهات إليك رجوعها • وقال آخر
• لقد باعدت أم الحمارس دارها • وهيهات من أم الحمارس هيهاتا • ومعنى هيهات بعد لما توعدون
جداً حتى امتنع وهو اسم سمي به الفعل وهو بعد كما قالوا صه بمعنى اسكت ومه بمعنى لا تفعل وليس له اشتقاق
وفيه ضمير مرتفع عائد إلى قوله مخرجون والتقدير هيهات أي هو الإخراج والمعنى بعد إخراجكم للوعد الذي
توعدون قال أبو عمرو وإذا وقفت فقل هيهاه بالهاء وقال الفراء كان الكسائي يختار الوقف عليها بالهاء وأنا
أختار التاء لأنها ليست هاء التأنيث وروي أن سيبويه قال هي بمنزلة علقاة ويجوز أن يكون لما كان بمنزلة
كان الوقف بالهاء قوله تعالى إن هي إلا حياتنا الدنيا أي قالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت
ونحيى أي يموت قوم ويحيى قوم آخرون وما نحن بمبعوثين بعد الموت قوله تعالى إن هو إلا رجل افترى
على الله كذباً أي قالوا ما هو إلا رجل اختلق على الله كذباً بأنه رسول الله وأنا نبعث وما نحن له
بمؤمنين أي بمصدقين فيما يقول قوله تعالى قال رب انصرني بما كذبون أي قال هود رب أعني عليهم بتكذيبهم
إياي قال الله تعالى عما قليل ليصبحن نادمين عن تكذيبهم أي عما قليل من الزمان والوقت يعني عند الموت
وعند نزول العذاب بهم ليصبحن نادمين على الكفر والتكذيب فأخذتهم الصيحة بالحق أي صاح بهم جبريل صيحة
واحدة فماتوا عن آخرهم قوله تعالى بالحق أي باستحقاقهم العذاب بكفرهم قوله تعالى فجعلناهم غثاء أي صيرناهم بعد الهلاك
كغثاء السيل وهو ما يكون على وجه السيل من القصب والحطب والحشيش والأشجار اليابسة المتفسخة البالية إذا
جرى السيل أي يبس لتخالط زبد السيل والمعنى صيرناهم هلكى يبسوا كما يبس الغثاء من نبت الأرض قوله تعالى
فبعداً للقوم الظالمين أي بعداً من رحمة الله للقوم الكافرين قوله تعالى ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين
أي ثم خلقنا من بعد هلاك قوم هود أهل أعصار آخرين فسكنوا ديارهم إلى أن هلكوا ما تسبق من أمة أجلها
وما يستأخرون أي كم يموت أمة قبل أجلها ولا يتأخرون عنه وقوله تعالى من أمة من هاهنا صلة قوله
تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى أي بعضها في إثر بعض مترادفين كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم
بعضاً في الهلاك والتعذيب وجعلناهم أحاديث لمن بعدهم من الناس يتحدثون بأمرهم وشأنهم ويتمثل بهم في
الشر وابن كثير وأبو عمرو يقرآن تترى بالتنوين وقرأ الباقون بغير تنوين مثل سكرى وشكوى فمن نون كان الألف فيه
كالألف في رأيت زيداً وعمراً فإذا وقفت كان الألف يعني يوقف عليه بالألف ومن لم ينون كتبها بالياء قوله تعالى
ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين ظاهر المعنى قوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوماً عالين
أي تكبروا وأعرضوا عن الإيمان بالله وعبادته وكانوا قوماً قاهرين للناس بالبغي والتطاول عليهم كما قال تعالى إن فرعون
علا في الأرض وقال سعيد يعني قوله قوماً عالين أي متكبرين عن توحيد الله قوله تعالى فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا
أي ليس لهما فضل علينا وقومهما لنا عابدون يعني بني إسرائيل لنا مطيعون فكذبوهما فكانوا من المهلكين
بتكذيبهما قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون يعني التوراة لكي يهتدوا به من الضلالة
قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية أي جعلنا ولادة عيسى من غير أب دلالة على التوحيد والبعث ولم يقل
آيتين لأن معنى الآية فيهما واحدة وقيل معناه كل واحد منهما آية كما قال كلتا الجنتين آتت أكلها أي كل
واحدة أكلها وقال تعالى إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس ولم يقل أرجاس وقيل معناه جعلنا
شأنهما واحداً لأن عيسى ولد من غير أب وأمه ولدته من غير مسيس ذكر قوله تعالى وآويناهما إلى ربوة ذات
قرار ومعين أي جعلناهما يأويان إلى بقعة مرتفعة ذات استواء واستقرار وماء جار ظاهر والربوة المكان
المرتفع من الأرض واختلفوا في هذه البقعة قال قتادة بيت المقدس وهو أرفع موضع من الأرض وأقربه
إلى السماء بثمانية عشر ميلاً وقال أبو هريرة هي الرملة بأرض فلسطين وروي الحسن وابن المسيب أنها دمشق وقوله
تعالى ذات قرار ومعين أي مستوية ليستقر عليها ساكنوها وهي مع ذلك ساحة واسعة والمعين الماء الجاري

الظاهر الذي تراه العيون يقال معنت الركية تمعن إذا سالت بالماء قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من
الطيبات واعملوا صالحاً قال الحسن ومجاهد والسدي والكلبي وقتادة ومقاتل الخطاب في
هذه الآية لمحمد صلى الله عليه وسلم وحده إلا أنه ذكره بلفظ الجماعة لما في الخطاب من تضمين أن الرسل جميعاً
أمروا بهذا الخطاب وقيل لهم كلوا من الطيبات أي من الحلال أمرهم الله أن لا يأكلوا إلا حلالاً قال الحسن
أما والله ما عنى به أصفركم ولا أحمركم ولا حلوكم ولا حامضكم ولكنه قال انتهوا إلى الحلال منه قوله تعالى واعملوا
صالحاً أي اعملوا ما أمركم الله وأطيعوه في أمره ونهيه قوله تعالى إني بما تعملون عليم ظاهر المعنى وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى
يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث
أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له وروي
عن عيسى كان يأكل من غزل أمه وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يقول رب اجعل رزقي تحت ظل رمحي واجعل
الذلة والصغار على من خالفني فثبت أن رزقه من الغنيمة وأطيب الطيبات الغنيمة قوله تعالى وإن هذه أمتكم
أمة واحدة أي دينكم ودين من قبلكم دين واحد وقيل جماعتكم وجماعة من قبلكم جماعة واحدة كلكم عباد
الله وأنا ربكم فاتقون أي فاتقوا عذابي وافعلوا ما أمرتكم به واتركوا ما نهيتكم عنه قرأ الكوفيون
وإن هذه أمتكم بكسر الهمزة على الابتداء وقرأ الباقون بفتحها مع التشديد وخفف النون ابن عامر مع فتح الهمزة فمن
فتح الهمزة وشدد النون فمعناه وبأن هذه وقيل واعلموا أن هذه أمتكم أمة واحدة أي ملتكم ملة واحدة وهي
دين الإسلام ومن خفف مع الفتح جعل أن صلة وتقديره وهذه أمتكم وقيل تكون مخففة من الثقيلة كقوله
وآخر دعواهم أن الحمد لله قوله تعالى فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً معناه أنتم أهل ملة واحدة ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً أي فرقاً فرقاً وقيل معناه كتباً مختلفة دانوا بها فكفروا
بما سواها كاليهود آمنوا بالتوراة وكفروا بالإنجيل والقرآن والنصارى آمنوا بالإنجيل وكفروا بالقرآن وقرئ
زبراً بفتح الباء ومعناه قطعاً وجماعات ومنه زبر الحديد قطعه قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون
أي كل طائفة بما عندهم من الاعتقاد معجبون فاتركهم في ضلالتهم وجهالتهم إلى أن يأتيهم ما وعدوا به من العذاب
وقيل إلى أن يموتوا فتظهر لهم الحق من الباطل عند المعاينة يوم القيمة وقيل كل حزب من المشركين واليهود والنصارى
بما عندهم من الدين راضون يرون أنهم على الحق قوله تعالى فذرهم في غمرتهم حتى حين أي في ضلالتهم
وجهالتهم وغفلتهم حتى يروا العذاب بالسيف أو بالموت يعني كفار مكة قوله تعالى أيحسبون أنما نمدهم به
من مال وبنين أي يظنون أن إمدادنا إياهم بالمال والبنين مسارعة منا لهم في الخيرات لكن إمهالهم علينا ومنزلتهم
عندنا بل لا يشعرون أن ذلك استدراج لهم وإملاء إلى حين قوله تعالى إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون
أي حذرون من عذابه والإشفاق والخوف بمعنى أنا مشفق من هذا الأمر أي خائف والذين هم بآيات ربهم يؤمنون
أي يصدقون بالقرآن أنه من عند الله والذين هم بربهم لا يشركون معه غيره والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم
وجلة • أي والذين يتصدقون بالأموال يعملون ما عملوا من الصالحات وقلوبهم فزعة خائفة أن لا تقبل منهم
ذلك قال مجاهد المؤمن ينفق ماله وقلبه وجل • وعن عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فقال يا ابنة الصديق الذين يصومون ويخافون
أن لا تقبل منهم ويصلون ويخافون أن لا تقبل منهم ويتصدقون ويخافون أن لا تقبل منهم وقال الحسن
الذين يؤتون ما آتوا أي يعملون ما عملوا من البر وهم يرون أن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وقال الزجاج
وقلوبهم وجلة لأنهم إلى ربهم راجعون أي لأنهم يوقنون رجوعهم إلى الله أولئك يسارعون في الخيرات
أي أهل هذه الصفة هم الذين يسارعون في الأعمال الصالحة وهم لها سابقون أي إليها سابقون يكون

لها بمعنى اليها كقوله بأن ربك أوحى لها أي اليها وقيل معناه وهم لها سابقون في الجنة أي من أجل مسارعتهم
في الخيرات سابقون في الجنة قوله تعالى ولا نكلف نفسا الا وسعها أي الا طاقتها من العمل فمن لم يستطع
أن يصلي قائما فيصلي قاعدا ولدينا كتاب ينطق بالحق أي وعند ملائكتنا المقربين كتاب تشهد وعليكم بالحق
يريد به صحائف الأعمال وقيل يعني اللوح المحفوظ فيه كل شيء مكتوب مثبت في علم الله ينطق بالحق أي يبين بالصدق
وهم لا يظلمون أي لا ينقصون من ثواب أعمالهم ولا يزاد على سيئاتهم قوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا أي
قلوب أهل مكة في غفلة وجهالة من هذا الذي نعدد ذكره من أعمال البر وقيل في غفلة من القرآن ولهم أعمال
خبيثة لم يرضها الله من المعاصي والخطايا من دون أعمال المؤمنين هم لها عاملون ويجوز أن يكون قوله
من هذا اشارة الى الكتاب الذي ينطق بالحق أي بل قلوبهم في غفلة من ذكر الكتاب وأعمالهم التي عملوها يحصيه
ولهم أعمال من دون ذلك لهم عليه لا بد أن يعملوها وهو ما سبق في علم الله أنهم يعملونه والغمرة الغفلة التي تغطي القلب
وتغلب عليها قوله تعالى حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب أي حتى إذا أخذنا أغنياءهم ورؤساءهم بالقتل
يوم بدر وبما يرونه من العذاب وقت المعاينة وقال الضحاك بالجوع حين دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا العظام والجيف
والكلاب والعلهز والقد قوله تعالى إذا هم يجأرون أي يصيحون ويضجون بالتوبة وقيل يجزعون
ويستغيثون وأصل الجؤار رفع الصوت بالتضرع قوله تعالى لا تجأروا اليوم وعيد لهم كأنه قيل
لهم لا تصيحوا ولا ترجعوا قوله تعالى إنكم منا لا تنصرون أي لا تمنعون من عذابنا قوله تعالى قد كانت آياتي
تتلى عليكم أي تقرأ عليكم في الدنيا يعني القرآن فكنتم على أعقابكم تنكصون أي تولون مدبرين تأخرون
عن الإيمان به قوله تعالى مستكبرين به أي متعظمين ببيت الله الكعبة وقيل بحرم الله أنه لا يظهر عليكم أحد
والكناية تعود الى الحرم وهي كناية عن غير مذكور والمعنى والمستكبرين في البيت الحرام لأمنهم فيه مع خوف
سائر الناس في مواطنهم قوله تعالى سامرا تهجرون أي سمارا تهجرون النبي صلى الله عليه وسلم وتهجرون
الحق بالإعراض عنه وقد يقال هجر المريض إذا هذى في كلامه والسمر الحديث بالليل كانوا يتحدثون حول الكعبة
في الليل بالطعن في النبي صلى الله عليه وسلم وفي الإسلام والمسلمين وإنما وحد سامرا لأنه في موضع المصدر
قال الحسن ومعنى المعنى يهجرون بالقرآن ويرفضونه ولا يلتفتون اليه كما قال تعالى قد كانت آياتي
تتلى عليكم الآية ويجوز أن يكون معناه من الهجر وهو الكلام القبيح يقال هجر هجرا إذا قال غير الحق وهو قول
السدي والكلبي وقتادة ومجاهد وكانوا إذا دخلوا البيت يسبون النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن ويقال
أيضا في هذا المعنى أهجر إهجارا إذا أفحش في منطقه ومنه قراءة نافع تهجرون بضم التاء أي تفحشون في الكلام
ويقولون الخنا وذلك أنهم كانوا يسبون النبي صلى الله عليه وسلم والهجر هو الفحش من الكلام يقال في المثل من كثر
هجره وجب هجره قوله تعالى أفلم يدبروا القول أي أفلم يتدبروا القرآن في حسن لفظه ونظمه وكثرة فوائده
ومعانيه مع سلامته من التناقض والاختلاف فيعلموا أنه من عند الله ويقال معناه أفلم يتدبروا القرآن فيعرفوا ما
فيه من العبر والدلالات على صدق النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين
معناه أم جاءهم أمر بدع لم يأت آباءهم أي ألم يعلموا أن الرسل قد أرسلوا الى من قبلهم فبين تعالى أنهم أرسل اليهم
كما أرسل الى من قبلهم والمعنى أجاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين فأنكروه وأعرضوا عنه ويحتمل أن يكون معناه بل
جاءهم بالآيات آباءهم الأولين فأنكروه يكون أم بمعنى بل قوله تعالى أم لم يعرفوا رسولهم بالصدق والأمانة
قبل إظهار الدعوة قال ابن عباس كانوا يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبيرا صادق اللسان وفي العهد
وهذا توبيخ لهم بالإعراض عنه بعد ما عرفوا صدقه وأمانته قوله تعالى أم يقولون به جنة أي بل قالوا إن
محمدا مجنون لا نصدقه [illegible] الوجوه ويصرفوها عنه وقد كذبوا في ذلك فإن المجنون يهذي ويتكلم بما لا يعقل بل جاءهم

النبي صلى الله عليه وسلم بالحق أي بالقرآن الذي لا تخفى صحته وحسنه على أحد وأكثرهم للحق كارهون
قوله تعالى ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن قال مقاتل والسدي
الحق هو الله والمعنى لو جعل الحق نفسه كما يحبون شريكا لفسدت السموات والأرض ومن فيهن وقال الفراء والزجاج
يجوز أن يكون المراد بالحق القرآن أي لو نزل بما يحبون من جعل شريك وإثبات آلهة لفسدت
السموات والأرض ومن فيهن كقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل معناه لو وضع الحق على أهوائهم لهلك أهل
السموات والأرض لأن الحق يدعو الى المحاسن والهوى يدعو الى القبائح ولو جعل الهوى مشروعا لتبعت الأمور
على الظلم والجهالات فيختلط الأمر الى الاختلاط ولم يوثق بالوعد والوعيد فإذن ذكر الفساد لأن الهوى هو
ميل النفس الى المشتهى من غير داعي الهدى قوله تعالى بل أتيناهم بذكرهم أي أعطيناهم القرآن الذي
فيه عزهم وشرفهم وأمرنا بالعمل فيه فهم عن ذكرهم معرضون وهو نظير قوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك
وقوله تعالى كتابا فيه ذكركم والمعنى لو أنهم أجابوا ما جاءهم به من شرف الدنيا والآخرة قوله تعالى أم تسألهم خرجا
فخراج ربك خير معناه أم تسألهم على تبليغ الرسالة جعلا فيتهمونك لذلك قوله تعالى فخراج ربك أي
ما أعد الله لك من الأجر والثواب في الآخرة خير من الدنيا والآخرة وهو خير الرازقين أي أفضل المعطين
وأصل الخرج والخراج الضريبة والغلة كخراج العبد والأرض وقال النضر بن شميل سألت أبا عمرو بن العلاء
عن الفرق بين الخرج والخراج فقال الخراج ما لزمك ووجب عليك أداؤه والخرج ما تبرعت به من غير وجوب
قوله تعالى وإنك لتدعوهم الى صراط مستقيم الى طريق قائم يرضاه الله وهو الإسلام قوله تعالى وإن الذين
لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون معناه أن الذين لا يصدقون بالقيامة عن دين الحق لناكبون
أي مائلون عادلون ومنه النكباء وقيل معناه أنهم في الآخرة عن صراط جهنم يسقطون عنه وينكبون قوله تعالى
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون أي لو رحمناهم وكشفنا ما بهم من الشدة التي أصابت
أهل مكة من الجوع والقحط الذي أخذهم سبع سنين للجوا في طغيانهم أي لتمادوا في ضلالتهم يتحيرون ويترددون
وقيل معناه لو رحمناهم في الآخرة فرددناهم الى الدنيا لعادوا الى الكفر كما كانوا كما قال الله تعالى ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه قوله تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب يعني الجوع الذي أصابهم بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم سنين كسني يوسف فجاعوا حتى أكلوا الوبر بالدم فما استكانوا لربهم أي فما خضعوا لربهم وما تضرعوا
بالانقياد والامتثال لأمر الله وما رغبوا اليه في الدعاء ولو كشف عنهم العذاب لم يتذكروا والاستكانة طلب السكون والتضرع
طلب كشف البلاء من القادر عليه قوله تعالى حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قيل إنه القتل
يوم بدر وقيل إنه عذاب الآخرة إذا هم فيه مبلسون أي آيسون متحيرون والإبلاس الإياس من الخير
وقيل لما أصابهم من الجوع ما أصابهم جاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألست
تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال بلى قال فإنك قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فأنزل الله تعالى
هذه الآية قوله تعالى وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة أي خلق لكم السمع تسمعون والأبصار
تبصرون بها والقلوب تعقلون بها فأنكركم فما صنع إليكم فقليلا والأفئدة هي القلوب قوله تعالى وهو الذي ذرأكم
في الأرض أي خلقكم في الأرض وإليه تحشرون أي تجمعون الى موضع الحساب والجزاء وهو الذي يحيي ويميت
أي يحييكم في أرحام أمهاتكم ويميتكم عند انقضاء آجالكم وله اختلاف الليل والنهار أي له تدبير اختلافهما وورود
يوم بعد ليلة وليلة بعد يوم أفلا تعقلون أدلة الله تعالى فتستدلون بها على وحدانيته قوله تعالى بل
قالوا مثل ما قال الأولون أي لم تعقلوا أدلتنا ولم تستدلوا بها علينا بل كذبوا بالبعث كما كذب الأولون
قبلهم والمعنى كذب هؤلاء بالبعث مثل ما كذب به الأولون قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون
بعد الموت قوله تعالى لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل أي خوفنا هذا الذي يخوفنا به من قبل أن يجيئنا

به إن هذا إلا أساطير الأولين أي ما هذا الذي تحدثنا به يا محمد إلا أحاديث الأولين قل لهم يا محمد
لمن الأرض ومن فيها من الخلائق والعجائب أجيبوا إن كنتم تعلمون خالقها وأجاب الله عنهم لما علم أنهم يعترفون
قوله تعالى سيقولون لله قل لهم يا محمد أفلا تذكرون فتستدلون على أن من له ملك السموات والأرض ومن
فيهما قادر على البعث والنشور فإن من ملك الأرض ومن فيها ملكا إنشاء قادر على إهلاكها قوله تعالى قل من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل أفلا تتقون عقابه على إنكار البعث ومن قرأ سيقولون
الله فمعناه كأنه قيل لمن السموات فقالوا لله قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء أي من ذا الذي له خزائن
كل شيء وهو يجير ويمنع من السوء ولا يمتنع منه من أراده بالسوء أجيبوا إن كنتم تعلمون سيقولون لله ملكوت
كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه قل لهم يا محمد فأنى تسحرون أي تصرفون عن الحق إلى ما ليس له أصل
ولا حقيقة وقيل تخدعون والمعنى كيف يقولون لأدلة الحق فأنى تسحرون أي كيف يخيل لكم الحق باطلا والصحيح كذبا
قوله تعالى بل أتيناهم بالحق أي جئناهم بالحق وأتيناهم يعني أتيناهم بالتوحيد والقرآن وإنهم لكاذبون
فيما يصفون إلى الله من الولد والشريك قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله هذا رد على اليهود
في قولهم عزير ابن الله وعلى النصارى في قولهم المسيح ابن الله وعلى من قال من المشركين الملائكة بنات الله وما
كان معه من إله هذا رد على عبدة الأوثان قوله تعالى إذا لذهب كل إله بما خلق معناه لو كان معه
آلهة إذا لذهب كل إله بخلقه ولانفرد بما خلقه ولم يرض أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره ولعلا بعضهم على بعض أي
لطلب بعضهم مغالبة بعض فلم ينتظم أمرهما ولم ينتظم أمر بلد فيه ملكان قاهران قوله تعالى سبحان الله أي نزه
الله عما يصفون من اتخاذ الولد والشريك عالم الغيب والشهادة من خفضه جعله نعتا لله ومن رفعه
جعله خبر مبتدأ محذوف تقديره هو عالم فقراءة الخفض هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وقرئ بالرفع
ومعنى الآية عالم ما غاب عن العباد وما علمه العباد فتعالى الله عما يشركون قوله تعالى قل رب إما تريني ما يوعدون
معناه قل لهم يا محمد رب أرني ما يوعدون من العذاب والنقمة يعني القتل ببدر وقيل معناه قل يا محمد يا رب إن تريني
ما يوعدون من العذاب فلا تجعلني فيهم قوله تعالى وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون أي نحن قادرون
على تعذيبهم لكن الإمهال لحكمة تقتضي ذلك قوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن السيئة يعني بالإحسان الإعراض
والصفح والسيئة أذى المشركين إياه وهذا قبل الأمر بقتالهم والمعنى اذكر لهم المقالة والحجة على طريق التلطف
في الإرشاد إلى الحق قال تعالى يعني أنه يؤول إليك قوله تعالى نحن أعلم بما يصفون أي بما يكذبون وبما يقولون
من الشرك فنجازيهم عليه قوله تعالى وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين أي أعتصم بك وأمتنع بك من همزات
الشياطين وهمزاتهم دفعهم الناس إلى المعاصي بالإغواء وقال الهمز هي الوسوسة الشاغلة عن ذكر الله تعالى
وأعوذ بك رب أن يحضرون عند القراءة وعند الموت وعند الغضب وعن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام
إلى الصلاة يهلل ويكبر ثلاثا ثم قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه فسئل عن همزه فقال
هو أخذ الشيطان الإنسان حتى يصرع أو يجن وسئل عن نفثه فقال هو الشعر وسئل عن نفخه فقال هو الكبر
قوله تعالى حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون أخبر الله تعالى أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون
البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت والمعنى حتى إذا عاين أحدهم الموت وأعوانه قال رب ارجعون
إلى الدنيا وإنما قال ارجعون بلفظ الجماعة لأن الله تعالى يخبر عن نفسه بما يخبر به عن الجماعة في قوله تعالى إنا
نحن نحيي ونميت وأمثاله وكذلك العرب تخاطب الرجل الواحد بلفظ الجماعة كما تقول للرجل إنكم تفعلون كذا
ونحن نفعل كذا ومنه قوله تعالى رب ارجعون لعلي أعمل صالحا قال ابن عباس معناه
أشهد أن لا إله إلا الله وأعمل بطاعة الله فيما تركت أي فيما مضى من عمري قوله تعالى كلا أي لا يرجع
إلى الدنيا ولا يجوز أن تكون لعل في هذه الآية للشك لأنه لا معنى لذلك مع حرصه على الرجعة والنجاة من الموت والعذاب
وإنما المعنى لكي أعمل صالحا وكلا كلمة ردع وزجر وتنبيه أي لا يكون له ذلك قوله تعالى إنها كلمة هو

قائلها أي مسألة الرجوع إلى الدنيا كلمة هو قائلها عند الموت ولا فائدة له في ذلك قوله تعالى ومن
ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون أي من أمامهم حاجز بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا وهم فيه إلى يوم
يبعثون والقبر حاجز وكل فصل بين شيئين برزخ قوله تعالى فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ
قال ابن عباس يعني النفخة الأولى وقيل النفخة الثانية وقوله تعالى فلا أنساب بينهم يومئذ قال الحسن
والله إن أنسابهم لقائمة بينهم كما قال تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ولكنهم لا ينتفعون بأنسابهم
ولا يتعاطفون عليها فكأنهم لا أنساب لهم وقيل معناه لا يتفاخرون بينهم كما يتفاخرون في الدنيا ولا يتساءلون
كما يتساءل العرب في الدنيا من أي قبيل أنت وقيل لا أنساب بعضهم بعضا أن يحمل شيئا من ذنوبه قوله تعالى
فمن ثقلت موازينه يعني بالطاعات فأولئك هم المفلحون وقيل من ثقلت موازينه بكلمة التوحيد فأولئك
هم المفلحون قال صلى الله عليه وسلم لو وضعت السموات السبع وما فيهن والأرضون السبع وما بينهن
وما تحتهن في كفة وكلمة لا إله إلا الله في كفة لرجحت بجميع ذلك قوله تعالى ومن خفت موازينه يعني
كلمة الشرك فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ظاهر المعنى قوله تعالى تلفح وجوههم
النار أي تسفع وتضرب وجوههم النار وقيل اللفح هو الإحراق يقال لفحته النار إذا أحرقته وقيل اللفح
أعظم من تأثير السفح والنفح وكلاهما في قوله ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك قوله تعالى وهم فيها كالحون
الكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان حتى تبدو الأسنان قال الحسن تغلظ شفاههم وترتفع شفته العليا
وتسترخي شفته السفلى فتظهر الأسنان فهو أقبح ما يكون قال صلى الله عليه وسلم تشويه النار حتى تقلص شفته
العليا فتبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقال ابن مسعود ألم تر إلى الرأس المشيط
بالنار كيف تبدو أسنانه وتقلص شفتاه قوله تعالى ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون
أي تجحدون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا بكثرة معاصينا وكنا قوما ضالين في الدنيا فلم نهتد
قرأ الكوفيون غير عاصم شقاوتنا بالألف وفتح الشين وهما بمعنى واحد والشقوة هي المضرة اللاحقة في العاقبة
والسعادة هي المنفعة التي تكون في العاقبة والشقوة بفتح الشين بمنزلة الفعلة الواحدة وكسر السين في هذا الد
على الكثرة واللزوم قوله تعالى ربنا أخرجنا منها أي من النار إلى الدنيا فإن عدنا إلى التكذيب والمعاصي
فإنا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون اخسئوا أي ابعدوا إهانة ومذلة وهي في الأصل لطرد الكلاب
تقول العرب خسأت الكلب إذا طردته فخسأ أي تباعد قال الزجاج معناه تباعدوا تباعد سخط
وابعدوا بعد الكلب ولا تكلمون في رفع العذاب عنكم ولا تسألوني في الخروج من النار فإني لا أرفع عنكم العذاب
ولا أخرجكم منها قال عبد الله بن عمرو إن أهل جهنم يدعون مالكا أربعين عاما فلا يجيبهم بعد أربعين
ثم يقول إنكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فلا يجيبهم مقدار عمر الدنيا
ثم يرد عليهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فييأس القوم عند ذلك ويختم على أفواههم فلا يتكلمون بعد ذلك أبدا ويكون
لهم زفير وشهيق كنهيق الحمار وعواء كعواء الكلاب قوله تعالى إنه كان فريق من عبادي
يقولون ربنا آمنا أي يقال لهم إنه كان طائفة من عبادي يقولون ربنا آمنا وهم الأنبياء والمؤمنون
وهذا تعليل لاستحقاقهم العذاب بما عاملوا الأنبياء والمؤمنين باتخاذهم سخريا قوله تعالى فاتخذتموهم
سخريا أي تسخرون منهم وتستهزئون بهم قرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين هاهنا وفي ص وقرأ الباقون
بكسرهما وهما لغتان ولم يختلفوا في الزخرف أنه بمعنى التسخير قوله تعالى حتى أنسوكم ذكري أي حتى نسيتم
ذكري لاشتغالكم بالسخرية منهم والضحك فنسب النسيان إلى عباده المؤمنين وإن لم يفعلوا لما أنهم كانوا السبب
فيه قوله تعالى إني جزيتهم اليوم بما صبروا على أذيتكم واستهزائكم إنهم هم الفائزون في

لحنه قرأ حمزة والكسائي إنهم بالكسر على الاستئناف وقرأ الباقون بالفتح على معنى جزيتهم بالفوز قوله تعالى قال
كم لبثتم في الأرض عدد سنين أي كم لبثتم في القبور وقيل المكث في الدنيا يقول الله تعالى
ذلك للكفار يوم البعث فيرون أنهم لم يلبثوا إلا يوما أو بعض يوم لعظم ما هم فيه من العذاب نسوا ذلك
لعظيم دهشته وحيرته فينسون ذلك قوله تعالى فاسأل العادين يعني الملائكة الذين كانوا يحفظون عليهم
أعمالهم وقرأ ابن كثير قل كم لبثتم على فعل الأمر قوله تعالى قال إن لبثتم إلا قليلا أي قال الله ما لبثتم إلا قليلا
في جنب لبثكم في العذاب قوله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا أي أظننتم أنا خلقناكم للعبث كما تلعبون وتزينون
وتفعلون ما تريدون فتمنون ولا تحرزون للحساب وأنكم لا ترجعون إلى موضع لا يملكون فيه لأنفسكم ضرا
ولا نفعا وقال ابن عباس معناه أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا كما خلقنا البهائم لا ثواب لها ولا عقاب عليها
كما قال أيحسب الإنسان أن يترك سدى أي يهمل كما تهمل البهائم قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق أي
تعالى عما يصفه الجاهلون به من الشريك والولد وفعل العبث قوله تعالى الملك الحق أي هو الملك الذي يحق له
الملك لأنه يملك غيره وكل ملك غيره فملكه مستعار له فإنه لا يملك إلا ما يملكه الله إياه فكأنه لا يعتد في ملكه في
ملك الله قوله تعالى لا إله إلا هو رب العرش الكريم سمى العرش كريما لكثرة خيره لمن حوله يقال فلان كريم أي
كثير الخير قوله تعالى ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه أي من يدعو
مع الله إلها آخر لم يرد بعبادته كتاب ولا بعث بها رسول ولا حجة له عليه فإنما جزاؤه عند ربه فهو يجازيه بما
يستحق كما قال تعالى ثم إن علينا حسابهم قوله تعالى إنه لا يفلح الكافرون أي لا يسعد من جحد ولا
يأمن ولا ينجو من عذاب الله الكافرون قوله تعالى وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين يحتمل أن
يكون أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستغفار منه كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إني لأستغفر الله في كل
يوم سبعين مرة ويروى مائة مرة وعن ابن مسعود أنه مر بشاب مبتلى فقرأ في أذنه أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا حتى
ختم السورة فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا قرأت في أذنه فأخبره فقال والذي نفسي بيده بالحق
نبيا لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال

سورة النور أربعة وستون آية

وهي خمسة آلاف وستمائة وثمانون حرفا وألف وثلاثمائة وست عشرة كلمة وأربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى سورة أنزلناها وفرضناها أي هذه سورة أنزلنا جبريل عليه السلام بها وقرأ طلحة بن مصرف
سورة بالنصب على معنى أنزلنا سورة أنزلناها كما تقول زيدا ضربته ويجوز أن يكون نصبا على الإغراء قوله تعالى
وفرضناها أي أوجبنا فيها أحكاما وفرضنا العمل بما فيها ومن قرأ بالتشديد فهو على التكثير والمبالغة أي فصلنا
أحكامها وفرضنا فيها فرائض وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وفرضناها بالتشديد أي فصلناها وبيناها
وأدخلنا فيها أحكاما وفرائض مختلفة عليكم وعلى من بعدكم إلى يوم القيامة وحجة من قرأ بالتخفيف قوله تعالى إن الذي
فرض عليك القرآن لرادك أي أحكام القرآن ومن شدد فرضناها لكثرة الفرائض قال مجاهد يعني الأمر بالحلال والنهي
عن الحرام قوله تعالى وأنزلنا فيها آيات بينات أي دلالات واضحات على وحدانيتنا وأحكامنا لكي تتعظوا
فتعملوا بما فيها قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا يسنونه ومعناهما
فرض عليكم الزانية والزاني لأنه لولا ذلك لنصبه كالأمر الذي في قوله فاجلدوا والجلد في اللغة ضرب الجلد يقال
جلده إذا ضرب جلده ورأسه إذا ضرب رأسه وبطنه إذا ضرب بطنه ومعنى الآية أن الزانية والزاني إذا كانا
حرين بالغين عاقلين بكرين غير محصنين فاضربوا كل واحد منهما مائة ضربة فأما إذا كانا مملوكين فحد كل

واحد

والمحصنين خمسون جلدة في الزنا لقوله تعالى في الإماء فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من
العذاب يعني إذا عقلن فعليهن نصف حد الحرائر وإذا كان الزاني محصنا فحده الرجم لأن رسول الله صلى الله عليه
وسلم رجم ماعز بن مالك الأسلمي بزناه وكان قد أحصن وكان عمر رضي الله عنه يقول إني لأخشى إن طال
الزمان أن يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وقد قرأنا الشيخ والشيخة
إذا زنيا فارجموهما البتة وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ولولا أن الناس يقولون زاد
عمر في كتاب الله لكتبت ذلك على حاشية الكتاب وأجمعت الأمة على رجم المحصن إذا زنا إلا الخوارج وأما الإحصان
فهو أن يكون حرا بالغا عاقلا مسلما قد تزوج قبل ذلك نكاحا صحيحا ودخل بزوجته في وقت كانا جميعا
فيه على صفة الإحصان وهذا قول أبي حنيفة ومحمد فإنهما يعتبران هذه الشرائط السبعة في إحصان الزنا
وأما أبو يوسف فلا يجعل الإسلام من شرائط الإحصان ولا يشترط كونهما على صفة الإحصان وقت الدخول
في النكاح الصحيح فيجعل الرجل البالغ العاقل المسلم محصنا بالدخول بزوجته الأمة والصبية والكتابية
ويجعل الزوجين الرقيقين محصنين بالدخول في النكاح الذي بينهما إذا أعتقا بعد ذلك فإن لم يوجد الدخول
في ذلك النكاح بعد العتق إلى أن زنا واحد منهما فهما غير محصنين عنده وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا
من الأعراب خاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أنشدك الله إلا قضيت بكتاب الله فقال الخصم
الآخر نعم يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله فقال صلى الله عليه وسلم قل قال إن ابني كان عسيفا على هذا فزنا
بامرأته وإني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديته بمائة شاة ووليدة فسألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني
مائة جلدة وتغريب عام وأن على امرأة هذا الرجم فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب
الله الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام واغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها
قال فغدا عليها فاعترفت فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجمت قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة
في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر أي لا تأخذكم بهما رحمة تمنع من إقامة الحد وتخل بعدد
عدده وصفته فإنه ليس من صفات المؤمنين تضييع حدود الله قوله تعالى في دين الله قال ابن عباس في حكم الله
كقوله في دين الملك أي في حكمه إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فلا تعطلوا الحدود وقرأ ابن كثير رأفة
بفتح الهمزة وإنما ذكر الضرب بلفظ الجلد لئلا يبرح ولا يبلغ به اللحم واختلف العلماء في قوله ولا تأخذكم
بهما رأفة فقال النخعي معناه ولا تأخذكم الرأفة فيهما فتعطلوا الحدود ولا تقيموها شفقة عليهما
وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وعكرمة وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وقال الزهري وسعيد
بن المسيب والحسن معناه اجتهدوا في الجلد ولا تخففوا كما خفف حد الشراب لعجم الزاني ضربا ولا تخفف
رأفة له كأنه قال لا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا الضرب بل أوجعوهما ضربا قوله تعالى وليشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين أي ليكن إقامة الحد عليهما بحضرة جماعة من المؤمنين ليستفيض الخبر ويبلغ
الشاهد الغائب فيرتدع الناس عن مثله ويرتدع المضروب ويستحيي ولا يعود إلى مثل ذلك واختلفوا في مبلغ عدد
الطائفة فقال الزهري أقله ثلاثة وقال ابن زيد أربعة بعدد شهود الزنا وقال قتادة نفر من المسلمين
وفي الخبر إقامة حد في أرض خير لأهلها من مطر أربعين يوما وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
يا معشر الناس اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث
الفقر وينقص العمر وأما اللاتي في الآخرة فيوجب السخط وسوء الحساب والخلود في النار وقال صلى الله عليه
وسلم أعمال أمتي تعرض علي في كل جمعة مرتين فاشتد غضب الله تعالى على الزناة وعن وهب بن منبه قال
مكتوب في التوراة الزاني لا يموت حتى يفتقر والقواد لا يموت حتى يعمى فإن قيل لم بدأ الله بذكر الزانية قبل ذكر
الزاني فقال تعالى الزانية والزاني وبدأ بذكر السارق قبل ذكر السارقة في آية السرقة فقال والسارق والسارقة

قيل إن الرجل هو الذي يطلب في الغالب والمرأة هي السبب في الزنا غالبًا فأخرج الخطاب في الموضعين على الأغلب قوله تعالى ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك﴾ قال ابن عباس نزلت هذه الآية في قوم من المهاجرين دخلوا المدينة ولم يكن لهم مساكن ولا مال يأكلون منه ولا أهل يأوون إليهم وفي المدينة نساء بغايا مسافحات يكرين أنفسهن ونصبن الرايات على أبوابهن يعرفن بذلك فكان أولئك المهاجرون الفقراء يطلبون معايشهم بالنهار ويأوون إلى المسجد بالليل فقالوا لو تزوجنا بعض هؤلاء يعشن معهم إلى يوم يغنينا الله عنهن وقصدوا أن يتزوجوهن وينزلوا منازلهن ويأكلوا من كسبهن فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فأنزل الله هذه الآية فنهوا أن يتزوجوهن على أن يحلوهن والزنا والمعنى لا يرغب في نكاح الزانية إلا زان مثلها ونظيره قوله تعالى الخبيثات للخبيثين أي ميل الخبيث إلى الخبيث وميل الطيب إلى الطيب وقد يقع الطيب مع الخبيث لكن الأعم والأغلب ما ذكرنا قوله تعالى ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ أي حرم على المؤمنين تزوج تلك البغايا المعلنات بالزنا وفيه بيان أن من تزوج بامرأة منهن فهو زان فالتحريم كان خاصة على أولئك دون الناس وقد ذهب سعيد بن المسيب أن التحريم كان عامًا عليهم وعلى غيرهم ثم نسخ التحريم بقوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم فإن تزوج الرجل امرأة وعاين منها الفجور لم يكن ذلك محرمًا بينهما ولا طلاقًا ولكنه يؤمر بطلاقها تنزهًا عنها ويخاف عليه الإثم في إمساكها لأن الله تعالى شرط على المؤمنين نكاح المحصنات من المؤمنات وروي أن رجلا أتى رسول الله فقال إن امرأتي لا ترد يد لامس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم طلقها فقال إني أحبها وأخاف إن طلقتها أن أصيبها حرامًا فقال له أمسكها إذا إلا أن هذا الحديث فيه خلاف الكتاب لأن الله تعالى لما أذن في نكاح المحصنات ثم أنزل في القاذف لزوجته آية اللعان وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم التفريق بينهما ولا يجتمعان أبدا فكيف يأمره بالوقوف على عاهرة لا تمتنع ممن أرادها والحديث الذي ذكرناه لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لو صح فتأويله أنها امرأة ضعيفة الرأي في تضييع مال زوجها فهي لا تمنعه من طالب ولا تحفظه من سارق وهذا التأويل أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم وأحرى بحديثه ويحتمل أن يكون قوله تعالى وحرم ذلك على المؤمنين إشارة إلى الزنا وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن هذه الآية نزلت في مرثد الغنوي كان قد آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان يحمل ضعفة المسلمين من مكة إلى المدينة ومن المدينة إلى مكة وكانت له صديقة في الجاهلية يقال لها عناق فلقيته بمكة ودعته إلى نفسها فأبى وقال إن الإسلام قد حال دون ذلك فقالت له فانكحني فقال حتى أشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث به إلى المشركين فهرب إلى المدينة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم وشاوره في تزوجها فأنزل الله هذه الآية وبين أن نكاح المشركة لا يحل له وقرن بين الزنا وبين الشرك على طريق المبالغة في الزجر عن الزنا حين كان العرب يألفون الزنا الفاشي بينهم وكان يجب بظاهر هذه الآية أن يكون للزاني أن يتزوج المشركة وللزانية أن تتزوج المشرك ولا خلاف أن ذلك غير جائز وأن نكاح المشركات وتزوج المشركين منسوخ بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات وبقوله ولا تنكحوا المشركين وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى الآية الزاني لا يطأ إلا زانية أي لا يزني إلا بزانية في حين زنى لا يزني إلا بزانية مثله وكذلك الزانية لا يزني بها إلا زان مثلها حتى إذا طاوع أحدهما الآخر فهما سواء في الإثم والحد والعقاب حتى يكون المراد بالنكاح الوطء قوله تعالى ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ أي يقذفونهن بالزنا ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ على صحة قذفهم بالزنا ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ والمحصنات الحرائر المسلمات العاقلات البالغات العفيفات عن فعل الزنا وفي ذكر عدد الأربعة من الشهود دليل على أن المراد القذف بصريح الزنا لأن هذا العدد لا يشترط إلا في الزنا ولا يقبل في ذلك شهادة النساء وفي الآية دليل على أن من قذف جماعة من المحصنات لم يلزمه إلا حد واحد وإن كان القاذف عبدًا يجلد النصف كما بينا في حد الزنا قوله تعالى ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا﴾ يعني المحدودين

في القذف ولا تقبل شهادتهم أبدا قوله تعالى ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾ أي الخارجون عن طاعة الله برميهم إياهن بما ذكرنا قوله تعالى ﴿إلا الذين تابوا﴾ أي ندموا على قذفهم وعزموا على ترك المعاودة ﴿وأصلحوا﴾ أعمالهم فيما بينهم وبين ربهم ﴿فإن الله غفور﴾ لمن تاب منهم ﴿رحيم﴾ لمن مات على التوبة قال ابن عباس هذا الاستثناء لا يرجع إلى الشهادة وإنما يرجع إلى الفسق وقيل إن توبته فيما بينه وبين الله مقبولة وأما شهادته فلا تقبل أبدا وهو قول شريح والحسن وإبراهيم وإلى هذا ذهب أبو حنيفة وأصحابه وذهب بعض العلماء إلى أن الاستثناء راجع إلى الفسق وإلى رد الشهادة ويكون معنى قوله تعالى أبدا أي ما دام على القذف وقالوا إذا تاب قبلت شهادته وأجمعوا جميعا على أن هذا الاستثناء لا يرجع إلى الجلد وذلك يقتضي أن يكون مقصورًا على ما يليه وهو الفسق وأجمعوا أن القاذف إذا تاب ولم تبطل شهادته بحد القذف فلم يحد القاذف ثم تاب بأنه تجوز شهادته لأن على أصلنا أن الحاكم إذا أقام الحد على القاذف فقد حكم بكذبه وأبطل حينئذ شهادته ولو جعل بطلان الشهادة حكمًا متعلقًا بسمة الفسق ولم يجعل حكمًا على حياله مرتبًا على الجلد بطلت فائدة قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا من كتاب الله لأن كل فاسق لا تقبل شهادته ثم تعود بتوبته عن الفسق قوله تعالى ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم﴾ الآية وذلك أن الله سبحانه لما أنزل الآية التي قبل هذه الآية في قذف المحصنات وشرط فيها الإتيان بأربعة شهداء والجلد ثمانين جلدة قرأها النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر فقال عاصم بن عدي يا رسول الله جعلني الله فداك إن رأى رجل منا مع امرأته رجلا على بطنها فإن ذهب أن يخرج من بيته يجيء بأربعة شهداء قضى الرجل حاجته وخرج وإن هو عجل فقتله قتلتموه وإن تكلم بذلك جلد ثمانين وإن سكت سكت على غيظ شديد فقال صلى الله عليه وسلم كفى بالسيف شاهدا أراد أن يقول شاهدا فأشار عليه جبريل بالسكوت فأمسك لئلا يتتابع أحد الغيارى في قتل أزواجهم وقال ابن عباس لما نزلت والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة وقرأها النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر يوم الجمعة فقال عاصم بن عدي مقالته التي ذكرناها وقال يا رسول الله كيف لنا بالشهداء وحتى إذا التمسناهم قضى الرجل حاجته وخرج وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وكانت له امرأة يقال لها خولة بنت قيس فأتى عويمر عاصما فقال لقد رأيت شريك بن سحماء على بطن امرأتي خولة بنت قيس فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة الأخرى فقال يا رسول الله ما أسرع ما ابتليت بالسؤال الذي سألت في الجمعة الماضية في أهل بيتي فقال صلى الله عليه وسلم وما ذاك قال يا رسول الله أخبرني عويمر أنه رأى شريك بن سحماء على بطن امرأته خولة وكان عويمر وخولة وشريك كلهم بني عم عاصم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم جميعا فقال لعويمر اتق الله في زوجتك وحليلتك وابنة عمك فلا تقذفها بالبهتان فقال يا رسول الله أقسم بالله إني رأيت شريكا على بطنها فقال صلى الله عليه وسلم اتقي الله وأخبري بما صنعت فقالت يا رسول الله إن عويمرا رجل غيور وإنه رآني وشريكا نتحدث فحملته الغيرة على ما قال وروى عكرمة عن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة فقال سعد بن عبادة والله لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء ولم آتي بهم حتى يفرغ من حاجته ويذهب وإن قلت ما رأيت ضرب ظهري ثمانين جلدة فقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الأنصار ألا تسمعون إلى ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه يا رسول الله فإنه رجل غيور ما تزوج امرأة قط إلا بكرا ولا طلق امرأة فاجترى أحد منا أن يتزوجها فقال سعد بن عبادة يا رسول الله بأبي أنت وأمي والله إني لأعرف أنها حق من الله وأنه لحق ولكني عجبت من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم إن الله يأبى إلا ذلك فقال سعد صدق الله ورسوله فلم يلبثوا حتى جاء هلال بن أمية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت رجلا مع امرأتي يزني بها رأيت بعيني وسمعت بأذني فكره صلى الله عليه

ما أتى به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه وقال هلال يا رسول الله إني لأرى الكراهة في وجهك لما أتيتك به
والله يعلم إني لصادق وما قلت إلا حقا فإني لأرجو أن يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يضربه الحد واجتمعت الأنصار وقالوا ابتلينا بما قال سعد بن عبادة الآن يجلد هلال ويبطل شهادته
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه الوحي فأمسكوا عن الكلام حين عرفوا أن
الوحي قد نزل فلما فرغ تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء
إلا أنفسهم إلى آخر الآيات فقال صلى الله عليه وسلم أبشر يا هلال فإن الله قد جعل لك فرجا فقال قد كنت
أرجو ذاك من الله فقال صلى الله عليه وسلم أرسلوا إليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت كذب علي يا رسول الله فقال هلال والله يا رسول الله ما قلت إلا حقا وإني لصادق فقال صلى الله
عليه وسلم الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال والله يا رسول الله ما كذبت فقال صلى الله
عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال اشهد بالله أربع مرات إنك لمن الصادقين فقال هلال أشهد بالله إني لمن الصادقين
فيما رميتها به قال ذلك أربع مرات فقيل له عند الخامسة اتق الله يا هلال فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب
الآخرة وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس وإن هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال
هلال والله ما يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد الخامسة أن لعنت الله
عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا ثم قيل للمرأة اشهدي أنت فقالت أربع مرات أشهد بالله إنه
لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم عند الخامسة اتقي الله فإن الخامسة هي الموجبة
وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا أفضح قومي فشهدت
الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين فيما رماها به من الزنا ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينهما وقضى أن الولد لها ولا يدعى لأب ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها
وإن جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه فجاءت به غلاما أحمر كأنه جمل أورق على الشبه المكروه وكان بعد
ذلك أميرا بمصر لا يدرى من أبوه وعلى القول الثاني نزلت لقصة بين شريك بن سحماء وعويمر قالوا أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم عويمرا بالملاعنة فقام وقال في الثانية أشهد بالله أني رأيت شريكا على بطنها وإني لمن الصادقين
وقال في الثالثة أشهد بالله إنها حبلى من غيري وإني لمن الصادقين وكان عويمر قد اعتزلها أربعة أشهر
لم يقربها فظهر بها الحمل فعلم أنه من وطء غيره ثم قال في الخامسة أن لعنت الله على عويمر يعني نفسه إن
كان من الكاذبين فيما قال ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالقعود وقال لزوجته قومي فقامت فقالت
أشهد بالله ما أنا بزانية وإن عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية أشهد بالله أنه ما رأى شريكا على بطني وإنه لمن الكاذبين
ثم قالت في الرابعة أشهد بالله ما رأى علي فاحشة قط وإنه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة أن غضب
الله على خولة يعني نفسها إن كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه
الأيمان لكان لي في أمرهما رأي ولكان لي ولها شأن ثم قال إن جاءت بالولد أصيهب أسحم تضرب إلى
السواد فهو لشريك بن سحماء وإن جاءت به أورق أخيعد جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به
قال ابن عباس فجاءت به أشبه خلق الله لشريك بن سحماء وعن الضحاك عن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى والذين
يرمون المحصنات الآية قال عاصم بن عدي يا رسول الله لو وجدت على بطن امرأتي رجلا فقلت لها يا زانية
أتجلدني ثمانين جلدة إلى أن آتي بأربعة شهداء وإن مضيت لأربعة شهداء قضى الرجل حاجته ومضى فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت يا عاصم قال فخرج سامعا مطيعا فلم يصل إلى منزله حتى استقبله
هلال بن أمية يسترجع فقال ما وراءك فقال شر وجدت شريك بن سحماء على بطن امرأتي خولة [illegible]
ورجع معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فبعث إليها فجاءت فقال لها النبي صلى الله عليه

وسلم ما تقولين فقالت يا رسول الله إن شريك بن سحماء كان يأتينا فينزل بنا فربما تركه زوجي عندي وخرج
ولم أدر عليه من ليل ونهار ولا أدري الآن أدركته الغيرة أم بخل علي بالطعام فأنزل الله آية اللعان
والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله
فأقامه النبي صلى الله عليه وسلم بعد العصر وقال له يا هلال أنت الشاهد أنك رأيتها تزني فقال
أشهد بالله رأيته على بطنها يزني بها وإني لمن الصادقين أشهد بالله ما قربتها منذ أربعة أشهر وإن حملها
هذا الذي في بطنها من شريك بن سحماء وإني لمن الصادقين إلى أن قال في الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان
من الكاذبين فيما رماها به من ذلك فقال القوم آمين فقال صلى الله عليه وسلم يا خولة ويحك إن كنت ألممت
بذنب فقري به فإن الرجم بالحجارة أيسر عليك من غضب الله في الآخرة وإن غضب الله عذابه فقالت يا رسول
الله كذب فأقامها مقامه فقالت أشهد بالله ما أنا بزانية وإنه لمن الكاذبين ما رآه على بطني أشهد بالله
لقد قربني منذ أربعة أشهد بالله لقد قربني من الزنا وبرئ شريك بن سحماء مني **وإنه لمن الكاذبين**
وأشهد أن ما في بطني لهلال وإنه لمن الكاذبين وقالت في الخامسة **أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين**
ثم فرق بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المتلاعنان لا يجتمعان أبدا قوله تعالى **ويدرأ عنها
العذاب** أي يدفع عنها الحد **أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين** وقرأ حفص والخامسة
بالنصب كأنه قال وتشهد الخامسة وقرئ فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله بالرفع في قوله أربع على أنه
خبر المبتدأ وقرئ بالنصب على معنى فشهادة أحدهم أن تشهد أربع شهادات قوله تعالى **ولولا فضل الله
عليكم ورحمته** محذوف الجواب تقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لفضحكم بما ترتكبون من الفواحش ولعاجلكم
بالعقوبة من غير إنظار ولبرأ الصادق من الكاذب فيقام الحد على الكاذب **وأن الله تواب حكيم** أي
تواب على من رجع عن المعاصي الله حكيم فيما فرض من الحدود قوله تعالى **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم
لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم** وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يخرج إلى
سفر أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت عائشة فأقرع بيننا
في غزوة غزاها وهي غزوة بني المصطلق فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما أنزل
الحجاب وكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه حتى إذا قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ورجع ودنونا
من المدينة فلما كان ذات ليلة قمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت
إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقدي قد انقطع وكان من جزع ظفار فرجعت ألتمس عقدي وحبسني ابتغاؤه
فأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه وكن
النساء إذ ذاك خفافا لم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام ولم يستنكر القوم ثقل الهودج حين
رفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم
وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي فبينا
أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناي فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس من وراء الجيش فادلج فأصبح عند
منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب فما استيقظت
إلا باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي فوالله ما كلمني بكلمة غير استرجاعه فأناخ راحلته فوطئ
على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في
وخاض عبد الله بن أبي وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش أخت زينب في ذلك وكان الذي تولى
كبره منهم عبد الله بن أبي بن سلول فقدمت المدينة فأصابني مرض حين قدمتها شهرا والناس يخوضون في قول
أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك وقد رابني في وجعي أني لا أرى منه اللطف الذي

كنت أرى منه إذا مرضت من قبل ذلك إنما كان يدخل ثم يقول كيف تيكم فذلك يحزنني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما
نقهت فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف
وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز فانطلقت أنا وأم مسطح وهي عاتكة بنت أبي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف
وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب فأقبلنا حتى فرغنا من
شأننا نمشي في الطريق عثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد
بدرا قالت أي هنتاه أولم تسمعي ما قال قلت وماذا قال فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضا إلى
مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم قلت أتأذن لي أن
آتي أبوي وإنما قلت ذلك لأستيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبوي فقلت لأمي
يا أمتاه ماذا يتحدث الناس فقالت أي بنية هوني عليك فوالله لقل ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل
يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها قلت سبحان الله أوقد تحدث الناس بهذا قالت نعم قالت فمكثت تلك الليلة حتى
أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد
وعلي بن أبي طالب حين استلبث الوحي واستشارهما في فراق أهله فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم من
براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال يا رسول الله هم أهلك وما نعلم إلا خيرا وأما علي بن أبي طالب رضي
الله عنه فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بريرة جارية عائشة فقال لها أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك في أمر عائشة قالت لا والذي بعثك
بالحق نبيا ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فيأتي الداجن فيأكله
قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر من عبد الله بن أبي سلول وهو على المنبر فقال يا معشر المسلمين
من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت في أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا
فقال سعد بن معاذ الأنصاري يا رسول الله أنا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان
من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة الخزرجي وكان رجلا صالحا ولكن احتملته
الحمية فقال لسعد بن معاذ لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ
كذبت أنت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا
ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخفضهم حتى سكتوا قالت عائشة فمكثت يومي لا يرقأ لي دمع
وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت علي امرأة من الأنصار
فأذنت لها فجلست تبكي معي فبينا نحن كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس
عندي منذ قيل لي ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت
بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بالذنب ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي أجب عني رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما قال فقال والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت فقلت وأنا جارية
حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم هذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ولئن
قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني في ذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لا
تصدقوني في ذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدقني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا أبا
يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله أعلم
حينئذ أني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ولشأني كان

أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه رؤيا
يبرئني الله بها قالت فوالله ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى تغشاه
الوحي وأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند نزول الوحي حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم
الشاتي فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا هو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشري
يا عائشة إن الله قد برأك فقالت لي أمي قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله سبحانه الذي
أنزل براءتي فأنزل الله عز وجل إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم وهي عشر آيات فلما أنزل الله براءتي
قال أبو بكر رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة
ما قال فأنزل الله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة إلى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال أبو بكر
بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي وأعاد إلى مسطح النفقة وقال لا أنزعها منه أبدا ثم إن الخبر بلغ إلى صفوان
فقال سبحان الله والله ما كشفت كنف أنثى قط ثم قتل شهيدا في سبيل الله وزاد في آخره قالت وقعد صفوان بن
المعطل لحسان بن ثابت فضربه بالسيف وقال حين ضربه • تلق ذباب السيف عني فإنني • غلام إذا هوجيت لست بشاعر
ولكنني أحمي حماي وأنتقم • من الباهت الرامي البراء الظواهر • فصاح حسان واستغاث بالناس على
صفوان وجاء حسان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث به على صفوان في ضربه إياه فسأل النبي
صلى الله عليه وسلم أن يهب له ضربة صفوان إياه فوهبها للنبي صلى الله عليه وسلم فعوضه عنها حائطا من نخل
عظيم وجارية رومية ثم باع حسان ذلك الحائط من معاوية في ولايته بمال عظيم وقال حسان [illegible] في براءة عائشة

• حصان رزان ما تزن بريبة • وتصبح غرثى من لحوم الغوافل •
• حليلة خير الناس دينا ومنصبا • نبي الهدى والمكرمات الفواضل •
• عقيلة حي من لؤي بن غالب • كرام المساعي مجدها غير زائل •
• مهذبة قد طيب الله خيمها • وطهرها من كل شين وباطل •
• فإن كان ما قد جاء عني قلته • فلا رفعت سوطي إلي أناملي •
• فكيف وودي ما حييت ونصرتي • لآل رسول الله زين المحافل •
• له رتب عال على الناس فضلها • تقاصر عنها سطوة المتطاول •

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذين رموا عائشة فجلدوا أجمعين ثمانين ثمانين قوله تعالى إن الذين
جاءوا بالإفك عصبة منكم وهم أربعة حسان ومسطح وعبد الله بن أبي سلول وحمنة بنت جحش والعصبة
من الواحد إلى الأربعين والإفك في اللغة هو الكذب قوله تعالى لا تحسبوه شرا لكم خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر ولعائشة فيما لحقهم من الحزن والغم الشديد والمعنى لا تحسبوه شرا لكم بل هو
خير لكم لأنكم تؤجرون على ما قيل لكم من الأذى وبما يكتب لكم من الثواب في الأجر على الصبر وبما يبين الله من
طهارة عائشة وبراءتها بآيات تتلى في المحاريب إلى يوم القيمة قوله تعالى لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم
أي لكل امرئ من الخائضين في هذا الأمر جزاء ما اكتسب من الإثم قوله تعالى والذي تولى كبره منهم أي
والذي تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وهو عبد الله بن أبي هو الذي بالغ في إشاعة هذا الحديث وكان أهل
النفاق يجتمعون عنده ويستمعون ذلك بأمره له عذاب عظيم يصغر في مقابلته كل عذاب يكون في الدنيا
قرأ حميد الأعرج ويعقوب كبره بضم الكاف قال أبو عمرو بن العلاء هو خطأ لأن الكبر هو بضم الكاف في الولاء والنسب
وفيه الحديث الولاء للكبر وذكر ابن أبي مليكة عن عائشة قالت في حديثها وكبر ركبت وأخذ صفوان
بالزمام فمر بملأ من المنافقين فقال عبد الله بن أبي سلول من هذه قالوا عائشة قال والله ما نجت منه

وتجالسها وقالت امرأته ليتكلم بانت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها وشرع في ذلك حسان ومسطح وحمنة بنت
فشا ذلك في الناس قوله تعالى له عذاب عظيم يريد في الدنيا والحد ثمانين جلدة وفي الآخرة مصيره إلى النار
قوله تعالى لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا أي هلا إذ سمعتموه أيها
العصبة الكاذبة أي هلا إذ سمعتم قذف عائشة بصفوان ظن المؤمنون والمؤمنات من العصبة الكاذبة تعني
حمنة بنت جحش وحسان ومسطحا بأنفسهم خيرا وقال الحسن أي بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة ألا ترى إلى
قوله تعالى فسلموا على أنفسكم ولا تقتلوا أنفسكم والمعنى هلا إذ سمعتم قذف عائشة رضي الله عنها ظن المؤمنون
الذين هم كنفس واحدة فيما جرى عليها من الأمور بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين أي كذب ظاهر
بين و... أن المراد بهذه الآية أبو أيوب الأنصاري وامرأته أم أيوب قالت له يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول
الناس في عائشة قال بلى وذلك الكذب المبين أرأيت يا أم أيوب كنت تفعلين ذلك قالت لا والله ما كنت لأفعله
قال فعائشة والله خير منك سبحان الله هذا بهتان عظيم فأنزل الله هذه الآية والمعنى هلا إذ سمعتموه ظن
المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا كما فعل أبو أيوب وامرأته قالا فيها خيرا قوله تعالى لولا جاءوا عليه بأربعة
شهداء أي هلا جاء العصبة الكاذبة على قذفهم عائشة بأربعة شهداء يشهدون بأنهم عاينوا منها ذلك فإذ
لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون أخبر الله أنهم كاذبون في قذفها يعني أنهم كاذبون
في الظاهر والباطن وكفى هذا براءة لعائشة رضي الله عنها فمن حق تصديق وشك في أمر عائشة صار كافرا بالله
سبحانه لأنه رد شهادة الله لها بالبراءة قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة
لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم معناه لولا منة الله ونعمته عليكم في الدنيا والآخرة بتأخير العذاب
عنكم وقبول التوبة لمن تاب منكم فيما خضتم فيه من الإفك عذاب عظيم هائل في الدنيا والآخرة لا انقطاع له قوله
تعالى إذ تلقونه بألسنتكم قال الكلبي وذلك أن الرجل منهم كان يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا ويتلقونه
تلقيا قال الزجاج يلقيه بعضكم إلى بعض وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ولا بيان وتحسبونه
وتحسبونه هينا أي تظنون أن ذلك القذف سهل لا إثم فيه وهو عند الله عظيم في الوزر والعقوبة
قرأ أبي إذ تتلقونه بتاءين وقرأ عائشة إذ تلقونه بكسر اللام وتخفيف القاف من الكذب والولق الكذب يقال
ولق فلان إذا استمر على الكذب وولق فلان السير إذا استمر به قوله تعالى ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا
أن نتكلم بهذا سبحانك معناه هلا قلتم حين سمعتم ذلك لا يحل لنا أن نتكلم بهذا قوله تعالى سبحانك أي تنزيها لله
تعالى عن أن تكون امرأة نبيه زانية وقوله تعالى هذا بهتان عظيم أي كذب عظيم يبهت ويحير من عظمه والبهتان
والبهت أن يبهت الرجل بالكذب عليه قوله تعالى يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين أي ينهاكم الله
ويحذركم ويحرم عليكم أن تعودوا لمثل هذا القذف إن كنتم مؤمنين لأن قذف المحصنات لا يكون من صفات المؤمنين
قوله تعالى ويبين الله لكم الآيات أي الأمر والنهي والله عليم بمقالة الكاذبين في أمر عائشة حكيم
فيما شرع من الأحكام قوله تعالى إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم فيه
بيان أن العزم على الفسق فسق وأن على الإنسان أن يحب للناس ما يحب لنفسه وأن يكون في قلبه سلامة للمؤمنين
كما يكون مأمورا بكف اللسان والجوارح ومعنى الآية أن الذين يحبون أن تفشو وتظهر الزنا في الذين آمنوا أن
تشيع النميمة ويقذفونهم به لهم عذاب أليم في الدنيا يعني الجلد والآخرة يعني عذاب النار يريد بذلك
المنافقين والله يعلم ما خضتم فيه من الإفك وما فيه من سخط الله وأنتم لا تعلمون ذلك فجلد رسول
الله صلى الله عليه وسلم جميع من قذف في عائشة قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم
محذوف الجواب تقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعجل لكم العقاب وعاقبكم فيما قلتم في أمر عائشة وفي محبتكم
إشاعة الفاحشة فيها وأن الله رؤوف رحيم أي رؤوف بكم رحيم فلم يعاقبكم في ذلك قال ابن عباس يريد مسطحا

وحسان

وحسان وحمنة قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان أي لا تسلكوا طرق
الشيطان ولا تعملوا بتزيينه ووسوسته في قذف عائشة ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء
والمنكر أي يأمر بعصيان الله وكل ما يكره الله مما لا يعرف في شريعة ولا سنة وقيل الفحشاء القبيح من
القول والفعل والمنكر الفساد الذي ينكره العقل صحته ويزجر عنه قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
ما زكى منكم من أحد أبدا أي ما صلح منكم من أحد أبدا وقيل معناه ما طهر منكم أحد بذنب ولا صلح أمره بعد الذنب
في حق عائشة ما قذف ولا قبل توبته أحد منكم ولكن الله يزكي من يشاء أي يطهر من يشاء من الإثم بالرحمة و
توفيقه للتوبة والله سميع عليم أي سميع لمقالتكم عليم بما في نفوسكم من الندامة والتوبة وقيل معناه سميع لمقالة
الخائضين في أمر عائشة وصفوان عليم ببراءتهما قوله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أي لا يحلف
ذوو الغناء والسعة منكم أن يعطوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين من مكة إلى المدينة نزلت في أبي
بكر رضي الله عنه حين بلغته مقالة مسطح وأصحابه في خوضهم في أمر عائشة حلف بالله لا ينفق عليه وقيل أتاه فاعتذر
فقال له أبو بكر يا مسطح مالي ولتؤذيني في ولدي والله لا أنفق عليك أبدا وكان مسطح ابن خالة أبي بكر رضي الله
عنه وكان مسطح من المهاجرين البدريين ولما نزلت هذه الآية تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي
بكر رضي الله عنه فقال بلى إني لأحب أن يغفر الله لي أطيع ربي وأرغم أنفي وأرد النفقة عليه وقوله تعالى
أن يؤتوا أولي القربى معناه لا أن يؤتوا فحذف لا قال ابن عباس رضي الله عنهما أقسم الله تعالى لأبي بكر رضي الله عنه
وقد جعلت لك يا أبا بكر الفضل في المعرفة بالله وصلة الرحم وجعلت عندك السعة فتعطف على مسطح فله قرابة
وهجرة ولم مسكنة قوله تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال مقاتل قال النبي
صلى الله عليه وسلم لأبي بكر أما تحب أن يغفر الله لك قال بلى قال فاعف واصفح قال قد عفوت وصفحت لا أمنعه
معروفي أبدا بعد اليوم وقد جعلت له مثلي ما كان قبل اليوم قوله تعالى إن الذين يرمون المحصنات الغافلات
المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة معناه أن الذين يقذفون العفائف اللائي لا يعرفن ما قذفن به لغفلتهن
عن ما قيل فيهن المؤمنات بالله ورسوله لعنوا في الدنيا والآخرة أي عذبوا في الدنيا بالحد وفي الآخرة بعذاب النار و
عائشة غافلة لأنها قذفت بأمر لم يخطر ببالها فأصاب كل واحد من قاذفيها ذا هيبة في الدنيا أما ابن أبي فقد
مات كافرا ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه وأما حسان فقد دخل على عائشة رضي الله عنها بعد ما
ذهب بصره في آخر عمره وأنشدها في بيتها • حصان رزان ما تزن بريبة • وتصبح غرثى من لحوم الغوافل •
قالت لكنك لست كذلك فلما خرج من عندها قيل لعائشة أليس الله وعدهم بعذاب في الدنيا والآخرة فقالت أليس هذا
عذابا يعني ذهاب بصره • واختلف المفسرون في هذه الآية لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم فقال مقاتل
هذه الآية خاصة فيمن قذف عائشة وقال ابن جبير هذا الحكم خاصة فيمن قذف عائشة فمن قذفها فهو من
أهل هذه الآية وقال الضحاك والكلبي هذا في عائشة وفي أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون
سائر المؤمنين وقال ابن عباس هذه الآية في شأن أمهات المؤمنين خاصة ليس فيها توبة وأما من قذف
امرأة مؤمنة من غيرهن فقد جعل الله له توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم
ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا إلى قوله إلا الذين تابوا قال فجعل الله لهؤلاء توبة ولم يجعل لأولئك
توبة • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أشاع على رجل مسلم كلمة فاحشة وهو منها بريء يريد
أن يشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه في النار وإنما رجل أجار في شفاعة في حد من حدود الله
تعالى فعليه لعنة الله إلى يوم القيامة قوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما
كانوا يعملون قال الكلبي تشهد عليهم يوم القيامة ألسنتهم بما تكلموا به من الفرية في قذف عائشة
وأيديهم وأرجلهم قال ابن عباس ينطق ما عملت في الدنيا وهذه خاصة في القذفة ومن غيرهم • قرأ حمزة والكسائي

يومئذ يشهد بالياء لتقدم الفعل قوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق أي يوفيهم جزاءهم الواجب
على قدر أعمالهم ويعلمون أن الله هو الحق المبين أي ويعلمون يومئذ أن الله تعالى هو الحق المبين يقضي بحق
ويأخذ بحق ويعطي بحق قال ابن عباس وذلك أن عبد الله بن أبي بن سلول كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة أن
الله هو الحق المبين قرأ مجاهد يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق برفع القاف على أنه نعت لله ويصدقه قراءة
أبي يوفيهم الله الحق دينهم وقوله تعالى المبين أي يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا قوله تعالى الخبيثات
للخبيثين معناه الكلمات الخبيثات للخبيثين من الرجال أي لا يتكلم بالكلمات الخبيثات إلا الخبيثون من الرجال
والنساء ولا يتكلم بالطيبات من الكلام الطيب من الرجال والنساء وقيل معناه أن الخبيث من القول لا يليق
إلا بالخبيث من الناس وكل كلام إنما يحسن في أهله فيضاف سيء القول إلى من يليق به ذلك وكذلك الطيب
من القول وعائشة لا يليق بها الخبيثات لأنها طيبة فيضاف إليها طيبات الكلام من الثناء الحسن وما يليق
بها وقال بعضهم معنى الآية الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات
من النساء لأنها كلمة التي تشبههما والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات
من النساء وفي هذا تبرئة عائشة رضي الله عنها لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أطيب الطيبين فلا
يكون له امرأة إلا طيبة قوله تعالى أولئك مبرؤون مما يقولون يعني أن الطيبين والطيبات مبرؤون
مما يقولون الخبيثون والمبرأ هو المنتفي عن صفة الخبث والمراد به عائشة وصفوان فذكرهما بلفظ الجمع
كقوله تعالى فإن كان له إخوة والمراد أخوان وقوله تعالى مبرؤون أي منزهون وقوله تعالى لهم مغفرة
ورزق كريم أي لهم مغفرة لذنوبهم وثواب حسن في الجنة بما لحقهم من الأذية وعن عائشة رضي الله
عنها قالت لقد أعطيت تسعا لم تعطهن امرأة لقد جاء جبريل بصورتي في راحته حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم
أن يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد قبض ورأسه في حجري ولقد قبر في بيتي ولقد
حفت الملائكة بيتي ولقد كان الوحي ينزل عليه وهو في أهله فينصرفون عنه وكان ينزل عليه وأنا معه في لحافه وإني
لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة لعند طيب ولقد وعدت مغفرة
ورزقا كريما قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها
في الآية أمر بالتحفظ عن الهجوم على ما لا يؤمن من العورات وإلى هذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم حين قال
للرجل الذي قال له أستأذن على أختي قال إن لم تستأذن رأيت منها ما تكره أي إذا دخلت عليها وهي [illegible]
فترى منها ما تكره ومعنى الآية حتى تستأنسوا أي حتى تستأذنوا والاستئناس هو الاستعلام ليعلم من في الدار وذلك
يكون بقرع الباب أو التنحنح وخفق النعل وكان أبي بن كعب وابن عباس والأعمش يقرؤونها حتى تستأذنوا
وتسلموا على أهلها وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وهو أن
تقول السلام عليكم أأدخل وروي أن أعرابيا جاء إلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألج
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخادمة له يقال لها روضة قومي إلى هذا فعلميه فإنه لا يحسن يستأذن قولي له
يقول السلام عليكم أأدخل وعن زينب امرأة ابن مسعود قالت كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى
إلى الباب تنحنح وبزق كراهة أن يهجم علينا ويرى أمرا يكرهه وعن أبي أيوب قال قلنا يا رسول
الله ما الاستئناس قال يريد قوله تعالى حتى تستأنسوا أن يتكلم الرجل بالتكبيرة والتسبيحة والتحميدة ويتنحنح
يؤذن أهل البيت وروي أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه أتى إلى منزل عمر رضي الله عنه فقال
السلام عليكم هذا عبد الله بن قيس فلم يؤذن له ثم قال السلام عليكم هذا أبو موسى فلم يؤذن
له ثم قال الثالثة هذا الأشعري فلم يؤذن له فذهب فوجه عمر بعده من رده فسأله عن صنيعه فقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلث فإن أذن لك وإلا فارجع فقال

عمر

عمر رضي الله عنه لتأتيني بالبينة وإلا عاقبتك فانطلق أبو موسى وأتى بأبي بن كعب وأبي سعيد الخدري
فشهدا له بذلك وقال أبي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فلا تكونن عذابا على أصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم فقال عمر وما فعلت إنما أنا سمعت شيئا فأحببت أن أثبت وروي أن رجلا قال للنبي
صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمي قال نعم قال إنها ليس لها خادم غيري أفأستأذن عليها كلما دخلت قال
أتحب أن تراها وهي عريانة قال لا قال فاستأذن عليها كلما دخلت وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم حل لهم أن يفقؤوا عينه وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه رأى رجلا اطلع في حجرته وبيد النبي صلى الله عليه وسلم مدرى يحك به رأسه فقال لو علمت أنك
تريد تنظر إلى عورة لطعنت بهذا عينك إنما جعل الاستئذان من أجل النظر قوله تعالى ذلكم خير لكم
لعلكم تذكرون أي ذلك الاستئذان خير لكم من الدخول بغير إذن لكي تذكرون به وقوله تعالى فإن
لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها معناه فإن لم تجدوا في البيوت أحدا من سكانها فلا تدخلوها حتى
يؤذن لكم وكذلك لو وجدوا البيوت خالية لم يجز دخولها إلا بإذن صاحبها وقوله تعالى وإن قيل لكم ارجعوا
فارجعوا هو أزكى لكم أي إذا أمرتم بالانصراف فانصرفوا ولا تقوموا على باب البيت فلعل صاحب البيت لا يرضى
أن يقع نظر المستأذن على أحد من حرمه وكذلك لو لم يقل لكم صاحب الدار ارجعوا ولكن وجدتم منه ما يدل على
ذلك وجب الرجوع أيضا لقوله صلى الله عليه وسلم الاستئذان ثلث فإن أذن لك وإلا فارجع وروي الاستئذان
ثلث مرة يستمعون ومرة يستصلحون ومرة يأذنون أو يردون وقوله تعالى هو أزكى لكم أي الرجوع أطهر
وأنفع لدينكم من الجلوس على أبواب الناس والله بما تعملون عليم أي بما تعملون من الدخول بإذن وبغير إذن
عليم فلما نزلت آية الاستئذان قالوا فكيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن
فأنزل الله تعالى ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة بغير استئذان وقيل أراد بذلك المواضع
التي لا يختص بسكناها أحد دون أحد مثل الخانات والرباطات التي تتخذ للمسافرين يستظلون فيها من الحر والبرد
ويدخل في هذا أكثر ما جرت العادة بأخذه مثل النواة والخرق الملقاة في الطرق ويجوز أن يكون المراد بالبيوت في
المدينة حوانيت التجار التي في الأسواق قوله تعالى فيها متاع لكم أي منافع من اتقاء الحر والبرد والاستمتاع بها
وقال مجاهد كانوا يضعون في طرق المدينة أقتابا وأمتعة من الحلال في بيوت ليس فيها أحد وكانت الطرق
إذ ذاك آمنة فأحل لهم أن يدخلوها بغير إذن وقال عطاء معناه بالمتاع هو قضاء الحاجة من الخلاء والبول
قوله تعالى والله يعلم ما تبدون وما تكتمون أي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا
من أبصارهم أي قل لهم يغضوا أبصارهم عن النظر إلى ما لا يحل لهم واختلفوا في قوله تعالى من أبصارهم فقال
بعضهم هي صلة أي يغضوا أبصارهم وقال بعضهم هي ثابتة في الحكم لأن المؤمنين غير مأمورين بغض البصر أصلا
وإنما أمروا بالغض عما لا يحل قوله تعالى ويحفظوا فروجهم يعني عن الحرام قال صلى الله عليه وسلم اضمنوا
لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم وأدوا إذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم
وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم وقال صلى الله عليه وسلم النظر إلى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام إبليس فمن
تركه ابتغاء ثواب الله عز وجل أبدله الله بذلك ما يسره قوله تعالى ذلك أزكى لهم أي أطهر وأصلح
عند الله إن الله خبير بما يصنعون في الفروج والأبصار قوله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن
أي قل لهن يكففن أبصارهن عما لا يجوز ويحفظن فروجهن عن الحرام وقيل يحفظن فروجهن أي يسترنها حتى
لا يرى فروجهن أحد قوله تعالى ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها أي لا يبدين مواضع زينتهن إلا ما
ظهر من مواضع الزينة والزينة زينتان ظاهرة وباطنة فالباطنة الخلخال والمعاضد والقلادة والدملج والسوار
والقرط والمعاصم وأما الزينة الظاهرة الكحل والخاتم والخضاب فليس على المرأة ستر هذه لأنه تستر وجهها

وكفيها في الصلوة وفي غير الصلوة ويجوز للاجانب من الرجال النظر الى وجهها وكفيها لغير الشهوة واما النظر مع الشهوة فلا يجوز الا في اربعة مواضع اذا اراد ان يتزوج امراة او يشتري جارية او يتحمل شهادة لها او عليها والقاضي يقضي لها او عليها وعن ابن مسعود ان الزينة الظاهرة هي الجلباب والملاءة يعني الثياب لقوله تعالى خذوا زينتكم اي ثيابكم وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر اذا عركت ان تظهر الا وجهها ويديها الى ههنا وقبض على نصف الذراع قوله تعالى **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** الخمر جمع الخمار وهو ما تغطي به المراة راسها والمعنى وليلقين مقانعهن على جيوبهن وصدورهن ليسترن بذلك شعورهن وقرطهن واعناقهن ونحورهن كما قال ابن عباس تغطي المراة شعرها وصدرها وترائبها وسوالفها لان المراة اذا اسدلت خمارها انكشف قدامها وخلفها فيقع الاطلاع عليها والجيوب جمع جيب وهو جيب القميص قوله تعالى **ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن** اراد به موضع الزينة الباطنة التي لا يجوز كشفها في الصلوة والمعنى لا يظهرن موضع الزينة التي تكون تحت خمرهن الا لازواجهن **او آبائهن او آباء** ازواجهن **او ابنائهن او ابناء** ازواجهن **او اخوانهن** وكذا ذي رحم محرم منهن **او بني اخوانهن** وكذا ذي محرم منهن **او نسائهن** يعني نساء اهل دينهن وهن المسلمات لا يحل للمسلمة ان تنكشف بين يدي يهودية او نصرانية او مجوسية او مشركة وقيل المراد بذلك العفائف من النساء اللواتي لم يكن الا لمن ينبغي للمراة الصالحة ان تنظر اليها المراة الفاجرة لانها تصفها عند الرجال ولا تضع جلبابها ولا خمارها عندها ولا يحل لامراة مؤمنة ان تنكشف بين يدي مشركة او كتابية الا ان تكون امة لها فذلك قوله تعالى او ما ملكت ايمانهن وروي ان عمر رضي الله عنه كتب الى ابي عبيدة اما بعد فقد بلغني ان نساء يدخلن الحمام معهن نساء اهل الكتاب فامنع من ذلك فلما اتى الكتاب لابي عبيدة قام في ذلك المكان مبتهلا وقال ايما امراة تدخل الحمام من غير علة ولا سقم تريد البياض لوجهها فسود وجهها يوم تبيض الوجوه قوله تعالى **او ما ملكت ايمانهن** ذهب بعضهم ان المراد به العبيد فانه لا باس ان تظهر المراة عند عبيدها ما تظهر عند محارمها وكان سعيد بن المسيب يقول لا تغرنكم قوله او ما ملكت ايمانهن فانها نزلت في الاماء دون العبيد وعن مجاهد مثل ذلك كانهما ذهبا الى ان المراد بقوله او نسائهن الحرائر والمراد بقوله او ما ملكت ايمانهن الاماء والولائد والصغار من الذكور المماليك قوله تعالى **او التابعين غير اولي الاربة من الرجال** يعني الذين يتبعون النساء من الاحرار العمال الذين لا حاجة لهم في النكاح وانما يخدمون القوم لينالوا من طعامهم والاربة بمعنى الارب وهو الحاجة كالمشية من المشي قال الحسن هم قوم طبعوا على غير شهوة لا يشتهون ولا يعرفون ما يشتهي النساء ولا تشتهيهم النساء يعني لا يشتهون ولا يشتهون وقال سعيد بن جبير هم المعتوهون وقال عكرمة هم المجنونون وقال الحكم بن ابان هم المخانيث الذين لا ارب لهم في النساء ولا تقوم لهم شهوة وعن عائشة رضي الله عنها ان مخنثا كان يدخل عليهن وكانوا يعدونه من غير اولي الاربة فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول في صفة امراة انها اذا اقبلت اقبلت باربع واذا ادبرت ادبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم او هذا الخبيث يعرف هذا الكلام لا اراه يدخل عليكن وقال مجاهد وعكرمة والشعبي هم الذين لا ارب لهم في النساء وقال قتادة هو الذي يتبعك لا جل ان يصيب من طعامك ولا همة له في النساء وقال مقاتل هو الشيخ الهرم الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا تشتهيهن واما الخصيان فهم على وجهين ان كان خصيا فقد جب ما فوقه فهو من غير اولي الاربة وان كان لم يجب فهو من اولي الاربة كما روي ان عائشة ابيا قالت الخصاء مثلة وانه لم يحل ما حرم الله قوله تعالى غير اولي الاربة قرا اكثر القراء بخفض غير على الصفة للتابعين وقرا ابن عامر وعاصم بنصبه على الاستثناء ويكون غير

بمعنى الا وقيل على الحال قوله تعالى **او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء** يعني الصغير الذي لا رغبة له في النساء ولم يبلغ مبلغا يطيق اتيان النساء وقد يذكر الطفل بمعنى الجماعة والمراد به ههنا الجماعة من الاطفال واما الصبي الذي قد ظهرت عليه رغبة في النساء فحكمه حكم البالغ لقوله صلى الله عليه وسلم في الصبيان مروهم بالصلوة اذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها اذا بلغوا عشرا وفرقوا بينهم في المضاجع قوله تعالى **ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** قال الحسن كانت المراة تمر على المجلس وعليها الخلخال فتضرب احدى رجليها بالاخرى ليعلم القوم ان عليها الخلخال فنهين عن ذلك لان ذلك مما يحرك الشهوة لان سماع صوت الزينة بمنزلة ابداء الزينة وفي هذا دليل ان صوت المراة عورة لانه نهي عن صوت خلخالها فاولى ان ينهى عن صوتها واما ما سوى مواضع الزينة فلا يحل النظر اليه الا للزوج خاصة قوله تعالى **وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون** اي وتوبوا الى الله جميعا مما كنتم في الجاهلية تعملون من الخصال المذمومة واعملوا طاعة الله فيما امركم به ونهاكم عنه **لعلكم تفلحون** وقوله تعالى ايها المؤمنون قرا ابن عامر بضم الهاء ومثله يا ايها الساحر وايها الثقلان ثم ينبغي ان لا يوقف عليه قوله تعالى **وانكحوا الايامى منكم** اي زوجوهم والايم اسم المراة التي لا زوج لها وللرجل الذي لا امراة له يقال رجل ايم وامراة ايم كما يقال رجل بكر وامراة بكر وقال الشاعر

فان تنكحي انكح وان تتايمي ... مدى الدهر ما لم تنكحي اتايم

ويقال الايم في النساء كالعزب في الرجال وجمع الايم ايامى قوله تعالى **والصالحين من عبادكم وامائكم** اي وزوجوا عبادكم واماءكم وهذا امر ترغيب واستحباب وفائدة ذكر الصالحين ان المقصود من النكاح العفاف والصالح هو الذي يتعفف وقيل الصلاح ههنا الايمان ثم رجع الى الاحرار قوله تعالى **ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله** فيه حث على النكاح لئلا يمتنعوا منه بسبب الفقر فان الله هو الغني والمعنى ان تكونوا انتم لا سعة لكم في التزويج يغنهم الله من فضله اي يوسع عليهم عند التزويج واختلفوا في الاية قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم الاية فقال بعضهم هذا امر على الحتم والايجاب اوجب الله النكاح على الاستطاعة وتاولها الباقون على انه امر استحباب وندب وهو المشهور الذي عليه الجمهور وقيل يجب على المراة والرجل ان يتزوجا اذا تاقت انفسهما اليه لان الله تعالى امر به ورغب وندب اليه وبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم حتى بالسقط وقال صلى الله عليه وسلم من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح لانه ينقطع شرعا وليس يتعذر ومن لم تتق نفسه الى النساء ان يتخلى لعبادة الله وعن ابي نجيح السلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له ما يتزوج به ولم يتزوج فليس منا وقال صلى الله عليه وسلم من ادرك له ولد وعنده ما يزوجه فلم يزوجه فاحدث اثما فالاثم بينهما وقال صلى الله عليه وسلم اذا تزوج احدكم عج الشيطان يا ويله عصم مني ابن آدم ثلثي دينه وقال صلى الله عليه وسلم مسكين مسكين رجل ليست له زوجة مسكينة مسكينة امراة ليس لها زوج قالوا يا رسول الله وان كانت غنية من المال قال وان كانت غنية من المال وقال شراركم عزابكم وقال صلى الله عليه وسلم اربعة يلعنهم الله من فوق عرشه رجل يحصر نفسه عن النساء ولا يتزوج وهو يقدر على ذلك ولا يتزوج خشية ان يولد له ورجل يتشبه بالنساء وامراة تتشبه بالرجال ورجل يهزا بالمساكين يقول لهم تعالوا حتى اعطيكم فاذا اتوه قال لهم ليس معي شيء ويقول للاعمى احذر البئر فليس قدامه شيء وروي ان رجلا يقال له عكاف بن وداعة الهلالي جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا عكاف الك زوجة قال لا قال ولا جارية قال لا قال وانت صحيح موسر قال نعم والحمد لله قال تزوج والا فانت من اخوان الشياطين اصنع ما يصنع المؤمنون فان من سنتنا النكاح شراركم عزابكم وما للشيطان سلاح ابلغ من النساء ويحك يا عكاف انهن صواحبات يوسف وصواحبات داود وصواحبات كرسف قالوا يا رسول الله ومن كرسف قال رجل كان يعبد الله على ساحل من سواحل البحر ثلثمائة عاما

يصوم النهار ويقوم الليل لا يفتر فقد رغب عنه أن كبر في العبادة بالله من تشبه امرأة عشقها وترك ما كان عليه من عبادة
ربه وندين له الله بعد ذلك مما سلف منه ويحكى أن عكاف تزوج فإنك من المدنيين قال تزوجني من نبيت بأمر رسول
الله فزوجه على امرأة يقال لها كريمة بنت كلثوم الحميري وعن عياض بن غنم الأشعري قال قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تزوجوا الأبكار فإنهن أعذب أفواها وأنتق أرحاما وابتغوا مودة وأرضى باليسير
وإذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها فإن الشعر أحد الجمالين وقال
صلى الله عليه وسلم تزوجوا الزرق فإن فيهن يمنا أي سعادة وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أعظم النساء بركة أصبحهن وجها وأقلهن مهرا وقال صلى الله عليه وسلم أعلنوا النكاح واضربوا
عليه بالدف وليولم أحدكم عليه ولو بشاة وعن معاذ بن جبل قال حضرت ملاك رجل من الأنصار مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخطب النبي صلى الله عليه وسلم وأملك الأنصاري ثم قال له على الألفة والخير والطير
الميمون فحلوا سلمان فيها فاكهة وسكر فلم ينتهبوه فقال صلى الله عليه وسلم ألا تنتهبون قالوا يا رسول
الله أليس قد نهيتنا عن النهبة يوم كذا وكذا فقال إنما نهيتكم عن نهبة العساكر ولم أنهكم عن نهبة الولائم بوركوا
ألا فانتهبوا وقال صلى الله عليه وسلم مشى الأملاك فإنه أفضل في اليمن وأعظم في البركة وعن عائشة رضي
الله عنها قالت كان عندي جارية من الأنصار في حجري فزوجتها فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فلم يسمع غناء
فقال يا عائشة ألا تغنون عليها فإن هذا الحي من الأنصار يحبون الغناء قوله تعالى إن يكونوا فقراء يغنهم
الله من فضله قال صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العزوبة
فقال عليك بالباءة وقال عمر رضي الله عنه ابتغوا الغنى في النكاح والله تعالى يقول إن يكونوا فقراء يغنهم
الله من فضله إن الله واسع عليم أي واسع بخلقه عليم بهم قوله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون
نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله أي ليطلب الذين لا يجدون نكاحا العفة عن الزنا والحرام والمعنى لا يجد
سعة للنكاح من مهر ولا نفقة ولا يجد شيئا يشتري به أمة فليستعفف عن الزنا حتى يجد ما يغنيه لذلك وفي
هذا بيان أنه لا عذر لأحد في السفاح قوله تعالى والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن
علمتم فيهم خيرا معناه الذين يطلبون الكتابة من عبيدكم وإمائكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم رشدا وصلاحا
وصدقا ووفاء وأمانة وقدرة على الكسب وهذا أمر استحباب في العبد الذي يقدر على الاكتساب ويرغب
في الكتابة فأما الذي لا يقدر على الكسب ولا يرغب في الكتابة فلا تكون في كتابته إلا قطع حوائجه في غيره من
غير نفع يرجع إليه ومعنى الكتابة أن يكاتب مملوكه على مال يسلمه إليه نجوما فيعتق بأدائه وإن كاتبت الكتابة
حالة جازت عند أبي حنيفة وأصحابه والشافعي لا يجوز إلا منجما وأقل نجمان فصاعدا قوله تعالى وآتوهم من
مال الله الذي آتاكم اختلفوا في معنى ذلك فروي عن علي رضي الله عنه أنه قال يحط عن المكاتب ربع
الكتابة وعن ابن عباس يحط عنه شيء وعن عبد الله بن بريدة الأنصاري أنه قال هذا خطاب للأئمة أن يسلموا إلى
المكاتبين ما فرض الله لهم في قوله تعالى وفي الرقاب وهذا أقرب إلى ظاهر الآية لأن الإيتاء في اللغة هو الإعطاء
دون الحط قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا قال ابن عباس نزلت هذه الآية
في عبد الله بن أبي بن سلول كانت له جوار حسان مسيكة وأميمة ومعاذة كان يكرههن على الزنا لتكسبه
بالفجور وكذلك كان أهل الجاهلية يصنعون فأتت الجواري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكون إليه ذلك
فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في ست جوار لعبد الله بن أبي بن سلول وهن معاذة ومسيكة وأميمة
وعمرة وقتيلة وأروى فجاءته إحداهن ذات يوم بدينار وجاءت أخرى ببرده فقال لهما ارجعا فازنيا وكان
يجبرهن على الزنا فلما جاء الإسلام قالت معاذة لمسيكة إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا بد لنا أن ندعه فقال

لهما عبد الله بن أبي بن سلول امضيا فازنيا فقالتا والله ما نفعل ذلك فقد جاء الله بالإسلام وحرم الزنا فمضتا
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا عليه فأنزل الله هذه الآية ومعناها ولا تكرهوا إماءكم على البغاء أي الزنا
لتبتغوا عرض الحياة الدنيا من كسبهن وأولادهن قوله تعالى إن أردن تحصنا يعني إن أردن تحصنا خرج الكلام
على وجه العادة لا على الشرط ونظيره قوله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ويجوز أن يكون معناه إن الكلام
قد تم عند قوله على البغاء ثم ابتدأ بالشرط فقال إن أردن تحصنا وجوابه محذوف تقديره إن أردن تحصنا فدعوهن
أحصن ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة اذهبي قالت إني حائض فقال صلى الله عليه وسلم وإن لم ترد عليه أراد
به إن كنت حائضا فلا بأس بذلك قوله تعالى إن أردن تحصنا أي إن أردن تعففا وتزوجا قوله تعالى
ومن يكرههن أي من يجبرهن على الزنا ولم تقدر المكرهة على الدفع عن نفسها بوجه من الوجوه إلا بالزنا وأصر
على السفاح حتى يقتلها كان أعظم لأجرها وإن تركت الدفع عن نفسها كان لها ذلك قوله تعالى فإن الله من بعد إكراههن
غفور رحيم أي غفور لمن تاب عن إكراههن على الزنا رحيم بهم قوله تعالى ولقد أنزلنا إليكم آيات
مبينات أي أنزلنا إليكم القرآن آيات ظاهرات واضحات يعلمون بها وقيل يعني بذلك ما ذكر في هذه السورة من الحلال
والحرام والحدود قوله تعالى ومثلا من الذين خلوا من قبلكم أي وأنزلنا فيها مثلا أي خبرا من خبر الذين مضوا من قبلكم
لتعتبروا وموعظة للمتقين عن الشرك والفواحش قوله تعالى الله نور السموات والأرض أي الله
هادي السموات وأهل الأرض بالآيات المبينات لا هادي فيهما غيره فبنوره الخلق يهتدون وبهداه من الضلالة ينجون
ولا يهتدي ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا بهداه وقال الضحاك معناه الله منور السموات والأرض وقال مجاهد
معناه الله مدبر الأمور في السموات والأرض وقال الحسن وأبو العالية الله مزين السموات والأرض يعني مزين
السموات بالشمس والقمر والنجوم ومزين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح قال ابن عباس مثل نوره الذي أعطاه المؤمنين وقال السدي مثل نوره الذي في قلب المؤمن وقال أبي
مثل نور من آمن به قوله تعالى كمشكاة فيها مصباح المشكاة في لغة الحبشة كوة غير نافذة والمصباح هو السراج
في القنديل من الزجاجة الصافية وقيل المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وقال مجاهد هي القنديل وقال المصباح
النور في الزجاج وضوء النار أبين منه في كل شيء وضوءه يزيد في الزجاج ويتضاعف حتى يظهر منه ما يقابله مثله
قوله تعالى فيها مصباح أي سراج وأصله من الضوء ومنه ذكا الصبح ورجل صبيح الوجه إذا كان وضيئا وفرق بين
المصباح والسراج فقالوا المصباح دون السراج والسراج أعظم من المصباح لأن الله تعالى سمى الشمس سراجا
وقال في غيرها من الكواكب ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ثم وصف الله الزجاجة التي فيها المصباح فقال تعالى
الزجاجة كأنها كوكب دري شبه القنديل الذي يكون فيه السراج بالكوكب الدري وهو النجم المضيء وقيل
من كبارها قوله تعالى دري نسبة إلى أنه كالدر في صفائه وحسنه كأن الكوكب منه يتضاء قرأ أبو عمرو
والكسائي دريء بكسر الدال مهموزا ممدودا وهو فعيل من الدرء بمعنى الدفع تقول درأ أي تدرأ إذا دفع فكأنه
من تلألئه يدفع أبصار الناظرين إليه ويقال كأنه يرجم به الشياطين فدراهم أي يدفعهم بسرعة في الانقضاض
وذلك أضوأ ما يكون وقرأ حمزة وأبو بكر بضم الدال مهموزا ممدودا وقال أكثر النحاة وهو لحن لأنه ليس في
كلام العرب فعيل بضم الفاء وكسر العين وأنكره الفراء والزجاج وأبو العباس وقالوا هذا غلط لأنه ليس
في كلام العرب شيء على هذا الوزن وقرأ الباقون بضم الدال وتشديد الياء من غير همز ينسبونه إلى الدر في صفائه
وبهائه قوله تعالى يوقد من شجرة مباركة فيه أربع قراءات قرأ نافع وابن عامر بياء مضمومة يعنون
المصباح وقرأ حمزة والكسائي وخلف بتاء مضمومة يعنون الزجاجة وقرأ أبو عمرو توقد بالتاء وفتحها
وفتح الواو وتشديد القاف بمعنى الماضي وقرأ ابن محيصن بتاء مفتوحة وتشديد القاف مثل قراءة أبي عمرو إلا أنه رفع
الدال بمعنى الفعل المستقبل يعني يتوقد الزجاجة قوله تعالى من شجرة مباركة أي من زيت شجرة مباركة

بحذف المضاف وأراد بالشجرة المباركة شجرة الزيتون لكثرة بركتها ومنافعها وليس في الشجر شيء يورق غصنه من أوله إلى آخره
مثل الزيتون والرمان. قوله تعالى لا شرقية ولا غربية أي ليست تشرق عليها الشمس فقط من دون الغروب
عليها ولا غربية تغرب عليها فقط من دون أن تشرق عليها بل هي شرقية غربية تأخذ حظها من الأمرين جميعا
لا يظلها جبل ولا شجر ولا كهف وأحرى أن تكون على تل من الأرض تقع عليها الشمس في جميع النهار وإذا كانت على
هذه الصفة كان أنضر لها وأجود لزيتها وأنور لسراجها وأنضج لثمرها وقال الحسن أراد بهذا شجرة في الجنة لأن شجر
الجنة لا تخلو إما أن تكون شرقية أو غربية وسميت شجرة الزيتون مباركة لأنها كثيرة البركة والمنافع لأن الزيت
يسرج به وهو إدام ودهان ويوقد بحطبها ويدبغ بها ويغسل برمادها الإبريسم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال ائتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة. قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار أي يكاد زيت هذه الشجرة ودهنها يتلألأ ويشرق من قبل أن تمسه النار من صفائه وإن لم تمسه نار
توقد فكيف إذا استصبح به قال المفسرون وهذا مثل المؤمن فالمشكاة والمصباح هو الإيمان والقرآن والزجاجة
صدر المؤمن ومعنى قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار أي يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه
العلم فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى وقيل المشكاة نفسه والزجاجة صدره والمصباح الإيمان والقرآن
في قلبه توقد من شجرة مباركة وهي الإخلاص. قوله تعالى نور على نور يريد به نور السراج ونور الدهن
ونور الكوكب كما أن الزيت والسراج والزجاج والكوكب نور على نور في مشكاة لا منفذ لشعاع السراج
فيها فكذلك الإيمان في قلب المؤمن نور على نور فإن المعرفة في قلبه نور وصدره نور وسمعه نور وبصره نور
وكلامه نور وعمله نور إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر وإذا قال صدق وإذا حكم عدل فهو يتقلب في خمسة أنوار
ويصير يوم القيامة إلى النور كما قال تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وقيل هذا مثل ضربه الله لنبيه
صلى الله عليه وسلم والمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة وهي شجرة النبوة
يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم يضيء أي يتبين للناس ولو لم يتكلم به كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار
وقال ابن عمر في هذه الآية المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله
فيه لا شرقية ولا غربية أي لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة يعني بالشجرة إبراهيم الخليل عليه السلام
نور على نور يعني النور الذي جعل في إبراهيم والنور الذي جعل في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب المشكاة
إبراهيم والزجاجة إسمعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم سماه الله مصباحا كما سماه سراجا فقال عز وجل
وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وقوله تعالى توقد من شجرة مباركة يعني بالشجرة إبراهيم الخليل عليه السلام
سماه مباركا لأن أكثر الأنبياء كانوا من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني أن إبراهيم عليه السلام لم يكن يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما وإنما قال ذلك لأن النصارى يصلون قبل المشرق واليهود قبل المغرب. قوله تعالى يكاد
زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يعني تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل أن يوحى إليه. قوله تعالى
نور على نور أي نبي من نسل نبي وقال الضحاك يعني بالمشكاة عبد المطلب شبهه بها ويعني بالزجاجة عبد الله
والمصباح النبي صلى الله عليه وسلم كانا في صلبهما فورثا النبوة من الشجرة المباركة وهي إبراهيم توقد من شجرة مباركة
لا شرقية ولا غربية بل هي مكة في وسط الدنيا ووصف بعض الفصحاء هذه الشجرة فقال هي شجرة الرضوان وشجرة
الهدى والإيمان أصلها نبوة وفرعها مروة وأغصانها تنزيل وورقها تأويل وخدمها جبريل وميكائيل وقيل
إنما شبه الله قلب المؤمن بالزجاجة لأن ما في الزجاجة يرى من خارجها فكذلك ما في القلوب يتبين على
الأعمال الدالة وقيل لأن الزجاجة تنكسر بأدنى شيء فكذلك القلب يفسد بأدنى آفة تحله. قوله تعالى
يهدي الله لنوره من يشاء أي يوفق الله للإسلام ويدله بأدلته من يشاء ليعرف فوائد ذلك ويزيد يقينهم. قوله تعالى
ويضرب الله الأمثال للناس أي يضرب الله الأشباه للناس في القرآن تقريبا للشيء الذي لا يدرك إلى أفهامهم

وتسهيل السبيل للإدراك على الأنام كما شبه المعرفة في قلب المؤمن بالمصباح في الزجاجة. قوله تعالى والله
بكل شيء عليم أي عالم بكل شيء من مصالح عباده. قوله تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع يعني ذلك المصباح
في بيوت وقيل معناه توقد في بيوت وهي المساجد أذن الله في رفعها يعني في بنيانها كما قال تعالى وإذ يرفع
إبراهيم القواعد من البيت ويستدل في هذه الآية أنه لا يؤذن في رفع شيء من الأبنية فوق الحاجة إلا المساجد
التي يصلي فيها المؤمنون ويبتغى تنويرها قبلها العابدون وقال الحسن معنى قوله أذن الله أن ترفع
أي تعظم وتصان عن الأنجاس واللغو من الأقوال والأفعال وعن الكلام بالخنا ويذكر فيها اسمه وفي الحديث عن
النبي صلى الله عليه وسلم جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وبيعكم وشراءكم وسل سيوفكم وإقامة حدودكم
وجمروها في الجمع واجعلوا على أبوابها المطاهر قال ابن عباس المساجد بيوت الله عز وجل في الأرض تضيء لأهل
السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض. قوله تعالى ويذكر فيها اسمه أي ويذكر في المساجد اسم الله تعالى
وتوحيده. قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال أي تصلي لله تعالى في تلك البيوت الصلوة
المفروضة بالغدو أي صلوة الغداة. قوله تعالى والآصال يعني العشيات وهو جمع أصل ما بين العصر إلى الليل وسميت
الصلوة تسبيحا لاختصاصها بالتسبيح وقرأ ابن عامر يسبح بنصب الباء على ما لم يسم فاعله ثم فسر من يصلي فقال رجال كأنه
قيل من يسبح فقيل رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أي لا تشغلهم تجارة ولا بيع عن طاعة الله وعن إقامة
الصلوة في تلك البيوت وعن إيتاء الزكوة قال الفراء التجارة لأهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يديه وخص قوم التجارة
هنا بالشراء لذكر البيع بعدها والمعنى لا يمنعهم ذلك عن حضور المساجد لإقامة الصلوة وإتمامها وإذا حضر وقت الصلوة
لم يحبسوها عن وقتها. قوله تعالى يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار أي يفعلون ذلك خوفا من يوم
تتقلب فيه القلوب وتدور حدق العيون حالا بعد حال من الفزع والخوف ليجزيهم الله أحسن ما عملوا
في دار الدنيا ويزيدهم من فضله بغير استحقاق والله يرزق من يشاء بغير حساب أي بغير حصر ولا نهاية.
قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا معناه أن
أعمال الكفار قد احبطت لكفرهم كسراب بأرض مستوية ملساء يظنه العطشان ماء يرجو به النجاة حتى إذا جاء الذي
كان يرجو فيه لم يجد ما أمل لأن أرضا بيضاء لا ماء فيها يبس وكذلك الكافر في عمله يرجو الأجر عن عمله الذي
كان يعتقده برا يستطيع عنه طمعه عند شدة حاجته إليه لم يجد ذلك بل العقاب كما قال تعالى ووجد الله
عنده أي عند عمله يعني قدم على الله فوفاه حسابه أي جازاه بعمله والسراب هو الشعاع الذي يرى أي
للعين وقت الهاجرة في الفلوات يرى من بعيد كأنه ماء وليس بماء والقيعة جمع قاع نحو جار وجيرة وهو ما انبسط
من الأرض وفيه يكون السراب وقيل معناه أن الكافر يحسب أن عمله يغني عنه أو ينفعه فإذا أتاه الموت واحتاج
إلى عمله لم يجده شيئا أي لا ينفعه شيئا ووجد الله عنده بالمرصاد عند ذلك فوفاه جزاء عمله والله سريع الحساب
أي حسابه سريع كلمح البصر أو أقل لأنه تعالى لا يتكلم بالوحي ولا يشغله سمع عن سمع وسئل علي رضي الله عنه كيف
يحاسبهم في حالة واحدة فقال كما يرزقهم في حالة واحدة. قوله تعالى أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من
فوقه موج هذا تمثيل في المثل والمعنى أن مثل أعمال الكفار أيضا في الدنيا ومثل قلوبهم لحبهم الدنيا كمثل ظلمات
في بحر لجي أي عميق كثير الماء يعلوه موج ومن فوق ذلك الموج الأعلى سحاب وهذا على حد الكلام ثم ابتدأ قوله تعالى
ظلمات بعضها فوق بعض أراد به ظلمة البحر وظلمة الموج الأدنى وظلمة الموج الأعلى وظلمة السحاب وظلمة
الليل قال المفسرون أراد بالظلمات أعمال الكافر وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الرين
والختم والطبع على قلبه قال أبي بن كعب في هذه الآية الكافر يتقلب في خمس من الظلم فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة
ومخرجه ظلمة وقلبه ظلمة ومصيره يوم القيامة إلى ظلمة كما قال تعالى ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا. قوله تعالى
إذا أخرج يده لم يكد يراها أي إذا أخرج يده من هذه الظلمات لم يرها ولم يقارب أن يراها

من شدة الظلمات فكذلك الكافر لا يبصر الحق والهدى و قوله تعالى **ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور**
أي من لم يهد الله فما له من إيمان ومن لم يجعل الله له نورا في الدنيا فما له من نور وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال إن الله خلقني من نوره وخلق أبا بكر من نوري وخلق عمر وعائشة من نور أبي بكر وخلق المؤمنين
من أمتي من نور عمر وخلق المؤمنات من أمتي من نور عائشة فمن لم يحبني ويحب أبا بكر وعمر وعائشة فما له من نور
نزل الله عليه ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قوله تعالى **ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض
والطير صافات** معناه ألم تعلم أن الله تسبحه أي تنزهه من في السموات والأرض من العقلاء وغيرهم وكني
عن الجميع بكلمة من تغليبا للعقلاء على غيرهم وقال أراد بالآية العقلاء وهذا عموم أريد به الخصوص في أهل الأرض
وهم المؤمنون قوله تعالى والطير صافات أي وتسبح له الطير باسطات أجنحتها في الهواء والصف في اللغة هو البسط
وسمي العدد صفا لأنه يبسط وخص الطير بالذكر من جملة الحيوان لأنها تكون بين السماء والأرض فهي خارجة عن
جملة من في السموات والأرض قوله تعالى **كل قد علم صلوته وتسبيحه** أي كل من هو قد علم صلوته وتسبيحه
قال المفسرون الصلوة لبني آدم والتسبيح عام لما سواهم من الخلق وفيه وجوه من التأويل أحدها كل مصل ومسبح قد
علم الله صلوته وتسبيحه والثاني أن معناه كل مصل ومسبح قد علم صلوة نفسه وتسبيح نفسه والثالث قد علم كل منهم
تسبيح الله وصلوته **والله عليم بما يفعلون** من الطاعة وغيرها و قوله تعالى **ولله ملك السموات والأرض**
أي له تعالى تدبيرهما وتصرف خلقهما **وإلى الله المصير** قوله تعالى **ألم تر أن الله يزجي سحابا** أي
يسوقه سوقا رفيقا قطعا قطعا **ثم يؤلف بينه** أي يجمع بين قطع السحاب المتفرقة والسحاب جمع واحده سحابة
والتأليف ضم بعضه إلى بعض حتى يجعل قطعة واحدة قوله تعالى **ثم يجعله ركاما** أي ركاما بعضه فوق بعض
فترى الودق يخرج من خلاله أي فترى المطر يخرج من وسطه وأثنائه والخلال جمع الخلل مثل الجبال والجبل والذي
الودق المطر كله شديده وهينه وخلال السحاب مخارج القطر منه وقرأ ابن عباس والضحاك من خلله قوله تعالى **وينزل
من السماء من جبال فيها من برد** أي من جبال في السماء وتلك الجبال من برد قال ابن عباس أخبر الله أن في السماء جبالا
من برد ومفعول الإنزال محذوف تقديره وينزل من السماء بردا من جبال برد فيها واستغنى عن ذكر المفعول للدلالة عليه
ومن الأولى لابتداء الغاية لأن ابتداء الإنزال من السماء والثانية للتبعيض لأن ما ينزله الله بعض تلك الجبال والثالثة للتبيين
لجنس تلك الجبال البرد كما تقول خاتم من حديد وكان عمر رضي الله عنه يقول جبال السماء أكثر من جبال الأرض قوله تعالى
فيصيب به من يشاء أي يصيب بالبرد من يشاء فيهلكه ويهلك زرعه **ويصرفه عمن يشاء** فلا يضره في زرعه وثمره
قوله تعالى **يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار** أي يكاد ضوء برق السحاب يذهب بالأبصار من شدة ضوئه وبريقه ولمعانه
لمن ينظر إلى البرق وخيف عليه ذهاب البصر وقرأ أبو جعفر يذهب بالأبصار بضم الياء وكسر الهاء قوله تعالى **يقلب الله الليل
والنهار** أي يقلبهما في الذهاب والمجيء والزيادة والنقصان **إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار** أي في ذلك التقليب
وفيما ذكر عبرة لذوي العقول من الناس يقال فلان صاحب بصر أي صاحب عقل قوله تعالى **والله خلق كل دابة من
ماء** أي من النطفة من ماء الذكر والأنثى والخلق من الماء أعجب لأنه ليس شيء أشد طوعا من الماء ولأن الماء لكل
إنسان كسيد ولا أن يبني عليه ولا يتخذ منه شيء والجن والله خلق كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا تدخل الجن والملائكة
في هذا لأنا لا نشاهدهم قوله تعالى **فمنهم من يمشي على بطنه** كالحيات والهوام والحيتان ونحوها وإنما قال فمنهم من
تغليبا للعقلاء ولو كان لما لا يعقل لقال فمنهم ما يمشي على بطنه **ومنهم من يمشي على رجلين** كالإنسان والطير
ومنهم من يمشي على أربع كالبهائم والسباع والدواب لأن كل حيوان هو مميز أو غيره قوله تعالى **يخلق الله ما يشاء
إن الله على كل شيء قدير** ظاهر المعنى وقرأ الكوفيون غير عاصم والله خالق كل الأنام قوله تعالى **لقد أنزلنا
آيات مبينات** يعني القرآن هو المبين للهدى والأحكام **والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** أي يرشد
من يشاء إلى دين الإسلام الذي هو دين الله وطريق رضاه وجنته قوله تعالى **ويقولون آمنا بالله وبالرسول**

وأطعنا

وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك يعني المنافقين يقولون صدقنا بتوحيد الله وبالرسول محمد صلى
الله عليه وسلم وأطعناهما فيما حكما **ثم يتولى فريق منهم** أي ثم يعرض طائفة منهم **من بعد ذلك** أي من بعد
قولهم آمنا **وما أولئك بالمؤمنين** الذين أعرضوا عن حكم الله ورسوله قوله تعالى **وإذا دعوا إلى الله ورسوله
ليحكم بينهم** معناه إذا دعوا إلى كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم الرسول فيما اختصموا **إذا فريق منهم معرضون**
عن المدعو إليه نزلت هذه الآيات في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض فجعل اليهودي يجره إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول إن محمدا يحيف علينا فذلك قوله
تعالى وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون عن الكتاب والسنة قوله تعالى **وإن يكن
لهم الحق يأتوا إليه مذعنين** معناه وإن يكن لهم القضاء على غيرهم يأتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم مسرعين مطيعين
منقادين لحكمه والإذعان الإقرار بالحق مع الانقياد له وقال الزجاج الإذعان الإسراع مع الطاعة قوله تعالى **أفي
قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله** لفظه لفظ الاستفهام ومعناه التوبيخ
وذلك أشد ما يكون في الذم كما جاء في المبالغة في المدح • ألستم خير من ركب المطايا • وأندى العالمين بطون راح
يعني أنهم كذلك قوله تعالى **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا
وأطعنا** نصب قول على خبر كان واسمها أن يقولوا سمعنا وأطعنا وذلك أن عليا رضي الله عنه باع من عثمان رضي
الله عنه أرضا بالمدينة لا ينالها الماء فجاء قوم عثمان فندموا عثمان على ما صنع وقالوا لم تذهب في خصومتك مع علي
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يحكم له فلم يقبل عثمان وتحاكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لعلي رضي
الله عنه فأبى قوم عثمان أن يرضوا بقضائه فقال عثمان رضي الله عنه سمعنا وأطعنا أي سمعنا قولك وأطعنا أمرك
فرضينا بحكمك وقضائك وإن كان ذلك فيما يكرهونه ويضر بهم و قوله تعالى **وأولئك هم المفلحون** يعني الراضين
بقضاء الله ورسوله فلما نزلت هذه الآية أقبل عثمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والله لئن شئت
لأخرجن من أرضي كلها التي أملكها وأدفعها إليه فأنزل الله تعالى **ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه
فأولئك هم الفائزون • وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن** معناه ومن يطع الله ورسوله فيما ساءه
وسره ويخش الله فيما مضى من ذنوبه ويتق الله فيما بعد فلم يعص الله فأولئك هم الفائزون برضا الله وجنته وقوله تعالى
وأقسموا بالله جهد أيمانهم أي حلفوا بالله وبالغوا في القسم لئن أمرتهم ليخرجن من أموالهم كلها ليفعلن **قل لا تقسموا**
أي لا تحلفوا وتم الكلام ها هنا ثم قال **طاعة معروفة** أي هذا القول منكم يعني القسم طاعة حسنة وقال
بعضهم هذه الآية نزلت في المنافقين كانوا يحلفون لئن أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج إلى الجهاد ليخرجن
وتم بقي في بيتهم الخروج فقيل لهم لا تقسموا طاعة معروفة أمثل من قسمكم بما لا تصدقون و قوله تعالى **والله خبير
بما تعملون** يعني عليم بما تعملون من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل و قوله تعالى **قل أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول** ظاهر المعنى قوله تعالى **فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم** أي فإن أعرضوا عن طاعة
الله وطاعة رسوله فإن ما على الرسول ما حمل من التبليغ وأداء الرسالة وعليكم ما حملتم من الطاعة **وإن تطيعوه
تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين** أي ليس عليه إلا أن يبلغ ويبين لكم قوله تعالى **وعد الله
الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض** نزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم أقاموا في مكة سنين قبل الهجرة لا يمكنهم إظهار الإسلام ولما أذن لهم في القتال وكذلك أخذ ما هاجروا إلى المدينة
وآواهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون إلا مع السلاح ويصبحون إلا فيه فجاء رجل إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أهكذا حالنا أبدا فأنزل الله هذه الآية وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الأرض أي ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم **كما استخلف** بني إسرائيل بأرض مصر والشام بعد إهلاك
الجبابرة بأن أورثهم أرضهم وديارهم وجعلهم ملوكا و قوله تعالى **وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم**

أي وليوسع لهم البلاد حتى يملكوها وتظهر دينهم على جميع الأديان وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا و قوله تعالى
يعبدونني لا يشركون بي شيئا يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال أي لا يفعلن ذلك في حال عبادتهم قوله تعالى
ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون و قوله تعالى وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول
لعلكم ترحمون ظاهر المراد قوله تعالى لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض أي لا تحسبن كفار
مكة يا محمد فائتين من عذاب الله أو يفوتوننا هربا فقدرة الله محيطة بهم ومأواهم النار ولبئس المصير
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات
أي ليستأذنكم في الدخول عليكم عبيدكم وإماؤكم والذين لم يبلغوا الحلم من الأحرار في الدخول
عليكم في ثلثة أوقات من الليل والنهار يكون الغالب فيها كشف العورة ثم بين الأوقات الثلثة قوله تعالى من قبل
صلوة الفجر أي وقت القيام من المضاجع والتهيئ للصلوة بالطهارة وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة
وهو وقت القيلولة ومن بعد صلوة العشا أراد به العشا الآخرة وهذه الأوقات الثلثة ثلث عورات لكم
لأن الإنسان يضع ثيابه فيها في العادة ومن قرأ ثلث عورات بالرفع فمعناه هذه الأوقات الثلثة ثلث عورات لكم
ومن قرأ بالنصب جعله بدلا من قوله ثلث مرات قال السدي كان أناس من الصحابة يعجبهم أن يواقعوا نساءهم
في هذه الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا إلى الصلوة فأمرهم الله أن يأمروا الغلمان والمملوكين أن يستأذنوا في هذه الساعات
قوله تعالى ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن أي لا جناح عليكم ولا عليهم في أن لا يستأذنوا في غير هذه الأوقات
الثلثة يعني الخدم والغلمان والجناح الحرج بعدهن أي بعد مضي هذه الأوقات قوله تعالى طوافون عليكم
أي طوافون عليكم يدخلون ويخرجون ويذهبون ويجيئون ويترددون في أحوالهم وأشغالهم بغير إذن
ولا بأس أن يدخلوا في غير هذه الأوقات بغير إذن قال مقاتل معناه يطوف بعضكم وهم المماليك على بعض وهم الموالي
قوله تعالى كذلك يبين الله لكم الآيات أي هكذا يبين لكم الدلالات والأحكام في أمر الاستئذان والله عليم
بمصالح العباد حكيم فيما حكم من استئذان الخدم في هذه الأوقات الثلثة دون سائر الأوقات قوله تعالى وإذا بلغ
الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا معناه إذا بلغ الأطفال من أحراركم وعبيدكم فليستأذنوا في جميع الأوقات
وفي جميع الأحوال كما استأذن المذكورين من قبلهم على ما بين الله في كتابه يعني بقوله كما استأذن الذين من قبلهم الأحرار الكبار
الذين أمروا بالاستئذان على كل حال في قوله حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها فليس للعبد البالغ أن يدخل من غير
ولا للولد البالغ أن يدخل على أمه وعلى ذات محارمه في كل وقت إلا بإذن قوله تعالى والقواعد من النساء اللاتي
لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة معناه والقواعد من النسا
اللاتي قعدن عن الحيض من الكبر وهن العجائز اللاتي لا يردن النكاح لكبرهن فليس عليهن جناح في أن يضعن
ثيابهن يعني الجلابيب والرداء والقناع الذي فوق الخمار لا كل الثياب قوله تعالى غير متبرجات بزينة يعني التبرج
أن تظهر المرأة محاسنها من وجهها وجيدها والمعنى من غير أن يردن بوضع الجلباب أن ترى زينتهن قال مقاتل
أي لها أن تضع الجلباب تريد بذلك أن تظهر قلائدها وقرطها وما عليها من الزينة وقوله تعالى وأن يستعففن خير
لهن معناه وأن يستعففن ولا يضعن الجلباب والملاءة والقناع فهو خير لهن من أن يضعن والله سميع لمقالة
العباد عليم بأعمالهم يقال امرأة قاعد إذا قعدت عن الحيض فإذا قيل قاعدة فمعناها أراد به جالسة والجمع فيهما
قواعد قوله تعالى ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج وذلك أن المسلمين كانوا إذا
غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون إليهم المفاتيح ويقولون لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون
من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب عنا لقوله تعالى لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة
عن تراض منكم فنزلت هذه الآية رخصة لهم ومعناها نفي الحرج عن الزمنى في أكلهم من بيوت أقاربهم أو بيوت من
يدفع إليهم المفتاح إذا خرج للغزو وخلفه حفظا له لأنهم كانوا يتحرجون أن يأكلوا مما يحفظونه فأعلمهم

الله تعالى أنه لا حرج عليهم في ذلك وذهب الحسن إلى أن معنى الآية ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج
ولا على المريض حرج في ترك الخروج إلى الجهاد قوله تعالى ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أراد
بها بيوت أبنائهم ونسلهم وإنما أضاف بيوت الأبناء إليهم لأنهم من أنفسهم كما قال صلى الله عليه وسلم أنت ومالك
لأبيك ولهذا لم يقل الله تعالى بيوت أبنائكم قوله تعالى أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم ولم يقل أو بيوت أبنائكم فعلم أن
المراد بقوله ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أي بيوت أبنائكم وأزواجكم وبيت المرأة كبيت الزوج قوله تعالى
أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أخرج الكلام
على وفق العادة لأن الغالب من حال هؤلاء أنهم تطيب أنفسهم بذلك فجاز الأكل من بيوتهم بغير إذن للدلالة الحال
فأما إذا علم أن صاحب البيت لا تطيب نفسه بذلك لم يحل له أن يأكل شيئا من ذلك قوله تعالى أو ما ملكتم
مفاتحه يعني بيوت عبيدكم وإمائكم وذلك أن السيد يملك بيت عبده والمفاتح معناها الخزائن كقوله تعالى وعنده
مفاتح الغيب أي خزائن الغيب وقيل معناه المفاتيح التي تفتح بها الخزائن يعني بذلك الوكلاء والأمناء والعبيد الذين
يملكون أمر الخزائن ويكون مفاتيحها بأيديهم فليس عليهم في الأكل جناح إذا كان أكلا يسيرا مثل أن يأكل من ثمر حائط
يكون قيما عليه أو يشرب من لبن ماشية يكون قيما عليها وقال السدي الرجل يولي طعامه غيره فلا بأس أن يأكل
منه قوله تعالى أو صديقكم يعني صديقكم أن يأكل من طعامه وإنما أطلقه على عادة الصحابة رضي الله عنهم
كما روي في سبب نزول هذه الآية أن مالك بن زيد والحرث بن عمرو كانا صديقين فخرج الحارث غازيا وخلف مالكا في أهله
وحرثه فلما رجع من الغزو رأى مالكا مجهودا فقال له ما أصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي أن آكل من مالك فنزل
قوله تعالى أو صديقكم قوله تعالى ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا نزلت هذه الآية في بني كنانة
وهم حي من العرب كان الواحد منهم يجوع أياما ولا يأكل حتى يجد ضيفا فيأكل معه وإذا لم يجد أحدا لم يأكل شيئا
وربما كانت معه الإبل محفلة فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فأعلم الله تعالى أن الرجل منهم إذا أكل وحده
فلا إثم عليه ومعنى أشتاتا متفرقين ويستدل من هذه الآية أن للجماعة في السفر أن يخلطوا طعامهم فيأكلوا جميعا
أو يأكل كل واحد منهم من زاده ولا حرج عليهم في ذلك والغرض من هذه الآيات نفي الحرمة عن كل ما تطيب به الأنفس
وعن ابن عباس رضي الله عنه في سبب نزول هذه الآيات أن الله تعالى لما أنزل قوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل
إلا أن تكون تجارة تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنا والعميان والعرج وقالوا إن الله قد نهانا عن أكل
المال بالباطل والأعمى لا يبصر موضع الطيب من الطعام والأعرج لا يستطيع المزاحمة والمريض لا يستوفي حقه من
الطعام فأنزل الله هذه الآيات والمعنى ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض حرج وقال الضحاك كان العرجان
والعميان يتنزهون عن مؤاكلة الأصحاء لأن الناس يتقذرونهم ويكرهون مؤاكلتهم وكان أهل المدينة لا يخالطهم
في طعامهم أعمى ولا أعرج ولا مريض تقذرا فأنزل الله هذه الآيات قوله تعالى فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم
أي يسلم بعضكم على بعض وإنما قال على أنفسكم لأن المؤمنين كنفس واحدة وقيل هذا في دخول الرجل بيت نفسه والسلام
على أهله ومن في بيته قال قتادة إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه وإذا دخلت بيتا
ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ومن السنة إذا دخل الرجل بيت نفسه أن يسلم
على أهله فإنه يزداد بذلك بركة في بيته وأهله قال صلى الله عليه وسلم إذا دخلتم بيوتا فسلموا على أهلها
وإذا طعمتم طعاما فاذكروا اسم الله عليه فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته وإذا ذكر اسم الله على طعامه
قال لحزبه من الشياطين لا مبيت لكم ولا عشاء وإن لم يسلم حين يدخل بيته ولم يذكر اسم الله على طعامه قال الشيطا
ن لحزبه أدركتم العشاء والمبيت قوله تعالى تحية من عند الله أي افعلوا ذلك تحية من عند الله أمركم الله بها لكونها
فيها البركة والمغفرة والثواب كذلك يبين الله لكم الآيات أي هكذا يبين الله لكم الدلالات والأحكام
لعلكم تعقلون أي لكي تعقلوا قوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على

أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه في الآية تنبيه على المؤمنين إذا كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في أمر جامع
أي في أمر طاعة يجتمعون عليه نحو الجمعة وصلاة العيدين والجهاد وأشباه ذلك لم يذهبوا حتى يستأذنوه
قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج لحاجة أو
عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال النبي صلى الله عليه وسلم حيث يراه فيعرف أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم
قال مجاهد وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده قوله تعالى إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون
بالله ورسوله نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجوع من غزوة تبوك
إلى المدينة لعلة كانت به قوله تعالى فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم قيل إنه منسوخ
بقوله عفا الله عنك لم أذنت لهم قوله تعالى واستغفر لهم الله أي استغفر لهؤلاء المستأذنين إذا استأذنوك لعذرهم
إن الله غفور للناس رحيم بهم قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا أي ادعوه
بالخضوع والتعظيم وقولوا يا رسول الله ويا نبي الله في لين وتواضع وخفض صوت ولا تقولوا يا محمد ويا أبا القاسم كما يدعو
بعضكم بعضا باسمه قوله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا أراد به المنافقين كان النبي صلى الله
عليه وسلم إذا خطب الناس يوم الجمعة عابهم في خطبته فيما أنزل فإذا سمعوا ذلك نظروا يمينا وشمالا فإن لم يبصرهم
أحد تسللوا وإن أبصرهم أحد قاموا لم يخرجوا من المسجد يتسللون والتسلل الخروج في خفية واللواذ أن يستتر
بعضهم ببعض حين يخرج لئلا يراه ويقال لاذت بفلان ملاوذة ولواذا قال ابن عباس هو أن يلوذ بغيره فيهرب من المسجد
بغير استئذان قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم أي ليحذر
الذين يعرضون عن أمر الله ويخالفون في أمره أن تصيبهم فتنة أي بلية أو يصيبهم عذاب أليم في الآخرة قوله تعالى ألا
إن لله ما في السموات والأرض أي له كل ذلك ملكا وقدرة وإحاطة قد يعلم ما أنتم عليه أي قد يعلم ما يبديه
كل منكم وما يخفيه قوله تعالى ويوم يرجعون إليه معناه يعلم ما أنتم عليه من الإيمان والنفاق ويعلم يوم يرجعون
إليه يعني حتى يعلم يوم يبعثون متى هو فينبئهم به بما عملوا أي يخبرهم ويجازيهم بما عملوا في دار الدنيا والله
بكل شيء عليم من أعمال العباد وغير ذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة النور أعطي
من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة

سورة الفرقان سبع وسبعون آية

وهي ثلثة آلاف وسبعمائة وثلثة وثلثون حرفا وألف ومائتان واثنان وتسعون كلمة وسبعة وسبعون آية قال
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان دخل الجنة بغير حساب

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده أي تعظمت وكثرت بركاته والبركة هي الخير الكثير وقيل معناه تبارك
أي تعالى قوله تعالى الذي نزل الفرقان على عبده أي الذي أنزل جبريل القرآن على عبده محمد صلى الله عليه وسلم
ليكون للعالمين نذيرا أي معلما موضع المخافة والفرقان هو البيان الذي تعرف به بين الحق والباطل [illegible]
عن القبائح وتدعو إلى المحاسن وعنى بالعالمين الجن والإنس قوله تعالى الذي له ملك السموات والأرض أي له
خزائن السموات والأرض والقدرة على أهلها ولم يتخذ ولدا كما قالت اليهود والنصارى والمشركون ولم يكن
له شريك في الملك فيعاونه على ملكه وخلق كل شيء فقدره تقديرا أي قدر طوله وعرضه ولونه ورزقه
وأجله قوله تعالى واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون معناه واتخذ كفار مكة من دون
الله آلهة يعبدونها وهي الأصنام لا يقدرون أن يخلقوا شيئا وهم يخلقون ما من شيء يكون منها من ذهب أو فضة
أو صفر أو خشب إلا والله خالقها ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا أي لا تملك الأصنام لأنفسها دفع ضر

ولا جر نفع لأنها جماد لا قدرة لها ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا أي لا يملكون أن يميتوا أحدا ولا أن يحيوا أحدا
ولا يملكون بعثا للأموات فكيف تعبدون ما لا تقدر على أن تفعل شيئا من هذا وتتركون عبادة ربهم الذي يملك ذلك
كله كما قال تعالى الله يحيي الأموات فينشرهم أي أحياهم [illegible] قوله تعالى وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه
وأعانه عليه قوم آخرون أي قال الذين كفروا ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه وأعانه
على اختلاقه قوم آخرون من أهل الكتاب يعنون نفرا من اليهود وقيل [illegible] يسارا أبا فكيهة مولى لبني الحضرمي وعداسا
مولى لحويطب بن عبد العزى كانوا [illegible] يقرؤون التوراة قبل أن يسلموا فلما أسلموا رأوا التوراة تشبه القرآن
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر بهم ويتعاهدهم فمن ذلك قال الكفار إنه أعانه عليه قوم آخرون قوله تعالى فقد
جاؤا ظلما وزورا أي قال الكفار هذه المقالة شركا وكذبا زعموا أن القرآن ليس من الله والمعنى فقد جاؤا بظلم
وزور فيما قالوا فلما سقطت الباء أفضى إليه الفعل فنصبه والزور وضع الباطل في موضع الحق قوله تعالى
وقالوا أساطير الأولين أي قال النضر بن الحرث وأصحابه هذا القرآن أحاديث الأولين في دهرهم كما كتبها أحدكم
عن الأعاجم اكتتبها محمد أي استنسخها من [illegible] جبر ويسار فهي تملى عليه بكرة وأصيلا أي
أن تكتب له فهي تقرأ عليه غدوة وعشية ليحفظها قوله تعالى قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض
أي قل لهم يا محمد أنزل القرآن الذي يعلم السر في السموات والأرض لا يخفى عليه شيء فيهما إنه كان غفورا رحيما لمن
تاب وآمن رحيما بمن مات على التوبة قوله تعالى وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق
أي قال المشركون على وجه الذم والتعيير للنبي صلى الله عليه وسلم مال هذا الرسول يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في
الطرق كما نمشي لطلب المعيشة والمعنى أنه ليس بملك ولا ملك لأن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون والملوك لا يتسوقون
هلا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا شريكا في النبوة أو يلقى إليه كنز ينفق منه أو تكون له جنة يأكل من ثمارها
يعني بستانا يأكل من ثمره ومعنى قوله أو يلقى إليه كنز أي ينزل عليه ما ينفقه ولا يحتاج إلى طلب المعاش قوله تعالى
يأكل منها [illegible] أي يأكل هو من جنته وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا
أي وقال المشركون للمؤمنين ما تتبعون إلا رجلا مخدوعا مغلوبا على عقله قد سحر [illegible] قوله تعالى
انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا معناه انظر يا محمد كيف ضربوا لك الأمثال يعني مثلوه بالمسحور والمحتاج وقيل
معناه انظر كيف وصفوا لك الأشياء أنك ساحر وكاهن وكذاب وشاعر ومجنون فضلوا عن الصواب والهدى وأخطأوا في
التشبيه فلا يستطيعون سبيلا أي فلا يجدون طريقا إلى إلزام الحجة ولا مخرجا لأنفسهم بإتيان العذر في ترك
الإيمان به وذلك أنهم جعلوا معذرتهم في ذلك أشياء ليست بعذر أما أكل الطعام فإنه كان في الرسل قبله فلم يكن ذلك
عذرا في ترك الإيمان بهم ولو أنزل ملكا لكان يحتاج إلى أن ينزل من السماء ويتردد في الأرض لتبليغ الرسالة كما قال
تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولو دخل الملك شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم معاونا له في الإنذار لأدى
ذلك إلى استضعاف كل واحد منهما لأنه لا يكون كل واحد منهما قائما بنفسه في أداء الرسالة وأما الكنز فإنه
قد وجد مع كثير من الفراعنة ولم يوجب ذلك اتباعهم وعدم مع كثير من الأنبياء الذين أقر الخلق برسالتهم وكذلك
الجنات وإن الأنبياء صلوات الله عليهم إنما بعثوا لتزهيد الناس في الكنوز والجنات وترغيبهم في الآخرة فكيف
يجوز أن يمنعوا الناس عنه ويشتغلوا به هم قوله تعالى تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات
تجري من تحتها الأنهار قال ابن عباس في ذلك إن ملكا نزل من السماء فقال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله يخيرك
بين أن يعطيك خزائن كل شيء ومفاتيح كل شيء لم يعطها أحد قبلك ولا يعطيها أحدا بعدك من غير أن ينقصك
شيئا مما ادخر لك في الآخرة وبين أن يجمعها لك في الآخرة فقال صلى الله عليه وسلم بل يجمعها لي في الآخرة وقال
صلى الله عليه وسلم خيرني جبريل بين أن أكون نبيا ملكا وبين أن أكون نبيا عبدا فاخترت أن أكون نبيا
عبدا أشبع يوما وأجوع يوما أحمد الله إذا شبعت وأتضرع إليه إذا جعت وكان صلى الله عليه وسلم يأكل على

الأرض ويجلس جلسة العبد ويخصف النعل ويرقع الثوب ويركب الحمار العاري ويردف خلفه وكان قد أمات
ذكر الدنيا عن نفسه ويقول يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يعمل لدار الغرور ومعنى الآية تبارك
وتعالى إن شاء جعل لك خيرا مما قالوا في الدنيا جنات وقصورا وإن شاء جعل لك قصورا في الدنيا أي لو شاء
جعل لك أفضل من الكنز والبستان الذي ذكروا ويجعل لك جنات تجري من تحتها الأنهار ولكن في الدنيا لأنه قد شاء
أن يعطيه في الآخرة قوله تعالى **ويجعل لك قصورا** من قرأ بالجزم كان المعنى إن شاء جعل لك الجنات ويجعل لك
قصورا في الدنيا وإنما لم يجعل ذلك للحكمة التي أوجبت ذلك قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم ويجعل بالرفع على الاستئناف
يعني وسيجعل لك قصورا في الجنة في الآخرة والقصور هي البيوت المشيدة سمي القصر قصرا لأنه قصر أي منع من الوصول
إليه وعن ابن عباس لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاقة فقالوا ما لهذا الرسول يأكل
الطعام ويمشي في الأسواق وطلب المعاش حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فنزل جبريل عليه السلام
معزيا له فقال له يا رسول الله ربك يقرئك السلام ويقول وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون
الطعام ويمشون في الأسواق لطلب المعاش في الدنيا فبينما جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم يتحدثان إذ أقبل رضوان
خازن الجنان فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سفط من نور يتلألأ فقال يا رسول الله ربك يقرئك
السلام ويقول لك هذه مفاتيح خزائن الدنيا مع أنه لا ينقص لك حظك في الآخرة جناح بعوضة فنظر النبي صلى
الله عليه وسلم مستشيرا إلى جبريل فقال يا رضوان لا حاجة لي فيها الفقر أحب إلي وأن أكون عبدا صابرا شكورا
فرفع جبريل رأسه فإذا السموات قد فتحت أبوابها إلى العرش فأوحى الله تعالى إلى جنات عدن أن تدلي أغصانها فإذا
غرفة من زبرجد خضراء لها سبعون ألف باب من ياقوتة حمراء فقال جبريل يا محمد ارفع بصرك فرفع فرأى منازل الأنبياء
وغرفهم وإذا له منازل قد فضلت على الأنبياء دونهم وإذا مناد ينادي أرضيت يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم
قد رضيت قوله تعالى **بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا** معناه لا يستطيعون سبيلا إلى
إلزام الحجة وإثبات المعذرة ولكن كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بقيام الساعة نارا مستعرة **إذا رأتهم**
النار من مكان بعيد من مسيرة خمسمائة عام **سمعوا لها تغيظا وزفيرا** أي غليانا وتغيظا كتغيظ بني آدم وصوتا كالزئير وقيل
التهابها واضطرابها وإنما قال إذا رأتهم ولم يقل إذا رأوها على معنى أنها كأنها تراهم رؤية الغضبان الذي يزفر غيظا
تسمع لها الزفير وقيل لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر لوجهه قوله تعالى **وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا**
مقرنين دعوا هنالك ثبورا قال ابن عباس تضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح قال صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده إنهم يستكرهون كما يستكره الوتد في الحائط والمعنى إذا طرحوا في مكان ضيق من النار مقرنين أي مغللين
قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال وقيل معناه مقرنين بأقرانهم من الجن والإنس يقرن كل كافر مع شيطانه
وأهل الكتاب في الحياة لم إذا ألقوا في أعلى جهنم وتضايق عليهم كتضايق الزج في الرمح ثم يرجمون في ذلك المكان
الضيق ويغشاهم اللهب وتضربهم مقامع ملائكة العذاب فعند ذلك يدعون بالويل والثبور فيقال لهم
لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا فإن الثبور دائم لا ينقطع قوله تعالى **قل أذلك**
خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون أي قل أذلك السعير والعذاب خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون
وهذا على طريق التعجب والتبعيد لا على طريق الاستفهام لأنه ليس في السعير خير قوله تعالى **كانت لهم جزاء**
ومصيرا أي كانت الجنة للمتقين جزاء ومرجعا في الآخرة **لهم فيها ما يشاءون خالدين** أي لهم في الجنة الخلد
ما يشاءون **كان** ذلك الخلود **على ربك وعدا مسئولا** وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا حين قالوا ربنا
وآتنا ما وعدتنا على رسلك فقال الله تعالى كان إعطاء الله للمؤمنين جنة الخلد وعدا واجبا وذلك أن المسؤول
واجب وإن لم يسأل كالدين ونظيره قول العرب لأعطينك ألفا وعدا مسؤولا يعني أنه واجب لك فتسأله وقيل معنى
الوعد المسؤول أن الملائكة تسأل لهم ذلك في قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم قوله تعالى **ويوم**

وما يعبدون من دون الله يعني كفار مكة وسائر المشركين ممن كان يعبد غير الله يعني الذين يعبدون الملائكة
وعزيرا وعيسى والأصنام فيقول الله تعالى للكفار لم عبدتم غيري فيقولون إنهم أمرونا بعبادتهم
فيقول الله تعالى للملائكة ولعيسى وعزير على وجه التبكيت والتقريع للكفار **أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء**
حتى عبدوكم أو أنتم أمرتموهم بعبادتكم **أم هم ضلوا السبيل** وأخطأوا الطريق بهوى أنفسهم ونظير هذا قوله
تعالى وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قوله تعالى **قالوا**
سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء أي قالوا أنزهك ربنا أن نعبد غيرك وما ينبغي لنا
ولعابدينا أن نتخذ من دونك من أولياء فكيف جاز لنا أن نأمرهم بعبادتنا دونك **ولكن متعتهم وآباءهم**
حتى نسوا الذكر أي ولكن طولت أعمارهم ووسعت عليهم في الرزق وأمهلتهم في الكفر حتى عبدوا غيرك وتركوا
التوحيد والطاعة ونسوا القرآن **وكانوا قوما بورا** أي هلكى فاسدين القلوب والبوار هو الهلاك
والبائر الفاسد والأرض البائرة هي التي عطلت من الزراعة وقيل معناه وكانوا قوما بورا أي فاسدين هالكين
قد غلبهم الشقاء والخذلان ومنه بوار السلعة وهو إذا كسدت وفسدت قرأ أبو جعفر وابن كثير ويعقوب ويوم
نحشرهم بالياء وكذا في قوله تعالى وما كان ينبغي لنا أن نتخذ قرأ الحسن وأبو جعفر نتخذ بضم النون وفتح الخاء قوله تعالى
فقد كذبوكم بما تقولون أي فيقال للكفار حينئذ فقد كذبوكم بما تقولون أي كذبكم المعبودون بقولكم إنهم
آلهتكم شركاء الله ومن قرأ بما يقولون بالياء فالمعنى كذبوهم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من
أولياء قال عكرمة والضحاك والكلبي أذن الله للأصنام في الكلام وخاطبها فيقول أأنتم أضللتم عبادي
هؤلاء أم أمرتموهم بعبادتكم أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم
وآباءهم أي أطلت أعمارهم ووسعت عليهم الرزق حتى نسوا الذكر أي تركوا القرآن فلم يعملوا بما فيه وقيل حتى نسوا ما
أتاهم من التوحيد وكانوا قوما بورا فيقول الله للمشركين فقد كذبوكم بما تقولون قوله تعالى **فما يستطيعون**
صرفا ولا نصرا أي لا يقدرون على صرف العذاب عن أنفسهم ولا على نصر أنفسهم ودفع العذاب والبلاء الذي هم
فيه ولا أن ينتصروا من معبودهم قوله تعالى **ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا** أراد بالظلم الشرك أي ومن يشرك
بالله منكم نذقه في الآخرة عذابا شديدا قوله تعالى **وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون**
في الأسواق أي يأكلون كما تأكل أنت ويمشون وهذا احتجاج عليهم في قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام
ويمشي في الأسواق قوله تعالى **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة** أي بلية ابتلي الشريف بالوضيع والعربي بالمولى فإذا
أراد الشريف أن يسلم ورأى الوضيع قد أسلم قبله أنف وقال أسلم بعده فيكون له علي السابقة والفضل فيقيم
على كفره ويمتنع من الإسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وهذا قول الكلبي وقيل الفتنة ها هنا هي العداوة
التي كانت بينهم في الدين وما كان المؤمنون يلقون من أذى الكفار **أتصبرون** أيها المؤمنون على أذاهم
حتى تصلوا إلى ثواب الصابرين فإن بعضكم لبعض فتنة يقول الفقير لو شاء الله أغناني مثل فلان ويقول
السقيم لو شاء الله أصحني مثل فلان ويقول الأعمى لو شاء الله أبصرني مثل فلان **وكان ربك بصيرا** بالأغنياء
والفقراء وغيرهم أغنى من أوجبت الحكمة غناه وأفقر من أوجبت الحكمة فقره قوله تعالى **وقال الذين لا يرجون**
لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أي قال الذين لا يخافون البعث بعد الموت هلا أنزل علينا
الملائكة رسلا أو نرى ربنا فيخبرنا أنك رسوله قوله تعالى **لقد استكبروا في أنفسهم** أي لقد تعظموا في أنفسهم
حين سألوا من الآيات ما لم يسأله أحد قط **وعتوا عتوا كبيرا** حين قالوا أو نرى ربنا والعتو مجاوزة الحد
في الظلم وقيل العتو أشد الكفر والمعنى وجاوزوا الحد مجاوزة شديدة قوله تعالى **يوم يرون الملائكة**
لا بشرى يومئذ للمجرمين أعلم الله تعالى أن الوقت الذي يرون فيه الملائكة هو يوم القيامة وأن الله حرمهم
البشرى في ذلك اليوم فقال يوم يرون الملائكة يعني يوم القيامة لا بشرى يومئذ للمجرمين أي لا بشارة لهم بالجنة

والثواب ويقولون حجرا محجورا أي تقول الملائكة حراما محرما أن يدخل الله الجنة الا من قال لا اله الا الله
وقيل تقول الملائكة للمجرمين حجرا محجورا أي حراما محرما عليكم البشرى وقيل حراما عليكم الجنة وقيل يقول الكفار
الملائكة حرم عليكم سماع البشرى حراما محرما وكانت العرب اذا رأت رجلا منهم أن يخرج شيئا يظنه ممنوعا قال
حجرا محجورا ليعلم السائل بذلك أنه لا يريد أن يفعل والحجر في اللغة هو المنع ومنه الحجر على الصبي يقولون حجرا
محجورا من قول الكفار للملائكة أي قالوا للملائكة نعوذ بالله منكم وقال مجاهد يعني عوذا معاذا وعوذوا
يستعيذون من الملائكة قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أي عمدنا الى أعمالهم
التي عملوها في الدنيا التي كانوا يعتقدونها طاعة فجعلناه في الآخرة بمنزلة الهباء المنثور ما يقع في الكوة من شعاع الشمس
ينقبض القابض عليه ولا يحصل على شيء وقيل هو التراب الذي يسطع من حوافر الدواب ترى ولكن لا تقدر عليه وقال
ابن شميل الهباء المنثور الذي تطير الرياح كأنه دخان والمعنى فجعلناه باطلا لا ثواب له لأنهم لم يعملوه لله وانما
عملوه للشيطان قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا أي أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
من هؤلاء المشركين المتكبرين المفتخرين بأموالهم وأحسن موضعا عندنا للقيلولة من منازل الكفار قال ابن مسعود لا
ينتصف النهار يوم القيمة حتى يقيل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام قرأ
أبو عمرو والكوفيون بالتخفيف على الحذف والتخفيف هنا وفي سورة ق وقرأ الآخرون بالتشديد فيهما على تتشقق
السماء عن الغمام قالوا الباء وعن يتعاقبان يقال رميت بالقوس وعن القوس فمعنى الآية ويوم تتصدع السماء لنزول
الملائكة في الغمام الذي ذكره الله كما تقدم ذكره في قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة
وهو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة قوله تعالى ونزل الملائكة تنزيلا أي نزل أهل كل سماء على حدة منها الى
الأرض لإكرام المؤمنين واهانة الكفار وأهوال ذلك اليوم وقيل ان الغمام سحاب أبيض فوق السموات السبع كما
روي في الخبر أن دعوة المظلوم ترتفع فوق الغمام فعلى هذا يكون المعنى ويوم تشقق السموات السبع وتطوى الغمام
وقرأ ابن كثير وننزل الملائكة بنونين ونصب الملائكة قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن أي الملك الذي هو
الملك حقا ملك الرحمن يوم القيمة وكان يوما على الكافرين عسيرا أي عسر ذلك اليوم لشدته ومشقته وهون
على المؤمنين قوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه نزلت في عقبة بن أبي معيط كان أراد أن يؤمن فقال له
أبي بن خلف وكان صديقه انه صبأت يا عقبة لئن آمنت بمحمد لا كلمتك أبدا فاستمع من قوله حتى قتل يوم بدر كافرا وقيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بن خلف يوم أحد وقيل ان عقبة بن أبي معيط كان لا يقدم من سفر الا صنع
طعاما فدعى عليه أشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما
فدعا الناس ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال صلى الله عليه وسلم ما أنا بآكل من طعامك
حتى تشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأكل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان أبي بن خلف يومئذ غائبا فلما أخبر باسلام عقبة وكان صديقه قال له صبوت
يا عقبة فقال لا والله ما صبوت ولكن دخل علي رجل فأبى أن يأكل من طعامي الا أن أشهد
له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له وليس في نفسي ذلك فقال أبي بن خلف يا عقبة ما أنا بالذي
أرضى منك أبدا حتى تأتيه فتبزق في وجهه ففعل عقبة ذلك وقال الضحاك لما بزق عقبة في وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه فشعب شعبتين فأحرق خديه وكان أثر ذلك فيه حتى الموت وعن عطاء عن ابن عباس
قال كان أبي بن خلف يجالس النبي صلى الله عليه وسلم ويسمع كلامه من غير أن يؤمن به فلما أراد عقبة بن أبي معيط
أن يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم زجره أبي بن خلف وكان خليلا له فقال له وجهي من وجهك حرام أن تابعت محمدا
صلى الله عليه وسلم فلم يؤمن واتبع رضا أبي بن خلف فأنزل الله هذه الآية ويوم يعض الظالم على يديه يعني عقبة
بن أبي معيط يعض على يديه ندما وتحسرا وأسفا على ما فرط في جنب الله وقال عطاء يأكل يديه حتى تذهبا الى المرفقين

ثم تنبتان ولا يزال هكذا كلما نبتت يداه أكلهما ندامة على ما فعل فذلك في يوم القيمة ثم يقول على وجه التمني
يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا أي ليتني اتبعت الرسول وسلكت طريقه فأنجو طريق الهدى يا ويلتى
ليتني لم أتخذ فلانا خليلا يعني أبي بن خلف لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني أي لقد صرفني عن
القرآن بعد اذ دعاني محمد صلى الله عليه وسلم اليه وكان الشيطان للانسان خذولا ابتداء كلام أي كان
الشيطان للانسان كثير الخذلان يترك أمره في الآخرة قوله تعالى يا ليتني اتخذت قرأه أبو عمرو بفتح الياء ليتني اتخذت
وقال عقبة يوم بدر صبرا كافرا وحكم هذه الآية في كل متحابين اجتمعا على معصية الله وقد روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال مثل الجليس الصالح ومثل جليس السوء كمثل الكير ان لم يحرقك يعلق بك ريحه ودخانه وأنشد بعضهم
تجنب قرين السوء واصرم حباله • وان لم تجد عنه محيصا فداره • واحبب حبيب الصدق واحذر مراءه • تنل منه صفو الود ما
لم تماره • قوله تعالى وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا أي ويقول الرسول يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم يا رب ان قومي يعني قريشا اتخذوا هذا القرآن مهجورا هجروا تلاوته والعمل به وقالوا فيه غير الحق وزعموا
أنه سحر وشعر وقالوا أساطير الأولين وتركوا الايمان به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن ثم
علق مصحفا ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا
اقض بيني وبينه قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين أي كما جعلنا لك يا محمد أعداء من
مشركي قومك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين أي من يعاديه من قومه ولا يكبرن عليك ذلك ولا يشق عليك فان
الأنبياء قبلك قد كابدوا وكفى بربك هاديا لك وللخلق وناصرا لك على أعدائك وانتصب قوله هاديا على الحال
والتمييز قوله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم
لما تحداهم بالقرآن وأمرهم أن يأتوا بسورة مثله عجزوا عن ذلك فلزمتهم الحجة فجعلوا يطلبون الشبهة فقالوا لو
كان نبيا لما أنزل عليه القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة والانجيل والزبور والمعنى أن الكفار قالوا هلا أنزل
عليه القرآن جملة واحدة في وقت واحد كما أنزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود فبين
الله تعالى أن ذلك ليس بشبهة كما قال كذلك لنثبت به فؤادك أي كذلك أنزلناه متفرقا لنقوي به قلبك فتزداد
به بصيرة وتسهل عليك حفظه وضبطه لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقرأ ولا يكتب بخلاف موسى وعيسى
وقيل كان الله تعالى يعلم أن القوم يسألونه عن أشياء فيؤديه فأنزل الجواب عقيب السؤال ليكون أحسن
موقعا وادعى الى الانقياد وأبلغ في الزام الحجة قوله تعالى ورتلناه ترتيلا أي فرقناه تفريقا فيقال
رتل فلان كلامه اذا كان متفرقا غير منظوم … اذا كانت مفلجة ومنه قوله ورتل القرآن ترتيلا
أي فرق الحروف بعضها من بعض وقال ابن عباس وبيناه تبيينا وقال السدي فصلناه تفصيلا قوله تعالى
ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا أي لا يأتونك بشبهة الاحتجاج بها في ابطال أمرك الا جئناك
بالذي هو الحق والذي هو أحسن تفسيرا من مثلهم والمعنى لا يأتونك يعني المشركين بمثل ضربوه لك في ابطال أمرك
ومخاصمتك الا جئناك بالذي هو الحق لترد به خصومتهم وتبطل به كيدهم وأحسن تفسيرا مما أتوا به من المثل والتفسير
كشف المعنى المغطى قوله تعالى الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم قال مقاتل كفار مكة وذلك أنهم
قالوا ان محمدا وأصحابه شر خلق الله قوله تعالى أولئك شر مكانا وأضل سبيلا أي منزلا ومصيرا وأضل طريقا
من المؤمنين وقوله تعالى يحشرون على وجوههم الى جهنم أي يسحبون على وجوههم في النار وعن أنس أن رجلا
قال يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيمة قال أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادرا على أن
يمشيه على وجهه يوم القيمة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر يوم القيمة على
ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أقدامهم وصنف على وجوههم قوله تعالى ولقد آتينا موسى
الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا أي أعطيناه التوراة وجعلنا معه أخاه هرون معينا

يعينه على تبليغ الرسالة والوزير في اللغة هو الذي يرجع إلى رأيه والوزر ما يلتجأ إليه قوله تعالى فقلنا اذهبا
إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا يعني فرعون وقومه فاذ دعوهم إلى الايمان فعصيا ... فلم يجيبوا امرهم
فدمرناهم تدميرا أي اهلكناهم اهلاكا بما كان فيه عبرة لمن اعتبر قوله تعالى وقوم نوح لما كذبوا
الرسل أغرقناهم أي واذكر قوم نوح حين كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل فاغرقناهم بالطوفان
وجعلناهم للناس آية أي جعلنا اهلاكهم للناس عظة وعبرة ودلالة على قدرتنا واعتدنا للظالمين أي الكافرين عذابا أليما
في الآخرة سوى عذابهم في الدنيا قوله تعالى وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا أي واهلكنا
عادا وثمودا وأصحاب الرس قال قتادة الرس بئر باليمامة وقال السدي بانطاكية وبسببهم حنظلة وأما
أصحاب الرس فإنهم قتلوا نبيهم ورسوه في تلك البئر والرس البئر الواحد وقال مقاتل والسدي هم أصحاب
الرس والرس بئر قتلوا فيها حبيب النجار فنسبوا إليها وهم الذين ذكرهم في سورة يس وقيل هم أصحاب الاخدود
الذين حفروه وقال عكرمة هم قوم رسوا نبيهم أي دسوه في البئر وروي أن رجلا سأل علي بن أبي طالب
رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرس أين كانت منازلهم وبم أهلكوا ومن نبيهم فاني أجد
في كتاب الله ذكرهم ولا أجد خبرهم فقال علي رضي الله عنه لقد سألتني عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك
ولا يحدثك به أحد بعدي وكان من قصتهم أنهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر كان غرسها يافث بن نوح
على شفير عين جارية وانما سموا أصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم في الارض وذلك قبل سليمان بن داود وكانوا
اثنتي عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وكان ملكهم يسمى تركوذ بن غابور بن يارش
بن سارب بن نمرود بن كنعان وكان أعظم مدائنهم اسفنديار بها العين والصنوبر وهي شجرة عظيمة وكانوا
قد حرموا ماء العين وهي غزيرة الماء فلا يشربون منها ولا يسقون انعامهم ومن فعل ذلك منهم قتلوه ويقولون
هي حياة آلهتنا ولا ينبغي لاحد أن ينقص من حياتها وقد جعلوا في كل شهر عيدا يجتمع إليها أهل كل قرية ويضربون
على الشجرة ثيابا من حرير فيها من أنواع الصور ثم يأتون بشاة وبقر فيذبحونها قربانا للشجرة ثم يوقدون
النار ويشوون اللحم فإذا سطع الدخان والنار خروا سجدا يبكون ويتضرعون إليها أن ترضى عنهم وكان
الشيطان يجيء فيحرك أغصانها ويصيح في ساقها اني قد رضيت عنكم عبادي فطيبوا نفسا وقروا عينا فعند
ذلك يرفعون رؤوسهم من السجود ويضربون الدفوف ويشربون الخمور فلما طال كفرهم بعث الله إليهم رسولا
فلبث فيهم زمانا طويلا يدعوهم إلى عبادة الله تعالى فلما رأى تماديهم في الغي والضلالة قال يا رب
ان عبادك أبوا الا تكذيبي وعبدوا شجرة لا تنفع ولا تضر فايبس شجرهم فقال لهم ذلك وقالوا ان هذا الرجل
الذي زعم أنه رسول رب السماء والارض سحر آلهتكم فايبس شجرتكم وقالت طائفة بل غضبت آلهتكم
حين رأت هذا الرجل يعيبها ويدعوكم إلى عبادة غيرها فحجبت في غضب لكي تغضبوا لغضبها وتنتصروا
لها فاجتمع رأيهم على قتله فطرحوه في بئر ضيقة المدخل عميقة القعر وجعلوا على رأسها صخرة عظيمة وقالوا
انا نرجو أن ترضى عنا آلهتنا اذا رأت انا قد قتلنا من كان يعيبها ودفناه تحت كبيرها تتعوذ بها
ونورها وخضرتها كما كانت فبقوا عامة يومهم يسمعون أنين نبيهم عليه السلام وهو يقول يا رب
قد ترى ضيق مكاني وشدة كربي فارحم ضعفي وقلة حيلتي وعجل قبض روحي ولا تؤخر اجابة دعوتي
حتى مات من ساعته فقال الله تعالى لجبريل ان عبادي هؤلاء غرهم حلمي وأمنوا مكري وعبدوا غيري
وقتلوا رسولي فانا المنتقم ممن عصاني واني حلفت لاجعلنهم عبرة ونكالا فارسل الله عليهم ريحا عاصفا
سوداء فذعروا منها وانضم بعضهم إلى بعض ثم صارت الارض من تحتهم حجر كبريت واشتد عليهم حرها وبعث الله سحابة
سوداء فالقت عليهم كالقبة جمرا يلتهب فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار نعوذ بالله من غضبه قوله
تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا أي واهلكنا قرونا كثيرا بين عاد إلى أصحاب الرس ...

وقوله تعالى

وقوله تعالى وكلا ضربنا له الأمثال أي وكلا من هؤلاء بينا لهم ما يحتاجون إليه في أمر دينهم
فلم يجيبوا وكلا تبرنا تتبيرا أي أهلكناهم بالعذاب اهلاكا والتبار هو الهلاك وكل شيء كسرته وفتتته
فقد تبرته والمكسر من الذهب والفضة والزجاج تبر قوله تعالى ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم
يكونوا يرونها حين مروا في أسفارهم فيخافوا ويعتبروا بل كانوا لا يرجون نشورا أي كانوا لا يخافون البعث
والنشور أخبر الله تعالى أن الذي حملهم على التكذيب أنهم لا يصدقون بالبعث قوله تعالى وإذا رأوك إن
يتخذونك إلا هزوا أي وإذا رآك كفار مكة أبو جهل وأصحابه ان يتخذونك الا هزوا أي مهزوا به يستهزئون
بك ويقولون على وجه الاستهزاء أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا أي لقد
كاد أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا لولا أن صبرنا على عبادتها قال الله تعالى وسوف يعلمون حين يرون العذاب من
أضل سبيلا أي من أخطأ طريقا عن الهدى والدين والحجة هم أم المؤمنون قوله تعالى أرأيت من اتخذ إلهه هواه
أي أرأيت من عبد الاصنام بهوى نفسه يخاطب الله نبيه صلى الله عليه وسلم من نهاية جهلهم حتى عبدوا ما دعاهم إليه
الهوى فقال أرأيت من اتخذ إلهه هواه قال ابن عباس يعني أرأيت من ترك عبادة إلهه وخالقه ثم هوى حجرا
فعبده ما حاله عندي قال مقاتل وذلك أن الحارث بن قيس السهمي هوى حجرا فعبده وقال سعيد بن جبير كان
أهل الجاهلية يعبدون الحجر فاذا رأوا أحسن منه أخذوه وتركوا الأول قوله تعالى أفأنت تكون عليه وكيلا
أي كفيلا تحفظه من اتباع هواه وعبادة ما هوى أي لست كذلك انما بعثت داعيا لا حافظا قوله تعالى
أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون أي أتظن يا محمد أن أكثرهم يسمعون سماع تدبر وتفكر أو يعقلون
ما يعاينون من الحجج إن هم إلا كالأنعام يسمعون صوتا ولا يعقلون حقيقته وهذا مثل قوله تعالى
ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء قوله تعالى بل هم أضل سبيلا أي بل هم
أضل من الأنعام لان الانعام اذا زجرت انزجرت وهم لا ينزجرون ولان الانعام تفهم بعض ما تسمعه
وتهتدي على صفة ... وتنادي على صفته فتسير قوله تعالى ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء
لجعله ساكنا معناه ألم تر إلى صنع ربك كيف بسط الظل من وقت غروب الشمس إلى وقت طلوعها من
المشرق إلى المغرب وقيل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ولو شاء لجعل الظل ساكنا أي دائما لا يزول وأعلى أن لا
تطلع الشمس ثم جعلنا الشمس عليه دليلا على الظل ومعنى أنه لولا الشمس لما عرف الظل فان الظل يتبع
الشمس في طوله وقصره فاذا ارتفعت الشمس في أعلى ارتفاعها قصر الظل وذلك وقت صلاة الضحى إلى أن تبلغ الشمس
في الارتفاع منتهاها ثم ... عند الشمس ولا ينتقص الظل بعد ذلك بل يأخذ في الزيادة فيكون الوقت وقت الظهر
فما دامت الشمس تنحط يصير ظل كل شيء مثله أو مثليه على اختلاف المذاهب فيكون الوقت وقت العصر فما دامت
الشمس تنحط يصير الظل طويلا بحسب ذلك الانحطاط والظل تابع للشمس التي هي دليله ويقال معنى الآية جعلنا
الشمس مع الظل دليلا على توحيد الله وكمال قدرته قوله تعالى ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا أي اذا
طلعت الشمس قبض الله الظل قبضا خفيا أي سلطنا الشمس عليه حتى نسخته شيئا فشيئا ونقصته نقصا خفيا لا
يشعر به المشاهد قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا أي يستر كل شيء بظلمته كاللباس
الذي يستر البدن والنوم سباتا أي راحة لابدانكم يقال سبت اذا تمدد واستراح ومن ذلك يوم السبت
لان اليهود كانوا يستريحون فيه ويقطعون أعمال الدنيا والسبات قطع العمل وجعل النهار نشورا أي
ينتشر فيه لمعايشكم وحوائجكم والنشور ههنا بمعنى التفرق والانبساط في التصرف قوله تعالى وهو الذي
أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أي أرسل الرياح تنشر السحاب وتبسطه في السماء قدام المطر
وانما قيل في الرحمة رياح لانها تجمع الجنوب والشمال والصبا وقيل في العذاب ريح لانها واحدة وهي الدبور
وهو عقيم لا يلقح قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء طهورا يعني المطر هو طاهر ومطهر من الانجاس

والاخرات لنحيي به بلدة ميتا أي لنحيي بالمطر بلدة ليس فيها أشجار ولا ثمار ولا مرعى ونسقيه مما خلقنا
أنعاما وأناسي كثيرا أي نسقي بذلك المطر كثيرا من خلقنا من الانعام والاناسي جمع انسي مثل كرسي وكراسي
ويقال هو جمع انسان وأصله اناسين كما يقال بستان وبساتين وسرحان وسراحين قوله تعالى ولقد صرفناه
بينهم ليذكروا أي صرفنا المطر فقسمناه بينهم على ما توجبه الحكمة ليتذكروا نعم الله فيشكروها فأبى أكثر الناس
الا كفورا أي جحودا له كلما انزل المطر يقولون مطرنا بنوء كذا وعن ابن عباس انه قال ما عام بامطر من عام ولكن
الله تعالى يصرفه على من يشاء من عباده وقال صلى الله عليه وسلم ما سنة بامطر من أخرى ولكن اذا عمل قوم بالمعاصي حول
الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافي والبحار قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية
نذيرا أي ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ينذرهم ولكن بعثناك يا محمد الى القرى كلها رسولا لنعظم كرامتك عليها
ولتنال كل الثواب والكرامة خاصة لك فلا تطع الكافرين فيما يطلبون منك من ان تعبد آلهتهم وتداهنهم
وجاهدهم به أي بالقرآن جهادا كبيرا شديدا قوله تعالى وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح
أجاج أي وهو الذي أرسل البحرين في مجاريهما كما ترسل الدابة أي أرسلهما في المرج [illegible] أراد بقوله
هذا عذب فرات النيل والانهار العظام والفرات ما يكون في غاية العذوبة وأراد بالملح الاجاج التي يكون [illegible]
في غاية المرارة ويقال في غاية الحرارة من قولهم أججت النار اذا أوقدتها وأججت النار اذا توقدت ويقال
للحوت [illegible] الملح الاجاج الا ما يلقى فيه الملح قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا أي حاجزا منع كل واحد
منهما عن تغيير الآخر وهو ما بين العذب والملح من الاراضي ويقال أصل المرج الخلط ومن ذلك المرج لانه يكون
فيه اختلاط من النبات ومنه قوله تعالى في أمر مريج أي مختلط كالملح والعذب في رأي العين مختلطان وفي أمر الله
منفصلان لا يغير أحدهما طعم الآخر وجعل بينهما برزخا أي حاجزا من قدرة الله تعالى وحجرا أي مانعا يمنع
من اختلاطهما او فساد أحدهما بالآخر ومعنى قوله وحجرا محجورا أي حراما محرما أن يفسد الملح العذب قوله تعالى
وهو الذي خلق من الماء بشرا أي خلق من النطفة انسانا وخلقا كثيرا فجعل من هؤلاء البشر أنسابا وأصهارا
وكان ربك قديرا على ما أراد قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم
ان تركوا عبادته وتركوا عبادة الله الذي خلقهم ورزقهم وكان الكافر على ربه ظهيرا أي وكان الكافر
عونا للشيطان على ربه بالمعاصي لانه يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله لان عبادتهم الاصنام معاونة
للشيطان والظهير هو المعين قال [illegible] أراد بالكافر أبا جهل قوله تعالى وما أرسلناك الا مبشرا
ونذيرا أي مبشرا بالجنة ونذيرا من النار قل ما أسألكم عليه من أجر أي على القرآن وتبليغ الوحي قوله تعالى
الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا [illegible] أسألكم أجرا ولكن [illegible]
[illegible] رضا الله وجنته قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت أي فوض أمورك اليه وسبح بحمده أي
[illegible] وصفاته وذلك بحق أن تقول الحمد لله رب العالمين والحمد لله [illegible] في نعمه [illegible]
[illegible] لا تكون نعمة [illegible] صلى الله [illegible] توفيقه اياك كما يقال نعلهم [illegible] وكفى به بذنوب
عباده خبيرا [illegible] قوله تعالى الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم
استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا أي فاسأل [illegible] خبيرا والخبير هاهنا هو الله عز وجل [illegible]
[illegible] خلق السموات والارض ثم استوى على العرش وقيل معناه [illegible]
[illegible] فاسأل [illegible] بما يصلحك فانك اذا سألته أخبرك بالحق [illegible]
[illegible] قوله تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن أي اذا قيل لكفار مكة اسجدوا للرحمن قالوا وما
الرحمن [illegible] قوله تعالى قالوا أنسجد لما تأمرنا استفهام [illegible]
[illegible] تأمرنا بالسجود له وزادهم نفورا أي زادهم [illegible] تعالى [illegible]
[illegible] قوله تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا [illegible] منازل الكواكب السبعة

الشمس والقمر والمشتري والمريخ وزحل وعطارد والزهرة وهي اثنا عشر برجا الحمل والعقرب بيتا المريخ
والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والجدي والدلو بيتا زحل [illegible] قوله تعالى
وجعل فيها سراجا يعني الشمس وقمرا منيرا [illegible] الشمس والكواكب [illegible] وجعل
في السماء شمسا تضيء بالنهار [illegible] كل شهر برجا من البروج الاثني عشر وجعل فيها قمرا يضيء بالليل ويقطع كل برج
في يومين وثلث قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أي يخلف كل واحد
منهما صاحبه يذهب أحدهما ويجيء الآخر فيه عظة لمن يتعظ وأراد أن يشكر انعام الله قال أبو عبيدة
كل شيء بعد شيء والليل خلفة للنهار والنهار خلفة لليل لان أحدهما يخلف الآخر ويأتي بعده وقال مجاهد جعل
النهار خلفة من الليل لمن نام بالليل وجعل الليل خلفة لمن اشتغل بالنهار فمن فاته العمل بالليل قضاه بالنهار ومن
فاته بالنهار قضاه بالليل قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا أي عباده الذين [illegible]
[illegible] الذين يمشون على الارض بالسكينة والوقار والهون متواضعين [illegible] الله حلما علماء
[illegible] وان جهل عليهم وان كلمهم الكفار والفساق بالسفه والفحش قالوا سدادا من القول وقيل يقولون
في جواب السفيه سلام عليكم وقال قتادة معنى قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما أي كانوا لا يجاهلون
أهل الجهل وقال مقاتل قالوا سلاما أي قولا يسلمون فيه من الاثم قال الحسن هذه صفة نهارهم اذا انتشروا
في الناس وليلهم خير ليل كما قال تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما أي يصلون بالليل طلبا للثواب وعن
ابن عباس رضي الله عنهما من صلى بعد العشاء ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجدا وقائما قوله تعالى والذين يقولون ربنا اصرف
عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما أي هلاكا لازما والغرام اللزوم يقال للصاحب الذي يلازم [illegible]
المديون ويقال للمديون الغريم لان الدين يثبت عليه والمغرم بالنساء الملازم لهن قال الزجاج ان عذابها
كان غراما الغرام أشد العذاب انها ساءت مستقرا ومقاما أي ان جهنم بئس موضع قرار واقامة هي قال
الحسن كل غريم يفارق غريمه الا غريم جهنم قوله تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الاسراف هو
الانفاق في معاصي الله تعالى والتقتير منع حق الله تعالى والقوام هو الوسط بين الامرين وفي يقتروا قرأ أهل المدينة
والشام بضم الياء وكسر التاء وقرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء وقرأ الباقون بفتح الياء وكسر التاء
وكلها لغات صحيحة والاسراف النفقة في معصية الله وان قلت والاقتار منع حق الله وعن الحسن معناه لم
ينفقوا في معاصي الله ولم يمسكوا عن فرائض الله تعالى وقيل معناه لم يتصدقوا في الانفاق وكان انفاقهم بين الاسراف
والاقتار لان الاسراف يدخل به في حد التبذير ولا تصدقا يصيره في حد المانع لما يجب وهذا هو المحمود من النفقة
وعن عمر رضي الله عنه من السرف ان لا يشتهي الرجل شيئا الا أكله وقال [illegible] سرفا أن تأكل كل ما تشتهي
وقال قتادة الاسراف النفقة في المعصية والاقتار الامساك عن حق الله والقوام من العيش ما أقامك وأغناك
قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر وقيل ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول
الله أي الذنب أكبر قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم أي قال ان تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك
قال ثم أي قال ان تزني بحليلة جارك فانزل الله عز وجل هذه الآية تصديقا لذلك والذين لا يدعون مع الله الها
آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون وفي الحديث لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث زنا
بعد احصان وكفر بعد ايمان وقتل نفس بغير حق ومن يفعل ذلك يلق أثاما أي ومن يفعل شيئا مما تقدم ذكره
يلق أثاما أي يلق عقوبة فعله ويقال أثاما واد في جهنم من دم وقيح وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان صخرة
عشر أواق قذفت في جهنم ما بلغت قعرها سبعين خريفا ثم تنتهي الى غي وأثام قيل وما غي وأثام يا رسول الله قال
بئران يسيل فيهما صديد أهل النار وهما اللتان ذكر الله في كتابه فسوف يلقون غيا ويلق أثاما وروي ان أثاما
واد في جهنم فيه حيات وعقارب في فقارة احداهن ستين قلة من السم كل عقرب منهن مثل البغلة الموكفة

قوله تعالى يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا تفسير لقى اثاما بقوله يضاعف له العذاب لانه ومن رفعهما يضاعف ويخلد وهو ابن عامر فهو على الاستيناف وجزمه بقوله يضاعف له والقطع عما قبله قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال ابن عباس نزلت هذه الآية بمكة وكان المشركون قالوا ما يغني عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله واتينا الفواحش فنزلت الا من تاب ومعناها الا من تاب من الكفر والمعصية وامن بالله وعمل عملا صالحا بعد ايمانه والتوبة فاولئك يبدل الله سيئاتهم وتثبت لهم مكانها حسنات وهذا هو معنى التبديل لا تصير السيئة بعينها حسنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قرانا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة الآية ثم نزلت قوله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الآية فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح بشيء مثل فرحه بها وبقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا وقال قتادة ومعناها الا من تاب من ذنبه وامن بربه وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال ايضا في معنى قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات التبديل في الدنيا طاعة الله بعد عصيانه وذكر الله بعد نسيانه وقال الحسن ابدلهم الله بالعمل السيء العمل الصالح وبالشرك اخلاصا وبالفجور احصانا [illegible] قبل المشركين قوله تعالى ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا اي من تاب من الشرك وعمل صالحا ولم يكن من القتل الذين قتلوا وزنوا فانه يتوب الى الله اي يعود اليه بعد الموت متابا حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنا فالتوبة الاولى رجوع عن الشرك والثانية رجوع الى الله للجزاء والمكافاة قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور قال اكثر المفسرين الزور هاهنا معنى الشرك وقال الزجاج الزور في اللغة الكذب ولا كذب فوق الشرك بالله وقال قتادة لا يشهدون الزور لا يساعدون اهل الباطل على باطلهم وقال محمد بن الحنفية اللهو والغناء واللعب في اعياد اليهود والنصارى والمجوس وقال علي بن ابي طلحة شهادة الزور وكان عمر رضي الله عنه يجلد شاهد الزور اربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في الاسواق وعن محمد بن المنكدر انه قال بلغني ان الله تعالى يقول يوم القيمة اين الذين كانوا ينزهون انفسهم عن سماع اللهو ومزامير الشيطان ادخلوهم رياض المسك ثم يقول للملائكة اسمعوا عبيدي تحميدي وثنائي وتمجيدي واعلموهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما اي واذا مروا باللغو القول والفعل الذي لا فائدة فيه مروا مكرمين صائنين انفسهم عن الخوض في ذلك امرين بالمعروف ناهين عن المنكر اذا قدروا عليه من قول اذا عجزوا عن الفعل ومن اظهار كراهة وتعبيس وجه اذا عجزوا عن القول قوله تعالى والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا معناه والذين اذا وعظوا بآيات ربهم اي بالقرآن لم يتعاملوا فيها معاملة الاصم الذي لا يسمع والاعمى الذي لا يبصر ولكنهم سمعوا وابصروا واستمعوا بها وخروا لها ساجدين باكين سامعين مبصرين فيما امروا به ونهوا عنه والخرور هو السقوط قوله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين الذرية تكون واحدا وجمعا فكونها للواحد قوله تعالى رب هب لي من لدنك ذرية طيبة وكونها للجمع قوله تعالى ذرية ضعافا وقوله تعالى قرة اعين تقولون هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين ابرارا اتقياء وقال مقاتل معناه اجعلهم صالحين فتقر اعيننا بذلك وقال الحسن ما شيء اقر لعين المسلم من ان يرى ولده وولد ولده مطيعين لله قوله تعالى واجعلنا للمتقين اماما اي نقتدي بهم في الخير والمعنى اجعلنا صالحين نأتم بمن قبلنا من المتقين حتى يأتم بنا من بعدنا قال الفراء قال اماما ولم يقل ائمة كما قال انا رسول رب العالمين للاثنين يعني انه من الواحد الذي يراد به الجمع وفي الحديث من رزق ايمانا وحسن خلق فذلك امام المتقين قوله تعالى اولئك يجزون الغرفة بما صبروا اي اهل هذه الخصال هم الذين يجزون الغرفة في الجنة بصبرهم على الطاعة وعن المعصية وعلى مكاره الزمان ومحن الدنيا والغرفة هي البناء العالي المرتفع قال

مقاتل يعني غرف الجنة وقال عطاء هي غرف من الزبرجد والدر والياقوت قوله تعالى ويلقون فيها تحية وسلاما اي وتتلقاهم الملائكة في تلك الغرف بالتحية والسلام من الله تعالى قرأ اهل الكوفة ويلقون بفتح الياء والتخفيف قوله تعالى حسنت مستقرا ومقاما اي حسنت تلك الغرف في المستقر والمقام قوله تعالى قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم اي قل لهم ما يصنع بكم ربي وهو لا يحتاج اليكم لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام والى الطاعة لتنتفعوا انتم بذلك وقيل معناه اي وزن وقدر لكم عنده لولا دعاؤكم وعبادتكم اياه وقيل معناه ما يفعل بعذابكم يا اهل مكة لولا عبادتكم غير الله لقد كذبتم يا اهل مكة فسوف يكون جزاء تكذيبكم لزاما اي امرا واجبا لازما ابدا وقيل اراد به يوم بدر واللزام منتصب اللام مصدرا ايضا والخطاب بقوله فقد كذبتم لاهل مكة اي ان الله دعاكم بالرسول الى توحيده وعبادته فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوا دعوته فسوف يكون تكذيبكم لزاما يلزمكم فلا تعطون التوبة فقتلوا يوم بدر واتصل به عذاب الآخرة لازما لهم

سورة الشعرا مايتان وعشرون آية

الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخر السورة فانه نزل بالمدينة وهي خمسة آلاف وخمسمائة واثنان واربعون حرفا والف ومائتان وسبع وتسعون كلمة ومائتان وسبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين اول السورة قسم وهو من اسماء الله تعالى وقال القرطبي قسم بطوله وسنائه وملكه قوله تعالى تلك آيات الكتاب المبين اي هذه آيات الكتاب المبين انزلها على رسوله قوله تعالى لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين اي لعلك مهلك نفسك وقاتل لها اذ لا يكونوا مؤمنين وكان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على ايمانهم ونجاتهم من عذاب الله وذلك انه لما كذبت قريش النبي صلى الله عليه وسلم شق عليه ذلك وكان يحرص على ايمانهم فانزل الله هذه الآية لعلك قاتل نفسك لتركهم الايمان قوله تعالى ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين اعلام من الله تعالى انه لو اراد ان ينزل آية يضطرهم الى الطاعة لقدر على ذلك ولكنه لم يفعل لانه اراد منهم ما يستحقون عليه المدح والثواب فاذا الجا لم يحصل ذهب المدح والثواب قوله تعالى فظلت اعناقهم اي رؤساؤهم وكبراؤهم خاضعين اذ لا يستعادون لا يلوون اعناقهم الى معصية قال قتادة المعنى لو شاء الله لانزل عليهم آية يذلون بها فظلت اعناقهم لها خاضعة والاعناق الجماعات يقال جاء في عنق من الناس اي جماعة ولو كان المراد الاعناق التي هي الجارحة لقال خاضعة قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين اي ما يأتيهم جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم بشيء بعد شيء من القرآن الا كانوا معرضين عن ذلك قوله تعالى فقد كذبوا اي بالقرآن فسيأتيهم اي فسيأتيهم خبر ذلك في القيمة قوله تعالى اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم معناه اولم يروا اهل مكة الى الارض كم اخرجنا فيها من كل صنف حسن في المنظر من النبات بعد ان كانت ميتة لا نبات فيها والزوج هو الصنف والضرب الحسن والمعنى من كل زوج نافع لا يقدر على انباته الا رب العالمين من اسود واحمر واصفر واخضر وحلو وحامض مما يأكل الناس والانعام والكريم في اللغة هو المحمود فيما يحتاج اليه يقال نخلة كريمة اذا طاب حملها وكثر وناقة كريمة اذا كانت غزيرة اللبن قوله تعالى ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين اي ان في اختلاف الوان النبات لدلالة على وحدانية الله وكمال قدرته وما كان اكثرهم مؤمنين في علم الله اي قد سبق في علم الله ان اكثرهم لا يؤمنون وان ربك لهو العزيز الرحيم اي المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه قوله تعالى واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون اي اذكر يا محمد لقومك واذكر لقومك اذ نادى ربك موسى حين رأى الشجرة والنار

قال له يا موسى ائت القوم الظالمين يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية وظلموا بني إسرائيل بأن ساموهم سوء
العذاب قوم فرعون ألا يتقون عقابي في تقلبهم على الكفر وترك الإيمان قال موسى رب إني
أخاف أن يكذبون بالرسالة ويقولون لست من عند الله ويضيق صدري بتكذيبهم إياي ولا ينطلق
لساني للعقدة التي فيه فأرسل إلى هرون جبريل ليكون نبيا معينا ومؤازرا لي على إظهار الدعوة وتبليغ الرسالة
ولهم علي ذنب أي دعوى ذنب يعني الوكزة التي وكزها القبطي فمات منها فأخاف أن يقتلون بسببه قوله تعالى
قال كلا أي كلا لا يقتلونك لأني لا أسلطهم عليك فاذهبا أنت وأخوك بآياتنا يعني بما أعطاهما من المعجز
إنا معكم مستمعون وإنما قال معكم لأنه أجراهما مجرى الجماعة والمعنى نسمع ما يقولونه وما تجيبونهم به وقيل معنى
قوله كلا أي ارتدع يا موسى أن تدع عن هذا الظن وهذا الخوف فاذهبا بآياتنا أي بدلائلنا إنا معكم مستمعون أي نسمع ما
تخاطبكم وتخاطبونهم قوله تعالى فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أي رسولا رب العالمين إليك لتؤمن
بالله وتطلق بني إسرائيل عن الاستعباد وترسلهم معنا إلى الأرض المقدسة والرسول يذكر ويراد به الجمع كما تقول
العرب ضيف وعدو ومنه قوله وهم لكم عدو وقيل إنما قال رسول رب العالمين ولم يقل رسولا لأنه أراد المصدر
أي رسالة وتقديره إنا رسالة رب العالمين كقول الشاعر • لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا
أرسلتهم برسول • أي برسالة وقيل معناه وكل واحد منا رسول رب العالمين قوله تعالى أن أرسل معنا بني
إسرائيل أي أرسل معنا بني إسرائيل إلى فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون استعبدهم أربعمائة سنة وكان في ذلك
الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا فانطلق موسى وهرون بالرسالة إلى مصر فلما بلغا دار فرعون لم يؤذن لهما في
الدخول عليه إلا بعد مدة ودخل البواب وقال لفرعون ههنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون
ائذن له لعلنا نضحك منه فدخلا عليه وأديا رسالة الله تعالى فعرف فرعون موسى لأنه نشأ في بيته فقال له
ألم نربك فينا وليدا أي صبيا صغيرا ولبثت فينا من عمرك سنين وهي ثلاثون سنة وفعلت فعلتك التي فعلت
أي قتلت القبطي وأنت من الكافرين أي من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي ربيناك فينا وليدا فهذا الذي كافأتنا
به أن قتلت نفسا وكفرت نعمتنا وروي أن موسى عليه السلام لما انطلق إلى مصر لتبليغ الرسالة وكان هرون
يومئذ بمصر التقى كل واحد منهما بصاحبه فانطلقا كلاهما إلى فرعون أديا جميعا الرسالة وعرف فرعون موسى
وقال له فرعون ألم نربك فينا وليدا أي صغيرا ولبثت عندنا سنين من عمرك وفعلت فعلتك التي فعلت أي قتلت القبطي
وأنت من الكافرين أي الجاحدين لنعمتي وتربيتي قال موسى فعلتها إذا وأنا من الضالين أي فعلت
تلك الفعلة وأنا من الجاهلين لم يأتني من الله شيء ولا يجوز أن يكون هذا المراد الضال عن الهدى لأن ذلك لا يجوز
على الأنبياء وقيل معناه وأنا من المخطئين نظيره إنك لفي ضلالك القديم وقيل من الناسين نظيره قوله تعالى
أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى قوله تعالى ففررت منكم لما خفتكم أي هربت منكم إلى مدين لما خفتكم
على نفسي أن تقتلوني بالذي قتلته فوهب لي ربي حكما أي نبوة وقيل فهما وعلما وجعلني من المرسلين أي
بالعلم التوحيد والشرائع قوله تعالى وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل قال المفسرون هذا إنكار
من موسى أن يكون ما ذكر فرعون نعمة على موسى واللفظ لفظ الخبر وفيه تبكيت للمخاطب على معنى أنك لو كنت
لا تقتل بني إسرائيل كانت أمي مستغنية عن قذفي في اليم وكانت تقر عيني على ما كان بلا أدرك شأنه وقيل معناه
أن فرعون لما قال لموسى ألم نربك فينا وليدا قال له موسى تلك نعمة تعدها علي لأنك عبدت بني إسرائيل أي
استعبدتهم ولو لم تستعبدهم لكفلني أهلي فلم يلقوني في اليم فإنما استعبدت ولا... وأعددته وتعبدته أي اتخذته
عبدا وقيل معناه لا يد لك علي في ذلك وأنت استعبدت بني إسرائيل فأبطلت نعمتك عليّ بما ساءك... استعبادك
إياهم وبيان أحدث سوالهم وتعبت علي من شيء منها وكانت أي ما هي التي تربيني فأي نعمة لك علي قوله تعالى
أن عبدت في موضعها وجهان أحدهما النصب بنزع الخافض والثاني الرفع على البدل من نعمة قوله تعالى قال

فرعون وما رب العالمين أي قال له فرعون وما رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله فرعون وأي شيء رب العالمين
الذي تدعوني إليه قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين بأن المستحق للربوبية من
يكون بهذه الصفة وأن هذه الأشياء التي ذكرت ليست من فعلكم فلما قال موسى ذلك تحير فرعون ولم يرد جوابا
ينقض به هذا القول قال لمن حوله ألا تستمعون مقالة موسى قال موسى ربكم ورب آبائكم
الأولين بين أن المستحق للربوبية من هو رب أهل كل عصر وزمان أي الذي خلق آباءكم الأولين وخلقكم
وآباءكم فلم تقدر فرعون على جوابه قال فرعون لجلسائه إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون
أي ما هذا الكلام صحيح إذ يزعم أن له إلها غيري فلم يشتغل موسى بالجواب عن ما نسبه إليه من الجنون ولكن اشتغل
بتأكيد الحجة والزيادة في الإبانة قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون توحيد الله
وإن كنتم ذوي عقول لم يخف عليكم ما أقول فلم يجبه فرعون بشيء ينقض حجته بل تهدده وقال لئن
اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين أي لأحبسنك مع من حبسته في السجن جهلا أنه يكافئه ويترك
عبادة الله ويعبده فرعون إلها وكان سجن فرعون أشد من القتل لأنه كان إذا حبس الرجل طرحه في مكان وحده
لا يسمع فيه شيئا ولا يبصر فيه وكان يهوي به في الأرض فقال موسى لفرعون حين توعده بالسجن أولو جئتك
بشيء مبين يعني السجن ولو جئتك بأمر ظاهر تعرف فيه صدقي وكذبك فقال له فرعون على وجه التعجب
فأت به إن كنت من الصادقين بأنك رسول إلي فألقى موسى عصاه من يده فإذا هي ثعبان
مبين أي حية صفراء ذكر عظيم من أعظم ما يكون من الحيات قال له فرعون فهل غير هذه فنزع يده
من جيبه فإذا هي بيضاء بياضا نورانيا لها شعاع كشعاع الشمس فإن قيل كيف سمى العصا ثعبانا في هذه
الآية وسماها جانا في آية أخرى حيث قال كأنها جان والجان الحية الصغيرة قلنا إنما سماها ثعبانا لعظم جثتها
وسماها جانا لسرعة مشيتها وحركتها وفي ذلك ما يدل على عظم الآية فلم يكن لفرعون دفع لما شاهد إلا أن قال
هذا سحر مموه وأوهم أصحابه أنه لا صحة له وذلك قوله تعالى قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم قال
ابن عباس وكان الملأ الذين حوله خمسمائة من أشراف قومه عليهم الأسورة فقال لهم إن هذا لساحر حاذق
بالسحر يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون أي ماذا تشيرون
علي في أمره ولو تفكر هؤلاء الجهال في قوله ذلك لعلموا أنه ليس لهم إلا افتقاره إلى رأيهم ولكنهم لفرط جهلهم
تموه عليهم قوله تعالى قالوا أرجه وأخاه أي قال الملأ أخر أمره وأمر أخيه لا تناظرهما إلى أن تبعث في
المدائن الشرط حاشرين السحرة ليصنع السحرة مثل ما صنع موسى ولا تبقى له عليك حجة فجمع السحرة لميقات يوم
معلوم أي لميعاد يوم زينتهم وهو يوم عيدهم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون إلى السحرة لعلنا نتبع
السحرة إن كانوا هم الغالبين لموسى وإنما أرادوا باتباع السحرة موسى فهم وإن كانوا هم الغالبين على كرههم
قوله تعالى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا أي جعلا إن كنا نحن الغالبين لموسى قال نعم وإنكم
مع إعطائكم من الأموال لمن المقربين في الرتبة والمنزلة والدخول علي قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون
أي اطرحوا ما في أيديكم ما تريدون طرحه من الحبال والعصي وهذا أمر تهديد لا أمر تحقيق فألقوا حبالهم
وعصيهم وقالوا بعزة فرعون أي بعظمته إنا لنحن الغالبون لموسى فامتلأ الوادي حيات فخاف ذلك
فقيل لموسى ألق عصاك فألقاها فصارت حية عظيمة تلقف ما صنعوا من السحر ثم أخذها موسى فعادت عصا كما
كانت ولم يوجد لما تلقفته أثر فسجدت السحرة عند ذلك لله تعالى لما علموا أن ذلك ليس بسحر وإنما هو من عند الله
وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال لهم فرعون أبأي شيء تعبدون قالوا رب موسى وهرون
قال آمنتم له قبل أن آذن لكم أي صدقتم به قبل أن آمركم بذلك فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم
وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين وكان فرعون أول من قطع وصلب قال ابن عباس

برغبة تحوذهم كأنهم أُلهموا قوله تعالى قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون أي قالت السحرة لا ضير أي لا يضرنا ما يصنع بنا
في الدنيا في جنب الله في الآخرة إنا إذا رجعنا إلى ربنا مؤمنين لنأخذ حقنا من الظالم إنا نطمع أن يغفر لنا
ربنا خطايانا أي يتجاوز لنا شركنا وسحرنا أن كنا أول المؤمنين أي بأن كنا أول المؤمنين لموسى من
أهل هذا الجمع اليوم فكانوا سحرة في أول النهار شهداء في آخره قوله تعالى وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي
أي بني إسرائيل ليلا وأخبرهم أن فرعون وقومه سيتبعونهم وينجيهم من ضررهم فأسرى بهم موسى ليلا إلى البحر
فأرسل فرعون في المدائن حاشرين يحشرون الناس ويجمعون له الجيش ثم قال فرعون لقومه إن هؤلاء لشرذمة قليلون
يعني موسى وأصحابه والشرذمة الفئة القليلة والشرذمة في كلام العرب القليل من كل شيء من الناس والأموال
روي أن هؤلاء الذين استقلهم فرعون يومئذ كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا وكان هامان على مقدمة جيش فرعون
ومعه ألف ألف وجند فرعون أكثر من خمسة آلاف ألف قوله تعالى وإنهم لنا لغائظون أي فاعلون ما يغيظنا لأنهم
خالفوا ديننا وأخذوا حلينا وقتلوا أبكارنا وذلك أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن اجمع أولاد بني إسرائيل كل أهل أربعة
أبيات في بيت واحد ثم اذبحوا أولاد الضأن واضربوا بدمائها على أبوابكم فإني سآمر الملائكة لا يدخلون بيتا على
بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار القبط ثم أسر بعبادي ففعل ذلك فلما أصبحوا قال فرعون هذا عمل موسى
وقومه قتلوا أبكارنا وأخذوا أموالنا فخرج في طلبهم قوله تعالى وإنا لجميع حذرون قرأ الكوفيون وابن عامر
حاذرون بالألف أي شاكون في السلاح ذوو أداة وقوة وكراع وبنو إسرائيل لا سلاح لهم وقرأ الباقون حذرون
أي متيقظون خائفون شرهم قوله تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون يعني فرعون وقومه من بساتين
وعيون جارية وكنوز أي وخزائن مدخرة من الذهب والفضة ومقام كريم أي مجالس حسنة
من مجالس الملوك والرؤساء كذلك فعلنا بهم وأورثناها أرضهم وديارهم وأموالهم بني إسرائيل وذلك أن الله رد بني
إسرائيل إلى مصر بعدما أغرق فرعون وقومه وأعطاهم جميع ما كان لقوم فرعون من الأموال والعقار والمساكن
قوله تعالى فأتبعوهم مشرقين يعني قوم فرعون أدركوا موسى وقومه حين أشرقت الشمس قوله تعالى فلما
تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون أي فلما تقابل الفريقان وتعاينا بحيث يرى كل فريق صاحبه قال
بعضهم بعضا قال أصحاب موسى سيدركنا قوم فرعون ولا طاقة لنا بهم قال لهم موسى كلا أي لن يدركونا
وقيل معنى كلا ارتدعوا وانزجروا عن هذه المقالة إن معي ربي ناصري وحافظي سيهدين إلى طريق النجاة
منهم قوله تعالى فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق
ووقف الماء لم يجر فكان بين كل طريقين قطعة من الماء كالطود العظيم أي كالجبل وهذا البحر هو بحر القلزم
تسلك الناس فيه من اليمن ومكة إلى مصر قوله تعالى وأزلفنا ثم الآخرين يعني قوم فرعون أي قربناهم إلى الهلاك
وقدمناهم إلى البحر وأدنيناهم من خوضه وجمعناهم فيه ثم أتبعهم بني إسرائيل من سلوك البحر وكان ذلك سبب غرقهم من
البحر حين انجمعوا وسميت المزدلفة مزدلفة لاجتماع الناس فيها فلما تكامل اجتماع جنود فرعون في البحر أطبق عليهم
البحر جميعا وأنجينا موسى ومن معه أجمعين من الغرق ثم أغرقنا الآخرين أي فرعون وقومه
قوله تعالى إن في ذلك لآية أي في انفلاق البحر ونجاة بني إسرائيل وفي انطباق الذي كان سبب غرق فرعون
لآية على توحيد الله وصدق نبوة موسى وما كان أكثرهم مؤمنين قوم فرعون مع وضوح الأدلة لهم على
وحدانية الله وإن ربك لهو العزيز الرحيم أي القاهر المنتقم من الكفار الرحيم بعباده ولم يكن آمن من أهل مصر
غير آسية امرأة فرعون وحزبيل المؤمن ومريم … التي دلت على عظام يوسف عليه السلام وإذا كان أكثرهم مؤمنين وقيل
معنى قوله تعالى إن ربك لهو العزيز الرحيم أي العزيز في انتقامه من أعدائه حين أغرقهم الرحيم بالمؤمنين حين أنجاهم
قوله تعالى واتل عليهم نبأ إبراهيم أي اقرأ يا محمد على قومك خبر إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون
قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين أي فنقيم عليها عابدين مقيمين على عبادتها … العلماء إنما قالوا

فنظل لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم إذ تدعون أي هل يسمعون دعاءكم إن
دعوتموهم أو ينفعونكم إن عبدتموهم أو يضرون كم إن لم تعبدوهم وقال ابن عباس معناه هل يرزقونكم
أو يملكون لكم … قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون فنحن نعبدها كما … قال أفرأيتم ما كنتم
تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين أي قال لهم إبراهيم أفرأيتم هذا الذي
تعبدونه أنتم وآباؤكم المتقدمون فإنهم عدو لي أي فإني أعاديهم وأتبرأ منهم وقوله تعالى إلا رب العالمين
روي أنهم كانوا يعبدون الله مع الأصنام فتبرأ إبراهيم من جميع ما تعبدونه إلا من عبادة الله وإنما قال عدو لي على
التوحيد في موضع الجمع على معنى أن كل واحد منهم عدو لي وقيل إن قوله تعالى عدو لي في موضع المصدر كأنه
قال فإنهم ذوو عداوة لي وقعت الصفة موقع المصدر كما تقع المصدر موقع الصفة في رجل عدل ويجوز أن تكون قوله تعالى
إلا رب العالمين استثناء منقطعا ومعناه ولكن رب العالمين الذي خلقني ليس بعدو لي فهو يهدين أي يرشدني إلى الحق
وذلك أنهم كانوا يزعمون أن أصنامهم هي التي تهديهم ردا عليهم الذي خلقني فهو يهدين إلى الدين الرشيد
لا ما تعبدون قوله تعالى والذي هو يطعمني ويسقين أي هو الذي يرزقني طعامي فهو يشبعني إذا جعت
ويرويني إذا عطشت وإذا مرضت فهو يشفين أي يعافيني من المرض وذلك أنهم كانوا يقولون المرض من الزمان
ومن الأغذية والشفاء من الأطباء والأدوية فأخبرهم أن الذي أمرض هو الذي يشفي وهو الله عز وجل ولم يقل إبراهيم
فإذا أمرضني تأدبا قال مرضت وإن كان المرض بخلق الله وقضائه ولا يقال أمرضني الله قوله تعالى والذي يميتني
ثم يحيين أي هو الذي يميتني في الدنيا ثم يحييني في الآخرة للبعث والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين معناه
والذي أعلم وأرجو أن يغفر لي يوم الحساب فذكره بلفظ الطمع لأن ذلك أقرب إلى حسن الأدب وقال بعض المفسرين
يعني الكذبات الثلاث قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هي أختي وزاد الحسن والكلبي قوله للكوكب
هذا ربي وقال الزجاج إن الأنبياء يجوز أن تقع منهم الخطيئة إلا أنهم لا تكون منهم الكبيرة لأنهم معصومون قوله
تعالى يوم الدين أي يوم الجزاء والحساب قوله تعالى رب هب لي حكما لم يرد به النبوة لأنه أراد بذلك
علما إلى علم وفقها إلى فقه وألحقني بالصالحين أي بالنبيين من قبلي في الدرجة والمنزلة والثواب والصلاح هو الاستقامة
على أمر الله به وقوله تعالى واجعل لي لسان صدق في الآخرين أراد به الثناء الحسن أي اجعل لي ثناء حسنا في الذين
يكونون من بعدي إلى يوم القيامة وقد استجاب الله دعاءه حيث أحبه أهل الأديان كلهم وقيل واجعل في ذريتي من يقوم
بالحق ويدعو إليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه فإنهم هم الذين أظهروا شرائعه وخصائصه قوله تعالى واجعلني
من ورثة جنة النعيم أي أدخلني الجنة واجعلني من الذين يرثون الفردوس واغفر لأبي إنه كان من الضالين
أي من المشركين وإنما دعا إبراهيم لأبيه لأجل موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وكان هذا الدعاء قبل
أن تبرأ منه والضال هو الذاهب عن طريق الحق قوله تعالى ولا تخزني يوم يبعثون أي لا تفضحني ولا تهتك ستري
يوم القيامة يوم يبعث الخلق وقيل معناه ولا تعذبني يوم تبعث الخلائق وإنما قال ذلك مع علمه أنه لا يخزيه إما على
طريق التعبد وإما حثا لغيره على الاقتداء به في مثل هذا الدعاء ثم فسر ذلك اليوم فقال يوم لا ينفع مال ولا
بنون أي لا ينفع ذا المال ماله الذي كان له في الدنيا ولا ينفعه بنوه ولا يواسونه بشيء من طاعاتهم ولا يحملون شيئا
من خطاياه قوله تعالى إلا من أتى الله بقلب سليم يعني من الشرك والنفاق فإنه تنفعه سلامة قلبه وقيل القلب
السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن وقلب الكافر والمنافق مريض وقال أهل المعاني في تفسير هذه الآيات أقوال غير
هذه فقال بعضهم يعني الذي خلقني فهو يهدين أي الذي خلقني في الدنيا على فطرته فهو يهدين في الآخرة إلى جنته وقوله تعالى
والذي هو يطعمني ويسقين أي يطعمني طعاما شاء ويسقيني أي شرابا شاء قال محمد بن كثير صحبت سفيان الثوري بمكة
وكان يوصف من البيت إلى البيت … عن الحجاج بن عبد الكريم قال خرجت من بلخ في طلب إبراهيم بن أدهم فوجدته
بحمص فسلمت عليه … ذلك فقال لعل بنفسك شهوة على شيء من طعام فقلت نعم فأخذ ماء وترابا

وخلطها وأعطانيه فأكلته ثم أقبل علي وأنشأ يقول • اخلط البر بالرماد وكله • وادخر النفس عن مقام
السؤال • وقال أبو بكر الوراق معناه يطعمني بلا طعام ويسقيني بلا شراب ويشبعني ويرويني من غير علاقة
كما قال صلى الله عليه وسلم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني وقال علي بن قادم كان عبد الله بن أبي نعيم لا يأكل في الشهر
إلا مرة فبلغ ذلك الحجاج فدعاه فأدخله بيتا وأغلق عليه بابه خمسة عشر يوما ثم فتحه ولم يشك أنه قد مات فوجده
قائما يصلي فقال يا فاسق تصلي بغير وضوء فقال يا حجاج إنما يحتاج الوضوء من يأكل ويشرب فأنا على الطهارة
التي أدخلتني عليها هذا البيت وقال ذو النون في معنى قوله تعالى يطعمني ويسقين أي يطعمني طعام المعرفة ويسقين
شراب المحبة ثم أنشأ يقول • شراب المحبة خير الشراب • وكل شراب سواه سراب • وقال أبو يزيد البسطامي
إن لله تعالى شراب المحبة ادخره لأفاضل عباده فإذا وصلوا اتصلوا بهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر
وقال الجنيد يحشر الناس يوم القيامة عراة إلا من لبس لباس التقوى وجياعا إلا من أكل طعام المعرفة وعطاشا إلا من
شرب شراب المحبة وقوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين قال جعفر الصادق وإذا مرضت بالذنوب فهو يشفيني بالتوبة
وقال بسطام بن عبد الله إذا أمرضني مقاساة الخلق شفاني بذكره والأنس به قوله تعالى والذي يميتني ثم يحيين قال أهل
الإشارة يميتني بالعدل ويحييني بالفضل يميتني بالمعصية ويحييني بالطاعة يميتني بالفراق ويحييني بالتلاق ويميتني بالجهل ويحييني بالعقل
يميتني بالخذلان ويحييني بالتوفيق قوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين أي قربت وأدنيت لهم حتى ينظروا إليها وقوله
تعالى وبرزت الجحيم للغاوين أي أظهرت وكشفت للضالين عن الهدى وقيل للضالين في ذلك اليوم على وجه التوبيخ
أينما كنتم تعبدون من دون الله أي أين آلهتكم التي تعبدونها من دون الله هل ينفعون العذاب عنكم أو هل
ينتصرون لأنفسهم أي يدفعون عن أنفسهم ثم توبيخهم فيلقون في النار فذلك قوله تعالى فكبكبوا فيها هم
والغاوون وجنود إبليس أجمعون وقال الزجاج طرح بعضهم على بعض وقال ابن قتيبة ألقوا على رؤوسهم
وقال مقاتل قذفوا فيها هم والغاوون قال السدي يعني الآلهة والمزكين وقال عطاء هم وما يعبدون من دون
الله وجنود إبليس أجمعون يعني ذرية إبليس كلهم وقيل يعني كبكبوا أجمعوا وهم كفار مكة وكفار الجن والإنس وآلهتهم
وذرية إبليس حتى صاروا كبة واحدة وطرحوا إلى النار قوله تعالى قالوا وهم فيها يختصمون أي قالت الكفار
وهم فيها يختصمون أي في النار مع آلهتهم ورؤسائهم تالله إن كنا لفي ضلال مبين قوله تعالى إذ نسويكم برب العالمين
أي والله ما كنا إلا في ضلال مبين حين سويناكم برب العالمين فأعظمناكم وعبدناكم وعدلناكم به تعرفون على أنفسهم بالخطأ
وما أضلنا عن الهدى إلا المجرمون يعني الشياطين وقيل أولونا الذين اقتدينا بهم فما لنا من شافعين تشفع لنا من
الملائكة والمؤمنين حين تشفعون لأهل التوحيد ولا صديق حميم أي ولا ذي قرابة يهمه أمرنا والحميم القريب الذي
توده ويودك قال ابن عباس إن المؤمن تشفع يوم القيامة للمؤمن المذنب والصديق الصالح الذي تصدق في المودة وفي
الحسنات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل يقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في النار فيقول الله
عز وجل أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقي ما لنا من شافعين ولا صديق حميم قوله فلو أن لنا كرة
أي رجعة إلى الدنيا فنكون من المؤمنين المصدقين بالتوحيد لتحل لنا الشفاعة كما حلت لأهل التوحيد وقوله تعالى
إن في ذلك لآية أي فيما أخبر من قصة إبراهيم واختصام أهل النار ويرى بعضهم من بعض لعبرة للعقلاء من بعدهم
وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم أي الغالب على تعجيل الانتقام بالإمهال إلى أن يؤمنوا
والمنعم عليهم بعد التوبة قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين قال الزجاج دخلت التاء هاهنا والقوم
مذكر لأن المراد بالقوم الجماعة أي كذبت جماعة قوم نوح نوحا ومن قبله من الرسل إذ قال لهم أخوهم
نوح ألا تتقون عذاب الله بتوحيده وطاعته وكان أخاهم من النسب من جهة الدين إني لكم رسول أمين
على الرسالة فيما بيني وبين ربكم وقيل معناه كنت أمينا فيكم قبل اليوم فكيف تتهموني اليوم فاتقوا الله فيما آمركم
به وأطيعون فيما أدعوكم إليه وأطيعون فيما آمركم به من الإيمان والتوحيد وما أسألكم على الدعاء إلى التوحيد

من أجر

من أجر ما أجري وثوابي إلا على رب العالمين وقيل ما أسألكم على تبليغ الوحي والرسالة مالا فتصدكم عن
القبول مني وتعتقدون في الطمع قوله تعالى فاتقوا الله وأطيعون أي اتقوا عقاب الله وأطيعوا أمري
وتكريره فاتقوا الله لأن في الأول اتقوا الله وأطيعون لأني رسول رب العالمين أمين والثاني اتقوا الله وأطيعون
لأني ما أسألكم عليه من أجر قالوا له أنؤمن لك واتبعك الأرذلون أي أنقر بك ونصدقك
وقد اتبعك سفلتنا وهم الأرذلون الأقلون وكان قد آمن بنوح ضعفاء قومه وكان أكثر من تبعه
مختصون بصناعات خسيسة مثل الحوكة والأساكفة ولذلك قال أشراف قومه واتبعك الأرذلون
وقرئ وأتباعك الأرذلون وهي قراءة يعقوب أي أشياعك وأهل دينك قال الزجاج والصناعات لا تضر
في باب الديانات وقال عطاء يعنون بالأرذلين المساكين الذين ليس لهم مال قوله تعالى قال وما علمي بما
كانوا يعملون • أي قال نوح ما أعلم أعمالهم وصنائعهم ولم أكلف ذلك وإنما كلفت أن أدعوهم ولا أسأل
عما كانوا يعملون ولا أطلع على صنائعهم وإنما الغبن في المعاصي في خساسة الصناعة وقوله تعالى إن حسابهم
إلا على ربي لو تشعرون أي ما حسابهم فيما يعملون إلا على ربي لو تشعرون لو تعلمون ما عبتموهم بصنائعهم
وقيل إنهم نسبوا قومه الذين آمنوا به إلى النفاق وإضمار الكفر فقال إن حسابهم إلا على ربي أي ما جزاؤهم وما
أعمالهم إلا على ربي لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين أي لا أطردهم من عندي مع إظهارهم الإيمان بسبب فقرهم
وطعنكم عليهم قوله تعالى إن أنا إلا نذير مبين أي ما أنا إلا معلم بموضع المخافة لتحذروها من قبل قربه
ومن رده باعدته ولم أكلف علم ما في الضمائر قوله تعالى قالوا لئن لم تنته يا نوح أي لئن لم تنته عما تقول
لتكونن من المرجومين بالحجارة قال رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا أي فاقض بيننا قضاء يكون
نجاتنا وهلاك عدونا فأنجيناه ومن معه في السفينة المملوءة من الناس والبهائم والسباع والطير فذلك قوله تعالى
في الفلك المشحون أي الذي قد ملئ مما ذكرنا من جميع الحيوان وقوله تعالى ثم أغرقنا بعد الباقين أي بعد نجاة نوح
ومن معه أغرقنا الآخرين الباقين قوله تعالى إن في ذلك لآية أي في إغراق الكافرين ونجاة المؤمنين في السفينة
لعلامة تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وما كان أكثرهم أي أكثر قوم نوح مؤمنين مع قيام الحجة
وإن ربك لهو العزيز أي القادر على أخذ أعدائه المنتقم منهم الرحيم بأوليائه المنعم عليهم قوله تعالى كذبت
عاد المرسلين التأنيث بمعنى القبيلة أريد بعاد القبيلة والمعنى كذبت عاد هودا وجماعة المرسلين إذ قال
لهم أخوهم هود في النسب ألا تتقون عبادة غير الله إني لكم رسول أمين أرسلني الله إليكم وائتمنني على
الرسالة فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم على تبليغ الرسالة من أجر إن أجري إلا على رب العالمين
قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون الريع هو المكان المرتفع قال ابن عباس أتبنون بكل شرف وواد
يقال له الجلق والضحاك أتبنون بكل طريق آية بنيانا وعلما تميزوا به عن سائر الأبنية تعبثون بمن مر في الطريق
والمعنى بكل طريق بالمواضع المرتفعة بنيانا ليشرفوا على المارة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم وقيل معنى قوله تعبثون أي
تبنون ما تستغنون عنه ولا تسكنونه عبثا منكم سمي بناؤهم عبثا لأنهم كانوا يسرفون في البناء ويتطاولون فوق الحاجة
أتبنون بكل ريع أي بكل شرف وقال قتادة والضحاك يعني بكل طريق وعن أبي نجيح الريع الثنية الصغيرة وقيل
المنظرة وقال عكرمة بكل واد وقوله تعالى وتتخذون مصانع قال ابن عباس هي الأبنية وقال مجاهد
المصانع قصور مشيدة وقيل هي الحصون وقال عبد الرزاق المصانع عندنا بلغة اليمن القصور واحدها
مصنعة وقال الكلبي هي القصور والحصون وقيل هي المباني التي صنعها الناس من السابقين وغيرها
وقيل هي مجامع الماء وهي الحياض واحد المصانع مصنعة وقوله تعالى لعلكم تخلدون أي كأنكم
تخلدون أي تستوثقون فيها المصانع كأنهم يخلدون فيها فكأنهم لا يموتون ولعل تأتي في الكلام بمعنى كأن من قوله
لعلك باخع نفسك أي كأنك قاتل نفسك إن لم يؤمنوا وقيل معناه تتخذون ذلك رجاء أن تخلدوا

أنتم مخلدون قوله تعالى وإذا بطشتم بطشتم جبارين أي إذا بطشتم بمن دونكم بطشتم متكبرين متجبرين
ضربا بالسوط وبالسيف تقتلون على الغضب والمخبر إذا غضبتم قتلتم والبطش هو الأخذ بالشدة والجبار هو العالي
بالقدرة وقال تعالى نخلة جبارة إذا كانت مرتفعة لا تنالها الأيدي وهو صفة مدح الله تعالى لأن هذا المعنى حقيقة
فيه وهو صفة ذم لغيره لأنه كذب فيه قوله تعالى فاتقوا الله وأطيعون أي اتقوا عذاب الله باصراركم
على ما أنتم عليه واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون من النعمة والخير أمدكم بأنعام وبنين ثم بين
بعض النعم و قوله تعالى إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم أي إني أعلم أنه سينزل بكم عذاب عظيم إن لم تؤمنوا
ونزل به العذاب الذي أهلكوا به و قوله تعالى قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين أي سواء علينا
أوعظتنا أم لم تعظنا فلا نترك هذه العادة و قوله تعالى إن هذا إلا خلق الأولين أي ما هذا العذاب الذي تتوعد
يا هود إلا كذب الأولين وهذا قول ابن مسعود ومجاهد والخلق والاختلاق هو الكذب ومنه قوله تعالى
وتخلقون إفكا ومن قرأ خلق الأولين بضم الخاء واللام أي عادة الأولين والمعنى ما هذا الذي نحن فيه إلا عادة
الأولين نحن مثلهم نعيش ما عاشوا ثم نموت ولا بعث ولا حساب وما نحن بمعذبين على ما نفعل فكذبوه
بالعذاب في الدنيا فأهلكناهم بريح صرصر عاتية قوله تعالى إن في ذلك لآية أي إن في إهلاكنا إياهم مع شدة
قوتهم بأمر ضعيف … وهي الريح لدلالة على وحدانيتنا وصدق نبوة هود وما كان أكثرهم مؤمنين
بالله فإنه لم يؤمن منهم إلا القليل وإن ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذبت ثمود المرسلين إلى قوله تعالى
فيما هاهنا آمنين ظاهر المعنى قوله تعالى أتتركون فيما هاهنا آمنين أي قال لهم صالح أتتركون في الدنيا آمنين
من الموت والعذاب لا تكونون ولا تموتون وتتمتعون ولا تكلفون و قوله تعالى في جنات وعيون أي أتظنون أنكم
تتركون في بساتين ومياه ظاهرة وزروع ونخل طلعها هضيم أي ثمرها نضيج مدرك ناعم والنضيج هو الرخص اللين
اللطيف البالغ وتنحتون من الجبال بيوتا أي تنقبون في الجبال بيوتا فرهين أي أشرين بطرين وقرأ ابن عامر والكوفيون
فارهين أي حاذقين بنحتها مأخوذ من قولهم فره الرجل فراهة فهو فاره وقال الفراء الفره والفاره بمعنى واحد
وقيل إن الهاء في قوله فرهين بدل من الحاء والفرح في كلام العرب الأشر والبطر ومنه قوله إن الله لا يحب الفرحين
قوله تعالى ولا تطيعوا أمر المسرفين أي أمر رؤسائكم وكبرائكم الذين يعرضون في الشرك والمعاصي وقيل
هم التسعة الذين عقروا الناقة وهم الذين يفسدون في الأرض بالمعاصي ولا يصلحون أي ولا يطيعون الله فيما أمرهم
قوله تعالى قالوا إنما أنت من المسحرين أي قال له قومه إنما أنت ممن سحر مرة بعد مرة فلا نؤمن بك وقيل المسحر
هو المعلل بالطعام والشراب والسحر مجرى الطعام يقال سحره أي ربه والمعنى لست بملك إنما أنت بشر مثلنا لا تفضلنا
في شيء لست بملك ولا رسول فأت بآية إن كنت من الصادقين أنك رسول الله إلينا قال ابن عباس
سألوه أن يخرج لهم ناقة حمراء عشراء من صخرة ملساء تضع ونحن ننظر وترد هذا الماء فقرب بهم إلى تلك الصخرة
التي ذكروها فدعا الله تعالى فتمخضت تلك الصخرة كما تتمخض المرأة الحامل عند الولادة فخرجت منها ناقة على الصفة
التي سألوها لا ينظر لها في النوق وكان ما بين جنبيها من عظمها فقال لهم صالح هذه ناقة لها
شرب ولكم شرب يوم معلوم أي اجعلوا الشرب بينها وبينكم مناوبة لها نوبة يوم لا تحضرون فيها ولكم نوبة
يوم لا تحضر معكم قال قتادة كان يوم شربها تشرب ماءهم كله أول النهار ولا يبقى لهم منه شيء وتسقيهم اللبن
حتى تملأ جميع آنيتهم فإذا كان يوم شربهم كان الماء لهم ولمواشيهم لا يزاحمهم الناقة فيه والشرب في اللغة هو النصيب
من الماء والشرب بضم الشين المصدر والشرب بفتح الشين جماعة الشراب قوله تعالى ولا تمسوها بسوء أي لا تعقروها
ولا تؤذوها ودعوها تأكل في أرض الله فإنكم إن تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها يوم الأربعاء
واقتسموا لحمها فلما علموا ما نزل بهم أصبحوا نادمين على قتلها فأخذهم العذاب في اليوم الثالث وهو
يوم السبت صاح بهم جبريل فماتوا أجمعين قوله تعالى إن في ذلك لآية أي إن في إخراج الناقة من الصخرة وفي

إهلاكهم

إهلاكهم بعقرها لعلامة وعبرة لمن بعدهم ولم يكن أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم
قوله تعالى كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول إلى قوله أتأتون
الذكران ظاهر المعنى قوله تعالى أتأتون الذكران من العالمين معناه أتنكحون الذكور وتتركون ما خلق لكم ربكم
ما أحل الله لكم من فروج نسائكم بل أنتم قوم عادون أي متجاوزون الحد في الظلم والحرام قوله تعالى
قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي لئن لم تسكت يا لوط عن الإنكار علينا وتقبيح أفعالنا
لنخرجنك من أرضنا قال لوط إني لعملكم من القالين أي لمن المبغضين والقالي هو المبغض للشيء التارك
له لكراهته غاية الكراهة قوله تعالى رب نجني وأهلي مما يعملون أي خلصني وأهلي من عقوبة أعمالهم الخبيثة
حتى لا نراهم ولا نرى أعمالهم فنجيناه وأهله أي خلصناهم من العذاب الذي وقع بهم و قوله تعالى فنجيناه وأهله أي
نجيناه وبناته و قوله تعالى إلا عجوزا في الغابرين يعني امرأته فإنها كانت من الغابرين أي من الباقين في موضع العذاب
لتهلك معهم وكانت تدل المشركين على أضيافه قوله تعالى ثم دمرنا الآخرين أي أهلكناهم بالخسف والحصب
وهو أن الله تعالى خسف بقراهم كما روي أن جبريل رفع بلادهم حتى بلغ بهم إلى السماء ثم قلبهم وجعل عاليها
سافلها قوله تعالى وأمطرنا عليهم مطرا أي أمطرنا على شذاذهم ومسافريهم حجارة فساء مطر المنذرين أي
بئس مطر الذين أنذروا فلم يؤمنوا قوله تعالى إن في ذلك لآية أي إن في إهلاكنا إياهم لدلالة وعبرة لمن بعدهم
وإن ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذب أصحاب الأيكة المرسلين اختلفوا في الأيكة قال بعضهم هي
اسم مدينة وقال بعضهم هو اسم مدين وقال بعضهم الأيكة اسم لمدينة أخرى غير مدين وكان شعيب مبعوثا إلى
كل واحد من المدينتين غير أنه أخا مدين ولم يكن أخا الأيكة فلذلك لم يقل في هذه الآية إذ قال لهم أخوهم وإنما
قال إذ قال لهم شعيب وقيل الأيكة الغيضة ذات الشجر الملتف وجمعه أيك وقيل الأيك شجر الدوم وهو المقل
وكان أكثر شجرهم الدوم ويقرأ ليكة بغير ألف وفتح الهاء قوله تعالى أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين أي أتموا
الكيل إذا كلتم ولا تكونوا من الذين ينقصون حقوق الناس في الكيل والوزن وزنوا بالقسطاس المستقيم وقد تقدم
تفسيره قوله تعالى واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين أي اتقوا الله الذي خلقكم وخلق الجبلة الأولين
أي وخلق الخلق الذين قبلكم والجبلة بكسر الجيم والباء هي الخلق الكثير و قوله تعالى قالوا إنما أنت من المسحرين
أي من المخوفين مثلنا مسحر وما أنت إلا آدمي مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فيما تقول قوله تعالى فأسقط
علينا كسفا من السماء أي جانبا من السماء إن كنت من الصادقين في أنك رسول إلينا وأن هذا العذاب نازل
بنا وهذا إذا قرأت كسفا بسكون السين وأما إذا فتحتها فهو جمع الكسفة وهي القطعة قوله تعالى قال ربي أعلم
بما تعملون أي هو أعلم بعملكم وبما تستحقون من العذاب في وقت الاستحقاق فينزل بكم العذاب على ما توجبه
الحكمة فكذبوه أي كذبوا شعيبا بعد ظهور الحجة فأخذهم عذاب يوم الظلة أي أتاه الله عليهم سحابة
حتى أظلتهم في يوم حر شديد فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر فأطبقت عليهم وأمطرت عليهم نارا
فأهلكتهم قال المفسرون وذلك أن الله تعالى كان قد حبس عنهم الريح سبعة أيام وسلط عليهم الحر حتى أخذ بأنفاسهم
ولم ينفعهم ظل ولا ماء وكانوا يدخلون الأسراب ليتبردوا فيها فإذا دخلوها وجدوها أشد حرا من الظاهر
فخرجوا إلى الخرب فدخل عليهم الحر وأخذ بأنفاسهم فخرجوا هاربين إلى البرية فبعث الله عليهم سحابة أظلتهم
من الشمس فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى اجتمعوا كلهم تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا فكان
من أعظم يوم في الدنيا وذلك قوله تعالى إنه كان عذاب يوم عظيم والظلة هي السحابة التي أظلتهم قال
قتادة بعث الله شعيبا إلى أمتين أصحاب الأيكة وأهل مدين فأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة وأما أهل مدين

فأهلكوا بالصيحة صاح بهم جبريل فهلكوا جميعا قوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين أي وان القرآن لتنزيل
رب العالمين نزل به الروح الامين قرأ ابن كثير وابو عمرو ونافع وحفص بالتخفيف ورفع الحاء يعني نزل
جبريل بالقرآن وقرأ الباقون بالتشديد والنصب أي نزل الله بالقرآن جبريل وهو امين قوله تعالى على قلبك
أي نزل به واودعه قلبك كي لا تنساه قوله تعالى لتكون من المنذرين أي من المخوفين قوله تعالى
عربي مبين أي بلسان العرب ليفهموه فيكون ذلك أقرب الى فهمهم واقطع لعذرهم قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين
يعني أن ذكر القرآن مذكور في كتب الاولين ولم يرد به عين القرآن لأنه تعالى خص محمدا صلى الله عليه وسلم بانزال القرآن
عليه ولو كان مذكورا بعينه في الكتب لبطل التخصيص ولكنه تعالى ذكر في الكتب المتقدمة انه سيبعث نبيا في آخر
الزمان صفته كذا وسينزل عليه كتابا صفته كذا كما قال تعالى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وهو
معنى قوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى ان الناس في الغالب يؤثرون الدنيا على الآخرة وان الآخرة خير وابقى
قوله تعالى أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل روي ان سبب نزولها ان اهل مكة بعثوا الى اهل الكتاب
يستخبرونهم عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم وعما ادعى من الرسالة وصدقوهم في نعته وصفته واخبرهم اهل الكتاب
انه ذكر عندنا وانه نبي مبعوث فاسمعوا والمعنى أولم يكن لأهل مكة علامة النبوة محمد صلى الله عليه وسلم ان يعلمه
علماء بني اسرائيل مثل عبد الله بن سلام واصحابه قال الزجاج في قراءة من قرأ آية بالنصب فقوله ان يعلمه علماء كان
وآية خبره ومعناه أولم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل ان محمدا الحق ودلالة على نبوته قال عطية كان علماء بني
اسرائيل الذين آمنوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة واسد واسيد وقرأ ابن عامر أولم تكن لهم آية بالتاء
آية رفعا قال الفراء جعل آية هي الاسم وان يعلمه خبر كان قوله تعالى ولو نزلناه على بعض الأعجمين أي لو نزلنا
القرآن على رجل اعجمي لا يفصح فقرأه عليهم بغير لغة العرب ما آمنوا به وقالوا ما نفقه هذا فذلك قوله تعالى
ما كانوا به مؤمنين وفي هذا بيان معاندتهم والاعجم والاعجمي بمعنى واحد وهو الذي في لسانه عجمة ومنه العجماء
وهي الدابة فاما العجمي فهو منسوب الى العجم أفصح او لم يفصح وعن ابن مسعود انه سئل عن هذه الآية وهو راكب
ناقة فاشار الى ناقته وقال هذه من الاعجمين كأنه ذهب الى معنى الآية انه لو نزلنا القرآن على البهائم وانطقها
به فقرأت عليهم ما آمنوا به ثم ذكر الله سبب تركهم للايمان قوله تعالى كذلك سلكناه في قلوب المجرمين قال ابن
عباس يعني سلكنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين اذا قرأ عليهم محمد صلى الله عليه وسلم قال مقاتل يعني
مشركي مكة اخبر الله تعالى انه ادخل الشرك في قلوبهم فلا يؤمنون الا عند نزول العذاب حتى لا ينفعهم وهو قوله
تعالى لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم يعني عند الموت فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون به في الدنيا فيتمنوا
الرجعة والنظرة قوله تعالى فيقولوا هل نحن منظرون لنؤمن ونصدق فلما اوعدهم النبي صلى الله عليه
وسلم بالعذاب قالوا فمتى العذاب تكذيبا له فقال الله تعالى أفبعذابنا يستعجلون قوله تعالى أفرأيت ان متعناهم
سنين معناه أفرأيت يا محمد ان امهلناهم كما نشاء سنين يريد مذ خلق الله الدنيا الى ان تنقضي وقيل مدة اعمارهم
ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون به في تلك السنين والمعنى انهم وان طال
تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا اتاهم العذاب لم يغن طول التمتع عنهم شيئا ويكونوا كأنهم لم يكونوا في نعيم قط وهذه موعظة
ما ابلغها روي ان عمر بن عبد العزيز كان اذا قعد للقضاء كل يوم ابتدأ بهذه الآية يتوعظ بها نفسه ثم ذكر هذه
الابيات • تسر بما يفنى وتفرح بالمنى • كما اغتر باللذات في النوم حالم • حياتك يا مغرور سهو وغفلة •
وليلك نوم والردى لك لازم • قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون أي ما اهلكنا من قرية
بالعذاب في الدنيا الا لها رسل ينذرونهم العذاب بانه نازل بهم والمعنى الا لها منذرون قبل الهلاك ونظيره وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا قوله تعالى ذكرى أي موعظة وتذكيرا وما كنا ظالمين فنعذب من غير
ذنب ونعاقب من غير تذكير وانذار ويجوز ان تكون ذكرى في موضع نصب على معنى الا لها منذرون ذكرى ويجوز

ان

ان تكون في موضع رفع على معنى ذلك ذكرى ذلك موعظة لهم قوله تعالى وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي
لهم وما يستطيعون قال مقاتل قالت قريش انما يجيء بالقرآن الشياطين فتلقيه على لسان محمد فانزل الله وما
تنزلت به الشياطين أي بالقرآن وما ينبغي لهم ان ينزلوا به وما يستطيعون أي لا يقدرون على ذلك انهم عن السمع
لمعزولون أي انهم عن استماع القرآن محجوبون لانهم يرجمون بالنجوم قوله تعالى فلا تدع مع الله الها آخر
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره والمعنى كل من دعا مع الله الها آخر كان من المعذبين قوله تعالى
فتكون من المعذبين وانذر عشيرتك الاقربين أي رهطك الادنين وهم بنو هاشم وبنو المطلب
لما نزلت هذه الآية نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا آل غالب يا آل لؤي بن كعب يا آل مرة يا آل كلاب يا آل قصي
يا آل عبد مناف فاتوه وقالوا له ما تريد قال أرأيتم لو حدثتكم ان خيلا قد اظلتكم أكنتم تصدقوني قالوا نعم قال
فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد واني لا املك لكم من الله شيئا الا ان تقولوا لا اله الا الله ثم قال يا معشر قريش
اشتروا انفسكم من الله فاني لا اغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيئا يا فاطمة بنت محمد لا اغني عنك
من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيئا يا صفية عمة محمد لا اغني عنك من الله شيئا • وعن ابن عباس قال لما
نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وقال يا صباحاه فاجتمعت اليه
قريش فقالوا ما لك قال أرأيتكم ان اخبرتكم ان العدو مصبحكم او ممسيكم أما كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فاني نذير لكم
بين يدي عذاب شديد قال ابو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا جميعا فانزل الله تعالى تبت يدا ابي لهب الى آخرها يعني
الآية عرف قومك يا محمد انك لا تغني عنهم من الله شيئا ان عصوه والفائدة في تخصيص قريش بالانذار انهم كانوا اقرب
اليه كما قال تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وكان الاولى بالانسان في البر والصلة ان يبدأ بالاقرب فالاقرب
قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين أي الين جانبك للمؤمنين والن لهم القول واظهر
لهم المحبة والكرامة قوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون أي ان عصاك الاقربون من عشيرتك فقل
اني بريء مما تعملون من الكفر وعبادة غير الله وتوكل على العزيز الرحيم أي فوض امرك الى الله وثق به فانه العزيز في
نقمته الرحيم بهم حين لم يعجل عليهم بالعقوبة قوله تعالى الذي يراك حين تقوم أي توكل على الله العزيز أي الغالب
القادر على ان يكفيك كيد اعدائك الرحيم بالمؤمنين خاصة فليكفيك امورك كلها وهو يراك حين تقوم الى
الصلوة ويرى قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وتقلبك في المصلين مع الجماعة والمعنى انه يراك اذا صليت وحدك
ويراك اذا صليت في الجماعة راكعا وساجدا وقائما انه هو السميع العليم أي السميع لقولك العليم بما في قلبك
قوله تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين أي قل يا محمد لاهل مكة هل اخبركم على من تنزل الشياطين
وهو راجع الى قوله تعالى وما تنزلت به الشياطين ثم اخبر فقال تنزل على كل افاك أثيم أي على كل كذاب
فاجر قال قتادة هم الكهنة مثل مسيلمة وغيرهم قوله تعالى يلقون السمع وأكثرهم كاذبون يعني ان
الشياطين يسترقون السمع من كلام الملائكة ثم يضيفون الكذب الى ذلك فيلقونه الى الكهنة وقوله تعالى واكثرهم
كاذبون يعني لانهم يخلطون به كذبا كثيرا وهذا كله قبل الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك فمن
يستمع الآن يجد له شهابا رصدا قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون قال ابن عباس شعراء المشركين وذكر
مقاتل اسماءهم فقال منهم عبد الله بن الزبعري السهمي وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهبيرة بن ابي وهب
المخزومي ومسافع بن عبد مناف الجمحي وابو عزة عمرو بن عبد الله كلهم من قريش وامية بن ابي الصلت الثقفي تكلموا
بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد واجتمع اليهم غواة من قريش يستمعون اشعارهم ويروون
عنهم حين يهجون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فذلك قوله تعالى يتبعهم الغاوون يعني الذين يروون هجاء المسلمين
ونساء الصحابة وقال قتادة ومجاهد الغاوون هم الشياطين كما قال تعالى حاكيا عنهم فاغويناكم انا كنا
غاوين وقيل الغاوون كفار الجن والانس وفي الحديث لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان

أي يقلي شعرا قال أراد به الشعراء المذمومين قوله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون أي في كل فن من الكذب
يتكلمون وفي كل لغو يخوضون يمدحون بباطل ويشتمون بباطل فالوادي مثل لفنون الكلام وهيمانهم فيه قولهم على الجهل
بما يقولون من لغو وباطل وغلو في المدح والذم وقوله تعالى وأنهم يقولون ما لا يفعلون أي يقولون فعلنا
وفعلنا وهم كذبة ويصفون أنفسهم بما ليس فيها قوله تعالى إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثنى الشعراء
المسلمين حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويردون هجاء
من هجاه روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول لحسان بن ثابت اهجهم ومعك روح القدس وقوله تعالى وذكروا
الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا يعني أنهم كانوا يذكرون الله كثيرا في أشعارهم ويثنون على النبي صلى الله
عليه وسلم بألسنتهم وأنهم من بعد هجاء الكفار والانتصار بالشعر جائز في الشريعة ما يجوز ذكره فيها كان من تعالى
لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وروي أن كعب بن مالك قال يا رسول الله ما تقول في الشعر فقال إن المؤمن
يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنما تنضحونهم بالنبل وقال صلى الله عليه وسلم إن من الشعر لحكمة وقالت عائشة
الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذوا الحسن ودعوا القبيح وعن الشعبي قال كان أبو بكر رضي الله عنه يقول الشعر
وكان عمر يقول الشعر وكان علي أشعر الثلاثة قوله تعالى وذكروا الله كثيرا لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوا الشعر
همتهم وانتصروا من بعد ما ظلموا أي انتصروا من المشركين لأنهم بدأوا بالهجاء ثم أوعد شعراء المشركين قوله تعالى وسيعلم
الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون أي سيعلم الذين أشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أي
منقلب ينقلبون قال ابن عباس إلى جهنم خالدين فيها والمعنى سيعلمون إلى أين مصيرهم وهو نار جهنم تعالى هذا يكون قوله
تعالى أي منقلب منصوب لا بين المصدر ولا يجوز أن يكون منصوبا بقوله تعالى وسيعلم لأن أيا لا يعمل فيه ما قبله
لأنه من حروف الاستفهام وموضع حروف الاستفهام صدر الكلام فكان انتصابه قوله تعالى أي منقلب على معنى المصدر
أو بقوله ينقلبون وعن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر
حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وإسحق ويعقوب وموسى وعيسى
وبعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا طيبا سالما كافيه

سورة النمل ثلث وتسعون آية

وهي أربعة آلاف وسبعماية وتسعة وتسعون حرفا وألف وماية وتسع وأربعون كلمة وثلث وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طس قال ابن عباس طس اسم من أسماء الله أقسم به أن هذا القرآن الآيات التي وعد ثم وقال قتادة هو اسم من أسماء
القرآن وقيل هو اسم من أسماء السورة وقوله تعالى وكتاب مبين معناه وآيات الكتاب المبين الحلال والحرام
وقوله تعالى هدى وبشرى يجوز أن يكون هدى في موضع رفع أي هو هدى والمعنى هدى أي بيان من الضلالة لمن
عمل به وبشرى لما فيه من الثواب للمصدقين بأنه من عند الله ثم نعتهم فقال تعالى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة الآية ظاهر المعنى قوله تعالى إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أي زينا
لهم ضلالتهم حتى رأوها حسنة فهم يعمهون أي يترددون فيها متحيرين أولئك لهم سوء العذاب أي أشده
وهم في الآخرة هم الأخسرون لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم وصاروا إلى النار قوله تعالى وإنك
لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم أي إنك لتعطى القرآن وتلقاه من عند الله تعالى أنزله بعلمه وحكمته قوله تعالى
إذ قال موسى لأهله أي واذكر إذ قال موسى لامرأته إني آنست نارا أي أبصرتها وكانا ساريا أنه يوم مدينه
عليه السلام فقال لها حين ضل الطريق إني أبصرت نارا فامكثوا ها هنا حتى آتيكم من عند النار بخبر الماء والطريق
فإن لم أجد أحدا يخبرني عن الطريق آتيكم بشعلة نار وهو قوله تعالى أو آتيكم بشهاب قبس والشهاب

خشبة فيها نور ساطع لعلكم تصطلون أي لعلكم تصطلون من البرد وكان ذلك في شدة الشتاء يقال صلي
النار واصطلى بها إذا استدفأ والمعنى أو آتيكم بالشعلة المقتبسة من النار لكي تدفؤا من البرد والشهاب هو النور
المستطير ومنه قوله فأتبعه شهاب ثاقب والقبس الجذوة كل عود اشتعل في طرفه نار وقرأ أهل الكوفة بشهاب
قبس منونا على البدل أو النعت للشهاب قوله تعالى فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها
فلما جاء موسى إلى النار التي رآها نودي نداء الوحي أن بورك من في طلب النار وهو موسى ومن حولها
من الملائكة وهذه تحية من الله تعالى لموسى بالبركة كما حيا إبراهيم بالبركة على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه
فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت وقيل إن المراد ها هنا بالنار هو النور وذلك أن موسى رأى نورا
عظيما لذلك ذكره بلفظ النار ومن في النار هم الملائكة لأن النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح
والتقديس ومن حولها هو موسى لأنه كان بالقرب منها ولم يكن فيها وأهل اللغة يقولون بورك فلان وبورك فيه وبورك
له وعليه بمعنى واحد والمراد بالبركة ها هنا ما نال موسى من كرامة الله تعالى له بالنبوة قوله تعالى وسبحان الله
رب العالمين كلمة تنزيه عما خطر للمشبهة أن الله تعالى كان في تلك النار تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا قوله تعالى
يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم أي أنا الداعي الذي يدعوك أنا الله العزيز في ملكي الحكيم في أمري وقضاي
فإن قيل بماذا عرف موسى أن ذلك النداء من الله حتى جعل يدعو الناس إلى الله بنبوة نفسه قلنا إنما عرف نبوة نفسه
بالمعجزة وذلك أنه رأى شجرة خضراء تكون من الشجر [illegible] لها شعاع يرتفع إلى السماء في الهواء والنار تلتهب
في أوراقها وأغصانها فلا النار تحرق الأوراق ولا رطوبة الشجر والأغصان تطفي النار فلما رأى ذلك بخلاف العادة علم
أنه لا يكون ذلك إلا من صنع الله تعالى قوله تعالى وألق عصاك وقيل له ألق عصاك من يدك فألقاها فاهتزت
فلما رآها تهتز كأنها جان أي تضطرب كأنها حية والجان الحية البيضاء الخفيفة السريعة شديدة الاضطراب
يقال لها الصلة وإنما شبهه بالجان في خفة حركتها مع عظم [illegible] استتارها عن الأعين وشبهها في موضع آخر بالثعبان
لعظمها قوله تعالى ولى مدبرا ولم يعقب أي أعرض موسى هاربا من الحية في ذلك الحين ولم يعقب أي لم يرجع ولم
يلتفت إلى شيء وراءه يقال عقب فلان إذا رجع فقال الله له لا تخف من ضررها إني لا يخاف لدي المرسلون
أي لا يخاف عندي في حكمي من أرسلته إلا من ظلم من المرسلين بارتكاب الصغيرة ثم تاب من بعد ذلك فإني غفور
رحيم به وكان الشيخ [illegible] أن موسى كان يستشعر خيفة لما كان منه من قتل القبطي فأمنه الله بهذا الكلام
والصغاير والكباير من الذنوب تسمى ظلما ولذلك قال موسى إني ظلمت نفسي وقال إن قوله إلا من ظلم استثنا
منقطع ومعناه لكن من ظلم فإنه يخافني إلا أن يتوب ويعمل صالحا فإني أغفر له وأرحمه والمعنى لا من ظلم نفسه
بالمعصية ثم بدل حسنا أي توبة وندما بعد سوء قوله تعالى فإني غفور رحيم كأنه قال لا يخاف لدي
الأنبياء والتائبون وقال بعضهم إلا ها هنا بمعنى ولا كأنه قال لا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا
بعد سوء قوله تعالى وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فيه بيان أن الله تعالى أعطاه آية
أخرى في ذلك المكان ومعنى تخرج بيضاء من غير سوء أي بيضاء لها شعاع من غير مرض والجيب جيب القميص قوله
تعالى في تسع آيات أي من تسع آيات أظهرها لأجل الرسالة والآيات التسع قلب العصا حية وخروج اليد بيضاء وما أصاب
آل فرعون من الجدب في بواديهم ونقص الثمرات في مزارعهم وإرسال الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
فهذه الآيات التسع قوله تعالى إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين أي خارجين عن طاعة الله قوله
تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أي فلما جاءت فرعون وقومه الآيات التسع التي مر ذكرها واضحة قالوا هذا
سحر مبين كذبوا بالآيات التسع كلها ونسبوا موسى إلى السحر قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم
أي جحدوا بألسنتهم وأنكروا تلك الآيات وعلموا بقلوبهم أن تلك الآيات ليست من جنس أفعال السحرة وأنها من الله تعالى
أي علموا يقينا أنها من عند الله لكن جحدوا بها تكبرا وتجبرا وذلك قوله تعالى ظلما وعلوا أي شركا وتكبرا عن

أن تؤمنوا فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المفسدين في الأرض بالمعاصي كيف أهلكهم الله بالغرق في اليم قوله
تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما أي أعطيناهما معرفة الدين وأحكام الشريعة وقيل علما بالقضاء
وبلسان الطير والدواب وتسبيح الجبال فقابلا تلك النعمة بالشكر فقالا الحمد لله الذي فضلنا بالنبوة والكتاب
وإلانة الحديد وتسخير الشياطين والجن والإنس على كثير من عباده المؤمنين قوله تعالى وورث سليمان
داود أي ورث نبوته وعلمه وملكه وذكر أنه كان لداود تسعة عشر ابنا ذكرا فورث سليمان ملكه ومجلسه
ومقامه ونبوته من بينهم وعن أبي هريرة قال نزل كتاب من السماء إلى داود عليه السلام مختوم فيه عشر مسائل
أن سل ابنك سليمان عنهن فإن أخرجهن فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود سبعين قسيسا وسبعين حبرا
وأجلس سليمان بينهم وقال له يا بني إنه نزل كتاب من السماء فيه عشر مسائل أردت أن أسألك عنهن فإن أخرجتهن
فأنت الخليفة من بعدي فقال سليمان ليسأل نبي الله عليه السلام عما بدا له وما توفيقي إلا بالله قال أخبرني يا بني
ما أبعد الأشياء وما أقرب الأشياء وما آنس الأشياء وما أوحش الأشياء وما القائمان وما المختلفان وما المتباغضان وما الأمر الذي
إذا ركبه الرجل حمد آخره وما الأمر الذي إذا ركبه الرجل ذم آخره فقال سليمان أما أقرب الأشياء فالآخرة وأما
أبعد الأشياء فما فاتك من الدنيا وأما آنس الأشياء فجسد فيه روح وأما أوحش الأشياء فجسد لا روح فيه وأما القائمان
فالسماء والأرض وأما المختلفان فالليل والنهار وأما المتباغضان فالموت والحياة وأما الأمر الذي إذا ركبه الرجل
حمد آخره فالحلم وأما الأمر الذي إذا ركبه الرجل ذم آخره فالحدة على الغضب قال ففك الختم فإذا المسائل سواء على ما نزل
من السماء فقال القسيسون والأحبار لن نرضى حتى نسأله عن مسألة فإن أخرجها فهو الخليفة من بعدك فقال
سليمان سلوني وما توفيقي إلا بالله قالوا ما الشيء الذي إذا صلح صلح كل شيء منه وإذا فسد فسد كل شيء منه قال
هو القلب إذا صلح صلح كل شيء منه وإذا فسد فسد كل شيء منه قالوا صدقت أنت الخليفة من بعده ودفع إليه داود
الملك ومات من الغد ● وعن محمد بن جعفر عن أبيه قال أعطي سليمان ملك مشارق الأرض ومغاربها فملك سبعمائة
سنة وستة أشهر ملك الدنيا كلهم من الجن والإنس والشياطين والدواب والطير والسباع وأعطي علم كل شيء ومنطق
كل شيء قوله تعالى وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير صوت الطير فمنه قال الفراء منطق الطير كلامه جعله
كمنطق الرجل إذا فهم قال مقاتل كان سليمان جالسا إذ مر به طائر فقال لجلسائه هل تدرون ما قال هذا
الطائر قالوا لا قال إنه قال لي السلام عليك أيها الملك المسلط على بني إسرائيل ومر سليمان ذات يوم على
بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه ويصيح فقال لأصحابه هل تدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله
أعلم قال إنه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء ● وعن الكلبي قال صاح ورشان عند سليمان فقال
أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة عند سليمان فقال إنها تقول
ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح هدهد فقال إنه يقول كما تدين تدان وصاح طاوس عنده فقال إنه يقول
من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد عنده فقال إنه يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح خطاف عنده فقال إنه يقول
قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة فقال إنها تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمواته وأرضه وصاح قمري فقال
يقول سبحان ربي القدوس وصاح بازي فقال إنه يقول سبحان ربي وبحمده والضفدع تقول كل شيء هالك إلا وجهه
والقطاة تقول من سكت سلم والحداة تقول سبحان المذكور بكل مكان ● وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان
عليه السلام فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول الرحمن على العرش استوى وعن الحسن قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم إن الديك يقول في صياحه اذكروا الله يا غافلين ● وعن الحسن رضي الله عنه قال إذا صاح النسر قال
يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت وإذا صاح العقاب قال في البعد من الناس أنس وإذا صاح القنبر قال اللهم
العن مبغضي آل محمد وروي أن قوما من أهل العراق من أهل الكتاب وفدوا على ابن عباس رضي الله عنه فقالوا له
أنت ابن عم الذي تزعم أنه رسول الله قال نعم قالوا إنا قوم قد قرأنا الكتب وعرفنا ما فيها ونحن نسألك عن بعض أشياء

فإن أنت أخبرتنا بها آمنا وصدقنا قال سلوا ولا تسألوني تعنتا فقالوا أخبرنا ما يقول القنبر
في صفيره والديك في زعقه والدراج وما يقول الديك في صياحه والضفدع في نقيقه والحمار في نهيقه والفرس
في صهيله فقال أما القنبر فإنه يقول اللهم العن مبغضي آل محمد وأما الديك فإنه يقول اللهم إني
أسألك قوت يوم بيوم يا رزاق وأما الدراج فيقول الرحمن على العرش استوى وأما الديك فإنه يقول
اذكروا الله يا غافلين وأما الضفدع فإنه يقول سبحان المعبود في لجج البحار وأما الحمار فإنه يقول اللهم العن
العشار ● وأما الفرس فإنه يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح فقالوا يا ابن عباس نشهد أن لا
إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وحسن إسلامهم قوله تعالى وأوتينا من كل شيء يعني من أمر الدنيا والآخرة
وقال مقاتل يعني الملك والنبوة وتسخير الرياح والجن والشياطين قوله تعالى إن هذا لهو الفضل المبين
أي الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس أي جمع له من كل
جهة جموعه من الجن والإنس والطير والحشر جمع الخلق من موضع إلى موضع ومنه المحشر لعرصات يوم القيامة قال
ابن عباس كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون فيها الإنس وخمسة وعشرون فيها الجن وخمسة
وعشرون فيها الطير ووجه تسخير الطير له أن الله تعالى زاد في عقولها حتى كانت تفهم ما يقال لها ويراد منها
وتفعل ما تؤمر به وتخاف وتحذر وكان لسليمان عليه السلام ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة صريحة
وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض
أني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق إلا جاءت به الريح فأخبرتك به قوله تعالى فهم يوزعون
قال قتادة كان على كل صنف من جنوده وزعة ترد أولاهم على أخراهم ليجتمعوا ولا يتفرقوا وهو من الوزع
الذي هو الكف يقال وزعته أزعه وزعا إذا كففته قال الليث والوازع في الحرب الموكل بالصفوف
يزع من تقدم منهم ومعنى الآية فهم يوزعون أي كان يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا وكانوا أجمعين
ويتسوقون في سيرهم والإيزاع هو المنع من الذهاب والوازع هو القيم بأمر الجيش ومن ذلك قول الحسن لا بد للناس
من وزعة أي من سلطان يكفهم ويقال لا بد للسلطان من وزعة أي من يمنع الناس عنه وأصل الوزع الكف
والمنع ومنه الحديث إن الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن قوله تعالى حتى إذا أتوا على وادي النمل
أي ساروا جميعا حتى إذا وصلوا إلى واد كثير النمل قال كعب هو واد بالطائف وقال قتادة ومقاتل هو
بالشام قالت نملة لأصحابها على وجه التحذير يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم أي منازلكم لا يحطمنكم
سليمان وجنوده أي لا يكسرنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون بذلك أي وهم لا يعلمون بحطمكم
فطارت الريح بكلام النملة فأدخلته في أذن سليمان عليه السلام فلما سمعها فتبسم ضاحكا من قولها
وكان أكثر ضحك الأنبياء عليهم السلام التبسم ونصب قوله ضاحكا على الحال وسبب ضحكه من قولها التعجب وكذلك
إذا رأى ما لا عهد له به تعجب فضحك قال ثم حمد ربه حين علمه منطق الطير وسمع كلام النملة فقال
رب أوزعني أي ألهمني أن أشكر نعمتك يقال فلان موزع بكذا أي مولع به وقيل معناه وفقني أن أشكر
نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي ووفقني أن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك
الصالحين في الجنة فإن قيل كيف عرفت النملة سليمان وعلى أي سبيل كانت معرفتها به قلنا إنها كانت مأمورة
بطاعته فلا بد أن تعرف من أمرت بطاعته ولا يمتنع أن تعرف الدواب والبهائم هذا الضرب كما تعرف كثيرا من
منافعها ومضارها فإن النملة تشابه النحل في هذا فإنا نشاهد صنعها في ادخارها رزقها وحفظه وتعهده
حتى إنها تكسر ما تجمع من الحبوب بقطعتين نصفين لئلا ينبت إلا الكزبرة فإنها تكسرها أربع قطع لأنها إذا كسرت نصفين
نبتت فالذي هداها إلى هذه الأمور هو الذي ألهمها معرفة سليمان عليه السلام قوله تعالى وتفقد الطير

أي طلبها وبحث عنها والطير اسم جامع للجنس وكانت الطير تصحب سليمان في سفره تظله بأجنحتها فقال
مالي لا أرى الهدهد أي ما للهدهد لا أراه أعاني لحظته فلم يره من الطير أم كان من الغائبين
واختلفوا في سبب تفقده عن حال الهدهد قال ابن عباس كان الهدهد يرى الماء من تحت الأرض كما يرى في الزجاج
وكان سليمان إذا احتاج إلى الماء في مسيره أمر الهدهد حتى ينظر إلى أقرب موضع من الماء فيحفر به فنزل الناس
نحو ذلك الموضع لاظهار الماء فاحتاج في ذلك اليوم إلى الماء فلذلك تعرف عن حال الهدهد. قال عكرمة
قلت لابن عباس كيف يرى الهدهد الماء وإن صبياننا يأخذونه بالفخ ولا يرى الخيط والشبكة قال ابن عباس
ما ألقى هذه الكلمة على لسانك إلا الشيطان أما تعلم أنه إذا جاء القدر ذهب البصر. وعن سعيد بن جبير أن ابن
عباس سئل عن تفقد سليمان الهدهد فقال إنه كان يعرف مسافة الماء وإن الصبي يضع له الفخ فيغطي عليه
بشيء من التراب فيجيء فيقع فيه فقال وتحكل ما علمنا أن القدر يحول دون البصر وروي أنه قال إذا
نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر. وقال وهب كان سبب تفقده له لاخلاله بنوبته كما سعى في التولي
عن رغبته ويقال كانت الطير تظله من الشمس كانت تقف في الهوى مصطفة موصولة الأجنحة وشغار له فلما أخل
الهدهد بمكانه بان ذلك لوقوع الشمس عليه فلذلك تعرف عن حاله قوله تعالى لأعذبنه عذابا شديدا قال
المفسرون تعذيبه إياه أن ينتف ريشه ثم يلقيه في الشمس فلا يمتنع من نملة ولا من شيء من هوام الأرض وقال
هو نتف جناحيه ويجوز أن يعاقب من لا يجري عليه القلم على وجه التأديب كما يؤدب الأب ابنه الصغير وقيل
تعذيبه أن ينتف ريشه ويدعه ممعطا في بيت النمل فيلدغه وقيل معناه لأشدن رجليه وألقيه في
الشمس وقيل لأطلينه بالقطران وأجعله في الشمس وقيل لأفرقن بينه وبين إلفه وقيل [illegible]
قوله تعالى أو لأذبحنه أي لأقطعن حلقه أو ليأتيني بسلطان مبين أي بحجة ظاهرة توجب عذره
وقصته أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم فتجهز للمسير
واستصحب من الجن والإنس والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ وأمر الريح فحملتهم فلما
وافى الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم وكان ينحر كل يوم مدة إقامته خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف
ثور وعشرين ألف شاة وأقام بمكة حتى قضى نسكه ثم سار إلى أرض اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال فأحب
النزول ليصلي ويتغدى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد دليله على الماء فلما نزل سليمان قال الهدهد
إن سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع الهدهد إلى جهة السماء فنظر يمينا وشمالا فرأى خضرة بساتين بلقيس
في أرض بلقيس فمال إلى الخضرة فالتقى الهدهد بهدهد من هداهد سبأ فقال له من أين أقبلت وأين تريد
قال أقبلت من الشام مع نبي الله سليمان عليه السلام قال له ومن سليمان قال ملك الإنس والجن والشياطين والوحوش
والطير ثم قال له هدهد سليمان وأنت من أين أقبلت قال من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال
لها بلقيس ملكت اليمن كلها وتحتها اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد مائة ألف مقاتل فهل أنت منطلق معي تنظر
إلى ملكها قال أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلوة إذا احتاج إلى الماء فقال له هدهد بلقيس إن صاحبك
يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها وما رجع إلا وقت العصر قال فلما نزل
سليمان ودخل عليه وقت الصلوة طلب الهدهد لأنه نزل على غير ماء فسأل الإنس عن الماء فقالوا ما نعلم أن
ها هنا ماء فسأل الجن والشياطين فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يجده فدعا بعريف الطير وهو النسر فسأله عن
الهدهد فقال لا أدري أين ذهب فغضب سليمان عند ذلك وقال لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني
بسلطان مبين أي بحجة ظاهرة ثم دعا بالعقاب فقال علي بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه حتى التزق
بالهواء وارتفع حتى نظر إلى الدنيا كالقصعة في يدي أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فإذا هو بالهدهد مقبلا من نحو
اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رأى الهدهد ذلك علم أن العقاب يقصده بسوء [illegible]

فقال له ثكلتك أمك إن نبي الله سليمان قد حلف ليعذبنك أو ليذبحنك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما وصلا
[illegible] له العقاب ثم جئت به يا نبي الله فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما
على الأرض تواضعا لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه وقال أين كنت لأعذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد يا نبي الله
اذكر وقوفك بين يدي الله سبحانه فلما سمع ذلك سليمان ارتعدت فرائصه وعفا عنه ثم قال له ما أبطأك عني فقال
أحطت بما لم تحط به وذلك قوله تعالى فمكث غير بعيد أي لم يلبث إلا يسيرا حتى جاء الهدهد فقال
أحطت بما لم تحط به أي علمت شيئا من جميع جهاته وقيل معناه اطلعت على ما لم تطلع عليه وعلمت ما لم تعلم به وجئتك
بأمر لم يخبرك به الجن ولم يعلمه الإنس وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك وهو وجئتك من سبأ بنبأ يقين أي
بخبر صدق لا شك فيه وقرئ من سبأ بالتنوين قال الزجاج من لم يصرفه فلأنه اسم مدينة تعرف بمأرب اليمن بينها
وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام ومن صرفه فلأنه اسم البلد فيكون مذكرا سمي به مذكر وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه
وسلم سئل عن سبأ فقال كان رجلا له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة وسنذكر أسماءهم وقصتهم
في سورة سبأ إن شاء الله تعالى قرأ عاصم ويعقوب فمكث بفتح الكاف وقرأ العامة بضم الكاف وهما لغتان قوله
تعالى إني وجدت امرأة تملكهم واسمها بلقيس بنت شراحيل وقيل شرحبيل بن ذي جدن وكان ملكا عظيم الشأن
قد ملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الأطراف ليس أحد منكم كفوا لي وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه امرأة من الجن
يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان
أحد أبوي بلقيس جنيا فلما مات أبوها ولم يخلف ولدا غيرها طمعت في الملك فطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعها
قوم وعصاها آخرون فاختاروا عليها رجلا فملكوه عليهم فافترقوا فرقتين كل فرقة منهم استولت ملكها على طرف
من أرض اليمن ثم إن هذا الملك الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده إلى حرم رعيته ويفجر بهن
فأراد أصحابه أن يخلعوه فلم يقدروا فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فأرسلت إليه تعرض نفسها عليه فأجابها
الملك إلى ذلك وقال والله ما منعني أن أبدأك بالخطبة إلا اليأس منك فقالت إني راغبة فيك لأنك كفو كريم فاجمع رجال
قومي فاخطبني إليهم فجمعهم فخطبها إليهم فقالوا لا نراها تفعل هذا فقال لهم إنها هي التي ابتدأتني فذكروا لها ذلك فقالت نعم
أحببت الولد ولم أزل كنت كارهة ذلك فالآن قد رضيت فزوجوها منه فلما زفت إليه خرجت في أناس
كثير من خدمها وحشمها فلما خلا بها سقته الخمر حتى سكر ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل إلى منزلها فلما أصبح الناس
رأوا الملك قتيلا ورأسه منصوبا على باب دارها فعلموا أن تلك المناكحة كانت مكرا وخديعة منها فاجتمعوا إليها
وقالوا لها أنت أحق بهذا الملك من غيرك فقالت لولا العار والشنار ما قتلته ولكن عم فساده وأخذتني الحمية
حتى فعلت ما فعلت فملكوها واستتب أمرها قوله تعالى وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم قال أعطيت من
كل شيء يحتاج إليه الملوك من الآلات والجنود ولها عرش عظيم أي سرير ضخم من ذهب طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه
في السماء ثلاثون ذراعا مضروب من الذهب مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر وقوائمه من الزبرجد الأخضر
قال مجاهد وكان تحتها اثنا عشر ألف قيل والقيل الملك بلغتهم تحت يد كل قيل ألف مقاتل وقيل كان سريرها
ذا أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت أخضر وقائمة من زمرد وقائمة من در وصفائح السرير
من ذهب وعليه سبعة أبيات لكل بيت باب مغلق قوله تعالى وجدتها وقومها قال الحسن كان القوم مجوسا
وكانوا يسقطون على وجوههم مواجهين للشمس قوله تعالى وزين لهم الشيطان أعمالهم أي حسن لهم قبيح أعمالهم
فصدهم عن السبيل أي عن الطريق فهم لا يهتدون إلى الطريق الحق قوله تعالى ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء
في السموات والأرض يجوز أن يكون ابتداء خطاب من الله ويجوز أن يكون من قول الهدهد أو من قول سليمان قرأ
الكسائي وأبو جعفر ويعقوب وحميد ألا يسجدوا بالتخفيف على معنى ألا يا هؤلاء اسجدوا وجعلوه أمرا من
الله مستأنفا وحذف هؤلاء اكتفاء بدلالة يا عليها فعلى هذه القراءة اسجدوا موضع جزم على الأمر والوقف عليه ألا يا

ثم تبتدئ اسجدوا وفي قراءة عبد الله هلا تسجدوا لله وقرأ الباقون ألا يسجدوا بالتشديد على معنى وزين لهم
الشيطان أن لا يسجدوا وقوله تعالى الذي يخرج الخبء في السموات والأرض الخبء كل ما غاب عن الإدراك وهو
بمعنى المخبوء مصدر وقع موقع المفعول كالخلق بمعنى المخلوق والعلم بمعنى المعلوم وخبء السموات الأمطار وخبء
الأرض النبات فعلى هذا تكون في بمعنى من قوله تعالى **ويعلم ما تخفون وما تعلنون** أي يعلم ما تخفون في قلوبكم
وما تعلنون بألسنتكم وفي قراءة الكسائي بالتاء لأن أول الآية خطاب على قراءته بتخفيف ألا يا اسجدوا قوله تعالى
الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم أراد بالعرش في هذه الآية سرير الملك الذي عظمه ورفعه فوق السموات
السبع وجعله أعظم من السموات والأرض ومن أعظم كل خلق وجعل الملائكة تحف به وترفع أعمال العباد إليه أي هو
الله الذي يستحق العبادة لا غيره وهو رب العرش العظيم وإن كان عظيما لا يبلغ عرش الله في العظم فلما
فرغ الهدهد من كلامه **قال** سليمان للهدهد **سننظر أصدقت** فيما أخبرتنا به من هذه القصة **أم كنت من الكاذبين**
ثم بعد ذلك كتب سليمان كتابا وختمه بخاتم ودفعه إلى الهدهد وذلك قوله تعالى **اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم**
أي إلى أهل سبا وقوله تعالى **ثم تول عنهم** أي انصرف عنهم وهذا على التقديم والتأخير تقديره فانظر ماذا يرجعون
ثم تول عنهم لأن التولي عنهم بعد الجواب ومعنى **فانظر ماذا يرجعون** أي ماذا يردون من الجواب وقيل معناه
ثم تول عنهم أي انصرف عنهم قليلا إلى حيث لا يرونك فانظر ماذا يرجعون أي يقولون ويردون ويجيبون
وكان كتاب سليمان عليه السلام من عبد الله سليمان بن داود عليه السلام إلى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع
الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وقال ابن جريج لم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه فلما كتب الكتاب
طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب به وأخذ الكتاب بمنقاره وذهب به فلما أغلقت المرأة الأبواب
دونها وباتت على سريرها وصعدت المصابيح تحت وسادتها فأتاها الهدهد من الكوة وهي نائمة مستلقية على قفاها
فألقى الكتاب على وجهها ونبهها بمنقاره وصوته وأخذت الكتاب وكانت كاتبة قارئة عربية من قوم تبع بن شراحيل
الحميري فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد ودعت بذوي الرأي من قومها وهم اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد مائة
ألف مقاتل وقال قتادة كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل على عشرة آلاف **فقالت** لهم **يا أيها الملأ إني**
ألقي إلي كتاب كريم أي حسن وقيل شريف وقيل مختوم قال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه قوله تعالى
إنه من سليمان أي أن الكتاب من سليمان وأن المكتوب فيه **بسم الله الرحمن الرحيم ألا**
تعلوا علي أي لا تتكبروا علي ولا تترفعوا علي **وأتوني مسلمين** منقادين طائعين قوله تعالى ألا تعلوا علي بدل
من كتاب موضعه على هذا القول رفع ويجوز أن يكون نصبا على معنى بأن لا تعلوا علي وقيل معنى قوله وأتوني مسلمين
أي مؤمنين بالله ورسوله من الإسلام الذي هو دين الله وقيل مستسلمين لأمري فيما أدعوكم إليه فإني لا أدعوكم إلا
إلى الحق فأطيعوني قبل أن أكرهكم على ذلك قوله تعالى **قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري** أي قالت لأهل
مشورتها أشيروا علي بما أعمل في أمري مما هو الصواب وأشيروا علي فإني **ما كنت قاطعة أمرا** من الأمور فيما
يعني **حتى تشهدون** تحضرون فتشاوروني وأشيروا علي في هذا الكتاب ما أصنع فيه **قالوا** مجيبين لها **نحن أولو قوة**
وعدد في القتال نعني أنا عدد كثير **ونحن أولو بأس شديد** في الحرب ذكروا لها قوتهم وشجاعتهم وهذا تعريض
منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك ثم قالوا **والأمر إليك** أي في القتال وتركه إن أمرتنا بالقتال قاتلنا وإن أمرتنا بالصلح صالحنا وذلك
معنى قوله تعالى **فانظري ماذا تأمرين** أي ماذا تشيرين علينا قوله تعالى **قالت إن الملوك إذا دخلوا**
قرية أفسدوها أي قالت مجيبة لهم عن التعرض للقتال إن الملوك إذا دخلوا قرية عنوة عن غلبة وقتال أفسدوها
أي أخربوها وأهلكوها **وجعلوا أعزة أهلها أذلة** أي أهانوا أشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الأمر وقيل
معنى قوله وجعلوا أعزة أهلها أذلة أي بالقتل والأسر والاستعباد وأخذ المال وانتهى الكلام هاهنا ثم قال الله تعالى تصديقا

لها **وكذلك يفعلون** أي كما قالت هي يفعلون ومعنى الآية أنها حذرتهم مسير سليمان إليهم ودخوله
بلادهم قوله تعالى **وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون** وذلك أنها لما تركت في أمرها
قوة الملاطفة بالهدايا وكانت من أولاد الملوك تعرف عادتهم في حسن مواقع الهدايا عندهم فإن ذلك هو الملك
وكانت بلقيس امرأة أديبة أريبة فقالت هذا القول اختبارا لسليمان أملك هو أم نبي فإن كان ملكا قبل
الهدية وترك الوصول إلى بلدها وإن كان نبيا لم يرض بالهدية ولا يرضيه إلا أن نتبعه فبعثت الهدايا
من المسك والعنبر والعود وغير ذلك وأهدت له خمسمائة عبد وخمسمائة جارية وأهدت له أيضا صحاف
الذهب وخمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت قوله تعالى **فلما جاء**
سليمان أي فلما جاء رسولها إلى سليمان بهديته **قال** له سليمان **أتمدونني بمال** وأنا أكثر أهل الدنيا مالا
ولست ممن يرغب في المال **بل أنتم بهديتكم تفرحون** أي إذا أهدى بعضكم إلى بعض فرح بذلك وأما أنا فلا
أفرح لأنكم أهل مفاخرة ومكاثرة في الدنيا. وفي الخبر أن سليمان عليه السلام لما علم بالهدايا قبل وصولها إليه
أمر أن تضرب لبنات من الذهب أحسن وأجود مما كان مع رسولها وأمر أن تلقى تلك اللبنات بين قوائم الدواب
حتى تروث وتبول عليها فلما رأى ذلك الرسول استخف الهدية التي كانت معه وكانت بلقيس قد قالت للرسول
إذا دخلت عليه فإذا نظر إليك نظر غضب فاعلم أنه ملك ولا يهولك منظره فأنا أعز منه وإن نظر إليك بوجه طلق
فاعلم أنه نبي مرسل فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا ومعه الهدهد سبق إلى سليمان فلما
وصل الرسول إلى سليمان وجده قاعدا في مجلسه على سريره وعلى يمينه أربعة آلاف كرسي من ذهب وعن يساره
مثل ذلك وقد اصطفت الإنس صفوفا وفراسخ واصطفت الجن والشياطين والوحوش والسباع والهوام والطير
كذلك صفوفا وفراسخ عن يمينه ويساره فلما رأوا الشياطين نظروا إلى منظر فظيع ففزعوا فقالت لهم الشياطين
جوزوا ولا بأس عليكم وكانوا يمرون على كل كردوس من الجن والإنس والطير والوحش حتى وقفوا بين يدي
سليمان عليه السلام فنظر إليهم نظرا حسنا بوجه طلق وقال ما وراءكم فأخبره رئيسهم بما جاءوا له من الهدية
وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه ثم قال لرسولها **ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها** أي
لا طاقة لهم بها **ولنخرجنهم منها** أي من بلادهم **أذلة** مغلولة أيديهم إلى أعناقهم **وهم صاغرون** أي
مهانون فلما أخبرها الرسول بذلك قالت قد عرفت ما هو بملك وما لنا به من طاقة ولا ينبغي لنا مخالفته ثم
تجهزت للسير إليه ثم عمدت إلى سريرها فوضعته في سبعة أبيات مغلقة الأبواب بعضها فوق بعض جعلته في الطبقة السابعة
وجعلت الحرس حوله وخرجت متوجهة إلى سليمان فأخبر جبريل عليه السلام سليمان وأخبره بمجيئها إليه **قال**
قوله تعالى **أيكم يأتيني بعرشها** أي سريرها **قبل أن يأتوني مسلمين** أي مؤمنين وقيل طائعين مستسلمين
منقادين وإنما خص العرش بالطلب لأنه أعجبه صفته فأحب أن يراه وأحب أن يعاينها به ويختبر عقلها إذا رأته
أتعرفه أم تنكره وأحب أن يريها قدرة الله في معجزة يأتي بها في عرشها وأحب أيضا أن يأخذ عرشها قبل أن تسلم فلا
يحل أخذه لها بعد الإسلام وذلك قوله تعالى قبل أن يأتوني مسلمين قوله تعالى **قال عفريت من الجن** يعرف بعمرو الجني
والعفريت في كل شيء البالغ الحاذق فيه يقال رجل عفريت وعفرية بمعنى واحد والجمع عفاريت وعفارى
وقيل العفريت من الجن المارد القوي الغليظ الشديد وقيل العفريت الداهية وقيل إنها صارت إلى سليمان في
اثني عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف كثيرة فخرج سليمان ذات يوم فإذا هو يرى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا
بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان قال ابن عباس وهو مكان من الحيرة والكوفة نحو فرسخ فأقبل حينئذ سليمان
على جنوده وقال أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين واختلف أهل العلم في السبب الذي لأجله أمر سليمان
بإحضار عرشها فقال أكثرهم لأن سليمان علم أنها إذا أسلمت حرم عليه مالها فأراد أن يأخذ عرشها قبل أن يحرم
عليه أخذه بإسلامها وقال قتادة إنه أعجبه صفته لما وصفه له الهدهد وأحب أن يراه وقال ابن زيد أراد

أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وتغييره لينظر هل تعرفه إذا رأته أو تنكره وقيل ليريها قدرة الله وعظم سلطانه
قوله تعالى أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك أي من مجلس قضائك وكان سليمان يجلس للقضاء من الغداة
إلى انتصاف النهار وقال سليمان قد علمت أني أنا أضع قدمي عند منتهى طرفي فليس شيء أسرع مني وإني عليه لقوي
أمين أي قوي على حمله أمين على ما فيه من الذهب والجواهر فقال سليمان أريد أسرع من ذلك قال الذي عنده
علم من الكتاب وهو آصف بن برخيا كان يعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وهذا قول الأكثر من المفسرين
وقال بعضهم هو جبريل وقيل هو ملك من الملائكة وقوله تعالى أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك قال
ابن جبير قال لسليمان انظر إلى السماء فما طرف حتى جاء به فوضعه بين يديه والمعنى حتى يعود إليك طرفك بعد
مده إلى السماء وقيل معناه بقدر ما تفتح عينيك وهذا اللفظ عبارة عن المبالغة في السرعة قال محمد بن إسحاق
كان عرشها حيث هو ثم نبع بين يدي سليمان وقيل هذا روي عن ابن عباس وقال الكلبي خر آصف ساجدا ودعا بالاسم
الأعظم فغار عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان وقال مجاهد أهل المعاني لا ينكر من قدرة الله أن يعدمه
من حيث كان ثم يوجده حيث كان سليمان بلا فصل بدعاء الذي عنده علم من الكتاب ويكون ذلك كرامة للولي ومعجزة
للنبي صلى الله عليه وسلم واختلفوا في ذلك الدعاء الذي دعا به آصف فقال مقاتل ومجاهد يا ذا الجلال والإكرام وقال
الكلبي يا حي يا قيوم وقيل قال له سليمان قد أتيك تنجح شفتيك فما قلت قال قلت إلهي وإله كل شيء إلها واحدا
لا إله إلا أنت ائتني به وقال بعضهم هو يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت ائتني به وقال بعضهم
هو يا إلهنا وإله كل شيء يا ذا الجلال والإكرام لا إله إلا أنت وقال الحسن اسم الله الأعظم يا الله يا رحمن وذلك أنه لا يسمى
أحد بهذين الاسمين على الإطلاق غير الله عز وجل قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده أي فلما رأى سليمان العرش
مستقرا عنده ثابتا بين يديه قال هذا من فضل ربي أي هذا التمكين من حصول المراد من فضل الله وعطائه ليبلوني
أي ليختبرني ويمتحني على هذه النعمة أأشكر أم أكفر فيما أعطاني من نعمه أم أترك شكرها ومن شكر فإنما يشكر لنفسه
أي من شكر نعمة ربه فإنما منفعة شكره راجع إلى نفسه يعني ثواب شكره يعود إليه ومن ترك شكر نعمه فإن ربي غني
عنه وعن شكره كريم بترك الشكر وترك عليه من النعمة في الدنيا ويثيب عليه في العقبى قوله تعالى قال نكروا
لها عرشها أي قال سليمان غيروا سريرها وزيدوا فيه وانقصوا منه حتى ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون
قوله تعالى فلما جاءت قيل أهكذا عرشك أي فلما جاءت بلقيس إلى سليمان قيل أهكذا سريرك يعني أتعرفين سريرك
من حصوله عند سليمان قالت كأنه هو وقال مقاتل عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها ولو قيل لها أهذا
عرشك لقالت نعم فقيل لها فإنه عرشك فما أغنى عنك إغلاق الأبواب وكانت قد خلفته وراء سبعة أبواب لما خرجت
والمفاتيح معها فلم تقر بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلها وقال عكرمة كانت حكيمة قالت إن قلت هو هو خشيت أن
أكذب وإن قلت لا خشيت أن أكذب فلم تقل نعم ولا قالت لا لأنها كانت تشبهه بسريرها وشكت أن وصل إلى سليمان بعد
أن وضعته في أحصن المواضع وشكت أيضا لما أحدثوا فيه من التغيير قوله تعالى وأوتينا العلم من قبلها وكنا
مسلمين هذا من قول سليمان عليه السلام وقومه أي قالوا وأعطينا العلم بها وبملكها وسريرها من قبل مجيئها وهي
ما أخبره وهو ما أخبر به الهدهد من شأنها وقصتها وقالوا وكنا مسلمين نحمد الله عز وجل من قبل مشاهدة المحل
وهذا قول مجاهد وقال بعضهم هذا من قول بلقيس لما رأت عرشها قالت وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان
عليه السلام من قبل أن نجيء إليه قوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله أي منعها من الإيمان بالله العبادة
التي كانت عليها من عبادة الشمس والمعنى وصدها عن الإيمان والتوحيد الذي كانت تعبد من دون الله وهو الشمس كأنها
نشأت في قوم لم يكونوا يعرفون إلا عبادة الشمس لأنها كانت من المجوس قوله تعالى إنها كانت من قوم كافرين
أي إنها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت فيما بينهم وقال بعضهم معنى قوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون
الله أي صدها سليمان أي منعها ذلك وحال بينها وبينه تعالى هذا يكون موضع ما نصبا قوله تعالى قيل لها ادخلي

الصرح وذلك أن بلقيس لما لم تسلم بما رأت من الآيات أراد سليمان عليه السلام أن يريها آية أخرى لتسلم فأمر
الجن والشياطين أن يبنوا لها صرحا أي قصرا من زجاج مملس وأن يجروا تحته الماء ويجعلوا فيه السمك والضفادع
لا يلبس ذلك ممردا أي مملسا وقال لها ففعلوا ذلك ثم وضع له سرير في صدر الصرح فجلس عليه ثم عكفت
عليه الطير والجن والإنس وقيل إن سليمان عليه السلام إنما أمر ببناء الصرح لأن الجن كانوا قد أخبروه
أن رجليها رجل حمار وأنها شعراء الرجلين لأن أمها كانت من الجن فخافوا أن يتزوجها فتفشي إليه أسرار
الجن فأرادوا أن يزهدوه فيها بهذا الكلام وقالوا له أيضا إن في عقلها شيئا فأراد سليمان أن يختبر
عقلها بتنكير عرشها وأراد أن يختبر حقيقة قولهم أن رجليها كحافر الحمار ولينظر إلى ساقيها هل بها شعر
كما قالوا فقيل لها ادخلي الصرح أي القصر وقيل صحن القصر وقال الزجاج الصرح هو الصحن يقال هذه
ساحة الدار وصرحة الدار والصرح في اللغة هو البسط المنكشف من غير سقف ومنه صرح بالأمر إذا أفصح
به ولم يكن عنه والتصريح خلاف التعريض فلما رأت بلقيس الصرح على تلك الصفة حسبته لجة واللجة
معظم الماء وكشفت عن ساقيها أي رفعت ثيابها عن ساقيها حتى لا تبتل ثيابها على ما هو العادة
فيمن قصد الماء قال ابن عباس لما كشفت ساقيها رأى سليمان قدميها لطيفتين وساقا حسنا خدلجا إلا أنها
كثيرة شعر الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها أنه ليس هذا بماء وإنما هو صرح قال
إنه صرح ممرد أي مملس من زجاج ونحوها في وأجرى عليه فلما رأت السرير والصرح علمت أن ملك
سليمان من الله عز وجل قالت رب إني ظلمت نفسي بعبادة الشمس وأسلمت مع سليمان لله رب
العالمين أي أخلصت التوحيد والمعنى أن بلقيس استدلت بما شاهدت على وحدانية الله وصحة نبوة
سليمان بما رأت من شدة قوته وما كان من رسل الطير وإحضار عرشها في أسرع المدة على بعد المسافة
وبنا الصرح من القوارير على وجه الماء فلذلك قالت ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين
فتزوجها سليمان عليه السلام وقيل لما أراد سليمان أن يتزوجها كره ذلك لما رأى من كثرة شعر ساقيها
فسأل الإنس ما يذهب هذا قالوا الموسى فقالت إنها تقطع ساقيها فسأل الجن فقالوا لا ندري ثم سأل
الشياطين فقال لهم كيف لي أن أقلع هذا الشعر من غير مضرة للجسد فدلوه على عمل النورة وكانت النورة
والحمامات من يومئذ فاتخذوا لها النورة والحمام وتزوجها سليمان عليه السلام فلما تزوجها أحبها حبا
شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن أن يبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير مثلها ارتفاعا وهي سلحين
وبينون وغمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها إلى ملكها ويقيم عندها ثلاثة
أيام وولدت له أولادا فيما ذكر وروي أن رجلا جاء إلى عبد الله بن عيينة وسأله هل تزوج سليمان
بلقيس فقال عهدي بها أن قالت وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين يعني أنه لا نعلم ذلك قوله تعالى
ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله أي بأن اعبدوا الله وحده فآمن به فريق وكفر به فريق
فجعلوا فريقان يختصمون كما قال الله تعالى في سورة الأعراف قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين
استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون وقوله تعالى
فإذا هم فريقان يختصمون أي فإذا هم مؤمن وكافر مصدق ومكذب يختصمون في الدين كل فريق منهم
يقول الحق معي وقوله تعالى قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة فيه ضمير تقديره أن المؤمنين
أوعدوا الكفار على كفرهم وتكذيبهم فاستعجل الكفار العذاب فقال صالح عليه السلام للكفار لم
تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة أي بالعذاب قبل الرحمة ولا تستعجلون الثواب الموعود على الإيمان
وقوله تعالى لولا تستغفرون الله أي هلا تستغفرون الله عن كفرهم وتكذيبهم لعلكم ترحمون
فلا تعذبون في الدنيا قوله تعالى قالوا اطيرنا بك وبمن معك أي تشاءمنا بك وبمن على دينك لما لحقنا

من نقصان الزرع والثمار والمياه والتطير هو التشاؤم واصله نتطير بالكرم سمعك وذلك انه قحط المطر
عنهم وجاعوا فقالوا اصابنا هذا البلاء والضر من شؤمك وشؤم اصحابك وانما ذكر التطير بلفظ التشاؤم
على عادة العرب في نسبتهم الشؤم الى ما ياتي من الطير من ناحية اليد الشومى وهي اليسرى ويسمون الطير
الذي ياتي من ناحية اليد اليسرى البارح واما الطير الذي ياتي من ناحية اليد اليمنى فهو السانح قوله
تعالى قال طائركم عند الله اي قال لهم صالح عليه السلام ردا عليهم طائركم عند الله اي الشؤم
اتاكم من عند الله بكفركم وهذا الذي اصابكم من الجدب والخصب عند الله مكتوب عليكم لازم في اعناقكم لا ادرككم
لحب وما علمه عندي وهذا كقوله يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله قوله تعالى بل انتم قوم تفتنون
اي تختبرون في الدنيا باختلاف احوالكم من الخير والشر وقيل معناه بل انتم قوم تعذبون بذنوبكم وقيل تمتحنون
بارسالي اليكم لتثابوا على متابعتي وتعاقبوا على مخالفتي وقيل معنى تفتنون اي تعاقبون كما في قوله تعالى ذوقوا
فتنتكم اي عقوبتكم قوله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون معناه
وكان في مدينة صالح عليه السلام وهي الحجر تسعة رهط من الفساق من ابناء رؤسائهم وهم غواة قوم صالح نفر
في الارض بالمعاصي ولا يصلحون ولا يطيعون الله ولا يامرون بالصلاح واسماؤهم قدار بن سالف ومصدع واسلم ودهم
ورهيم ودعمي ودعيم وقتال وصواب قوله تعالى قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله اي قالوا فيما بينهم
احلفوا بالله اي تحالفوا بالله لندخلن على صالح وعلى اهله الذين معه ليلا فنقتلهم بياتا وقرا حمزة والاعمش
والكسائي وخلف لتبيتنه بالتاء ولتقولن بالتاء وضم التاء واللام على الخطاب قوله تعالى ثم لنقولن لوليه ما
شهدنا مهلك اهله اي ثم لنقولن لولي دمه ان اتهمنا بقتله ما شهدنا اهلاك صالح واهله اي ما قتلناه ولا ندري
من قتله واهله وانا لصادقون فيما نقول وقرا عاصم برواية ابي بكر مهلك بفتح الميم واللام والمهلك يجوز ان
يكون مصدرا بمعنى الاهلاك ويجوز ان يكون الموضع وروى حفص عن عاصم مهلك بفتح الميم وكسر اللام وهو اسم المكان
على معنى ما شهدنا موضع هلاكهم قال الزجاج تحالفوا هؤلاء التسعة على ان يبيتوا صالحا واهله ثم ينكروا عند
اوليائه وكان هذا مكرا عزموا عليه كما قال تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون اي دبروا
في امر صالح عليه السلام واهله من حيث لم تشعر بهم صالح ولا اهله ومكرنا مكرا اي دبرنا في اهلاكهم مجازاة لهم
على مكرهم بتعجيل عقوبتهم وهم لا يشعرون بالارادة فيهم فانظر كيف كان عاقبة مكرهم اي فانظر يا محمد كيف كان
عاقبة مكرهم اي كيف كان اخر مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين قرا الحسن واهل مكة والاعمش انا دمرناهم
بفتح الهمزة ولذلك وجهان ان تكون انا في محل الرفع تبعا للعاقبة كانه قال العاقبة انا دمرناهم والثاني ان تكون
نصبا على خبر كان تقديره كان عاقبة مكرهم التدمير وقرا الباقون انا بالكسر على الابتداء وهو تفسير ما كان قبله
قوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا والتدمير هو الاهلاك على وجه عظيم فظيع واختلفوا في
كيفية هلاكهم قال ابن عباس ارسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونها وجاءت التسعة الى دار صالح
شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث كانوا يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وقال مجاهد
نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضا ليأتوا دار صالح فجثم عليهم فاهلكهم الله واهلك الله قومهم اجمعين بصيحة جبريل
عليه السلام قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية اي خالية عن اهلها الخير والنعم بسبب ظلمهم ولم يبق فيها منهم
ديار بما ظلموا اي بظلمهم وشركهم اهلكناهم وقرا العامة خاوية بالنصب على الحال والمعنى فانظر الى بيوتهم خاوية
حتى جعلت بيوتهم خاوية ... قال الكسائي وابو عبيدة نصب على القطع تقديره تلك بيوتهم الخاوية
فلما قطع منها الالف واللام نصب كقوله وله الدين واصبا وقرا عيسى بن عمر خاوية بالرفع على الخبر قوله تعالى ان في
ذلك لآية لقوم يعلمون اي ان في اهلاكنا اياهم لدلالة ظاهرة وعبرة لمن علم قدرة الله وتدبره قوله تعالى
وانجينا الذين امنوا اي انجينا الذين امنوا بصالح من العذاب وكانوا يتقون الشرك والعقاب قوله تعالى

ولوطا

ولوطا اذ قال لقومه اي واذكر لوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة يعني اللواطة سماها فاحشة لعظم قبحها
وانتم تبصرون اي وانتم تعلمون انها فاحشة وقيل معناه وانتم تبصرون بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون قوله
تعالى بل انتم قوم تجهلون اي تجهلون العذاب الموعود على هذه الفاحشة وقيل تجهلون القيامة وعاقبة المعاصي
قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون
اي عن ادبار الرجال يقولون ذلك استهزاء بهم قوله تعالى فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين اي
قدرنا عليها ان تكون من الغابرين اي من المتخلفين فتهلك فيمن هلك لان جرمها مثل جرمهم لانها كانت راضية بفعلهم القبيح
قرنت بجرمهم في العذاب قوله تعالى وامطرنا عليهم مطرا اي على شذاذهم مطرا اي حجارة فساء مطر المنذرين
فبئس المطر مطر قوم انذرهم لوط عليه السلام فلم يؤمنوا قوله تعالى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين
اصطفى اي قيل للوط قل الحمد لله على هلاك كفار قومي وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد الحمد لله
على هلاك كفار الامم الماضية وقيل على جميع نعم الله سبحانه وقوله تعالى وسلام على عباده الذين اصطفى قال
مقاتل يعني الانبياء الذين اختارهم الله لرسالته وقال ابن عباس هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي
هم امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين اصطفاهم الله لمعرفته وطاعته ومعنى السلام عليهم انهم سلموا مما عذب به
الكفار قوله تعالى آلله خير اما يشركون اي قل لهم الله الذي لكم عبادته افضل ام عبادة من تشركون به من
دونه من الاصنام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا هذه الاية قال بل الله تعالى خير وابقى واجل
واكرم مما يشركون وقرا عاصم واهل البصرة اما يشركون بالياء وقرا الباقون بالتاء قوله تعالى امن خلق السموات
والارض فيه اضمار كانه قال الهتكم خير ام الذي خلق السموات والارض وما فيهما من العجائب والبدائع وانزل لكم
من السماء ماء يعني المطر فانبتنا به حدائق ذات بهجة اي بساتين ذات منظر حسن ونوار والحديقة هي البستان
الذي يحاط عليه بما فيه من النخل والشجر فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة قوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها
هذا نفي يعني ما قدرتم عليه والمعنى ما ينبغي لكم لانكم لا تقدرون عليها ثم قال مستفهما منكرا عليهم االه مع الله
اي هل معه معبود سواه اعانه على صنعه في خلق هذه الاشجار قوله تعالى بل هم قوم يعدلون يعني كفار مكة
قوم يعدلون الاصنام مع خالقهم بجهلهم وقيل يعدلون اي يشركون بالله غيره وقيل يعدلون عن الطريق وعن النظر
في الدلائل المؤدية الى العلم بوحدانية الله قوله تعالى امن جعل الارض قرارا اي مستقرا لا تميد باهلها بل جعلها
سكنا يستقرون فيها ويتصرفون عليها فلا هي مضطربة بهم ولا هي حزنة غليظة مثل دروس الجبال قوله تعالى وجعل
خلالها انهارا اي جعل وسطها الانهار اودية وعيونا من عذب ومالح وجعل لها رواسي اي جعل على الارض
جبالا ثوابت اوتادا لها وجعل بين البحرين حاجزا اي بين الملح والعذب مانعا بلطف قدرته لا يختلط احدهما
بالآخر ولا يبغي احدهما على صاحبه قوله تعالى االه مع الله اي مع الله اله يفعل شيئا من هذه الاشياء بل اكثرهم لا يعلمون
توحيد ربهم وقدرته قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر المكروب المجهود المدفوع الى الضيق من
من غرق او مرض وبلاء او جدب او كرب اذا دعاه فيكشف عنه ضره ويفرج عنه فينقذه من الغرق ويشفيه من المرض
ويعافيه من البلاء وقال السدي المضطر الذي لا حول له ولا قوة وقال ذو النون هو الذي قطع العلائق عما دون
الله قوله تعالى ويجعلكم خلفاء الارض اي ياتي بقوم بعد قوم ويخلق قرنا بعد قرن كلما اهلك قرنا انشا
آخرين فيكون كل خلف لمن قبلهم قوله تعالى االه مع الله اي اله سوى الله يفعل ذلك قليلا ما تذكرون اي قليلا
ما تتعظون قوله تعالى امن يهديكم في ظلمات البر والبحر معناه امن يرشدكم الى الطريق في ظلمات الليل في البر والبحر
اذا سافرتم بما خلق لكم من القمر والنجوم والمنازل وهذا كقوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر
والبحر ويجوز ان يكون المراد بالظلمات الشدائد قوله تعالى ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته اي قدام المطر
والنشر جمع النشور وهي الرياح التي تاتي بالسحاب قوله تعالى االه مع الله تعالى الله عما يشركون اي تعالى وتعزز

عن أن يكون له شريك قوله تعالى أمن يبدأ الخلق ثم يعيده معناه أمن يبدأ الخلق في الأرحام من النطفة ثم يميته
ثم يعيده للبعث والنشور قوله تعالى ومن يرزقكم من السماء والأرض أي يرزقكم من السماء المطر و
النبات والزرع قوله تعالى أإله مع الله قل هاتوا برهانكم أي حجتكم فيما تدعونه من إله سواه إن كنتم
صادقين أن مع الله إلهة أخرى تصنع شيئا من هذه الأشياء قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا
الله أي قل لهم يا محمد لا يعلم من في السموات يعني الملائكة والأرض يعني الناس لا يعلم أحد منهم شيئا من الغيب مثل وقت نزول
العذاب وقيام الساعة وغير ذلك مما غاب عن العادة ولا يعلم ذلك إلا الله عز وجل وحده وما يشعرون أيان
يبعثون أي وما يدرون متى يبعثون من القبور والأصل في أيان أي أوان فصارتا وجعلتا أداة واحدة قالت عائشة
رضي الله عنها من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم الفرية على الله تعالى قوله تعالى لا يعلم من في السموات والأرض الغيب
إلا الله قوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة فيه قراءتان قرأ الأعمش والحسن وشيبة وعاصم وحمزة والكسائي وخلف
بل ادارك بكسر اللام وتشديد الدال أي تدارك وتتابع علمهم في الآخرة ومنه قوله تعالى حتى إذا اداركوا فيها جميعا وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ومجاهد بل أدرك من الإدراك أي تم ولحق كما يقال أدركه علمي أي بلغه ولحقه قال ابن عباس
يريد ما جهلوه في الدنيا وسقط علمه عنهم علموه في الآخرة وقال السدي اجتمع علمهم يوم القيمة فلم يشكوا ولم يختلفوا
وقال مقاتل بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا و قوله تعالى بل هم في شك منها أي بل هم اليوم
في شك من الساعة بل هم منها عمون جمع عم وهو أعمى القلب وقيل معنى بل هم منها عمون أي متحيرون يكون ... إنما
رجل عمه وعامه وعم إذا كان متحيرا وقوم عمون أي متحيرون وقيل يجوز أن يكون معنى بل ادارك علمهم أي يحق عليهم ذلك بما
نصحهم من المخالفة بل هم في شك منها بل تركوا التأمل قوله تعالى وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون
معناه وقال كفار مكة أئذا صرنا ترابا أو آباؤنا أئنا لمخرجون من القبور أحياء قوله تعالى لقد وعدنا هذا أي نحو
من البعث والنشور وعدنا ونحن وآباؤنا من قبلنا فما وجدنا لذلك حقيقة وما هذا الذي يعدنا محمد إلا كذب وقيل
معناه لقد وعدنا هذا البعث نحن وآباؤنا من قبل محمد وليس لذلك شيء إن هذا إلا أساطير الأولين أي أحاديثهم
وأكاذيبهم التي كتبوها قوله تعالى قل سيروا في الأرض أي قل يا محمد سيروا أي سافروا وترددوا في الأرض فانظروا
كيف كان عاقبة المجرمين بالرسل كيف أهلكهم الله بأنواع العقوبات قوله تعالى ولا تحزن عليهم أي
على تكذيبهم إياك وإباءهم أهلكهم إن لم يؤمنوا وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا على إيمانهم ونجاتهم
ولا تكن في ضيق مما يمكرون أي لا يضيق صدرك يا محمد بما يمكرون وسيظهرك الله عليهم نزلت هذه الآية في المستهزئين الذين
اقتسموا أعقاب مكة وقد مضى قصتهم قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين أي يقولون على وجه
التكذيب متى هذا الوعد الذي تعدنا به في الدنيا والآخرة إن كنتم صادقين في ذلك أنه يكون قوله تعالى قل عسى أن يكون
ردف لكم أي قل يا محمد عسى أن يكون ردف لكم أي دنا وقرب منكم بعض ما تستعجلون به من العذاب ... وعسى في هذا
الموضع بمعنى الشك إنما هو بمعنى الإيجاب بوجه التخويف قال ابن عباس ردف لكم أي قرب لكم وقيل حضركم والمعنى أن الله تعالى
أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للذين يستعجلون بالعذاب قد دنا لكم بعض ما تستعجلون من العذاب وكان بعض
الذي دنا لهم القتل ببدر والقحط الذي سلط عليهم عقيب هذه الآية بمعنى كانوا الخسف والمعنى في ردف لكم أي ردفكم وأدخل
اللام صلة زائدة كما تقولون نقدته ونقدت له قوله تعالى وإن ربك لذو فضل على الناس قال مقاتل معناه لذو فضل
على أهل مكة حين لا يعجل لهم العذاب ولكن أكثرهم لا يشكرون وقيل لذو فضل عليهم بأنواع النعم عليهم ولكنهم
لا يشكرون فضله عليهم وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم أي ما تخفي صدورهم وتستر من البغض والعداوة وما
يعلنون بألسنتهم من الكفر والتكذيب وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم فيجازيهم على ذلك قوله تعالى وما من غائبة في السماء
والأرض إلا في كتاب مبين أي وما من جملة غائبة خافية على أهل السماء والأرض إلا هو مكتوب في اللوح المحفوظ
مبين فيه قوله تعالى إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون أي يبين لهم ما اختلفوا فيه كما اختلف

اليهود

اليهود والنصارى في المسيح وعزير والأنبياء كما اختلافهم في صفة النبي صلى الله عليه وسلم المبشر به في التوراة و قوله تعالى وإنه
لهدى ورحمة للمؤمنين أي وإن هذا القرآن لهدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن آمن به و قوله تعالى إن ربك يقضي
بينهم بحكمه أي يقضي بين المؤمنين والكفرين يوم القيمة بحكمه وهو العزيز العليم أي العزيز بالانتقام من الكفار
العليم بهم وبعقوبتهم وبما يكون من قضائه و قوله تعالى فتوكل على الله أي ثق بالله يا محمد وفوض أمورك إليه إنك على
الحق المبين أي على طريق الإسلام وفي هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى إنك لا تسمع الموتى هذا مثل للكفار
شبه الله كفار مكة بالأموات تقول كما لا يسمع الميت النداء كذلك لا يسمع الكافر النداء ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين
قال قتادة لو أن أصم ولى مدبرا وناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى إليه من الإيمان والمعنى أنهم لفرط إعراضهم
عن ما يدعون إليه من التوحيد كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه وكالأصم الذي لا يسمع قوله تعالى وما أنت بهادي
العمي عن ضلالتهم أي وما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان وقيل معناه كما لا يمكن إرشاد الأعمى
إلى قصد الطريق بالأمارات الدالة على الطريق كذلك لا يمكن هداية القوم الذين عميت بصائرهم عن آيات الله وليس على الرسول
عليه السلام إلا الدعاء إلى الله تعالى وقرأ حمزة والأعمش وما أنت تهدي العمي بالتاء ونصب الياء على الفعل هاهنا وفي الروم
قوله تعالى إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا أي ما تسمع سماع إفهام إلا من يؤمن بآياتنا وتطلب الحق بالنظر في القرآن وقال
مقاتل الذين يصدقون بالقرآن أنه من الله تعالى فهم مسلمون أي مخلصون بتوحيد الله والمعنى ما تسمع دعوتك سماع
القبول إلا من طلب الحق بالنظر في آيات الله فلا يلبث أن يسلم مع ظهور الدلائل قوله تعالى وإذا وقع القول عليهم أخرجنا
لهم دابة من الأرض تكلمهم معناه وإذا وجب القول عليهم بالسخط والعذاب عند قرب الساعة أخرجنا لهم دابة من الأرض
وقال قتادة إذا غضب الله عليهم وأوجب أن ينزل بهم ما قال الله وحكم به من عذابه وسخطه عليهم أي على الكفار الذين تخرج
عليهم الدابة وهو قوله تعالى أخرجنا لهم دابة من الأرض وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر وقال مخلد بن الحسين
لا تخرج الدابة حتى لا يبقى أحد يريد أن يؤمن قالوا وتخرج الدابة من صدع في الصفا وروي أنها تخرج من الصفا والمروة
ولا يخرج إلا رأسها وعنقها فيبلغ رأسها السحاب فيراها أهل المشرق والمغرب فيسمعون كلامها بالإنسان تقول لهم أيها
الكفار مصيركم إلى النار ثم تقبل على المؤمنين فتقول أيها المؤمنون مصيركم إلى الجنة فيتميز عند ذلك أهل الجنة من أهل
النار ويجوز أن يكون قوله تكلمهم من الكلم وهي الجراحة كما روي في قراءة ابن عباس تكلمهم بفتح التاء وكسر اللام أي تسمهم
تكتب على وجه الكافر أنه كافر وعلى جبين المؤمن أنه مؤمن وقال أبو هريرة إنها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان وعن
ابن عمر أنه قال تكتب على وجه الكافر نكتة سوداء فتفشو في وجهه وتكتب على وجه المؤمن نكتة بيضاء فتفشو في وجهه
حتى يبيض وجهه فيعرف المؤمن من الكافر عند ذلك • وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال إذا ترك الناس الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر كان ذلك الوقت وقت أشراط الساعة وخروج الدابة قوله تعالى أن الناس قرأ أهل الكوفة ويعقوب
أن الناس بفتح الألف على وجه الحكاية عن قول الدابة وعلى معنى أخرجنا الدابة بأن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون
وقرأ الباقون بالكسر على الابتداء وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... مرتين
أو ثلثا قالوا ولم ذلك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين وقال بعضهم
بينما ابن عباس بمكة فبينما هو على الصفا إذ قرع الصفا بعصاه وهو محرم وهو يقول إن الدابة تسمع قرع عصاي
هذه قال ابن عباس هي دابة ذات زغب وريش لها أربع قوائم وعن أبي هريرة قال تخرج الدابة ومعها عصا موسى
وخاتم سليمان فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم وجه الكافر بالخاتم • والمخاطم هي الأنوف واحدها مخطم بكسر الطاء • وعن
حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دابة الأرض طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب
وعن أبي الزبير أنه وصف الدابة فقال رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وصدرها صدر أسد ولونها
لون نمر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصل ومفصل اثنا عشر ذراعا معها عصا موسى وخاتم سليمان
وقال صلى الله عليه وسلم تخرج دابة الأرض من الصفا فيبلغ صدرها الركن اليماني ولم تخرج ذنبها بعد وهي دابة

ذات قوائم ودبر وعن ابن عمر انه قال تخرج الدابة من صدع في الصفا كجري الفرس ثلاثة ايام وما خرج ثلثها وقال صلى الله عليه وسلم بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم حتى تحرك القنديل في المسجد وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة فاول ما يبدو منها رأسها ذات وبر وريش لم يدركها طالب ولا يفوتها هارب تسمي الناس مؤمنا وكافرا اما المؤمن فتترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن واما الكافر فتكتب بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر وعن الحسن ان موسى سأل ربه ان يريه الدابة فخرجت ثلاثة ايام ولياليهن تذهب في السماء ولم تخرج ذنبها فنظر منها منظرا فظيعا فقال يا رب ردها فردها قوله تعالى **ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون** قال مقاتل تكلمهم بالعربية فتقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون تخبر ان اهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن والبعث والثواب والعقاب قوله تعالى **ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا** الفوج الجماعة من الناس كالزمرة والجماعة والمراد بهم الرؤساء والمتبوعين والمعنى ويوم نجمع من كل امة جماعة من المكذبين بالرسل و قوله تعالى **فهم يوزعون** أي يحبسون ليلحقون وقال ابن عباس يساقون الى النار وقيل يحبس اولهم على آخرهم ليجتمعوا ثم يساقون الى الموقف لاقامة الحجة عليهم قوله تعالى **حتى اذا جاؤوا قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما** أي حتى اذا جاؤوا الى موقف الحساب قال الله لهم اكذبتم باياتي استفهام بمعنى الانكار عليهم والوعيد لهم قال ابن عباس معناه اكذبتم انبيائي باياتي غير عالمين بها ولم تعلموا في صحفها وجحدتم من غير ... ولم تحيطوا بها علما انها باطل والمعنى اكذبتم باياتي جاهلين بغير علم و قوله تعالى **اماذا كنتم تعملون** أي ماذا كنتم تعملون حين لم تبحثوا عنها ولم تفكروا فيها هذا توبيخ لهم وان كان بلفظ السؤال قوله تعالى **ووقع القول عليهم بما ظلموا** أي وجب العذاب عليهم بما اشركوا **فهم لا ينطقون** بحجة عن انفسهم لختم على افواههم وقيل لا ينطقون لقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قوله تعالى **الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا** أي مضيئا لطلب المعاش قوله تعالى **ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون** أي ان فيما ذكرنا من اختلاف الليل والنهار لدلالات للمؤمنين والكافرين لكنه خص المؤمنين لانهم هم الذين ينتفعون بالذكر قوله تعالى **ويوم ينفخ في الصور** قال ابن عباس يعني النفخة الاولى وهي نفخة الصعق **ففزع من في السموات ومن في الارض** أي ماتوا من شدة الخوف لقوله تعالى **الا من شاء الله** قال ابن عباس يريد الشهداء وهم احياء عند ربهم يرزقون وقال الكلبي ومقاتل يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت قوله تعالى **وكل اتوه داخرين** أي كل الخلائق ياتون الى موضع الجزاء صاغرين واما النفخة الثانية فتسمى نفخة البعث فبينهما اربعون سنة وقيل ينفخ في الصور ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق وهو الموت والثالثة نفخة القيام لرب العالمين وعن عبد الله بن عمرو قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الصور فقال هو قرن ينفخ فيه وقال مجاهد هو كهيئة البوق وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر قال قلت يا رسول الله وما الصور فقال هو قرن وقال مجاهد هو كهيئة البوق وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر قال قلت يا رسول الله وما الصور قال قرن قلت كيف هو قال عظيم والذي بعثني بالحق ان عظم دارة فيه كعرض السموات والارض فينفخ فيه ثلاث نفخات النفخة الاولى نفخة الفزع والنفخة الثانية نفخة الصعق والنفخة الثالثة نفخة القيام لرب العالمين فيأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول له انفخ نفخة الفزع فيفزع اهل السموات واهل الارض الا من شاء الله ويأمره ان يمدها ويطيلها وهي التي يقول الله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق ويسير الله الجبال فتمر مر السحاب

صح

فتكون سرابا وترتج الارض باهلها رجا فتكون كالسفينة الموثقة في البحر تضربها الامواج وتلقيها الرياح او كالقنديل المعلق ترجحه الرياح وهو قوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فتميد الارض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الاطفال وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تاتي الاقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهو قوله تعالى يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض وتطير السماء كالمهل وتنشق الارض وتنتثر نجومها وتكسف شمسها وقمرها ثم يامر الله اسرافيل ان ينفخ نفخة الصعق فيصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وقوله تعالى وكل اتوه داخرين قرأ الاعمش وحمزة وحفص اتوه مقصورا على الفعل بمعنى جاؤه وقرأ الباقون بالمد وضم التاء وقوله تعالى داخرين أي صاغرين قوله تعالى **وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب** أي تحسبها يا محمد واقفة مستقرة مكانها وتظنها ساكنة لا تتحرك في رأي العين وهي تسير في الهواء سير السحاب حتى ... كراكب السفينة يحسبها واقفة وهي سائرة و قوله تعالى وهي تمر مر السحاب أي تسير سير السحاب حتى تقع على الارض فتستوي بها قوله تعالى **صنع الله الذي اتقن كل شيء** نصب على المصدر كانه قال صنع الله ذلك صنعا وقيل على الاغراء أي انظروا صنع الله الذي اتقن كل شيء أي احكم وابرم ما خلق ومعنى الاتقان في اللغة الاحكام للاشياء وقوله تعالى **انه خبير بما تفعلون** قرأ نافع وابن عامر والكوفيون بالتاء وقرأ الباقون بالياء والمعنى انه خبير بما يفعله اعداؤه من المعصية والكفر وبما يفعله اولياؤه من الطاعة قوله تعالى **من جاء بالحسنة فله خير منها** معناه من وافى عرصات القيامة بالحسنات فله ثواب اخروي وانتفع منها وقيل معناه من جاء بالايمان قال ابو معشر كان ابراهيم ... ان الحسنة لا اله الا الله وقال قتادة الحسنة هي الاخلاص وقيل المعنى من جاء بكلمة الاخلاص قال ابن عباس فله خير منها يصل الخير اليه منها شهادة ان لا اله الا الله يوم القيامة أي من ذلك في يوم القيامة للايمان فله خير منها أي فله من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والامن من العذاب وخيرها فاما ان يكون من غير تفضيل لانه ليس شيء خير من لا اله الا الله ولكن منها خير وقال بعضهم دخل على علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال الا انبئك بالحسنة التي من جاء بها ادخله الله الجنة والسيئة التي من جاء بها اكبه الله في النار ولم يقبل منه عملا قلت بلى قال الحسنة حبنا والسيئة بغضنا وقيل خير منها رضوان الله وقيل الاضعاف يعطيه الله بالواحد عشرا فصاعدا قوله تعالى **وهم من فزع يومئذ آمنون** قرأ اهل الكوفة فزع منونا يومئذ نصب الميم وقرأ الباقون بالاضافة واختاره ابو عبيد لانه اعم فيكون شاملا لجميع فزع ذلك اليوم واذا كان منونا كان لفزع دون فزع قال ابو علي الفارسي اذا نون يجوز ان يكون لفزع واحد ويجوز ان يعنى به الكثرة لانه مصدر والمصادر تدل على الكثرة وان كانت مفردة الالفاظ كقوله ان انكر الاصوات لصوت الحمير قال الكلبي اذا اطبقت النار على اهلها فزعوا فزعة لم يفزعوا مثلها ابدا واهل الجنة آمنون من ذلك الفزع قوله تعالى **ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار** أي من جاء بالشرك والكبائر فكبت وجوههم في النار ويقول لهم خزنة جهنم **هل تجزون الا ما كنتم تعملون** في الدنيا من الشرك قوله تعالى **انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها** أي قل يا محمد للمشركين انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة يعني مكة الذي حرمها أي جعلها حرما آمنا لا يحل فيها القتال ولا الاصطياد ولا يختلى خلاها والظلم وان لا يهاج منها احد حتى يخرج منها فلا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها وقيل معنى حرمها أي عظم حرمتها فجعل لها من الامن ما لم يجعل لغيرها وقرأ ابن عباس التي حرمها اشارة الى البلدة وقوله تعالى **وله كل شيء** لانه خالقه ومالكه قوله تعالى **وامرت ان اكون من المسلمين** أي وامرت ان اكون من المسلمين المخلصين لله بالتوحيد **وان اتلو القرآن** أي وامرت ان اتلو القرآن عليكم يا اهل مكة تلاوة الدعوة الى الايمان وقيل تلاوة اي تعلم لامر الاسلام وتلاوة القرآن قوله تعالى **فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه** أي من اهتدى فانما منفعة اهتدائه راجعة الى نفسه **ومن ضل** أي عن الايمان

والطريق واخطأ الطريق طريق الهدى فقل انما انا من المنذرين أي من المخوفين فليس علي الا البلاغ فاني
لم اومر بالاجبار على الهدى وليس علي الا الانذار وكان هذا قبل الامر بالقتال قوله تعالى وقل الحمد لله أي قل الحمد
لله على نعمه سيريكم آياته يعني العذاب في الدنيا والقتل ببدر فتعرفونها حين تشاهدونها اذا راهم
ذلك وضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وعجلهم الله الى النار وما ربك بغافل عما تعملون من المكر
والكفر والفساد وهذا وعيد لهم بالجزاء على اعمالهم وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من
قرأ سورة النمل كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من كذب بسليمان وصدق به وهود وشعيب وصالح ولوط وابراهيم
واسحق ويعقوب وسليمن عليهم السلام ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص ثمان وثمانون آية

الا آية واحدة ان الذي فرض عليك القرآن الآية فانها نزلت بالجحفة بين مكة والمدينة وعدد حروف السورة خمسة
الاف وثمانمائة حرف والف واربعمائة واحدى واربعون كلمة وثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة القصص لم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم
القيمة انه كان صادقا ان كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون طسم قد تقدم تفسيره قوله
نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق أي نقرأ عليك خبر موسى وفرعون بالصدق نبينها لقوم يؤمنون
تعالى ان فرعون علا في الارض أي تجبر وتكبر في ارض مصر وجعل اهلها شيعا أي فرقا واصنافا
في الخدمة والتسخير يكرم قوما ويذل آخرين و قوله تعالى يستضعف طائفة منهم يعني بني اسرائيل ثم فسر ذلك فقال
يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم يعني الابناء ويترك البنات فلم يقتلهن وقيل معناه يذبح ابناءهم صغارا ويستبقي نساءهم
للخدمة وسبب ذلك ان بعض الكهنة قالوا ان مولودا يولد في بني اسرائيل يكون سبب ذهاب ملكك قال الزجاج
والعجب من حمق فرعون انه ان كان الكاهن صادقا فما ينفع القتل وان كان كاذبا فما معنى القتل و قوله تعالى انه كان
من المفسدين يعني بالقتل والعمل بالمعاصي قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض أي نريد
ان ننعم على الذين استضعفوا في الارض وهم بنو اسرائيل ونجعلهم ائمة يقتدى بهم في الخير قال قتادة ولاة وملوكا
ودليله قوله تعالى وجعلكم ملوكا ونجعلهم الوارثين لملك فرعون ومساكن قومه يرثون ديارهم واموالهم
قوله تعالى ونمكن لهم في الارض أي نملكهم ما كان يملكه فرعون قوله تعالى ونري فرعون وهامان وجنودهما
منهم ما كانوا يحذرون أي ما كانوا يخافونه من هذا المولود الذي يذهب ملكهم على يديه وذلك انهم اخبروا
ان هلاكهم على يدي رجل من بني اسرائيل فكانوا على وجل منهم فاراهم الله تعالى ما كانوا يحذرون أي ما كانوا يخافون
من حتفهم وذهاب ملكهم على ايديهم وقرأ الاعمش وحمزة والكسائي وخلف ويرى فرعون بالياء وما بعده رفع على
ان الفعل لهم وقرأ الباقون بالنون مضمومة وما بعده نصب بوقوع الفعل عليهم قوله تعالى واوحينا الى ام موسى
ان ارضعيه لم يرد بالوحي وحي رسالة وانما اراد الالهام كما في قوله تعالى واوحى ربك الى النحل وقيل اتاها الله في
المنام فرأت فيه تعبير الرؤيا وقال بعضهم اتاها ملك خاطبها بهذا الكلام واسم ام موسى يوخابذ بنت لاوي
بن يعقوب قال وهب بن منبه لما حملت ام موسى بموسى كتمته من جميع الناس فلم يطلع على حملها احد من خلق الله
تعالى فلما كانت السنة التي ولد فيها موسى بعث فرعون القوابل تفتش النساء وحملت ام موسى فلم ينتأ بطنها
ولم يتغير لونها ولم يظهر لبنها وكانت القوابل لا تعرض لها فلما كانت الليلة التي ولدت فيها ولدته امه
ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها احد الا اختها مريم واوحى الله اليها ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم
فكتمته ثلاثة اشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك فلما خافت عليه عملت له تابوتا مطبقا ومهدت له فيه ثم

القته في البحر ليلا كما امرها الله فلما اصبح فرعون جلس في مجلسه على شاطئ النيل فبصر بالتابوت فقال لمن حوله
ائتوني بهذا التابوت فاتوه به فلما وضع بين يديه فتحوه فوجد فيه موسى فلما نظر اليه فرعون اغتاظ وقال
كيف اخطأ هذا الغلام الذبح وكان لفرعون امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت
اما للمسلمين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهي قاعدة الى جنبه هذا الولد اكبر من ولد سنة
وانت انما امرت ان تذبح الولدان لهذه السنة فدعه يكون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه
ولدا فقال فرعون لها عسى ان ينفعك فاما انا فلا اريد نفعه قال وهب لو قال فرعون كما قالت امرأته
عسى ان ينفعنا لنفعه الله به ولكنه ابى ان يقول للشقاء الذي كتبه الله عليه فحرمه فرعون ولم ينفعه قوله
تعالى ان ارضعيه أي ارضعيه ما لم تخافي عليه الطلب قوله تعالى فاذا خفت عليه الطلب فالقيه في
اليم أي في البحر فقالت اني اخاف عليه حيتان البحر فامرت ان تجعله في تابوت مقير فذهبت الى النجار
فامرته ان تصنع لها تابوتا على قدره فعرف النجار ذلك فذهب الى الموكلين بذبح بني اسرائيل ليخبرهم بذلك فلما انتهى
اليهم اعتقل لسانه فلم ينطق الكلام فجعل يشير بيده فلم يفهموا فقال كبيرهم اضربوه فضربوه واخرجوه فلما انتهى
النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فرجع اليهم ليخبرهم فاعتقل لسانه فجعل يشير اليهم فلم يفهموا فضربوه واخرجوه
ففعل ذلك ثلاث مرات فعرف انه من عند الله تعالى فخر ساجدا واسلم ثم وضع التابوت وسلمه الى ام موسى
فوضعته فيه والقته في النيل قوله تعالى ولا تخافي ولا تحزني أي لا تخافي عليه الغرق والهلاك ولا تحزني
لفراقه انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين الى فرعون وقومه قوله تعالى فالتقطه آل فرعون
قال ابن عباس لما القته امه في البحر اقبل تموج به الامواج حتى كان بحذاء منزل فرعون فخرجت جواري فرعون
يستقين الماء فابصرن التابوت من البحر في الماء فاخذنه وذهبن به الى امرأة فرعون فذلك قوله تعالى فالتقطه
آل فرعون و قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا هذه لام العاقبة لان احدا لا يلتقط الولد ليكون له عدوا والمعنى
عدوا لهم ولدوا للموت وابنوا للخراب و قوله تعالى وحزنا قرأ اهل الكوفة الا عاصما بضم الحاء وجزم الزاي
وهما لغتان مثل السقم والسقم قوله تعالى ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين أي متعمدين
للاقامة على الكفر والمعصية يقال خطئ فلان يخطأ خطأ اذا تعمد الذنب واخطأ اذا اوقع
على غير الصواب ومعناه ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا آثمين عاصين قوله تعالى وقالت امرأة فرعون
قرة عين لي ولك وذلك ان فرعون هم بقتله فقالت له امرأته ليس من اولاد بني اسرائيل وقيل انا اتانا الله به من ارض
اخرى ولا تقتله ايها الملك فهو قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون
ان هلاكهم على يديه وقيل وهم لا يشعرون أي انا افعل ما اريد ولا افعل ما تريدون قوله تعالى قرة عين لي ولك
مشتق من القرور وهو الماء البارد ومعنى قولهم اقر الله عينك أي ابرد دمعتك لان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن
حارة قوله تعالى واصبح فؤاد ام موسى فارغا أي اصبح قلب ام موسى وهي يوخابذ بنت لاوي بن يعقوب أي فارغا
من كل شيء الا من همه وذكره قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها أي لولا ان شددنا على قلبها
بالصبر على اظهار ذلك لتكون من المؤمنين أي من المصدقين بما سبق من الوعد وهو قوله تعالى انا رادوه اليك
ولو اظهرت لكان ذلك سبب القتل والربط على القلب هو الهام الصبر وتقويته وقيل معناه واصبح فؤاد ام موسى
فارغا من الصبر على فراق موسى لولا ان ربطنا على قلبها لابدت به وقيل فارغا من الحزن لعلمها بما لم تعرفه من انه
عبيد واصبح فؤاد ام موسى فزعا بالزاي والعين من غير الفاء من الفزع قوله تعالى وقالت لاخته قصيه أي قالت
ام موسى لاخته واسمها مريم وقيل كلثمة اتبعي اثره وانظري اين وقع لتعلمي خبره والى من صار فذهبت في اثر التابوت
فبصرت به موسى عن جنب أي عن بعد فرأت اخاه وهم لا يشعرون انها اخته جاءت لتتعرف خبره وقال
ابن عباس الجنب ان يسمو بصر الانسان الى الشيء البعيد وهو الى جنبه لا يشعر به فهي كانت مجانبة تحدق النظر

إليه فلا نعلم بما قصدت به وقال قتادة كانت تنظر إليه كأنها لا تريده وكان تقرأ عن جنب بفتح الجيم وسكون النون وقرأ النعمان بن سالم عن جانب أي عن ناحية وهم لا يشعرون أنها أخته وهم لا يشعرون أنها ترقبه وقوله تعالى
وحرمنا عليه المراضع من قبل المراضع جمع مرضعة وقوله تعالى من قبل أي من قبل مجيء أمه ومعنى حرمنا عليه أي منعناه وقد يذكر التحريم بمعنى المنع قال الشاعر • جاءت لتصرعني فقلت لها اقصري • إني امرؤ صرعي عليك حرام أي ممتنع وذلك أن الله تعالى أراد أن يرده إلى أمه فمنعه من قبول ثدي المراضع فلما تعذر عليهم رضاعه قالت أخته
هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم أي يضمنون لكم القيام برضاعه وهم له ناصحون يشفقون عليه وينصحونه قالوا لها من قالت أمي قالوا لأمك لبن قالت نعم لبن أخي هرون وكان هرون ولد في سنة لا يقتل فيها صبي فقالوا صدقت فدلتهم على أم موسى فدفع إليها لترضعه لهم فلما وجد الصبي ريح أمه قبل ثديها وأمّ لها ما وعد وهو قوله تعالى فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن على فراقه ولتعلم أن وعد الله حق برده ولدها إليها ولكن أكثرهم لا يعلمون قوله تعالى ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما قال مجاهد بلغ أشده أي بلغ ثلاثا وثلاثين سنة واستوى أي بلغ أربعين سنة وهو قول ابن عباس وقتادة وقوله تعالى آتيناه حكما وعلما يعني الفقه والعقل والعلم بدينه ودين آبائه فعلم موسى وحكم قبل أن بعث نبيا وقال ابن عباس لما بلغ موسى أربعين سنة آتاه الله النبوة وقيل الأشد منتهى الشباب والقوة والاستوى تمام الخلق واعتدال الجسم في الطول والعظم وإنما يبلغ المرء هذا الحد في بين ثلاثين وعشرين سنة إلى أربعين سنة قوله تعالى وكذلك نجزي المحسنين فيه بيان أن إيتاء العلم والحكمة يجوز أن يكون على الإحسان لأنهما يؤديان إلى الجنة التي هي جزاء المحسنين قوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها أي دخل موسى مدينة فرعون وهي مدينة منف قال وكانت من مصر على فرسخين وقوله تعالى على حين غفلة من أهلها قال ابن عباس في وقت الظهيرة عند القائلة وقد خلت الطرق وقيل ما بين المغرب والعشاء وقيل دخلها يوم عيدهم وكانوا مشغولين عن موضع مدينتهم باللهو واللعب فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته أي من بني إسرائيل وهذا من عدوه أي من القبط وكان القبطي يسخر الإسرائيلي ليحمل الحطب إلى مطبخ فرعون والإسرائيلي يأبى ذلك فاستغاثه الذي من شيعته أي استنصره الإسرائيلي على القبطي على الذي من عدوه فوكزه موسى أي ضربه بجمع كفه في صدره فقضى عليه أي قتله فوقع القبطي ميتا وكل شيء فرغت منه وأتممته فقد قضيت عليه وقضيته والوكز الضرب بجمع الكف وكان موسى قد أوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة والبطش وكان من نية موسى أنه لا يريد قتله وإنما قصد دفعه فكان فيه هلاكه وقيل إنه لم يكن الإسرائيلي يحمل الحطب إلى مطبخ فرعون فوكزه موسى فقضى عليه أي قتله وفرغ من أمره والوكز واللكز واللهز بمعنى واحد وهو الدفع وقيل وكزه بعصاه فلما قتله موسى عليه السلام ندم على قتله وقال لم أومر بهذا ثم دفنه في الرمل وقال هذا من عمل الشيطان أي لم يأمرني الله بقتله ولكن هيج الشيطان غضبي حتى ضربته قوله تعالى إنه عدو مضل مبين أي عدو لبني آدم مضل له بين عداوته لهم ثم استغفر موسى ربه فقال يا رب إني ظلمت نفسي بقتل القبطي بغير إذن ودفعه أمر لم تأذن لي فيه فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قوله تعالى قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين أي بما أنعمت علي بالمغفرة والحلم والعلم فلن أكون عونا للكافرين وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافرا قوله تعالى فأصبح في المدينة خائفا يترقب أي أصبح من بعد ذلك اليوم في تلك المدينة التي فعل فيها ما فعل خائفا على نفسه من رجالهم وقومه يترقب أي ينتظر عاقبة أمره والترقب انتظار المكروه أي ينتظر من الناس أن يأخذوه فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه أي يستغيثه على رجل آخر من القبط قال له موسى إنك لغوي مبين أي ضال عن طريق الحق بين الضلالة تقاتل من لا تطيق مقاومته وقد قتلت أمس بسببك رجلا وتدعوني اليوم إلى آخر قيل لم يرد موسى لغوي الإسرائيلي وإنما أراد القبطي فلما أراد موسى أن يبطش الثانية بالقبطي ظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به قوله تعالى إنك لغوي مبين فقال الإسرائيلي يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس ولم يكن أحد من قوم فرعون علم أن موسى هو الذي

قتل القبطي حتى أفشى عليه الإسرائيلي فسمع القبطي ذلك فأتى فرعون فأخبره وذلك قوله تعالى فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس وكان هذا القول من القبطي الثاني يحتمل أن الإسرائيلي يحمل له حطبا قوله تعالى إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض أي ما تريد إلا أن تكون قتالا في أرض مصر بالظلم قال الزجاج الجبار في اللغة الذي لا يتواضع لأمر الله والقاتل بغير حق جبار وقوله تعالى وما تريد أن تكون من المصلحين أي من الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فلما سمع القبطي مقالة الإسرائيلي علم أن موسى هو الذي قتل القبطي بالأمس ولم يكن أحد علم ذلك قبل هذا فانطلق القبطي وأخبر فرعون فأرسل فرعون إلى أولياء المقتول أن اقتلوا موسى فجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة أي من آخرها إلى موسى وأخبره بذلك وهو قوله تعالى وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى أي يمشي على رجليه مسرعا وهو حزقيل بن صبورا مؤمن من آل فرعون فقال له يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك أي أن الخواص من قوم فرعون يتشاورون في قتلك فاخرج من المدينة إني لك من الناصحين في أمري لك بالخروج قوله تعالى قال الزجاج يأتمرون بك أي يأمر بعضهم بعضا بقتلك قوله تعالى فخرج منها خائفا يترقب أي خرج موسى من المدينة خائفا يترقب أي ينتظر متى يلحقه من يأخذه قال عند ذلك رب نجني من القوم الظالمين أي من فرعون وقومه قوله تعالى ولما توجه تلقاء مدين أي لما سار نحو مدين وكان قد خرج بغير زاد ولا حذاء ولا مركوب ولا نعل خرج هاربا على وجهه هاربا من فرعون وقومه لا يدري أين يذهب فخاف أن يخطئ الطريق ومدين اسم ماء لقوم شعيب وقيل هي قرية سميت باسم مدين بن إبراهيم عليه السلام فلما لم يكن لموسى علم بالطريق خشي أن يذهب يمينا أو شمالا فقال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل أي يرشدني قصد الطريق إلى مدين فلما دعا موسى بهذا الدعاء جاءه ملك على فرس فانطلق به إلى مدين قال المفسرون خرج موسى من مصر بلا زاد ولا درهم ولا ركوبة إلى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر قوله تعالى ولما ورد ماء مدين أي لما بلغ بئرهم التي كانوا يستقون منها قال ابن عباس ورد الماء وإنه ليترآى خضرة ورق الشجر في بطنه من الهزال قوله تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون أي وجد على ذلك الماء جماعة من الناس يسقون أنعامهم ومواشيهم ووجد من دونهم امرأتين تذودان أي تحبسان غنمهما عن الماء حتى يفرغ الناس ويخلو لهما الماء وهما ابنتا شعيب والذود في اللغة الطرد والدفع والكف ومعنى تذودان تدفعان وتكفان الغنم من أن تختلط بأغنام الناس وحتى لا تزاحما على الماء إلى أن يفرغ القوم قوله تعالى قال ما خطبكما أي قال موسى لابنتي شعيب ما خطبكما أي ما شأنكما لا تسقيان غنمكما مع الناس قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء قرأ الحسن وابن عامر وأبو عمرو بفتح الياء وضم الدال جعلوا الفعل للرعاء أي حتى يرجع الرعاء عن الماء وقرأ الباقون تصدر بضم التاء وكسر الدال أي حتى تصدر الرعاء مواشيهم عن ورودهم فيخلو لنا الموضع فنسقي أغنامنا فضل ما بقي في الحوض والرعاء جمع راع قال ابن إسحق قالتا نحن امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال وأبونا شيخ كبير لا يستطيع أن يسقي ماشيته من الكبر والضعف فليس له أحد غيرنا ولذلك احتجنا نحن نسقي الغنم فلما سمع موسى قولهما رحمهما فقام فسقى لهما غنمهما فوجد صخرة على رأس البئر عظيمة لا يطيق رفعها إلا جماعة من الناس فاقتلعها وحده ثم أخذ الدلو من القوم فأدلاها في البئر ونزعها وأفرغها في الحوض ودعا بالبركة فسقى الغنم حتى رويت أغنامهما قبل الوقت الذي كانتا يسقيان فيه ثم رجع من الشمس إلى الظل أي إلى ظل شجرة فجلس تحتها من شدة الحر وهو جائع فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير أي إني محتاج فقير إلى ما قد رزقتني من الطعام وكان خرج من مصر بغير زاد وكان لا يأكل في تلك الأيام إلا الحشيش والشجر إلى أن بلغ ماء مدين فلما أدركه الجوع الشديد وكان لا يوجد عليه شيء سأل الله أكلة من الطعام • قال ابن عباس سأل الله فلق خبز أن يقيم به صلبه وقال سعيد بن جبير لقد قال موسى إني لما أنزلت إلي من خير فقير وهو أكرم مخلوقه عليه ولقد افتقر إلى شق تمرة وقال مجاهد ما سأل الله إلا الخبز والإدام

من قولهما انزلت بمعنى الى لما انزلت فقير له وفقير اليه قوله تعالى **فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان ابي**
يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا وذلك ان موسى عليه السلام لما سقى لهما رجعتا الى ابيهما سريعا فقال لهما ابوهما
ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا اغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه الى فجاءته تمشي مستحيية
مشي من لا تعتاد الدخول والخروج واضعة كمها على وجهها مستترة من الحياء وكانت التي ارسلها ابوها الى موسى
هي الصغرى منهما واسمها صفورا قال عمر بن الخطاب في قوله تعالى فجاءته احداهما تمشي على استحياء ليست بسلفع
من النساء خراجة ولاجة جاءته على استحياء واضعة ثوبها على وجهها اي مستترة بكم درعها قال اهل اللغة السلفع
الجريئة التي هي غير مستحيية وقوله تعالى قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا اي ليعطيك ذلك فلما قالت
ذلك لموسى عليه السلام شق عليه قولها وهم ان لا يتبعها وكان بينه وبين ابيها مقدار ثلاثة اميال فقال انه لا بد
من اتباعها لاهل الجهة وللجوع الذي حل به ولاجل الخوف الذي خرج لاجله فانطلق معها وكانت الريح تضرب ثوبها
فتلزقه ببدنها فتصف عجيزتها وكانت ذات عجز فجعل موسى يغض بصره ويعرض عنها ثم قال لها يا امة الله كوني خلفي
وانعتي الطريق بقولك ودليني عليها اذا انا اخطأت فانا من قوم لا نستطيع النظر الى اعجاز النساء قوله تعالى **فلما
جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين** اي فلما جاء موسى شعيبا اذ هو بالعشاء
فقال له شعيب من انت قال انا رجل من بني اسرائيل من اهل مصر واستقصه وحدثه بما كان من امره من قتل القبطي وارادة
من فرعون فقال له شعيب اجلس لا تخف نجوت من القوم الظالمين اي نجوت من فرعون وقومه فانهم لا سلطان لهم
بارضنا ولسنا في مملكته فجلس معه موسى عليه السلام فقال له شعيب هل لك فتعشى فقال اعوذ بالله فقال له شعيب ولم ذلك الست
وانت جائع قال اخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لكم وانا من اهل بيت لا نبيع شيئا من عمل الآخرة بملء الارض ذهبا فقال له
شعيب لا والله ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى عليه السلام فتعشى حينئذ قوله
تعالى **قالت احداهما يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين** اي قالت احداهما وهي التي تزوجها
موسى يا ابت اتخذه اجيرا يرعى لنا غنمنا فان من استاجرت القوي اي الذي يقوى على العمل ويؤدي الامانة فقال لها
ابوها وما علمك بقوته وامانته فقالت اما قوته فانه لما اتى غنمنا محبوسة عن الماء وقال لنا هل بقربكما بئر قلنا
نعم ولكن عليها صخرة عظيمة لا يرفعها الا اربعون رجلا فانطلقنا به اليها فاخذ الصخرة بيده
ونحاها سهلا من غير كلفة واما امانته فانه قال لي امشي خلفي فان اخطات الطريق فارمي قبلي
بحصاة حتى اهتدي بها فانا من قوم لا ينظرون الى ادبار النساء ولهذا المعنى قال عمر رضي الله عنه لا يصلح لهذه الامور
الا القوي من غير عنف والرفيق من غير ضعف قال فلما ذكرت المراة من حال موسى ما ذكرت ازداد ابوها
رغبة **قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج** اي على ان ترعى غنمي وتكون
فيها اجيرا اي ثماني سنين **فان اتممت عشرا فمن عندك** فهو تفضل منك ليس بواجب عليك **وما اريد ان اشق عليك**
في العشر ولا اكلفك الا العمل المشروط والمراد بالحجج السنين وقوله تعالى **ستجدني ان شاء الله من الصالحين** اي
ممن وفى بما قاله تعالى وقيل ستجدني ان شاء الله من الموفين بالعهد المحسنين الصحبة فقال موسى لشعيب ذلك الشرط
بيني وبينك يعني الذي وصفت وشرطت علي ذلك وما شرطت لي من تزويج احداهما فلي ولم يرد بعضنا وتم الكلام ثم
قال ايما الاجلين من الثمان او العشر **قضيت** اي اتممت وفرغت منه **فلا عدوان علي** اي لا ظلم علي
ولا حرج ولا كلفة قال الفراء ما صلة في قوله ايما الاجلين وقوله تعالى **والله على ما نقول وكيل** اي شهيد
على ما عقد بعضنا على البعض قال ابن عباس والله شهيد بيني وبينك وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي الاجلين قضى موسى فقال اوفاهما واطيبهما وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا سئلت اي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وابرهما وان سئلت اي المراتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي
التي جاءت فقالت يا ابت استاجره قوله تعالى **فلما قضى موسى الاجل وسار باهله** اي فلما ادى موسى الاجلين ذهب

عشر سنين وسار باهله نحو مصر قال مقاتل استاذن موسى صهره شعيبا في العود الى مصر لزيارة والدته واخيه
فاذن له فسار باهله نحو مصر فابصر بالليل المظلم عن يسار الطريق من جانب الجبل نارا قال لاهله امكثوا اني
انست نارا **لعلي آتيكم منها بخبر** اي من عند النار بخبر واعلم او وجدت تلك النار وقال كان قد اخطا
الطريق واراد ان يسال عن الطريق من عنده عند النار وقوله تعالى **او جذوة من النار** معناه او اتيكم بقطعة
من الحطب في راسها شعلة من النار لكي تدفئوا من البرد وكانوا في شدة من الشتاء وفي قوله جذوة ثلث قراءات فتح الجيم
وهي قراءة عاصم وضمها وهي قراءة حمزة وكسرها وهي قراءة الباقين وقوله تعالى **لعلكم تصطلون** اي تستدفئون
بها عن البرد قوله تعالى **فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة** اي فلما اتى موسى
النار نودي من جانب الوادي الايمن اراد يمين موسى وقوله تعالى في البقعة المباركة اي المقدسة وقوله تعالى **من
الشجرة** اي من ناحية الشجرة وهي العناب في قول ابن عباس وقال مقاتل هي عوسجة وسميت البقعة مباركة لان الله
كلم موسى فيها وبعثه نبيا وقوله تعالى **ان يا موسى اني انا الله رب العالمين** تقدم تفسيره وقوله تعالى **وان
الق عصاك** اي وتودي بان الق عصاك من يدك وموضع ان الق نصب **فلما راها تهتز كانها جان** اي فلما
راها بعدما القاها تتحرك في غاية الاضطراب كانها جان في الخفة مع عظمها **ولى مدبرا** اي هاربا **ولم يعقب** اي
ولم يلتفت الى ما وراءه فقال الله له **يا موسى اقبل اليها ولا تخف** منها **انك من الآمنين** من ان ينالك منها
مكروه فاخذها موسى فاذا هي عصا كما كانت وقال تسمت جانا في هذه الاية لانها صارت جانا في البقعة المباركة
وثعبانا عند فرعون قوله تعالى **اسلك يدك في جيبك** اي ادخلها في جيبك **تخرج بيضاء** لها شعاع كشعاع
الشمس **من غير سوء** اي من غير برص **واضمم اليك جناحك من الرهب** اي ضم يدك على صدرك لتسكن ما بك من الفزع
لتصير آمنا مما كنت تخافه وهذا لان من شان الخائف ان ترتعد وتخفق فتسكن بضم يده الى نفسه في معنى السكون قال
مجاهد كل من فزع فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع وقراءة الاية وجناح الانسان عضده وقال الله كلها جناح
وقال بعضهم معنى قوله تعالى واضمم اليك جناحك اي سكن روعك وضم الجناح السكون ومنه قوله تعالى واخفض
لهما جناح الذل من الرحمة يريد الرفق وكذلك قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين اي ارفق بهم والن
جانبك لهم وقال الفراء اراد بالجناح العصا وقوله تعالى من الرهب وقرئ من الرهب بالضم وهما لغتان مثل الرشد
والرشد وقال ان قوله من الرهب متصل بقوله من الآمنين قوله تعالى **فذانك برهانان من ربك** يعني اليد
والعصا حجتان من الله لموسى على صدقه والمعنى هما حجتان من ربك ارسلناك بهما الى فرعون وملائه اي اشراف
قومه **انهم كانوا قوما فاسقين** اي خارجين عن طاعة الله تعالى قرا ابن كثير وابو عمرو فذانك
بالتشديد وهي لغة قريش وقرا الباقون بالتخفيف قال الزجاج التشديد تثنية ذلك والتخفيف تثنية ذاك
قوله تعالى **قال رب اني قتلت منهم نفسا** يعني القبطي الذي قتله فاخاف ان يقتلون قوله **واخي هرون
هو افصح مني لسانا** اي ابين مني كلاما واحسن بيانا وكان في لسان موسى عقدة من تناول الجمرة التي تناولها لما كان
عند فرعون ولا يكاد يبين وقوله تعالى **فارسله معي ردءا** اي عونا ومصدقا اني نبي يقال فلان ردء فلان
اذا كان ينصره ويشد ظهره وقرا نافع ردا من غير همز طلبا للخفة قوله تعالى **يصدقني** قرا عاصم وحمزة يصدقني
بضم القاف وقرا الباقون بالجزم على الجواب بالامر ومن رفعه كان صفة للنكرة وجوابا للمسالة تقديره ردءا مصدقا
لي والتصديق لهرون في قول الجميع وقال مقاتل لكي يصدقني فرعون **اني اخاف ان يكذبون** قوله تعالى **قال
سنشد عضدك باخيك** اي قال الله لموسى سنعينك ونقوي امرك وننصرك باخيك وشد العضد كناية عن التقوية وقوله
تعالى **ونجعل لكما سلطانا** اي حجة بينة تدل على النبوة **فلا يصلون اليكما** بقتل ولا سوء ولا اذى **انتما ومن
اتبعكما الغالبون** لمن خالفكما وقوله تعالى بآياتنا موضعه التقديم والمعنى ونجعل لكما سلطانا بآياتنا اي بما نعطيكما
من المعجزات وقوله تعالى **فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات** يعني المعجزات فلم تقدر على دفع تلك الحجج الآن **قالوا**

هذا سحر مفترى أي مختلق افتريته من قبل نفسك ولم تبعث به وما سمعنا بهذا الذي تدعونا اليه في آبائنا الأولين
قوله تعالى وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده أي هو أعلم بالمحق منا وبمن يدعو الى الضلالة أي أنا الذي
جئت بالهدى من عند الله وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو وقوله تعالى ومن تكون له عاقبة الدار أي هو أعلم بمن
تكون له الجنة إنه لا يفلح الظالمون أي لا يسعد من أشرك بالله قوله تعالى وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري
أي قال فرعون لخواص قومه ما علمت لكم من إله غيري وهذه أخرى كلمتيه اللتين أخذه الله بهما والأخرى قوله أنا ربكم
الأعلى قوله تعالى فأوقد لي يا هامان على الطين أي اتخذ لي آجرا واجعل لي صرحا أي قصرا طويلا مستعليا رفيعا
لعلي أطلع الى إله موسى أي أصعد اليه وظن بجهله أنه يتهيأ له أن يبلغ بصرحه الى السماء وظن أن الأمر بخلاف ما
شاهده من نعوت المشبهة تعالى الله عن ذلك قال المفسرون لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع خمسين ألف
بناء سوى الأتباع والأجراء ممن يطبخ الآجر والجص وينحت الخشب والأبواب ويضرب المسامير قوله تعالى وإني لأظنه من الكاذبين
أي في ادعائه إلها غيري وأنه رسوله وهذا إقرار من فرعون بالشك لأنه شاك لا يدري من في السماء ولو كان العاقل يجعل
ولم يشكر والمبطل نظيرا على المناقضة قوله تعالى واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق تعظموا عن الإيمان ولم ينقادوا
للحق قوله تعالى في الأرض أي في أرض مصر بغير الحق أي بالباطل والظلم وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون أي بالرد وكذبوا
بالبعث للحساب والجزاء قوله تعالى فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم أي طرحناهم في البحر [illegible] بالبحر المالح
القلزم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين المكذبين حين صاروا الى الهلاك قوله تعالى وجعلناهم أئمة يدعون
الى النار أي جعلناهم في الدنيا أئمة ضلالة قادة في الكفر والشرك يدعون الناس الى الشرك وهو قوله تعالى يدعون الى النار
سمى من أطاعهم ضل ودخل النار ويوم القيامة لا ينصرون أي لا يدفع عنهم عذاب الله وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة
يعني لعنة الملائكة والمؤمنين ويوم القيامة هم من المقبوحين أي من المشوهين في النار بسواد الوجوه وزرقة الأعين قيل
يجوز أن يكون المعنى هم من المقبحين وقيل معناه هم من المبعدين الملعونين من القبح وهو الإبعاد قال ابن زيد يقال قبح الله فلانا
قبحا وقبوحا أي أبعده من كل خير قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس
يعني بالقرون الأولى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم كانوا قبل موسى قوله تعالى بصائر للناس أي أعطينا موسى التوراة من بعد ما
أهلكنا الأمم الماضية عظة وعبرة للناس ليبصروا بها أمر دينهم أي ليبصروا بالتوراة ويهتدوا بها وهو قوله تعالى وهدى
أي من الضلالة لمن عمل به ورحمة لمن آمن به لعلهم يتذكرون أي ليتذكروا بما فيه من المواعظ والبصائر وعن أبي
سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمة ولا أهل قرية بعذاب من السماء منذ أنزل
التوراة على وجه الأرض غير أهل القرية الذين مسخوا قردة ألم تر أن الله قال ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما
أهلكنا القرون الأولى قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا الى موسى الأمر معناه وما كنت يا محمد بجانب الوادي
الغربي إذ قضينا الى موسى الأمر أي إذ أوحينا اليه الأمر بما ألزمناه وقومه وما كنت من الشاهدين لتلك الحالة وإنما
أخبرناك بذلك معجزة لك قوله تعالى ولكنا أنشأنا قرونا أي خلقنا قرنا بعد قرن فتطاول عليهم العمر
أي طالت عليهم المهلة فنسوا عهد الله وتركوا أمره وكذبوا الرسل فأهلكناهم قرنا بعد قرن وهذا الكلام يدل على أنه
قد عهد الى موسى وقومه عهود في محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان به فلما تطاول عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون
نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها قوله تعالى وما كنت ثاويا أي مقيما في أهل مدين كمقام موسى وشعيب فيهم تتلو
عليهم آياتنا أي تذكرهم بالوعد والوعيد قال مقاتل والمعنى لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم لكنا شاهدنا
ولكنا كنا مرسلين أي أرسلناك الى أهل مكة وأنزلنا عليك هذه الأخبار ولولا ذلك لما علمتها قوله تعالى وما كنت
بجانب الطور إذ نادينا أي وما كنت يا محمد بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى إذ نادينا موسى يا موسى إني أنا الله وقيل
يا موسى أقبل ولا تخف ولكن أوحيناها اليك وقصصناها عليك رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك
لعلهم يتذكرون أي يتعظون ومعنى رحمة أي رحمناك رحمة بإرسالك والوحي اليك وقوله تعالى لتنذر قوما ما أتاهم

من نذير من قبلك يعني أهل مكة لعلهم يتعظون وأنه بجانب الجبل الذي نودي عليه موسى جبل زبير وقرأ عيسى بن عمر ولكن رحمة
بالرفع على معنى ولكن هي رحمة من ربك إذ أطلعك الله عليه قوله تعالى ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم
فيقولوا ربنا قال مقاتل معناه ولولا أن تصيبهم العذاب في الدنيا بما قدمت أيديهم من الكفر والمعاصي يعني كفار مكة فيقولوا ربنا
لولا أرسلت إلينا رسولا أي هلا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك يعني القرآن ونكون من المؤمنين والمعنى
لولا أنهم يحتجون بترك الرسالة إليهم لعاجلناهم بالعقوبة بكفرهم وحقيقته كشف معنى الآية لولا أنه إذا أصابتهم
مصيبة أي عقوبة بما قدمت أيديهم من الكفر فيقولوا عند نزول العذاب بهم ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا فنتبع
كتابك ورسولك ونكون من المؤمنين لعاجلناهم العقوبة وقيل معناه لولا إذا أصابتهم عقوبة الآخرة يقولوا
ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا في الدنيا لما أرسلناك وفي الآية بيان أن الله تعالى أرسل النبي صلى الله عليه وسلم
مبالغة في الحجة وقطع المعذرة قوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا أي فلما جاء أهل مكة الحق من عندنا وهو محمد
والقرآن قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أي فهلا أعطي مثل ما أعطي موسى يعنون هلا أنزل عليه القرآن
جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة وهلا أعطي محمد اليد والعصا والمن والسلوى وغير ذلك من الآيات
فاحتج الله عليهم قوله تعالى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل أي فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد قالوا ساحران
تظاهرا أي تعاونا على السحر والضلالة يعنون موسى ومحمدا عليهما السلام وقالوا إنا بكل كافرون وقرأ أهل الكوفة
سحران بغير ألف يعنون التوراة والقرآن وقالوا إنا بكل من التوراة والقرآن كافرون قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
قل لهم قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أي من التوراة والقرآن حتى أتبعه إن كنتم صادقين
أنهما كانا ساحرين قوله تعالى فإن لم يستجيبوا لك أي فإن لم يأتوا بمثل التوراة والقرآن فاعلم أنما يتبعون
أهواءهم وإنما ركبوا من الكفر لا حجة لهم فيه وإنما آثروا فيه الهوى ثم ذمهم الله قوله تعالى ومن أضل ممن
اتبع هواه بغير هدى من الله أي لا أحد أضل ممن اتبع هواه بغير رشاد ولا بيان جاءه من الله إن الله لا يهدي
القوم الظالمين ومعنى قوله تعالى فإن لم يستجيبوا لك أي فإن لم يجيبوك الى ما دعوتهم إليه ولم يجيبوك قوله تعالى
ولقد وصلنا لهم القول أي وصلنا لأهل مكة ذكر الأنبياء والأمم وأقاصيص بعضهم ببعض وأخبرناهم أنا
أهلكنا قوم نوح بكذا وقوم صالح بكذا لكي يتعظوا بالقرآن ويخافوا أن ينزل بهم مثل ما نزل بمن قبلهم قوله
تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله أي من قبل القرآن هم به يؤمنون أي بمحمد صلى الله عليه وسلم قال
السدي يعني مسلمي اليهود عبد الله بن سلام وأصحابه وقال مقاتل يعني مسلمي أهل الإنجيل هم الذين قدموا مع جعفر
بن أبي طالب من الحبشة ثم نعتهم الله قوله تعالى وإذا يتلى عليهم يعني القرآن قالوا آمنا به أي صدقنا بالقرآن أنه
الحق من ربنا لأن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل فلم يعاندوا وأقروا بالقرآن
أنه الحق من ربنا إنا كنا من قبل القرآن مسلمين مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم
أنه نبي قد أثنى الله عليهم خيرا أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا مرة بتمسكهم بدينهم حتى أدركوا
محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به ومرة بإيمانهم به وقال قتادة بما صبروا على الكتاب الأول والكتاب الثاني
وقيل مرة بإيمانهم بموسى ومرة بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ويدرءون بالحسنة السيئة أي
يدفعون بشهادة أن لا إله إلا الله الشرك كذا قال ابن عباس وقال مقاتل يدفعون ما يسمعون من أذية
الكفار وشتمهم لهم بالعفو والصفح والحلم والاحتمال ومما رزقناهم ينفقون من الأموال في طاعة
الله قوله تعالى وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه أي وإذا خوطبوا بالسفاهة وشتمهم المشركون ردوا عليهم
جميلا وأعرضوا عن الكلام الذي لا فائدة فيه وقالوا لنا أعمالنا أي ديننا ولكم أعمالكم أي دينكم وذلك أنهم
عيروهم بترك دينهم قال السدي لما أسلم عبد الله بن سلام جعل اليهود يشتمونه وهو يقول سلام عليكم
لا نبتغي الجاهلين قال الزجاج لم يريدوا التحية وإنما المعنى أنهم قالوا بيننا وبينكم المتاركة والسلام وهذا قبل

ان نرد بالعتاب لكم قالوا سلام متاركة لا نعترضكم بالشتم ومعنى قوله تعالى لا نبتغي الجاهلين اي لا نريد ان نكون من
اهل الجهل والسفه وقال الكلبي معناه لا نحب دينكم الذي انتم عليه قوله تعالى **انك لا تهدي من احببت**
ذهب اكثر المفسرين ان هذه الآية نزلت في ابي طالب وذلك انه لما مرض مرضه الذي مات فيه دخل عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا عم قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيمة قال لولا ان تعيرني بها
قريش وتقول انه حمله على ذلك الجزع عند الموت لاقررت بها عينك فانزل الله هذه الآية انك لا تهدي من احببت
هدايته وقيل انك لا تهدي من احببته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل على عمه ابي طالب في مرضه الذي
مات فيه وعنده ابو جهل وعبد الله بن امية ابن المغيرة فقال له يا عم قل لا اله الا الله احاج لك بها عند الله فقال
له ابو جهل وعبد الله بن امية اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه وهما
يعاودانه على تلك الحالة حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم به انا على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فانزل
الله في ابي طالب وقال لرسوله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء قال الزجاج ابتداء
نزولها في ابي طالب فهي عامة لانه لا يهدي الا الله عز وجل **وهو اعلم بالمهتدين** قوله تعالى **وقالوا ان نتبع
الهدى معك نتخطف من ارضنا** اي قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم ان اتبعناك على دينك خفنا العرب على انفسنا ان
يخرجونا من ارضنا لانه ان تركنا ما نعبدون قوله تعالى **اولم نمكن لهم حرما آمنا** اي ذا امن يامن فيه الناس
وذلك ان العرب كان تغير بعضهم على بعض واهل مكة آمنون في الحرم من القتل والسبي والغارة اي وكيف يخافون
اذا اسلموا وهم في حرم آمنون ومعنى ولم نمكن لهم حرما آمنا اي اولم نجعل مكانا لهم قوله تعالى **يجبى اليه ثمرات
كل شيء** ومعنى يجبى يحمل الى الحرم ثمرات كل شيء رزقا اي تجبى بها الناس باجل الثمرات وقرا نافع بالياء
تجبى له كل شيء رزقا ومعنى يجبى اي تحمل الى الحرم ثمرات كل شيء من مصر والشام واليمن والعراق قوله تعالى
رزقا من لدنا اي رزقناهم رزقا من عندنا **ولكن اكثرهم لا يعلمون** اي فعلنا ذلك يعني اهل مكة والنعم لو لم
تجعل اهل مكة في امان قبل الايمان تجبى الى الحرم ثمرات كل شيء نعمة من عندنا فكيف يخافون زوال الامان ان
آمنوا ثم لا تعلمون انهم لا يتدبرون ولا يتفكرون ثم خوفهم مثل عذاب الامم الخالية قوله تعالى **وكم اهلكنا من
قرية بطرت معيشتها** اي وكم اهلكنا من اهل قرية بطرتها معيشتها والبطر الطغيان عند النعمة وقيل معناه بطرت
في معيشتها اي عاشوا في البطر واكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام قوله تعالى **فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم
الا قليلا** اي منازلهم التي كانوا يسكنونها لم يسكنها احد الا المسافرون ومارة الطريق ينزلون بعضها يوما
او ساعة ثم يرحلون والمعنى لم تسكن من بعدهم الا سكونا قليلا **وكنا نحن الوارثين** اي لم يخلفهم احد
بعد هلاكهم في منازلهم التي كانوا يسكنونها لم يسكنها احد فصارت خرابا غير مسكونة كقوله نحن نرث الارض ومن عليها
قوله تعالى **وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلوا عليهم آياتنا** معناه وما كان ربك يا محمد
مهلك القرى الكافر اهلها حتى يبعث في اعظمها قرية رسولا ينذرهم ويتلو عليهم آياتنا وخص اعظم من القرى ببعث الرسل
فيها لان الرسل انما يبعث الى الاشراف واشراف القوم وملوكهم يسكنون المدائن والمواضع التي هي ام ما حولها
قوله تعالى **وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون** اي ما نهلكهم الا بظلمهم وشركهم وقيل ان المراد بالقرى
القرى التي حول مكة والمراد بامها مكة سميت ام القرى لان الارض دحيت من تحتها قوله تعالى **وما اوتيتم من
شيء فمتاع الحيوة الدنيا** معناه وما اعطيتم يا اهل مكة من خير في الدنيا وما في متاع الحيوة الدنيا **وزينتها** تتمتعون
بها ايام حياتكم ثم ينقطع ويفنى ويفضي **وما عند الله** من الثواب في الجنة التي وعد لاهله والفضل ما اعطيتم
خير وابقى افلا تعقلون اي الباقي افضل من الفاني الذاهب في قل افلا تعقلون ان خير لكم من فناء وزينة الآخرة
فتتركونه قرا ابو عمرو افلا يعقلون بالياء قوله تعالى **افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه** استفهام بمعنى التقرير
اي كيف يستوي حال من وعدناه الثواب والجنة في الآخرة فهو لاقيه وحال من متعناه بعرض الحيوة الدنيا ثم هو

يوم القيمة من المحضرين العذاب في النار يعني افمن وعدناه على ايمانه وطاعته الجنة والثواب الجزيل فهو لاقيه اي
مدركه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا اي كمن هو ممتع بشيء يفنى ويزول عن قريب ثم هو يوم القيمة من المحضرين النار وقال
قتادة يعني المؤمن والكافر المؤمن سمع كتاب الله فصدقه وآمن بما وعد الله فيه والكافر الذي تمتع بالدنيا
ثم هو يوم القيمة من المحضرين في عذاب الله قال مجاهد نزلت هذه في علي وحمزة وابي جهل وقال السدي نزلت
في عمار والوليد بن المغيرة قوله تعالى **ويوم يناديهم** اي ينادي الله المشركين يوم القيمة **فيقول اين شركاءي
الذين كنتم تزعمون** في الدنيا انهم كانوا شركاءي والمعنى واذكر يوم ينادي الكفار وهو يوم القيمة فيقول اين شركاءي
في قولكم وليس لله شريك ولكن خرج هذا الكلام على ما كانوا يتلفظون به فيقولون هؤلاء شركاء الله قوله تعالى **قال
الذين حق عليهم القول** اي وجب عليهم كلمة العذاب ووجب عليهم العذاب وهم الرؤس **ربنا هؤلاء
الذين اغوينا** يعنون سفلتهم واتباعهم **اغويناهم كما غوينا** اي اضللناهم كما ضللنا **تبرأنا اليك** منهم
وقيل تبرانا مما حملنا الكفر من الضلال وما اضللناهم كانوا يعبدوننا اكراه من جهتنا وقيل **ما كانوا ايانا يعبدون**
بحجة ولا استحقاق قوله تعالى **وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم** اي فلم يجيبوهم الى نصرهم
ورأوا العذاب اي راى كلهم القادة والاتباع العذاب قوله تعالى **لو انهم كانوا يهتدون** جواب لو محذوف
تقديره لو انهم كانوا يهتدون في الدنيا لما راوا العذاب قوله تعالى **ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين**
اي واذكر يوم يناديهم فيقول ما كان جوابكم لمن ارسل اليكم من النبيين قوله تعالى **فعميت عليهم الانباء يومئذ** اي
فالتبست عليهم الاجوبة يومئذ فلم يدروا ما ذا يقولون من الفزع والتحير **فهم لا يتساءلون** اي لا يسال بعضهم
بعضا في تلك الساعة عن رد الجواب وقيل لا يسال احد عن حال احد لاشتغال كل واحد منهم بنفسه وقيل لا يسال
احد احدا ان يتحمل له طاعة او يحمل عنه معصية ومعنى قوله تعالى فعميت اي خفيت واشتبهت عليهم الانباء
قوله تعالى **فاما من تاب وآمن وعمل صالحا** اي ادى الفرائض **فعسى ان يكون من المفلحين** اي من الناجين
الفائزين وعسى من الله واجب اي فيكونون في الآخرة من الفائزين قوله تعالى **وربك يخلق ما يشاء ويختار** ذكر
ان الوليد بن المغيرة كان يقول لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني نفسه وابا مسعود الثقفي
فانزل الله هذه الآية وربك يخلق ما يشاء ويختار من يشاء للرسالة والنبوة ثم ان الخلق اليه يخلق ما يشاء كذلك
الاختيار اليه في جميع الامور فيختار من خلقه ما يشاء قوله تعالى **ما كان لهم الخيرة** ابتداء كلام بنفي الاختيار
عن المشركين وذلك انهم اختاروا الوليد ابن المغيرة من مكة او عروة بن مسعود من الطائف فقال الله تعالى ما كان
لهم الخيرة اي ليس لهم الاختيار على الله بل يريد الله تعالى نفسه قوله تعالى **سبحان الله وتعالى عما يشركون** وقيل
في ويختار ما كان لهم الخيرة من غير ان يقف على ويختار ويجعل ما بمعنى الذي كانه قال ويختار الذي لهم الخيرة
يصنع بهم ما هو اصلح لهم وانشد محمود الوراق • توكل على الرحمن في كل حاجة • اردت فان الله يقضي ويقدر •
متى ما يرد ذو العرش امرا بعبده • يصبه وما للعبد ما يتخير • فقد يهلك الانسان من وجه امنه • وينجو بحمد الله
من حيث يحذر • قوله تعالى **وربك يعلم ما تكن صدورهم** اي ما تستر من الكفر والعداوة لله ولرسوله
اي يعلم ما تضمر قلوبهم من ذلك **وما يعلنون** بالسنتهم من الكفر والمعاصي قوله تعالى **وهو الله لا اله
الا هو له الحمد في الاولى والآخرة** يحمد في الدارين **وله الحكم** اي الفصل بين الخلائق يحكم
لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل معصيته بالشقاء والويل **واليه ترجعون** الى موضع جزائه قوله تعالى **قل ارأيتم
ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة** اي قل لهم يا محمد لاهل مكة اخبروني ان جعل الله عليكم الليل
دائما ابدا الى يوم القيمة لا نهار معه **من اله غير الله يأتيكم بضياء** نهار مضيء تتصرفون فيه وتطلبون فيه المعيشة
افلا تسمعون سماع تدبر وتفهم فتستدلوا بذلك على توحيد الله قوله تعالى **قل ارأيتم ان جعل الله عليكم
النهار سرمدا الى يوم القيمة** اي قل لهم اخبروني ان جعل الله عليكم النهار دائما الى يوم القيمة من اله سوى

الله يأتيكم بليل تسكنون فيه من الحركة والتعب أفلا تبصرون أدلة الله تعالى قوله تعالى ومن
رحمته جعل لكم الليل والنهار أي ومن نعمه عليكم أن خلق لكم الليل والنهار لتسكنوا ليلاً وتسعوا نهاراً
والمعنى لتسكنوا فيه أي في الليل ولتبتغوا من فضله أي ولتلتمسوا في النهار من فضل الله ولعلكم تشكرون
الذي أنعم عليكم بهما قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون قد تقدم تفسيره قوله تعالى
ونزعنا من كل أمة شهيدا أي وأخرجنا من كل أمة رسولها الذي يشهد عليهم بالتبليغ وبما كان منهم فقلنا هاتوا
برهانكم أي فقلنا للمشهود عليهم هاتوا برهانكم أي حجتكم بأن معي شريكا فعلموا أن الحق لله أي التوحيد لله وضل
عنهم أي زال عنهم وبطل في الآخرة ما كانوا يفترون في الدنيا من قولهم أن مع الله شريكا قوله تعالى إن
قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قال أكثر المفسرين قارون كان ابن عم موسى من بني إسرائيل وكان من العلماء بالتوراة
وقال بعضهم كان ابن خالته وقوله تعالى فبغى عليهم أي تكبر بماله والمعنى تطاول على موسى وقومه وجاوز الحد في التكبر
عليهم والبغي في اللغة طلب العلو بغير حق قوله تعالى وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة
أولي القوة أي أعطيناه من الأموال المجموعة ما إن مفاتحه قال ابن عباس أراد بالمفاتح الخزائن كانت تثقل الجماعة
ذوي القوة إذا حملوها وقال بعضهم هو جمع مفتاح وهو ما يفتح به الباب وهذا قول قتادة ومجاهد وقيل مفاتح جمع مفتح
بكسر الميم وهي المفتاح فجمعه مفاتح وأما المفتاح فجمعه مفاتيح وقال خيثمة كانت مفاتيح قارون من جلود كل مفتاح مثل
الأصبع مفتاح كل خزانة على حدة فإذا ركب حمل المفاتيح على ستين بغلا وقال ابن عباس كان يحمل مفاتحه أربعون
رجلا أقوى ما يكون من الرجال ومعنى قوله لتنوء بالعصبة وإنما العصبة تنوء بالمفاتح أي تثقل حملها قيل هذا كما
في الكلام كما يقال عرضت الناقة على الحوض وإنما تعرض الحوض عليها ثم تعرض الناقة على الماء والكنز في اللغة اسم
للمال الذي يجمع بعضه على بعض وإذا أطلق أريد به ما تحت الأرض وقال خيثمة وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن
قارون وقر ستين بغلا غرا محجلة قيل إنها كانت من جلود الإبل وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلت من خشب فلما
ثقلت عليه جعلت من جلود قوله تعالى إذ قال له قومه لا تفرح أي قال له قومه من المؤمنين من بني إسرائيل لا تفرح
بالكنوز والمال ولا تأشر ولا تبطر إن الله لا يحب الفرحين أي الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على
ما أعطاهم والفرح إذا أطلق أريد به المرح الذي يخرج إلى البطر ولذلك قال لا يحب الفرحين وقال [illegible]
الفرح [illegible] وأما قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله فهو فرح بهداية الشرع فهو حسن جميل قال الشاعر
ولست بمفراح إذا الدهر سرني . ولا جازع من صرفه المتقلب . قوله تعالى وابتغ فيما آتاك الله الدار
الآخرة أي واطلب فيما أعطاك الله من الأموال والنعمة الجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم الله عليك وتنفقه
في رضى الله قوله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا أي لا تترك العمل لآخرتك وقال الحسن أمر أن يقدم الفضل ويمسك
ما يغنيه قوله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك أي وأحسن إلى الفقراء والمساكين كما أحسن الله إليك وقيل [illegible]
أطع واعبد كما أنعم عليك ولا تبغ الفساد في الأرض أي لا تعمل بالمعاصي في مخالفة موسى عليه السلام إن الله لا
يحب المفسدين في الأرض قوله تعالى قال إنما أوتيته على علم عندي قال ذلك قارون لما رأى أن المال حصل له بعلمه
ولم ير ذلك من عطاء الله والمعنى قال قارون إنما أعطيت هذا المال على علم عندي بوجوه المكاسب في التجارات لا يعلمها
أحد غيري وقيل معناه على علم عندي يعني الفضل علمي بكتب أهلا لما أعطيته وكان أقرأهم للتوراة والمعنى فضلني الله
عليكم بهذا المال لفضلي بالعلم وقيل يعني علم الكيمياء قوله تعالى أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون
من هو أشد منه قوة معناه أولم يعلم هذا المسكين الذي قد أعجبته نفسه وما ملك من الدنيا يعني قارون
أن الله قد أهلك من قبله من القرون في الدنيا حين كذبوا رسلهم من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا للمال
والخدم والحشم قوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون معناه لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم في الآخرة
لأنهم يعرفون بسيماهم قال قتادة لأنهم يدخلون النار بغير حساب وأما قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين

فإنهم

فإنهم يسألون سؤال تقريع وتوبيخ كما قال الحسن في معنى هذه الآية أنهم لا يسألون سؤال الاستخبار ليعلم ذلك من قبلهم
وإنما يسألون سؤال التوبيخ والمناقشة قوله تعالى فخرج على قومه في زينته قال السدي خرج في جوار بيض على
سرج من ذهب على قطف أرجوان على بغال بيض عليهم ثياب حمر وحلي من ذهب وقال مقاتل خرج على بغلة شهباء
عليها سرج من ذهب عليه الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس على الخيل عليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ألف
جارية على بغال شهب عليهن الحلي والحلل وقال ابن زيد خرج في
تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهذا معنى قول الحسن في ثياب صفر وقال الزجاج الأرجوان في اللغة صبغ أحمر وروي
أنه كان عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وقد كان ذلك أول يوم روئي المعصفرات قوله تعالى قال الذين يريدون
الحياة الدنيا أي قال المؤمنون أهل ذلك الزمان لما رأوا تلك الزينة والجمال يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون
من المال إنه لذو حظ عظيم أي نصيب وافر من الدنيا وكان الذين تمنوا هذا من جملة العوام الذين يرغبون
في الدنيا ويتمنونها قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا أي قال
العلماء العاملون الزاهدون في الآخرة للذين تمنوا مثل ما أوتي قارون ويلكم ثواب الله خير لكم أي [illegible]
من مقالتكم فإن ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحا وقام بالفرائض خير مما أعطي قارون في الدنيا
وخير من الدنيا وما فيها قوله تعالى ولا يلقاها إلا الصابرون أي لا يؤتى الأعمال الصالحة يدل عليه قوله تعالى
وعمل صالحا وقال الكلبي لا يعطاها في الآخرة إلا الصابرون على أمر الله تعني الجنة يدل عليه قوله تعالى ثواب
الله قوله تعالى فخسفنا به وبداره الأرض أي خسفنا بقارون وبقصره الذي بناه فعوقب على كفره وذلك أنه لما
أضاف النعم التي أعطاه الله إياها إلى نفسه وعلمه ولم ينسبها إلى تفضيل الله ذلك عليه صار كافرا بنعم الله وقيل في سبب
خسفه أنه لما جحد موسى وهو قارون دعا امرأة ذات جمال تعرف بالفجور وجعل لها ألف درهم وقيل ألف مثقال وقال
لها إني أخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى غدا إذا اجتمع بنو إسرائيل وتذكري أنه راودك عن نفسك فأجابت قارون إلى
ذلك فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل ثم أتى موسى فقال له إن بني إسرائيل قد اجتمعوا ينتظرون خروجك
لتأمرهم وتنهاهم فخرج إليهم موسى فقام فيهم خطيبا وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وقال يا بني إسرائيل من
سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنا وليست له امرأة جلدناه مائة ومن زنا وله امرأة رجمناه حتى يموت
فقال له قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فقال موسى ادعوها
فدعوها وقد ألهمها الله التوبة والتوفيق فقالت في نفسها لأن أحدث اليوم توبة خير من أن أوذي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجاءت وقد عقدوا مجلسا اجتمع فيه قارون الخاص والعام فقال قارون للمرأة ما تقولين قالت
يا ويله قد عملت كل فاحشة وما بقي إلا أن أفتري على نبي الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبرأ إلى الله من ذلك ثم أخرجت
خريطتين مملوءتين دراهم وعليها خاتم قارون فقالت يا أيها الملأ إن قارون أعطاني هاتين الخريطتين على أن آتي
جماعتكم فأزعم أن موسى راودني عن نفسي ومعاذ الله أن أفتري على نبي الله وأنا أبرأ إلى الله من ذلك وهذه دراهمه
وعليها خاتمه فعرف بنو إسرائيل خاتم قارون فافتضح قارون بين أولئك القوم وغضب موسى عليه السلام وخر ساجدا
يبكي وهو يقول اللهم إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى الله إليه إني قد أمرت الأرض تطيعك فمرها بما شئت
فقال موسى عليه السلام يا أرض خذيه فأخذته حتى غيبت حقويه فتضرع إلى موسى وناشده بالرحم فلم يسمع تضرعه
فقال يا أرض خذيه فأخذته حتى غيبته فيروى أنه استغاث بموسى وناشده سبعين مرة فلم يلتفت موسى إلى ذلك
فأوحى الله إلى موسى يا موسى ما أفظك أغلظ قلبك استغاث بك قارون سبعين مرة فلم ترحمه ولم تغثه وعزتي وجلالي
لو استغاث بي لأغثته ولو دعاني لوجدني قريبا مجيبا . واختلفوا في أي وقت خسف بداره قال بعضهم إنه خسف
به معه وقال بعضهم لما خسف بقارون قالت بنو إسرائيل إن موسى إنما أراد أن يأخذ دار قارون وأمواله وكنوزه فدعا
الله موسى فخسف الله بداره وأمواله بعدما خسف بقارون بثلاثة أيام وقال قتادة ذكر لنا أن قارون يتجلجل

في الأرض هو وداره وماله فكان يتجلجل فيها إلى يوم القيمة قوله تعالى فما كان له من فئة ينصرونه
من دون الله أي ما كان له من جند وجماعة يمنعونه من عذاب الله وما كان هو من المنتصرين أي
ما كان من الممتنعين مما نزل به من الخسف قوله تعالى وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر أي أصبح الذين تمنوا منزلته بالأمس وماله بالأمس حين رأوه في زينته يتندمون
على ذلك التمني يقول بعضهم لبعض بعد ما خسف به ويك هذه كلمة تنبيه ومعناها أما ترون وقال مجاهد
وتستعملها بمعنى ألم تعلم ويحكى أن امرأة من العرب قال لها زوجها أين ابنك قالت له ويكأنه وراء هذا البيت
يعني أما ترى أنه وراء هذا البيت وذهب بعض النحويين إلى أنه قول الرجل ويك أنه بمنزلة ويلك اعلم وقال الخليل
ويونس وي مفصولة من كأن ووي كلمة تندم وتنبيه وكأن في هذا الموضع بمعنى الظن أو العلم كأنهم لما رأوا الخسف
تكلموا على قدر علمهم وقالوا كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء لا لكرامته عليه ويضيق على من يشاء لا لهوانه عليه قوله
تعالى لولا أن من الله علينا لخسف بنا أي لولا أن منّ الله علينا بالعافية وبالرحمة والإيمان لخسف بنا وقرأ يعقوب
وحفص لخسف بنا بفتح الخاء والسين أي لخسف الله بنا قوله تعالى ويكأنه لا يفلح الكافرون أي أما ترى أنه
لا يسعد من كفر بالله قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا
المراد بالدار الآخرة الجنة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا أي تطاولا في الأرض ولم يتكبروا
قوله تعالى ولا فسادا أي لا يريدون عملا بغير الله وقيل ولا فسادا أي ولا عملا بالمعاصي وقيل هو أخذ المال بغير حق
قوله تعالى والعاقبة للمتقين أي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه وقيل الذين
يتقون الكفر والعلو والفساد وعن كعب رضي الله عنه أنه قال يحشر المتكبرون يوم القيمة كالذر في صور الرجال
يغشاهم الذل من كل مكان يسلكون في النار ويسقون من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال قال عصارة أهل النار
والمراد بالتكبر أن يكون التكبر يرجع إلى الدنيا وأما ما يكون من ذلك لإزالة المنكر وإقامة حق من حقوق الله فلا
يكون ذلك من التكبر في شيء وإنما هو تمسك بالدين قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها قد تقدم تفسيره ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون أي ومن جاء بالسيئة فلا زيادة في عقوبته أكثر مما يستحق
والمعنى أن الذين أشركوا يجزون بما كانوا يعملون من الشرك وجزاؤهم النار قوله تعالى إن الذي فرض عليك القرآن لرادك
إلى معاد معناه أن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى بلدك مكة فإنه معاد الرجل إلى بلده وقيل معناه أن الذي
فرض عليك القرآن أي أنزل عليك القرآن وقال الزجاج فرض عليك العمل بما يوجبه القرآن وتقدير الكلام فرض عليك
أحكام القرآن وفرائض القرآن لرادك إلى معاد يعني مكة قال مقاتل خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغار ليلا ثم هاجر
من وجهه ذلك إلى المدينة فسار في غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن رجع إلى الطريق فنزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف
الطريق إلى مكة فاشتاق إليها وذكر مولده ومولد أبيه فأتاه جبريل فقال له أتشتاق إلى بلدك ومولدك قال نعم قال جبريل فإن
الله تعالى يقول إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد يعني مكة ظاهرا عليها فنزلت هذه الآية بالجحفة فليست
بمكية ولا مدنية قوله تعالى قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين هذا جواب كفار مكة لما قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم إنك في ضلال فقال الله تعالى قل ربي أعلم من جاء بالهدى يعني النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو في ضلال مبين
يعني المشركين والمعنى أن الله قد علم أني جئت بالهدى وأنكم لفي ضلال مبين قوله تعالى وما كنت ترجو أن يلقى إليك
الكتاب إلا رحمة من ربك معناه ما كنت يا محمد ترجو أن يوحى إليك القرآن وأن تكون نبيا تتلو على أهل مكة قصص
الأولين إلا أن ربك رحمك وأراد بك الخير فأوحى إليك الكتاب وكرمك بالنبوة بنعمة منه عليك فلا تكونن ظهيرا
للكافرين أي عونا على دينهم وذلك حين دعوه إلى دين آبائه فذكره الله النعمة ونهاه عن مظاهرتهم على ما كانوا عليه
وأمره بالتحرز منهم قوله تعالى ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك أي لا يصرفنك عن العمل بآيات الله بعد إذ
أنزلت إليك وادع إلى ربك أي إلى طاعته ولا تكونن من المشركين قال ابن عباس الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم

والمراد

والمراد به أهل دينه أي لا تظاهرون الكفار ولا توافقوهم قوله تعالى ولا تدع مع الله إلها آخر أي لا تعبد أحدا
سوى الله ولا تدع الخلق إلى أحد دون الله قوله تعالى لا إله إلا هو أي لا معبود سواه قوله تعالى كل شيء
هالك إلا وجهه أي إلا هو وانتصب قوله وجهه على الاستثناء كأنه قال إلا إياه وقال عطا معناه كل شيء هالك إلا
ما أريد به وجهه وكل عمل لغيره فهو هالك إلا ما كان له قوله تعالى له الحكم أي له الفصل بين الخلائق دون غيره
وإليه ترجعون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

سورة العنكبوت ستون وتسع آيات

وأربعة آلاف وماية وخمسة وتسعون حرفا وألف وسبعمائة وأحد وثمانون كلمة وتسع وستون آية كلها مكية
وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين
والمنافقين بسم الله الرحمن الرحيم الم
أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون قد تقدم تفسير الم فيحتمل الحروف التي هي في أوائل السور
فيما احتمل أن تكون جواب القسم في قوله تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم واحتمل أن تكون متعلقة بقوله تعالى أحسب
لفظه استخبار ومعناه التوبيخ والتقدير كأنه قال أظنوا أن نقنع منهم بأن يقولوا آمنا فقط ولا يمتحنون بالأوامر والنواهي
والتكليف ولا يختبرون بما نعلم به صدق إيمانهم قال الحسن رضي الله عنه سبب نزول هذه الآية أنه لما أصيب المسلمون يوم أحد
وكان الكرة عليهم عيرهم اليهود والنصارى بذلك فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله هذه الآية قال السدي وقتادة ومجاهد
معناه أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم بالقتل والتعذيب وقال مقاتل نزلت هذه
الآية في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان أول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي بسهم
فقتله فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع عليه أبواه وامرأته
فأنزل الله فيهم هذه الآية وأخبر أنه لا بد لهم من البلاء والمشقة في ذات الله قوله تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم
فيه تسلية للمؤمنين معناه ولقد امتحنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الصادق بوقوع صدقه منه والصبر على ما
يؤمر به والكاذب بوقوع كذبه بالجزع والمخالفة في الشدائد التي يؤمر به فإن الله تعالى قد علم الصادق من الكاذب
قبل أن يخلقهما ولكن القصد من الآية قصة وقوع العلم بما يجازى عليه لأن علم الشهادة هو الذي يجب به الجزاء فأما علم
الغيب قبل وقوعه فلا يجب به الجزاء وقال ابن عباس في معنى قوله تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم منهم إبراهيم الخليل
عليه السلام ابتلي بالنمرود ومنهم قوم من بعده نشروا بالمناشير على دين الله فلم يرجعوا عنه وقال بعضهم يعني بني إسرائيل
ابتلوا بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب قوله تعالى أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون
معناه أظن الذين يعملون السيئات يعني الشرك قال ابن عباس يعني الوليد بن المغيرة وأبا جهل والأسود والعاص بن هشام
وغيرهم أن يسبقونا أي أن يفوتونا ويعجزونا ساء ما يحكمون أي بئس ما حكموا لأنفسهم حين ظنوا ذلك وقيل إن هذه الآية
نزلت في عتبة بن ربيعة وأخيه شيبة وفي الوليد بن عتبة وهم الذين بارزوا عليا وحمزة وعبيدة بن الحرث يوم
بدر فقتلوا على أيديهم يومئذ قوله تعالى من كان يرجو لقاء الله أي من كان يطمع في الثواب ويخشى العقاب ويخاف
الحساب فليبادر إلى طاعة الله قبل الموت فإن أجل الله لآت لمن يرجو ولمن لا يرجو وإن ثواب العمل الصالح لقريب
وهو السميع لمقالة الكفار والمؤمنين العليم بما يستحقه كل واحد منهم وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
هذه الآية قال يا علي يا فاطمة إن الله قد أنزل من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وإن حقيقة رجاء لقاء الله
أن يستعد الإنسان لأجل الله إذا كان آتيا باتباع طاعته واجتناب معصيته قوله تعالى ومن جاهد فإنما يجاهد
لنفسه أي من عمل الخير فإنما يعمل لنفسه إن الله لغني عن العالمين أي عن أعمالهم وعبادتهم والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم بالإيمان والتوبة ومعنى لنكفرن عنهم سيئاتهم أي لنبطلنها حتى كأنها لم تعمل

قوله ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون أي نجزيهم بأحسن أعمالهم وهي الطاعة ولا نجزيهم بمساوي أعمالهم قوله
تعالى ووصينا الإنسان بوالديه حسنا نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص كان بارا بأمه فلما أسلم
قالت له أمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية يا سعد بلغني أنك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت وإن الطعام
والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية فأبى سعد عليها وبقيت لا تأكل ولا
تشرب ولا تستظل بشيء فمكثت يوما وليلة لا تأكل فأصبحت قد جهدت ثم مكثت أيضا يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب
فقال يا أماه لتدعي عن دينك هذا ولا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعيري فيقال يا قاتل أمه فقال سعد والله
يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا لشيء فإن شئت أن تأكلي وإن شئت فلا تأكلي فلما رأت
ذلك كلت فأنزل الله هذه الآية ومعناها ووصينا الإنسان بالبر والإحسان إلى والديه وقلنا له وإن طلبا منك
أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما فإن طاعتهما في الإشراك والمعصية ليس من باب الحسن لقوله صلى
صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقوله تعالى إلي مرجعكم أي المنقلبكم في الآخرة وأخبركم
بما كنتم تعملون في الدنيا والآخرة من الخير والشر والبر والعقوق وأخلف النحاة في نصب قوله حسنا فقال
البصريون بنزع الخافض تقديره ووصينا الإنسان بالحسن كما تقول وصيته خيرا أي بخير وقال الكوفيون تقديره
ووصينا الإنسان أن يفعل حسنا فحذفه لدلالة الكلام عليه وقيل هو مثل قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والأعناق
أي يمسح مسحا وقيل تقديره وألزمناه حسنا وقرأ أبي رجاء حسنا بفتح الحاء والسين وفي مصحف أبي إحسانا
قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين أي في زمرة الأنبياء والأولياء وقيل
خواص محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس
كعذاب الله روي أن هذه الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة كان أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يخاف
على نفسه من أمه وأخويه لأمه وهما أبو جهل والحرث فخرج عياش بعد إظهار إسلامه هاربا إلى المدينة قبل هجرة
النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ أمه الخبر فجزعت جزعا شديدا وامتنعت عن الطعام والشراب فخرج أخواه في
طلبه فأخذوه وقيدوه وحلفت أمه أسماء بنت مخرمة بن أبي جندل بالله لا أحلك من ثاقك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه
وسلم ثم أقبلت عليه بالسياط وبعد بعض حتى لم يحرج عياش الضرب فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل والكلبي لما هاجر
عياش إلى المدينة خوفا من أمه وأخويه حلفت أمه أسماء بنت مخرمة بن أبي جندل إنها لا تأكل ولا تشرب ولا تغسل رأسها
ولا تدخل بيتا حتى يرجع إليها ابنها فلما رأى ابناها أبو جهل والحرث ابنا هشام وهما أخو عياش لأمه جزعها
ركبا في طلبه حتى أتيا المدينة فلقياه فقال له أبو جهل قد علمت أنك أحب إلى أمك من جميع أولادها وكنت بارا بها
وقد حلفت لا تأكل ولا تشرب ولا تدخل كنا حتى ترجع إليها وأنت تزعم أن في دينك بر الوالدين فارجع إليها كان ربك
الذي تعبده بالمدينة هو ربك بمكة فاعبده بها فلم يزالا به حتى أخذ عليهما المواثيق أن لا يحركاه ولا يصرفاه عن دينه
فأعطياه المواثيق فتبعهما فلما أخرجاه من المدينة أخذاه وأوثقاه وضرباه كل واحد منهما مائة جلدة حتى تبرأ من
دين محمد صلى الله عليه وسلم جزعا من الضرب وكان الحرث أشدهما عليه وأسوأهما قولا فيه فحلف عياش بالله لئن
قدر عليه ليضربن عنقه فلما رجعوا إلى مكة مكثوا حينا ثم هاجر صلى الله عليه وسلم والمؤمنون إلى المدينة فهاجر
عياش وأسلم وحسن إسلامه ثم إن الله تعالى وفق الحرث بن هشام فهاجر إلى المدينة وبايع النبي صلى الله عليه وسلم على
الإسلام ولم يحضر عياش فلقيه عياش بظهر قباء ولم يعلم بإسلامه فضرب عنقه ظنا أنه كافر فقيل له إنه قد أسلم فندم
واسترجع وبكى ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فأنزل الله تعالى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا
خطأ الآية ومعنى الآية ومن الناس من يقول آمنا بالله تعالى فإذا عذب في طاعة الله جعل تعذيب الناس كتعذيب
الله فأطاع الناس خوفا منهم كما يطيع الله من خاف عذابه قوله تعالى ولئن جاء نصر من ربك ليقولن
إنا كنا معكم أي إذا جاء فتح من ربك ليقولن إنا كنا معكم وهذه صفة المنافقين قوله تعالى أوليس

الله بأعلم بما في صدور العالمين أي بما في قلوبهم من الطمأنينة بالإيمان والانشراح بالكفر وليعلمن
الله الذين آمنوا أي ليميزن الله المؤمنين وليميزن المنافقين قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا
سبيلنا معناه قال الكفار منهم أبو جهل وغيره لمن آمن من قريش واتبع محمدا صلى الله عليه وسلم اتبعوا ديننا وملة
آبائنا ونحن الكفلاء لكم بكل تبعة تصيبكم من الله في ذلك ونحمل عنكم خطاياكم إن كان عليكم فيه إثم ووزر فنحن نحمله
عنكم ثم قال الله تعالى قوله تعالى ولنحمل لفظه لفظ الأمر ومعناه الجزاء أي إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم قوله تعالى
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون فيما ضمنوا من حمل خطاياهم لا يخففون العذاب عنهم قوله تعالى
وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم معناه أوزارا مع أوزارهم وذلك أنهم يعاقبون على كفرهم وعلى دعائهم
إلى الكفر وهذا موافق لقوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيمة لا ينقص
من أوزارهم شيء ومعنى الآية وليحملن أوزارهم التي عملوها ولا أوزارا أخر أوزارهم بقولهم للمؤمنين اتبعوا سبيلنا وهذا
كقوله ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة قوله تعالى وليسألن يوم القيمة عما كانوا يفترون أراد به
سؤال التوبيخ لا سؤال الاستعلام يقال لهم هل كان عندكم من الغيب شيء من قلتم إنكم تحملون أوزار غيركم قوله
تعالى ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما أي مكث بين أظهرهم يدعوهم إلى
الإيمان ألف سنة إلا خمسين عاما فلم يجبه إلى الإيمان منهم إلا قليل فأهلكهم الله فأخذهم الطوفان وهو الغرق وهم
ظالمون أي مشركون وفي الحديث أن نوحا عليه السلام أرسل إليهم بعد ما أتى عليه مائتان وخمسون سنة وعاش
بعد الطوفان مائتان وخمسون سنة وسمي الغرق طوفانا لأن الماء في ذلك اليوم طاف في جميع الأرض قوله تعالى
فأنجيناه وأصحاب السفينة أي أنجينا نوحا من الغرق ومن كان معه من المؤمنين في السفينة وجعلناها آية
للعالمين أي جعلنا السفينة عبرة لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم فعلنا بهم مثل ذلك قوله تعالى وإبراهيم
إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه انتصب إبراهيم عطفا على نوح معناه وأرسلنا إبراهيم أيضا إذ قال لقومه
اعبدوا الله أي وحدوا الله وأطيعوه واخشوه ذلكم خير لكم أي عبادة الله خير لكم من عبادة الأوثان
إن كنتم تعلمون ذلك قوله تعالى إنما تعبدون من دون الله أوثانا أي أصناما تتخذونها من الحجارة والخشب
وتخلقون إفكا أي وتخترعون على الله كذبا في قولكم إنها آلهة ويجوز أن يكون معنى تخلقون إفكا أي تنحتون أصناما
قوله تعالى إن الذين تعبدون من دون الله أي إن الذين تعبدون من الأصنام لا تقدرون أن يرزقوكم قوله تعالى
فابتغوا عند الله الرزق أي اطلبوا الرزق منه فإنه القادر على ذلك واعبدوه أي اعبدوه إن عملكم رزقكم
واشكروا له إليه ترجعون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم قوله تعالى وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم يعني كذبوا
أنبياءهم كما كذبتم فأهلكهم الله تعالى وما على الرسول إلا البلاغ المبين أي ما عليه إلا تبليغ الرسالة على الله بلغه الذي
أرسل إليهم قوله تعالى أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده معناه أولم يعتبروا أهل مكة كيف بدأ الله الخلق
في أرحام الأمهات من النطفة ثم من العلقة ثم من المضغة إلى تمام الخلق ثم يميته ثم يعيده بعد الموت خلقا جديدا
قوله تعالى إن ذلك على الله يسير أي إن بدء الخلق وإعادته هين على الله فإن القادر على الاختراع من غير احتذاء على مثال
قادر على الإعادة وكانوا يقرون بأن الله هو الذي خلقهم قوله تعالى قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق
أي سافروا في الأرض وانظروا هل تجدون خالقا غير الله واعتبروا كيف خلق الله من قبلكم ثم أهلكهم بعد ذلك
قوله تعالى ثم الله ينشئ النشأة الآخرة أي ثم إن الله يبعث الخلق ثانية يوم القيمة إن الله على كل شيء قدير
من الإحياء والإماتة قادر قرأ ابن كثير وأبو عمرو والحسن النشاءة بالمد وقرأ الباقون النشأة بإسكان الشين والقصر وهما
لغتان قوله تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء أي يعذب من يشاء من كان أهلا للتعذيب ويرحم من يشاء من كان
أهلا للرحمة قوله تعالى وإليه تقلبون أي تردون في الآخرة قوله تعالى وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء
أي ما أنتم يا أهل مكة بفائتين من عذاب الله هربا في الأرض ولا في السماء ولا تعجزونه لو طلبكم حيثما كنتم ويجوز أن يكون معناه

ولا في السماء ان يعجز الكفار ما انتم يا كفار مكة بفائتين الله في الارض كنتم او في السماء ولكنتم انما كنتم في ايات يكم
باعمالكم السيئة وما لكم من دون الله من ولي يتولى امركم ويحفظكم ولا نصير يمنع العذاب عنكم
قوله تعالى والذين كفروا بايات الله ولقائه اي الذين يجحدون محمدا والقران والبعث بعد الموت اولئك
يئسوا من رحمتي اي من جنتي في الاخرة باعتقادهم انها لا تنفع لهم واولئك لهم عذاب اليم قوله تعالى فما
كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه قالوا اقتلوه او حرقوه بالنار ثم اقذفوه في النار فانجاه
الله من النار سالما وجعلها عليه بردا وسلاما ولم تحرق الا وثاقه ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون
بالله ورسوله قوله تعالى وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا اي قال لهم ان ما عبدتم من دون الله
اوثانا هي مودة بينكم اي تلك مودة بينكم والمعنى ان الفتكم واجتماعكم على الاصنام مودة بينكم في الحيوة الدنيا
ثم تنقطع عن قريب وتنقلب تلك المودة عداوة بعد الموت ثم يكفر بعضكم ببعض ويلعن القائد المعبود ولذلك يلعن العابد
بعضهم بعضا ويكون مصيرهم في الاخرة النار وما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله ويجوز ان يكون ما في قوله تعالى
انما اتخذتم بمعنى الذي كانه قال ان الذي اتخذتموه من دون الله اوثانا مودة بينكم ما دمتم في الحيوة الدنيا فيكون مودة
رفعا لانها خبر ان وقرأ حمزة وحفص مودة بالنصب بينكم بالخفض على الاضافة بوقوع الاتخاذ عليه وجعل انما حرفا
واحدا وقرأ الباقون مودة نصبا منونا بينكم بالنصب على انه مفعول له ايضا ومعناه اتخذتم هذه الاوثان مودة بينكم
تتوادون وتتحابون على عبادتها وتتواصلون عليها قوله تعالى فامن له لوط اي صدق لوط ابرهيم وهو اول من
صدق به وقال ابرهيم اني مهاجر الى ربي اي الى الموضع الذي امرني ربي بالهجرة اليه وكان مهاجره من كوثى وهي
سواد العراق الى الشام وقيل ان كوثى من سواد الكوفة فهاجر ابرهيم ومعه لوط وهو ابن اخيه وامراته سارة وكان
سنه لما هاجر ابرهيم وهو ابن خمس وسبعين سنة قوله تعالى انه هو العزيز الحكيم اي المنتقم ممن عصاه الحكيم
فيما حكم علينا من الهجرة قوله تعالى ووهبنا له اي لابرهيم اسحق من امراته سارة ويعقوب ابن ابنه قوله تعالى
وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وذلك ان الله لم يبعث نبيا من بعد ابرهيم الا من صلبه قوله تعالى
والكتاب اي وجعلنا التورية والانجيل والقران في ولده واتيناه اجره في الدنيا اراد به الثناء الحسن
وموالاة جميع الامم اياه فان جميع الاديان يحبونه وقال السدي انه اري مكانه في الجنة ثم اعلم الله انه مع اعطائه في الدنيا
الدرجات العلى قوله تعالى وانه في الاخرة لمن الصالحين اي انه في الاخرة مع ابائه المرسلين في الجنة مثل ادم
ونوح قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه اي وارسلنا لوطا الى قومه اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة
يعني عملهم الخبيث الذي لم يكن يعمله احد قبلهم قوله تعالى وتقطعون السبيل وذلك انهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن مر بهم
من المسافرين فلما فعلوا ذلك شاع الخبر فترك الناس المرور بهم فانقطع السبيل قوله تعالى وتاتون في ناديكم
المنكر النادي المجلس والمتحدث اي تاتون في مجالسكم الفسق قيل انهم كانوا يفعل بعضهم ببعض الفاحشة في المجالس وقيل
انهم كانوا يصفقون بايديهم ويصفرون بافواههم وقال القسم بن محمد هو انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم ويضربون بالعود
والمزامير ويلعبون بالحمام وقيل في معنى قوله تعالى وتاتون في ناديكم المنكر قال مجاهد كان يجامع بعضهم بعضا في المجالس
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنكر الذي كانوا ياتونه قوم لوط فقال كانوا يجلسون ثم يعمد
كل رجل منهم بقصعة حصا فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فايهم اصابه كان اولى به وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والحذف
فانه لا ينكأ العدو ولا يصيد الصيد ولكن يفقأ العين ويكسر السن فلما انكر لوط على قومه ما كانوا يفعلونه من القبايح
قالوا استهزاء ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين اي ان العذاب نازل بنا فعند ذلك دعا لوط عليه السلام
قال رب انصرني على القوم المفسدين اي انصرني بتحقيق قولي في العذاب على القوم المفسدين العاصين فاستجاب الله
دعاءه وبعث جبريل ومعه الملائكة لتعذيب قومه فهو قوله تعالى ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى باسحق ومن وراء
اسحق يعقوب قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية يعنون سدوم قرية لوط ان اهلها كانوا ظالمين اي بالشرك

والعمل الخبيث قال لهم ابرهيم ان فيها لوطا فكيف تهلكونها قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله واهل بيته
وابنتيه زعورا وزيثا الا امراته واعلة كانت من الغابرين اي من الباقين في المهلكين قوله تعالى ولما ان
جاءت رسلنا لوطا سيء بهم اي ساءه مجيئهم خوفا عليهم من قومه لانهم جاؤه على هيئة الغلمان وضاق بهم ذرعا
اي ضاق عليه الامر بسببهم وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك قال المبرد الكاف في منجوك
مخفوضة ولم يجز عطف الظاهر على المضمر المخفوض فحمل الثاني على المعنى فصار التقدير وننجي اهلك او ومنجون اهلك
قوله تعالى انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء اي عذابا بالحجارة وقيل الخسف والحصب بما كانوا
يفسقون اي بسبب فسقهم يروى ان تلك القرية كانت مشتملة على سبعمائة الف رجل قوله تعالى ولقد تركنا منها
اية بينة يعني اثار منازلهم الخربة وهي تركة ديارهم منكوسة عظة وعبرة للناس واظهر الله فيها ماء اسود منتنا
يتاذى الناس برايحته قوله تعالى لقوم يعقلون اي يتفكرون فيما فعل الله بهم ولا يفعلون مثل فعلهم قوله تعالى
والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا الى اهل مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم
الاخر اي واخشوا البعث الذي فيه جزاء الاعمال ولا تعثوا في الارض مفسدين اي لا تسعوا في الارض
بالفساد فكذبوه في الرسالة فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة فاصبحوا في دارهم جاثمين اي ميتين باركين
على ركبهم قوله تعالى وعادا وثمودا اي واهلكنا عادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم اي ظهر لكم يا اهل
مكة من منازلهم بالحجر واليمن انه في اهلاكهم حيث تمرون بها وزين لهم الشيطان اعمالهم القبيحة فصدهم عن السبيل
اي صرفهم عن طريق الحق وكانوا مستبصرين اي عقلاء يمكنهم تمييز الحق من الباطل وقيل كانوا معجبين بضلالتهم
يرون انهم على الحق وهم لم يكونوا كذلك والمعنى انهم كانوا في انفسهم مستبصرين فيما عملوا من الضلالة يحسبون انهم على هدى
قوله تعالى وقارون وفرعون وهامان اي واهلكنا قارون وفرعون وهامان بعد ما جاءهم موسى بالمعجزات
فتعظموا عن الايمان به وما كانوا سابقين اي لم يكونوا فائتين من عذاب الله فكلا اخذنا بذنبه اي كل هؤلاء
القوم الذين ذكرناهم عاقبناهم بذنوبهم فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا يعني الحجارة وهم قوم لوط وقيل الحاصب الريح
التي ياتي بالحصا وهي الحصا الصغار ومنهم من اخذته الصيحة وهم قوم صالح وشعيب ومنهم من خسفنا به
الارض يعني قارون واصحابه ومنهم من اغرقنا يعني قوم نوح وقوم فرعون بالكفر وما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفر والمعاصي قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل
العنكبوت اتخذت بيتا يعني الاصنام اتخذوها اولياء يرجون نصرها ونفعها كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وبيتها
لا يغنيها عن الحر والبرد والمطر كذلك اصنامهم لا ترزقهم شيئا ولا تملك لهم ضرا ولا نفعا قوله تعالى وان اوهن البيوت
لبيت العنكبوت اي لا بيت اضعف منه مما يتخذه الهوام لو كانوا يعلمون ان اتخاذهم الاولياء من دون الله كاتخاذ العنكبوت
بيتا في قلة النفع ما اتخذوهم اولياء قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء قرأ ابو عمرو ويدعون
بالياء لذكر الامم الماضية قبلها وقرأ الباقون بالتاء ومعنى الاية انه عالم بما عبدتموه من دونه فهو مجازيكم على كفركم
وهو العزيز الحكيم قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس اي امثال القران نضربها نبينها للناس قوله تعالى
يعني كفار مكة وما يعقلها الا العالمون اي العلماء قوله تعالى خلق الله السموات والارض بالحق اي للحق
واظهار الحق ان في خلقها لاية للمؤمنين اي لدلالة على قدرة الله وتوحيده قوله تعالى اتل ما اوحي اليك من
الكتاب واقم الصلوة اي اقرأ عليهم يا محمد ما انزل عليك من القران اي الصلوات الخمس في مواقيتها بشرايطها
وسننها قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وذلك ان في الصلوة تكبيرا وتسبيحا وقراءة ووقوفا للعبادة
على وجه الذل والخشوع وكان ذلك يدعو الى شكله ويصرف عن ضده فهو كالامر والناهي بالقول والفحشاء ما قبح
من العمل والمنكر ما لا يعرف في شرع ولا سنة قال ابن عباس في الصلوة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تنهه صلوته
عن المعاصي لم تزدد من الله الا بعدا وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه

عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا قوله تعالى **ولذكر الله اكبر** أي ولذكر الله اياكم بالتوفيق والمغفرة والثواب اكبر من ذكركم اياه بالطاعة وقيل ذكر الله في المنع عن الفحشاء والمنكر اكبر من الصلوة ويجوز ان يكون اكبر في معنى الكبير في الجزاء والثواب كما قال عز وجل وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال الحكماء ذكر الله للعبد اكبر من ذكر العبد لله لان ذكر الله للعبد على حد الاستغناء وذكر العبد اياه على حد الافتقار ولان ذكر العبد لجر نفع او دفع ضر وذكر الله للعبد للفضل والكرم ولان ذكر العبد مخلوق وذكر الله غير مخلوق وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ولذكر الله اكبر أي ذكر الله على كل حال احسن وافضل والذكر ان تذكره عند ما حرم فتدع ما حرم وعند ما احل فتأخذ ما احل وقال صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر من ذكر الله تعالى وقال ابو الدرداء الا اخبركم بخير اعمالكم واحبها الى مليككم وانماها في درجاتكم وخير لكم من ان تغزوا عدوكم فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم وخير لكم من اعطاء الدنانير والدراهم قالوا وما هو قال ذكر الله عز وجل قال الله تعالى ولذكر الله اكبر وقال معاذ بن جبل سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال احب الى الله تعالى قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم جلسوا في مجلس يذكرون الله فيه الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده وروي ان رجلا اعتق اربع رقاب وقال آخر سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ثم ان الذي لم يعتق صاحبيه اوفى واصحابه فقال ما تقولون فيمن اعتق اربع رقاب وانا قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فايهما افضل فنظروا هنيهة فقالوا ما نعلم شيئا افضل من ذكر الله قوله تعالى **والله يعلم ما تصنعون** أي ما تعملون من الخير والشر لا يخفى عليه شيء قوله تعالى **ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن** أي لا تخاصموا اهل الكتاب الا بالطريقة التي هي احسن وهي ان تعظوهم بالقرآن على وجه النصح والاستمالة الى دين الاسلام وتعظيم الله وطلب ثوابه **الا الذين ظلموا منهم** أي الا من ظلم من اهل الكتاب فمنع الجزية او نقض العهد وعاد حربا لكم فجادلوهم بالسيف والسنان واغلظوا عليهم حتى يسلموا او يعطوا الجزية **وقولوا** لمن قبل الجزية منهم اذا اخبروكم بشيء من كتبهم **آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم** أي آمنا بالقرآن والتوراة والانجيل والزبور **والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون** أي آمنا بالقرآن أي مخلصون بالعبادة والتوحيد وهذه صفة المجادلة بالتي هي احسن قوله تعالى **وكذلك انزلنا اليك الكتاب** أي انزلنا اليك يا محمد القرآن كما انزلنا اليهم الكتب **فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به** أي الذين آتيناهم علم التوراة وهم عبد الله بن سلام واصحابه يؤمنون بالقرآن لدلالة التوراة قوله تعالى **ومن هؤلاء من يؤمن به** اراد به من كفار مكة من يؤمن به يعني من يسلم منهم وذلك قوله تعالى **وما يجحد بآياتنا الا الكافرون** أي ما يجحد بمحمد وبالقرآن بعد المعرفة الا الكفرة من اليهود وذلك انهم عرفوا ان محمدا نبي والقرآن حق فجحدوا وانكروا قوله تعالى **وما كنت تتلو من قبله من كتاب** أي ما كنت تقرأ من قبل القرآن من كتاب أي ما كنت قارئا قبل الوحي ولا كاتبا **ولا تخطه بيمينك** أي ولا تكتبه بيمينك ولو كنت تقرأ او تكتب لوجد المبطلون طريقا الى التشكيك في امرك **اذا لارتاب المبطلون** في نبوتك فيقولون انه تعلم من الكتب المتقدمة فلما كان معلوما عندهم انه عليه السلام كان لا يقرأ ولا يكتب ثم اتى بالقرآن الذي عجز اعراب الانسان عن سورة مثله دل ذلك على انه من عند الله ولانه كان نعته في التوراة والانجيل امي لا يقرأ ولا يكتب ولو كنت قارئا وكاتبا لشك اليهود فيك وقالوا ان الذي نجده في التوراة امي لا يقرأ ولا يكتب قوله تعالى **بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم** وقال الحسن يعني القرآن آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وحملوه بعده وقال بعضهم بل هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم آيات بينات في صدور اهل العلم من اهل الكتاب لانهم يجدونه بنعته وصفته **وما يجحد بآياتنا الا الظالمون** يعني كفار اليهود قوله تعالى **وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه** أي قال كفار مكة هلا انزل على محمد آية من ربه كما كانت للانبياء يعني بها الى قومهم ارادوا بها الآيات التي كانوا اقترحوها عليه من قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآية

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف آية على التوحيد وقرأ الباقون آيات بالجمع قوله تعالى **قل انما الآيات عند الله** أي في حكم الله ان شاء انزلها **وانما انا نذير مبين** أي رسول مخوف لكم بلغة تعرفونها وليس انزال الآيات بيدي قوله تعالى **او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم** يعني او لم يكن كفايته في معرفة نبوتك انا انزلنا عليك القرآن الذي تقرأ عليهم بلغتهم مما فيه من اخبار الامم الماضية مع عجزهم عن الاتيان بسورة مثله **ان في ذلك لرحمة** أي في انزال القرآن رحمة لمن آمن به وعمل بما فيه **وذكرى لقوم يؤمنون** أي وذكرى وموعظة لهم قوله تعالى **قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا** أي قل لهم يا محمد كفى بالله شاهدا باني رسول اليكم **يعلم ما في السموات والارض** قوله تعالى **والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله** أي صدقوا بالاصنام وجحدوا وحدانية الله **اولئك هم الخاسرون** بالعقوبة وفوت المثوبة قوله تعالى **ويستعجلونك بالعذاب** أي يستعجلك كفار مكة بالعذاب قبل وقته استهزاء وتكذيبا منهم بذلك **ولولا اجل مسمى** أي لولا ان الله جعل للعذاب اجلا وقد سماه وهو يوم القيامة وقيل يعني مدة اعمارهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب **لجاءهم العذاب** في الحال **وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون** باتيانه قوله تعالى **يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين** فيه تعجيب من استعجالهم العذاب مع ان جهنم محيطة بهم في الآخرة جامعة لهم **يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم** فلا يبقى جزء منهم الا وهو معذب بالنار **ويقول** لهم **ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون** قرأ الكوفيون ونافع ويقول بالياء يعني الملك الموكل بعذابهم ونقول لهم ذلك وقرأ الباقون بالنون لانه لما كان بامره سبحانه جاز ان ينسب اليه قوله تعالى **يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة** وقال مقاتل نزلت في ضعفاء مسلمي مكة يقول ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخرجوا منها الى ارض المدينة الى الموضع الذي يمكنكم فيه عبادة الله وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث يتهيأ له ان يعبد الله حق عبادته ثم خوفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة فقال تعالى **كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون** أي كل احد ميت اينما كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفا من الموت ثم الينا ترجعون بعد الموت فنجزيكم باعمالكم وقال سعيد بن جبير معنى الآية اذا عمل في ارض بالمعاصي فاخرجوا منها فان ارضي واسعة وقال عطاء اذا امرتم بالمعاصي فاهربوا منها فان ارضي واسعة وقال مجاهد ان ارضي واسعة فهاجروا وجاهدوا وقال الكلبي نزلت في المستضعفين من المؤمنين الذين كانوا بمكة لا يقدرون على اظهار الايمان وعبادة الرحمن يحثهم على الهجرة الى المدينة فشق عليهم وقالوا كيف يكون حالنا اذا انتقلنا الى دار الغربة وليس بها احد نعرفه فيأتونا ولا نعرف وجوه الاكتساب فيها فقطع الله عذرهم بهذه الآيات ومعناها ان ارضي المدينة واسعة آمنة وقيل واسعة الرزق لكم فاخرجوا من هذه الارض التي انتم فيها وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام ثم ذكر الله ثواب من هاجر فقال تعالى **والذين آمنوا وعملوا الصالحات** يعني المهاجرين **لنبوئنهم من الجنة غرفا** قال ابن عباس لنسكننهم غرف الدر والزبرجد والياقوت ولنعطينهم قصور الجنة وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم بالثاء من ثوى الرجل اذا قام واثويته اذا انزلته منزلا تقيم فيه والمعنى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لننزلنهم من الجنة غرفا عوالي **تجري من تحتها الانهار** قصورها واشجارها الانهار **خالدين فيها نعم اجر العاملين** لله يريد صفتهم قوله تعالى **الذين صبروا** أي على دينهم فلم يتركوه لشدة لحقتهم **وعلى ربهم يتوكلون** قال ابن عباس وذلك ان المهاجرين توكلوا على الله وتركوا دورهم واموالهم وقيل صبروا على دينهم ويتوكلون في ارزاقهم وجهاد اعدائهم ومهمات امورهم وقال مقاتل ان احدهم كان يقول بمكة كيف اهاجر الى المدينة وليس لي بها مال ولا معيشة فقال الله تعالى **وكاين من دابة لا تحمل رزقها** أي كم من دابة في الارض وهي كل حيوان يدب على الارض مما يعقل وما لا يعقل وكاين من نفس دابة لا تحمل رزقها أي لا ترفع رزقها معها ولا تدخر شيئا لغد **الله يرزقها** حيث ما توجهت **واياكم** يرزقكم ان اخرجتم الى المدينة وان لم يكن لكم زاد ولا نفقة قال سفيان وليس شيء مما خلق يدخر الا

الإنسان والفأرة والنمل والغراب على ما قيل وقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة
وقد آذاهم المشركون اخرجوا إلى المدينة وهاجروا ولا تجاوروا الظلمة فيها قالوا يا رسول الله كيف نخرج
إلى المدينة وليس لنا بها عقار ولا مال فمن يطعمنا ويسقينا فأنزل الله هذه الآية وكأين من دابة لا تحمل رزقها
الله يرزقها وإياكم يوما بيوم أي يرزق من يحمل ومن لا يحمل فكم من دابة لا تجمع رزقها لغد ولا تقدر على حمل
رزقها لضعفها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم أي السميع لأقوالكم لئن خشينا إن فارقنا أوطاننا
العيلة العليم بما في قلوبكم ونفوسكم ولا تتركوا عبادة الله بسبب الرزق ولا تهتموا لأجل ذلك قوله تعالى ولئن
سألتهم من خلق السموات والأرض يعني لئن سألت كفار مكة من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر
ليقولن الله فأنى يؤفكون أي يصرفون عن عبادة الله الذي هذه صفته إلى عبادة جماد لا يسمع ولا يبصر قوله
تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له أي يبسط الرزق على قوم ويضيقه على قوم يفعل ذلك
عن علم وحكمة لا عن غلط وخطأ إن الله بكل شيء عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها
ليقولن الله يعني يعترفون بذلك أيضا قل الحمد لله أي احمد الله على إقرارهم لأن ذلك يلزمهم الحجة ويوجب عليهم التوحيد
وقيل معناه الحمد لله على هذه النعم وعلى ما تفضل به […] من النعم على العباد بل أكثرهم لا يعقلون توحيد
ربهم مع إقرارهم بأنه خالق السموات والأرض وأنزل المطر قوله تعالى وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب أي
باطل وغرور وعبث ينقضي عن قريب بسرعة وإن الدار الآخرة لهي الحيوان يعني الجنة هي الحيوان أي الحياة الدائمة
والبقاء الذي لا نفاد له والحيوان والحياة واحد قوله تعالى لو كانوا يعلمون أي لو كانوا يعلمون الفرق بين الحياة
الدائمة والحياة الفانية لرغبوا في الباقي الدائم عن الفاني الزائل ولكنهم لا يعلمون قوله تعالى فإذا ركبوا في الفلك
دعوا الله مخلصين له الدين يعني المشركين إذا ركبوا في السفينة وهاجت الرياح واضطربت الأمواج وخافوا الغرق
دعوا الله مخلصين له الدين أي دعوا الله منفردين له بالدعاء وتركوا شركاءهم وأصنامهم فلا يدعون لإنجائهم فلما نجاهم
إلى البر أي فلما خلصهم من تلك الأهوال وأخرجهم إلى البر عادوا إلى شركهم ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا
في كفرهم فسوف يعلمون جزاء فعلهم قال عكرمة كان أهل الجاهلية إذا ركبوا في البحر حملوا معهم الأصنام فإذا اشتدت
بهم الريح ألقوا تلك الأصنام في البحر وصاحوا يا الله يا الله وقيل إن اللام في قوله ليكفروا لام الأمر ومعناها التهديد
والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم واستفزز من استطعت منهم وكذلك قوله فسوف يعلمون قوله تعالى أولم يروا أنا
جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أي ألم ير كفار مكة أنا جعلنا حرما آمنا يعني مكة ويتخطف الناس
من حولهم يقتلون ويسبون ويؤخذ أموالهم وأهل مكة آمنون من ذلك أفبالباطل يؤمنون أي يؤمنون
ويصدقون بالباطل وهي الأصنام بعد قيام الحجة وبنعمة الله يكفرون أي بمحمد والإسلام يجحدون وأصل التخطف
[…] الشيء بسرعة قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أي لا أحد أظلم ممن زعم أن
لله شريكا وكذب بالحق لما جاءه يعني محمدا والقرآن أليس في جهنم مثوى للكافرين أي بهذا الكافر المكذب مأوى
في جهنم وهو استفهام ومعناه التقرير قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا أي الذين جاهدوا الكفار لأجل
مرضاتنا لنهدينهم سبلنا إلى الجنة أي لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيم وقيل معناه والذين جاهدوا فينا في طلب العلم
به […] الدارين معناه والذين يعملون بما يعلمون هديناهم إلى ما لا يعلمون وعن ابن عباس أن معناه والذين
جاهدوا في الصبر على المصائب في الثواب لنهدينهم سبل الوصول إلى المواهب وقيل معناه والذين جاهدوا في الثبات على الإيمان
لنهدينهم سبل […] من عند الله والذين دخول الجنة قوله تعالى وإن الله لمع المحسنين أي بالنصر على
أعدائهم والمعونة في دنياهم والثواب في عقباهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة العنكبوت كان
له من الأجر عشر حسنات بعدد المؤمنين والمنافقين •

سورة الروم ستون آية

وهي مكية إلا […] وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وستون آية وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم

كان

كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح بين السماء والأرض •

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت
الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم أي غلبت فارس الروم ففرح بذلك كفار مكة وقالوا الذين ليس لهم كتاب
غلبوا الذين لهم كتاب وافتخروا على المسلمين وقالوا نحن أيضا نغلبكم كما غلبت الروم وقصة ذلك أن كسرى ملك
فارس أرسل جيشا إلى الروم فسار إليهم بأهل فارس […] فظهروا على الروم فقتلوهم وخربوا مدائنهم وكان قيصر
ملك الروم قد بعث جيشا […] فالتقيا بأذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم فغلبت
فارس الروم حتى انتزعوا بيت المقدس من الروم وكان ذلك موضع عبادتهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
بمكة فشق ذلك عليهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن تظهر المجوس على أهل الكتاب من الروم وفرح
بذلك كفار مكة وشمتوا فلقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب وقد ظهر
إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الروم وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله عز وجل هذه الآيات
الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين فخرج أبو بكر رضي الله عنه إلى الكفار وقال
أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا
فقام إليه أبي بن خلف الجمحي وقال له كذبت فقال له أبو بكر أنت أكذب يا عدو الله فقال أبي بن خلف […]
[…] أهل الكتاب ولذلك نحن نغلبكم فاستعد المشركون ظهور الروم على فارس لشدة شوكة أهل فارس فقال
أبو بكر لأبي بن خلف […] على أن الروم تغلب أهل فارس إلى ثلاث سنين وراهنه أي على خمس من الإبل وقيل على عشر
من الإبل فإن ظهرت الروم على فارس غرمت […] وإن ظهرت فارس غرمت أنا ثم جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فأخبره بذلك فقال صلى الله عليه وسلم زد في الخطر وأبعد في الأجل فجعل ذلك […] وجعل الأجل تسع سنين وكان ذلك
قبل تحريم القمار روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وماده
في الأجل فخرج أبو بكر فلقي أبيا فقال لعلك ندمت قال لا تعال أزايدك في الخطر وأمادك في الأجل فاجعلها مائة قلوص
إلى تسع سنين وقيل قد جعلت فلما خشي أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه فلزمه وقال إني أخاف أن تخرج
من مكة فأقم لي كفيلا فكفل له ابنه عبد الله بن أبي بكر فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله بن أبي
بكر فلزمه وقال والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلا فأعطاه كفيلا ومضى إلى أحد ثم رجع فمات بمكة من جراحته
التي جرحه النبي صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس تسع سنين
من مراهنتهم وهذا قول أكثر المفسرين وقال أبو سعيد الخدري ومقاتل كان يوم بدر قتل المسلمون كفار مكة
وأتاهم الخبر أن الروم قد غلبت فارس ففرح المسلمون بذلك وغلب أبو بكر رضي الله عنه أبيا وأخذ مال الخطر من
ورثته وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به ومعنى الآية غلبت الروم في أدنى
الأرض يعني الجزيرة وهي أقرب أرض الروم إلى فارس وقال عكرمة يعني أذرعات وكسكر قوله تعالى وهم من بعد غلبهم
سيغلبون في بضع سنين والبضع ما بين الثلاث إلى العشر فالتقى الروم وفارس في السنة السابعة من غلبة فارس
فغلبهم الروم فجاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بهزيمة فارس وظهور الروم عليهم ووافق ذلك يوم بدر قوله
تعالى لله الأمر من قبل ومن بعد أي من قبل أن غلبت الروم ومن بعد ما غلبت يعني أن غلبة أحد الفريقين على الآخر
إنما كان […] الغالب والمغلوب فإن ذلك كان بأمر الله وإرادته وقضائه وقدره قوله تعالى ويومئذ يفرح المؤمنون
يعني يوم تغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بنصر الله تعالى الروم على فارس ويكون فرح المؤمنين يومئذ لظهور
النبي صلى الله عليه وسلم وأهل الكتاب بعض الكفار كما تفرح الصالحون بقتل الظالمين بعضهم بعضا قوله تعالى ينصر من يشاء

فارس

أي بنصر محمد صلى الله عليه وسلم على أعدائه **وهو العزيز الرحيم** أي هو العزيز بالنقمة من عصاة الرحيم بأوليائه
وهم المؤمنون قوله تعالى **وعد الله لا يخلف الله وعده** أي وعد الله ذلك وعدا لا يخلف الله وعده بظهور الروم
على فارس **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** يعني كفار مكة لا يعلمون أن الله لا يخلف وعده لأن أكثرهم كفار قوله
تعالى **يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا** يعني معايشهم وما يصلحهم قال الحسن يعلمون متى زرعهم ومتى حصادهم ويعلمون
وجوه الاكتساب من التجارة والزراعة والحراثة والغراسة وما يحتاجون إليه في الشتاء والصيف قال الحسن بلغ والله من
علم أحدهم بالدنيا أن ينقر الدرهم بيده فيخبر بوزنه ولا يحسن يصلي قوله تعالى **وهم عن الآخرة هم غافلون**
أي هم مع علمهم بأمور الدنيا لا يعلمون ما طريقة الدليل من أمر الآخرة وما يكون فيها من البعث والثواب والعقاب فهم غافلون
عما هو أولى بهم وعن ما يلزمهم من الاستعداد لذلك قوله تعالى **أولم يتفكروا في أنفسهم** أي في خلق الله إياهم فيعلموا
أن الله لم يخلق السموات والأرض إلا بالحق أي إلا للحق ومعنى الآية أولم يتفكروا أهل مكة في خلقهم فيعلموا أن الله ما خلق
السموات والأرض وما فيهما من العجائب والبدائع إلا ليحق الحق ويبطل الباطل ويجزي كل عامل بما عمل عند انقضاء الأجل المسمى
الذي جعله الله لانقضاء أمر السموات والأرض وهو يوم القيمة قوله تعالى **وإن كثيرا من الناس** يعني كفار مكة بلقاء
ربهم أي بالبعث لكافرون قوله تعالى **أولم يسيروا في الأرض** أي أولم يسافروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم من الأمم حين كذبوا الرسل إلى الهلاك بتكذيبهم فيعتبروا ثم وصف تلك الأمم قوله تعالى **كانوا أشد منهم قوة**
وأثاروا الأرض أي حرثوها وقلبوها للزراعة والغرس **وعمروها أكثر مما عمروها** كفار مكة لأنهم كانوا
أطول أعمارا وأكثر عددا فلم يبق منهم ولا من عماراتهم أثر فكذلك يكون حال هؤلاء قوله تعالى **فما كان الله ليظلمهم** بإهلاكهم
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفر والتكذيب قوله تعالى **ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله**
ثم صار آخر أمر الذين أساؤا بالكفر والمعاصي السوأى يعني العذاب والنار بسبب تكذيبهم واستهزائهم بآيات الله قال الفراء
والزجاج السوأى ضد الحسنى فهي الجنة وضدها النار وقال ابن قتيبة السوأى جهنم والحسنى الجنة وإنما سميت
سوأى لأنها تسوء صاحبها قوله تعالى **الله يبدأ الخلق ثم يعيده** أي يخلقهم من النطفة ثم يحييهم بعد ما أماتهم
ثم إلى موضع حسابه وجزائه ترجعون فيجزيهم بأعمالهم قوله تعالى **ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون** أي ييأس المجرمون
من رحمة الله ومن كل خير حين عاينوا العذاب وقال الفراء ينقطع كلامهم وحجتهم وقيل معنى يبلس أي يفتضح وقيل معناه
يندمون وقيل المبلس الساكت المنقطع عن حجته الآيس من أن يهتدي إليها قال الشاعر ◦ يا صاح هل تعرف
رسما مكرسا ◦ قال نعم أعرفه وأبلسا ◦ والمجرمون هم المشركون قوله تعالى **ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء**
أي لم يكن للكفار ممن أشركوا في العبادة شفعاء يشفعون لهم إلى الله **وكانوا بشركائهم كافرين** أي يتبرؤن
منهم ويتبرؤن منهم قوله تعالى **ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون** أي واذكر يوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرق الخلائق في طريق الجنة وطريق النار وقيل معناه يوم القيمة يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار
فلا يجتمعون أبدا وقال الحسن إن كانوا اجتمعوا في الدنيا ليتفرقن يوم القيمة هؤلاء في عليين وهؤلاء في أسفل
سافلين وهو قوله تعالى **فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون** أي في الجنة
ينعمون ويكرمون بالتحف ويسرون والحبرة السرور وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين ويسمى
العالم حبرا لتخلقه بأحسن أخلاق المؤمنين وسمي المداد حبرا لأنه تحسن به الأوراق وقيل معنى الآية فهم في رياض
الجنة يتلذذون قوله تعالى **وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة** أي وكذبوا بالبعث بعد
الموت **فأولئك في العذاب محضرون** أي يحضرون في العذاب لا يغيبون قوله تعالى **فسبحان الله حين تمسون**
وحين تصبحون أي فصلوا لله عز وجل وقيل فسبحوا الله قال ابن عباس جمعت هذه الآية الصلوات الخمس ومواقيتها
حين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون صلوة الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر قوله تعالى
وله الحمد في السموات والأرض أي يحمده أهل السموات وأهل الأرض ويصلون له ويحمدونه وعن ابن عباس

رضي الله

رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله تعالى
وكذلك تخرجون آخر الصافات دبر كل صلوة كتب الله له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر المطر وعدد ورق
الشجر وعدد نبات الأرض وإذا مات أجرى الله له بكل حسنة عشر حسنات في قبره وقال صلى الله عليه وسلم
من سره أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله وكذلك تخرجون
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين قوله تعالى **يخرج الحي من**
الميت أي الإنسان الحي من النطفة الميتة ويخرج النطفة وهي ميتة من الإنسان الحي وقيل يخرج الفرخ
من البيضة الميتة والبيضة من الفرخ **ويحيي الأرض** بإخراج الزرع منها بعد موتها أي بعد أن كانت لا تنبت
وكذلك تخرجون من قبوركم يوم القيمة إلى المحشر فإن بعثكم بمنزلة ابتداء خلقكم وهما في القدرة مستويان
قرأ حمزة تخرجون بفتح التاء قوله تعالى **ومن آياته** أي من دلائل قدرته وعلامات توحيده **أن خلقكم**
من تراب يعني آدم **ثم إذا أنتم بشر تنتشرون** أي ثم إذا أنتم من لحم ودم تنتشرون أي تتفرقون في حوائجكم
وتنبسطون في الأرض **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها** أي من علامات توحيده
وقدرته أن خلق لكم من جنسكم نساء لتطمئنوا إليها ولم يجعلهن من الجن **وجعل بينكم مودة ورحمة** أي جعل بين
الزوجين مودة ورحمة فهما يتراحمان ويتوادان وما من شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما حتى إن كثيرا من
الناس يهجر غيره بسبب زوجه وكذلك من الناس من يهجر غيره بسبب زوجها والمعنى من دلائل توحيد الله وقدرته أن خلق من
نطف الرجال ذكورا وإناثا النسل الذكور والإناث والنطف على صفة واحدة **إن في ذلك لقوم يتفكرون** في عظمة
الله تعالى وقدرته قوله تعالى **ومن آياته خلق السموات والأرض** أي ومن علامات توحيده خلق السموات والأرض
بما فيهما من العجائب **واختلاف ألسنتكم** وأصواتكم وصوركم **وألوانكم** لأن الخلق من عربي وعجمي وأسود وأحمر وأبيض وهم ولد رجل
واحد وامرأة واحدة **إن في ذلك لآيات للعالمين** أي للبر والفاجر والإنس والجن قوله تعالى **ومن آياته**
منامكم بالليل والنهار ومن آياته نومكم وكيف يغلب عليكم ومن آياته كيف تزول عنكم فتطلبون معايشكم قوله تعالى
وابتغاؤكم من فضله تقديره وابتغاؤكم من فضله بالنهار يعني تصرفكم في طلب المعيشة بالنهار **إن في ذلك لآيات لقوم**
يسمعون القرآن سماع الاستدلال للاعتبار والتدبر قوله تعالى **ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا** أي خوفا للمسافر
من الصواعق وطمعا للمقيم في المطر وسقي الزرع **إن في ذلك** أي في البرق وإنزال المطر وإحياء الأرض بعد قحطها **لآيات**
لقوم يعقلون قوله تعالى **ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره** يعني من غير عمد تحتها ولا علاقة فوقها
بقدرة الله وتسكينه قوله تعالى **ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون** أي ثم إذا دعاكم من القبور
عند النفخة الثانية بدعوة إسرافيل فيقول أيتها الأجساد البالية والعروق الممزقة والشعور المتفرقة
إذا أنتم تخرجون أي من قبوركم مهطعين إلى الداعي قوله تعالى **وله من في السموات والأرض** أي هم له عبيدا وملكا
كل له قانتون أي كل له مطيعون في الحيوة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العبادة فهم منقادون
لله عز وجل لا يقدرون على الامتناع من شيء أراده بهم من صحة ومرض وغناء وفقر وخشوع وعبودية قوله تعالى **وهو**
الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده أي هو الذي يبدأ الخلق من النطفة ثم يحييه بعد الموت كما كان ثم يبعثه في الآخرة
قوله تعالى **وهو أهون عليه** أي الإعادة هينة عليه وما من شيء عليه بعسير وقد يذكر لفظ أفعل بمعنى فعيل كقوله
الله أكبر بمعنى كبير وكذلك أهون عليه أي هين عليه قال الفرزدق ◦ لعمرك ما أدري وإني لأوجل ◦ على أينا تعدو المنية
أول ◦ يريد لعمرك إني لوجل أي لا وجل وقال الشاعر إن الذي سمك السماء ◦ بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول ◦ أي
عزيزة طويلة وإنما قيل على هذا التأويل لأنه لا يجوز أن يكون بعض الأشياء على الله أهون من بعض قوله تعالى **وله المثل**

المثل الاعلى في السموات والارض أي له الصفة العليا وهي القدرة التي لا يعجز عنها شيء وهو العزيز الحكيم أي الغالب على
كل شيء الحكيم في جميع افعاله قوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم أي وصفه لكم ايها المشركون مثلا من انفسكم وبين
لكم ذلك المثل من انفسكم ثم بينه قوله تعالى هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم أي هل لكم من عبيدكم واماءكم
شركاء فيما رزقناكم من الاموال أي هل يشاركونكم في اموالكم فتكونون انتم وعبيدكم سواء فيما اعطيناكم تخافون عبيدكم ان
يقاسموكم في اموالكم كما تخافون اباءكم واقاربكم ان يرثوكم بعدكم وتخافون الائمة عبيدكم اذا انتم لم تعطوهم حقهم وتخافون
لائمة بعضكم بعضا من الاقارب الشركاء اذا لم تؤدوا حقهم اليهم فقال الله تعالى لم ارتضون لله تعالى ما لا ترضون
لانفسكم تشركون عند الله في ملكه وقد خلقهم ولا تشركون عبيدكم فيما رزقكم الله وانتم لم تخلقوهم وتجعلون الخوف
من عبيد الله كالخوف من الله اذ تعبدونهم كعبادته قوله تعالى كذلك نفصل الآيات أي هكذا نبين الآيات واحدة بعد
واحدة لقوم يعقلون وكذا قرب الى الفهم واوقع في القلب معنى انفسكم ها هنا امثالكم من الاحرار كقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم
ومعنى الآية كيف رضيتم ان تكونوا الهتكم التي تعبدونها لي شركاء وانتم وهم عبيدي وانا مالككم جميعا فكما لا يجوز استواء المملوك
مع سيده كذلك لا يجوز استواء المخلوق مع خالقه قوله تعالى بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم أي ليس لهم في الاشراك
شبهة من جهة الحجة ولكنهم يشركون بالله اتباعا للجهل وهوى النفس فمن يهدي من اضل الله أي لا هادي لمن اضله الله
وما لهم من ناصرين أي ما لهم من مانع من عذاب الله قوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا أي فاقم يا محمد على دين
الاسلام وقوله حنيفا أي مائلا عن كل دين سوى دين الاسلام قوله تعالى فطرت الله أي اتبع دين الله والفطرة الملة وهي الاسلام
والتوحيد التي فطر الناس عليها أي التي خلق الله المؤمنين عليها وقد ورد في الحديث كل مولود يولد على الفطرة الى آخر الحديث
وانتصب قوله فطرة الله على الاغراء وقيل على معنى اتبع فطرة الله قوله تعالى لا تبديل لخلق الله أي لا تغيير
لدين الله الذي امر الناس بالثبات عليه وهو نفي معناه النهي أي لا تبدلوا دين الله الذي هو التوحيد بالشرك قوله تعالى
ذلك الدين القيم يعني التوحيد هو الدين المستقيم ولكن اكثر الناس يعني كفار مكة لا يعلمون ان توحيد
الله ودين الاسلام هو الحق قوله تعالى منيبين اليه واتقوه أي فاقيموا وجوهكم راجعين الى الله في كل ما امركم به
لا تخرجون عن شيء من اوامره وهذا لان الخطاب في اول الآية للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله فاقم وجهك والمراد
به امته كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فكانه قال فاقيموا وجوهكم منيبين اليه أي راجعين الى الله وقوله تعالى
واتقوه أي اتقوا مخالفته واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا أي
فارقوا دينهم أي تركوا دينهم الذي امروا بالثبات عليه ومن قرأ فرقوا دينهم فمعناه صاروا فرقا وذلك معنى قوله تعالى
وكانوا شيعا أي صاروا جماعة كل جماعة اختارت دينا مثل اليهود والنصارى وسائر الملل كل حزب بما لديهم فرحون
أي بما عندهم من الدين قوله تعالى واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه أي اذا اصاب الناس شدة وبلية وقحط
يعني كفار مكة دعوا ربهم لدفع الشدة منيبين اليه أي راجعين اليه منقطعين اليه من الخلق لا يلجأون في شدائدهم
الى اوثانهم ثم اذا ذهبت عنهم تلك الشدة ثم اذا اذاقهم منه رحمة أي اعطاهم من عنده المطر اذا فريق منهم بربهم يشركون
أي يعودون الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم ليجحدوا الشكر كرهم فتمتعوا فسوف تعلمون أي تلذذوا في الدنيا سوف
تعلمون ما ذا ينزل بكم قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا أي ام انزلنا على هؤلاء حجة وبرهانا وكتابا من السماء
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون يعني فهو يشهد وينطق بان الله امرهم بما يفعلون وهذا استفهام انكار بمعنى الامر على هذا قوله تعالى واذا اذقنا الناس
رحمة فرحوا بها أي اذا اعطاهم نعمة يستبشروا بها وان تصبهم سيئة شدة ومحنة وبلية بما قدمت ايديهم من الشرك
والمعاصي اذا هم يقنطون أي اذا هم ييأسون من رحمة الله قوله تعالى اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
أي ويضيق ان في ذلك البسط والتضييق لآيات دالة على التوحيد لقوم يؤمنون قوله تعالى فآت ذا القربى حقه أي اعط
ذا القرابة في الرحم حقه من الصلة والبر واعط المسكين وابن السبيل حقه أي الضيافة يعني اكرام الضيف ذلك
خير أي ذلك الاعطاء من الصلة والاعطاء والضيافة خير للذين يريدون رضى الله أي اعطاء الخير افضل من الامساك

واولئك هم المفلحون أي الفائزون السعداء الباقون في الجنة ومن اعطى احدا لا يريد به وجه الله ذهب ماله من
غير ان يحصل على شيء ولذلك قال تعالى ترتدون وجه الله قوله تعالى وما آتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا
يربوا عند الله أي ما تعاطيتم به من عقد الربا رجاء ان يزيد اموالكم ولا يزيد في حكم الله وعلى الاحد ان يرده على الذي
هو له قال تعالى يمحق الله الربا قرأ ابن كثير اتيتم مقصورا غير ممدود قوله تعالى ليربوا قرأ الجمهور بالياء ليربوا
منه وضم الواو على الخطاب أي لتربوا انتم وقرأ الباقون ليربو بالياء مفتوحة ونصب الواو وجعلوا الفعل للربا
قوله تعالى وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله أي ما اعطيتم من صدقة تريدون بها رضا الله تعالى قوله
تعالى فاولئك هم المضعفون الذين يضاعف لهم في العاجل والآجل بعد الله تعالى والمضعف أي ذو اضعاف كما يقال رجل
مقو أي ذو قوة وموسر أي صاحب يسار وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وما آتيتم من ربا الربا ها هنا
هو هبة الرجل لصاحبه يريد ان يثاب افضل منه وقال السدي هو الهدية يهديها الرجل لاخيه يطلب المكافاة
فان ذلك لا يربوا عند الله لا يؤجر عليه صاحبه ولا اثم عليه وقال الزجاج هو دفع الانسان الشيء ليعوض اكثر منه وذلك
ليس بحرام ولكنه لا ثواب فيه لان الذي يهبه يستدعي به ما هو اكثر منه والذي يربو عند الله هو العطية التي لا يطلب بها المكافاة
ولا يراد بها الا رضا الله قوله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم أي خلقكم في بطون امهاتكم ثم اخرجكم ورزقكم ثم يميتكم
عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم بعد الموت هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون قوله تعالى
ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس أي قحط المطر ونقص الغلات وذهب البركة في البر والبحر أي اجدب
البر وانقطعت مادة البحر بما كسبت ايدي الناس أي بشؤم معاصيهم وذنوبهم يعني الناس كفار مكة ليذيقهم الله
بالجوع في السنين السبع بعض الذي عملوا أي جزاء فيلون عقوبته معجلة لعلهم يرجعون من الكفر الى
الايمان ومن المعصية الى الطاعة فيكشف الله عنهم الشدة وفي هذا تنبيه على ان الله تعالى انما يبتلي بالجدوبة
ونقص الثمرات والنبات لطفا منه في رجوع الخلق عن المعصية قوله تعالى قل سيروا في الارض أي قل لاهل
مكة سافروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين أي انظروا الى ديار
عاد وثمود وقوم لوط لتدلكم ذلك على انه لا ينبغي لاحد ان يكفر بالله تعالى قوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم
أي اقم قصدك وعملك واجعل جهتك اتباع الدين القيم وهو الاسلام المستقيم الذي لا عوج فيه واعمل به وانت
ومن تبعك من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله يعني يوم القيمة يومئذ يصدعون أي يوم القيمة يتفرقون
بعد الحساب الى الجنة والنار قوله تعالى من كفر فعليه كفره أي يوم القيمة يتفرقون بعد الحساب الى الجنة والنار
قوله تعالى ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون أي عليه ضرر كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون أي
يوطئون لانفسهم منازلهم في الجنة ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثوابهم ثم يزيدهم من فضله أي يثيبهم اكثر
من اعمالهم انه لا يحب الكافرين أي لا يكرمهم ولا يثيبهم ولا يرضى عنهم قوله تعالى ومن آياته ان يرسل الرياح
مبشرات أي ومن علامات توحيده ارساله الرياح قدام المطر للبشارة بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني
الغيث والخصب ولتجري الفلك أي السفن تجري في البحر بتلك الرياح بامره ولتبتغوا من فضله أي ولتسلكوا في
البحر على السفن للتجارة وطلب الرزق بهذه الرياح ولعلكم تشكرون هذه النعم فتوحدونه قوله تعالى ولقد
ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات أي بالدلالات الواضحات فكذبوهم فانتقمنا من الذين
اجرموا أي عذبنا الذين كذبوهم وكان حقا علينا نصر المؤمنين أي كان واجبا علينا انجاء المؤمنين مع الرسل
من عذاب الامم وفي هذا تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر والنصر على من كذبه قوله تعالى الله الذي يرسل
الرياح فتثير سحابا أي تزعجه من حيث هو وذلك ان الله يحدث السحاب ثم يبعث الرياح فتثير فتنشره الرياح في الهوى
فيبسطه الله في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا أي قطعا بعضها فوق بعض فترى الودق يعني المطر يخرج

وعظ ... (marginal note)

من خلاله أي من وسطه إلى قوله يردون فإذا أصاب به المطر من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون
بالمطر وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم المطر من قبله لمبلسين من ذلك كرره للتأكيد والمبلس هو الآيس القانط قوله
تعالى كيف يحيي الأرض بعد موتها الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وآثار الرحمة هي أنواع النبات الذي ينبت بـ
المطر من أخضر وأحمر وغير ذلك من الألوان وقوله تعالى كيف يحيي الأرض بعد موتها أي كيف يجعل الأرض مخضرة
بعد يبسها إن الذي فعل ذلك هو الذي يحيي الموتى للنشور فإنه كما يعيد الشجر الذي ظهر يبسه ويعيد فيه الخضرة
والنور والثمر كذلك يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير من الموت والبعث قوله تعالى ولئن أرسلنا ريحا
فرأوه مصفرا أي ولئن أرسلنا ريحا حارة أو باردة فأيبست زرعهم ورأوا الزرع مصفرا بعد خضرته لظلوا
من بعده من بعد اصفرار النبت يجحدون ما سلف من النعمة يعني أنهم يفرحون عند الخصب وإذا امتنع عنهم الرزق والمطر جزعوا
وكفروا بالنعم قوله تعالى فإنك لا تسمع الموتى يعني كفار مكة سماهم موتى لأنهم لما تركوا العمل بما يسمعون ويبصرون بمنزلة الموتى
وبمنزلة الصم الذي لا يسمع والأعمى الذي لا يبصر ولذلك قوله تعالى إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم
أي لا تقدر أن تحرضهم على الهدى وإنما بعثت داعيا ومبلغا قوله تعالى إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا الآية أي صدق كتابنا
فهم مسلمون أي هم يسلمون لأنهم مخلصون منقادون لأمر الله قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف أي
من نطفة ضعيفة في بطون أمهاتكم ثم أطفالا لا تملكون لأنفسكم نفعا ولا ضرا ثم جعل من بعد ضعف قوة أي بما أعطاكم من العقل والاستطاعة
والهداية للتصرف في اجتلاب المنافع ودفع المضار ثم جعل من بعد قوة الشباب ضعفا وشيبة عند الكبر والهرم
يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة وشباب وهو العليم القدير أي العليم بخليقته القادر عليهم يحولهم من حال إلى حال
قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة أي يوم تقوم الساعة يحلف المشركون ما لبثوا في القبور
غير ساعة واحدة وقيل ما لبثوا في الدنيا غير ساعة يستقلون أيام الدنيا في جنب أيام الآخرة كذلك كانوا يؤفكون
أي هكذا كانوا يكذبون في الدنيا بجهلهم وغفلتهم كما كذبوا في الآخرة قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد
لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث أراد بالذين أوتوا العلم الملائكة والأنبياء والمؤمنون يقولون للكفار ردا عليهم ما
أقسموا لقد لبثتم في القبور فيما كتب الله لكم من البعث إلى يوم البعث وقيل في حكم الله وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره
وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان وهم الذين يعلمون كتاب الله في قوله فهذا يوم البعث أي اليوم الذي كنتم
تنكرونه في الدنيا تكذبون به ولكنكم كنتم لا تعلمون وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن قوله تعالى فيومئذ
لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم أي اعتذارهم من الذنوب إذا اعتذروا ولا هم يستعتبون أي لا يجابون إلى ما يطلبون
من الرجعة إلى الدنيا فإنهم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا قال ابن عباس لا يقبل من الذين ظلموا عذر ولا
عتاب ولا توبة في ذلك اليوم قوله تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل أي بينا لهم في هذا القرآن من
كل صفة ولئن جئتهم بآية مثل العصا واليد وكل حجة ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون أي ما أنتم إلا على الباطل
يا محمد وأصحابك قوله تعالى كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون أي يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله وكل من
لم يعلم توحيد الله فكذلك لأجل أنه طبع الله على قلبه فاصبر إن وعد الله حق أي اصبر يا محمد على تبليغ الرسالة والوحي وعلى
ما يحصل من أذية الكفار فإن ما وعد الله من النصر وإظهار دين الإسلام صدق كائن لا شك في حصوله والمعنى فاصبر إن وعد الله بنصر
دينك وإظهارك على عدوك حق ولا يحملنك تكذيب الكفار الذين لا يستيقنون بأمر الله على الخفة وكن حليما صبورا وقورا ولا تعجل
بالدعاء عليهم فيما يستعجلون من العذاب بقولهم ائتنا بعذاب الله ومتى هذا الوعد وعجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ونحو ذلك
ذلك حملك يا محمد الذين لا يوقنون بالبعث والحساب

سورة لقمان ثلثون و[illegible]

وهي ألفان ومائة وعشرة أحرف وخمسمائة وثمان وأربعون كلمة وأربع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك
آيات الكتاب الحكيم أي هذه السورة آيات الكتاب المحكم الذي وعدك الله أن ينزله عليك وانتصب هدى ورحمة على
الحال وقرأ حمزة بالرفع على الابتداء وقيل على إضمار هو قال ابن عباس ومعنى الآية هدى من الضلالة ورحمة من العذاب
للمحسنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وما بعده هذا قد تقدم تفسيره قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث
ليضل عن سبيل الله بغير علم نزلت هذه الآية وما بعدها في النضر بن الحارث كان قد اشترى كتبا فيها أخبار الأعاجم
ويحدث بها أهل مكة ويلهيهم بها في المجالس ويقول إن محمدا يحدثكم أحاديث عاد وثمود وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم
وأنا أعلم كما محمد يعلم أساطير الأولين هو يأتيكم بكتاب فيه قصص الأمم الماضية وأنا آتيكم بمثله وكانوا يستملحون حديثه
وكان إذا سمع شيئا من القرآن يهزأ به ويعرض عنه فلذلك قوله تعالى ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا
أي ليصرف الناس عن دين الله بلا علم ومن قرأ ليضل بفتح الياء فمعناه ليثبت على ما هو عليه ويزداد فيه من الضلالة والباطل ومعنى
قوله تعالى لهو الحديث أي باطل الحديث هذا قول الكلبي ومقاتل وقيل المراد بلهو الحديث الغناء عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام والذي نفسي بيده ما رفع أحد قط عقيرته بغناء إلا
ارتدفه شيطانان يضربان بأرجلهما على ظهره وصدره ويكبه حتى يسكت وهذا قول سعيد بن جبير ومجاهد وابن مسعود
قال هو والله الغناء واشتراء المغني والمغنية بالمال وقال صلى الله عليه وسلم من ملأ مسامعه من غناء لم يؤذن له أن يسمع
صوت الروحانيين يوم القيامة قيل وما الروحانيون يا رسول الله قال قراء أهل الجنة وعن إبراهيم النخعي أنه قال الغناء
ينبت النفاق في القلب وقال مكحول من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيما عليه حتى يموت لم أصل عليه قوله
تعالى بغير علم أي أنه جاهل فيما يفعل لا يفعله عن علم ويتخذها بالرفع عطفا على من يشتري وبالنصب عطفا على ليضل
والكناية المذكورة تعود إما على الآيات المذكورة في أول السورة أي ويتخذ آيات الكتاب هزؤا وإما إلى سبيل الله والسبيل
يؤنث لقوله قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة قوله تعالى وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا أي أعرض عن
تدبرها متكبرا عن الإيمان بها كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا أي ثقلا يمنعه عن السماع فبشره بعذاب أليم
أي وجيع في الدنيا قبل أن يصل إلى الآخرة وهو ما روي أنه أخذ أسيرا يوم بدر فقتل صبرا قوله تعالى إن الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم ظاهر المعنى قوله تعالى
وألقى في الأرض رواسي أي جبالا ثوابت أوتادا لها لئلا تميد بأهلها وبث فيها من كل دابة أي فرق الدواب
الكثيرة في الأرض وأنزلنا من السماء ماء يعني المطر فأنبتنا فيها من كل زوج كريم أي من كل نوع حسن قوله تعالى
هذا خلق الله أي هذا الذي ذكرت لكم مما تعاينون خلق الله فأروني أيها الكفار أي شيء خلقه الذين تعبدون من دونه
فلم يجدوا شيئا من دون الله من خلق غيره ولم يقدروا على جواب هذا الكلام فقال بل الظالمون أي الكافرون في ضلال مبين
قوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني العقل والعلم والعمل به والإصابة في العلم واتفق العلماء على أن لقمان
كان حكيما ولم يكن نبيا إلا عكرمة وحده فإنه قال كان لقمان نبيا وقال بعضهم خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختار
الحكمة وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا
صمصامة كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه فمن عليه بالحكمة وروي أنه كان تلميذا لألف نبي عليهم السلام واختلفوا
في حرفته فقال الأكثرون كان نجارا وقيل كان خياطا وقيل كان راعيا وروي أنه كان عبدا حبشيا غليظ الشفتين
مشقوق الرجلين وعن أبي هريرة قال مر رجل بلقمان والناس مجتمعون حوله وهو يعظهم فقال له ألست العبد الأسود الذي
ترعى الغنم قال نعم قال فما بلغ بك إلى ما أرى قال صدق الحديث وأداء الأمانة وتركي ما لا يعنيني وعن أنس أن لقمان كان
عند داود عليه السلام وهو يسرد درعا فجعل لقمان يتعجب مما يرى ويريد أن يسأله فتمنعه حكمته عن السؤال فلما فرغ منها
حملها عليه وقال نعم الدرع للحرب هذه فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله وقال عكرمة كان لقمان أهون

مما لا يستطيع فعتقه مولاه ثم عبدٌ له الى بستان لمولاهم ليأتونه من ثمره فجاؤوا وليس معهم شيء وقد اكلوا الثمرة
واحالوا على لقمان بذلك فقال لقمان لمولاه ان ذا الوجهين لا يكون عند الله امينا فاسقني واياهم ماء حميما ثم
ارسلنا فعدوا ففعل فجعلوا يتقايؤون الفاكهة ولم يتقيأ لقمان الا ماء فعرف صدقه وكذبهم وكذا ولما روي من حكمته انه جاء
يوم مولاه فدخل المخدع واطال الجلوس فيه فناداه ان طول الجلوس على الحاجة يفجع منه الكبد ويورث
الباسور ويصعد الحرارة الى الرأس فاجلس هوينا وقم هوينا قال فخرج وكتب حكمته على باب الحش وقوله تعالى
ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني علم التوحيد والمواعظ والفقه والعقل والاصابة في القول والفهم ان اشكر لله على ما
اعطاه من الحكمة ومعنى قوله ان اشكر لله اي قلنا له اشكر لله فيما اعطاك من الحكمة ومن يشكر فانما يشكر
لنفسه اي من شكر نعم الله فان منفعة شكره راجعة الى نفسه ومن كفر النعم فلم يوحد ربه فان
الله غني كريم عن شكره كريم بحمد الشاكر ويثيبه على شكره قوله تعالى واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه
اي واذكر اذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله احدا في العبادة ان الشرك لظلم عظيم
عند الله اي ليس من الذنوب شيء اعظم من الشرك بالله لان الله تعالى هو المحيي المميت الخالق الرازق واذا اشرك به احدا
غيره فقد جعلت النعمة لغير ربها وذلك من اعظم الظلم قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه نزل في سعد
بن ابي وقاص لما اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم حلفت امه انها لا تذوق طعاما ولا شرابا ولا تستظل حتى يرجع سعد
الى دينه فمضى على هذا ايام فبلغ امرها الى ان تداخل بعض اسنانها في بعض فانزل الله هذه الآية فقال
سعد لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت ما ارتددت عن الاسلام فلما رأت ذلك اصابت من الطعام والشراب ومعنى
ووصينا الانسان اي امرناه ببر والديه عطفا عليهما قوله تعالى حملته امه وهنا على وهن اي ضعفا
على ضعف ومشقة على مشقة كلما ازداد الولد في الرحم كبرا ازداد بالام ضعفا قوله تعالى وفصاله في عامين
اي وفطامه في انقضاء عامين وقدره بعامين بناء على الاغلب لان الرضاع لا ينبغي بعد هذه المدة والفصال هو الفطام
وهو ان ينفصل الولد عن الام لئلا يضيع المعنى هنا ذكر مشقة الوالدة بالارضاع الى عامين وروي عن يعقوب
وتفصله في عامين بغير الف قوله تعالى ان اشكر لي ولوالديك اي قلنا له اشكر لي على خلقي اياك وعلى انعامي
عليك واشكر لوالديك على تربيتهما اياك وقال بعضهم معناه اشكر لي اذ هديتك للاسلام ولوالديك بما اولياك
من النعم قوله تعالى الي المصير اي مصيرك ومصير والديك وعن سفيان بن عيينة في قوله تعالى ان اشكر لي ولوالديك
قال من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات فقد شكر للوالدين قوله تعالى وان
جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما اي وان اجتهدا عليك ان تشرك بي جهلا بغير علم فلا تطعهما
فان حقهما وان عظم فليس اعظم من حقي قوله تعالى وصاحبهما في الدنيا معروفا قال صلى الله عليه وسلم حسن
المصاحبة ان تطعمهما اذا جاعا وتكسوهما اذا عريا وتعاشرهما عشرة جميلة واتبع سبيل من اناب الي اي واتبع
طريق من رجع الي اي من سلك طريق محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه في المعنى واتبع دين من اقبل الى طاعتي وهو
النبي صلى الله عليه وسلم وقال عطاء عن ابن عباس يعني ابا بكر الصديق رضي الله عنه انه حين اسلم اتاه عبد الرحمن بن عوف
وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وعثمان وطلحة والزبير فقالوا له يا ابا بكر امنت وصدقت محمدا قال نعم
فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنوا به وصدقوا فانزل الله تعالى يقول لسعد واتبع سبيل من اناب الي يعني
ابا بكر رضي الله عنه ويستدل من قوله تعالى وصاحبهما في الدنيا معروفا على ان الابن لا يستحق القود على ابيه ولا يحد
الاب بقذفه للابن ولا يحبس له بدين لان في ايجاب القود والحد والحبس ترك ما امر به في مصاحبتهما بالمعروف
وعن ابي يوسف ان القاضي يأمر الاب بقضاء دين الابن فان تمرد حبسه لاستخفافه بامره وقال محمد بن الحسن يحبس الاب
بنفقة الابن الصغير ولا يحبس بالدين الذي له عليه لانه لو لم يحبس في نفقة الصغير لتضرر الولد قوله تعالى ثم الي
مرجعكم اي مرجعكم ومرجع ابائكم فانبئكم بما كنتم تعملون من الخير والشر وقد نفعت هذه الآية

النهي

النهي عن صحبة الكفار والفساق والترغيب في صحبة الصالحين لقوله واتبع سبيل من اناب الي قوله تعالى يا بني انها ان
تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله وذلك ان ابن لقمان قال
لابيه ارأيت الحبة التي تكون في قعر البحار ايعلمها الله فاعلمه ان الله تعالى يعلم الحبة اينما كانت وقيل ان ابن لقمان قال
لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني احد كيف يعلم الله تعالى فقال له يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل
فتكن في صخرة يعني ان الخصلة ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة يعني الصخرة التي تحت الارضين السبع او في السموات
او في الارضين يات بها الله للجزاء عليها ومن قرأ برفع مثقال فتقديره ان تقع مثقال حبة قوله تعالى ان الله لطيف خبير اي
قادر على الاتيان بها خبير بموضعها يوصلها الى صاحبها حيث كانت واللطيف العالم بكل دقيق وجليل ومعنى الآية ان الله تعالى
يحيط بمثل الاعمال للعباد يعني انه يأتي باعمالهم يوم القيامة وان كان العمل الصالح في الصغر بوزن حبة من خردل فان الله تعالى
لا يخفى عليه مكانه حتى يجازيه عليه ونظير هذا قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
قوله تعالى يا بني اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر اي اتم الصلاة التي فرضها الله عليك وأمر بالطاعة وانه
عن المعصية واصبر على ما اصابك من الاذية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور
اي الصبر على ما اصابك في ذات الله من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من عظام الامور وقيل من حق الامور التي امر الله بها قوله
تعالى ولا تصاعر خدك للناس قرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي وخلف تصاعر بالالف وقرأ الباقون تصعر بغير الف
ابن عباس معناه لا تتكبر فتحتقر الناس ولا تعرض عنهم بوجهك اذا كلموك يقال صعر خده وصاعر اذا امال وجهه واعرض به
تكبرا والمعنى لا تتعظم على خلق الله ولا تعرض عن الناس تكبرا عليهم بل يكون الغني والفقير عندك سواء ولا تعبس في وجه احد من الناس
قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا اي لا تمش في الارض بالخيلاء فان النظر الى ذلك درأ الناس ... في ابن آدم الكبر وهو
خرج من مخرج البول مرتين وروي ان المهلب مر على مطرف بن عبد الله وهو يتبختر في جبة خز فقال له هذه
مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اما تعرفني فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وتحمل
بين ذلك العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وروي ان عبد الله بن محمد بن واسع خرج يوما يتبختر فقال محمد بن واسع
من هذا قالوا هذا ولدك عبد الله قال ادعوه فجاء اليه فقال له يا بني تدري بكم اشتريت امك اشتريتها بثلثمائة درهم
وابوك لا كثر الله في الناس مثله تمشي هذه المشية قوله تعالى ان الله لا يحب كل مختال فخور المختال هو المتبختر في مشيه
والفخور المطاول بذكر المناقب على الناس والافتخار عليه وذكر بعضهم ان التحدث على نعم الله الشكر لا الفخر قال صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد ادم ولا فخر فاخبر انه ذكرها شكرا لا فخرا قوله تعالى واقصد في مشيك اي تواضع ولا تتبختر وليكن مشيك
قصدا لا تبخترا ولا اسراعا قال صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقيل تقصد ولا ... في مشيه اذا مشى مستويا
متأنيا لا تعجل في مشيك وقال عطاء قوله تعالى واقصد في مشيك اي امش بالوقار والسكينة قوله تعالى واغضض من
صوتك اي اخفض صوتك ولا ترفعه على وجه اشهار الناس في اظهار الاستخفاف بهم وقال عطاء معناه اغضض من صوتك اذا
دعوت وناجيت ربك وكذلك وصية الله تعالى في الانجيل لعيسى عليه السلام مر عبادي اذا دعوني يخفضوا اصواتهم فاني اسمع
واعلم ما في قلوبهم قوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير اي اقبح الاصوات صوت الحمير اوله زفير واخره شهيق
قال ابن زيد لو كان في رفع الصوت خير ما جعله الله للحمير وعن ام سعد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
يبغض ثلاث اصوات نهيق الحمار ونباح الكلاب والداعية بالويل والحرب وقال سفيان صياح كل شيء تسبيح الله الا الحمار فانه
ينهق بلا فائدة قوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض اي الم تعلموا ان الله خلق ودبر لنفعكم
ولصالحكم ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب والمطر وما في الارض من الاشجار والانهار والبحار والدواب قوله
تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة اي اتم عليكم ووسع لكم نعمه ظاهرة من الخلق الحسن وسلامة الاعضاء
الظاهرة وباطنة من العقل والفهم والفطنة والمعرفة بالله تعالى وقيل النعمة الظاهرة هي الاسلام والباطنة ما يخفى من الذنوب
والستر من العورات وقيل الظاهرة ما يعلم الناس من حسناتك والباطنة ما لا يعلمون من سيئاتك وقال الضحاك الظاهرة

حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة الإسلام وما أفضل عليكم من الرزق والباطنة
ما ستر من سوء عملكم وقيل الظاهرة نعيم الدنيا والباطنة نعيم العقبى وقيل الظاهرة تسوية الظاهر والباطنة تسوية الرأي
وقيل الظاهرة الرزق الذي يكتسب والباطنة من حيث لا يحتسب وقيل الظاهرة المدخل للغذاء والباطنة المخرج للأذى وقيل
الظاهرة نعمه عليك بعد ما خرجت من بطن أمك والباطنة نعمه عليك وأنت في بطن أمك وقيل الظاهرة ألوان العطايا
والباطنة غفران الخطايا وقيل الظاهرة المال والأولاد والباطنة الهدى والإرشاد وقيل الظاهرة التوفيق للعبادات
والباطنة الإخلاص من الرياء وقيل الظاهرة ما أعطى من النعماء والباطنة ما زوى من أنواع البلاء وقيل الظاهرة إنزال القطر
والأمطار والباطنة إحياء الأقطار والأمصار وقيل الظاهرة ذكر اللسان والباطنة ذكر الجنان وقيل الظاهرة ضياء النهار
والباطنة ظلمة الليل للسكون والقرار ومن قرأ نعمه على التوحيد فهي واحدة تنبئ عن الجميع كما في قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله
لا تحصوها قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم يعني النضر بن الحارث خاصم في الله وفي صفاته جهلا لا بحجة
علم ولا حجة ولا كتاب منير أي مضيء وقد تقدم تفسيره في سورة الحج قوله تعالى وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله أي اعملوا
بما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا وقد تقدم تفسير ذلك في سورة البقرة قوله تعالى أولو كان الشيطان
يدعوهم إلى عذاب السعير معناه يقول الله تعالى أيتبعون آباءهم وإن كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب جهنم أي
أيتبعونه ههنا متروك الجواب تقديره أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير فيتبعونه قوله تعالى ومن يسلم
وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى أي من يخلص طاعته لله وهو محسن فيها يفعلها على حسب
الشريعة فقد أخذ بالأمر الأوثق وإلى الله عاقبة الأمور أي مرجع الأمور كلها فيجزي كل عامل بما عمل قرأ السلمي
ومن يسلّم بالتشديد ومعنى قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى أي اعتصم بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه قال ابن عباس
هي لا إله إلا الله قوله تعالى ومن كفر فلا يحزنك كفره وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحزنه كفرهم مخافة أن يكون
ذلك لتقصير من جهته فأمنه الله من ذلك وأن ليس عليه كفرهم ولا يهمه كفرهم فإن رجوعهم إلينا وحسابهم علينا وهو قوله تعالى
إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا أي نخبرهم بقبائح أعمالهم في الدنيا ونجزيهم عليها إن الله عليم بذات الصدور أي عليم
بما في القلوب من خير وشر قوله تعالى نمتعهم قليلا أي نمهلهم في الدنيا يسيرا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ أي ثم نلجئهم ونردهم
إلى عذاب شديد قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون قد تقدم
تفسيره قوله تعالى ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله قال
ابن عباس وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتته أحبار اليهود فقالوا بلغنا أنك قلت وما
أوتيتم من العلم إلا قليلا أفعنيتنا أم عنيت قومك فقال بل عنيت الجميع فقالوا ألم تعلم أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى
وفيها أنباء كل شيء وقد خلفها فينا فهي معنا فقال صلى الله عليه وسلم التوراة وما فيها من الأنبياء قليل في علم الله فأنزل
الله هذه الآية والمعنى لو جعل ما في الدنيا من الأشجار أقلاما كتب بها وصارت البحر ولا يبرح أبدا والبحار مدادا يمدها
من بعدها سبعة أبحر أي سبعة أمثال بحر الدنيا وكتب بها كلمات الله وحكمه لانكسرت الأقلام وأعيت الجن والإنس
ونفدت البحار قبل أن تنقطع كلام الله وحكمه إن الله عزيز حكيم أي عزيز في سلطانه ذو حكمة في أقواله وأفعاله وذهب
بعضهم إلى أن معنى كلمات الله تعالى في هذه الآية معاني القرآن وفوائده وقال بعضهم هي نعم الله في الدنيا والنعيم والنعمة
في الآخرة غير متناهية قوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة وذلك أن كفار قريش قالوا إن الله
خلقنا أطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم لحما فكيف يبعثنا خلقا جديدا في ساعة واحدة فأنزل الله تعالى ما خلقكم
ولا بعثكم في القدرة إلا كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة أي قدرة الله تعالى على بعث الخلق كلهم كقدرته على
بعث نفس واحدة إن الله سميع لما قالوا من أمر الخلق والبعث بصير به قوله تعالى ألم تر أن الله يولج الليل في النهار
ألم تعلم أن الله يزيد من ساعات الليل في ساعات النهار صيفا ويزيد من ساعات النهار في ساعات الليل شتاء ويسخر الشمس

والقمر

والقمر أي ذللهما لمنافع بني آدم يجريان إلى يوم القيامة ثم ينقطع جريهما وأن الله بما تعملون خبير
أي خبير بأعمالكم في الدنيا ومجازيكم عليها قوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق أي ذلك الذي سبق ذكره ليثبت
أن الله هو الحق ولتعلموا أن عبادة الله حق وأن ما تدعون من دونه من عبادة الأصنام باطل وأن الله هو العلي
الكبير الذي لا شيء مثله في كبريائه وعظمته قوله تعالى ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من
آياته أي ألم تعلم أن السفن تجري في البحر بإنعام الله تعالى لو لم يخلق الرياح والماء على الهيئة التي خلقها الله عليها
لما جرت السفن على ظهر الماء إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور أي لدلالات على توحيد الله لكل صبار كثير الصبر
على الطاعات والمحن شكور كثير الشكر على نعم الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم إن أحب العباد إلى الله تعالى من إذا أعطي
شكر وإذا ابتلي صبر قوله تعالى وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين أي إذا أصابهم في البحر
موج كالجبال في الارتفاع دعوا الله مخلصين له الدعاء فلما نجاهم من البحر وأخرجهم إلى البر فمنهم مقتصد أي منهم
من يثبت على ذلك ومنهم من يجحد ثم قوله تعالى وما يجحد بآياتنا أي لا ينكر دلائل توحيدنا إلا كل ختار أي غدار
كفور أي كثير الكفر بآيات الله ونعمه والختر في اللغة أقبح الغدر والظلل جمع ظلة وهي السحابة التي ترتفع فتغطي ما تحتها
وروي أن هذه الآية كانت سبب إسلام عكرمة بن أبي جهل وذلك أنه لما كان يوم فتح مكة أمن النبي صلى الله عليه وسلم الناس
إلا أربعة نفر فإنه قال اقتلوهم ولو وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن خطل ومقيس
بن صبابة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح فأما عكرمة فركب البحر فأصابهم ريح عاصف فقال أهل السفينة أخلصوا فإن آلهتكم
لا تغني عنكم شيئا ههنا فقال عكرمة لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غيره ثم قال اللهم إن لك عهدا إن
أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدا حتى أضع يدي في يده فجاء فأسلم قوله تعالى فلما نجاهم إلى البر أي من هو دونهم فمنهم
مقتصد أي عدل في الوفاء في البر بما عاهد الله تعالى عليه في البحر من التوحيد له قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا
يوما لا يجزي والد عن ولده أي اتقوا مخالفة ربكم واخشوا عذاب يوم لا يغني الوالد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده
شيئا لاشتغال كل منهم بنفسه وقيل معنى لا يجزي والد عن ولده أي لا يحمل شيئا من سيئاته ولا يعطيه شيئا من طاعاته إن وعد
الله حق في البعث والجزاء أي صدق وكائن فلا تغرنكم الحياة الدنيا بما فيها من زينتها وزهرتها ولا يغرنكم بالله الغرور
يعني الشيطان فإنه الغرور وهو الذي من شأنه أن يغر وغرور الشيطان تمنية المغفرة بأن الله تعالى كريم عفو فيهون
عليكم ركوب المعاصي وما يهواه ومن قرأ الغرور بضم الغين فهي مصدر ومعناه الأباطيل قال سعيد بن جبير إن الغرور تمني
المغفرة مع الإصرار على المعصية قوله تعالى إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري
نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت نزلت هذه الآية في الحارث بن عمرو أتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال إن أرضنا أجدبت فمتى الغيث وقد تركت امرأتي حبلى فماذا تلد وقد علمت بأي أرض ولدت
فبأي أرض أموت وقد علمت ما عملت اليوم فما أعمل غدا ومتى الساعة فأنزل الله هذه الآية وقال صلى الله عليه وسلم
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله وما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله
ولا تعلم نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله ويقال إن هذه الخمسة الأشياء التي ذكرها الله في هذه الآية
هي مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو استأثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ومعنى الآية أن الله عنده علم
قيام الساعة ولا يدري أحد سواه متى تقوم الساعة في أي سنة أو في أي شهر ليلا أو نهارا وقوله تعالى وينزل الغيث
معناه هو المختص بإنزال الغيث وهو العالم بوقت إنزاله ويعلم ما في الأرحام أي لا يعلم أحد ما في الأرحام أذكر أم أنثى أحمر
أو أسود وإنما يعلمه الله تعالى نطفة وعلقة ومضغة وذكرا أو أنثى شقيا أو سعيدا ومتى ينفصل عن أمه وقوله تعالى
وما تدري نفس ماذا تكسب غدا يعني ما تكسب من الخير والشر أي ما تدري ماذا تكسب غدا خيرا أو شرا وما تدري نفس بأي أرض
تموت أي في بر أو بحر أو سهل أو جبل وقال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى فمن ادعى أنه يعلم
شيئا من هذه فقد كفر بالقرآن لأنه خالفه قوله تعالى إن الله عليم خبير أي عليم بخلقه خبير بأعمالهم وبما يصيبهم

في مستقبل عمرهم وروي أن يهوديا كان بالمدينة يحسب حساب النجوم فقال ابن عباس فقال له اليهودي إن شئت
أنبأتك عن ولدك وعن نفسك أنك ترجع إلى منزلك فتلقى ابنا لك محموما ولا يمكث عشرة أيام حتى يموت الولد وأنت
لا تخرج من الدنيا حتى تعمى فقال له ابن عباس وأنت يا يهودي قال لا يحول على الحول حتى أموت فقال له ابن عباس فأين موتك يا يهودي
فقال ما أدري فقال ابن عباس صدق الله وما تدري نفس بأي أرض تموت قال فرجع ابن عباس فلقي ابنا محموما فلما
بلغ عشرة أيام مات الصبي وسأل عن اليهودي قبل الحول فقالوا مات وما خرج ابن عباس من الدنيا حتى
كف بصره

سورة السجدة ثلاثون آية مكية

وهي ألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا وثلثمائة وثمانون كلمة وثلثون آية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأها أعطي من الأجر كأنما أحيى ليلة القدر وكان صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأها وسورة تبارك الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أي الم هو تنزيل الكتاب لا شك فيه أنه تنزيل من رب
العالمين أم يقولون افتراه معناه أيقولون أهل مكة اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه وليس كما يقولون
بل هو الحق من ربك لتنذر قوما أي لتخوف قوما بالقرآن لم يشاهدوا قبلك في زمانهم الذين هم فيه رسولا محمد يا
لعلهم يهتدون أي لكي يهتدوا إلى الإيمان قوله تعالى الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة
أيام أي في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا أولها الأحد ثم استوى على العرش أي استولى عليه وقد تقدم
تفسير ذلك في سورة الأعراف قوله تعالى ما لكم من دونه من ولي من قريب ينفعكم ولا شفيع لكم أفلا تتذكرون
أي أفلا تعتبرون قوله تعالى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض أي يدبر الله أمر الدنيا مدة أيام الدنيا فينزل القضا
والقدر من السماء إلى الأرض قوله تعالى ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون قال ابن عباس
معناه ثم يعود إلى الله الأمر والتدبير حين ينقطع أمر الأمراء وأحكام الحكام وينفرد الله تعالى بالأمر في يوم كان مقداره ألف
سنة يعني أن يوما من أيام الآخرة مثل ألف سنة مما تعدون من أيام الدنيا وأراد بهذا اليوم يوم القيمة وقيل معناه ينزل
الملك هذه المسافة نازلا وصاعدا في يوم واحد وهو مسيرة ألف عام مما تعده أهل الدنيا لسيرهم وذلك أن بين السماء
والأرض مسيرة خمسمائة عام فنزوله من السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة لبني آدم وصعوده من الأرض إلى السماء كذلك والملك
يقطعه في يوم واحد ولو أراد الله من الملك الصعود والنزول في دون مقدار اليوم لفعله الملك وأما قوله تعرج الملائكة
والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فإن كان أراد مدة المسافة من الأرض إلى سدرة المنتهى التي هي
مقام جبريل فالمعنى يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا
وقيل معنى قوله تعالى إليه على هذا إلى المكان الذي أمره الله أن يعرج إليه كقول إبراهيم إني ذاهب
إلى ربي أي إلى حيث أمرني ربي بالذهاب إليه وهو الشام وكذلك قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله
أي إلى المدينة ولم يكن الله عز وجل بالمدينة ولا بالشام وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أتاني ملك برسالة من الله عز وجل ثم رفع رجله فوق السماء والأخرى في الأرض لم يرفعها قوله تعالى ذلك
عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم أي ذلك الذي صنع ما ذكرنا من خلق السموات والأرض هو عالم ما غاب
عن الخلق وما لم يغب لا يقدر على ذلك سواه كما لا يعلم الغيب غيره وقوله تعالى العزيز الرحيم أي القادر الذي
لا يغالبه المنيع في ملكه المنعم على عباده قوله تعالى الذي أحسن كل شيء خلقه قرأ نافع وأهل الكوفة خلقه
بفتح اللام على الفعل أي أحكم كل شيء مما خلقه وقرأ الباقون خلقه بسكون اللام أي أحسن خلق كل شيء فيكون
نصبا على البدل وقيل معناه الذي علم كيف يخلق الأشياء من غير أن يعلمه أحد [illegible]
أحسنه لم يتعلمه من أحد وقيل إن الله تعالى ما طول رجل البهيمة والطير طول عنقه لئلا يتعذر عليه تناول قوته من
الأرض ولو لم يطول عنقه لئلا يتعذر عليه تناول قوته من الأرض [illegible] قوله تعالى وبدأ

خلق

خلق الإنسان من طين يعني آدم عليه السلام كان أوله طينا ثم جعل نسله أي ذريته من سلالة من ماء
مهين أي من قليل من الماء ينسل من صلب الرجل وترائب المرأة وهي النطفة ووصفها بالمهين لأنه لا خطر لها عند
الناس وسميت سلالة لأنها تسل من الإنسان أي تخرج والمهين هو الضعيف قوله تعالى ثم سواه ونفخ فيه
من روحه رجع إلى ذكر آدم يعني سوى خلقه ونفخ فيه من روحه ثم عاد إلى ذريته فقال وجعل لكم السمع
والأبصار والأفئدة بعد أن كنتم نطفا والأفئدة القلوب قليلا ما تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه
والمعنى خلق لكم السمع لتسمعوا إلى الحق والأبصار لتبصروا الحق والأفئدة أي القلوب لتعقلوا الحق وقيل معنى ثم سواه
يعني الماء المهين جمعه وخلقه وصوره ونفخ فيه من روحه أي نفخ فيه الروح الذي تحيا به الناس وأضافه الله تعالى
ذلك إلى نفسه لأنه هو الخالق قوله تعالى وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد أي قال كفار مكة
أئذا هلكنا واختلطنا وصارت لحومنا وذهبت أجسادنا وصرنا ترابا فلم يبق منا شيء أئنا خلقنا خلقا جديدا بعد ذلك هذا لا يكون أبدا ومعنى الضلال
في اللغة الغيبوبة يقال أضل متاع فلان وضاع بمعنى واحد قوله تعالى بل هم بلقاء ربهم كافرون أي أنهم كانوا
أنهم لا يبعثون بل هم بلقاء ربهم كافرون قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم أي يقبض أرواحكم جميعكم
حتى لا يبقى أحد منكم وقال مجاهد زويت له الأرض فجعلت له مثل طست يتناول منها حيث شاء وقال الكلبي اسمه
[illegible] له أربعة أجنحة جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب والخلق بين رجليه ورأسه وجسده وجعلت
له الدنيا مثل راحة اليد لصاحبها يأخذ منها ما أمر بقبضه من غير مشقة ولا عناء وله أعوان من ملائكة الرحمة و
ملائكة العذاب وعن أنس بن مالك قال لقي جبريل ملك الموت بنهر فارس فقال له ملك الموت كيف تستطيع قبض الأنفس
ههنا عشرة آلاف وههنا كذا وكذا فقال يا جبريل زويت لي الأرض حتى كأنها بين فخذي فالتقطهم بيدي وقال
صلى الله عليه وسلم إذا كان أجل رجل جاءه ملك الموت فقال له أيها العبد كم خبر بعد خبر وكم رسول بعد رسول
وأنا الخبر ليس بعدي خبر وأنا الرسول ليس بعدي رسول أجب طائعا أو مكرها فإذا قبض روحه وتصارخوا
عليه قال على من تصرخون وعلى من تبكون والله ما ظلمت له أجلا ولا أكلت له رزقا بل دعاه ربه فليبك الباكي على
نفسه فإن لي فيكم عودات وعودات حتى لا أبقي منكم أحدا قوله تعالى ثم إلى ربكم ترجعون أي تصيرون
أحياء فيجزيكم بأعمالكم قوله تعالى ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم يعني كفار مكة ناكسوا رؤسهم
حياء والمعنى ولو ترى يا محمد إذ المجرمون مطأطئوا رؤسهم من الخزي وشدة الندم في يوم القيمة عند علمهم بأن الحجة قد
قامت عليهم من كل جهة وأنهم [illegible] من العذاب وذلك هو لغاية الوجل والخجل يقولون ربنا أبصرنا
وسمعنا فارجعنا أي لك الحجة علينا لأنا أبصرنا رسلك وسمعنا كلامهم ولكن نسألك أن ترجعنا إلى الدنيا حتى
نعمل صالحا إنا موقنون بك وبكتابك وبرسلك وفي هذه الآية محذوف وهو الجواب أي لو رأيت يا محمد لرأيت عاقبة
ما تعتبر به قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها قال الحسن أراد به مشيئة التدبير من الله تعالى لأنه لم
يعرف ولكنه لا يجبر العباد على ذلك لكيلا يبطل الثواب والعقاب والمعنى لو شئنا لآتينا كل نفس رشدها ونظير
ذلك قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض جميعا ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولكن حق القول مني معناه ولكن
وجب في على عليهم العذاب لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين بكفرهم وذنوبهم قوله تعالى فذوقوا بما نسيتم
لقاء يومكم هذا معناه يقال لأهل النار إذا دخلوها ذوقوا العذاب بما نسيتم لقاء يومكم هذا أي بما تركتم الإيمان
بيومكم هذا قوله تعالى إنا نسيناكم أي إنا تركناكم في العذاب وجعلناكم بمحل المنسي وذوقوا عذاب الخلد الذي
لا ينقطع بما كنتم تعملون من الكفر والتكذيب قوله تعالى إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا معناه
إنما يؤمن ويصدق بآياتنا الذين إذا ذكروا بها وعظوا خروا سجدا لله مصلين مع الإمام وسبحوا بحمد ربهم أي عظموا
الله قرنوا في صلواتهم حامدين لربهم وهم لا يستكبرون أي يتعظمون ولا تخوفهم صاغرين قوله تعالى
تتجافى جنوبهم عن المضاجع أي ترتفع جنوبهم عن المضاجع لأجل الصلوة قال مجاهد هم الذين لا ينامون حتى

يصلون العشاء الآخرة والمضاجع هي الفرش التي يضطجعون عليها للنوم واحدها مضجع وعن انس رضي الله عنه قال
نزلت هذه الآية فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع حتى نصلي العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروي ان امرأة جاءت الى انس بن مالك فقالت اني انام قبل العشاء فقال لا تنامي فان هذه الآية نزلت في الذين
لا ينامون قبل العشاء تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال الحسن المراد بالآية قيام الليل والتهجد وكان يقول
هم قوم اخفوا لله عملهم فاخفى الله لهم ثوابا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بقيام الليل فانه دأب
الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله ومنهاة عن الاثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد وقال
الضحاك هو ان يصلي الرجل العشاء والفجر في جماعة قوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا اي خوفا من
عذاب الله وطمعا في رحمة الله وانتصب خوفا وطمعا لانه مفعول له قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون اي
ومما اعطيناهم من المال يتصدقون واجبا وتطوعا قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين اي
لا تعلم احد ما اخفاه الله مما تقر به اعينهم وتطيب به انفسهم جزاء بما كانوا يعملون في الدنيا من الاعمال
الصالحة قال ابن مسعود ان في التوراة اعد الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر
على قلب بشر وما لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل وانه في القرآن فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون
قرأ حمزة ما اخفي لهم باسكان الياء اي ما اخفي لهم انا وحجته قراءة عبد الله نخفي لهم بالنون وقرأ محمد بن كعب ما اخفى
لهم بفتح الياء فالفاعل ما اخفى الله لهم قوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون قال ابن
عباس نزلت هذه الآية في علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي معيط اخي عثمان لامه تنازعا وتسابا فقال الوليد اسكت
فانك صبي وانا والله احد منك لسانا وابسط منك يدا واملأ منك في الكتيبة فقال له علي رضي الله عنه اسكت
فانك فاسق تقول الكذب فانزل الله هذه الآية والمراد بالمؤمن علي رضي الله عنه والفاسق الوليد بن عقبة وقال
الزجاج انه لم يرد بالمؤمن مؤمنا واحدا ولا بالفاسق فاسقا واحدا وانما اراد جمع الفساق وجمع المؤمنين ولذلك قال
لا يستوون ولم يقل لا يستويان وقال قتادة في معنى الآية لا والله ما استووا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الآخرة
قوله تعالى اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى التي يأوي اليها المؤمنون قوله تعالى
نزلا بما كانوا يعملون اي معدة لهم باعمالهم قوله تعالى واما الذين فسقوا فمأواهم النار اي واما الذين خرجوا
من طاعة الله بكفرهم فمأواهم النار كلما رفعهم لهب النار الى اعلاها فظنوا انهم يخرجون منها ردتهم ملائكة العذاب
الى اسفلها بمقامع من حديد وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون في الدنيا قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب
الادنى دون العذاب الاكبر قيل ان المراد بالعذاب الادنى القحط والجوع الذي اصاب اهل مكة سبع سنين حتى
اكلوا الجيف والعظام والكلاب وقيل هو القتل يوم بدر وقيل العذاب الادنى هو مصائب الدنيا واسقامها والادنى
وقيل العذاب الادنى هو عذاب القبر والعذاب الاكبر عذاب يوم القيامة وقوله تعالى دون العذاب الاكبر يعني العذاب
عذاب الآخرة قوله تعالى لعلهم يرجعون اي اخبرناهم لعلهم يرجعون عن الكفر قوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بآيات
ربه ثم اعرض عنها ظاهر المعنى قوله تعالى انا من المجرمين منتقمون يعني الذين قتلوا ببدر فجعلنا ارواحهم في
النار واراد بالمجرمين المشركين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من فعلهن فقد اجرم من عقد لواء في غير
حق او عق والديه او مشى مع ظالم لينصره قال الله تعالى انا من المجرمين منتقمون قوله تعالى ولقد آتينا موسى
الكتاب اعطيناه التوراة جملة واحدة فلا تكن في مرية من لقائه وعد الله النبي صلى الله عليه وسلم ان يلقى
موسى قبل ان يموت ثم لقيه في السماء ليلة المعراج او في بيت المقدس حين اسري به والمعنى فلا تكن في شك من لقاء موسى
قال ابن عباس يعني ليلة الاسراء وقيل اراد به لقاءها في الجنة وقيل اراد به لقاء الله وقيل اراد به ان يلقى
محمد صلى الله عليه وسلم من قومه الاذى كما لقي موسى من قومه قوله تعالى وجعلناه هدى لبني اسرائيل اي جعلنا
التوراة هدى لبني اسرائيل من الضلالة وجعلنا منهم ائمة اي جعلنا من بني اسرائيل ائمة يدلون الناس على ديننا

فيقتدى بهم وهم انبياؤهم ومن استقام منهم على الدين قوله تعالى لما صبروا اي لما صبروا جعلناهم ائمة كانه قال
ان صبرتم على طاعتنا وصبرتم عن معصيتنا جعلناكم ائمة وقرأ حمزة والكسائي لما صبروا بكسر اللام وتخفيف الميم اي بصبرهم
ومعنى القراءة الاولى حين صبروا والمعنى لما صبروا على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر وكانوا بآياتنا يوقنون
اي وكانوا موقنين بآياتنا قوله تعالى ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة اي هو الذي يقضي بين الانبياء
والكفار يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من الدين ثم خوف الله كفار مكة قوله تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا
من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم معناه اولم يبين لهم آثار عذاب الاستئصال فيمن اهلكنا قبلهم من الامم الماضية
المكذبة ما يكون عبرة لهم يمشون في مساكن المهلكين على منازلهم ويرون آثار عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ان في اهلاكنا
اياهم بالتكذيب لآيات واصحاب لمن بعدهم افلا يسمعون سماع المتدبر بالطاعة ومن قرأ اولم نهد بالنون فالمعنى
بين اضافة الفعل الى الله تعالى قوله تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز معناه اولم يعلموا انا نسوق
المطر بالسحاب والرياح الى الارض اليابسة التي لا نبات فيها فنخرج بذلك المطر زرعا تأكل منه انعامهم من سوقها وهم
يأكلون من حبها افلا يبصرون والارض الجرز هي التي تأكل نباتها تقول ناقة جراز اذا كانت اكولا وسيف جراز اذا
كان مستأصلا ورجل جراز اذا كان اكولا قال ابن عباس الارض الجرز ارض اليمن وقال مجاهد هي ابين قوله تعالى
ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين وذلك ان الكفار كانوا يودون ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون يوشك ان يكون لنا يوم نستريح فيه من شركهم وكان الكفار يهزؤون
ويقولون متى هذا الفتح اي الحكم الذي يحكم بيننا وبينكم ان كنتم صادقين فيما تقولون والمعنى ان كفار مكة يقولون
متى هذا الفتح اي القضاء وهو يوم البعث يقضي الله فيه بين المؤمنين والكافرين قوله تعالى قل يوم الفتح يعني يوم القيامة
ويوم القضاء والفصل لا ينفع الذين كفروا ايمانهم لو آمنوا يومئذ ولا هم ينظرون اي ولا هم يمهلون ولا يؤخرون
لعذر او توبة ولا يؤخر عنهم عذابهم وعن ابن عباس في هذه الآية ان المراد بالفتح فتح مكة وان الآية نزلت في بني خزيمة كانوا
يستهزئون باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حين كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتذاكرون وهم الى ... منهم سلام
قبل فتح مكة لهم فلما كان يوم الفتح تكلمت بنو خزيمة بكلمة الاسلام فقتلهم خالد بن الوليد فلم يقبل منهم اسلامهم وكان النبي صلى
الله عليه وسلم يقول اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد قوله تعالى فاعرض عنهم اي عن جدالهم وانتظر الفرصة فيهم
وانتظر الفرصة فيك قال ابن عباس قوله تعالى فاعرض عنهم نسخته آية السيف قوله تعالى انهم منتظرون اي منتظرون
بك حوادث الزمان من موت او قتل فيستريحون منك والله عز وجل اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

سورة الاحزاب سبعون وثلث آيات

وهي خمسة آلاف وسبعمائة وتسعون حرفا والف ومائتان وثمانون كلمة وثلث وسبعون آية قال صلى الله عليه وسلم من قرأها
وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر وبالله التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين اي اثبت على تقوى الله ودم عليه ولا تطع الكافرين قال ابن
عباس وذلك ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن ابي رأس
المنافقين وجد بن قيس ومعتب بن قشير من المنافقين وكانوا مع المشركين عبد الله بن ابي سرح وطلبوا النبي صلى الله عليه وسلم
وقد كانوا طلبوا منه الامان على ان يكلموه فقالوا له يا محمد ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومنات وقل ان لها شفاعة
في الآخرة ومنفعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عمر بن الخطاب رضي
الله عنه ائذن لي يا رسول الله في قتلهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد اعطيتهم الامان فامر النبي صلى الله
عليه وسلم عمر ان يخرجهم من المدينة فقال لهم عمر رضي الله عنه اخرجوا في لعنة الله وغضبه فانزل الله هذه الآية

يا أيها النبي اتق الله في نقض العهد الذي بينك وبين أهل مكة لا تنقضه قبل أجله ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما دعوك
إليه ولا تمل إليهم ولا ترفق بهم طمعا منك في ذلك أقرب إلى استمالتهم إلى الإيمان فإن ذلك يؤدي إلى أن يظن بك متابعة القوم
على كفرهم يعني قوله تعالى ولا تطع الكافرين يعني أبا سفيان وأبا الأعور وعكرمة وطعمة بن عبد الله بن أبي وجد بن قيس
وغيرها قوله تعالى إن الله كان عليما حكيما أي عليما بأخلاقهم حكيما بما أوحى الله عليهم وأمرهم وفيما خلقه قوله
تعالى واتبع ما يوحى إليك من ربك أي اعمل بما أمرك الله به في القرآن من محاربة الكفار والمنافقين وترك موافقتهم
إن الله كان بما تعملون خبيرا قرأ أبو عمرو وحده بما يعملون بالياء أي خبيرا بكيدهم قوله تعالى وتوكل على الله وكفى
بالله وكيلا أي فوض أمورك إلى الله واعتمد عليه في جميع أمورك مما أمرت به ونهيتهم وكفى بالله وكيلا أي حافظا لك قوله
تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه قال ابن عباس نزلت هذه الآية في أبي معمر جميل بن راشد الفهري وكان رجلا
لبيبا حافظا لما يسمع وكانت قريش تقول إن في جوفه قلبين يعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد صلى الله عليه وسلم وكانت
قريش تسميه ذا القلبين لدهائه وكثرة حفظه للحديث فأنزل الله هذه الآية تكذيبا لهم وأخبر أنه ما خلق لأحد قلبين فلما كان
يوم بدر وهزم المشركون وفيهم أبو معمر تلقاه أبو سفيان وهو معلق إحدى نعليه في يده والأخرى في رجله فقال له
يا أبا معمر ما فعل الناس قال انهزموا قال فما بال إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك فقال ما شعرت إلا أنهما في رجلي
فعرفوا يومئذ أنه لو كان له قلبان ما نسي نعله في يده وقال الزهري ومقاتل هو مثل ضربه الله للمظاهر من امرأته والمتبني ولد
غيره يقول فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى يكون له أمان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين قوله تعالى
وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم أي ما جعل نساءكم اللائي تقولون لهن أنتن علينا كظهور أمهاتنا أمهاتكم
الله كأمهاتكم في الحرمة وكانت العرب تطلق نساءها في الجاهلية بهذا اللفظ فلما جاء الإسلام نهوا عنه وأوجبت الكفارة على المظاهر
وسورة المجادلة قوله تعالى وما جعل أدعياءكم أبناءكم أي ما جعل من تدعونه ابنا وليس بابن كأبنائكم الذين من
أصلابكم في النسب والحرمة والحكم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تبنى زيد بن حارثة بعد أن أعتقه وكان يقال زيد بن محمد
فلما جاء الله بالإسلام أمر أن يلحق الأدعياء بآبائهم وكان ممن تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحي قرأ نافع وأبو عمرو
تظهرون بتشديد الظاء والهاء من غير ألف وقرأ شامي كذلك إلا أنه بالألف وقرأ حمزة والكسائي مثل قراءة شامي
إلا أنه بالتخفيف وقرأ عاصم والحسن بضم التاء وتخفيف الظاء بالألف وكسر الهاء وقال أبو عمرو وهذا منكر لأن التظاهر من التعاون
قوله تعالى ذلكم قولكم بأفواهكم أي الذي تقولونه من إضافة القلبين إلى الرجل الواحد وقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر
أمي وقول الرجل لغير ابنه هذا ابني قول تقولونه بأفواهكم من غير أن يكون له حقيقة ولا عليه دلالة ولا حجة والله
يقول الحق أي يبين أن الذي تقولونه بأفواهكم باطل وهو يهدي السبيل أي يدل على طريق الحق وإلى الدين المستقيم
ادعوهم لآبائهم أي انسبوهم إلى آبائهم الذين ولدوهم على فراشهم وقولوا زيد بن حارثة ولا تقولوا زيد بن محمد
قوله تعالى هو أقسط عند الله أي أعدل في حكم الله من نسبتكم إياهم إلى الذين تبنوهم وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه كان
يقول ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل قوله تعالى ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله قوله تعالى فإن
لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين أي فهم إخوانكم في الدين أي من أسلم منهم ومواليكم أي وبنو عمكم فقولوا يا أخي ويا ابن
عمي ومولى المولى باسمه إطلاق اسم الأخوة وحظر إطلاق اسم الأبوة وفي ذلك دليل أن من قال لعبده هذا أخي لم يعتق لأنه
يحتمل الأخوة في الدين وإن قال هذا ابني عتق لأن ذلك ممنوع من غير النسب قوله تعالى وليس عليكم جناح فيما أخطأتم
به أي ليس عليكم إثم في نسبة الرجل إلى غير أبيه على وجه الخطأ قال قتادة هو أن تدعو رجلا لغير أبيه وأنت
ترى أنه أبوه ليس عليك بأس ولكن ما تعمدت قلوبكم أي ولكن الإثم فيما تعمدتموه من دعائهم إلى غير آبائهم
وكان الله غفورا لمن تعمد ثم تاب رحيما بعد التوبة قوله تعالى ولكن ما تعمدت قلوبكم موضع ما خفض
عطفا على قوله ما أخطأتم به تقديره ولكن فيما تعمدت قلوبكم قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
أي هو أشفق وأبر وأحنى بالمؤمنين من بعضهم ببعض فهو أولى بكل إنسان منه بنفسه وقيل معناه إذا حكم عليهم

لشيء نفذ حكمه فيهم ووجبت طاعته عليهم وقال ابن عباس إذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى شيء ودعتهم
أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم أولى بهم من طاعة أنفسهم وقيل معناه طاعة النبي صلى
الله عليه وسلم أولى من طاعة بعضهم لبعض وقال الحكماء النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم لأن أنفسهم تدعوهم إلى ما
فيه هلاكهم والنبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى ما فيه نجاتهم وقال أبو بكر الوراق لأن النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم
إلى العقل وأنفسهم تدعوهم إلى الهوى وقال بسام بن عبد الله لأن أنفسهم تحرسهم من نار الدنيا والنبي صلى الله عليه
وسلم يحرسهم من نار الآخرة قوله تعالى وأزواجه أمهاتهم أي كأمهاتهم في تعظيم حقهن وفي تحريم نكاحهن
فلا يحل لأحد أن يتزوج بهن كما لا يحل التزوج بالأم ولم يرد إثبات الأمومة من جميع الوجوه ألا ترى أنه لا يحل رؤيتهن
ولا يرثن المؤمنين بخلاف الأمهات وكذلك لا يخلون بهن ولا يسافرن بهن ولا يرثهن ولا يرثونهن ولو كن كالأمهات من جميع الوجوه
لكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يتزوج بناتهن أحد من الناس لأن البنات يكن أخوات المؤمنين ومن هذا المعنى ما روي
أن امرأة قالت لعائشة يا أمه فقالت لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم فبان بهذا المعنى أن الأمومة تحريم نكاحهن فقط
ولهذا لا يجوز أن يقال لبناتهن هن أخوات المؤمنين وقيل تحريم نكاح أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على المؤمنين
في حق نبيه وتعظيمه فإنه تعظيم أمره وتفخيم شأنه ولذلك حرم على الحسن نكاح امرأة ابنه قوله تعالى وأولو الأرحام
بعضهم أولى ببعض في كتاب الله أي وذوو القرابة بعضهم أحق بميراث بعض في حكم الله من المؤمنين والمهاجرين
إذا لم يكونوا قرابة وذلك أنهم كانوا يتوارثون في ابتداء الإسلام بالهجرة والمؤاخاة قال الكلبي آخى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان يؤاخي بين الرجلين فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته وأهله فمكثوا كذلك ما شاء الله حتى نزلت
هذه الآية وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين الذين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم و
المهاجرين فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة وصارت للأدنى فالأدنى من القرابات قوله تعالى إلا أن تفعلوا إلى
أوليائكم معروفا استثناء من غير الأول ومعناه ولكن فعلكم إلى أوليائكم معروفا جائز وهو أن يوصي الرجل لمن
يتولاه بما أحب من ثلث ماله فيكون الموصى له أولى بقدر الوصية من القريب الوارث وقال ابن زيد معناه إلا أن
توصوا إلى أوليائكم من المهاجرين قوله تعالى كان ذلك في الكتاب مسطورا أي كان الميراث للقرابات وبالوصية
للأصدقاء ونسخ الميراث بالهجرة ورده إلى ذوي الأرحام مكتوبا في اللوح المحفوظ قوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم أي واذكر إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم عهودهم أن يصدق بعضهم بعضا ويبشر بعضهم ببعض وقيل على
كل رسول منهم على قومه بما أمر الله به قوله تعالى ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم قيل إن الواو
مقحمة وتقديره منك ومن نوح فيكون منك وما بعده تفسير للنبيين القائلين في تخصيص هؤلاء الأنبياء الخمسة بالذكر لأنهم أهل
الشرائع والكتب وأولو العزم من الرسل وأهل الأمم والتبع وقدم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لأن الخطاب معه وجاء في الحديث
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إني خلقت قبل الأنبياء وبعثت بعدهم قوله تعالى وأخذنا منهم ميثاقا غليظا
أي عهدا وثيقا بأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وقيل أخذنا منهم عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا قوله تعالى ليسأل
الصادقين عن صدقهم أي لكي يسأل المبلغين من تبليغهم وهو في قوله تعالى ماذا أجبتم المرسلين وفائدة سؤال
الرسل وهم صادقون تبكيت الذين كفروا بهم فيكون هذا السؤال احتجاجا على الكاذبين وإذا سئل الصادقون فكيف
بالكاذبين قوله تعالى وأعد للكافرين عذابا أليما أي أعد للذين كفروا بالرسل عذابا شديدا قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ذكرهم
الله إنعامه عليهم في دفع الأحزاب عنهم من غير قتال وذلك أن الكفار جاؤوا بأجمعهم في وقعة الخندق وأحاطوا بالمدينة
من أعلاها وأسفلها وكان طليحة بن خويلد وأصحابه من فوق الوادي وكان أبو الأعور السلمي وأصحابه من أسفل الوادي
وكان أبو سفيان وأصحابه وعيينة في مواجهة المؤمنين فاشتد الخوف بالمؤمنين وزاغت أبصارهم أي مالت
من الخوف وقيل مالت أبصار المنافقين خوفا من الظفر بهم وكان الكفار جهة عن القتال وبلغت قلوب المؤمنين الحناجر

أي كادت تبلغ الحلوق وذلك أن شدة الخوف ترفع الرئة فترفع الرئة القلب كما روي أن المؤمنين قالوا يا رسول
الله قد بلغت القلوب الحناجر فهل من شيء نقوله فقال صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا فكفاهم
الله تعالى فأرسل الله على الكفار ريحا باردة في ليلة شاتية شغلتهم عن الاستعداد للحرب وصفعتهم من التراب على الحجارة وقلعت
خيامهم وأكفأت أوانيهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون منها في سلامة ولم يصبهم لإصابة الخندق وكان
ذلك من معجزاته عليه السلام ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يقول نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور قوله تعالى إذ جاءتكم جنود
يعني الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وهم عيينة بن حصن الفزاري وأبو سفيان بن حرب وبنو قريظة
فأرسلنا عليهم ريحا وهي الصبا أرسلت عليهم حتى أكفأت قدورهم ونزعت فساطيطهم قوله تعالى وجنودا لم تروها يعني
الملائكة وقد روي أن فتى من أهل الكوفة قال لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله هل رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نعم قال والله لقد رأيته قال والله لو رأيناه لحملناه على رقابنا وما تركناه يمشي على الأرض فقال له حذيفة يا ابن أخي أولا أحدثك
عني وعنه قال بلى قال والله لو رأيتنا يوم الخندق وبنا من الجهد والجوع ما لا يعلمه إلا الله قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى
ما شاء الله ثم قال ألا رجل يأتيني بخبر القوم يجعله الله رفيقي في الجنة فوالله ما قام منا أحد مما بنا من الخوف والجهد والجوع
ثم صلى ما شاء الله ثم قال ألا رجل يأتيني بخبر القوم يجعله الله رفيقي في الجنة فوالله ما قام منا أحد مما بنا من الجهد والخوف والجوع
فلما لم يقم أحد دعاني فلم أجد بدا من إجابته قلت لبيك يا رسول الله قال اذهب فجئني بخبر القوم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع قال
حذيفة فمضيت وجئت بخطط بأن مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسي ووجهي وقال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه
وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال فما علقت أمشي حتى أتيت القوم وإذا ريح الله وجنوده تفعل بهم ما تفعل
لم تبارح لهم نارا ولا تطمئن لهم قدر فبينما هم كذلك إذ خرج أبو سفيان من رحله فقال يا معشر قريش إنكم لستم بدار مقام
لقد هلك الخف والحافر وأخلفتنا بنو قريظة وهذه الريح لا يستمسك لنا معها شيء ولا تثبت لنا نار ولا تطمئن لنا قدر ثم عجل فركب
راحلته وإنها لمعقولة ما حل عقالها إلا بعدما ركبها قال حذيفة فقلت في نفسي لو رميت عدو الله فقتلته كنت قد صنعت
شيئا فوترت قوسي ثم وضعت السهم في كبد القوس وأنا أريد أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن شيئا
حتى ترجع فحططت القوس ثم رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فلما فرغ قال ما الخبر فأخبرته فضحك حتى
بدت أنيابه في سواد الليل ثم أدناني منه وأدفأني من البرد وألقى علي طرف ثوبه وألزق صدري ببطن قدميه وهو قائم
يصلي قوله تعالى **وإذ زاغت الأبصار** أي مالت عن كل شيء فلم تنظر إلا إلى عدوها مقبلا من كل جانب **وبلغت القلوب**
الحناجر الحنجرة جوف الحلقوم وذلك أنها انتفخت القلوب من مكانها فلولا أنه ضاق الحلقوم عنها أن تخرج لخرجت
وقوله تعالى وجنودا لم تروها يعني الملائكة بعث الله ملائكة على المشركين فقلعت أوتاد الخيل وأطناب الفساطيط وأطفأت
النيران وجالت الخيل بعضها في بعض وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى وقع بهم الرعب فانهزموا من غير قتال قوله تعالى
إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم أي من فوق الوادي من قبل المشرق عليهم مالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن
الفزاري في ألف من غطفان ومن أسفل منكم يعني من قبل المغرب فيهم أبو سفيان في قريش ومن تبعه وأبو الأعور السلمي من قبل الخندق
وكان من حديث الخندق أن نفرا من اليهود منهم حيي بن أخطب وكنانة بن الربيع وهوذة بن قيس وأبو عمارة الوائلي
وجماعة من بني النضير خرجوا حتى قدموا مكة على قريش فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابوهم إلى ذلك ونشطوا
ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابوهم
واجتمعوا مع قريش فسارت غطفان وقائدها عيينة بن حصن الفزاري وسارت بنو مرة وقائدها الحارث بن عوف وسارت
بنو أشجع وقائدها مسعر بن رخيلة الأشجعي وسارت قريش وقائدها أبو سفيان فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضرب الخندق على المدينة وكان الذي أشار بالخندق على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسي فقال يا رسول الله كنا
بفارس إذا حوصرنا خندقنا فلما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى أحكموه فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حفر الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بالمدينة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وهم ثلاثة آلاف من المسلمين فكان

حديث الخندق

الخندق بينهم وبين المشركين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المسلمون
كل ظن وظهر النفاق في المنافقين حتى قال معتب بن قشير المنافق كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا
لا يقدر أن يذهب إلى الغائط ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا فأقام النبي صلى الله عليه وسلم وأقام الكفار بضعا
وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بينهم الحرب إلا الرمي بالنبل والحصار فلما اشتد البلاء على الناس بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن الفزاري وإلى الحارث بن عوف وهما قائدا غطفان وأعطاهما ثلث ثمار المدينة
على أن يرجعا بمن معهما من القوم فجرى بينهما الصلح حتى كتب الكتاب بينهما ولم تقع الشهادة فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة واستشارهما في ذلك فقالا يا رسول الله أهذا شيء أمرك الله به أم أمر تحبه أنت أم أمر
تصنعه لنا فإن كان أمرا من الله لنا فلا بد لنا من العمل به وإن كان أمرا تحبه فاصنع ما شئت وإن كان شيئا تصنعه لنا فقل
به فقال صلى الله عليه وسلم والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت
أن أكسر عنكم شوكتهم فقال سعد بن معاذ يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة
الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعا أفحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا
بك نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال صلى الله عليه وسلم فأنت
وذاك فتناول سعد الصحيفة التي فيها صلحهم فمحاها ثم إنهم تراموا بالنبل فوقعت رمية في أكحل سعد بن معاذ فقطعه
رماه ابن العرقة من قريش فما زال الجرح ينزف دما حتى خيف عليه فقال سعد اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني
لها فإنه لا شيء أحب إلي من جهاد قوم قد آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه وأخرجوه وإن كنت وضعت الحرب
بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة ثم إن نعيم بن مسعود الغطفاني أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي من غطفان لم يعلموا بإسلامي فمرني فيهم بما شئت فقال عليه السلام إنما
أنت رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال لهم
يا بني قريظة قد عرفتم ودي لكم وما بيني وبينكم من المحبة قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم إن قريشا وغطفان جاءوا
لحرب محمد وإن قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم إن هذه بلدكم وبها أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا إلى
غيرها وإن قريشا وغطفان أموالهم وأولادهم ونساؤهم بغيرها إن رأوا نهزة وغنيمة أخذوها وإن كان غير
ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين هذا الرجل وهو ببلدكم لا طاقة لكم به فلا تقاتلوا حتى تأخذوا رهنا من أشراف
قريش وغطفان يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم قالوا له لقد أشرت برأي ونصح ثم خرج حتى أتى قريشا
فقال يا معشر قريش قد عرفتم ودي إياكم وفراقي محمدا وقد بلغني أمر رأيت أن حقا علي أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي
قالوا نفعل قال اعلموا أن معشر اليهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه أنا قد ندمنا
على ما فعلنا فهل يرضيك عنا أن نأخذ من القبيلتين قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب رقابهم ثم نكون
معك على من بقي منهم فقال لهم نعم فإن بعثت إليكم اليهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلا واحدا
ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم يا معشر غطفان أنتم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تتهمونني قالوا صدقت
قال فاكتموا علي قالوا نفعل ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم فأرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى اليهود
بني قريظة عكرمة في نفر من قريش وغطفان فأتوهم وقالوا لهم قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نفرغ مما بيننا
وبين محمد فقالت بنو قريظة لسنا بالذين نقاتل حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا فإنا نخاف إنكم إذا
إذا اشتد عليكم الحرب والقتال أن تسيروا إلى بلادكم وتتركونا وهذا الرجل في بلادنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت
الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله إن الذي حدثنا به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا إلى
بني قريظة والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا ولكن إذا كنتم تريدون الحرب فاخرجوا فقاتلوا فقالوا ذلك
معكم فقالت بنو قريظة لا نقاتل إلا إذا أعطيتمونا رهنا من رجالكم فتعالوا لهم قد حدثنا نعيم بن مسعود بذلك

لم تصدقه فقالوا لهم إن الذي ذكره لكم الحق وخذل الله بينهم وبعث عليهم الريح في ليلة شاتية شديدة البرد حتى انصرفوا بالخيبة والحمد لله رب العالمين. قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا فأما المنافقون فظنوا أن محمدا وأصحابه سيغلبون ويستأصلون وأما المؤمنون فأيقنوا أن ما وعدهم الله تعالى حق وأنه سيظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون. قال الحسن في معنى وتظنون بالله الظنونا ظن المؤمنون بالله خيرا وظن المنافقون أن الكفار يظهرون على المؤمنين. قرأ نافع وعاصم وابن عامر الظنونا والرسولا والسبيلا بإثبات الألف فيها وقفا ووصلا لأنها في أواخر الآي وقرأ أبو عمرو بغير ألف وصلا ووقفا وقرأ الآخرون بالألف في الوقف دون الوصل. قوله تعالى هنالك ابتلي المؤمنون أي في تلك الحال اختبر الله المؤمنون بالقتال ليتبين المخلص من المنافق وقيل معناه امتحن المؤمنون بالخوف الشديد الذي عمهم ليظهر المؤمن القوي من المؤمن الضعيف وذو العزم الصحيح من غيرهم. قوله تعالى وزلزلوا زلزالا شديدا أي أزعجوا وحركوا حركة شديدا وذلك أن الخائف يكون قلقا مضطربا لا يستقر على مكانه. قوله تعالى وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا معناه واذكروا إذ يقول الذين يتشككون في الكفر والذين في قلوبهم شك وضعف اعتقاد ما وعدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن فارس والروم تفتحان علينا ونحن في مكاننا هذا لا نقدر أن نخرج لحاجة إلا باطلا. قال قتادة قال ناس من المنافقين يعدنا محمد أن نفتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله هذا والله غرور. قوله تعالى وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا يعني بني سالم من المنافقين وقال السدي عبد الله بن أبي وأصحابه يا أهل يثرب أي يا أهل المدينة قال أبو عبيدة يثرب اسم أرض ومدينة الرسول في ناحية منها. قوله تعالى لا مقام لكم فارجعوا أي لا إقامة لكم هاهنا لكثرة العدو وغلبة الأحزاب فارجعوا إلى المدينة وقرأ عاصم لا مقام لكم بضم الميم لا إقامة لكم هاهنا لكثرة العدو وغلبة الأحزاب فارجعوا إلى منازلكم أمروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم. قوله تعالى ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة معناه ويستأذن فريق منهم النبي عليه السلام في الرجوع إلى منازلهم بالمدينة وهم بنو حارثة وبنو سلمة وكانوا يعتلون في الاستئذان بقولهم إن بيوتنا عورة أي إنها خالية من الرجال يخاف عليها السراق. وقال قتادة قالوا بيوتنا مما يلي العدو ولا نأمن على أهلنا فكذبهم الله تعالى وقد علم أن قصدهم الهرب فقال عز وجل وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا من القتال ونصرة المؤمنين. وقرأ ابن عباس وأبو رجاء إن بيوتنا عورة بكسر الواو أي قصيرة الجدران فيها خلل وفرجة. قال الزجاج يقال عور المكان يعور عورا وعورة وبيوت عورة وهي مصدر والعورة في اللغة ما ذهب عنه الستر والحفظ تقول العرب أعور الفارس إذا كان فيه موضع خلل للضرب وعور المكان إذا بدت منه عورة. قال الشاعر

متى تلقهم لم تلق للبيت عورة ... ولا الضيف محروما ولا الجار مرملا

يقال أرمل إذا فرغ زاده. قوله تعالى ولو دخلت عليهم من أقطارها أي لو دخلت المدينة على هؤلاء المنافقين من أطرافها يعني لو دخل عليهم هؤلاء الأحزاب من نواحيها ثم سئلوا الفتنة لآتوها أي ثم دعوا إلى الشرك لأجابوا وأعطوها من أنفسهم والمعنى لو أن الأحزاب دخلوا المدينة ثم أمروهم بالشرك لأشركوا. وقرأ أهل المدينة لأتوها بالقصر أي لفعلوها بأنفسهم وما تلبثوا بها إلا يسيرا أي وما تلبثوا بإجابتها إلا قليلا حتى يفعلوا. قال قتادة لاحتبسوا عن الإجابة إلى الكفر إلا قليلا وقيل معناه ما يلبثون بالمدينة بعد إجابتهم إلى الشرك إلا يسيرا حتى يهلكوا. ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار قال يزيد بن رومان هم بنو حارثة هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها. وقال قتادة هم قوم كانوا قد غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن فلما كان يوم الأحزاب لم يفوا بذلك العهد ومعنى الآية ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل غزوة الخندق لا يولون الأدبار أي لا ينهزمون ولا يولون العدو ظهورهم. قوله تعالى وكان عهد الله مسئولا أي مطالبا به وقيل عنه مجازيا يسألون عنه

في الآخرة

في الآخرة ثم أخبر الله أن الفرار لا يزيد في آجالهم فقال الله تعالى قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل أي من حضر أجله مات أو قتل فكلاهما مكتوب عليكم. قوله تعالى وإذا لا تمتعون إلا قليلا أي إن فررتم من الموت والقتل في هذه الوقعة لم تمتعوا إلا قليلا حتى تلحقكم آجالكم والمعنى لا تمتعون بعد الفرار في الدنيا إلا مدة آجالكم. ثم أخبر الله تعالى أن ما قدره عليهم وأراده منهم لا يندفع عنهم. قوله تعالى قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة أي من ذا الذي يجيركم ويمنعكم من الله إن أراد بكم سوءا أي هلاكا وهزيمة أو أراد بكم رحمة أي خيرا وهو النصر وهذا كله أمر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يخاطبهم بهذه الأشياء. ثم أخبر الله أنه لا ينفعهم غير الله ولا ناصر ينصرهم من الله. قوله تعالى ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا. قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا قال المفسرون هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يثبطون المجاهدين ويعوقونهم عن الجهاد يقال عاق يعوق إذا منع وعوق إذا أكثر المنع وعوقه إذا صرفه عن الوجه الذي يريده. قال قتادة هم قوم من المنافقين كانوا يقولون ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وحزبه دعوا هذا الرجل فإنه هالك خلوهم وتعالوا إلينا. قوله تعالى والقائلين لإخوانهم هلم إلينا أي ويعلم القائلين لإخوانهم تعالوا إلينا ودعوا محمدا ولا تشهدوا معه الحرب فإنا نخاف عليكم الهلاك. قوله تعالى ولا يأتون البأس إلا قليلا أي لا يحضرون القتال في سبيل الله إلا قليلا أي لا يقاتلون إلا رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا. قوله تعالى أشحة عليكم أي بخلاء عليكم بأنفسهم وأموالهم لا يبذلون شيئا منها في سبيل الله ونصرة المؤمنين. ثم أخبر الله عن جبنهم قوله تعالى فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم في رؤوسهم من الخوف والفزع كما تدور عين الذي تحضره الموت يغشى عليه ويذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم وتحار أعينهم لما يلحقهم من الخوف فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أي بسطوا ألسنتهم وأرسلوها طاعنين عليكم قال [illegible] أغلظوا لكم بالكلام وعضوكم بألسنة سليطة ذربة يقال خطيب سلاق إذا كان بليغا في خطبته. قوله تعالى أشحة على الخير أي بخلاء على الغنيمة يخاصمون فيها ويشاحون المؤمنين عليها عند القسمة فيقولون أعطونا فلستم أحق بها منا. قوله تعالى أولئك لم يؤمنوا أي هم وإن أظهروا الإيمان ونافقوا فليسوا بمؤمنين فأحبط الله أعمالهم أي أبطل الله جهادهم وثواب أعمالهم لأنه لم يكن في إيمان وكان ذلك الإحباط على الله يسيرا. قال مقاتل معنى الآية فإذا ذهب الخوف وجاء الأمن والغنيمة سلقوكم بألسنة حداد وبسطوا ألسنتهم فيكم وقت الغنيمة يقولون أعطونا فلستم أحق بها منا فأما عند البأس والقتال فأجبن قوم وأخذلهم وأما عند الغنيمة فأشح قوم. قوله تعالى يحسبون الأحزاب لم يذهبوا أي يظن المنافقون من جبنهم وخبثهم أن الأحزاب لم يذهبوا إلى مكة وقد ذهبوا وإن يأت الأحزاب في المرة الثانية أي يرجعون إلى القتال يودوا لو أنهم داخلون في البادية مع الأعراب يسألون عن أنبائكم أي يتمنون لو كانوا في بادية بالبعد منكم يسألون عن أخباركم يقولون ما فعل محمد وأصحابه فيعرفون حالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة والمعنى يسرهم أنه إذا كان الظفر لكم لم يشاركوكم وإن كان للمشركين شاركوهم كل هذا من الجبن. وقرأ يعقوب يساءلون بالتشديد والمد يعني يتساءلون أي يسأل بعضهم بعضا عن أخباركم. قوله تعالى ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا معناه لو كان هؤلاء المنافقون فيكم ما قاتلوا إلا رياء وسمعة من غير احتساب. قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أي لقد كان لكم في رسول الله قدوة حسنة في الصبر على القتال والثبات عليه واحتمال الشدائد في ذات الله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر أي ثواب الدنيا والآخرة وذكر الله كثيرا وذلك أن كل من ازداد ذكر الله في لسانه ازدادت رغبته في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية لقد كان لكم في رسول الله اقتداء لو اقتديتم به في نصرته والصبر معه في مواطن القتال كما فعل هو يوم أحد إذ كسرت رباعيته وجرح حاجبه وقتل عمه وآساكم مع ذلك بنفسه فهلا فعلتم مثل ما فعل هو. وقوله تعالى لمن كان يرجو الله بدل من قوله لكم وهو تخصيص بعد

التسليم للمؤمنين قوله تعالى ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله
ورسوله وذلك أن الله تعالى كان وعدهم في سورة البقرة أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من
قبلكم مستهم البأساء والضراء إلى قوله ألا إن نصر الله قريب وقوله تعالى ليظهره على الدين كله وقوله تعالى وما زادهم
إلا إيمانا وتسليما أي ما زادهم ما رأوا إلا إيمانا وتصديقا بوعد الله وتسليما لأمره قوله تعالى من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه أي من جملة المؤمنين رجال أوفوا ما عاهدوا الله عليه بالثبات على الدين والعمل بموجبه
من الصبر على القتال وغير ذلك فمنهم من قضى نحبه أي من وفى بنذره ومنهم من أقام على ذلك العهد حتى قتل شهيدا
في سبيل الله قيل إن المراد به حمزة بن عبد المطلب وأصحابه الذين قتلوا يوم أحد والنحب في اللغة هو النذر وقيل النحب هو النفس
ومنه النحيب وهو النفس الشديد والنشيج في البكاء والمعنى على هذا القول فمنهم من قضى أجله ومنهم من ينتظر الموت على ذلك
العهد وقيل معناه فمنهم من قضى نحبه أي مات أو قتل في سبيل الله فأدرك ما تمنى فذلك قضاء النحب وقيل فرغ من عمله
ورجع إلى الله وقال الحسن قضى أجله على الوفاء والصدق وقال ابن قتيبة قضى نحبه أي قتل وأصل النحب كان النذر
نذروا إنهم إن لقوا العدو قاتلوا حتى يقتلوا أو يفتح الله تعالى فقتلوا فقيل فلان قضى نحبه إذا قتل وقال محمد
بن إسحاق فمنهم من قضى نحبه يعني من استشهد يوم بدر وأحد ومنهم من ينتظر ما وعد الله من نصر أو شهادة على ما مضى عليه
أصحابه • وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت إن طلحة بن عبيد الله ممن قضى نحبه ثبت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى أصيبت يده فقال صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة الجنة وعن أبي نجيح أن طلحة بن عبيد الله كان يوم أحد
عند النبي صلى الله عليه وسلم في الجبل فجاءهم سهم متوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاتقاه طلحة بيده فأصاب خنصره وعن
عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن ينظر إلى رجل يمشي على الأرض وقد قضى نحبه فلينظر
إلى طلحة بن عبيد الله وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله
قوله تعالى وما بدلوا تبديلا أي ما غيروا العهد الذي عاهدوا الله عليه كما غير المنافقون قوله تعالى ليجزي الله
الصادقين بصدقهم أي صدق المؤمنين في عهدهم ليجزيهم الله بصدقهم ويعذب المنافقين بنقض العهد إن شاء
قال السدي يميتهم الله على نفاقهم إن شاء فيوجب لهم العذاب فمعنى شرط المشيئة في عذاب المنافقين أن يميتهم على النفاق
إن شاء أن يعذبهم أو يتوب عليهم فيغفر لهم لئلا يجوز أن لا يعذبهم إذا ماتوا على النفاق إن الله كان غفورا
لمن تاب رحيما لمن مات على التوبة قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا معناه ورد الله الكفار
عن المؤمنين متغاظين لم يكن لهم من شفاء غيظه ولم ينالوا منهم مالا ولا غنيمة ولم يردوا سرورا وكفى الله المؤمنين
القتال بالريح والملائكة التي أرسلت عليهم وكان الله قويا عزيزا أي لم يزل قويا في ملكه عزيزا في قدرته منتقما
بالنقمة من أعدائه قوله تعالى وأنزل الذين ظاهروهم من صياصيهم معناه أنزل الذين عاونوا المشركين من أهل الكتاب
وهم بنو قريظة بنقض العهد وأعانوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلهم الله من حصونهم مع شدة شوكتهم
وألقى في قلوبهم الرعب وذلك أن بني قريظة كانوا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يظاهروا أعداءه عليه فلما رأوا
الأحزاب وكثرتهم ظنوا أنهم يستأصلون المؤمنين فنقضوا العهد ولحقوا بهم فلما هزم الله المشركين ورجع النبي صلى الله
عليه وسلم إلى المدينة أراد أن ينزع لأمته فسمع هاتفا فنظر فإذا جبريل عليه السلام في درعه وسلاحه فقال له جبريل أتنزع لأمتك
يا رسول الله والملائكة لم تنزعوا حتى نقاتل بني قريظة وتصلي فيهم العصر فقال صلى الله عليه وسلم وكيف لي بقتالهم
وهم في حصونهم فقال جبريل لا يهمنك ذلك لأدقنهم دق البيض على الصفا فنادى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الأصحاب فخرجوا إلى حصون بني قريظة فألقى الله الرعب في قلوب القوم حتى طلبوا الصلح وأبوا أن ينزلوا على حكم سعد
بن معاذ وكان سعد قد أصابه سهم في أكحله في حرب الخندق فسأل الله أن لا يموت إلى أن يرى قرة عين النبي صلى الله عليه وسلم
فاستجاب الله دعاءه فلما طلبت بنو قريظة النزول على حكم سعد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمل سعد إلى النبي صلى
الله عليه وسلم وقد احتسى لحمله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم احكم فيهم فقال الحكم فيهم أن تقتل مقاتلهم وتسبى نساؤهم

وذراريهم

وذراريهم ونساؤهم وأموالهم فقال صلى الله عليه وسلم حكمت فيهم بمثل ما حكم الله فيهم فلما قتل مقاتلهم وسبيت نساؤهم
وذراريهم انفجر الكلم لسعد فمات رحمه الله والصياصي جمع صيصية وصيصية الثور قرنه سميت بذلك لأن قرنه حصنه الذي
يتحصن به وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنون إلى المدينة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم السلاح أتى جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه
وسلم معتجرا بعمامة من إستبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش
تغسل رأسه وقد غسلت شقه فقال له جبريل قد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال عفا الله عنك يا رسول
الله والله ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وكان هذا وقت الظهر فأمر
النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة وقدم النبي صلى الله
عليه وسلم علي بن أبي طالب برايته إليهم فسار إليهم علي رضي الله عنه حتى إذا دنا من الحصون سمع منهم مقالة قبيحة في
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع علي رضي الله عنه حتى لقي النبي صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك
أن لا تدنو من هؤلاء الخبائث قال لم أظنك سمعت منهم أذى قال نعم فسار النبي صلى الله عليه وسلم نحوهم حتى دنا من حصونهم فقال
لهم يا إخوان القردة أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين
ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف في قلوبهم الرعب فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راجع عنهم قال لهم كعب
بن أسد يا معشر اليهود إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم ثلاث خصال فخذوا أيها شئتم قالوا وما هن
قال أما الأولى فنتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا على
دمائكم وأموالكم ونسائكم قالوا لا نفارق ديننا أبدا ولا نستبدل به غيره قال فإذا أبيتم هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم
نخرج إلى محمد رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبينه قالوا نقتل هؤلاء المساكين فلا خير
في العيش بعدهم قال فإن أبيتم هذه فاعلموا أن هذه ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا
نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا أنفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا وقد علمت بأن الذين أحدثوا
فيه الأحداث مسخوا ولم يخف عليك أمرهم قال ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا أبا لبابة
أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس نستشيره في أمرنا فأرسله النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فسألوه أننزل على حكم محمد قال
نعم وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فعلمت أني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده وقال لا أبرح حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله تعالى
أن لا يطأ أرض بني قريظة أبدا وقال لا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد أبطأ
عليه قال أما إنه لو جاءني لاستغفرت له فأما إذا فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه حتى يتوب الله عليه ثم إن الله تعالى
أنزل توبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تيب على أبي لبابة فثار الناس على أبي لبابة ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فأطلقه قال فلما أصبح بنو قريظة نزلوا على حكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبت الأوس وقالوا يا رسول الله إنهم موالينا أي حلفاؤنا دون الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج
ما قد علمت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله إياهم
عبد الله بن أبي ابن سلول فوهبهم له فلما كلمته الأوس قال صلى الله عليه وسلم يا معشر الأوس أما ترضون أن
يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذاك إلى سعد بن معاذ وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة امرأة
من المسلمين يقال لها رفيدة كانت تداوي الجرحى فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة أتاه قومه
فحملوه على حمار وقد وطئوا له بوسادة من أدم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا أبا
عمرو أحسن في مواليك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال لقد آن لسعد أن لا تأخذه في
الله لومة لائم فعرفوا أن بني قريظة مقتولون فلما انتهى سعد إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال قوموا إلى سيدكم فأنزلوه فقاموا إليه

فقالوا يا ابا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك امر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم قال احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنسا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم يا سعد بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار امراة من بني النجار ثم بعث فاخرجهم اليه ارسالا وامر بضرب اعناقهم وكان فيهم يومئذ عدو الله حيي بن اخطب وكعب بن اسد راس القوم وهم ستمائة وقيل ما بين الثمانمائة الى التسعمائة فقالوا لكعب وهم يذهب بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا قال افي كل موطن لا تعقلون الا ترون من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك دابهم حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ثم اتي بحيي بن اخطب عدو الله وعليه حلة فقاحية ويداه مغلولتان الى عنقه بحبل ثم اجلس فضرب عنقه قالت عائشة كان علي والزبير يضربان اعناق بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك قالت عائشة ولم يقتل من نساء بني قريظة الا امراة واحدة كانت والله عندي تتحدث معي وتضحك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها بالسيف اذ هتف هاتف باسمها اين فلانة قالت هي انا والله قالت عائشة فقلت لها ويلك ما لك قالت طلبت لاقتل قلت ولم قالت حدثا احدثته قالت فانطلق بها فضرب عنقها فكانت عائشة تقول ما انسى عجبا منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد علمت انها تقتل قال الواقدي واسم تلك المراة بنانة امراة الحكم القرظي وكانت قتلت خلاد بن سويد رمت عليه رحا فقتلته فقتلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاد بن سويد وعن الزهري رضي الله عنه قال كان رجل من قريظة يقال له الزبير بن باطا ويكنى ابا عبد الرحمن من يوما على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث اخذه وجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاء ثابت بن قيس يوم بني قريظة فوجده وقد صار شيخا كبيرا فقال له ثابت يا زبير هل تعرفني قال نعم وهل يجهل مثلي مثلك قال فاني اريد ان اجازيك بما لك عندي من اليد قال ان الكريم يجزي الكريم قال ثابت فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد كان للزبير عندي يد وصنيعة وله علي منة وقد احببت ان اجزيه فهب لي دمه فقال صلى الله عليه وسلم هو لك فاتاه فقال له يا شيخ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهبك مني فقال الزبير شيخ كبير فان ذهب اهلي واولادي فما اصنع بالحيوة قال ثابت فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته اهله وولده فقال هم لك فقلت له يا شيخ قد وهب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم امراتك وولدك فقال يا ثابت كيف تكون اهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته ماله فقال هو لك فاعلمته بذلك فقال لي يا ثابت ما فعل الذي كان وجهه مراة مضية كعب بن اسد قلت قتل قال فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن اخطب قلت قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا كررنا عزال بن سموال قلت قتل قال فما فعل بنو كعب بن قريظة وبنو عمرو بن قريظة قلت قتلوا كلهم قال فاني اسالك يا ثابت بيدي عندك الا الحقتني بالقوم فوالله ما لي في العيش بعد هؤلاء من خير فما انا بصابر حتى القى الاحبة فقدمه ثابت فضرب عنقه فلما بلغ ابا بكر الصديق رضي الله عنه قوله القى الاحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم خالدا فيها ابدا

قوله تعالى **وقذف في قلوبهم الرعب** اي القى في قلوبهم الخوف **فريقا تقتلون** يعني المقاتلة **وتاسرون فريقا** يعني الذراري **واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم** يعني عقارهم ونخيلهم ومنازلهم واموالهم من الذهب والفضة والحلي والعبيد والاما قوله تعالى **وارضا لم تطؤوها** يعني ارض بني النضير وقيل ارض خيبر والمعنى وسيفتح الله عليكم ارضا لم تطؤوها الان باقدامكم يعني خيبر فتحها الله عليهم بعد بني قريظة وقال الحسن هي فارس والروم وقال قتادة هي مكة قوله تعالى **وكان الله على كل شيء قديرا** فيه بيان ان الله تعالى قادر على اظهار الاسلام بغير القتال وانما امر الله المؤمنين بالقتال ليعرضهم لجزيل الثواب قوله تعالى **يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا** قال المفسرون كان بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم سالنه شيئا من عرض الدنيا واذينه بزيادة النفقة فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم والى منهن شهرا ان لا يقربهن ولم يخرج الى اصحابه للصلوة فقالت الصحابة ما شان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه ان شئتم ذهبت اليه لاعلمكم ما شانه فذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم واستاذن فاذن له قال عمر فجعلت اقول

النبي

في نفسي اي شيء اكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله ينبسط فقلت يا رسول الله لو رايت فلانة وهي تسالني النفقة فصككتها صكة فقال صلى الله عليه وسلم فذاك الذي اجلسني عنكم فاتى عمر حفصة فقال لها لا تسالي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فما كان لك من حاجة فالي ثم جعل يتتبع نساء النبي صلى الله عليه وسلم فكلمهن حتى قال لعائشة رضي الله عنها ايغرك انك امراة حسناء وان زوجك يحبك لتنتهين او لينزلن الله فيك القران فقالت ام سلمة يا ابن الخطاب ما بقي لك الا ان تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين نسائه من يسال المراة الا زوجها فانزل الله هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك الى اخر الاية وكان يومئذ تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابي امية فهؤلاء من قريش وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحرث المصطلقية وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا مع حفصة فتشاجرا بينهما فقال لها هل لك ان اجعل بيني وبينك رجلا قالت نعم قال فارسل الى عمر رضي الله عنه فلما دخل عليهما قال لها تكلمي قالت يا رسول الله تكلم ولا تقل الا حقا فرفع عمر يده فوجا وجهها ثم رفع فوجا وجهها فقال النبي صلى الله عليه وسلم كف فقال عمر يا عدوة الله النبي لا يقول الا حقا والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتي فقام صلى الله عليه وسلم فصعد الى غرفة فمكث فيها شهرا لا يقرب شيئا من نسائه يتغدى ويتعشى فيها فانزل الله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين الاية فنزل النبي صلى الله عليه وسلم فعرض ذلك عليهن كلهن فقلن نختار الله ورسوله وكان اخر من عرض عليها حفصة فقالت يا رسول الله اني في مكان العائذ بك من النار والله لا اعود لشيء تكرهه ابدا بل اختار الله ورسوله فرضي عنها وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه اية التخيير بدا بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة فروي الفرح في وجهه عليه السلام وتابعها جميع نسائه على ذلك فشكرهن الله وقصر نبيه صلى الله عليه وسلم عليهن فقال لا يحل لك النساء من بعد وقيل لما نزلت هذه الاية قال صلى الله عليه وسلم يا عائشة اني ذاكر لك امرا فلا تعجلي حتى تستامري فيه ابا بكر ثم قرا عليها الاية يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها الى قوله وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة الاية فقالت عائشة قد علم الله ان ابوي لم يكونا يامراني بفراقك وهل استامر في هذا اني اريد الله ورسوله والدار الاخرة ثم قالت يا رسول الله لا تخبر ازواجك اني اخترتك ففعل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كما فعلت وقيل لما نزلت اية التخيير دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه وخيرهن وقال لعائشة اما انت فلا تحدثي من امرك شيئا حتى تشاوري ابويك فقالت افيك اشاورهما انا اختار الله ورسوله والدار الاخرة وما لنا والدنيا فتبعها ساير ازواجه عليه السلام ولم تختر واحدة منهن نفسها الا المراة الحميرية قوله تعالى **فتعالين امتعكن واسرحكن** اي اعطيكن مهوركن **واسرحكن سراحا جميلا** اي اطلقكن على وجه السنة وقيل معناه اخرجكن من البيوت لانه ذكر البيوت قبل التسريح

قوله تعالى **وان كنتن تردن الله ورسوله** اي ثواب الله ورضا رسوله **والدار الاخرة** اي الجنة **فان الله اعد للمحسنات منكن** باختيار ثواب الله ورضا رسوله **اجرا عظيما** في الاخرة قوله تعالى **يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة** قال ابن عباس يعني النشوز وسوء الخلق **يضاعف لها العذاب ضعفين** اي يجعل عذاب جرمهن في الاخرة كعذاب جرمين من غيرهن والمعنى ان عذابها ضعف كما زيد في ثوابها ضعف في قوله تعالى نؤتها اجرها مرتين وانما ضوعف عذابهن على الفاحشة لانهن يشاهدن من الزواجر ما يردع عن مواقعة الذنوب ما لا يشاهد غيرهن واذا لم يمتنعن استحققن تضعيف العذاب قوله تعالى **وكان ذلك على الله يسيرا** اي وكان عذابها على الله هينا وقوله تعالى يضعف لها العذاب قرا ابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وكسر العين مشددة العذاب بالنصب وقرا ابو عمرو يضعف بالياء وفتح العين والتشديد ورفع العذاب قال ابو عمرو وانما قرات هكذا لقوله تعالى ضعفين وقال ابو عبيدة ضعف الشيء مثليه وضاعفته اذا جعلته امثاله وقرا الباقون يضاعف بالالف وفتح العين ورفع العذاب قوله تعالى **ومن يقنت منكن**

لله ورسوله أي ومن يطع منكن الله ورسوله وقيل ومن يقم منكن على طاعة الله وطاعة رسوله **وتعمل صالحا** فيما بينها وبين ربها **نؤتها أجرها مرتين** أي نعطها بكل طاعة عشرين حسنة **وأعتدنا لها رزقا كريما** أي حسنا يعني الجنة والرزق الكريم ما سلم من كل آفة ولا يكون ذلك إلا في الجنة قرأ يعقوب تعمل بالتاء ومثله روي عن ابن عامر وقوله تعالى وتعمل صالحا قرأ الأعمش وحمزة والكسائي وخلف ويعمل صالحا بالياء فيهما وقرأ غيرهم بالتاء ونؤتها بالنون قال الفراء إنما قرئ يعمل بالياء لأن من أداة تقوم مقام الاسم يعبر به عن الواحد والاثنين والجمع والمؤنث والمذكر قال الله تعالى ومنهم من ينظر إليك ومنهم من يستمعون إليك ومن يقنت منكن لله قوله تعالى **يا نساء النبي لستن كأحد من النساء** معناه لستن كجماعة من النساء أي قدر عندكن من النساء الصالحات أنتن أكرم علي وأنا بكن أرحم وثوابكن أعظم إن اتقيتن الله وشرط عليهن التقوى بيانا أن فضيلتهن إنما تكون بالتقوى لا باتصالهن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل معناه ليست حالتكن كحالة النساء غيركن في الطاعة والمعصية والثواب والعقاب وإن كنتن متقيات عن المعاصي مطيعات لله تعالى فلا تلن القول للرجال على وجه يورث الطمع فيكن فيطمع المنافقون ومن في قلبه مرض قوله تعالى **فيطمع الذي في قلبه مرض** يعني زنا وفجور ونفاق والمرأة مندوبة إلى إغلاظ القول إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة في المقالة لأن ذلك أبعد من الطمع في الريبة وإنما قال لستن كأحد من النساء ولم يقل كواحدة لأن أحدا عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وقال تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين قوله تعالى **وقلن قولا معروفا** أي قولا حسنا لا يؤدي إلى الريبة وقيل معناه وقلن ما يوجبه الدين والإسلام بغير خضوع فيه بل بتصريح وبيان قوله تعالى **وقرن في بيوتكن** أي الزمن بيوتكن ولا تخرجن إلا لضرورة قرأ نافع وعاصم وقرن بفتح القاف وهو من قررت في المكان أقر وكان الأصل أقررن في بيوتكن فحذفت الراء الأولى التي هي عين الفعل لثقل التضعيف فنقلت حركتها إلى القاف كقوله فظلتم تفكهون وظللت عليه عاكفا والأصل ظللت وظللتم وقرأ الباقون وقرن بكسر القاف من الوقار أي كن أهل سكينة ووقار والأمر فيه للرجال قروا وللمرأة قري وللجماعة النساء قرن كما تقول في الوعد عدن من الوصل صلن وعن محمد بن سيرين قال قيل لسودة بنت زمعة ألا تحجين ألا تعتمرين كما تفعل أخواتك فقالت قد حججت واعتمرت وأمرني الله أن أقر في بيتي فوالله لا أخرج منه حتى أموت قال فوالله ما خرجت من باب بيتها حتى أخرجوا جنازتها رضي الله عنها قوله تعالى **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** التبرج التبختر وإظهار الزينة وما تستدعى به شهوة الرجال وإبراز المحاسن للناظر والجاهلية الأولى هي ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام كانت المرأة من أهل ذلك الزمان تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه ثم تمشي وسط الطريق ليس عليها غيره وتعرض نفسها للرجال وقال بعضهم الجاهلية الأولى هي ما بين آدم ونوح كان نساؤهم أقبح ما يكون من النساء ورجالهم حسان وكانت المرأة تريد الرجل عن نفسه فنهى الله تعالى عن فعل أهل الجاهلية وأمرهن بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله في باقي الآية قوله تعالى **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت** أي إنما أمركن الله بما أمركن من الطاعة ولزوم البيوت ليذهب عنكم الرجس يعني رجس الذنوب والعيوب وقال ابن عباس عمل الشيطان وما ليس فيه رضى ومعنى الرجس السوء وما يوجب العقوبة والمراد بأهل البيت هاهنا نساء النبي صلى الله عليه وسلم لأنهن في بيته وقيل أهل البيت كل من اتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم من جهة نسب أو سبب على العموم وعن أبي سعيد الخدري أن الآية نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة والحسن والحسين فجمعهم وأنا لفظة خيبرية فلفها عليهم ثم أومى بيده إلى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهلي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت أم سلمة ولست أنا منهم فقال نعم فدخلت الكساء بعدما دعا وانقضاء دعائه وعن عكرمة رضي الله عنه أنه قال نزلت هذه الآية في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وليس هو الذي يذهبون

إليه وكان عكرمة ينادي بهذا في السوق واحتج بقوله في الخطاب واذكرن ما يتلى في بيوتكن وكلا الخطابين لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم يعني الخطاب الأول وقرن في بيوتكن وهذا الخطاب الثاني وإنما ذكر الخطاب في قوله عنكم ويطهركم لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان فيهن فغلب المذكر قوله تعالى **واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة** أي واحفظن ما يقرأ عليكن في بيوتكن من القرآن والمواعظ وهذا حث لهن على حفظ القرآن والأخبار ومذاكرتهن بها للإحاطة بحدود الشريعة وقوله تعالى **إن الله كان لطيفا خبيرا** أي لطيفا بأوليائه خبيرا بجميع خلقه وبجميع مصالحهم قوله تعالى **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات** الآية قال قتادة لما ذكر الله أزواج النبي صلى الله عليه وسلم دخل نساء من المسلمات عليهن فقلن ذكرتن ولم نذكر فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل لما رجعت أسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب دخلت على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل قالت أم سلمة بنت أبي أمية وأنيسة بنت كعب الأنصارية للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه نخشى أن لا يكون فيهن خير ولا لله فيهن حاجة فأنزل الله هذه الآية وقيل إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله عز وجل الرجال في القرآن فلم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فأنزل الله هذه الآية واعلم أن الرجال والنساء يجازون بأعمالهم الصالحة مغفرة لذنوبهم وأجرا عظيما ومعنى الآية أن المسلمين والمسلمات يعني المخلصين بالتوحيد والمخلصات والمؤمنين والمؤمنات أي المصدقين بالتوحيد والمصدقات والإسلام في اللغة هو الانقياد والاستسلام والإيمان في اللغة التصديق غير أن معنى الإسلام والإيمان في هذه الآية واحد قوله تعالى **والقانتين والقانتات** أي المطيعين لله في أوامره ونواهيه والمطيعات والقانت هو المواظب على الطاعة والقنوت طول القيام في الصلاة قوله تعالى **والصادقين والصادقات** يعني الصادقين في إيمانهم والصادقات قوله تعالى **والصابرين والصابرات** الصابر هو الذي يحبس نفسه عن جميع ما يجب الصبر عنه ويصبر على جميع ما يجب الصبر عليه قوله تعالى **والمتصدقين والمتصدقات** يعني بالمتصدقين الذين يؤدون ما عليهم من الصدقة المفروضة وقيل أراد به جميع الصدقات وأما الخاشع فهو المتواضع لله تعالى وللناس قوله تعالى **والصائمين والصائمات** يعني الصائمين صوم الفريضة صلاته ويكون نظرهم على حلال قال ابن عباس من صام شهر رمضان وثلاثة أيام من كل شهر الغر البيض كان من أهل هذه الآية ويقال يوم القيامة بما يدعى من الجنة يأكلون منها والناس في شدة ويظلهم الله تحت ظل عرشه والناس في شدة ويشم من أفواههم ريح المسك قوله تعالى **والحافظين فروجهم والحافظات** أي عما لا يحل قوله تعالى **والذاكرين الله كثيرا والذاكرات** قيل أراد به الذكر في الصلوات الخمس وقيل أراد به الذكر باللسان والقلب في جميع الأحوال قال ابن عباس يريد في أدبار الصلوات وغدوا وعشيا وفي المضاجع وكلما استيقظ من نومه وكلما غدا وراح من منزله ذكر الله وقال مجاهد لا يكون الرجل من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقوله تعالى **أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما** وهو الجنة قوله تعالى **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم** نزلت هذه الآية في عبد الله بن جحش وأخته زينب وكانت أمهما أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم خطب النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة مولاه فكره أخوها عبد الله ذلك وجهاز زينب وكان زيد عربيا في الجاهلية مولى في الإسلام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه من سبي الجاهلية فأعتقه وتبناه فقالت زينب لا أرضاه لنفسي وقالت يا رسول الله أنا أيم نساء قريش وابنة عمك فلم أكن لأفعل

أرضاه يا رسول الله وقال أخوها عبد الله كذلك وكانت زينب بيضاء جميلة وكان فيها حدة فقال صلى الله
عليه وسلم لقد رضيته لك فأنزل الله هذه الآية وما كان لمؤمن أي ما ينبغي لمؤمن ولا مؤمنة يعني عبد الله بن جحش وأخته
زينب إذا قضى الله تعالى ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم بخلاف ما اختاره الله ورسوله. قرأ أهل
الكوفة يكون لهم الخيرة بالياء للحائل بين التأنيث والفعل وقرأ الباقون بالتاء وقوله تعالى الخيرة قراءة العامة بفتح الياء
أي الاختيار وقرأ ابن السميفع الخيرة بسكون الياء وهما لغتان وإنما جمع الضمير في قوله لهم الخيرة لأن المراد به
ولا مؤمنة كل مؤمن ومؤمنة في الدنيا قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله أي فيما أمر به فقد ضل ضلالا
مبينا أي فقد أخطأ وذهب عن الحق والصواب ذهابا بينا فلما نزلت الآية قالت قد رضيت يا رسول الله وكذلك
رضي أخوها فجعلت أمرها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم من زيد وساق إليها
النبي صلى الله عليه وسلم عشرة دنانير وستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وإزارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا
من تمر قوله تعالى وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه واذكر يا محمد قولك للذي أنعم الله عليه بالإسلام وغيره
وأنعمت عليه أنت بالإعتاق وهو زيد بن حارثة وقع بينه وبين امرأته زينب تشاجر فجاء زيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا
مما كانت تستطيل عليه لشرفها فقال صلى الله عليه وسلم لزيد على سبيل الأمر بالمعروف أمسك عليك زوجك أي امرأتك ولا
تطلقها واتق الله فيها ولا تفعل في أمرها ما تأثم به قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه خطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أضمر في نفسه أنه إن طلقها زيد تزوجها هو وضمها إلى نفسه صلة لرحمها وشفقة
عليها فعاتبه الله على إضمار ذلك وإخفائه لكن لا يكون ظاهر الأنبياء عليهم السلام إلا كباطنهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يعلم أنهما لا يتفقان لكثرة ما كان يجري بينهما من الخصومة فجعل يخفيه عن زيد وكان المولى بالنبي صلى الله عليه وسلم أن لا يدعوها
إلى الخلع فلم يفعل وقال له أمسك عليك زوجك خشية أنه لو خالعها ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم أن يطعن الناس
عليه فقالوا تزوج حليلة ابنه بعد ما بين للناس أن حليلة الابن حرام على الأب فهذا معنى قوله تعالى وتخشى الناس
أي تخاف أن يتهموك أن تقول لرجل طلق امرأتك ثم تنكحها قال ابن عباس في هذه الآية أراد بالناس اليهود خشي أن
يقول اليهود تزوج محمد امرأة ابنه قوله تعالى والله أحق أن تخشاه أي هو أولى بأن تخشاه في كل الأحوال
وعن علي بن الحسين أنه سئل عن هذه الآية فقال كان الله تعالى قد أعلم نبيه عليه السلام أن زينب ستكون من أزواجه
وأن زيدا سيطلقها فعلى هذا يكون النبي عليه السلام معاتبا على قوله أمسك عليك زوجك مع علمه أنها ستكون زوجته وكتمانه
ما أخبره الله به وإنما كتم النبي صلى الله عليه وسلم لأنه استحيا أن يقول لزيد إن زوجتك ستكون امرأتي وقيل إن زيد
بن حارثة لما أراد فراقها جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي فقال ما رابك
منها شيء قال لا والله يا رسول الله ما رأيت منها إلا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني بلسانها فقال صلى الله عليه وسلم
أمسك عليك زوجك واتق الله ثم إن زيدا طلقها فلما انقضت عدتها قال صلى الله عليه وسلم لزيد ما أجد في نفسي أحدا أوثق
منك اذهب إلى زينب فاخطبها لي قال زيد فذهبت فإذا هي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى لم أستطع
أنظر إليها حين علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب أبشري إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخطبك ففرحت بذلك ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على
امرأة ما أولم عليها أطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها قضاء
الوطر في اللغة بلوغ منتهى ما في النفس من الشيء يقال قضى وطرا منها إذا بلغ ما أراد من حاجته فيها ثم صار عبارة عن الطلاق
لأن الرجل إنما يطلق امرأته إذا لم يبق له فيها حاجة. وعن أنس رضي الله عنه أنه قال لما انقضت عدة زينب بنت جحش
خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل قوله تعالى زوجناكها فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل عليها بغير إذن
لقوله تعالى زوجناكها وكانت زينب تفاخر نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتقول زوجكن أهلوكن وزوجني الله عز
وجل بوحي الآية فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وقوله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم

إذا قضوا منهن وطرا أي زوجناك زينب لكيلا يظن أن امرأة المتبنى لا تحل والأدعياء جمع دعي وهو الذي يدعى
ابنا من غير ولادة قال الحسن كانت العرب تظن أن حرمة المتبنى كحرمة الابن فبين الله أن حلائل الأدعياء غير
محرمة على المتبني وإن أصابوهن وهو قوله تعالى إذا قضوا منهن وطرا بخلاف ابن الصلب فإن امرأته تحرم بنفس
العقد قوله تعالى وكان أمر الله مفعولا معناه وكان تزويج النبي صلى الله عليه وسلم لزينب قضاء كان مكتوبا
في اللوح المحفوظ قوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له أي ما كان عليه من ضيق وإثم فيما شرعه
الله تعالى وأحله له كسنة الله في سائر الأنبياء الماضين في التوسعة عليهم في النكاح فقوله سنة الله منصوب بنزع
الخافض قوله تعالى وكان أمر الله قدرا مقدورا أي قضاء مقضيا أخبر الله تعالى أن أمر زينب كان من حكم
الله وقدره قوله تعالى الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه موضع الذين الخفض نعت للأنبياء عليهم
السلام الذين خلوا من قبل كانوا يبلغون الرسالة ويخشون الله ولا يخشون أحدا سواه لا يخشون مقالة الناس
وكفى بالله حسيبا أي مجازيا لمن يخشاه وقيل حفيظا لأعمال العباد مجازيا لهم قوله تعالى ما كان محمد أبا
أحد من رجالكم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال الناس إن محمدا تزوج امرأة ابنه
فأنزل الله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم يعني أنه ليس أبا زيد حتى تحرم عليه زوجته ولكن رسول
الله وخاتم النبيين فعطفه على أبا وقرأ الحسن وعاصم وخاتم بفتح التاء أي آخر النبيين وقرأ الباقون بكسر
التاء على الفاعل أي أنه ختم النبيين السوي وكان الله بكل شيء عليما أي لم يزل عالما بكل شيء من أقوالكم وأفعالكم
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا اختلفوا في المراد بالذكر الكثير في هذه
الآية قال الكلبي المراد به الصلوات الخمس وهي تتضمن أذكارا كثيرة وأراد بالتسبيح التنزيه في الصلاة على كل حال وهو
أن يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وهذه الكلمات يتكلم بهن صاحب الجنابة والغائط والحدث
قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاه قوله تعالى وسبحوه بكرة وأصيلا أي
صلوا له بالغداة والعشي قال الكلبي أما بكرة فصلاة الفجر وأما أصيلا فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقال بعضهم أراد
بكرة صلاة الصبح وصلاة العصر على قول قتادة وصلاة المغرب على قول غيره وخص طرفي النهار بالذكر لأنه تجتمع عندهما ملائكة الليل
والنهار فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون وقيل خص التسبيح بالذكر في النهاية لأن صحيفة العبد إذا كان
أولها وآخرها ذكرا وتسبيحا رجا أن يغفر له ما بين طرفي الصحيفة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما جلس قوم
يذكرون الله تعالى إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا قد غفرت لكم ذنوبكم وقد بدلت سيئاتكم حسنات وقيل معنى
قوله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا أي بالليل والنهار وفي البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحة والسقم والسر
والعلانية وعلى كل حال. وقال مجاهد الذكر الكثير هو الذي لا يتناهى أبدا قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته
أي يرحمكم ويغفر لكم وقوله وملائكته أي يدعون لكم وقيل يأمر الملائكة بالاستغفار لكم والصلاة من الله الرحمة بالثواب
ومن المؤمنين الدعاء ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين قوله تعالى ليخرجكم من الظلمات إلى النور أي من ظلمات المعاصي
والجهل إلى نور العلم والطاعة وقيل من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان قوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما أي لم يزل رحيما
بهم إذ رضي عنهم وأمر الملائكة بالاستغفار لهم قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام أي تحية المؤمنين من الله تعالى
يوم يلقونه أن يسلم عليهم تقول لهم الملائكة بأمر الله السلام عليكم مرحبا بعبادي المؤمنين الذين أرضوني في دار الدنيا باتباع
أمري ونظير هذا قوله تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم قوله تعالى وأعد لهم أجرا كريما أي رزقا حسنا في الجنة
وقيل الأجر الكريم هو الذي يكون عظيم القدر قوله تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا أي شاهدا على أمتك وعلى جميع
الأمم بتبليغ الرسالة ومبشرا للخلق بالجنة والثواب لمن أطاع الله وصدقك ونذيرا أي مخوفا بالنار والعقاب لمن عصى
الله تعالى وكذبك قوله تعالى وداعيا إلى الله أي وأرسلناك داعيا للخلق إلى دين الله تعالى بأمره يعني بإذنه وأمره
بهذا قوله تعالى وسراجا منيرا أي وأرسلناك سراجا مضيئا لمن اتبعك واهتدى بك كالسراج في الظلمة يستضاء به

وانما سمى النبي صلى الله عليه وسلم سراجا لانه بعث والارض في ظلمة الشرك فكان حين بعث كالسراج في الظلمة. قوله تعالى **وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا** اراد بالفضل الكبير مغفرة الله لهم وما اعد لهم في الجنة. قوله تعالى **ولا تطع الكافرين والمنافقين** فيما يطلبون منك وقد ذكرنا تفسيره في اول السورة. قوله تعالى **ودع اذاهم** اي اصبر على اذاهم واحتمل منهم ولا تشتغل بمجازاتهم الى ان تؤمر فيهم بامر وهذا منسوخ باية السيف. قوله تعالى **وتوكل على الله** اي توكل امورك اليه فانه سيكفيك امرهم اذا توكلت عليه اي توكل عليه في كفاية شرهم واذاهم **وكفى بالله وكيلا** اذا وكلت امرك اليه. قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها** اي اذا تزوجتموهن ثم طلقتموهن من قبل ان تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة تستوفونها بالعدة بالحيض والشهور ولا اعتداد هن لتستوفوا العدد اسقط الله العدة عن المطلقة قبل الدخول لبراءة رحمها فلو شاءت تزوجت من يومها. قوله تعالى **فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا** اي اعطوهن متعة الطلاق وهذا على سبيل الوجوب فيمن لم يدخل بها ولم يسم لها مهرا وعلى الندب في من سمى لها مهرا ثم طلقها قبل الدخول وقال سعيد بن المسيب نسخ حكم الاية بقوله في سورة البقرة بقوله فنصف ما فرضتم. وقال الحسن المتعة واجبة لكل مطلقة ومختلعة وملاعنة ولمن لم يجب عليها الزوج. وقوله تعالى **وسرحوهن** اراد به التسريح عن المنزل لا عن النكاح لان حق الحبس لا يثبت الا باحد امرين اما النكاح واما العدة وقد عدما جميعا في هذا الموضع بعد الطلاق والمذكور في السراح الجميل هو الذي لا يكون فيه جفوة ولا اذى ولا منع حق. وقال ابن عباس في قوله فمتعوهن اي اعطوهن المتعة قال وهذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فاما اذا فرض لها صداقا فلها نصفه. قوله تعالى **يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن** اي احللنا لك نساءك اللاتي تزوجتهن بمهور سميتها او اعطيت مهورهن وسمي المهر اجرا لانه بدل عن منافع البضع كما ان الاجر بدل عن منافع الدار والعبد. قوله تعالى **وما ملكت يمينك** اي واحللنا لك ما ملكت يمينك يعني الجواري التي تملكها. قوله تعالى **مما افاء الله عليك** اي مما اعطاك الله من الغنيمة مثل جويرية بنت الحارث وصفية بنت حيي تدخل في هذا اللفظ التسري والتزوج كما روي في صفية انه عليه السلام اعتقها ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها. قوله تعالى **وبنات عمك وبنات عماتك** اراد به اباحة تزويج بنات عمه وبنات عماته من بني عبد المطلب وبنات خاله وبنات خالاته يعني نساء بني زهرة بن عبد مناف. قوله تعالى **اللاتي هاجرن معك** اي هاجرن معك من مكة الى المدينة وهذا انما كان قبل تحليل غير المهاجرات ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل. قوله تعالى **وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي** اي واحللنا لك امراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي بغير مهر ان اراد النبي ان يتزوجها ومن قرا ان وهبت بالفتح فمعناه احللناها لان وهبت نفسها وهي قراءة الحسن والفتح على المضي والكسر على الاستئناف. قوله تعالى **ان اراد النبي ان يستنكحها** اي ان اراد ان يتزوجها فله ذلك. قوله تعالى **خالصة لك من دون المؤمنين** اي خاصة لك من دون المؤمنين وليس لامراة ان تهب نفسها لرجل بغير ولي ولا شهود ولا مهر الا النبي صلى الله عليه وسلم وهذا من خصائصه في النكاح كالتخيير والعدد في النساء ولو تزوجها بلفظ الهبة وقبلها بشهود ومهر انعقد النكاح ولزم المهر وهذا مذهب ابي حنيفة. وقال الشافعي ومالك لا ينعقد النكاح بلفظ الهبة الا للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه تعالى قال ان وهبت نفسها للنبي ولم يقل لك لانه لو قال ان وهبت نفسها لك كان يجوز ان يتوهم انه يجوز ذلك لغيره عليه السلام كما جاز في قوله وبنات عمك وبنات عماتك ولانه تعالى قال خالصة لك من دون المؤمنين. وحجة ابي حنيفة رحمه الله ان في اضافة الهبة الى المراة دليلا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن مخصوصا بالنكاح بلفظ الهبة وانما كان مخصوصا بجواز النكاح بغير بدل لانه لو لم يكن بلفظ الهبة لما كان قال تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها فلما جعل الله الهبة جوابا للاستنكاح علم ان لفظ الهبة نكاح لما قال تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها وقوله تعالى خالصة نعت مصدر محذوف تقديره ان وهبت نفسها هبة خالصة لك بغير عوض احللنا لك ذلك من دون المؤمنين فاما المؤمنون اذا قبلوا هذه الهبة على وجه النكاح لزمهم المهر. وقيل ان الخالصة نعت للمراة اي احللناها خالصة لك فلا تحل لغيرك من بعدك. وقد اختلفوا

في هذه المراة التي وهبت نفسها للنبي من هي فقال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة امراة من الانصار وكانت تسمى ام المساكين وقال الضحاك ومقاتل هي ام شريك بنت جابر من بني اسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت حكيم بن الاوقص من بني سليم. قوله تعالى **قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم** اي قد علمنا المصلحة للمؤمنين في ان لا يتزوجوا اكثر من الاربع ولا يتزوجوا بغير مهر وولي وشهود. قوله تعالى **وما ملكت ايمانهم** اي وقد علمنا ما فرضنا عليهم فيما ملكت ايمانهم حتى لا يجوز لهم التزويج بالمعتقة من غير مهر وحتى لا يباح لهم بملك اليمين كما ابيح للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان له الصفي من الغنيمة ولم يكن لغيره وقيل معناه وما ملكت ايمانهم ممن تجوز سبيه وحربه فاما من كان له عهد فلا. قوله تعالى **لكيلا يكون عليك حرج** اي ضيق في امر النكاح ومنع من شيء تريده وهذا فيه تقديم تقديره خالصة لك دون المؤمنين لئلا يكون عليك حرج اي احللنا ما ذكرنا لئلا يقع عليك الحرج والضيق. قوله تعالى **وكان الله غفورا رحيما** اي غفورا للنبي صلى الله عليه وسلم في التزويج بغير مهر رحيما به في تحليل ذلك له وقيل غفورا لمن يستحق المغفرة رحيما بالعباد فيما يصلح لدينهم ودنياهم. قوله تعالى **ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء** معناه ترجي من تشاء عن فراشك من نسائك وتضم الى فراشك من تشاء منهن من غير حرج عليك وهذا من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم ابيح له ان يجعل لمن احب منهن يوما او اكثر ويعطل من شاء منهن فلا ياتيها وكان القسم واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم والتسوية بينهن فلما نزلت هذه الاية سقط عنه الوجوب فصار الخيار اليه فيهن. وقال منصور عن ابي رزين كان ممن اوى عائشة وام سلمة وزينب وحفصة رضي الله عنهن وكان يسوي بينهن في القسم وكان ممن ارجى سودة وجويرية وصفية وام حبيبة وميمونة وكان يقسم لهن ما شاء وكان قد اراد ان يفارقهن فقلن له اقسم لنا ما شئت من نفسك ودعنا على حالنا. قوله تعالى **ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك** معناه ان اردت ان تؤوي اليك امراة ممن عزلتهن من القسمة وتضمها اليك فلا عتب عليك ولا لوم. قوله تعالى **ذلك ادنى ان تقر اعينهن** اي ذلك التخيير الذي خيرناك في صحبتهن ادنى رضاهن اذا كان منزلا من الله عليك ويرضين كلهن بما اعطيتهن من تقريب وارجاء وايواء. وقال قتادة اذا علمن ان هذا جاء من الله كان اطيب لانفسهن واقل لحزنهن **والله يعلم ما في قلوبكم** من امر النساء والميل الى بعضهن ويعلم ما في قلوبكم من الرضى والسخط وغير ذلك **وكان الله عليما** بمصالح العباد **حليما** على جهلهم لا يعاقبهم بكل ذنب. قوله تعالى **لا يحل لك النساء من بعد** قال قتادة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خير نساءه فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن فقصره الله عليهن وحرم عليه سواهن وكن يومئذ تسعا عائشة وحفصة وزينب وام سلمة وام حبيبة وصفية وميمونة وجويرية وسودة. ومعنى الاية لا تحل لك من النساء سوى هؤلاء اللاتي اخترنك وليس لك ان تطلق واحدة وتزوج بدلها. قوله تعالى **الا ما ملكت يمينك** يعني مارية القبطية وغيرها من السبايا. قوله تعالى **وكان الله على كل شيء رقيبا** اي حفيظا. وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء. قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه** نزلت هذه الاية في شان وليمة زينب. قال انس بن مالك لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش اولم عليها بتمر وسويق وذبح شاة وبعثت اليه امي ام سليم بحيس في تور من حجارة فامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادعو اصحابه الى الطعام فدعوتهم فجعل القوم يدخلون فياكلون ويخرجون ثم يجيء قوم اخرون فياكلون ويخرجون فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام ودعا فيه حتى شبعوا وخرجوا وبقيت طائفة منهم لم يخرجوا فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد فرغوا من طعامهم ولم يخرجوا خرج النبي صلى الله عليه وسلم وبقي اولئك القوم يتحدثون في البيت فاطالوا المكث وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لكي يخرجوا فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جميع بيوت ازواجه ثم رجع فاذا القوم جلوس يتحدثون في بيته وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فانزل الله هذه الاية. قال انس فلما نزلت اية الحجاب جئت لادخل كما كنت ادخل فقال صلى الله عليه وسلم وراءك يا انس. ومعنى الاية لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم اي الا ان تدعوا الى الضيافة او يؤذن لكم في الدخول من غير ان تتحينوا وقت الطعام فتستاذنوا في ذلك الوقت ثم تقعدوا انتظارا لبلوغ

الطعام ونضجه والمعنى غير ناظرين إناه أي منتظرين نضجه وإدراكه يقال أنى يأني إنى إذا حان وأدرك قيل كانوا يدخلون
بيته فيجلسون منتظرين لإدراك الطعام فنهوا عن ذلك قوله تعالى ولكن إذا دعيتم فادخلوا أي إذا دعيتم
إلى الطعام فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا أي فتفرقوا ولا تجلسوا ولا مستأنسين لحديث بعد أن تأكلوا أي لا تطيلوا المجالس
في منزل النبي صلى الله عليه وسلم إن ذلكم كان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فيستحيي منكم أن يأمركم بالخروج والله
عز وجل لا يستحيي من الحق أي لا يمتنع من بيان الحق مخافة استحيائكم وإن كان رسوله يفعل ذلك قوله تعالى وإذا
سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب أي وإذا سألتم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من متاع البيت فاطلبوه
من وراء الباب والستر قال تعالى أمر الله المؤمنين أن لا يكلموا نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلا من وراء حجاب وعن أنس رضي
الله عنه قال قال عمر يا رسول الله إنه يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت آية الحجاب وعن
عائشة رضي الله عنها قالت كان عمر يقول لرسول الله احجب نساءك فلم يفعل حتى نزلت هذه الآية وعن عامر رضي الله عنه
قال مر عمر رضي الله عنه على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهن احتجبن فإن لكن على النساء فضلا كما أن لزوجكن على
الرجال فضلا فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى نزلت آية الحجاب وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال أمر عمر بن الخطاب نساء النبي صلى
الله عليه وسلم بالحجاب فقالت زينب يا ابن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا وقال أنس كنت أدخل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بغير إذن فجئت يوما لأدخل فقال مكانك يا بني قد حدث بعدك أن لا تدخل علينا إلا بإذن وعن
إسمعيل بن حكيم في قوله تعالى فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث قال هذا أدب أدب الله به الثقلاء وقالت عائشة
رضي الله عنها حسبك من الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم فقال فإذا طعمتم فانتشروا قوله تعالى ذلكم أطهر لقلوبكم
وقلوبهن أي سؤالكم إياهن المتاع من وراء حجاب أطهر لقلوبكم وقلوبهن من الريبة وهذا الحكم في الحجاب وإن نزل في أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم فالمعنى عام فيه وفي غيره ونحن مأمورون باتباعه والاقتداء به إلا ما خصه الله به دون أمته قوله
تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله أي ليس لكم أن تؤذوه بالدخول في منزله بغير إذنه ولا بالحديث مع أزواجه
ولا بشيء من الأشياء مما لا يحل لكم ذلك قوله تعالى ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا نزلت في طلحة بن عبيد الله فإنه قال
يحجبنا محمد صلى الله عليه وسلم أن ندخل على بنات أعمامنا يعني عائشة وهما من بني تيم بن مرة ولئن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأتزوجن عائشة فحرم الله أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على عامة الناس من بعده كأمهاتهم في الإكرام والتحريم قوله
تعالى إن ذلكم كان عند الله عظيما أي إن الذي قلتم ومنعتم من تزويج أزواجه بعده ذنب كان عند الله عظيما
في الآخرة العقوبة قوله تعالى إن تبدوا شيئا أو تخفوه أي إن تظهروا ما في قلوبكم أو تضمروه فإن الله عالم بالظواهر والبواطن
والضمائر وقيل معناه إن تظهروا شيئا من أمرهن يعني طلحة وقوله تعالى أو تخفوه أي تسروه في أنفسكم وذلك أنه حدث
نفسه بتزويج عائشة وقوله تعالى فإن الله كان بكل شيء عليما أي عليم بكل شيء من السر والعلانية فلما نزلت آية الحجاب
قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله ونحن أيضا نكلمهن من وراء حجاب فأنزل الله تعالى قوله تعالى لا جناح عليهن
في آبائهن ولا أبنائهن الآية أي لا حرج عليهن في أن يراهن الآباء والأبناء ويدخلوا عليهن بغير حجاب ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن
فإن قيل لم لم يذكر الأعمام والأخوال قيل لأن العم والخال يجريان مجرى الوالدين في الرؤية فكان ذكرهما بأيضا يحكم الأعمام
والأخوال وقيل لأنه ربما يصف العم والخال لأبنائهما فكره أن يدخل أبناؤهما ولا يطمعا فيهن قوله تعالى ولا نسائهن قال ابن عباس يعني نساء
المؤمنين لأن نساء اليهود والنصارى يصفن لأزواجهن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إن رأينهن قوله تعالى ولا ما ملكت
أيمانهن يعني العبيد والإماء وقيل حمله على الإماء أولى لأن العبد والحر يختلفان فيما يباح لهما من النظر ولا يجوز
للحر من العبيد أن ينظر إلى شيء منها قوله تعالى واتقين الله إن الله أي اتقين الله أن يراكن غير هؤلاء وقيل
اتقين الله في الإذن لغير المحارم في الدخول عليهن إن الله كان على كل شيء شهيدا لم يغب عنه شيء قوله تعالى
إن الله وملائكته يصلون على النبي معناه أن الله يترحم على النبي ويثني عليه وقوله تعالى وملائكته أي وملائكته
يدعون له بالرحمة وقوله تعالى يصلون الضمير فيه يعود على الملائكة دون اسم الله تعالى لأن الله عز وجل يفرد ذكره عن

ذكر

ذكر غيره إعظاما كما تقدم في قوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وقرأ ابن عباس وملائكته بالرفع عطفا على محل قوله إن الله
قيل وجه ذلك أن ذلك نظير أن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقد مضى ذلك وقيل معنى قوله وملائكته يصلون
أي يثنون ويترحمون ويدعون له وقال بعضهم أما صلوة الله فالمغفرة وأما صلوة الملائكة فالاستغفار له قوله
تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما أي قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد تعظيما وإجلالا لأمره وعن
كعب بن عجرة قال لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسول الله كيف الصلوة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد
وعن عبد الله بن مسعود أنه قال إذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلوة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك
يعرض عليه قالوا فعلمنا ذلك قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين
وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون
والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد قوله تعالى وسلموا تسليما
يجوز أن يكون معناه والخضوع لأمره خضوعا ويجوز أن يكون معناه الدعاء بالسلام تقول السلام عليك يا رسول الله
وعن الحسن قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له يا رسول الله عرفنا السلام عليك فكيف الصلوة عليك قال قولوا
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد والأفضل
في هذا الباب أن تصلي على محمد وعلى آله جميعا فتقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فإن اقتصر على أحدهما جاز واختلفوا
في كيفية وجوب الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم تجب في العمر مرة واحدة بمنزلة الشهادتين وإلى هذا
ذهب الكرخي قال إذا صلى عليه في عمره مرة واحدة فقد أدى فرضه إلا أن المستحب لكل مسلم أن يكثر من الصلوة عليه في
تعالى حقه في الدين علينا كما يلزم المرء الدعاء لأبويه المؤمنين ليقضي بذلك الدعاء حقهما عليه وقال بعضهم تجب عليه
في كل مجلس مرة بمنزلة سجدة التلاوة وقال الطحاوي تجب عليه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم كلما ذكر واستدل
بما روي أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل عليك فلا غفر الله له وقال الشافعي
الصلوة عليه فرض في كل صلوة وهذا قول لم يقل به أحد غيره كذا في تفسير عبد الصمد قوله تعالى إن الذين يؤذون
الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة قال المفسرون هم المشركون واليهود والنصارى وصفوا الله
بالولد فقالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله وكذبوا رسوله وشجوا وجهه وكسروا رباعيته
وقالوا مجنون وشاعر وساحر وكذاب وقال صلى الله عليه وسلم ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله جعلوا له ندا
وجعلوا له ولدا وهو مع ذلك يعافيهم ويعطيهم ويرزقهم وكذلك قالت اليهود يد الله مغلولة وقالوا إن الله
فقير ومعنى يؤذون الله أي يخالفون أمر الله ويعصونه ويصفونه بما هو منزه عنه والله تعالى لا يلحقه ذلك
تعالى لعنهم الله أي أبعدهم الله يعني بالقتل والجلاء في الدنيا وبالنار في الآخرة وهو قوله تعالى وأعد
لهم عذابا مهينا أي هوان قوله تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا أي من غير أن
بما ليس فيهم قال قتادة والحسن إياكم وأذى المؤمن فإن الله يغضب له ويؤذي من آذاه وعن عبد الرحمن بن سمرة
قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقال رأيت الليلة عجبا رأيت رجالا يعلقون بألسنتهم فقلت من هؤلاء
يا جبريل فقال هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا قوله تعالى فقد احتملوا بهتانا أي كذبا
بالكذب احتملوا على أنفسهم وزرا وعقوبة قوله تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن أي قل لنسائك وبناتك والحرائر من النساء يلقين على رؤسهن ووجوههن من جلابيبهن والجلباب
هي المقنعة التي تستتر بها المرأة ما ظهر من العنق والصدر وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة قال المفسرون يغطين
رؤسهن ووجوههن إلا عينا واحدة وظاهر الآية يقتضي أن يكن مأمورات بالستر التام عند الخروج إلى الطريق فعليهن

أن يسترن بعض أبدانهن فيعرفن أنهن الحرائر قوله تعالى ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين معناه ذلك أقرب أن
يعرفن الحرائر من الإماء فلا يؤذين لأن الناس كانوا يتعرضون للإماء وربما زاحموا الحرائر وكان المنافقون
يمازحون الحرائر وإذا قيل لهم في ذلك قالوا حسبناهن إماء فأمر الله الحرائر بهذا النوع من الستر قطعاً لأعذار المنافقين
وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يضرب الإماء ويقول اكشفن رؤوسكن ولا تتشبهن بالحرائر ومرت جارية بعمر رضي الله عنه
متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع أتتشبهين بالحرائر ألقي القناع ويقال في معنى ذلك أدنى أن يعرفن أي أقرب
إلى أن يعرفن بالستر والصلاح فييأس منهن فساق الرجال فلا يطمعون فيهن لأن تطمعهم فيمن تتبرج وتكشف قوله
تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض أي لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض
يعني الفجور وهم الزناة وضعفاء الدين عن أذى المؤمنين والمرجفون في المدينة وهم قوم كانوا يوقعون في قلوب
بكراهة المؤمنين يقولون قد أتاكم العدو ويقولون لسراياهم إنهم قتلوا وهزموا ليحزن المؤمنون بذلك لئن لم ينتهوا
عن هذه الأفعال القبيحة لنغرينك بهم أي لنسلطنك عليهم ونأمرك بقتالهم حتى تقتلهم وتخلي عنهم المدينة وهو
قوله تعالى ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا أي في المدينة المعنى لا يسكنون في المدينة إلا يسيرا حتى يهلكوا ملعونين
مطرودين مبعدين من الرحمة أينما ثقفوا أي أينما وجدوا وأدركوا قوله تعالى ملعونين نصب على الحال وقدر
على الذم وتقدير النصب على الحال لا يجاورونك إلا وهم ملعونون مطرودون مبعدون وقوله تعالى أخذوا
وقتلوا تقتيلا أي أخذوا وقتلوا أمر تقدم وإلا أنه إذا أظهر أمر المنافقين كانوا بمنزلة الكفار من حق الكفار أن يقتلوا
حيث يوجدون قال قتادة أراد المنافقون أن يظهروا ما في قلوبهم من النفاق فأوعدهم الله في هذه الآية فكتموه
قوله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل أراد بالسنة الطريقة التي أمر الله بها وأتباعها وكذلك كانت هذه
السنة في الأمم الماضية إذا المنافقون نابذوا أنبياءهم أمر الله أنبياءه بقتالهم قال الزجاج سن الله في الذين ينافقون
الأنبياء ويرجفون بهم أن يقتلوا حيثما ثقفوا ولا يبدل الله سنته فيهم وهو قوله تعالى ولن تجد لسنة الله
تبديلا أي هكذا سنة الله فيهم إذا أظهروا النفاق قوله تعالى يسألك الناس عن الساعة قال الكلبي سأل
أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة وعن قيامها قوله تعالى قل إنما علمها عند الله أي قل لهم
إنما العلم بوقت قيامها عند الله لا يطلع أحد عليها قوله تعالى وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا أي أي شيء
يعلمك أن الساعة تكون قريبا ما تعدهم لأنه ظاهر المعنى قوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار أي تقلب
وجوه الكفار ظهرا لبطن وقد تقلب إلى السواد وقيل تقلب إلى الأقفية وقرأ أبو جعفر تقلب بفتح التاء يعني تتقلب
وقرأ عيسى بن عمر نقلب بالنون وكسر اللام وجوههم بالنصب قوله تعالى يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسو
لا في الدنيا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا أي رؤساءنا وعظماءنا فأضلونا السبيل أي صرفونا عن
الدين وعن سبيل الهدى وقرأ الحسن وابن عامر ويعقوب ساداتنا بالألف وكسر التاء على الجمع قوله تعالى ربنا آتهم
ضعفين من العذاب أي عذبهم مثلي عذابنا فيكون ضعف على كفرهم وضعف على دعائهم لنا إلى الضلالة و
والعنهم لعنا كبيرا قرأ عاصم كبيرا بالباء أي عظيما وقرأ الباقون بالثاء من الكثرة واختاره والكثير كقوله ويلعنهم
اللاعنون وقوله تعالى عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فهذا يشهد للكثرة. حدثنا محمد بن الحسن العسقلاني
قال سمعت محمد بن السري يقول رأيت كأني في المنام كأني في مسجد عسقلان وكان رجلا يناظرني ويقول والعنهم لعنا
كبيرا وأنا أقول كثيرا وإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم قد دخل علينا المسجد وكان في المسجد منارة لها باب وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يقصدها فقلت هذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت السلام عليك يا رسول الله استغفر لي فأمسك عني
فجئته عن يمينه فقلت يا رسول الله استغفر لي فأعرض عني فقمت من تلقاء صدره فقلت يا رسول الله حدثنا سفيان بن عيينة
عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أنك ما سئلت شيئا قط فقلت لا فتبسم عليه السلام ثم قال اللهم اغفر له فقلت يا رسول
الله أنا وهذا نتكلم في قوله والعنهم لعنا كثيرا فأنا أقول كثيرا وهو يقول كبيرا قال فدخل النبي صلى الله عليه وسلم

المنارة وهو يقول كثيرا كثيرا بالثاء إلى أن غاب عني صوته قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين
آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا أي لا تكونوا في أذى محمد صلى الله عليه وسلم كبني إسرائيل الذين آذوا موسى نسبوا إليه عيبا
الله فبرأه الله مما قالوا عليه وكان عند الله وجيها أي رفيع القدر والمنزلة واختلفوا في العيب الذي أضافه
بنو إسرائيل إلى موسى فقال بعضهم كان هارون أحب إلى بني إسرائيل من موسى لزيادة رفقه بهم فلما مات هارون في حال
غيبتهما عنهم قالوا إن موسى قتله لتخلص له النبوة فأحياه الله تعالى حتى كذبهم وقال بعضهم كان الأذى لهم أنهم
رموه بالأدرة لكثرة حيائه واستتاره عن الناس وكانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوءة بعض وكان موسى
يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر قال فذهب يغتسل مرة فوضع ثوبه على حجر فذهب
الحجر بثوبه فخرج موسى من الماء في أثر الحجر يقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوءة موسى عليه السلام
فقالوا والله ما بموسى من بأس فقام الحجر بعد ما نظر إليه وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال أبو هريرة والله إن بالحجر ندبا
ستة أو سبعة من ضرب موسى رواه مسلم في الصحيح قوله تعالى وكان عند الله وجيها أي حظيا لا يسأله شيئا إلا أعطاه
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا أي اتقوا عذاب الله بامتثال الأوامر واجتناب النواهي
وقولوا قولا مستقيما قال ابن عباس صوابا وقال الحسن صادقا يعني كلمة التوحيد لا إله إلا الله وقوله تعالى يصلح لكم
أعمالكم قال ابن عباس معناه يتقبل حسناتكم ويغفر لكم ذنوبكم بسداد قولكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز
فوزا عظيما أي فقد ظفر بالخير كله وظفر به والفوز العظيم هو الظفر بالكرامة والرضوان من الله تعالى قوله تعالى إنا
عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال معناه إنا عرضنا الأمانة التي هي الشرائع والفرائض التي تعلق بأدائها
الثواب وبتركها العقاب قال ابن عباس عرضت الأمانة على السماوات السبع التي زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم فقيل لها
أتأخذين الأمانة بما فيها قالت وما فيها قيل إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت قالت لا ثم عرضت على الأرضين
السبع اللاتي شيدت بالأوتاد وذللت للمهاد وأسكنت العباد فقيل لها أتأخذين الأمانة بما فيها قالت وما فيها قيل إن أحسنت
جوزيت وإن أسأت عوقبت قالت لا ثم عرضت الأمانة على الجبال الشم الشوامخ الصلاب البواذخ فأبين أن يحملنها
وأشفقن منها قال ابن جريج قالت السماء يا رب خلقتني وجعلتني سقفا محفوظا وأجريت في الشمس والقمر والنجوم لا أحمل
فريضة ولا أبتغي ثوابا ولا عقابا وقالت الأرض يا رب خلقتني بساطا ومهادا وشققت في الأنهار وأنبت في الأشجار
لا أحمل فريضة ولا أبغي ثوابا ولا عقابا ومعنى قوله فأبين أن يحملنها أي مخافة وخشية لا معصية ولا مخالفة والعرض
كان تخييرا لا إلزاما قوله تعالى وأشفقن منها أي خفن من الأمانة أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب فأبوا ذلك تعظيما لدين
الله تعالى وخوفا أن لا يقوموا به وقال لو أمرتنا لأطعنا مسخرات لا نريد ثوابا ولا عقابا قوله تعالى وحملها الإنسان
إنه كان ظلوما جهولا يعني وحملها آدم عليه السلام قال الله يا آدم إني قد عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال
فأبين أن يحملنها ولم يطقنها فهل أنت آخذها بما فيها قال يا رب وما فيها قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت
فحملها آدم وقال بين أذني وعاتقي قال ابن عباس عرض الله على آدم أداء الصلوات الخمس في مواقيتها وأداء الزكاة
في محلها وصيام رمضان وحج البيت على أن له الثواب وعليه العقاب فقال الله تعالى لآدم وما لي عندك فقال إن أحسنت وأطعت
ورعيت الأمانة فلك الكرامة وحسن الثواب في الجنة وإن عصيت وأسأت فإني معذبك ومعاقبك قال فقد رضيت
وتحملها فقال الله عز وجل قد حملتكها قوله تعالى وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا قال الكلبي ظلوما حين
عصى ربه وأخرج من الجنة وجهولا حين حملها وقال مقاتل ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة ما تحمل وقال مجاهد لما خلق الله
السماوات والأرض والجبال عرض الأمانة عليها فلم تقبلها فلما خلق الله آدم عرضها عليه قال قد حملتها يا رب قال مجاهد
فما كان بين أن حملها وبين أن خرج من الجنة إلا قدر ما بين العصر والظهر وعن ابن عباس أنه قال قال الله يا آدم إني عرضت
الأمانة على السماوات والأرض فلم تطقها فهل أنت حاملها بما فيها قال يا رب وما فيها قال إن حفظتها أجرت وإن ضيعتها
عوقبت قال قد حملتها فما بقي في الجنة إلا قدر ما بين الظهر والعصر حتى خرج منها وقال زيد بن أسلم الأمانة هي الصوم

وانما عظم امر الخيانة وقال بعضهم هي امانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن ان لا يغش مؤمنا ولا معاهدا في شيء قليل ولا
كثير وقال السدي هي ائتمان آدم ابنه قابيل على اهله وولده وذلك ان آدم عليه السلام لما اراد ان يخرج الى مكة قال
للسماء احفظي ولدي بالامانة فابت وقال للارض كذلك فابت وقال للجبال كذلك فابت فقال لابنه قابيل احفظهم
بالامانة فقال نعم تذهب وترجع فتجد اهلك كما يسرك فانطلق آدم ورجع وقد قتل قابيل هابيل فذلك قوله تعالى
وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا يعني قابيل حين حمل امانة ابيه ثم لم يحفظها قوله تعالى ليعذب الله المنافقين
والمنافقات اي ليعذبهم الله بما خانوا الامانة وكذبوا الرسل ونقضوا الميثاق الذي اقروا به حين اخرجوا
من ظهر آدم قال الحسن هؤلاء الذين خانوها وهم الذين ظلموها قوله تعالى ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات
لانهم ادوا الامانة وهي الفرائض وقيل معنى الآية انا عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافقين وشرك المشركين فيعذبهم
وليظهر ايمان المؤمنين فيتوب عليهم اي يعود عليهم بالمغفرة والرحمة ان حصل منهم تقصير في بعض الطاعات ولذلك
ذكر بلفظ التوبة فدل على ان المؤمن العاصي خارج من العذاب وكان الله غفورا للمؤمنين اذا تابوا رحيما بهم اذا عاقبهم

سورة سبا خمسون واربع آيات

وهي الف وخمسمائة واثنا عشر حرفا وثمانمائة وثلاثون كلمة وخمس وخمسون آية قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبا
لم يبق نبي ولا رسول الا كان يوم القيامة له رفيقا ومصافحا • والله عز وجل اعلم •

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض الحمد لله هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم وقوله تعالى الذي له ما
في السموات وما في الارض يعني له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا وله الحمد في الآخرة اي يحمده اهل الآخرة على دوام
نعمه عليهم كما يحمده اهل الدنيا لكن الحمد في الدنيا تعبد وفي الآخرة شكر على سبيل الارادة لانه لا تكليف في الآخرة يقول اهل
الآخرة الحمد لله الذي صدقنا وعده والحمد لله الذي هدانا لهذا والحمد لله الذي اذهب عنا الحزن والنعم في الدارين كلها منه
قوله تعالى وهو الحكيم الخبير اي الحكيم في افعاله الخبير باحوال العباد وقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض
وما يخرج منها اي يعلم ما يدخل في الارض ويغيب فيها من المطر والحيوانات الميتة ويعلم ما يخرج منها من انواع النبات
والزرع وغير ذلك مما لا يعلمه الا هو ويعلم ما ينزل من السماء من الامطار التي هي سبب ارزاق العباد ويعلم ما يعرج
في السماء اي ما يصعد فيها من الملائكة الحفظة لديوان العباد وما يرتفع فيها من الرياح والحر والبرد ويعلم ما يصعد فيها من
اعمال العباد يقال عرج يعرج اذا صعد وعرج يعرج اذا صار اعرج وقوله تعالى وهو الرحيم الغفور اي الرحيم
بعباده الغفور لمن استحق المغفرة قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة اي قال الكفار لا تأتينا القيامة
قل لهم يا محمد بلى وربي لتأتينكم على ما اخبر الله تعالى عالم الغيب قرأ حمزة والكسائي علام الغيب بخفض الميم
على وزن فعال على المبالغة كقوله علام الغيوب وقرأ نافع وابن عامر عالم برفع الميم على تقدير هو عالم وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وعاصم عالم بالكسر نعتا لقوله وربي قوله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة اي لا يغيب عنه ولا يبعد عليه معرفة
وزن ذرة في السموات ولا في الارض وخص الذرة بالذكر لانها اصغر شيء يدخل في وهم البشر وهو اشارة الى انه سبحانه
وتعالى لا يخفى عليه ما هو دون الذرة والمعنى ان الله يعلم كل شيء دق او جل قوله تعالى ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا
في كتاب مبين الكتاب المبين في هذه الآية هو اللوح المحفوظ قوله تعالى ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات معناه
لتأتينكم الساعة ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات على اعمالهم بالمغفرة والرزق الكريم اي الثواب الحسن في الجنة
وقوله تعالى والذين سعوا في آياتنا معاجزين اي سعوا في ابطالها بجحدها وضعفها بالتكذيب لها والطعن فيها مقدرين انهم
يسبقوننا ويعاجزون الرسول صلى الله عليه وسلم اولئك لهم عذاب من رجز اليم عذاب مؤلم والرجز اسوأ العذاب
قرأ ابن كثير اليم بالرفع على نعت العذاب وقرأ الباقون بالخفض على نعت الرجز قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الذي

انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد اول هذه الآية عطف على قوله ليجزي اي وليعلم الذين
اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك وهو القرآن وانه يهدي الى العزيز المنتقم لمن لا يؤمن به الحميد لمن وحده اي يهدي الى
دين الله وقوله تعالى الذين اوتوا العلم يعني مؤمني اهل الكتاب وقال قتادة يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
تعالى هو الحق انما دخلت هو في الموضع للفصل عند البصريين ويسمى ذلك عمادا لانه لا يدخل العماد الا في المعرفة وقال الشاعر
ليس الشباب هو الرجيع على الفتى • والشيب كان هو البدئ الاول • قوله تعالى وقال الذين كفروا هل ندلكم على
رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد اي قال كفار مكة على وجه التعجب والانكار اي قال بعضهم
لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يزعم انكم تبعثون بعد ان تكونوا عظاما ورفاتا وذلك قوله تعالى
ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد اي يقول لكم اذا بليتم وتقطعت اوصالكم وانتم متى صرتم ترابا تعودون وقوله
تعالى كل ممزق واذا فرقتم في الارض وذهبت العظام والجلود كل تفريق انكم لفي خلق جديد اي تجدد خلقكم بان تبعثوا وقوله
تعالى افترى على الله كذبا هذا من قول الكفار بعضهم يقول لبعض قالوا افترى محمد على الله كذبا حين زعم انا نبعث
بعد الموت ام به جنة اي جنون يقول ذلك كذبا ام به جنون فرد الله عليهم مقالتهم بقوله تعالى بل الذين
لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد اي ليس الامر على ما قالوا من الافتراء والجنون كانه قال ليس هذا كذلك
ولكن الذين لا يؤمنون بالبعث في الآخرة في العذاب والخطأ البعيد في الدنيا قوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم
وما خلفهم من السماء والارض معناه ان سماءنا محيطة بهم والارض حاملة لهم ان نشأ نخسف بهم الارض او
نسقط عليهم كسفا فما تحذرون هذا فترتدعون عن التكذيب بآياتنا والمعنى ان الانسان حيث ما نظر رأى السماء فوقه والارض
قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله فكانه تعالى قال ان ارضي وسمائي محيطة بهم وانا القادر عليهم ان شئت
خسفت بهم وان شئت اسقطت عليهم قطعة من السماء قرأ حمزة والكسائي وخلف يشأ ويخسف ويسقط بالياء لذكر
الله تعالى قبله وقوله تعالى افترى الف استفهام دخل على الف الوصل فلذلك نصب وقوله تعالى ان في ذلك لآية لكل
عبد منيب اي ان فيما ذكر من صنعه وقدرته وفيما ترون من السماء والارض لعلامة تدل على قدرة الله على البعث وعلى
ما يشاء من الخسف بهم لكل عبد راجع الى الله ومنيب الى طاعته ويتأمل ما خلق قيل المنيب الراجع الى الله تعالى بقلبه
وقوله وفعله فاذا نوى نوى لله واذا قال قال لله واذا عمل عمل لله قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان منا
فضلا يعني النبوة والكتاب والملك وقوله تعالى يا جبال اوبي معه اي سبحي معه اذا سبح فكان داود عليه السلام
اذا سبح سبحت الجبال معه حتى سمع صوت تسبيحها وقرئ أوبي معه اي عودي في التسبيح معه كلما عاد فيه وقال القتيبي اصله
من التأويب في السير وهو ان يسير بالليل كله كانه اراد اوبي النهار كله بالتسبيح معه وقيل سيري معه كيف شاء وقوله تعالى والطير
قراءة العامة بالنصب وله وجوه احدها بالفعل تقديره وسخرنا له الطير كقولك اطعمته طعاما وماء اي اسقيته ماء والثاني
بالنداء بالعطف على موضع الجبال لان موضع كل منادى النصب والثالث نزع الخافض كانه قال اوبي معه ومع الطير
كما تقول لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها اي مع فصيلها وقرأ يعقوب والطير بالرفع عطفا على الجبال وقيل على لفظ
قال الشاعر • الا يا زيد والضحاك سيرا • فقد جاوزتما خمر الطريق • يروى هذا البيت بنصب الضحاك
ورفعه وقوله تعالى والنا له الحديد اي جعلناه له لينا يضربه كيف شاء من غير نار ولا مطرقة وكان عنده
مثل الشمع والطين المعجون قوله تعالى ان اعمل سابغات اي قلنا له اعمل دروعا واسعات تامات يجرها
لابسها على الارض وكان داود عليه السلام اول من عمل الدروع والسابغ هو الذي يغطي كل ما على الرجل حتى يفضل
وكان داود يبيع كل درع باربعة آلاف فيأكل ويطعم عياله ويتصدق على الفقراء والمساكين قوله تعالى وقدر في السرد
اي اجعل حلق الدرع متتابعة متناسقة بعضها الى بعض على مقدار معلوم لا يتفاوت على وجه لا ينفذ فيه السهام ولا
السنان يقال سرد الكلام اذا ذكره بالتأليف على وجه يحصل به الفائدة ومن هذا يقال لصانع الدروع زراد
وسراد والسرد والزرد الوصل وقال بعضهم السرد شكك المسامير في الحلق اي لا تجعل المسامير رقاقا فتقلق ولا غلاظا

فتكسر الحلق واجعله على قدر الحاجة والقول الاول اقرب الى الآية يعني ان الدروع التي عملها داود كانت خير اللباس لانها كانت معجزة له قوله تعالى واعملوا صالحا اي يا آل داود اعملوا صالحا فيما نعطيكم من ربكم انى بما تعملون بصير من شكر وطاعة قوله تعالى ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر اي وسخرنا لسليمان الريح كانت تحمل سريره فتذهب في الغدو مسيرة شهر وترجع في الرواح مسيرة شهر وقال الفراء انتصب الريح على المعنى اي وسخرنا لسليمان الريح وقرأ عاصم الريح بالرفع على معنى وله تسخير الريح والمعنى ان الريح كانت تسير في اليوم مسيرة شهرين للراكب المسرع قوله تعالى واسلنا له عين القطر اي اذبنا له عين النحاس فسالت له ثلثة ايام كما يسيل الماء وانما ينتفع الناس منه بما اخرج الله لسليمان وكان قبل سليمان لا يذوب والقطر الرصاص قوله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه اي وسخرنا له من الجن من يعمل بين يديه من القصور والبنيان باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا اي من يمل من الشياطين الذي امرناه من الطاعة لسليمان نذقه من عذاب السعير اي من عذاب النار الموقدة وقيل ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه ضربة احرقته قوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل اي يعملون لسليمان ما يشاء من محاريب اي مساجد كانوا يصلون فيها ويقال ايضا المحاريب الغرف والمواضع الشريفة ويقال ايضا ... فيوضع في الدار محراب والمحراب مقدم كل مجلس وبيت قوله تعالى وتماثيل اي تمثالا لكل شيء يعني صورا من نحاس وزجاج ورخام كانت الجن تعملها وكانوا يصورون له الانبياء والملائكة في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة وهذا يدل على ان التصوير كان مباحا في ذلك الزمان ثم صار حراما في شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم كما روي في الحديث ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة وروي لعن الله المصورين ما صوروا قوله تعالى وجفان كالجواب الجفان جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة من الصحفة وقوله كالجواب اي كالجفان اي كالحياض العظام يعني كحياض الابل والجوابي جمع الجابية ويسمى الحوض جابية لانه يجبي الماء اي يجمعه والجابية جمع الماء قيل انه كان يجتمع على جفنة واحدة الف رجل ياكلون منها قوله تعالى وقدور راسيات اي ثابتات عظام من الحجر كالجبال لا ترفع من اماكنها ولكن توقد تحتها حتى تطبخ ما فيها الاطعمة فياكل سليمان لانه كانت هذه الاعمال التي يعملونها معجزة لسليمان قوله تعالى اعملوا آل داود شكرا اي قلنا لهم اعملوا بطاعة الله شكرا له على هذه النعم التي انعم عليكم وقيل انتصب قوله شكرا على المصدر قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور اي قليل من عبادي من يشكرني لان الشاكرين وان كثروا فقليل في جنب من لم يشكر قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منسأته وذلك ان سليمان عليه السلام كان يتعبد طول الايام في الصوامع وكان اذا اعيا اتكأ على عصاه فاتكأ ذات يوم على عصاه فقبض الله روحه فبقي على تلك الحالة سنة والجن في اعمالهم كما هم ولم تعرف الجن ذلك لانهم كانوا لا ينظرون اليه هيبة له قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منسأته دابة الارض هي الارضة التي تاكل الخشب قوله تعالى تاكل منسأته اي عصاه التي كان يتكئ عليها قوله تعالى فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اي فلما سقط سليمان لما اكل الارضة عصاه تبين الجن للناس اي ظهر انهم لا يعلمون الغيب فلما علموا ما عملوا سنة وهو ميت فذلك قوله تعالى ما لبثوا في العذاب المهين اي في الجهد من اعمالهم الشاقة التي كانوا يعملونها في عمارة بيت المقدس وغيره فلما علموا موته بسقوط العصا تركوا الاعمال كلها ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تاكلين الطعام لاتيناك باطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب لاتيناك باطيب الشراب ولكنا سننقل اليك الطين والماء فهم ينقلون اليها ذلك حيث كانت فما رأيت من الطين في جوف الخشب فهو مما نقلته الشياطين اليها شكرا لها وسميت العصا منسأة لانها ينسأ بها الغنم وغيرها اي يؤخر ويطرد ويقال نسأ الله في اجله اي اخره الله في اجله وقرأ نافع وابو عمرو منساته بلا همز وقرأ ابو عمرو ونافع بترك الهمز وهما لغتان وقوله تعالى ان لو كانوا يعلمون الغيب ان في موضع الرفع لان معنى الكلام فلما خر تبين وانكشف ان لو كان الجن يعلمون الغيب اي ظهر انهم وقيل موضع النصب بعد نزع على وانتسب الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب وكان الانس قبل هذا يظنون ان الشياطين

يعلمون

يعلمون الغيب فلما تبين للانس ظهر لهم انهم لو علموا انهم لا يعلمون ذلك قال اهل التاريخ كان عمر سليمان ثلثا وخمسين سنة ومدة ملكه اربعون سنة وملك يوم ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وابتدا في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه وكان عمر داود عليه السلام مائة سنة ... قوله تعالى لقد كان لسبا في مساكنهم آية جنتان عن فروة بن مسيك انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن سبا ما هو فقال هو رجل من العرب ولد عشرة اولاد تيامن منهم ستة وتشاءم منهم اربعة فاما الذين تشاءموا فعاملة وغسان ولخم وجذام والمراد بسبا القبيلة الذين هم من اولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان قوله تعالى في مساكنهم آية اي كان مساكنهم بمارب من اليمن آية علامة تدل لهم على قدرة الله تعالى وان المنعم عليهم هو الله تعالى ثم فسر تلك الآية فقال جنتان عن يمين وشمال اي عن يمين واديهم وشماله كانتا قد احاطتا بذلك الوادي الذي من مساكنهم والمعنى لقد كان لاهل سبا في مواضعهم علامة وهي الجنتان اي بستانان احدهما عن يمين الطريق والاخرى عن يسار الطريق ويقال كان بستانين عن يمين الطريق وبستانين عن شمال الطريق الا ان البساتين كل واحد من الجانبين سمي جنة لانها بعضها ببعض وكانوا في النعمة حتى كانت المرأة تمشي في تلك الطريق بين البساتين وعلى راسها الزنبيل فيمتلي من الوان الفواكه من غير ان تمس شيئا بيدها قرأ حمزة والكسائي وحفص في مسكنهم بفتح الكاف على الواحد وقرأ الاعمش والكسائي وخلف مسكنهم بكسر الكاف على الواحد ايضا وقرأ الباقون مساكنهم على الجمع قوله تعالى كلوا من رزق ربكم اي قيل لهم كلوا من رزق ربكم يعني هذه النعم واشكروا له اي لله على نعمه هذه وهذا احد الكلام ثم ابتدا قوله تعالى بلدة طيبة ورب غفور اي هذه بلدة طيبة او لكم بلدة طيبة يعني ليست بسبخة ولم يكن في جنتها بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وان الرجل الغريب ليأتيها وفي ثوبه القمل والدواب فحين يرى بيوتهم يموت الدواب والقمل والمعنى بلدة طيبة الهواء قوله تعالى ورب غفور اي غفور الخطايا لكم العطايا قوله تعالى فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم اي فاعرضوا عن الحمد لله وكذبوا انبياءهم ولم يشكروا نعم الله وقالوا لا نعرف لله تعالى نعمة علينا فقالوا لانبيائهم قولوا لربكم الذين تزعمون انه منعم ليحبس عنا نعمه ان استطاع قال وهب بعث الله الى سبا ثلثة عشر نبيا فدعوهم الى الله وذكروهم نعمه وخوفوهم عقابه فكذبوهم وقالوا لا نعرف لله علينا نعمة قوله تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم قال ابن الاعرابي العرم السيل الذي لا يطاق وقال مقاتل العرم اسم وادي سبا وقيل العرم المطر الشديد الذي يأتي منه سيل لا يطاق وقيل عرمة الماء ذهابه في كل مذهب وقيل العرم هو الفار الذي نقب السد عليهم وصفته ذلك ان الماء كان يأتي ارض سبا من الشحر واودية اليمن فردموا ردما بين جبلين وحبسوا الماء وجعلوا لذلك الردم ثلثة ابواب بعضها فوق بعض وكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الباب الثاني ثم من الباب الاسفل ولا ينفد الماء حتى ياتي ماء السنة الثانية فاخصبوا وكثرت اموالهم فلما كذبوا الرسل بعث الله عليهم جرذا نقبت ذلك الردم فانفتح الماء عليهم وعلى جنتيهم فدفن السيل بيوتهم واغرق جنتيهم وخربت ارضهم قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين اي ابدلناهم بالجنتين اللتين اهلكناهما جنتين ذواتي اكل خمط والاكل اسم لما يؤكل والخمط شجر الاراك ويقال الخمط كل نبت قد اخذ طعما من مرارة لا يمكن اكله وقيل هو ثمر ذات شوك قرأ ابو عمرو ويعقوب اكل خمط بالاضافة وقرأ الباقون اكل بالتنوين وهما متقاربان في المعنى قوله تعالى واثل والاثل ما عظم من شجر الطرفاء قوله تعالى وشيء من سدر قليل والسدر اذا كان بريا لا ينتفع به ولا يصلح ورقه للغسول كما يكون ورق السدر الذي ينبت على الماء ومعنى قوله تعالى وشيء من سدر قليل يعني ان الخمط والاثل كان اكثر في الجنتين المبدلتين من السدر قال قتادة كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر باعمالهم والسدر هو شجر النبق قوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا اي جزيناهم ذلك التبديل والتخريب بكفرهم بنعم الله تعالى قوله تعالى وهل نجازي اي هل نجازي مثل هذه العقوبة في تعجيل سلب النعمة الا الكفور اي الا الكافر المعاند وقيل معناه ان المؤمن يكفر عنه ذنوبه بطاعاته والكافر يجازى على كل سيئة عملها

وسكنها في لسبائه وقرأ أهل الكوفة نجازي بالنون وكسر الزاي ونصب الكفور قوله تعالى جزيناهم ولم يقل جزوا
يجازى إلا بالياء مضمومة ورفع الكفور وقوله تعالى لقد كان لسبإ من قرأ بالنصب فهو اسم قبيلة فلهذا لم ينصرف
ومن نونه وخفضه فهو اسم لرجل قوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة أي
جعلنا بين أهل سبا وبين قرى الأرض التي باركنا فيها قرى ظاهرة أي جعلنا بين أهل سبا وبين قرى الشام التي
باركنا فيها قرى الأرض المقدسة باركنا فيها بالماء والشجر يعني قرى مصر وقوله تعالى قرى ظاهرة أي قرى متقاربة
متصلة إذا خرج الرجل من واحدة من القرى ظهرت له الأخرى وكانوا لا يحتاجون في سيرهم إلى الشام إلى زاد وكانت
المرأة تخرج ومعها مغزلها وعلى رأسها مكتلها فلا ترجع إلى ساعة ولا ترجع من بيتها حتى يمتلئ مكتلها من الثمار وكان
بين الشام وأرض سبا أربعة آلاف قرية قوله تعالى وقدرنا فيها السير أي جعلنا القرى على مسافة مقدرة بقدر السير المعتاد
على قدر المقيل والمبيت من قرية إلى قرية أنعمنا عليهم في سيرهم كما أنعمنا عليهم في مساكنهم جميع ما يخاف في الطريق وغيره
[illegible] وقدرنا فيها السير من القرية إلى القرية مقدارا واحدا نصف يوم وقلنا لهم سيروا فيها في تلك القرى ليالي
وأياما لا يختلف عليهم [illegible] آمنين من الجوع والعطش والسباع والتعب من كل خوف ثم إنهم بطروا النعمة
وسألوا أن تكون القرى والمنازل بعضها أبعد من بعض فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا أي اجعل
بيننا وبين الشام فلوات ومفازات لنركب فيها الرواحل ونتزود الأزواد وذلك أنهم قالوا لو كانت أبعد مما
هي لكان أجدر أن نشتهيها واجعل بين منازلنا [illegible] مقصدنا المفاوز تعالى فكانت هذه مسألة تجارهم [illegible]
في أموالهم قرأ ابن كثير وأبو عمرو بعّد على وجه الدعاء وقرأ ابن الحنفية ويعقوب ربُّنا برفع الباء باعدَ بالألف وفتح
العين والدال على الخبر استبعدوا أسفارهم بطرا منهم وأشرا وقرأ الباقون ربَّنا بنصب الباء باعِد بالألف وكسر العين
وجزم الدال على الدعاء [illegible] قوله تعالى وظلموا أنفسهم
يعني بترك الشكر والطاعة وقيل بالكفر فجعلناهم أحاديث لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم ولم يبق منهم ولا
من ديارهم أثر قوله تعالى ومزقناهم كل ممزق أي فرقناهم في البلاد المختلفة كل تفريق وذلك أنهم تفرقوا
في البلاد وصاروا [illegible] يتمثل بهم العرب يقولون تفرقوا أيدي سبا وأيادي سبا [illegible] غسان
فلحقوا بالشام وأما الأنصار فلحقوا بيثرب وأما خزاعة فلحقوا بتهامة وأما الأزد فلحقوا بعمان وكان غسان
من ملوك الشام قوله تعالى إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور أي إن فيما فعلنا بسبا لآيات أي لعبرا ودلالات
لكل صبار عن معاصي الله [illegible] قوله تعالى ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا
من المؤمنين قرأ أهل الكوفة صدّق بالتشديد أي ظن فيهم ظنا حين قال لأغوينهم أجمعين ولا تجد أكثرهم
شاكرين فصدق ظنه وحققه بفعله ذلك [illegible] وقرأ الآخرون صدق بالتخفيف أي صدق عليهم في ظنه بهم
وقوله تعالى عليهم أي على أهل سبا وقال مجاهد على الناس كلهم إلا من أطاع الله عز وجل فاتبعوه إلا فريقا من
المؤمنين وهم الذين قال الله إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وقيل إن إبليس لما وسوس إلى آدم وعمل فيه
وسوسته طمع في ذريته [illegible] كيف لا أعمل في ذريته وأخبر الله [illegible]
إن الغرور أسمع فصدق ظنه إلا طائفة من المؤمنين لم يتبعوه في شيء وقيل إن إبليس لما سأل النظرة فأنظره
الله تعالى قال لأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم ولم يكن في وقت هذه المقالة مستيقنا وإنما قاله ظنا منه فلما اتبعوه
وأطاعوه صدق عليهم ظنه قوله تعالى وما كان له عليهم من سلطان أي ما كان لإبليس عليهم من حجة [illegible]
[illegible] قوله تعالى إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك أي ما كان تسليطنا إياه
عليهم إلا لنعلم المؤمنين من الشاك [illegible] ليعلم إيمان المؤمن ظاهرا وكفر الكافر ظاهرا
وقد ذكر العلم والمراد به الإظهار قوله تعالى وربك على كل شيء حفيظ أي هو العالم بكل شيء من الإيمان والشك
ونحو ذلك — قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض

أي قل لكفار مكة ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله وقال مقاتل أي ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي
نزل بكم في سنين الجوع وقيل معناه ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة لكم لكي يرزقوكم ويدفعوا عنكم الشدائد ثم وصف
أنهم لا يملكون مثقال ذرة أي لم يخلقوا زنة مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض من شرك في خلقهما قوله تعالى وما
له منهم من ظهير أي وما لله تعالى منهم من معين فيما خلق قوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن
له أي لا تنفع شفاعة ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا أحد حتى يأذن الله له في الشفاعة وهذا تكذيب من الله تعالى
لهم حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف أُذن بضم الألف وقرأ غيرهم بالفتح فمن
فتح كان المعنى لمن أذن الله له في الشفاعة وكذلك من قرأ بالضم لأن الآذن هو الله تعالى في القراءتين جميعا قوله تعالى
حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قرأ ابن عامر ويعقوب فزع
بفتح الفاء والزاي وقرأ غيرهما بضم الفاء وكسر الزاي والمعنى حتى إذا كشف الفزع والجزع عن قلوبهم ومن قرأ
بالفتح فالمعنى حتى إذا كشف الله الفزع عن قلوبهم واختلفوا في هذه الكناية والموصوفين بهذه الصفة من هم وما
السبب الذي من أجله فزع عن قلوبهم فقال قوم هم الملائكة واختلفوا في سبب ذلك فقال بعضهم إنما فزع عن قلوبهم
من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل قال عبد الله بن مسعود إذا تكلم الله تعالى بالوحي سمع أهل السماء صلصلة
مثل صلصلة السلسلة على الصفوان فيصعقون لذلك ويخرون سجدا فإذا علموا أنه وحي فزع عن قلوبهم فيرد إليهم [illegible] فينادي
أهل السموات بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال إن الله تعالى إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون
كذلك حتى يأتيهم جبريل فيقولون له ماذا قال ربك فيقول الحق وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن
قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تكلم الله بالوحي أخذت السموات
منه رجفة أو رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا سجدا فيكون أول من يرفع
رأسه جبريل عليه السلام فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريل بالملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا
جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله وقال
مقاتل والكلبي لما كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة وخمسون عاما وقيل ستمائة عام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
كلم الله جبريل بالرسالة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فسمعت الملائكة الصوت بالوحي فظنوا أنها القيامة قد قامت فصعقوا لما سمعوا
فلما انحدر جبريل بالرسالة جعل أهل كل سماء [illegible] على وجه [illegible] بعد ما انكشف الفزع عن قلوبهم قالوا ماذا
قال ربكم قال جبريل ومن معه قال الحق وقيل لما سمعت الملائكة الوحي صعقوا وخروا سجدا ظنا أنها القيمة فلما
نزل جبريل بالوحي انكشف فزعهم ورفعوا رؤوسهم وقال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا الحق يعني الوحي وهو العلي
الكبير أي الغالب القاهر السيد المطاع الكبير العظيم فلا أحد أعظم منه وقرأ الحسن حتى إذا فرغ عن قلوبهم بالغين المعجمة
والراء يعني فرغت قلوبهم من الفزع وذهب بعض المفسرين إلى أن قوله حتى إذا فزع عن قلوبهم راجع إلى المشركين فإنهم إذا
شاهدوا أهوال يوم القيامة غشي عليهم ثم يزيل الله ذلك عن قلوبهم ثم تقول لهم الملائكة ماذا قال ربكم في الدنيا فيقولون
الحق فأقروا حين لا ينفعهم الإقرار قوله تعالى قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله أي قل يا محمد لكفار مكة
من يرزقكم من السموات المطر ومن الأرض النبات والثمر وإنما أمره بهذا السؤال احتجاجا عليهم لأن الذي يرزق هو
المستحق للعبادة لا غيره وذلك أنه إذا استفهمهم عن الرزاق لم يمكنهم أن ينسبوا رزقا إلى غير الله فيتحيروا في الجواب
فعلم النبي صلى الله عليه وسلم بالجواب فقال لهم إن الذي يرزقكم هو الله عز وجل ثم تم الكلام ثم أخبر أن تحيرهم
إنهم على الضلال لعبادة غير الله تعالى بقوله تعالى وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين وهذا على وجه

الانصاف في الحجة كما يقول القائل من المتنازعين أحدنا كاذب وهو يعلم أنه صادق وصاحبه كاذب
والمعنى ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال فالنبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه على
الهدى ومن خالفه في ضلال مبين قوله تعالى قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون أي قل
يا محمد للكفار لا تؤاخذون بجرمنا ولا نؤاخذ بجرمكم فانظروا لأنفسكم واعلموا أن حرصنا على إيمانكم وهذا
على وجه التبري منهم ومن كفرهم قوله تعالى قل يجمع بيننا ربنا يعني يوم القيامة في الآخرة في المحشر ثم يفتح بيننا
بالحق أي ثم يقضي بيننا ويحكم بيننا بالعدل وهو الفتاح العليم أي وهو القاضي العليم بما يقضي قوله تعالى
قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا أي قل لهم أروني الذين ألحقتموهم بالله تعالى وجعلتموهم شركاء له في العبادة
هل لهم قدرة على الخلق والأمر وهل يخلقون ويرزقون قوله تعالى كلا كلمة ردع وزجر أي ارتدعوا عن هذا الكلام
وانزجروا فإنكم لا تقدرون أن تجعلوا لله شركاء بل هو الله العزيز الحكيم أي المنيع الغالب لكل شيء الحكيم
في تدبير خلقه فأنى يكون له شريك في ملكه وقيل معناه قل أروني الذين ألحقتم بالله في العبادة معه شركاء هل
يخلقون كلا لا يرزقون ولا يخلقون بل الله يخلق ويرزق هو الله العزيز في ملكه الحكيم في أمره قوله تعالى وما
أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا أي وما أرسلناك يا محمد إلا للناس كافة أي كلهم أحمرهم وأسودهم وقيل
معناه إلا مانعا للناس من الكفر والضلال والكاف على هذا هي للمبالغة والهاء فيها للمبالغة كالراوية والعلامة
بشيرا بالجنة لمن أطاع الله ونذيرا أي محذرا بالنار لمن كفر بالله ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعني أهل
مكة لا يتدبرون القرآن ولو تدبروا لعلموا قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد أي يقول الكفار متى هذا الوعد
الذي تخوفنا به من البعث والعذاب إن كنتم صادقين في مقالتكم قل لكم ميعاد يوم أي قل لهم
وعدا لكم يوم لا يؤخر عن وقت الوعد ولا يقدم وهو يوم القيامة قوله تعالى وقال الذين كفروا لن نؤمن
بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه أي قال الكفار لن نصدق هذا القرآن ولا بالذي بين يديه من أمر الآخرة والنشأة
الثانية وقيل معناه ولا بالذي بين يديه يعنون التوراة والإنجيل وذلك أنه لما قال مؤمنو أهل الكتاب إن صفة
محمد صلى الله عليه وسلم في كتابنا وهو نبي مبعوث كفر أهل مكة بكتابهم قوله تعالى ولو ترى إذ الظالمون موقوفون
عند ربهم أي ولو ترى يا محمد مشركي مكة محبوسون في أرض المحشر للحساب يوم القيامة يتجاوبون فيما بينهم يرد بعضهم
على بعض القول في الجدال ويحمل كل واحد منهم الذنب على صاحبه فيقول الأتباع لرؤسائهم لولا أنتم ودعاؤكم
إيانا إلى الكفر لكنا مؤمنين كفرنا بل أنتم منعتمونا وصددتمونا عن الإيمان فأجابهم رؤساؤهم على وجه الإنكار
أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين باختياركم الكفر على الإيمان فقال الأتباع لرؤسائهم
بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا قال الأخفش الليل والنهار لا يمكران بأحد
ولكن يمكر فيهما وهذا كقوله من قريتك التي أخرجتك وهذا من سعة العربية والمعنى بل مكركم بنا في الليل والنهار
إذ تأمروننا وكذلك قوله تعالى ولأن نهاره صائم وليله قائم وقال الشاعر وما الليل بمطي بنائم ومثله
قوله تعالى فإذا عزم الأمر وقيل مكر الليل والنهار هو طول السلامة فيهما كقوله فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم
قوله تعالى وأسروا الندامة لما رأوا العذاب أي أضمروها في أنفسهم لأن موضع الندامة القلب وقيل
أظهروها فيما بينهم أقبل بعضهم على بعض يلوم بعضهم بعضا تعرف بعضهم بعضا الندامة وهذا من ألفاظ الأضداد يقال أسر
إذا كتم وأسر إذا أظهر قوله تعالى وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا أي غلت أيمانهم إلى أعناقهم في النار
هل يجزون إلا ما كانوا يعملون من الشرك في الدنيا قوله تعالى وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها
أي ما أرسلنا في أهل قرية من رسول إلا قال رؤساؤها وأغنياؤها وأولو النعمة فيها إنا بما أرسلتم به من
الإيمان والتوحيد كافرون وقالوا قوله تعالى نحن أكثر أموالا وأولادا فلما فضلنا عليكم في الدنيا لن

بنا

بمعذبنا في الآخرة افتخروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بأموالهم وأولادهم وظنوا أن الله
تعالى إنما خولهم المال والولد كرامة لهم عنده فقالوا وما نحن بمعذبين أي أن الله أحسن إلينا بالمال
والولد فلا يعذبنا فقال الله لنبيه عليه السلام قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني أن
بسط الرزق وتضييقه من الله تعالى يفعله ابتلاء وامتحانا ولا يدل البسط على رضى الله تعالى ولا يدل
الضيق على سخطه ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعني أهل مكة لا يعلمون حين ظنوا أن أموالهم وأولادهم
كرامة الله لهم قوله تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى أي ليست كثرة أموالكم وأولادكم
بالخصلة التي تقربكم عندنا زلفى أي بالتي تقربكم إلى الثواب والكرامة قربة وقيل معناه بالتي تقربكم عندنا قربى قال
الأخفش زلفى اسم المصدر كأنه أراد بالتي تقربكم عندنا تقريبا إلا من آمن وعمل صالحا يعني صرف المال في وجوه الخير
والبر والأولاد في طاعة الله وقيل معناه إلا من آمن وعمل صالحا فإن إيمانه وعمله يقربه مني قوله تعالى
فأولئك لهم جزاء الضعف أي لهم جزاء المضاعف على حسناتهم بالحسنة الواحدة عشرا وهم في الغرفات غرفات
الجنة آمنون من كل أذية ومكروه والغرفة هي البيوت فوق الأبنية وقرأ حمزة وهم في الغرفة آمنون على الواحد
لقوله أولئك يجزون الغرفة وقرأ الباقون في الغرفات على الجمع لقوله لنبوئنهم من الجنة غرفا وقرأ يعقوب فلهم
جزاء الضعف على التقديم والتأخير قوله تعالى والذين يسعون في آياتنا معاجزين أي يعملون في إبطال التوحيد
والنبوة معاندين يحسبون أنهم يفوتوننا ويعجزوننا أولئك في العذاب محضرون أي يحضرون فيه قوله تعالى
قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر له تقدم تفسيره قوله تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه أي ما أنفقتم
من مال في غير إسراف ولا تقتير فهو يخلفه في الدنيا بالعوض وفي الآخرة بالحساب والأجر قوله تعالى فهو يخلفه
أي يخلفه لكم إذ عليه تعالى يقال أخلف الله له وعليه إذا أبدل له ما ذهب عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال كل نفقة المرء رفقه بمعصية وقال الكلبي معناه وما أنفقتم في الخير والبر فهو يخلفه إما أن يعجله في الدنيا وإما أن
يدخره له في الآخرة وعن أبي سعيد بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان
ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا قوله تعالى وهو خير
الرازقين أي خير المخلفين وإنما قال خير الرازقين لأنه قد يقال رزق السلطان الجند قوله تعالى ويوم يحشرهم
جميعا يعني المشركين ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون هذا استفهام توبيخ للعابدين كقوله تعالى
لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فتتبرأ الملائكة منهم عن الشرك وقالوا سبحانك أي
تنزيها لك عما أضافوه إليك من الشرك أنت ولينا من دونهم أي ما اتخذناهم عابدين ولا توليناهم وليس لنا غيرك
وليا وأنت العالم بأمورنا وأمورهم علما كانوا لنا ولا توليناهم بل كانوا يعبدون الجن أي أطاعوا الشياطين
في عبادتهم إيانا لأن الشياطين كانت تدعوهم إلى ذلك وكان أكثرهم بالشياطين مؤمنين قوله تعالى فاليوم لا
يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا أي يقال لهم اليوم لا تقدرون بعضكم لبعض جر نفع ولا دفع ضر ونقول خزنة النار
يا أعداء الله للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا قوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات
قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم معناه وإذا يقرأ على أهل مكة آياتنا يعني القرآن
واضحات الحجج قالوا ما هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا
الذي أتانا به إلا إفك مفترى يعنون القرآن وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم يعني القرآن ما هذا إلا سحر
مبين قوله تعالى وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير أي ما أنزلنا على أهل
مكة من كتب يقرؤونها والمعنى من أين كذبوك ولم يأتهم كتاب ولا نذير بهذا الذي يفعلونه وما أرسلنا إليهم قبلك يا محمد

من رسول ليرجع فيهم وأخبر عما فيه من كذب قبلهم فقال وكذب الذين من قبلهم يعني الأمم الكافرة وما
بلغوا يعني أهل مكة معشار ما آتيناهم أي ما بلغ هؤلاء الذين أرسلت إليهم عشر ما أوتي الأمم قبلهم من القوة والعدة
فكذبوا رسلي فانظر كيف كان نكير أي إنكاري عليهم وتغييري لهم [illegible] أهلكتهم بالعذاب [illegible]
والعشير [illegible] قال ابن عباس [illegible] وما بلغ قوم محمد معشار ما آتيناهم من قبلهم من القوة وكثرة المال وطول
العمر فأهلكهم الله قوله تعالى قل إنما أعظكم بواحدة أي آمركم وأوصيكم بخصلة واحدة وهي أن تقوموا لله
مثنى وفرادى أي تقوموا لله اثنين اثنين وواحدا واحدا فتتناظروا وتتفكروا في أمر النبي صلى الله عليه وسلم هل يوجد
في فعله وقوله ودعائه إلى توحيد الله ما يكون من كلام المجانين [illegible] وهو كلام عاقل حازم [illegible]
[illegible] ثم تتفكروا أن في خلق السموات والأرض دليلا على أن خالقهما واحد لا شريك
له قوله تعالى ما بصاحبكم من جنة وذلك أن المشركين قالوا إن محمدا ساحر مجنون فقال الله تعالى
من جنة وما صاحبكم بمجنون [illegible] ثم تتفكروا فتعلموا بطلان قولكم في نسبته إلى الجنون وقوله تعالى إن هو
إلا نذير لكم أي ما هو إلا رسول مخوف لكم بين يدي عذاب شديد أي بين يدي القيامة لكي تخلصوا أنفسكم
بالتلافي والتوبة قوله تعالى قل ما سألتكم من أجر فهو لكم معناه قل لهم يا محمد ما سألتكم على تبليغ الرسالة من أجر

[illegible]

كما فعل بأشياعهم من قبل أي كما فعل بنظرائهم وأشباههم [illegible]
إنهم كانوا في شك من البعث ونزول العذاب بهم مريب أي
ظاهر الشك. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة أربعون وخمس آيات

مكية كلها وهي ألف وماية وثلثون حرفا وسبعماية وسبعون كلمة وخمس وأربعون آية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأها دعته يوم القيمة ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أي الأبواب شئت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والأرض أي خالقهما مبتديا من غير مثال سبق قال ابن عباس رضي الله عنه ما كنت
أعرف ما معنى فاطر حتى اختصم إلي أعرابيان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها قوله تعالى وجاعل الملائكة
رسلا قال بعضهم أراد به الملائكة كلهم فإنهم كلهم رسل الله بعضهم إلى بعض وبعضهم إلى الإنس وقال بعضهم أراد به
جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت والحفظة [illegible] قوله تعالى أولي أجنحة صفة

[illegible]

لعباد، كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل اراد بالرحمة ههنا المطر والرزق والعافية وجميع النعم
ما يفتح الله من ذلك فلا مانع له ولا يستطيع احد من الخلق حبسه ولا امساكه و قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له من
بعده اي وما يمسكه الله من ذلك فلا يقدر احد على ارساله وهو العزيز الحكيم اي العزيز فيما امسك الحكيم
فيما ارسل قوله تعالى يا ايها الناس اذكروا نعمت الله عليكم يعني اهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم اذ
اسكنكم الحرم ومنعكم من الغارات هل من خالق غير الله هذا استفهام ومعناه النفي اي لا خالق سواه و قوله تعالى يرزقكم
من السماء والارض اي من السماء بانزال المطر ومن الارض باخراج النبات لا اله الا هو فانى تؤفكون اي فانى تصرفون
عن الاله الذي هذه صفته الى من ليس بهذه الصفة ولا يقدر على شيء قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وهذه
الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لئلا يحزن على تكذيب قومه وان يصبر كما صبر على تكذيب الامم من قبله من الرسل والى الله
ترجع الامور في مجازاة المكذبين ونصرة المرسلين قوله تعالى يا ايها الناس ان وعد الله حق معناه ان
الذي وعد الله من المجازاة والبعث بعد الموت حق كائن فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بزينتها وزهرتها حتى تشتغلوا بها عن
الاخرة ولا يغرنكم بالله الغرور ولا يشغلنكم عن طاعة الله الشيطان الذي من عادته الغرور وذكر ابو السماك العدوي الغرور
بضم الغين وهي اباطيل الدنيا واما الغرور بفتح الغين فهو الشيطان قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
اي اعرفوا عداوته واحذروه ولا تطيعوه انما يدعوا حزبه اي اهل طاعته ليكونوا قوله تعالى من اصحاب السعير
قوله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا نزلت في ابي جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في اصحاب الاهواء
والبدع والمعنى افمن زين له سوء عمله كمن هداه الله ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى فان الله يضل
من يشاء ويهدي من يشاء قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات اي لا تغتم ولا تهلك نفسك عليهم حسرات على تركهم
الاسلام ان الله عليم بما يصنعون في كفرهم فيجازيهم بما هو اولى بهم قرأ ابو جعفر فلا تذهب بضم التاء وكسر الهاء ونصب النفس
قوله تعالى والله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا معناه الله الذي ارسل الرياح لاثارة السحاب فاجريناه الى بلد
ميت ليس فيه نبات فاحيينا بالمطر الارض باخراج الزرع والاشجار منها بعد يبسها وذهاب النبات عنها لذلك البعث في
النشور وهذا احتجاج على منكري البعث فان موتهم كموت الارض وذهاب اثرهم كذهاب اثر الاشجار والزرع والقادر على
احياء الارض قادر على اخراج الموتى من الارض ومعنى الاية والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا اي تحركه
وتنشره فسقناه الى بلد ميت اي بما لم ينبت فيه نبات فاحيينا به الارض بعد موتها اي انبتنا فيها الزرع
والكلا بعد ان لم تكن كذلك النشور اي الاحياء والبعث وعن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى
وما اية ذلك في خلقه قال اما مررت بواد ممحل ثم مررت به يهتز خضرا قلت بلى قال كذلك يحيي الله الموتى او قال كذلك النشور قوله تعالى من كان يريد
العزة فلله العزة جميعا اي من كان يطلب العزة بعبادة الاصنام فليطلبها بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله
عليه وسلم فان العزة لله وذلك ان الكفار كانوا يعبدون الاصنام طمعا في العزة كما قال الله تعالى واتخذوا من دون
الله آلهة ليكونوا لهم عزا وقيل معناه من كان يريد ان يعلم لمن العزة فليعلم انها لله تعالى قوله تعالى اليه يصعد
الكلم الطيب اي الى الله تصعد كلمة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ومعنى اليه يصعد اي يعلم ذلك كما يقال ارتفع
الامر الى السلطان اي علمه وقيل صعود الكلم الطيب ان يرفع ذلك الى محل القبول او يثيب عليه صاحبه مالكا لا اله الا الله الى
الطيب قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه قال الحسن معناه والعمل الصالح يرفع الكلام الطيب
العمل فان وافق القول الفعل قبل وان خالف رد والمعنى ان العبد اذا وحد الله واخلص في العمل رفع
الله قال الحسن ليس الايمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل فمن قال حسنا
وعمل غير صالح رد الله تعالى ومن عمل صالحا رفعه العمل وقرأ عند الرحمن اليه يصعد الكلام الطيب وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله اليه يصعد الكلم الطيب وهو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
اذا قالها العبد عرج بها ملك الى السماء وقيل الكلم الطيب لا اله الا الله والعمل الصالح اداء فرائضه ومن لا يؤدي فرضه

رد

رد كلامه وجاء في الخبر طالب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وقال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله قولا بلا عمل وعلى
هذا المعنى قال الشاعر ۞ لا ترض من رجل حلاوة قوله ۞ حتى يصدق ما يقول فعاله ۞ واذا وزنت مقاله بفعاله
فتوازنا فاخا لذاك كمال ۞ وقال ابن المعتز قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقيل معناه
والعمل الصالح يرفعه الله اي يتقبله قوله تعالى والذين يمكرون السيئات اي يعملونها على وجه المخادعة كما كان
الكفار يمكرون بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وقيل معناه والذين يشركون بالله ويعملون السيئات لهم عذاب
شديد في الآخرة وقيل اراد بقوله يمكرون السيئات على وجه الرياء روي ان رجلا قال يا رسول الله فيم النجاة غدا
قال لا تخادع الله فانه من يخادع الله يخدعه ويخلعه من الايمان ونفسه يخدع لو يشعر قال يا رسول الله فكيف يخادع الله قال
تعمل بما امرك الله به تريد به غيره فاتقوا الله في الرياء فانه الشرك بالله تعالى وانه لا يقبل مع الرياء عمل وان المرائي
ينادى يوم القيمة على رؤوس الاشهاد باربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل عملك وبطل اجرك ولا خلاق لك
التمس الاجر ممن كنت تعمل له يا مخادع قوله تعالى ومكر اولئك هو يبور اي يفسد ويهلك ويكسد ولا يكون له بقاء
قوله تعالى والله خلقكم من تراب اي خلق اصلكم واباكم آدم من تراب ثم من نطفة اي ثم خلق
نسل آدم من نطفة ثم جعلكم ازواجا يعني ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تلد لتمام وغير تمام
الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب اي ما يطول من عمر احد ولا ينقص من عمر احد الا وهو
مكتوب في اللوح المحفوظ و قوله تعالى ان ذلك على الله يسير اي ان كتابة الآجال والاعمال وحفظها من غير كتابة
على الله هين قوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج بل هذا مثل ضربه
الله تعالى كما لا يستوي البحران احدهما عذب في غاية العذوبة يشتهي شربه والآخر مر زعاف لا يستطاع شربه فكذلك
لا يستوي المؤمن والكافر والتقي والفاسق والسائغ هو السالك في الحلق والاجاج شديد الملوحة وقرأ عيسى سيغ
شرابه مثل ميت وسيد قوله تعالى ومن كل تأكلون لحما طريا اي ومن كل البحرين تأكلون السمك لا يختلف طعم السمك حلا
ما للبحرين فلذلك قد يتولد الكافر والمسلم مثل خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل وغيرهما قوله تعالى وتستخرجون
منه حلية تلبسونها قيل اراد به اخراج اللؤلؤ والمرجان من احدهما خاصة وهو الملح والمعنى وتستخرجون من الملح
دون العذب وقيل ان اللؤلؤ هو قطر المطر يقع في اجواف الصدف فيكون منه اللؤلؤ قوله تعالى وترى الفلك
فيه مواخر اي ترى السفن جواري في البحر قال الحسن هو ان ترى سفينتين احداهما مقبلة والاخرى مدبرة وهذه تستقبل
تلك وتلك تستقبل هذه تجريان بريح واحدة و قوله تعالى لتبتغوا من فضله اي لتطلبوا من رزقه بحمل النعم تجارة
الى بلد و قوله تعالى ولعلكم تشكرون اي لعل ذلك لتعلموا ان هذه النعم من الله ولكي تشكروه عليها قوله تعالى
يولج الليل في النهار قد تقدم تفسيره و قوله تعالى ذلكم الله ربكم اي الذي يفعل هذه الاشياء هو الله ربكم له الملك الدائم
الذي لا يزال والذين تدعون من دونه من الاصنام لا تقدرون ان ينفعوكم بقدر قطمير وهو القشرة الرقيقة الملتزقة
بنواة التمر كاللفافة عليها قوله تعالى ان تدعوهم يعني الاصنام لا يسمعوا دعاءكم ولو كانوا سامعين ما اجابوكم لانها
والمعنى ان تدعوهم لكشف ضر لا يسمعوا دعاءكم لانها جماد لا تسمع ولا تبصر ولو سمعوا بان يخلق الله فيهم السمع
والبصر ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي يتبرؤون منكم ومن عبادتكم كما قال تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا والمعنى يقولون لهم يوم القيمة لم تكونوا ايانا تعبدون ما كنتم ايانا تعبدون قوله تعالى ولا
ينبئك مثل خبير يعني لا يخبرك بعواقب الامور وعواقبها مثل الله لانه عالم بكل الاشياء لا يخفى عليه منها شيء بلحظة
المضار والمنافع قوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله اي المحتاجون اليه والى نعمه وتفضله حالا بعد حال
والله هو الغني عن اعمالكم وطاعتكم الحميد اي المحمود في افعاله عند خلقه وانما امركم بطاعته لتنتفعوا بها لا لحاجة
به اليها ان يشأ يذهبكم اي ان يشأ يهلككم ويأت بخلق جديد اطوع لله منكم وما ذلك على الله بعزيز اي
ليس اهلاككم والاتيان بغيركم على الله بممتنع قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل في القيمة حاملة حمل حاملة اخرى

أي لا تؤخذ نفس بذنب غيرها وإن تدع مثقلة بالذنوب إلى أن تحمل عنها شيء من ذنوبها لا يحمل من ذنوبها شيء ولو كان المدعو ذا قربى من الداعي لما في ذلك من غلظ حمل الآثام ولو تحمله لم تقبل حملها لأن كل نفس بما كسبت رهينة فلا تؤخذ أحد بذنب أحد وسئل الحسين بن الفضل عن الجمع بين هذه الآية وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم فقال قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى يعني طوعا وقوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم يعني كرها قال ابن عباس في قوله وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء قال يقول الأب والأم يا بني احمل عني فيقول حسبي ما علي قوله تعالى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب يقول إنما ينفع إنذارك وعظتك الذين يطيعون ربهم في السر وأقاموا الصلوة المفروضة ومعناه من خشي الله ولا يجتنب المعاصي في السر من خشية الله اجتنبها لا محالة في العلانية ويقال إن الخشية في السر والمداومة على الطاعة في السر والاجتناب بالمعصية في السر أعظم عند الله ثوابا كما قال صلى الله عليه وسلم … إلى الله شيء أفضل من سجود خفي في ليلة مظلمة وإنما عطف الماضي في قوله وأقاموا الصلوة على المستقبل في قوله تعالى يخشون … ذلك أن وجوب خشية الله لا يختص بزمان دون زمان ولا بمكان دون مكان ووجوب إقامة الصلوة يختص ببعض الأوقات قوله تعالى ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه أي من تطهر من دنس الذنوب والشرك لتكون عند ربه زكيا فإن منفعته تطهره راجعة إلى نفسه وإلى الله المصير أي إليه مرجع الخلق كلهم في الآخرة قوله تعالى وما يستوي الأعمى والبصير يعني المشرك والمؤمن ولا الظلمات ولا النور أي ولا الشرك والضلالة كالنور والهدى الإيمان وقوله تعالى ولا الظل ولا الحرور يعني ولا الجنة والنار وقال عطاء يعني ظل الليل وسموم النهار وما يستوي الأحياء ولا الأموات يعني المؤمنين والكفار وهذه أمثال ضربها الله أي كما لا تستوي هذه الأشياء كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن وقوله تعالى إن الله يسمع من يشاء أي يسمع كلامه من يشاء حتى يتعظ ويهتدي قال عطاء يعني أولياءه الذين خلقهم لجنته قوله تعالى وما أنت بمسمع من في القبور أي كما لا تقدر أن تسمع من في القبور فكذلك لا تقدر أن تسمع الكفار شبههم بالموتى لأنهم لا ينتفعون بما يسمعون كالموتى وقرأ أشهب العقيلي وما أنت بمسمع من في القبور بلا تنوين على الإضافة قوله تعالى إن أنت إلا نذير أي ما أنت إلا منذر تنذرهم النار وتخوفهم وليس عليك غير ذلك قوله تعالى إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير أي ما من أمة من الأمم السالفة إلا قد جاءهم نذير وإن يكذبوك فليس بأول رسول كذب … جاءتهم رسلهم بالبينات الواضحات وبالزبر وهي الكتب وقوله تعالى وبالكتاب المنير يعني التوراة وقيل إنما كرر الزبر وهي الكتب لأنها اختلاف صفات الكتاب لأن الزبر هي الكتابة الثابتة كالنقش في الحجر وقيل والكتاب المنير الموصوف واحد والصفات مختلفة وقوله تعالى ثم أخذت الذين كفروا أي أخذتهم بالعقوبة فكيف كان نكير أي إنكاري عليهم وتعذيبي لهم قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء يعني مطرا فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها وطعمها وقوله تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها أي وخلقنا من الجبال جدد بيض أي طرق تكون في الجبال كالعروق بيض وسود وحمر واحدها جدة قال المبرد جدد طرائق وخطوط ويجيء هذا الجدد جمع جدة وهي الطريقة كالمدة والمدد والعدة والعدد وأما الجدد بضمتين هي جمع جديد مثل سرير وسرر قوله تعالى وغرابيب سود يجوز أن تكون الغرابيب هي الجبال السود كأنه قال ومن الجبال غرابيب سود والغربيب الذي لونه كلون الغراب ولذلك يحسن أن يقال أسود غربيب قال الفراء هذا على التقديم والتأخير تقديره وسود غرابيب قوله تعالى ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك معناه ومن الناس والدواب والأنعام ما هو مختلف ألوانه كاختلاف الثمار والجبال وتم الكلام على قوله كذلك قوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء قال ابن عباس إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني وقال مقاتل أشد الناس لله خشية أعلمهم به وقال … من لم يخش الله تعالى فليس بعالم وفي الكشاف من قرأ إنما يخشى الله بالرفع ونصب العلماء فمعنى يخشى يعظم … قاله الزمخشري قوله تعالى إن الله عزيز غفور أي عزيز قاهر غالب في ملكه غفور لذنوب المؤمنين قوله تعالى إن الذين يتلون كتاب الله يعني القرآن في الصلوة وغيرها وأقاموا الصلوة المفروضة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية أي … أنفقوا مما أعطيناهم

من الحق … عن تهمة الرياء وفي نفقة جهرا فيعلمون … عن تهمة المنع ويقال … النفقة في الجهاد … يرجون تجارة لن تبور أي لن تكسد ولا يرد عليها الفساد والبطلان وقوله تعالى ليوفيهم أجورهم ليعطيهم أجور أعمالهم كاملا ويزيدهم من فضله فوق ما استحقوه قال ابن عباس سوى الثواب وقوله تعالى إنه غفور شكور يعني إنه غفور لذنوبهم شكور يعامل بالإحسان معاملة الشاكر قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم قوله تعالى والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق يعني القرآن مصدقا لما بين يديه أي موافقا لما قبله من الكتب لأن كتب الله تعالى كلها دالة على توحيده وإن اختلفت الشرائع إن الله بعباده لخبير بصير أي خبير بأقوالهم وأفعالهم وبنياتهم فيجزيهم بما يستحقون قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا قال مقاتل يعني القرآن قوله تعالى الذين اصطفينا من عبادنا يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قسمهم ورتبهم قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه وهو الذي مات على كبيرة ولم يتب منها ومنهم مقتصد وهو الذي لم يصب كبيرة ومنهم سابق بالخيرات يعني المؤمنين الذين يسبقون إلى الأعمال الصالحة وقال الحسن الظالم الذي ترجح سيئاته على حسناته والمقتصد الذي استوت حسناته وسيئاته والسابق من رجحت حسناته على سيئاته وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وقوله تعالى سابق أي إلى الجنة أو إلى رحمة الله بالخيرات أي بالأعمال الصالحة بإذن الله أي بإرادة الله ذلك هو الفضل الكبير معناه إيراثهم الكتاب هو الفضل الكبير … الكتاب … وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال السابقون يدخلون الجنة بغير حساب والمقتصدون يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون والظالمون يحبسون ما شاء الله أن يحبسوا ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة وهم الذين يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إلى آخر الآية وعن الحسن أنه قال السابق الذي ترك الدنيا والمقتصد الذي أخذ الحلال والظالم الذي لا يبالي من أين أخذ وقال الظالم صاحب الكبائر والمقتصد صاحب الصغائر والسابق الذي لا … فإن قيل ما الحكمة في تقديم الظالم وتأخير السابق قيل … كما قال تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقيل قدم الظالم لئلا ييأس من رحمته وأخر السابق لئلا يعجب السابق بنفسه وقيل قدم الظالم لأنه لم يكن له شيء يتكل عليه إلا رحمة الله وثنى بالمقتصد لحسن ظنه بربه وقيل لأنه بين الخوف والرجاء وأخر السابق لئلا يتكل على حسناته وقيل لئلا يأمن أحد مكر الله وكلهم في الجنة لحرمة كلمة الإخلاص عن عقبة بن صهبان قال سألت عائشة عن قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق فقالت يا بني كلهم في الجنة أما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له النبي عليه السلام بالجنة وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم فمثلي ومثلكم وقال سهل بن عبد الله السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقيل السابق الذي اشتغل بمعاده والمقتصد الذي اشتغل بمعاده ومعاشه والظالم الذي اشتغل بمعاشه عن معاده وقيل الظالم طالب الدنيا والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى وقيل الظالم … في جميع أفعاله والمقتصد المرائي في بعض أفعاله دون بعض والسابق المخلص في أفعاله كلها وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد من استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم الذي يجزع عند البلاء والمقتصد الذي يصبر عند البلاء والسابق الذي يتلذذ بالبلاء وقيل الظالم الذي يعبد الله خوفا من النار والمقتصد الذي يعبده طمعا في الجنة والسابق الذي يعبده لا لسبب من الأسباب إلا لوجهه الكريم وقيل الظالم الذي يعبد الله على الغفلة والمقتصد الذي يعبده على الرغبة والسابق الذي يعبده على الهيبة وقيل الظالم الذي أعطي فمنع والمقتصد الذي أعطي فبذل والسابق الذي منع فشكر وقيل الظالم غافل والمقتصد طالب والسابق واجد وقيل الظالم من استغنى بماله والمقتصد من استغنى بدينه والسابق من استغنى بربه وقيل السابق الذي يدخل المسجد قبل الأذان والمقتصد الذي يدخل وقت الأذان والظالم الذي يدخل وقد أقيمت الصلوة وقيل الظالم الذي يحب نفسه والمقتصد الذي يحب ربه والسابق الذي يحبه ربه وقيل الظالم مدعو والمقتصد مأذون له والسابق مقرب قوله تعالى جنات عدن يدخلونها يعني الأصناف

الثلثة الظالم والمقتصد والسابق ومعنى الآية لهم جنات عدن أي بساتين إقامة [illegible] يحلون فيها من أساور من ذهب أي يلبسون فيها أساور وقلبة من ذهب في أيديهم [illegible] وقوله تعالى ولؤلؤا من قرأ بالجر فالمعنى من ذهب ومن لؤلؤ ومن قرأ بالنصب فمعناه ويحلون لؤلؤا وقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن أي يقولون [illegible] في الجنة الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن أي حزن الموت وأهوال يوم القيامة وقيل حزن المعاش وهموم الدنيا فإن الدنيا سجن المؤمن وقال عكرمة حزن الذنوب والسيئات • وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم كأني بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم وهم يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وقوله تعالى إن ربنا لغفور شكور أي متجاوز عن الذنوب يقبل اليسير من العمل ويعطي الجزيل من الثواب وقوله تعالى الذي أحلنا دار المقامة من فضله أي دار المقام وهي الجنة بتفضله لا بأعمالنا وسمي المقامة لأن من دخلها يخلد لا يموت ونقيم فيها لا نتحول وقوله تعالى لا يمسنا فيها نصب أي لا يصيبنا فيها تعب ولا يمسنا فيها لغوب أي مشقة وتعب وإعياء وفتور وقوله تعالى والذين كفروا لهم نار جهنم أي الذين كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن لهم في الآخرة نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا لتستريحوا من العذاب ولا يخفف عنهم من عذابها لنار طرفة عين • قرأ الحسن فيموتون بالنون [illegible] والمعنى لا يقضى عليهم ولا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقوله تعالى كذلك نجزي كل كفور أي هكذا نجزي في الآخرة كل كفور بنعم الله تعالى قرأ العامة نجزي بالنون ونصب اللام وقرأ أبو عمرو بالياء وضم الياء وفتح الزاي على ما لم يسم فاعله ورفع اللام وقوله تعالى وهم يصطرخون فيها أي يستغيثون في النار وهو افتعال من الصراخ يقولون ربنا أخرجنا من النار نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أي نوحدك ولا [illegible] ونعمل بطاعتك غير الذي كنا نعمل أي غير الشرك فوبخهم الله تعالى فقال أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر معناه أولم نعمركم مقدارا ما يتعظ فيه من كان يريد أن يتعظ ويؤمن قال عطاء يريد ثماني عشرة سنة وقال الحسن أربعين سنة وقال ابن عباس ستين سنة وهو العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم قال صلى الله عليه وسلم من عمره الله ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر • وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وقال صلى الله عليه وسلم معترك المنايا بني آدم ما بين الستين إلى السبعين وقوله تعالى وجاءكم النذير قال أكثر المفسرين يعني النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن عكرمة وسفيان بن عيينة أن المراد بالنذير الشيب ومعناه أولم نعمركم حتى شبتم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أتى على الرجل أربعون سنة ولم يغلب خيره على شره فليتجهز إلى النار وقوله تعالى فذوقوا فما للظالمين من نصير أي فذوقوا العذاب فما للمشركين من مانع يمنعهم من العذاب وقوله تعالى إن الله عالم غيب السموات والأرض إنه عليم بذات الصدور أي عالم بسر أهل السموات والأرض إنه عليم بما في القلوب من الخير والشر وقوله تعالى هو الذي جعلكم خلائف في الأرض أي خلفاء من كان قبلكم أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن فمن كفر فعليه كفره أي فعليه جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا أي بغضا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا أي لا خسارا وقوله تعالى قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أي أخبروني عن شركائكم الذين أشركتموهم مع الله في العبادة [illegible] أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه وقوله تعالى بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا أي لا يعد [illegible] الظالمون بعضهم بعضا الآخر إلا أباطيل وقوله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا أي يمنعهما من الزوال والذهاب ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده أي ولو زالتا ما أمسكهما ولا يمسكهما من [illegible] أحد غير الله وقوله تعالى إنه كان حليما غفورا أي حليما عن معاجلة الكفار غفورا لمن تاب منهم والحليم هو القادر الذي لا يعجل بالعقوبة والغفور كثير الغفران وقوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم أي حلف كفار مكة بالله غاية أيمانهم قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم يعنون اليهود والنصارى وغيرهم فلما جاءهم نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما زادهم مجيئه إلا نفورا عن الحق وتباعدا

عن الهدى وقوله تعالى استكبارا في الأرض منصوب على أنه مفعول له أي ما زادهم إلا نفورا للاستكبار في الأرض عتوا على الله وتكبرا عن الإيمان وقيل على البدل من قوله نفورا أو على المصدر وقوله تعالى ومكر السيئ أي والقصد إلى الإضرار بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من حيث لا يشعرون به وقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله أي لا يحيق ضرر المكر السيئ إلا بفاعله فقتلوا يوم بدر والمكر السيئ هو العمل القبيح وقوله تعالى ولا يحيق أي ولا يحل ولا ينزل إلا بأهله وقوله تعالى فهل ينظرون إلا سنة الأولين أي ما ينتظر أهل مكة إلا أن ينزل بهم العذاب بمثل ما نزل بمن كان قبلهم من الأمم السالفة المكذبة وقوله تعالى فلن تجد لسنة الله تبديلا أي لن تجد لسنة الله في العذاب تبديلا أي تغييرا ولن تجد لسنة الله تحويلا أي لا يقدر أحد أن يحول العذاب عنهم إلى غيرهم وقوله تعالى أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم معناه أولم يسافروا فينظروا كيف صار آخر أمر الذين من قبلهم عند تكذيبهم الرسل كيف أهلكهم الله بهم وكانوا أشد من أهل مكة قوة وتمكنهم في البلاد ما لم يمكن لهؤلاء وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض أي لم يعجزه أحد من الخلق في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما بخلقه قادرا عليهم وقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة أي لو يؤاخذهم بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهر الأرض من دابة ولكن يؤخرهم بفضله إلى وقت معلوم فإذا جاء ذلك الوقت فإن الله كان بعباده بصيرا يفعل بهم ما يستحقونه من ثواب وعقاب • والله الموفق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

سورة يس ثلث وثمانون آية مكية

وهي ثلاثة آلاف حرف وسبعمائة وتسع عشرة كلمة وثلاث وثمانون آية قال صلى الله عليه وسلم كل شيء قلب وقلب القرآن يس من قرأها كان كمن قرأ القرآن عشر مرات وهي تشفع لقارئها وتستغفر لمستمعها وقال صلى الله عليه وسلم يس تدعى المعمة قيل يا رسول الله وما المعمة قال تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة ومن قرأها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها كان له ألف دينار ينفقها في سبيل الله ومن كتبها وشربها دخل جوفه ألف دواء وألف نور وألف يقين وألف رحمة ونزع عنه كل داء وغل وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة وأيما مريض قرئت عند سورة يس نزل عليه بعدد كل حرف عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا فيصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون قبضه وغسله ويشيعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مريض قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيموت وهو ريان ويبعث وهو ريان ويحاسب وهو ريان ويدخل الجنة وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء عليهم السلام • نفعنا الله بها وأعاد علينا [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

يس قال ابن عباس يريد يا إنسان يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقال أبو العالية يا رجل وقال سعيد بن جبير يا محمد قرأ أبو عمرو وحمزة وعاصم بإظهار النون وقرأ عيسى بن عمر يس بالنصب شبهها بأين وكيف وقرأ ابن أبي إسحق بكسر النون شبهها بأمس وحذام وقطام وقرأ هرون الأعور بضم النون شبهها بمنذ وحيث وقط وقرأ الآخرون بإخفاء النون وقوله تعالى والقرآن الحكيم أي المحكم من الباطل وقيل الحكيم بالحلال والحرام والأمر والنهي وقوله تعالى إنك لمن المرسلين وذلك أن كفار مكة قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم لست مرسلا فأقسم الله بالقرآن الحكيم أنه من المرسلين وقوله تعالى على صراط مستقيم يعني دين الإسلام وطريق الأنبياء عليهم السلام الذين مضوا قبلك وقوله تعالى تنزيل العزيز الرحيم أي هو تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه قال مقاتل معناه هذا القرآن الحكيم تنزيل العزيز الرحيم وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة تنزيل بالنصب على المصدر كأنه قال نزل تنزيلا وقوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم متصل بقوله إنك لمن المرسلين لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم أي لتنذر قوما لم يأتهم نذير قبلك لأنهم كانوا في الفترة وهو

يعني قوله فهم غافلون أي عن حجج التوحيد وأدلة البعث وقيل فهم غافلون عن أمور الآخرة قوله تعالى لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون أي لقد حقت كلمة العذاب على أكثر أهل مكة بكفرهم فهم لا يصدقون بذلك لما علم الله منهم أنهم لا يؤمنون فقتلوا يوم بدر على الكفر قوله تعالى إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا أي في أعناقهم وأيمانهم أغلالا ولم يذكر الأيمان في الآية لأن في الكلام دليلا عليه لأن الغل لا يكون في العنق دون اليد ولا في اليد دون العنق وإنما تغل اليد إلى الأعناق قوله تعالى فهي إلى الأذقان كناية عن الأيدي دون الأغلال قوله تعالى فهم مقمحون أي رافعوا رؤوسهم والمقمح الرافع رأسه الغاض بصره والحلقوا فيمن نزلت هذه الآية فروي عن ابن عباس أن الآية نزلت في قوم من الكفار منهم أبو جهل تواطئوا على أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأوه يصلي وحلف أبو جهل أنه إذا رآه يصلي ليدمغنه بالحجر فأتاه يوما وهو يصلي فجاء أبو جهل ومعه الحجر كي يرفع الحجر ليدمغ به النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر فأتوه يوما وهو يصلي فيبست يده إلى عنقه والتزق الحجر إلى يده فلما رجع إلى أصحابه خلص الحجر من يده فأخبرهم بأمر الحجر فقال رجل من بني المغيرة أنا أقتله وأخذ الحجر ودنا من النبي صلى الله عليه وسلم فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وكان يسمع قراءته فذلك قوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون أي جعلنا من بين أيديهم غطاء وسترا ومن خلفهم كذلك فأغشينا أبصارهم حتى لم يروا النبي صلى الله عليه وسلم وقال الفراء معنى أغشيناهم ألبسنا أبصارهم غشوة أي عماه وعن ابن عكرمة قال سمعت عكرمة يقرأ فأعشيناهم بالعين المهملة وروي ذلك عن ابن عباس أيضا وقال الحسن هذا على طريق المثل وذلك أن الله تعالى لما أخبر أنهم لن يؤمنوا بما أرادوا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا كمن غلت يداه إلى عنقه لا يمكنه أن يبسطها إلى شيء وهو طامح رأسه لا يبصر موضع قدميه ولا يهتدي إلى موضع طريقه في الذهاب والرجوع قوله تعالى وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون أي من أضله الله هذا الضلال لم ينفعه الإنذار قوله إنما تنذر من اتبع الذكر معناه إنما ينفع الإنذار من اتبع القرآن وخشي الرحمن بالغيب أي يخاف الله من حيث لا يراه أحد فبشره بمغفرة لذنوبه وأجر كريم أي ثواب حسن وهو الجنة قوله تعالى إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا أي ما أسلفوا من الخير والشر قوله تعالى وآثارهم أي وخطاهم بأن كل خطوة في الطاعة طاعة وكل خطوة في المعصية معصية وقيل معنى وآثارهم أي ما استن به من بعدهم قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة قوله تعالى وكل شيء أحصيناه في إمام مبين أي وكل شيء من الأعمال أثبتناه في اللوح المحفوظ ويحتمل أن يراد بالإمام المبين صحائف الأعمال التي تكتبها الملائكة وسمي إماما لأنه يتبع ويؤتم به قوله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية أي مثل لأهل مكة مثل أصحاب القرية يعني أنطاكية إذ جاءها المرسلون أي رسل الله تعالى وذلك أن عيسى عليه السلام أرسل إلى أهل أنطاكية رسولين من الحواريين ليدعوهم إلى عبادة الله تعالى وإنما أضيف إرسالهم في الآية إلى الله تعالى لأن إرساله كان بأمر الله تعالى والقصة في ذلك أن عيسى لما بعث الرسولين إلى أنطاكية وقربا من المدينة وجدا شيخا كبيرا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فسلما عليه فقال لهما من أنتما قالا نحن رسولا عيسى ندعوكم إلى عبادة الله تعالى فقال هل معكما آية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى فقال الشيخ إن لي ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا إليه فانطلق بهما فمسحاه فقام من ساعته صحيحا بإذن الله تعالى ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على أيديهما كثيرا من المرضى وآمن حبيب النجار وجعل يعبد الله تعالى في غار جبل في بعد أطراف المدينة فسمع الملك بخبر هذين الرسولين وكان يعبد الأصنام فدعاهما وأتياه فقال لهما من أنتما قالا رسولا عيسى ندعوك إلى عبادة الله تعالى قال وما آيتكما قالا نبرئ الأكمه والأبرص ونشفي المريض بإذن الله فغضب الملك وأمر بحبسهما وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذب الرسولان بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفا على إثرهما لينصرهما ودخل شمعون البلد متنكرا وجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه فأكرمه

وأنس به فقال له ذات يوم أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى دين غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما قال لا قال فإن رأى الملك أن يدعوهما ونسمع قولهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال لهما شمعون صفاه وأوجزا فقالا إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك حتى جاء بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان الله حتى انشق موضع البصر ثم أخذا بندقتين من الطين فوضعتا في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك من ذلك فقال شمعون للملك إن أنت سألت إلهك أن يصنع مثل هذا فيصنعه كان لك ولإلهك الشرف فقال الملك ليس لي عنك سر إن إلهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم قال الملك للرسولين إن ههنا ميتا منذ سبعة أيام لم ندفنه وأخرناه حتى يرجع أبوه وكان أبوه غائبا فإن قدر إلهكما على إحيائه آمنت به قال لكن إلهنا قادر على كل شيء فجعلا يدعوان الله علانية وجعل شمعون يدعو ربه سرا فقام الميت حيا بإذن الله تعالى وقد تغير وأنتن وهو يقول أيها الملك إني مت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فآمنوا بالله واسمعوا من هؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان وأشار إلى الرسولين فتعجب الملك من ذلك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا النجار وهو على باب المدينة الأقصى وقيل إن الملك قال آمنوا فقتلهم على هذا الكلام بأيديهم واحدا واحدا وسيخرجهم وشعوذ أعينهم وطعنهم فلما سمع حبيب النجار بذلك أقبل من أقصى المدينة يسعى أي يعدو ليبصر الرسل وذلك قوله تعالى وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين وذلك أن حبيبا لما رأى الرسل أنهم دعوه إلى الأجر على ما جاءهم به قال لا فقال لقومه اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون أي مصيبون في مقالتهم فقالوا له صبوت إلى دينهم يا حبيب فقال ومالي لا أعبد الذي فطرني أي أي شيء لي إذا لم أعبد خالقي وإليه ترجعون أي إليه تردون عند البعث فيجزيكم بكفركم ثم إن أهل المدينة قالوا للرسل لستم بأولى بالنبوة منا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون فيما تقولون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين أي ليس علينا إلا التبليغ البين فقال القوم للرسل قالوا إنا تطيرنا بكم أي تشاءمنا بكم وكان قد حبس عنهم المطر فقالوا أصابنا هذا الشر من قبلكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم أي لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنقتلنكم رجما وليمسنكم منا عذاب أليم يعنون القتل والضرب قالت لهم الرسل طائركم معكم أي شؤمكم معكم وهو الكفر بالله قوله تعالى أئن ذكرتم معناه أئن وعظتم بمواعظ الله تشاءمتم منا ليس هذا بموجب التشاؤم بل أنتم قوم مسرفون أي متجاوزون عن الحد في الكفر والمعصية قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى يعني حبيبا النجار قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون أي من لا يسألكم أموالكم على ما جاءكم به من الهدى فقالوا له أنت تاجيب على دينهم قال ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون في الآخرة ثم أنكر عليهم اتخاذ الأصنام وعبادتها فقال أأتخذ من دونه آلهة لا أتخذ إن يردن الرحمن بضر في جسدي أو في معيشتي لا تدفع عني شفاعة أصنامكم شيئا يعني لا شفاعة لها ولا ينقذون أي ولا يخلصوني من ذلك المكروه ومن عذاب الله قوله تعالى إني إذا لفي ضلال مبين معناه أني إن عبدت غير الله لست إذا في خطإ بين قوله إني آمنت بربكم فاسمعون أي فاسمعوا مقالتي وقيل إن قوله إني آمنت بربكم خطاب للرسل قال لهم اسمعوا كلامي لتشهدوا لي به في الآخرة فلما قال ذلك وثب عليه قومه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود وطئوه بأرجلهم حتى خرج أمعاؤه من دبره فأدخله الله الجنة فهو حي فيها يرزق وذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة فلما دخلها قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي معناه أن يعلم الله غفر له بما عمل في دين الرسل والمعنى يا ليتهم يعلمون غفران ربي لي وإكرامه إياي بإدخالي الجنة قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين وذلك أنهم لما قتلوه غضب الله عليهم وعجل لهم العذاب ومعنى الآية وما أنزلنا على قوم حبيب

يا حسرة على العباد ... ما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء يعني الملئكة اي لم ننتصر منهم بجند من السماء وما كنا منزلين اي وما كنا ننزلهم على الامم اذا اهلكناهم بل كان الله تعالى يكفي امرهم بصيحة واحدة قوله تعالى ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون اي ميتون لا يتحرك منهم احد قال المفسرون اخذ جبريل بعضادتي باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة فتطايرت قلوبهم فاذا هم ميتون لم يسمع لهم حس كالنار اذا طفئت قوله تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن قال مقاتل ومجاهد معناه يا ندامة عليهم وباخير في ما استهزاؤهم بالرسل في الدنيا والحسرة ان يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية بعده حتى يبقى قلبه حسيرا والعرب اذا دعت نكرة موصولة بشيء آثرت النصب تقول يا رجلا كرما اقبل قوله تعالى سبب الحسرة تعالى ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن قوله تعالى الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون معناه الم ير اهل مكة كم اهلكنا قبلهم من الامم الماضية فيخافوا ان نعجل لهم في الدنيا مثل الذي عجل لغيرهم ويعلمون مع ذلك انهم لا يعادون الى الدنيا ابدا وقوله تعالى وان كل لما جميع لدينا محضرون اي وما كل منهم الا لدينا جميع محضرون في ارض المحشر للحساب والجزاء هذا على قراءة من قرأ لما جميع بالتشديد وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة واما على قراءة من قرأ بالتخفيف فان ما صلة مؤكدة وكان ان للاثبات كانه قال وان كل لجميع لدينا محضرون يوعظ الله تعالى بذلك ليعتبروا قوله تعالى وآية لهم الارض الميتة احييناها باخراج الاشجار والزرع واخرجنا منها حبا وهو ما يقتات من الحبوب فمن الحب يأكلون وجعلنا فيها جنات اي في الارض بساتين من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون اي من عيون الماء وقوله تعالى ليأكلوا من ثمره اي من ثمر النخيل والاعناب على اختلاف طعومها والوانها فيستدلوا بذلك على قدرة الله تعالى قرأ الاعمش بضم الثاء وسكون الميم وقرأ طلحة ويحيى وحمزة والكسائي وخلف ثمر بضم الثاء والميم وقرأ الباقون بفتحهما قوله تعالى وما عملته ايديهم اي وما عملت ايديهم شيئا مما ذكرناه وانما هو من فعلنا افلا يشكرون نعم الله تعالى ويجوز ان يكون معناه ليأكلوا من ثمره ومن ثمر ما عملت ايديهم يعني الزرع والحرث قرأ اهل الكوفة وما عملت بغير هاء ويجوز ان تكون ما في محل الخفض بمعنى ولم تعمل ايديهم اي وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها وهذا قول الضحاك ومقاتل والثاني ان تكون بمعنى المصدر اي ومن عمل ايديهم والثالث بمعنى الذي اي ومن الذي عملت ايديهم من الزرع والحرث ومن قرأ عملته بالهاء فالهاء عائدة على ما التي بمعنى الذي قوله تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون اي سبحان الذي خلق الاصناف كلها من اجناس الفواكه والحبوب واصناف ما تنبت الارض من الحلو والحامض والابيض والاحمر وغير ذلك من الصنوف والالوان وقوله تعالى ومن انفسهم اي وخلق من انفسهم الذكران والاناث وقوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون اي ومن علامة لهم تدل على قدرتنا الليل المظلم ننزع منه النهار فاذا هم داخلون في الظلام وذلك ان الاصل هو الظلمة والنهار داخل عليها لان الله خلق الدنيا مظلمة فاذا طلعت الشمس صارت الدنيا مضيئة فسمه ضوء النهار بالكيان فاذا ذهب الضوء بغروب الشمس كان ذهابه بمنزلة سلخ جلد الشاة وسلخ ثوب الرجل عن الرجل والمعنى اذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل اي كشط وازيل فظهرت الظلمة قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها معناه وآية لهم الشمس تجري لمستقر لها اي الى مستقر لها وهو آخر مدة الدنيا ثم تجري بعد ذلك وقيل مستقرها منازلها اذا انتهت الى اقصى منازلها التي لا تجاوزها في الصيف حتى وقيل مستقرها منازلها ما كقولك في منزل الرجل هو مستقره هو وان تصرف فيه وتحرك وعن ابي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش رواه البخاري قوله تعالى ذلك تقدير العزيز العليم اي ذلك الذي سبق ذكره تقدير العزيز في ملكه العليم الذي لا يخفى عليه شيء وفي قراءة ابن عباس تجري لا مستقر لها اي لا قرار لها فهي جارية ابدا ما دامت الدنيا قوله تعالى والقمر قدرناه منازل قرأ نافع وابن كثير وابن عمرو ويعقوب والقمر بالرفع عطفا على قوله تعالى والشمس تجري وقيل على الابتداء وقرأ الباقون بالنصب على معنى وقدرنا القمر قدرناه منازل كما تقول زيدا ضربته والمعنى قدرنا له منازل

ينزل في كل ليلة منزلة وجملة منازله ثمانية وعشرون فاذا صار الى آخر منزلة وهي ليلة ثمان وعشرين عاد كالعرجون القديم وهو عرق النخلة الذي فيه الشماريخ اذا يبس ولان العذق اذا مضت عليه الايام جف وتقوس ودق واصفر فصار اشبه الاشياء بالهلال في آخر الشهر واخره لا يقدر على ذلك الا الله تعالى قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر يعني ان الشمس لا تطلع مستترة القمر فلا تدركه وذلك ان الشمس تقطع منازلها في سنة والقمر يقطع منازله في شهر وهما يسيران مقهوران على ما دبرهما الله تعالى وقال بعضهم معنى قوله لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر اي لا تدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه بل هما يسيران باسير في كل واحد لا يعدوه ولا يقصر دونه فاذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان ذلك واذا جاء سلطان ذلك ذهب هذا قوله تعالى ولا الليل سابق النهار اي ولا يأتي الليل قبل مجيء وقته فيسبق ظلمة الليل في وقت النهار قوله تعالى وكل في فلك يسبحون اي كل من الشمس والقمر والنجوم الغاربة والطالعة في فلك يسيرون ويجرون بالانبساط والفلك هو موضع النجوم من الهوا الذي تجري فيه وسمي بهذا الاسم لانه تدور بالنجوم ومنه فلكة المغزل لانها تدور بالمغزل قوله تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون معناه وآية لهم اخرى يعني اهل مكة تدلهم على توحيد الله انا حملنا ذريتهم في السفينة المملوءة وهي سفينة نوح عليه السلام والذرية في كلام العرب الآباء والابناء والاجداد وقوله تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اي وخلقنا لهم مثل سفينة نوح ما يركبون فيها على البحر يعني السفن التي عملت بعد سفينة نوح على هيئتها وصفتها وقوله تعالى وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم معناه ان الله تعالى ذكر تفضله ان يحفظهم ولو شاء اغرقهم بلا يغيثهم احد ولم ينقذهم من الغرق وتعني قوله تعالى فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم ولا هم ينقذون من المكروه والغرق والصريخ بمعنى الصارخ لهم بالاستغاثة وقيل الصريخ بمعنى الصراخ كانه قال لا مغيث لهم ولا هم ينقذون اي ولا هم يخلصون من الغرق الا ان تداركهم رحمة من الله فيستنقذهم الى حين آجالهم قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون اي اذا قيل لهؤلاء الكفار اتقوا ما بين ايديكم من امر الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم من امر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها لعلكم ترحمون اي لكي تكونوا على رجاء الرحمة من الله وجواب اذا محذوف تقديره اذا قيل لهم هذا اعرضوا وقوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم اي ما تأتيهم من عبرة ودلالة تدل على صدق محمد النبي صلى الله عليه وسلم الا كانوا عنها معرضين قوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وذلك ان المؤمنين قالوا للكفار من قريش انفقوا على المساكين ما زعمتم من اموالكم انها لله وهو ما جعلوه من حروثهم وانعامهم لله فقالت الكفار انطعم من لو يشاء الله اطعمه ورزقه قال الحسن كان اهل الجاهلية اهل اخبار فقالوا ان شاء الله اطعمه ولو شاء لاطعمناه وقالوا هذا على جهلهم انه تعالى اذا كان قادرا على ان يطعمهم يسلم الغني الفقير فيما فرض له في ماله من الزكوة والمؤمن تعرض على المسألة وانما تولى الامر قوله تعالى ان انتم الا في ضلال مبين هذا في قول الكفار للذين يقولون لهم ان انتم في اتباعكم محمدا وترك ديننا الا في خطاء بين وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد اي يقول كفار مكة متى هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد من القيمة ان كنتم صادقين انت واصحابك انا نبعث بعد الموت واردنا ذلك قوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة قال ابن عباس يعني النفخة الاولى التي يموتون بها تأخذهم وهم يخصمون واتى الدنيا وهم في اسواقهم والمعنى تأخذهم الصيحة وهم يختصمون في البيع والشراء ويتكلمون في الاسواق والمجالس وهي صيحة اسرافيل وقرأ ابن كثير وورش يخصمون بفتح الخاء وتشديد الصاد وقرأ نافع وابو عمرو ساكنة الخاء مشددة الصاد وقرأ ابو عمرو بالاخفاء وقرأ حمزة ساكنة الخاء مخففة الصاد اي يخصم بعضهم بعضا بالخصام وامر ذا القراءة بفتح الخاء وتشديد الصاد لان الاصل يختصمون فالقيت حركة الحرف المدغم وهو التاء على الساكن الذي قبله وهو الخاء وقرأ الباقون بكسر الخاء وتشديد الصاد قوله تعالى فلا يستطيعون توصية اي فلا يستطيع احد ان يوصي في شيء من امره ولا الى اهلهم يرجعون اي ولا يملك احد ان يصير الى منزله واهله لانها تأخذهم بغتة فيموتون في مكانهم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ...

تبيحون لقيام الساعة نية وبين تسليمه الى صاحبه والذي نفسي بيده لتقومن الساعة وقد اهوى الرجل باللقمة الى فيه فما يحول قيام الساعة بينها وبين وصولها الى فيه **قوله تعالى** ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون أي ونفخ في الصور نفخة البعث فاذا هم من القبور الى عرصات القيمة يخرجون بسرعة والنسلان مقاربة الخطو مع الاسراع ومنه نسلان الذئب وهو مشيه وخببه والاجداث هي القبور **قوله تعالى** قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا قال المفسرون انما يقولون هذا لان الله رفع عنهم العذاب فيما بين النفختين فيرقدون فلما بعثوا في النفخة الاخرى وعاينوا القيمة دعوا بالويل قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فتقول لهم الملائكة هذا ما وعد الرحمن على السنة الرسل انه يبعثكم بعد الموت وصدق المرسلون في خبر البعث وقال قتادة اول الاية للكافرين وآخرها للمؤمنين فقال الكافرون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقال المسلمون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ويجوز ان يكون قوله هذا من نعت المرقد كانهم يقولون من بعثنا من مرقدنا هذا الذي كنا راقدين فيه فيقال لهم ما وعد الرحمن هو الذي بعثكم ويجوز ان يكون ما وعد الرحمن على هذا القول خبر مبتدا محذوف وتقديره حق ما وعد الرحمن او هذا ما وعد الرحمن **قوله تعالى** ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون هي النفخة الثانية اي ما كانت نفخة البعث الا صيحة واحدة فاذا الاولون والآخرون في عرصات القيمة محضرون اهلاكهم كان بصيحة واحدة وبعث الخلائق كلهم كان بصيحة واحدة **قوله تعالى** فاليوم لا تظلم نفس شيئا أي لا ينقص من حسنات احد ولا يزاد على سيئات احد ولا يجزى كل عامل الا على ما عمل من خير او شر **قوله تعالى** ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون معناه اصحاب الجنة في الآخرة في شغل فاكهون قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بجزم الغين وقرأ الباقون بضم الغين وهما لغتان مثل السحت والسحت واختلف المفسرون في شغلهم فقال بعضهم شغلوا بافتضاض العذارى عن اهل النار ولا يذكرونهم ولا يهتمون بهم وقال الحسن شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه اهل النار من العذاب وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة كلما جامعوا نساءهم عدن ابكارا **قوله تعالى** فكهون اي اصحاب فاكهة كما يقال شاحم لاحم اي ذو شحم ولحم وعاسل اي ذو عسل وقرأ ابو جعفر فكهون بغير الف والفكه هو الفرح المعجب الطيب النفس فيقال فاكه وفكه كحاذر وحذر **قوله تعالى** هم وازواجهم في ظلال أي هم وحلائلهم في ظلال الاشجار الجنة على الارائك متكئون على الحجال جالسون كالجلسة الملوك والارائك هي السرر عليها الحجال و**قوله تعالى** لهم فيها فاكهة أي لهم في الجنة الوان الفواكه ولهم فيها ما يدعون أي ما يتمنون ويشتهون وقيل معناه من ادعى شيئا فهو له بحكم الله عز وجل لانهم لا يدعون الا ما يحسن **قوله تعالى** سلام قولا من رب رحيم أي لهم سلام يسمعونه من الله ويعلمهم بدوام الامن والسلامة مع سبوغ النعمة والكرامة ويقال يحييهم الملائكة عن الله تعالى كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم واذا الرب تعالى قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه ولا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم **قوله تعالى** وامتازوا اليوم ايها المجرمون معناه يقول اعتزلوا يا اهل الجرم وقال السدي معناه كونوا على حدة وقال مقاتل اعتزلوا اليوم يعني في الآخرة من الصالحين وقال الزجاج معناه انفردوا عن المؤمنين ومعنى الآية انه تعالى يميز المجرمين واهل المؤمنين وذلك ان الخلق كلهم يحشرون مختلطين **قوله تعالى** الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان أي الم آمركم واوص اليكم وقال الزجاج معناه الم اتقدم اليكم على السنة الرسل يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان في الشرك اي لا تطيعوا الشيطان وكل من اطاع شيئا فقد عبده و**قوله تعالى** انه لكم عدو مبين أي عدو ظاهر العداوة اخرج ابويكم من الجنة وان اعبدوني أي اطيعوني ووحدوني هذا صراط مستقيم أي هذا طريق قائم يعني دين الاسلام **قوله تعالى** ولقد اضل منكم جبلا كثيرا أي ولقد اضل الشيطان منكم اناسا كثيرة وقيل خلقا كثيرا قال علي

رضي الله عنه جبلا كثيرا بالتاء مخففا وقرأ عاصم ونافع وابو جعفر جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرأ يعقوب بضم الجيم والباء وتخفيف اللام وكلها لغات ومعناها الخلق والجماعة و**قوله تعالى** افلم تكونوا تعقلون أي افلم تعقلوا ما رأيتم من الامم قبلكم اذا اطاعوا ابليس وعصوا الرسل فاهلكوا **قوله تعالى** هذه جهنم التي كنتم توعدون أي يقال لهم حين دنوا من النار هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا و**قوله تعالى** اصلوها اليوم أي الزموها اليوم بكفركم وقاسوا حرها و**قوله تعالى** اليوم يعني يوم القيمة و**قوله تعالى** اليوم نختم على افواههم وذلك انهم ينكرون الشرك فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على افواههم وتكلم جوارحهم فتشهد عليهم بما عملوا و**قوله تعالى** وتكلمنا ايديهم عن عقبة بن عامر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما يتكلم من الآدمي فخذه وكفه **قوله تعالى** ولو نشاء لطمسنا على اعينهم أي ولو نشاء اذهبنا اعينهم وجعلناها بحيث لا يبدو لها شق ولا جفن والمعنى ولو نشاء لاعميناهم في اسواقهم ومجالسهم عقوبة لهم بما فعلوا كما فعلنا بقوم لوط حين راودوه عن ضيفه و**قوله تعالى** فاستبقوا الصراط أي فطلبوا الطريق وبادروا الى الطريق الى منازلهم فانى يبصرون أي فمن اين يبصرون لو فعلنا بهم ذلك و**قوله تعالى** ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم أي لو نشاء لمسخناهم على مكانتهم اي في منازلهم قردة وخنازير وحجارة ليس فيها روح فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون أي لا يقدرون على ذهاب ولا مجيء والمسخ في اللغة نهاية التبديل **قوله تعالى** ومن نعمره ننكسه في الخلق أي ومن نطول عمره في الدنيا نرده الى الحالة الاولى من الضعف وقال الزجاج معناه من اطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة الضعف وبدل الشباب الهرم افلا يعقلون ان القادر على رد الشيء من حال القوة والكمال الى حالة الضعف وزوال العقل قادر على اعادة الخلق بعد الموت ومن قرأ تعقلون بالتاء فهو على مخاطبة الكفار وقرأ عاصم وحمزة والاعمش ننكسه بالتشديد وقرأ غيرهم بالتخفيف وفتح النون **قوله تعالى** وما علمناه الشعر وما ينبغي له وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك شاعر وان القرآن شعر فاكذبهم الله بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له اي وما يتسهل له ذلك وما كان يتزن له بيت شعر حتى اذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا قال الحكم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشعر العباس بن مرداس • اتجعل نهبي ونهب العبيد • بين الاقرع وعيينة • فقالوا يا رسول الله انما هو بين عيينة والاقرع فاعاد بين الاقرع وعيينة فقام اليه ابو بكر رضي الله عنه فقبل رأسه وقال صدق الله وما علمناه الشعر وما ينبغي له • وعن الحسن رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت • كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا • فقال ابو بكر يا رسول الله انما قال الشاعر • كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا • فقال عمر رضي الله عنه وما علمناه الشعر وما ينبغي له • وعن عائشة رضي الله عنها انها سئلت هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر فقالت كان الشعر ابغض الحديث اليه ولم يتمثل بشيء من الشعر الا ببيت طرفة • ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا • ويأتيك بالاخبار من لم تزود • فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار • فقال ابو بكر ليس هو هكذا يا رسول الله انما هو ويأتيك بالاخبار من لم تزود فقال اني لست بشاعر وما ينبغي لي الشعر **قوله تعالى** ان هو الا ذكر وقرآن مبين أي ما القرآن الا ذكر وموعظة فيه الفرائض والحدود والاحكام لينذر من كان حيا قرأ نافع وابن عامر بالتاء والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقرأ الباقون بالياء يعني لينذر القرآن من كان حيا يعني مؤمنا حي القلب لان الكافر كالميت في انه لا يتدبر ولا يتفكر ويحق القول على الكافرين أي وتجب الحجة بالقرآن على الكافرين اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون معناه او لم يشاهدوا انا خلقنا لهم بما تولينا خلقه بابداعنا وانشائنا لم يشاركنا في خلق ذلك شريك ولا معين وذكر الايدي هاهنا يدل على انفراده بما خلق ثم قال او لم يروا انا خلقنا لهم مما عملناه بقدرتنا لا مما عملتها ايديهم مما لم يثبتها انعاما وهي الابل والبقر والغنم فهم لها مالكون اي ضابطون قاهرون لها يتصرفون فيها كيف شاؤوا والايدي تذكر ويراد بها القدرة واظهار الصنعة و**قوله تعالى** وذللناها لهم أي لم نخلق الانعام نافرة من بني آدم

تقدرون على ضبطها بل هي مسخرة لهم والمعنى وسخرناها لهم مع قوتها وضعفهم فمنها ركوبهم أي مركوبهم ومنها يأكلون أي من لحومها ... ركوبهم ذوات الركوب والركوبة ... مثل الحمولة والحلوبة ... قوله تعالى ولهم فيها منافع ومشارب أي منافع من أصوافها وأوبارها وأشعارها ونسلها ومشارب من ألبانها أفلا يشكرون رب هذه النعم فيوحدونه ثم ذكر جهلهم وعنادهم قوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون أي عبدوا من دون الله أصناما رجاء أن تنصرهم وتشفع لهم كما قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ... نصرهم بقوله لا يستطيعون نصرهم أي لا تقدر آلهتهم نصرهم أن تمنعهم من العذاب وهم لهم جند محضرون أي هم للأصنام كالعبيد للأرباب قيام بين أيديهم يحضرون لهم والأصنام لا تقدر على نصرهم ولا على نصر أنفسهم ويجوز أن يكون معناه والمشركون محضرون مع الأصنام في النار ... وتعذيبنا للذين كانوا يعبدونهم وقيل معناه أن المشركين يغضبون للأصنام وهي لا تستطيع نصرهم قوله تعالى فلا يحزنك قولهم أي لا يحزنك يا محمد قول كفار مكة في تكذيبهم إياك وقولهم إنك شاعر إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون في أنفسهم من تكذيبك ومن مكرهم ... وما يعلنون لك من العداوة بالسنتهم والمعنى إنا نجازيهم ... قوله تعالى أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين يعني أبي بن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في إنكار البعث وأتاه بعظم قد بلي فجعل يفته بيده في الرياح ويقول لأصحابه ألا أخبركم ... ويقول لهم إن محمدا يقول إذا متنا ... نعاد ... فقال صلى الله عليه وسلم يحيي هذا ويميتك ثم يدخلك النار فأنزل الله هذه الآية والمعنى أولم ير الإنسان أنا خلقناه مع الحياة والعقل والحواس من نطفة فبلغناه إلى أن صار خصيما جدلا ظاهر الخصومة وهذا تعجيب من جهله وإنكار على خصومته أي كيف لا يتفكر في بدء خلقه وقوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه أي ضرب المثل في إنكار البعث بالعظم البالي ففتته بيده ونسي خلقه إياه بعد أن لم يكن شيئا ... ثم قال من يحيي العظام وهي رميم أي بالية وأنكر قدرة الله ... الخلق فأنكر إحياء العظم البالي ... قوله تعالى قل يحييها الذي أنشأها أول مرة أي قل لهم يا محمد إن الذي أنشأ الخلق من العدم إلى الوجود قادر على الإعادة بعد الإماتة ... الخلق بعد أن خلقهم قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا في هذه الآية زيادة بيان عجيب صنعه ... وذلك الزنود التي كانت العرب يورون منها النار وكانوا إذا احتاجوا إلى النار أخذوا غصنين من شجر المرخ وغصنا من شجر العفار ... فيضربون أحدهما بالآخر فتخرج النار ... فقيل لهم إن الذي جمع بين الماء والنار في الشجر الأخضر قادر على ... لا الماء يطفئ النار ولا النار تحرق الشجر قادر على ... وأحكم الحاكمين ... شجر العناب ... القصارون لدق الثياب عليها ... الله عز وجل ما هو أعظم خلقا من الإنسان قوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم معناه أن من قدر على خلق السموات والأرض في عظمها وعجائبها يقدر على إعادة خلق البشر لأن خلق السموات والأرض وما فيهما أبلغ في القدرة من إحياء الموتى أفليس القادر عليهما قادرا على الإعادة بلى وهو الخلاق يخلق خلقا بعد خلق العليم بجميع ما خلق قوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون معناه إنما أمره إذا أراد شيئا من الخلق ... أن يقول له كن فيكون بغير واسطة ... وهذا كائن مع إرادة الله تعالى ... قوله تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء نزه الله تعالى نفسه من أن يوصف بغير القدرة أي تنزيها للذي له القدرة على كل شيء من أن يوصف بغير القدرة وملكوت كل شيء أي ملك كل شيء والقدرة على كل شيء وإليه ترجعون في الآخرة بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم والله الموفق

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

سورة والصافات مائة واثنان وثمانون

وهي ثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا وثمانمائة وستون كلمة ومائة واثنان وثمانون آية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا يعني صفوف الملائكة في السماء كصفوف الخلق في الدنيا للصلوة وهذا قسم أقسم الله بالملائكة التي تصف أنفسها في السماء وقال ابن عباس يريد الملائكة صفوفا لا يعرف كل ملك منهم من إلى جانبه لم يلتفت منذ خلقه الله عز وجل وقيل أقسم الله بصفوف الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة فيه حتى يأمرها الله بما يريد قوله تعالى فالزاجرات زجرا أراد به الملائكة الذين يزجرون السحاب يسوقونه إلى الموضع الذي أمر الله به ويؤلفونه وقال قتادة يعني زواجر القرآن وهو كل ما نهى وزجر عن القبيح قوله تعالى فالتاليات ذكرا يعني جبريل والملائكة يتلون كتاب الله وذكره قوله تعالى إن إلهكم لواحد جواب القسم وإنما وقع القسم بهذه الملائكة لأن في تعظيمها تعظيما لله تعالى وقيل هذا قسم بالله تعالى على تقدير ورب الصافات إلا أنه حذف لما يقتضي من التعظيم وكذلك والذاريات والطور والنجم وغير ذلك وقد تضمن ... تشريف الملائكة وتعظيم الاصطفاف في الصلوة وفي الحديث أنهم يصطفون في صلاتهم في السماء ويسبحون الله ويذكرونه ويرفعون أصواتهم بقراءة القرآن في الصلوة كما يصطف الناس في صلاتهم قال مقاتل وذلك أن كفار قريش قالوا أجعل الآلهة إلها واحدا فأقسم الله تعالى بهؤلاء إن إلهكم لواحد ليس له شريك رب السموات والأرض وما بينهما مالكهما وما بينهما ومدبرهما ومالك المشارق وإنما قال ههنا ورب المشارق يريد مشارق الشمس ثلاثمائة وستين مشرقا تطلع كل يوم من مشرق وتغرب في مغرب فإذا تحولت السنة عادت إلى المشرق الأول والمغرب الأول وإنما قال تعالى في رب المشرق والمغرب فإنما أراد جانب المشرق وجانب المغرب وقيل أراد به الجنس وقيل أراد به مشرقها ومغربها في يوم واحد وأما قوله رب المشرقين ورب المغربين فقيل أراد به مشرق الشمس ومشرق القمر ومغربهما وقيل أراد به مشرق الشتاء والصيف ومغربهما ... الشمس طلوعها ... إذا طلعت وأشرقت إذا أضاءت قوله تعالى إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب أي زينا السماء التي هي أدنى إليكم ... ضوء الكواكب في نورها قرأ أبو بكر بزينة بالتنوين ونصب الكواكب ... وقرأ حمزة وحفص بزينة بالتنوين وخفض الكواكب على البدل ... وقرأ الباقون بالإضافة قوله تعالى وحفظا من كل شيطان مارد أي وجعلنا الكواكب حفظا من كل شيطان متمرد للشر يقذفون ... لكي لا يسترقوا السمع والمارد الخبيث الخالي من الخير والمارد هو المتمرد ... وفي هذا دليل أنه إنما ترجم بالكواكب بعض الشياطين وهم المردة قوله تعالى لا يسمعون إلى الملإ الأعلى كأنه قال فلا يسمعون أي لا تسمع مردة الشياطين إلى الملائكة ولا إلى كلامهم ... معنى الآية لكي لا يسمعون إلى الكتبة من الملائكة والملأ الأعلى الملائكة لأنهم في السماء وقرأ أهل الكوفة يسمعون بالتشديد أي يتسمعون قوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا أي ويرمون من كل جانب بالشهب يعني أن الشياطين يرمون بالشهب عند دنوهم من السماء لاستماع كلام الملائكة في تدبير أمور الدنيا يرمون بالشهب من نواحي السماء وأطرافها قوله تعالى دحورا أي طردا وإبعادا يقال دحره دحرا ودحورا إذا طرده وأبعده ولهم مع ذلك في الآخرة عذاب واصب أي دائم لا ينقطع وقيل معنى الواصب الموجع من الوصب وهو الوجع وقيل معنى الآية أنهم يدحرون ويبعدون عن تلك المجالس التي يسترقون فيها السمع ولهم عذاب واصب أي دائم إلى النفخة الأولى قوله تعالى إلا من خطف الخطفة أي إلا من اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة

فأتبعه شهاب ثاقب أي لحقه وأصابه نار مضيئة تحرقه والثاقب النير المضيء وهذا كقوله إلا من استرق
السمع فأتبعه شهاب مبين كأنه قال لا يسمعون الملأ الأعلى إلا من استمع مختلسا والخطفة هي أخذ الشيء بالسرعة
وقوله تعالى فأتبعه شهاب ثاقب أي نجم وهاج مشتعل قد مضى يحرقه قوله تعالى فاستفتهم أهم أشد خلقا
أم من خلقنا أي سل يا محمد أهل مكة واستعلمهم تقريرا للحجة عليهم أهم أشد خلقا أي أحكم صنعة أم من خلقنا
قبلهم من الأمم الماضية كانت الأمم الماضية أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأهلكناهم بكفرهم وتكذيبهم
فليخف [illegible] هؤلاء مع [illegible] في الكفر وهم أضعف ممن قبلهم ثم ذكر خلق الإنسان قوله تعالى إنا خلقناهم من
طين لازب أي إنا خلقنا أصلهم وهو أبو البشر آدم عليه السلام من طين لازب أي لاصق [illegible]
[illegible] وإذا خلق أصلهم من طين لازب فكيف لا يؤمنون بقدرة الله على البعث قوله تعالى بل عجبت ويسخرون
أي بل عجبت يا محمد من إنكارهم للبعث مع ظهور ما جئت به من الحجج والأدلة ويقال عجبت من جهلهم حين اختاروا ما تجب
به النار لهم وتركوا ما تجب به الجنة وهم يسخرون من تعجبك ويستهزئون بك إذا ذكرت القرآن وقرأ حمزة والكسائي
وخلف بضم التاء وهي قراءة ابن مسعود على معنى أنهم قد حلوا محل من يتعجب منهم وقال الحسن بن الفضل التعجب من
الله على خلاف التعجب من الآدميين وإنما معنى العجب ههنا هو الإنكار والتعظيم وقد جاء في الخبر إن الله تعالى ليعجب من
الشاب ليست له صبوة وقيل إن الجنيد سئل عن هذه الآية فقال إن الله لا يعجب من شيء ولكن الله وافق رسوله لما
عجب رسوله فقال وإن تعجب فعجب قولهم أي هو كما تقوله وقال ابن جريج أما التعجب من الله تعالى [illegible] وقرأ
الباقون بل عجبت بفتح التاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه ترك الكلام الأول والأخذ في كلام آخر كأنه
قال دع يا محمد ما مضى عجبت من كفار مكة حين أوحي إليك القرآن ولم يؤمنوا وهو كقوله تعالى [illegible]
ترك الإيمان به وقال قتادة عجب نبي الله من هذا القرآن حين أنزل عليه وظن أن كل من سمعه آمن به فلما سمعه المشركون
ولم يؤمنوا به وسخروا منه عجب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال الله عز وجل عجبت يا محمد من نزول الوحي عليك ويسخرون
الإيمان قوله تعالى وإذا ذكروا لا يذكرون أي إذا وعظوا بالقرآن لا يتعظون وإذا رأوا آية يستسخرون
أي إذا رأوا معجزة مثل انشقاق القمر وغيره اتخذوها سخرية ونسبوا ما دلهم على توحيد الله إلى السحر فقالوا إن
هذا إلا سحر مبين وقالوا أيضا على وجه الإنكار أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما بالية أئنا لمبعوثون
أي أنبعث بعد الموت أوآباؤنا الأولون الذين مضوا قبلنا قل لهم يا محمد نعم تبعثون وأنتم داخرون أنتم وآباؤكم
أي وأنتم أذلاء صاغرون والدخور أشد الذل ذكرا [illegible] زجرة واحدة أي صيحة واحدة فإذا هم قيام
ينظرون ما ذا يؤمرون به قوله تعالى فإنما هي زجرة واحدة أي فإنما نفخة البعث صيحة واحدة من إسرافيل
هي نفخة البعث فإذا هم ينظرون إلى البعث الذي كذبوا به فلما عاينوا البعث ذكروا قول الرسل في الدنيا
إن البعث حق فدعوا بالويل وقالوا يا ويلنا من العذاب هذا يوم الدين أي هذا يوم الحساب والجزاء الذي نجازى
فيه بما عملنا فقالت الملائكة هذا يوم الفصل أي يوم القضاء الذي كنتم به تكذبون يفصل فيه بين المحسن
والمسيء [illegible] وهو اليوم الذي كنتم تكذبون به في الدنيا قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أي يقال
للخزنة اجمعوا الذين ظلموا وقرناءهم من الشياطين الذين [illegible] ويقال أراد بالأزواج نظراءهم وأشكالهم
من الأتباع والزوج في اللغة هو النظير ومن ذلك زوج الخف ويقال أراد بالأزواج نساءهم إذا كانت مثلهم في الكفر
كافرة أو معناه احشروا الذين ظلموا من حشرهم إلى الموقف للجزاء والحساب والمراد بالذين ظلموا المشركون قوله
تعالى وما كانوا يعبدون من دونه يعني احشروا المشركين وأتباعهم وأوثانهم وطواغيتهم وأصنامهم التي كانوا يعبدونها
من دون الله وقال مقاتل يعني إبليس وجنوده فإنهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله قال الله تعالى ألم أعهد إليكم [illegible] الشيطان
قوله تعالى فاهدوهم إلى صراط الجحيم أي سوقوهم واذهبوا بهم إلى طريق الجحيم فلما انطلقوا بهم إلى الجحيم أرسل
[illegible] للخزنة احبسوهم وقفوهم إنهم مسؤولون أي احبسوهم في موضع الحساب ليسألوا ويعرفوا جزاء أعمالهم

وهذا

وهذا سؤال التوبيخ لا سؤال الاستفهام وقال ابن عباس معناه أنهم مسؤولون عن أعمالهم في الدنيا وأقاويلهم وقال مقاتل
تسألهم خزنة جهنم ألم يأتكم نذير ألم يأتكم رسل منكم ويجوز أن يكون هذا السؤال ما ذكر بعده وهو قوله تعالى
ما لكم لا تناصرون أي يقال لهم على سبيل التوبيخ ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا وذلك أن أبا جهل لعنه الله
قال يوم بدر نحن جميع منتصر فيقال لهم ذلك اليوم ما لكم غير متناصرين وأنتم زعمتم في الدنيا أنكم تتناصرون
قوله تعالى بل هم اليوم مستسلمون أي منقادون خاضعون لما يراد بهم والمعنى هم اليوم أذلاء منقادون لا حيلة
لهم في العذاب والعجز ولا يحمل أحد عن أحد ولا يمنع أحد أحدا قوله تعالى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون
أي الرؤساء والشياطين والمشركون يسأل بعضهم بعضا سؤال التوبيخ فيقول المشركون للشياطين إنكم كنتم تأتوننا عن
اليمين تغروننا بالضلالة وتردوننا عن الخير فيقول لهم الشياطين إنما كان الكفر من قبلكم وما كان لنا عليكم
من سلطان أي من قوة فنجبركم على الكفر بل كنتم قوما طاغين أي متجاوزين ضالين وقال الحسن في معنى
[illegible] فأقبل بعضهم على بعض أي أقبل التابعون على المتبوعين وكلهم من بني آدم فيقولون لهم أنتم كنتم [illegible]
[illegible] على الكفر [illegible] فيقول لهم التابعون إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين أي من [illegible]
الجهات وذلك لأن جهة اليمين أقوى من جهة الشمال كما أن اليمين أقوى من الشمال [illegible] بأقوى الوجوه
هي القوة قال الله تعالى فراغ عليهم ضربا باليمين أي بالقوة وقال قتادة معناه إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين أي [illegible]
عن طاعة الله تعالى فيقول لهم الرؤساء بل لم تكونوا مؤمنين في الأصل إذ لم تكونوا تؤمنون [illegible]
عليه وما كان لنا عليكم من سلطان بإجباركم على الكفر فحق علينا قول ربنا أي وجب علينا جميعا كلمة ربنا [illegible]
والعذاب وهو قوله تعالى لأملأن جهنم قوله تعالى إنا لذائقون أي لذائقون العذاب الضال والمضل في النار
قوله تعالى فأغويناكم إنا كنا غاوين أي أضللناكم عن الهدى ودعوناكم إلى الغواية إنا كنا غاوين بأنفسنا قوله
تعالى فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون لا ينفعهم التنازع والتخاصم وكلا الفريقين مشتركون في العذاب إنا
كذلك نفعل بالمجرمين أي هكذا نعاقب المشركين قوله تعالى إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون
أي إنهم كانوا يستكبرون عن كلمة التوحيد ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا وعبادتها لقول شاعر مجنون يعنون النبي صلى الله
عليه وسلم نسبوه إلى الشعر والجنون فأكذبهم الله تعالى قوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين أي ما هو بشاعر
ولا صاحبكم بمجنون بل جاء بالحق أي بالقرآن والتوحيد وصدق المرسلين الذين كانوا قبله أي أتى بما أتوا به
من الإيمان ونزول الحق قوله تعالى إنكم لذائقوا العذاب الأليم أي يقال لهم إنكم أيها المشركون لذائقوا العذاب
العذاب الأليم على شرككم ونسبتكم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشعر والجنون وما تجزون إلا ما كنتم
تعملون في الدنيا من الشرك ثم استثنى قوله تعالى إلا عباد الله المخلصين أي لكن عباد الله الموحدين المخلصين [illegible]
لا يعذبون أولئك لهم رزق معلوم أي يعرفون بالرزق ما يشتهون [illegible] فيها بكرة وعشيا وقيل الرزق
المعلوم هو ما ذكره بعده في قوله تعالى فواكه وهم مكرمون والفواكه جمع فاكهة وهي الثمار كلها رطبها
ويابسها وهم مكرمون بثواب الله تعالى على السرر في جنات النعيم على سرر متقابلين أي لا يرى بعضهم قفا بعض
يطاف عليهم بكأس من معين أي بآنية مملوءة من الشراب ولا تسمى كأسا إلا إذا كان فيها الشراب والمعين ههنا
الخمر [illegible] أنها تجري هناك على وجه الأرض من العيون كما تجري [illegible] قوله تعالى بيضاء
لذة للشاربين قال الحسن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن ليست هي على لون خمر الدنيا ولكنها بيضاء لرقتها ولنورها
ورقتها وصفائها قوله تعالى لذة للشاربين أي لذيذة أو ذات لذة للشاربين يقال شراب لذ ولذيذ قوله تعالى
لا فيها غول أي ليس فيها صداع ولا وجع بطن ولا أذى ولا تغتال عقولهم فتذهب بها ويقال للوجع غول
لأنه يؤدي إلى الهلاك قوله تعالى ولا هم عنها ينزفون أي ولا هم عنها يسكرون يقال نزف الرجل فهو منزوف
ونزيف إذا سكر وقال الكلبي يعني لا فيها غول أي إثم وقال الله تعالى لا لغو فيها ولا تأثيم وقال ابن كيسان الغول

المعصرة قال اهل المعاني الغول فساد يلحق في خفاء يقال اغتاله اغتيالا اذا افسد عليه امره في خفية و قوله تعالى
ولا هم عنها ينزفون قرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي ههنا وفي الواقعة ومعناه لا ينفد شرابهم
ابدا يقال انزف الرجل اذا نفد شرابه ومن فتح الزاي فمعناه لا يسكرون منها يقال نزف الرجل فهو منزوف
ونزيف اذا سكر وزال عقله قوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون اي نجعل
لهم بمجلس الشراب يسقون هذه الكؤوس اللذيذة وعندهم عين قاصرات الطرف قصرن اطرافهن على ازواجهن
فلا ينظرن الى غيرهم والعين جمع العيناء وهي كبار الاعين وحسانها قال الحسن العين
الذي بياض اعينهن في غاية البياض وسوادها في غاية السواد وعندهم حسان الاعين عاشقات الحسن
قصرن اعينهن على ازواجهن فلا ينظرن الا الى ازواجهن قوله تعالى عين اي نجل العيون حسانها واحدها
عيناء يقال رجل اعين وامرأة عيناء ونساء عين وقوله تعالى كأنهن بيض مكنون اي مستور مصون والبيض جمع بيضة
قال الحسن شبههن ببيض النعام يكنها الريش من الريح والغبار وهذا من تشبيهات العرب في وصف النساء بالبيض
شبه الله بياضهن ببياض البيض المكنون وقيل اراد بالبيض المكنون ههنا البياض الذي في داخل القشر الخارج
قوله تعالى فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون اي يتحدثون في الجنة عن امور الدنيا قال قائل منهم
في جواب ما سأل عنه إني كان لي قرين اي كان لي صاحب في الدنيا يقول لي حين صدقت وهو منكر للبعث
أإنك لمن المصدقين بالبعث أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما يالله أإنا لمدينون اي لمحاسبون ومجزيون
وهذا استفهام انكار للبعث والحساب والجزاء اي كان يقول هذا الامر ليس بكائن قوله تعالى قال هل أنتم مطلعون فاطلع
فرآه في سواء الجحيم معناه يقول القائل من اهل الجنة لاصحابه هل انتم تطلعون على النار وعلى اهلها فتنظرون الى هذا
الذي كان يقول لي وتعرفون حاله فاطلع هو بنفسه على النار واهلها فرأى قرينه في وسط الجحيم يعذب بالوان العذاب
قال ابن عباس وذلك ان في الجنة كوى ينظر منها الى النار فاطلع هذا المؤمن فرآه في سواء الجحيم اي في وسط الجحيم
قوله تعالى قال تالله إن كدت لتردين اي ما اردت الا ان تهلكني كهلاك المردى من الشاهق ويحتمل ان
معناه لقد كدت ان تغويني فانزل منزلك والمراد الاهلاك ومن اغوى انسانا فقد اهلكه و قوله تعالى
ولولا نعمة ربي اي لولا انعامه علي بالاسلام لكنت من المحضرين معك في النار قال الكلبي ثم يؤتى بالموت
فيذبح بين الجنة والنار وينادي مناد يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيقول هذا القائل
لاصحابه على جهة السرور أفما نحن بميتين في هذه الجنة ابدا إلا موتتنا الأولى التي كانت في الدنيا وما
نحن بمعذبين ابدا فيقال له لا فيقول إن هذا لهو الفوز العظيم قربنا الجنة ونعيمها ونجونا من النار وجحيمها
فهذه قصة الاخوين اللذين ذكرهما الله في سورة الكهف بقوله واضرب لهم مثلا رجلين قوله تعالى لمثل هذا فليعمل
العاملون اي لمثل هذا النعيم المقيم والملك العظيم فليعمل العاملون في الدنيا يعني النعيم ما ذكره الله من قوله رزق
معلوم فواكه وهم مكرمون الى قوله بيض مكنون و قوله تعالى أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم معناه أذلك
الفوز الذي سبق ذكره لاهل الجنة خير فيما هنالك نزلا أم نزل اهل النار قوله تعالى أم شجرة الزقوم لاهل النار
في النار والزقوم هو ما يكره تناوله والذي اراده الله هو شجرة كريهة تناوله واهل النار يكرهون على تناوله فهم
يتزقمونه على اشد كراهية ومنه قول العرب تزقم هذا الطعام اذا تناوله على كره ومشقة شديدة قوله تعالى إنا جعلناها
فتنة للظالمين روي في سبب ذلك انه لما نزل قوله تعالى أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم كانوا يقولون
لا ندري ما الزقوم وكانوا يتذاكرون فقال الحرث اذ جاءهم عبد الله بن الزبعرى السهمي فذكروا له قوله تعالى
يتكلم بها اهل اليمن يدعون الزبد والتمر الزقوم فقال ابو جهل لجاريته زقمينا فجاءته فأتته بزبد وتمر
ثم قال تزقموا فان الذي يخوفكم به محمد هذا فشاع في اهل مكة ان محمدا يخوف اصحابه بالزبد والتمر فانزل الله تعالى
هذه الآية انا جعلناها فتنة للظالمين اي عذابا للكافرين والفتنة هي العذاب كما قال تعالى يوم هم على النار يفتنون

وفتوا

وقوا فتنتكم اي عذابكم وانزل الله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ويحتمل ان يكون معنى الفتنة في هذه الآية
المحنة والبلية كما قال قتادة لما ذكر الله هذه الشجرة افتتن بها الظلمة وقالوا كيف يكون في النار شجرة وهي تأكل
الشجر فانزل الله تعالى انا جعلناها فتنة للظالمين اي جعلناها لهم فتنة افتتنوا بها ولقد ابتلوا بها و قوله
الله تعالى إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم اي تنبت في قعر الجحيم قال الحسن اصلها في قعر جهنم واغصانها
في دركاتها والنار تمد عليه ومنها خلقت فلا تحرقها النار كما يبقى الشجر كما لا تحرقه النار كلما ازدادت النار لهيبا ازدادت
تلك الشجرة ثمرا ونضارة وان اهل النار لياكلون النار ويشربون النار ويلبسون النار ويتقلبون في النار
وليس اخس اهل النار عذابا رجل يكون له نعلان يغلي من حرهما دماغه قوله تعالى طلعها كأنه رءوس
الشياطين اي ثمرها كأنه من هائل المنظر كأنه حبات هائلات الرءوس تكون في طريق اليمن تسمى العرب تلك الحيات
رءوس الشياطين لقبحها وقال بعضهم اراد به الشياطين المعروفة وقد اعتقد الناس قبحهم وقبح رءوسهم وان
لم يشاهدوهم ولذلك يشبهون الشيء القبيح بالشيطان فيقولون للرجل رأيت فلانا كأنه شيطان وكأن رأسه رأس الشيطان
والشياطين موصوفة بالقبح وان كانت لا ترى قوله تعالى فإنهم لآكلون منها اي من ثمرها فمالئون منها
البطون وذلك ان الله تعالى يلقي على اهل النار من شدة الجوع ما يلجئهم الى اكلها مع ما هي عليه من الحرارة والمرارة والخشونة
فيتبلعونها على جهد حتى يملؤوا بها ويمتلئ بطونهم منها ويكون حالهم في الاكل منها احرا لحالهم في ترك الاكل منها
ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم وذلك ان الله تعالى يلقي عليهم العطش بعد ذلك حتى يشربوا من الحميم وهو الماء الحار
الذي قد انتهى حره والشوب هو خلط الشيء بما ليس منه بما هو شر منه يقال شابه الشيء اذا خالطه فتشوب
الحميم في بطونهم والزقوم فيصير شوبا له قوله تعالى ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم معناه ثم ان مرجعهم بعد شرب
الحميم واكل الزقوم الى الجحيم وذلك انهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج من الجحيم كما يورد الابل الماء ثم يردون الى
الجحيم ويدل على صحة ذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن فمرة يردون الى الحميم فيسحرون ومرة في درك
الجحيم ومرة يردون الى النار الموقدة وهذا دأبهم ابدا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يا ايها الناس اتقوا الله
حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ولو ان قطرة من الزقوم قطرت في الارض لامرت على اهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن هو طعامه
ليس له طعام غيره قوله تعالى إنهم ألفوا آباءهم ضالين معناه انهم وجدوا آباءهم في الدنيا ضالين عن الحق
فهم على آثارهم يهرعون اي يمضون مسرعين كأنهم يزعجون من الاسراع الى اتباع آبائهم يقال اهرع واهرع
اذا اسرع قوله تعالى ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين اي ولقد ضل قبل هؤلاء المشركين اكثر الاولين من الامم
الماضية كما ضل قومك ولقد أرسلنا فيهم منذرين اي رسلا ينذرونهم العذاب اي يخوفونهم بالعذاب على ترك
الايمان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين انذروا فكذبوا الرسل كيف اهلكهم الله و قوله تعالى إلا
عباد الله المخلصين يعني الا عباد الله الموحدين الذين لم يكذبوا فانهم نجوا من العذاب فلم يهلكوا و قوله تعالى
ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون اي لقد دعانا نوح على قومه حين يئس من ايمانهم واذن له في الدعاء فدعا فقال رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قوله تعالى فلنعم المجيبون اي نعم المجيبون نحن
كنا له فانتصر قوله تعالى ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وهو الغرق قوله تعالى وجعلنا ذريته
هم الباقين وذلك ان من كان معه من المؤمنين في السفينة انقرضوا من غير عقب وكان النسل لنوح عليه السلام
من اولاده الثلاثة سام وحام ويافث فابو العرب وفارس والروم سام واما حام فابو الحبش وجميع السودان والسند
والهند ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج وما هنالك من الناس قال ابن عباس لما خرج من السفينة مات
من معه من الرجال والنساء الا ولده الثلاثة ونساؤهم فذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين و قوله تعالى
وتركنا عليه في الآخرين اي تركنا على نوح الذكر الجميل في الباقين بعده وذلك الذكر قوله تعالى سلام

على نوح في العالمين أي يصلى عليه الى يوم القيمة وقال الزجاج معنى قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين اي ابقينا
له ذكرا حسنا وثناء جميلا الى يوم القيمة انا كذلك نجزي المحسنين أي كما جزيناه خيرا وانعمنا عليه
كذلك نجزي المحسنين في القول والفعل انه من عبادنا المؤمنين وقيل معناه تركنا على نوح في الآخرين
ان يصلى عليه الى يوم القيمة قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم معناه وان من ملة نوح عليه السلام والمتمسكين
بدينه لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اي اذ اقبل الى طاعة ربه بقلب سليم من الكفر والمعاصي في كل غيب
والشيعة هي الجماعة التابعة لرئيسهم وقوله تعالى اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون هذا الكلام من
ابرهيم على توبيخه كالرجل ينظر الى غيره على قبيح من الامر فيقول له ما هذا الذي تفعل وقوله تعالى أئفكا آلهة
دون الله تريدون معناه اتتخذون آلهة تريدون عبادتها على وجه الكذب وقيل معناه اافكا
وهو اسوء الكذب وتعبدون آلهة سوى الله فما ظنكم برب العالمين اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره اي فما ظنكم
انه تصنع بكم قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم قال بعضهم انما نظر الى النجوم ينظر بذلك واعتاد
بها على وقت حمى كانت تأتيه فلما عرف ذلك الوقت حماه قال اني سقيم أي تجاوزت بي حمى ومرضي وقيل اذ همهم هذا
القول ان به مرضا فتركوه وكان يريد بهذا القول في نفسه اي سقيم القلب مما أرى من اخوتكم القبيحة في عبادة غير
الله تعالى وذلك انما اراد ان يكايدهم في اصنامهم ليلزمهم الحجة في انها غير معبودة وكان لهم عيد يخرجون اليه فكلفوه
الخروج معهم الى عيدهم فنظر الى النجوم يريهم انه يستدل بها على حاله فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين أي
تركوه وذهبوا الى عيدهم وقوله تعالى فراغ الى آلهتهم أي مال الى اصنامهم سرا في خفية بعدما ادبروا عنه ووجد
بين ايديهم طعاما كانوا قد وضعوه قبل خروجهم الى عيدهم وزعموا بجهلهم ان اصنامهم تبارك لهم فيه فاذا رجعوا
من عيدهم اكلوه قال مقاتل وكانت اصنامهم اثنين وسبعين صنما من خشب وحديد ورصاص وذهب وفضة وكان كبيرهم
من ذهب عيناه ياقوتتان فلما دخل ابرهيم كسرها وقرب اليهم الطعام فقال ألا تأكلون ما حولكم من الطعام فلما
لم يكن منهم اكل ولا جواب قال ما لكم لا تنطقون اذ لكنتم آلهة وقوله تعالى فراغ عليهم ضربا باليمين
أي مال عليهم بالضرب بيده اليمنى والقوة وتعالى بيمينه التي كان حلف وتالله لاكيدن اصنامكم فجعل يضربهم بالفاس حتى
جعلهم جذاذا ثم جعل الفاس على عاتق كبير الاصنام والروغان في اللغة هو الميل على وجه الاضطراب وقوله تعالى
فاقبلوا اليه يزفون أي اقبل المشركون اليه بعد رجوعهم من عيدهم يزفون في المشي كانهم اخبروا بصنيعه فقصدوه
والزفيف المشي السريع ومن ذلك زفيف النعام وهو حثيثه الذي يكون بين المشي والعدو ومنه الزفة لزفهم حشوا
وهي القيمة وقرأ حمزة يزفون بضم الياء أي يحملون دوابهم وظهورهم على الاسراع في المشي وذلك انهم اخبروا الصنيع ابرهيم الفتيهم
فاسرعوا اليه ليأخذوه فلما انتهوا اليه قال لهم محتجا عليهم أتعبدون ما تنحتون بايديكم من الاصنام أي
تنحتونه من الخشب والحجر مما لا ينطق ولا يسمع ولا يبصر ولا يعقل والله خلقكم وما تعملون ما بايديكم أي
خلقكم وعملكم وهي ينحتونهم التي عملوها والمعنى خلقكم وعملكم وهذا مذهب اهل السنة لانهم يعتقدون ان افعالهم
وعملهم والقدرية ينكر خلق الله افعال فلما الزمهم ابرهيم عليه السلام الحجة قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم
أي قالوا ابنوا له حائطا من حجارة طوله في السماء ثلثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا واملؤه نارا وذلك قوله تعالى
فالقوه في الجحيم وهي النار العظيمة فبنوا له ذلك وجمعوا فيه الحطب واشعلوا فيه النار حتى صار جحيما ثم رموه بالمنجنيق
فنجاه الله تعالى وجعل النار عليه بردا وسلاما لم تؤذه شيئا ولا احرقت شيئا من ثيابه وذلك لا خلاصه فقال
له هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا وقوله تعالى فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين الا كيدهم به
ان يحرقوه بالنار فجعلناهم الاسفلين لان ابرهيم عليه السلام علاهم بالحجة حين سلمه الله ورد كيدهم عنه وقيل الاسفلين
المهلكين اهلكهم الله وجعلهم ادنى ما اعظم واسفل منها الفوقية وقوله تعالى وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين اي قال
ابرهيم اني ذاهب الى مرضات ربي سيهدين لما فيه رشدي وصلاحي واراد بهذا الذهاب الى الارض المقدسة وقيل

الى

الى ارض الشام فلما قدم الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال رب هب لي من الصالحين
أي ولدا صالحا فاستجاب الله دعاه قوله تعالى فبشرناه بغلام حليم وقال الزجاج وهذه البشارة تدل على انه
مبشر بابن ذكر وانه يبقى حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم قال الحسن وهو اسحق عليه السلام وقال الكلبي هو اسمعيل
وكان اكبر من اسحق بثلث عشرة سنة قوله تعالى فلما بلغ معه السعي أي فلما بلغ ذلك الغلام حالة السعي وقطع
الله تعالى كما قال تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل وقيل معناه فلما بلغ ان يمشي معه وقال مجاهد
لما شب حتى بلغ ان يتصرف معه ويعينه وكان يومئذ ابن ثلث عشرة سنة وقيل اراد بالسعي في الوقت الذي يسعى الولد
بوالده في قضاء حوائجه قوله تعالى قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك اي رأيت في المنام رؤيا تأويلها اني
اذبحك وقيل رأيت في المنام اني اذبحك قال مقاتل رأى ابرهيم ذلك ثلث ليال متتابعات وقال ابن جبير رؤيا الانبياء
وحي قال قتادة رؤيا الانبياء حق اذا رأوا شيئا فعلوه وقوله تعالى فانظر ماذا ترى أي ماذا الرأي فيما القيت اليك
وقرأ حمزة والكسائي ماذا تري بضم التاء وكسر الراء ومعناه ماذا تشير وماذا تريني من صبرك او جزعك قال يا ابت افعل
ما تؤمر من ذبحي ستجدني ان شاء الله من الصابرين على بلائه وانما شاوره ابرهيم في هذا وهو مذبح لكونه مأمورا بذبحه
لانه احب ان يعلم صبره وعزيمته على امر الله وطاعته وفي الآية دلالة على ان ابراهيم كان مأمورا بالذبح ولهذا كانت رؤيا
الانبياء عليهم السلام وحي بمنزلة الوحي اليهم في اليقظة ولذلك قال له يا ابت افعل ما تؤمر ولم يقل افعل ما رأيت في المنام
واختلفوا في الذبيح من هو فذهب الاكثرون الى انه اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب وعلي بن ابي
طالب وعبد الله بن مسعود والعباس بن عبد المطلب ومن التابعين كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق
وعكرمة وعطا ومقاتل والزهري والسدي وقال آخرون هو اسمعيل وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد
بن المسيب والشعبي والحسن ومجاهد والكلبي والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظي وروي عن ابي اسحق الزجاج انه قال
الله اعلم ايهما الذبيح وسياق الآية يدل على انه اسحق لانه تعالى قال فبشرناه بغلام حليم ولا خلاف في انه اسحق ثم قال
فلما بلغ معه السعي فعطف بقصة الذبح على ذكر اسحق فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم القولان روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الذي اراد ابرهيم ذبحه هو اسحق وعن معاوية رضي الله عنه قال كنت عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذ جاء رجل فقال يا رسول الله عد علي مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسئل
معاوية وبين الذبيحين فقال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لله تعالى ان سهل الله عليه امرها ليذبحن احد ولده
فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والذبيح الثاني اسمعيل
وقيل قال هذا قوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين يريد اباه الادنى عبد الله بن عبد المطلب وجده اسمعيل
وقال محمد بن كعب القرظي ان الذي امر الله ابرهيم بذبحه اسمعيل وانا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى في ان تعالى يقول
حين فرغ من قصة المذبوح وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وقال الاصمعي سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح هل
هو اسمعيل او اسحق فقال لي يا اصمعي اين ذهب عنك عقلك واين كان اسحق وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنا
البيت مع ابيه كما قال تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل والنحر بمكة لا شك فيه وسئل ابو
سعيد الضرير عن الذبيح فانشد ان الذبيح هديت اسمعيل • نطق الكتاب بذاك والتنزيل • شرف
به خص الاله نبينا • واتى به التفسير والتأويل • واما قصة الذبح فقال السدي لما فارق ابرهيم قومه
مهاجرا الى الشام هاربا بدينه سأل الله ان يهب له من سارة ابنا صالحا فقال رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام
حليم وهو اسحق قال السدي فهو والله الذبيح وقال محمد بن اسحق هو اسمعيل فلما امر الله ابرهيم بذبح ابنه قال لابنه
يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا ابرهيم بابنه في شعب ثبير قال له يا بني اني ارى في
المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر واشدد رباطي حتى لا اضطرب واكفف ثيابك حتى
لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع مر السكين على حلقي حتى يكون اهون

ليكون أهون علي فإن الموت شديد فإذا أتيت أمي فأقرئها مني السلام وإن رأيت أن ترد عليها قميصي فافعل فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني فقال إبراهيم نعم العون أنت يا بني على أمر الله ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو يبكي والابن يبكي حتى استنقع الدموع تحت خده ثم إنه وضع السكين على حلقه فلم تعمل في حلقه شيئا قال السدي ضرب الله على حلقه صحيفة من نحاس فلم تقطع السكين شيئا فقال الابن عند ذلك يا أبت كبني على وجهي فإنك إذا نظرت في وجهي رحمتني وأدركتك الرقة فتحول بينك وبين أمر الله ففعل ذلك إبراهيم ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت السكين ونودي يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه فنظر إبراهيم فإذا هو بجبريل عليه السلام ومعه كبش أملح فكبر جبريل وكبر إبراهيم وكبر ابنه فأخذ إبراهيم الكبش وأتى به المنحر من منى فذبحه فلما ذبح إبراهيم الكبش رجع إلى أمه فجعل يقبله ويقول يا بني قد وهبك الله لي ثم رجع إلى أمه فأخبرها الخبر فجزعت وقالت يا إبراهيم أردت أن تذبح ولدي ولا تعلمني وعن ابن عباس قال لما أراد إبراهيم ذبح ابنه قال الشيطان والله لئن لم أفتن آل إبراهيم في هذا الأمر لا أفتن منهم أحدا فتمثل الشيطان رجلا وأتى إلى أم الولد فقال لها هل تدرين أين ذهب بابنك قالت نعم يحتطب لأهلنا حطبا من هذا الشعب قال والله ما ذهب به إلا ليذبحه قالت لم قال زعم أن ربه أمره بذلك قالت فليفعل ما أمره به ربه رضا وطاعة لله عز وجل فرجع الشيطان إلى الولد وقال له هل تدري أين ذهب بك إبراهيم أبوك قال نعم ذهبنا نحتطب قال لا والله ما ذهب بك إلا ليذبحك قال كلا هو أرحم بي وأشد حبا لي من ذلك قال إنه زعم أن الله أمره بذلك قال فإن كان ربه قد أمره بذلك فقد أحسن في امتثال أمر ربه فخرج الشيطان من عندهما حتى أتى إلى إبراهيم عليه السلام فقال أين تريد أيها الشيخ قال أريد هذا الشعب قال والله إني لأرى الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه إبراهيم فقال إليك عني يا عدو الله فوالله لأمضين لأمر ربي فرجع إبليس لعنه الله بغيظه لم يصب من آل إبراهيم شيئا مما أراد قوله تعالى **فلما أسلما وتله للجبين** أي فلما انقادا وخضعا لأمر الله ورضيا وقرأ ابن مسعود فلما سلما أي فوضا وفي قوله تعالى وتله للجبين أي صرعه وأضجعه وكبه على وجهه للذبح وقيل طرحه على الأرض على جبينه كما تفعل بالكبش حين تذبح فأدركته الملائكة من الجبل بأمر الله تعالى قوله تعالى **وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا** أي وفيت بما أمرت به في المنام من ذبح ابنك وخذ الكبش الذي يحط إليك من الجبل المشرف على مسجد منى وقوله تعالى قد صدقت الرؤيا أي نودي من الجبل أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا لأن الله تعالى قد عرف منهما الصدق حين قصد إبراهيم الذبح بما أمكنه وطاوع الابن بالتمكين من الذبح ففعل كل واحد منهما ما أمكنه وإن لم يحصل الذبح وكان قد رأى في المنام معالجة الذبح ولم ير إراقة الدم ففعل في اليقظة ما رأى في المنام فلذلك قيل له قد صدقت الرؤيا وتم الكلام ثم قال تعالى **إنا كذلك نجزي المحسنين** أي هكذا نجزي المحسنين من سلك طريقهما في الانقياد لأمر الله وتحمل الصبر على بلائه قوله تعالى **إن هذا لهو البلاء المبين** أي هو الاختبار البين فيما يوجب المحنة أو النقمة وأي اختبار أعظم من أن يؤمر الشيخ الكبير بذبح الولد [illegible] قوله تعالى **وفديناه بذبح عظيم** أي بكبش عظيم أي أقمنا الذبح مقامه وجعلناه بدلا عنه وعن عطاء بن يسار قال لما بلغ إسماعيل سبع سنين رأى إبراهيم عليه السلام أنه يذبحه فأخذ بيده ومضى به حتى أتى منحر الذي اليوم فقال يا بني إن الله قد أمرني بذبحك قال إسماعيل فأطع ربك ففعل إبراهيم فجعل يحز في حلقه فإذا هو يحز في نحاس لم تؤثر فيه الشفرة فشحذها مرتين أو ثلاثا بالحجر في كل ذلك لا يستطيع فرفع رأسه فإذا هو بكبش قد رعى في الجنة أربعين خريفا وقال الحسن ما فدي إلا بتيس هبط عليه من ثبير فذبحه إبراهيم فداء عن ابنه وقيل كان الفداء وعلا من الأوعال الجبلية وأما قوله تعالى بذبح عظيم قال سعيد بن جبير حق له أن يكون عظيما لأنه رعى في الجنة أربعين خريفا وقال مجاهد سمي عظيما لأنه متقبل وقال الحسين بن الفضل لأنه كان من عند الله وقال أبو بكر الوراق لأنه لم يكن عن نسل وإنما كان بالتكوين قوله تعالى **وتركنا عليه في الآخرين** أي تركنا

على إبراهيم في العالمين أي تقول **سلام على إبراهيم** ويصلى عليه إلى يوم القيامة ونبينا عليهما جميعا قوله تعالى **وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين** من جعل الذبيح إسماعيل قال بشر الله إبراهيم بولد يكون نبيا بعد هذه القصة جزاء لطاعته ومن جعل الذبيح إسحق قال بشر إبراهيم بنبوة إسحق وأثيب إسحق بصبره بالنبوة قوله تعالى **وباركنا عليه وعلى إسحق** أي باركنا على إبراهيم وعلى إسحق وقيل على إسماعيل وعلى إسحق قوله تعالى **ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين** المحسن هو المؤمن والظالم المبين هو الكافر قوله تعالى **ولقد مننا على موسى وهرون** أي أنعمنا عليهما بالنبوة والرسالة وغير ذلك من أنواع النعم والمن قطع كل أذية بالنعمة ومنه قوله تعالى أجر غير ممنون أي غير منقطع قوله تعالى **ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم** أي وخلصناهما من [illegible] والتقطيع من استعباد فرعون إياهم ومن ذبح أبنائهم وتسخير رجالهم في الأمور الشاقة **ونصرناهم** على فرعون وقومه **فكانوا هم الغالبين** بعد ما كانوا مغلوبين **وآتيناهما الكتاب المستبين** أي أعطيناهما الكتاب البين وهو التوراة **وهديناهما الصراط المستقيم** وهو دين الإسلام قوله تعالى **وإن إلياس لمن المرسلين** قال ابن عباس هو عم اليسع وهو من ذرية هرون بن عمران وهرون هو جد أبيه وقال ابن إسحق إلياس هو يوشع بن نون وقال إن إلياس والخضر حيان لا يموتان فإلياس صاحب البراري والخضر صاحب الجزائر ويجتمعان في كل سنة بعرفات وعن أنس رضي الله عنه قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بفج الناقة إذا نحن بصوت يقول اللهم اجعلني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم المرحومة المغفور لها المتوب عليها المستجاب لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس انظر هذا الصوت فدخلت الجبل فإذا أنا برجل أبيض الرأس واللحية عليه ثياب بيض طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع فلما نظر إلي قال أنت رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم قال ارجع إليه فأقرئه مني السلام وقل له هذا أخوك إلياس يريد لقاءك فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأنا معه حتى إذا كنا قريبا منه تقدم النبي صلى الله عليه وسلم وتأخرت فتحدثا طويلا فنزل عليهما من السماء شبه السفرة فدعواني فأكلت معهما فإذا فيها كمأة ورمان وكرفس فلما أكلت قمت فتنحيت وجاءت سحابة فاحتملته وأنا أنظر إلى بياض ثيابه فيها تهوي به قبل الشام قوله تعالى **إذ قال لقومه ألا تتقون** أي ألا تتقون عقاب الله بعبادة غير الله قوله تعالى **أتدعون بعلا** أي أتعبدون بالإلهية صنما وتتركون عبادة **أحسن الخالقين** وكان قومه يعبدون صنما لهم من ذهب يقال له بعل طوله عشرون ذراعا وكان له أربعة أوجه فجعل إلياس يدعوهم إلى عبادة الله وهم في ذلك لا يسمعون منه شيئا **الله ربكم ورب آبائكم الأولين** أي خالقكم وخالق آبائكم ومن قرأ الله ربكم بالنصب فعلى صفة أحسن الخالقين قوله تعالى **فكذبوه فإنهم لمحضرون** أي لمحضرون في النار والعذاب بتكذيبهم قوله تعالى **إلا عباد الله المخلصين** أي لكن عباد الله المخلصين يبعدون من الموضع الذي فيه المكذبون قوله تعالى **سلام على إل ياسين** يريد إلياس ومن آمن معه قال أبو علي الفارسي تقديره الياسيين للنسبة حذفنا كما حذفنا في الأشعرين والأعجمين وقرأ نافع سلام على آل ياسين أي سلام على أهل كلام الله وقيل آل محمد صلى الله عليه وسلم فإن يس من كلام الله في القرآن ويس اسم من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين** ظاهر المعنى قوله تعالى **وإن لوطا لمن المرسلين** أي من جملة المرسلين **إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين** يعني امرأته المنافقة تخلفت في موضع العذاب في جملة الباقين **ثم دمرنا الآخرين** أي أهلكناهم بعذاب الاستئصال قوله تعالى **وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون** هذا خطاب لمشركي العرب كانوا يمرون على قريات لوط فلم يعتبروا قوله تعالى **وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون** أي إذ هرب من قومه إلى السفينة المملوءة بالناس والدواب وإنما هرب لأنه كان أوعدهم بالعذاب إن لم يؤمنوا فلم يؤمنوا وعلم أن العذاب نازل بهم فخرج من بينهم قبل أن يأمره الله بالخروج فكان ذلك ذنبا منه وكان يصلح حين خرج منهم المبالغة في تحذيرهم وإنذارهم فكان ذهابه كالفار من مولاه فوصف بالإباق قوله تعالى **فساهم** فكان

فكان من المدحضين وذلك أنه لما ركب السفينة وقفت السفينة فلم تسر بأهلها فقال الملاحون ههنا عبد أبق من سيده وهذا رسم السفينة إذا كان فيها عبد آبق لا تجري فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وقال سعيد بن جبير لما استهموا جاء حوت إلى السفينة فاغرا فاه ينتظر أمر ربه كأنه يطلب واحدا من أهلها فقال يونس لأهل السفينة أنا المطلوب من بينكم فقالوا أنت أكرم على الله من أن يبتليك بمثل هذه البلية فقال لهم اقترعوا فخرجت القرعة على اسمه فألقى إلى الحوت وكان يعلم أن القرعة تخرج لأنه يعتد بالقاء نفسه إلى الحوت مخافة أن يلحقه سمة الجنون **فساهم** أي فقارع السهم عليه فكان من المسهومين والمدحض في اللغة هو المغلوب في الحجة وأصله من دحض الرجل إذا زلق مكانه فلما ألقي عليه السلام في البحر ابتلعه الحوت ابتلاع اللقمة و قوله تعالى **وهو مليم** أي أتى بما يستحق به اللوم والمليم الآتي بما يلام عليه وسبب استحقاقه اللوم خروجه من بين قومه قبل ورود الإذن عليه من الله تعالى قوله تعالى **فلولا أنه كان من المسبحين** أي لولا أنه كان قبل ابتلاع الحوت من المصلين لله تعالى لمكث في بطن الحوت إلى يوم يبعثون وقال الحسن ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا قبل ذلك وقيل أن المراد به التسبيح في بطن الحوت وهو قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قال السدي لبث يونس في بطن الحوت أربعين يوما في بطن الحوت وقال الضحاك عشرين يوما وقال عطاء سبعة أيام وقال مقاتل ثلاثة أيام قوله تعالى **فنبذناه بالعراء** أي ألهمنا الحوت أن تطرحه على فضاء من الأرض والعراء هو المكان الخالي من الشجر والبناء ومعناه فنبذناه بالبراري على وجه الأرض **وهو سقيم** تذبل لحمه مثل الصبي المولود قال ابن عباس كالفرخ الذي ليس عليه ريش وقيل معنى وهو سقيم أي وهو مريض وذلك لما أصابه في بطن الحوت من الشدة والضغطة والبعد من الهواء والغذاء حتى ضعف جسمه ورق جلده ولم يبق له ظفر ولا شعر كالمولود لما يخرج من بطن أمه فلما ألقي على وجه الأرض كان بها ذي حر الشمس فأنبت الله عليه شجرة من يقطين قال الكلبي هي القرع وهي شجرة الدباء وكل شجرة لا تقوم على ساق وتمتد على وجه الأرض مثل القرع والبطيخ ونحوهما فهو يقطين واشتقاقه من قطن بالمكان إذا أقام به فهو الشجر يكون ورقه وساقه على وجه الأرض فلذلك قيل يقطين ومن خصائص شجرة القرع أنها لا يقربها ذباب قالوا فكان يستظل بظلها من الشمس وسخر الله له وعلة تكرم وعشيا تختلف إليه كما ترضع من لبنها حتى اشتد لحمه ونبت شعره ثم أرسله الله تعالى بعد ذلك وهو قوله تعالى **وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون** قال الحسن معناه بل يزيدون وقال الكلبي معناه ويزيدون وكان الذين أرسل إليهم أهل نينوى وكانوا أرسل قبل التقام الحوت إلى قومه وبعد ما نبذه إلى قوم آخرين وقوله تعالى **فآمنوا فمتعناهم إلى حين** أي إلى حين آجالهم واختلفوا في الزيادة على مائة ألف قال مقاتل كانت الزيادة عشرين ألفا وقيل بضعا وثلاثين ألفا وقال سعيد بن جبير سبعين ألفا و قوله تعالى **فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون** أي سل يا محمد أهل مكة سؤال توبيخ وتقريع ألربك البنات ولهم البنون وذلك أن قريشا وقبائل من العرب جهينة وبني سلمة كانوا يقولون أن الملائكة بنات الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا و قوله تعالى **ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله** أي ألا إنهم من كذبهم وفرط جهلهم ليقولون ولد الله **وإنهم لكاذبون** في إضافة الولادة إلى الله تعالى حيث زعموا أن الملائكة بنات الله قوله تعالى **أصطفى البنات على البنين** القراءة المعروفة المشهورة بفتح الألف على الاستفهام الذي معناه التوبيخ والمعنى سلهم أصطفى البنات لأنه جاء ذلك الوصل ويذهب الألف لاستفهام مفتوحة مقطوعة على حالها مثل أستكبرت واستغفرت لهم ونحوها وفي رواية ورش اصطفى بوصل الألف على الخبر والحكاية عن قول الكفرة كأنه يقولون ولد الله ويقولون اصطفى البنات و قوله تعالى **ما لكم كيف تحكمون** هذا توبيخ لهم أي كيف ترضون لله ما لا ترضون لأنفسكم أفلا

تعقلون

تعقلون فتمتنعون عن مثل ذلك **أم لكم سلطان مبين** أي أم لكم حجة بينة على صحة دعواكم فإن كان لكم كتاب **فأتوا بكتابكم** الذي تحتجون به **إن كنتم صادقين** فيما تدعون قوله تعالى **وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا** أي جعل هؤلاء المشركون بين الله وبين الملائكة الذين هم الجنة نسبا وسمى الملائكة جنة في هذا الموضع لاستتارهم عن أعين الناس كاستتار الجن و قوله تعالى **ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون** أعلمت الملائكة أن الكفار على ما ادعوه وهم محضرون في العذاب لقائلهم في هذا القول تبرئة الله تعالى بنفسه قوله تعالى **سبحان الله عما يصفون** أي عما يصفونه ويصفون الله به **إلا عباد الله المخلصين** من الجن والإنس فإنهم لا يحضرون هذا العذاب قوله تعالى **فإنكم وما تعبدون** هذا خطاب للكفار معناه فإنكم أيها المشركون وما تعبدونه من دون الله من الأصنام **ما أنتم عليه بفاتنين** لا تضلون أحدا إلا من كان في علم الله **إلا من هو صال الجحيم** وفي هذا بيان أنهم لا يضلون أحدا إلا من كان في معلوم الله أنه سيكفر يعني إلا من قضى الله سبق علمه بالشقاوة وأنهم يصلون النار فهم الذين يضلون في الدنيا ويعبدون الأصنام قوله تعالى **وما منا إلا له مقام معلوم** هذا من قول جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون ابتداء إخبار عن الملائكة ما من واحد منا في السموات والأرض إلا له موضع معلوم يعبد الله فيه لا يتجاوزه ما أمر به **وإنا لنحن الصافون** أي المصطفون في الصلاة كصفوف المؤمنين وقيل صافون نحو العرش منتظرون بالأمر والنهي **وإنا لنحن المسبحون** أي المصلون المنزهون له عن السوء وعن جميع ما لا يليق بصفاته قوله تعالى **وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين** أي وقد كان كفار مكة يقولون لو أن عندنا ذكرا كما جاء غيرنا من الأولين من الكتب لأخلصنا العبادة لله فلما جاءهم الرسول والكتاب كفروا وطلبوا الكفر فسوف يعلمون ماذا ينزل بهم وهذا كما قال لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم قوله تعالى **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين** معناه لقد تقدم وعدنا بالنصرة والظفر لعبادنا المرسلين في الكلمة وقوله تعالى لأغلبن أنا ورسلي فهذه الكلمة التي قد سبقت فإن الله تعالى لم يأمر أحدا من النبيين بالجهاد إلا ونصره وجعل العاقبة له قال الحسن ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيه قط و قوله تعالى **وإن جندنا لهم الغالبون** أي إن حزب الله لهم الغلبة بالحجة والنصرة في الدنيا فينتقم الله من أعدائه في الآخرة قوله تعالى **فتول عنهم حتى حين** أي أعرض عنهم حتى تنقضي المدة التي أمهلوا فيها **وأبصرهم** في عذاب الآخرة **فسوف يبصرون** ما وعدناهم من العذاب وقيل معناه فأعرض عنهم حتى نأمرك بقتالهم وأبصرهم في تلك فسوف يبصرون العذاب بأعينهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم متى نزول هذا العذاب الذي تعدنا به قال الله تعالى **أفبعذابنا يستعجلون** أي أيطلبون تعجيل عذابنا عليهم **فإذا نزل** العذاب **بساحتهم** أي بفناء دارهم وموضع منازلهم **فساء صباح المنذرين** أي بئس صباح قوم أنذرهم الرسل فلم يؤمنوا وعن أنس رضي الله عنه قال لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم خيبر قال الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين و قوله تعالى **وتول عنهم حتى حين** إلى ما ذكره إنما أعيد للتأكيد لوعد العذاب و قوله تعالى **وأبصر فسوف يبصرون** ليس هذا بتكرار لأنهما عذابان أحدهما لعذاب الآخرة والثاني في عذاب الدنيا يوم بدر قوله تعالى **سبحان ربك رب العزة عما يصفون** أي تنزيها لربك رب القدرة والمنعة والغلبة عما يقولون من الكذب بأن للأوثان آلهة وأن الملائكة بنات الله و قوله تعالى **وسلام على المرسلين** الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع قال صلى الله عليه وسلم إذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين فإنما أنا رسول من المرسلين و قوله تعالى **والحمد لله رب العالمين** أي الشكر لله رب الخلائق على إهلاك الأعداء وإعزاز الأولياء وقيل معناه والحمد لله رب العالمين على هلاك المشركين ونصرة الأنبياء وعن علي رضي الله عنه أنه قال من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر فليكن آخر كلامه في مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

سورة ص ثمان وثمانون آية مكية

وهي ثلاثة آلاف وتسع وتسعون حرفا وسبعمائة واثنتان وثمانون كلمة وثمان وثمانون آية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة ص أعطي من الأجر بوزن كل جبل سخره الله لداود حسنات وعصم من أن يصر على ذنب صغير أو كبير

بسم الله الرحمن الرحيم

ص والقرآن ذي الذكر اختلفوا في قوله ص قال بعضهم معناه صدق الله وهو قول الضحاك وقال عطاء معناه
صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي هو مفتاح اسم الله تعالى صمد وصانع المصنوعات وصادق الوعد
وقيل هو من فواتح السور وقال ابن عباس هو قسم أقسم الله به وقال سعيد بن جبير هو بحر يحيي به الله الموتى بين النفختين
وقيل هو إشارة إلى صدود الكفار عن القرآن والهدى وقال الكلبي معناه أعرض عن الهدى كأنه ذهب إلى الصد كما يقال
صد أي صد أبو جهل أو صد أهل مكة وأما قراءة الحسن وقرأ عيسى بن عمر صاد بفتح الدال ومثله قاف
ونون لاجتماع الساكنين وحركها بأخف الحركات ومعناه صاد محمد قلوب الرجال واستمالها حتى آمنوا به وقرأ الحسن
صاد بكسر الدال من المصاداة التي هي من المقابلة والمعارضة أي عارض عملك بالقرآن قوله تعالى والقرآن ذي الذكر أي ذي
البيان الهادي إلى الحق وقيل معناه ذي الشرف كما في قوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك والمعنى أقسم الله بالقرآن أن محمدا
صادق وجواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما تقول الكفار قوله تعالى بل الذين كفروا في عزة
وشقاق يعني كفار مكة في منعة وحمية وتكبر عن الحق وشقاق أي خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى كم أهلكنا من قبلهم من قرن أي من أمم تكذيبهم الرسل فنادوا عند وقوع الهلاك بهم
ولات حين مناص أي وليس بوقت فرار قال وهب ولات بلغة السريانية وليس وذكر أن العرب إذا أرادوا
أن يقولوا وليس يقولون ولات وقال أئمة اللغة أصلها لا زيدت فيها التاء كما زيدت في ثمت وربت وقال بعضهم إن
التاء زيدت في حين كما قال الشاعر والعاطفون تحين ما من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم
أراد والعاطفون حين فزيدت التاء والوقف عليه بالتاء وروي عن الكسائي الوقف بالهاء على الوقف
قيل عن ابن كثير وقال الكسائي إن التاء مع حين والوقف عليه ثم يبتدئ تحين مناص قال ابن عباس كان كفار مكة إذا
قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص أي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا
مناص قيل عادتهم وأحاط بهم الملائكة ولات حين مناص أي ليس هذا حين نداء ينجي وقيل معناه ولات حين منجا ولا
ليس هذا حين تأخر وفرار والمناص مصدر من النوص يقال ناص ينوص إذا فات وتكون النوص بمعنى التأخر أي ليس
هذا حين تأخر والنوص هو الفوت والتأخر قوله تعالى وعجبوا أن جاءهم منذر منهم أي وعجب المشركون أن
جاءهم نبي منهم يخوفهم من عذاب الله وقال الكافرون هذا ساحر كذاب يعنون النبي صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى أجعل الآلهة إلها واحدا أي قالوا لفرط جهلهم على وجه الإنكار أجعل محمد الآلهة إلها واحدا
إن هذا لشيء عجاب أي ما هذا الذي يقوله محمد من رد الجماعة إلى إله واحد إلا شيء مفرط في العجب والعجاب يكون في
غاية العجب يقال رجل طوال وطوال أي طويل وخفاف وسراع وطاع وكل ذلك للمبالغة وذلك
أن عمر بن الخطاب لما أسلم شق ذلك على قريش فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الرؤساء والصناديد وهم
وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم الوليد بن المغيرة وهو أكبرهم سنا وأبو جهل وأبي وأمية ابنا خلف
وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والعاص بن وائل والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام وزمعة بن نوفل وزمعة بن الأسود
والأخنس بن شريق وغيرهم فقال لهم الوليد بن المغيرة امشوا إلى أبي طالب فقولوا له أنت شيخنا وكبيرنا وأتيناك
لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فمشوا إليه وهو في مرض الموت فشكوا إليه النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا إنه
يشتم آلهتنا ويعيب ديننا ويسفه أحلامنا ويقول كذا وكذا فدعا أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا ابن
أخي ما تريد من قومك قال أريد منهم كلمة واحدة إذا قالوها ملكوا العرب ودانت لهم العجم فقالوا وما هي قال
قولوا لا إله إلا الله فنفروا من ذلك وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا وقيل إن أبا طالب لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم

قال

وقال له يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل عليهم فقال وماذا يسألوني قالوا ارفض ذكر
آلهتنا وندعك وإلهك فقال صلى الله عليه وسلم أدعوهم إلى كلمة واحدة فقالوا وما هي قال قولوا لا إله إلا الله
فقاموا من ذلك وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا واشتطوا من ذلك وخرجوا من عند أبي طالب يقول بعضهم لبعض
امشوا واصبروا على آلهتكم فذلك قوله تعالى وانطلق الملأ منهم أي انطلقوا من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي
طالب وهم يقولون امشوا واصبروا على آلهتكم أي اصبروا على دينكم إن هذا لشيء يراد أي هذا شيء يريده محمد والأمر يراد بكم
قوله تعالى ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة أي قالوا ما سمعنا بهذا الذي يقوله محمد من التوحيد في الملة الآخرة
يعني النصرانية لأنها آخر الملل والنصارى لا يوحدون يقولون ثالث ثلاثة إن هذا إلا اختلاق أي
قالوا ما هذا الذي يقوله محمد إلا كذب اختلقه من تلقاء نفسه يعنون الذي جاء به من التوحيد والقرآن
قوله تعالى أأنزل عليه الذكر من بيننا أي قال المشركون أخص محمد بالنبوة والكتاب من بيننا ونحن أكثر منه سنا
وأعظم شرفا والمعنى الذكر القرآن قوله تعالى بل هم في شك من ذكري أي ليس الذي يقولون ما يعتقدونه
إلا شاكين بل لما يذوقوا عذاب لاستئصاله هذا تهديد لهم أي إنهم سيذوقون العذاب فهم لا يشعرون بنزول
الشك في ذلك الوقت قوله تعالى أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب معناه أعندهم خزائن
رحمة ربك أي بأيديهم مفاتيح النبوة والرسالة فيضعونها حيث شاؤوا وقيل معناه أعندهم خزائن رحمة ربك
فيمنعونك ما من الله به عليك من الكرامة وفضلك به من الرسالة ومعنى الآية أنه ليس ذلك بأيديهم بل بيد العزيز
في ملكه الوهاب الذي وهب النبوة لك قوله تعالى أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب
وذلك أنهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم على ما خصه به من النبوة والوحي فقال تعالى أم لهم ملك السموات
والأرض فيمنعوا عن اختيارهم وينزلوا الوحي على من يختارون فيقال لهم فليرتقوا في الأسباب أي فليصعدوا في طرق
السموات من سماء إلى سماء فليمنعوا الوحي عنه إن كان لهم مقدرة على ذلك قوله تعالى جند ما هنالك مهزوم
من الأحزاب أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أنه سيهزم جند المشركين ببدر وجند خبر مبتدإ محذوف
أي هم جند وما زائدة وهنالك إشارة إلى بدر ومصارعهم بها والأحزاب سائر من تقدمهم من الكفار الذين
تحزبوا على الأنبياء عليهم السلام قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد أي كذبت قبل قومك قوم نوح
نوحا وعاد هودا وكذب فرعون ذو الأوتاد موسى عليه السلام أم كذبت هؤلاء أنبياءهم فحل بهم عذاب
الاستئصال وكذلك كذبت ثمود صالحا وقوم لوط لوطا وكذا أصحاب الأيكة شعيبا وقوله تعالى أولئك
الأحزاب أي أولئك الجماعة الكثيرة القوية كلهم كذبوا رسلهم فحق عليهم عقابي وعذابي وكذلك يحق على
قومك ويسمى فرعون ذا الأوتاد لأنه كان يمد الناس بين الأوتاد ويرسل عليهم الحيات والعقارب وقيل إنه
كان إذا غضب على إنسان وتد يديه ورجليه ورأسه وقال عطية ذو الأوتاد أي ذو الجموع والجنود الكثيرة
يعني أنهم كانوا يقوون أمره ويشدون ملكه كما يقوي الوتد الشيء وقيل الأوتاد الأبنية المشيدة سميت
بذلك لارتفاعها كما سميت الجبال أوتادا قوله تعالى وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة أي ما ينتظر أهل
مكة لوقوع العذاب بهم إلا صيحة واحدة وهي نفخة البعث وذلك أن عقوبة قوم النبي صلى الله عليه وسلم
مؤخرة إلى يوم البعث وعقوبة الأمم الماضية كانت معجلة في الدنيا ومؤخرة في الآخرة إلا أن الله
تعالى ذكر عذاب الاستئصال في الدنيا من الأمم الماضية وقال في هذه الأمة بل الساعة موعدهم وقوله تعالى
ما لها من فواق أي ما لتلك الصيحة من رجعة إلى الدنيا والفواق بضم الفاء وفتحها بمعنى واحد وهو الرجوع
ومن ذلك قولهم أفاق الرجل من الجنون والمرض إذا رجع إلى الصحة والفواق بضم الفاء ما بين حلبتي الناقة
لأن اللبن يعود إلى الضرع ما بين الحلبتين والمعنى ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من رجوع وقيل ما يرد
ذلك الصوت فيكون له رجوع قوله تعالى وقالوا ربنا عجل لنا قطنا أي قال المشركون عجل لنا صحيفتنا

قبل يوم الحساب حتى نعلم ما فيها قال الكلبي لما نزلت في الحاقة فأما من أوتي كتابه بيمينه وأما من أوتي كتابه
بشماله قالوا على جهة الاستهزاء ربنا عجل لنا قطنا في الدنيا قبل يوم الحساب أي عجل لنا كتابنا قالوا ذلك تكذيبا
واستهزاء والقط الصحيفة التي أحصت كل شيء وقيل القط النصيب وتسمى كتب الجوائز قطوطا لأنهم كانوا يكتبون
للإنسان من العطايا في الصحائف يقال أخذ فلان قطه إذا أخذ كتابه الذي كتب له بجائزته وصلته وقال
ابن عباس يعني قوله قطنا أي حظنا من العذاب في العقوبة وقال قتادة نصيبنا من العذاب وقال مجاهد
عقوبتنا وقال عطاء هو ما قاله النضر بن الحارث اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من
السماء أو ائتنا بعذاب أليم قوله تعالى اصبر على ما يقولون أي اصبر يا محمد على ما يقولون من تكذيبك في قولهم
إنك ساحر وشاعر ومجنون وكاهن وانتظر ما وعدك الله به من النصر عليهم والانتقام منهم قوله تعالى واذكر عبدنا
داود ذا الأيد أي ذا القوة في العبادة وذا النعم الكثيرة ليقصر هو على أذى قومه إنه أواب أي مطيع لله
مقبل على طاعته والأواب كثير الرجوع إلى الله تعالى قال الزجاج كانت قوة داود على العبادة أتم قوة كان يصوم
يوما ويفطر يوما وذلك أشد الصوم وكان يصلي نصف الليل قوله تعالى إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق
معناه أن الجبال كانت تسبح غدوة وعشية والإشراق طلوع الشمس وإضاءتها وقيل إشراق الشمس إذا طلعت وأشرقت
إذا أضاءت وعن ابن عباس قال لم يزل في نفسي التسبيح بالإشراق في هذه الآية بصلاة الضحى وعن ابن عباس قال كنت أقرأ هذه الآية
لا أدري ما هي حتى حدثتني أم هاني بنت أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى
الضحى وقال يا أم هاني هذه صلاة الإشراق قوله تعالى والطير محشورة كل له أواب أي وسخرنا له الطير
مجموعة إليه تسبح الله معه غدوة وعشية كل له أواب أي كل لله تعالى مسبح ومطيع يرجع التسبيح مع داود كلما سبح وقيل
معناه كل له رجاع بالطاعة والأمر قوله تعالى وشددنا ملكه أي قوينا ملكه وثبتناه بالهيبة وقيل بالحرس كان
يحرسه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل كان فيهم أنه لا ينبغي لم يطمع في ملكه أحد في الحرس وشددنا ملكه بالعدل
قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قال ابن عباس الحكمة هي النبوة والمعرفة بكل ما حكم وقال
مقاتل الحكمة الفهم والعلم وقيل الحكمة هي كلام حسن يدعو إلى الهدى وينهى عن الردى وأما فصل الخطاب فهو فصل القضاء
بين الحق والباطل فيما بين الخصوم وكان لا يتتعتع في قضائه وقيل فصل الخطاب هو الحكم بالبينة واليمين وقيل هو قوله
أما بعد وهو أول من قال أما بعد ومعناه أما بعد حمد الله فقد بلغني كذا وسمعت كذا قوله تعالى وهل أتاك نبأ
الخصم إذ تسوروا المحراب اختلفوا في خطيئة داود عليه السلام والذي هو مستفيض بين العوام ما ذكر الكلبي أن
داود عليه السلام كان يصلي ذات يوم في محرابه والزبور منشور بين يديه إذ جاءه إبليس في صورة حمامة من ذهب
فيها من كل لون حسن فوقعت بين يديه فمد يده ليأخذها فطارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها
فمد يده ليأخذها فطارت حتى وقعت في الكوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فجعل داود عليه السلام ينظر
أين تقع فأبصر امرأة في بستان تغتسل وإذا هي من أجمل النساء وأحسنهن فأعجبته فلما حانت منها التفاتة أبصرت ظله
فأسبلت شعرها على جسمها فغطى بدنها فزاده ذلك إعجابا بها فسأل داود عنها وعن زوجها فقالوا اسمها تشايع
بنت شايع وزوجها أوريا بن حنان وهو غائب في غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود
إلى ابن أخته إذا أتاك كتابي هذا فابعث أوريا إلى موضع كذا وإلى القلعة الفلانية ولا ترجعه حتى تفتحوها
أو يقتلوا فلما جاءه الكتاب بعثه وندب الناس معه فأتوا القلعة فلما أتوها رموهم بالحجارة حتى قتلوهم وقتل
أوريا معهم فلما انقضت عدتها تزوجها داود عليه السلام فهي أم سليمان فلما دخل عليها داود عليه السلام لبثها
ثم لبث الأشهر حتى بعث الله إليه ملكين في صورة آدميين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته
وكان من عادته أنه جزأ الدهر يوما لعبادته ويوما لنسائه ويوما للقضاء بين الناس فلما جاءه الملكان في يوم
عبادته منعهما الحرس من الدخول عليه فتسوروا المحراب أي دخلوا عليه من فوق المحراب فلم يشعر وهو يصلي إلا وهما

بين يديه جالسين ففزع منهم حين هجما عليه بغير إذنه فقالوا لا تخف يا داود نحن خصمان بغى بعضنا
على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط أي ولا تجر وقال السدي ولا تسرف وقال المؤرج ولا تفرط يقال أشط
يشط إشطاطا وشطط يشط بضم الطاء الأولى والشطط والإشطاط مجاوزة الحد قوله تعالى واهدنا إلى سواء
الصراط أي وأرشدنا إلى الطريق المستقيم قوله تعالى إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة أي قال أحدهما
إن هذا أخي على ديني له تسع وتسعون امرأة والنعجة البقرة الوحشية والعرب تكني عن المرأة بها وتشبه النساء بالنعاج
من البقر وإنما يعني بهذا داود لأنه كان له تسع وتسعون امرأة وهذا من أحسن التعريض وتسمى هذا التعريض التنبيه والتفهيم
لأنه لم يكن هناك نعاج قوله تعالى ولي نعجة واحدة أي امرأة واحدة فقال أكفلنيها أي ضمها إلي واجعلني
كافلها أعولها والمعنى طلقها حتى أتزوجها وقال ابن جبير يعني قوله أكفلنيها أي تحول عنها وعزني في الخطاب
أي غلبني وقال الضحاك معناه إن تكلم كان أفصح مني وإن عادى كان أبطش مني وقال عطاء معناه أعز علي وقوي علي
مخاطبتي لأنه كان الملك قوله تعالى قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه أي كان الأمر كما تقول لقد ظلمك بما كلفك من
تحويل امرأتك لتزوجها هو قوله تعالى وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض معناه وإن كثيرا من
الشركاء والخلطاء ليظلم بعضهم بعضا ظن داود أنهما شريكان قوله تعالى إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات معناه إلا الذين
آمنوا فإنهم لا يظلمون أحدا وقليل ما هم أي هم قليل يعني الذين لا يظلمون قال السدي لما قال أحدهما إن هذا
أخي له تسع وتسعون نعجة قال داود للآخر ما تقول قال نعم لي تسع وتسعون نعجة وله نعجة واحدة وأنا أريد
أن آخذها وأكمل نعاجي مائة قال له داود وهو كاره قال إذا لا ندعك وإن رمت ذلك ضربنا منك
هذا وهذا يعني طرف الأنف وأصله فقال يا داود أنت أحق أن تضرب منك هذا وهذا حيث كان لك تسع وتسعون
امرأة ولم يكن لأوريا إلا امرأة واحدة فلم تزل تعرضه للقتل حتى قتل وتزوجت امرأته ثم صعدا إلى السماء فعلم داود أن الله قد
ابتلاه وامتحنه فخر راكعا أي ساجدا وأناب أي رجع إلى طاعة الله بالتوبة والندامة ومعنى قوله تعالى وظن
داود أنما فتناه أي علم داود أنا قد امتحناه بما قدرنا عليه من نظره إلى المرأة وافتتانه بها وهذا قول بعض المفسرين
إلا أن هذا قول مرذول لا يليق بداود عليه السلام مع جلالة قدره وعظيم منزلته وكيف يظن بالأنبياء عليهم السلام
الإسلام هذا أو يصدق به فيهم من لا ينصح لأمانتهم ولأن يخطئ الإنسان في نفي الفواحش عنهم خير من أن يخطئ في إضافتها
إليهم وقد أمرنا في الشريعة بحمل أمور المسلمين على الصحة والسداد ما أمكن وعن عبد الله بن عباس قال ما زاد داود
عليه السلام على أن قال لزوجها تحول لي عنها وعن علي رضي الله عنه أنه قال لئن سمعت أحدا يقول إن داود عليه
السلام قارف من تلك المرأة سوءا أو حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص معتقدا صحته جلدته مائة وستين جلدة
يعني مثلي حد القذف لمقام الأنبياء وقيل إن ذنب داود عليه السلام أنه تمنى أن تكون له امرأة أوريا حلالا وحدث
نفسه بذلك فاتفق غزو أوريا وتقدمه في الحرب وهلاكه فلما بلغه قتله لم يجزع ولم يتوجع عليه كما يجزع على غيره
من جنده إذا هلك ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهي عظيمة عند الله قوله تعالى
وخر راكعا وأناب أي خر ساجدا وعبر عن السجود بالركوع لأن كليهما فيه انحناء روي أنه مكث ساجدا أربعين
ليلة حتى نبت العشب من دموعه على رأسه وأكلت الأرض جبينه وكان يقول في سجوده سبحان رب داود زلة أبعد
من المشرق والمغرب سبحان الملك الأعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء سبحان خالق النور إلهي تحول بين الخلاء وبينها
إذا قدرته وداود يبكي على خطيئته إلهي أنت خلقتني وكان في سابق علمك ما أنا إليه صائر سبحان خالق النور إلهي الويل لداود
إذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور إلهي بأي عين أنظر إليك يوم القيامة وإنما ينظر
الظالمون من طرف خفي وبأي قدم أقوم بها يوم القيامة يوم تزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور إلهي أنا
الذي لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور إلهي قرح الجبين وجمدت العينان من مخافة
الحريق على جسدي سبحان خالق النور إلهي برحمتك اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك دار البلاء عني

سبحان خالق النور الهي أعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني أعوذ بك من دعوة لا يستجاب وصلوة لا
تقبل وذنب لا يغفر سبحان خالق النور الهي فررت اليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين
ولا تخزني يوم الدين سبحان خالق النور الهي قرح الجبين وجفت الدموع وتناثر الدود من ركبتي وخطيئتي الزم
بي من جلدي سبحان خالق النور فأتاه نداء من السماء يا داود أجائع أنت فتطعم أظمآن أنت فتسقى أمظلوم
أنت فتنصر ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء فصاح صيحة هاج ما حوله من الخشب ثم نادى يا رب الذنب الذنب
فنودي ارفع رأسك فقد غفرت لك فلم يرفع رأسه حتى جاء جبريل فرفعه وقال ابن عباس نودي داود عليه
السلام يا داود قد غفرت لك قال يا رب وكيف وأنت لا تظلم أحدا قال اذهب إلى قبر أوريا فناده وأنا
أسمع نداك فتحلل منه فانطلق حتى أتى قبره وناداه يا أوريا فقال لبيك من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني من
رقدتي قال أنا داود قال ما جاء بك يا نبي الله قال أسألك أن تجعلني في حل مما كان مني اليك قال وما كان منك
إلي قال عرضتك للقتل قال إنما عرضتني للجنة فأنت في حل فأوحى الله إليه يا داود ألم تعلم أني حكم عدل أعلمه
أنك قد تزوجت امرأته قال فرجع فناداه فقال من هذا الذي قطع علي لذتي فقال أنا داود قال يا نبي الله أليس
قد عفوت عنك قال بلى ولكن إنما فعلت بك ذلك لمكان امرأتك وقد تزوجتها فسكت فلم يجبه فدعاه فلم يجبه
ودعاه فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل الطويل لداود ثم الويل الطويل لداود إذا نصبت
الموازين القسط ليوم القيمة سبحان خالق النور الويل الويل ثم الويل لداود حين يؤخذ بذنبه سبحان خالق النور
الويل لداود ثم الويل لداود ثم الويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار سبحان خالق النور الويل
لداود ثم الويل لداود ثم الويل له حين تقوده الزبانية مع الظالمين إلى النار سبحان خالق النور فنودي يا داود
قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك فقال يا رب كيف تعفو عني وصاحبي لم يعف عني
قال يا داود أعطيه يوم القيمة ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه وأقول له هذا عوض من عبدي داود فيستوهبك
منه فيهبك لي قال يا رب الآن قد عرفت أنك قد غفرت لي فذلك قوله تعالى **فغفرنا له ذلك وإن له عندنا**
بعد المغفرة **لزلفى وحسن مآب** أي لقربة ومكانة ومنزلة حسنة وعن مالك بن دينار في قوله تعالى وإن له عندنا
لزلفى قال يقول الله لداود وهو قائم بساق العرش يا داود مجدني بصوتك الرخيم فيقول كيف وقد سلبتنيه في الدنيا
فيقول إني أرده عليك فيرفع داود صوته بالزبور فيستفرغ نعيم أهل الجنة وهو قوله تعالى وحسن مآب وعن الحسن
الذي هو مآبه وأولياء الأنبياء وعن وهب بن منبه قال لما تاب الله على داود بكى على خطيئته ثلثين سنة لا يرقى له
دمعة ليلا ولا نهارا وكان أصاب الذنب وهو ابن سبعين سنة وكان يخرج إلى الفيافي فيبكي ويبكي معه الشجر
والرمال والطير والوحش ثم يجيء إلى الجبال فيرفع صوته بالبكاء فيبكي معه الحجارة والجبال والدواب ثم يجيء إلى الساحل
فيبكي ويبكي معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء ثم يرجع إلى محرابه وقد بسط له فيه فرش من مسوح حشوها الرماد فيجلس
عليها ويجيء الرهبان فيجلسون معه فيبكي وينوح والرهبان معه فلا يزال كذلك حتى تغرق الفرش في دموعه ويصير
داود مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمن عليه السلام فيحمله وقال لو عدل بكاء داود ببكاء أهل الدنيا لعدله وذكر
أن داود عليه السلام ما شرب شرابا بعد المغفرة الا ونصفه ممزوج بدموعه وكان يقول سبحانك الهي إذا
ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض برحبها وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلي روحي الهي أتيت أطباء عبادك فكلهم عليك
يدلني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خددت الدموع في وجه داود خديد الماء في الأرض وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يعودون داود ويظنون أن به مرضا وما به مرض الا الخوف
والحياء من الله عز وجل وما رفع داود عليه السلام رأسه بعد الخطيئة إلى السماء حتى مات وكان داود عليه السلام إذا
ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله وإذا ذكر رحمته تراجعت وعن الحسن رضي الله عنه قال كان داود عليه السلام

نعد

بعد الخطيئة لا يجالس الا مع الخاطئين ثم يقول تعالوا إلى داود الخطاء وكان يؤتى بخبز الشعير في الاناء ولا يزال
يبكي حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الرماد ويأكله ويقول هذا أكل الخاطئين وقال الكلبي رضي الله
عنه سجد داود أربعين يوما حتى سقط جلد وجهه ونبت العشب من دموعه حتى غطى رأسه وكان لا يقوم
من سجوده الا للصلوة أو قضاء حاجة وكان يقول في دعائه ومناجاته قد عرفت يا رب أن رحمتك أوسع ولولا
رحمتك لعصمتني فمن ذا الذي يشفع لي إن خذلتني ومن ذا الذي يغفر خطيئتي إن لم تمحها عني ومن ذا الذي يتداركني برحمته
إن لم تمحها عني تصدعت الجدود وانقطعت الأشجار وانحسرت البحار وتقطعت الجبال الا كان من عظم خطيئته
لا أطيق حملها إن لم تحملها عني فنى دمعي وطال حزني ودق عظمي وكل جسمي ويبس على عظمي الجلد أشكو إليك فقري وضعفي
وافر الحزن في أمري يا إلهي ارحمني واسمع ... تنام كل عين وتستريح وقد شخصت عيناي ينتظران الرحمة أدعوك
يا رب فارحم ضعفي وتقبل دعائي وارحم تضرعي وتجاوز عني برحمتك فاستجاب الله دعاءه وغفر له ذنبه قوله
تعالى **يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض** أي قال الله له بعد المغفرة يا داود إنا جعلناك خليفة
في الأرض أي نبيا ملكا على بني اسرائيل الخليفة هو المدبر للأمر والمعنى يا داود إنا صيرناك خليفة في الأرض تدبر أمور
العباد من قبلنا بأمرنا **فاحكم بين الناس بالحق** أي بالعدل الذي هو حكم الله بين خلقه **ولا تتبع الهوى**
في الحكم بين الناس **فيضلك عن سبيل الله** أي يصرفك الهوى عن طاعة الله **إن الذين يضلون عن سبيل الله**
أي عن دين الله **لهم عذاب شديد** قوله تعالى **بما نسوا يوم الحساب** أي بما تركوا العمل ليوم الحساب قوله
تعالى **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا** أي ما خلقناهما وما فيهما من الخلق عبثا الا للأمر والنهي
وإنما خلقناهما للتعبد وليجزى المحسن على احسانه والمسيء على إساءته قوله تعالى **ذلك ظن الذين كفروا** يعني أهل
مكة هم الذين ظنوا أنهما خلقنا لغير شيء وأنه لا قيامة ولا حساب فقال لهم ذلك فقالوا إن للمؤمنين ما نعطى في الآخرة
ما تعطون فأنزل الله تعالى **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض** معناه أنجعل
المؤمنين المطيعين كالمفسدين في الأرض **أم نجعل المتقين كالفجار** أي أنجعل الذين يتقون الكفر والكبائر
كالذين يرتكبون ذلك لا يستوي بين الفريقين ولا تكون لهما منزلة واحدة قوله تعالى **كتاب أنزلناه اليك مبارك**
أي هذا كتاب أنزلناه اليك فيه بركة لمن آمن به ونفعه يعني القرآن قوله تعالى ليدبروا آياته أي ليتدبر الناس
آياته يعني آيات الله **وليتذكر أولوا الألباب** أي وليتعظ ذووا العقول من الناس قوله تعالى **ووهبنا لداود
سليمن نعم العبد** أي أعطينا لداود ولدا وهو سليمن ثم أثنى على سليمن فقال نعم العبد **إنه أواب** أي
رجاع إلى الله مقبل على طاعته قوله تعالى **إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد** معناه إذ عرض على سليمن
بعد العصر الخيل السوابق وهي الخيول التي غنمها سليمن من أهل دمشق وأهل نصيبين كانوا يحاربونه فظفر بهم وأصاب
منهم ألف فرس عراب فعرضت عليه فجعل ينظر إليها ويعجب من حسنها حتى شغلته عن صلوة العصر وغربت الشمس وفاتت
الصلوة فغضب وقال ردوا الخيل علي فردت فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف حتى عقر منها تسعمائة فرس
وهي التي كانت عرضت عليه وبقيت مائة لم تعرض عليه فكل ما في أيدي الناس من الخيل العراب فهو من نسل تلك
المائة هكذا ذكره الكلبي وقد اعترض على هذا القول فقالوا كيف يجوز على نبي من الأنبياء أن يغفل عن صلوة
مفروضة ثم يعمد إلى خيل لا ذنب لها فيعقرها ويجاب عنه أنه لم يكن ضرب سوقها وأعناقها الا وقد أباح
الله له ذلك وأمره به وليس في الآية ما يقتضي أن الصلوة كانت مفروضة عليه في ذلك الوقت وقد يكون المسح
ويراد به الضرب يقول العرب مسح علاوته إذا ضربها بالسيف والصافنات هي الخيل التي تقوم على ثلث قوائم
وتكون القائمة الرابعة متصلا طرف حافرها الأرض يقال صفن الفرس يصفن صفونا إذا قام على ثلث وقلب
أحد حوافره والجياد جمع جواد يقال فرس جواد إذا كان بالغ الكرم قوله تعالى **فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر**

ربي معناه اني آثرت الخير الذي نال به الخيل فشغلت به عن الذكر وقد يذكر الخير ويراد به الخيل لان الخيل
معقود بنواصيها الخير وقال الفراء معناه آثرت حب الخير وقيل قدمت انه ادخلها على المصدر بما اضاف الحب الى
الخير وقوله تعالى عن ذكر ربي يعني صلوة العصر وقوله تعالى حتى توارت بالحجاب كناية عن الشمس والمعنى حتى
الشمس بما يحجبها عن الابصار ولان في قوله تعالى بالعشي كناية عن الشمس اي فيه ما يجري مجرى ذكر الشمس وجاز الاضمار
اذ في الكلام ما يدل عليه قال لبيد • حتى اذا القت يدا في كافر • واجن عورات الثغور ظلامها • وقوله تعالى
فطفق مسحا بالسوق والاعناق قال ابو عبيدة معنى طفق يفعل مثل ما زال يفعل وهو مثل ظل وبات والمعنى
طفق يمسح مسحا اي يضربها ضربا وقال الفراء المسح هاهنا القطع والمعنى انه ضرب سوقها واعناقها لانها كانت سبب
فوت صلوته وقال بعضهم ذلك حتى لا تشغلني عن عبادة ربي مرة اخرى والسوق جمع ساق قوله تعالى ولقد فتنا
سليمن اختلفوا في سبب فتنة سليمان قال بعضهم سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك
عظيم الشان فخرج سليمان الى تلك المدينة تحمله الريح حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واصاب فيما
اصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فدعاها سليمان الى الاسلام فاسلمت على قلة ثقة منها
ولم يعلم سليمان بما في قلبها فتزوجها واحبها محبة شديدة لم يحب مثلها احدا من نسائه وكانت عنده لا يذهب حزنها
ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان وقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب قالت اني اذكر ابي واذكر ملكه
وما كان فيه وما اصابه فيحزنني ذلك فقال سليمان قد ابدلك الله به ملكا هو اعظم من ملكه وسلطانا اعظم من سلطانه
وهداك للاسلام وهو خير من ذلك كله قالت هو كذلك ولكني اذا ذكرت ابي اصابني ما ترى من الحزن فلو امرت الشياطين
تصور صورته في داري التي انا فيها اراها بكرة وعشيا رجوت ان يذهب ذلك حزني وان يسلي عني بعض ما اجد فامر
سليمان الجن فمثلوا لها صورة ابيها في دارها كانه هو الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فازرته وقمصته
وعممته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبسها ثم كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه في ولائدها فتسجد له ويسجدن
له وكذلك كانت تعمل بالعشي وسليمان عليه السلام لا يعلم بشيء من ذلك فكانت على ذلك اربعين صباحا وبلغ ذلك
آصف بن برخيا وكان صديقا وقال لسليمان عليه السلام ان غير الله يعبد في دارك منذ اربعين صباحا في هوى امرأة
قال في داري قال في دارك قال انا لله وانا اليه راجعون ثم رجع سليمان الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك
المرأة وولائدها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وامر برماد ففرش له ثم اقبل تائبا الى الله حتى جلس على ذلك الرماد
فتمعك فيه بثيابه تذللا لله عز وجل وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى امسى
ثم رجع الى داره وكانت له ام ولد يقال لها الامينة كان اذا دخل لقضاء حاجته وضع خاتمه عندها حتى يتطهر
وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضع يوما من الايام خاتمه عندها كما كان يصنع ثم دخل
موضع الحاجة فاتاها الشيطان صاحب البحر وكان اسمه صخر على صورة سليمان لا تنكر منه شيئا فقال يا امينة هاتي
خاتمي فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والجن والانس وخرج سليمان
فاتى الامينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال يا امينة هاتي خاتمي قالت ومن انت قال انا سليمان
بن داود قالت كذبت لست سليمان بن داود وقد جاء سليمان واخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان ان خطيئته
قد ادركته فخرج فجعل يقف على الدور من دور بني اسرائيل فيقول انا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويشتمونه
ويقولون انظروا الى هذا المجنون يزعم انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب
البحر الى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا امسى باع احدى سمكتيه بارغفة ويشوي الاخرى فياكلها فمكث بذلك
اربعين صباحا عدة ما كان عبد ذلك الوثن في داره فلما مضى اربعين يوما طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر
فقذف الخاتم فيه فابتلعته سمكة واخذها بعض الصيادين وقد كان عمل له سليمان فاعطاه سمكتين اخريين فباع سليمان

احدى السمكتين بارغفة وعمد الى السمكة الاخرى فشقها ليشويها فوجد الخاتم فجعله في يده ووقع ساجدا
وعكفت عليه الطير والجن واقبل عليه الناس وعرفوا ان الذي كان دخل عليه انما هو بسبب ما كان احدث في داره
ورجع الى مملكته واظهر التوبة من ذنبه وامر الشياطين فقال ائتوني بصخر فطلبته له الشياطين حتى اخذوه فاتي
به فادخله في صخرة وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به فقذف في البحر وقال بعضهم كان سبب
فتنته قتله الخيل وضربه سوقها واعناقها قوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا اي شيطانا اسمه
صخر وذكرنا خبره وقال بعضهم ذلك ان سليمان كان له ولد فاجتمعت الشياطين فقال بعضهم لبعض ان عاش ولده لم ننفك
مما نحن فيه من البلاء والخدمة فسبيلنا ان نقتل ولده او نخبله فعلم سليمان بذلك فامر الريح فحملته الى السحاب وامر
السحاب خوفا عليه من الشياطين فعاتبه الله على تخوفه من الشياطين وامات ذلك في السحاب فالقي ميتا على كرسيه
فهو الجسد الذي اريد بقوله والقينا على كرسيه جسدا لان الجسد عبارة عما لا يكون فيه روح وقوله تعالى ثم
اناب اي ثم رجع بعد اربعين يوما الى ملكه قوله تعالى قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا اسلب كما
سلبت في المرة الاولى ولا يجوز ان يكون سؤاله الملك رغبة له في الدنيا ولا بخلا على من بعده ولكن طلبه ليدل جميع
الخلائق على ان الله تعالى غفر له ذنبه ورده الى منزلة الانبياء عليهم السلام وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه صلى صلوة فقال ان الشيطان عرض لي ليفسد علي الصلوة فامكنني الله منه فخنقته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية
حتى تصبحوا تنظروا اليه جميعا فذكرت قول سليمان عليه السلام رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
قوله تعالى فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب اي فاستجبنا له دعاءه وسخرنا له الريح تسير بامره
كيف اراد وذلك انه كان اذا اراد ان تسير الريح عاصفة كانت تجري عاصفة واذا اراد ان تسير لينة كانت تسير
لينة وقيل كانت تجري عاصفة حالة حمل السرير لكثرة من عليه من الخدم والحشم والاواني والفرش والاطعمة ثم
كانت لينة في حال ما تجري بالسرير وذلك انه قوم يكون على السرير ولا يعدون الضرر ومعنى الآية سخرنا له الريح تجري
بامره لينة الهبوب ليست بالعاصف حيث اصاب اي حيث اراد من النواحي حيث قصد وقوله تعالى والشياطين
كل بناء وغواص اي وسخرنا له الشياطين يبنون له الابنية الرفيعة التي يعجز عنها الانس ويبنون له ايضا ابنية
من محاريب وتماثيل وقوله وغواص اي ويغوصون له في البحر فيستخرجون له اللآلي والجواهر وقوله تعالى وآخرين
مقرنين في الاصفاد اي وسخرنا له آخرين من الشياطين وهم المردة سخرت له حتى قرنهم في الاصفاد وهي السلاسل
من الحديد وكان سليمان يجعل الشياطين مقرنين في القيود والاغلال ومن شاء منهم في الاعمال يعني قوله مقرنين
في الاصفاد اي مشدودين في القيود قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب معناه قلنا له
هذا عطاؤنا لك من المال والملك والخلق الذي سخرنا لم نعطه احدا قبلك ولا نعطيه احدا بعدك قوله تعالى فامنن او
امسك اي اعط مما اعطيناك من شئت كيف شئت وما شئت ولمن شئت واحرم من شئت بغير تقدير ولم تؤاخذ على حدة
في المنع ولا في الاعطاء ولا حرج عليك فيما فعلت من ذلك وقال الحسن في معنى فامنن او امسك اي اطلق من شئت من الشياطين
الذين في قيدك او امسك في الوثاق من شئت منهم ولا اثم عليك في ذلك تبعة ولا حرج قوله تعالى وان له عندنا لزلفى
وحسن مآب اي وان له مع ما خصصناه في الدنيا من الملك والسلطنة والنبوة والرسالة لقربة عندنا في الآخرة وحسنا وقرارا
من ثوابنا في الجنة فيجمع له من ملك الدنيا وملك الآخرة وروي ان مدة ملك سليمن قبل الفتنة عشرين سنة وملك بعد
الفتنة عشرين سنة وملك يوم ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة ومات وله ثلث وخمسون سنة ومدة ملكه اربعون
سنة قوله تعالى واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب معناه واذكر يا محمد
عبدنا ايوب اذ نادى ربه في البلاء قال يا رب اني اصابني الشيطان بنصب وعذاب اي تعب في بدني وعذاب في اهلي ومالي والنصب

والنصب بمعنى واحد مثل الرشد والرشد والحزن والحزن قرأ أبو جعفر بنصب بضمتين وقرأ يعقوب بنصب بفتح النون والصاد وقرأ هبيرة عن حفص عن عاصم بنصب بفتح النون وجزم الصاد وقرأ الباقون بنصب بضم النون وسكون الصاد وكلها لغات بمعنى قال قتادة ومقاتل بنصب وعذاب قال بنصب في الجسد وعذاب في المال وقال السدي النصب الجسد والعذاب اهلاك المال رضي الله عنه واختلفوا في سبب بلاء أيوب قال الحسن رضي الله عنه ان ابليس قال يا رب هل من عبيدك من ان سلطتني عليه يمتنع علي قال نعم عبدي أيوب فجعل يأتيه الشيطان بوساوسه وحبائله فلا يقدر منه على شيء فقال يا رب انه قد امتنع علي فسلطني على ماله فجعل يأتيه فيقول يا أيوب هلك من مالك كذا وكذا فيقول لا لوث اللهم أنت قد أعطيته وأنت أخذته اللهم لك الحمد على ما أعطيت ولك الشكر على ما ابتليت فيمكث كذلك حتى هلك ماله كله فقال ابليس يا رب انه لا يبالي بماله فسلطني على جسده فأذن في تسليطه على جسده لم يجعل له سلطانا فسلطه عليه فنفخ في انفه فاشتعل وجهه وتمرك ذلك الجسد فوقع فيه الدود ان الأول هذا القول لا يصح ولا وجه لقوله لا يجوز ان يسلط الله ابليس على نبي من انبيائه يفعل به ما احبه ولعل سبب ابتلائه انه استغاثه مظلوم فلم ينصره وقيل انه قصر في ذلك فابتلي فلما امتحنه الله بالبلاء تمكث فأوحت امرأته الشيطان في بعض الامور فقال ان الشيطان قد قال لها ان اكل أيوب طعاما لم يذكر اسم الله عليه عوفي وتعالى انها قالت لأيوب لو تقربت الى الشيطان قد تحنث له عافاك فقال لا والله لا كفاني من تراب وحلف ليجلدنها ان عوفي مائة جلدة وقيل ان ابليس قال لها ان شفيته تقولين لي انت شفيته فأخبرت بذلك أيوب فحلف فلما طال البلاء على أيوب وبلغ به غاية الجهد سأل الله تعالى ان يكشف ضره فقيل له **اركض برجلك** أي اضرب بها الأرض فركض برجله الأرض فنبع ماء وشربت منه فذهب الداء من باطن جسده والركض هو الدفع بالرجل على جهة الإسراع ومنه ركض الفرس براكبه والمغتسل موضع الاغتسال **قوله تعالى** **ووهبنا له أهله** أي احييناله أهله وأولاده الذين كانوا أهلكوا بأعيانهم ورزقناه مثلهم في المستقبل رحمة منا أي نعمة منا عليه وعظة وذكرى للعقول من الناس وذلك ليعلم العاقل ان ما يصيبه في الدنيا من المحن والمكاره والمصائب في النفس والأهل والمال لا يكون لهوان العبد على الله كما نظنه الجهال وانما هو امتحان من الله تعالى وابتلاء لكي يعوضهم بذلك جزيل ثوابه **قوله تعالى** **وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث** وذلك ان أيوب كان قد حلف في مرضه ان يجلد امرأته مائة جلدة وكان ذلك لشيء كرهه منها على ما تقدم فجعل الله تحلة يمينه ان يأخذ حزمة ولحصه فيها مائة قضيب فيضرب بها مرة والضغث هو ملء الكف من الحشيش والشماريخ و**قوله تعالى** **ولا تحنث** أي لا تدع الضرب فتحنث وفي هذا دليل على جواز الاحتيال بمثل هذا الحيل في اليمين على الضرب فأما في الحدود فلا تجوز الاحتيال بمثل هذا لأن الله تعالى قد قال ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وهذا نهي عن التخفيف عمن وجب عليه الحد **قوله تعالى** **انا وجدناه صابرا نعم العبد** أي انه صبر على البلاء الذي ابتلي به وقيل كيف صبر وهو يقول مسني الضر قيل انه لم يشك الى المخلوق وانما شكا الى الله عز وجل حين الح عليه الشيطان بالوسوسة وخاف على نفسه ان لا يقوم بطاعة الله تعالى فدعا الله بعد ان اذن له في الدعاء والأواب هو المقبل على الله تعالى الراجع اليه **قوله تعالى** **واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب** معناه واذكر يا محمد لقومك اصبر هؤلاء الانبياء العظماء ليقتدوا بهم في حسن افعالهم فيستحقوا بذلك جميل الثناء وجزيل الثواب ولذلك قال معناه واذكر يا محمد صبر عبادنا ابرهيم حين ألقي في النار وصبر اسحق على الذبح وصبر يعقوب حين ذهب بصره ولم يذكر اسمعيل لأنه لم يبتل بشيء و**قوله تعالى** **أولي الأيدي والأبصار** معناه أولي القوة في طاعة الله والأبصار في الموعظة بالله قال قتادة اعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين وقيل ان الأيدي جمع اليد والصنعة أي هم ذو والعمل الجميل في طاعة الله وقرأ الحسن الأيد بغير الياء وهو عبارة عن القوة ويجوز ان يكون المراد به الأيدي بحذف الياء كما يحذف من الداعي والهادي **قوله تعالى** **إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار** معناه انا اثرناهم بخصلة

وهي ذكرى الدار الآخرة وقال مجاهد انهم كانوا يكثرون ذكر الآخرة لم يكن لهم هم غيرها وقال السدي اخلصوا بذكر الآخرة أي بحب الآخرة **وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار** الاصطفاء هو اخراج الصفوة من كل شيء فهم صفوة وغيرهم كدر **قوله تعالى** **واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل** أي اذكرهم بصبرهم وفضلهم ليسلك طريقهم واليسع نبي من الانبياء قال الكلبي هو ابن عم الياس وأما ذو الكفل فهو نبي ايضا كفل بمائة نبي اطعمهم وسقاهم وقيل انه كان يتكفل في العبادة بعمل رجل فسمي ذا الكفل والكفل هو الضعف كما في قوله يؤتكم كفلين من رحمته **قوله تعالى** **هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب** أي هذا القرآن عظة وشرف للناس وقيل هو ذكر في الدنيا لهؤلاء الانبياء يذكرون به ابدا وان لهم مع ذلك لحسن مرجع في الآخرة ثم فسر حسن المرجع فقال **جنات عدن** أي بساتين اقامة **مفتحة لهم الأبواب** انتصب على الحال وذلك انهم اذا انتهوا اليها وجدوها مفتحة الأبواب لا يحتاجون على الباب لتفتح لهم عند الورود وقيل ان ابوابها تفتح من غير فتح ولا انفتاح والمفتحة ابلغ في اللفظ من المفتوحة والألف واللام في قوله الأبواب عوض من الاضافة تقديره مفتحة لهم ابوابها كما في قوله فان الجنة هي المأوى و**قوله تعالى** **متكئين فيها** أي في الجنات **يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب** أي يدعون في الجنات بألوان الفاكهة وألوان الشراب والاتكاء هو الاستناد والجلوس على هيئة جلوس الملوك **قوله تعالى** **وعندهم قاصرات الطرف أتراب** أي وعندهم حور في الجنة قاصرات الطرف على أزواجهن لا يردن غيرهم فلا ينظرن الى غيرهن واحدهن **قوله تعالى** **أتراب** أي مستويات على ميلاد واحد مستويات في السن والشباب في الحسن كلهن بنات ثلث وثلثين سنة **قوله تعالى** **هذا ما توعدون ليوم الحساب** قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء ومعناه قل للمتقين هذا ما توعدون به ليوم الحساب أي ليوم الجزاء وقرأ الباقون توعدون بالتاء أي هذا الذي تقدم ذكره ما توعد به المتقون على لسان النبي صلى الله عليه السلام ومعنى الآية هذا الذي ذكرناه ما توعدون به في يوم الحساب و**قوله تعالى** **إن هذا لرزقنا** أي هذا الذي ذكرنا من رزقنا لهم **ما له من نفاد** أي ماله من انقطاع ولا فناء قال ابن عباس ليس لشيء من الجنة نفاد ما اكل من ثمارها خلف مكانه مثله وما اكل من حبوبها وطيرها عاد مكانه حيا **قوله تعالى** **هذا وإن للطاغين لشر مآب** أي هذا الثواب الذي تقدم ذكره للمتقين ثم ابتدأ الخبر عما للطاغين فقال وان للطاغين الذين طغوا على الله وكذبوا الرسل وجاوزوا الحد في الكفر والمعصية لشر مآب أي لشر مرجع ومصير ثم اخبر بذلك **قوله تعالى** **جهنم يصلونها** أي يدخلونها يوم القيامة **فبئس المهاد** أي الفراش **هذا فليذوقوه حميم وغساق** أي يقال لهم في ذلك اليوم هذا حميم وغساق فليذوقوه والحميم الماء الحار الذي قد انتهى حره من طبيعة الحار وهي عصارة اهل النار والغساق ما سال من جلود اهل النار من القيح والصديد من قولهم غسقت عينه اذا انصبت والغساق الانصباب قرأ حمزة والكسائي وحفص وغساق بالتشديد على معنى انه سيال من صديد اهل النار وقرأ الباقون بالتخفيف فمن قرأ بالتخفيف جعله اسما وقيل الغساق هو الزمهرير البارد الذي قد انتهى برده تحرقهم ببرده كما تحرقهم النار وقال ابن زيد هو المنتن بلغة الترك والطحاوية والحلو وقال الحسن لا ادري ما الغساق وما تحذر ذكره وانه شيء من العذاب وعلى هذا القول في المعصية اعمالا فاخفى الله لهم عقابا **قوله تعالى** **وآخر من شكله أزواج** قرأ أهل البصرة وآخر على الواحد أي وعذاب آخر من شكل العذاب الأول والشكل المثل بعضها من العذاب على مثل الحميم والغساق في الكراهة وقرأ اهل الكوفة وأخر على الجمع على معنى وانواع اخر من شكله أي واصناف من العذاب و**قوله تعالى** **أزواج** أي الوان وانواع واشباه و**قوله تعالى** **هذا فوج مقتحم معكم** معناه ان القادة والرؤساء من المشركين اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة من الملائكة للقادة هذا فوج أي قطيع من الناس مقتحم معكم النار أي داخلوها معكم فقالت القادة **لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار** أي داخلوها كما صليناها فتقول الاتباع للقادة **بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا** أي انتم بدأتم بالكفر قبلنا **فبئس القرار** جهنم للجميع ثم تقول الاتباع **ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار** أي ضاعفه له وتقولون ربنا من شرع لنا

عذاب الكفر وسنه لنا فزده عذابا ضعفا في النار ولا اقتحام هو الدخول في الشيء بشدة وصعوبة وذلك ان
أهل النار يساقون اليها فوجا فوجا فيقال للرؤساء هؤلاء الاتباع داخلون معكم فيقولون لا مرحبا بهم لانهم
يدخلون معنا ونحن في هذا الضيق فيقول لهم الخزنة انهم صالوا النار أي داخلوها كما دخلتم والرحب في اللغة
هو السعة وذلك له المرحب ومعنى لا مرحبا بهم لا اتسعت بهم مساكنهم ولا كرامة لهم وهذا اخبار ان مودتهم
تنقطع وتصير عداوة فيقول لهم الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم أي لا وسع الله عليكم انتم قدمتموه لنا بسبب هذا العذاب
فيقول ذلك الله تعالى فبئس القرار أي بئس المكان الذي انتم فيه قوله تعالى قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا
ضعفا في النار أي قالت الاتباع والقادة [illegible] ربنا من شرع لنا الكفر قبلنا فزده عذابا ضعفا مما علينا من العذاب
يعني حيات وعقارب وأفاعي قال الحسن ما من احد من أهل النار الا وهو يعرف يوم القيمة شيطانه الذي يضله
ويوسوس اليه في الدنيا قوله تعالى وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار قال الكلبي وذلك ان
صناديد قريش ينظرون في النار ولا يرون من كان يخالفهم من المؤمنين في دار الدنيا يعني فقراء المؤمنين فعند ذلك يقولون
ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم في الدنيا من الأشرار أي كنا نعدهم في الدنيا من السفلة ونقول لهم انهم يتركون [illegible]
[illegible] الفناء [illegible] معنى كنا نعدهم من الأشرار هم عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان وسالم
وأشباههم من فقراء المؤمنين قوله تعالى أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار أي تقولون قد
اتخذناهم بقطع الالف وفتحها فمعناه الاستفهام كانهم ينكرون ويحكمون على انفسهم وهم في الآخرة يقولون سخرنا بهم
ام زاغت عنهم لضعفهم فيقولون ما لنا لا نراهم ولم يدخلوا معنا في النار ام دخلوا معنا ولكن لا نراهم وقرئ سخريا
بضم السين وكسرها فمن ضمها فمن التسخير أي استذللناهم وسخرناهم ومن كسرها فمن الهزء وقوله
تعالى إن ذلك لحق أي ان الذي وصفنا لهم لصدق كائن واقع ثم بين ما هو فقال تخاصم أهل النار يعني
تخاصم القادة والاتباع على ما اخبر عنهم قوله تعالى قل إنما أنا منذر أي قل لهم يا محمد لاهل مكة انما انا
منذر لكم احذركم عقوبة الله وما من إله إلا الله الواحد القهار أي قل لهم ايضا ما من إله الا الله الذي
لا شريك له القهار لخليقته الغالب عليهم رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار أي المنتقم ممن
لا يؤمن به المتجاوز عمن تاب وآمن به قوله تعالى قل هو نبأ عظيم أي قل لهم يا محمد هذا القرآن الذي انبأتكم
به خبر عظيم الشان والقدر وانتم عن تدبره والعمل به معرضون وقيل معناه امر القيمة عظيم انتم عنه لا تستعدون
له معرضون قوله تعالى ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون معناه ان الملأ الذين اختصموا
هم من خصموا آدم والملئكة دليل واضح على نبوتي فان ذلك لا يعلم الا بوحي من الله تعالى ويقرأ الكتب ثم بينه من بعد
بقوله إذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها الآية أي اني ما علمت ذلك الا بوحي
من الله قوله تعالى إن يوحى إلي معناه ما يوحى الي هذا القرآن إلا أنما أنا نذير مبين أي ما يوحى الي
الا اني نبي ونذير مبين ابين لكم ما تأتون من الفرائض والسنن وما تتركون من الحرام والمعصية قوله تعالى إذ قال
ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين قد تقدم تفسير هذه الآية قوله تعالى قال يا إبليس ما منعك أن تسجد
لما خلقت بيدي أي ما منعك عن السجود لمن توليت خلقه من غير واسطة وسبب قوله تعالى أستكبرت أي
أرفعت نفسك فوق قدرك أم كنت من العالين علوا في المنزلة من التجبر والتكبر قال إبليس أنا خير منه خلقتني من
نار وخلقته من طين والنار شيء مضيء والطين شيء مظلم قوله تعالى قال فاخرج منها أي من السماء وقيل
من الجنة وقيل من الأرض الى جزائر البحار والرجيم هو المرجوم بالحجارة واللعنة والشهب إذا رجم الى السماء قوله
تعالى قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون أراد الخبيث ان لا يذوق الموت فقيل له انك من المؤجلين الى
وقت النفخة الاولى قوله تعالى [illegible] قوله تعالى قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين
أي لادعونهم الى الغواية ولأضلنهم الا عبادك الذين اخلصتهم وعصمتهم فلا سبيل لي عليهم قوله تعالى قال فالحق

والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قرأ مجاهد والأعمش وحمزة وخلف برفع الأول
ونصب الثاني على معنى فانا الحق او فمني الحق وأقول الحق وقرأ الباقون بنصبهما واختلف النحاة في وجه ذلك
فقيل نصب الأول على الاغراء والثاني بايقاع القول عليه وقيل الأول قسم والثاني مفعول تقديره فبالحق
وهو الله اقسم بنفسه بحذف الخافض فنصب كما يقال الله لأفعلن ثم قال لأملأن جهنم من إبليس واتباعه
قوله تعالى قل ما أسألكم عليه من أجر أي قل يا محمد لكفار مكة ما اسألكم على تبليغ الوحي والقرآن
من مال تعطونيه جعلا وما أنا من المتكلفين أي لم اتكلف دعاء الناس من تلقاء نفسي بل امرت به قوله
تعالى إن هو إلا ذكر للعالمين أي ما القرآن الا موعظة للخلق أجمعين ولتعلمن أيها الكفار مكة
نبأه أي خبر صدقه بعد حين أي بعد الموت وقيل يوم القيمة وقال الحسن يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر
اليقين

سورة الزمر خمس وسبعون آية

الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية وهي اربعة آلاف وسبعمائة وثمانية احرف والف ومائة واثنان
وسبعون كلمة وخمس وسبعون آية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه واعطاه
ثواب الخائفين

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم معناه هذا تنزيل من الله العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن الحكيم في امره وقضائه ويجوز
ان يكون تنزيل مبتدأ وخبره من الله كما يقال ثم الدنيا والدين من الله تعالى قوله تعالى إنا أنزلنا إليك الكتاب
بالحق أي انزلنا اليك هذا القرآن بالحق ولم ننزله باطلا قوله تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين أي اعبد
الله وحده لا كما تعبد عبدة الأوثان وقوله تعالى ألا لله الدين الخالص أي ان العبادة الخالصة لله وفي هذا
ان غير الخالص لا يكون لله والاخلاص ان يقصد العبد بنيته وعمله خالقه لا يجعل ذلك لغرض الدنيا وقيل معنى ألا لله
الدين الخالص أي الدين الخالص من الشرك هو لله وما سواه ليس بدين الاديان فليس بدين الله الذي امر به قال قتادة الدين
الخالص شهادة ان لا اله الا الله قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء يعني الذين يعبدون الاصنام والملائكة
والشمس والقمر والنجوم يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى أي يقولون ما نعبدهم الا ليشفعوا لنا الى
الله وذلك انهم يرجون الشفاعة والزلفى القربى وهو اسم اقيم مقام المصدر كانه قال الا ليقربونا الى الله تقريبا
قوله تعالى إن الله يحكم بينهم أي بين اهل الاديان يوم القيمة فيما هم فيه يختلفون من امر الدين كل يقول
الحق ديني وهم يختلفون وحكم الله بينهم ان يعذب كلا على قدر استحقاقه وقوله تعالى إن الله لا يهدي من هو
كاذب كفار أي لا يرشد من كذب في زعمه ان الآلهة تشفع لنا الى الله قوله تعالى لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى
مما يخلق ما يشاء أي لو اراد الله ان يتخذ لنفسه ولدا كما زعم بعض الكفار ان الملائكة بنات الله لما اقتصر على الاولاد
من البنات دون الاعلى من الذكران وهذا كقوله تعالى أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا وقال تعالى
ألكم الذكر وله الأنثى وقيل معناه لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما قالت النصارى في المسيح واليهود في العزير لاختار خلقا
افضل من عيسى وعزير قوله تعالى سبحانه أي تنزيها له في كل صفة لا تكون من ارفع الصفات وقوله تعالى هو الله الواحد
لا شريك له ولا شيء لمثله القهار الغالب على خلقه الذي لا يحتاج الى ولد ولا ظهير قوله تعالى خلق السموات والأرض
بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل أي خلق السموات والأرض غير عبث للخلق واقامة للحق وللبعث
والباطل يدخل الليل على النهار ويدخل النهار على الليل وتدخل كل واحد على الآخر وينقص من ساعات احدهما ويزيد في ساعات
الآخر والتكوير هو ادارة الشيء على الشيء ومنه كور العمامة وقد تسمى الزيادة كورا كما قال في الدعاء اللهم اني اعوذ بك من
الحور بعد الكور أي من النقصان بعد الزيادة وقوله تعالى كل يجري لأجل مسمى أي الى الوقت الذي وقت الله لفنائه
وهو نقصانها وفناؤها وقوله ألا هو العزيز الغفار أي خالق هذه الاشياء هو الله الغالب على كل شيء الغفار لذنوب

واهل طاعته قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها أي خلقكم من نفس آدم وخلق منها زوجها حواء من ضلع من أضلاعه القصرى وأنزل لكم من الأنعام معنى إنزالها إنشاؤها وخلق
لكم من كل صنف من الإبل والبقر والضأن والمعز زوجين ذكرا وأنثى قوله تعالى يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا
من بعد خلق أي يخلقكم نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن تم خلق الطفل قوله تعالى في ظلمات ثلث يعني
ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الأصلاب وظلمة الأرحام وظلمة البطون قوله تعالى ذلكم
الله ربكم له الملك أي الذي يفعل هذه الأشياء هو ربكم له الملك الدائم الذي لا يزول لا إله إلا هو فأنى تصرفون
بعد هذا البيان والبرهان قوله تعالى إن تكفروا فإن الله غني عنكم أي إن تكفروا فإن الله غني عنكم
لم يأمركم بالإيمان من حاجة له إليكم لا لجلب منفعة ولا لدفع مضرة وإنما أمركم لنفعكم ولا يرضى لعباده
الكفر أي لا يرضى لأوليائه أهل طاعته الكفر وقيل معناه لا يرضى لعباده المخلصين الذين قال إن عبادي ليس لك عليهم
سلطان فألزمهم شهادة أن لا إله إلا الله وحببها إليهم وقال السدي لا يرضى لعباده المؤمنين أن يكفروا وذهب طائفة
من قال بالتخصيص في هذه الآية ومن أجراها على العموم فمعناه لا يرضى الكفر لأحد وكفر الكافر غير مرضي وإن كان بإرادة
الله تعالى فيقدر الكفر غير راض به لا يمدحه ولا يثني عليه قال قتادة ما رضي الله لعبد ضلالة ولا أمره بها ولا دعاه
إليها ولكن قدرها عليه قوله تعالى وإن تشكروا يرضه لكم معناه وإن تشكروا ما أنعم عليكم من التوحيد يرض
الشكر لكم ويثيبكم عليه ولا تزر وازرة وزر أخرى أي لا تؤخذ نفس بذنب أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم
بما كنتم تعملون في الدنيا إنه عليم بذات الصدور قوله تعالى وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا
إليه أي إذا أصاب الكافر شدة في معيشته أو بلاء في جسده دعا ربه راجعا إليه بقلبه وقال عطاء يريد عتبة بن
ربيعة وقال مقاتل يعني أبا حذيفة بن المغيرة قوله تعالى ثم إذا خوله نعمة منه أي ثم إذا أعطاه نعمة
منه أي أغناه وأنعم عليه بالصحة نسي ما كان يدعو إليه من قبل أي نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى
كشفه وجعل لله أندادا أي رجع إلى العبادة للأوثان ليضل عن سبيله أي ليزل عن دين الإسلام
ويضل الناس قل يا محمد لهذا الكافر تمتع بكفرك قليلا في الدنيا إلى أجلك لفظه لفظ الأمر ومعناه التهديد والوعيد
إنك من أصحاب النار في الآخرة فما ينفعك التمتع القليل في الدنيا قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا
وقائما معناه أهذا الكافر خير أم من هو قانت وقيل معناه أمن هو قانت كمن جعل لله أندادا وقيل معناه
هذا خير أم من هو قانت لله تعالى والقانت هو المواظب على طاعة الله القائم بما يجب عليه من أمر الله وآناء الليل
ساعاته قوله تعالى ساجدا وقائما يصلي في الحالين تارة ساجدا وتارة قائما يفعل ذلك حذارا من العذاب
وطمعا في الثواب وقرأ نافع وابن كثير أمن بالتخفيف لأن ألف الاستفهام دخلت على من وهو استفهام إنكاري يعني
أمن هو قانت كالأول قوله أي قوله أمن هو قانت آناء الليل ساجدا قيل إنما نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه
وقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أي لا يستوي العالم والجاهل وكذلك لا
يستوي المطيع والعاصي إنما يتذكر أولوا الألباب أي إنما يتعظ بمواعظ الله ذوو العقول من الناس وقال
نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي قل هل يستوي الذين يعلمون يعني عمارا والذين
لا يعلمون يعني أبا حذيفة وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال من أحب أن يهون الله عليه الموقف يوم القيمة فليره
الله في سواد الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قوله تعالى قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا
ربكم أي أطيعوه واجتنبوا معاصيه وتم الكلام ثم قال تعالى للذين أحسنوا في هذه الدنيا أي وحدوا
الله وأحسنوا العمل حسنة يعني الجنة وقوله تعالى وأرض الله واسعة أي ارحلوا من مكة وهاجروا إليهم
على الهجرة من مكة إلى حيث يأمنون وفيه بيان أنه لا عذر لأحد في ترك طاعة الله تعالى لكونه بأرض لا يمكن فيها من
ذلك وقوله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب معناه إنما يوفى الصابرون على دينهم ولا يكرههم

شيعة بالحفهم وهذه الآية نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين لم يتركوا دينهم ولما اشتد عليهم الأمر صبروا
وهاجروا والمعنى يعطون أجرهم كاملا على صبرهم على البلاء وهم لا أهاليهم ولا أوطانهم فيعرفون ولا يعتدون بل
يعطون نعيما وثوابا لا يهتدي إليه عقل ولا وصف قوله تعالى قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين
أي قل يا محمد لكفار مكة إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت أن أدعو على التوحيد والإخلاص من غير شوب
عادي في شرك قال مقاتل وذلك أن كفار قريش قالوا يا محمد ما يحملك على ما أتيتنا به ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وسادة
قومك يعبدون اللات والعزى فتأخذ بها فأنزل الله هذه الآية أي قل لهم يا محمد إني أمرت في القرآن بتوحيد الله
وأن أنذر الخلق كلهم من ذلك وأمرت لأن أكون أول المسلمين أي أول من أسلم من أهل هذا الزمان وقوله تعالى قل إني أخاف
إن عصيت ربي بالرجوع إلى دين آبائي عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له ديني بالتوحيد لا أشرك
به شيئا فاعبدوا ما شئتم من دونه هذا أمر تهديد قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم
يوم القيمة أي صاروا إلى النار يعني الكفار الذين خسروا أنفسهم وأهليهم من الأزواج والخدم بالتخليد في النار
وقال الحسن الأهل أن يخسروا أهاليهم من الحور العين التي أعدت لهم في الجنة لو أسلموا قوله تعالى لهم من
فوقهم ظلل من النار أي أطباق من النار تلتهب عليهم ومن تحتهم ظلل أي فرشها ومهادها من النار
من أطباق جهنم فأحاطت بهم النار من كل جانب وإنما سمي الذي تحتهم ظللا لأنه ظلل لمن تحتهم قوله تعالى
ذلك يخوف الله به عباده أي ذلك الذي ذكر من العذاب للكفار يخوف المؤمنين ليخافوه فيمتنعوا إلى الطاعة والتوحيد
ثم أمرهم بذلك قوله تعالى يا عبادي فاتقون أي اتقوا عذابي بامتثال أوامري قوله تعالى والذين اجتنبوا
الطاغوت أن يعبدوها يعني اجتنبوا كل ما يعبد من دون الله وأنابوا إلى الله أي رجعوا إلى طاعة الله بكليتهم
لهم البشرى بالجنة فبشر عبادي الذين يستمعون القول يعني القرآن فيتبعون أحسنه
أقوالهم وأفعالهم لهم البشرى بالجنة والطاعات أحسن واستحقاق الثواب
وذلك لأن القرآن يشتمل على ذكر المباحات والطاعات فالمباحات حسنة والطاعات أحسن من المباحات
يعملون بفعل الأحسن ويجوز أن يكون معنى الآية العفو عن القصاص أحسن من استيفاء القصاص والصبر أحسن
كما قال تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى وقال تعالى ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور وقال تعالى
فمن تطوع خيرا فهو خير له فهو يحمل الأخذ بأحسن الطريقين أعظم للثواب وقيل يعني يتبعون أحسنه أي
حسنه وكله حسن قوله تعالى أولئك الذين هداهم الله أي الذين وصفناهم هم الذين وفقهم الله للصواب
وأولئك هم أولوا الألباب وقال عطاء عن ابن عباس إن أبا بكر رضي الله عنه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقه فجاء
عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعيد وسعد فسألوه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا فنزل فيهم فبشر
عبادي الذين يستمعون القول أي يستمعونه من أبي بكر فيتبعون أحسنه أي حسنه وكله حسن أولئك الذين
هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب قوله تعالى أفمن حق عليه كلمة العذاب معناه أفمن وجبت عليه
كلمة العذاب بكفره كمن ليس كذلك أفأنت تنقذ من في النار أي من سبق في علم الله أنه في النار أفأنت تنقذه
فتجعله مؤمنا يعني لا تقدر على ذلك وقال عطاء يريد أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان
به وقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم بالإيمان والطاعة لهم غرف من فوقها غرف مبنية أي لهم
منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلفه قوله تعالى ألم
تر أن الله أنزل من السماء ماء يعني المطر فسلكه ينابيع في الأرض أي فأدخله في الأرض ينابيع وهي جمع
ينبوع والينبوع المكان الذي ينبع منه الماء وقال مقاتل معناه فجعله عيونا وركايا في الأرض وذلك أن أصل المياه
التي في الأرض من السماء وقوله تعالى ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه أي ثم يخرج بالمطر زرعا مختلفا من أحمر
وأصفر وأخضر وأبيض قوله تعالى ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله الله حطاما أي متكسرا متفتتا

إن في ذلك الذي ذكر من صنع الله وقدرته لذكرى لذوي العقول على ... بزوال الدنيا وعلى قدرة الله على البعث
بعد الموت قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه معناه أفمن وسع الله صدره لقبول
الإسلام فهو على بيان وحجة من ربه يبصر به الحق من الباطل كمن طبع الله على قلبه فلم يهتد للحق لقسوته قال
قتادة فهو على نور من ربه النور هو كتاب الله تعالى به يأخذ وإليه ينتهي وتقدير الآية أفمن شرح الله صدره
للإسلام فهو على نور من ربه كمن قسا قلبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الآية فقالوا يا رسول الله وما هذا الانشراح قال إذا دخل النور القلب ... دار الغرور والتأهب للموت قبل لقاء الموت
قيل إن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر وقيل أفمن شرح الله صدره للإسلام يعني النبي صلى الله عليه وسلم قوله
تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله هم أبو جهل وأصحابه من الكفار وقيل إن هذه الآية نزلت في علي
وحمزة وأبي لهب وأولاده فقوله أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه يعني عليا وحمزة وقوله تعالى فويل
للقاسية قلوبهم من ذكر الله هو أبو لهب وأولاده وقوله من ذكر الله أي عن ذكر الله قوله تعالى الله نزل
أحسن الحديث يعني القرآن سمي حديثا لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث به قومه وقوله كتابا بدل من
أحسن الحديث وقوله تعالى متشابها أي يشبه بعضه بعضا في كونه حكمة ومصلحة وفي أنه حق لا تناقض فيه
وقوله تعالى مثاني أي مكرر فيه الأنباء والقصص والأمر والأحكام وتثنى بتلاوته في الصلوة وفي غيرها ولا يمل سامعه
وقوله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم خوفا مما في القرآن من الوعيد ومعنى تقشعر تأخذها قشعريرة
وهي تغير يحدث في جلد الإنسان عند الوجل والخوف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اقشعر جلد العبد من
خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما تتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وقال الزجاج إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت
جلود الخائفين وقال صلى الله عليه وسلم إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله حرمه الله على النار وعن عبد الله بن عروة
قال قلت لأسماء بنت أبي بكر كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم
الله تعالى تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم فقلت لها إن ناسا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه
قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروي أن ابن عمر رضي الله عنه مر برجل من أهل العراق ساقطا فقال
ما بال هذا فقالوا إنه إذا قرئ عليه القرآن وسمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر إنا لنخشى الله وما نسقط وقال
ابن عمر إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أي تسكن رعدة أعضائهم إذا سمعوا آيات الرحمة وقيل تلين جلودهم
وقلوبهم أي تطمئن وتسكن إلى ذكر الله بالجنة والثواب قال قتادة هذا نعت أولياء الله وصفهم الله بأن تقشعر
جلودهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما ذلك في أهل البدع وهو من
الشيطان وقوله تعالى ذلك هدى الله يعني أحسن الحديث وهو القرآن يهدي به من يشاء ومن يضلل الله
فما له من هاد قوله تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة قال ابن عباس وذلك أن الكافر يلقى
في النار مغلولة يداه إلى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه فكأن معنى الآية أفمن يتقي بوجهه شدة العذاب يوم
القيمة كمن يدخل الجنة ... وقيل نزلت في أبي جهل قال ... يطلق به إلى النار مغلولة
فإذا ... الحرنة ... وجهه وقوله تعالى وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون
أي تقول الخزنة للكفار ذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون في الدنيا من الكفر والمعاصي قوله تعالى كذب الذين
من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون أي كذب من قبل كفار مكة رسلهم فأتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون يعني وهم آمنون في أنفسهم غافلون عن العذاب وهذا تحذير لأهل مكة أن يسلكوا

طريقة

طريقة من قبلهم بنزول بهم العذاب ... قوله تعالى فأذاقهم الله الخزي أي الهوان والعذاب
في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر مما أصابهم في الدنيا لو كانوا يعلمون ولكنهم لا يعلمون قوله
تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل أي ولقد ضربنا لأهل مكة في هذا القرآن من كل مثل
لهم فيه من كل وجه مما يحتاجون إليه لعلهم يتذكرون ويؤمنوا قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج
قرآنا نصب على الحال ... رجلا صالحا حالا قوله تعالى غير ذي عوج أي مستقيم وليس بمختلف وقال ابن
عباس يعني غير ذي عوج أي غير مختلف وقيل غير ذي لبس وقيل غير ذي تضاد ولا اختلاف ... قوله تعالى
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون أي وصف مثل آلهتهم التي يعبدونها من دون الله فقال
الذي يعبد آلهة شتى في أخلاقهم تشاكس وشراسة والذي يعبد ربا واحدا كرجل خالصا في عبادته إياه والمعنى
فيه شركاء متنازعون ورجلا سلما لرجل أي من غير منازع وقيل معناه مثل اتخاذ الشيء فيه شركاء
متنازعون فيه أخلاقهم وكل واحد يستخدمه بقدر نصيبه يقال رجل شكس وشرس وضرس وضبس
إذا كان سيئ الخلق ومخالفا للناس وقوله تعالى ورجلا سالما هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ومجاهد والحسن
ويعقوب واختاره أبو عبيد لأن السالم هو ضد المشترك وقرأ الباقون سلما من غير ألف بفتح اللام وهو
ضد المحارب ولا موضع للحرب ههنا والمعنى رجل أسلم لرجل من قولهم هو لك سلم أي مسلم لا منازع
له فيه وقوله تعالى هل يستويان أي هل يستوي عبد اشترك فيه نفر متشاكسون بخلقهم جميعا ورجل خالص
لرجل لا شرك فيه لأحد والمعنى هل يستوي من يعبد آلهة شتى مختلفة يعني الكافر والذي يعبد ربا واحدا يعني
... دون غيره من المعبودين
وهذا استفهام معناه الإنكار أي لا يستويان وقوله تعالى الحمد لله أي الشكر كله لله دون غيره
وقوله تعالى بل أكثرهم لا يعلمون أي دع الكلام ... أكثرهم لا يعلمون ما يصيرون إليه من العقاب
قوله تعالى إنك ميت وإنهم ميتون أي إنك يا محمد ميت عن قليل وإنهم ميتون
والمراد بالآية ... قوله تعالى ثم إنكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون يعني المحق والمبطل والظالم
وقيل معناه ... وهم ستموتون ثم إنكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون
والمظلوم قوله تعالى فمن أظلم ممن كذب على الله بأن جعل له ولدا وشريكا وكذب بالصدق إذ جاءه أي
بالتوحيد والقرآن إذ جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى أليس في جهنم مثوى للكافرين لنطقه استفهام
... أي مثواهم جهنم وقوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به قيل المراد به جبريل عليه السلام
وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل إن الذي جاء بالصدق رسول الله والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه
وصدق به يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وصدق به يعني أبا بكر وأصحابه المؤمنين وقوله
... فلذلك سمي صديقا
كان يصدق ... بما أخبر الله به ... ولهم ما يشاؤون عند ربهم يعني لهم ما يشاؤون من الكرامة في الجنة ذلك جزاء
تعالى أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم
المحسنين في أقوالهم وأفعالهم قوله تعالى ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا أي ليكفر الله عنهم أقبح أعمالهم
الذي عملوها في الدنيا بحسناتهم ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون قال مقاتل يجزيهم بالمحاسن من
أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي قوله تعالى أليس الله بكاف عبده وذلك أن المشركين ... قالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم ... إنا نخشى أن تخبلك آلهتنا ... وتعيبها وأنها ... وقيل ... فأعاده فالمراد بالعباد الأنبياء وذلك أن الأمم قصدت
بكاف محمدا صلى الله عليه وسلم ... عداوة من يعاديه وقيل ... يعني أنه كما كفى الأنبياء قبله
بالسوء ... كفى كل نبي ... رسلهم وكذلك ... قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه أي بالذين يعبدون من دونه وهم الأصنام قوله تعالى ومن
يضلل ... وقوله تعالى

سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله وذلك انهم مع عبادتهم
غير الله يقرون بأن الله خالق هذه الاشياء فحجهم الله تعالى بما اقروا به وبين حجته عليهم وبين انه تعالى اذا اراد تعذيب عبد
لا تقدر الاصنام على دفعه عنه واذا اراد به رحمة لا تقدر الاصنام على حبسها عنه فكيف تعبدونها وتتركون
عبادة الله الذي له هذه الصفات وهو قوله تعالى قل أفرأيتم أي امر الله النبي صلى الله عليه وسلم ان يحتج عليهم بان ما
تعبدون من دون الله لا يملك كشف ضر قال ابن عباس والمعنى ان ارادني الله بفقر او مرض او بلاء او شدة هل
هن كاشفات ضره او ارادني برحمة أي بخير وصحة هل هن ممسكات رحمته قرأ ابو عمرو ويعقوب
كاشفات وممسكات بالتنوين لانه اسم الفاعل في غير واقع وما لم يقع منه فوجهه التنوين وقرأ الباقون بغير
تنوين استخفافا وكلاهما الوجه فيه حسن قوله تعالى قل حسبي الله أي كفاني الله تعالى الذي بيده الضر والرحمة
عليه يتوكل المتوكلون أي به يثق الواثقون قوله تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم أي على ما
حالتكم التي اخترتموها اني عامل على حالتي ووجهتي فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه أي يفضحه ويهلكه
في الدنيا وعليه عذاب دائم في الآخرة ويجوز ان يكون قوله من يأتيه عذاب كلام من الله تعالى ومن يخزيه
ويحل عليه عذاب مقيم قوله تعالى إنا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق يعني القرآن لتعلمهم ما فيه ويعملوا
به فمن اهتدى فلنفسه أي فمنفعة اهتدائه راجعة الى نفسه ومن ضل فضرر ضلاله راجع اليه وما انت
عليهم بوكيل أي بحفيظ يجبرهم على الايمان وهذا كان قبل ان يؤمر بقتالهم قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين
موتها يعني ان الله تعالى يقبض الارواح عند انقضاء آجالها ويقبض الارواح التي لم تمت في منامها يعني الارواح التي
قضى عليها الموت تمسكها ولا يردها الى الاجساد ويرد ارواح النائمين اليهم عند الانتباه الى اجل مسمى أي الى الاجل الذي
قدره الله لهم وهو انقضاء الاجل ان في ذلك أي في رد الارواح بعد قبضها لعلامات لقوم يتفكرون في قدرة الله تعالى
على قدرته على البعث قال الزجاج لكل انسان نفسان احدهما نفس التمييز وهي التي تفارقه اذا نام فلا يعقل
والاخرى نفس الحياة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس وعن ابن جريج عن ابن عباس قال في ابن آدم نفس
وروح فالنفس هي العقل والتمييز والروح هي النفس الذي به يتحرك الانسان فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض
روحه واذا مات قبض نفسه وروحه وقيل ان الانسان له نفس وروح وحياة فالمهم فيها الارواح
والنائم له حياة فيما النائم بحياته ويحرك النائم بارواحها ويميز الانسان بنفسه واذا نام الانسان عزبت
عقله ونفسه وتمييزه فاذا انتبه عاد كما كان وكذلك الموت اذا عاد كما كان وسئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم اينام اهل الجنة فقال لا النوم اخو الموت واهل الجنة لا ينامون ولا يموتون وروي ان في التوراة
مكتوب يا ابن آدم كما تنام تموت وكما تستيقظ تبعث وقوله تعالى فيمسك التي قضى عليها الموت أي
يمسكها عن الجسد يعني الروح التي توفاها الله فلا تعود الى الجسد وقوله تعالى ويرسل الاخرى يعني النفس
الى الجسد الى اجل مسمى أي الى انقضاء الاجل قرأ الاعمش وحمزة والكسائي وخلف قضي عليها بضم القاف وكسر الضاد
وفتح الياء ورفع الموت على ما لم يسم فاعله وقرأ الباقون قضى على الفعل الماضي ونصب الموت على قوله تعالى
الله يتوفى الانفس قال المفسرون ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله ثم يمسك
الله ارواح الاموات فلا يردها ويرسل ارواح الاحياء الى اجسادها الى انقضاء آجالها وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اوى احدكم الى فراشه فلينفضه بداخلة ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يضطجع على جنبه الايمن ويقول باسمك ربي وضعت
جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين قوله تعالى
أم اتخذوا من دون الله شفعاء نزلت في اهل مكة زعموا شفعاء لهم عند الله فقال الله تعالى منكرا عليهم

أم اتخذوا من دون الله شفعاء أي بل اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها طمعا في شفاعتها قل لهم يا محمد
أتعبدونهم وان كانوا لا يقدرون على شيء من الشفاعة ولا يملكون شيئا وقيل ولا يعقلون انكم تعبدونهم واخبر
لهم ان الشفاعة الا باذنه قوله تعالى قل لله الشفاعة جميعا أي لا يشفع احد الا باذنه والمعنى
لا يملك احد الشفاعة الا بتمليكه وهذا ابطال لشفاعة الاصنام قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت
قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وذلك ان المشركين كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله وحده نفروا وارتدوا
واستكبروا والاشمئزاز في اللغة النفور والاستكبار وقال ابن عباس اشمأزت انقبضت عن التوحيد وقال
قتادة استكبرت وقال ابو عبيدة نفرت وقوله تعالى واذا ذكر الذين من دونه يعني الاصنام التي عبدوها
من دون الله اذا هم يستبشرون والمعنى اذا قيل لهم لا اله الا الله وحده نفروا وامتنعوا واذا ذكرت اصنامهم
فرحوا بذكرها قوله تعالى قل يا محمد اللهم فاطر السموات والارض أي خالقهما عالم الغيب والشهادة أي عالم
ما غاب عن العباد وما علمه العباد انت تحكم بين عبادك أي تقضي بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
من الدين قوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة
أي لو كان للذين ظلموا انفسهم بالشرك ما في الارض جميعا من اموال ومثله معه لفدوا به انفسهم لشدة ما يرونه
من العذاب ثم لا يقبل منهم ذلك الفداء وظهر لهم من عقاب الله ما لم يكونوا يتوقعون في الدنيا انه ينزل بهم في حق
وذلك انهم لما كانوا لا يعرفون بالبعث والنشور ولا يتوقعون اهوال يوم القيامة بل يظنون ان قوات الله
ان لو قامت القيامة كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
فاذا رأوا العذاب تعذيبا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وظهر لهم عقوبات ما كسبوا من المعاصي وحل
بهم جزاء استهزائهم بالكتاب والرسل قوله تعالى فاذا مس الانسان ضر دعانا أي اذا اصابه مكروه
دعانا لنكشفه عنه ثم اذا اعطيناه نعمة منا من صحة وعافية ونحو ذلك قال انما اوتيته على علم أي على علم من الله تعالى
أني له اهل لذلك وقيل على علم مني بوجوه المكاسب بل هي فتنة أي بل النعمة والنعمة بلية واختبار من الله للعبد
في الغني أي المغني بالشكر والفقير بالصبر ولكن اكثرهم لا يعلمون انها من الله قوله تعالى قد قالها الذين
من قبلهم أي قد قال هذه الكلمة قارون حين قال انما اوتيته على علم عندي والمعنى قد قالها الذين من قبلهم من
الكفار فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون أي ما اغنى عنهم الكفر من العذاب شيئا والمعنى انهم ظنوا ان الدنيا
اعطيناهم لكرامتهم علينا ولم يكن كذلك لانهم وقعوا في العذاب ولم تغن عنهم ما كسبوا شيئا وهو قوله تعالى فأصابهم
سيئات ما كسبوا أي جزاؤهم ثم اوعد كفار مكة فقال تعالى والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا أي
جزاء ما عملوا وما هم بمعجزين لان مرجعهم الى الله فهم لا يعجزونه ولا يفوتونه فيجازيهم باعمالهم
قوله تعالى أولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر معناه اولم يعلموا ان الله يوسع الرزق
على من يشاء ويضيق على من يشاء كل ذلك من عنده لا بحول الانسان وقدرته ان في البسط والتقتير لآيات لقوم يصدقون انها من الله
قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قال ابن عباس نزلت هذه الآية
نزلت في وحشي واصحابه الذين قتلوا حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم وجماعة من المؤمنين ارسلوا الى النبي صلى
الله عليه وسلم من مكة يطلبون التوبة من الله فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى وحشي يدعوه الى الاسلام فارسل اليه يا محمد كيف تدعوني الى دينك وانت تزعم انه من قتل او
اشرك او زنى يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا وانا قد فعلت ذلك كله فهل تجد لي
من رخصة فانزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا فقال وحشي هذا شرط شديد لعلي لا اقدر على

هذا بهل غير ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشي اراني بعد
في شبهة فلا ادري ايغفر لي ام لا فهل غير ذلك فانزل الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله فجاء وحشي واسلم فقال المسلمون هذه له خاصة ام للمسلمين عامة قال بل للمسلمين
عامة ومعنى الاية قل يا عبادي الذين جاوزوا الحد في المعاصي بالكفر والزنا والقتل ونحوها لا تياسوا
من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا الصغائر والكبائر انه هو الغفور لمن تاب الرحيم
لمن مات على التوبة قوله تعالى وانيبوا الى ربكم اي ارجعوا الى طاعة ربكم بالتوبة واستسلموا له من
قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون ثم لا تنصرون قوله تعالى ان تقول نفس يا حسرتا على ما
فرطت في جنب الله معناه بادروا حذارا ان تقول نفس وحذارا ان تصيروا الى حالة تتحسرون فيها على التفريط
فيما يتقرب به الى ثواب الله قال الفراء معنى قوله في جنب الله الجنب هو القرب اي في قرب الله وجواره والمعنى ان تقول
نفس يا حسرتا على ما فرطت في طلب جوار الله وقربه وهو الجنة وقال عطاء معناه على ما ضيعت من ثواب الله وقوله
تعالى وان كنت لمن الساخرين اي وما كنت الا من المستهزئين بالقران والمؤمنين في الدنيا وقوله تعالى
الى التوحيد قوله تعالى او تقول لو ان الله هداني اي وخوفا ان تقول لو ان الله هداني الى ... لكنت
من جملة المتقين الشرك قوله تعالى او تقول حين ترى العذاب اي ولئلا تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة رجعة
الى الدنيا فاكون من الموحدين المحسنين فيقال لهذا القائل بلى قد جاءتك اياتي يعني القران فكذبت بها
اي قلت ليست من عند الله واستكبرت اي وتكبرت عن الايمان بها وتعظمت عن الاقرار بها وكنت من الكافرين
لنعم الله فاصابك ما اصابك بجنايتك على نفسك قوله تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم
مسودة اي وترى يا محمد في يوم القيمة الذين كذبوا على الله في قولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله وقولهم
الملائكة بنات الله وقول عبدة الاصنام ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى تسود وجوههم ...
قوله تعالى اليس في جهنم مثوى للمتكبرين تحقيق وتقرير والمثوى هو المنزل والمتكبر هو المتعظم على ...
قوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم اي يخلصهم من العذاب بفوزهم الذي استحقوه ...
... المفازة مفعلة من الفوز وهي السعادة وان جمع فحسن كقولك السعادة والسعادات ونعم مفازاتهم
قوله تعالى لا يمسهم السوء اي لا يصيبهم العذاب ولا هم يحزنون لانهم رضوا بالثواب قوله تعالى
الله خالق كل شيء اي جميع ما في الدنيا والاخرة من شيء فالله خالقه وهو المستحق للعبادة قوله تعالى
وهو على كل شيء وكيل اي الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها والمدبر لامرها ...
قوله تعالى له مقاليد السموات والارض اي له خزائن السموات والارض يفتح الرزق على من يشاء ويقدر
والمقاليد المفاتيح واحد المقاليد مقليد كما يقال منديل ومناديل قال الضحاك مقاليد السموات والارض مفاتيحها
ويجوز ان يكون المقاليد جمع اقليد وهو مفعال من القلادة اي هو ... الخلق ... عليهم وتدبيره
عليهم قوله تعالى والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون معناه الذين كفروا بالقران هم ...
... حين صاروا في النار قوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون وذلك ان المشركين
... قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم استلم بعض الهتنا ونؤمن بالهك فانزل الله هذه الاية والمعنى اتامروني
ان اعبد غير الله ايها الجاهلون بالله ونعمه قرا نافع تامروني بنون واحدة خفيفة على التخفيف وقرا ابن عامر
بنونين على الاصل وقرا الباقون بنون واحدة مشددة على الادغام قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك
اي عملك قبل الشرك وهذا ادب من الله لنبيه عليه السلام وتهديد لغيره لان الله قد عصمه من الشرك ...
... قوله تعالى بل الله فاعبد اي وحده بالعبادة ... وكن من الشاكرين لنعمه

عليك قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوا الله حق معرفته وما عظموه حق تعظيمه اذ عبدوا
الاوثان من دونه وامروا النبي صلى الله عليه وسلم بعبادة غيره ثم اخبر عن عظمته فقال والارض جميعا
قبضته يوم القيمة اي وجميع الارض في مقدوره يوم القيمة كالذي يقبض عليه القابض في قبضته ... يقال
فلان في قبضة فلان اي تحت امره وقدرته والقبضة في اللغة ما قبضت عليه بجميع كفك اخبر الله تعالى عن قدرته
بذكر الارض كلها مع عظمها وكثافتها في مقدوره كالشيء الذي يقبض عليه القابض بكفه وقوله تعالى
والسموات مطويات بيمينه ذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار يعني انه يطويها بقدرته كما يطوي الواحد منا الشيء
المقدور له قبضة بيمينه وقال الاخفش معناه مطويات في قدرته نحو قوله او ما ملكت ايمانكم اي ما كانت لكم عليه
قدرة وليس الملك لليمين دون الشمال فقد ذكر اليمين بمعنى القوة كما قال الشاعر اذا ما راية رفعت لمجد
تلقاها عرابة باليمين ثم نزه نفسه عن شركهم فقال سبحانه وتعالى عما يشركون قوله تعالى ونفخ في الصور
فصعق من في السموات ومن في الارض قد ذكرنا ان النفخة نفختان في قول اكثر المفسرين بينهما اربعون سنة
الاولى هي نفخة الصعق والصعق هو الموت لشدة الصيحة وحالة هائلة ولذلك سميت الصواعق وهي التي تاتي مع
الرعد وعن عبد الله بن عمر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصور فقال قرن ينفخ فيه فيصعق من في
السموات ومن في الارض اي يموتون من الفزع وشدة الصوت قوله تعالى الا من شاء الله يعني الملك الذي ينفخ في الصور
ثم يميته الله بعد ذلك وقال الحسن يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وحملة العرش وملك الموت وعن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سال جبريل عن هذه الاية من الذين شاء الله ان لا يصعقهم قال هم الشهداء متقلدون اسيافهم
حول العرش وعن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هم جبريل وميكائيل واسرافيل
وملك الموت فيقول الله تعالى يا ملك الموت خذ نفس اسرافيل فياخذها ثم يقول خذ نفس ميكائيل فياخذها
ثم يقول الله يا ملك الموت من بقي فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت بقي جبريل وملك الموت فيقول الله
تعالى مت يا ملك الموت فيموت ثم يقول الله يا جبريل من بقي فيقول تباركت وتعاليت بقي وجهك الباقي الدائم
وبقي جبريل الميت فيقول الله يا جبريل مت فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيموت وقال الضحاك معنى قوله الا
من شاء الله هم رضوان والحور ومالك والزبانية وقال قتادة الله اعلم بمن شاء وقيل هم عمار النار قوله تعالى
ثم نفخ فيه اخرى يعني نفخة البعث فاذا هم قيام من القبور ينظرون ماذا يفعل بهم وقوله
تعالى واشرقت الارض بنور ربها اي واضاءت الارض يوم القيمة بعدل ربها لان العدل نور كما سمي النبي
نورا وسمي القران نورا وقيل اراد انه تعالى نورها بالعدل كما نور الدين بالعلم وقال بعضهم يخلق الله تعالى
نورا يضيء به اهل القيمة غير الشمس والقمر قوله تعالى ووضع الكتاب يعني صحائف الاعمال وجيء
بالنبيين والشهداء قال ابن عباس المراد بقوله والشهداء هم الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم
امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال عطاء يعني الحفظة وقال السدي يعني الذين استشهدوا في طاعة الله وقوله تعالى
وقضي بينهم بالحق اي يقضى بين الرسل والامم بالعدل وهم لا يظلمون اي لا ينقص من حسنات احد ولا يزاد
في سيئات احد قوله تعالى ووفيت كل نفس ما عملت اي اعطيت كل نفس برة او فاجرة جزاء ما عملت من خير
او شر وهو اعلم بما يفعلون لا يحتاج الى كاتب ولا شاهد قوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا
وذلك انهم يساقون الى جهنم فوجا فوجا وزمرة زمرة كما تساق البهائم ... والزمر جماعات في تفرقة
بعضها على اثر بعض يساقون سوقا عنيفا يسحبون على وجوههم الى جهنم حتى اذا جاؤوها فتحت ابوابها
وقال لهم خزنتها وهم الزبانية الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا قالوا بلى قد اتونا بالرسالة ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين فيقول لهم الزبانية
ادخلوا ابواب جهنم السبعة خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ومعنى قوله ولكن حقت كلمة

العذاب على الكافرين هي قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين واختلف القراء في قوله فتحت ففتحها الكوفيون
وشددها الباقون على التكثير قوله تعالى وسيق الذين اتقوا إلى الجنة زمرا [illegible]
[illegible] اللطيفة [illegible] حتى إذا جاءوها [illegible] أن الجواب محذوف [illegible] إذا جاءوها
وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها [illegible] إلى السعادة ووصلوا إلى مقصودهم [illegible]
حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها [illegible] بأنها قد كانت مفتحة قبل مجيئهم [illegible]
[illegible] أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم [illegible] الواو ههنا لأن أبواب الجنة ثمانية وأبواب جهنم سبعة
[illegible] وحكى عن أبي بكر بن عبدوس الهاشمي [illegible] الثمانية [illegible] من عادة قريش أنهم يعدون
العدد من الواحد إلى الثمانية فإذا بلغوا الثمانية زادوا فيها واوا [illegible] خمسة ستة سبعة وثمانية [illegible]
على قوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام وقوله تعالى التائبون العابدون فلما بلغ الثامن [illegible]
والناهون عن المنكر [illegible] كلهم [illegible] ثيبات وأبكارا وقيل زيادة الواو [illegible] صفة الجنة [illegible]
الرحمة قوله تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين [illegible]
أي طاب لكم المقام وقيل معناه طبتم بصالح أعمالكم [illegible] في الدنيا وقيل طابت لكم الجنة فادخلوها خالدين
فلما دخلوها قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده أي أنجزنا وعده وأورثنا الأرض [illegible] حيث نشاء
أي [illegible] منها [illegible] قوله تعالى فنعم أجر العاملين أي نعم ثواب العاملين [illegible]
قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش أي محدقين حول العرش [illegible] يسبحون بحمد ربهم
[illegible] وقضي بينهم بالحق أي بالعدل [illegible] وقيل الحمد لله
رب العالمين [illegible] الحمد لله الذي خلق السموات والأرض [illegible]
واستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار [illegible] بقوله الحمد لله رب العالمين

سورة غافر حم وثمانون آية مكية

[illegible] وتسع وتسعون كلمة [illegible] آية [illegible]
[illegible] وسبعمائة وستون حرفا [illegible] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحواميم
[illegible] وقال رسول الله صلى الله عليه
[illegible] رياض الجنة [illegible] الحواميم في صلاة الليل [illegible]
ديباج القرآن وقال رسول الله صلى الله عليه [illegible]
[illegible] الحواميم [illegible] القرآن الحواميم [illegible]
[illegible] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] القرآن الحواميم [illegible]
[illegible] رياض الجنة [illegible] الحواميم وقال ابن مسعود إذا وقعت في الحواميم [illegible]
روضات [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

حم قال [illegible] صلى الله عليه وسلم حم اسم من أسماء الله تعالى [illegible] وقال ابن عباس [illegible]
الله الأعظم وعن عكرمة قال الر وحم ونون حروف الرحمن مقطعة وقيل اسم الله [illegible]
[illegible] عطاء الخراساني [illegible] افتتاح أسماء الله حليم وحميد [illegible]
افتتاح أسمائه [illegible] وقال الضحاك [illegible] كائن وقوله تعالى تنزيل الكتاب من الله
العزيز العليم أي هذا تنزيل الكتاب من الله العزيز [illegible] العليم [illegible] قوله تعالى
غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب أي غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله [illegible]
[illegible] شديد العقاب لمن مات على الشرك والتوب جمع توبة [illegible]
[illegible] قوله تعالى ذي الطول أي ذي الغنى [illegible] لا إله إلا الله [illegible]
[illegible] والفضل على عباده [illegible] قوله تعالى لا إله إلا هو أي

[illegible] قوله إليه المصير أي مصير [illegible] وعن الحسن رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب
[illegible] الشام [illegible] السلطان [illegible]
[illegible] إلى الشام [illegible] فلما أراد [illegible] كتب إليه من عبد الله عمر بن
الخطاب أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو أما
بعد فإن الله تعالى قال حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول إليه
المصير والسلام عليك ورحمة الله وبركاته فلما جاءه الكتاب [illegible] اقرأ كتابك [illegible] العزيز العليم
[illegible] غافر الذنب [illegible] وقابل التوب [illegible] شديد العقاب
[illegible] لا إله إلا هو إليه المصير [illegible] صدق الله ونصح عمر رضي الله عنه [illegible]
[illegible] فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم [illegible]
[illegible] الله أن يتوب عليه [illegible] قوله تعالى ما يجادل في آيات الله إلا الذين
كفروا أي ما يخاصم في آيات الله [illegible] الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد
[illegible] فإن عاقبة [illegible] العذاب [illegible]
[illegible] قوله تعالى كذبت قبلهم أي قبل قومك
قوم نوح قوله تعالى والأحزاب من بعدهم وهم الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب نحو عاد وثمود
[illegible] وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه [illegible] وجادلوا بالباطل أي
[illegible] بالباطل ليدحضوا به الحق الذي جاءت به الرسل فأخذتهم [illegible] فكيف كان
عقاب قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار أي [illegible]
[illegible] حقت كلمة [illegible] على الذين كفروا [illegible] أصحاب النار [illegible] قوله تعالى الذين يحملون
العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم يعني حملة العرش والطائفين به [illegible] الملائكة يسبحون
بحمد ربهم ويؤمنون به بأنه واحد لا شريك له ويقولون ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما أي وسعت
[illegible] كل شيء فاغفر للذين تابوا عن الشرك والمعصية واتبعوا الطريق [illegible] وادفع عنهم عذاب
الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن أي [illegible] التي وعدتهم في الكتب على ألسنة الرسل
[illegible] من صلح من آبائهم [illegible] إنك أنت العزيز في ملكك [illegible] الحكيم في أمرك [illegible]
[illegible] عقوبة السيئات [illegible] وذلك هو الفوز العظيم أي
[illegible] قال ابن عباس حملة العرش [illegible]
[illegible] تحت العرش وهم خشوع [illegible]
[illegible] أشد خوفا من أهل السموات السبع وعن الضحاك قال لما خلق الله حملة العرش قال لهم احملوا
[illegible] الخلق مع كل واحد من الأعوان [illegible] سبع سموات من الملائكة وقال لهم احملوا عرشي [illegible]
[illegible] سبع سموات من الملائكة وقال لهم احملوا عرشي فلم يطيقوا [illegible]
[illegible] سبع سموات من الملائكة [illegible] الأرض من الخلق وقال لهم احملوا عرشي فلم
يطيقوا [illegible] سبع سموات [illegible] سبع أرضين [illegible] من الحصا والثرى
[illegible] احملوا عرشي فلم يطيقوا فقال قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله فلما قالوها حملوا العرش [illegible] صلى الله عليه
وسلم [illegible] قوله تعالى إن الذين
كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون [illegible]

لما دخلوا النار مقتوا انفسهم ومقت بعضهم بعضا لاشتغالهم في الدنيا بما قادهم الى النار فيناديهم منادٍ لمقت
الله اكبر يعني مقت الله اياكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم اليوم قالوا ربنا
امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين اي قال بعضهم معناه كنا نطفا في اصلاب ابائنا امواتا فخلقت فينا الحياة ثم
اماتنا عند انتهاء آجالنا ثم احييتنا للبعث وهذا كقوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وانما
قالوا هكذا لانهم كانوا في الدنيا قد كذبوا بالبعث فاعترفوا في النار بما كذبوا به وهو قوله تعالى فاعترفنا
بذنوبنا اي بالتكذيب وقال بعضهم اراد بالموتة الاولى التي تكون عند تقضي الآجال والموتة الثانية
التي تكون بعد الاحياء في القبر للسؤال لانهم احيوا في الدنيا ثم احيوا في قبورهم فسئلوا ثم اميتوا في قبورهم ثم احيوا
في الآخرة للبعث فيكون المراد بالاحيائين الاحياء في القبر والاحياء الثاني الاحياء للبعث وقوله تعالى
فاعترفنا بذنوبنا اي بانعامك علينا وتعودنا فضلك وتكذيبنا في الدنيا فهل الى خروج من سبيل اي من طريق
نرجع به الى طاعتك فيجابون ليس لكم الى خروج من سبيل ويقال لهم ذلكم بانه اذا دعي الله
وحده كفرتم اي ذلكم العذاب في النار ورد المقت بانكم اذا قيل لكم في الدنيا لا اله الا الله انكرتم ذلك بقولكم اجعل
الآلهة الها واحدا وان يشرك به صدقتم فالحكم لله العلي في سلطانه الكبير في عظمته لا راد لحكمه قوله تعالى
هو الذي يريكم آياته اي دلائل توحيده ومصنوعاته التي تدل على قدرته من السماء والارض والشمس والقمر والنجوم
والسحاب وغير ذلك وينزل لكم من السماء رزقا يعني المطر الذي هو سبب الارزاق وما يتذكر الا من ينيب اي
ما يتعظ بهذه المصنوعات وقيل معناه وما يتعظ بالقرآن الا من يرجع الى ذكر الله فيتدبرها ثم امر المؤمنين
بتوحيده فقال تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين اي مخلصين له الطاعة موحدين ولو كره الكافرون
ثم ذكر عظمته تعالى نفسه فقال رفيع الدرجات اي رافع درجاتكم والرفيع بمعنى الرافع والمعنى انه رفع
درجات الانبياء والاولياء في الجنة وقوله تعالى ذو العرش اي خالقه ومالكه يلقي الروح من امره على من يشاء
من عباده اي ينزل الوحي على من يشاء ممن يختصه بالنبوة والرسالة لينذر ذلك النبي الموحى اليه يوم
التلاق اي يوم القيمة وسمي يوم التلاق لانه يلتقي فيه اهل السموات واهل الارض والمؤمنون والكافرون
والظالمون والمظلومون ويلتقي المرء فيه بعمله وقرأ الحسن لتنذر بالتاء اي لتنذر يا محمد يوم التلاق
به وقراءة العامة بالياء اي لينذر الله قوله تعالى يوم هم بارزون اي يوم هم خارجون من قبورهم
والبحار وحواصل الطير وبطون السباع لا يخفى على الله منهم شيء من اعمالهم ومحالهم
بارزون حتى يقول الله في ذلك اليوم لمن الملك اليوم يعني الخلائق كلهم لله الواحد القهار وقيل
الحسن هو السائل والمجيب لانه يقول ذلك حين لا احد يجيبه فيجيب نفسه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان ... الحمد لله الذي تفرد بالقدرة وقهر العباد بالموت ...
... كل ملك في الارض قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت اي تجزى كل نفس بعملها
المحسن باحسانه والمسيء باساءته لا ظلم اليوم من احد على احد ان الله سريع الحساب يحاسبهم جميعا في
ساعة واحدة يحاسب كل واحد منهم محاسبة دون غيره قوله تعالى وانذرهم يوم الآزفة اي خوفهم يوم القيامة والمعنى
يا محمد انذر اهل مكة يوم الآزفة يعني يوم القيامة سميت القيمة آزفة من ازف الامر اذا قرب والآزفة القريبة
لسرعة مجيئها قال الزجاج قيل لها آزفة لانها قريبة وان استبعدها الناس وما هو آت فهو قريب اذ
القلوب لدى الحناجر كاظمين اي حين ترتفع القلوب من مواضعها من الخوف وتشخص من صدورهم حتى تبلغ
حناجرهم في الحلوق فلا هي تعود الى اماكنها ولا هي تخرج من افواههم فيموتوا فيستريحوا وذلك ان القلب متعلق
الرئة فاذا انتفخت الرئة عند الفزع رفعت القلب حتى يبلغ الحنجرة فيلصق بالحنجرة فلا يقدر صاحبه على ان يرده الى

مكانه ولا ان يلفظ به فيستريح ونظيره قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر وقوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم
وقوله تعالى وافئدتهم هواء وقوله تعالى اذا بلغت التراقي قوله تعالى كاظمين اي مغمومين مكروبين ممتلئين
غما وخوفا وحزنا يعني اصحاب القلوب تتردد غصصهم في اجوافهم والكاظم الممتلئ اسفا وغيظا
والكظم تردد الغيظ والحزن والخوف في القلب حتى يضيق به وينصب كاظمين على الحال قوله تعالى ما للظالمين
من حميم ولا شفيع يطاع اي ما لهم من قريب ينفعهم ولا شفيع يطاع فيهم فتقبل شفاعته قوله تعالى يعلم خائنة
الاعين اي خيانتها وهي مسارقة النظر الى ما لا يحل قال ابن عباس خائنة الاعين هو الرجل كان مع القوم
فتمر بهم المرأة فيسارقهم النظر اليها وقال قتادة هو همزه بعينه واغماضه فيما لا يحب الله ويجوز ان يكون المراد
به نعت العين الخائنة اي يجازي بخيانة الاعين وكيف بما فوقها كما قال ... ان السمع والبصر والفؤاد
او لانه كان عنه مسؤولا وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه لا تتبع النظرة النظرة فان لك
الاولى وعليك الثانية يعني الاولى اذا وقع نظره على موضع لا يجوز النظر اليه من غير تعمد منه فانه لا يكون آثما في ذلك
وانما يأثم اذا اعاد النظر ثانية وقوله تعالى وما تخفي الصدور اي وما تضمر الصدور غير خائنة الاعين ويعلم
ما تسر القلوب من المعصية قوله تعالى والله يقضي بالحق اي يحكم بالقسط والعدل لا يمنع احدا من ثواب عمله ولا
يعاقبه على ذنب لم يكسبه فيجزي بالحسنة والسيئة وقوله تعالى والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء
معناه والذين يدعون من دون الله من الاصنام لا يسعفون من اطاعهم ولا يضرون من عصاهم ولا يجازون احدا
لانهم لا يعلمون ولا يقدرون وقرأ نافع والذين تدعون بالتاء وقرأ الباقون بالياء ان الله هو السميع لمقالتهم
البصير بهم وباعمالهم قوله تعالى اولم يسيروا في الارض الآية ظاهرة المعنى قوله تعالى وما كان لهم من الله من
واق اي وما كان لهم من عذاب الله من واق يقي العذاب عنهم قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني الآيات
التسع وسلطان مبين اي وحجة ظاهرة الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب اي
كثير الكذب وخص فرعون وهامان وقارون بالذكر لانهم كانوا هم المتبوعين وفي ذكرهم ذكر التابعين
قوله تعالى فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم اي واستبقوا
نساءهم للخدمة وذلك ان فرعون كان قد اخبر انه يولد من بني اسرائيل مولود يذهب ملكه على يديه فامر بقتل ابنائهم
واستحياء نسائهم فلما جاءهم موسى بالحق امر باعادة ذلك القتل عليهم لئلا يبلغ الابناء فيعينوه عليهم قوله تعالى
وما كيد الكافرين الا في ضلال اي يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما كانوا يكيدون قوله تعالى وقال
فرعون ذروني اقتل موسى وذلك ان قوم فرعون قالوا له ارجه واخاه لا تقتلهما فانك ان قتلتهما قبل ظهور
حجتهما عليهما ربما تعتقد للناس الشبهة في انهما كانا على الحق فقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه حتى
يدفع ذلك القتل عنه بزعمه وهذا معنى تعنته قوله تعالى اني اخاف ان يبدل دينكم يعني يبدل عبادتكم اياي وان
يظهر في الارض الفساد اراد ظهور الهدى وتغير احكام فرعون فجعل ذلك فسادا قرأ الكوفيون ويعقوب
او ان يظهر بالالف وقرأ نافع وابو عمرو ويظهر بضم الياء وكسر الهاء ونصب الفساد وقرأ الباقون بفتح الياء والهاء ورفع
الفساد واختار ابو عبيدة قراءة نافع وابي عمرو لانها اشبه بما قبلها لاسناد الفعل الى موسى وعطفه على يبدل
قوله تعالى وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لما توعد فرعون موسى بالقتل قال موسى اني عذت
بربي وربكم من كل متكبر متعظم عن الايمان وقبول الحق لا يؤمن بيوم الحساب استعاذ موسى بالله تعالى ممن
اراد به سوءا قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله
وقد جاءكم بالبينات من ربكم اختلفوا في هذا المؤمن فقال بعضهم كان قبطيا من آل فرعون غير انه كان آمن بموسى
وكان يكتم ايمانه من آل فرعون وقومه خوفا على نفسه وقال مقاتل والسدي كان ابن عم فرعون وهو الذي
حكى الله عنه وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى وهذا هو الاشهر وكان اسمه خربيل وقيل حزبيل وقال

بعضهم كان ابن عمه وتقدير الآية وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وقوله تعالى أتقتلون رجلا
أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم أي لأن يقول ربي الله وقد أتاكم بما يدل على صدقه من المعجزات
وإن يك كاذبا فعليه كذبه أي يضره ذلك وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم أي يصبكم كل الذي
يعدكم من العذاب إن تركتموه وهو صادق والمراد بالبعض الكل في هذه الآية وقال الليث بعض ههنا صلة
أي يصبكم الذي يعدكم وقال أهل المعاني هذا على المظاهرة في الحجاج كأنه قال لهم أقل ما يكون في صدقه أن
يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل وقد يذكر البعض ويعني الكل
قال الشاعر • تراك أمكنة إذا لم أرضها • أو يرتبط بعض النفوس حمامها • أراد كل النفوس ومثل
ذلك وقال آخر • قد يدرك المتأني بعض حاجته • وقد يكون مع المستعجل الزلل • وقوله تعالى إن الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب أي لا يهديه إلى الجنة ولا يوفقه والمسرف هو المتجاوز عن الحد في المعصية قوله
تعالى يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض أي قال لهم الرجل المؤمن على وجه النصيحة لهم يا قوم لكم الملك
اليوم ظاهرين أي غالبين مستعلين في أرض مصر فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا أي فمن يمنعنا من عذاب الله إن
جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى أي ما أشير عليكم إلا ما أراه حقا من الصواب في أمر موسى وما أهديكم
إلا سبيل الرشاد أي ما أعرفكم إلا طريق الهدى قوله تعالى وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم
مثل يوم الأحزاب معناه وقال لهم الرجل المؤمن إني أخاف عليكم في قتله وترك الإيمان به أن ينزل بكم من العذاب
مثل ما نزل بالأمم الماضية فهلكوا حين كذبوا رسلهم وقوله تعالى وما الله يريد ظلما للعباد أي لا يعاقب
أحدا بلا جرم ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يعني يوم القيامة ينادي فيه كل أناس بإمامهم وينادي
فيه أهل النار أهل الجنة وأهل الجنة أهل النار وينادي فيه بسعادة السعداء وشقاوة الأشقياء وأصله
يوم التنادي بالياء إلا أن الياء حذفت منه كما حذفت من قوله يوم يدع الداع
ونحو ذلك وقيل سمي يوم التناد لأن الكفار ينادون بأنفسهم بالويل والثبور كما قال تعالى لا تدعوا اليوم
ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وقيل في معنى ذلك أنه ينادي المنادي ألا إن فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى
بعدها أبدا وينادي ألا إن فلان بن فلان شقي شقاوة لا سعادة بعدها أبدا وقرأ الحسن يوم التنادي بإثبات
الياء على الأصل وقرأ ابن عباس يوم التنادّ بتشديد الدال على معنى يوم التنافر وذلك إذا هربوا فندوا في الأرض
كما تند الإبل إذا شردت على أصحابها وقال الضحاك إذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار
إلا وجدوا الملائكة صفوفا فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه فذلك قوله يوم التناد وقوله تعالى إن استطعتم
أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان وقوله تعالى يوم تولون مدبرين
أي فارين منصرفين عن موقف الحساب إلى النار ما لكم من الله من عاصم أي من مانع يمنعكم من عذابه ومن يضلل
الله فما له من هاد قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات أي قد جاءكم يوسف بن يعقوب من
قبل موسى بالدلالات الظاهرة على وحدانية الله تعالى في قوله أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار وقيل
يعني قبل أن يقول هذا المؤمن وقوله تعالى فما زلتم في شك مما جاءكم به أي في شك من عبادة الله وحده
حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا أي لما مات قلتم هكذا أضلكم الله من هو متجاوز في الجرم مرتاب
أي شاك في توحيد الله وصدق أنبيائه قوله تعالى الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم قال
الزجاج هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني هم الذين يجادلون في آيات الله بإبطالها والتكذيب بها بغير
حجة أتتهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا أي عظم جدالهم بغضا وسخطا عند الله وعند المؤمنين •
كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار أي كذا يختم الله بالكفر على كل قلب متكبر عن الإيمان جبار للناس على ما يريد

وقال ابن عباس يختم على قلوبهم فلا يسمعون الهدى ولا يعقلون الرشاد وقرئ على كل قلب بالتنوين وقال
الزجاج الوجه الإضافة لأن المتكبر هو الإنسان قوله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا
أي قال فرعون لوزيره هامان ابن لي قصرا حصينا مشيدا بالآجر كما قال في موضع آخر فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي
صرحا لعلي أبلغ الأسباب وكان هامان أول من طبخ الآجر لبناء الصرح ولهذا كره بناء القبور بالآجر
قوله تعالى لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات يعني طرق السموات والسبب في الحقيقة كل ما يوصلك إلى الشيء
ولذلك سمي الحبل سببا وقال بعضهم أسباب السموات طبقاتها وقوله تعالى فأطلع إلى إله موسى ظن فرعون
أن إله موسى ممن يرتقى إليه وقوله تعالى وإني لأظنه كاذبا أي وإني لأظن موسى كاذبا فيما يقول إن له ربا
في السماء وما قال ذلك موسى قط ولكنه لما قال له وما رب العالمين قال موسى رب السموات والأرض فظن
فرعون بجهله واعتقاده الباطل أنه لما لم ير في الأرض ظن أنه في السماء فرام الصعود إلى السماء إرادة إله موسى
وقيل معناه وإني لأظن موسى كاذبا فيما يقول إن له ربا غيري أرسله إلينا وقرأ الأعرج فأطلع بالرفع عطفا
على قوله أبلغ قوله تعالى وكذلك زين لفرعون سوء عمله أي هكذا حسن له قبح عمله زين له الشيطان جهله
وشركه وقرئ بفتح الزاي فهو على أن المعاصي يدعو بعضها إلى بعض وقوله تعالى وصد عن السبيل أي صد
عن الهدى ويحتمل أنه صد عن السبيل بنفسه وقرئ وصد بضم الصاد أي منع عن السبيل الحق وما كيد فرعون
إلا في تباب أي في خسار وهلاك قوله تعالى وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد أي
قال الرجل المؤمن من آل فرعون يا قوم اتبعوني على ديني أحملكم على طريق السداد والهدى يا قوم إنما هذه الحيوة
الدنيا متاع أي متعة يسيرة تنقطع وإن الآخرة هي دار القرار ولا تزول أي هي المحل الذي يقع فيه الاستقرار
قوله تعالى من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها يعني الشرك فلا جزاء له إلا مثلها في العظم يعني النار ومن عمل
صالحا أي طاعة من ذكر أو أنثى وهو مؤمن مخلص وقال ابن عباس يعني قول لا إله إلا الله فأولئك يدخلون
الجنة يرزقون فيها بغير حساب أي بما لا نهاية له بمقدار قوله تعالى ويا قوم ما لي
أدعوكم إلى النجاة أي قال لهم الرجل المؤمن يا قوم ما لي أدعوكم إلى سبيل النجاة وتدعونني إلى عمل أهل
النار وهو الشرك وقوله تعالى وأشرك به ما ليس لي به علم أي ما لا أعرف له ربوبية وأنا أدعوكم إلى
العزيز أي الغالب المنتقم ممن عصاه الغفار لمن تاب وآمن قوله تعالى لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة
في الدنيا ولا في الآخرة معنى قوله لا جرم أي حقا إنما تدعونني إليه من المعبود من دون الله ليس له دعوة في
الدنيا ولا في الآخرة والتقدير ليس له استجابة دعوة وقوله تعالى وأن مردنا إلى الله أي وأن مرجعنا إلى الله في الحكم
يفصل بين المحق والمبطل والمتجاوزين عن الحد في الكفر وسفك الدماء بغير الحق هم أصحاب النار قوله تعالى
فستذكرون ما أقول لكم أي فستذكرون هذا الذي أقول لكم في الدنيا من النصيحة إذا نزل بكم العذاب
في الآخرة حين لا ينفعكم الذكر فيه وأفوض أمري إلى الله أي أرد أمري إلى الله فأثق به ولا أشتغل بكم
إن الله بصير بالعباد بأوليائه وأعدائه فوقاه الله سيئات ما مكروا وذلك أن فرعون أراد أن يقتله
فهرب منهم فلم يقدروا عليه ودفع الله عنه غائلة مكرهم وحاق بآل فرعون سوء العذاب أي وأحاط
بآل فرعون سوء العذاب في الدنيا الغرق وفي الآخرة النار فذلك قوله تعالى النار يعرضون عليها ارتفع
النار على البدل من سوء العذاب في قوله تعالى يعرضون عليها غدوا وعشيا أي صباحا ومساء يقال
لهم يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخا ونقمة وقال ابن مسعود أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يعرضون
على النار كل يوم مرتين • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده

بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك
الله يوم القيمة و قوله تعالى ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب قرأ نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص
بقطع الالف وكسر الخاء اي يقال للملئكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وهو الدرك الاسفل من النار وقرأ
الباقون بضم الخاء ووصل الالف على الامر لهم بالدخول قوله تعالى وإذ يتحاجون في النار اي واذكر يا محمد
لقومك اذ يختصم اهل النار في النار والآية مفسرة في سورة ابرهيم و قوله تعالى قال الذين استكبروا إنا كل
فيها اي نحن وانتم قد استوينا في العذاب إن الله قد حكم بين العباد اي قضى هذا علينا وعليكم وحكم ان لا
يتحمل احد عن احد فلما ذاقوا شدة العذاب قالوا لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب
اي يهون علينا العذاب قدر يوم من ايام الدنيا فيقول لهم الزبانية أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات اي
بالدلالات الظاهرة على وحدانية الله فيقولون بلى قد اتتنا الرسل فيقول لهم الزبانية فادعوا انتم فان الله لا
يأذن لنا في الدعاء وما دعاء الكافرين إلا في ضلال اي ضياع لا ينفعهم قوله تعالى إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة
الدنيا اي انا لننصر الرسل والمؤمنين على اعدائهم في الدنيا بالاستعلاء عليهم بالحجة وبالغلبة عليهم في المحاربة ويوم
يقوم الاشهاد باعلاء كلمتهم واظهار منزلتهم والمعنى ويوم القيمة تقوم الحفظة من الملائكة تشهد للرسل
بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب والاشهاد جمع شاهد مثل صاحب واصحاب وطائر واطيار والمراد بالاشهاد الانبياء
والملائكة والمؤمنون والجوارح والمكان والزمان يشهدون بالحق لاهله وعلى المبطل بفعله يوم لا ينفع
الظالمين معذرتهم ان اعتذروا من كفرهم لم يقبل منهم وان تابوا لم تنفعهم التوبة ولهم اللعنة اي
البعد من الرحمة ولهم سوء الدار يعني جهنم بئس المنقلب قوله تعالى ولقد آتينا موسى الهدى اي اعطينا
موسى الهدى من الضلالة يعني التورية وقيل النبوة ولقد اعطينا موسى الدين المستقيم واورثنا بني اسرائيل التورية
والانجيل والزبور هدى من الضلالة وعظة لذوي العقول فاصبر يا محمد على اذى الكفار كما صبر الرسل قبلك
إن وعد الله حق في نصرتك واظهار دينك صدق كائن واستغفر لذنبك يعني الصغائر لان الانبياء معصومون
من الصغائر وان عصموا من الكبائر وقيل معناه واستغفر لذنوب امتك وسبح بحمد ربك اي نزهه عن كل صفة
لا تليق به واحمده على كل نعمة ويجوز ان يكون المراد بالتسبيح في الآية من قوله بالعشي الصلوات الخمس من وقت
الزوال الى وقت العشاء الآخرة ومن قوله والابكار صلوة الفجر والمعنى صل شاكرا لربك بالعشي والابكار قوله تعالى
إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم وذلك ان اليهود كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم
ويدفعون القران وكانوا يقولون ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر
ويرد الملك الينا فسمي نعمة الانهار وهو آية من آيات الله ويعظمون امر الدجال فانزل الله هذه ومعناها ان الذين
يخاصمون بغير حجة اتتهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه اي ما في قلوبهم الا عظمة عن قبول الحق محمد
ما هم ببالغي تلك العظمة التي في قلوبهم لان الله تعالى مذلهم فلا يصلون الى دفع شيء من آيات الله قال ابن عباس والحسن ما
يحملهم على تكذيبك الا ما في صدورهم من العظمة ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر لان الله مذلهم وقال ابن قتيبة ان في صدورهم
الا تكبر على محمد وطمع ان يغلبوه وما هم ببالغي ذلك فاستعذ بالله يا محمد من الكبر ومن شر اليهود ومن شر الدجال ومن
فتنة الدجال ومن كل ما يجب الاستعاذة منه و قوله تعالى إنه هو السميع لمقالتهم البصير بهم وباعمالهم و قوله تعالى
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس اي هما اكبر من خلق الدجال وقيل معناه لخلق السموات والارض عظمهما وعظم
بعدهما وجريانهما بالافلاك والكواكب فيهما اعظم في النفوس واهيب في الصدور من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا
يعلمون حين لا يستدلوا بذلك على توحيد خالقهما وقدرته على ما هو اعظم من خلق الدجال وعلى انه ينعم على المسلمين بالظهور
عليهم وعن اسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان قبل خروج الدجال ثلث سنين او سنة يمسك السماء ثلث قطرها

والارض

والارض ثلث نباتها والثانية تمسك ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها وفي السنة الثالثة تمسك السماء ما فيها ويهلك كل
ذات ضرس وظلف وعن ابي امامة الباهلي قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فكان اكثر
خطبته ان يحدثنا عن الدجال ويحذرناه فكان من قوله ايها الناس انه لم تكن فتنة في الارض اعظم من فتنة الدجال
وان الله تعالى لم يبعث نبيا الا حذر امته منه وانا آخر الانبياء وانتم آخر الامم وهو خارج فيكم لا محالة
فان يخرج وانا فيكم فانا حجيج كل مسلم وان يخرج بعدي فكل امرئ حجيج نفسه والله تعالى خليفتي على كل مسلم انه
يخرج من خلة بين العراق والشام فيعيث يمينا وشمالا يا عباد الله فاثبتوا فانه يبدأ فيقول انا نبي ولا نبي بعدي
ثم يثني فيقول انا ربكم فلن تروا ربكم حتى تموتوا وانه اعور وليس ربكم باعور وانه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه
كل مؤمن فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه وان من فتنته ان معه جنة ونارا فناره جنة وجنته نار فمن ابتلي بناره
فليقرأ فواتح سورة الكهف وليستغث بالله فتكون عليه بردا وسلاما وان من فتنته ان معه شياطين تتمثل
كل واحد منهم على صورة انسان فيأتي الاعرابي فيقول له اذا بعثت لك اباك وامك اتشهد اني ربك
فيقول نعم فيتمثل له شيطانه على صورة ابيه وامه فيقولان له يا بني اتبعه فانه ربك وان من فتنته ان يسلط
على نفس فيقتلها ثم يحييها الله تعالى بعد ذلك فيقول الدجال انظروا الى عبدي هذا فاني ابعثه ويزعم ان له ربا
غيري فيقال له من ربك فيقول الله ربي وانت الدجال عدو الله وان من فتنته ان يقول للاعرابي ارأيت ان بعثت لك ابلك اتشهد
اني ربك فيقول نعم فيتمثل له شيطانه على صورة ابله وان ايامه اربعون يوما فيوم كالسنة ويوم دون ذلك ويوم
كالشهر ويوم دون ذلك ويوم كالجمعة ويوم دون ذلك وآخر ايامه كالشررة في يده يصبح الرجل بباب المدينة فلا يبلغ
بابها الآخر حتى تغرب الشمس قالوا يا رسول الله كيف نصلي في تلك الايام القصار قال تقدرون فيها كما تقدرون في هذه
الايام الطوال فلا يبقى شيء من الارض الا وطئه الدجال الا مكة والمدينة فانه لا يأتيهما ويكون
امام الناس يومئذ بالمدينة رجلا صالحا فيقول له صل الصبح فاذا كبر ودخل في الصلوة نزل عيسى عليه السلام فاذا
رآه ذلك الرجل عرفه فيتأخر ليتقدم عيسى فيضع عيسى يده بين كتفيه ويقول له صل فانما اقيمت لك الصلوة فيصلي
عيسى وراءه ثم يقول افتحوا الباب فيفتح باب المدينة ومع الدجال يومئذ سبعون الف يهودي كلهم ذو سلاح وسيف
محلى فاذا نظر الدجال الى عيسى ذاب كما يذوب الرصاص في النار والملح في الماء فيقول له عيسى ان لي فيك ضربة
لن تفوتني بها فيدركه عند باب لد الشرقي وهو هارب فيقتله فلا يبقى شيء مما خلق الله تعالى يتوارى به يهودي
الا انطق الله ذلك الشيء فلا حجر ولا شجر ولا دابة الا قال يا عبد الله المسلم هذا كافر فاقتله ويكون عيسى عليه السلام
حكما عدلا واماما مقسطا فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويرفع الشحناء والتباغض وينزع حمة كل ذات
حمة حتى يدخل الصبي يده في فم الحنش فلا تضره ويلقى الانسان الاسد فلا يضره ويكون الاسد في الابل كانه كلبها ويكون
الذئب في الغنم كانه كلبها وتملأ الارض اسلاما ويسلب الكفار ملكهم ولا يكون الملك الا للمسلمين ويبارك في الارزاق
حتى ان النفر يجتمعون على رمانة واحدة ويكون الفرس بدرهمين [illegible] قوله تعالى وما يستوي الاعمى
والبصير كما لا يستويان لا يستوي المؤمن والكافر في الآخرة بالعذاب والنعيم وباقي الآية ظاهر المعنى
و قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم اي اعبدوني وحدوني اثبكم وقيل اسألوني اعطكم وقيل في الدعاء افضل
سلوا واسمعوا عالم ان الذين يستكبرون عن طاعتي وعن المسألة مني سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين
ذليلين والداخر هو الذليل الصاغر قال الشاعر [illegible] يوم بدر ٭ [illegible]
ابن كثير وابو بكر يدخلون بضم الياء وفتح الخاء قوله تعالى الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا اي
مضيئا تبصرون فيه لطلب المعايش إن الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون نعم الله ذلكم
الله ربكم خالق كل شيء ومبدعه لا معبود سواه فلا ينبغي لاحد ان يدعي خالقا لا اله الا هو ٭

فأنى تؤفكون قد تقدم تفسيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون أي هكذا كان يصرف
إلى الكذب القوم الذين كانوا بآيات الله يجحدون قوله تعالى الله الذي جعل لكم الأرض قرارا أي مستقرا
للأحياء والأموات كما قال فيها تحيون وفيها تموتون والسماء بناء أي وجعل السماء سقفا مرفوعا فوق كل
وصوركم فأحسن صوركم أي خلقكم فأحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل بيده ويتناول
بيده وكل ما خلق الله يتناول بفيه وزعم أهل النجاح خلقكم أحسن الحيوان كله ورزقكم من الطيبات أي من لذيذ الطعام
وكرائم الأغذية وقوله تعالى ذلكم الله ربكم أي الذي فعل ذلك كله هو ربكم فاشكروه فتبارك الله أحسن الخالقين
أي تعالى الله دائم الوجود لم يزل ولا يزال رب كل شيء ذي روح من الجن والإنس وغيرهما هو الحي بلا أول
ولا آخر لم يزل كان حيا ولا يزال حيا منزها عن كل الآفات وليس أحد غيره من الأحياء بهذه الصفات مستحق
للإلهية غيره فوحدوه مخلصين له الدين أي الطاعة واشكروه على معرفة التوحيد قال ابن عباس إذا قال
أحدكم لا إله إلا الله فليقل في أثرها الحمد لله رب العالمين وقوله تعالى هو الذي يحيي ويميت أي أمرت
أن أستقيم على الإسلام قوله تعالى هو الذي خلقكم من تراب أي خلق أصلكم من تراب ثم خلقكم
من نطفة أي ثم ينقلكم إلى العلقة وهي الدم الغليظ ثم يخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالا أي بعد واحد
ولدا له وحد ثم له طفلا وقال المفسرين أعمال الإنسان الواحد يكون له أعمالا قوله تعالى ثم لتبلغوا أشدكم أي
ينقلكم إلى حال اجتماع القوة والكمال ثم لتكونوا شيوخا أي ثم نعمركم وتكونوا شيوخا بعد الأشد ومنكم من يتوفى
من قبل البلوغ ومن قبل الشيخوخة ولتبلغوا أجلا مسمى يريد أجل الحياة إلى القيامة للجزاء والحساب
ولعلكم تعقلون وحدانية الله وتمام قدرته وتصدقوا بالبعث بعد الموت قوله تعالى هو الذي يحيي ويميت أي يحيي
الأموات ويميت الأحياء فإذا قضى أمرا من الإحياء والإماتة فإنما يقول له كن فيكون وقوله تعالى ألم تر إلى الذين
يجادلون في آيات الله أي يخاصمون في القرآن بالرد والتكذيب أنى يصرفون أي كيف يصرفون إلى الكذب
بعد وضوح الدلالة الذين كذبوا بالقرآن وبما أرسلنا به رسلنا من الشرائع والأحكام والتوحيد فسوف
يعلمون عاقبة أمرهم حين تجعل الأغلال الحديد والسلاسل في أعناقهم يسحبون في الحميم الحار على وجوههم
يلقون في نار عظيمة قوله تعالى ثم في النار يسجرون قال مجاهد توقد بهم النار فصاروا وقودها ثم يقول
لهم الزبانية أين الآلهة التي كنتم تعبدونها وترجون منافعها وتدعونها من دون الله فيقولون ضلوا عنا بل
هذا التوبيخ كما يقولون أيديهم بالعذاب يقولون الكفار ضلت آلهتنا عنا أي ضاعت فلا نراها ثم يجحدون
عبادة الأصنام فيقولون بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا أي لم نكن نعبد من قبل هذا شيئا ويجوز أن يكون
هذا كالرجل يعمل عملا لا ينتفع به فيقال له ما تعمل شيئا أي لا شيء وقوله تعالى كذلك يضل الله الكافرين
أي هكذا يضلهم ذلكم العذاب الذي نزل بكم بما كنتم تفرحون في الأرض بالباطل وبما كنتم تمرحون
قال ابن عباس تمرحون أي تبطرون والخيلاء والفرح هو ما يحصل في القلب لإدراك الملاهي والطرق وهو ما يحصل في القلب
للتعظيم والكرامة وقرأ ابن عباس في السلاسل بفتح اللام ويسحبون بفتح الياء معناه ويسحبون السلاسل قوله
تعالى فاصبر إن وعد الله حق بنصرك والانتقام منهم فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك
فإلينا يرجعون معناه فإن انتقمنا منهم وأنت حي فذلك لك وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا يرجع
الكل منهم للجزاء وسنعجل إليهم ما وعدهم وقوله تعالى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك
ومنهم من لم نقصص عليك خبرهم في القرآن ومنهم من لم نقصص عليك خبرهم وما كان لرسول أن يأتي بآية
إلا بإذن الله في الآية إبلاغ عذر النبي صلى الله عليه وسلم فيما لم يأتهم من الآيات التي كانوا يقترحونها عليه وليس
علينا حصر عدد الرسل لكنا نؤمن بجملتهم وقوله تعالى فإذا جاء أمر الله أي جاء قضاؤه بين أنبيائه وأممهم

قضي بالحق أي لم يظلموا إذا عذبوا وخسر عند ذلك المبطلون المكذبون قوله تعالى الله الذي جعل
لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون أي الله الذي خلق لكم الإبل والبقر والغنم لتركبوا بعضها
وتأكلوا لحم بعضها ولكم فيها منافع من ألبانها وأصوافها وأوبارها وأشعارها ولتبلغوا عليها حاجة
في صدوركم أي لتبلغوا عليها في ركوبها حاجة في قلوبكم أي تبلغون بها الأمكنة قال مجاهد يحمل أثقالكم من بلد إلى
بلد وتبلغون عليها حاجاتكم في البلاد ما كانت وعليها وعلى الفلك تحملون أي وعلى ظهورها في البر وعلى
السفن في البحر تحملون في أسفاركم وحجكم وتجاراتكم قوله تعالى ويريكم آياته أي يريكم الله دلائل قدرته من الشمس
والقمر والنجوم والليل والنهار والجبال والبحار وتسخير الأنعام لمنافع العباد كلها من آيات الله فأي آيات
من آيات الله تجحدون أي أنها ليست من الله قوله تعالى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم من الأمم كيف أهلكهم الله عند تكذيبهم الرسل كانوا أكثر من أهل مكة في العدد وأشد قوة في البدن
وظهروا آثارا في الأبنية العظيمة والقصور المشيدة والعيون المستخرجة فلم ينفعهم من عذاب الله كثرة عددهم وشدة
قوتهم وجمعهم الأموال فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بالجهل الذي عندهم أنه علم وقالوا نحن أعلم منهم
لن نبعث ولن نعذب فسمي ترك ذلك فرحا بما عندهم من العلم أي رضوا بما عندهم من العلم وهو في الحقيقة جهل و
زعموه علما قوله تعالى فلما رأوا بأسنا أي فلما رأوا عذابنا آمنوا ولم ينفعهم الإيمان عند ذلك قوله تعالى سنة
الله التي قد خلت في عباده أي هذه قضايا في خلقي أن من كذب أنبيائي وجحد توحيدي أي سن الله هذه السنة
في الأمم كلها أن لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب وسنة الله هي حكم الله الذي مضى في عباده وفي بعث الرسل إليهم
ودعائهم إلى الحق وترك العاجلة بالعقوبة وأن الإيمان وقت البأس لا ينفع ونصب قوله سنة على التحذير أو على المصدر
وقوله تعالى وخسر هنالك الكافرون أي هلك عند ذلك المكذبون وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

سورة فصلت خمسون وأربع آيات

وهي ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون حرفا وسبعمائة وست وتسعون كلمة وأربع وخمسون آية قال صلى الله عليه وسلم من قرأ حم
السجدة أعطي من الأجر بعدد كل حرف منها عشر حسنات وبالله التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل من الرحمن الرحيم قال الأخفش تنزيل مبتدأ وخبره كتاب فصلت آياته أي بينت حلاله وحرامه
ومعنى التنزيل المنزل كما يذكر العلم بمعنى المعلوم ويذكر الخلق بمعنى المخلوق وقوله تعالى قرآنا عربيا منصوب على الحال
أي بينت آياته في حال جمعه على مجرى لغة العرب لقوم يعلمون اللسان العربي بشيرا بالجنة لمن أطاع ونذيرا
بالنار لمن عصى الله فأعرض أكثر أهل مكة عن الإيمان فهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به قوله تعالى وقالوا
قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه أي قال الكفار من أهل مكة للنبي صلى الله عليه وسلم قلوبنا في أغطية مما تدعونا إليه من القرآن
لا يصل إلى قلوبنا وفي آذاننا وقر أي ثقل وصمم يمنع من استماع ما تقول وذلك لشدة كنا من سماعك وإعراضنا
ومن بيننا وبينك حجاب أي بيننا وبينك حاجز وفرقة في الدين فلا نوافقك على ما تقول فاعمل على أمرك ودينك
إننا عاملون على أمرنا ومذهبنا قل يا محمد إنما أنا بشر مثلكم أي كواحد منكم ولولا الوحي ما دعوتكم وقوله
تعالى يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد لا شريك له فاستقيموا إليه أي لا تميلوا عن سبيله وتوجهوا إليه بالطاعة
واستغفروه من الشرك ووحدوه قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة أي ويل لهم

يقولون لا إله إلا الله ولا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد، وقال الحسن لا يقرون بالزكاة ولا يرون إيتاءها ولا يؤمنون
بها، قال الكلبي عابهم الله بها وقد كانوا يحجون ويعتمرون، وقال قتادة الزكاة قنطرة الإسلام فمن قطعها نجا
أي فمن عبرها نجا ومن لم يعبرها هلك، وفي هذه الآية دلالة أن الكفار يعاقبون في الآخرة على ترك الشرائع
كما يعاقبون على ترك الإيمان لأن الله أوعدهم على ذلك، وقال تعالى في جواب أهل النار حين قيل لهم ما سلككم
في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين. قوله تعالى **لهم أجر غير ممنون** أي غير منقطع من قولهم
مننت الحبل إذا قطعته، وثواب المؤمن لا ينقطع، وقيل لا يمن عليهم بذلك لأن المنة تكدر الصنيعة. قوله تعالى
قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين أي قل أئنكم يا أهل مكة لتكفرون بالذي خلق الأرض
في عظمها وقدرها تعالى في يوم الأحد ويوم الاثنين **وتجعلون له أندادا** يعني الأصنام أي أعدالا. قوله تعالى **ذلك
رب العالمين** أي ذلك الذي هذه قدرته رب كل ذي روح ومالكهم. قوله تعالى **وجعل فيها رواسي من فوقها**
أي وخلق فيها جبالا ثوابت أوتادا لها في يوم الثلثاء **وبارك فيها** أي بارك في الأرض بالماء والشجر والنبات والثمار
وقدر فيها أقواتها أي معايشها وقدر الله لكل حيوان ما يكفيه حسب الحاجة وجعل في كل أرض ما ليست
في غيرها ليتعايشوا ويتجروا وكان تقدير الأقوات في يوم الأربعاء، فتم خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام ولو أراد
في لحظة واحدة لفعل ولكنه خلقها في ستة أيام لأنه تعالى حليم ذو أناة وأحب أن يعلم الخلق الأناة في الأمور
وقال الحسن يعني قوله تعالى وقدر فيها أقواتها أي قسم في الأرض أرزاق العباد والبهائم، وقال الكلبي قدر الخبز
لأهل قطر والتمر لأهل قطر والذرة لأهل قطر والسمك لأهل قطر جعل الله في كل بلدة ما لم يجعله في الأخرى ليعيش
بعضهم من بعض بالتجارة من موضع إلى موضع. قوله تعالى **سواء للسائلين** رفعه أبو جعفر على الابتداء أي هي سواء
وخفضه الحسن ويعقوب على النعت لأربعة أيام ونصبه الباقون على معنى استوت سواء واستواء على المصدر قال
وأربعة أيام تماما ومعناه من سأل عنه فهكذا الأمر، وقال السدي سواء لا زيادة ولا نقصان جوابا لمن سأل في كم
خلقت الأرض والأقوات [illegible] في أربعة أيام سواء والسائلون هاهنا اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم
عن يوم خلق السموات والأرض ويجوز أن يكون قوله سواء للسائلين عائدا على تقدير الأقوات كأنه قدر لكل محتاج
إلى القوت. قوله تعالى **ثم استوى إلى السماء وهي دخان** أي عمد وقصد إلى خلق السماء وهي دخان، قال
السدي كان ذلك الدخان من نفس الماء حين تنفس وكان بخارا يذهب في الهواء فخلقت السماء منه [illegible]
في يوم الخميس والجمعة. قوله تعالى **فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا** أي ائتيا ما أمرتكما وافعلاه كما
[illegible] الحسن أي افعلا [illegible] قال الله تعالى أما أنت يا سماء فأطلعي شمسك وقمرك ونجومك وأما أنت يا أرض
فشققي أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك وقال لهما افعلا ما آمركما طوعا وإلا ألجأتكما إلى ذلك حتى تفعلاه كرها
فأجابتا بالطوع وهو قوله **قالتا أتينا طائعين** أي أتينا أمرك ولما ركب الله فيهما العقل [illegible] خوطبتا
خطاب من يعقل فجمعتا جمع من يعقل كما قال تعالى كل في فلك يسبحون ولو جمعهما جمع من لا يعقل لقال
ومعناه أتينا بما فينا طائعين [illegible] وتارة بلفظ الجمع لأن السموات والأرضين سبع
[illegible]
[illegible]
[illegible]
قوله تعالى **فقضاهن سبع سموات
في يومين** أي صنعهن وأحكمهن وأتم خلقهن سبع سموات [illegible] الشمس والقمر والنجوم
في يوم الخميس والجمعة فتم خلق السموات والأرض في ستة أيام [illegible]

الشيء إذا تم [illegible] قال الشاعر [illegible] داود وصنع
السوابغ تبع أراد عملهما وصنعهما. قوله تعالى **وأوحى في كل سماء أمرها** قال قتادة يعني خلق شمسها وقمرها
ونجومها وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه إلا الله، وقيل
معناه أمر في كل سماء بما أراد، وقيل أوحى إلى أهل كل سماء ما يصلحها. قوله تعالى **وزينا السماء الدنيا
بمصابيح** أي زينا السماء التي تلي الأرض بمصابيح وهي النجوم. قوله تعالى **وحفظا** أي حفظناها بالنجوم من
استراق الشياطين السمع حفظا، وقيل نصب حفظا على تقدير وزينا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا، فبعض النجوم
زينة للسماء [illegible] بعضها في ظلمات البر والبحر وبعضها رجوم للشياطين. قوله تعالى **ذلك تقدير
العزيز العليم** أي ذلك الذي سبق ذكره تقدير العزيز في ملكه القادر القاهر الذي لا يلحقه عجز [illegible]
[illegible] ذلك كله [illegible] قوله تعالى **فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم** [illegible]
[illegible] ما أنت يا محمد [illegible] الشعر والكهانة والسحر [illegible]
ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما [illegible]
الله صلى الله عليه وسلم وهو في الحطيم [illegible]
أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فلم يجبه [illegible]
للرياسة عقدنا لك [illegible]
قريش [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت [illegible]
فرغ عتبة من كلامه قرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت
آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون إلى قوله فإن أعرضوا فقل أنذرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فوثب عتبة فزعا مخافة أن ينصب عليه العذاب الذي خوفه به النبي صلى الله
عليه وسلم [illegible] أبو جهل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وإن أعرضوا عن الإيمان [illegible] **عذاب يوم**
ثمود صالح والصاعقة هي الهلاك على حالة هائلة. قوله تعالى **إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم**
أي إذ جاءتهم الرسل [illegible] وأن
ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة أي لو شاء ربنا أن نؤمن [illegible] ملائكة من عنده
فإنا بما أرسلتم به كافرون [illegible] الرسل
[illegible] قوله تعالى **فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق** أي [illegible] عن الإيمان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قال الله تعالى ردا عليهم **أولم يروا أن الله الذي
خلقهم هو أشد منهم قوة** [illegible] **وكانوا بآياتنا يجحدون** أي

الله ثم استقاموا اي اخلصوا وثبتوا للعقيدة لان الذين قالوا ربنا الله ثم لم يستقيموا اذ قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا
ربنا الله ثم لم يستقيموا اذ قالوا المسيح ابن الله قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا قال
ابن عباس هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى شهادة ان لا اله الا الله وقال الحسن هو المؤمن اجاب الله ودعا
الناس الى ما اجاب الله دعوته ودعا الناس الى ما اجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في اجابته وقال
انني من المسلمين وقالت عائشة رضي الله عنها ارى هذه الاية نزلت في المؤذنين الذين يدعون الى الصلوة يصلون
بين الاذان والاقامة قوله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة اي لا تستوي كلمة الايمان وكلمة الشرك
ونظائرهما الطاعة والمعصية وقيل الخصلة الحميدة والخصلة السيئة وقيل الحلم والجهل والعفو والاساءة
ودخول لا في قوله ولا السيئة زائدة للتاكيد وتفيد المساواة لان المعنى ولا تستوي الحسنة والسيئة ومثله قول
الشاعر • ما كان يرضى رسول الله فعلهم • والطيبان ابو بكر ولا عمر • قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن
اي ادفع السفاهة بالحلم والعجلة بالاناة والرفق في كل امر ربما تعترض بعضهم في نفس عدو وكذا فيدفع بالسلام
او تبسم في وجهه ان ذلك قلبه وسلم له صدره وذلك قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
اي اذا فعلت ذلك صار الذي بينك وبينه عداوة صديقا قريبا لك يحميك الحميم لانه يحمي لما يهم صاحبه قوله تعالى وما
يلقاها الا الذين صبروا اي ما يعطى هذه الخصلة التي هي دفع السيئة بالحسنة الا الذين صبروا على كظم الغيظ
واحتمال المكروه وصبروا على طاعة الله وصبروا عن معصية الله وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير
وقيل من الصبر وقيل الحظ العظيم الجنة اي ما يلقاها الا من وجبت له الجنة وقيل الحظ العظيم القدر العظيم
عند الله قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي واما يصيبنك من الشيطان وسوسة عند حضور
غضبك وشدة ما يدعوك الى معصية الله فيصرفك بوسوسته عن الاحتمال فاستعذ بالله اي اعتصم بالله من شر الشيطان
واستمر على حلمك انه هو السميع لمقالة اعدائك العليم بهم وبمجازاتهم ثم ذكر الله علامات توحيده وقدرته
قال تعالى ومن اياته الليل والنهار لما فيهما من المنافع والمقاصد والشمس والقمر اي ومن اياته ما فيهما
من المنافع لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون اي ان كنتم تريدون بعبادة الشمس
والقمر عبادة الله وذلك ان قوما من الكفار يسجدون للشمس والقمر ويزعمون انهم يقصدون بذلك الله فقيل لهم ان
كنتم تريدون بذلك عبادة الله فالسجود لله احق لانه اولى من السجود لهما فان قلت لم قال خلقهن والشمس مذكر والقمر
مؤنثة والمذكر والمؤنث اذا اجتمعا غلب المذكر قلت ان قوله خلقهن راجع الى الايات التي سبق ذكرها في قوله
ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر وقد يكون ضمير ما لا يعقل على لفظ التانيث كانه قال لهن كما يقال حكمهن
قوله تعالى فان استكبروا اي فان تكبروا عن عبادتي والسجود لي فالملائكة الذين عند ربك يعني الكرام البررة
يصلون له بالليل والنهار وينزهونه عن كل ما لا يليق به وهم لا يسأمون اي لا يملون عن عبادتي …
واختلفوا في موضع السجود من هذه السورة فقال الحسن عند قوله تعبدون وهو قول الشافعي وقال ابن عباس
ومسروق هو عند قوله لا يسأمون وهو قول علمائنا وهو الاصح لانه موضع تمام الكلام قوله تعالى ومن اياته
انك ترى الارض خاشعة اي ومن اياته الدالة على وحدانيته وقدرته انك ترى الارض ميتة يابسة لا نبات
فيها فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت انتفخت وعلت … ان الذي احياها
بانزال المطر لمحيي الموتى … انه على كل شيء قدير من الاحياء والاماتة قادر قوله تعالى ان الذين
يلحدون في اياتنا اي يميلون عن الحق في اياتنا الى الباطل … عن الايمان بالقرآن وقال
مجاهد يلحدون في اياتنا بالمكاء والصفير لا يخفون علينا فنجازيهم بافعالهم واقوالهم وعزائمهم واللحد والالحاد
معنى واحد هو الميل ومنه الملحد لعدوله عن الحق ومنه اللحد الذي في القبر لانه في جانب منه قوله تعالى افمن
يلقى في النار خير امن ياتي امنا يوم القيمة …

في النار ابو جهل ومن يأتي آمنا يوم القيمة حمزة اعملوا ما شئتم لفظه لفظ الامر ومعناه
التهديد ان الذين كفروا بالذكر اي بالقرآن لما جاءهم قوله تعالى وانه لكتاب عزيز … والجواب
تقديره ان الذين كفروا بالقرآن لما جاءهم سنجزيهم من العذاب ما هو مذكور في الكتاب العزيز والعزيز هو الكريم
على الله وقيل هو الممتنع لانه ممتنع عن ان يقصد معارضه او يقع فيه زيادة او نقصان قوله تعالى لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي لا تاتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء من بعده كتاب يبطله
وقال الزجاج معناه انه محفوظ من ان ينقص منه فياتيه الباطل من بين يديه او يزاد فيه فياتيه الباطل
من خلفه فمعنى الباطل على هذا الزيادة والنقصان وقيل معنى الباطل ابليس قوله تعالى تنزيل من
حكيم حميد اي منزل من عالم بوجوه الحكمة مستحق للحمد على خلقه بانعامه عليهم قوله تعالى ما يقال
لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عما كان يلحقه من اذية قومه اي
قد قيل للانبياء قبلك ساحر وكذبوا كما كذبت ويجوز ان يكون معناه ما اقول لك الا ما امرت في تبليغ الوحي والرسالة
الا ما قد قيل للرسل قبلك قوله تعالى ان ربك لذو مغفرة للتائب وذو عقاب اليم اي لذو مغفرة
لمن تاب وامن وذو عقاب اليم لمن مات على الكفر قوله تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت
اياته اي لو جعلناه قرانا بلغة غير لغة العربية لقال العرب لولا بينت اياته بلغة العرب حتى نفهمها عنك
من غير مترجم قوله تعالى ااعجمي وعربي استفهام على وجه الاستبعاد كانهم قالوا ايات اعجمي ورسول
عربي كيف يكون هذا فينكرونه اشد الانكار يقال رجل اعجمي اذا كان لا يفصح سواء كان من العرب او العجم ورجل عجمي
اذا كان منسوبا الى العجم وان كان فصيحا ورجل اعرابي اذا كان من اهل البادية سواء كان من العرب او لم يكن ورجل
عربي اذا كان منسوبا الى العرب وان كان غير فصيح ومعنى الاية انهم كانوا يقولون لو نزل عليه عربيا لقالوا المنزل
اعجمي ولو كان ذلك اشد لتكذيبهم قل لهم يا محمد هو للذين امنوا هدى وشفاء يعني القران هدى للذين امنوا
من الضلالة وشفاء … والقلوب للبيان الذي فيه قوله تعالى والذين لا يؤمنون
في اذانهم وقر اي انهم في ترك القبول بمنزلة الصم والعمي … قوله تعالى وهو عليهم
عمى اي عموا عن القران وصموا … عليهم … وانتصب قوله عمى على المصدر
قوله تعالى اولئك ينادون من مكان بعيد اي انهم لا يسمعون ولا يفهمون كما ان من دعي من مكان بعيد
لم يسمع ولم يفهم والمعنى انه بعيد عندهم من قلوبهم ما يتلى عليهم قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التورية
فاختلف فيه فمن مصدق به ومكذب كما اختلف قومك في القران وهذا تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم اي كما اتيناك الكتاب ولك
به قوم مكذب وصدق به بعضهم كذلك اتينا موسى الكتاب فكذب به بعض قومه وصدق به بعضهم قوله تعالى ولولا
كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم معناه لولا كلمة سبقت من ربك بتاخير العذاب عن هذه الامة الى يوم
القيمة كما قال تعالى بل الساعة موعدهم لعذبهم بعذاب الاستئصال • وقيل كلمة …
والمعنى لولا كلمة سبقت من ربك في تاخير العذاب عن مكذبي القران الى اجل مسمى يعني يوم القيمة لقضي بينهم بالعذاب
الواقع بمن كذب وانهم لفي شك من صدقك وكتابك مريب اي موقع الريبة وقيل انهم لفي شك من القران
… قوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ظاهر المعنى قوله
تعالى اليه يرد علم الساعة اي لا يعلم وقت قيامها الا الله تعالى ولا يطلع عليها بشر … قوله
تعالى وما تخرج من ثمرات من اكمامها قرئ ثمرة على التوحيد وثمرات بالجمع … قوله تعالى
من اكمامها الاكمام جمع كم وهي ليف النخل وقال ابن عباس الاكمام الكفرى قبل ان تنشق فاذا انشقت فليس باكمام وما تحمل
من انثى ولا تضع الا بعلمه يعني ان الله تعالى … الثمار في الاكمام والاولاد في الارحام مشاهد الاكمام والارحام
هو الله تعالى لا يعلمه احد غيره ولا … الساعة غيره … قوله تعالى ويوم يناديهم

يكفرون قوله تعالى فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا أي عاصفا شديدة الصوت مأخوذ من الصرة وهو الصيحة
وقال ابن عباس يعني باردة مأخوذ من الصر وهو البرد ثم قال هي الباردة تحرق كما تحرق النار وهي ريح
باردة شديدة الهبوب ذات صوت تحرق كالنار قوله تعالى في أيام نحسات أي نكدات مشؤومات
عليهم ذات نحوس وقال ابن عباس كانوا يتشاءمون بتلك الأيام قرأ ابن عامر وأهل الكوفة نحسات بكسر الحاء وقرأ
الباقون بسكونها كما قال تعالى لهم يوم نحس مستمر قوله تعالى لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا أي
عذاب الهوان والذل وهو العذاب الذي يخزون به والخزي والفضيحة والنكال كله بمعنى واحد ولعذاب الآخرة أخزى
في المذلة وأبقى وأشد وهم لا ينصرون أي لا يدفع عنهم ولا يخفف عليهم قوله تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى
على الهدى أي وأما ثمود فبينا لهم سبل الهدى ودعوناهم ودللناهم على الخير بإرسال الرسل فاختاروا الكفر
على الإيمان بعد أن أريناهم الأدلة وأخرجنا لهم ناقة عشراء من صخرة ملساء فأخذتهم صاعقة العذاب الهون
أي ذي الهوان بكفرهم وعقرهم الناقة ونجينا الذين آمنوا بصالح وكانوا يتقون الشرك والكبائر قوله
تعالى ويوم يحشر أعداء الله إلى النار قرأ نافع ويعقوب نحشر بنون مفتوحة وضم الشين ونصب أعداء وقرأ الباقون
يحشر بالياء المضمومة ورفع أعداء ومعنى الآية وأنذرهم يوم يجمع أعداء الله ويساقون إلى النار بالعنف قوله تعالى
فهم يوزعون أي يحبس أولهم على آخرهم ليلحقوا ثم يقذفون في النار وقوله تعالى حتى إذا ما جاؤها أي حتى
إذا جاؤا النار التي حشروا إليها حبسوا عندها وهم يعاينوها ويقال لهم أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون فيجحدون
ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين فعند ذلك يختم على أفواههم وتستنطق جوارحهم فتشهد عليهم سمعهم
وأبصارهم بما عصوا بها مما ارتكبوا من الكفر والمعاصي قوله تعالى وجلودهم وقال ابن عباس يريد فروجهم كنى عنها
بالجلود وقيل الجلود الجوارح فيقول الكفار لجلودهم بعدما يرد النطق بالشهادة لم شهدتم علينا وعلمهم بالهلاك
قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وتم الكلام ثم قال الله تعالى وهو خلقكم أول مرة أي ليس إنطاقه
الجلود بأبدع من خلقه إياكم ابتداء وإعادة بعد الموت وليس هذا من كلام الجلود قوله تعالى وما كنتم تستترون
أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم معناه ما كنتم تستترون بالمعاصي خيفة من أن تشهد
عليكم هذه الجوارح في الآخرة لأنكم ما كنتم تظنون ذلك ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون
أي ولكن عملتم المعاصي على ظن أن الله لا يعلم ما تعملونه في السر قال ابن عباس كان الكفار يقولون إن الله يعلم
ما في أنفسنا ولكنه لا يعلم ما نظهره قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم أي ظنكم أن الله لا يعلم
ما تعملون أرداكم أي أهلككم فصرتم من الخاسرين بالوقوع في العقوبة وقيل معنى أرداكم أي طرحكم في النار قوله
تعالى فإن يصبروا فالنار مثوى لهم أي فإن يصبروا على الاستغاثة ولم ينطقوا بشكوى فالنار مسكن لهم مستقر
لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين وإن يطلبوا العتبى وهي الرضا فما هم ممن يطلب رضاهم ويسأل عنهم
يقال أعتبني فلان أي أرضاني بعد إسخاطه إياي واستعتبته طلبت منه أن يعتب أي يرضى وقيضنا لهم قرناء أي سببنا
لهم أخلاء وقرناء من الشياطين حتى أضلوهم وهو قوله تعالى فزينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الدنيا أي لا جنة
ولا بعث ولا حساب وما خلفهم من أمر الدنيا أن لا ينفقوا فيحوجوا لفقر وأن يتلذذوا في الدنيا ويجمعوا الأموال
وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم أي وجب عليهم العذاب في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين
قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وذلك أن كفار قريش قالوا لأتباعهم لا تسمعوا لهذا
القرآن الذي يقرأه عليكم محمد وإذا سمعتم قراءته فارفعوا أصواتكم بالأشعار والرجز والعطف فيه بالمكاء والصفير وقالوا
بالكلام اللغو حتى تغلبوه فيسكت قال الله تعالى فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا أي في الدنيا بالقتل والأسر
ولنجزينهم في الآخرة بعذاب أشد من عذابهم في الدنيا ذلك العذاب جزاء أعداء الله النار وقوله تعالى النار بدل
من العذاب أي ذلك الذي ذكرنا من العذاب جزاء أعداء الله وقوله تعالى لهم فيها دار الخلد أي لهم في النار دار إقامة دائما لا زوال

يجحدون يعني القرآن يجحدون أنه من عند الله قوله تعالى وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من
الجن والإنس معناه يقول الذين كفروا وهم في النار ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن وهو إبليس وقابيل
ولد آدم الذي قتل أخاه لأنهما سنا المعصية في بني آدم نجعلهما تحت أقدامنا أي أسفل منا في النار ليكونا في الدرك الأسفل وقيل
ليكونا أشد عذابا منا قوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا أي إن الذين وحدوا الله ثم استقاموا
على الإيمان ولم يشركوا وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة وقال أبو بكر الصديق
رضي الله عنه يعني ثم استقاموا على أن الله ربهم وقال مجاهد هم الذين لم يشركوا به شيئا حتى الموت وقال بعضهم ثم
استقاموا على أداء الفرائض ولزوم السنة وروي أن عمر رضي الله عنه قال استقاموا بطاعته ولم يروغوا روغان
الثعالب وقوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة يعني عند نزع أرواحهم فيقولون لهم لا تخافوا ولا تحزنوا أي
لا تخافوا مما أنتم قادمون عليه ولا تحزنوا على الدنيا وأهلها ويقولون لهم عند خروجهم من القبور حين يرون أهوال
القيامة نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة تولينا لكم وحفظنا أعمالكم ونتولاكم في الآخرة ونحفظكم
ثابت أنه قال بلغنا أن المؤمن إذا خرج من قبره يوم القيامة نظر إلى حافظيه قائمين على رأسه يقولان له لا تخف اليوم ولا
تحزن وأبشر بالجنة التي كنت توعد وقال عثمان رضي الله عنه معنى قوله ثم استقاموا ثم أخلصوا العمل لله عز وجل وقال
مجاهد وعكرمة معناه ثم استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله وقال مقاتل استقاموا على المعرفة
ثم لم يرتدوا تتنزل عليهم الملائكة في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وفي وقت البعث أن لا تخافوا على صنيعكم ولا تحزنوا
على مخلفيكم وقال مجاهد لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم في الدنيا من ولد وأهل
فإنه يخلفكم في ذلك كله وقال السدي لا تخافوا من ذنوبكم فإني أغفرها لكم وقال بعضهم معنى هذه الآية أن الذين قالوا
رضا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة بالرضا أن لا تخافوا من الفناء ولا تحزنوا على الفناء
بالبقاء مع الذي كنتم توعدون من اللقاء وقيل معناه أن لا تخافوا فلا خوف على أهل الاستقامة ولا تحزنوا فإن
لكم أنواع الكرامة وأبشروا بالجنة التي هي دار السلامة لا تخافوا فعلى دين الله استقمتم ولا تحزنوا فبحبل الله اعتصمتم
وأبشروا بالجنة وإن أذنبتم لا تخافوا أنا دمتم ولا تحزنوا فقد نلتم ما طلبتم وأبشروا بالجنة التي فيها رغبتم لا تخافوا
فأنتم أهل الإيمان ولا تحزنوا فأنتم أهل الغفران وأبشروا بالجنة التي هي دار الرضوان لا تخافوا فأنتم أهل الشهادة
ولا تحزنوا فأنتم أهل السعادة وأبشروا بالجنة التي هي دار الزيادة لا تخافوا فأنتم أهل النوال ولا تحزنوا فأنتم أهل
الوصال وأبشروا بالجنة التي هي دار الجلال لا تخافوا فقد أمنتم السوء ولا تحزنوا فإن لكم الحور وأبشروا بالجنة التي هي
دار السرور لا تخافوا فسعيكم مشكور ولا تحزنوا فذنبكم مغفور وأبشروا بالجنة التي هي دار النور لا تخافوا فطالما كنتم
خائفين ولا تحزنوا فقد كنتم عابدين وأبشروا بالجنة التي عجز عنها وصف الواصفين لا تخافوا فأنتم من أهل الإيمان ولا تحزنوا
فلستم من أهل الحرمان وأبشروا بالجنة التي هي دار الأمان لا تخافوا فلستم من أهل الجحيم ولا تحزنوا فقد وصلتم إلى الرب
الرحيم وأبشروا بالجنة التي هي دار النعيم لا تخافوا فقد زال عنكم المخافة ولا تحزنوا فقد سلمتم من كل آفة وأبشروا بالجنة
التي هي دار الضيافة لا تخافوا العزل من الولاية ولا تحزنوا على ما قدمتم من الجناية وأبشروا بالجنة التي هي دار الهداية لا
تخافوا حلول العذاب ولا تحزنوا فأنتم من أهل الحساب وأبشروا بالجنة دار الثواب لا تخافوا فأنتم آمنون من العقاب ولا تحزنوا
فأنتم واصلون إلى الثواب وأبشروا بالجنة فإنها نعم المآب قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم أي تقول
لهم الملائكة نحن أولياؤكم أي نحن الحفظة التي كنا معكم في الدنيا ونحن أحباؤكم وأولياؤكم في الآخرة لا نفارقكم حتى تدخلوا
الجنة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم من الكرامات واللذات يعني في الآخرة ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون
نزلا من غفور رحيم أي أنزلهم الله رزقا ويجوز أن يكون قوله نزلا حالا ويكون المعنى ولكم ما تدعون من غفور
رحيم نازلين ويجوز أن يراد به الرزق الذي يقام للنازل والضيف والمعنى يثبت لهم ما يدعون رزقا من غفور بأي مبلغ
الحليم رحيم بمن كان على الإيمان والتوبة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما نزلت هذه الآية إن الذين قالوا ربنا

أين شركائي فيه وعيد للمشركين أي يقول للمشركين يوم القيامة أين شركائي في ظنكم وزعمكم قالوا آذناك ما منا
من شهيد أي أعلمناك وعرفناك أنا كنا جهلة في الدنيا ما منا من شهيد لهم بأنهم آلهة وقيل ما منا من شهيد يشهد
أن لك شريكا يتبرؤون [illegible] قوله تعالى وضل عنهم أي ضاع عنهم ما كانوا يعبدون
في الدنيا و قوله تعالى وظنوا ما لهم من محيص أي أيقنوا أنه لا خلاص لهم من النار قوله تعالى لا يسأم الإنسان
من دعاء الخير أي لا يمل الإنسان من طلب الخير وإن مسه الشر والمكروه كالأمراض والأسقام والشدائد فيؤوس
قنوط أي يصير آيسا من عود النعمة عليه وزوال المكروه عنه فيظهر على ذلك علامة القنوط و قوله تعالى ولئن
أذقناه رحمة منا أي نعمة منا من بعد ضراء مسته أي بعد مكروه مسه ليقولن هذا لي أي استحقه [illegible]
ونعمة استحققته [illegible] من أخلاق الكفار و قوله تعالى وما أظن الساعة قائمة هذا يدل على أن هذا الإنسان
كافر قوله تعالى ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى أي لئن كان على ما يقول من البعث فإن كان الأمر [illegible]
إلى ربي إن لي عنده الجنة ويعطيني في الآخرة أفضل مما يعطيني في الدنيا قال الله تعالى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا
ولنذيقنهم من عذاب غليظ وعيد لهم قوله تعالى وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه أي إذا
أنعمنا على الكافر أعرض عن الطاعة والشكر وتباعد عنا بجانبه وإذا أصابته مكروه الدهر فهو ذو دعاء عريض
يدعو الله ليكشف ذلك عنه والمعنى [illegible] فذو دعاء عريض أي ذو دعاء كثير لا يمل من الدعاء والعرب تقول دعاء
طويل [illegible] العريض [illegible] قوله تعالى قل
أرأيتم إن كان من عند الله أي قل يا محمد لأهل مكة أرأيتم إن كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به من أضل
ممن هو في شقاق بعيد عنه [illegible] قوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم
أي سنريهم دلائل التوحيد من سير النجوم وجريان الشمس والقمر [illegible]
والأودية والأشجار و قوله تعالى وفي أنفسهم من مخارج الأنفاس ومجاري الدم وموضع العقل والفكر والفهم
والآلات [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
أنفسهم فتح مكة [illegible] من قبل الله تعالى [illegible]
[illegible] قوله تعالى حتى يتبين لهم أنه الحق أي ما تقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم هو الحق قوله تعالى أولم
يكف بربك أنه على كل شيء شهيد معناه أولم يكف بربك شاهدا أن القرآن من الله وأن النبي صلى الله عليه وسلم
صادق والشهيد هو العالم و قوله تعالى ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم معناه ألا إنهم في شك من البعث والثواب
والعقاب ألا إنه بكل شيء محيط أحاط بكل شيء علمه لأنه يعلم الغيب والشهادة وبالله التوفيق

سورة الشورى خمسون وثلث آيات

وهي مكية [illegible] كلمة [illegible] قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق ح حلمه وم مجده وع علمه وس سناؤه وق قدرته أقسم الله بها كذلك يوحي إليك
وإلى الذين من قبلك أخبار الغيب [illegible]
[illegible]
[illegible] قوله تعالى له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي
العظيم ظاهر المعنى و قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن من فوقهن أي تكاد كل سماء [illegible]
المشركين اتخذ الله ولدا [illegible] والملائكة يسبحون بحمد ربهم أي [illegible]
[illegible] ويستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين ألا إن الله هو الغفور الرحيم

[illegible] قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء يعني كفار مكة اتخذوا آلهة يعبدونها من دون
الله و قوله تعالى الله حفيظ عليهم أي حفيظ على أعمالهم ليجازيهم بها قوله تعالى وما أنت عليهم بوكيل
[illegible] وكذلك أوحينا إليك أي كما أنزلنا على من قبلك بلسان قومهم [illegible]
[illegible] قرآنا عربيا [illegible] أم القرى وهي مكة [illegible]
قرى الأرض كلها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه وهو يوم القيامة يجمع الله فيه الأولين والآخرين وأهل السموات وأهل
[illegible] قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير
أي طائفة من أهل الجمع وهم المؤمنون يساقون إلى الجنة [illegible] وطائفة يساقون إلى النار
[illegible] وهم الكفار فيها يعذبون قوله تعالى ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة أي لجمعهم على دين الإسلام
[illegible]
تعالى ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة أي لجمعهم على دين الإسلام [illegible] قوله تعالى ولكن يدخل من يشاء في رحمته
أي [illegible] الإسلام والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير أي والكافرون ما لهم من ولي يدفع عنهم العذاب
ولا نصير يمنعهم من النار قوله تعالى أم اتخذوا من دونه أولياء معناه بل اتخذ الكفار من دون الله أربابا
فالله هو الولي [illegible] وهو يحيي الموتى [illegible] وهو على كل
[illegible] قوله تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله معناه وما اختلفتم فيه من شيء
[illegible] إلى كتاب الله [illegible]
[illegible] قوله تعالى ذلكم الله ربي أي الذي [illegible] عليه توكلت [illegible] وإليه
أنيب [illegible] فاطر السموات والأرض [illegible] جعل لكم من أنفسكم أزواجا
[illegible] ومن الأنعام أزواجا [illegible]
[illegible] قوله تعالى يذرؤكم فيه أي يخلقكم في الرحم [illegible] قوله تعالى ليس كمثله
شيء أي ليس مثله شيء [illegible] وهو السميع [illegible] البصير [illegible]
[illegible]
[illegible] قوله تعالى له مقاليد السموات والأرض أي [illegible] قال ابن عباس يريد مفاتيح الرزق [illegible]
[illegible]
[illegible] قوله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يوسعه على من يشاء ويضيقه على من يشاء [illegible]
[illegible] إنه بكل شيء عليم [illegible] قوله
تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا [illegible] والذي أوحينا إليك
[illegible] وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى [illegible] أن أقيموا الدين ولا
تتفرقوا فيه أي لا تختلفوا في التوحيد [illegible]
[illegible]
[illegible] قوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم إليه من توحيد الله [illegible]
[illegible] قوله تعالى الله يجتبي
إليه من يشاء [illegible]
[illegible] قوله تعالى وما تفرقوا إلا
من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم أي ما اختلف اليهود والنصارى [illegible]
[illegible]

تذهب عنهم رياستهم وما كلهم وان يصيروا اتباعين بعد ان كانوا متبوعين فبدلوا اسم الاسلام و قوله تعالى
بغيا بينهم أي بغيا منهم على محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى
لقضي بينهم أي لولا حكم الله بانظارهم وتأخير العذاب عن هذه الامة الى اجل مسمى يعني يوم القيمة لقضي بينهم اي
من آمن ومن كفر بنزول العذاب بالمكذبين في الدنيا قوله تعالى وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم يعني اليهود
والنصارى اورثوا التوراة من بعد انبيائهم واسلافهم واحبارهم لفي شك من دين الاسلام ظاهر الشك قوله تعالى
فلذلك فادع واستقم كما امرت أي فالى ذلك الدين الذي سبق ذكره يعني الذي وصى به الانبياء التوحيد فادع وقيل
معناه فلاجل ذلك وقع بينهم من الشك فادع واستقم على دين الاسلام كما امرته ولا تتبع اهواءهم في ترك التشدد
عليهم في دعائهم وقيل معناه لا تتبع اهواء اهل الكتاب في ذلك انهم دعوك الى دينهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب
أي آمنت بكتب الله كلها وانما قال ذلك لان الذين تفرقوا آمنوا ببعض الكتب دون بعض و قوله تعالى وامرت لاعدل
بينكم أي امرت ان لا احيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام و قوله تعالى الله ربنا وربكم أي الهنا واحد
وان اختلفت اعمالنا وكل يجازى بما عمل و قوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم أي لنا جزاء اعمالنا ولكم جزاء اعمالكم
لا يؤاخذ احد بعمل غيره و قوله تعالى لا حجة بيننا وبينكم أي قد ظهر الحق وسقط الجدال ومع ذلك الحجة بما علمتم
لظهورها و قوله تعالى الله يجمع بيننا يعني بيننا وبينكم في الآخرة فيجازي كلا بعمله واليه المصير قوله تعالى والذين
يحاجون في الله من بعد ما استجيب له أي والذين يخاصمون في دين الله من بعد ظهور دلائله وهم اليهود والنصارى
قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم وانما قصدوا بما قالوا دفع ما اتى به محمد صلى الله
عليه وسلم و قوله تعالى من بعد ما استجيب له أي من بعد ما دخل الناس في الاسلام واجابوا النبي صلى الله عليه وسلم حجتهم
داحضة عند ربهم باطلة حين زعموا ان دينهم افضل من الاسلام وقوله تعالى عند ربهم أي في حكم ربهم وانما قال
ذلك لانها لم تكن باطلة في زعمهم وعليهم غضب من الله ولهم عذاب شديد في الآخرة قوله تعالى الله الذي
انزل الكتاب بالحق والميزان معناه الله الذي انزل القرآن بالحق أي بما فيه من الامر والنهي والفرائض والاحكام
وكله حق من الله و قوله تعالى والميزان اختلفوا في انزال الميزان قال الحسن ومجاهد والضحاك اراد به العدل يعني
امر به ولما كنى عن العدل بالميزان لان الميزان طريق معرفة العدل والمساواة وقال بعضهم انزل الميزان الذي يوزن
به في زمن نوح عليه السلام وقال ابن عباس امر الله بالوفاء ونهى عن البخس قوله تعالى وما يدريك لعل الساعة
قريب هذا خوف للمشركين من قرب الساعة ليرتدعوا وقد كان قوم من المشركين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة
تكذيبا بها فانزل الله هذه الآية وانما قال قريب ولم يقل قريبة لان تأنيث الساعة غير حقيقي كما في قوله
تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين لان معنى الساعة البعث قوله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها
أي يستعجلون بها قصدا الى الاتيان بها استبعادا لاتيانها لانهم لا يؤمنون بها وهذه طريقة الجهال في كل شيء يجحدونه
من حقائق الامور قوله تعالى والذين آمنوا مشفقون منها أي خائفون منها لانهم لا يدرون على ما يقدمون عليه
لانهم موقنون انهم مبعوثون محاسبون ويعلمون انها الحق أي انه لا ريب فيها قوله تعالى الا ان الذين
يمارون في الساعة أي ان الذين يدخلهم المرية والشك في القيمة لفي ضلال بعيد حين لم يتفكروا ليعلموا ان
الذي خلقهم اولا قادر على بعثهم قوله تعالى الله لطيف بعباده أي بار بهم يعني اهل طاعته وقيل لطيف بالعبيد
بالبر والفاجر لا يهلكهم جوعا بمعاصيهم هذا قوله تعالى يرزق من يشاء وكل من رزقه الله من مؤمن وكافر وذي روح
فهو ممن يشاء ان يرزقه وهو القوي على ما اراد من رزق من يرزقه العزيز يعني الغالب الذي لا يعجزه شيء
ارادوا اللطف هو الموصل للنفع الى غيره برحمته بدقة اسبابه كلها قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد
له في حرثه أي من كان يريد بعمله نفع الآخرة نزد له في حرثه أي نعينه على العبادة ونسهل عليه وقيل نزد

له في ثوابه الجنة بعشر امثالها وقيل نزد له في قوته ونشاطه وخشيته في العمل كما قال الله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا قوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا أي ومن كان يريد بعمله نفع الدنيا من رزق
او مصالح نؤته منها ما نشاء على ما تقتضيه الحكمة وما له في الآخرة من نصيب لانه عمل لغير الله قيل انزل
هذا في المنافقين وكانوا يغزون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعطيهم سهمهم من الغنيمة قوله تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم
من الدين ما لم يأذن به الله يعني كفار مكة الخبيث الهتهم شرعوا لهم من الدين والشريعة ما لم يعلمه الله به وقال ابن عباس
شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام ولولا كلمة الفصل أي لولا حكم الله بالفصل بينهم يوم القيمة لعاجلهم بالعقوبة
وان الظالمين لهم عذاب اليم أي وجيع في الآخرة ترى الظالمين الذين كانوا يكذبون خائفين يوم القيمة
مشفقين من الكفر والتكذيب وهو واقع بهم أي وجزاؤه واقع بهم قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا
الصالحات في روضات الجنات الروضة هي البستان الجامع لانواع الرياحين والجنة هي البستان الجامع
لانواع الشجر لهم ما يشاؤن من النعم عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير أي المن العظيم من الله قوله تعالى
ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي ذلك الذي سبق ذكره من النعيم والجنات
يبشر الله به عباده المؤمنين المخلصين قوله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى أي
لا اسألكم على تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة اجرا وهذا دأب كل نبي مع قومه وقوله تعالى الا المودة في القربى
أي لا اسألكم عليه اجرا الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وقال ابن عباس لم يكن بطن من بطون قريش
الا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة والمعنى قل لا اسألكم اجرا على ما ادعوكم اليه من الحق الا ان
تحفظوني في قرابتي بيني وبينكم وقال مجاهد معناه لا اسألكم عليه اجرا الا ان تعرفوا قرابتي
وبينكم ثم تحملوا الى وتدعوني والناس وقال الحسن معناه الا ان تتوددوا الى الله فيما يقربكم اليه
من العمل الصالح وعن ابن عباس لما نزلت قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله
من هؤلاء الذين امرنا الله بمودتهم قال علي وفاطمة وولدهما وعن علي رضي الله عنه قال فينا في آل حم آية لا
يحفظ مودتنا الا كل مؤمن ثم قرأ قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقال الكلبي معناه لا اسألكم على الايمان
جعلا الا ان تودوا اقاربي حث الله الناس على مودة ذوي قرابته وعلى هذا الاقوال كلها قوله تعالى الا المودة
استثناء ليس من الاول وليس المعنى اسألكم المودة في القربى لان الانبياء لا يسألون اجرا على تبليغ الرسالة والمعنى
ولكني اذكركم المودة في قرابتي قوله تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا أي ومن يكتسب حسنة نجازيه
عليها اضعافا بالواحد عشرا فصاعدا ان الله غفور لذنوب التائبين شكور للقليل قوله تعالى ام يقولون
افترى على الله كذبا يعني كفار مكة قالوا اختلق محمد كذبا حين زعم ان القرآن من عند الله وما عليك من ذلك
يا محمد فان يشأ الله يختم على قلبك أي يربط على قلبك بالصبر على اذاهم حتى لا يشق عليك قولهم ويذهب
الله ما يقولون من الباطل ويحق الله الحق يعني الاسلام بكلماته أي بما انزل من كتابه وقد فعل الله ذلك
فازهق باطلهم واعلا كلمة الاسلام انه عليم بذات الصدور أي بما في قلوب خلقه قوله تعالى وهو
الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون من خير وشر ومن قرأ بالياء فهو
خطاب للمشركين وتهديد لهم ويستجيب الذين آمنوا أي يجيبهم الى ما سألوا وقال ابن عباس يثيبهم ويزيدهم
من فضله سوى ثواب اعمالهم تفضلا عليهم وقال ابو صالح يشفعهم في اخوانهم قوله تعالى ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض أي لو وسع الله على عباده لطغوا وبطروا وقال ابن عباس معناه لو وسع الله لعباده
فرزقهم من غير كسب لعصوا وبطروا النعمة وطلبوا ما ليس لهم ان يطلبوه لان الذي يوسع عليه يرتفع من منزلة
الى منزلة ومن مركب الى مركب ومن ملبس الى ملبس فيتطاول بذلك على الناس ويستعين برزق الله على المعصية

وقوله تعالى ولكن ينزل بقدر ما يشاء معناه ولكن يوسع على قوم ويضيق على آخرين على ما تقتضيه الحكمة
إنه بعباده خبير بصير أي أعلم بهم من أنفسهم منهم من يصلح له الغنى ولو أغناه لكان شرا له ومنهم من يصلح
له الفقر ولو أفقره لكان شرا له قوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا أي ينزل المطر من بعد ما
يئسوا منه وينشر رحمته بإخراج النبات والثمار وقيل معنى ينشر رحمته أي يبسط مطره وهو الولي الحميد
وقيل هو الولي بإنزال المطر غياثا بعد عام الحميد المستحق للحمد على خلقه بإنعامه عليهم قوله تعالى ومن آياته
خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة معناه ومن دلائل توحيده خلق السموات والأرض بما فيهما من الشمس
والقمر والنجوم والجبال والبحار والأشجار وما بث فيهما من دابة أي وما فرق فيهما من الملائكة والناس وغيرهم
وقيل معناه وما بث في الأرض من دابة وهذا كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من أحدهما وهو على
جمعهم إذا يشاء قدير قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم يعني ما أصابكم من المكروه
في النفس والمال والولد أو نكبة حجر أو عثرة قدم فبما كسبت أيديكم من المعاصي ويعفو عن كثير فلا يعاقب بها لطفا
بهم وقال صلى الله عليه وسلم ما من خدشة عود أو عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله أكثر وقيل
معنى الآية وما أصابكم من حد في سرقة أو زنا فبما كسبت أيديكم وقال الضحاك ما حفظ رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب
وقرأ هذه الآية وقال وأي أعظم المصائب نسيان القرآن وفي مصاحف المدينة والشام بما كسبت أيديكم قال الزجاج
وإثبات الفاء أجود لأن الفاء جواب الشرط ومن حذفها فعلى أن ما في معنى الذي تقديره والذي وقع بما كسبت
أيديكم وما أنتم بمعجزين في الأرض يا معشر المشركين لا تعجزون حيث كنتم ولا تسبقوننا هربا في الأرض
ولا في السماء لو كنتم فيها قوله تعالى ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام أي ومن آياته الدالة على توحيده
الجواري في البحر وهي السفن جمع الجارية تجري في البحر كالأعلام أي كالجبال الطوال إن يشأ يسكن الريح معناه
إن يشأ يسكن الريح التي تجري بها السفن فيبقين واقفات على ظهر الماء ويبقى أهلها حيارى لا يجدون حيلة في
الخلاص لأن ماء البحر راكد لا تجري السفينة فيه إلا بريح تحركه وقد لا يعني قوله فيظللن يعني السفن رواكد أي
ثوابت على ظهر البحر لا تجري ولا تبرح إن في ذلك لآيات أي لدلالات على توحيد الله لكل صبار على طاعة الله
شكور لنعمه وقيل لكل صبار في الشدة شكور في الرخاء قوله تعالى أو يوبقهن بما كسبوا أي يهلكهن بالريح العاصف
ويغرقهن يعني أهلهن بما كسبوا أي بما أشركوا أو اقترفوا من الذنب ويعف عن كثير من ذنوبهم فينجيهم من
الغرق والهلاك والمعنى أو يوبقهن إذا أن يشأ يعف عن كثير فتجري السفن على ما يشاؤون قوله تعالى ويعلم الذين
يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص يعني الكفار الذين يكذبون بالقرآن إذا صاروا إلى الله بعد البعث
علموا أن لا مهرب لهم من عذاب الله فمن قرأ ويعلم بالرفع فعلى الابتداء ومن غيره يكون معطوفا على ويعفو لأن علم الله
تعالى لا يتطوع به ولا يجوز تعليقه بمشيئة ومن قرأ بالنصب فهو نصب على إضمار أن معناه ولأن يعلم الذين يجادلون في
آياتنا بالتكذيب أنه لا مخلص لهم في الآخرة من عذاب الله كما لا مخلص لأهل السفينة من البحر إلا بالله قوله تعالى فما أوتيتم
من شيء فمتاع الحياة الدنيا أي ما أعطيتم من شيء مما في أيديكم فهو متاع تتمتعون به في الحياة وما عند الله من الثواب
أدوم وأفضل مما في أيديكم ثم بين الله تعالى لمن الثواب فقال تعالى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قوله تعالى
والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون قد تقدم الكلام في الكبائر والفواحش
في سورة النساء وقيل الفواحش ما يقام فيها الحد في الدنيا وقيل الفواحش الزنا وأنواعه وكبائر الإثم الشرك
كذا قال ابن عباس وقرأ حمزة كبير الإثم على الواحد وهو يريد الجمع قوله تعالى وإذا ما غضبوا هم يغفرون أي يكظمون
الغيظ ويتجاوزون عمن ظلمهم يطلبون بذلك ثواب الله وعفوه وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين
أقبل رجل من المشركين شتمه ووقع فيه فلم يرد عليه أبو بكر رضي الله عنه قوله تعالى والذين استجابوا لربهم أي

أجابوا

أجابوه إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة وأمرهم شورى بينهم أي يتعاملون بالمشورة في الأمر الذي
يتشاورون فيه تقول صار هذا الأمر شورى بين القوم إذا تشاوروا فيه والمعنى أنهم يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون
ولا ينفردون برأي وقال الحسن والله ما تشاور قوم إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم والمعنى أنهم إذا حدث بهم أمر لا نص فيه من
كتاب الله ولا سنة ولا إجماع شاور بعضهم بعضا لإظهار الحق قوله تعالى والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون
معناه والذين إذا أصابهم البغي والظلم والعدوان هم ينتصرون ممن ظلمهم قال عطاء يعني المؤمنين الذين أخرجهم
الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله في الأرض حتى انتصروا ممن ظلمهم قال ابن زيد جعل الله المؤمنين صنفين
صنف يعفون عمن ظلمهم فبدأ بذكرهم فقال وإذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم ومن أطاع الله فهو
محمود فإن قيل إذا كانت هذه الآية تقتضي الانتصار بأخذ الواجب من القصاص ونحوه أفضل لأن الله عطف هذه الآية على
الآية التي ذكر فيها الاستجابة لله وإقام الصلاة وتحلوا في معنى ذلك قال بعضهم أراد به الانتصار ممن فارقهم في دينهم فأما
من المسلمين فالانتصار مباح كما قال تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل والعفو أفضل كما قال تعالى وأن
تعفوا أقرب للتقوى وقال فمن عفا وأصلح فأجره على الله قال بعضهم إذا كان يؤدي إلى الإخلال بشيء من حقوق
الله مثل العفو عن الفاسق الذي لا يرتدع أو العفو عن الباغي الذي يكون مصرا على قصده فالانتصار أولى من العفو
وإذا كان العفو لا يؤدي إلى إسقاط شيء من حقوق الله تعالى فالعفو أفضل كما قال تعالى في آية القصاص فمن تصدق
به فهو كفارة له وفي بعض التفاسير إنما جعل الانتصار ههنا وهذه الآيات أفضل لأنهم كانوا يكرهون أن يذلوا
أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فيه بيان أنه لا يجوز الزيادة على السيئة
الأولى وإنما سميت الثانية سيئة لأنها في مقابلة الأولى فالأولى سيئة لفظا ومعنى والثانية سيئة لفظا لا معنى
وسميت بهذا الاسم لأن مجازاة السوء لا تكون إلا مثله وقال مقاتل يعني هذه الآية في القصاص في الجراحات والدماء
قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله أي من عفا عن ظالمه وأصلح بالعفو بينه وبين ظالمه فأجره على الله
قوله تعالى إنه لا يحب الظالمين يعني من بدأ بالظلم وفيه بيان أن الله تعالى إنما ندب المظلوم إلى العفو لا لميله
إلى الظالم أو لحبه إياه ولكن ليعرض المظلوم للثواب بالعفو قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه أي بعد ظلم الظالم
إياه فالمصدر ههنا مضاف إلى المفعول كقوله من دعاء الخير وسؤال نعجتك فأولئك ما عليهم من سبيل أي ما على
المنتصرين من سبيل بعقوبة ومؤاخذة قوله تعالى إنما السبيل على الذين يظلمون الناس يعني الذين يبدؤون
الناس بالظلم ويبغون في الأرض بغير الحق أي يعملون بالمعاصي قوله تعالى ولمن صبر وغفر يعني من صبر
ولم ينتصر وغفر فإن ذلك الصبر والتجاوز لمن عزم الأمور قال مقاتل من الأمور التي أمر الله بها والمراد بهذا إذا كان الجاني
تائبا ومعنى العزم على الشيء هو أن يعقد قلبه على أنه يفعله وكلما كانت رغبة الصابر في الثواب أكثر كان
عزمه على أداء ذلك أشد لرغبته بالخلاف في الثواب قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده أي من يخذله الله
بعناده وجحوده ويضله عن الهدى فما له من ولي من أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه وقيل معناه من يهلكه الله
ويضيعه فما له من ولي يلي من أمره ويدفع عنه العذاب قوله تعالى وترى الظالمين أي وترى المشركين يا محمد
لما رأوا العذاب في القيامة يسألون الرجعة إلى الدنيا يقولون هل إلى مرد من سبيل قوله تعالى وتراهم
يعرضون عليها أي على النار قبل أن يدخلوها خاشعين من الذل أي أذلاء من الهوان وقيل ساكتين متواضعين
ينظرون من طرف خفي أي ينظرون إلى النار مسارقة كما ينظر الخائف إلى من يخافه في غاية الخوف وقيل خفي خاشعا
مطرقين من الخجل والوجل والطرف الخفي هو العين وعن ابن عباس من ذل وقيل ينظرون بقلوبهم لأنهم عمي إذا بعثوا
وقيل ينظرون بقلوبهم لأن الله تعالى قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما قوله تعالى وقال
الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة أي عرف المؤمنون حين الكفر من

وذلك اليوم فقالوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم بان صاروا الى النار واهليهم في الجنة بان صاروا لغيرهم
وقوله تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم اي دائم لا ينقطع قوله تعالى استجيبوا لربكم اي اجيبوا داعي
الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله اي لا يقدر احد على دفعه ورده وهو يوم القيمة ما لكم
من ملجا يومئذ تلجؤن اليه وما لكم من نكير [illegible] العذاب فيدفعه عنكم وقيل معناه لا تقدرون ان تنكروا ما توقفون
عليه من ذنوبكم وما نزل بكم قوله تعالى فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا اي فان اعرضوا عن الايمان
يا محمد فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ اعمالهم واقوالهم ان عليك الا البلاغ عن الله وانا اذا اذقنا الانسان
منا رحمة اي غنى وصحة فرح بها يعني البطر وان تصبهم سيئة اي قحط بما قدمت ايديهم من الكفر فان
الانسان كفور لما تقدم من نعم الله عليه بنسيان النعمة قوله تعالى لله ملك السموات والارض اي له التصرف فيهما يهب لمن يشاء
اناثا مثل ما وهب للوط عليه السلام ويهب لمن يشاء الذكور مثل ما وهب لابرهيم عليه السلام لم يكن له ولد انثى او
يزوجهم ذكرانا واناثا اي يعطي من يشاء البنين والبنات كما وهب لنبينا صلى الله عليه وسلم فانه كان له اربعة بنين واربع بنات
ويجعل من يشاء عقيما لا يولد له مثل يحيى وعيسى عليهما السلام انه عليم قدير اي عليم بعواقب امورها واواخرها
واوايلها وتواليها وظواهرها وبواطنها قدير على كل شيء [illegible] قوله تعالى وما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء اي ما كان لادمي ان يكلمه الله من جهة
بغير حجاب الا ان يوحي اليه اي يقذف في قلبه ويلهمه اياه في المنام او اليقظة كما اخبر الله تعالى في قصة ابرهيم عليه السلام
بقوله اني ارى في المنام اني اذبحك وقوله تعالى او من وراء حجاب كما كلم موسى عليه السلام كان يسمع كلامه من خلف
حجاب ولا يراه او يرسل رسولا من الملائكة جبريل وغيره فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء قال الزجاج
المعنى ان كلام الله للبشر اما ان يكون بالهام يلهمهم او يكلمهم من وراء حجاب كما كلم موسى او برسالة ملك اليهم فقرا
او يرسل بنصب اللام فمعناه او ان يرسل رسولا من الملائكة كما ارسل جبريل [illegible] ما كان لبشر ان يكلمه الله الا ان
يوحي اليه وحيا او يكلمه من وراء حجاب او يرسل رسولا [illegible]
كان على ما قبله وقوله تعالى انه علي حكيم اي هو اعلى من ان تدركه الخلق [illegible] بلا حجاب وهو
الحكيم فيما يامر وينهى قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا اي كما اوحينا الى الرسل من قبلك اوحينا اليك
جبريل [illegible] القران الذي فيه حيوة القلوب [illegible] سمي القران روحا لانه سبب حيوة الدين كما ان الروح
سبب حيوة الجسد [illegible]
وقوله تعالى من امرنا اي بامرنا وقيل الروح هاهنا جبريل قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
اي ما كنت تدري قبل الوحي ما الكتاب ولا الايمان لانه كان لا يعرف القران قبل الوحي ولا كان يعرف شرايع الايمان ومعالمه
وهي كلها ايمان وهذا اختيار محمد بن خزيمة واحتج بقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني الصلوة سماها ايمانا وقيل
معناه ما كنت تدري ما الايمان قبل البلوغ يعني حين كان طفلا في المهد وقال الحسين بن الفضل هذا من باب حذف المضاف
معناه ولا اهل الايمان اي من الذي يؤمن ومن الذي لا يؤمن وفي الجملة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على الكفر قط وانه
كان على فطرة الاسلام حين ولد وكذلك جميع الانبياء صلوات الله عليهم قبل الوحي كانوا مؤمنين وكان محمد صلى الله
عليه وسلم يعبد الله قبل الوحي على دين ابرهيم عليه السلام قوله تعالى ولكن جعلناه نورا يعني الوحي نورا ودليلا
على التوحيد والايمان نهدي به من نشاء من عبادنا قوله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم اي لتدعوا
الخلق كلهم بوحينا الى اي طريق قائم يرضاه الله وهو الاسلام وقوله تعالى صراط الله الذي له ما في السموات
وما في الارض [illegible] قوله تعالى الا الى الله تصير الامور اي اليه ترجع عواقب الامور في الاخرة والله اعلم [illegible]

سورة الزخرف سبع وثمانون آية مكية

وهي ثمانية آلاف واربعمائة حرف وثمانمائة وثلث وثلثون كلمة وسبع وثمانون آية قال صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزخرف

كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم حم

والكتاب المبين اقسم الله بالقران المبين الذي ابان طريق الهدى من طريق الضلالة وابان ما يحتاج اليه من الشرايع
وجواب القسم انا جعلناه قرانا عربيا اي انا انزلناه على لغة العرب ليكون ابلغ في الحجة [illegible]
اي لتعقله العرب من غير مترجم قوله تعالى وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم اي انه مذكور مثبت في
اللوح المحفوظ عندنا كما قال في اية اخرى بل هو قران مجيد في لوح محفوظ وسمي اللوح ام الكتاب لانه اصل كل كتاب ويسمى
الوالدة اما لانها اصل الولد وقوله لدينا يريد الذي عندنا يخبر عن فضيلته ومنزلته وشرفه ان كذبتم به يا اهل مكة فانه عندنا
شريف رفيع محكم من الباطل [illegible] وحكيم لا يحتمل الزيادة والنقصان والتغيير والتبديل قوله تعالى افنضرب
عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين قال الكلبي يقول الله لاهل مكة انترك عنكم الوحي صفحا فلا نامركم ولا
ننهاكم ولا نرسل اليكم رسولا وهذا استفهام معناه الانكار اي لا نفعل ذلك [illegible] عن انزال القران
ونهملكم فلا نعرفكم ما يجب عليكم من اجل انكم اسرفتم في كفركم وهو قوله تعالى ان كنتم قوما مسرفين والمعنى لان كنتم
قوما مسرفين وقرئ بالكسر ان على انه جزاء استغنى عن جوابه بما تقدمه كما تقول انت ظالم ان فعلت كذا ومثله [illegible]
شنان قوم ان صدوكم بالفتح والكسر وقد تقدم ومعنى الاية افنضرب عنكم بذكرنا اياكم الواجب [illegible]
اي نعرض عنكم لان اسرفتم والصفح في اللغة هو الاعراض يقال صفح عنه بوجهه اي اعرض وهو من صفات الله يعني العفو
[illegible] اي اعرض عنه [illegible] الضرب في الكلام كلها بمعنى الاعراض والعدول قوله تعالى وكم ارسلنا من نبي في الاولين
فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وبيان ان دأب كل امة مع رسولهم التكذيب [illegible] من سنة الله اهلاك المكذبين
[illegible] قومك كي لا يسلكوا طريقة من قبلهم فينزل بهم من العذاب ما نزل بمن قبلهم وقوله تعالى فاهلكنا
اشد منهم بطشا اي اقوى من قومك يعني اهل مكة من الذين اهلكوا بتكذيبهم ومضى مثل الاولين [illegible]
تسلية [illegible] الكفار الماضية بحال هؤلاء في التكذيب ولما هلكوا بتكذيبهم [illegible] الاهلاك قوله تعالى
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم معناه ولئن سالت قومك من خلق السموات
والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم وهذا اخبار عن غاية جهلهم اذا اقروا بان الله خلق السموات والارض ثم عبدوا
معه غيره وانكروا قدرته على البعث [illegible]
بالله الا وهم مشركون وتم الكلام والاخبار عنهم ثم ابتدا عز وجل قوله تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا
هذا ابتداء كلام من الله تعالى على معنى ثم خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهادا [illegible] عليها وجعل لكم
فيها سبلا اي طرقا لعلكم تهتدون في الطرق من بلد الى بلد [illegible] قوله تعالى والذي
نزل من السماء ماء بقدر يعني المطر بقدر معلوم تعلمه خزان المطر ليس كما انزل على قوم نوح بغير قدر حتى اهلكهم بل
هو بقدر [illegible] قوله تعالى فانشرنا به بلدة ميتا اي فاحيينا بذلك المطر بلدا ميتا [illegible]
[illegible] كذلك تخرجون من القبور يوم النشور للحساب والجزاء قوله تعالى والذي خلق الازواج كلها
وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون معناه والذي خلق الاصناف كلها والالوان كلها [illegible] الذكور والاناث
كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون يعني السفن تركبون عليها في البحر والانعام تركبون عليها في البر قوله
تعالى لتستووا على ظهوره الكناية تعود الى لفظ ما اي لتستووا على ظهور ما تركبون ثم تذكروا نعمة ربكم اذا
استويتم عليه يعني النعمة بتسخير ذلك المركب في البر والبحر [illegible] قال الكلبي هو ان تقول الحمد لله الذي رزقني

هذا وحملني عليه ويقول سبحان الذي سخر لنا هذا اي ذلله وسهل ركوبه علينا ولولا تسخيره لنا وما
كنا له مقرنين اي مطيقين ضابطين يريد ما طاقة لنا بالابل ولا بالفلك ولا بالبقر ولولا ان الله تعالى سخرها لنا ذكره
قتادة وقد علمكم الله كيف تقولون اذا ركبتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال اذا ركب الرجل الدابة فلم يذكر
الله تعالى ردفه الشيطان فقال له تغن فان لم يحسن قال له تمن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا استوى
على بعيره خارجا في سفر كبر ثلاثا وقرا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا
نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى والعمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا واطو عنا بعده اللهم انت الصاحب في السفر
والخليفة في الاهل اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال واذا رجع قال
آيبون تائبون لربنا حامدون رواه مسلم في الصحيح وقوله تعالى وانا الى ربنا لمنقلبون فيه بيان انه كما يذكر نعم الله
عليه في الدنيا فعليه ان يذكر مصيره الى الآخرة وينبغي للعاقل اذا ركب دابة او سفينة ان يتذكر آخر مركبه وهي الجنازة
واذا لبس ان يتذكر آخر ملبسه وهو الكفن واذا اغتسل ان يتذكر آخر غسله بالغسل واذا نام ان يتذكر الحال التي
يصير اليها في قبره والتجرد قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا اي جعل الكفار لله تعالى من عباده جزءا لانهم قالوا الملائكة
بنات الله فوصفوا عباد الله بانهم جزء من الله وقد تقدم ان الذين قالوا هذا القول حي من خزاعة ومعنى الجعل هاهنا
الحكم بالشيء والوصف والتسمية كما تقول جعل فلان زيدا اعلم الناس اي وصفه بذلك وحكم به وتقول ان الجزء في كلام العرب عبارة
عن الانثى كما قال الشاعر ان اجزأت حرة يوما فلا عجب • قد تجزئ الحرة المذكار احيانا • اراد بانها ولدت انثى
قوله تعالى ان الانسان لكفور مبين اراد بالانسان الكافر وقوله تعالى لكفور مبين اي لجحود لنعم الله مبين ظاهر الكفران
ثم انكر عليهم هذا فقال تعالى ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين هذا استفهام توبيخ وانكار يقول
اتخذ لنفسه البنات واصفاكم بالبنين اي واخلصكم بهم والمعنى كيف اختار لنفسه اهون قسمي الولد واختار لكم اعلا
القسمين والحكيم لا يتوجه ان يختار الحكيم الادون لنفسه والاعلا لغيره ثم وصف كراهتهم للبنات فقال تعالى
واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم اي واذا اخبر احدهم بما وصف للرحمن
من اضافة البنات اليه صار وجهه مسودا متغيرا من الحزن وهو كظيم يعني يتردد حزنه في جوفه
وقد تقدم تفسيره في سورة النحل قوله تعالى أومن ينشؤا في الحلية زيادة في الانكار عليهم والمذمة لهم كانه قال
او يختار لنفسه مع استغنائه عن الخلق كلهم من ينشا في الحلية اي من يربى في حلية الذهب والفضة وهو في الكلام
غير ثابت الحجة والمراد بتقدير الآية او يجعلون له من ينشا في الحلية يعني البنت تنبت في الزينة قوله تعالى
وهو في الخصام غير مبين اي وهو عند المخاصمة غير مبين للحجة قال قتادة قلما تتكلم امراة بحجتها الا تكلمت بالحجة
عليها لضعف رأيها ونقصان عقلها ويستدل من هذه الآية على ثبوت الرخص للنساء في التزين بحلية الذهب والفضة
كان صلى الله عليه وسلم قد اخذ الذهب باحدى يديه والحرير بالاخرى فقال هذان محرمان على ذكور امتي حلال لاناثهم
قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا يعني وصفوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
انهم بنات الله وقرئ عند الرحمن وكل صواب وقد جاء القرآن بالامرين جميعا وذلك قوله بل عباد مكرمون وقوله تعالى
ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته وفي قوله تعالى عند الرحمن دلالة على رفع المنزلة والقرب من الكرامة قوله
تعالى أشهدوا خلقهم معناه احضروا عند خلقهم فعلموا ذلك والشهادة هاهنا الحضور وبخهم الله على ما قالوا
ما لم يشاهدوه وقرأ نافع أأشهدوا خلقهم بهمزة الاستفهام وتخفيف الهمزة الثانية على معنى احضروا خلقهم حتى علموا
انهم اناث وهذا كقوله ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون قال ابن عباس يريد احضروا وعاينوا خلقهم قال
الكلبي لما قالوا هذه المقالة سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم انهم اناث قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم
يكذبوا انهم اناث فقال تعالى ستكتب شهادتهم ويسألون عنها في الآخرة قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم يعني بني مليح من خزاعة كانوا يعبدون الملائكة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي ما عبدنا الملائكة وانما

عبدناهم

عبدناهم بمشيئة الله وانما كانوا يقولون هذا القول ابلاء لعذرهم عند سفلتهم قوله تعالى ما لهم بذلك من علم يعني
ما لهم بقولهم ان الملائكة بنات الله من علم وانهم كاذبون في ذلك وهو قوله تعالى ان هم الا يخرصون اي ما هم الا يكذبون
فيما قالوا ولم يتعرض لقولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم بشيء لان هذا القول حق وان كان من الكفار وهذا كقوله لو شاء
الله ما عبدنا من دونه من شيء وقد لو حملت قوله ما لهم بذلك من علم على رد القول لو شاء الرحمن ما عبدناهم كان المعنى انهم لو
ان الله قدرنا على عبادتهم فانما قالوا انه رضي ذلك منا وهذا كذب منهم لان الله تعالى وان قدر الكفر للكافر لم يرضاه
ويقدر الكفر على الكافر ولا يكون رضا من الله له قوله تعالى ام آتيناهم كتابا من قبله اي هل اعطيناهم كتابا من
قبل القرآن بان تعبدوا غير الله فهم به مستمسكون اي آخذون بما فيه ثم اعلم الله تعالى انهم اتبعوا آباءهم في الضلالة فقال
تعالى بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة اي على سنة وملة ودين وقرئ على امة بكسر الالف يعني على طريقة ليس لهم حجة في هذا
القول وانا على آثارهم مهتدون اي ليس لهم حجة الا تقليدنا آباءهم قوله تعالى وكذلك ما ارسلنا من قبلك في
قرية من نذير الا قال مترفوها اي ملوكها واغنياؤها ورؤساؤها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون
بهم فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم وقرئ قال اولو جئتكم قالوا انا بما
ارسلتم به ايها الرسل كافرون ثم ذكر ما فعل بالامم المكذبة تخويفا لهم قوله تعالى فانتقمنا منهم يعني بما صنع بقوم نوح
وعاد وثمود قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون معناه واذكر يا محمد اذ قال ابراهيم لابيه
وقومه حين خرج من السرب وهو ابن سبع عشرة سنة رأى اباه وقومه يعبدون الاصنام فقال لهم انني براء مما تعبدون من
دون الله الا الذي فطرني فانه سيحفظني ويرشدني لدينه وطاعته قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه
اي وجعل براءته عن عبادة غير الله وهي كلمة التوحيد لا اله الا الله باقية في عقبه لكي يرجعوا الى التوحيد ويدعوا الخلق
الى الله ولا يزال في ولده من يوحد الله ومعنى الآية وجعلها كلمة باقية اي وجعل كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله كلمة باقية
في ذرية ابراهيم ونسله فلا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده لعلهم يرجعون اي لعل اهل مكة يتبعون هذا الدين
ويرجعون الى دينك دين ابراهيم اذ كانوا من ولده وقال السدي لعلهم يتوبون ويرجعون مما هم عليه الى عبادة الله ثم
ذكر نعمته على قريش فقال تعالى بل متعت هؤلاء وآباءهم يعني المشركين متعتهم بانفسهم واموالهم وانواع النعم ولم
اعاجلهم بعقوبة كفرهم بل امهلتهم زيادة في الحجة وقطعا للمعذرة حتى جاءهم الحق يعني القرآن ورسول مبين يعني
النبي صلى الله عليه وسلم بين لهم الاحكام والدين وكان من حق الانعام ان يطيعوا الرسول لا جائية فلم يفعلوا وعصوا وهو قوله تعالى
ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون اي ولما جاءهم الرسول والقرآن نسبوا القرآن الى السحر وجحدوا به
قوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اي قال كفار مكة هلا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم يعني بالقريتين مكة والطائف وعنوا بالرجلين الوليد بن المغيرة من مكة وابا مسعود الثقفي
من اهل الطائف ظنوا بجهلهم ان استحقاق النبوة انما يكون بشرف المنافع اعرافهم بان النبي صلى الله عليه وسلم من ارفعهم نسبا
فقال الله تعالى ردا عليهم وانكارا لما قالوا اهم يقسمون رحمة ربك يعني النبوة التي هي من اعظم النعم وذلك انهم اعترضوا
على الله بقولهم لولا نزل هذا القرآن على غير محمد فبين الله تعالى انه هو الذي يقسم النبوة لا غيره وزعم انهم يقولون الله تعالى
بايديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا ثم بين الله تعالى انه لم يجعل امر معايشهم مع قلة خطرها الى ايديهم بل
رفع بعضهم فوق بعض في الرزق على ما توجبه الحكمة فقال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا
اي قسمنا الرزق في المعيشة فليس لاحد ان يتحكم في شيء من ذلك فكيف يجعل امر النبوة مع عظم قدرها وارتفاع شانها الى رايهم
وقال قتادة في معنى نحن قسمنا بينهم معيشتهم تلقى الرجل ضعيف الحيلة عيي اللسان وهو مبسوط له في الرزق وتلقاه شديد
الحيلة بسيط اللسان وهو مقتر عليه قوله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات يعني الفضل والغنى والمال ليتخذ
بعضهم بعضا سخريا اي ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الاغنياء باموالهم الفقراء ليلتئم امر قوام العالم وقال قتادة معناه ليملك
بعضهم بالمال بعضا فيتخذونهم عبيدا ومماليك والسخري ما كثر من المهن قوله تعالى ورحمة ربك

خيرٌ مما يجمعون أي ما يحصل الله به من النبوة خير لكل مما يجمعون من المال وقيل معناه ورحمة ربك يعني الجنة للمؤمنين خير مما يجمع الكفار من الاموال قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون معناه ولولا ان يميل الناس الى الدنيا فيصير الخلق كلهم كفارا لأعطى الله الكافر في الدنيا غاية ما يتمنى منها لحقارتها وقلتها عند الله ولكنه لم يفعل ذلك لعلمه بان الغالب على الخلق حب العاجلة وقوله تعالى سقفا من قرأ بالوحدان فهو على معنى جعلنا لكل بيت سقفا من فضة ومن قرأ سقفا بضمتين فهو جمع سقف مثل رهن ورهن ومن قرأ سقفا بضم السين وجزم القاف فعلى تخفيف سقف مثل رهن قوله تعالى ومعارج عليها يظهرون أي يعني الدرج عليها يرتقون ويعلون واحدها معرج ويقال معراج ومعارج مثل مفاتح ومفاتيح في جمع مفتاح والمعنى وكذلك جعلنا لهم معارج من فضة عليها يصعدون قوله تعالى ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون أي ولبيوتهم ابوابا من فضة وسررا من فضة على سرر الفضة يجلسون ويتكئون وقوله تعالى وزخرفا الزخرف هو الذهب كأنه قال ولجعلنا سقفهم من الذهب هكذا في التفاسير ان المراد بالزخرف الذهب الا ان في اللغة الزخرف كمال الزينة كما قال تعالى حتى اذا أخذت الارض زخرفها ويجوز ان يكون قوله وزخرفا عطفا على قوله من فضة كأنه قال من فضة ومن زخرف الا انه لما قال من جعل نصبا وهذا انما يكون على قول الكوفيين قوله تعالى وإن كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا من قرأ لما بالتشديد فالمعنى وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا ومن قرأ بالتخفيف فما صلة زائدة للمعنى وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا يتمتع به الجنس ثم يفنى وثواب الآخرة عند ربك للمتقين الكفر والفواحش والذين قرأ لما بالتشديد جعله بمعنى الا كحل عن سيبويه سرتك الله لما فعلت بمعنى الا فعلت وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى لولا ان يجزع عبدي المؤمن لعصبت الكافر بعصابة من حديد ولصببت الدنيا عليه صبا قال ومصداق ذلك قوله عز وجل ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين أي ومن يعرض عن ذكر الرحمن نسبب له شيطانا نضله عقوبة له فهو له قرين لا يفارقه في الدنيا والآخرة قال أبو عبيدة ومن يعش أي تظلم عينه عنه يقال عشا الرجل الى النار اذا تنورها فقصدها وعشى عنها اذا اعرض عنها قاصدا لغيرها ونظيره مال اليه ومال عنه قال الشاعر

متى تأته تعشو الى ضوء ناره ٭ تجد خير نار عندها خير موقد ٭

ومن قرأ ومن يعش بفتح الشين فمعناه ومن يعمى عنه يقال عشى يعشى اذا لم يبصر الليل والمعنى ومن يعم عن ذكر الرحمن قال الزجاج معنى الآية ومن يعرض عن القرآن وما فيه من الحكمة الى اباطيل المضلين نعاقبه بشيطان نقيضه له حتى يضله ويلازمه قرينا فلا يهتدي مجازاة له حين آثر الباطل على الحق البين قوله تعالى فهو له قرين أي صاحب له بمنزلة العمى ويحمله على الهدى وهو على الضلالة وذلك قوله تعالى وإنهم ليصدونهم عن السبيل معناه وان الشياطين ليمنعونهم عن السبيل الهدى ويحسب الكفار أنهم مهتدون قوله تعالى حتى إذا جاءنا يعني الكافر اذا جاء يوم القيمة والقرين وهو الشيطان الذي يجعل معه في سلسلة واحدة قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين والمراد بالمشرقين المشرق والمغرب فغلب الاسم الواحد كما يقال للشمس والقمر القمران وفي تثنية ابي بكر وعمر العمرين قال الشاعر

اخذنا بآفاق السماء عليكما ٭ لنا قمراها والنجوم الطوالع ٭

وفي ذلك حتى اذا جاءنا يعني الكافر وشيطانه يقرنان يوم القيمة في سلسلة واحدة وروي ان الكافر اذا بعث يوم القيمة من قبره اخذ بيده شيطانه فلم يفارقه حتى يصيرهما الله الى النار فذلك حين يقول يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين أي انت ايها الشيطان ويقول الله في ذلك اليوم للكفرين ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أي اذا اشركتم في الدنيا أنكم في العذاب مشتركون قال المفسرون يخفف عنهم الاشتراك شيئا من العذاب لان لكل واحد منهم الحظ الاوفر من العذاب وكان التأسي يعصمهم بعضهم ببعض قوله تعالى أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي أي أفأنت تسمع الكفار الذين يتصاممون عن الحق ويتعامون عنه ومن كان في ضلال مبين وهذه ضلالته قوله تعالى فإما نذهبن بك أي نميتك قبل ان نريك النعمة في الكفار فانا منهم منتقمون بالقتل بعدك أو نرينك في حياتك ما وعدناهم من الذل والقتل فإنا عليهم مقتدرون يبين الله تعالى انه قادر على

عقوبتهم في حال حيوة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته والاصل في اما ان ما الحرف الشرط ان وما صلة ومن دخل ما في الشرط للتوكيد ودخلت النون الثقيلة المؤكدة في الفعل المذكور بعدها ومعنى الآية ان الله تعالى قال مطيبا لقلب نبيه صلى الله عليه وسلم ان ذهبنا بك فميتناك قبل ان ننتقم لك منهم بعدك او نريك في حياتك ما وعدناهم من العذاب فانا قادرون عليهم من شيئا عذبناهم ثم ادركتهم تدركهم قوله تعالى فاستمسك بالذي أوحي إليك أي استمسك بالقرآن إنك على صراط مستقيم يعني الاسلام وإنه لذكر لك ولقومك أي القرآن شرف لك ولقومك وسوف تسألون عن شكر هذه النعمة يعني ما اعطاه الله من الحكمة وقومه المؤمنين من الهدى بالقرآن الى ادراك الحق وفي ذلك هذا الشرف هاهنا العرب والقرآن لهم شرف اذ نزل بلغتهم قوله تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وذلك انه لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم بعث الله آدم وجميع المرسلين فاذن جبرئيل ثم اقام وقالوا يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلوة قال له جبرئيل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا هل ارسلنا عليهم جواز عبادة غير الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اسأل قد اكتفيت وقيل معناه سل امم من ارسلنا قبلك يعني مؤمني اهل الكتاب سلهم هل جاءهم الرسل الا بالتوحيد فلم يشك ولم يسأل ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركي قريش انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله قوله تعالى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه الى قوله تعالى اذا هم منها يضحكون أي يهزؤن ويضحكون منها جهلا وغفلة قوله تعالى وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها يعني ما تترادف عليهم من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وكانت كل آية من هذه الآيات اكبر من التي قبلها وهي العذاب المذكور في قوله تعالى وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون الآية عند توالي هذه الآيات قوله تعالى وقالوا يا أيه الساحر أي العالم يا أيها العالم وكان الساحر فيهم عظيما يعظمونه ولم يكن صفة ذم وكان كلامهم في ذلك الوقت السحر وكانوا يوقرونه بهذا القول فلم يريدوا شتمه قوله تعالى ادع لنا ربك بما عهد عندك أي سل ربك بما عهد عندك فيمن آمن بك ليكشف العذاب عنا والمعنى بما عهد عندك فيمن آمن به من كشف العذاب عنه إننا لمهتدون مؤمنون بك ندعوا ربك ليكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله تعالى فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون العهد الذي عاهدوه موسى معناه اذا هم ينقضون عهدهم قوله تعالى ونادى فرعون في قومه الى قوله وهذه الأنهار يعني انهار النيل تجري من تحتي أي من تحت قصوري وبساتيني قال الحسن بامري فعلى هذا معنى من تحتي امري أفلا تبصرون عظمتي وشدة ملكي وفضلي على موسى قوله تعالى أم أنا خير من هذا الذي هو مهين أي بل أنا خير من هذا الذي هو ضعيف حقير يعني موسى وانما وصفه بذلك لان موسى كان يقوم بامر نفسه ولم يكن له احد يقوم بامره ومن ذلك المهنة وقوله تعالى ولا يكاد يبين أي لا يكاد يبين الكلام يعني انه كان بلسانه لثغة من اثر العقدة التي كانت في كلامه قبل نبوته قوله تعالى فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب معناه قال فرعون هلا القي على موسى اسورة من ذهب ان كان رسولا كما تسور الملوك من يليهم تعظيما لهم وكانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب ومن قرأ أساورة فهو جمع الاسورة وقوله تعالى أو جاء معه الملائكة مقترنين أي متتابعين يعينونه على امره الذي يبعث له ويشهدون له بصدقه والمعنى ان فرعون قال هلا جاءت معه الملائكة متتابعين يمشون معه ويدلون على صدق نبوته فاستخف قومه فأطاعوه أي استخف فرعون عقول قومه القبط وحملهم على العمي فاطاعوه على تكذيب موسى إنهم كانوا قوما فاسقين أي خارجين عن امرنا قوله تعالى فلما آسفونا أي اغضبونا انتقمنا منهم حكاه زجاج عن بعضهم والاسف هو الغضب في هذه الآية واصله في اللغة الحزن الا ان الحزن لا يجوز في صفات الله تعالى وقوله تعالى فجعلناهم سلفا أي متقدمين وقيل سلفا الى النار ومثلا للآخرين يتمثل بهم في الهلاك الى آخر الدهر ومن قرأ سلفا بالضم في السين واللام جمع سليف وهو الماضي مأخوذ من سلف بضم اللام يسلف أي يتقدم فهو سليف ومن قرأ سلفا بضم السين وفتح اللام فهي جمع سلفة وهي الفرقة التي قد مضت قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية قرأها النبي صلى الله عليه وسلم عليهم فقال

ابن الزبعرى اخاص هذا ام عام فقال بل عام فقال ابن الزبعرى فان عيسى يعبده النصارى فهو والنصارى في النار
وعزير تعبده اليهود وخزاعة تعبد الملائكة فان كان هؤلاء في النار فما الهتنا خير منهم فانزل الله تعالى
ولما ضرب ابن مريم مثلا والمعنى لما شبهوه بالهتهم اذا قومك منه يصدون يعني قومه الكفار كانوا يصيحون صحيح المجادل
حين خاصموه وقالوا ارضينا ان تكون الهتنا بمنزلة عيسى وهو قولهم وقالوا االهتنا خير ام هو اي ليست الهتنا
خيرا من عيسى فان كان عيسى في النار لانه يعبد من دون الله فكذلك الهتنا وقرئ يصدون بكسر الصاد وضمها فالكسر قول الزجاج
والاخفش والكسائي هما لغتان معناهما يضجون وقيل يصدون يعرضون ومن قرأ بكسر الصاد فمعناه يضجون قوله تعالى ما
ضربوه لك الا جدلا اي ما ضربوا لك هذا المثل يعني الاتجاد لو لم يكن لانهم قد علموا ان المراد بحصب جهنم ما اتخذوه من الموات
ذكر انهم انما خصموا قوله تعالى بل هم قوم خصمون اي جدلون بالباطل وعن ابي امامة الباهلي انه قال
ما ضل قوم الا اوتوا الجدل ثم قرأ هذه الاية قوله تعالى ان هو الا عبد انعمنا عليه يعني ما عيسى عليه السلام
عند مليهم الا انه فضله بالنبوة والرسالة والمعنى انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل اي جعلنا خلقه
من غير اب اية لهم على قدرة الله وقدرته على ما يريد قال تعالى ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة
اي لو نشاء اهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة في الارض يخلفونكم تكونون خلفاء منكم قوله تعالى وانه لعلم للساعة
يعني نزول عيسى من اشراط الساعة يعلم به قربها فلا تمترن بها اي لا تشكن في القيمة انها كائنة لا محالة واتبعون
اي على التوحيد هذا الذي انا عليه صراط مستقيم اي دين قائم لا عوج فيه ولا يصدنكم الشيطان
اي لا يصرفنكم عن هذا الدين انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة قوله تعالى ولما جاء عيسى بالبينات اي بالمعجزات
وقال قتادة يعني بالانجيل قال قد جئتكم بالحكمة اي بالانجيل وقيل بالنبوة ولابين لكم بعض الذي
تختلفون فيه فيما يتعلق باحكام التورية فان قيل هلا بين لهم جميع ما اختلفوا فيه وقد ارسل اليهم قلنا
قد اختلفوا فيه وقال بعضهم ان الذي جاء به عيسى في الانجيل انما هو بعض الذي اختلفوا فيه وقد بين لهم من غير الانجيل
ما احتاجوا اليه وقال بعضهم معناه لابين لكم بعض الكتاب الذي تختلفون فيه اذ كانوا مختلفين في بعض التوراة
وقال بعضهم معناه لابين لكم امر دينكم لانهم كانوا مختلفين في امر دينهم ودنياهم والمقصود من ارسال الرسل بيان الدين
فكان ذلك بعض ما اختلفوا فيه وقد تذكر البعض ايضا بمعنى الكل كما قال الشاعر قد يدرك المتاني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل واراد بالبعض الكل لان المستعجل ايضا قد يدرك البعض قوله تعالى فاختلف الاحزاب
من بينهم يعني اليهود والنصارى وقيل اراد به فرق النصارى على ما تقدم ذكره من الاختلاف فيما بينهم في عيسى عليه السلام
قوله تعالى هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة اي هل ينتظرون الا القيمة ان تأتيهم فجأة على غرة منهم
من غير تأهب ولا استعداد وهم لا يشعرون وقت مجيئها فان قيل كيف سمي القيمة الساعة وهي تشتمل على خمسين
الف سنة قلنا انما سميت ساعة لسرعة مجيئها وانها تجيء ساعة اما ساعة وهي سريعة الانقضاء على المؤمنين
قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يعني الاخلاء في الدنيا يومئذ اي يوم تأتي الساعة
بعضهم لبعض عدو وانما كانت الخلة في المعصية والكفر صارت عداوة يوم القيمة الا المتقين يعني المؤمنين الذين
خال بعضهم بعضا على الايمان والتقوى فان خلتهم لا تصير عداوة وفي الحديث ان الخليلين اذا كانا مؤمنين او كافرين
واذا مات المؤمن من خليله [illegible] الى الجنة ومن كفر وفسق [illegible] خليله فيقول مثل ذلك
ويثني كل واحد منهما على صاحبه خيرا ثم يقول الله لهما في الآخرة على اي كان في الدنيا يثني كل احد على خليله بشر
بشرا اخ ما علمته الا امارا بالمنكر نهاعا عن المعروف اللهم اضله كما اضلني فيقول الله بئس الخليل كنت ولكل واحد منهما
صاحبه ثم اشتد بينهما عداوة وانهما كانا في ذات الله قوله تعالى يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم
تحزنون اي يقال للمتقين يا عبادي لا خوف عليكم من اهوال القيمة ولا تبعدها ولا انتم تحزنون اذا حزن
الناس الذين موضع نصب على النعت لعبادي لان عبادي منادى مضاف وقوله تعالى وكانوا مسلمين

اي خاصة من عبادي يقال لهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون اي انتم وحلائلكم المؤمنات تكرمون غاية
الاكرام بالتحفة والهدايا وقيل يعني تحبرون تسرون والحبور السرور قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب
اي يطوف عليهم خدمهم بصحاف من ذهب فيها انواع من اطعمة اللذيذة الشهية والصحاف جمع صحفة وهي القصعة
الواسعة العريضة قوله تعالى واكواب اي ذاكواب من ذهب والاكواب جمع كوب وهي انا مستدير مدور الراس
لا عروة له وقيل الاكواب هي الاباريق التي لا خراطيم لها ولا اذن قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس اي في الجنة
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون من الاعمال
الصالحة لكم فيها فاكهة كثيرة ومنها تاكلون قوله تعالى ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون اي ان
المشركين في عذاب جهنم دائمون لا يفتر عنهم اي لا يرفه عنهم ولا يخفف عليهم وهم فيه مبلسون اي ايسون من الروح
والراحة وقيل الابلاس هو الياس من الخير والمبلس الساكت المنقطع الياس من الفرج وما ظلمناهم بهذا العذاب ولكن
كانوا هم الظالمين لانفسهم بالكفر والمعاصي وفي قراءة ابن مسعود الظالمون بالرفع على لغة تميم [illegible] قوله
على القراءة التي ليست في المصحف لهم زيادة وتفضيل موضع [illegible] منزلة ما في قوله فبما رحمة من الله قوله تعالى
ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وذلك انهم اذا اشتد عليهم العذاب وقيل ضرهم مس الموت فنادوا مالكا
خازن جهنم يا مالك ادع لنا ربك يقض علينا الموت ليستريح من العذاب فيجيبهم بعد الف سنة انكم ماكثون
مقيمون دائمون وعن ابن عباس انهم ينادون بعد الف سنة فيجيبهم انكم ماكثون في العذاب وقرأ علي وابن مسعود
يا مال بالترخيم قوله تعالى لقد جئناكم بالحق اي ارسلنا اليكم يا معشر قريش محمدا رسولنا بالحق ولكن اكثركم
للحق كارهون قوله تعالى ام ابرموا امرا فانا مبرمون اي بل احكموا عند انفسهم امرا في كيد محمد صلى الله عليه وسلم
والمكر به فانا محكمون امرا في مجازاتهم قوله تعالى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم السر ما يحدث
الانسان في نفسه ويخفيه في قلبه والنجوى ما تحدث به غيره في الخفية قوله تعالى بلى اي نسمع سرهم ونجواهم
ورسلنا لديهم يكتبون عليهم ذلك وقيل ان هذه الاية نزلت في ثلاثة نفر من المشركين وهم صفوان بن
امية وربيعة بن عمرو واخوه حبيب بن عمرو وذلك انهم تحدثوا في قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا ان محمدا
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعلم ما نقول فقال بعضهم لئن قلتم ذلك يعلمه قال صفوان بن امية ان الله يعلم
بعض ما تقول ولا يعلم بعضا فقال صفوان ولكنه لو علم بعضه لعلم كله فانزل الله هذه الاية
قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وذلك ان المشركين لما قالوا ان الله ولد لم يرجعوا
عن قولهم انزل الله هذه الاية والمعنى قل لهم يا محمد ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول من عبد الله وحده
ما تقولون هكذا روي عن مجاهد وقال قتادة والحسن معناه ما كان للرحمن ولد وانا اول من عبد الله تعالى
من اهل هذا الزمان وقيل معناه ان كان للرحمن ولد كما زعمتم فانا اول الانفين الغضب للرحمن تعالى هذا القول
من العبد بمعنى الغضب وقال ابو عبيدة معناه فانا اول الجاحدين وقيل معناه وانا اول الانفين لله تعالى عن هذا القول
وغضب قوله تعالى سبحان رب السموات والارض نزه الله تعالى نفسه من ما تقول المشركون اي سبحان خالق
السموات والارض خالق العرش عما يصفون اليه من الولد قوله تعالى فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا
اي اتركهم على وجه التوبيخ اي اترك يا محمد هؤلاء الكفار يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا
يوم القيمة قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله اي هو معبود في السموات وفي الارض
لا شريك له ولا اله غيره وهو الحكيم في امره وقضائه العليم بخلقه وتدبيرهم قوله تعالى وتبارك
الذي له ملك السموات والارض وما بينهما اي تعالى ودام الذي بيده خزائن السموات والارض وعنده علم الساعة لا يعلم
وقتها احد غيره واليه ترجعون في الآخرة قوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد
بالحق وهم يعلمون اي لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة ثم استثنى عيسى عليه السلام وعزيرا والملائكة فقال

الا من شهد بالحق أي من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهم يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم
والمعنى الا من شهد بكلمة التوحيد وعلم بقلبه أنها حق قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى
يؤفكون أي ولئن سألت هؤلاء الذين عبدوا غير الله من خلقهم وخلق معبودهم ليقولن الله خلقنا فمن أين يصرفون
عن عبادة الله مع اعترافهم بأنه الخالق والخالق أولى بالعبادة من المخلوق قوله تعالى وقيله يا رب إن هؤلاء
قوم لا يؤمنون من قرأ بنصب اللام فمعناه نعلم قيام الساعة ونعلم قيله يا رب لأن معنى وعنده علم الساعة
ونعلم قيام الساعة وقيل نصب عطفا على قوله سرهم ونجواهم كأنه قال أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله
يا رب في شكواه منهم إلى ربه وقال المبرد العطف على المنصوب حسن وإن تباعد المعطوف من المعطوف عليه ومن قرأ
وقيله بكسر اللام فهو بمعنى وعنده علم الساعة وعلم قيله والقيل مصدر كالقول يقال قلت قولا وقالا وقيلا ومن قرأ
[illegible] وقيله بالرفع على معنى وقيل محمد صلى الله عليه وسلم هذا كان جائزا في الكلام قوله تعالى فاصفح عنهم أي أعرض
عنهم إن لم يؤمنوا بك وقل سلام أي أعطهم قولا مداراة حتى ينزل حكمي وقيل معناه المتاركة أي قل السلام عليكم
وتركنا السلام تحية فسوف يعلمون عاقبة كفرهم وما ذا ينزل بهم قيل هو تهديد ولا نسخ فيه ومن قرأ تعلمون
بالتاء على أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يخاطبهم بهذا وقيل نسخ آية السيف الإعراض والسلم والله الموفق.

سورة الدخان خمسون وتسع آيات

وهي ألف وأربعمائة واحد وثلثون حرفا وثلثمائة وست وأربعون كلمة وتسع وخمسون آية قال صلى الله عليه وسلم من قرأها
ليلة الجمعة غفر له

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين قد مر تفسيره في أول السورة قبل وجوابه إنا أنزلناه وقيل جوابه إنا كنا منذرين لأنه
ليس من عادة العرب أن يقسموا بشيء الذي يخبرون عنه فعلى هذا تكرير قوله إنا أنزلناه معترضا بين القسم
والجواب والليلة المباركة هي ليلة القدر أنزل الله فيها القرآن إلى السفرة في السماء الدنيا فوضعوه في بيت العزة ثم
كان جبريل ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم شيئا بعد شيء على مقدار الحاجة هكذا روي عن ابن عباس وقد
ذكر في قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وسميت هذه الليلة مباركة لأن فيها الرحمة ومغفرة الذنوب
وفيها يقدر الله ما يشاء من أرزاق العباد وآجالهم وغير ذلك من الأمور وقيل إنما سميت مباركة لأنه لا يقدر فيها شيء من المكاره
كما قال تعالى سلام هي حتى مطلع الفجر وعن عكرمة أنه كان يقول إن الليلة المباركة هي ليلة النصف من شعبان فيها يقضى
كل أمر فيه حكم وفيها ينسخ لجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت جميع ما هم موكلون عليه من سنة إلى سنة وكان ابن
عباس يقول إنك لتلقى الرجل في السوق وقد كتب اسمه في الموتى والصحيح أن الليلة المباركة هي ليلة القدر وعليه
أكثر المفسرين قوله تعالى أمرا من عندنا انتصب بفعل ويجوز نصبه على الحال أي يفرق فيها أمرا معنى ذلك أن الذي يفرق
في هذه الليلة لا يكون إلا من عند الله تعالى وتدبيره كأنه تعالى قال إنا أنزلناه من عندنا قوله تعالى إنا كنا مرسلين أي
مرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الأنبياء رحمة من ربك أي رأفة مني بخلقي ونعمة عليهم وانتصب على
أنه مفعول له على تقدير للرحمة وقال الزجاج تقديره إنا أنزلناه في ليلة مباركة للرحمة إنه هو السميع لما يقوله
الخلق والمطلع العليم بأفعال العباد وبما فيها قوله تعالى رب السموات والأرض وما بينهما قرأ الكوفيون
بالخفض على البدل من قوله رحمة من ربك قوله تعالى وما بينهما من الهواء والخلق قوله تعالى إن كنتم موقنين
معناه أن الذي خلق السموات والأرض هو الذي دبر إرسال الرسل فإن كنتم موقنين بأنه خالق السموات والأرض فأيقنوا
بما هو مثله واليقين هو ما يثلج الصدر بالعلم ولذلك لا يجوز أن يوصف الله تعالى بأنه موقن ويجوز وصفه بأنه
عليم وعالم قوله تعالى بل هم في شك يلعبون يعني الكفار في شك من هذا القرآن يلعبون أي هم لاهون عنه
قوله تعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين وذلك أن المشركين بالغوا في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم
ويئس من إيمانهم به فدعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فأرسل الله

هذه

هذه الآيات ثم أخذتهم السنة حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقة من الجوع وارتفع القطر وجعل
الرجل منهم إذا كانوا إذا نظروا إلى السماء رأوا دخانا من الجهد والأرض للظلمة التي غشيت أبصارهم من شدة
الجوع ويقال لتيبس الأرض وانقطاع الغيث والمطر فانظر يا محمد يوم تأتي السماء بدخان مبين فجاء أبو سفيان
فقال يا محمد جئت تأمرنا بصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم عودك
واحيي وسائلك فاعطني اللهم اسقنا غيثا مغيثا هنيئا مريئا طبقا عاجلا غير رائث نافعا غير ضار فما برح
النبي صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله المطر وجاء الناس يشتدون وقالوا الغرق الغرق فقيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون فكشف الله عنهم البلاء ثم عادوا إلى الكفر وذلك
قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى وذلك يوم بدر وهذا التأويل مستقيم على قول ابن مسعود
لأنه كان يقول خمس قد مضين الدخان والروم والبطشة واللزام وانشقاق القمر وكان يذهب إلى أن البطشة
الكبرى هي التي أصابتهم يوم بدر وذلك أعظم من الجوع الذي أصابهم بمكة وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد
بالدخان في هذه الآيات الدخان الذي يرسله الله تعالى عند قيام الساعة ثم يغشاهم عذاب أليم بعد ذلك كما روي
عن حذيفة أنه قال إذا كان يوم القيمة نزل دخان من السماء فأخذ بأسماع الكفار والمنافقين وأبصارهم
حتى يصيروا فيهم كالرأس الحنيذ ويأخذ المؤمنين منزلة الزكام فعلى هذا القول يكون معنى قوله أنى لهم الذكرى
من أين ينفعهم إيمانهم وقد جاءهم رسول مبين في وقت الذي كانوا ينتفعون فيه ثم أعرضوا عن الإيمان به وقالوا معلم
مجنون أي هو معلم يعلمه الجن ويعرضون له وقيل معناه يعلمه بشر مجنون من بادعائه النبوة ويكون معنى
قوله إنا كاشفوا العذاب أي عذاب الدنيا بعد مجيء الرسل أي وقت الرخاء بإمهالهم لكي يتوبوا والمراد بالبطشة
الكبرى على هذا القول يوم القيمة والساعة على القول الأول فقوله أنى لهم الذكرى أي التذكر والاتعاظ يقول كيف
يتذكرون ويتعظون وحالهم أنه قد جاءهم رسول مبين ظاهر الصدق والدلالة ثم تولوا عنه أي أعرضوا عن
[illegible] قوله وقوله إنا كاشفوا العذاب يعني عذاب الجوع قليلا أي زمانا يسيرا قال مقاتل يعني إلى يوم بدر إنكم عائدون
في كفركم وتكذيبكم وفيه إعلام أنهم لا يتعظون وأنه إذا دفع عنهم العذاب عادوا إلى طغيانهم وقوله تعالى يوم نبطش
البطشة الكبرى أي واذكر لهم ذلك اليوم يعني يوم بدر قوله تعالى ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون أي
كلفنا قبل أهل مكة قوم فرعون من الطاعة ما شق عليهم وجاءهم رسول كريم على الله كريم الأخلاق
قوله تعالى أن أدوا إلى عباد الله أي ادفعوا إلى بني إسرائيل وهذا قول موسى لفرعون وقومه أطلقوا
بني إسرائيل من العذاب والتسخير وأنهم أحرار إني لكم رسول من الله أمين على الرسالة لست بخائن ولا كاذب
ولا كاتم شيئا مما أوحي إلي وأن لا تعلوا على الله أي لا تتجبروا عليه بترك طاعته إني آتيكم بسلطان مبين
أي بحجة بينة ظاهرة تدل على صدقي فلما قال موسى هذه المقالة توعدوه بالقتل بالحجارة وإني عذت بربي وربكم
أن ترجمون أي اعتصمت بخالقي وخالقكم من أن تقتلوني بالحجارة وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون أي وإن
لم تصدقوني فاتركوني لا معي ولا علي ولا أقل من أن تكفوا شركم عني فأبوا أن يقبلوا منه ولم يؤمنوا فدعا ربه
أن هؤلاء قوم مجرمون أي مشركون ولم يدع إلا بعدما أذن له في الدعاء عليهم قال الله تعالى له فأسر بعبادي
ليلا حتى تقطع البحر إنكم متبعون يتبعكم فرعون وقومه فيكون ذلك سببا لغرقهم فسار موسى ومن معه من
بني إسرائيل حتى انتهى إلى البحر فضربه بعصاه بأمر الله تعالى وانفلق فدخله أصحابه ثم عطف موسى ليضرب البحر بعصاه ليلتئم
ويختلط الطرق التي جعلها الله لبني إسرائيل حتى لا يعبر بها فرعون وقومه فقيل له واترك البحر رهوا أي ساكنا منفرجا
على ما هو عليه حتى يدخله فرعون وجنوده إنهم جند مغرقون في حكم الله تعالى وقال ابن عباس يعني قوله رهوا
أي اتركه طريقا والرهو في كلام العرب [illegible] سبحان الله [illegible]
المعنى على هذا واترك البحر ذا رهو أي ذا فرجة وهي الطريق التي أظهرها الله في الماء قوله تعالى كم تركوا من جنات

وعيون أي كم تركوا فرعون وقومه بعد الغرق من بساتين عامرة ملتفة الأشجار وعيون ظاهرة عذبة فيها وزروع
ومقام كريم حسنة ونعمة أي وعيش رغد كانوا فيها فاكهين أي ناعمين معجبين كذلك كانت حالهم
وقيل كذلك افعل بمن عصاني وأورثناها أي ملكناها قوما آخرين وهم بنو اسرائيل رجعوا بعد هلاك فرعون الى مصر
فصارت اموال القوم فرعون ونعمتهم لهم من غير كلفة ولا مشقة كالميراث الذي ينتقل من المورث الى الوارث من غير مشقة
يلحق الوارث وهذا من غاية انعام الله على بني اسرائيل قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض أي ما بكت على فرعون
وقومه أي كانوا أهون من أن يبكي عليهم أحد من أهل السماء لانهم كانوا في مقام الخزي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من مسلم الا وله بابان باب تصعد فيه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه وكذلك صلاة الذي كان يصلي
فيه من الارض فذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وعن مجاهد انه قال اذا مات المؤمن بكت عليه الارض اربعين
صباحا وعن السدي لما قتل الحسين رضي الله عنه بكت السماء عليه وبكاؤها حمرة اطرافها والمعنى على هذا لم يكن
لفرعون وقومه موضع طاعة في الارض ولا مصاعد طاعات في السماء يفقدهم ويبكي عليهم بخلاف المؤمنين وقوله تعالى
وما كانوا منظرين أي لم ينظروا ولم يمهلوا حتى اخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها قوله تعالى ولقد نجينا بني
اسرائيل من العذاب المهين أي خلصناهم مما كان فرعون يفعل بهم من ذبح الابناء واستحياء النساء واستعمالهم في
الامور الشاقة و قوله تعالى من فرعون انه كان عاليا أي متكبرا من المسرفين أي من المتجاوزين عن الحد حتى ادعى
الالهية قوله تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين أي اخترنا بني اسرائيل بكثرة الانبياء صلوات الله عليهم فيهم
على عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك ما فيه بلاء مبين
أي نعمة ظاهرة قوله تعالى ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى رجع الى ذكر مكة كانوا يقولون ما الموتة الا موتة
من بها في الدنيا ثم لا بعث بعدها وهو معنى قوله وما نحن بمنشرين أي مبعوثين وهذا ذم لهم على الجهل و قوله تعالى فأتوا
بآبائنا أي قالوا فاحي يا محمد آباءنا الذين ماتوا حتى نسألهم أحق ما تقول ام باطل وروي انهم كانوا يسألون ان يحيي لهم
قصي بن كلاب ليحدثنا عنك وانه كان صدوقا فينا بيننا قوله تعالى أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم
أهلكناهم خوفهم الله بمثل عذاب الامم الخالية تعالى أهم خير أم قوم تبع أي ليس خيرا منهم يعني اقوى واشد واكثر
يعني أهم خير في القدرة والقوة والملك أم قوم ملك اليمن والذين من قبلهم وخص ملك اليمن بالذكر لانه كان أقرب لهم
اسم لكل من كان من ملوك اليمن لكثرة تبعه وكان القيصر اسما لملك الروم وكان تبع اسما لملوك اليمن
اسمه اسعد بن ملكي كرب وكان مؤمنا وكان قومه كفارا وروي عن عائشة انها قالت كان تبع رجلا صالحا الا ترى ان الله ذم
قومه ولم يذمه وروي انه وجد مكتوب على قبرين بناحية حمير هذان قبرا رضوى وحصى ابنتي تبع لا تشركان
بالله شيئا قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين أي لم نخلقهما عابثين ما خلقناهما
الا بالحق أي بالحق من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ولكن اكثر المشركين لا يعلمون و قوله تعالى
ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين معناه ان يوم الفصل بين الخلائق ميعادهم اجمعين يوافي يوم القيامة
الاولون والآخرون قوله تعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا أي لا ينفع فيه صديق
صديقا ولا قريب قريبا ولا هم ينصرون أي لا يمنعون من عذاب الله الا من رحم الله وهم المؤمنون فانه
يشفع بعضهم لبعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من امتي ليشفع لاكثر من ربيعة ومضر انه هو
العزيز في انتقامه من اعدائه الرحيم المؤمنين قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم قد تقدم تفسير
شجرة الزقوم في سورة الصافات والاثيم هو ابو جهل لا اهل اللغة الاثيم كثير الاثم وعن ابن مسعود انه كان يلقن رجلا
ان شجرة الزقوم طعام الاثيم فكان الرجل يقول طعام اليتيم فقال له قل طعام الفاجر قوله تعالى كالمهل المهل
دردي الزيت فيكون القطران وهو اسود غليظ وقيل المهل كل ما يمهل في النار من نحاس او فضة او غيرها حتى
يذوب وينماع ويشتد حره قوله تعالى يغلي في البطون أي في بطون الكفار وقرئ يغلي بالياء يعني الطعام

واختاره ابو عبيد لان المهل مذكر وقرئ بالتاء يعني الشجرة قال ابو علي الفارسي لا يكون ان يحمل الغلي على المهل
لان المهل انما ذكر للتشبيه في الذوب لا ترى ان المهل لا يغلي في البطون انما يغلي ما شبه به قوله تعالى كغلي
الحميم يعني الماء الحار اذا اشتد غليانه قوله تعالى خذوه فاعتلوه أي يقال للزبانية خذوه يعني الاثيم فاعتلوه
أي قودوه بالعنف دفعا وسحبا الى وسط الجحيم يقال عتله يعتله ويعتله اذا جره وذهب به الى مكروه وكل
مجاهد معناه ادفعوه على وجهه الى سواء الجحيم أي الى وسط الجحيم وقيل للوسط سواء لاستواء المسافة فيه
منه ومن اطرافه المحيطة به ثم قال تعالى ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم قيل ان خازن النار يضربه
على رأسه فينقب رأسه عن دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ويقول له ذق انك انت العزيز
الكريم وذلك ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم بأي شيء تتهددني والله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي
شيئا واني لمن اعز اهل هذا الوادي واكرمهم فيقول له الملك في العذاب يا ايها المتعزز في عمله كما كنت تقوله
السابق انك يا قبيح على نهو يزد وبالك او لانك انت العزيز الكريم وهذا القول الذي قلته في الدنيا قوله تعالى
ان هذا ما كنتم به تمترون أي يقول لهم الخازن ان هذا العذاب الذي كنتم تشكون فيه في الدنيا وتكذبون به
قوله تعالى ان المتقين في مقام امين الامين هو المقام الذي امن فيه الغير من الموت والحوادث والمقام هو المجلس
ويقرئ مقام بضم الميم بمعنى موضع الاقامة ومعنى القرائتين واحد و قوله تعالى يلبسون من سندس واستبرق السندس
ما لطف من الديباج والاستبرق ما غلظ منه ثم دقه السلك وهما نوعان من الحرير و قوله تعالى متقابلين أي
يقابل بعضهم بعضا في المجالس للمحبة والمحبة قوله تعالى كذلك وزوجناهم بحور عين أي كذلك حالهم في الجنة
وقرناهم بحور عين والحور الشديدة بياض العين الشديدة سواد سوادها البيضاء البشرة والعين جمع للعيناء وهي واسعة العين
الجنة قال مجاهد الحور هن اللواتي يحار الطرف فيهن من رقة جلودهن وصفاء لونهن يرى الناظر وجهه في صدر
احداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة آمنين فيه بيان ان ثمار
الجنة تشتمل على كل الفواكه لكل في من الاوقات خلاف ثمار الدنيا و قوله تعالى آمنين أي آمنين من الانقطاع
والنقصان وآمنين مما يخاف من الفواكه من التخم والامراض قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
أي لا يموتون سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا ووقاهم عذاب الجحيم أي دفع عنهم ثم عذاب النار مع ما اعطاهم
من النعيم المقيم و قوله تعالى فضلا من ربك أي فعل الله ذلك بالمتقين تفضلا منه عليهم وسمي الثواب فضلا لان الله تعالى
لم يكلفهم لحاجة ولكن ليصلوا الى ذلك الثواب قوله تعالى فانما يسرناه بلسانك أي انزلنا القرآن بلغتك لعلهم
فوسعك لسهل عليهم ولعلهم يتعظون فيؤمنون ولولا تيسير الله حفظه ما قدر احد على حفظه لعظم امره وجلال قدره
و قوله تعالى فارتقب انهم مرتقبون أي انتظر بالكفار ما وعدناهم من العذاب انهم منتظرون هلاكك وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة الدخان في ليلة الجمعة ايمانا واحتسابا وتصديقا بها اصبح مغفورا له وان قرأها في سائر الليالي
كانت له نورا يوم القيامة

سورة الجاثية تسع وثلاثون آية

وهي الفان ومائة واحدى وتسعون حرفا واربعمائة وثمانون كلمة وتسع وثلاثون آية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأها
ستر الله عورته وسكن روعته عند الحساب

بسم الله الرحمن الرحيم حم

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم حم سبق تفسيره تنزيل قوله تعالى ان في السموات والارض لآيات أي لدلالات
على الحق تدل خلقها على ان لها خالقا قديما لا اول له وتدل لطفها ونظامها من غير علاقة فوقها ولا عماد تحتها على كمال
علمه عز شأنه قوله تعالى لآيات في موضع نصب لانه اسم ان كما تقول ان في الدار لزيدا قوله تعالى وفي خلقكم أي وفي خلقكم
حالا بعد حال من نطفة الى ان تصيروا انسانا لا بد فيه العقل والحواس وما يبث من دابة أي وفيما تفرق من دابة

على وجه الأرض على اختلاف أجناس الدواب ومنافعها وصورها وما يقصد من منافعها في ذلك لآيات واضحة على وحدانية
الله تعالى لقوم يطلبون علم اليقين ويوقنون أنه لا إله غيره وقرأ حمزة آيات وتصريف الرياح آيات بالكسر على
أنهما منصوبان نسقا على قوله تعالى إن في السموات على معنى وإن في خلقكم آيات ومن رفع فعلى الاستئناف بعد أن تم الكلام
أي لعل كلاما [illegible] على الخبر [illegible] الباقي ويرفعونه قوله تعالى واختلاف الليل والنهار أي ذهابهما
ومجيئهما وما يحدث في كل واحد منهما من الزيادة والنقصان من غير أن يكون [illegible] عشر ساعة وما أنزل
الله من السماء من المطر فأحيا به الأرض بعد موتها بعد يبسها وتصريف الرياح شمالا وجنوبا وقبولا ودبورا وعذابا
ورحمة آيات لقوم يعقلون أن لا إله إلا الله وتشديد توحيدها قوله تعالى تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق أي تلك
التي سبق ذكرها دلالة الله لعباده نتلوها عليك يا محمد يأمر جبريل بعضها عليك بالحق فبأي حديث بعد كتاب الله وآياته
يؤمنون أي إن لم يؤمنوا بهذا القرآن وقرئ تؤمنون بالتاء على معنى قل لهم يا محمد فبأي حديث تؤمنون قوله تعالى ويل
لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها يعني النضر بن الحارث كان يروي من أحاديث
العجم للمشركين فيستملحون حديثه وكان إذا سمع آيات القرآن استهزأ بها فجعل الله له العذاب [illegible]
وقد ذكرنا تفسير الآية في سورة لقمان ومعنى الآية وويل لكل كذاب فاجر كثير الإثم يسمع القرآن يقرأ عليه
ثم لا يخشع لاستماعه بل يقيم على الكفر متعظما عن الإيمان بالله كأن لم يسمع كلمات الله فبشره يا محمد بعذاب موجع يخلص
وجعه إليه قوله تعالى وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أي إذا سمع شيئا من آيات القرآن اتخذها هزوا
إذا سمع من آيات القرآن شيئا اتخذها هزوا قوله تعالى أولئك لهم عذاب مهين قوله تعالى من ورائهم جهنم أي
لهم من بعد موتهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا من المال والأولاد شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء أي ولا تغني عنهم شيئا من عذاب
الله ولهم في الآخرة عذاب عظيم كل ذلك للنضر وأمثاله قوله هذا هدى أي هذا القرآن بيان الحق من الباطل
وكل ما يحتاج إليه من أمر الدين والدنيا والذين كفروا بآيات ربهم أي جحدوا دلائل الله لهم عذاب من رجز أليم
أي عذاب من عذاب يخلص وجعه إلى قلوبهم وقرئ أليم بالرفع على نعت العذاب وبالكسر على نعت الرجز قوله تعالى
الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره أي هو الذي ذلل لكم البحر بتسهيل السبيل لتسلكوها بالتجارات
وإصلاح معايشكم وباقي الآية قد تقدم تفسيرها قوله تعالى وسخر لكم ما في السموات من شمس وقمر ونجوم ومطر وثلج وبرد
وما في الأرض من دابة وشجر ونبات وأنهار ومعنى تسخيرها لنا هو أنه خلقها لانتفاعنا بها على الوجه الذي يريد
قوله تعالى جميعا منه أي كل ذلك رحمة منه وتفضل ومنة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون في صنع الله وإحسانه
فيوحدونه قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل من غفار
بمكة فهم أن يبطش به فأمره الله بالعفو والتجاوز والمعنى قل للذين آمنوا اغفروا ولكنه شبهه بالشرط والجزاء كقوله
قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وقوله تعالى لا يرجون أيام الله أي لا يخافون عقاب الله [illegible] فيتجاوزوا
عنهم [illegible] الله عقابا سيئا بما عملوا ويجوز أن يكون المعنى يتجاوزوا عن الذين لا يرجون ثواب الله للمؤمنين
ليجزي الله المؤمنين يوم الجزاء بما كانوا يعملون من الخيرات وقيل إن الآية نزلت في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا في أذى
شديد من أهل مكة قبل أن يؤمروا بقتالهم فأمر الله المؤمنين بتركهم ثم نسخت هذه الآية بقوله أذن للذين يقاتلون
بأنهم ظلموا وقال الحسن لم تنسخ هذه الآية وهي على الاستحباب في العفو ما لم يؤد إلى الإخلال بحق الله أو إلى الإذلال بالدين قوله تعالى
ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب يعني التوراة والإنجيل والحكم والنبوة أي والفهم في الكتاب والفصل في الأمور وجعل فيهم الأنبياء
والرسل ورزقناهم من الطيبات أي من الحلال ومن لذيذ الأطعمة كالمن والسلوى وغيرها وفضلناهم على العالمين أي عالمي زمانهم
قبل بعث محمد فضل الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] العلماء [illegible] كما قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت
للناس قوله تعالى وآتيناهم بينات من الأمر يعني العلم بمبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من أمره فما اختلفوا
إلا من بعد ما جاءهم العلم يعني الآية قد تقدم تفسيرها قوله تعالى ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها أي

ثم ألزمناك يا محمد بعد اختلافهم فجعلناك على طريقة مستقيمة من الدين فاستقم عليها ودع اختلاف أهلها ولا تعمل بما هو [illegible]
الذين يخالفونك في أمر الدين والقبلة وهو قوله تعالى ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون توحيد الله يعني كفار قريش
قوله تعالى إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا أي لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا إن اتبعت أهواءهم وإن الظالمين
بعضهم أولياء بعض يعني المشركين أنصار بعضهم بعضا والله ولي المتقين أي ناصر المؤمنين المتقين الشرك وهم أمة محمد
صلى الله عليه وسلم قوله تعالى هذا بصائر للناس أي هذا القرآن عظات وعبرة للناس وبيان لهم من الضلالة ونجاة
من العذاب لقوم يوقنون أنه من الله قوله تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا
وعملوا الصالحات قيل إن هذه الآية نزلت في ثلاثة نفر من المشركين وهم عتبة وشيبة والوليد بن عتبة بارزوا عليا وحمزة
وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم يوم بدر وكانوا يقولون لهم لئن كان ما يقول محمد حقا في الآخرة لنفضلن عليكم في الآخرة كما
فضلنا عليكم في الدنيا ومعنى الآية أحسب الذين كسبوا المعاصي أن نجعلهم في الآخرة كالذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن
وعملوا الصالحات من الصلاة والزكاة [illegible] سواء محياهم ومماتهم أي نجعل سواء على أنه خبر مبتدأ مقدم
تقديره محياهم ومماتهم سواء والضمير فيهما يعود إلى الفريقين المؤمن والكافر يعني المؤمن مؤمن في محياه وهو مؤمن في مماته
والكافر كافر في محياه وفي مماته والمعنى أن المؤمن يموت على إيمانه ويبعث عليه والكافر يموت على كفره ويبعث عليه
يحيا الصالحين ومماتهم سواء وقرئ سواء بالنصب جعله مفعولا ثانيا لنجعل على تقدير أن نجعل محياهم ومماتهم سواء يعني
أحسبوا أن حياتهم ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم كلا قوله تعالى ساء ما يحكمون أي بئس ما يقضون إذ ظنوا
أن لهم في الآخرة ما للمؤمنين قوله تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وذلك أن أهل مكة كانوا يعبدون الحجر والخشب
فإذا رأوا ما هو أحسن منه رموا بالأول وعبدوا الثاني فهم يعبدون ما تهواه أنفسهم وقال قتادة هو الكافر لا يهوى شيئا
إلا ركبه [illegible] العبادة على الهوى لا على الحجة وأنزل الله هذه الآية أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وقال الحسن اتخذ إلهه هواه
لا يعرف إلهه بعقله وإنما يتبع فيه هواه قوله تعالى وأضله الله على علم أي خذله الله على ما سبق في علم الله أنه ضال قبل أن
يخلقه وختم على سمعه فلم يسمع الهدى وقلبه فلم يعقل الهدى وجعل على بصره غشاوة أي ظلمة فهو لا يبصر الهدى
قوله تعالى فمن يهديه من بعد الله أي من يهديه من بعد إضلال الله إياه أفلا تذكرون فتعرفوا قدرته على ما يشاء قوله تعالى
وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا أي يموت بعض ويحيا آخرون ممن يأتي بعدنا وقال الزجاج معناه نحيا
ونموت والواو للاجتماع والقائلون لهذا زنادقة قريش قوله تعالى وما يهلكنا إلا الدهر أي إلا طول العمر واختلاف
الليل والنهار وما لهم بذلك من علم أي لم يقولوا عن علم علموه ولا أصلا إلا شاكين قوله تعالى إن هم إلا يظنون
وكان هذا القول من زنادقتهم الذين كانوا ينكرون الصانع الحكيم ويزعمون أن الزمان ومضي الأوقات هو الذي يحدث [illegible]
يموت قوم ويحيى قوم قوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين
فيه بيان أنهم كانوا يتعلقون بالحجج الباطلة ولو تأملوا لعلموا أن ذلك لا يلزم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] مما كانوا يطلبون
قوله تعالى وترى كل أمة جاثية أي وترى كل دين باركة على الركب شبهة للحساب والجزاء مترقبة لما يصنع بها كما يجثو
بين يدي الحاكم ينتظر القضاء قوله تعالى كل أمة تدعى إلى كتابها أي إلى صحائف أعمالها يقال لهم اليوم تجزون
ما كنتم تعملون في دار الدنيا من الخير والشر قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون يعني
كتاب الحفظة يقرؤونه فيذكرهم بما عملوا فكأنه ينطق [illegible] بالعدل في حسناتهم
وسيئاتهم وقوله تعالى إنا كنا نستنسخ أي نأمر الملائكة بنسخ ما عملتم وتثبيته شيئا فشيئا وإثباته عليكم [illegible] هذا ظاهر
المعنى قوله تعالى وإذا قيل إن وعد الله حق يعني البعث والساعة لا ريب فيها أي القيامة كائنة بغير شك قلتم
ما ندري ما الساعة أنكرتموها وأظهرتم الشك فيها إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين ومن قرأ والساعة بالنصب
فهو عطف على الوعد وبدا لهم في الآخرة سيئات ما عملوا في الدنيا أي ظهر لهم قبائح أعمالهم حين عاينوا ذكرها في
كتابهم الذي أحصى عليهم كل قليل وكثير قوله تعالى وقيل اليوم ننساكم في النار ونترككم من أعمالكم وحفظكم فلا نحفظكم

من العذاب كما لم تحفظوا حق الله ولم تركبوا له الايمان والعمل الصالح لهذا اليوم والنسيان ضد الحفظ وقد يكون للترك قوله
تعالى ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا أي ذلك العذاب عليكم بسبب انكم اتخذتم كتابه ورسوله استهزاء
وغرتكم الحيوة الدنيا حتى قلتم لا بعث ولا حساب فاليوم لا يخرجون من النار ولا هم يستعتبون أي لا
يطلب منهم ان يرضوا ربهم ولا تعالى ان استقالوا وقد انقطع اوان التوبة فلا يجابون ولا يقبل لهم في ذلك اليوم عذر ولا توبة قوله
فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين أي فلله الشكر على عظم نعمايه على الخلايق كلهم وهو المختص بالكبريا
واهل السموات والارض يصرفون له العظمة والحمد فيهما وهو العزيز في ملكه وسلطانه الحكيم في قضايه وامره والكبريا
استحقاق التعظيم وحده في اعلى مراتب التعظيم لانه سبحانه ولا يجوز عليه صفة النقص كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدة منهما القيته في جهنم

سورة الاحقاف خمس وثلاثون آية

وهي الفان وستمائة وتسعون حرفا وستمائة واربعون كلمة وخمسة وثلاثون آية من قراها اعطي من الاجر بعدد كل رمل في
الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبالله التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم قد تقدم تفسيره قوله تعالى ما خلقنا السموات والارض وما
بينهما الا بالحق ظاهر المعنى واجل مسمى يعني الى اجل مسمى وهو يوم القيمة تنتهي اليه السموات والارض وفي هذا اشارة الى فنائهما
وانقضائهما قوله تعالى والذين كفروا عما انذروا معرضون أي معرضون عما خوفوا به من القرآن لا يتدبرون ولا يتفكرون
قل ارأيتم ما تدعون من دون الله من الملائكة والاصنام وتزعمون انها آلهة اروني ماذا خلقوا من الارض أي اخبروني
ما خلقوا من الارض فان الخالق هو الذي يستحق العبادة ام لهم شرك في السموات في خلق السموات والارض فلذلك تركبوهم وعبادة
الله ائتوني بكتاب من قبل هذا القرآن فيه برهان ما تدعون او اثارة من علم معناه او ائتوني ببقية من علم المتقدمين
ان كنتم صادقين في مقالتكم وقيل الاثارة ولا اثر ما سكن [illegible] ولا اثر نفخها معناها اثر رواية عن العلماء لذلك
ماثر الحديث عن فلان ومنه قوله تعالى ان هذا الا سحر يوثر والعلم المأثور وهو الرواية قوله تعالى ومن اضل ممن يدعوا
من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة أي من اشد ذهابا عن الصواب ممن يدعو من دون الله من لا يجيب دعاه
دعاءه الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون لانها جماد لا تسمع ولا تبصر قوله تعالى واذا حشر الناس كانوا
لهم اعداء يعني واذا اجتمع الناس يوم القيمة صارت الاصنام اعداء لمن عبدها في الدنيا كما قال الله تعالى ويوم القيمة
يكفرون بشرككم وقالوا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا
للحق لما جاءهم أي للقرآن لما جاءهم هذا سحر مبين ويقولون ان محمدا اتى به من قبل نفسه وقوله تعالى ام يقولون
افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا أي لا تقدرون ان تردوا عني عذابه فكيف افتري على الله من اجلكم
وانتم لا تقدرون على دفع عقابه عني ان افتريت عليه شيئا قوله تعالى هو اعلم بما تفيضون فيه أي الله اعلم بما
تقولون في القرآن وتخوضون فيه من التكذيب والقول فيه انه سحر وكهانة كفى به شهيدا بيني وبينكم ان
القرآن جاء من عند الله وهو الغفور الرحيم في تأخير العذاب عنكم حين لم يعجل لكم بالعقوبة قال الزجاج هذا دعاء
لهم الى التوبة معناه ان من اتى من الكبائر مثل ما اتيتم به من الافتراء على الله ثم تاب فان الله غفور رحيم قوله
تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل أي ما انا اول رسول الى الناس قد بعث قبلي كثير من الرسل والبدع
كالبديع المبتدع وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اني اخرج من مكة او اخرج منها ويخرجكم وقيل معناه لا ادري [illegible] قبل
وما ادري ما يفعل بكم [illegible] من الحجارة من السماء ام تخسف بكم وهذا فيما هو في الدنيا فاما في الآخرة فقد علم انه في الجنة وان
من كذبه في النار الا تراه يقول ان اتبع الا ما يوحى الي [illegible] ما يصير اليه الكافر والمؤمن [illegible] وقيل
معناه وما ادري ماذا يصيبني في الكفار من حرب او سلم وما ادري ماذا يفعل الله بهم ان يعاجلهم الله بالعقوبة

او نوخرها

او نوخرها عنه قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي أي ما اتبع الا القرآن ولا ابتدع من عندي شيئا وما انا
الا نذير مبين [illegible] الله [illegible] لكم الشرايع قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به
وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ثم اختلفوا في المراد بالشاهد في هذه الآية قال بعض
ذهبوا الى ان هذه السورة كلها مكية ان المراد به يامين بن يامين وان عبد الله بن سلام ممن اسلم بالمدينة وهذا الشاهد
قدم مكة فآمن وقيل ان المراد بالشاهد موسى عليه السلام كان من بني اسرائيل وكانت شهادته للنبي صلى الله عليه وسلم
ما في التوراة من تصديق القرآن ومثل القرآن هي التوراة وقال ابن عباس الشاهد هو عبد الله بن سلام روي
انه قدم من الشام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم ليلا وشهد ان نعته مكتوب في التوراة وآمن به ثم قال يا رسول الله
ابعث الى اخص اليهود واسألهم عني فانهم سيخبرونك اني [illegible] من العلم فيعمل ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم واستحضر اليهود وقال لهم ما تقولون في عبد الله بن سلام فقالوا اعلمنا وابن اعلمنا وسيدنا وابن
سيدنا وبقية المتقدمين منا فقال صلى الله عليه وسلم ارأيتم ان آمن بي اتؤمنون انتم فقالوا لو انه لا يفعل ذلك
فاعاد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم مرة بعد اخرى حتى قالوا ثم خرج عليهم عبد الله بن سلام وقال لهم الم
تعلموا في التوراة عن موسى اذا رأيتم محمدا صلى الله عليه وسلم فاقرؤه مني السلام وآمنوا به ثم جعل يوقفهم
من التوراة على مواضع منها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وكانوا يستكبرون ويجحدون فقال عبد الله
بن سلام للنبي صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ارسلك بالهدى ودين الحق فقالوا
له ما كنت اهلا لما اتيتنا عليه ولكنك كنت غايبا فكرهنا ان نغتابك [illegible] اخبرني ماذا تقولون
ان كان القرآن من عند الله انزله الله وكفر به المشركون وشهد شاهد من بني اسرائيل عبد الله بن سلام على صدق
النبي صلى الله عليه وسلم في نبوته على مثله أي عليه انه من عند الله والمثل صلة قوله تعالى وآمن يعني الشاهد واسلم
استكبرتم عن الايمان وجواب ان محذوف تقديره الستم قد ظلمتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقيل تقديره
قل ارأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم أتأمنون عقوبة الله
ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني المعاندين للايمان بعد الوضوح والبيان نحرمهم الله الهداية
قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه أي قال الكفار من بني اسد وغطفان وعامر
واشجع لمن اسلم من جهينة ومزينة واسلم وغفار لو كان هذا الذي يعنون الاسلام خيرا ما سبقنا على ما سبق اليه رعاء
الشاء يعني ارتفع شأنهم واذ لم يهتدوا به لم يهتدوا بهدى الله مع ظهوره ووضوحه فسيقولون مع ذلك هذا القرآن كذب
متقادم أي اتبعه محمد وافتراه في عصره قوله تعالى ومن قبله كتاب موسى أي تشهد للقرآن كتاب
موسى قبله ونجاة من العذاب لمن آمن به وهذا القرآن لما في التوراة و لسانا عربيا أي بلسان عربي
يعقلونه ويجوز ان يكون منصوبا على الحال ويكون لسانا توكيدا كما تقول جاءني زيد رجلا صالحا تريد جاءني
زيد صالحا وقال الزجاج قوله تعالى اماما نصب على الحال والتقدير وتقدمه كتاب موسى اماما وفي الكلام
محذوف تقديره اماما ورحمة ولم يهتدوا به يدل عليه قوله تعالى واذ لم يهتدوا به وذلك ان المشركين لم
يهتدوا بالتوراة [illegible] اعادة الاصنام وتعرفوا مناصفة النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وهذا
كتاب مصدق للكتب التي قبله لسانا عربيا منصوب على الحال يصدق ما بين يديه عربيا ومعنى
قوله كتاب موسى اماما أي يقتدى به يعني التوراة ورحمة من الله للمؤمنين به قبل القرآن وعن ابي الزناد عن ابيه [illegible]
كانت [illegible] امرأة ضعيفة البصر فلما اسلمت كان الاشراف من قريش [illegible] يستهزؤن بها ويقولون والله لو كان
ما جاء به محمد خيرا ما سبقتنا اليه زنيرة فانزل الله فيها وفي امثالها هذه الآية واذ لم يهتدوا به فسيقولون انه
كذب قديم أي اساطير الاولين قوله تعالى لينذر الذين ظلموا أي انزلناه لينذر الذين ظلموا يعني مشركي مكة ومن قبلهم

بالقاسد الفعل الى الكتاب و قوله تعالى وبشرى للمحسنين أي وهو بشرى للمحسنين يعني الكتاب قوله تعالى
ووصينا الانسان بوالديه حسنا في هذه الآية دليل على انها نزلت في رجل بعينه لان الناس كلهم لا يكون حملهم ورضاعهم
ثلاثون شهرا ولا يقولون اذا بلغوا اربعين سنة رب أوزعني وجاء في التفسير انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه
و قوله تعالى حملته أمه كرها أي على كلفة ومشقة والمراد به الحمل والبطن اذا ثقل عليها الولد و قوله تعالى وحمله
وفصاله ثلاثون شهرا أي حمله ستة اشهر ورضاعه اربعة وعشرون شهرا و [illegible] عكرمة عن ابن عباس قال اذا حملت
المرأة تسعة اشهر ارضعته احدا وعشرين شهرا وقال عطاء والكلبي هذه الآية نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وكان
وفصاله هذا القدر ويدل على صحة هذا قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده الى آخر الآية وقرأ الحسن ويعقوب وفصله بغير الف
قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده قال ابن عباس ثماني عشرة سنة وقيل ثلاثون سنة وقال عطاء ثمان عشرة سنة وذلك ان ابا بكر صحب النبي
صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارته الى الشام وكان لا يفارقه في اسفاره
وحضوره فلما بلغ اربعين سنة ونبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه فقال رب أوزعني ان اشكر نعمتك أي ألهمني
شكر نعمتك على بالهداية والايمان حتى لا اشرك بك وعلى والدي أبي قحافة عثمان بن عمرو وام الخير بنت صخر بن عمرو وقال
علي رضي الله عنه نزلت هذه الآية في ابي بكر أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع لاحد من الصحابة والمهاجرين ابواه غيره واوصاه الله بهما
قوله تعالى وأن اعمل صالحا ترضاه فأجابه الله فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه
الله عليه واستجاب الله له في ذريته حين قال واصلح لي في ذريتي فلم يبق له ولد ولا والد الا آمنوا بالله وحده ولم يكن احد
لم يدرك اربعة النبي صلى الله عليه وسلم هم وأبناؤهم الا هو ابو قحافة وابو بكر وابنه عبد الرحمن وابو عتيق بن عبد الرحمن
بن ابي بكر وقال البخاري ابو عتيق ادرك النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وأصلح لي في ذريتي أي اجعل اولادي كلهم
صالحين و قوله تعالى اني تبت اليك أي اني تبت اليك من كل ما لا تحب واسلمت بقلبي ولساني واني من المخلصين فأسلم ابوه وامه
ثم لم يبق له ولد ولا والد الا اسلم و أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا أي أهل هذه الصفة هم الذين نتقبل عنهم
احسن ما عملوا وهي الطاعات ونتجاوز عن سيئاتهم التي سلفت في الجهل و قوله تعالى في أصحاب الجنة أي انهم داخلون في
اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون في الدنيا على السنة الرسل قوله تعالى وعد الصدق الذي كانوا يوعدون
والذي قال لوالديه أف لكما نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قال لابيه وامه قبل ان يسلم حين كانا يدعوانه الى الاسلام و
البعث بعد الموت [illegible] قوله تعالى أف لكما أي قذرا لكما [illegible] عند شم الرائحة الكريهة
أتعدانني ان اخرج أي أتعدانني ان اخرج من القبر وقد خلت القرون من قبلي ولم يخرج احد منهم من قبره وابن
عبد الله بن جدعان وفلان بن فلان وهما يستغيثان الله يعني والديه ويدعوان الله له بالهدى ويقولان له ويلك آمن أي
صدق بالبعث ان وعد الله حق بالبعث فيقول لهما ما هذا الذي تقولان الا اساطير الاولين والاستغاثة بالله دعاء الله
ليغيثك على ما بك [illegible] يستغيثان بالله [illegible] ان اخرج [illegible] قال ابن عباس
لما الح عليه ابواه في دعائه الى الايمان قال لهم احيوا لي عبد الله بن جدعان فانه كان شيخا صدوقا واحيوا لي عامر
بن كعب ومشايخ من قريش حتى اسألهم عما تقولان واخرجا لي [illegible] فقال الله تعالى
أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم أي وجبت عليهم كلمة العذاب في امم قد مضت من
قبلهم من كفار الجن والانس انهم كانوا خاسرين [illegible] ثم اسلم عبد الرحمن وحسن اسلامه وكان من افاضل المسلمين
[illegible] نزلت في كافر عاق لوالديه مكذب بالبعث [illegible] ويدل على ذلك قوله أولئك الذين حق عليهم القول
اعلاما انهم لا يؤمنون والى هذا القول ذهب الزجاج رحمه الله و روي ان معاوية كتب الى مروان ليأخذ على الناس
البيعة ليزيد فكره ذلك عبد الرحمن وقال لا تأخذون البيعة لابنائكم فقال مروان هذا الذي يقول الله فيه والذي قال لوالديه
أف لكما فبلغ ذلك عائشة فقالت كذب مروان والله ما هو به ولو شئت ان اسمي الذي نزلت فيه لسميته ولكن
رسول الله لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا أي لكل

الفريقين من الكافرين والمؤمنين منازل بما عملوا وليوفيهم جزاء اعمالهم وهم لا يظلمون أي لا ينقص من حسناتهم
ولا يزاد في سيئاتهم و قوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا أي واذكر لهم يوم يعرض كفار مكة على النار ويقال
لهم أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا أي أذهبتم أموالكم وقيل قوتكم وشبابكم في لذاتكم في الدنيا وفي طلب رضى الله في وجوه
محرمة واستمتعتم بطيباتكم في الدنيا فليس لكم اليوم منها حسنات فاليوم تجزون عذاب الهون أي الهوان الشديد بما كنتم
في الارض بالباطل بغير حكم من امر الله الى معاصيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان عمر رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه
وسلم ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع الله على فارس والروم وهم لا يعبدون الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم
أوفي شك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا و روى ان عمر رضي الله عنه قال دخلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة وانه لمضطجع على حصيرة وان بعضه لعلى التراب وتحت رأسه وسادة
محشوة ليفا فسلمت ثم جلست فقلت يا رسول الله انت نبي الله وصفوته وخيرته من خلقه وكسرى وقيصر على سرر الذهب
وفرش الديباج والحرير فقال صلى الله عليه وسلم يا عمر اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع وانا اخرت
لنا طيباتنا وعن سالم بن عبد الله ان عمر رضي الله عنه كان يقول والله ما نعبأ بلذات العيش ان نأمر بصغار المعزى تسمط
لنا ونأمر بلباب الخبز فيخبز لنا ونأمر بالزبيب فينبذ لنا حتى اذا صار مثل عين اليعقوب اكلنا هذا وشربنا هذا ولكنا نريد
ان نستبقي طيباتنا لانا سمعنا الله عز وجل يذكر اقواما فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال رأى عمر رضي الله عنه في يدي لحما معلقا فقال ما هذا يا جابر قلت اشتهيت لحما
فاشتريته فقال عمر أوكلما اشتهيت يا جابر اشتريت اما تخاف هذه الآية أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وعن محمد بن سيرين
قال قال جابر بن عبد الله اشتهى اهلي لحما فاشتريته ومررت بعمر فقال ما هذا يا جابر فقلت اشتهى اهلي اللحم فاشتريت هذا اللحم
بدرهم فقال أوكلما اشتهى احدكم شيئا جعله في بطنه اما تخشى ان تكون من اهل هذه الآية أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
وعن عمارة بن القعقاع عن ابي زرعة قال دخل عتبة بن فرقد على عمر رضي الله عنه وهو يكدم كعكا شاميا ويتحسى لبنا
حازرا فقال يا امير المؤمنين لو امرت ان يصنع لك طعام ألين من هذا فقال يابن فرقد أترى احدا من العرب اقدر على ذلك
مني قال ما احد اقدر على ذلك منك يا امير المؤمنين فقال عمر سمعت الله تعالى عير اقواما فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا واستمتعتم بها والله لو شئت ان اكون اطيبكم طعاما واحسنكم ثيابا لفعلت ولكني استبقي دنياي لآخرتي
وعن حفص بن ابي العاص قال كنت اتغدى مع عمر رضي الله عنه بخبز متقطع بالزيت [illegible] فجعل يأكل منه ويقول
لنا كلوا فجعلنا نعتذر فقال ما لكم لا تأكلون فقلنا لا نأكله والله يا امير المؤمنين ما نستطيعه لكنا نرجع الى طعام الين
من طعامك هذا فقال يا ابن العاص ما ترى اني قادر ان امر بدقيق ينخل في خرقة وبخبز [illegible] وآمر بعناق سمينة
فيسقط عنها شعرها فتخرج مثل كأنها كذا وكذا اما ترى اني اقدر ان اعمد الى صاع او صاعين من زبيب فأجعله في
سقاء واشن عليه من الماء فيصبح كأنه دم غزال قال قلت والله يا امير المؤمنين لجاد ما تنعت العيش قال اجل
والله الذي لا اله الا هو لولا اني اخاف ان ينقص حسناتي يوم القيامة لشاركتكم في العيش ولكني سمعت الله يقول
أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وكان عمر رضي الله عنه يقول لا تنخلوا الدقيق فانه كله طعام وكان عمر رضي
الله عنه يتعوذ من اللين والقدر وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال حدثني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي
الله عنهما عن عمر انه حدثه انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع على سرير مرمول وان اثر الحصير في جنبه
تحت رأسه وسادة من ادم حشوها ليف فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت شيئا يرد البصر الا اهبة ثلاثة
مطروحة [illegible] فبكيت وقلت يا رسول الله انك خيرة الله من خلقه وهذا كسرى وقيصر في الديباج والحرير
فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال او في شك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في
حياتهم الدنيا وروي ان عمر رضي الله عنه قدم الشام فصنع له طعام طيب فقال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين
ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير فقال خالد بن الوليد لهم الجنة يا امير المؤمنين فاغرورقت عينا عمر بالدموع

ومنابر يكاد تخطفها في الحطام وهم في رياض الجنان لقد ابنوا ما بنوا بغداد وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على اهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعا فقال انتم اليوم خير ام يوم يغدو واحدكم في حلة ويروح في اخرى وتغدى عليه بجفنة ويراح عليه باخرى قوله تعالى **فاليوم تجزون عذاب الهون** يعني يوم القيامة تجزون العذاب الذي فيه ذلكم وخزيكم **بما كنتم تستكبرون في الارض** عن عبادة الله والايمان به **وبما كنتم تفسقون** قوله تعالى **واذكر اخا عاد** اي واذكر يا محمد لقومك اهل مكة اخا عاد وهو هود عليه السلام **اذ انذر قومه بالاحقاف** اي اذ خوف قومه وحذرهم عذاب الله ان لم يؤمنوا بالاحقاف وهو جمع حقف وهو المستطيل المعوج من الرمال والاحقاف رمال بلاد الشحر وقيل هي باليمن في حضرموت وقال ابن عباس واد بين عمان ومهرة والاحقاف جبال الشحر وقال قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا احياء باليمن اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر وكانوا من قبيلة ارم ذات العماد والاحقاف ما استطال من الرمل واشرف كهيئة الجبل ولم يبلغ ان يكون جبلا والاحقاف جمع حقف قوله تعالى **وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه** اي وقد مضت الرسل من قبل هود ومن بعده الى قومهم ان لا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا سوى الله وهذه دعوة الانبياء عليهم السلام والله اعلم وجعل هذا كلاما اعترض بين انذار هود وكلامه لقومه ثم عاد الى كلام هود لقومه بقوله **اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم** والمعنى الكلام اذ انذر قومه بالاحقاف فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ويحتمل ان يكون المراد بهذا العذاب عذاب الدنيا ويحتمل عذاب الآخرة قوله تعالى **قالوا اجئتنا لتافكنا عن آلهتنا** اي قالوا اما هود اجئتنا لتصرفنا عن عبادة آلهتنا بالافك **فأتنا بما تعدنا** من العذاب **ان كنت من الصادقين** ان العذاب نازل بنا قال لهم هود **انما العلم عند الله** يعني العلم بوقت نزول العذاب عند الله وانما العلم بما ارسلت به اليكم من الوحي والانذار والمعنى انما انا مبلغ والعلم بوقت العذاب عند الله **ولكني اراكم قوما تجهلون** امر الله وعقابه قوله تعالى **فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم** معناه فلما رأوا العذاب الذي خوفوا به انه عارض كهيئة السحاب يستقبل اوديتهم التي كانوا اذا رأوا الغيم من نواحيها كانت سنتهم مخصبة ظنوه سحاب خير فقالوا **هذا عارض ممطرنا** اي هذا الذي وعدتنا به سحاب قد عرض في السماء ممطرنا فقال لهم هود **بل هو ما استعجلتم به** ثم بين ما هو فقال تعالى **ريح فيها عذاب اليم** اي ريح الدبور سحاب من قبل المغرب فيها عذاب وجيع قال المفسرون وان كانت عاد قد حبس عنهم المطر اياما فساق الله اليهم سحابة سوداء فخرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوه مستقبل اوديتهم استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا غيم فيه مطر فقال هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب ثم بين ما هو فقال ريح فيها عذاب اليم قوله تعالى **تدمر كل شيء بامر ربها** اي تهلك كل شيء امرت به من الناس والدواب والاموال **فاصبحوا** يعني عادا **لا يرى الا مساكنهم** قال الزجاج معناه لا ترى شيئا الا مساكنهم والمعنى ترى الحيطان لمساكنهم خالية من السكان والانعام نادية بالريح قال ابن عباس فلم ينج من الاهود ومن معه وعن ابن عباس قال لما رأوا العارض قاموا فمدوا ايديهم وما علموا انه عذاب رأوا ما كان خارجا من ديارهم من الرعاة والمواشي تطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم واغلقوا على انفسهم الابواب فجاءت الريح فقلعت ابوابهم واخذتهم من بين السماء فصرعتهم وامالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية ايام حسوما لهم انين ثم امر الله الريح بعد ذلك فاحتملتهم ورمتهم في البحر قال الاعمش وهم حم وعاصم ويعقوب **فاصبحوا لا يرى** بالياء **الا مساكنهم** بالرفع اي لا يرى الناس الا مساكنهم لانهم كانوا تحت الرمل قوله تعالى **كذلك نجزي القوم المجرمين** اي نهلك كل مجرم جرمهم مثل جرمهم وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى الريح قال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما ارسلت به وكان اذا رأى غيما عرف في وجهه فقلت يا رسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء ان يكون فيه مطر واراك اذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية فقال يا عائشة ما يؤمنني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا قوله تعالى **ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه** والخطاب لاهل مكة والمعنى ولقد مكنا قوم عاد فيما لم نمكنكم فيه من القوة وطول العمر والقامة وشدة الابدان وكثرة الاموال

المرد

المراد ما في قوله فيما موصولة بمعنى الذي وان بمنزلة ما النافية والمعنى ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه **وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة** اي وقلوبا يعقلون بها فلم ينفعهم ذلك من عذاب الله اذ نزل بهم لانهم كانوا يجحدون بآيات الله **وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون** اي نزل بهم عقاب الله باستهزائهم بالرسل اخبر الله تعالى انهم اعرضوا عن قبول الحجج والتفكر فيما يدلهم على التوحيد مع ما اعطاهم الله من الحواس التي بها تدرك الادلة قوله تعالى **ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى** هذا زيادة تخويف لاهل مكة والمعنى ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى مثل عاد قوم هود باليمن وقوم صالح بالحجر وقوم لوط على طريقكم بالشام اراد القرى المهلكة باليمن والشام قوله تعالى **وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون** اي وبينا لهم الآيات في كل وجه لكي يرجعوا عن الكفر الى الايمان وقيل معناه وبينا الآيات لعل اهل القرى يرجعون قوله تعالى **فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة** اي فهلا نصرهم حين نزل بهم العذاب آلهتهم الذين عبدوهم من دون الله ليتقربوا بهم الى الله في زعمهم قوله تعالى **بل ضلوا عنهم** اي بل ضلت عنهم آلهتهم قوله تعالى **وذلك افكهم** اي ذلك دعاؤهم آلهتهم هو افكهم وادعاؤهم بعني اتخاذهم الآلهة من دون الله هو كذبهم وافتراؤهم على الله انها آلهة قوله تعالى **واذ صرفنا اليك نفرا من الجن** معناه واذكر اذ وجهنا اليك نفرا من الجن وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ايس من الاسلام اهل مكة خرج الى الطائف ليدعوهم الى الاسلام فلما انصرف الى مكة راجعا وصل بطن نخلة قام يقرأ القرآن في صلاة الفجر فمر به نفر من اشراف جن نصيبين من اليمن فاستمعوا القراءة قال ابن عباس كانوا تسعة نفر وقال الكلبي ومقاتل كانوا تسعة صرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليستمعوا وذلك قوله تعالى **يستمعون القرآن** فلما انتهوا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم لبعض اسكتوا حتى نستمع قراءته وانما قالوا ذلك لانهم سمعوا شيئا ما سمعوا مثله فلما فرغ من القراءة والصلاة انصرفوا الى قومهم محذرين لهم بالقرآن وذلك معنى قوله تعالى **فلما قضي** اي فلما فرغ من التلاوة انصرفوا الى قومهم يحذرونهم بأس عذاب الله ان لم يؤمنوا وهذا قول سعيد بن جبير وجماعة من ائمة التفسير وقال آخرون بل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله نفرا من الجن وجمعهم له فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا فقال لهم مرة ثانية فاطرقوا فقال لهم مرة ثالثة فاتبعه عبد الله بن مسعود قال ابن مسعود ولم يحضر معه احد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة دخل النبي صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم امرني ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فجعلت ارى امثال النسور تهوي وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما سمعت صوته ثم طفقوا يتقطعون امثال قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الفجر وقال انمت قلت لا والله ولقد هممت مرارا ان استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا فقال لو خرجت لم آمن ان يختطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيئا قلت نعم رأيت رجالا سودا قال اولئك جن نصيبين سألوني المتاع فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يا رسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم قال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم اكلت فقلت يا رسول الله سمعت لغطا شديدا قال ان الجن تدارأت في قتيل بينهم فتحاكموا الي فقضيت بينهم بالحق ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل معك ماء قلت يا رسول الله معي نبيذ في اداوة فاستدعاه فصببت على يديه فتوضأ به وقال تمرة طيبة وماء طهور وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجن على ثلاثة اصناف صنف لهم اجنحة يطيرون في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون قوله تعالى **فلما حضروه قالوا انصتوا** اي قال بعضهم لبعض اصمتوا انصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة رغبتهم في سماع القرآن قوله تعالى **فلما قضي** اي فلما فرغ من تلاوة القرآن وقرأ لاحق بن حميد قضى بفتح القاف والضاد يعني النبي صلى الله عليه وسلم ثم جعل النبي صلى الله عليه وسلم اولئك النفر من الجن رسلا الى قومهم وانما اولئك النفر شاهد

من على ابي عزة الشاعر يوم بدر على ان لا يقاتله ثم رجع الى مكة ثم عاد بعد ذلك للقتال فاسر فامر النبي صلى الله عليه
وسلم بقتله فاجاب اصحابنا عن هذا انه انما من عليه لانه كان من العرب وكان لا يجوز استرقاقهم [illegible] قال قتادة وقال ابو يوسف
ومحمد يجوز مفاداة الاسير بالاسير قوله تعالى حتى تضع الحرب اوزارها اي حتى تضع الحرب اسلحتهم واصل الوزر في اللغة
الاثقال وقيل المراد بالاوزار هنا الاثام قال ابن عباس معنى قوله حتى تضع الحرب اوزارها اي حتى لا يبقى احد
من المشركين وقال مجاهد حتى لا يكون دين الا الاسلام وقيل حتى تضع حربكم وقتالكم اوزار المشركين وقبائح اعمالهم
بان يسلموا ولا يبقى دين غير الاسلام ثم لا تغزوهم وقال الفراء معناه حتى لا يبقى الا مسلم او مسالم وقيل معناه
حتى تضع الحرب الثقال وعدتها والمراد اسلحتهم فسماها اوزارا من الحرب والحرب القوم المحاربون كالركب والشرب
ونحوها ويقال للكراع ايضا اوزار قال الشاعر وهو الاعشى ✽ واعددت للحرب اوزارها ✽ رماحا طوالا وخيلا
ذكورا ✽ ومعنى الاية اثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يظهر الاسلام على الاديان كلها ويدخل فيه اهل الملل طوعا
او كرها ويكون الدين كله لله فلا يحتاج الى قتال ولا الى جهاد وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء فيكسر
الصليب ويقتل الخنزير ويلقى الذئب الشاة فلا يضرها ولا يكون عداوة بين اثنين قوله تعالى ذلك ولو يشاء الله
لانتصر منهم اي ذلك الذي امرتكم به من الجهاد ولو شاء الله لانتصر منهم اي من الكفار من غير ان يامركم بقتالهم حتى
لو شاء الله لانتصر من الكفار فاهلكهم وعذبهم بما شاء ولكن امركم بالحرب ليبلو بعضكم ببعض قال ابن عباس من قتل
من المؤمنين صار الى الثواب ومن قتل من المشركين صار الى العذاب يعني ولكن ليتعبدكم بالامر بالقتال [illegible]
وقوله تعالى والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم قراءة العامة والذين قاتلوا في سبيل الله وقرا ابو
عمرو وقتلوا بضم القاف والتاء والوجه قراءة العامة لانها تشتمل من قاتل قتل او لم يقتل وقراءة ابي عمرو
تخص المقتولين لان بعده قال الله تعالى سيهديهم ويصلح بالهم قال ابن مسعود سيهديهم الى الرشد في الامور ويصلح
امورهم في الدنيا وهذا لا يحسن في وصف المقتولين ومعنى الاية والذين قتلوا في سبيل الله يوم بدر وغيره فلن يبطل الله
ثواب اعمالهم كما ابطل ثواب اعمال الكفار سيهديهم الى ثوابه وجنته ويصلح حالهم بالنعيم قوله تعالى ويدخلهم
الجنة عرفها لهم اي بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال وذلك انهم اذا دخلوا الجنة تفرقوا الى منازلهم
وكانوا اعرف بها من اهل الجمعة اذا انصرفوا الى منازلهم وقيل معناه طيبها لهم من العرف وهي الرائحة الطيبة وطعام
معرف اي مطيب قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا دين الله ونبيه صلى الله عليه
وسلم ينصركم بالتوفيق والكفاية والاظهار على الاعداء ويثبت اقدامكم عند القتال بتقوية قلوبكم والذين كفروا
فتعسا لهم اي فبعدا لهم وشقاء والتعس في اللغة الانحطاط والعثور يقال تعس بعضهم اذا اكب وعثر
وقال ابن عباس يريد في الدنيا العثرة وفي الاخرة التردي في النار وانتصب قوله فتعسا لهم على الدعاء اي اتعسهم الله تعسا
وقال اهل اللغة نصب مصدر على المصدر واصل التعس في الدواب والناس هو ان يقال للعاثر تعسا اذا لم يريدوا
قيامه وضده لعا اذا ارادوا قيامه قوله تعالى واضل اعمالهم اي احبطها وابطلها لانها كانت في طاعة الشيطان
قوله تعالى ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله اي ذلك التعس والاضلال لانهم كرهوا ما انزل الله على نبيه عليه السلام
من القرآن من الصلوة والزكوة فاحبط اعمالهم لانها لم تكن في ايمان قوله تعالى افلم يسيروا في الارض يعني اهل مكة
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المكذبة دمر الله عليهم ديارهم واهلكهم بالعذاب والتدمير الهلاك
ثم توعد مشركي مكة فقال وللكافرين امثالها ان لم يؤمنوا اي امثال عقوبتهم واشباه عقوبات من كان قبلهم قوله
تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا اي ذلك النصر للمؤمنين والهلاك للكفار بان الله ولي المؤمنين وناصرهم
وان الكافرين لا مولى لهم اي ليس لهم ولي يمنعهم ولا ناصر ينجيهم من العذاب قوله تعالى ان الله يدخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ظاهر المعنى والذين كفروا يتمتعون في الدنيا ويأكلون
كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم اي ياكلون ويشربون لا يدرون ما يصنع بهم غدا كذلك الكفار لا يلتفتون الى الاخرة
وتعاميهم [illegible] واراد بالتمتع التمتع في الدنيا الحقير فشبه اكل الكافر باكل الانعام لانهم ياكلون للشبع [illegible]
ان [illegible] المؤمن همته متوجهة الى امر دينه ياكل للقيام بعبادة الله ويكون قصده من النعم اعتقاد نعمة [illegible]

من دخنه واشياعا لتبتلى من الولد وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ملأ ابن آدم من وعاء شر من
بطنه فان كان لا بد فثلثا للطعام وثلثا للشراب وثلثا للنفس وقال الحسن رضي الله عنه اكرم اذا شبعتم عصيتم
اذا جعتم قوله تعالى وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك هذا تخويف لاهل مكة يقول وكم من اهلها
من اهل قرية كانوا اشد قوة واعدادا واوسع ملكا وبلادا من اهل قريتك يعني مكة التي اخرجك اهلها اهلكناهم فلا ناصر لهم
من العذاب انا الله لجدير فيمن مكروا بمحمد مثل حالهم قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله معناه
افمن كان على بصيرة من ربه وبينة كالذين زين له قبح عمله يعبدوا الاوثان واتبعوا اهواءهم في عبادتها مثل
الجنة التي وعد المتقون اي صفة الجنة التي وعد المتقون الشرك والكبائر فيها انهار من ماء غير آسن اي
غير متغير طعمه وريحه يقال اسن الماء ياسن اسونا واسنا اذا تغير وهو الذي لا يشربه احد من نتنه فهو آسن واسن
مثل حاذر وحذر وقيل ان الاسن ما تعرض لتغيير والاسن بالقصر قد تغير في الحال وقرا ابن كثير اسن بالقصر قوله تعالى
وانهار من لبن لم يتغير طعمه اي لم يحمض كما يتغير البان الدنيا لانه لم يخرج من ضروع الانعام وانهار من خمر لذة
للشاربين بخلاف خمر الدنيا فانها لا تخلو من المرارة وغيرها مما يحدث منها من انواع المرض فهي العقوبة في الدنيا والاخرة
قوله تعالى وانهار من عسل مصفى من الشمع والقذى من العكر والكدر بخلاف عسل الدنيا الذي يكون من بطون النحل فانه يخالطه
من الشمع وغيره قال مقاتل انهار الجنة المذكورة تتفجر من الكوثر الى الجنة وتعالى انها تجري من تحت طوبى قوله تعالى
ولهم فيها من كل الثمرات اي ولهم في الجنة من جميع انواع الثمرات والفواكه ما علموه وما لم يعلموه ومما سمعوه ومما لم يسمعوه
طعامها مثل باطنها تخالطها في [illegible] قوله تعالى ومغفرة من ربهم اي ولهم مع ذلك النعيم المقيم مغفرة
من ربهم لذنوبهم فلا يذكر شيء من معاصيهم في الجنة لان الله تعالى قد سترها عليهم فهي بمنزلة ما لم تعمل قوله تعالى كمن
هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم اي من كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما شديد
الحر تسعر عليه جهنم منذ خلقت فقطع امعاءهم والخوف من شدة الحر وما تقطع منها في البطن من الحوايا واحدها معى كما في
تعالى في اية اخرى يصهر به ما في بطونهم والجلود وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قربه صاحبه قطع امعاءه
حتى يخرج من دبره ✽ وعن محمد بن عبد الله الكاتب قال قدمت من مكة فلما مررت بالحطيم نادى رجل من الناس ✽
[illegible] ✽ لا يحب من يشرب الماء ✽ فقد شق على ... ✽ وفي الجحيم حميم ما تجرعه
خلق فابقاه في البطن امعاء قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا
قال آنفا وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوم الجمعة وعاب المنافقين في خطبته فلما خرج المنافقون من المسجد قالوا
لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما قال محمد على المنبر الساعة فقد سمعنا قوله ولم نفهمه كانهم كانوا يسمعون سماع تهاون وتجاف وقوله
الساعة من قولك اتيت الشيء اذا ابتداته والمعنى من هؤلاء الكفار من يستمع اليك وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعون
ولا يفهمونه تهاونا منهم بذلك وتغافلا فاذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة ماذا قال محمد الان وذلك
انهم سالوا ابن مسعود وابن عباس عما قال النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء وتهاونا هذا كالرجل يسمع الغير سماع انحراف فيقول
بعد ذلك لاصحابه اي شيء الذي كان يقول فلان قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم اي ختم الله عليها بالكفر فلا
يعقلون الايمان والطبع هو الختم على القلب بسمة تعلمها الملائكة ان صاحبه لا يفلح ابدا واتبعوا اهواءهم في الكفر والنفاق
قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى اي والذين اهتدوا بالايمان وبسماع الخطبة زادهم الله بصيرة في
دينهم والهمهم ترك المعاصي واجتناب المحارم ويجوز ان يكون زادهم اعراض المنافقين هدى واعطاهم الله ثواب تقواهم
في الاخرة قوله تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة اي ما ينتظر هؤلاء الكفار والمنافقون الا ان تاتيهم
الساعة فجاة على غرة منهم فقد جاء اشراطها اي علاماتها ومن اشراطها خروج نبينا صلى الله عليه وسلم فانه بعث في آخر
الزمان قال صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين ومن اشراطها انشقاق القمر وقطعة الرجم قوله تعالى
فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم اي من اين لهم التوبة ومن اين لهم ان يتذكروا ويتوبوا اذا جاءتهم الساعة حين لا ينفعهم

ومأمن ومنشي ذي بنيان ولما احتضر عمرو بن جابر ونعقه وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان في نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشون اذ رفع لهم اعصار ثم جا اعصار اعظم منه ثم انقشع فاذا حية قتيل فعمد رجل منا الى ردائه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل اذا امراتان تسألان ايكم دفن عمرو بن جابر فقلنا ما ندري من عمرو بن جابر فقالتا ان كنتم ابتغيتم الاجر فقد وجدتموه ان فسقة الجن اقتتلوا مع مؤمنيهم فقتل عمرو بن جابر وهو الحية التي رأيتم وهو من النفر الذين استمعوا القرآن وروي ان حية دخلت على رجل من التابعين وهي تلهث عطشا فسقاها ثم انها ماتت فدفنها فاتي من الليل فسلم عليه واخبر ان تلك الحية كانت رجلا من جن نصيبين اسمه زوبعة وبلغنا في فضائل عمر بن عبد العزيز انه كان يمشي بارض فلاة فاذا حية ميتة فكفنها بفضلة من ردائه ودفنها فاذا قائل يقول يا سرق اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستموت بارض فلاة فيكفنك ويدفنك رجل صالح فقال من انت رحمك الله تعالى فقال رجل من الجن الذين استمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق منهم الا انا وسرق وهذا سرق قد مات وقد قتلت عائشة رضي الله عنها حية رأتها في حجرها تستمع وعائشة تقرأ فاتيت في المنام فقيل لها انك قتلت رجلا مؤمنا من الجن الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لو كان مؤمنا ما دخل على حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها ما دخل عليك الا وانت متقنعة وما جاء الا ليستمع الذكر فاصبحت عائشة فزعة واشترت رقابا فاعتقتهم وقال الجن الذين جاؤا يستمعون القرآن كانوا يهودا فاسلموا ولذلك قال الله تعالى **أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم** قوله تعالى **يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم** فاستجاب لهم من قومهم نحو من سبعين رجلا من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافقوه بالبطحاء فقرأ عليهم القرآن وامرهم ونهاهم واختلف العلماء في مؤمني الجن فقال بعضهم ليس لمؤمني الجن ثواب الا نجاتهم من النار وتأولوا فيه قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم وعن الليث ابن ابي سليم ثواب الجن ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وقال آخرون اذا كان عليهم العقاب في الاساءة وجب ان يكون لهم الثواب في الاحسان مثل الانس وعن الضحاك قال الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون قوله تعالى **ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض** أي لا يعجز الله ولا يفوته **وليس له من دونه أولياء** يمنعونه من دون الله **أولئك في ضلال مبين** قوله تعالى **أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن** أي ولم يضعف عن ابداعهن **بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير** والمعنى اليس الله بقادر على احياء الموتى فيما ترون يا اهل مكة فان خلق السموات والارض وما بينهما من العجائب اعظم من اعادة الخلق والبعث بعد الموت قوله تعالى **ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق** الآية ظاهرة المعنى قوله تعالى **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل** وهم خمسة اولو الكتب والشرائع محمد صلى الله عليه وسلم ونوح وابرهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم وقيل انهم رسل سوى آدم لم يجد له عزما وقيل اراد اولي العزم من الانبياء كلهم ومن في قوله من الرسل لتبيين الجنس كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقال ابن زيد كل الرسل كانوا اولي عزم وقال بعضهم كل الانبياء اولو عزم الا يونس عليه السلام الا ترى ان نبينا صلى الله عليه وسلم نهي عن ان يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه حيث ولى مغاضبا لقومه فابتلاه الله بالحوت فالتقمه وقيل اولو العزم هم الرسل المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى فيهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال تعالى اولو العزم منهم نوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على البئر والسجن وايوب صبر على الضر وقال ابن عباس العزم الصبر وقال القرظي الرأي والصواب وقال الحسن اولو العزم ابرهيم وموسى وداود وعيسى اما ابرهيم فمعه انه قيل له اسلم فقال اسلمت لرب العالمين وابتلي في ولده وماله ونفسه فوجد صادقا وافيا في جميع ما ابتلي به قال الله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن وقال تعالى وابرهيم الذي وفى واما موسى فان عزمه ان قومه لما قالوا انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين واما داود فمعه انه اخطأ خطيئة فبكى عليها اربعين سنة واما عيسى

العزم منه انه لم يضع لبنة على لبنة زهدا في الدنيا فكان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل اي كن صادقا فيما ابتليت مثل صدق ابرهيم وكن واثقا بنصر مولاك مثل ثقة موسى ومهتما بما سلف من هفواتك مثل اهتمام داود وزاهدا في الدنيا مثل زهد عيسى قال الشاعر • اولو العزم نوح والخليل كلاهما • وموسى وعيسى والنبي محمد • فلما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم والله لاصبرن كما صبر اولو العزم من الرسل ولاجهدن كما جهدوا ولا قوة الا بالله قوله تعالى **ولا تستعجل لهم** وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر من كفرهم واحب ان ينزل العذاب بمن ابى منهم الاسلام فامر بالصبر وترك الاستعجال ثم اخبر ان العذاب منهم قريب بقوله تعالى **كأنهم يوم يرون ما يوعدون** من العذاب في الآخرة **لم يلبثوا** في الدنيا **إلا ساعة من نهار** اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والقبور كأنها ساعة من نهار لان ما مضى كأنه لم يكن وان كان طويلا وتم الكلام ثم قال تعالى **بلاغ** اي هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ عن الله لكم والبلاغ بمعنى التبليغ يعني بلغكم محمد عن الله عز وجل قوله تعالى **فهل يهلك إلا القوم الفاسقون** اي لا يقع العذاب الا بالعاصين الخارجين عن امر الله تعالى وعلمنا بهذه الآية [illegible] او منافق •

سورة القتال ثلاثون وتسع آيات

وهي الفان وثلثمائة وتسعة واربعون حرفا وخمسمائة وتسع وثلاثون كلمة وثمان وثلاثون آية قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة ❖ صدق الله تعالى وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم معناه الذين كفروا بتوحيد الله تعالى وصدوا الناس عن الاسلام يعني كفار مكة اضل اعمالهم اي ابطلها واذهبها فلا اجر لهم فيها وكأنها لم تكن قال اراد باعمالهم اطعامهم الطعام وصلتهم الارحام قوله تعالى **والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد** اي وصدقوا بالقرآن الذي نزل على محمد **وهو الحق** اي الصدق **من ربهم كفر عنهم سيئاتهم** اي غفرها لهم فلا يحاسبون عليها **وأصلح بالهم** اي اصلح حالهم في امر دنياهم الحال وقال ابن عباس عصمهم ايام حياتهم حتى لم يعصوا وقيل معناه واظهرهم على اعدائهم وقواهم من ضعفهم قال ابن عباس الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اهل مكة والذين آمنوا وعملوا الصالحات الانصار قوله تعالى **ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل** اي ذلك الاضلال والاصلاح باتباع الكفار الشرك واتباع المؤمنين التوحيد والقرآن والشرك فهو الباطل والتوحيد هو الحق والقرآن قوله تعالى **كذلك يضرب الله للناس أمثالهم** يعني انه كما قال اضل الله عمله ومن كان مؤمنا كفر الله سيئاته واصلح باله قوله تعالى **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب** اي اذا لقيتموهم في القتال فاضربوا رقابهم اي فاقتلوهم والمعنى فاضربوا الرقاب ضربا وهذا مصدر اقيم مقام الامر كما في قوله تعالى فتحرير رقبة وقيل انتصب قوله فضرب الرقاب ضربا وهو مصدر على الاغراء قوله تعالى **حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق** اي حتى اذا اكثرتم فيهم القتل وغلبتموهم وانتم تقتلونهم فاسروهم ولا يكون الاثخان الا بعد المبالغة في القتل كما قال تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض والمعنى حتى اذا قهرتموهم وغلبتموهم وصاروا اسارى في ايديكم فشدوا الوثاق فيهم لئلا يهربوا منكم الوثاق ايضا فادوا اذا شد اسيرهم كيلا يفلت قوله تعالى **فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها** معناه فاما ان تمنوا عليهم بعد ان تأسروهم فتطلقوهم بغير فداء واما ان تطلقوهم بعد ان تأسروهم اي اما تمنوا عليهم منا فتطلقوهم بغير عوض واما ان تفدوا فداء وعن ابن عباس انه قال ذهب ما ثبت منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والمنه والفداء وحنيفة قال لا يجوز المن على الاسير ولا الفداء بالمال ولا بغيره ولا بالاسارى والاختيار للنبي في اهل الحرب ولم يختلف اهل التفسير ان الاية نزلت في غزوة بدر [illegible] خلاف بين العلماء في جواز قتل الاسير وجواز قسمته للماد بين المسلمين اذا لم يكن للاسارى العهد واما اختلفوا في جواز المن عليهم وفي مفاداتهم بالمال او النفس قال الشافعي يجوز المن عليهم لان النبي صلى الله عليه وسلم

ذكره قوله تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل المعنى فإذا جاءتهم الساعة
فاعلم أنه لا ملجأ ولا منجى عند قيامها إلا الله وقيل فاثبت على ما أنت عليه من التوحيد إلا الله والنبي صلى الله عليه وسلم قد كان عالما بذلك ولكن هذا خطاب يدخل
فيه الناس وقيل المعنى من علم أنه لا إله إلا الله فليقم على العلم وليثبت عليه قوله تعالى واستغفر لذنبك أي إذا استغفرت من شيء
أمرت به الاستغفار وقيل معناه استغفر لصغائرك فإنه لا صغيرة مع الإصرار واستغفر لذنوب المؤمنين والمؤمنات
وهذا إكرام من الله لهذه الأمة حيث أمر نبيهم أن يستغفر لهم وهو الشفيع المجاب فيهم قوله تعالى والله يعلم متقلبكم
ومثواكم أي منصرفكم في الدنيا وقيل متقلبكم من ظهر إلى بطن إلى أن تخرجوا إلى الدنيا ومثواكم أي في القبور وقيل متقلبكم
في الأرحام وقال عكرمة معناه والله يعلم متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات ومثواكم مقامكم في الأرض وقال ابن كيسان
معناه والله يعلم منتشركم بالنهار ومأواكم بالليل والمعنى أنه عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شيء منها قوله تعالى ويقول
الذين آمنوا لولا نزلت سورة قال ابن عباس إن المؤمنين سألوا ربهم أن ينزل سورة فيها ثواب القتال في سبيل الله وقيل
إن المؤمنين كانوا يشتاقون إلى نزول الوحي وكانوا يستوحشون إذا أبطأ الوحي وهو قولهم لولا أنزلت سورة
أي هلا نزلت سورة قال الله تعالى فإذا أنزلت سورة محكمة أي بالأحكام التي لا يجري عليها النسخ يعني لم ينسخ منها شيء قال
قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد السور على المنافقين والمعنى أن المؤمنين قالوا هلا نزلت سورة
تأمرنا بالجهاد قال الله تعالى فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال أي إيجاب القتال رأيت الذين في قلوبهم
مرض وهم المنافقون ينظرون إليك عند ذكر القتال كنظر من هو في غشيان الموت كراهية منهم للقتال ومخافة أن يصلوا إلى
الحرب قال الزجاج معناه رأيت المنافقين يشخصون نحوك بأبصارهم وينظرون إليك نظرا شديدا كما ينظر الشاخص ببصره عند الموت
كراهية منهم للجهاد كنظر المغشي عليه من الموت قوله تعالى فأولى لهم كلمة وعيد لهم ومعناه وليهم المكروه والعقاب
أولى لهم وهذا كما قال الله تعالى أولى لك فأولى وقال الأصمعي معنى قوله تعالى أولى لك أي وليك وقاربك ما تكره قوله تعالى
طاعة وقول معروف ابتداء وخبر محذوف تقديره طاعة وقول معروف أمثل وأحسن من كراهية القتال والمعنى على
هذا أن الله تعالى قال لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا كان أمثل وأحسن وقيل يجوز أن يكون هذا متصلا بما قبله على معنى فأولى
لهم طاعة وقول معروف لله ولرسوله وقول معروف بالإجابة والطاعة قوله تعالى فإذا عزم الأمر أي فإذا جد الأمر
ولزم فرض القتال نكلوا وكذبوا فيما وعدوا من أنفسهم فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم أي لو صدقوا الله في إظهار الإيمان والجهاد
لكان خيرا لهم من المعصية والكراهية والمخالفة قوله تعالى فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض أي فلعلكم
إن أعرضتم عن محمد صلى الله عليه وسلم وعما يأمركم به أن تعودوا إلى ما كنتم عليه من الكفر والفساد في الأرض من
وسفك الدماء وقيل بعضكم بعضا بفعل الجاهلية وقيل معناه لعلكم إن توليتم أمر هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أن تفسدوا في الأرض
بالظلم وتقطعوا أرحامكم بالبغي فتقتل قريش بني هاشم وبنو هاشم قريشا ذهب كثير من الناس إلى أن هذه والمعنى
فلعلكم إن أعرضتم عن الإيمان والقرآن وفارقتم أحكامه أن تفسدوا في الأرض فتعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الفساد
وقتل بعضكم بعضا وتقطعوا أرحامكم ما جمعكم الله بالإسلام والألفة فتعودوا إلى ما كنتم عليه في جاهليتكم من
القتل والبغي وتقطعوا الرحم وقال المسيب بن شريك معناه فهل عسيتم إن توليتم أمر الناس أن تفسدوا في الأرض بالظلم نزلت في
أمية من خليفة في بني هاشم قرأ يعقوب وأبو حاتم وتقطعوا مخففا من القطع اعتبارا بقوله ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل الطاء
وقرأ الحسن وتقطعوا اشتد اعتبارا بقوله وتقطعوا أمرهم بينهم وقراءة الكافة وتقطعوا بضم التاء يعني الحروف وتشديد
وكسر على التكثير قال الله تعالى أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى
أبصارهم فلا يسمعون الحق ولا يهتدون للرشد يعني المنافقين الذين يفسدون في الأرض ويقطعون أرحامهم ونسبهم
إلى الصم والعمى عن أمر الله تعالى وإن كانوا في مشاهدتهم فإنهم لم يكونوا صما ولا عميانا ومثل ذلك قوله تعالى وجعلنا
لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله قوله تعالى
أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها يعني الطبع على القلب وهذا

لا تعلق القلب بمعرفة الإسلام والقرآن فكأن على قلوبهم أقفالا لا يدخلها قوله تعالى إن الذين ارتدوا
على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم يعرفونه
ويجدون نعته وصفته في كتابهم ونعته مكتوبا عندهم وقيل معناه إن الذين رجعوا كفارا من بعد ما ظهر لهم أمر النبي صلى الله عليه
وسلم ونعته وصفته في كتابهم ونعته مكتوبا عندهم الشيطان سول لهم أي زين لهم
القبيح وأملى لهم أي أمهلهم الله موسعا عليهم ليتمادوا في طغيانهم ولم يعجل عليهم بالعقوبة على قوله
سول لهم لأنه فعل الشيطان والإملاء فعل الله وأملى لهم مد لهم الشيطان
في الأمل وقرأ أبو عمرو وأملي لهم وهو حسن للتفصيل بين فعل الشيطان وفعل الله
أحد معه قوله تعالى
ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر معناه ذلك الإملاء لليهود بأنهم قالوا للمشركين سنطيعكم
في بعض الأمر في التظاهر على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم قالوا ذلك سرا فيما بينهم فأخبر الله به عنهم وأعلم أنه يعلم ذلك قوله
والله يعلم إسرارهم وقرئ بكسر الألف على المصدر أي إسرارهم بكسر الألف والمعنى والله يعلم أسرار اليهود والمنافقين
قوله تعالى فكيف إذا توفتهم الملائكة أي فكيف يكون حالهم إذا قبضت أرواحهم الملائكة يضربون وجوههم
وأدبارهم يعني بمقامع من حديد عند قبض الأرواح ثم ذكر سبب ذلك الضرب فقال تعالى ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله أي
اتبعوا ما فيه سخط الله مما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وكرهوا ما فيه رضوان الله وهو الطاعة والإيمان
فأحبط أعمالهم يعني ما كان لهم من بر وصلة وخير عملوه في غير الإيمان بكفرهم قوله تعالى أم حسب الذين في قلوبهم
مرض أي أظن المنافقون أن لن يخرج الله أضغانهم معناه أن لن يظهر أحقادهم على المسلمين وضغنهم عليهم
فأمرهم الله بالقتال والنفقة فيحمل المنافقون على أن يظهروا ضغائنهم والضغن هو الحقد الذي يضمره الإنسان ولا يطيعهم بعض
قوله تعالى ولو نشاء لأريناكهم أي لعرفناكهم وأعلمناكهم فلعرفتهم بسيماهم أي بالعلامة القبيحة التي يظهرها
قال الزجاج معناه ولو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة وهي السيما فلعرفتهم بتلك العلامة قوله تعالى ولتعرفنهم في
لحن القول أعلم الله النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلعه على ما يخفون في فحوى كلامهم فكان لا يتكلم بعد نزول هذه الآية منافق عند
النبي صلى الله عليه وسلم إلا عرفه بكلامه ويستدل به من المعاذير الكاذبة وقال المفسرون معنى قوله في لحن القول أي في نحو
القول ومعناه ومقصده ويقال فلان لحن بحجته ولحن في كلامه ولحن في الحرب يقال لحن بحجته أي ذهب بها إلى الجهات
لقوته على تصريف الكلام وإذا قيل لحن في كلامه أو لحن فمعناه أذهب الكلام إلى خلاف جهة الصواب ولحن القارئ إذا
ترك الإعراب الصواب وعدل عنه قوله تعالى والله يعلم أعمالكم أي يعلم ظواهرها وبواطنها قوله تعالى ولنبلونكم
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين أي لنعاملنكم معاملة المختبر بما نأمركم به من الجهاد حتى نميز المجاهدين منكم من
غيرهم والصابرين في القتال من الذين لا يصبرون وإنما كنى بالعلم عن التمييز لأنه يتوصل بالعلم إلى التمييز وكان الله تعالى
عالما بكل منهم قبل أن يخلقهم ولكن أراد بالعلم في هذه الآية العلم الذي يتعلق به الجزاء وهو علم الشهادة لا علم الغيب قوله
تعالى ونبلو أخباركم أي نختبرها بما نأمركم به وننهاكم أخباركم وأحوالكم حتى تظهر للناس وكان الفضيل بن عياض
إذا أتى على هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبلنا فإنك إن بلوت أخبارنا فضحتنا وهتكت أستارنا قوله تعالى إن الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله يعني قريظة والنضير من بعد ما تبين لهم الهدى في التوراة لن يضروا الله شيئا بتركهم الهدى إنما يضرون
أنفسهم وسيحبط أعمالهم فلا يرون لها في الآخرة ثوابا قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
ولا تبطلوا أعمالكم أي أطيعوا الله في الفرائض وأطيعوا الرسول في السنن ولا تبطلوا ثواب أعمالكم بالشرك والرياء
فإن الشرك والرياء يحبط العمل قال الله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك والرياء يحبط العمل كما قال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى
وقيل معناه لا تبطلوا أعمالكم بالمعصية وقيل بالعجب وقال عطاء بالشك والنفاق وقال الحسن بالمعاصي والكبائر

الآية على ان من شرع في نافلة نحو الصلوة والصوم والحج لم يجز له الخروج منها قبل اتمامها لما فيه من ابطال عمله قوله تعالى
إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار لما ذكر الموت على الكفر ان الكافر قبل الموت
فلن يغفر الله لهم واذا مات على الكفر حبط عمله حبوطا لا يلحقه التدارك والتلافي وقوله تعالى فلا تهنوا وتدعوا الى السلم
وأنتم الأعلون بما وعدكم الله اي لا تضعفوا عن القتال للكفار وتدعوهم الى الصلح وانتم الاعلون بما وعدكم الله من
النصر في الدنيا والثواب والكرامة في الآخرة قال الزجاج منع الله المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وامرهم بحربهم حتى
يسلموا وانتم الاعلون اي الغالبون قوله تعالى والله معكم اي بالعون والنصر على عدوكم قوله تعالى ولن يتركم
أعمالكم اي لن ينقصكم شيئا من ثواب اعمالكم وفي الآية دلالة على انه لا يجوز للامام ان يدعو الكفار الى الصلح ولا ان يجيبهم
الى الصلح في حال ما تكون الغلبة للمسلمين فان الواو في قوله وانتم الاعلون واو الحال [illegible]
في حال ما كنت راكب قوله تعالى إنما الحياة الدنيا لعب ولهو اي الدنيا بما فيها من زينتها باطل وغرور تفنى وتزول
عن قريب واللعب الفعل الذي لا يشتغل به فايدة واللهو هو الفرح الذي لا يبقى قوله تعالى فإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم
أجوركم اي ان تؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وتتقوا الفواحش والكبائر يؤتكم ثواب اعمالكم كاملا وافيا
ولا يسألكم أموالكم كلها وانما يسئلكم ان تأمركم بالايمان والطاعة لتنالوا الجنة ونطيعوا قوله تعالى ان يسألكموها
من رزق وقيل لا يسألكم محمد صلى الله عليه وسلم اموالكم وقيل معناه لا يسألكم الله ورسوله اموالكم كلها
انما يسألكم ربع العشر تطوعا منا قوله تعالى إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم معناه ان يجهدكم بالمسألة
ويلح عليكم ويسألكم جميع اموالكم تبخلوا بها وتمنعوا الواجب وقوله تعالى ويخرج أضغانكم اي ويظهر الله اضغانكم التي تحدث في
القلوب بسبب البخل قال قتادة قد علم الله ان في مسألة المال خروج الاضغان وقوله تعالى اضغانكم اي بغضكم وعداوتكم
لله ولرسوله ولكنه فرض عليكم يسيرا وهو ربع العشر والاحفاء في المسألة هو الالحاح والشدة فيه وقيل معنى الآية لا يسألكم
اموالكم لنفسه بل يسألكم ليرجع نفعه اليكم قوله تعالى ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله يعني ما فرض الله
عليهم في اموالهم من الزكوة فمنكم من يبخل بذلك ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اي يعود عليه وبال العقاب فضرر بخله على
نفسه والله هو الغني عن ما عندكم من الاموال وعن اعمالكم وانتم الفقراء اي المحتاجون الى الله والى ما عنده من الخير والرحمة
فاما امركم بالانفاق ليحصل لكم الثواب لا لحاجته ولا لحر منفعته ولا لدفع مضرة قوله تعالى وإن تتولوا يستبدل قوما
غيركم اي وان تعرضوا عن طاعة الله يستبدل قوما يعصونه ويفعلون ما تؤمرون وقيل معناه وان تعرضوا عن الاسلام
ويعرض عليكم من هو خير منكم قوما غيركم اطوع لله منكم ثم لا يكونوا أمثالكم بل يكونوا اشد منكم واطوع قال
الكلبي هم كندة والنخع وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة فارس والروم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل
عن هذه الآية فضرب بيده على فخذ سلمان الفارسي وقال هذا واصحابه والذي نفسي بيده لو كان الايمان معلقا بالثريا لتناوله رجال
من ابناء فارس وقيل في قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم قال يتولوا ولم يستبدل بهم والله عز وجل اعلم

سورة الفتح تسع وعشرون آية مدنية

وهي الفان واربع مائة وثمانية وثلثون حرفا وخمسمائة وستون كلمة وتسع وعشرون آية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن بايع محمدا صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة والله التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا فتحنا لك فتحا مبينا وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة يريد العمرة ومعه نحو من كثير من الصحابة وخرج معهم
الهدي [illegible] فبلغ ذلك قريشا فاستعدوا للصد فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية في
المشركين [illegible] بعث الله عز وجل الى المشركين فلما اتاهم عروة ابن مسعود الثقفي
وجع الى قريش واخبرهم بذلك وهو كاره لصدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكعبة فسمعوا وانهوا لم يعنوا احلاف

فقال صلى الله عليه وسلم ابعثوا الهدى في وجوههم فلما رأوا الهدى رجعوا ثم ارسلوا الى النبي رجلا فقال ما تعرفون فبعثوا سهيل
بن عمرو احد بني عامر بن لؤي فقال صلى الله عليه وسلم حين رآه هذا رجل فاجرا اقدم سهيلا امركم فلما اتاهم سهيل
تذاكروا الهدنة والموادعة فلما كان في وسط النهار امر النبي صلى الله عليه وسلم بالبيعة فنادى منادية في العسكر ان روح القدس
جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره بالبيعة فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس تحت الشجرة
فبايعه المسلمون وكثرت تلك البيعة في صدور المشركين فلما امسوا وهم على ذلك ... رجال من المشركين بالليل في اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فبات المسلمون بالحجارة ورموا اعداء الله حتى ادخلوهم البيوت ويهزموهم باذن الله واقبل اشرافهم الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هذا لم يكن عن رضى منا وانما فعله سفهاؤنا وعرضوا الصلح على النبي صلى الله
عليه وسلم فقبله ولم يعطهم المشركون الصلح حتى تهزمهم المسلمون في غزوتها بالرمي بالحجارة فاصطلحوا على ان يتوادعوا سنين
على ان يرجع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في تلك السنة فمن لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم من المشركين لم يقبله حتى ينقضي المدة ومن
لحق بالمشركين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يردوه على ان المسلمين اذا شاؤوا اعتمروا في العام القابل في هذا الشهر الذي صدهم
المشركون فيه على ان لا يحملوا ارضهم سلاحا فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وكتبوا كتاب القضية بين النبي
صلى الله عليه وسلم وبينهم فوجد رجال من المسلمين من ذلك الشرط وجدا شديدا فقالوا يا رسول الله من لحق بنا منهم لم تقبله ومن
لحق بهم منا نبذوه فقال صلى الله عليه وسلم اما من لحق بهم فابعده الله واما من اراد منهم فسيجعل الله له مخرجا وان يعلم الله
منه الصدق ينجيه منهم فلما فرغوا من كتاب القضية اقبل ابو جندل بن سهيل وهو يرسف في قيوده وكان ابوه قد
حبسه فقال هذا اول ما اقاضيك عليه ان ترده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحاحتي وقع بين ظهراني المسلمين وقال اني مسلم واني اعوذ بالله
ان ترجعوني الى الكفار فاراد رجال من المسلمين ان يمنعوه وناشدهم سهيل بن عمرو العهد والميثاق فقال صلى الله
عليه وسلم خلوا سبيله وعسى ان ينجيه الله منهم فانطلق به ابوه وكان نار الحديبية قد قل من كثرة من مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الناس فاتي بدلو من الماء فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمضمض ثم مجه في الدلو ثم امرهم ان يصبوه في
البئر فامتلأت البئر ماء حتى جعلوا يغرفون منه وهم جلوس على شفة البئر وكان هذا شأن الحديبية ولبث رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية شهرا ونصفا فوعدهم الله خيرا ان يفتحها لهم فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم
الى المدينة نزل قوله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا والفتح المبين ما كان من استعلاء المسلمين عليهم حتى سألوهم الموادعة
وسألوهم وقبلهم الصلح ايضا من الفتح المبين وظهور النبي صلى الله عليه وسلم على خيبر من الفتح وقد انجا الله ابا جندل بن سهيل من
ايديهم وخرج منهم واجتمع اليه قريش من سبعين رجلا كرهوا ان يعصروا مع المشركين وعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يقبلهم حتى ينقضي المدة فجعلوا يقطعون الطريق على المشركين فارسل المشركون الى النبي صلى الله عليه وسلم يناشدونه ان يضمهم
اليه وقالوا انت وصل ما احاربك عنا يا محمد فانهم ان يكونوا معك كان اهون علينا فلحقوا النبي صلى الله عليه وسلم وعن قتادة
قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت بفتح مكة ومعنى قوله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا يعني صلح الحديبية كان صلحا بغير
قتال قال الفراء والفتح يكون صلحا ومعنى الفتح في اللغة فتح المغلق والصلح الذي حصل مع المشركين بالحديبية كان مسدودا
حتى فتحه الله قال جابر ما كنا نعد فتح مكة الا يوم الحديبية وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين
اختلطوا بالمسلمين وسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم ويجوز ان يكون معنى الفتح الاكرام بالنبوة والاسلام والامر بالدعوة
الخلق اليهما وقيل معنى فتحنا لك اي قضينا لك بالنصر ومنه الفتاح وهو القاضي ومنه قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا اي
اقض بيننا وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بهذه الآية فتح مكة والمعنى ان الصلح لا يسمى فتحا على الاطلاق وقال الشعبي
نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت بيعة الرضوان واطعمهم الله نخل خيبر في منصرفه وظهرت الروم على فارس في ذلك الوقت والفتح في
اللغة هو الفرج المزيل للهم قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال ابن الانباري سألت ابا العباس
عن اللام في قوله ليغفر لك الله فقال هي لام كي معناها انا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح فلما انضم
الى المغفرة شيء حادث حسن معنى كي وقوله تعالى ما تقدم من ذنبك وما تأخر المراد بالذنب هنا الصغائر وانما الكبائر

وانما نبأ تعصمني من نسيانها ابدا لانهم لما سمعوا الوحي والرسالة وعن ابي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم حتى ترم
قدماه فقيل يا رسول الله اتصنع هذا وقد جاءك من الله ان قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا
شكورا قوله تعالى ويتم نعمته عليك أي بالنبوة والمغفرة والمعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية
الى صراط مستقيم وهو الاسلام قوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا أي ينصرك بالحجة والسيف على عدوك نصرا قويا
ذا منعة و قوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب قيل السكينة هي ما اسكن الله في قلوبهم من التعظيم لله
ولرسوله والوقار لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم و قوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم أي ليزدادوا تصديقا
الى تصديقهم السابق وذلك كلما نزلت آية من السماء فصدقوا بها ازدادوا تصديقا الى تصديقهم قوله تعالى ولله جنود
السموات والارض أي أهل السموات والارض يعني الملائكة والجن والانس والشياطين وكان الله عليما بمصالح
العباد حكيما فيما يأمرهم به وينهاهم عنه قال ابن عباس فلما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر قال الصحابة هنيئا لك يا رسول الله ما اعطاك الله فما لنا فانزل الله قوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما أي نجاة عظيمة من النار
وظفرا بالجنة قوله تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات معناه انا فتحنا لك ليدخل الله المؤمنين والمؤمنات جنات
تجري من تحتها الانهار وليعذب المنافقين من الرجال والمنافقات من النساء وهم الذين اظهروا الايمان باللسان واسروا الكفر
من اهل المدينة والمشركين والمشركات من اهل مكة الظانين بالله ظن السوء ومعنى ظنهم السوء انهم ظنوا ان محمدا صلى الله
عليه وسلم لا ينصر عليهم وانهم هم الذين ينصرهم الله على رسوله وذلك قبيح محرم في صفة الله و قوله تعالى عليهم دائرة
السوء أي العذاب والهلاك وغضب الله عليهم ولعنهم أي طردهم عن رحمته واعد لهم في الآخرة جهنم
وساءت مصيرا لمن صار اليها و قوله تعالى ولله جنود السموات والارض ليس على وجه التكرار لان الاول ذكر في اعانة
المؤمنين وهذا متصل بذكر المنافقين وبالانتقام منهم ومعنى ذلك ان في ملك الله جنود السموات والارض والله قادر على ان
ينصرهم لينتقم بهم من اعدائه من كل ما دب ودرج من ذلك حتى البعوضة والعقرب لان الله تعالى لو امر المسلمين لقاتلوا اهل
المشركين انما امرهم القتال ليعوضهم بذلك جزيل الثواب الذي لا ينال الا بالقتال ولذا هنا متصل بذكر الانتقام من المنافقين
قوله تعالى وكان الله عزيزا حكيما أي لم يزل منتقما بالنقمة من الكفار والمنافقين حكيما في امره وقضائه قوله
تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا معناه انا ارسلناك يا محمد شاهدا على امتك بتبليغ الرسالة وقيل شاهدا
على اقوالهم وافعالهم فانها تعرض عليك ومبشرا بالجنة للمطيعين ونذيرا أي ومخوفا بالنار لمن عصى الله تعالى قوله تعالى
لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه قرئ بالتاء في الاربعة على معنى قل لهم لتؤمنوا بالله ورسوله وقرئ بالياء
في الاربعة ايضا يعني من آمن به وصدقه قوله تعالى وتعزروه راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم أي تعينوه وتنصروه بالسيف
واللسان وقرأ محمد بن السميفع وتعززوه بزاءين و قوله تعالى وتوقروه أي تعظموه وتبجلوه وهنا وقف تام و قوله تعالى
وتسبحوه أي تسبحوا الله بكرة واصيلا أي تصلون له بالغداة والعشي وفي قراءة ابن عباس وتسبحوا الله بكرة واصيلا قوله
تعالى ان الذين يبايعونك يعني بيعة الرضوان بالحديبية وكانوا الذين بايعوا تحت الشجرة الفا واربعمائة رجل بايعوه على
النصر والنصح والسمع والطاعة وان لا يفروا من العدو ومعناه ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على ان لا يفروا انما يبايعون
ذات الله لكن اثبات المراد بذكر المراد به المقام لعبادة الله وقيل المراد به ذكر انهم باعوا الله انفسهم بالجنة و قوله تعالى
يد الله فوق ايديهم في الطاعة يعني احسان الله اليهم بان هداهم للايمان ابلغ واتم من احسانهم اليك بالنصرة والبيعة
ان كان معناه قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم في الوفاء بانهم لو وفوا انما صفقوا بالله تعالى اذ قال من صفق في ايديهم اليد هنا
هي القدرة قوله تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه أي فمن نقض عهد البيعة فضرر نقضه عائد عليه وليس له الجنة ولا كرامة
ومن وفى بما عاهد عليه الله من البيعة فلم ينقضها فسيؤتيه الله في الآخرة ثوابا عظيما في الجنة وروي انه كان
المنافقين لم يبايع احد منهم البيعة لانهم كانوا غير مخلصين ولذلك قال الله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة

ورضاه عليهم لسبب علمه بانهم كانوا مؤمنين على الحقيقة اولياء الله اهل البصيرة والذي لم يدخل معهم في البيعة الا جد
رجل من المنافقين يقال له جد بن قيس اختبأ تحت ابط بعيره ولم يدخل في بيعتهم فاماته الله على نفاقه
قوله تعالى سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا اخبر الله النبي صلى الله عليه وسلم اذا رجع
من الحديبية الى المدينة اتاه الاعراب الذين تخلفوا بغير عذر ولم يخرجوا معه وهم مزينة وجهينة واشجع وغفار
وقوم من الديل فيقولون له شغلتنا اموالنا واهلونا عن الخروج معك يا محمد أي شغلتنا النساء والذراري فلم يكن لنا
من يخلفنا فيهم قوله تعالى فاستغفر لنا أي استغفر لنا من التخلف عنك يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم أي
يسألون المغفرة بالسنتهم ما ليس في قلوبهم يعني انهم لا يبالون استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وقد كان النبي صلى الله
عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا
من قريش ان يحاربوه ويصدوه عن البيت واحرم عليه السلام بالعمرة وساق الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل
عنه كثير من الاعراب وقالوا انذهب معه الى قوم قد جاؤوه فقتلوا اصحابه فنقاتلهم فتخلفوا عنه واعتلوا بالشغل
فانزل الله تعالى سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا الآية قوله تعالى قل فمن يملك
لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا معناه من يمنعكم من عذاب الله ان اقمتم على الكفر والنفاق بل كان
الله بما تعملون خبيرا معناه بل كان الله عالما بتخلفكم عن القتال بغير عذر من اجل ذلك والكاذب من حلف منكم والصادق وهو
سوء الرد في الثاني يعني الصادر لانه قابله بالنفع واراد بالنفع الغنيمة وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله
عليه وسلم يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع بالسلامة في انفسهم واموالهم فاخبرهم الله انه ان اراد بهم شيئا لم يقدر احد على دفعه
عنهم قوله تعالى بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا اظهر الله نفاقهم وبين ان تخلفهم عنه
لم يكن بسبب اموالهم واهليهم ولكن كانوا يقولون فيما بينهم ان محمدا واصحابه عددهم في هذه الكرة ولا يرجعون الى
المدينة ابدا لتستأصلهم قوله تعالى وزين ذلك في قلوبكم أي زين الشيطان لكم ذلك الظن في قلوبكم وظننتم ظن
السوء أي ظننتم ان النبي واصحابه انهم لن يرجعوا الى اهليهم وانهم سيهلكون قوله تعالى وكنتم قوما بورا أي هلكى
فاسدين القلوب لا يصلحون لخير في الدارين الهلاك لزمانهم هذا ظاهر المعنى قوله تعالى سيقول المخلفون يعني هؤلاء المخلفين
سيقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان منعهم من ذلك بعد تخلفهم عن غزوة الحديبية فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم
من الحديبية وانطلق الى خيبر قال لهم المخلفون ذرونا نتبعكم قوله تعالى يريدون ان يبدلوا كلام
الله أي ان الله تعالى خص اهل الحديبية بمغانم خيبر وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان لا ياذن لاحد غيرهم ان يخرج معهم
لا يقطعون ليس لهم من الغنائم شيء فاراد المنافقون ان يشاركوهم فيها ليبطلوا حكم الله تعالى قوله تعالى كذلكم قال
الله من قبل يعني ان الله وعده عليه السلام ان لا يشركه فيها احد ومعنى قوله من قبل أي قال الله ذلك بالحديبية
قبل خيبر وقبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية فسيقولون بل تحسدوننا أي سيقولون للنبي صلى
الله عليه وسلم لم يأمركم الله بذلك ولكن تحسدوننا ان نشارككم في الغنيمة قوله تعالى بل كانوا لا يفقهون الا قليلا
أي لا يعلمون عن الله ما لهم وعليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من صدق الرسول ولم ينافق قوله تعالى قل للمخلفين من
الاعراب أي قل لهؤلاء المخلفين عن الحديبية ستدعون بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم الى قتال قوم اولي
بأس شديد أي اهل شجاعة وقوة قال الزهري هم اهل اليمامة بنو حنيفة اتباع مسيلمة قاتلهم ابو بكر رضي الله عنه
وقال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر رضي الله عنه الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال
ابن جريج ستدعون دعاكم عمر رضي الله عنه الى قتال فارس والروم تقاتلونهم او يسلمون معناه تقاتلونهم او يكون منهم
الاسلام فان تطيعوا ابا بكر وعمر يؤتكم الله اجرا حسنا في الجنة وان تتولوا عن طاعتهما كما توليتم عن طاعة محمد صلى
الله عليه وسلم في المسير الى الحديبية يعذبكم قوله تعالى عذابا اليما قرأ ابي او يسلموا بحذف النون أي حتى يسلموا
وكقول امرئ القيس او نموت فنعذرا وقراءة العامة باثبات النون في محل الرفع عطفا على تقاتلونهم قوله تعالى ليس

ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج أي ليس على هؤلاء إثم في تخلفهم عن القتال لعجزهم عنه
ومن يطع الله ورسوله [illegible] بملازمة الجهاد ومن يتولّ عن الجهاد مع قدرته عليه نعذبه عذاباً أليماً قوله
تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة يعني بيعة الرضوان بالحديبية وإنما سميت بيعة الرضوان لـ
هذه الآية وكان سبب هذه البيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار يريد مكة فلما بلغ الحديبية وقفت ناقته
فزجروها فلم تنزجر وبركت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا لها بعادة ولكن حبسها حابس الفيل ودعا عمر
رضي الله عنه ليرسله إلى أهل مكة فيأذنوا له أن يدخل مكة ويحل من عمرته وينحر هديه فقال عمر يا رسول
الله ما لي بها حميم وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني وإني أخاف قريشا على نفسي لما قد علمت من عداوتي إياها
ولكن أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان قال صدقت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان وأرسله
فجاء الشيطان وصاح في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل مكة قتلوا عثمان فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى الشجرة فاستند إليها وبايع الناس على قتال أهل مكة قال عبد الله بن مغفل كنت قائما على رأس رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم وبيدي غصن من الشجرة أذبه عنه وهو يبايع الناس وكان أول من بايع رجل من بني
أسد يقال له أبو سنان بن وهب واختلفوا في عدد أهل البيعة فقال قتادة كانوا خمس عشرة مائة وقال
ابن عباس كانوا ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقال جابر كانوا ألفا وأربعمائة قوله تعالى فعلم ما في قلوبهم أي
علم الله ما في قلوبهم من الصدق والوفاء والإخلاص والعزم على القتال فأنزل السكينة عليهم يعني الطمأنينة والصبر
والرضا حتى بايعوا على أن يقاتلوا ولا يفروا وأثابهم فتحا قريبا أي وأعطاهم فتح خيبر قوله تعالى ومغانم كثيرة
يأخذونها يعني ومغانم كثيرة يأخذونها من أموال اليهود وخيبر وكانت خيبر ذات عقار وأموال وكان الله
عزيزا حكيما أي غالبا حكيما في أمره حكم لهم بالغنيمة ولأهل خيبر بالسبي والهزيمة وعن أنس رضي الله عنه
قال كنت ردف أبي طلحة يوم أتينا خيبر فصبحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخذوا مساحيهم وفؤوسهم وغدوا
على حروثهم فلما رأونا ألقوا ما بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم
فساء صباح المنذرين وعن [illegible] قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر
بن الأكوع وكان شاعرا فقال له رجل من القوم ألا تسمعنا شيئا من هنيهاتك فنزل يحدو بالقوم ويقول
اللهم لولا أنت ما اهتدينا • ولا تصدقنا ولا صلينا • إن الذين هم بغوا علينا • ونحن عن فضلك ما استغنينا • فاغفر فداء لك
ما أبقينا • وثبت الأقدام إن لاقينا • وألقين سكينة علينا • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا السائق قالوا عامر بن الأكوع قال
قد غفر لك ربك يا عامر فقال رجل لو متعتنا به يا رسول الله وإنما قال ذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استغفر
لرجل قط إلا استشهد قال فلما قدمنا خيبر وتصاف القوم خرج يهودي فبرز إليه عامر بن الأكوع وهو يقول
قد علمت خيبر أني عامر • شاكي السلاح بطل مغامر • واختلفا ضربتين فوقع سيف اليهودي في ترس عامر ووقع سيف
عامر على ركبة نفسه وساقه فمات منها قال سلمة بن الأكوع فمررت على نفر من الصحابة وهم يقولون بطل عمل عامر
فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فأخبرته بذلك فقال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ثم دعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه وكان رمدا قد عصب عينيه بشقة برد قال سلمة بن الأكوع فجئت به أقوده
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك يا علي قال رمدت يا رسول الله قال ادن مني
فتفل في عينيه فبرئ من ساعته وما وجعهما بعد ذلك حتى مضى لسبيله ثم أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الراية فنهض بها وعليه حلة أرجوان حمراء فأتى مدينة خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر وحجر قد ثقبه
مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ويقول قد علمت خيبر أني مرحب • شاكي السلاح بطل مجرب • أطعن أحيانا
وحينا أضرب • إذا الحروب أقبلت تلهب • كان حماي لا يقرب • فبرز إليه علي رضي الله عنه وقال
أنا الذي سمتني أمي حيدره • كليث غابات شديد القسوره • أكيلكم بالسيف كيل السندره • واختلفا ضربتين فضربه

علي

علي بالسيف فقد الحجر والمغفر وفلق رأسه حتى وقع في الأضراس وكان الفتح على يديه ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر يرتجز
ويقول • قد علمت خيبر أني ياسر • شاكي السلاح بطل مغاور • إذا الليوث أقبلت تبادر • إن سلاحي فيه
موت حاضر • فخرج إليه الزبير بن العوام رضي الله عنه وهو يقول • قد علمت خيبر أني زبار • قرم لقوم
غير نكس فرار • ابن حماة المجد وابن الأخيار • ياسر لا يغررك جمع الكفار • فجمعهم مثل السراب الجار • فقالت أمه
صفية بنت عبد المطلب أيقتل ابني يا رسول الله قال بل ابنك يقتله إن شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير رضي الله عنه
ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون حصنا حصنا ويحوز الأموال فلما أمسى الناس أوقدوا نيرانا كثيرة
فقال صلى الله عليه وسلم على أي شيء توقدون قالوا على لحم الحمر الإنسية فقال صلى الله عليه وسلم أهريقوها واكسروا القدور
فقالوا أو نهريقها ونغسلها فقال أو ذاك ثم أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حيي بن أخطب
وبأخرى معها أتى بهما بلال رضي الله عنه فلما رأت المرأة التي مع صفية القتلى من اليهود صرخت وصكت وجهها
وحثت التراب على رأسها فقال صلى الله عليه وسلم اعزلوا عني هذه الشيطانة وأمر بصفية فأجلست خلفه وألقى عليها رداءه
فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطفاها لنفسه وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة
بن الربيع أن قمرا وقع في حجرها فقصت رؤياها على زوجها فلطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها وقال
تمنين ملك الحجاز محمدا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خضرة عينها سألها عن ذلك فأخبرته الخبر وأتي بزوجها كنانة
بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله إياه فجحد أن يكون يعلم مكانه فجاء رجل من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
إني قد رأيت كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة فقال صلى الله عليه وسلم لكنانة أرأيت إن وجدناه عندك أقتلك قال
نعم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقي فأبى أن يؤديه فأمر به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فضربت عنقه قوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها أي وعدكم الله في
المستقبل من الزمان غنائم كثيرة تأخذونها يعني تقاتلون مع النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده إلى يوم القيامة فعجل لكم هذه
يعني غنيمة خيبر وكف أيدي الناس عنكم أي منع أسدا وغطفان من قتالكم وكانوا حلفاء لأهل خيبر وذلك
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم
بالمدينة فكف الله أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم قوله تعالى ولتكون آية للمؤمنين أي ولتكون غنيمة خيبر دلالة
للمؤمنين على صدقك يا محمد حيث أخبرتهم أنهم يصيبونها في المستقبل ثم وجد المخبر على وفق الخبر قوله تعالى ويهديكم
صراطا مستقيما أي ويثبتكم على دين الإسلام ويرشدكم إلى الأدلة في الدين قوله تعالى وأخرى لم تقدروا عليها أي
وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها حتى يفتحها عليكم وقيل أحفظها لكم ومنعها
عن غيركم حتى تفتحوها واختلفوا فيها فقال ابن عباس والحسن ومقاتل هي فارس والروم وكانت العرب لا
تقدر على قتال فارس والروم وفتح مدائنها حتى قدروا عليها بالإسلام وقال قتادة هي مكة وقال عكرمة هي حنين وقوله
تعالى قد أحاط الله بها أي أحاطت قدرته بها وبأهلها وكان الله على كل شيء من فتح القرى والنصر وغير ذلك
قديرا قوله تعالى ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار يعني أسدا وغطفان الذين أرادوا نهب ذراري المسلمين لانهزموا
عنكم لأن الله ينصركم عليهم ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا قال ابن عباس من تولى غير الله خذله الله ولم ينصره قوله
تعالى سنة الله التي قد خلت من قبل أي كسنة الله التي قد مضت من قبل في نصر أوليائه وقهر أعدائه أي هذه سنتي وحكمي
في أهل طاعتي وأهل معصيتي أنصر أوليائي وأخذل أعدائي ولن تجد لسنة الله تبديلا قوله تعالى وهو الذي كف أيديهم
عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم أي إن هذه الآية تدل على أن الله تعالى منع أيدي أهل
مكة يوم الحديبية عن قتال المسلمين بالرعب ومنع أيدي المسلمين عن قتالهم بالنهي وقيل إن المؤمنين لم ينهوا عن قتالهم
ولكن لم يقدر الله ذلك للمؤمنين لأجل المؤمنين المستضعفين الذين كانوا بمكة وأذى المشركين كما قال تعالى ولولا رجال
مؤمنون ونساء مؤمنات وقوله تعالى من بعد أن أظفركم عليهم قال أنس وذلك أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا

على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم عند صلاة الفجر متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقهم فأنزل الله هذه الآية وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة
من بعد أن أظفركم عليهم وقال ابن عباس بعثت قريش أربعين رجلا أو خمسين رجلا منهم وأمروهم أن يطوفوا بعسكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا فأخذوا فأتي بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعفا عنهم وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل فأنزل الله هذه الآية
قوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله أي هم الذين كفروا
بمحمد والقرآن يعني كفار مكة وصدوكم عن المسجد الحرام أن تطوفوا به للعمرة وتحلوا من عمرتكم و قوله تعالى والهدي معكوفا
أي وصدوا الهدي ممنوعا أن يبلغ محله الذي صار إليه حل نحره وهو الحرم وكان النبي صلى الله عليه وسلم ساق في ذلك
العام سبعين بدنة إلى مكة والمعكوف في اللغة هو الممنوع عن الذهاب في جهته بالإقامة في مكانه يقال عكف على الأمر عكوفا
واعتكف في المسجد إذا أقام به ومعنى الآية هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام وصدوا الهدي وهي البدن التي
ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه وكانت سبعين بدنة معكوفا أي محبوسا أن يبلغ محله أي منحره وفي هذه
الآية دلالة على أن محل الهدي الحرم لأنه لو كان محله غير الحرم لما كانوا معكوفا عن بلوغ محله قوله تعالى ولولا رجال
مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم معناه ولولا أن تطؤوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات مقيمين بمكة
فتقتلوهم فتصيبكم منهم معرة أي عيب وشنعة في العرب بأنكم قتلتم أهل دينكم وقيل أراد بالمعرة الإثم والحرج
وجواب لولا محذوف تقديره لولا ذلك لأدخلكم على أهل مكة وسلطكم عليهم ولوطئتم رقاب المشركين بسيوفكم ولكن الله
منع ذلك كراهة وطء المؤمنين المستضعفين الذين كانوا بمكة والمؤمنات بالقتل لأنهم لو دخلوا مكة لم يتميز لهم المؤمنون
من الكفار فلم يأمنوا أن يقتلوا المؤمنين وقيل المراد بالمعرة لزوم الإثم والدية والكفارة إلا أن الصحيح ما ذكرناه من قول جماعة
من العلماء أن المسلمين إذا قصدوا حصنا من حصون الكفار ورموهم فأصابوا من في الحصن من أطفال الكفار وأسارى
المسلمين أنه لا إثم عليهم في ذلك ولا دية ولا كفارة ولقد حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف ورماهم بالمنجنيق
مع نهيه عن قتل النساء والولدان و قوله تعالى بغير علم موضعه التقديم تقديره لولا أن تطؤوهم بغير علم ليدخل
الله في رحمته من يشاء اللام متعلقة بمحذوف دل عليه معنى الكلام تقديره حال بينكم وبينهم ليدخل الله في رحمته من
يشاء يعني من أسلم من الكفار بعد الصلح ورحمة الله جنته قوله تعالى لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما
معناه لو تميز المؤمنون عن الكفار لعذبنا الكفار عذابا أليما يعني بالقتل والسبي بأيديكم قوله تعالى إذ جعل الذين كفروا
في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية قال مقاتل وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قام بالحديبية وبعث الهدي قال
كفار مكة قتل محمد أبناءنا وإخواننا ثم أتانا يدخل علينا في منازلنا فتحدث العرب أنهم قد دخلوا علينا على رغم أنفنا واللات
والعزى لا يدخل علينا فهذه الحمية حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
حتى لم يدخلوا وألزمهم كلمة التقوى وهي لا إله إلا الله الكلمة التي ينفى بها الشرك والحمية في اللغة هي الأنفة
التي تحمي الإنسان أن كانت قلوبهم حميت لمعصية الله تعالى فأنزل الله برد الله على قلب نبيه عليه السلام وعلى قلوب المؤمنين الطمأنينة
والسكون والوقار بالهيبة وألزمهم توحيد الله والإيمان برسوله قوله تعالى وكانوا أحق بها وأهلها أي كانوا
أحق بكلمة التوحيد من كفار مكة وكانوا أهلها في علم الله تعالى ليستحقوا بها في الدنيا وكان الله بكل شيء عليما عن
عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه
إلا حرم على النار فقال عمر رضي الله عنه أنا أحدثكم بها هي كلمة الإخلاص التي ألزمها الله محمدا وأصحابه وهي كلمة التقوى
وقال عطاء الخراساني هي لا إله إلا الله محمد رسول الله وعن علي رضي الله عنه أنه سئل عن كلمة التقوى فقال
هي لا إله إلا الله والله أكبر وهو قول ابن عمر وقال عطاء بن أبي رباح هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير زيادة الحمية التي جعلها الكفار في قلوبهم هي ما روي أن المشركين لما سألوا النبي صلى

الله عليه وسلم أن يكتب لهم كتاب الصلح قال لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال المشركون
أما الرحمن فلا ندري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم فقال المسلمون والله ما نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال
صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل بن عمرو والله لو كنا نعلم أنك رسول
الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب باسمك واسم أبيك فقال صلى الله عليه وسلم والله إني لرسول الله وإن كذبتموني
وقال لعلي امح رسول الله فقال علي لا أمحوك يا رسول الله فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله
سهيل بن عمرو وعلى وضع الحرب عن الناس يكف بعضهم عن بعض على أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجا أو معتمرا أو يبتغي من فضل
الله فهو آمن على دمه وماله ومن قدم المدينة من قريش مجتازا إلى مصر أو الشام فهو آمن على دمه وماله فهذه الحمية التي
في قلوبهم يعني الأنفة من الاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم ومن قوله محمد رسول الله قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا
بالحق وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام وهو بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية كأنه هو وأصحابه حلقوا
وقصروا فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوا مكة عامهم ذلك وقالوا إن رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق
فلما رجع هو وأصحابه من الحديبية لم يدخلوا مكة قال المنافقون والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام فأنزل
الله هذه الآية وأخبر أنه أرى رسوله الصدق في منامه وأنهم يدخلونه قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام يعني العام
المقبل إن شاء الله قال أبو عبيدة إن بمعنى إذ يعني إذ شاء الله حيث أرى رسوله ذلك في المنام وقال أهل المعاني استثنى
الله فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون وقيل معناه بمشيئة الله وقال بعضهم هذا اللفظ حكاية الرؤيا التي رآها النبي صلى الله
عليه وسلم وذلك أنه رأى في المنام أن ملكا ينادي لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين وقيل إنما قال ذلك تأديبا للعباد
ليدخلوا كلمة الاستثناء فيما يخبرون عنه في المستقبل في نفي أو إثبات قوله تعالى آمنين أي آمنين من العدو وقوله
محلقين رؤوسكم ومقصرين فيه بيان أنهم يدخلون مكة إلى أن يبلغوا آخر النسك لا يخافون أحدا بخلاف عام الحديبية
وفيه دليل أن الحلق والتقصير قربة في الإحرام من حيث أن الإحلال يقع بهما وفيه دليل على أن المحرم بالخيار عند التحلل
من الإحرام إن شاء حلق وإن شاء قصر وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة قوله تعالى
لا تخافون فعلم ما لم تعلموا أي لا تخافون من المشركين فعلم الله ما في تأخير الدخول عام الحديبية من الخير والصلاح
ما لم تعلموا أنتم فجعل من دون ذلك أي من قبل الدخول فتحا قريبا يعني فتح خيبر قوله تعالى هو الذي أرسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله أي أرسل رسوله بالطريق المؤدي إلى الجنة ودين الإسلام ليظهر
دين الإسلام على الأديان كلها بالحجة والغلبة وكفى بالله شهيدا على نبوة رسوله إذ لم تشهد سهيل وأمثاله
محمد رسول الله هذا مبتدأ وخبر قوله تعالى والذين آمنوا معه أشداء على الكفار معناه والذين معه من المؤمنين أشداء
على الكفار غلاظ عليهم والأشداء جمع الشديد وهو القوي في دين الله القوي على أعداء الله كانوا لا يعاملون الكفار بالعفو
والعفو بل أظهروا لهم العداوة في الدين وكانوا على الكفار كالأسد على فريسته قوله تعالى رحماء بينهم أي متوادون
فيما بينهم متعاطفون على أنهم كانوا بعضهم لبعض كالولد للوالد والعبد للسيد و قوله تعالى تراهم ركعا سجدا أي راكعين
ساجدين يكثرون الصلاة لله تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا يعني الجنة ورضى الله تعالى سيماهم في
وجوههم من أثر السجود أي علامة التهجد ظاهرة على وجوههم من كثرة سجودهم بالليل والمعنى يتبين في وجوههم أثر السهر قال
الشيء إذا سهر الرجل أصبح مصفرا وقال عطاء مواضع السجود أشد وجوههم بياضا يوم القيامة وقال مجاهد يعني أثر الخشوع
والتواضع والسمت الحسن وقال عكرمة هو التراب على الجباه لأنهم يسجدون على التراب لا على الثياب وقال الحسن في وصفهم إذا رأيتهم
حسبتهم مرضى وما بالقوم من مرض وتقول لعلهم خولطوا أي غشي لهم والله لقد خالطهم أمر عظيم يريد بذلك ما في قلوبهم من خوف
الآخرة وقال بعضهم معنى قوله سيماهم في وجوههم من أثر السجود هو نور يجعله الله في وجوههم يوم القيامة يعرفون بتلك العلامة
أنهم سجدوا في الدنيا قال الله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وقال صلى الله عليه وسلم تحشر أمتي يوم القيامة غرا محجلين من
آثار الوضوء وقال منصور سألت مجاهدا عن قوله سيماهم في وجوههم من أثر السجود قال ليس هو الأثر الذي يكون في وجه الرجل

مثله كمثل الزرع فقد يكون ذلك برجل هو اقسى قلبا من الحجارة ولكن هو يؤثر في وجوههم من الخشوع وقال ابن جريج هو
الوقار وقال سمرة هو البهاء وقال عطية يصلون بالليل فاذا اصبحوا عرف اثر ذلك في وجوههم بيانه قوله صلى الله
عليه وسلم من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وروي في بعض المختارات ان الله تعالى يقول يوم القيمة يا نار
انجي بالنار احرقي موضع السجود ثم قال تعالى ذلك مثلهم في التوراة اي ذلك الذي ذكرت في القرآن من صفتهم هو
ما وصفوا به في التوراة ايضا ثم ذكر الله صفتهم في الانجيل فقال الله تعالى ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه
اي فراخه وقال ابن زيد اولاده والشطأ افراخ الزرع يقال اشطأ الزرع فهو مشطئ اذا افرخ من جوانبه وقال الفراء
اشطأ الزرع اذا اخرج سبعا او ثمانيا او عشرا وهذا مثل ضربه الله لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني انهم يكونون قليلا
ثم يزدادون ويكثرون ويقوون وقال قتادة مكتوب في الانجيل انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر قرأة العامة شطأه باسكان الطاء وقرأ بعض اهل مكة والشام بفتحها وقرأ يحيى بن وثاب شطاءه
مثل عصاه وقرأ الجحدري شطه بلا همز وكلها لغات قوله تعالى فآزره اي اعانه الشطأ وقواه وهو ماخوذ من الشطأ
تماله تسع وعشر قوله تعالى فاستغلظ اي غلظ ذلك الزرع وقوي فاستوى على سوقه اي قام على قصبه واصوله
الصغار والكبار حتى استوى بعضه مع بعض وصار الفرخ مثل الام والسوق جمع ساق وهو قصبة الزرع وساق الشجر
حاملة الشجر ويجوز ان يكون المراد بالساق الكعب كلما ازداد الزرع كثيفا ازداد قوة قوله تعالى يعجب الزراع اي
يصير بحال يعجب الزراع وهذا مثل ضربه الله لمحمد واصحابه فالزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطأ اصحابه والمؤمنون
حوله وكانوا في ضعف وقلة كما كان اول الزرع دقيقا ثم غلظ وقوي وتلاحق كذلك المؤمنون قوى بعضهم بعضا حتى استغلظوا
واستووا على امرهم ليغيظ بهم الكفار اي انما كثرهم وقواهم ليكونوا غيظا للكافرين قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما قال الزجاج منهم للجنس ليس يريد بعضهم لانهم كلهم مؤمنون والاجر العظيم
الجنة

سورة الحجرات ثمانية عشرة اية مكية

وهي الف واربعمائة وستة وسبعون حرفا وثلثمائة واربعون كلمة وثماني عشرة اية قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اطاع الله ومن عصاه

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله اي لا تقطعوا امرا دون الله ورسوله ولا تعجلوا به وعن عائشة
رضي الله عنها في قوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قالت لا تصوموا قبل ان يصوم نبيكم عليه السلام واتقوا الله في
تضييع حقه ومخالفة امره ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم وقال جابر في قوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
في النهي عن الذبح يوم الاضحى قبل الصلوة وقالت عائشة نزلت في النهي عن صوم يوم الشك وعن مسروق قال دخلت على عائشة
في يوم الشك فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت اني صائم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وعن الحسن البصري قال نزلت هذه الاية في الذبح يوم الاضحى كان قوم يذبحون قبل النبي صلى
الله عليه وسلم وذلك ان ناسا من المسلمين ذبحوا قبل صلوة النبي صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يعيدوا الذبح وعن ابن عباس قال نزلت
هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطا من اصحابه وهم سبعة وعشرون رجلا الى بئر معونة وامر عليهم
المنذر بن عمرو وامرهم ان يسيروا الى بني عامر بن صعصعة وان يمروا على بني سليم وهم من عهد للنبي صلى الله عليه وسلم فساروا
حتى اتوا بني سليم فاتوا عندهم فلما كان عند الرحيل اضل رجلان من المسلمين بعيرا لهم فاستأذنوا المنذر ان يتخلفوا عنه حتى
يطلبوه فاذن لهم فسار المنذر بمن معه وكانت بنو سليم ذهبت الى بني عامر فخبروا باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاستعدوا القتال
واجتمعوا لهم فساروا الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر معونة فاقتتلوا فقتلوا الا ثلاثة وقتل المنذر واصحابه وقتل احد الاربعة
ورجعت الثلثة الى المدينة فلقوا رجلين خارجين من المدينة فقالوا من انتما قالا من بني عامر فقالوا انهما من عدونا فقتلوهما
واخذ اسلابهما وجاؤا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا له القصة فقال لهما عليه السلام بئسما فعلتما انهما

من اهل بيتنا في بني سليم وهذا الذي معكم من سلبهما من كسوتي وجاء المسلمون يطلبون القود فقال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم ان صاحبكم اعتزيا الى عدونا ولا قود عليهما ولكنا نودي اليكم الدية فامر عليه السلام ان تنقد ديتهما
الى اهل بيتهما فانزل الله هذه الاية والمعنى لا تقدموا انتم قولا ولا فعلا حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يامركم
في ذلك وقيل ان ناسا كانوا يقولون لو انزل الله في كذا او نهى عن كذا فقال لا تقدموا بين يدي الله ورسوله فان الله عالم
بصلاح خلقه وقرئ لا تقدموا بفتح الدال والتاء ويجوز ان يكون معناهما واحدا يقال قدمت في كذا وتقدمت
فيه كما يقال عجلت في الامر وتعجلت فيه بمعنى واحد ويجوز ان يكون بمعنى الضم لا تقدموا ولا تعجلوا ولا تفعلوا ما امركم
في الامور قبل ان يامركم الله ورسوله به ومعنى قراءة الفتح لا تتقدموا امامه ولا تفعلوا بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يامركم
به وقيل انها نزلت في قوم كانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فاذا سئل الرسول عن شيء خاضوا فيه وتقدموا
بالفتوى والقول فنهوا عن ذلك وزجروا من ان يقول احد في شيء من دين الله قبل ان يقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل معنى الاية لا تمشوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك بين يدي العلماء فانهم ورثة الانبياء
ودليل هذا التاويل ما روي عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال رأني رسول الله صلى الله عليه وسلم امشي امام ابي بكر
رضي الله عنه فقال تمشي امام من هو خير منك في الدنيا والاخرة ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين
والمرسلين خير من ابي بكر قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض وروي ان رهطا من بني تميم قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم منهم الاقرع بن حابس وعطارد بن حاجب
والحرث بن عمرو وغيرهم فقاموا على باب المسجد فنادى بعضهم الاقرع بن حابس يا محمد ائذن لي في الكلام فوالله ان حمدي
لزين وذمي لشين فقال صلى الله عليه وسلم كذبت ذلكم الله تعالى ثم اذن لهم فدخلوا فقالوا يا محمد ائذن لخطيبنا فقال
صلى الله عليه وسلم ادعوا الى ثابت بن قيس بن شماس فدعي به فقال صلى الله عليه وسلم تكلم صاحبكم فتكلم فقال عليه السلام اجبه
يا ثابت فلما اجابه فقال الاقرع ائذن لشاعرنا يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم ادعوا الى الفارعة يعني حسان فلما جاء حسان
قال صلى الله عليه وسلم تكلم شاعركم فلما تكلم قال صلى الله عليه وسلم اجبه يا حسان فاجابه فقال عطارد للاقرع والله ان
محمدا لموتى له اي اعطي كل شيء وان خطيبه اخطب من خطيبنا وشاعره اشعر من شاعرنا وعلت الاصوات وكثر اللغط
وكان اشدهم صوتا واعلاهم ثابت بن قيس وكان به صمم لا يكاد يسمع الا ان يصاح به فيجيب مثله فانزل الله هذه الاية
ونهوا ان يرفعوا اصواتهم على صوت النبي صلى الله عليه وسلم توقيرا له لان رفع الصوت على الانسان يوهم استخفافا به في ظاهر
الحال وعن جابر بن عبد الله قال لما جاءت تميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادوا على الباب اخرج الينا يا محمد فان مدحنا
زين وذمنا شين قال فخرج اليهم وقال انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين قالوا نحن اناس من تميم جئنا
بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك فقال صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخار امرت ولكن هاتوا فقال
لشاب من شبانهم قم يا فلان فاذكر فضلك وفضل قومك فقال الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه واتانا اموالا نفعل
فيها ما نشاء فنحن من خير اهل الارض واكثرهم عدة ومالا وسلاحا فمن انكر علينا قولنا فليأت بقول هو احسن من قولنا
وفعال هي خير من فعالنا فقال صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فقام
فقال الحمد لله احمده واستعينه واومن به واتوكل عليه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا
عبده ورسوله دعى المهاجرين من بني عمه احسن الناس وجوها واعظمهم احلاما فاجابوه والحمد لله الذي جعلنا انصاره
ووزراء رسوله وعزا لدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فمن قالها منع منا ماله
ونفسه ومن اباها قتلناه وكان قتله في الله علينا هينا اقول قولي واستغفر الله العظيم للمؤمنين والمؤمنات فقالوا للشاب
منهم قم يا فلان فقل ابياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقام الشاب وقال

نحن الكرام فلا حي يعادلنا * فينا الرؤس وفينا يقسم الربع
ويطعم الناس عند القحط كلهم * لحم السديف اذا لم يونس القزع
انا ابينا ولا يابى لنا احد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

فقال صلى الله عليه وسلم اجبه يا حسان فقال

ان الذوائب من فهر واخوتهم • قد بينوا سنة للناس تتبع • يرضى بها كل من كانت سريرته • تقوى الاله وكل الخير يصطنع

ثم قال حسان ايضا • نصرنا رسول الله والدين عنوة • على رغم عات من معيد وحاضر •
بضرب كافواه المخاض مشاشه • وطعن كافواه اللقاح الصوادر • وسل احدا يوم استقلت جموعهم • بضرب لنا مثل الليوث الخوادر •
ألسنا نخوض الموت في حومة الوغا • اذا طاب ورد الموت بين العساكر • ونضرب هام الدارعين وننتمي • الى حسب من جذم غسان قاهر •
فلولا حياء الله قلنا تكرما • على الناس بالخيفين هل من منافر • فاحياؤنا من خير من وطئ الحصا • واملاتنا من خير اهل المقابر •

فقال الاقرع بن حابس والله لقد جئت لامر ما جاء له هؤلاء واني قد قلت شعرا فاسمعه فقال هات فقال • اتيناك كيما يعلم الناس فضلنا
اذا خالفونا عند ذكر المكارم • وانا رؤس الناس في كل معشر • وان ليس في ارض الحجاز كدارم • وان لنا المرباع في كل غارة
تكون بنجد او بارض التهائم • فقال صلى الله عليه وسلم اجبه يا حسان فقال • بني دارم لا تفخروا ان فخركم
يعود وبالا عند ذكر المكارم • هبلتم علينا تفخرون وانتم لنا خول ما بين ظئر وخادم • فقال صلى الله عليه وسلم لقد كنت غنيا يا
اخا بني دارم ان تذكر منك ما قد ظننت ان الناس قد نسوه فكان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد عليه من قول
حسان ثم رجع حسان الى شعره فقال • وافضل ما نلتم من المجد والعلا • ردافتنا من بعد ذكر المكارم •
فان كنتم جئتم لحقن دمائكم • واموالكم ان تقسموا في المقاسم • فلا تجعلوا لله ندا واسلموا • ولا تفخروا عند النبي بدارم •
والا ورب البيت مالت اكفنا • على هامكم بالمرهفات الصوارم • قال فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا لمؤتى
له والله ما ادري ما هذا الامر تكلم خطيبنا فكان خطيبهم احسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم احسن شعرا ثم دنا من
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا
ثم اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وكان قد تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم وكان قيس بن عاصم يبغضه لحداثة
سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما اعطى القوم فازدرى به قيس بن عاصم وقال فيه ابياتا شعرا وارتفعت
الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما نزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا
تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون قال ابو بكر رضي الله عنه والله لا ارفع
صوتي الا على صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الزبير رضي الله عنه انه قال ما حدث عمر رضي الله عنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فيسمع كلامه حتى يستفهمه من شدة خفض صوته وكان ثابت بن قيس في اذنيه صمم وكان
جهوري الصوت وكان اذا تكلم انما يجهر بصوته فربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته فلما نزل
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
أن تحبط اعمالكم اي لئلا تحبط اعمالكم يعني تبطل حسناتكم جعل ثابت يبكي على قارعة الطريق فمر به عاصم بن عدي فقال
ما يبكيك يا ثابت فقال اخاف ان تكون هذه الاية نزلت في فاخاف ان تحبط عملي وان اكون من اهل النار فمضى عاصم
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك فقال اذهب فادعه لي فدعاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما
يبكيك يا ثابت قال انا صيت يا رسول الله واخاف ان تكون هذه الاية نزلت في فقال صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش
حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة قال رضيت يا رسول الله والله لا ارفع صوتي بعدها ابدا على صوت رسول
الله فانزل الله تعالى فيه وفي ابي بكر وعمر وامثالهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى أي اخلصها واصطفاها وطهرها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصا وقال ابن عباس معناه
الذين اخلص الله قلوبهم بالتقوى وقيل اذهب الشهوات منها قال الزجاج امتحنهم الله فتبين بينه ان تقوا اصواتهم
عنده ويخاطبوه بالسكينة والوقار لئلا تحبط اعمالهم وهم لا يشعرون [illegible] فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة
قاتل ثابت بن قيس [illegible] واستشهد ثابت وعليه درع وقوله تعالى يغضون
اصواتهم الغض النقص من كل شيء قال الله تعالى واغضض من صوتك وقوله تعالى امتحن الله قلوبهم أي اخلصها

للتقوى

للتقوى قوله تعالى لهم مغفرة واجر عظيم اي في الجنة قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرهم لا يعقلون وذلك ان قوما من بني العنبر وهم حي من بني تميم بعث النبي صلى الله عليه وسلم اليهم سرية
وامر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فهربوا فسبى ذراريهم ونساءهم وجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجالهم
ليفادوا ذراريهم فدخلوا المدينة عند القيلولة ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائم فلما راتهم الذراري اجهشوا اليهم يبكون وعجلوا
قبل ان يخرج اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا وكان صلى الله عليه وسلم حينئذ نائما فأيقظوه
باصواتهم وقيل معناه اي حجرة هو فجعلوا يطوفون على جميع الحجرات وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة
وسبب نزولها على جميع الحجرات وهم ينادونه اخرج الينا وقوله تعالى اكثرهم لا يعقلون وصفهم الله بالجهل وقلة العقل
وقلة الصبر قوله تعالى ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم يعني انهم لو صبروا حتى تخرج اليهم
للصلاة لخليت سبيلهم بغير فداء فلما نادوه واطلقوا اعتق نصف ذراريهم وفادى نصفهم يقول الله تعالى لو صبروا
لكنت تعتقهم والله غفور رحيم لمن تاب منهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما اتصل
خبره بهم وسمعوا به اجتمعوا وخرجوا ليتلقوه فرق منهم وكر راجعا الى المدينة وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انهم قد منعوا الزكاة وارتدوا عن الاسلام وقصدوا قتلي فبعث اليهم النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في خيل وقال
له اخف عليهم قدومك فان رايت ما يدل على الاسلام من الاذان للصلوة والتهجد فامسك عن محاربتهم وطالبهم بصدقاتهم
فلما سار اليهم خالد لم يسمع فيهم الاذان والتهجد فلم يزل عنهم الى ان دخل عليهم على وجه العتاب وقالوا قد استبطأنا
رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدقات وسلموها اليه فانزل الله هذه الاية وسمى الوليد فاسقا لكذبه الذي وقع
به الاعراض والفاسق الخارج عن طاعة الله بارتكاب كبيرة من الذنوب وقيل الفاسق الذي لا يستحيي من الله وقيل هو الكذاب
المعلن بالكذب والنبأ الخبر عن ما يعظم شانه فيما يعمل عليه وقوله تعالى فتبينوا قد ذكرنا القراءتين فيه في سورة النساء قوله
تعالى ان تصيبوا قوما بجهالة اي لئلا تصيبوا قوما وهم مسلمون فتصبحوا على ما فعلتم نادمين قوله تعالى واعلموا ان
فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم معناه واعلموا ان فيكم رسول الله معظم فلو يجيبكم في كثير مما تسألونه
لوقعتم في العنت وهو الاثم والمشقة وقيل معناه اتقوا الله ان تكذبوا رسول الله وتقولوا باطلا فان الله يخبره فتفتضحوا
وقوله لو يطيعكم الرسول في كثير مما تخبرونه فيه بالباطل لعنتم اي لوقعتم في العنت وهو الاثم والهلاك ثم خاطب
المؤمنين الذين لا يكذبون فقال ولكن الله حبب اليكم الايمان اي جعله احب الاديان اليكم وزينه في قلوبكم
حتى اخترتموه وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اي بغض هذه الاشياء اليكم فالكفر ظاهر المعنى والفسوق الكذب
والخروج عن امر الله والعصيان جميع معاصي الله ثم عاد الى الخبر عنهم فقال اولئك هم الراشدون اي المهتدون
الى محاسن الامور ثم بين ان جميع ذلك تفضلا من الله فقال فضلا من الله ونعمة اي تفضلا من الله عليهم ورحمة
والله عليم بما في قلوبهم حكيم فيما يفعله قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما نزلت في الاوس
والخزرج بسبب القتال الذي جرى بين عبد الله بن ابي راس المنافقين وعبد الله بن رواحة لما اشتبها حتى ضرب هؤلاء وهؤلاء
فاقتتلوا بالنعال والايدي والحجارة ولم يكن بين الطائفتين سيف وسبب اختصامهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف
ذات يوم على مجلس من مجالس الانصار وهو على حمار فبال الحمار وهي ارض سبخة فامسك عبد الله بن ابي بانفه وقال
اليك عني فوالله لقد اذى نتن حمارك فقال عبد الله بن رواحة والله ان حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك
فغضب لعبد الله بن ابي رجل من قومه وغضب لعبد الله بن رواحة رجل من قومه فاستبوا وتحامل اصحاب كل واحد منهما
على اصحاب الاخر فكان بينهم الضرب بالايدي والجريد والنعال فانزل الله هذه الاية فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا
وكف بعضهم عن بعض وقيل [illegible] النعمان بن بشير [illegible] على سفينة [illegible] فقال عبد الله بن ابي [illegible]
[illegible] قالوا نعم والذي احلف به لو خشيت [illegible] قوله تعالى فاصلحوا بينهما اي بالدعاء الى

حكم الله والرضا بما في كتاب الله لهما وعليهما فإن بغت إحداهما على الأخرى أي طلبت ما ليس لها ولم ترجع إلى الصلح فقاتلوا
التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله أي حتى ترجع عن البغي إلى كتاب الله والصلح الذي أمر الله به والبغي هو الاستطالة والعدول عن
الحق وهو ما عليه جماعة المسلمين والطائفة الباغية هي التي تطلب ما ليس لها انتظاره قوله تعالى فإن بغت إحداهما
على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله أي حتى ترجع إلى طاعة الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل
أي فاعدلوا في الإصلاح بينهما وفي كل حكم إن الله يحب المقسطين أي يحب الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا
والإقساط في اللغة العدل يقال أقسط الرجل إذا عدل وقسط إذا جار ومنه قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم
حطبا وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ابن أم عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة قال
الله ورسوله أعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل أسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها قوله تعالى إنما المؤمنون
إخوة يعني في الدين والولاية فأصلحوا بين أخويكم يعني بين كل مسلمين تخاصما وتقاتلا وقرأ ابن سيرين بين
إخوتكم بالجمع وقرأ الحسن بين إخوانكم بالألف لعدد الزائد قوله تعالى واتقوا الله أي أطيعوه ولا تخالفوا أمره لعلكم
ترحمون وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يعيبه ولا يخذله
ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح إلا بإذنه ولا يؤذيه بقتار قدره إلا أن يغرف له منه ولا يشتري لبنيه الفاكهة
فيخرجون بها إلى أولاد جاره إلا أن يطعمهم منها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا
خيرا منهم أي لا يستهزئ الرجل من أخيه مثل الفقير وذي المعيشة لسوء الحسب وأشباه ذلك مما ينقصه به ولعله خير
عند الله وقيل معناه لا يعير قوم قوما لعل المسخور منهم أفضل عند الله من الساخرين ولا تعير نساء نساء لعل المسخور منهن أفضل
من الساخرات وقيل معناه لا يسخر غني من فقير لفقره قوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم أي لا تعيبوا إخوانكم الذين هم كأنفسكم
ولا تنابزوا بالألقاب أي لا يدع بعضكم بعضا باللقب الذي يكرهه صاحبه لأن عليه أن يخاطب أخاه بأحب الأسماء إليه
وقال قتادة معناه لا تقل لأخيك المسلم يا فاسق ويا منافق ولا تقل لليهودي بعد أن آمن يا يهودي وذلك معنى قوله تعالى
بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان قال عطاء هو كل شيء أخرجت به أخاك كقولك له يا كلب يا خنزير يا حمار قوله تعالى ومن
لم يتب فأولئك هم الظالمون أي ومن لم يتب من التنابز فأولئك هم الظالمون قال أنس نزل قوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم في نساء
رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر وقيل نزلت في عائشة أشارت بيدها إلى أم سلمة أي إنها قصيرة وروى
عكرمة عن ابن عباس أن صفية بنت حيي بن أخطب أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية
بنت يهوديين فقال صلى الله عليه وسلم هلا قلت إن أبي هارون وعمي موسى وإن زوجي محمد فأنزل الله هذه الآية ولا تلمزوا أنفسكم
أي لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم وقيل اللمز العيب في المشهد والهمز في المغيب وقال مجاهد اللمز يكون باللسان والعين
والإشارة والهمز لا يكون إلا باللسان قال الشاعر • إذا لقيتك عن شحط تكاشرني • وإن تغيبت كنت الهامز اللمزه • قوله
تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا
غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما إلى المنزل فيهيئ لهما طعامهما وشرابهما فيصيب من طعامهما فضم سلمان
إلى رجلين من أصحابه في بعض أسفاره فتقدم سلمان عنهما فاتفق ذات يوم أنه لم يعد لهما شيئا فغلبته عيناه فنام فلما قدما
قالا له ما صنعت شيئا قال لا قالا ولم قال غلبتني عيناي فقالا انطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم واطلب لنا منه طعاما وإداما
وقيل إنهما قالا له انطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم واسأله لنا فضل إدام إن كان عنده فسأل فقال عليه السلام انطلق إلى
الخازن وليعطك إن كان عنده وكان الخازن يومئذ أسامة بن زيد فانطلق إليه فلم يجد عنده شيئا فرجع إليهما فأخبرهما
فقالا لا بل كان عنده ولكن بخل بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخل علينا وقالا لسلمان لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها
ثم انطلقا يتجسسان هل كان عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإدام فلما جاءا إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لهما ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالا يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما فقال ظللتما تأكلان
لحم سلمان وأسامة فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم • ولا تجسسوا

والظن

والظن الذي هو إثم أن تعرض بقلب الإنسان في أخيه ما يوجب التهمة فيحققه من غير سبب يوجبه كما روي في الخبر إياكم
والظن فإن الظن أكذب الحديث قوله تعالى ولا تجسسوا التجسس البحث عن عيب أخيه الذي ستره الله عليه ومعنى
الآية خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله ولا تتبعوا عورات الناس وقال صلى الله عليه وسلم لا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا
ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا روي أن رجلا جاء إلى عمر بن الخطاب فقال له إن فلانا يواظب على شرب الخمر فقال له
إذا علمته يشرب فأعلمني فأعلمه فذهب معه حتى انتهى إلى داره فدخل عليه وقال أنت تشرب الخمر فقال والذي تجسس عن
عورات المسلمين فقال عمر تبت أن لا أعود فقال الرجل وأنا تبت أن لا أعود وروى زيد بن أسلم أن عمر رضي الله عنه خرج ذات
ليلة ومعه عبد الرحمن بن عوف يمشيان إذ شبت لهما نار فأتيا الباب فاستأذنا ففتح لهما فدخلا فإذا رجل وامرأة تغني
وعلى يد الرجل قدح فقال عمر للرجل وأنت بهذا يا فلان فقال وأنت بهذا يا أمير المؤمنين قال عمر فمن هذه منك قال امرأتي
قال وما في القدح قال ماء زلال فقال للمرأة وما الذي تغنين فقالت أقول • تطاول هذا الليل واسود جانبه •
وأرقني أن لا حبيب ألاعبه • فوالله لولا خشية الله والتقى • لزعزع من هذا السرير جوانبه • ولكن عقلي والحياء يكفني •
وأكرم بعلي أن تنال مراكبه • ثم قال الرجل يا أمير المؤمنين ما بهذا أمرنا الله قال ولا تجسسوا قال صدقت وانصرف قوله تعالى ولا
يغتب بعضكم بعضا أي لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه فإن تناوله بما ليس فيه فهو بهتان وسئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر من الرجل ما يكره إذا سمعه فقيل يا رسول الله وإن كان حقا فقال إن كان
حقا وأما إن كان باطلا فهو البهتان وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد
من الزنا قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال إن الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر
له صاحبه وقال صلى الله عليه وسلم إذا اغتاب أحدكم أخاه فليستغفر له فإن ذلك كفارة له وعن ابن عمر أن ماعزا الأسلمي جاء إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني زنيت فأعرض عنه حتى أقر أربع مرات فأمر برجمه فمر النبي صلى الله عليه وسلم على رجلين
يقول أحدهما للآخر انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب فسكت عنهما حتى مر بجيفة
حمار فقال صلى الله عليه وسلم أين فلان وفلان فقالا ها نحن يا رسول الله قال كلا من هذه الجيفة فما أصبتما من لحم أخيكما أعظم عليكما
أما إنه الآن في أنهار الجنة ينغمس فيها وقال صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم
وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وقال رجل لابن سيرين إني قد
اغتبتك فاجعلني في حل فقال إني أكره أن أحل ما حرم الله والغيبة في اللغة هي ذكر العيب بظهر الغيب فإذا ذكر عيب الفاسق
ليحذر على نفسه مخافة أن يرجع إلى قبائح أعماله على وجه التحقير له فليس بغيبة كما ورد في الحديث اذكروا الفاجر بما فيه كي
يحذره الناس وكان الحسن يقول في صفة الحجاج كان أخيفش أعمش يخرج البنان قصيرا والله ما عرق فيها عنان
في سبيل الله يرجل جمته ويخطر في مشيته ويصعد المنبر فيهدر حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي
فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون لا يقول له قائل الصلاة أيها الرجل ثم جعل الحسن يقول هيهات والله
حال دون ذلك السيف والسوط قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه أي كما كرهتم
أكل اللحم الميت طبعا فاكرهوا غيبة الحي عقلا لأن العقل أحق أن يتبع من الطبع وجه تشبيه الغيبة بأكل لحمه
ميتا أن الاغتياب ذكر مساوئ من غاب عنك وهو بمنزلة الميت فهو بمنزلة الأكل من لحمه وهو ميت لا يحس بذلك وعن ابن عباس
أنه دخل الكعبة فقال ما أطيبك وأطيب ريحك وأعظم حرمتك وحرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمتك إن الله حرم منك واحدة
وحرم من المؤمن دمه وعرضه وماله وأن يظن به ظن السوء وعن الحسن أنه قيل له إن قوما اغتابوك فقال
علمت سقط كلامك ثم يعثو بك فقال طمعت نفسي في جوار الرحمن وحلول الجنان والنجاة من النيران ومرافقة الأنبياء
عليهم السلام ولم أطمع نفسي في السلامة من الناس إنه لو سلم من الناس أحد لسلم منهم خالقهم الذي خلقهم فإذا لم
يسلم خالقهم فالمخلوق أجدر أن لا يسلم قوله تعالى فكرهتموه أي فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قوله تعالى
واتقوا الله أي اتقوا في الغيبة إن الله تواب قابل توبات رحيم بهم قوله تعالى يا أيها الناس إنا خلقناكم

مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى نزلت في نفر من قريش قالوا الحبشي حين أذن بلال أما وجد محمد غير هذا الغراب والحي بأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى من آدم وحواء فكلكم متساوون في النسب لأن كلكم ترجع إلى أب واحد وأم واحدة ومعنى الآية الزجر عن التفاخر بالأنساب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنتم من رجل واحد وامرأة واحدة ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى ثم ذكر أنه إنما فرق أنساب الناس ليتعارفوا لا ليتفاخروا فقال تعالى **وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو الحي العظيم مثل ربيعة ومضر والقبائل دونها وهم كبكر من ربيعة وتميم من مضر هذا قول جماعة المفسرين وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال يريد بالشعوب الموالي وبالقبائل العرب وإلى هذا ذهب قوم فقالوا الشعوب من العجم وهم من لا يعرف لهم أصل نسب كالهند والترك والقبائل من العرب وقيل معناه وجعلناكم شعوبا متفرقين مثل العرب وفارس والروم والهند وقبائل نحو قبائل العرب وسميت العجم والشعب لتشعبها الشعب الطريق في الجبل وجمعه شعاب والحاصل أن الشعوب رؤوس القبائل مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج والقبائل دون الشعوب فهم كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبائل العمائر واحدتها عمارة بفتح العين وهي كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العمائر البطون واحدها بطن وهم كبني غالب ولؤي من قريش ودون البطون الأفخاذ واحدها فخذ وهم كبني هاشم وبني أمية من لؤي ثم الفصائل واحدها فصيلة وعشيرتها قوله تعالى **لتعارفوا** أي ليعرف بعضكم بعضا في النسب لا لتفاخروا فيما بينكم كما أن الله تعالى من خلقكم وصيركم كذلك ليعرف بعضكم بعضا وقرأ الأعمش لتتعارفوا وقرأ ابن عباس لتعرفوا بغير الف أن أكرمكم بفتح الالف وقوله تعالى **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** معناه أن أكرمكم في الآخرة أتقاكم لله في الدنيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى قد أذهب نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء الناس من آدم وآدم من التراب أكرمكم عند الله أتقاكم ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله كرم الرجل دينه وتقواه وفضله عقله وحسبه خلقه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم يا بني آدم أكرمكم عند الله أتقاكم وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وقال الشاعر

ما يصنع العبد بعز الغنى • والعز كل العز للمتقي • من عرف الله فلم تغنه • معرفة الله فذاك الشقي •

قوله تعالى **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا** نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في سنة جدبة وأظهروا شهادة أن لا إله إلا الله ولم يكونوا مؤمنين في السر وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يزعمون أنهم مخلصون في إيمانهم ولم يكونوا كذلك وكانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالأثقال والعيال والذراري يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان ويريدون بذلك الصدقة ويقولون أعطنا فأنزل الله هذه الآية والمعنى أنهم يقولون صدقنا بالألسن والقلوب قل لهم لم تؤمنوا أي لم تصدقوا بقلوبكم كما صدقتم بالسنتكم ولكن قولوا استسلمنا واتقينا مخافة السبي والقتل ولما يدخل الإيمان في قلوبكم **وإن تطيعوا الله ورسوله** في السر كالطاعة في العلانية فتتوبوا من الكفر والنفاق **لا يلتكم من أعمالكم شيئا** أي لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئا **إن الله غفور** لمن تاب **رحيم** بمن مات على التوبة ومن قرأ لا يألتكم بالهمز فهو من ألت يألت إذا نقص [illegible] النقص وكلا القراءتين بمعنى واحد قوله تعالى **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله** أي هم الذين أقروا وصدقوا بوحدانية الله ونبوة رسوله **ثم لم يرتابوا** أي ثم لم يشكوا في دينهم بعد الإيمان **وجاهدوا** العدو **بأموالهم وأنفسهم** في طاعة الله **أولئك هم الصادقون** في الإيمان فلما نزلت هذه الآية جاء الأعراب يحلفون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم مؤمنون في السر والعلانية وقد علم الله منهم غير ذلك فأنزل الله قوله تعالى **قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض** معناه كيف تعلمون الله بالدين الذي أنتم عليه وهو العالم بكل شيء من كل وجه وكيف يجوز أن تعلم من كان بهذه الصفة وقوله تعالى يمنون عليك أن أسلموا وذلك أن هؤلاء المنافقين

كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم قاتلتك العرب بأنفسهم وجئناك بأهلنا والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان فقال الله تعالى يمنون عليك يا محمد بأن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم فإن إجابتكم إلى الإسلام لم تكن لأجلي لا لإحسانكم إلى نفسكم ثم أنكر النعمة على من دعاكم إلى ذلك ومن المعلوم أن نجح الداعي إلى الهداية أعظم من نجح المطيع بالإجابة فليس للمطالب أن يطالب بالحق الذي له ويدع الحق الأعظم الذي عليه ولذلك قال **بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان** وأخرجكم من الضلالة **إن كنتم صادقين** في مقالتكم قوله تعالى **إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون** فيه بيان أنه لا ينفع المنافقين عند الله كتمان الكفر لأنه تعالى عالم به وإن قيل كيف تجوز المنة من الله والمنة مما يكدر الصنيعة قيل أن المنة مما يستغنى عنه يكدر الصنع وأما الله تعالى فليس من أحد إلا وهو محتاج إليه فليس في منته تكدير النعمة لاستحالة أن يستغنى بغيره عنه وقد إذا كفرت النعمة حسنت المنة • والله ولي التوفيق • وهو الهادي إلى أحسن طريق • وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

سورة ق خمس وأربعون آية مكية

وهي ألف وأربعمائة وتسعون حرفا وثلثمائة وخمسون كلمة وخمس وأربعون آية قال صلى الله عليه وسلم من قرأها هون الله عليه سكرات الموت • والله عز وجل أعلم •

بسم الله الرحمن الرحيم

ق قال ابن عباس هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم الله به وقال القرظي هو افتتاح اسمه قدير وقادر وقريب وقاهر وقابض وقال عكرمة والضحاك وجماعة المفسرين هو اسم جبل محيط بالدنيا من زبرجد أخضر خضرة السماء منه وهو وراء الحجاب الذي تغيب فيه الشمس من ورائه بمسيرة سنة وليس في الأرض بلد إلا وتحتها عرق من عروق ذلك الجبل فإذا أراد الله أن يزلزل تلك الأرض حرك عرقه الملك فتزلزل وإذا أراد الله بأهل مدينة هلاكا أمره فحرك عرقه فتخسف بهم وقال وهب أشرف ذو القرنين على جبل قاف فسأله هل وراءك شيء فقال وراءي مسيرة خمسمائة عام من جبال الثلج يحطم بعضها بعضا ومن وراء ذلك مثلها من البرد ولولا ذلك البرد والثلج لاحترقت من حر جهنم وقال بعضهم معنى قوله تعالى قضي الأمر أو قضي ما هو كائن وقال أبو بكر الوراق معناه قف عند أمرنا ونهينا ولا تعدهما وقيل معناه قل يا محمد قوله تعالى **والقرآن المجيد** أي الشريف الكريم على الله الكثير الخير واختلف العلماء في جواب القسم فقال أهل الكوفة جوابه **بل عجبوا** وقال الأخفش جوابه محذوف تقديره والقرآن المجيد لتبعثن وقيل جوابه ما لفظ من قول وقيل جوابه قد علمنا كما قال تعالى والشمس وضحاها إلى أن قال قد أفلح من زكاها وقد كان جواب القسم إلا أن اللام حذفت منه ويجوز أن تكون بل في جواب القسم موضع لقد وجوابات القسم سبعة إن الشديدة كقوله والفجر وليال عشر إلى أن قال إن ربك لبالمرصاد وما في النفي كقوله والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك واللام المفتوحة كقوله فوربك لنسألنهم أجمعين وإن الخفيفة كقوله تالله إن كنا ولا كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت وقد كقوله والشمس وضحاها إلى قوله قد أفلح من زكاها وبل كقوله ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم أي تخوف ولم يعرفون حسبه ونسبه وصدقه وأمانته وقوله تعالى **فقال الكافرون هذا شيء عجيب** تعجبوا من كون محمد رسولا إليهم بالنذارة وأنكروا البعث بعد الموت وهو قوله تعالى **أإذا متنا وكنا ترابا** أي أنبعث إذا متنا قالوا ذلك يعنون أنهم إذا ماتوا وصاروا ترابا كيف يبعثون بعد ذلك وقوله **ذلك رجع بعيد** أي رد إلى الحياة بعد غير كائن أي استبعدوا بجهلهم أن يبعثوا بعد الموت قوله تعالى **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم** أي بما تأكل الأرض من لحومهم ودمائهم وأشعارهم والمعنى لا يخفى علينا شيء مما تأخذ الأرض من أبدان بني آدم فمن علم ذلك فهو قادر على إعادة ذلك الخلق بعينه إلى الحياة وقوله تعالى **وعندنا كتاب حفيظ** أراد به اللوح المحفوظ حفظ من الزيادة والنقصان معناه عندنا كتاب حافظ لعددهم وأسمائهم قد أثبتنا فيه ما يكون من جميع الأشياء

المقدرة. قوله تعالى ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم﴾ أي كذبوا بالقرآن لما جاءهم به محمد ﴿فهم في أمر مريج﴾ أي
مختلط ملتبس عليهم لا يثبتون على شيء واحد مرة يقولون فأخرى يجحدون ومرة يقولون في النبي صلى الله عليه وسلم
انه ساحر ومرة يقولون هو شاعر ومرة يقولون هو معلم مجنون وتارة يقولون للقرآن هو سحر ومرة
يقولون هو أساطير الأولين وتارة يقولون هو سحر مفترى قال الحسن ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم
وقال قتادة من ترك الحق مرج عليه رأيه والتبس عليه دينه ومن ذلك المرج لاختلاط الأشجار بعضها ببعض. قوله تعالى
﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾ نبههم بهذا على قدرته على البعث بعظم
خلقه فقال أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها بغير عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فتوق وشقوق وصدوع
قوله تعالى ﴿والأرض مددناها﴾ أي بسطناها ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ أي جبالا ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾
أي من كل لون حسن المنظر. قوله تعالى ﴿تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾ أي فعلنا ذلك الذي ذكرناه تبصرة ليبصر به
ويتفكر وعظة وتنبيه لكل عبد منيب يرجع إلى الله ويتفكر في قدرته قال أبو حاتم قوله تعالى تبصرة منصوب على
المصدر يعني تبصيرا وتذكيرا وتنبيها له لأن من قدر على خلق السماوات والأرض والنبات قدر على بعثهم. قوله تعالى
﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا﴾ يعني المطر ﴿فأنبتنا به جنات﴾ أي بساتين ﴿وحب الحصيد﴾ يعني الزرع الذي من شأنه
أن يحصد حصدا أي لم يحصد وذلك مثل البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد وتدخر نعتا بعد أضافه الحب
إلى الحصيد وهما واحد لاختلاف اللفظين كما قال مسجد الجامع وربيع الأول وحق اليقين وحبل الوريد ونحوها. قوله تعالى
﴿والنخل باسقات لها طلع نضيد﴾ معناه وأنبتنا النخل طوالا يقال بسقت النخلة بسوقا إذا طالت والطلع النضيد هو
الكفرى ما دام في أكمامها فهو منضود بعضه فوق بعض فإذا خرج من أكمامها فليس بنضيد. قوله تعالى ﴿رزقا
للعباد﴾ انتصب على وجهين أحدهما أنبتناها رزقا والثاني أنبتناها للرزق فهو منصوب لأنه مفعول له وقيل بـ
فعل محذوف. قوله تعالى ﴿وأحيينا به بلدة ميتا﴾ أي وأحيينا بالمطر مكانا ميتا لا نبات فيه كما أحييناها بأرض
ليس بها مأكول أنبتنا فيها ألوانا من حبوب نابتة ﴿كذلك الخروج﴾ أي كذلك تخرجون بالمطر من قبوركم فتخرج حجة
البعث والقدرة على إعادة النبات دليل على القدرة على إعادة الخلق إلى الميت. قوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب
الرس﴾ فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم يقول إن هؤلاء الكفار سلكوا في التكذيب طريقة من قبلهم من الأمم المكذبة
لرسلهم وقد رأيتم كيف كان انكاري عليهم وكيف أهلكناهم والرس بئر وكان أهل اليمامة قتلوا نبيهم حنظلة بن صفوان وأصحاب الأيكة
قوم شعيب والأيكة الغيضة وأما قوم تبع فقد تقدم أن تبع اسم ملك حمير وقد ذكرنا ذلك في قوله أهم خير أم قوم تبع
قوله تعالى ﴿كل كذب الرسل﴾ أي كل هؤلاء المذكورين كذبوا الرسل ﴿فحق وعيد﴾ أي وجب عليهم عذابي وحقت
عليهم كلمة العذاب قيل سمي تبع لكثرة أتباعه وكان يعبد النار فأسلم ودعا قومه إلى الإسلام وهم حمير فكذبوه وقال
حاتم الرقاشي كان أسعد الحميري من التبابعة آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعمائة سنة وقال في ذلك
شهدت على أحمد أنه • رسول من الله باري النسم • فلو مد عمري إلى عمره • لكنت وزيرا له وابن عم • قال قتادة ذم
قوم تبع ولم يذمه وكان من ملوك اليمن فسار بالجيوش وافتتح البلاد وقصد مكة ليهدم البيت فقيل له إن لهذا البيت
ربا يحميه فندم واحترمه ودخل مكة وطاف بالبيت وكساه وهو أول من كسى البيت. قوله تعالى ﴿أفعيينا بالخلق
الأول﴾ هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى أعجزنا حين خلقناهم أولا ولم يكونوا شيئا فكيف نعجز عن بعثهم وهذا
تقرير لهم لأنهم اعترفوا بأن الله الخالق وأنكروا البعث ثم ذكر أنهم في شك من البعث فقال تعالى ﴿بل هم في لبس من
خلق جديد﴾ أي بل هم في شك من البعث. قال تعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ أي
ولقد خلقنا ابن آدم ونعلم ما تحدث به نفسه أي نعلم ما يخفي ويكن في نفسه ﴿ونحن أقرب إليه﴾ بالعلم بأحواله ومعاني
ضميره ﴿من حبل الوريد﴾ وهو عرق في باطن العنق بين العلباء والحلقوم وهما وريدان عن يمين النحر ويسار فاستطالا

من ناحية الحلق إلى العاتق ينبضان أبدا من الإنسان وقال الحسن الوريد الوتين وهو عرق معلق به القلب والله
تعالى أقرب إلى العبد من قلبه ومعنى الآية ونحن أقرب إليه أي أعلم به وأقدر عليه من العصبة وإن كانت
بعضه له حجاب ولا يحتشي أي لا يخفى علينا عنه شيء ثم ذكر أنه مع علمه وكل به ملكين يكتبان ويحفظان
عليه عمله إلزاما للحجة. قوله تعالى ﴿إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ والمتلقيان هما ملكان يتلقيان
عمل ابن آدم ومنطقه أي يأخذان ذلك ويثبتانه في صحائفهما أحدهما على اليمين والثاني على الشمال يكتب السيئات وذلك
قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ولم يقل قعيدان لأنه أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاكتفى بأحدهما
عن الآخر كقول الشاعر • نحن بما عندنا وأنت بما • عندك راض والرأي مختلف • أي نحن بما عندنا راضون
والقعيد مثل القاعد كالسميع والعليم والقدير وقال أهل الكوفة أراد قعودا وروي أن الله تعالى وكل بالإنسان
ملكين بالليل وملكين بالنهار يحفظان عليه عمله أحدهما يكتب الحسنات والثاني يكتب السيئات وإذا عمل العبد حسنة
كتبها الذي على اليمين عشرا وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين للآخر انظره فينظره ست ساعات أو سبعا فإن تاب
واستغفر لم يكتبه وإن لم يتب كتب عليه سيئة واحدة وهكذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم • وعن أنس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فإذا مات العبد قالا يا رب
قد قبضت عبدك أفتأذن لنا أن نصعد إلى السماء فيقول الله تعالى سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحون فيقولان
أنقيم في أرضك فيقول الله أرضي مملوءة من خلقي يعبدونني فيقولان أين نذهب فيقول قوما على قبر عبدي فكبراني وهللاني
واكتبا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة • وقوله تعالى قعيد أي رصيد حافظ حاضر وقوله تعالى ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه
رقيب﴾ أي حافظ حاضر ﴿عتيد﴾ معد له. قوله تعالى ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ أي جاءت غمرات الموت وأهواله
وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله بالحق قال مقاتل يعني أنه حق كائن وقيل معنى قوله تعالى بالحق
بما يصير إليه من الآخرة من شقاوة أو سعادة تحق عليه الموت ويقال له ذلك الذي كنت منه تحيد أي تميل
وتهرب وتكره قد أتيتك الآن يقال حاد عن الشيء يحيد عنه حيدا إذا مال وزاغ ونكص وهرب وقرأ
أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجاءت سكرة الحق بالموت. قوله تعالى ﴿ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد﴾ يعني
يريد نفخة البعث يكون يوم القيامة وهو يوم يتحقق فيه الوعيد فهو اليوم الذي وعد الله الأولين والآخرين يجمعون
فيه وقيل معناه ذلك الذي وعد الله الكفار أن يعذبهم فيه. قوله تعالى ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾
أي سائق يسوقها إلى المحشر وشاهد يشهد عليها بما عملت قال الضحاك السائق هو الذي يكتب السيئات والشهيد
الذي يكتب الحسنات والمراد بالنفس هاهنا نفس الكافر يدل عليه. قوله تعالى ﴿لقد كنت في غفلة من هذا﴾
أي يقال له لقد كنت في غفلة من هذا اليوم في الدنيا ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ الذي كان في الدنيا يعني قلبك وسمعك
وبصرك ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ أي فأنت اليوم عالم نافذ البصر بما كنت تنكر في الدنيا وقيل معناه بصرك اليوم
حديد أي نافذ وهو من البصارة لا من بصر العين كما يقال فلان بصير بهذا الأمر أي عالم به وقيل معناه تبصر
اليوم شاخصا لما ترى من الهول. قوله تعالى ﴿وقال قرينه هذا ما لدي عتيد﴾ يعني الملك الذي يكتب عليه السيئات في
الدنيا يقول هذا الذي كتبته من عمله معد محفوظ محصى يعني أن الملك يقول لربه الذي وكلتني به قد أحضرته فيقول
الله تعالى ﴿ألقيا في جهنم﴾ أي اطرحا فيها كل كافر بالله وبنعمه معرض عن الإيمان والقرآن أعراض المعاندة وهذا الخطاب
للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب يقولون للواحد ارحلاها وازجراها وقيل الخطاب للخازن الذي هو واحد مخاطبة الواحد
بلفظ الاثنين من فصيح كلام العرب في شعرهم قولهم للواحد في الشعر قال امرؤ القيس • خليلي مرا بي على أم جندب •
نقض لبانات الفؤاد المعذب • وقال • قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل • وقال المبرد وأبو نعيم

وان تزخرفي بابن عفان ازجر • وقال تدعاني باسم عرضا ممتعا • ومنه قول الحجاج يا حرسي اضربا عنقه وقيل
الزجاج ... على الحقيقة والخطاب للملكين معا وهما السائق والشهيد جميعا وقرأ الحسن القيا بنون التأكيد الخفيفة
كقوله تعالى لنسفعا بالناصية قوله تعالى **مناع للخير** أي لا يعطي أحدا ولا يعطي شيئا من حق الله وقوله تعالى معتد أي
ظالم لا يقر بتوحيد الله وقوله تعالى **مريب** أي شاك في الغيب وفي التوحيد قوله تعالى **الذي جعل مع الله إلها**
آخر أي شريكا **فألقياه في العذاب الشديد** أي اطرحاه في النار قوله تعالى **قال قرينه** أي الشيطان **ربنا**
ما أطغيته أي ما أغويته وما أضللته أي لم أوقع ذلك في نفسه ولكنه **كان في ضلال عن الحق بعيد** لا
الرضة على الضلال ولكن دعوته فاستجاب لي وقيل معناه قال قرينه الذي شهد عليه من الملائكة ربنا ما أطغيته
أي ما عجلت عليه في الكتابة وما كتبت عليه الا ما قال وفعل ولكن كان في خطأ بعيد عن الصواب فأما قول الملك هذا
القول بعد ما يقول الكافر يا رب كتب علي ما لم أقل وما لم أفعل ... عجل في الكتابة علي قوله تعالى
قال لا تختصموا لدي أي يقول الله تعالى لا تختصموا عندي كما تختصمون عند ملوك الدنيا فاني مالك يوم الكلام عندي
وقد قدمت إليكم على ألسنة الرسل **بالوعيد** في القرآن ولا ينفعكم الاختصام بعد أن قد أخبرتكم على ألسنة
الرسل بعذابي لمن كفر قوله تعالى **ما يبدل القول لدي** أي لا خلف لوعدي ووعيدي وقد قضيت ما أنا
قاض عليكم من العذاب فلا تبديل له وقيل معناه لا يكذب عندي ولا يغير القول عن جهته لأني أعلم الغيب وأعلم كيف ضلوا
وكيف أضللتموهم ولا يقدر أحد أن يشقي أحدا ممن أسعدته ولا يسعد أحدا ممن أشقيته قوله تعالى **وما أنا بظلام**
للعبيد أي لا أعاقب أحدا بغير جرم ولا أحدا بجرم غيره ولا أنقص من حسنة ولا أزيد في السيئات قوله تعالى **يوم نقول**
لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد قرأ نافع وأبو بكر يقول بالياء أي يقول الله والآخرون بالنون نقول لجهنم
هل امتلأت لما وعدها ليملأنها وتقول هل من مزيد أي لم يبق في موضع لم يمتلئ ولا مزيد على هذا وقال المفسرون أراد الله
تصديق قوله لأملأن جهنم فلما امتلأت قال لها هل امتلأت فتقول هل من مزيد على هذا الامتلاء وهذا استفهام
انكار أي قد امتلأت ولم يبق في موضع خال وهذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل وقال ابن عباس في رواية
أبي صالح أنها تستزيد إلى ما فيها ووجه هذا القول أن هذا السؤال في قوله هل امتلأت كان قبل دخول جميع
أهلها فيها ويجوز أن يكون المعنى أنها طلبت أن تزاد في سعتها لتضايقها بأهلها قوله تعالى **وأزلفت الجنة**
للمتقين غير بعيد أي قربت وأدنيت الجنة للمتقين الشرك غير بعيد ينظرون إليها قبل دخولها ثم يقال لهم
هذا الذي ترونه **ما توعدون** في الدنيا على ألسنة الرسل **لكل أواب حفيظ** أي لكل رجاع عن معاصي
الله إلى طاعته حافظ لحدود الله يحفظ عن الخروج إلى ما لا يجوز وقال مجاهد هو الذي إذا ذكر ذنبه استغفر
الله وقيل هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الشعبي هو المسبح من قوله يا جبال أوبي معه وقال الحكم هو الذاكر
لله في الخلوة وقيل هو الذي لا يقوم من مجلسه حتى يستغفر الله وقال أبو بكر الوراق هو المتوكل على الله في
السراء والضراء ... وقيل هو الذي لا يشتغل الا بالله قوله تعالى **من خشي الرحمن بالغيب**
... وخاف الله وأطاعه ولم يعصه ... وهو صفة للأواب الحفيظ والخشية ...
قوله بالغيب **وجاء بقلب منيب** أي بقلب مخلص راجع عن معاصيه إلى طاعة الله ثم يقال لهم ادخلوا الجنة بسلام يعني
بسلامة من ... قوله تعالى **ادخلوها بسلام** ... **ذلك يوم الخلود** في الجنة لأنه لا موت فيها ولا فناء ولا انقطاع **لهم ما**
يشاؤون فيها من أنواع النعيم **ولدينا مزيد** أي نزيدهم من عندنا ما لم يسألوه ولم يخطر على قلوبهم
وقال جابر ... هو النظر إلى وجه الله الكريم بلا كيف قوله تعالى **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا**
لأهل مكة أي كم أهلكنا قبل أهل مكة من قرن هم أشد منهم بطشا **فنقبوا في البلاد** أي ساروا وتقلبوا وطافوا
في البلاد وأصله من النقب وهو الطريق كأنهم سلكوا كل طريق فلم يجدوا محيصا عن أمر الله وقال الزجاج طوفوا وفتشوا

البوق

الموت كأنهم ضربوا في الأرض ... هذا إنذار لأهل مكة أنهم على مثل سبيلهم لا يجدون مفرا
من الموت يموتون فيصيرون إلى عذاب الله قرأ الحسن فنقبوا بالتخفيف وقرأ السلمي فنقبوا
على لفظ الأمر على التهديد والوعيد أي تقلبوا في البلاد وأدبروا ... في سيره في الأرض
فانظروا **هل من محيص** من الموت قوله تعالى **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب** أي فيما صنع بهم من إهلاك القرى
لعبرة وموعظة لمن كان له عقل ... **أو ألقى السمع** أي استمع ما يقال له وجه التفهم تقول العرب ألق إلي سمعك
أي استمع مني **وهو شهيد** أي شاهد القلب حاضر غير غافل ولا ساه قوله تعالى **ولقد خلقنا السموات والأرض**
وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب وذلك أن اليهود لعنهم الله قالوا خلق الله السموات والأرض في ستة أيام أولها يوم
الأحد وآخرها يوم الجمعة فأعيا واستراح يوم السبت فلذلك لا نعمل فيه شيئا فأكذبهم الله بقوله وما مسنا من لغوب واللغوب
هو التعب ... سبحان الله أن يوصف بتعب ونصب قوله تعالى **فاصبر على ما يقولون** أي اصبر يا محمد على ما يقولون من الأذى
والتكذيب في هذا قيل ان هذه منسوخة بآية القتال قوله تعالى **وسبح بحمد ربك** أي صل بأمر ربك واحمده **قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**
أراد بذلك صلاة الفجر وصلاة العصر وقيل ... الظهر والعصر **ومن الليل فسبحه** يعني صلاة المغرب والعشاء وقيل
الصلاة تسبيحها ... التسبيح سبحان ربي العظيم وسبحان ربي الأعلى قوله تعالى **وأدبار السجود** يعني الركعتين بعد
وقيل الوتر وقيل التسبيح في أدبار الصلوات يسبح الله تعالى ثلاثا وثلاثين ويحمده ثلاثا وثلاثين ويكبره ثلاثا وثلاثين وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في آخر صلاته عند انصرافه سبحان ربك رب العزة عما يصفون إلى آخر السورة
وعن الشعبي والأوزاعي أنهما قالا أدبار السجود الركعتان بعد المغرب وإدبار النجوم الركعتان قبل الفجر وعن ابن زيد يعني
قوله تعالى وأدبار السجود هي النوافل أدبار المكتوبات وقرأ الحسن وأبو عمرو ويعقوب وعاصم والكسائي وابن جابر وإدبار
بفتح الألف جمع الدبر وقرأ الباقون بالكسر على المصدر من أدبر يدبر إدبارا قوله تعالى **واستمع يوم ينادي المناد**
من مكان قريب أي استمع يا محمد صيحة القيامة والبعث والنشور يوم ينادي المنادي يوم صيحة إسرافيل وهو يوم النفخة
تقوم فيه على صخرة بيت المقدس فينفخ في الصور للبعث والصخرة أقرب مكان من الأرض إلى السماء باثني عشر ميلا كذا قال الكلبي
وفي الحديث أنه ينادي أيتها العظام البالية والعروق المتمزقة والشعور المتفرقة أخرجي لفصل القضاء فيكون فيخرجون
على وجه الأرض قوله تعالى الحق أي بالبعث وقيل انها كائنة حقا **ذلك يوم الخروج** من القبور إلى دعوة الحشر قوله
تعالى **إنا نحن نحيي ونميت** أي نحيي الموتى ونميت الأحياء **وإلينا المصير** في الآخرة للجزاء قوله تعالى **يوم تشقق**
الأرض عنهم سراعا أي تتصدع الأرض عنهم فيخرجون مسارعين والمعنى يوم تشقق الأرض عنهم خارجين سراعا إلى
الداعي **ذلك حشر علينا يسير** أي هين سهل قوله تعالى **نحن أعلم بما يقولون** يا محمد من تكذيبك في أمر البعث
وذلك تعزية ... **وما أنت عليهم بجبار** أي بمسلط تجبرهم على الإسلام إنما بعثت مذكرا ... وذلك قبل أن يؤمر
بالقتال قوله تعالى **فذكر بالقرآن** أي عظه به **من يخاف وعيد** وإنما خص الخائفين بالوعظ لأنهم هم الذين ينتفعون
بذلك والمعنى ذكر بالقرآن من يخاف ما أوعدت من عصاني من العذاب

سورة الذاريات ستون آية مكية

وهي ... وسبعة وستون حرفا وكلماته ... ستون كلمة وستون آية قال صلى الله عليه وسلم من قرأ الذاريات أعطي
الأجر عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا • وبالله التوفيق والله عز وجل أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

والذاريات ذروا يعني الرياح تذرو التراب وتفرق النبات الذي ... وهي مخصوصة على القسم قوله تعالى **فالحاملات**
وقرا يعني السحاب تحمل ثقلا من ماء المطر تنصب كالموقر والوقر بكسر الواو الحمل والوقر بفتح الواو الثقل في الأذن قوله تعالى
فالجاريات يسرا يعني السفن تجري في الماء جريا سهلا على وجهها قوله تعالى **فالمقسمات أمرا** يعني الملائكة يقسمون

الجزو

لامور بين الخلق على ما أمروا به من الأمور وغيرها أقسم الله بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته ثم ذكر جوابه
إنما توعدون لصادق يعني أن الذي توعدون من الثواب والعقاب لصادق وإن الدين أي الجزاء لواقع كائن يوم القيمة
وعن علي رضي الله عنه أنه قال يوما في خطبته سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء من القرآن إلا وأخبرتكم فقال رجل يا أمير
المؤمنين ما الذاريات ذروا قال الرياح قال فما الحاملات وقرا قال السحاب قال فما الجاريات يسرا قال السفن قال فما المقسمات
أمرا قال الملائكة وعن الأعرج قال لقمان إن مساكن الرياح تحت أجنحة الملائكة حملة العرش فتهيج ثم تقع بعجلة الشمس
ثم تهيج من عجلة الشمس فتقع برؤوس الجبال ثم تهيج من رؤوس الجبال فتقع في البر فأما الشمال فإنها تمر بجنة عدن والجنوب تخرج من عرف
طيبها تمر على أرواح الصديقين ثم يكون منتهاها من كرسي بنات نعش إلى مغرب الشمس وتهب الدبور من مغرب الشمس إلى مطلع
سهيل وتهب الصبا من مطلع سهيل إلى مطلع الشمس ثم تدخل هذه في حد هذه وهذه في حد هذه قوله تعالى والسماء ذات
الحبك هذا قسم آخر معناه والسماء ذات الخلق الحسن المستوي هذا قول عكرمة قال ألم تر إلى النساج إذا نسج الثوب فأجاد
نسجه قيل ما أحسن حبكه وهو قول ابن عباس وقتادة والربيع وقال سعيد بن جبير معناه والسماء ذات الزينة وقال مجاهد
والسماء ذات البنيان المتقن وقال الضحاك ذات الطرائق التي ترى فيها الحبك في الماء إذا ضربته الرياح وحبك الرمل
إذا أسفته الريح وحبك الشعر الجعد وحبك الثوب الحسن النسج والمحبوك في اللغة ما أجيد عمله واحد الحبك حباك مثل مثال
ومثل ويجوز أن يكون واحد حبيكة مثل طريقة وطرق وقيل الحبك طرق الملائكة وقال الحسن حبكها زينتها بالنجوم
وقيل ذات الحبك أي ذات الخلق الشديد قال الله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا قوله تعالى إنكم لفي قول
مختلف هذا جواب القسم الثاني والمعنى إنكم يا أهل مكة لفي قول مختلف من بين مصدق بالنبي ومكذب به ومتوقف في أمره
وبعضكم يقول في محمد هو شاعر وبعضكم يقول مجنون وفي القرآن يقول بعضكم هو سحر وبعضكم يقول هو كهانة وبعضكم
يقول هو أساطير الأولين قوله تعالى يؤفك عنه من أفك أي يصرف عن الإيمان من صرف حتى يكذب به يعني من حرمه الله
الإيمان بمحمد والقرآن قوله تعالى قتل الخراصون أي لعن الكذابون وقال ابن عباس المرتابون والقتل إذا أخبر به عن الله
كان بمعنى اللعنة لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك قال تعالى قتل الإنسان ما أكفره أي لعن الخراصون هم الكذابون
قال الفراء والمراد بهم هاهنا الذين قالوا محمد شاعر وكذاب ومجنون وساحر والخارص هو الذي يقطع بالظن
والحكم بمقدار ما يخمنه يعني من غير دليل ومنه خارص النخل الذي يقطع في مقدار ثمرها من غير حقيقة قوله تعالى الذين هم في
غمرة ساهون نعت لهم والغمرة الجهل ومنه الغمر الذي غمره الجهل والساهي هو الغافل عن أمر الآخرة والمعنى
الذين هم في غفلة وعمى وجهالة عن أمر الآخرة ساهون لاهون قوله تعالى يسألون أيان يوم الدين أي يسألون
متى يكون الجزاء على وجه الإنكار يقولون يا محمد متى يوم الجزاء تكذيبا منهم واستهزاء فأخبر تعالى بما يكون لهم فقال يوم هم
على النار يفتنون أي يحرقون ويعذبون بها يقال فتنت الذهب إذا أحرقته لتعرف الغش الذي فيه والكفار
هنا كلهم يحرقون وتقول لهم خزنة النار ذوقوا فتنتكم أي حرقكم وعذابكم هذا الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا
تكذيبا بوعدنا وإنما لم يقل هذه فتنتكم لأن الفتنة هاهنا بمعنى العذاب فرد الإشارة إلى المعنى قوله تعالى إن المتقين في جنات
وعيون آخذين ما آتاهم ربهم أي قابلين ما أعطاهم ربهم من كرامته والجنة وقيل معناه عاملين بما أمرهم ربهم في الدنيا
والعمل والقرب قوله تعالى إنهم كانوا قبل ذلك محسنين أي كانوا قبل دخولهم الجنة محسنين في الدنيا بأعمالهم قوله
تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون أي ينامون فيها بيان إحسانهم والهجوع النوم بالليل دون النهار
وما زائدة والمعنى كانوا يهجعون قليلا من الليل ويصلون أكثر الليل وقيل معناه قل ليلة أتت عليهم هجعوها كلها
وقال مجاهد كانوا لا ينامون كل الليل واختار قوم الوقف على قوله كانوا قليلا على معنى كانوا من الناس قليلا
وهو قول الضحاك ومقاتل إذ ابتدأ فقال من الليل ما يهجعون وهذا على نفي النوم عنهم البتة وقيل معناه كانوا لا ينامون
حتى يصلوا العتمة وقال أنس بن مالك يصلون ما بين المغرب والعشاء وعن جعفر بن محمد أنه قال من لم يهجع ما بين المغرب والعشاء
حتى يشهد الجنان نفعهم وعن أبي الدرداء قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي صلوة الليل أفضل قال نصف
الليل وقليل فاعله قوله تعالى وبالأسحار هم يستغفرون قال الحسن كانوا يمدون الصلوة إلى السحر ثم يأخذون

في الاستغفار بالأسحار قوله تعالى وفي أموالهم حق للسائل والمحروم يعني به الحق الزكاة وليس على نحو هذا
والسائل هو الذي لا يسأل لتعففه يحرم نفسه بترك سؤاله ويحرمه الناس بترك عطائه وقال إبراهيم المحروم هو الذي لا سهم له
في الغنيمة وقال زيد بن أسلم هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته ويقال صاحب الجائحة يذهب ماله بدليل قوله
إنا لمغرمون بل نحن محرومون وعن أبي قلابة قال كان رجل من أهل اليمامة له مال فذهب ماله فقال رجل
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذا المحروم فاقسموا له وقال قتادة والزهري هو المتعفف الذي لا يسأل وقد ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم فقال الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن لحاجته فيتصدق عليه وعن عبد الله بن عمر والشعبي والحسن ومجاهد
أنهم قالوا إن في المال حقا سوى الزكاة وهو الحقوق التي تكون عندما تعرض من الأحوال من النفقة على الوالدين
إذا كانا فقيرين وعلى ذي الرحم المحرم وما يجب من إطعام المضطر وحمل المنقطع ونحو ذلك قوله تعالى وفي الأرض آيات
للموقنين آيات الأرض جبالها وأنهارها واختلاف نباتها وبحارها وأشجارها في ذلك كله دلائل توحيد الله لمن
أيقن قوله تعالى وفي أنفسكم معناه وفي أنفسكم آيات إذ كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما إلى أن نفخ فيه
الروح وقال عطاء يعني من اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع وقال ابن الزبير هو أن يأكل ويشرب من
مكان واحد ثم يخرج بعد ذلك من مكانين مكان الغائط ومكان البول حتى أنه لو شرب لبنا محضا خرج ماء قوله تعالى
أفلا تبصرون أي أفلا تنظرون وتعلمون نظر من كان يرى الحق بعينه قوله تعالى وفي السماء رزقكم يعني المطر الذي
هو سبب النبات والنبات هو مما قسمه الله تعالى للعباد ولكنه في السماء أخبر الله تعالى أن أرزاق العباد حيث
لا تناله يد السوس ولا تناله اللصوص قال تعالى وفي السماء رزقكم وعن واصل الأحدب أنه قرأ هذه الآية فقال
ألا أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض فدخل خربة فمكث فيها ثلاثا لا يصيب شيئا فلما كان يوم الرابع إذا هو بدوخلة
من رطب فلم يزل كذلك حتى مات قوله تعالى وما توعدون قال عطاء معناه وفي السماء ما توعدون من الثواب
والعقاب مكتوب وقال الكلبي ما توعدون من الخير والشر وقال مجاهد الجنة والنار قوله تعالى فورب السماء
والأرض إنه لحق أقسم الله بنفسه أن الذي ذكره من أمر الرزق وغيره لصدق كما أن نطقكم الذي هو الصدق من كلمة
التوحيد ونحوها حق قرأ أهل مكة مثل ما أنكم برفع مثل على أنه صفة لقوله الحق وقرأ الباقون بالنصب على التوكيد
على معنى أنه لحق حقا مثل ما أنكم تنطقون تقديره كمثل ما أنكم تنطقون وقال بعض الحكماء معنى قوله
مثل ما أنكم تنطقون أي كما أن كل إنسان لا ينطق بلسان غيره فكذلك كل إنسان يأكل رزقه الذي قدر له ولا يأكل إلا رزق
نفسه كما لا يتكلم إلا بلسان نفسه وقال الحسن بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله أقواما أقسم
لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن أحدكم
فر من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت وقال الشاعر أسعى لأطلبه والرزق يطلبني والرزق أكثر لي مني له طلبا
قوله تعالى هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين أي قد أتاك يا محمد خبر أضياف إبراهيم عليه السلام الذين
أكرمهم بخدمته لهم وقيامه بين أيديهم وقال ابن عباس ومقاتل معنى الآية قد أتاك ولم يكن أتاه إذ ذاك وقوله
تعالى المكرمين يعني عند الله وذكر ابن عباس أن أضياف إبراهيم اثنا عشر ملكا وجبريل وميكائيل وقال مقاتل يعني بقوله
المكرمين أي أكرمهم إبراهيم فأحسن إليهم القيام وكان لا يقوم على رأس ضيف فلما رأى هيئتهم حسنة قام هو وامرأته
لخدمتهم وقال الكلبي أكرمهم بالعجل وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه
ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت قوله تعالى إذ دخلوا عليه وهم جبريل وميكائيل ومعه
من الملائكة وقال ابن عباس ومقاتل كانوا اثني عشر ملكا وقال محمد بن كعب كانوا سبعة مع جبريل وقال عطية كانوا
ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل قوله تعالى فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون معناه سلموا عليه سلاما
وقيل قالوا أسلم سلاما كأنهم أنسوه من الوجل فقال سلام عليكم أي أمنت مما خافني من السلام وقوله تعالى قوم منكرون
أي أنتم قوم لا نعرفهم لأنه ظنهم من الإنس قوله تعالى فراغ إلى أهله أي عدل ومال إلى بيته من حيث لا يعلم أضيافه

ثم ذبح عجلا فجاء بعجل سمين أي كثير الشحم فوضعه بين أيديهم قال قتادة وكان عامة مال ابراهيم البقر فقربه
اليهم قال ألا تأكلون من طعامي فأوجس منهم خيفة أي أضمر في نفسه خوفا منهم حين لم
يأكلوا من طعامه وظن أنهم يريدون به سوءا فلما علموا خوفه قالوا لا تخف انا رسل ربك وبشروه بغلام
حليم في كبره وهو اسحق عليه السلام قوله تعالى فأقبلت امرأته في صرة أي في صيحة وضجة
أي أخذت في تولول كما يقال أقبل يشتم وقيل الصرة جماعة النساء مأخوذ من الصرة التي هي مجمع الدراهم ومنه الشاة المصراة
وقوله تعالى فصكت وجهها قال مقاتل والكلبي جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجبا ومعنى الصك
ضرب الشيء بالشيء العريض والصرة مأخوذ من الصر وهو الصوت كأنها جاءت بشدة صياح فلطمت وجهها وقالت عجوز عقيم
أتلد عجوز عاقر وكانت يوم البشارة بنت تسعين وتسع سنة وابراهيم يومئذ ابن مائة سنة قوله تعالى قالوا
كذلك قال ربك أي كما قلنا قال ربك ستلدين غلاما انه هو الحكيم العليم يحكم بالولد
من العقيم وغير العقيم العليم بمصالح العباد والعقيم من النساء هي التي لا تأتي بالولد وفي الرياح هي التي لا تأتي بالمطر ولا
يكون فيها الخير قوله تعالى قال فما خطبكم أيها المرسلون أي قال ابراهيم ما شأنكم وفيما أرسلتم قالوا انا أرسلنا
الى قوم مجرمين كفرة من لعنهم ثم أعلموه الجناية أرادوا بذلك قوم لوط قوله تعالى لنرسل عليهم
حجارة من طين أراد به الحجارة المطبوخة كالآجر المسومة المعلمة روي أنها كانت مخططة بسواد وحمرة
وكان على كل حجر اسم من جعل هلاكه والمسرف هو الخارج من الحق والشرك بإسراف الذنوب وأعظمها قوله
تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين أراد به لوطا ومن آمن معه وهما ابنتاه زعوراء وريثا أمرهم الله
بالخروج بقطع من الليل ومعنى قوله وأخرجنا من كان فيها أي في قريات لوط وذلك أن قوله فأسر بأهلك أمر الله لوطا
بأن يخرج هو ومن معه من المؤمنين لئلا يصيبهم العذاب قوله تعالى فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
أي غير أهل بيت من المسلمين يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله بالايمان والاسلام جميعا لأنه ما من مؤمن الا وهو مسلم
والمراد بالاسلام هاهنا الايمان قوله تعالى وتركنا فيها آية أي تركنا في مدينة لوط علامة للذين يخافون
العذاب الأليم تدلهم على أن الله أهلكهم فيخافون مثل عذابهم فان اقتلاع المدائن لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى
وقوله تعالى وفي موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين أي وفي خبر موسى وقصته مع فرعون
آية أيضا وقوله تعالى بسلطان مبين أي بحجة ظاهرة وهي العصا واليد قوله تعالى فتولى بركنه أي أعرض
فرعون عن الايمان به بجميعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم كالركن الذي يقوي البنيان ونسبه الى السحر والجنون
مع ظهور الحجة عليه قوله تعالى فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم أي فعاقبناه وجموعه وطرحناهم
في البحر وأغرقناهم وهو مليم أي وهو مستوجب الملامة لأنه أتى بما يلام عليه من ادعاء الربوبية وتكذيب الرسل
قوله تعالى وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم أي وفي خبر قوم هود آية أيضا حين أرسلنا عليهم
الريح الدبور والعقيم هي التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا انما هي ريح الاهلاك وكانت الريح التي
هلكت بها عاد ريح الدبور قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور قوله تعالى ما تذر من شيء أتت عليه
الا جعلته كالرميم معناه ما تترك من شيء مرت عليه من أنفسهم وأنعامهم الا جعلته كالحطيم البالي المسحوق وقال
الرميم هو الورق اليابس المتحطم مثل الهشيم الذي يتصبر كأنها ناس يابس تحركه عليه وقال قتادة معناه الا جعلته كرميم الشجر
أي البالية كالتراب المدقوق وقال ابن عباس كالشيء الهالك في الحرثيات تلك الريح كانت تحمل مسافريهم وما شذ من مواشيهم
فتحمله فتلقيه في وادي صنعاء ولم تهلك غيرهم ليس منهم قوله تعالى وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين أي وفي
ثمود وهلاكهم آية أيضا اذ قيل لهم تمتعوا الى انقضاء آجالكم فأعرضوا عن قبول الاسلام فأخذهم العذاب بالموت وهم
ينظرون الى السماء والى قومهم يحترقون في العذاب وقيل معناه لما عقروا الناقة قال لهم صالح تمتعوا ثلاثة أيام وهو قوله
تعالى حتى حين والتمتع التلذذ بأسباب اللذة من المناظر والروائح الطيبة وأشباه ذلك قوله تعالى فأخذتهم

الصاعقة

الصاعقة بعد مضي ثلثة أيام والصاعقة كل عذاب مهلك وقرأ الكسائي الصعقة وهو الصوت
الشديد وهم ينظرون ذلك عيانا فما استطاعوا من قيام أي ما قدروا على النهوض من مكانهم حين
غشيهم العذاب فيردوه وما كانوا منتصرين أي ما كانت لهم قوة يمتنعون بها من ذلك ما كانوا طالبين ناصرا يمنعهم
ينجيهم من عذاب الله قوله تعالى وقوم نوح من قبل فيه قراءتان قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وقوم
نوح بالخفض أي وفي قوم نوح وهلاكهم بالطوفان آية أيضا وقرأ الباقون بالنصب على معنى وأهلكنا قوم نوح
من قبل عاد وثمود وقيل نصب على تقدير واذكر قوم نوح من قبل عاد وثمود وقوم فرعون انهم كانوا قوما
فاسقين أي خارجين عن طاعة الله وقيل انتصب قوله تعالى وقوم نوح على قراءة النصب عطفا على الهاء والميم
في قوله فنبذناهم في اليم كأنه قال فأغرقنا فرعون وجنوده وأغرقنا قوم نوح من قبل قوله تعالى والسماء بنيناها
بأيد أي بقدرة وقوة وانا لموسعون السماء على الأرض في كل الجهات ونحن نقدر على أكثر من ذلك وقال بعضهم
بنيناها بقوتنا وقال الحسن معناه وانا لموسعون الرزق على خلق فيها ومن تحتها قوله تعالى والأرض فرشناها
أي بسطناها على وجه الماء فنعم الماهدون والماهد في اللغة هو المعطي للشيء المهيئ لما يصلح الاستقرار عليه
قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين أي ومن كل شيء خلقنا من الحيوان ذكرا وأنثى وقيل الحلو والمر والحر والبرد
صنفين من حلو وحامض وأسود وأحمر لكي تعتبروا وتتعظوا بذلك وتعلموا أنه ليس مع الله تعالى اله غيره قوله تعالى
ففروا الى الله أي اهربوا من عقابه الى رحمته بالاخلاص وطاعته وترك ما يشغلكم عن أوامره وقيل معناه ففروا الى الله
بالتوبة من ذنوبكم واهربوا من الكفر الى الاسلام ومن العصيان الى الطاعة اني لكم منه نذير مبين أنذركم العقاب
على الكفر والمعصية وأخوفكم عذابه بلغة لغة نوبها اذا ترك الفرار من الله الى الله ولا تجعلوا مع الله الها آخر
أي لا تصفوه بالشريك والولد اني لكم منه نذير مبين من أخوفكم لتمتنعوا أن تجعلوا مع الله الها غيره قوله تعالى
كذلك ما أتى الذين من قبلهم أي كما نسبك قومك الى السحر مرة والجنون أخرى هكذا ما أتى الذين من قبل قومك من رسول
دعاهم الى الله الا قالوا لذلك الرسول هو ساحر أو مجنون يقول الله تعالى أتواصوا به معناه أتواصى أهل
كل عصر بعضهم بعضا أن يقولوا لكل رسول أتاهم هذا القول وهذه لفظة لفظ الاستفهام ومعناه
التوبيخ والانكار قوله تعالى بل هم قوم طاغون يعني أهل مكة قوم طاغون قوله تعالى فتول عنهم
فما أنت بملوم أي أعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين فما أنت عند الله بملوم لأنك قد بلغت قوله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع
المؤمنين أي وعظ أهل مكة بالقرآن فان العظة بالقرآن تنفع المؤمنين وتزيدهم صلاحا يعني تنفع من في علم
الله أن يؤمن منهم وقال الكلبي معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم قوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون معناه ما خلقتهم لجر منفعة ولا لدفع مضرة ولا لأستأنس بهم من وحشة ولا لأستكثر بهم من قلة
وما خلقتهم الا لآمرهم بعبادتي وأنهاهم عن معصيتي لو أنهم خلقوا للعبادة لما عصوا طرفة عين وقال الكلبي
أول هذه الآية خاص لأهل طاعة الله لأنه تعالى يقول ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وفي قراءة ابن عباس وما
خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه معنى الآية وما خلقتهم الا لآمرهم
أن يعبدوني وأدعوهم الى عبادتي قوله تعالى ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون أي لم أكلفهم أن يرزقوا
أنفسهم ولا أحدا من خلقي ولم أكلفهم أن يرزقوني ولا يحتاج الى اعطاء الرزق لعبادي والمعنى ما أريد منهم أن يرزقوا
أحدا من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم وانما أسند الاطعام الى نفسه لأن الخلق عيال الله فمن أطعم عيال أحد فقد أطعمه
قوله تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين معناه ان الله هو الرزاق لجميع خلقه ذو القوة والاقتدار على
جميع ما خلق المتين يعني القوي قراءة العامة المتين بالرفع نعت ذو وهو الله سبحانه وتعالى وقرأ الأعمش المتين

بالخفض على نعت القوم وكان من حقه أن يقول المبينة وإنما ذكره لأنه ذهب به إلى النبي المبين المحكم قوله تعالى فإن للذين
ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون أي أخبر الله بهذا أن لمشركي مكة من العذاب مثل ما لغيرهم من الأمم الكافرة والمعنى
فإن للذين كفروا نصيبا من العذاب مثل نصيب أصحابهم الذين هلكوا نحو قوم نوح وعاد وثمود وأصل الذنوب الدلو المملوءة
ماء قال ابن قتيبة كانوا يستقون فيكون لكل واحد ذنوب فجعل الذنوب مكان الحظ والنصيب قال الشاعر
لنا ذنوب ولكم ذنوب • فإن أبيتم فلنا القليب • وقال آخر • لعمرك والمنايا غالبات • لكل بني أب
منها ذنوب • وقوله تعالى فلا يستعجلون أي لا يستعجلون العذاب فإني قد أخرتهم إلى يوم القيامة يدل عليه قوله تعالى
فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيامة والله عز وجل أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

سورة والطور تسع وأربعون آية مكية

وهي ألف وخمسمائة حرف وثلثمائة واثنتا عشرة كلمة وتسع وأربعون آية قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان
حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته •

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور وكتاب مسطور الطور هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وهو بمدين بأرض المقدسة
واسمه زبير وكل جبل هو طور بالسريانية وقال أبو عبيدة الطور الجبل بالعربية لأن الله تعالى [illegible]
الطور وقال الكتاب المسطور هو اللوح المحفوظ المكتوب فيه كل الأمور قوله تعالى في رق منشور يعني به اللوح أنه انتشره
الملائكة للدراسة وليعلموا ما فيه وقيل الكتاب المسطور صحائف أعمال بني آدم تنشر يوم القيامة فيعطى كل واحد كتابه بيمينه
أو بشماله ونظيره قوله تعالى وإذا الصحف نشرت وقوله تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا قوله تعالى
والبيت المعمور هو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة معمور بكثرة الغاشية وزيارة الملائكة حرمته في السماء كحرمة
الكعبة في الأرض [illegible] يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه
أبدا لو سقط منه حجر لوقع على ظهر الكعبة وقيل البيت المعمور هو الكعبة معمورة بزيارة الناس إياه قوله تعالى
والسقف المرفوع يعني السماء كما قال الله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا سماها سقفا لأنها للأرض كالسقف
للبيت وقوله تعالى والبحر المسجور يعني الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور كأنه قال والبحر المملوء نارا والموقد كما روي
عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال هو بحر من نار ينفخ يوم القيامة في جهنم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال لا يركبن البحر إلا حاج أو معتمر أو مجاهد في سبيل الله فإن تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقال
قتادة المسجور المملوء وفي الحديث أن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها نارا فيسجر بها نار جهنم وعن ابن عباس المسجور
المحبوس وعن علي رضي الله عنه أنه قال البحر المسجور بحر فوق السماء السابعة تحت العرش عمقه كما بين السماء السابعة إلى
الأرض السابعة وهو بحر غليظ يسمى الحيوان يحيي الله به الموتى يوم البعث يمطر أربعين صباحا فينبتون به من قبورهم
أقسم الله بهذه الأشياء لما فيها من الدلالات الواضحة على وحدانية الله تعالى وعظم قدرته على أن تعذيب المشركين
حق وهو قوله تعالى إن عذاب ربك لواقع أي لكائن في الآخرة واقع بأهله ما له من دافع يدفعه
عنهم حين يقع بهم ذلك العذاب قوله تعالى يوم تمور السماء مورا أي تدور دورانا وتضطرب وتتحرك
والمور في اللغة الذهاب والمجيء والتردد والدوران قيل إنها تدور كما تدور الرحى وتموج بعضها في بعض
قوله تعالى وتسير الجبال سيرا أي تسير الجبال على وجه الأرض كما تسير السحاب في الدنيا فتستوي بالأرض وقيل
معناه تزول الجبال من أماكنها وتصير هباء منبثا قوله تعالى فويل يومئذ للمكذبين أي فشدة عذاب
يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون يخوضون في حديث محمد بالتكذيب والاستهزاء ويلعبون بذكره قوله
تعالى يوم يدعون إلى نار جهنم دعا أي يدفعون إلى نار جهنم دفعا عنيفا بجفوة وقال مقاتل تغل أيديهم إلى
أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعون إلى الجحيم دفعا على وجوههم حتى إذا دنوا منها قال لهم خزنتها

ذوقوا

ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا والدع هو الدفع في شدة وعنف تدفعهم الملائكة فيلقونهم
في النار على وجه الاستخفاف ويقولون لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون قرأ أبو رجاء العطاردي
يوم يدعون إلى نار جهنم دعا بالتخفيف من الدعاء ويقول لهم ملائكة العذاب أفسحر هذا كما كنتم تزعمون في
الدنيا وتنسبون الأنبياء عليهم السلام إلى ذلك أم قد غطي على أبصاركم وهذا وجه التوبيخ والمعنى أتصدقون
الآن أن عذاب الله واقع ويقال لهم اصلوها أي ادخلوا النار يعني الزموها وقاسوا شدتها فاصبروا
على العذاب أو لا تصبروا سواء عليكم الصبر والجزع إنما تجزون ما كنتم تعملون من الكفر والتكذيب قوله تعالى
إن المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم فاكهين أي ذوو فاكهة
كثيرة وقيل معجبين بما عندهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم أي صرفه عنهم ثم يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا أي كلوا
أكلا هنيئا واشربوا شربا هنيئا مأمون العاقبة من التخمة والسقم وقيل انتصب قوله هنيئا لأنه صفة المصدر أي
هنئتم هنيئا وهو أن يكون خالصا من جميع الآفات وأسباب التنغيص قال زيد بن أرقم جاء رجل من أهل الكتاب إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون فقال والذي نفسي بيده إن الرجل
ليؤتى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع قال فإن الذي يأكل ويشرب يكون منه الغائط فقال صلى الله عليه
وسلم ذاك عرق يفيض مثل ريح المسك فإذا كان كذلك ضمر بطنه قوله تعالى متكئين على سرر مصفوفة
معناه جالسين جلسة الملوك على سرر قد صف بعضها على بعض وقوبل بعضها ببعض وزوجناهم
بحور عين الحوراء البيضاء نقية البياض من الحسن والكمال والعين الواسعات الأعين قوله تعالى والذين آمنوا
واتبعتهم ذريتهم بإيمان يعني الأولاد الصغار والكبار فالكبار يتبعون الآباء بإيمان منهم والصغار يتبعون
الآباء بإيمان من الآباء والولد يحكم له بالإسلام تبعا للوالد ألحقنا بهم ذرياتهم يرفعون إليهم لتقر بهم أعينهم وإن كانوا
دونهم في العمل تكرمة لآبائهم وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المؤمنين وأولادهم
في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار وروى أن خديجة بنت خويلد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين لها
ماتا في الجاهلية فقال صلى الله عليه وسلم هما في النار قوله تعالى وما ألتناهم من عملهم من شيء أي لم ننقص
الآباء من الثواب حين ألحقنا بهم ذرياتهم قرأ أبو عمرو وأتبعناهم بالألف وقرأ الباقون [illegible]
ألحقنا بهم ذرياتهم قرأ أبو عمرو بالتاء لتكون الكلام على نسق واحد وقرأ الباقون واتبعتهم بالتاء من غير ألف
وقوله ذرياتهم قرأ نافع الأولى ذريتهم بالتاء وضمها بغير ألف وقرأ الثاني ذرياتهم بالألف وكسر التاء وقرأ ابن عامر ذرياتهم
بالألف فيهما وكسر التاء وقرأ الباقون بغير الألف فيهما وفتح التاء الثانية قوله تعالى كل امرئ بما كسب رهين
أي كل امرئ كافر بما عمل من الشرك مرتهن في النار والمؤمن لا يكون مرتهنا لقوله كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين
فاستثنى المؤمنين قوله تعالى وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون معناه زدناهم في كل وقت من الوان
الفاكهة ومن كل لحم مما يشتهون من الأنعام والطيور والمطبوخ والمشوي قوله تعالى يتنازعون فيها كأسا
أي يتعاطون ويتناولون فيها آنية مملوءة من الخمر هذا من باب ذلك وذلك بين ذلك ولا يكون كأس في اللغة إلا إذا
كان مملوءا فإذا كان فارغا فليس بكأس قوله تعالى لا لغو فيها أي لا يجري بينهم كلام لغو باطل ولا كلام
ولا تأثيم أي لا يكون بينهم في حال شربها ما فيه إثم كما يكون في خمر الدنيا وقال ابن قتيبة لا تذهب بعقولهم فيلغوا
ويأثموا كما يكون من خمر الدنيا ولا يكون بينهم ما يؤثمهم والمعنى أن تلك الكأس لا تجعلهم آثمين قوله تعالى ويطوف
عليهم غلمان لهم أي يطوف عليهم بالخدمة بالفواكه والأشربة وصفا كأنهم في الحسن والبياض لؤلؤ مكنون

مصون لم تمسه الأيدي قال قتادة ذكر لنا أن رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم فقال والذي نفسي
بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن أدنى أهل الجنة من ينادي الخادم من خدمه فيجيبه ألف كلهم يقولون لبيك لبيك قوله
تعالى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون أي أقبل بعضهم على بعض في الزيارة يتحدثون في الجنة ويتذاكرون
ما كانوا فيه في الدنيا من التعب والخوف ويتساءلون عن أحوالهم التي كانوا في الدنيا وقوله تعالى إنا كنا في أهلنا
مشفقين معناه أنهم يقولون إنا كنا من قبل أن ندخل الجنة خائفين في الدنيا من القيامة وأهوالها ومن النار
وعذابها بمعصية وقعت منا أو تقصير في طاعتنا فمن الله علينا بالعفو وقبول الطاعة ووقانا عذاب السموم
أي ودفع عنا عذاب سموم جهنم إنا كنا من قبل ندعوه أي نوحده ونعبده في الدنيا إنه هو البر الرحيم
أي هو اللطيف بعباده الرحيم بهم والسموم من أسماء جهنم في قول الحسن وقال الكلبي عذاب النار وقال الزجاج
هو لفح جهنم وحرها ومن قرأ إنه بكسر الهمزة فإنه استأنف الكلام قوله تعالى فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن
ولا مجنون أي فعظ بالقرآن أهل مكة ولا تترك وعظهم بنسبتهم إياك إلى الكهانة والجنون فلست بحمد الله كما
يقولون والكاهن هو المتخرص الذي يقول لأنه تابع الجن والمعنى فما أنت بنعمة ربك وإنعامه عليك بالنبوة
بكاهن وهو الذي يوهم أنه يعلم الغيب ويخبر بما في غد من غير وحي أي لست كما يقولون كهانة ولا نطقا بالوحي
قوله تعالى أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون أي بل يقولون هو شاعر ننتظر به نوائب الدهر فيهلك
كما هلك من قبله من الشعراء وريب المنون حدثان الدهر أي وقعته ومنيت الشيء إذا نقصته والموت يقطع الأجل
فسمي المنون والدهر يسمى أيضا المنون وقد تكون المنون بمعنى المنية قوله تعالى قل تربصوا أي انتظروا بي
الموت فإني معكم من المتربصين أي من المنتظرين بكم عذابكم فعذبوا يوم بدر بالسيف وقيل معناه قل تربصوا بي
الدوائر فإني من المتربصين بكم فأهلك الله القوم الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم هذا القول قبل أن يبصر عليه السلام
وكان منهم أبو جهل وكانوا يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس بشاعر كما أنهم علموا أنه ليس بمجنون قوله تعالى
أم تأمرهم أحلامهم بهذا معناه أم تأمرهم عقولهم بهذا وذلك أن قريشا كانوا يعدون في الجاهلية أهل
الأحلام وقد وصفوا بالعقل فأزرى الله بحلومهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل وقيل لعمرو بن العاص
ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقول فقال تلك عقول لم يصحبها التوفيق وقوله تعالى أم هم قوم
طاغون أي بل هم قوم طاغون حملهم الطغيان على تكذيبك يا محمد وكانوا يعدون أن أحدا كان يتوارثهم
وعقولهم وأحلامهم فقيل لهم على وجه التعجب أتأمرهم أحلامهم بهذا الذي يفعلونه أم طغيانهم وأبوا الحجة في العقل
أم يقولون تقوله معناه أم يقولون إن محمدا اختلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول تكلف القول
ولا يستعمل إلا في الكذب بل ليس كما يقولون بل لا يؤمنون استكبارا ثم ألزمهم الحجة فقال تعالى فليأتوا
بحديث مثله أي مثل القرآن في نظمه وحسن بيانه إن كانوا صادقين أن محمدا تقوله من تلقاء نفسه فإن اللسان
لسانهم وهم مستوون في البشرية واللغة قوله تعالى أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون معناه أخلقوا
من غير رب فلذلك لا يؤمنون أم هم الخالقون لأنفسهم فلا يسألون عن أعمالهم وقال ابن عباس أخلقوا من غير
أب وأم فهم كالجماد لا يعقلون ولا يقوم لله عليهم حجة أليسوا خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة
إلى أن صاروا إنسانا معناه أخلقوا عبثا فيتركون سدى لا يؤمرون ولا ينهون أم هم الخالقون لأنفسهم فلا يجب لله أمر
قوله تعالى أم خلقوا السموات والأرض فيكونوا هم الخالقين بل لا يوقنون على هذا لا يؤمنون بالحق وهو توحيد
الله وقدرته على البعث قوله تعالى أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون معناه أبأيديهم مفاتيح
ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤوا وقيل معناه أعندهم مقدورات ربك وقال الكلبي معناه خزائن المطر
والرزق أم هم المصيطرون أي أم هم المسلطون على الناس فلا يكونوا تحت أمر ونهي يفعلون ما شاؤوا ويقرأ المصيطرون

بالصاد

والصاد والمتصل بالسين لأن كل سين بعدها طاء يجوز أن تقلب صادا وفي هذه الآية تنبيه على عجزهم
وتبيين لسوء طريقتهم قوله تعالى أم لهم سلم يستمعون فيه أم لهم مصعد ومرقاة يرتقون بها إلى السماء
يستمعون فيه الوحي فيعلمون أنما هم عليه حق فليأت مستمعهم إن كان لهم مستمع بحجة ظاهرة وقوله
أم له البنات ولكم البنون هذا إنكار عليهم وتسفيه لأحلامهم ومبالغة في تجهيلهم حين تضيفون
البنات إلى الله بقولهم الملائكة بنات الله وتضيفون البنين إلى أنفسهم أم تسألهم أجرا معناه أتسألهم يا محمد
على ما جئتهم به من الدين والشريعة أجرا أي جعلا فهم من مغرم مثقلون أي أتسألهم ذلك الغرم الذي
تسألهم فيمنعهم ذلك عن الإسلام والمعنى أتسألهم أجرا فيثقلهم ويجهدهم ويمنعهم عن الاستماع إلى قولك قوله تعالى
أم عندهم الغيب فهم يكتبون قال قتادة هذا جواب لقولهم نتربص به ريب المنون يقول الله تعالى أم
عندهم الغيب حتى علموا أن محمدا يموت قبلهم فهم يكتبون وقيل معناه أعندهم علم الغيب حتى علموا أن ما يخبرهم
به النبي صلى الله عليه وسلم من أمر القيامة والبعث والحساب والثواب والعقاب باطل غير كائن قوله تعالى أم
يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون أي بل يريدون بك كيدا ومكرا ليهلكوك بذلك المكر وهو
كيدهم به في دار الندوة فالذين كفروا هم المجازون على كيدهم وعاقبة ذلك الكيد والمكر بهم فقتلوا يوم بدر
وأسروا قوله تعالى أم لهم إله غير الله يمنعهم من مكر الله وعذابه ويحفظهم وينصرهم سبحان الله عما يشركون
به من الآلهة وسبحانه عن أن يكون له ولد وأم في هذه السورة في خمسة عشر موضعا عشر منها بمعنى الألف وخمسة
وفي خمسة بمعنى الإنكار وتحقير عليهم قوله تعالى وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم معناه
أنهم لا يؤمنون حتى لو رأوا قطعا من العذاب ساقطا عليهم لطغيانهم وعتوهم يقولون سحاب قد ركب بعضه على بعض
فيلبسوا على أنفسهم لغاية جهلهم أنه لا يهتدون قوله تعالى فذرهم أي اتركهم حتى يلاقوا يومهم الذي
فيه يصعقون أي يهلكون والصعق الهلاك بما يصدع القلب وقيل المراد بالصعق هاهنا اليوم الذي فيه النفخة
الأولى قرأ الأعمش وعاصم وابن عامر يصعقون بضم الياء أي يهلكون من أصعقهم الله إذا أهلكهم ويوم لا يغني عنهم
كيدهم ولا يمنعهم من العذاب مانع قوله تعالى وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك معناه وإن لهؤلاء الكفار عذابا
دون عذاب الآخرة يعني عذاب القبر وقيل معناه وإن للكفار من أهل مكة عذابا في الدنيا قبل عذاب الآخرة يعني القتل
يوم بدر وقال مجاهد الجوع والقحط ولكن أكثرهم لا يعلمون ما هو نازل بهم واصبر لحكم ربك فإنك
بأعيننا أي اصبر لحكم ربك إلى أن يقع بهم العذاب وقيل اصبر على تبليغ الوحي والرسالة إلى أن يقضي ربك فيهم
فإنك بأعيننا أي فإنك بحيث نراك ونحفظك ونرعاك وأنهم لا يصلون إلى مكروهك قوله تعالى وسبح بحمد ربك حين
تقوم يعني حين تقوم من النوم كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا انتبه قال الحمد لله الذي أحيانا بعدما
أماتنا وإليه النشور وعن الربيع بن أنس أن المراد به القيام في الصلوة وهو بعد ما تقول عند تكبيرة الافتتاح
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وقيل المراد بهذه الآية صلوة الفجر عند القيام
وقيل إن المراد به التسبيح عند القيام من كل مجلس كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كفارات
المجلس كلمات جاء بهن جبريل عليه السلام سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب
إليك فإن كان في مجلس ذكر كان كالطابع عليه إلى يوم القيامة فإن كان مجلس لغو كان كفارة لما كان قبله ولا في
إلى الظاهر من هذه الساعة وقيل أراد به صلوة الفجر لأن الله عقبه بقوله ومن الليل فسبحه والمراد به صلوة المغرب
والعشاء وأما إدبار النجوم فالركعتان قبل فريضة الفجر كما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال وإدبار السجود
الركعتان بعد المغرب وإدبار النجوم الركعتان قبل الفجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ركعتا الفجر خير
من الدنيا وما فيها

سورة والنجم ستون وآيتان مكية

وهي ألف وأربعمائة وخمسة أحرف وثلثمائة وستون كلمة وآياتها تسعة وأربعون آية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأها أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به ❁ والله سبحانه وتعالى أعلم وعز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم إذا هوى اختلفوا في النجم الذي أقسم الله به في أول هذه السورة فقال بعضهم وهو الأظهر أن النجم اسم جنس أريد به النجوم كلها إذا هوت للأفول وفائدة القسم بها ما فيها من دلالة وحدانيته تعالى لأنه لم يشاركه في طلوعها وغروبها إلا الله عز وجل فالقسم بها قسم بربها وجواب القسم **ما ضل صاحبكم وما غوى** يعني النبي صلى الله عليه وسلم أي ما ضل عن طريق الهدى وعن الصواب فيما يؤديه إلى عباد الله وعن مجاهد أنه أراد بالنجم الثريا إذا سقطت وغابت والعرب تسمي الثريا نجما وإن كانت في العدد نجوما قال أبو بكر الدينوري هي سبعة أنجم ستة منها ظاهرة وواحد منها خفي يمتحن الناس به أبصارهم وقال الضحاك معناه والقرآن إذا نزل ثلاث آيات وأربع آيات وسورة وكان بين أول القرآن وآخره ثلاث وعشرون سنة أقسم الله بالقرآن إذا نزل نجوما متفرقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم كانوا يقولون إن محمدا لم ينطق به الأعن وحي يوحى وإنه لم ينطق بهوى نفسه **قوله تعالى** **علمه شديد القوى** يعني جبريل عليه السلام وهو شديد البنية والخلقة ومن قوة جبريل أنه أدخل جناحه تحت قريات قوم لوط فقلعها من الماء الأسود ورفعها إلى السماء ثم قلبها فأتبعت تهوي من السماء إلى الأرض ومن شدته أنه أبصر إبليس وهو يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة ألقاه إلى أقصى جبل بالهند ومن شدته أنه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين **قوله تعالى** **ذو مرة فاستوى** أي جبريل ذو قوة وشدة في خلقه وقيل ذو منظر حسن وقيل قطرب تقول العرب لكل جزل الرأي أي حصيف العقل ذو مرة **قال الشاعر** ❁ قد كنت قبل لقائكم ذا مرة ❁ عندي لكل مخاصم ميزانه ❁ وكان من جزالة رأيه وحصافة عقله أن الله تعالى ائتمنه على وحيه إلى جميع رسله وقوله تعالى فاستوى يعني جبريل وقيل المعنى ذو مرة أي ذو قوة مرة في الجو منحدرا وصاعدا على السرعة وقوله تعالى فاستوى أي قام منتصبا واقفا على صورته الملائكية التي خلقه الله عليها فرآه النبي صلى الله عليه وسلم منتصبا في السماء بعد أن كان مسرعا فاستوى في أفق المشرق ويراه العين كما روي في الحديث أنه طبق ما بين الأفق وكان له ستمائة جناح منها ألوان الزهر وتتناثر منه الدر وذلك **قوله تعالى** **وهو بالأفق الأعلى** يعني جانب المشرق وهو أفق حيث تطلع الشمس **قوله تعالى** **ثم دنا فتدلى** أي ثم دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض وذلك أن جبريل كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الآدميين فسأله النبي صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء فأما في الأرض ففي الأفق الأعلى والمراد به جانب المشرق وذلك أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل من المشرق فسد الأفق إلى المغرب فخر النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل عليه السلام في صورة الآدميين وضمه إلى نفسه وهو قوله ثم دنا فتدلى تقديره ثم تدلى فدنا لأن التدلي سبب الدنو وقيل المعنى ثم دنا جبريل عليه السلام بعد استوائه بالأفق الأعلى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدلى عليه فأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه مستقبلا كما رآه منتصبا حتى صار بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم قدر قاب قوسين من قسي العرب أو أدنى معناه أو أقرب في رأي العين قال الزجاج كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وإنما خص القوس بالآية لأن مقدارها في الأغلب مستفاد زيادة ولا نقصان وقيل المراد بالقوس هاهنا الذراع وسمي الذراع قوسا لأنه تقاس به الأشياء قال ابن مسعود معناه كان قدر ذراعين أو أدنى من ذراعين فأما دخول أو هاهنا فقيل أو بمعنى الواو أو أدنى فيما تقدرون أنتم والله تعالى أعلم بمقادير الأشياء ولكنه يخاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة فيما بيننا ومعنى قوله تعالى **فكان قاب قوسين** أي قدر قوسين تقول العرب قاب قوس وقيد قوس وقاد قوس وقيد قوس بكسر القاف ومعنى والتدلي في اللغة هو الامتداد إلى جهة السفل ومنه تدلي الغصن ومنه ادلاء الدلو وهو إرسالها في البئر ومنه الدليل

علا أن

على أن المراد شديد القوى جبريل قوله تعالى إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين إلى أن قال ولقد رآه بالأفق المبين وهو مطلع الشمس **قوله تعالى** **فأوحى إلى عبده ما أوحى** أي فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم ما أمره الله أن يوحيه إليه ويجوز أن يكون معناه فأوحى الله إلى عبده ما أوحى قال سعيد بن جبير أوحى إليه ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى إلى قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك **قوله تعالى** **ما كذب الفؤاد ما رأى** أي ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه بصره من صورة جبريل ومن عجائب الملكوت بل قبل الفؤاد ذلك وأيقن أن ما رآه حق كما هو لم يشك فيه ولا أنكره ولم يقصد عن تخيله ولا أحجم عن فهمه وقرأ الحسن وأبو جعفر وقتادة وابن عامر ما كذب الفؤاد بالتشديد أي ما كذب قلب محمد ما رأى بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقيل هو إخبار عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ربه قال ابن عباس رأى محمد ربه بفؤاده ولم يره بعينه ويكون ذلك على أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده أو خلق لفؤاده بصرا حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين وقال عكرمة أنه رأى ربه عز وجل بعينه وكان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه ومذهب ابن مسعود وعائشة في هذه الآية أنه رأى جبريل عليه السلام في صورته التي خلق عليها والفؤاد القلب فما ارتاب الفؤاد فيما رأى الأصل وهو القلب **قوله تعالى** **أفتمارونه على ما يرى** من آيات الله قرأ علي وابن مسعود وابن عباس وعائشة ومسروق والنخعي وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب أفتمرونه بفتح التاء من غير ألف على معنى أفتجحدونه تقول العرب مريت الرجل حقه إذا جحدته وقرأ سعيد بن جبير وطلحة أفتمرونه بضم التاء من غير ألف أي أفتشككونه وقرأ الباقون أفتمارونه أي أفتجادلونه وفي الحديث من مرية في القرآن كفر وعن الشعبي عن عبد الله بن الحرث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس أما نحن بنو هاشم فنقول إن محمدا رأى ربه مرتين وقال ابن عباس أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وقال الشعبي وأخبرني مسروق أنه قال لعائشة يا أماه هل رأى محمد ربه عز وجل قط قالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت عليه والنجم إذا هوى إلى قوله فكان قاب قوسين أو أدنى ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين وقالت عائشة قال الله تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وفي رواية قالت عائشة من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله عز وجل ومن حدثك أنه يعلم الخمس من الغيب فقد كذبت قال الله إن الله عنده علم الساعة ومن حدثك أن محمدا كتم شيئا من الوحي فقد كذب قال عبد الرزاق فذكرت هذا الحديث لمعمر فقال ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس **قوله تعالى** **ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى** أي رأى محمد جبريل عليه السلام مرة أخرى فسماها نزلة على الاستعارة وذلك أن جبريل رآه النبي صلى الله عليه وسلم على صورته التي خلق عليها مرتين مرة في الأرض بالأفق الأعلى ومرة في السماء عند سدرة المنتهى وإنما قال نزلة أخرى لتقدم رؤية له قبلها نزلة أخرى والسدرة شجرة النبق وهي هاهنا شجرة في السماء السابعة قيل إنها شجرة طوبى وقال الكلبي هي شجرة عن يمين العرش فوق السماء السابعة ثمرها مثل قلال هجر وورقها مثل آذان الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان أما الباطنان ففي الجنة وهما السلسبيل والكوثر وأما الظاهران فالنيل والفرات وهي تحمل لأهل الجنة الحلي والحلل وجميع الثمار وسميت المنتهى لأنه ينتهي إليها كل ملك مقرب ونبي مرسل لا يعلم أحد ما وراءها إلا الله سبحانه وقال ابن مسعود سميت المنتهى موضع المنتهى وعن أبي هريرة قال لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى السدرة فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أربعة أنهار نهر من ماء غير آسن ونهر من لبن لم يتغير طعمه ونهر من خمر لذة للشاربين ونهر من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والورقة منها تغطي الأمة كلها وعن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر سدرة المنتهى قال يسير الراكب في

في ظلها مائة عام قال مقاتل هي شجرة لو أن ورقة وضعت في الأرض لأضاءت لأهل الأرض كلهم تحمل الحلي والحلل والثمار وجميع الألوان وهي طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد قوله تعالى عندها جنة المأوى
معناه عند سدرة المنتهى جنة المأوى وهي جنة يأوي إليها جبريل والملائكة وقال مقاتل والكلبي جنة تأوي إليها أرواح الشهداء والصالحين قوله تعالى إذ يغشى السدرة ما يغشى معناه إذ يغشى السدرة من النور والبهاء والحسن والصفاء ما ليس لوصفه منتهى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ما يغشى السدرة فقال يغشاها جراد من ذهب وروي فراش من ذهب عن ابن عباس يغشاها ملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجرة وقال صلى الله عليه وسلم رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله عز وجل وقيل غشيها نور من جهة الله عز وجل فاستنارت قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى أي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم يمينا ولا شمالا ولا طغى أي ولا جاوز ما رأى وهذا وصف أدبه في ذلك المقام إذ لم يلتفت جانبا ولم يمد بصره إلى أمامه إلى حيث ينتهي قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى أي لقد رأى تلك الليلة من عجائب الآيات العظام وهي جبريل على صورته وعن ابن مسعود رأى رفرفا أخضر من الجنة سد الأفق وقيل هي الآيات العظام التي رآها تلك الليلة قوله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى قرأ مجاهد وأبو صالح اللات بتشديد التاء وقالوا كان رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وروى السدي عن أبي صالح أنه كان رجلا بالطائف يقوم على آلهتهم ويلت لهم السويق بالزبيب فلما مات عبدوه وقال الكلبي هو رجل من ثقيف يقال له صرمة بن غنم كان يسلي السمن فيضعه على صخرة فتأتي العرب فتلت به أسوقتهم وأما العزى فقال مجاهد هي شجرة لغطفان يعبدونها وهي التي بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وجعل خالد يضربها بالفأس ويقول يا عز كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك فخرجت منها شيطانة عريانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها فقتلها خالد ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا وأما مناة فهو صنم لخزاعة وقال الضحاك ومناة صنم لهذيل وقيل إن منوع صخرة كانت لهذيل وخزاعة يعبدونها وقال بعضهم اللات والعزى ومناة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها والمعنى أخبروني عن الآلهة التي تعبدونها من دون الله هل لها قدرة توصف بها كما يوصف الله بالقدرة والعظمة وهي أسماء أصنام يعبدونها واشتقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى ومن المنان مناة وكان الكسائي يختار الوقف على مناة بالهاء وقال الزجاج الوقف عليها بالتاء لاتباع المصحف وكان ابن كثير يقرأ ومناءة بالمد والهمز والصحيح قراءة العامة بالقصر والثالثة نعت لمناة يعني الثالثة للصنمين في الذكر والأخرى نعت لها أيضا قوله تعالى ألكم الذكر وله الأنثى هذا إنكار عليهم وذلك أنهم كانوا يزعمون أن هذه الأصنام بنات الله فقيل لهم كيف تجعلون هذه الأشياء المؤنثة أولادا لله وأنتم لا ترضون لأنفسكم بالإناث وتنكرونهن قوله تعالى تلك إذا قسمة ضيزى أي قسمة جائرة غير عادلة يقال ضازه يضيزه إذا نقصه حقه قوله تعالى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم معناه ما هذه اللات والعزى ومناة إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم الذين مضوا قبلكم ما أنزل الله بها من سلطان أي لم ينزل كتابا لكم فيه حجة بما تقولون إنها آلهة والمعنى ما أنزل الله بعبادتها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس في قولهم إنها آلهة وقولهم هي بنات الله قوله تعالى ولقد جاءهم من ربهم الهدى معناه ولقد جاءهم من ربهم الكتاب والرسول بالبيان أنها ليست آلهة وأن العبادة لا تصلح لها وإنما تصلح لله عز وجل والمعنى أنهم يفعلون ذلك بعد أن جاءهم الهدى وذلك أبلغ في الذم قوله تعالى أم للإنسان ما تمنى أي ليس للإنسان ما تمنى والإنسان الكافر وكانت الكفار يعبدون الأصنام ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله ويتمنون على الله الجنة والمعنى أيظنون أن لهم ما يتمنون من شفاعة الأصنام وليس كما يظنون ويتمنون فلله الآخرة والأولى ما يعطي أحدا شيئا بالتمني وإنما يعطي بالحكمة وعلى سبيل الاستحقاق ويزيد من فضله من يشاء وقيل معناه لله الآخرة والأولى

أي لا يملك أحد منهم شيئا إلا بإذنه يحرم من يشاء ويعطي من يشاء قوله تعالى وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا جمع الكناية لأن المراد بقوله وكم من ملك الكثرة والمعنى لا تغني شفاعتهم أحدا شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة ويرضى بشفاعتهم ويقال ويرضى عن المشفوع له وهذا كقوله لا يشفعون إلا لمن ارتضى قوله تعالى إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى يعني أنهم قالوا إن الملائكة بنات الله تعالى الله عما يقولون قوله تعالى وما لهم به من علم أي ما لهم بتلك التسمية من علم وما يستيقنون أنهم إناث إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا أي لا يقوم الظن مقام الحق وهذا أن الظان غير عالم وأن العادة بالظن لا تدفع من عذاب الله تعالى شيئا والله أعلم قوله تعالى فأعرض عن من تولى عن ذكرنا أي أعرض يا محمد عمن أعرض عن القرآن ولم يرد إلا الحياة الدنيا وزينتها وهذا مما نسخته آية القتال وقوله تعالى ذلك مبلغهم من العلم أي لم يبلغوا من العلم إلا ظنهم أن الملائكة بنات الله وأنها تشفع لهم فاعتمدوا ذلك وأعرضوا عن القرآن وقيل معناه أن غاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة وهذا غاية الجهل قوله تعالى إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله أي أنه عالم بهم فهو مجازيهم وهو أعلم بمن اهتدى أي أنه عالم بالفريقين وقوله تعالى ولله ما في الأرض إخبار عن قدرته وسعة ملكه ليجزي في الآخرة المحسن والمسيء معناه ليجزي الذين أساؤوا أي أشركوا بما عملوا من الشرك ويجزي الذين أحسنوا أي وحدوا ربهم بالحسنى أي بالجنة ثم نعتهم تعالى الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وكبائر الإثم كل ذنب ختم بالنار والفواحش كل ذنب فيه الحد قوله تعالى إلا اللمم هذا استثناء منقطع ليس من الكبائر والفواحش قال ابن عباس ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق وزنا الشفتين التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه فإن تقدم بفرجه كان زانيا وإلا فهو اللمم وفي هذا دليل أن هذه الأشياء إذا وجدت على التعمد لم تكن من اللمم ولكن اللمم ما يكون من الفلتات النادرة التي لا يملكها ابن آدم من نفسه لأن الأمة أجمعت على أن تعمد النظر إلى ما لا يحل فسق واللمم في اللغة هو مقاربة الشيء من غير دخول فيه يقال ألم بالشيء إلماما إذا قاربه وعن مجاهد أنه قال إن اللمم صغار الذنوب كالنظرة والقبلة والغمزة وما كان دون الزنا وقال ابن عباس اللمم هو أن يلم بالذنب مرة ثم يتوب منه ولا يعود إليه وهو قول الحسن والسدي وقال الحسين بن الفضل اللمم النظرة بغير تعمد وهو مغفور فإن أعاد النظر فليس بلمم وهو ذنب قوله تعالى إن ربك واسع المغفرة أي أن رحمة ربك تسع جميع الذنوب هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم معناه هو أعلم بكم من أنفسكم إذ خلق أباكم آدم من التراب وحين ما كنتم صغارا في بطون أمهاتكم علم عند ذلك ما يحصل منكم والأجنة جمع جنين والمعنى علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة فلا تزكوا أنفسكم بما ليس فيها ولا تبرئوها من العيوب التي فيها وقيل معناه لا تبرئوا أنفسكم من الآثام ولا تمدحوها بحسن عملها هو أعلم بمن اتقى الشرك وآمن وأطاع وأخلص العمل قوله تعالى أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى يعني الوليد بن المغيرة أعرض عن التصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم وأعطى قليلا من الحق بلسانه ثم قطع وكان الوليد قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينه فقال إني خشيت عذاب الله فضمن له الذي عاتبه إن هو أعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه أن يحمل عنه العذاب ففعل يعني رجع إلى الشرك وأعطى ذلك الرجل بعض ما كان ذكر له من المال ومنعه تمامه فأنزل الله تعالى هذه الآية أفرأيت الذي تولى أي أدبر عن إيمانه وأعطى صاحبه قليلا من المال الذي وعده به وأكدى أي بخل

بالباقي قال المفسرون اكدى اي قطع ولم يتم عطيته واصله من الكدية وهو حجر يظهر في البير ويمنع من الحفر ويوبس من
الماء . قال الكلبي يقال اكدى الحافر واجبل اذا بلغ في الحفر الكدية والجبل قوله تعالى اعنده علم الغيب
فهو يرى . معناه اعنده هذا الرجل علم الغيب من امر العذاب حتى علم ان غيره يحمل عنه اثم خطاياه فهو يرى اي يعلم ان
صاحبه يحمل عنه عذابه وقوله تعالى ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى
معناه الم يخبر بما كان مكتوبا في صحف موسى يعني التوراة . وما في صحف ابرهيم الذي وفى اي تمم واكمل ما امر به
وقيل معناه وابرهيم الذي بلغ قومه وادى اليهم ما امر به . وقيل كل ما يجب لله عليه من الطاعة في كل
ما امر به وامتحن به كما في قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن وقيل في معنى ذلك انه كان عاهد
ان لا يسال مخلوقا فوفى بذلك حتى قال له جبريل عليه السلام في الوقت الذي اراد قومه ان يلقوه في النار هل لك
من حاجة اجابه اما اليك فلا وقيل معناه وفى رؤياه وقدم ذبح ابنه . وقيل ادى الامانة ووفى شان
المناسك وقوله تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى هذا بيان لما في صحف ابرهيم وموسى الذي
وفى . ومعناه ولا تحمل حاملة حمل اخرى . اي لا تعذب نفس بذنب غيرها . وهذا ابطال لقول من ضمن للوليد ان يحمل
عنه الاثم وهذا عام في كل شريعة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه قال كانوا قبل ابرهيم ياخذون الرجل
بذنب غيره . وياخذون بالولي في القتل حتى ان الرجل ليقتل بابيه واخيه وابنه وعمه وخاله . والزوج يقتل
بامراته والسيد بعبده فلما بعث ابرهيم عليه الصلاة والسلام نهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله ان لا تزر وازرة
وزر اخرى يقال وزرت الشي ازره اذا احملته . والاوزار الاحمال . ويسمى الاثم وزرا لان الاثم يثقل صاحبه
كما قال الله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك . ويسمى الوزير وزيرا لانه يحمل ثقل الملك في قيامه
بالتدبير قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى اي ليس له الاجزاء ما عمل من خير او شر . وهذا
عطف على قوله تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى وهو ايضا مما في صحف ابرهيم وموسى قوله تعالى وان سعيه سوف
يرى معناه وان عمله سوف يرى في الاخرة في ديوانه وميزانه . ثم يجزاه الجزاء الاوفى لا ينقص من ثواب عمله
شي وقوله تعالى وان الى ربك المنتهى اي منتهى العباد ومصيرهم وهو مجازيهم باعمالهم . وقيل منه
ابتدا المنة واليه انتهاء الامال وعن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى وان الى ربك المنتهى
قال لا فكرة في الرب . والشاهد لهذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر الله فانتهوا وعن ابي هريرة قال
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم يتفكرون . فقال فيما انتم تتفكرون . قالوا نتفكر في الخالق . فقال
تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فانه لا يحيط به الفكر تفكروا ان الله خلق السموات سبعا . والارض سبعا
ثخانة كل ارض خمسماية عام . وما بين كل ارضين خمسماية عام . وبين السما والارض خمسماية عام . وثخانة
كل سما خمسماية عام . وما بين كل سمائين خمسماية عام . وفي السما السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله فيه
ملك قايم لم يجاوز الماء كعبيه قوله تعالى وانه هو اضحك وابكى اي اضحك من شاء من خلقه وابكى
من شاء منهم . وقال الكلبي اضحك اهل الجنة فيها . وابكى اهل النار فيها . وقال عطاء معناه وانه هو افرح
واحزن . وقال الضحاك اضحك الارض بالنبات . وابكى السما بالمطر . وقيل اضحك الاشجار بالانوار وابكى
السحاب بالامطار . وقال ذو النون اضحك قلوب العارفين بشمس معرفته . وابكى قلوب العاصين
بظلمة نكرته ومعصيته وقال سهل اضحك المطيع بالرحمة . وابكى العاصي بالسخطة . وسئل طاهر المقدسي اتضحك
الملايكة . فقال ما ضحك من دون العرش منذ خلقت جهنم . وقيل لعمر رضي الله تعالى عنه هل كان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي . وقال محمد بن علي
الترمذي معنى الاية وانه اضحك المومن في الاخرة . وابكاه في الدنيا . واضحك الكافر في الدنيا . وابكاه

وابكاه في الاخرة قوله تعالى وانه هو امات واحيى اي امات في الدنيا واحيى في العقبى للجزا . وقيل امات الكافر
واحيا الانبيا . وقيل امات الكافر بالنكرة والقطيعة . واحيى المومن بالمعرفة والوصلة . قال الله تعالى اومن كان
ميتا فاحييناه قوله تعالى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى اي خلق الصنفين
الذكر والانثى من كل حيوان من نطفة اذا تقذف في الرحم لتقدير الولد والمني ما يقدر منه الولد قوله تعالى وان
عليه النشاة الاخرى يعني بالنشاة الاخرى الخلق الثاني للبعث يوم القيمة يعيدهم احيا . وقوله تعالى
وانه هو اغنى واقنى قال الضحاك معناه اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال . واقنى بالابل والبقر
والغنم . وقال الحسن وقتادة معناه اغنى واخدم . وقال ابن عباس اغنى وارضى بما اعطى . وقيل معناه اغنى وافقر
وقيل اغنى اي اكثر واقنى اي اقل . ونظيره قوله تعالى يبسط الرزق لمن يشا ويقدر . وقال الاخفش اقنى وافقر واخرج
وقيل اغنى بارباح الاموال وفروعها . واقنى باصولها . فالاول مثل الذهب والفضة يتصرف فيهما ويربح عليهما
والثاني مثل الضياع والاغنام يستبقي الانسان اصولهما وينتفع بما يحصل له منهما قوله تعالى وانه هو رب الشعرى
وهو كوكب خلف الجوزا كان يعبده اناس من خزاعة . فقال الله تعالى انا رب الشعرى فاعبدوني ويقال للشعرى
مرزم الجوزا وهما شعريان يقال لاحدهما العبور والاخرى الغميصا . واراد هنا الشعرى العبور اعلم الله تعالى انه
رب الشعرى وخالقها وانه هو المعبود لا معبود سواه قوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى وثمود فما
ابقى . معناه وانه اهلك قوم هود بريح صرصر وهم اول عاد كانوا . واما عاد الاخرى فاقتتلوا فيما بينهم فتفانوا بالقتل
وكانت عاد الاخرى من نسل عاد الاولى قرا نافع وابو عمرو ويعقوب عاد الولى مدغما ونقل الواو نافع . وقرا بعضهم باسكان
اللام واثبات الهمزة وهي الاصل في الكلام . قوله تعالى وثمود فما ابقى . اي واهلك قوم صالح بالصيحة فما ابقى
منهم احدا قوله تعالى وقوم نوح من قبل اي واهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود . انهم كانوا هم اظلم
واطغى من غيرهم لان نوحا عليه السلام لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فما امن منهم الا نفر يسير قوله تعالى
والمؤتفكة اهوى معناه قرى قوم لوط الاربع رفعها جبريل الى السما الدنيا فاسقطها الى الارض والمعنى اهواها
جبريل الى الارض بعد ما رفعها واتبعهم الله تعالى بالحجارة فذلك قوله تعالى فغشاها ما غشى يعني الحجارة والخزي والنكال
وسميت المؤتفكة من قولهم افكته اي قلبته . والمؤتفكة هي المنقلبة قوله تعالى فباي الاء ربك تتمارى اي فباي
نعم ربك ايها الانسان تتشكك وترتاب . قال ابن عباس يريد فباي نعم ربك التي تدل على وحدانيته تشك وتكذب يا وليد
يعني الوليد بن المغيرة . وذلك ان الله تعالى لما عدد ما فعله مما يدل على وحدانيته قال فباي الاء ربك تتمارى فان قيل
ما معنى النعم ههنا وقد تقدم ذكر الاهلاك . قلنا ان النعم التي عدها قبل هذه نعم علينا لما انا لنا فيها من المزاجر لانسان منا
احد مسالكهم قوله تعالى هذا نذير من النذر الاولى يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من النذر الاولى اي من الرسل
قبله . والمعنى هذا الرسول نذير لكم جار في الانذار مجرى من تقدمه من الانبيا عليهم الصلاة والسلام قوله تعالى
ازفت الازفة اي دنت القيمة واقتربت الساعة قوله تعالى ليس لها من دون الله كاشفة اي ليس للقيمة
اذا غشيت الخلق بشدايدها واهوالها احد يكشفها عنهم ولا يردها وهذا قول عطا والضحاك وقتادة . والتاء في كاشفة
على تقدير ليس لها نفس كاشفة . ويجوز ان يكون قوله تعالى كاشفة مصدرا كالخاتمة والعاقبة اي ليس لها من دون
الله كشف اي لا يكشف عنها غيره ولا يعلم متى هي الا هو وهذا كقوله لا يجليها لوقتها الا هو قوله تعالى افمن هذا الحديث
تعجبون وتضحكون ولا تبكون الخطاب لمشركي قريش . والمعنى افمن هذا القران الذي يتلى عليكم تعجبون من نزول الله على محمد
تكذيبا وتضحكون استهزاء ولا تبكون مما فيه من الوعيد والزواجر والتخويف قوله تعالى وانتم
سامدون اي لاهون غافلون عنه يقال دع عنك سمودك اي لهوك . قال امية

الا ايها الانسان انك سامد . كانك لا تفنى ولا انت هالك

والسمود هو الغفلة والسهو عن الشيء ◦ وقال الكلبي السامد الحزين بلسان قريش وبلسان اليمن اللاهي ◦ وقال الضحاك سامدون اي أشرون بطرون ◦ وقال مجاهد سامدون اي مبرطمون والبرطمة ان يدلي الانسان شفتيه من الغضب ◦ وفي لغة اليمن اسمد لنا اي غن لنا ◦ وعن ابي هريرة قال لما نزلت هذه الاية أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون بكى اهل الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم ◦ فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم حنينهم بكى معهم فبكينا فقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله تعالى ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم ◦ قوله تعالى فاسجدوا لله واعبدوا ◦ اي اخضعوا لله بالتوحيد واعبدوه ولا تعبدوا احدا غيره ◦ ويجوز ان يكون السجود ههنا كناية عن الصلوة ◦ وعن ابن عباس قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النجم فسجد فيها فسجد معه المسلمون والمشركون والجن ◦ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ◦

سورة القمر خمس وخمسون آيات

وهي الف واربعمائة وثلثة وعشرون حرفا وثلثمائة واثنان واربعون كلمة وخمس وخمسون آية ◦ قال صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القمر بعثه الله يوم القيمة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ◦ والله اعلم ◦

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر معناه دنت القيمة وجاءت حدث من اعلامها وهو انشقاق القمر ◦ وان يروا آية يعني اهل مكة علامة تدلهم على وحدانية الله تعالى ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ◦ يعرضوا ◦ اي يجحدوا ويقولوا سحر مستمر ◦ اي شديد قوي من المرة وهي القوة ◦ وقوله تعالى وكذبوا واتبعوا اهواءهم اي كذبوا الرسل وثبتوا على التكذيب وعملوا بهوى انفسهم في عبادة الاصنام ◦ وكل امر ◦ مما اجرى الله تعالى به من الامور الماضية والمستقبلة ◦ مستقر ◦ ثابت لا تلحقه الزيادة والنقصان والتغيير والتبديل ◦ وسبب نزول هذه الايات ما روي ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية وهم في المسجد الحرام حين قال ابو جهل واللات والعزى لئن اتيت باية كما اتت به الرسل لنؤمنن لك فقال صلى الله عليه وسلم وماذا عليك لو حلفت بالله العظيم فقال ورب هذه الكعبة لئن اتيت باية كما اتت به الرسل لنتابعنك ◦ وقال ابن عباس اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فاشقق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنون قالوا نعم فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ◦ فقال صلى الله عليه وسلم يا فلان ويا فلان ويا فلان اشهدوا ◦ وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى القمر فانفلق فلقتين وكانت احديهما فوق الجبل والاخرى اسفل من الجبل حتى رأى الجبل بين فلقتي القمر ◦ وقالت اشهدوا فقال ابو جهل ان محمدا سحر القمر ◦ ثم قال ابو جهل لاصحابه ابعثوا الرسل الى البلاد فان عاينوا من ذلك ما عاينا فهو آية والا فهو سحر فبعثوا الرسل الى جميع البلاد فاذا الناس يتحدثون بانشقاق القمر فلما رجعوا اليهم واخبروهم به قالوا ان هذا سحر داهي ◦ قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر ◦ يعني اهل مكة جاءهم من اخبار الامم المكذبة في القرآن ما فيه منتهى لهم عما هم فيه من الكفر والفسوق ◦ قوله تعالى حكمة بالغة ◦ بدل من ما والمعنى جاءهم حكمة في نهاية الحسن والصواب وقيل المراد بالحكمة البالغة القرآن قوله تعالى فما تغني النذر ◦ اي ما تغني الرسل صلوات الله عليهم عن قوم لا يتدبرون ولا يتفكرون في الادلة والنذر جمع نذير قوله تعالى فتول عنهم يوم يدع الداع ◦ اي اعرض عنهم فليس عليك اجبارهم على الدين وانما عليك اقامة الحجة وقد بلغت نبهما وهذه

الآية

الآية منسوخة باية القتال ◦ وهذا وقف تام ◦ قوله تعالى يوم يدع الداع ابتداء كلام ◦ قال مقاتل اراد بالداعي اسرافيل ينفخ قائما على صخرة بيت المقدس ◦ الى شيء نكر ◦ اي الى امر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما له ◦ وذلك قوله تعالى الى شيء نكر ◦ وقوله تعالى يوم يدع الداع منصوب على معنى واذكر ◦ قوله تعالى خشعا ابصارهم ◦ نصب على الحال من يخرجون وذلك دليل على تقدم الحال على الاسم ولذلك يقال راكبا جاء زيد كما يقال جاء زيد راكبا وتقديره يخرجون من الاجداث خاشعا ابصارهم ◦ قرأ ابو عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي وخلف خاشعا بالالف ◦ وقرأ الباقون خشعا على الجمع ◦ قال الفراء يجوز في اسماء الفاعلين اذا تقدمت على الجماعة التوحيد ◦ والجمع والتانيث يقال مررت بشباب حسن اوجههم وحسان اوجههم وحسنة اوجههم ◦ وفي قراءة عبد الله خاشعة ابصارهم اي ذليلة خاشعة خاضعة عند رؤية العذاب قوله تعالى يخرجون من الاجداث ◦ اي يخرجون عند النفخة من القبور في عين لا يهتدون الى شيء يجول بعضهم في بعض مثل الجراد المنتشر ◦ والمعنى انهم يخرجون فزعين لا جهة لاحد منهم فيقصدها ◦ والجراد لا جهة له تكون ابدا مختلفة بعضها فوق بعض قوله تعالى مهطعين الى الداع ◦ اي مقبلين الى صوت اسرافيل ناظرين متحيرين مسرعين اليه يقول الكافرون هذا يوم عسر ◦ صعب شديد ◦ قال ابن عباس عسر على الكفر سهل يسير على المؤمنين كما قال تعالى على الكافرين غير يسير ◦ والاهطاع الاسراع قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا ◦ اي كذبت قبل قومك قوم نوح كما كذبك قومك ونسبوا نوحا الى الجنون فقالوا ◦ مجنون وازدجر ◦ اي فكذبوا عبدنا نوحا وقالوا هو مجنون وزجروه عن دعائه اياهم الى الايمان بالشتم والوعيد فقالوا له لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قوله تعالى فدعا ربه اني مغلوب فانتصر ◦ معناه فدعا نوح ربه اني مغلوب بينهم مقهور فانتقم لي ممن كذبني ويعني قوله تعالى فانتصر اي فانتقم منهم لدينك ◦ وانما دعا عليهم بالهلاك بعد ما اذن له في الدعاء فاجاب الله تعالى دعاءه فقال تعالى ◦ ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر ◦ اي سائل منصب انصبابا شديدا لا ينقطع مدة مع كثرة سيلانه ◦ قال الكلبي انصب اربعين يوما ◦ وقرئ ففتحنا بالتشديد على تكثير الفعل ◦ وذكر الابواب في الاية على معنى اجراء الماء من السماء كان بمنزلة الجري بانه كانه فتح عنه باب كان مانعا له قوله تعالى وفجرنا الارض عيونا ◦ اي شققنا الارض عيونا ◦ فالتقى الماء ◦ ماء السماء وماء الارض ◦ على امر ◦ قد قضي في اللوح المحفوظ وهو هلاك القوم ◦ وقرأ الجحدري فالتقى الماءان قوله تعالى وحملناه على ذات الواح ودسر ◦ معناه وحملنا نوحا ومن آمن معه على سفينة ذات الواح ومسامير قوله تعالى تجري باعيننا ◦ اي تجري بحفظنا وبوحينا وامرنا حتى لا يقع فيها شيء من الماء ولا تنكسر ولا تغرق قوله تعالى تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر ◦ اي فعلنا ذلك من انجائه واغراقهم ثوابا لمن كفر به وجحد امره وهو نوح عليه السلام كفره قومه وجحدوا به ◦ وقرأ مجاهد جزاء لمن كان كفر بفتح الكاف والفاء يعني كان الغرق جزاء لمن كفر بالله وكذب رسوله قوله تعالى ولقد تركناها آية ◦ يعني تركنا هذه الفعلة وبقاء السفينة التي يصنعها الناس على مثال سفينة نوح عليه السلام علامة للناس ليعتبروا ويستدلوا بها على توحيد الله فهل من مدكر ◦ فهل من متعظ معتبر متذكر متفكر يعلم ان ذلك حق فيعتبر وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر ◦ معناه فانظر يا محمد كيف كان عقوبتي من اذى رسلي فلم يؤمنوا وهذا استفهام ومعناه التعظيم لذلك العذاب وهذا تخويف لمشركي مكة قوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر ◦ اي سهلناه للحفظ والقراءة والكتابة ◦ قال سعيد بن جبير ليس كتاب من

كتب الله يقرأ كله ظاهرا الا القرآن وقوله تعالى فهل من مدكر اي فهل من ذاكر يذكره . وقارئ
يقرؤه . ومعنى الحث على قراءة القرآن ودرسه وتعلمه . ولولا ان يسره الله علينا ذلك لم يستطع احد ان يلفظ به
قوله تعالى كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر . انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا
اي باردة شديدة البرد . وشديدة الصوت . في يوم نحس مستمر اي في يوم مشؤوم عليهم ودائم الشؤم
روي انه كان يوم الاربعاء الذي في آخر الشهر لا يدور . ويقال معنى قوله مستمر استمر بهم العذاب الى نار جهنم
قوله تعالى تنزع الناس كأنهم اعجاز نخل منقعر . اي يقلع الناس من الارض من تحت اقدامهم ثم
يجيئهم على رؤوسهم فتدق رقابهم وتقطع اعناقهم فتبقى اجسادهم كأنها اعجاز نخل منقطع . ويقال في معنى تنزع الناس انهم
ضربوا بارجلهم في الارض فغيبوها الى قريب من ركبهم وقالوا قل للريح حتى ترفعنا فجعلت الريح تدخل تحت اقدامهم وترفع
كل اثنين وتضرب احدهما على الاخر في الهواء فتلقيها في الوادي والباقون ينظرون اليهم حتى رفعتهم كلهم وصيرتهم
في الارض كأنهم اعجاز نخل منقعر اي ساقطة ثم رمت بالتراب عليهم فكان يسمع انينهم من تحت التراب . ويقال
تقعرت النخلة اذا اقلعتها من اصلها حتى تسقط ثم هم في طولهم حين صرعتهم الريح وكبتهم على وجوههم كالنخل
الساقطة على الارض التي ليست لها رؤوس وذلك ان الريح قلعت رؤوسهم اولا ثم كبتهم على وجوههم قوله
تعالى فكيف كان عذابي ونذر . انما كرر لانه لما ذكر في كل فصل نوعا من الانذار والتعذيب انعقد
التذكير بشيء منه على التفصيل . قال ابن الانباري سئل المبرد عن الف مسألة هذه من جملتها وهو ان
السائل قال له ما الفرق بين قوله جاءتها ريح عاصف ولسليمان الريح عاصفة . وقوله تعالى كأنهم اعجاز نخل خاوية
فقال كل ما ورد عليك من هذا الباب فلك ان ترده الى اللفظ تذكيرا ولك ان ترده الى المعنى تأنيثا
قوله تعالى كذبت ثمود بالنذر . اي بالانذار الذي جاءهم به صالح عليه السلام . فقالوا
ابشرا منا واحدا نتبعه . اي آدميا مثلنا وهو واحد فلا يكون له تبع انا اذا . ان فعلنا ذلك
لفي ضلال . وذهاب عن الحق . وسعر . اي وشقاء وعناء وشدة عذاب مما يلزمنا من طاعته .
وقال عطاء معنى قوله تعالى وسعر اي وجنون من ناقة مسعورة اذا كان بها جنون من النشاط وهو من سعر
النار اذا التهبت قوله تعالى أألقي عليه الذكر من بيننا . انكروا ان يكون الوحي اليه فقالوا كيف خص
من بيننا بالنبوة والوحي بل هو كذاب اشر . كذاب فيما يقوله اشر اي بطر متكبر يريد ان يتعظم علينا بالنبوة . قال الله
تعالى سيعلمون غدا حين ينزل بهم العذاب يعني يوم القيمة من الكذاب الاشر اهم ام صالح قرأ حمزة فستعلمون
بالتاء قوله تعالى انا مرسلوا الناقة فتنة لهم اي انا مخرجوا الناقة من الصخرة تشديدا عليهم في
التكليف . وذلك انهم تعنتوا صالحا فسألوه ان يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء وقوله تعالى فارتقبهم
اي فانتظر ما هم صانعون . واصطبر . اي على اذاهم ولا تعجل حتى يأتيهم امري . قوله تعالى ونبئهم ان
الماء قسمة بينهم . اي اخبرهم ان الماء مقسوم بين الناقة وولدها وبينهم وبين مواشيهم يوم لها ويوم لهم
وقوله تعالى كل شرب محتضر . اي كل منهم يحضر نوبته فتحضر الناقة وولدها يوم نوبتها . ويحضر القوم
يوم نوبتهم . والشرب النصيب من الماء . والشرب بالضم فعل الشارب قوله تعالى فنادوا صاحبهم
اي نادوا قدار بن سالف عاقر الناقة . فتعاطى اي تناول الناقة بالعقر . فعقر وذلك انهم لما مكثوا على ذلك
زمانا ثم ضاق عليهم الامر وعلى مواشيهم بسبب الناقة غلب عليهم الشقاء ثم تواطأ قومهم على قتلها فنادوا صاحبهم
الذي كمن لها وذلك انه رماها رجل منهم يقال له مصدع بن دهر بسهم فصرعها على ساقها فنادوا قدار بن سالف
وقالوا له دونك الناقة قد مرت بك فاضربها فتعاطى بعدما عقر الناقة قد تعضها بان ضرب ساقها الاخرى فسقطت

على جنبها وقطعوا لحمها واقتسموه فعاقبهم الله تعالى بصيحة فاهلكهم وهو قوله تعالى انا ارسلنا عليهم
صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر . قال عطاء يريد صيحة جبريل عليه السلام اسمعهم الله اياها فهلكوا وصاروا
كالورق المتهشم الذي يجمعه صاحب الحظيرة اذا ايبس غاية اليبس وتحطم غاية الانحطام . قال ابن عباس وهو ان الرجل
يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك لحرسها بذلك من السباع فما سقط من ورق ذلك الشجر ويبس وداسه الغنم وتحطم
فهو الهشيم . وقال ابن زيد الهشيم هو الشجر البالي الذي يهشم حتى ذرته الريح . والعرب تسمي كل شيء كان رطبا فيبس
فهو هشيم قوله تعالى كذبت قوم لوط بالنذر . انا ارسلنا عليهم حاصبا اي ريحا ترميهم بالحصباء
وهو الحصى . والحصباء الحجارة التي دون ملء الكف . قال ابن عباس يريد ما حصبوا به من السماء من الحجارة .
وقوله تعالى الا آل لوط نجيناهم بسحر . يعني ابنتيه وزوجته المؤمنة نجاهم الله من العذاب بان
امرهم بالخروج في وقت السحر . وكانت نجاتهم نعمة من الله عليهم وكذلك يجزي الله كل من عرف النعمة وقابلها بالشكر
قوله تعالى ولقد انذرهم بطشتنا . اي خوفهم لوط عذابنا فشكوا في الانذار اي فتدافعوا بالحجاج الباطل
ويقال جادلوه في امر الرسالة ولم يصدقوه قوله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه . اي طلبوا ان
يسلم اليهم اضيافه وهم الملائكة قصدا منهم الى عملهم الخبيث . فامر الله جبريل ان يصفق بجناحه صفقة فاعماهم فبقوا
حيارى . ومعنى فطمسنا اعينهم . اي اعميناهم وصيرناهم كسائر الوجه لا يرى له شق فكانوا عميانا متحيرين
لا يهتدون الى الباب فقيل لهم ذوقوا عذابي ونذر يقال فلان مطموس البصر اذا كان موضع عينيه املس لا اثر
به من الجفن والحدقة قوله تعالى ولقد صبحهم بكرة . اي اتاهم العذاب صباحا يعني اخذهم عند الصبح عذاب
دائم متصل بعذاب الآخرة قوله تعالى فذوقوا عذابي ونذر . قد مضى تفسيره قوله تعالى
ولقد جاء آل فرعون النذر . قيل ان المراد بالنذر موسى وهرون واسم الجمع يطلق على الاثنين . وقيل اراد به
الآيات التي فيها الانذار وقيل هي المواعظ وقوله تعالى كذبوا بآياتنا كلها التسع فاخذناهم
اخذ عزيز مقتدر . اي فاخذناهم بالعذاب اخذ عزيز غالب في انتقامه مقتدر قادر على اهلاكهم . والعزيز
القوي الذي لا يلحقه ضعف ولا عجز ولا يتيسر به منع ولا دفع قوله تعالى اكفاركم خير من اولئكم
معناه اكفاركم يا اهل مكة اشد واقوى من اولئكم الذين قصصنا ذكرهم وهذا استفهام . ومعناه الانكار اي ليسوا
اقوى من قوم نوح وعاد وثمود وقوله تعالى ام لكم براءة في الزبر . معناه الكم براءة من العذاب
في الكتب لن يصيبكم ما اصاب الامم الخالية وقوله تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر معناه ام
يقولون نحن جميع يد واحدة متفقون على الانتصار من اعدائنا ووحد المنتصر للفظ الجميع وهو واحد في اللفظ قال
الله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر . اي سيهزم جمع كفار مكة يوم بدر ويولون الدبر منهزمين .
ومعنى الآية ان كفار مكة يقولون نحن جميع منتصر اي جماعة لا نضام ولا نرام ولا يقهرنا احد سوى ولا احد
يفرق جمعنا . وكان من حقه ان يقول نحن جميع منتصرون الا انه تبع رؤوس الاي . وقوله تعالى سيهزم الجمع ويولون
قراءة الكافة بالياء على ما لم يسم فاعله وقرأ يعقوب بالنون وكسر الزاي الجمع بالنصب . وانما وحد الدبر
لاجل رؤوس الآية . قال مقاتل ضرب ابو جهل فرسه يوم بدر وتقدم الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه
فهزمهم الله تعالى قوله تعالى بل الساعة موعدهم . فبين ان ما نزل بهم من القتل والاسر يوم بدر لم
يكن كافيا في عقوبتهم بل القيمة موعدهم . والقيمة اعظم في الدهاء واشد مرارة من القتل والاسر في الدنيا وكل داهية فمعناها
الامر الشديد قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر . اراد بالضلال الذهاب عن الصواب في الدنيا وبالسعر
عذاب النار في العقبى قوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم . اي يوم يجرهم الملائكة في النار على وجوههم
فيقول لهم ذوقوا مس سقر . وسقر اسم من اسماء دركات جهنم قال ابو امامة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذه الآية نزلت في
القدرية ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر . وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الامة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله ان المجرمين في ضلال وسعر
وعن هشام بن حسان قال سمعت الحسن يقول والله لو ان قدريا صام حتى يصير كالحبل ثم صلى حتى يصير كالوتر ثم اخذ ظلما
وزورا حتى ذبح بين الركن والمقام لكبه الله تعالى على وجهه في سقر ثم قيل له ذق مس سقر قوله تعالى انا كل
شيء خلقناه بقدر معناه كل ما خلقناه فمقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل قدر المقادير ودبر التدبير قبل ان يخلق آدم عليه السلام بالفي عام
وقال عليه السلام الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن وانتصب قوله تعالى كل شيء بفعل مضمر كانه قال
انا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلائق
يوم القيمة نادى مناد يسمعه الاولون والآخرون اين خصماء الله فتقوم القدرية فيقال لهم ذوقوا مس سقر قوله
تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر معناه وما امرنا بقيام الساعة او غير ذلك الا كلمة واحدة لا
تثنى كلمح البصر بل هو اسرع ومعنى اللمح النظر بالعجلة قوله تعالى ولقد اهلكنا اشياعكم اي ولقد
اهلكنا اشباهكم ونظراءكم في الكفر من الامم الماضية فهل من متعظ يتعظ بهم وقوله تعالى وكل شيء فعلوه في
الزبر معناه وكل شيء فعلوه وقالوه من خير وشر يعني الاشياع مكتوب في اللوح المحفوظ قبل ان يفعلوه وكل
صغير وكبير من الذنوب والخلق والاعمار مستطر مكتوب على ما عليه قبل ان يفعلوه وتكتبه الملئكة
في دواوينهم ليجزيهم الله على اعمالهم قوله تعالى ان المتقين في جنات ونهر معناه ان الذين يتقون
الشرك والكبائر والفواحش في بساتين وانهار جارية من الماء والخمر واللبن والعسل قوله تعالى في مقعد
صدق اي في مجلس حسن وموضع قرار وامن من وقوع الحوادث عند مليك مقتدر اي عند مليك قادر
على الثواب والعقاب قادر لا يعجزه شيء وهو الله عز وجل ومقعد الصدق وهو الجنة مدح الله المكان بالصدق ولا
يدخل فيه الا اهل الصدق وانما قال ونهر موحدا لاجل رؤس الآي كقوله تعالى ويولون الدبر وقال
الضحاك معناه في فضاء وسعة ونور ومنه النهار ومن ذلك نهرت الطعنة اذا وسعتها وقرأ الاعرج وطلحة
ونهر بضمتين كانه جمع نهار لا ليل وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

سورة الرحمن عز وجل سبعون وثمان آيات مدنية

في قول اكثر المفسرين وقال الحسن مدنية وهي الف وستمائة وستة وثلثون حرفا وثلثمائة واحدى وخمسون
كلمة وثمان وسبعون آية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن رحم الله ضعفه وكان مؤديا لشكر
ما انعم الله تعالى عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن هذا جواب لكفار قريش حين قالوا ان محمدا يقول ما يقول من تلقاء نفسه ولم يوح اليه
شيء ومنهم من كان يقول انما يعلمه بشر فرد الله عليهم مقالتهم وبين انه هو الذي علم محمدا القرآن على لسان جبريل
وقوله تعالى خلق الانسان علمه البيان قيل المراد به آدم عليه السلام علمه الله جميع اللغات واسماء كل شيء
وكان آدم يتكلم بسبعمائة الف لغة افضلها العربية ويجوز ان يكون الانسان ههنا اسم جنس يعني جميع الناس
علمهم الله تعالى البيان وهو النطق والكتابة والخط والافهام حتى عرف الانسان ما يقول وما يقال له وقيل
يعني البيان بيان الحلال والحرام وبيان الخير والشر وما يأتي وما يذر وقال ابو العالية يعني الكلام الحسن
والنطق والتمييز وقيل الكتابة بالقلم وقال السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به قوله تعالى الشمس
والقمر بحسبان معناه انهما يجريان على حساب مستقيم لا يختلف فيدلان على عدد الشهور والسنين
والاوقات فان الشمس تقطع الفلك في ثلثمائة وخمسة وستين يوما والقمر يقطع الفلك في ثمانية وعشرين
يوما ويستتر في يومين وفي جريهما دلالة على التوحيد وقيل معناه انهما يحسب بهما الاوقات والآجال ولولا

ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف يحسب شيئا لو كان الدهر كله ليلا كيف يحسب او كله نهارا
كيف يحسب وتقدير الآية والشمس والقمر يجريان بحسبان قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان
معناه والنجم في السماء والشجر في الارض يسجدان لله تعالى وقيل معناه النبات والشجر يسجدان لله فان النجم ما
نبت على غير ساق والشجر ما نبت على ساق في اللغة كما يقال في كل ما طلع انه قد نجم ومن ذلك نجم القرآن
ومعنى سجودهما اي سجود ظلالهما كقوله يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وقيل يسجدان لله على الحقيقة الا انا لا
نقف على سجودهما كقوله تعالى ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم
والجبال والشجر والدواب قوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان معناه رفع السماء فوق الارض
ليستدل بها على وحدانيته تعالى وكمال قدرته وقوله تعالى ووضع الميزان قال مجاهد معناه وامر بالعدل وقال
قتادة والضحاك يعني الميزان الذي يوزن به ليوصل به الى الانصاف والانتصاف ولولا الميزان لتعذر الوصول
الى كثير من الحقوق قال بعضهم انزل الله الميزان على هيئته في زمن نوح عليه السلام ولم يكن قبل ذلك وقال بعضهم
عرف الله الناس ذلك على لسان بعض الانبياء وقيل الهاما الهمهم كيف يتخذون الميزان ويزنون به قوله تعالى
ان لا تطغوا في الميزان معناه لئلا تميلوا وتضلوا وتجاوزوا الحد في الميزان وقيل معناه لئلا تظلموا
فتأخذوا الاكثر وتعطوا الاقل وقوله تعالى واقيموا الوزن بالقسط اي سووا الميزان بالعدل والانصاف
ولا تنقصوا الميزان وقيل معناه اقيموا لسان الميزان بالقسط ولا تخونوا من وزنتم له ولا تبخسوا الوزن وكل
شيء نقصته فقد اخسرته قوله تعالى والارض وضعها للانام معناه والارض بسطها على الماء لجميع
الخلق من الجن والانس يسكنها الاحياء ويدفن فيها الموتى تدل على وحدانية الله تعالى وقال الشعبي الانام كل
ذي روح قوله تعالى فيها فاكهة اي في الارض الوان فاكهة قوله تعالى والنخل ذات الاكمام اي
ذات الاغطية وهي اوعية الثمر واكمام النخلة ما غطى ثمرها وثمرها يكون في غلافها ما لم تنشق ومن ذلك
يقال للقلنسوة الكمة لانها تغطي الرأس وقال الحسن اكمامها ليفها وقال ابن زيد اكمامها طلعها قبل ان ينفتق
والحاصل ان كل ما يستر شيئا فهو كم وكمة ومنه كم القميص قوله تعالى والحب ذو العصف والريحان
يريد جميع الحبوب مما يحرث في الارض من الحنطة والشعير وغيرهما وقوله تعالى ذو العصف اي ذو
الورق الاخضر الذي يصير تبنا وتقتات به البهائم وسمي ورقه عصفا لخفته وعصوف الريح به مع الحب
في مكانه وقيل سمي عصفا لان الريح تذهب به وقت حاجتهم تميز الحب من التبن وقوله تعالى والريحان يعني
الرزق في قول الاكثرين وقال الحسن هو ريحانكم الذي يشم وقال مقاتل الريحان هو الورق بلغة حمير كانه
قال ذو العصف والورق وقال سعيد بن جبير الريحان الزرع وقال الضحاك هو الطعام الذي يخرج
في الزرع ويكون في السنبل واما الحب المذكور في الآية فهو ما يلقى في الارض من البذر والريحان هو ما يكون
فيه من الحب في السنبل رزقا للعباد وقد يكون الريحان بمعنى الرزق كما تقول العرب خرجنا نطلب ريحان
الله اي رزقه والعصف هو التبن والريحان هو ثمرته وعن ابن عباس ان الريحان هو خضرة الزرع
وقرأ العامة والحب ذو العصف والريحان هو كله بالرفع عطفا على الفاكهة والمعنى
فيها الحب وفيها الريحان ونصبها كلها ابن عامر على معنى خلق الانسان وخلق هذه الاشياء وقرأ اهل
الكوفة الا عاصما والريحان ونصبها كلها والريحان بالكسر عطفا على العصف كانه قال والحب
ذو العصف وذو الريحان وهو الرزق الذي يخلق في السنبل والريحان رزق للناس والعصف
للدواب فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الجن والانس والمعنى فبأي نعمة من نعم ربكما
تكذبان من هذه الاشياء المذكورة فانها كلها مما انعم الله بها عليكم من دلالة على توحيده ومن ذكره ورزقه اياكم

اياكم ما به فوايكم • وانما خاطب الجن والانس لانهما مشتركان في الوعد والوعيد • وانما كررت هذه الاية في هذه
السورة تقريرا للنعمة وتاكيدا في التذكير بها على عادة العرب في الابلاغ والاشباع • وقال الحسين
ابن الفضل التكرار لطرد الغفلة وتاكيد الحجة وقيل لما عدد الله نعمة بعد نعمة كرر هذا القول ترغيبا في الشكر وتحذيرا
من الكفر والتكذيب بنعم الله وهذا في الحقيقة ليس بتكرار لانه ذكر كل واحد منها عقيب نعمة لم يجد ذكرها وعن جابر بن
عبد الله قال قرا علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال ما لي اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا ما
قرات عليهم هذه الاية من مرة • فباي الاء ربكما تكذبان • الا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ولك
الشكر قوله تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار • اي خلق اصل الانس وهو ادم من
طين يابس اذا نقر صلصل اي صوت كالفخار وهو الخزف الذي طبخ بالنار فيسمع منه الصوت اذا نقر واذا اصطك
بعضه ببعض والمعنى من طين يبسه كالخشب والخزف • وخلق الجان من مارج من نار • معناه وخلق اصل
الجن وهو الجان ابو الجن من مارج من نار وهو الصافي من لهب النار لا دخان فيه وقيل من لهب من نار مختلط بسواد
النار وقيل انه لسان النار الذي يكون في طرفها اذا التهبت • وقال مجاهد هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب
الاحمر والاصفر والاسود الذي يعلو النار اذا اوقدت وهو من قولهم مرج اذا اختلط • وقيل انها نار لا دخان لها
تكون بين السماء والارض الدنيا وبين حجاب دونها فادم السماء يرى من وراء ذلك الحجاب ومن تلك النار تكون
الصواعق قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين • اي رب مشرق الشمس في الشتاء ومشرقها
في الصيف ومغربها في الشتاء ومغربها في الصيف • والمعنى هو رب المشرقين ورب المغربين وقيل معناه
هو رب مشرق الشمس والقمر ورب مغربهما قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان • اي ارسل
البحرين العذب والملح بالاجراء في الارض ومرجت الدابة اذا ارسلتها ترعى ويجوز ان يكون معنى
مرج خلط ومنه المرج الاختلاط المجاز وقوله تعالى يلتقيان اي يلاقي احدهما صاحبه • بينهما
برزخ لا يبغيان • اي بينهما حاجز من قدرة الله تعالى لا يبغي العذب على الملح فيكونان عذبا ولا
يبغي الملح على العذب فيكونان ملحا • والمعنى ان الله تعالى ذكر عظيم قدرته حيث خلا الجوين العذب
والملح يلتقيان وجعل بينهما حاجزا من قدرته وحكمته لا يبغي احدهما على صاحبه فلا الملح يبغي على العذب
فيفسده ولا العذب على الملح فيخلط به • وقيل معنى قوله لا يطغيان على الناس بالغرق قوله تعالى يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان • فيه بيان نعم البحر واللؤلؤ معروف وهو الكبار من جنس اللؤلؤ والمرجان صغاره •
وانما يخرجان من الملح دون العذب والعذب كاللقاح للملح الا انه قال يخرج منهما لان ذلك لا يوجد الا حيث يكون
فيه العذب والملح جميعا • وقيل المرجان ضرب من الجوهر كالقضبان وقال ابن عباس يخلق الله تعالى اللؤلؤ والمرجان
من قطر المطر • وذلك ان السماء اذا امطرت فتحت الاصداف افواهها على وجه الماء في البحر الملح فما وقع من المطر
في افواهها نزل الى صدورها فانعقد لؤلؤا وقال السدي المرجان الخرز الاحمر وعن ابن مسعود ان المرجان
حجر • وذكر ان نواة كانت في جوف صدفة فاصابت قطرة بعض النواة ولم تصب بعضها فكان حيث اصابه
القطرة من النواة لؤلؤة وسايرها نواة • واكثر القراء على يخرج بضم الياء وفتح الراء وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم
لانه يخرج ولا يخرج بنفسه • وقرئ يخرج بفتح الياء وضم الراء لانه اذا اخرج خرج فان قيل كيف يخرج منهما
وانما يخرج من احدهما وهو الملح قيل هذا جائز في كلام العرب ان تذكر شيئا ثم تخص احدهما بفعل دون
الاخر كقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم والرسل من الانس دون الجن
قاله الكلبي وكذلك قوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في واحدة منها وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر
قوله تعالى وله الجوار المنشات في البحر كالاعلام • فيه بيان نعم الله تعالى بالسفن العظام التي ينتفع

بها التجارات وغيرها والمنشات هي المرفوعات الشراع وما لم يرفع منها شراعها فلا تكون منشاة وقيل المنشاة
هي اللواتي ابتدئ بهن في الجري والاعلام الجبال العظام شبه السفن في البحر كالجبال في البر وقرا حمزة المنشيات بكسر الشين
يعني المبتديات في السير اللاتي انشان جريهن وسيرهن قوله تعالى كل من عليها فان • اي كل من على
الارض شيء وهذه كناية عن غير مذكور • ومعنى الاية كل من دب ودرج على الارض من حيوان فهو فان هالك • وفي
هذا منع عن الركون الى الدنيا والاغترار بها قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قالت الملائكة هلك اهل الارض فانزل
الله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فايقنت الملائكة بالهلاك قوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام • معناه ويبقى ربك • والوجه يذكر على وجهين • احدهما بعض الشيء كوجه الانسان • والاخر
يقتضي الشيء المعظم في الذكر كما يقال هذا وجه الراي ووجه التدبير ولما ثبت ان الله تعالى ليس بجسم
كان المعنى ويبقى الله الظاهر بادلته كظهور الانسان بوجهه • وقوله تعالى ذو الجلال والاكرام • اي
ذو العظمة والكبرياء • واستحقاق صفة المدح باحسانه وانعامه • والاكرام اكرامه انبياءه واولياءه فهو مكرمهم
بلطفه مع جلاله وعظمته • وعن معاذ بن جبل قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يصلي وهو يقول يا ذا
الجلال والاكرام • فقال عليه السلام قد استجيب لك • وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام قوله تعالى يسئله من في السموات والارض • اي لا يستغني عنه اهل
السماء ولا اهل الارض • قال ابو صالح يساله من في السموات الرحمة • ويساله من في الارض المغفرة
والرزق والكل يلجئون اليه ويسالونه حوائجهم قوله تعالى كل يوم هو في شان • قال المفسرون
من شانه انه يحيي ويميت ويرزق ويعز ويذل ويشفي مريضا • ويجيب داعيا • ويعطي سائلا • ويغفر
ذنبا • ويكشف كربا الى ما لا يحصى من افعاله واحداثه ما يشاء في خلقه • وعن ابي الدرداء عن النبي
صلى الله عليه وسلم في كل يوم هو في شان • قال من شانه انه يغفر ذنبا ويفرج كربا • ويرفع قوما ويضع
اخرين • وقال مجاهد من شانه • ان يجيب داعيا • ويعطي سائلا • ويشفي سقيما • ويغفر ذنوبا
ويتوب على قوم • ويشفي اخرين وقيل شانه انه يخرج كل يوم ثلثة عساكر • عسكر من اصلاب الاباء الى
الارحام • وعسكر من الارحام الى الدنيا • وعسكر من الدنيا الى القبور • ثم يرتحلون جميعا الى الله عز وجل
جميعا وحكي ان بعض الملوك سال وزيره عن معنى هذه الاية • فاستمهله الى الغد ورجع الوزير
الى داره كئيبا لم يعرف ما يقول فقال له غلام اسود من غلمانه يا مولاي ما اصابك فرجوه • فقال
يا مولاي اخبرني فلعل الله تعالى يسهل لك الفرج على يدي فاخبره بذلك فقال له غدا الى الملك فقل له
ان غلامي الاسود ان اذنت له فسر لك هذه الاية ففعل ذلك فدعا الملك الغلام فساله عن ذلك فقال
ايها الملك شان الله تعالى انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل • ويخرج الحي من الميت •
ويخرج الميت من الحي • ويشفي سقيما • ويسقم سليما • ويبتلي معافا • ويعافي مبتلا • ويعز ذليلا • ويذل
عزيزا • فقال له الملك احسنت يا غلام فرجت عني • ثم امر الوزير فخلع ثياب الوزارة فكساها الغلام
فقال يا مولاي هذا شان الله تعالى وقوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان • هذا وعيد
من الله للخلق بالمحاسبة كقول القائل لافرغن لك وما به شغل • وهذا قول ابن عباس والضحاك • وقال
الزجاج معناه سنقصد لحسابكم بعد الترك والامهال • ونأخذ في امركم ونجزيكم على ما فعلتم بعد طول
الامهال • وهذا على وجه التهديد على ما جرت به العادة في استعمال مثل هذا اللفظ كما يقول الرجل
سافرغ لفلان يريد ساجعل قصدي له ولا يريد بذلك الفراغ من شغل هو فيه • قرا ابي سنفرغ
اليكم • وقرا الاعمش سيفرغ لكم بياء مضمومة وفتح الرا • وقرا حمزة والكسائي وخلف بياء مفتوحة
وضم الرا • وقرا الباقون بنون مفتوحة وضم الرا • قوله تعالى ايها الثقلان • الثقلان الجن والانس

يدل عليه قوله بعد ذلك • يا معشر الجن والانس • سما الثقلين لانهما ثقل على الارض احيا وامواتا • قال الله تعالى واخرجت الارض اثقالها • وقال جعفر الصادق سمي الجن والانس ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب • قوله تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا • في هذا بيان ضعف الخلايق عن دفع ما ينزل بهم من قضا الله وعذابه يقول ان قدرتم على الخروج من نواحي السموات والارض فاخرجوا هربا مما يريكم في الدنيا لا تقدرون ان تخرجوا الا بسلطان يعطيكم الله تعالى من قوة وحجة فحيث ما كنتم شاهدتم سلطان الله تعالى وذلك يدلكم على وحدانيته • وقيل معناه ان استطعتم ان تهربوا من الموت بالخروج من اقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها • والمعنى انكم حيث ما كنتم ادرككم الموت ولن تستطيعوا ان تهربوا منه • وقوله تعالى لا تنفذون الا بسلطان اي لا تنفذون الا بملكي اي حيث ما كنتم وحيثما توجهتم فثم ملكي وقدرتي واقطار السموات والارض اطرافها ونواحيها • وقيل في معنى هذه الاية يامر الله تعالى الملئكة يوم القيمة ان تحف باقطار السموات والارض ثم يقال للجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطارهما هربا من الحساب والعقاب فاهربوا • قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار • اي يرسل على من استحق منكما بمعاصيه لهب من النار والشواظ اللهب الذي لا دخان فيه • وقرا ابن كثير شواظ بكسر الشين وهو لغة اهل مكة • قال حسان يهجو امية بن ابي الصلت •

هجوتك فاخضعت لها بذل • بقافية تاجج كالشواظ •

قوله تعالى ونحاس فلا تنتصران • قرا ابن كثير وابو عمرو ونحاس بالخفض عطفا على النار وقرا الباقون بالرفع عطفا على شواظ • واختلفوا في معنى النحاس • والمعنى يرسل عليكما شواظ • ويرسل نحاس اي يرسل هذا مرة • وهذا مرة • ويجوز ان يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالاخر • وقيل النحاس هو الصفر المذاب يصب على رؤسهم • وقال مقاتل هي خمسة انهار من صفر مذاب تجري على رؤس اهل النار • وقوله تعالى فلا تنتصران اي فلا تمتنعان عن ما يراد بكما • قوله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان • ووجه انعام الله تعالى علينا في انزال ايات الوعيد انه تعالى لما حذرنا من العذاب بابلغ اسباب التحذير حتى نتجنب المعاصي خوفا من عذابه ونرغب في الطاعات طمعا في ثوابه كان ذلك نعمة منه علينا فلذلك قال تعالى فباي الاء ربكما تكذبان • قوله تعالى فاذا انشقت السما فكانت وردة كالدهان • معناه اذا انشقت وذابت حتى صارت حمرا كلون الوردة الحمرا او كالدهن الاحمر من جريان جهنم مع عظم السما وكبرها فكيف بابدانكم الضعيفة في ذلك اليوم وهذا كما روي عن علي رضي الله تعالى عنه انه مر على قوم من الحدادين فقال ما انتم يا معشر الحدادين احق الناس بالاتعاظ والاعتبار اما ترون تاثير هذه النار الضعيفة في هذا الحديد الشديد فكيف تاثير تلك النار العظيمة في هذه الابدان الضعيفة • ويقال في تشبيه السما بالوردة انها تتلون في ذلك اليوم • قال الحسن ان السما اول ما تتلون تحمر ثم تصفر ثم تخضر كالفرس الورد يكون في الربيع وردة الى الصفرة فاذا اشتد كان وردة حمرا فاذا كان الخريف كان وردة غبرا وشبهها بالدهان المختلطة التي تصب بعضها على بعض والدهن والدهان واحد • قال قتادة ان السما اليوم خضرا وستكون يوم القيمة حمرا كالدهان • وقيل الدهان جمع الدهن • قال عطا يعني عصير الزيت • وقال جريج تذوب السما كالدهن الذايب وذلك حين يصيبها حر نار جهنم • فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان • اي لا يسالون سوال استفهام لان الله يظهر على كل مجرم علامة تدل على معصيته وعلى كل مطيع علامة تدل على طاعته لان الله تعالى قال بعد هذه الاية • يعرف المجرمون بسيماهم • اي بعلاماتهم من سواد الوجوه وزرقة الاعين فيجعل اقدامهم مضمومة الى نواصيهم من خلف الغل ويلقون في النار لذلك الناصية شعر مقدم الراس ويقال للمجرمين عندما يلقون في النار هذه جهنم التي كنتم بها تكذبون يعني المشركين يطوفون بينها

وبين حميم ان • معناه يطوفون بين اطباق النيران وبين ما حار قد انتهى حره اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم فيطاف بهم مرة الى الحميم ومرة الى النار • يقال انى يانى اناً فهو ان اذا انتهى النضج والحرارة • قال قتادة طبخ منذ خلق الله السموات والارض • حدثنا مردويه الصايغ • قال صلى بنا الامام صلوة الصبح فقرا فيها سورة الرحمن ومعاذ علي بن الفضيل • فلما قرا الامام يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام خر مغشيا عليه حتى فرغنا من الصلوة فقلنا له بعد ذلك يا علي اما سمعت الامام يقول حور مقصورات في الخيام • قال شغلني عنها يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام • ولمن خاف مقام ربه جنتان • معناه ولمن خاف وقوفه في عرصات القيمة بين يدي الله تعالى فترك المعصية رهبة من الله تعالى جنتان اي بستانان من الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر ترابهما الكافور والعنبر وحصاهما المسك الاذفر كل بستان منها مسيرة مائة سنة في وسط كل بستان دار من نور • وقال محمد بن علي الترمذي جنة داخل خوفه وجنة خارج قصره لتركه • وفي الحديث ان هذه الاية نزلت في من دعته نفسه الى المعصية فاذا اتمكن منها وقدر عليها تذكر ما في ذلك بها من العقاب وما في تركها من الثواب فتركها فله جنتان • ثم وصفهما • ذواتا افنان • اي ذواتا اغصان واحدها فنن • وهو الغصن المستقيم طولا • وقال الزجاج الافنان الالوان والاصناف اي ذواتا الوان واصناف من الفواكه لا تعدم فيها لون من الوانها واصنافها • وجمع عطا بين القولين فقال يريد في كل غصن فنون من الفواكه • وفي ذكر الاغصان بيان كثرة الاشجار • وبكثرة الاشجار تمام حال البستان فان البستان لا يكمل الا بكثرة الاشجار والاشجار لا تحسن الا بكثرة الاغصان • فيهما عينان تجريان • اي في البساتين عينان تجريان احدهما السلسبيل والاخرى التسنيم تجريان في غير شق ولا اخدود • فيهما من كل فاكهة زوجان • اي نوعان وصنفان حلو وحامض واصفر واحمر ورطب ويابس • ويقال صنفان صنف عهدوه في الدنيا وصنف لم يعهدوه ولا خطر بقلوبهم • متكئين على فرش بطائنها من استبرق • اي جالسين جلسة الملوك مكرمين متجالسين على فرش بطائنها من استبرق • البطائن هي الصفحة مما يلي الارض في مقابلة الظهاير • والاستبرق هو الديباج المنسوج بالذهب • وانما ذكر البطاين من الاستبرق ليعرف ان البطاين اذا كانت هكذا فالظواهر لا شك انها اشرف منها على ما عليه العادة • وقال ابو هريرة هذه البطاين فما ظنكم بالظواهر • وقيل لسعيد بن جبير البطاين من الاستبرق فما الظواهر • قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين • وقال ابن عباس وصف البطاين وترك الظواهر لانه ليس احد في الارض يعرف ما الظواهر • وجنا الجنتين دان • اي ثمرها قريب من متناوله ينالها القائم والقاعد والمضطجع ياخذ كيف ما اراد وتدنو الى افواههم حتى ياكلوا ولو بالافواه • فيهن قاصرات الطرف • اي في هاتين الجنتين وما حولهما من الجنان حور قاصرات الاعين قد قصرن طرفهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم ولا يبغين بهم بدلا والطرف جفن العين • ويجوز ان يكون معنى فيهن قاصرات الطرف اي في الفرش التي بطاينها من استبرق • قال ابن زيد المراة من الحور العين القاصرات الطرف تقول لزوجها وعزة ربي ما ارى في الجنة احسن منك والحمد لله الذي جعلني زوجك وجعلك زوجي • لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان • اي لم يفتضهن والطمث النكاح بالرمي وامراة طامث اي حايض وطمثت الجارية اذا افترعها • والمعنى لم يطاهن ولم يجامعهن انس قبلهم ولا جان لانهن خلقن في الجنة • وقيل الطمث هو المس • كانهن الياقوت والمرجان • اي كانهن في صفا الياقوت وبياض المرجان والمرجان في صفا اللولو وهو اشد بياضا من كباره • وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المراة من اهل الجنة ليرى بياض مخ ساقها من وراء سبعين حلة من حرير • هل جزا الاحسان الا الاحسان • اي ما جزا من احسن في الدنيا الا ان يحسن اليه في الاخرة • قال ابن عباس ما جزا من

قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إلا الجنة • وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى كل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي إلا أن أسكنه جنتي وحضرة قدسي برحمتي **قوله** **ومن دونهما جنتان** معناه وله جنتان سوى الجنتين الأوليين وهما دون الأوليين قال بعضهم أراد بالجنتين الأوليين جنتين في العلو وأراد بهذين جنتين في السفل • قال صلى الله عليه وسلم جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما من فضة • وقيل معناه ومن دونهما جنتان أي أقرب إلى القصر ومجالسه من الجنتين الأوليين **قوله تعالى** **مدهامتان** أي خضراوان قد ضرب خضرتهما إلى السواد • وذلك أحسن ما يكون في الخضرة وأولاهم لما لم يكن ويقال ادهام الزرع إذا علاه السواد ريا **قوله تعالى** **فيهما عينان نضاختان** أي فوارتان بالماء من الأسفل نضخ على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور والخير والبركة بخلاف العينين الأوليين والنضح أكثر من النضخ **قوله تعالى** **فيهما فاكهة ونخل ورمان** • أي فيهما ألوان الفاكهة • وقوله تعالى ونخل ورمان • لأبي حنيفة أن النخل والرمان ليسا من الفاكهة ولأن الشيء لا يعطف على نفسه وعند أبي يوسف ومحمد هما من الفاكهة وإنما عطفهما على الفاكهة لزيادة معنى فيهما لا يوجد في سائر الفواكه كما في قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل • وروي أن نخل الجنة عروقها من فضة وجذوعها ذهب • وسعفها حلل • وثمرها أحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم **قوله تعالى** **فيهن خيرات حسان** • قرأ أبو رجاء خيرات حسان بالتشديد وهما لغتان مثل هين وهين ولين ولين • وعن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله أخبرني عن قوله خيرات حسان • قال خيرات الأخلاق حسان الوجوه وقيل خيرات فاضلات مختارات لسن بزريات ولا ذفرات ولا بخرات ولا متسلطات ولا طماحات ولا طوافات في الطرق **قوله تعالى** **حور مقصورات في الخيام** • الحور البيض والمقصورات المحبوبات المحبوسات المصونات • والخيام جمع خيمة وهي خيمة من درة مجوفة فيها أربعة آلاف مصراع من ذهب طول الخيمة في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها أهل لا يراهم الآخرون **قوله تعالى** **فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** • تقدم تفسير صفة القاصرات الطرف **قوله تعالى** **متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان** • قال أبو عبيدة الرفارف البسط وهو قول الضحاك ومقاتل والحسن • وقال الزجاج الرفرف ههنا رياض الجنة • وقيل الرفرف الوسائد وأما العبقري فهي البسط من الزرابي وغيرها • وكل ما يبالغ في وصفه فهو عبقري وأصله أن عبقر بلد كان يوشى فيها البسط وكانت العرب تعتقد أن أفضل البسط ما نسج بعبقر فأضافه الله على عادتهم **قوله تعالى** **تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام** • أي عظمت البركة في اسم الله ربك فاطلبوا البركة في كل شيء يذكر فيه اسمه • قرأ ابن عامر ذو الجلال والإكرام • وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم •

سورة الواقعة سبع وتسعون آيات

وهي ألف وسبعمائة وثلاثة أحرف وثلاثمائة وسبعون كلمة وستة وسبعون آية • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة الواقعة لم يكتب من الغافلين • وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة كل يوم لم تصبه فاقة • وعن مسروق قال من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار ونبأ الدنيا والآخرة فليقرأ سورة الواقعة •

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا وقعت الواقعة قال ابن عباس معناه إذا قامت القيامة • والواقعة اسم القيامة • وقيل معناه إذا نزلت صيحة القيامة وتلك النفخة الآخرة **قوله تعالى** **ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة** • أي ليس لمجيئها وظهورها كاذبة ولا رد ولا خلاف • وقوله تعالى خافضة رافعة أي تخفض أناسا وترفع آخرين • وقال عطاء تخفض أقواما كانوا في الدنيا مستضعفين • وقيل تخفض قوما إلى النار • وترفع آخرين إلى الجنة **قوله تعالى** **إذا رجت الأرض رجا** • أي إذا زلزلت الأرض وزحفت وتحركت حركة شديدة حتى ينهدم كل جبل وبناء على وجه الأرض **وقوله تعالى** **وبست الجبال بسا** • أي فتتت فصارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول • والبسيسة عند العرب الدقيق والسويق يلت ويتخذ زادا • قيل إن الجبال تصير يومئذ كالدقيق والسويق على وجه الأرض **قوله تعالى** **فكانت هباء منبثا** • أي فصارت غبارا متفرقا كالذي يسطع من حوافر الدواب ويوجد في شعاع الشمس إذا دخل من الكوة وهو الهباء فيقبض إليه بعض فلا يحصل في يده شيء وقرأ النخعي منبتا بالتاء أي منقطعا • **وكنتم أزواجا ثلاثة** • أي وصرتم يومئذ أصنافا ثلاثة ثم فسرهم فقال **تعالى** **فأصحاب الميمنة** يعني الذين يعطون كتبهم بأيمانهم • وقيل هم الذين سلك بهم ذات اليمين إلى الجنة **قوله تعالى** **وأصحاب المشأمة** • هم أصحاب الشؤم والتكذيب • وقيل هم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ويسلك بهم طريق الشمال إلى النار • ويقال لليد اليسرى الشؤمى • قال الشاعر •

أليم والبري في شؤماء يديك لهم • وفي يمينك ماء المزن والضرب •

وصنف الشام واليمن على شمال آدم عند إخراج الذرية • وقال الله تعالى لهم هؤلاء في النار ولا أبالي وقوله تعالى ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة تعجب لشأن أصحاب الميمنة في الخير والترغيب في طريقتهم **قوله تعالى** **والسابقون السابقون** بيان للصنف الثالث • والمعنى والسابقون في الدنيا في الطاعات هم السابقون في العقبى إلى الدرجات وقيل هم الذين سبقوا إلى توحيد الله والإيمان برسوله • وقال ابن سيرين هم الذين صلوا إلى القبلتين وشهدوا بدرا دليله • قوله والسابقون الأولون • وقيل إلى الصلوات الخمس • وقال سعيد بن جبير المسارعون إلى التوبة وإلى أعمال البر ونظيره سابقوا إلى مغفرة من ربكم • وقال أولئك يسارعون في الخيرات وهم السابقون **قوله تعالى** **أولئك المقربون في جنات النعيم** • أي هم المقربون إلى كرامة الله وجزيل ثوابه في أعلى الدرجات ثم أخبر عن محلهم فقال في جنات النعيم **قوله تعالى** **ثلة من الأولين** أي جماعة من أوائل الأمم ممن صدق بالنبيين من لدن آدم إلى زمان نبينا صلى الله عليه وسلم • **وقليل من الآخرين** أي من هذه الأمة وذلك أن الذين عاينوا جميع النبيين وصدقوا بهم أكثر ممن عاين النبي محمدا صلى الله عليه وسلم ألا ترى إلى قوله وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون وهؤلاء سوى من آمن بجميع الأنبياء وصدقهم • والثلة في اللغة هي القطعة الكبيرة من الناس والجماعة الذين لا يحصى عددهم **قوله تعالى** **على سرر موضونة** • أي على سرر منسوجة بقضبان الذهب والفضة والجواهر وقد أدخل بعضها في بعض كما يوضن حلق الدرع بعضها في بعض مضاعفة • **قال الأعشى** •

ومن نسج داود موضونة • تساق إلى الحي عيرا فعيرا •

وإنما قال على سرر موضونة لأنها إذا كانت على هذه الصفة كانت أنعم وألين من السرر التي تعمل من الخشب • قال الكلبي طول كل سرير ثلاثمائة ذراع • فإذا أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت فإذا جلس عليها ارتفعت • وقال الضحاك موضونة أي مصفوفة يقال أخو موصول إذا صف بعضه إلى بعض • **متكئين عليها متقابلين** • أي جالسين عليها جلسة الملوك للراحة متقابلين يقابل بعضهم بعضا في الزيارة إذا اشتهى أحدهم صحبة صاحبه في الله في طلب الآخر مثل ذلك وأمر كل واحد منهم بسريره فأخرج على باب منزله ثم جلسا على سريرهما يتحدثان ثم يرجع كل واحد منهم بسريره فأخرج على باب منزله ثم جلسا فإن بعد عنه فإذا شاء أسار سريره إلى حيث يشاؤون **قوله تعالى** **يطوف عليهم ولدان مخلدون** • أي يطوف عليهم للخدمة غلمان لا يهرمون ولا يتغيرون ولا يموتون خلقوا للخلود وهم دائمون • ويقال يعني مخلدون مقرطون مسورون من الخلدة وهي الحلي يقال للحلي جاسد إذا كان لها خلد وهي القرطة **قوله** **بأكواب وأباريق** • الأكواب جمع كوب وهي الكيزان العظام المدورة الرؤوس التي لا آذان لها ولا خراطيم ولا عرى • والأباريق الأواني التي لها عرى وخراطيم واحدها إبريق وهو الذي يبرق من صفائه

وحسنه وبريق لونه قوله تعالى وكأس من معين الكأس الاناء الذي فيه الشراب والمعين الخمر التي تجري من العيون الظاهرة لا في الاخدود والمعنى وكأس خمر جارية قوله تعالى لا يصدعون عنها ولا ينزفون اي لا يصيبهم من شربها صداع كما في شرب خمر الدنيا ولا تنزف عقولهم يقال للرجل اذا سكر نزف عقله والنزيف هو السكران قوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون معناه ويؤتون بفاكهة مما يختارون ليس فيها قشر ولا نوى ظاهرها مثل باطنها وباطنها مثل ظاهرها قوله تعالى ولحم طير مما يشتهون اي ويؤتون بلحم طير مما يتمنون كما في الحديث انهم اشتهوا لحم الطير وقع بين ايديهم مشويا نضيجا وذلك منه قدر الحاجة ثم يطير كما كان وهذا لان الذبح لا يكون الا باراقة الدم وذلك لا يكون في الجنة وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لطيرا فيه سبعون الف ريشة تجيء فتقع على صحفة الرجل من اهل الجنة ثم ينتفض فيخرج من كل ريشة لون ابيض من الثلج والين من الزبد واعذب من الشهد ليس لون يشبه الآخر ثم يطير فيذهب قوله تعالى وحور عين قرأ ابو جعفر وحمزة والكسائي وحور عين بالخفض على معنى ويتمون بحور عين ويجوز ان خفضا على المجاورة لانه معطوف على قوله وفاكهة ولحم طير والحور البيض الحسان والعين الواسعة الاعين حسانها وقرأ النخعي واشهب العقيلي وحورا عينا بالنصب على معنى ويزوجون حورا وقرأ الباقون بالرفع على معنى ولهم فيها حور عين قوله تعالى كامثال اللؤلؤ المكنون معناه ان صفاءهن كصفاء الدر حين يخرج من صدفه قبل ان يصيبه يد او هواء او شمس او غبار وعن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الحور العين من الزعفران وعن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة ليس منهن امرأة الا ولها قبل شهي ولذكر لا ينثني وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سطع نور في الجنة فقالوا ما هذا قالوا ضوء ثغر حوراء ابتسمت في وجه زوجها ويروى ان الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاساور في ساعديها وان عقد الياقوت يضحك في نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من اللؤلؤ يصران بالتسبيح والتحميد قوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون فيه بيان ان هذه الاشياء جزاء لهم على اعمالهم الصالحة التي كانوا يعملونها في الدنيا قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما اي لا يسمعون في الجنة الا قولا سليما من اللغو والتأثيم ان يؤثم بعضهم بعضا ولا يتكلمون بما فيه اثم قوله تعالى الا قيلا سلاما سلاما اي لكن يقولون قيلا ويسمعون قيلا سلاما يسلمون فيه من اللغو والاثم قال عطاء يحيي بعضهم بعضا بالسلام على احسن الآداب وكريم الاخلاق مع كمال النعيم ويقول لهم الملائكة سلام عليكم بما صبرتم من المكاره وهذا كله نعت السابقين ثم ذكر الصنف الثاني فقال واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين وهم عامة المؤمنين دون النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ما تدري ما لهم يا محمد في الجنة من النعيم والسرور قوله تعالى في سدر مخضود السدر شجر منبق مرتفع المنظر طيب الرائحة والمعنى في ظلال سدر قد نزع شوكه وكثر حمله والخضد عطف العود اللين وكذلك نبق لا شوك فيه والمخضود منزوع الشوك قد خضد شوكه اي قطع ومنه الحديث لا يخضد شوكها ولا يعضد شجرها وقال مجاهد والضحاك وقتادة شوكه مخضود اي موقر حملا ويقال ان السدر شجر النبق الا ان ثمرة تلك الشجرة في الآخرة لا تكون مثل ثمرة شجر النبق في الدنيا ولا رائحتها تشبه رائحتها قوله تعالى وطلح منضود الطلح شجر الموز وقوله منضود اي متراكب على اغصانها من اولها الى آخرها فليس له سوق بارزة وقال الحسن الطلح شجر ظل بارد طيب وقرأ

علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وطلع منضود بالعين اي نخل متراكب الرطب على اغصانها كما في قوله تعالى لها طلع نضيد قوله تعالى وظل ممدود اي لا تنسخه الشمس كالربيع يعني ظل الفرش قال عمرو بن ميمون مسيرة سبعين الف سنة وعن ابي هريرة قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرأوا ان شئتم وظل ممدود قوله تعالى وماء مسكوب اي مصبوب لهم من ساق العرش في اوعيتهم ليشربوا على ما يريدون من حسنه وصفائه وطيب رائحته وقيل معناه وماء مصبوب يجري دائما في غير اخدود لا ينقطع قوله تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة اي وانواع فاكهة كثيرة لا تنقطع عنهم في وقت من الاوقات بخلاف فواكه الدنيا وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بعد متناول او شوك يؤذي بخلاف ما يكون في الدنيا وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان ولا ينقطع ثمرها اذا جنيت بل يخرج مكانها مثلها قال صلى الله عليه وسلم ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا ابدل الله تعالى مكانها ضعفين قوله تعالى وفرش مرفوعة قال صلى الله عليه وسلم ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام موضوعة بعضها فوق بعض اذا اراد العبد ان يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس ثم يرتفع في الهوى وقال علي رضي الله عنه مرفوعة على الاسرة وقيل انه اراد بالفرش هاهنا النساء تنعمات القدر في عقولهن وحسنهن وكمالهن رفعن بالحسن والجمال والفضل على نساء الدنيا ودليل هذا التأويل قوله تعالى انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وقد تسمى المرأة فراشا ولباسا قوله تعالى انا انشأناهن انشاء اي خلقناهن خلقا جديدا لا بولادة ولا تربية بخلاف نساء الدنيا وقيل المراد بهذه الآية نساء اهل الدنيا خلقهن بعد خلق بعد خلق كما روي في بعض الاحاديث انهن عجائز كن في الدنيا جعلن صبايا ويلبسن من الحسن والجمال اكثر مما يلبس الحور العين لانهن عملن في الدنيا والحور لم تعمل قوله تعالى عربا اترابا لاصحاب اليمين العرب جمع عروب وهي المحسنة الى زوجها للاعتنا معه اتيانه ومحبته له قال المبرد وهي العاشقة لزوجها الحسنة السعل الرقيقة الكلام قوله تعالى اترابا اي مستويات في السن على ميلاد واحد كلهن في مثل ثلاث وثلاثين سنة سنهن مثل سن ازواجهن ومثل هذا يكون اتم اللذة وقوله تعالى لاصحاب اليمين اي جميع هذا الذي ذكرناه لاجل اصحاب اليمين وقيل معناه قوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين اي جماعة من اوائل الامم وجماعة من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وروي انه لما انزل الله تعالى ثلة من الاولين وقليل من الآخرين شق على رسول الله صلى الله عليه وقال من عواصر قليل فانزل الله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر وقال يا ابن الخطاب قد انزل الله تعالى فيما قلت فجعل ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فقال عمر رضينا عن ربنا وتصديق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من آدم الينا ثلة ومنا الى يوم القيامة ثلة وقال مجاهد والضحاك الثلتان جميعا من هذه الامة قوله تعالى واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال يعني الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ما تدري يا محمد ما لهم من عذاب جهنم وريح حارة تدخل في مسامهم وهو في سموم وحميم اي في حر النار وماء حار وظل من يحموم اي من دخان شديد السواد لا كظل الدنيا الا انه ظل دخان جهنم وقال ابن زيد اليحموم جبل في جهنم قوله تعالى لا بارد ولا كريم اي لا بارد المدخل ولا كريم المنظر وقيل لا بارد المنزل ولا حسن المنظر قوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين فيه بيان سبب العقوبة معناه انهم كانوا في الدنيا منعمين متكبرين في ترك امر الله وكانوا ممتنعين من الواجب الذي عليهم طلبا للترفه وكانوا يصرون على الحنث العظيم اي وكانوا يقيمون

على الشرك بالله تعالى • وسمي الشرك حنثا لانهم كانوا يحلفون ان الله تعالى لا يبعث من يموت والحنث الاثم
وذلك السعي للحنث العظيم اليمين الغموس وهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك الرسل وكانوا
يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون • بيان انكارهم للبعث قوله تعالى
أو آباؤنا الأولون • هذا القول منهم زيادة استبعاد واستنكار يقول الله تعالى قل إن الأولين والآخرين
لمجموعون • اي قل لهم يا محمد ان اباكم ومن قبلهم وانتم ومن بعدكم لمجموعون في قبورهم الى يوم القيمة قوله تعالى
ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون • وذلك ان الله تعالى يلقي
عليهم الجوع حتى يضطرهم ذلك الى اكل الزقوم فياكلون منه حتى يملئوا بطونهم ثم يلقي عليهم العطش فيضطرهم ذلك الى شرب
الحميم فيشربون منه شرب الابل العطاش التي بها الهيام لا تروى وواحد الهيم اهيم والانثى هيماء • ويقال الهيم هي
الرمال التي لا تروى بالماء ماخوذ من قولهم كثيب اهيم وكثبان هيم • قرا نافع وعاصم وحمزة شرب بضم الشين وقرا
الباقون بفتحها والمعنى فيهما واحد مثل ضعف وضعف قوله تعالى هذا نزلهم يوم الدين اي هذا غذاؤهم ورزقهم
يوم الجزاء قوله تعالى نحن خلقناكم • اي نحن خلقناكم ايها الكفار ولم تكونوا شيئا فلولا تصدقون بالبعث اعتبارا
بالخلقة الاولى قوله تعالى أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون • معناه اخبروني يا اهل
مكة ما تقذفون من المني وتصبونه في ارحام النساء انتم تخلقونه ولدا ام نحن نخلقه ونجعله بشرا سويا قوله
تعالى نحن قدرنا بينكم الموت • اي كتبناه عليكم وسوينا فيه بين اهل السماء والارض على مقادير اجالهم في
مكان معلوم وفي زمان معلوم فمنكم من يموت كبيرا قوله تعالى وما نحن بمسبوقين • اي وما نحن
بمغلوبين عاجزين على ان نبدل غيركم اطوع منكم واخشع وعلى ان ننشئكم في موضع لا تعلمونه وهو النار • وقيل في صور
لا تعلمونها من سواد الوجوه وزرقة الاعين ولو اردنا ان نجعل منكم القردة والخنازير لم نسبق ولا فاتنا ذلك •
قرا ابن كثير نحن قدرنا مخففا وهما لغتان قوله تعالى ولقد علمتم النشأة الاولى اي قد علمتم الخلقة
الاولى ولم تكونوا شيئا فخلقناكم من نطفة وعلقة ومضغة فهلا تذكرون اي قادر على اعادتكم كما قدرت على ابتدائكم
قوله تعالى أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون • معناه اخبروني ما تلقون من البذر
في الارض انتم تنبتونه وتجعلونه زرعا ام نحن الفاعلون لذلك قوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما • اي
يابسا متكسرا بعد خضرته لا حب فيه فابطلناه • فظلتم تفكهون • اي فصرتم تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم وتندمون
على ما انفقتم فيه وتحملتم فيه من المشقة وتقولون انا لمغرمون اي لحقنا غرم عظيم في الزرع وغرمنا الحب الذي بذرناه
فذهب علينا بغير عوض بل نحن محرومون اي ممنوعون من الرزق منه والاصل ظللتم فحذفت اللام الاولى والتفكه
من الاضداد • يقال تفكه اي تنعم وتفكه اي تحزن قوله تعالى أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه
من المزن اي من السحاب • أم نحن المنزلون • لو نشاء جعلناه اجاجا • اي مرا شديد المرارة
قوله تعالى أفرأيتم النار التي تورون • يعني تظهرونها بالزناد من الاعواد • ومعنى تورون تقدحون
وتستخرجون من زندكم يقال اوريت النار اذا قدحتها قوله تعالى أأنتم أنشأتم شجرتها • اي انبتم شجرة
النار • أم نحن المنشئون • لها في الارض جعلناها خضراء وفيها النار قوله تعالى نحن جعلناها
تذكرة • اي نحن جعلنا النار عظة ليتعظ بها المؤمن • وقيل جعلناها تذكرة للنار الكبرى اذا راها الرائي
ذكر جهنم فذكرها الله تعالى واستجار به منها وترك المعصية • وقوله تعالى ومتاعا للمقوين • اي
وجعلناها منفعة للمسافرين الذين ينزلون بالارض التي بالمفاوز • يقال اقوى الرجل اذا نزل
بالارض القوي وهي الخالية القفر • ويقال ارض قي اي قفر • قال الراجز ٥
في ناصبها بلاد قي • والقي والقواء الارض القفر الخالية • ويقال ارض القواء • يقال

يقال اقوت الارض سكانها • قال النابغة • اقوت وطال عليها سالف الابد • ومنفعة المسافرين بالنار
اكثر من منفعة المقيمين لانهم يوقدونها ليلا لتهرب منها السباع ويهتدي بها الضال من الطريق ويستضيئوا
بها في الظلمة ويصطلوا بها من البرد • ويطبخوا بها من البر ويخبزوا وضرر فقدها عليهم اشد • وقد يقال
للذي نفد زاده المقوي من اقوت الدار اذا اخلت • ويقال للفقير مقو لخلوه من المال • وللغني
مقو لقوته على ما يريد فعلى هذا المقوي من الاضداد والمعنى ومتاعا للغني والفقير • وذلك لانه
لا غنى لاحد عنها • ولما ذكر الله سبحانه وتعالى ما يدل على توحيده وما انعم به قال تعالى ٥
فسبح باسم ربك العظيم • اي برئ الله مما يقول الظالمون في وصفه ونزهه عما لا يليق به
وفي الحديث لما نزلت هذه الاية • قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم قوله تعالى
فلا أقسم بمواقع النجوم • معناه فاقسم وانما دخلت لا زائدة للتوكيد • ويجوز ان يكون قوله فلا اقسم
لما يقوله الكفار في القران انه سحر وشعر وكهانة ثم استانف القسم على انه قران كريم في كتاب مكنون
ويعني بقوله مواقع النجوم نجوم القران التي كانت تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا قطعا
قطعا • وقيل يعني مغارب النجوم ومساقطها • وقرا حمزة والكسائي بموقع على المصدر والمصدر يصلح
للواحد قوله تعالى وإنه لقسم لو تعلمون عظيم • قال الزجاج هذا يدل
على المراد بمواقع النجوم نزول القران • والضمير في انه يعود على القسم • ودل عليه اقسم • والمعنى
ان القسم بمواقع النجوم • إنه لقرآن كريم • هذا الجواب والقسم ومعناه كثير الخير دال على
انه من عند الله لانه لا ياتي احد بمثله • والكتاب المكنون ههنا هو اللوح المحفوظ مصون عن
التغيير والتبديل والزيادة والنقصان قوله تعالى في كتاب مكنون
لا يمسه إلا المطهرون • قال بعضهم الضمير يعود الى الكتاب المكنون ومعناه
لا يمس اللوح المحفوظ الا المطهرون من الذنوب وهم الملئكة • وقال بعضهم الضمير يعود الى القران
والمراد به المصحف لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات والحيض كما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم لا يمس القران الا طاهر • وقيل معنى الاية لا يعمل به الا الموفقون • وقيل لا يجد
حلاوته الا المطهرون • وقيل معناه لا يقرؤه الا الموحدون المطهرون من الشرك • وكان ابن
عباس ينهى ان تمكن اليهود والنصارى من قراءة القران • وقيل لا يجد لذته ونفعه الا من امن به
وقيل لا يوفق للعمل به الا السعداء • فظاهر الاية انه لا يجوز للمحدث مس المصحف او الاية وان كان
ظاهرها نفيا فمعناها النهي اي لا يمس المصحف الا المطهرون من الاحداث والى هذا ذهب جمهور الفقهاء
وذهب الحكم وداود بن علي الى انه يجوز للمحدث مس المصحف اذا كان مسلما ولا يجوز ذلك للمشرك والدليل
على انه لا يجوز للمحدث مسه قوله صلى الله عليه وسلم لا يمس القران الا وانت طاهر وعليه اجماع الصحابة
وسئل علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ايمس المحدث المصحف فقال لا قوله تعالى أفبهذا
الحديث أنتم مدهنون • معناه افبهذا الذي نقرؤه عليكم يا اهل مكة انتم تكفرون وتكذبون والمدهن
والمداهن الكذاب المنافق • وقيل معنى مدهنون تظهرون خلاف ما تضمرون ماخوذ من الدهن ومداهنة
العدو وملاينته ومصانعته واظهار مسالمته بخلاف ما يضمر قوله تعالى وتجعلون رزقكم
أنكم تكذبون • اي وتجعلون شكركم انكم تكذبون بنعمة الله عليكم فيقولون سقينا بنوء كذا وذلك
انهم كانوا يقولون مطرنا بنوء كذا ولا ينسبون السقيا الى الله عز وجل فقيل انهم يجعلون شكر رزقكم التكذيب اي يجعلون ذلك

شكركم لله بأنه من عند الله الرزق • وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو حبس الله تعالى عن أمتي المطر سبع سنين ثم أنزل عليهم الماء لأصبح طائفة منهم يقولون بنوء كذا وكذا • وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في سفر فنزلوا فأصابهم العطش وليس معهم ماء فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال أرأيتم إن دعوت ربكم فسقيتم فلعلكم تقولون سقينا هذا المطر بنوء كذا فقالوا يا رسول الله ما هذا بحين الأنواء • فصلى ركعتين ودعا ربه فهاجت ريح ثم هاجت سحابة فمطروا حتى سالت الأودية وملؤوا الأسقية فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر برجل يغرف بقدح له وهو يقول سقينا بنوء كذا ولم يقل هذا من عند الله • فأنزل الله هذه الآية وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون • أي وتجعلون شكركم الله تعالى على رزقه إياكم أنكم تكذبون بنعمته وتقولون سقينا بنوء كذا • وعن معاوية الليثي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يصبح الناس مجدبين فيأتيهم الله برزق فيصبحون مشركين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا • **قوله تعالى** فلولا إذا بلغت الحلقوم • معناه فهلا إذا بلغت الحلقوم النفس عند الموت • وأنتم حينئذ يا أهل الميت • تنظرون • حال الميت وأنتم حوله ترون نفسه تخرج ولا تقدرون على ردها • ونحن أقرب إليه منكم • أي ورسلنا أقرب إليه منكم ويجوز أن يكون معناه ونحن أقرب إليه منكم بالعلم والقدرة لا بالمسافة من غير مسافة بيننا وبينه وأنتم لا تبصرون • الإشارة فيه • فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين • أي فهلا إن كنتم غير محزونين ومحاسبين كما تزعمون تردون نفس الميت إلى جسده إذا بلغت التراقي إن كنتم صادقين في ظنكم أن لكم شيئا من القدرة فيحكم عن رد هذه الروح إلى الجسد دليل على أنكم مقهورون عاجزون • والمعنى إن كان الأمر كما تقولون أنه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا إله محاسب ومجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم وإذا لم تقدروا على ذلك فاعلموا أن الأمر إلى غيركم وهو الله عز وجل • قوله تعالى ترجعونها جواب عن قوله فلولا إذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا إن كنتم غير مدينين أجيبا بجواب واحد • **قوله تعالى** فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم معناه فأما إن كان المحتضر الذي بلغت نفسه الحلقوم من السابقين المقربين عند الله فله روح وهو الروح والاستراحة • وقال مجاهد الروح الفرح والريحان الرزق في الجنة • قرأ الحسن وقتادة ويعقوب فروح بضم الراء ومعناه الحياة الدائمة التي لا موت فيها • يقال الروح نسيم الريح يسر إليه النفس والريحان هو المشموم قال أبو العالية يؤتى ببعض من ريحان الجنة فيشمه قبل أن يفارق الدنيا ثم تقبض روحه • وقال أبو بكر الوراق الروح الخلاص من النار والريحان الدخول في دار القرار • وقال الترمذي الروح الراحة في القبر والريحان دخول الجنة • وقال بسطام الروح السلامة والريحان الكرامة • وقال محمد الروح معانقة الأبكار والريحان مرافقة الأبرار • وقيل الروح كشف الكروب • والريحان غفران الذنوب • وقيل الروح تخفيف من الحساب والريحان تضعيف الثواب • وقيل عفو بلا عتاب • والريحان رزق بلا حساب • وقيل الروح لأرواحهم • والريحان لقلوبهم • وقيل وجنة النعيم لأبدانهم • **قوله تعالى** وأما إن كان من أصحاب اليمين • فسلام لك من أصحاب اليمين • معناه وأما إن كان هذا المتوفى من أصحاب اليمين يعني من عامة المؤمنين دون الصديقين والسابقين فسلام أيها الإنسان الذي هو من أصحاب اليمين من عذاب الله وسلمت عليه ملائكة الله ولا بد لمن أصحاب اليمين ويرى في الجنة ما يحب من السلامة **قوله تعالى** فسلام لك أي يسلم عليك سلام أي سلامة من العذاب وقيل معناه أصحاب اليمين **قوله تعالى** وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم • أي وأما إن كان هذا المتوفى من المكذبين بالبعث الضالين عن الهدى والحق فالذي يعد له حميم جهنم وتصلية جحيم أي إدخال نار جهنم **قوله تعالى** إن هذا لهو حق اليقين • يعني ما ذكر من قصة المحتضرين وجميع ما سبق ذكره في هذه السورة ليقين الحق حق اليقين والمعنى هو حق اليقين لا شك فيه **قوله تعالى** فسبح باسم ربك العظيم • أي نزه الله تعالى عن السوء والاسم بمعنى الذات كأنه قيل فسبح ربك

العظيم

سورة الحديد تسع وعشرون آية مدنية

وهي ألفان وأربعمائة وستة وسبعون حرفا • وخمسمائة وأربع وأربعون كلمة وتسع وعشرون آية • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله • وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والأرض • أي خضع وصلى له ما في السموات من الملائكة • وما في الأرض من الخلق • ونزهوه عن السوء وما لا يليق • وهو العزيز في ملكه وسلطانه • الحكيم في أمره وقضائه **قوله تعالى** له ملك السموات والأرض • أي له خزائن السموات والأرض من المطر والنبات وغيره • يحيي للبعث ويميت عند انقضاء الآجال • وهو على كل شيء • من الإحياء والإماتة • قادر **قوله تعالى** هو الأول والآخر والظاهر والباطن • أي هو الأول بلا ابتداء • والآخر بلا انتهاء • لم يزل قديما قبل كل شيء • وهو الدائم الباقي بعد فناء كل شيء • وهو الظاهر الغالب على كل شيء • والظاهر هو القاهر • ومنه قوله تعالى فأصبحوا ظاهرين • أي غالبين • ويقال ظهر الأمير على بلد كذا إذا غلب عليها وهو الباطن الذي لا يدرك بالحواس • ولا يقاس بالناس • وقيل معناه هو الظاهر بأدلته العالم بما بطن من أمور خلقه • وقيل الباطن المحتجب عن الأبصار • وهو بكل شيء عليم من الظاهر **قوله تعالى** هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى • قد تقدم تفسير ذلك • **قوله تعالى** يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها • أي ما يدخل فيها من المطر كما يعلم ما يخرج منها من النبات ويعلم ما ينزل من السماء من ملك ورزق ومطر وما يصعد إليها من الملائكة وأعمال العباد • وهو معكم أينما كنتم • أي هو عالم بأقوالكم وأفعالكم وحركاتكم في أي موضع كنتم فليس يخلو أحد من علم الله وقدرته أينما كان في الأرض أو في السماء أو في بر أو في بحر • والله بما تعملون بصير • وما بعد هذا ظاهر المعنى **قوله تعالى** آمنوا بالله ورسوله • أي صدقوا بالله بأنه واحد بالملك والحكم وصدقوا برسوله أنه صادق فيما يؤديه إليكم أنفقوا في الجهاد على الضعفاء وغير ذلك من سبيل الخير من الأموال التي جعلكم الله مستخلفين فيها بأن ورثكموها ممن كان قبلكم • ويقال إن الأموال في الدنيا لا تخلو إما أن تكون قد صارت إلينا من غيرنا فنحن خلفاؤهم فيها وتصير منا إلى غيرنا فنحن خلفاؤهم في حفظها **قوله تعالى** فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير • أي لهم ثواب عظيم في الآخرة **قوله تعالى** وما لكم لا تؤمنون بالله • هذا استفهام إنكار معناه أي شيء لكم من الثواب في الآخرة إذا لم تؤمنوا بالله بعد قيام الحجة عليكم على وحدانية الله وتمام علمه وكمال ملكه وأي عذر يمنعكم من الإيمان بالله تعالى • والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم • في ظهر آدم بأن الله ربكم لا إله لكم ولا معبود سواه • وقيل يعني أخذ ميثاقكم بما ركب فيكم العقول وأقام الحجج والدلائل التي تدعو إلى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم • قرأ العامة أخذ بفتح الهمزة وفتح القاف وقرأ أبو عمرو بضمهما على ما لم يسم فاعله **قوله تعالى** إن كنتم مؤمنين • يعني إن كنتم مصدقين كما تزعمون **قوله تعالى** هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور • معناه هو الذي ينزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم آيات بينات يعني القرآن ليخرجكم من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان • ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم • إن الله بكم لرؤوف رحيم • حين بعث الرسول ونصب الأدلة **قوله تعالى** وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض • معناه أي شيء لكم في ترك الإنفاق في نصرة الإسلام ومواساة الفقراء وأنتم ستموتون وتاركون أموالكم والله سبحانه يرثكم ويرث ما في السموات والأرض ومن فيها ويرث ما عليها **قوله تعالى** لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح • معناه لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو من قبل فتح مكة مع من أنفق من بعد وقاتل • وقال الكلبي نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه • قيل إنه أول من أنفق المال على رسول الله صلى الله عليه

عليه وسلم • وأول من قاتل في الإسلام • قال ابن مسعود أول من أظهر إسلامه بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم أبو بكر الصديق وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أنفق ماله قبل الفتح • قال العلاء بن عمرو بينا النبي صلى
الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خلها على صدره بخلال إذ نزل عليه جبريل عليه السلام
فقال يا محمد ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة • فقال يا جبريل أنفق ماله قبل الفتح علي • قال فاقرئه من الله السلام وقل له
يقول لك ربك أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط • فبكى أبو بكر رضي الله عنه • وقال أعلى ربي أغضب
أنا عن ربي راض • أنا عن ربي راض • وفي هذه الآية دلالة واضحة وحجة بينة على فضل أبي بكر وتقدمه على
سائر الصحابة كما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال لا أوتى برجل فضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري • قوله
تعالى أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا • معناه أولئك أعظم ثوابا وأفضل درجة
عند الله من الذين أنفقوا من بعد فتح مكة وقاتلوا بعده • وإنما فضل الله المنفقين والمقاتلين من قبل الفتح لأن
الإنفاق والقتال في ذلك الوقت كان أشد على النفس • وكانت الحاجة إليها أمس لقلة المسلمين وضعفهم
وكثرة الكفار وشوكتهم مع شدة المحنة للمسلمين ثم بين الله تعالى أن لكل الفريقين الحسنى وهي الجنة إلا أنهم متفاوتون
في الدرجات قوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى • أي وكلا الفريقين وعد الله تعالى
الجنة • وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الاستئناف على لغة من يقول زيد ضربت قوله تعالى والله بما تعملون
خبير • أي عالم بما يعمله كل واحد منهم قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
له وله أجر كريم • قد تقدم تفسيره في البقرة • قال أهل العلم القرض الحسن أن يكون من
الحلال لأن الله طيب لا يقبل إلا الطيب وأن يكون من أحسن ما يملكه دون أن يقصد الرديء لقوله تعالى
ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وأن يتصدق وهو يحب المال ويرجو الحياة لأن النبي صلى الله عليه وسلم
سئل عن أفضل الصدقات فقال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم
قلت لفلان كذا ولفلان كذا • وأن تضع الصدقة في الأحوج الأولى وأن يكتم الصدقة ما أمكن لقوله تعالى
وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم • وأن لا يتبع الصدقة من والأذى • لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى وأن يقصد بها وجه الله تعالى ولا يرائي فيها وأن يستحقر ما يعطي وإن كثر
لأن الدنيا كلها قليل • وقال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل • وأن تكون من أحب ماله إليه قال
الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فهذه تسعة أوصاف إذا استكملتها الصدقة كانت قرضا حسنا
قوله تعالى فيضاعفه له • فيه قراءات من قرأه بالرفع فعلى العطف على يقرض وعلى الاستئناف أي
يعني فهو يضاعفه • ومن قرأه بالنصب فعلى جواب الاستفهام بالفاء قوله تعالى وله أجر
كريم • الأجر الكريم الذي يقترن به النفع العظيم وهو الجنة قوله تعالى يوم ترى المؤمنين
يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم • معناه واذكر يوم تراهم • ويجوز أن يكون انتصاب
اليوم على معنى ولهم أجر كريم في يوم يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم على الصراط يوم القيمة ويقودهم إلى
الجنة • والمراد بالنور القرآن • وقيل نور الإيمان والطاعة يظهر لهم فيمشون فيه • قال ابن مسعود يؤتون
نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره مثل الجبل • ومنهم من يؤتى نوره كالنخلة • ومنهم من يرى
نوره كالرجل القائم • وأدناهم نورا نوره على إبهامه يطفى مرة ويوقد أخرى • وقال قتادة المؤمن
يضيء له نوره كما بين عدن إلى صنعاء ودون ذلك حتى أن من المؤمنين من لا يضيء له نوره إلا موضع قدميه
قوله تعالى وبأيمانهم • قال الضحاك ومقاتل بأيمانهم كتبهم التي أعطوها فكتبهم بأيمانهم ونورهم بين أيديهم وتقول
لهم الملائكة بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار • يعني أنهار اللبن والخمر والعسل والماء الذين فيها لا يموتون
ولا يخرجون منها ذلك هو الفوز العظيم قوله تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس

من نوركم • أي انتظرونا ويوم يقول المنافقون للمؤمنين المخلصين انتظرونا نستضيء بنوركم فنمشي معكم على الصراط •
وذلك أن المنافقين تغشاهم ظلمة حتى لا يكادون يبصرون مواضع أقدامهم فينادون المؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم
وقرأ حمزة أنظرونا بقطع الألف وكسر الظاء • أي أمهلونا • وقال الزجاج معناه انتظرونا أيضا • وقال عمرو بن كلثوم
• أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا • وقال المفسرون إذا كان يوم القيمة أعطى الله المؤمنين نورا
على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط • وأعطى الله المنافقين نورا لكن لا خديعة لهم فبينما هم كذلك يمشون إذ بعث الله
ريحا وظلمة فأطفأ نور المنافقين فعند ذلك يقول المؤمنون ربنا أتمم لنا نورنا مخافة أن يسلبوا كما سلب المنافقين
ويقول المنافقون حينئذ للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم فيقولون لهم لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا وارجعوا
وراءكم فاطلبوا هناك لأنفسكم نورا فيرجعون في طلب النور فلا يجدون وتقول لهم الملائكة ارجعوا إلى الدنيا واطلبوا
نورا فإن المؤمنين حملوا النور من الدنيا بإيمانهم وطاعتهم قوله تعالى فضرب بينهم بسور • معناه فيميز بين المؤمنين
والمنافقين بأن تضرب بينهم بجدار كبير يقال له السور وهو الذي يكون عليه أصحاب الأعراف وهو حاجز بين الجنة
والنار قوله تعالى له باب • أي للسور باب • باطنه فيه الرحمة • وهي الجنة التي فيها المؤمنون وخارج
السور من قبله العذاب يعني جهنم والنار قوله تعالى ينادونهم ألم نكن معكم • معناه أن المنافقين
ينادون المؤمنين وراء السور ألم نكن معكم في الدنيا على دينكم بالحكم ونوارثكم ونصلي معكم في مساجدكم قالوا بلى
ولكنكم فتنتم أنفسكم • أي أهلكتموها بالنفاق والمعاصي والشهوات وكلها فتنة • وتربصتم بمحمد الموت وبالمؤمنين
الدوائر وقلتم يوشك أن يموت محمد فنستريح منه قوله تعالى وارتبتم • أي وشككتم في توحيد الله وفي
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم • وغرتكم الأماني • يعني ما كانوا يتمنونه من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وهلاك
المسلمين وغرتهم أيضا الأباطيل وطول الأمل • حتى جاء أمر الله • يعني الموت والبعث • وغركم بالله الغرور
أي وغركم الشيطان بحلم الله وإمهاله عن طاعته قوله تعالى فاليوم لا يؤخذ منكم فدية • أي لا
يقبل منكم بدل تفدون به أنفسكم من العذاب ولا من الذين كانوا يظهرون الكفر قرأ أبو عامر والحسن ويعقوب
لا تؤخذ بالتاء وقوله تعالى فاليوم لا يؤخذ منكم فدية مأواكم النار هي مولاكم • أي هي أولى
بكم ويجوز أن تكون مسكنا لكم قد ملكت أمركم فهي أولى بكم من كل شيء وأنتم أولى بها وسميت المولى لأنه أولى بعبده من
غيره وبئس المصير • النار • قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار قوله
تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق • معناه أما حان للمؤمنين الذين
تكلموا بكلمة الإيمان إذا سمعوا القرآن أن تخشع قلوبهم وتلين وترق لذكر الله • قال ابن مسعود ما كان بين إسلامنا
وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين والمعنى يجب أن يورثهم الذكر خشوعا ولا يكونوا كمن يذكره بالغفلة فلا يخشع
قلبه للذكر • وقوله تعالى وما نزل من الحق يعني القرآن • قرأ نافع وعاصم نزل مخففا قوله تعالى ولا يكونوا
كالذين أوتوا الكتاب من قبل يعني اليهود والنصارى وموضع ولا يكونوا النصب عطفا على قوله تعالى أن تخشع معناه وأن
لا يكونوا قال الأخفش وإن شئت جعلته نهيا وهذه زيادة في وعظ المؤمنين معناه ولا يكونوا في قساوة القلوب كالذين
أعطوا التوراة والإنجيل من قبل المؤمنين فطال عليهم الزمان بينهم وبين أنبيائهم • فقست قلوبهم • قال ابن عباس
مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله تعالى فلم تلن قلوبهم عند سماع كلام الله تعالى قوله تعالى وكثير منهم
فاسقون • أي خارجون عن طاعة الله وإنما قال وكثير منهم لأنه كان منهم من أسلم قوله تعالى اعلموا أن الله
يحيي الأرض بعد موتها • فيه تنبيه على الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها على البعث والنشور • و قوله تعالى
إن المصدقين والمصدقات • قرأ ابن كثير وعاصم بتخفيف الصاد من التصديق تقديره إن المؤمنين والمؤمنات وقرأ الباقون
بتشديدها يعني المتصدقين من الصدقة إذ أدغمت التاء في الصاد وأقرضوا الله قرضا حسنا بالصدقة والنفقة في سبيله
يضاعف لهم • قرأ ابن كثير وابن عامر يضعف بالتشديد قوله تعالى ولهم أجر كريم • يعني الجنة •

قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون • والصديق هو الكثير الصدق والتصديق
لم يشكوا في الرسل حين أخبروهم ولم يكذبوهم ساعة قوله تعالى والشهداء عند ربهم • قال بعضهم تمام الكلام عند
قوله الصديقون • ثم ابتداء فقال والشهداء عند ربهم • ولهم أجرهم ونورهم • والشهداء على هذا القول
يحتمل أن المراد بهم الأنبياء عليهم السلام الذين يشهدون يوم القيمة لمن صدق بالتصديق وعلى من كذب بالتكذيب
ويحتمل أن المراد بهم الذين قتلوا في سبيل الله • وقال بعضهم قوله والشهداء عطف على الصديقين ومعنى الشهداء
على هذا سائر المؤمنين لما في الحديث المؤمنون شهداء الله في أرضه • وقال صلى الله عليه وسلم كل مؤمن شهيد قوله تعالى
اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة • يعني الحيوة الدنيا كاللعب واللهو في سرعة فنائها وانقضائها ونظير
هذا قوله صلى الله عليه وسلم الطواف صلوة أي كالصلوة • ويقال فلان بحر أي كالبحر في السخاء وفلان أسد أي كالأسد
في الشجاعة • وقوله وزينة أي منظر حسن • والمعنى أنما الحيوة الدنيا لعب ولهو كلعب الصبيان وزينة كزينة النسوان
وتفاخر كتفاخر الأقران وتكاثر كتكاثر الدهقان • قال علي بن أبي طالب لعمار بن ياسر لا تحزن على الدنيا فإنها
ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح • فأكبر طعامها العسل وهو بصاق ذبابة
وأكبر مشروبها الماء ويستوي فيه جميع الحيوانات • وأكبر ملبوسها الديباج وهو نسج دودة • وأكبر مشمومها المسك
وهو دم فارة أو ظبية • وأكبر مركوبها الفرس وعليه تقتل الرجال • وأكبر منكوحها النساء وهو مبال في مبال
قوله تعالى كمثل غيث أعجب الكفار نباته • أي مثل الدنيا كمثل مطر أعجب الزراع نباته • والكفر في اللغة هو
التغطية ويسمى الكافر كافرا لأنه يغطي الحق بالباطل والزراع يغطي الأرض بالحب • والمعنى كمثل غيث أعجب الزراع
ما نبت من ذلك الغيث قوله تعالى ثم يهيج فتراه مصفرا • أي ثم ييبس فيصير مصفرا بعد خضرته ورطوبته
ثم يكون حطاما • أي متكسرا متفتتا تحت أرجل الدواب • وكذلك الدنيا تزول وتفنى كما لا يبقى هذا الزرع
قوله تعالى وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان • أي عذاب شديد للكفار والمنافقين
ومغفرة من الله ورضوان للمؤمنين المطيعين وقوله تعالى وما الحيوة الدنيا إلا متاع الغرور
أي في سرعة فنائها ونفادها مثل متاع البيت في سرعة فنائه وفراغه وسقوطه وانكساره • وعن علي
كرم الله وجهه أنه كان يقول في صفة الدنيا أما ما مضى فحلم وأما ما بقي فأماني وغرور • وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن • والزهد في الدنيا يريح القلب والبدن قوله تعالى
سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أي سابقوا إلى ما أمركم به وإلى
التوبة لتنالوا مغفرة الله وجنة سعتها كسعة السماء والأرض • وقيل المراد بالآية السبق إلى الجهاد والجمعة
والجماعات وسائر أعمال البر وأما في الانتظام المعنى قوله تعالى ما أصاب من مصيبة في
الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها معناه ما أصاب أحدا مصيبة في الأرض
من قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار ولا في أنفسكم من المرض والموت وفقد الأولاد إلا وهو مكتوب في
اللوح المحفوظ من قبل أن نخلق الأرض • ويقال من قبل أن نخلق الأنفس • ويقال من قبل أن نوجد تلك المصائب
في اللوح المحفوظ لأن خلق ذلك وتقديره على الله هين • والبرء في اللغة هو الخلق • والبارئ هو الخالق • والبرية
الخليقة قوله تعالى إن ذلك على الله يسير • يعني إثبات ذلك مع كثرته على الله هين قوله تعالى
لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم • أمر بالصبر على المصائب والشكر عند النعم لأن العاقل إذا علم
أن الذي فاته كان مكتوبا عليه دعاه ذلك إلى ترك الجزع وكانت نفسه أسكن وقلبه أطيب • وإذا علم أن الذي آتاه
من الدنيا كان مكتوبا له قبل أن يصيبه وأنه لا يبقى عليه دعاه ذلك إلى ترك البطر • قرأ أبو عمرو أتاكم بالقصر • أي
جاءكم • واختاره أبو عبيد لقوله فاتكم • ولم يقل أفاتكم • وقرأ الباقون آتاكم بالمد أي أعطاكم • واختاره أبو حاتم
وكان الحسن يقول لصاحب المال إذا قيل له مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلها يسلب عن كله ويسأل عن كله

قوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور فيه ذم للفرح الذي يختال ويبطر بالمال والولد • قوله تعالى الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل • يعني الذين يمنعون عن أداء الحقوق الواجبة في المال ويمنعون الناس عن أداء الحقوق وهذا نعت المختال الفخور قوله
ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد • أي من يعرض عن الإيمان وعن أداء الحقوق فإن الله هو الغني عنه وعن إيمانه وهو المحمود في أفعاله قرأ
نافع وابن عامر فإن الله الغني • وقرأ الباقون هو الغني قوله تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات • أي بالآيات والحجج • وأنزلنا معهم الكتاب
الذي يتضمن الأحكام • وقوله والميزان • يعني العدل أي أعلمنا بالعدل • وقيل يعني الذي يوزن به أي أعلمنا بالميزان • ليقوم الناس بالقسط أي ليتعاملوا
بينهم بالعدل والنصفة قوله تعالى وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس قال ابن عباس نزل آدم من الجنة ومعه الزبرة والمطرقة والكلبتان
وقيل المراد بإنزال الحديد أن خلقه الله في الجبال والمعادن وقوله فيه بأس شديد أي قوة شديدة لا يلينه إلا النار وقوله تعالى ومنافع
للناس يعني الفؤوس والسكاكين والإبر وآلة الحرث وآلة الدفع يعني السلاح • قوله وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب • أي وليعلم الله
من ينصر دينه وينصر رسله بهذه الأسلحة والله سبحانه لم يزل عالما بمن ينصر ومن لا ينصر لأن علم الله لا يكون حادثا إلا أن المراد بهذا العلم الإظهار
والتمييز • وقوله بالغيب معناه ولم ير الله ولا أحكام الآخرة • قوله تعالى إن الله قوي عزيز • فيه بيان أنه تعالى لم يأمر بالجهاد عن ضعف
وعجز وإنما أمر به ليتفقا عليه الحكم وما بعده لتمام المعنى قوله تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا • أي أتبعنا الرسل على أثر نوح وإبراهيم
ومن كان من الرسل من أولادهما • وقفينا بعيسى ابن مريم • أي أتبعناه • وأعطيناه الإنجيل دفعة واحدة • وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه
يعني الحواريين وأتباعهم رأفة ورحمة يعني المودة كانوا متوادين بعضهم لبعض كما وصف الله تعالى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بقوله رحماء
بينهم قوله تعالى ورهبانية ابتدعوها • ليس بعطف على ما قبله وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه ما بعده كأنه قال وابتدعوا رهبانية أي جاؤوا بها من
قبل أنفسهم وهو قوله تعالى ما كتبناها عليهم معناها ما فرضنا عليهم تلك الرهبانية أي غلوهم في العبادة من حمل المشاق على أنفسهم وفي الامتناع
من المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبد في الجبال ما فرضنا عليهم ذلك إلا أنهم طلبوا بها رضوان الله وقيل معناه ما فرضنا عليهم إلا
ابتغاء مرضاته قوله تعالى فما رعوها حق رعايتها • أي ضيعوا أمر الرهبانية ولم يحفظوها حق الحفظ • ويقال إنهم لما لم يؤمنوا بالنبي
صلى الله عليه وسلم حين بعث كانوا تاركين لطاعة الله غير مراعين لها والمعنى ضيعوها وكفروا بدين عيسى وتهودوا وتنصروا
قوله تعالى فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم • وهم الذين قاموا على دين عيسى حتى أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به أعطيناهم ثوابهم • قال
عليه الصلاة والسلام من آمن بي وصدقني واتبعني منهم فقد رعاها حق رعايتها • ومن لم يتبعني فأولئك هم الهالكون قوله وكثير منهم فاسقون
معناه وكثير منهم خالفوا دين عيسى فقالوا ابن الله أو نحوا من هذا القول • والرهبانية في اللغة خصلة يظهر فيها معنى الرهبة وذلك إما في لبسه أو
انفراده عن الجماعة للعبادة • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد عليهم
فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم • وعن عروة قال دخلت امرأة عثمان بن مظعون على عائشة وهي بادة
الهيئة فقيل لها ما شأنك فقالت زوجي يقوم الليل ويصوم النهار • فذكرت عائشة ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلقي عثمان بن مظعون فقال له
يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا أما لك في أسوة فوالله إني أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم
كفلين من رحمته • أي يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين من رحمته أي يؤتكم نصيبين من
ثوابه وكرامته نصيبا لإيمانكم اليوم ونصيبا لإيمانكم المتقدم بالأنبياء عليهم السلام قوله تعالى ويجعل لكم نورا تمشون به • على الصراط كما قال تعالى
نورهم يسعى بين أيديهم هذا على أنه للمؤمنين في القيمة وقيل معناه ويجعل لكم نور الإيمان في الدنيا يعني الهدى والبيان تهتدون إلى
طاعة الله • ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور لمن تاب رحيم بمن مات على التوبة قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل
الله • أي ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المؤمنين منهم أن لا يصرفوا النبوة عمن تفضل الله بها عليه بالحجر وكان
التوفيق والثواب والكرامة بقدرة الله يعطي النبوة من يشاء ممن كان أهلا لها صالحا للقيام بها • وقيل معناه ليعلم الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
أنهم لا أجر لهم ولا نصيب لهم في فضل الله • وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء • فآتى المؤمنين منهم أجرين • والله ذو الفضل العظيم يتفضل على من يشاء
من عباده المؤمنين • وأي في قوله لئلا زائدة المعنى أن يعلم مثل قوله ما منعك

سورة المجادلة

وهي ألف وتسعمائة واثنان وتسعون حرفا وأربعمائة وثلث وسبعون كلمة واثنان وعشرون آية قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب

من حزب اصفيا الى يوم القيمة • والله تعالى اعلم • بسم الله الرحمن الرحيم
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها • نزلت هذه الايات في خولة بنت ثعلبة وهي امراة من الخزرج من بني عمرو بن عوف وكان
زوجها اوس بن الصامت وكان اوس بن الصامت وعبادة بن الصامت اخوين وكانت خولة حسنة الجسم فرآها زوجها ساجدة في
صلوتها فنظر الى عجزها فلما فرغت من صلوتها راودها فابت عليه فغضب عليها فقال لها انت علي كظهر امي ثم ندم بعد ذلك
على ما قال وكان الظهار طلاقا في الجاهلية فمضت خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت عائشة تغسل شق راس رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت يا رسول الله ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني وانا شابة غنية ذات مال واهل حتى اذا اكل مالي وافنى شبابي وتفرق اهلي
وكبرت سني ظاهر مني وقد ندم على ما فعل فهل من شيء يا رسول الله يجمعني واياه فقال صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذي انزل عليك
الكتاب ما ذكر طلاقا وانه ابو ولدي واحب الناس الي فقال صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قال حرمت عليه
فقالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضي الوحي قال صلى الله عليه وسلم ادعي زوجك فجاء فتلا عليه قد سمع الله قول التي
تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير • روي ان خولة لما اتت النبي صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله ان اوسا تزوجني
وانا مرغوب في فلما خلا سني ونثرت له ذا بطني جعلني عليه كامه ثم ندم على قوله ولي منه صبية صغار ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم
الي جاعوا • فقال صلى الله عليه وسلم ما عندي في امرك شيء فقالت زوجي وابن عمي وابو اولادي واحب الناس الي وهو شيخ كبير لا يستطيع
ان يخدم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه • فقالت يا رسول الله لا تقل ذلك فانه ما ذكر طلاقا وانما قال كلمة فقال صلى الله
عليه وسلم ما امرت في شانك بشيء وان نزل في شانك شيء لك فهتفت وبكت وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم • ثم قالت اللهم اني اشكو
اليك شدة وجدي وما شق علي من فراقه ورفعت يديها الى السماء تدعو وتتضرع فبينا هي كذلك اذ تغشا رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي
فلما سري عنه قال يا خولة قد انزل الله فيك وفي زوجك القرآن ثم تلا قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الى قوله
تحاوركما ان الله سميع بصير معناه قد سمع الله قول المراة التي تسائلك وتخاصمك في امر زوجها وترفع الى الله ما بها من المكروه والله يسمع
تحاوركما ومراجعتكما ان الله سميع لمقالتكما عليم بامرها وامر زوجها • والتحاور تراجع الكلام • قوله تعالى تجادلك في زوجها وهو انها كانت
تجادل النبي صلى الله عليه وسلم كلما قال لها قد حرمت عليه قالت والله ما ذكر طلاقا • وكان هذا جدالها • وقوله تعالى وتشتكي الى الله وهو قولها
اشكو الى الله فاقتي ووحدتي وان لي صبية صغارا اذا ضممتهم اليه ضاعوا • واذا ضممتهم الي جاعوا • قوله تعالى الذين يظهرون
منكم من نسائهم ما هن امهاتهم • اي ليس هن امهاتهم وما هن كامهاتهم في الحرمة • وقرا عاصم ما هن امهاتهم بالرفع كما قال [illegible]
عالما قوله تعالى وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا • معناه وان المظاهرين ليقولون منكرا من القول
قبيحا من حيث شبهوا المراة التي هي في غاية الاباحة بما هو غاية في الحرمة وهو ظهر الام والمنكر هو الذي لا يعرف في الشرع والزور
الكذب قوله تعالى وانه لعفو غفور رحيم • اي لكثير العفو عن ذنوب عباده كثير الغفران والستر عليهم عفا عنهم
وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم قوله تعالى والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من
قبل ان يتماسا • اختلف السلف في معنى العود المذكور في هذه الاية فذهب اصحاب الظواهر الى ان المراد به اعادة كلمة
الظهار بعينها وهذا قول مخالف لقول اهل العلم • وقد اوجب النبي صلى الله عليه وسلم الكفارة على من ظاهر من امراته ولم
يسال اكرر الظهار ام لا • وذهب مالك الى ان العود العزم على الوطي • قال اذا عزم على وطيها
بعد الظهار فعليه الكفارة سواء امسكها او ابانها او عاشت او ماتت • وقال الشافعي العود هنا
هو الامساك على النكاح اذا امسكها عقيب الظهار ولم يطلقها فعليه الكفارة ولا تسقط عنه تلك الكفارة
وان ابانها بعد ذلك وذهب ابو حنيفة واصحابه الى ان معنى العود هو ان يعود للقول فيه فيستبيح ما
حرمه بالظهار وقد يذكر المصدر ويراد به المفعول كما قال صلى الله عليه وسلم العائد في هبته كالكلب
يعود في قيئه • وانما هو عائد في الموهوب • ويقال اللهم انت رجاؤنا اي مرجونا ويقال العافي خير ابيك
اليقين اي الموقن والعود في [illegible] وحروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض كما في قوله تعالى

والاذين

ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل فيكون المعنى ثم يعودون فيما قالوا والامساك على النكاح عقيب الظهار لا يكون
عودا على وجه التراخي ولا يناقض لفظ الظهار فان الظهار لا يوجب تحريم العقد حتى يكون امساكها على النكاح عودا • ثم على
مذهب ابي حنيفة اذا قصد ان يستبيحها ثم ابانها سقطت الكفارة عنه • وفي قوله تعالى من قبل ان يتماسا دليل ان هذه الكفارة
انما شرعت لدفع الحرمة في المستقبل • وفيه دليل تحريم التقبيل • وفيه دليل تحريم اللمس قبل التكفير لان قوله تعالى
من قبل ان يتماسا دليل يتناول جميع ضروب المسيس • وفي قوله تعالى من نسائهم دليل ان الظهار لا يكون في الاماء الا اذا كن زوجات
لان اطلاق لفظ النساء ينصرف الى الحراير كما في قوله تعالى ونسائهن وما ملكت ايمانهن • وفي قوله تعالى فتحرير رقبة دليل جواز
اعتاق الرقبة الكافرة في الظهار لان ذكر الرقبة مطلق في الاية بخلاف كفارة القتل • والاصل في الظهار انه اذا ذكر في المراة
ما يعبر به عن جميعها مثل الجسد والبدن والراس والرقبة ونحوها والظهر والبطن والفرج والفخذ وشبهها بمحارمه كان مظاهرا • وان قال
انت علي كيد امي او رجلها • او قال يدك علي وشعرك كظهر امي كان باطلا • وقال مالك يصح الظهار بالتشبيه بالاجنبية
وقال الشعبي لا يصح الظهار الا بالام • وقال الشافعي اذا قال يدك او قال انت علي كيد امي فهو ظهار • قوله تعالى فمن لم يجد
فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا • اي فمن لم يجد من المظاهرين الرقبة ولا ثمنها فعليه ان يصوم شهرين
متتابعين قبل المسيس وهذا يقتضي انه اذا افطر فيهما لمرض وغيره كان عليه استقبال الصوم وكذا اذا قدر على الرقبة في خلال
الصوم فلم يعتقها حتى عجز عنها كان عليه استقبال الصوم • واما اذا مسها قبل انقضاء الصوم لشهرين فعليه الاستقبال ايضا
في قول ابي حنيفة ومحمد سواء كان المسيس بالليل او بالنهار • وقال ابو يوسف اذا مسها بالليل عامدا او بالنهار ناسيا لم يستقبل
قوله تعالى فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا • معناه اذا عجز عن الصوم لكبر او مرض فكفارته ان يطعم
ستين مسكينا وان مسها المظاهر بعد ما اطعم بعض الطعام لم يستقبل الاطعام لانه ليس في ذلك الاطعام في هذه الاية
من قبل ان يتماسا لانا انما امرنا بالاطعام قبل المسيس لانا لما امرنا بذلك لم نومن ان يمسها فيقدر على العتق قبل الاطعام او يقدر
على الصوم قبل الاطعام فيحصل العتق والصوم بعد المسيس وفي ذلك خلاف ما اوجبه الله • قوله تعالى ذلك
لتؤمنوا بالله ورسوله • اي ذلك ايجاب الله تعالى بها لتستديموا الايمان بالله ورسوله وتصدقوا ان الله امركم بذلك
قوله تعالى وتلك حدود الله • اي التي شرعها الله في الظهار احكام الله وفرايضه وللجاحدين بحدود الله عذاب
اليم • وجيع فلما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم لاوس بن الصامت هل تستطيع ان تعتق رقبة • قال لا والذي
قليل المال • قال فهل تستطيع ان تصوم شهرين متتابعين قال والله لا يا رسول الله اني اذا لم اكل في اليوم ثلاث مرات كل بصري
وحسبت ان تعشو عيني • فقال فهل تستطيع ان تطعم ستين مسكينا قال لا والله الا ان تعينني يا رسول الله • فقال صلى الله عليه
وسلم اني معينك بخمسة عشر صاعا وداع لك بالبركة • فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم • وروي ان خولة لما ظاهر منها
اوس بن الصامت خرج فجلس في نادي قومه ثم رجع اليها فراودها عن نفسها فقالت كلا والذي نفس خولة بيده لا تصل الي حتى
يحكم الله في وفيك • ثم مضت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت عليه قصتها • فانزل الله هذه الايات فقال صلى الله عليه وسلم
مريه فليعتق رقبة مؤمنة • قالت والله ما عنده ذلك • قال مريه فليصم شهرين متتابعين • قالت يا نبي الله انه شيخ كبير ما به من صوم
قال مريه فليطعم ستين مسكينا • قالت والله ما يجد ما يطعم • قال انا معينه بعرق من تمر وهو مكيل يسع ثلثين صاعا •
قالت وانا اعينه بعرق اخر • قوله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من
قبلهم • معناه ان الذين يخالفون الله ورسوله في الدين ويصيرون في حد غير الحد الذي حده الله اذلوا واخزوا بالعذاب
كما اذل الذين اشركوا من قبل اهل مكة من الذين خالفوا الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم • والكبت في اللغة الكب على
الوجه • ومنه كبت الله عدوك • ويقال معناه كبدوا اي ضربوا على اكبادهم فقلبت الدال تاء • قوله تعالى
وقد انزلنا ايات بينات • اي فرايض معروفة • وللكافرين عذاب مهين • اي ولمن لم يعمل بها عذاب مهين
وقت ذلك العذاب قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا فيخبرهم عليه
تعالى احصاه الله ونسوه • اي حفظ الله عليهم اعمالهم ونسوها هم والله على كل شيء شهيد

ما يعملون وعليهم شهيد، عالم قوله تعالى ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون
من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم معناه أن الله يعلم ما في السموات وكل ما في الأرض ما ظهر للعباد وما بطن لا يعزب
عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين، وقوله تعالى ما يكون من
نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، يعني المسارة ما يناجي به صاحبه من شيء إلا هو رابعهم في العلم، يعني أن نجواهم معلومة عنده كما تكون
معلومة عند الرابع الذي هو معهم، ولا أقل من الثلاثة ولا أكثر من الخمسة إلا هو عالم بهم وقادر عليهم في أي موضع كانوا ثم ينبئهم
بما عملوا يوم القيامة، عند الجزاء والحساب إن الله بكل شيء عليم، وهذه الآية نزلت في اليهود والمنافقين لما أعياهم الإسلام وظهوره
جعلوا يتناجون فيما بينهم البين، فيوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوؤهم، وكانوا إذا خرجت سرية من سرايا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا في هؤلاء رجالهم خرج لهم في السرية صديق أو قريب تناجوا فيما بينهم ليظن الرجل أنه حدث لصاحبه حادث فيحزن
عليه لذلك فلما كثر ذلك وطال شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن المناجاة دون المسلمين فلم ينتهوا وعادوا إلى
مناجاتهم فأنزل الله تعالى قوله تعالى ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه
معناه ألم تر إلى هؤلاء الذين نهاهم الله عن مناجاة بعضهم بعضا دون المؤمنين في الآية التي قبل هذه ثم عادوا إليها معاينة
لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتشاورون فيما بينهم الكذب والاعتداء ويوصي بعضهم بعضا مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم
وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله، أي سلموا عليك بما لم يسلم به الله عليك، وذلك أن اليهود دخلوا على النبي صلى
الله عليه وسلم فقالوا السام عليك وكانت عائشة من وراء الستر فلعنتهم فقال صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة، فقالت أما سمعت
ما قالوا، قال أوما سمعت كيف أجبتهم، ثم قال إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك ما قلت، والسام هو الموت قوله تعالى
ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول، معناه أنهم كانوا يقولون في أنفسهم لم لا ينزل الله العذاب بما نقول لنبيه
إن كان كما يزعم، فلو كان محمد نبيا ليعذبنا الله بما نقول فقال الله تعالى حسبهم جهنم يصلونها، أي كافيهم جهنم
عذابا لهم يلزمونها ويقاسون حرها، فبئس المصير أي فبئس المرجع يرجعون إليه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا
تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول معناه يا أيها الذين آمنوا إذا تجالستم وتكالمتم
ليس فيما بينكم فلا تجالسوا وتكالموا بالمعصية ومخالفة الرسول ولا تكونوا كاليهود والمنافقين وتناجوا بالبر والتقوى
أي بفعل ما أمرتم به وترك ما نهيتم عنه، واتقوا الله الذي إليه تحشرون قوله إنما النجوى من الشيطان ليحزن
الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله معناه إنما النجوى الذي يفعله اليهود والمنافقون من عمل الشيطان
ووساوسه ليحزن بها الشيطان الذين آمنوا وأخلصوا وليس تناجيهم بضار المؤمنين شيئا إلا بعلم الله وقضائه، وعلى الله فليتوكل
المؤمنون، ويستعيذوا من الشيطان، ويقال ليحزن بضم الياء وهما لغتان قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا
قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم قال مقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر
من المهاجرين والأنصار، فجاء أناس من أهل بدر فيهم ثابت بن قيس بن شماس وقد سبقوا في المجلس، فقاموا حيال رسول الله
صلى الله عليه وسلم، فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فرد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم سلموا على القوم بعد
ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يحملهم من شدة القيام فشق عليه
وقال لمن حوله ممن لم يكن من أهل بدر قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر النفر الذين قاموا بين يديه
من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم، فقال المنافقون للمسلمين
ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس فوالله ما عدل على هؤلاء إن قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم
وأجلس غيرهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس أي توسعوا فافسحوا أي فوسعوا على من حضر
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحب سماع كلامه ليشتركوا في سماع الدين منه وهذا أمر لهم بالتأديب كيلا يؤذي أحد جليسه
بفعل الزحام، وليكون غرضهم إلا التواضع لله وللدين وذلك أنهم كانوا قد جلسوا متضايقين حوله صلى الله عليه وسلم مستمعين
إليه فلم يجد غيرهم مجلسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأمروا أن يفسحوا عنه في الجلوس ويتوسعوا المجلس غيرهم معهم

يفسح الله لكم، أي يوسع مجالسكم في الجنة قوله تعالى وإذا قيل انشزوا فانشزوا، معناه وإذا قيل
انهضوا إلى صلاة أو أمر بمعروف ونودي للصلاة فانهضوا، وقيل معناه فإذا قيل لكم اخرجوا إلى الجهاد فاخرجوا
يرفع الله درجاتكم في الجنة، ويرفع الله الذين أوتوا العلم درجات الذين أكرموا بالإيمان يعني علم وفي الحديث أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال إن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في بحر الماء والطير في جو السماء وفضل العالم على الذي ليس بعالم سبعين
درجة الله أعلم بما بين كل درجتين، وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على سائر أمتي وقال
صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيامة والعابد، فيقال للعابد ادخل الجنة، ويحبس الفقيه فيقول قم فاشفع فيقال له
اشفع، قرأ أهل المدينة والشام وعاصم انشزوا فانشزوا بضم الشين وقرأ الآخرون بكسرها، وهما لغتان
ومعناهما إذا قيل لكم تحركوا وقوموا وارتفعوا وتوسعوا لإخوانكم، وقيل معناه إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلوة والذكر
وعمل الخير فانشزوا أو لا تقصروا قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم، يعني يرفعهم بطاعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيامهم من مجلسهم وتوسيعهم لإخوانهم، والذين أوتوا العلم منهم بفضل علمهم قال صلى الله عليه
وسلم من جاءت منيته وهو يطلب العلم بينه وبين الأنبياء درجة واحدة قوله تعالى يا أيها الذين
آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة، وذلك أن الأغنياء كانوا يستخلون بالنبي صلى الله
عليه وسلم فيشاورونه فيما يريدون ويلحون عليه بالحاجات والمسائل ويشغلون بذلك أوقاته التي كانت مستغرقة بالعبادة
والإبلاغ إلى الأمة وكان الفقراء لا يتمكنون من النبي صلى الله عليه وسلم كتمكن الأغنياء منه، فأمر الله الناس بتقديم الصدقة
على نجواهم مع النبي صلى الله عليه وسلم إعظاما له وتوقيرا للمقام مناجاته ونفعا للفقراء بتلك الصدقة وبين أن الصدقة
خير لهم من الكف عن الصدقة وأصلح لقلوبهم وقلوب الفقراء ورخص لمن لم يجد ما يتصدق به أن يكلم النبي صلى الله عليه وسلم
بما شاء من غير صدقة وهو قوله تعالى فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم فلما
علم الله ضيق صدر كثير منهم من ذلك الوجوب نسخ ذلك الحكم بقوله أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم
صدقات معناه أبخلتم يا أهل الميسرة وثقل عليكم تقديم الصدقة بين يدي نجواكم مع النبي صلى الله عليه وسلم
فإذ لم تفعلوا وخفف الله عنكم بإسقاط تلك الصدقة فأقيموا الصلاة، أي داوموا عليها يعني الصلوة المفروضة
وأطيعوا الله في الفرائض والرسول في السنن، والله خبير بما تعملون من الخير والشر وعن علي
رضي الله عنه أنه قال إن في كتاب الله تعالى آية ما عمل بها أحد من قبلي ولا يعمل بها أحد من بعدي، وهي آية النجوى كان
لي مثقال فجعلته بعشرة دراهم فكلما أردت أن أناجي رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقت درهما فقدمت هذه الصدقات بين يدي
نجواي ثم نسخ قال مجاهد نهوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتصدقوا، فلم يناجه إلا علي كرم الله وجهه
قدم دينارا فتصدق به فنزلت الرخصة قوله تعالى ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما
هم منكم ولا منهم نزلت هذه الآيات في قوم من المنافقين كانوا يتولون اليهود وينقلون إليهم أسرار المسلمين مغايظة
لهم ولم يكن للمؤمنين ولا من اليهود، ولكن يحلفون للمؤمنين بأنا مؤمنون مصدقون وهم يعلمون أنهم كاذبون في حلفهم،
قال الله تعالى ما هم منكم ولا منهم أي ولا من اليهود ويحلفون على الكذب وهم يعلمون أنهم كذبة قال السدي
ومقاتل نزلت هذه الآية في عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه إلى اليهود فبينما رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالس إذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تسبني أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت فانطلق فجاء
بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه، فأنزل الله هذه الآية، ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على
الكذب وهم يعلمون، أعد الله لهم عذابا شديدا، أي هيأ لهم عذابا شديدا في قبورهم إنهم ساء ما كانوا

في الدنيا من موالاة اليهود وكتمان الكفر والحلف الكاذب مع العلم به **اتخذوا ايمانهم جنة**
اي اتخذوا ايمانهم الكاذبة ترسا من القتل وجعلوها عدة ليدفعوا بها عن انفسهم التهمة وقرأ الحسن ايمانهم بكسر الالف
فصدوا عن سبيل الله اي صرفوا الناس عن ذكر الله وطاعته بالقاء الشبهة
عليهم في السر وقيل لصدوا المومنين عن جهادهم بالقتل **فلهم عذاب مهين** يهينهم في الآخرة
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي لن تدفع عنهم كثرة اموالهم
ولا كثرة اولادهم من عذاب الله شيئا **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون**
يوم يبعثهم الله جميعا انتصب على الظرف من قوله اولئك اصحاب النار **فيحلفون له** اي يحلفون لله يومئذ
انهم كانوا مخلصين في الدنيا **ويحسبون** يومئذ انهم كانوا على الصواب **الا انهم هم الكاذبون** عند الله في
حلفهم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يوم القيمة اين خصماء الله فيقوم القدرية
مسودة وجوههم مزرقة عيونهم مائلة اشداقهم يسيل لعابهم يقولون والله ما عبدنا من دونك شمسا ولا قمرا ولا صنما ولا
وثنا ولا اتخذنا من دونك الها قال ابن عباس صدقوا والله اتاهم الشرك من حيث لا يعلمون ثم تلى ابن عباس
هذه الآية ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون والله القدريون هم والله القدريون
استحوذ عليهم الشيطان اي غلب عليهم واستولى وحاطهم **فانساهم ذكر الله** اي شغلهم عن ذكر الله
وطاعته حتى تركوه وصاروا الى الخسران **اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون**
ان الذين يحادون الله ورسوله اي يخالفون الله ورسوله **اولئك في الاذلين**
اي في المغلوبين المقهورين ومن جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والآخرة **كتب الله لاغلبن انا**
ورسلي اي كتب ذلك في اللوح المحفوظ قال الحسن ما امر نبي بحرب فغلب قط وان الرسل على نوعين
منهم من بعث بالحرب ومنهم من بعث بغير حرب فهو غالب بالحجة وقال تعالى وان جندنا لهم الغالبون ۝
ان الله قوي اي مانع حزبه من ان يذل **عزيز** غالب لمن نازع اولياءه
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله نزلت
هذه الآية في حاطب بن ابي بلتعة **ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم** وذلك انه كتب الى اهل
مكة ان محمدا يريد يغزوكم فاستعدوا له فاعلم الله نبيه عليه السلام بذلك فقال صلى الله عليه وسلم ما دعاك يا حاطب الى
ما فعلت فقال احببت ان اتقرب الى اهل مكة لكان عيالي فيهم ولم يكن لعيالي ذاب هنالك فانزل الله هذه الآية
ومعناها لا تجد قوما يصدقون بوحدانية الله وبالبعث بعد الموت يناصحون ويطلبون مودة من خالف الله ورسوله في الدين
ولو كانوا اقاربهم في النسب فان البراءة واجبة من المحادين لله وسنذكر هذه القصة في اول سورة الممتحنة ان شاء الله تعالى
اخبر الله تعالى بهذه الآية ان ايمان المؤمنين يفسد بمودة الكفار وان كان مؤمنا لا يوالي من كفر وان كان اباه او ابنه
او اخاه او احدا من عشيرته وعن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال قتل ابو عبيدة اباه يوم احد فهذا قوله ولو كانوا آباءهم
يعني ابا عبيدة **او ابناءهم** يعني ابا بكر رضي الله تعالى عنه دعا ابنه يوما الى البراز وقال دعني يا رسول الله
ابرز اليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري وقوله
او اخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد وقوله تعالى **او عشيرتهم** يعني عمر رضي الله تعالى عنه قتل العاص
بن هشام بن المغيرة يوم بدر وكذلك علي رضي الله تعالى عنه قتل شيبة بن ربيعه وكذلك حمزة رضي الله عنه قتل
عتبة **اولئك كتب في قلوبهم الايمان** يعني الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله ۝
اثبت الله في قلوبهم حب الايمان كانه مكتوب في قلوبهم **وايدهم بروح منه** اي قواهم بنور الايمان حتى اهتدوا للحق وعلموا

وقيل المراد بالروح جبريل عليه السلام يعينهم في كثير من المواطن وقيل معناه وايدهم بنصر منه في الدنيا على
عدوهم لانهم عادوا واغضبوا الكفار وقاتلوهم غضبا لله ولدينه **قوله تعالى ويدخلهم جنات تجري من تحتها**
الانهار خالدين فيها ۝ ظاهر المعنى **قوله تعالى رضي الله عنهم** ۝ اي رضي عنهم باخلاصهم بالتوحيد والطاعة
ورضوا عنه بما اعد لهم من الثواب والكرامة في الآخرة **قوله تعالى اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم**
المفلحون اي اهل هذه الصفة جند الله واولياؤه الا ان جند الله هم الفائزون بالبقاء الدائم والنعيم المقيم والله اعلم

سورة الحشر خمس واربعون آية

وهي الف وسبعمائة وثلاثة عشر حرفا واربعمائة وخمس واربعون كلمة واربع وعشرون آية قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ۝ من قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا حجاب ولا السموات السبع ولا الارضون السبع
والهوام والريح والطير والشجر والدواب والجبال والشمس والقمر والملائكة الا صلوا عليه فان مات من يومه او ليلته
مات شهيدا ومن قرأ آخر سورة الحشر ثم مات من يومه او ليلته غفر الله له كل خطيئة عملها وبالله التوفيق ۝

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم **قوله تعالى هو الذي اخرج**
الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر قال المفسرون نزلت هذه السورة بأسرها
في بني النضير ۝ وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير من اليهود وعاهدوه على ان لا يكونوا معه ولا
عليه لا يقاتلون معه ولا يقاتلونه وكانوا على ذلك حتى كانت الوقعة وقعة احد فاصابت المسلمين يومئذ نكبة فنقضوا
العهد وركبوا كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فاتوا قريشا فطلبوا ابا سفيان واصحابه فحالفوهم وعاقدوهم بين الكعبة
والاستار على حرب النبي صلى الله عليه وسلم وان كلمتهم واحدة ثم رجع كعب بن الاشرف واصحابه الى المدينة فنزل جبريل عليه
السلام على النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بامرهم وقال له ان الله يامرك بقتل كعب بن الاشرف ۝ فجمع النبي صلى الله عليه وسلم
اصحابه واخبرهم بما صنع كعب وقال لهم ان الله تعالى امرني بقتله فانتدبوا الى ذلك فانتدب رهط منهم محمد بن سلمة فاستنزله من
داره واوهمه انه يكلمه في حاجة وكان محمد بن سلمة اخا لكعب من الرضاعة وحليفه فانطلقوا في اول الليل الى دار كعب فناداه
محمد بن سلمة فاستنزله من داره واوهمه ان يكلمه في حاجة له فلما نزل اخذ محمد بن سلمة بناصيته وكبر فخرج اصحابه وكانوا
من وراء الحائط فضربوه حتى برد مكانه فصرخت امرأته وتصايحت اليهود فخرجوا اليهم وقد رجع المسلمون فجاء المسلمون الى
النبي صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك ۝ فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم خرج اليهم غازيا فتحصنوا في دورهم فوجدهم في
قرية لهم يقال لها زهرة وهم ينوحون على كعب وكان سيدهم فقالوا يا محمد نائحة على اثر نائحة ۝ وباكية على اثر باكية قال نعم قالوا
ذرنا نبكي شجونا على كعب وقد كان عبد الله بن ابي سلول المنافق واصحابه امروا اليهود سرا بان لا يخرجوا من الحصن ويقاتلوا
محمدا واصحابه فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين ليلة فلما عجزوا عن مقاومة المسلمين وايسوا من نصر المنافقين لهم طلبوا الصلح
من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يخرجوا من مدينتهم على ما تامرهم به ففعلوا ذلك فصالحهم على الجلاء فقالوا على ان يحمل
كل ثلاثة ابيات من متاعهم على بعير واحد ما شاؤوا او ليبتغ الله ما بقي ويخرجوا الى الشام ففعلوا ذلك وخرجوا الى الشام
اذرعات واريحا والحيرة وخيبر فلذلك **قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب** يعني
بني النضير **من ديارهم** التي كانت بيثرب وحصونهم ۝ قال ابن اسحق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي

صلى الله عليه وسلم من احد وكان فتح بني قريظة عند مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان **قوله تعالى** لاول الحشر
معناه هو الذي اخرج هؤلاء اليهود من منازلهم وحصونهم لاول الجمع اجلوا من جزيرة العرب وهي ارض الحجاز حشروا الى الشام
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم يومئذ اخرجوا قالوا الى اين قال الى المحشر فخرجوا الى اذرعات واريحا من الشام واما
ثاني الحشر فهو ان يحشر الخلائق يوم القيمة الى ارض الشام ايضا ويقال انما قال لاول الحشر لان الجلاء اربعة حشر بني النضير اولا وحشر
خيبر ثم حشر اهل نجران ثم حشر جميع اهل الكتاب من جزيرة العرب في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه على ما نوى اجلاءهم
منها. وقال عهد الي النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يجتمع في جزيرة العرب دينان **قوله تعالى** ما ظننتم ان
يخرجوا. اي ما ظننتم ايها المؤمنون ان يخرج بنو النضير من منازلهم لشدة تمكنهم وقوتهم بالاموال والضيعة وذلك لانهم كانوا
اهل حصون وعقار ونخيل كثير وسلاح **قوله تعالى** وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله. اي وظن بنو النضير
ان حصونهم تمنعهم من امر الله فيهم **قوله تعالى** فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا. اي فاتاهم امر الله من حيث لم يظنوا ان
ينزل بهم ما نزل من قتل كعب بن الاشرف وقتلهم واجلائهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث لم يتوهم القوم. وقذف في
قلوبهم الرعب. بقتل سيدهم كعب بن الاشرف وكان ذلك اعظم شيء عليهم اذ اتاهم ما لم يظنوه **قوله تعالى** يخربون
بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين. وذلك انهم لما ايقنوا بالجلاء حسدوا المسلمين ان يسكنوا منازلهم فجعلوا يخربونها
من داخل والمسلمون يخربونها من خارج. وقيل انهم كانوا يهدمونها من داخل بايديهم ليرموا المسلمين باحجارها ويهدمها
المؤمنون ليتمكنوا من قتالهم **قوله تعالى** فاعتبروا يا اولي الابصار معناه فليعتبروا بما اصاب
بني النضير كل من لم يصدق بامر الله ولينظروا الى عاقبة الكفر والغدر والطعن في النبوة وليحذر كل قوم من الكفار مثل صنيع
بني النضير. والمعنى تدبروا وانظروا فيما نزل بهم يا اهل اللب والعقل والبصائر **قوله تعالى** يخربون بيوتهم
بايديهم. قراءة العامة بالتخفيف من الاخراب ان يهدموها وقرا الحسن وابو عمرو يخربون بالتشديد من التخريب
وقال ابو عمرو انما اخترت التشديد لان الاخراب ترك الشيء خرابا بغير ساكن وبنو النضير لم يتركوا منازلهم فيرحلوا
عنها. ولكنهم خربوها بالنقض والهدم. وقال بعضهم التخريب والاخراب بمعنى واحد. قال الزهري وذلك
لما ايقنوا بالخروج كانوا يهدمون اعالي بيوتهم وينزعون الخشب والالات وينقضون السقف وينقبون الجدران ويقلعون
الخشب الاوتاد لئلا يسكنها المسلمون حسدا وبغضا. وكان المؤمنون يخربون ما بقي من بنيانهم **قوله تعالى**
ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا. معناه ولولا ان قضى الله عليهم في اللوح المحفوظ الانتقال
والخروج عن اوطانهم الى الشام وخيبر لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم مع ما اصابهم في الدنيا
عذاب النار في الاخرة ولكن علم الله ان الجلاء اصلح **قوله تعالى** ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله اي
ذلك الجلاء والعذاب بانهم خالفوا اولياء الله واخذوا في نفي اولياء الله ومن يخالف الله في الدين فيفعل كفعل هؤلاء فان الله
شديد العقاب له في الدنيا والاخرة **قوله تعالى** ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها
فباذن الله. وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وتحصنوا في حصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فقالت
اليهود ما بعث نبي الا بالصلاح وليس في هذا الا فساد معايشنا ومعايشكم وقالوا يا محمد انك تريد الصلاح افمن الصلاح قطع النخل
والاشجار. وهل وجدت فيما زعمت انه انزل الله عليك الفساد في الارض فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ووجد المسلمون
في انفسهم من ذلك. فانزل الله تعالى هذه الاية تصديقا للذين نهوا عن قطع النخل وتحليلا لما قطعه وبراءة لهم من الاثم
وتصويبا للفريقين. فقال تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وبين الله ان ما قطع منها قطع
باذن الله. وما ترك منها ترك بامر الله. واللينة هي النخلة. قال ابن عباس وقتادة اللينة هي كل نخلة
غير العجوة. وقيل اللينة ما خلا العجوة. والرني وجمعه لبان. وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقطع نخلهم

الا العجوة. قال عكرمة النخل كل ليان ما خلا العجوة. وقال سفيان اللينة كرام النخل. وقال مقاتل
هو ضرب من النخل شديد الصفرة يغيب فيه الضرس عند اكله. وكان من اجود تمرهم واعجبه اليهم. والعرب تسمي النخل كله ليان
قوله تعالى وليخزي الفاسقين معناه وليهين الله ويذل اليهود ويخزيهم بان يريهم اموالهم يحكم فيها المؤمنون
كيف احبوا لانهم نقضوا العهد **قوله تعالى** وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل
ولا ركاب. معناه وما رد الله على رسوله من غنايم بني النضير فما لم توجفوا عليه انتم خيلا ولا ابلا ولكن مشيتم اليه
مشيا لان ذلك كان قريبا من المدينة اي لم يحصل ذلك بتعبكم ولا بشيء لكم من ذلك انما كان ذلك بتسليط الله تعالى نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم. والله تعالى يمكن رسله صلوات الله عليهم من اعدائه بغير قتال. والله على كل شيء من النصر والغنيمة قادر
والضمير في قوله اوجفتم عليه اي على ما افاء الله. والايجاف هو الاسراع والازعاج للسير. يقال وجف الفرس واوجفته
انا. والوجيف نوع من السير فوق التقريب. ويقال وجف الفرس والبعير يجف وجفا اذا اسرع السير واوجفه صاحبه اذا حمله
على السير السريع. ومعنى الاية ما افاء الله على رسوله من مال بني النضير فما اوجفتم عليه اي لما وضعتم عليه من خيل ولا ابل ولم
تنالوا فيه مشقة ولم تلقوا حربا. وانما مشيتم اليه مشيا الا النبي صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا ففتحها النبي صلى الله عليه وسلم
واجلاهم عنها واحرز اموالهم فسال المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم القسمة في تلك الاموال فانزل الله هذه الاية فجعل اموال
بني النضير خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يضعها حيث يشاء. فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار
منها شيئا الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم ابو دجانة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان ينفق على اهله من مال بني النضير نفقة سنة وما بقي جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله لانه مما
افاء الله على رسوله ولم يوجف عليه المسلمون عنوة بخيل ولا ركاب فكان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واراد به ما كان
يحصل من غلة اراضيهم في كل سنة. وهذه دلالة على ان كل مال من اموال اهل الشرك لم يغلب عليه المسلمون عنوة وانما اخذ صلحا انه
يوضع في بيت مال المسلمين ويصرف الى الوجوه التي تصرف فيها الجزية والخراج لان ذلك بمنزلة اموال بني النضير.
قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل. اختلف العلماء في الفيء ما هو فقال بعضهم هو ما ملكه الله المسلمين من اموال المشركين
بغير قتال او بقتال والغنيمة فيء والخراج فيء. وقال بعضهم الغنيمة اسم لما اخذه المسلمون من الكفار
عنوة وقهرا. والفيء ما صولح عليه. وبين الله تعالى في هذه الاية حكم الفيء فقال. ما افاء الله على رسوله من اهل القرى اي
من غنايم قرى المدينة في قريظة وبني النضير وفدك فان ذلك خاصة للنبي صلى الله عليه وسلم دون العالمين وكان امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك جائزا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصرفها بامر الله الى نوائب نفسه وفقراء قرابته ويتامى
الناس عامة والمساكين عامة يعني المحتاجين عامة وابناء السبيل ولفقراء المهاجرين. واختلف العلماء في حكم هذه الاية فقال
بعضهم اراد بقوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الغنايم التي ياخذها المسلمون من اموال الكفار عنوة وغلبة وكانت الغنايم
في بدو الاسلام لهؤلاء المسمين دون الغانمين الموجفين عليها ثم نسخ ذلك بقوله تعالى في سورة الانفال واعلموا انما غنمتم
من شيء. والاية التي قبل هذه في بيان حكم اموال بني النضير خاصة وهذه الاية في بيان حكم ساير الاموال التي اصيبت بغير قتال فلم
يوجف عليها بالخيل والجمال. وقال اخرون هما واحد والثانية بيان قسم المال الذي ذكره الله تعالى في الاية الاولى. والغنايم
كانت في بدو الاسلام لرسول الله يصنع بها ما شاء كما قال تعالى قل الانفال لله والرسول ثم نسخ ذلك بقوله واعلموا انما غنمتم من شيء
فان لله خمسه الاية فجعل اخماسها للغانمين تقسم بينهم. واما الخمس الباقي فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وسهم لذوي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل **قوله تعالى** كيلا
يكون دولة بين الاغنياء منكم. معناه كي لا يكون الفيء متداولا بين الاغنياء منكم والفرق بين الدولة

المعنى لا يتداوله الاغنياء منكم يكون لهذا مرة ولهذا مرة كما يعمل في الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ الرئيس ربعها
وهو المرباع والاغنيا الروسا • قال مقاتل كيلا يغلب الاغنيا الفقرا فيقسمونه بينهم • ثم قال للرؤسا وما
اتاكم الرسول من الفيء والغنيمة فخذوه فهو حلال لكم وما نهاكم عن اخذه فانتهوا وهذا نازل في امر الفيء ثم هو عام في كل ما امر به
النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عنه قال الحسن في قوله وما نهاكم عنه فانتهوا يعني ما نهاكم عنه من الغلول **قوله تعالى**
واتقوا الله ان الله شديد العقاب • معناه اتقوا عذاب الله ان الله شديد العقاب اذا عاقب بعقوبة شديدة
قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم • معناه كي لا يكون دولة
بين الاغنياء منكم ولكن يكون للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم يعني ان كفار مكة اخرجوهم يبتغون فضلا من الله اي
رزقا يأتيهم ورضوانا بان رضاء ربهم حين اخرجوا الى دار الهجرة • **اولئك هم الصادقون** في ايمانهم والمعنى بقوله
للفقراء المهاجرين بيان المحتاجين المذكورين في الآية التي قبل هذه الآية كانه قال لهؤلاء المحتاجين الفقراء ما تقدم ذكره من الفيء وكانوا
نحو الاثماية [?] رجل وكانوا يسمون ابدا الحصين [?] ولذلك اثنى الله عليهم بقوله يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي يطلبون بتلك الهجرة
ثواب الله ورضاه وينصرون الله بالسيف والجهاد اولياء الله واولياء رسوله اولئك هم الصادقون في الايمان وطلب الثواب
قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم قال
الكلبي والذين تبوؤا الدار مسكنا وحرم [?] يحبون وهذا ابناء الانصار وذلك يحبونهم اذا لم يقسم لهم فقال للانصار ان شئتم
قسمتم لهم من دوركم واموالكم وقسمت لكم كما قسمت لهم واما ان يكون لهم ولكم دياركم واموالكم فقالوا بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا
ولا نشاركهم في قسمتهم فاثنى الله عليهم بهذه الآية والمعنى والذين لزموا دار الهجرة ولزموا الايمان من قبل هجرة المهاجرين ووطنوا
منازل انفسهم لم يحبوا من هاجر اليهم من مكة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجدون في قلوبهم ضيقا وحسدا مما اعطي
المهاجرون من الغنائم ومعنى الآية والذين تبوؤا الدار يعني المدينة وهي دار الهجرة تبوؤها الانصار قبل المهاجرين
وتقدير الآية والذين تبوؤا الدار من قبلهم والايمان كان الانصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين وعطف الايمان على الدار
في الظاهر لا في المعنى لان الايمان ليس بمكان يتبوأ والتقدير تبوؤا الدار واتوا الايمان واعتقدوا الايمان **قوله تعالى**
ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة معناه ويؤثرون على المهاجرين على انفسهم باموالهم ومنازلهم
ولو كان بهم فقر وحاجة الى الدار والنفقة بين الله ان ايثارهم لم يكن عن غنا عن المال ولكن عن حاجة فكان ذلك
اعظم لاجرهم وعن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصابه الجهد فقال يا رسول الله
صلى الله عليك وسلم اني جائع فاطعمني فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى ازواجه هل عندكن شيء فكلهن قالت
والذي بعثك بالحق ما عندنا الا الماء فقال صلى الله عليه وسلم ما عند رسول الله ما يطعمك هذه الليلة ثم قال
من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله فقام رجل فقال انا يا رسول الله قال في صحيح مسلم هو ابو طلحة وقيل ابو ايوب والضيف
ابو هريرة فمضى به الى منزله فقال لاهله هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكرميه ولا تدخري عنه شيئا فقالت
ما عندنا الا قوت الصبية قال قومي فعلليهم عن قوتهم حتى يناموا ثم اسرجي واحضري الطعام فاذا اخذ الضيف ليأكل
قومي كانك تصلحين السراج فاطفيه وتعالي نمضغ السنتنا لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشبع فقامت المراة
الى الصبية فعللتهم حتى ناموا ولم يطعموا شيئا ثم قامت فاسرجت فلما اخذ الضيف ليأكل قامت كانها تصلح السراج
فاطفاته وجعلا يمضغان السنتهما فظن الضيف انهما ياكلان معه فاكل الضيف حتى شبع وباتا طاويين فلما اصبحا
غدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليهما تبسم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة فانزل الله تعالى
ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال انس رضي الله عنه اهدي
لبعض الصحابة راس شاة مشوية وكان مجهودا فقال لعل جاري احوج اليه مني فبعث به اليه ثم ان جاره قال مثل ذلك
فوجه به الى جاره فتداوله تسعة انفس حتى عاد الى الاول [illegible]

ويحكى عن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية بقرب الري ومعهم ارغفة قليلة جمعهم
فكسروا الرغفان واطفأوا السراج وجلسوا ليأكلوا فلما رفع فاذا الطعام بحاله لم ياكل منهم احد ايثارا لصاحبه
على نفسه ويحكى عن حذيفة العدوي قال انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء فاذا انا به فقلت
فاستاذنا اسقيك فاشار اي نعم فاذا رجل يقول آه فاشار ابن عمي ان انطلق بالماء اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت
اسقيك فسمع آخر يقول آه فاشار هشام ان انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات ثم رجعت الى هشام فاذا هو قد مات
ثم رجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات ويحكى عن ابي يزيد البسطامي قال ما غلبني احد ما غلبني شاب من اهل
بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا ابا يزيد ما حد الزهد عندكم قلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا اثرنا
وسئل ذو النون المصري عن علامة الزاهد فقال ثلث تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار عند القوت
قوله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون اي من يدفع عنه غائلة الشح وحرص النفس
حتى تطيب نفسه بذلك فاولئك هم الناجون السعداء الباقون والشح في اللغة منع النفع واما في الدين فهو
منع الواجب وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بريء من الشح من ادى زكاة ماله واقرى الضيف
واعطى النائبة وقال سعيد بن جبير شح النفس هو اخذ الحرام ومنع الزكاة وجاء رجل الى عبد الله بن مسعود
قال لقد خفت ان لا تصيبني هذه الآية ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ما اقدر ان اعطي شيئا فقال
عبد الله انما ذلك البخل وبئس الشيء البخل ولكن الشح ان تاخذ مال اخيك بغير حق وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب رجل مسلم ولا يجتمع غبار في سبيل ودخان جهنم في
جوف مسلم قط واختلف العلماء في الشح والبخل فقال بعضهم هما واحد وهو منع الفضل وقال بعضهم بينهما
فرق والبخل انما يبخل الرجل بما في يديه والشح ان يبخل بما في ايدي الناس وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا الدماء واستحلوا محارمهم وعن ابي الهياج
الاسدي قال كنت اطوف بالبيت فرأيت رجلا يقول اللهم قني شح نفسي ولا يزيد على ذلك فقال اني اذا وقيت
شح نفسي لم اسرق ولم ازن واذا الرجل عبد الرحمن بن عوف ويحكى ان كسرى قال لاصحابه ذات يوم اي شيء اضر
بابن آدم قالوا الفقر قال الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد اتسع وان الشحيح لا يتسع ابدا **قوله تعالى**
والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
يعني التابعين وهم الذين جاؤوا بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيمة قال ابن عمر هؤلاء هم التابعون بالاحسان
الى يوم القيمة قال ابن ابي ليلى الناس على ثلث منازل الفقراء والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤوا من
بعدهم واجتهد ان لا تكون خارجا من هذه المنازل ثم ذكر الله تعالى ان هؤلاء التابعين يدعون لانفسهم وللسلف الذين
سبقوهم فقال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا
اي لا تجعل في قلوبنا غشا وحقدا وبغضا وحسدا للمؤمنين فكل من لم يترحم على جميع الصحابة وكان في قلبه غل على احد
منهم كان خارجا من اقسام المؤمنين لان الله تعالى رتب المؤمنين على ثلث منازل المهاجرين والانصار والتابعين بعدهم الى
يوم الدين **قوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا** يعني عبد الله بن ابي واصحابه ومعنى نافقوا
اظهروا خلاف ما اضمروا **قوله تعالى يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب**
يعني قريظة وبنو النضير سماهم اخوانهم لانهم كفار مثلهم **قوله تعالى لئن اخرجتم لنخرجن معكم**
لئن اخرجتم من دياركم الى الغربة لنخرجن معكم اي لا نساكن محمدا ولا نطيعه على قتالكم فان قاتلكم محمد واصحابه
اعناكم عليه لان يكون ايدينا يدا واحدة في المقاتلة حتى نغلبهم ووعدوهم انهم سينصرونهم فكذبهم الله في ذلك بقوله
تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون في مقالتهم وقد بان كذبهم فيما نزل ببني النضير من الجلاء وفيما اصاب
بني قريظة من القتل ثم ذكر الله انهم يخلفونهم ما وعدوهم من الخروج والنصر فقال تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون

معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر على ما ذكره الله تعالى لانهم اخرجوا من ديارهم فلم يخرج معهم المنافقون و[illegible]
اظهر كذبهم وبان صدق ما قال الله قوله تعالى ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون
معناه ولئن قدر وجود نصرهم لان ما نفاه لا يجوز وجوده قال الزجاج معناه لو قصدوا نصر اليهود لولوا الادبار
منهزمين ثم لا ينصرون يعني بني النضير لا يصيرون منصورين اذا انهزم ناصروهم قوله تعالى لانتم اشد
رهبة في صدورهم من الله • انتم يا معشر المسلمين اهيب في صدور المنافقين واليهود من عذاب الله [illegible]
مثلهم اشد من خوفهم من الله لعلمهم بكم وبصفاتكم وجهلهم بالله وعظمته ذلك الخوف الذي بهم منكم [illegible]
يعرفون الله تعالى ولو عرفوه لعلموا ان عقوبة الله اعظم مما عناه تقع بهم من قتل المؤمنين وفي هذه الاية [illegible]
انه لا ينبغي لاحد ان يكون خوفه من الناس ازيد من خوف الله وان من زاد خوفه من احد الناس على خوف [illegible]
فليس بفقيه انما الفقيه من يخشى الله تعالى كما قال تعالى في انما اخرى انما يخشى الله من عباده العلماء والفقه
العلم بمفهوم الكلام في ادراك ظاهره بمضمونه والناس يتفاضلون في الادراك لاختلافهم في جودة القريحة و
الفطنة قوله تعالى لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر معناه لا يقاتلونكم يعني
وبني النضير الا في حصون موثقة او من خلف جدار لما قذف الله في قلوبهم من الرعب ولا يقاتلونكم مبارزة [illegible]
عباس ومجاهد وابن كثير وابو عمرو وجدار بالالف على الواحد ويروى عن بعض اهل مكة جدر بفتح الجيم و
الدال وهي لغة في الجدار وقرا يحيى بن وثاب جدر بضم الجيم وجزم الدال وقرا الباقون بضمهما قوله
باسهم بينهم شديد • يعني بعضهم وعداوة بعضهم لبعض شديد وبينهم مخالفة وعداوة عظيمة
جميعا اي تحسبهم متفقين على امر واحد بنيات مجتمعة اذا قاتلوا المؤمنين وقلوبهم شتى
لا يتعاونون لمعاداة بعضهم بعضا وان اظهروا الموافقة والمعنى انهم مختلفون لا تستوي قلوبهم ولا [illegible]
الله خذلهم ذلك الاختلال بانهم قوم لا يعقلون ما فيه الحظ لهم ولا يعقلون الرشد من الغي قوله
كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم • • معناه مثل هؤلاء اليهود كمثل
من قبلهم وهم كفار مكة يعني مثلهم فيما نزل بهم من العقوبة كمثل مشركي مكة قوله تعالى قريبا
وبال امرهم يعني القتل والاسر يوم بدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير بستة اشهر ولهم عذ[اب]
اليم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء
منك اي مثل المنافقين في غرورهم بني النضير وخذلانهم كمثل الشيطان في غروره لابن ادم [و]
دعاه الى الكفر بما زينه له من المعاصي فلما كفر الادمي تبرا الشيطان منه ومن دينه في الاخرة ويقال [ان]
هذه الاية انسان بعينه يقال له برصيصا عبد الله تعالى في صومعة له سبعين سنة وكان من [بني]
اسرائيل فصالحه ابليس فلم يقدر عليه فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال لهم الا احد منكم يكفيني [امر]
برصيصا فقال له الابيض انا اكفيكه وكان مريدا متمردا هذا الابيض انه اعترض للنبي صلى الله عليه [وسلم]
ليوسوس اليه فدفعه جبريل دفعة هينة فوقع في اقصى ارض الهند فقال الابيض لابليس انا ازين له فتزين [بزي]
الرهبان ومضى حتى اتى صومعة برصيصا فاقبل على العبادة في اصل الصومعة فانفتل برصيصا واذا هو
قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان فاقبل اليه وقال له يا هذا ما حاجتك فقال احب ان اكون [معك]
فاتعلم منك واقتبس علمك ونجتمع على العبادة فتدعو لي وادعو لك فقال برصيصا اني لفي شغل عنك [فان]
كنت مؤمنا فسيجعل الله لك نصيبا مما ادعو للمؤمنين والمؤمنات ثم اقبل على صلواته وترك الابيض وقام [الابيض]
يصلي فلم يلتفت اليه برصيصا الا بعد اربعين يوما فلما التفت اليه بعد الاربعين راه قائما يصلي فلما راى [برصيصا]
شدة اجتهاده وكثرة ابتهاله وتضرعه اقبل اليه وقال له اطلب حاجتك قال حاجتي ان تاذن لي فارتفع الي[ك]
فالون في صومعتك فاذن له فارتفع اليه فاقام معه في صومعته حولا كاملا يتعبد لا يفطر الا في كل اربعين

[يو]ما يوما ولا ينفتل عن صلوته الا في كل اربعين يوما يوما فلما راى برصيصا شدة اجتهاده اعجبه شانه
وتقاصرت عنده عبادة نفسه فلما جاء الحول قال الابيض لبرصيصا اني منطلق الى صاحب لي غيرك اشد
اجتهادا منك واني قد بلغني عنك من العبادة والاجتهاد غير الذي اري منك فدخل على برصيصا من كلامه ذلك
امر عظيم وكره مفارقته لما راى من شدة اجتهاده في العبادة فلما ودعه قال له الابيض ان عندي دعوات اعلمكها
تدعو بها فهي خير لك مما انت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتلى والمجنون فقال برصيصا اني اكره
ذلك المنزلة وان لي في نفسي شغلا واني اخاف ان علم الناس بذلك شغلوني عن العبادة فلم يزل به الابيض
حتى علمه وانطلق الابيض حتى اتى ابليس وقال له قد والله اهلكت الرجل ثم انطلق الابيض الى رجل
فخنقه ثم جاء الى اهله في صورة طبيب فقال لهم ان بصاحبكم جنونا فقالوا له عالجه لنا وداوه فقال اني
لا اقوى على جنيه ولكني ارشدكم الى من يدعو له فيعافى قالوا دلنا قال انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم
الاعظم الذي اذا دعي به اجاب فمضوا بصاحبهم اليه فدعا لهم بتلك الكلمات التي علمها الابيض فذهب عنه
الشيطان ثم انطلق الابيض الى صبية من بنات الملوك ولها ثلاثة اخوة وكان لهم عم هو ملك بني اسرائيل
فخنقها ثم جاء اليهم في صورة طبيب فعالجها وداواها ولم يذهب عنها فقال لهم ان الذي عرض لها مارد لا يطاق
ولكني ارشدكم الى رجل يدعو لها بدعوات فتعافى قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف يجيبنا الى هذا
الامر وكيف يقبلها منا قال ابنوا لها صومعة الى جنب صومعته ويكون لزيقا لصومعته وقولوا له هذه امانة
عندك فاحتسب فيها فقالوا انطلقوا بها اليه فلم يقبلها فبنوا لها صومعة كما ذكر لهم الابيض وتركوها فيها
وقالوا لبرصيصا هذه اختنا وقد عرض لها عدو من اعداء الله فهي امانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا
فلما انفتل برصيصا عن صلوته راها فراى جمالا رائقا وحسنا فائقا فسقط في يديه ودخل عليه امر عظيم فجاءها الابيض
فخنقها فلما راى برصيصا ذلك انفتل عن صلوته ودعا بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان ثم جاء الابيض الى
برصيصا وقال اين تجد مثل هذه واقعها وانت تتوب بعد ذلك ولم يزل به حتى واقعها واتى بها فاقامت معه
كذلك يتوبون ويواقعها حتى حملت وظهر حملها فقال له الابيض ويحك انك قد افتضحت فهل لك ان تقتلها وتتوب
فان سالوك عنها فقل جاء شيطانها فذهب بها ولم اطق عليه ففعل ذلك فقتلها وذهب بها الى ناحية من الجبل
ودفنها فجاء الشيطان ليلا وهو يدفنها فجذب طرف ازارها حتى صار خارجا من التراب ثم رجع برصيصا
الى صومعته واقبل على صلوته فجاء اخوتها يتعاهدونها وكانوا في سائر الايام ياتون الى برصيصا يتعاهدون
اختهم ويوصونه بها فاتوه في هذه المرة لعادتهم فلم يجدوها فقالوا اين ذهبت اختنا فقال برصيصا جاء شيطانها
فذهب بها ولم اطقه فصدقوه وانصرفوا عنه وهم مكروبون فجاءهم الابيض في صورة انسان واخبرهم بالخبر
وقال لهم هي مدفونة في موضع كذا وان برصيصا قد فعل كذا وكذا ثم قتلها ودفنها وان طرف ازارها خارج
التراب فانطلقوا فوجدوها كما قال لهم فجمعوا الى برصيصا غلمانهم وعساكرهم وجاؤوا بالفؤوس والمساحي
فهدموا صومعته وانزلوه وكتفوه وانطلقوا به الى الملك مغلولا فساله عن ذلك فاقر على نفسه فصلبه
الملك على خشبة فجاء ابليس الى الابيض اي شيء صنعت في برصيصا الان يقتل ويكون قتله كفارة
لما كان منه وما بلغني عنك ما صنعت فيه فقال الابيض انا اكفيك فيه واتاه وهو مصلوب فقال
له يا برصيصا اتعرفني قال لا قال انا صاحبك الذي علمتك الدعوات اما اتقيت الله في امانة و
عندك فخنت اهلها وانت اعبد بني اسرائيل اما استحييت من الله اما راقبته في دينك فلم يزل يعيره
ويوبخه ثم قال له وما كفاك ما صنعت حتى اقررت على نفسك وفضحت اشباهك فان مت على هذه
الحالة لم تفلح ابدا قال فكيف اصنع قال تطيعني في خصلة حتى انجيك مما انت فيه واخذ باعينهم
[و]اخرجك من مكانك قال وما هي قال تسجد لي سجدة واحدة قال كيف اسجد لك وانا مصلوب بهذه

الحالة قال اكتفي منك بالايما فاومأ له بالسجود فكفر بذلك فقال يا برصيصا هذا الذي اردت منك تمام
امرك اني كفرت بربك اني بري منك اني اخاف الله رب العالمين ثم ذهب عنه وتركه فقتل فضرب الله هذا
مثلا لبني قريظة والنضير والمنافقين من اهل المدينة وذلك ان الله تعالى امر نبيه عليه السلام ان يجلي بني النضير ودس
اليهم المنافقون ان لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم كنا معكم وان اخرجكم خرجنا معكم فاطاعوهم
ودربوا على حصونهم وتحصنوا في دورهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاربهم وناصبوه للحرب يرجون نصر المنافقين
فخذلوهم وتبرأوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله قوله تعالى فكان عاقبتهما انهما في النار
خالدين فيها • معناه وكان عاقبة الشيطان والذي كفر بهما في النار مقيمين دائمين وذلك جزاء الظالمين
اي وذلك عاقبة الكافرين فليحذر امرء ان يقع في مثل ما وقع فيه هذا الكافر وقال مقاتل يعني الاية وكان
عاقبة المنافقين واليهود اي صاروا الى النار وذلك جزاؤهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
ولتنظر نفس ما قدمت لغد • معناه اتقوا الله اداء فرائضه واجتناب معاصيه ولتنظر نفس ما قدمت
لغد قوله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله • اي تركوا امر الله حتى صار كالمنسي عندهم فانساهم
انفسهم اي خذلهم حتى لم يعملوا لله طاعة ولم يقدموا خيرا لانفسهم قال ابن عباس يريد قريظة والنضير
وباقي الايتين ظاهر المعنى قوله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله معناه لو جعل في الجبل تمييز وعقل مثلكم وعلم من القران ما تعلمون انتم لرايته يخشع
ويتصدع خوفا من عذاب الله مع عظمته وكبره وصلابته وانتم مع ضعفكم وصغركم اولى بالخشوع والعمل
على مقتضى الدين في تمييز الحق من الباطل وقيل معناه ولو سخر الجبل مع صلابته وشدته بالقران لخشع
تعظيما للقران ولتصدع من خشية الله فالانسان احق بهذا منه وهذا وصف الكافر في القسوة حيث لم يلين
قلبه مواعظ القران الذي لو نزل على جبل لخشع قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب
والشهادة هو الرحمن الرحيم قيل ان هذه الايات مردودة الى اول السورة والمعنى هو الذي اخرج الذين
كفروا وهو الذي يحق له العبادة ولا يشركه في ذلك غيره وهو العالم بكل شيء مما غاب عن العباد ومما علموه
قوله تعالى القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار • القدوس هو الطاهر عن كل عيب
المنزه عما لا يليق به والسلام هو الذي يسلم من كل نقص وعيب وقيل هو يسلم العباد من ظلمه والمؤمن
هو الذي امن اولياءه عذابه والمهيمن هو الشهيد على عباده باعمالهم ومنه قوله تعالى ومهيمنا عليه اي
شاهدا عليه ويقال هيمن يهيمن فهو مهيمن اذا كان رقيبا على الشيء والعزيز الممتنع الذي لا يغلبه شيء
ولا يمنع من مراده شيء والجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته ويجوز ان يكون من جبر اذا اغنى الفقير
واصلح الكسير ويجوز ان يكون من جبره على كذا اذا اكرهه على ما اراد قال السدي ومقاتل هو الذي يقهر
الناس ويجبرهم على ما يشاء والمتكبر هو المستحق لصفات التعظيم وهو من الكبرياء وانما قدم صفة المتكبر
في الناس لانه ينزل نفسه منزلة لا يستحقها قوله تعالى هو الخالق البارئ المصور الخالق هو المنشئ
للاعيان والبارئ المقدر المسوي والبرية الخلق وبريت القلم اذا سويته والمصور الناقش كيف شاء
يعني الممثل للمخلوقات بالعلامات المميزة والهيئات المتفرقة والاسماء الحسنى هي الصفات العلى وعن ابن
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
وقال صلى الله عليه وسلم من قرا حين يصبح الثلاث الايات من اخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف
ملكا يصلون عليه حتى يمسي فان مات من ذلك اليوم مات شهيدا ومن قراها حين يمسي كان بتلك المنزلة
وعن ابي هريرة قال سالت حبيبي رسول الله عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر سورة الحشر فاكثر قراءتها
فاعدت عليه فاعاده علي فاعدت عليه فاعاده علي ••

سورة المودة [illegible] آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وذلك ان سارة مولاة ابي
عمرو بن صيفي بن هشام اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة بعد بدر بسنتين ورسول الله صلى
الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله امسلمة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والعشيرة
والموالي وقد ذهبت موالي واحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني قال واين انت
من شباب اهل مكة وكانت مغنية ونائحة قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فامر النبي صلى الله عليه وسلم
بني عبد المطلب فكسوها واعطوها نفقة فاتاها حاطب بن ابي بلتعة الازدي حليف بني اسد فكتب الى اهل
مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يغزوكم فخذوا حذركم مع اشياء كتب بها ينصح لهم فيها فمضت سارة
بالكتاب فنزل جبريل عليه السلام واخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل حاطب فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وراءها علي بن ابي طالب والزبير بن العوام والمقداد فخرجوا تتعادى بهم خيلهم فلحقوها فطلبوا منها الكتاب فقالت
ما معي كتاب وحلفت على ذلك ففتشوا متاعها فلم يجدوا شيئا فتركوها وهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه
ابى اشهد ان رسول الله لم يكذبنا وامرنا بالكتاب ففتشوا متاعها فقالت انكم لا تصدقوني حتى تفتشوا ثيابي
اصرفوا وجوهكم عني فصرفوا وجوههم عنها فطرحت ثيابها ففتشوا فلم يجدوا شيئا فسل علي سيفه وقال اخرجي
الكتاب والا لاضربن عنقك واقسم على ذلك فلما رات الجد اخرجته من طفاير راسها فاخذوه وخلوا
سبيلها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى رسول الله فاتاه فقال له يا حاطب هل
تعرف هذا الكتاب فقال نعم قال ما حملك على ذلك قال والله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ صحبتك
ولا احببتهم منذ فارقتهم فلا تعجل علي يا رسول الله اني كنت امرءا ملصقا في قريش ولم اكن منهم ولم يكن احد من
المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وانا غريب فيهم وكان اهلي من اظهرهم فخشيت على اهلي فاردت ان
اتخذ عندهم يدا والله ما فعلت ذلك شكا في ديني ولا رضاء بالكفر بعد الاسلام ولا ارتبت في الله منذ اسلمت
وقد علمت بان الله تعالى ينزل عليهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعذره وقال انه قد صدق فقام عمر رضي الله عنه قال دعني يا رسول الله فاضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم
انه قد شهد بدرا وما يدريك يا عمر ان الله تعالى قال لاهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وروي ان عبدا
لحاطب جاء يشتكي حاطبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال كذبت
لا يدخلها ابدا لانه قد شهد بدرا والحديبية ثم انزل الله هذه الاية يعرف بها النبي صلى الله عليه وسلم ان حاطبا
مؤمن فقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء معناه لا تتخذوا الكافرين احبابا في العون
والنصرة تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينهم وتخبرونهم بما يخبر به الرجل
اهل مودته وقد جحدوا ما جاءهم من الحق يعني القران مع ذلك يخرجون الرسول واياكم اي يخرجون الرسول
من مكة ويخرجونكم ايضا من دياركم لاجل ايمانكم بربكم قوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي
هذا شرط وجوابه متقدم عليه وقوله تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تقديره ان كنتم خرجتم مجاهدين
في طاعتي ومبتغين مرضاتي فلا تتخذوهم اولياء قوله تعالى جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي •
منصوبان لانهما مفعول لهما وقوله تعالى تسرون اليهم بالمودة اي تخفون مودتهم وانا اعلم بما تضمرون
في قلوبكم وما تظهرون بالسنتكم قوله تعالى تسرون اليهم بالمودة يعني بالاسرار والقاء المودة اليهم
فقد ضل سواء السبيل اي فقد اخطأ طريق الهدى قوله تعالى ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء •

معناه ان يصادفوكم ويظفروكم في حال لا يخافونكم فيه ويظهروا عداوتكم ويبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والضرب والسب
بالسب والطعن ويحبون ان تكفروا بالله بعد ايمانكم كما انهم كفروا والمعنى لا ينفعكم التقرب اليهم بنقل اخبار النبي
صلى الله عليه وسلم اليهم قوله تعالى **ولن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم** اي لا تواددوهم بسبب
الارحام والاولاد لا ينفعونكم فلا تعصوا الله ولا تخونوا رسوله لاجلهم **يوم القيمة يفصل**
فيدخل اهل طاعة الله الجنة ويدخل اهل الكفر النار **والله بما تعملون** من الخير والشر **بصير** قرا
عاصم ويعقوب يفصل بينكم بفتح الياء وكسر الصاد مخففا وقرا حمزة والكسائي وخلف يفصل بضم الياء وكسر الصاد
مشددا وقرا ابن عامر والاعرج يفصل بضم الياء وفتح الضاد مشددا وقرا طلحة والنخعي نفصل بالنون وكسر
الصاد مشددا وقرا الباقون يفصل بضم وفتح الصاد مخففا ثم ضرب الله لهم مثلا حين تبرا من قومه فقال
قوله تعالى **قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه** اي قد كانت لكم قدوة حسنة في ابراهيم
خليل الله والذين معه من المؤمنين اذ قالوا لاقاربهم من الكفار انا براء منكم ومن دينكم **ومما تعبدون من دون الله**
ومن الاصنام تبرانا منكم وظهر بيننا وبينكم العداوة بالفعل والبغضاء بالقلب الى الابد حتى تفردوا وتصدقوا ان الله
الله تعالى فهلا تاسيت يا حاطب بابرهيم في اظهار معادات الكفار وقطع الموالاة بينك وبينهم كما فعل ابرهيم
الا في قوله لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله شيئا اي قد كانت لكم اسوة في صنع ابراهيم
يعني ان عصيته نهوا ان يتاسوا بابرهيم في هذا خاصة فيستغفر للمشركين قد كانت لكم اسوة في صنع
ابراهيم الا في استغفاره لابيه وهو مشرك ثم بين الله عذر ابرهيم في سورة التوبة في استغفاره
وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وهذا كان قبل اخبار الله تعالى لانه لا يغفر له
به وقوله ابراهيم وما املك لك من الله من شيء معناه لا اقدر على دفع شيء من عذاب الله عنك
ان لم تؤمن وكان من دعاء ابراهيم عليه السلام واصحابه ربنا عليك توكلنا اي بك وثقنا واليك انبنا
فوضنا امورنا واليك رجعنا بالتوبة والطاعة **واليك المصير** في الاخرة **ربنا لا تجعلنا فتنة**
للذين كفروا اي لا تظهر الكفار علينا فيظنوا انهم على الحق وانا على الباطل فيفتنوا بنا هكذا
قال قتادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال معناه لا تسلط علينا فيفتنونا وقال مجاهد معناه
لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق ما اصابهم هذا قوله تعالى لقد كان
لكم اسوة حسنة **لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر** معناه لقد كان لكم في
ابراهيم والذين معه قدوة صالحة فيما يرجع الى رجاء ثواب وحسن المنقلب في اليوم الاخر وهذا يقتضي وجوب
الاقتداء بهم في افعالهم واما الاول فهو الاقتداء بهم في باب العداوة لله والولاية في امر الدين وقوله تعالى
لمن كان يرجوا الله بدل من قوله لكم فيهم وهذا كقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
ومعنى يرجو الله اي يخاف الله ويخاف الاخرة **ومن يتول فان الله هو الغني الحميد**
اي من يعرض عن الايمان ويتول الكفار فان الله هو الغني عن خلقه الحميد الى اوليائه واهل طاعته قال مقاتل
لما امر الله المؤمنين بعداوة الكفار واظهروا لهم العداوة والبراءة امتثالا لامر الله تعالى فانزل الله تعالى قوله
تعالى **عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة** اي كونوا على رجاء وطمع في
ان يجعل الله بينكم وبين الذين عاديتم من المشركين مودة يعني من كفار مكة ففعل الله ذلك بان اسلم كثير
منهم بعد الفتح منهم ابو سفيان بن حرب وابو سفيان بن الحارث والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم
بن حزام وكانوا رؤساء الكفار والمعادين لاهل الاسلام فصاروا لهم اولياء واخوانا فخالطوهم وناكحوهم
وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان فهذه المودة التي جعلها الله بينهم والله قدير
على ان يجعل بينكم المودة **والله غفور رحيم** بهم بعد ما تابوا واسلموا قوله تعالى لا ينهاكم

الله **عن الذين لم يقاتلوكم في الدين** يعني اهل العهد الذين عاهدوا المؤمنين على
ترك القتال والمظاهرة وهم خزاعة ان تبروهم والمعنى لا ينهاكم عن الذين لم يقاتلوكم وهذا يدل على جواز البر باهل الذمة
وان كانت الموالاة منقطعة ولذا جوز ابو حنيفة ومحمد صرف الصدقة الفطر والكفارات والنذور المطلقة اليهم واجمعوا
على جواز صرف صدقة التطوع اليهم واجمعوا على انه لا يجوز صرف الزكوات اليهم لقوله عليه السلام امرت ان اخذ
الصدقة من اغنيائكم واردها في فقرائكم وقوله تعالى ان تبروهم في موضع خفض بدل من الذين كانه قال عن ان
تبروا الذين لم يقاتلوكم ويقال اقسطت الى الرجل اذا عاملته فقال تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة
على اصولها فباذن الله وبين الله ان ما قطع منها قطع باذن الله وما ترك منها ترك باجر الله واللينة هي النخلة قال
ابن عباس وقتادة اللينة هي كل نخلة غير العجوة وقيل اللينة ما خلا العجوة والبرني وجمعه ليان وروي ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يقطع نخلهم الا العجوة قال عكرمة والنخل كل ليان ما خلا العجوة وقال سفيان اللينة
هي كرام النخل وقال مقاتل هو ضرب من النخل شديد الصفرة يغيب فيه الضرس عند اكله وكان من اجود تمرهم
واعجبه اليهم والعرب تسمي النخل كله لينا
معناه وليهين الله ويذل اليهود
يهم باربهم اموالهم يحكم فيها المؤمنون كيف احبوا لانهم نقضوا العهد
معناه وما رد الله على رسوله من غنائم بني النضير فما
اوجفتم عليه من خيل ولا ابل ولكن مشيتم اليه مشيا لان ذلك كان قريبا من المدينة اي لم يحصل ذلك
بالكم ولا بسعيكم من ذلك انما كان ذلك بتسليط الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والله تعالى يمكن رسله
ان الله عليهم من اعدائه بغير قتال والله على كل شيء من النصر والغنيمة قادر والضمير في قوله اوجفتم عليه
يرجع الى ما افاء الله والايجاف هو الاسراع والازعاج للسير يقال وجف الفرس واوجفته انا والوجيف نوع من
السير فوق التقريب ويقال وجف الفرس والبعير يجف وجفا اذا اسرع السير واوجفه صاحبه اذا حمله
على السير السريع ويعني الاية ما افاء الله على رسوله من مال بني النضير فما اوجفتم عليه اي لما اوجعتم عليه من خيل
ولا ركاب ولم ينالوا فيه مشقة ولم يلقوا حربا وانما مشيتم اليه مشيا الا النبي صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا ففتحها
النبي صلى الله عليه وسلم واجلاهم عنها واحرز اموالهم فسال المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم القسمة في تلك الاموال
فانزل الله هذه الاية فجعل اموال بني النضير خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يضعها حيث يشاء فقسمها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة نفر كانت بهم خصاصة وهم ابو دجانة
وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفق على اهله من
مال بني النضير نفقة سنة وما بقي جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله لانه مما افاء الله على رسوله ولم
يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واراد بهذا ما كان يحصل من غلة اراضيهم
في كل سنة وهذه دلالة على ان كل ما لم يكن من اموال اهل الشرك لم يغلب عليه المسلمون عنوة وانما اخذ صلحا انه يوضع
في بيت المال للمسلمين ليصرف الى الوجوه التي يصرف فيها الجزية والخراج لان ذلك بمنزلة اموال بني النضير

اختلف العلماء في الفيء ما هو فقال بعضهم هو ما ملكه الله المسلمين من اموال المشركين بغير قتال
او بقتال فالغنيمة فيء والخراج فيء والجزية فيء وقال بعضهم الغنيمة اسم لما اخذ المسلمون من الكفار
عنوة وقهرا والفيء ما صولح عليه فبين الله تعالى في هذه الاية حكم الفيء فقال ما افاء الله على رسوله من اهل القرى
اي من غنائم قرى المدينة في قريظة وبني النضير وفدك فان ذلك خاصة للنبي صلى الله عليه وسلم دون العالمين
فكان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك جائزا وكان صلى الله عليه وسلم يصرفها بامر الله الى نوائب نفسه
وذوي قرابته ويتامى الناس عامة والمساكين عامة يعني المحتاجين وابناء السبيل ولفقراء المهاجرين واهله

العلماء في حكم هذه الاية فقال بعضهم اراد بقوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الغنائم التي ياخذها المسلمون
من اموال الكفار عنوة وغلبة وكانت الغنائم في بدو الاسلام لهولاء المسميين دون القائمين الموجفين عليها
ثم نسخ ذلك بقوله تعالى في سورة الانفال واعلموا انما غنمتم من شيء والاية التي قبل هذه في بيان حكم اموال
بني النضير خاصة وهذه الاية في بيان حكم سائر الاموال التي اصيبت بغير قتال ولم يوجف عليها بالخيل والجمال
وقال اخرون هما واحد والثانية بيان قسم المال الذي ذكره الله تعالى في الاية الاولى والغنائم كانت
في بدو الاسلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع بها ما شاء كما قال تعالى قل الانفال لله والرسول ثم
نسخ ذلك بقوله ثم نسخ ذلك بقوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الاية فجعل اخماسها للغانمين
تقسم بينهم واما الخمس الباقي فيقسمه على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي القربى
وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل
معناه كيلا يكون الفيء متداولا بين الاغنياء منكم والفرق بين تداول والمعنى لا يتداوله الاغنياء منكم يكون
لهذا مرة ولهذا مرة كما يعمل في الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ الرئيس الربع وهو المرباع والاغنياء الرؤساء
فالمقاتل كيلا يغلب الاغنياء الفقراء فيقسمونه بينهم ثم قال للرؤساء وما اتاكم الرسول من الغنيمة
فخذوه فهو حلال لكم وما نهاكم عن اخذه فانتهوا وهذا نازل في اموال الفيء ثم هو عام في كل ما امر به النبي
وسلم ونهى عنه قال الحسن في قوله وما نهاكم عنه فانتهوا يعني ما نهاكم عنه من الغلول
معناه اتقوا عذاب الله ان الله شديد العقاب اذا عاقب
معناه كي لا
شديدة
بين الاغنياء منكم ولكن يكون للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم يعني ان كفار مكة اخرجوهم
فضلا من الله اي رزقا يأتيهم ورضوانا بارضاء ربهم حين خرجوا الى دار الهجرة
في ايمانهم والمعنى بقوله للفقراء المهاجرين بيان المحتاجين المذكورين في الاية التي قبل هذه الاية
هولاء المحتاجين الفقراء مما تقدم ذكره من الفيء وكانوا نحو مائة رجل وكانوا شهدوا بدرا اجمعين
النبي الله عليهم بقوله يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي يطلبون بتلك الهجرة ثواب الله ورضاه وينصرون
بالسيف والجهاد اولياء الله واولياء رسوله اولئك هم الصادقون في الايمان وطلب الثواب
قال الكلبي
تبوءوا الدار مسكنا وحرثة يحبون وهذا ابناء الانصار وذلك بحسدهم اذا لم تقسم لهم فقال للانصار ان
شئتم قسمتم لهم من دوركم واموالكم وقسمت لكم كما قسمت لهم واما ان يكون لهم القسم ولكم دياركم واموالكم
فقالوا بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ولا نشاركهم في قسمتهم فاثنى الله عليهم بهذه الاية والمعنى
والذين لزموا دار الهجرة ولزموا الايمان من قبل هجرة المهاجرين ووطنوا منازل انفسهم لم يحبوا من هاجر اليهم
من مكة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجدون في قلوبهم ضيقا وحسدا مما اعطى المهاجرون من الفيء
ومعنى الاية والذين تبوءوا الدار يعني المدينة وهي دار الهجرة تبوءها الانصار قبل المهاجرين وتقدير
الاية والذين تبوءوا الدار من قبلهم والايمان لان الانصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين وعطف الايمان على
الدار في الظاهر لا في المعنى لان الايمان ليس بمكان تبوءوا والتقدير اثروا بالايمان واعتقدوا بالايمان
معناه ويؤثرون على المهاجرين على
انفسهم باموالهم ومنازلهم ولو كان بهم فقر وحاجة الى الدار والنفقة بين الله ان ايثارهم لم يكن عن غناء
عن المال ولكن عن حاجة فكان ذلك اعظم لاجرهم وعن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه
وقد اصابه الجهد فقال يا رسول الله صلى الله عليك وسلم اني جائع فاطعمني فبعث النبي صلى الله عليه وسلم

الى ازواجه هل عندكن شيء فكلهن قالت والذي بعثك بالحق ما عندنا الا الماء فقال صلى الله عليه وسلم
ما عند رسول الله ما يطعمك هذه الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله فقام رجل فقال انا يا رسول
الله قال في صحيح مسلم هو ابو طلحة وقيل ابو ايوب والضيف ابو هريرة فمضى به الى منزله فقال لاهله هذا
ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكرميه ولا تدخري عنه شيئا فقالت ما عندنا الا قوت الصبية قال قومي
فعلليهم عن قوتهم حتى يناموا ثم اسرجي واحضري الطعام فاذا اخذ الضيف لياكل قومي كانك تصلحين السراج
فاطفئيه وتعالي نمضغ السنتنا لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشبع فقامت المراة الى الصبية فعللتهم
حتى ناموا ولم يطعموا شيئا ثم قامت فاسرجت فلما اخذ الضيف لياكل قامت كانها تصلح السراج فاطفاته وجعلا
يمضغان السنتهما فظن الضيف انهما ياكلان معه فاكل الضيف حتى شبع وباتا طاويين فلما اصبحا غدوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليهما تبسم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة فانزل
الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال انس
رضي الله تعالى عنه اهدي لبعض الصحابة راس شاة مشوية وكان مجهودا فقال لعل جاري احوج اليه مني فبعث
به اليه ثم ان جاره قال مثل ذلك فوجه به الى جاره فتداولته تسعة انفس حتى عاد الى الاول فانزل الله تعالى
ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ويحكى عن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا
بقرية بقرب الري ومعهم ارغفة قليلة لا تشبعهم فكسروا الرغفان واطفؤوا السراج وجلسوا لياكلوا فلما رفع
فاذا الطعام بحاله لم ياكل منهم احد ايثارا لصاحبه على نفسه ويحكى عن حذيفة العدوي قال انطلقت يوم
اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار ان نعم فاذا رجل يقول اه فاشار
ابن عمي ان انطلق بالماء اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع اخر يقول اه فاشار هشام ان
انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات ثم رجعت الى هشام فاذا هو قد مات ثم رجعت الى ابن عمي فاذا هو
قد مات ويحكى عن ابي يزيد البسطامي قال ما غلبني احد ما غلبني شاب من اهل بلخ قدم علينا حاجا
فقال لي يا ابا يزيد ما حد الزهد عندكم قلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ
فقلت ما حد الزهد عندكم قال اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا اثرنا وسئل ذو النون المصري عن علامة الزاهد
فقال ثلاث تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار عند القوت
اي من يدفع عنه غائلة الشح وحرص النفس حتى يطيب نفسه بذلك فاولئك
هم الناجون السعداء الفائزون والشح في اللغة منع النفع واما في الدين فهو منع الواجب وفي الحديث عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال بريء من الشح من ادى زكاة ماله واقرى الضيف واعطى النائبة وقال
سعيد بن جبير شح النفس هو اخذ الحرام ومنع الزكاة وجاء رجل الى عبد الله بن مسعود قال لقد خفت ان لا
يصيبني هذه الاية ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ما اقدر ان اعطي شيئا فقال عبد الله انما ذلك
البخل وبئس الشيء البخل ولكن الشح ان تاخذ مال اخيك بغير حق وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب رجل مسلم ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف
مسلم قط واختلف العلماء في الشح والبخل فقال بعضهم هما واحد وهو منع الفضل وقال بعضهم بينهما فرق
والبخل انما يبخل الرجل بما في يده والشح ان يبخل بما في ايدي الناس وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا الدماء واستحلوا محارمهم وعن ابي الهياج
الاسدي قال كنت اطوف بالبيت فرايت رجلا يقول اللهم قني شح نفسي ولا يزيد على ذلك فقال اني اذا
وقيت شح نفسي لم اسرق ولم ازن واذا الرجل عبد الرحمن بن عوف ويحكى ان كسرى قال لاصحابه ذات
يوم اي شيء اضر بابن ادم قالوا الفقر قال الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد اشبع وان الشحيح لا يشبع

ابعا

يعني التابعين وهم الذين جاوا بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيمة وقال ابن عباس
هو كلهم التابعون بالاحسان الى يوم القيمة قال ابن ابي ليلى الناس على ثلث منازل الفقرا والذين
تبوا الدار والايمان والذين جاوا من بعدهم واجهد ان لا تكون خارجا من هذه المنازل ثم ذكر الله تعالى
ان هولاء التابعين يدعون لانفسهم وللسلف الذين سبقوهم فقال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا اي لا تجعل في قلوبنا غشا وحقدا وبغضا
وحقدا للمومنين فكل من لم يترحم على جميع الصحابة وكان في قلبه غل على احد منهم كان خارجا من اقسام
المومنين لان الله تعالى رتب المومنين على ثلاث منازل المهاجرين والانصار والتابعين الى يوم الدين
يعني عبد الله ابن ابي واصحابه ومعنى نافقوا اظهروا خلاف
ما اضمروا
وهم بنو قريظة وبنو
النضير سماهم اخوانهم لانهم كفار مثلهم
اي لبني النضير
من دياركم الى الغربة لنخرجن معكم اي لا نساكن محمدا ولا نطيعه على قتالكم فان قاتلكم محمد واصحابه لنعاونكم
عليه لان يكون ايدينا يدا واحدة واحدة في المقاتلة حتى نغلبهم وعدوهم انهم ينظرونهم فكذبهم الله في ذلك
بقوله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون في مقالتهم وقد بان كذبهم فيما نزل ببني النضير من الجلا
وفيما اصاب بني قريظة من الغنايم ثم ذكر الله تعالى انهم يخلفونهم ما وعدوهم من الخروج والنصر فقال تعالى
لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر على ما ذكر الله تعالى لانهم اخرجوا من ديارهم
فلم يخرج معهم المنافقون وقوتلوا فلم ينصروهم اظهر كذبهم وبان صدق ما قال الله
معناه ولئن قدر وجود نصرهم لان ما نفاه
لا يجوز وجوده قال الزجاج معناه لو قصدوا نصر اليهود لولوا الادبار منهزمين ثم لا ينصرون يعني بني النضير
لا يصيرون منصورين اذا انهزم ناصروهم
انتم يا معشر المسلمين اهيب في صدور المنافقين واليهود من عذاب الله وخوفهم منكم اشد من خوفهم من الله
لعلمهم بكم وبصفاتكم وجهلهم بالله وعظمته ذلك الخوف الذي بهم منكم دون الله بانهم لا يعرفون الله تعالى ولو
عرفوه لعلموا ان عقوبة الله اعظم مما عناه نفع بهم من فضل المومنين وفي هذه الاية بيان انه لا ينبغي لاحد
ان يكون خوفه من الناس اريد من خوف الله وان من زاد خوفه من احد من الناس على خوفه من الله فليس بفقيه
انما الفقيه من يخشى الله تعالى كما قال تعالى في اية اخرى انما يخشى الله من عباده العلما والفقه العلم بمعاني
الكلام في ادراك ظاهره ومضمونه والناس يتفاضلون في الادراك لاختلافهم في جودة القريحة وسرعة الفطنة
معناه لا يقاتلونكم بنو قريظة
وبنو النضير الا في حصون موثقة او من خلف جدار لما قذف الله في قلوبهم من الرعب ولا يقاتلونكم مبارزة
قرا ابن عباس ومجاهد وابن كثير وابو عمرو جدار بالالف على الواحد ويروى عن بعض اهل مكة جدر بفتح
الجيم وجزم الدال وهي لغة في الجدار وقرا يحيى بن وثاب جدر بضم الجيم وجزم الدال وقرا الباقون
بضمها
يعني بعضهم وعداوة بعضهم لبعض شديد وبينهم مخالفة
وعداوة عظيمة
اي تحسبهم متفقين على امر واحد بنيات مجتمعة اذا قاتلوا المومنين
اي متفرقة لا يتعاونون للمعاداة بعضهم بعضا وان اظهروا الموافقة والمعنى انهم
مختلفون لا تستوي قلوبهم ولا نياتهم لان الله خذلهم ذلك الا خلال
ما فيه الحظ لهم ولا يعقلون الرشد من الغي

معناه مثل هولاء اليهود كمثل الذين من قبلهم وهم كفار مكة
يعني مثلهم فيما نزل بهم من العقوبة كمثل مشركي مكة
يعني القتل والاسر يوم بدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير بستة اشهر

يعني مثل المنافقين في غرورهم بني النضير وخذلانهم كمثل الشيطان في غروره لابن ادم اذ دعاه الى الكفر
بما زينه له من المعاصي فلما كفر الادمي تبرا الشيطان منه ومن دينه في الاخرة ويقال ان المراد بهذه
الاية انسان بعينه يقال له برصيصا عبد الله تعالى في صومعة له سبعين سنة وكان من بني اسرائيل
عاملته بالعدل قال الزجاج معناه وتعدلوا فيما بينكم وبينهم من الوفا بالعهد **قوله تعالى** انما ينهاكم
الله عن الذين يقاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم
يعني المحاربين من الكفار نهى الله ان يتصدق عليهم ونهى عن موالاتهم ومكاتباتهم والمظاهرة المعاونة
الظهور ركما على العدو للغلبة **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات
فامتحنوهن وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا يوم الحديبية على ان يرد عليهم من
جاء من المسلمين فلما هاجر اليه النسا ابا الله ان يرجعن الى المشركين وامر بامتحانهن وقوله تعالى فامتحنوهن
وذلك ان يستحلف المهاجرة ما هاجرت لحدث احدثته ولا هاجرت عشقا لرجل من المسلمين ولا هاجرت الا رغبة
في الاسلام قال ابن عباس صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية على ان من اتاه من اهل مكة رده عليهم
ومن اتاه من اصحابه فهو لهم ولم يردوا عليه وكتب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كتابا لهم وختم عليه فلما ختم عليه النبي
صلى الله عليه وسلم جاءته سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة فجاء زوجها الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو كافر فقال يا محمد
ردها علي فانك شرطت ذلك عليك وهذه طينة كتابنا لم تجف فانزل الله تعالى هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذا
جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن
الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله ما اخرجك الينا الا الحرص على
الايمان والرغبة فيه والمحبة لله ولرسوله وللاسلام فحلفت بالله العظيم الذي لا اله الا هو ما خرجت الا لذلك
فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان تعطي زوجها مهرها وذلك معنى قوله تعالى واتوهم ما انفقوا قوله تعالى الله اعلم
بايمانهن اي هذا الامتحان لكم والله عالم بهن وليس عليكم الا علم الظاهر والله اعلم بايمانهن قبل الامتحان وبعده
فان علمتموهن في الظاهر بالامتحان انهن مومنات فلا ترد ومن الى ازواجهن الكفار بمكة لا المومنات حل
للكفار ولا الكفار يحلون للمومنات **قوله تعالى** واتوهم ما انفقوا اي اعطوا ازواج المهاجرات من الكفار ما
انفقوا عليهن من المهر **قوله تعالى** ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن
اي لا حرج عليكم ان تتزوجوهن اذا اعطيتموهن مهورهن ولو كان لهن ازواج كفار في دار الكفر لان الاسلام
فرق بينهما وبين الكافر وهذا كله دليل ان المراة اذا هاجرت الينا مسلمة او ذمية وقعت الفرقة بينهما
بنفس الهجرة كما هو مذهب اصحابنا ولهذا قال ابو حنيفة ان المهاجرة لا عدة عليها لان الله تعالى اباح للمسلمين
التزوج بالمهاجرات من غير ان يشترط انقضا العدة ولو كانت الزوجية باقية بعد الهجرة لما امر الله تعالى
برد مهورهن على ازواجهن وعلى هذا اذا خرج الزوج الينا مسلما او ذميا وقعت الفرقة بينه وبين امراته
وكما اذا دخل الحربي الينا بامان او دخل المسلم دار الحرب بامان او اسلم الزوجان في دار الحرب ثم خرج احدهما
الينا لم يبطل نكاحهما **قوله تعالى** ولا تمسكوا بعصم الكوافر معناه ان المراة المسلمة اذا كفرت والعياذ بالله
فقد زالت العصمة بينها وبين زوجها وانقطع النكاح بينهما والكوافر جمع كافرة نهى الله المومنين عن المقام
على نكاح المشركات **قوله تعالى** واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا معناه واطلبوا من اهل مكة مهور
النساء اللاتي يخرجن منكم اليهم مرتدات وليسال الكفار منكم ما انفقوا على نسائهم اللاتي خرجن اليكم مهاجرات

ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم بما لكم حكيم فيما حكم بينكم وبينهم قال الزهري فلما نزلت هذه الاية
اقر المسلمون بحكم الله فاما المشركون فابوا ان يقروا فانزل الله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار
معناه ان ذهبت امراة من نسائكم الى الكفار فعاقبتم اي فغنمتم قال الزجاج معناه فكانت العقبى لكم اي كانت
الغلبة لكم حتى غنمتم فاعطوا الازواج الذين ذهبت نساؤهم مثل ما انفقوا من المهور قبل ان يقسموا الغنائم ثم
اقسموا الغنائم كما امر الله **قوله تعالى** واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون اي اخشوه في مخالفة ما امركم به
قوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما افتتح مكة جلس على الصفا والى جنبه عمر رضي الله عنه والنساء ياتين يبايعنه صلى الله عليه وسلم ابايعكن
على ان لا تشركن بالله شيا فقالت هند اشركنا وعبدنا الالهة فما اغنت عنا شيا فقال صلى الله عليه
وسلم ولا تسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح مسيك واني اصبت من ماله الهناه ولا ادري
ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعرفها وقال وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال
ولا يزنين قالت وهل تزني الحرة فضحك عمر رضي الله عنه لا لعمري ما تزني الحرة فقال تعالى ولا يقتلن اولادهن فقالت هند
ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم النبي صلى الله عليه
وسلم ومعنى قوله ولا يقتلن اولادهن اي لا يدفن بناتهن احياء كما كان بعض العرب يفعلونه ولا ياتين ببهتان يفترينه بين
ايديهن وارجلهن اي لا تلحق بزوجها ولدا ليس منه وذلك ان المراة كانت تلتقط لقيطا فتضعه بين يديها ورجليها وتقول
ولدت هذا الولد فذلك البهتان والافتراء ويقال اراد بين الايدي ان توضع بين يديها ولد غيره وبين ارجلهن ان تاتي بولد
حرام وهذا كناية عن الفرج فلما قال عليه السلام ولا ياتين ببهتان قالت هند والله ان البهتان القبيح وما تامرنا الا بالرشد
ومكارم الاخلاق **قوله تعالى** ولا يعصينك في معروف اي في جميع ما تامرهن وتنهاهن من النوح وشق الجيوب وخمش الوجوه وز
القطان وغير ذلك من اصر با المصيبة ومن صوت اللعب واللهو والمزامير والمعروف كل طاعة والمنكر كل ما كان معصية
فلما قال صلى الله عليه وسلم ولا يعصينك في معروف قالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء
فاقر النسوة بما اخذ عليهن وقوله تعالى فبايعهن واستغفر لهن الله معناه اذا بايعنك على هذه الشروط فبايعهن فقال
صلى الله عليه وسلم قد بايعتكن كلاما كلمهن به من غير ان مست يده يد امراة وكان على يد عمر رضي الله عنه ثوب يصافح به النساء قال
القرطبي معنا قوله تعالى ولا يعصينك في معروف قال المعروف الذي لا معصية فيه وقال الربيع كل ما يوافق طاعة الله فهو معروف
قال مجاهد غير المعروف هو خلوة المراة بالرجال وعن سعيد بن المسيب ان معناه ولا تعلقن ولا تصلقن ولا تخرقن ثوبا ولا ينقضن شعرا
ولا تخمش وجها ولا تحدث الرجال الا ذا رحم محرم ولا تخلوا المراة برجل غير ذي رحم ولا تسافر مع غير ذي رحم قال ابن عباس ولا ينحن عن
مصعب بن نوح قال ادركت عجوزا ممن بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فحدثتني عن قوله تعالى ولا يعصينك في معروف قال النوح
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النوائح يجعلن يوم القيمة صفين وينبحن كما ينبح الكلاب وعن انس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج النائحة من قبرها يوم القيمة شعثا غبراء عليها جلباب من لعنة ودرع من جرب واضعة
يدها على راسها تقول واويلاه ومالك تقول امين ثم تكون بعد ذلك حطبها النار وقال صلى الله عليه وسلم اربع في امتي من امر الجاهلية
لا يتركونهن الفخر في الاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة وقال النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيمة
وعليها سربال من قطران وعن ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله النائحة والمستمعة والحالقة والصالقة
والواشمة والموشومة وعن عمر رضي الله عنه انه سمع نائحة فضربها حتى وقع خمارها عن راسها فقيل له يا امير المؤمنين انها قد وقع خمارها
قال انها لا حرمة لها قوله تعالى • يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم • ختم الله هذه السورة بمثل ما افتتحها به من
نهي المؤمنين عن تولي اعداء الله واراد بالقوم الذين غضب الله عليهم اليهود والمعنى يا ايها الذين امنوا لا تتولوا اليهود وقوله تعالى
قد يئسوا من الاخرة لانهم كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون ابناءهم وكانوا لا يؤمنون به فايسوا من ان يكون لهم
في الاخرة خير وقيل انهم كانوا يزعمون انه لا يكون في الاخرة اكل ولا شرب ولا نعمة والمراد بذلك اليهود وقوله تعالى كما يئس الكفار

من اصحاب القبور معناه كما يئس المشركون الذين لا يؤمنون بالبعث من رجوع اصحاب القبور ومن ان يبعثوا وقيل معناه كما يئس الكفار اذا
ماتوا وصاروا في القبور من ان يبعثوا ان تكون لهم في الاخرة حظ ويئسوا ان ليس لهم في الجنة نصيب

سورة الصف

وهي تسعمائة حرف ومائتان واحدى وعشرون كلمة واربع عشرة اية قال صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الصف كان عيسى مصليا عليه
مستغفرا له ما دام في الدنيا ويوم القيمة هو رفيقه • بسم الله الرحمن الرحيم • سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز
الحكيم قد تقدم تفسيره **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال مقاتل نزلت ان المؤمنين قالوا لو علمنا او ابا قاله
لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لعملناه وبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فدلهم الله الى احب الاعمال اليه فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في
سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص فابتلوا يوم احد بما اصابهم فتولوا عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى شج وجهه وكسرت رباعيته فذمهم الله
على ذلك فقال يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون اي عظم ذلك في المقت والبغض
عند الله اي ان الله يبغضه بغضا شديدا ان تعدوا من انفسكم شيا ثم لم تفوا به وموضع ان تقولوا رفع وانتصب قوله مقتا على التمييز وذكر
الكلبي ان المسلمين كانوا يقولون قبل فرض الجهاد لو نعلم اي الاعمال احب الى الله لفعلنا فدلهم الله على ذلك لقوله تعالى • هل ادلكم على
تجارة تنجيكم من عذاب اليم ولم يبين ما هي فمكثوا على ذلك ما شاء الله ثم قالوا يا ليتنا نعلم ما هي فسارع اليها فانزل الله تعالى تؤمنون بالله
ورسوله وتجاهدون في سبيل الله الى اخر الايات وقال قتادة كان الرجل اذا خرج ثم رجع قال قتلت وفعلت ولم يكن فعل فانزل الله تعالى
يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون **قوله تعالى** ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص • اي يحب الذين يصفون
انفسهم عند القتال صفا كانهم بنيان مرصوص ملتزق بعضه ببعض اعلم الله انه يحب من يثبت في القتال ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص
الذي قد احكم واتقن ليس فيه فرجة ولا خلل **قوله تعالى** واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني الاية • في هذه تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم في ما لقي من اذى الكفار والمنافقين وقد تقدم تفسير اذى موسى في سورة الاحزاب **قوله تعالى** فلما زاغوا • اي عدلوا عن الحق
ازاغ الله قلوبهم • اي اما لها عن الحق وخذلها ومنعها الهدى مجازاة لهم بابتدائهم • والله لا يهدي القوم الفاسقين الى ثوابه وجنته قوله
تعالى • واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية • معناه واذكر يا احمد لقومك قصة عيسى
وغلبة من امن معه وعاقبة من كفر وقوله تعالى مصدقا نصب على الحال اي في حال تصديقي بالتورية التي اوتيها من قبلي وفي حال تبشيري
برسول ياتي من بعدي اسمه احمد • وذلك ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد قالوا يا روح
الله وما امة احمد قال حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الانبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله تعالى منهم باليسير من العمل ويدخلهم
الجنة بلا اله الا الله وفي تسمية نبينا عليه السلام باحمد قولان احدهما ان الانبياء كانوا حامدين لله تعالى ونبينا صلى الله عليه وسلم احمد
اي اكثر حمدا لله منهم فيكون معنى احمد المبالغة في الفاعل والثاني ان الانبياء كلهم محمودون ونبينا عليه السلام اكثر مناقب للفضائل فيكون
معناه ما له من المفعول يعني انه يحمد بما فيه من الاخلاق والمحاسن اكثر مما يحمد غيره قال صلى الله عليه وسلم ان لي اسما انا احمد وانا محمد وانا
الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي **قوله تعالى** ومن اظلم ممن افترى على الله
الكذب وهو يدعى الى الاسلام معناه واي اظلم من الكفر ممن اختلق على الله الكذب بان جعل له شريكا وولدا وهو يدعى الى الاسلام والله
لا يرشد الى دينه من كان في سابق علمه انه يموت على الكفر **قوله تعالى** هو الذي ارسل رسوله بالهدى • اي هو الذي ارسل محمدا صلى الله عليه
وسلم بالقران والدعاء الى دين الحق ليظهره على جميع الاديان وان كره المشركون ذلك فلا تقوم الساعة حتى لا يبقى اهل دين الا دخلوا في
الاسلام وادوا الجزية الى المسلمين وقوله تعالى قبل هذه الاية يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم اي يريدون ليغلبوا دين الله مع ظهوره
بتكذيبهم بالسنتهم لمن اراد اطفاء نور الشمس باخف الاشياء وهي الريح التي يخرجها من فيه والله متم نوره اي هداه ومظهر دينه وغالب اعدائه وناصر
اوليائه على كره من الكفار **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم • اي هل ادلكم على طاعة تخلصكم من عذاب مؤلم وانما سمى
الطاعة تجارة لانه يربح عليها الجنة والثواب كما يربح على تجارة الدنيا زيادة المال **قوله تعالى** تؤمنون بالله ورسوله • تفسير للتجارة المذكورة وانما
قدم ذكر الايمان في هذه الاية لانه كالطاعات **قوله تعالى** وتجاهدون في سبيل الله • اي وتجاهدون العدو في طاعة الله بنفقتكم وخروجكم بانفسكم
وقد يكون الجهاد بالمال دون النفس بان يجهز غازيا بماله وقد يكون بالنفس دون المال بان يجاهد بنفسه بمال غيره **قوله تعالى** ذلكم خير لكم • اي التجارة التي
دللتكم عليها خير من التجارة في الاموال ان كنتم تعلمون • ثواب الله لان التجارة تؤدي الى ربح لا يزول ولا يبيد بخلاف التجارة في الاموال في
الدنيا **قوله تعالى** يغفر لكم من ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار • انما جزم يغفر على المعنى تقديره ان تعلموا ذلك يغفر لكم

وقال الزجاج هو جواب تؤمنون وتجاهدون لان معناه الامر كانه قال امنوا بالله ورسوله وجاهدوا يغفر لكم وقوله تعالى ومساكن طيبة
المساكن الطيبة هي المنازل الحسنة التي طيبها الله بالمسك والرياحين في جنات عدن اي في بساتين اقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به قوله تعالى
ذلك الفوز العظيم اي ذلك الذي ذكرت لكم هو التجارة العظيمة والنعيم المقيم قوله تعالى واخرى تحبونها اي ولكم خصلة اخرى في العاجلة تحبونها
مع ثواب الاخرة وهي الغنيمة والفتح • نصر من الله • على اعدائكم وفتح قريب اي عاجل يعني فتح مكة وقيل فتح عامة البلاد قوله تعالى وبشر
المومنين اي بشرهم بهاتين النعمتين نعمة الغلب ونعمة الاجل معناه وبشر المومنين يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الاخرة قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا كونوا انصار الله اي كونوا انصار دين الله على اعدائه بالسيف ودوموا على ذلك كما نصر الحواريون عيسى عليه السلام فربما انصار الله بغير
تنوين والانصار جمع ناصر كصاحب واصحاب والحواريون خلصان الانبياء الذين نقوا من كل عيب ومنه الدقيق الحواري وهو المنقى وقوله
تعالى من انصاري الى الله اي مع الله كما في قوله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم قوله تعالى فامنت طائفة من بني اسرائيل اي صدقت
جماعة منهم بعيسى وكفرت طائفة • وذلك انه لما رفع عيسى عليه السلام تفرق قومه ثلث فرق قالوا كان الله فارتفع وفرقة
قالوا كان ابن الله فرفعه الله وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه الله وهم المومنون فاتبع كل فريق منهم طائفة من الناس فا
قتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على المومنين حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المومنة على الكافرة فذلك
قوله تعالى فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين اي غالبين والمعنى اصبحت حجة من امن بعيسى ظاهرة بتصديق
محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى عبد الله وكلمته وروحه والتاسع الفوز وعن الحسن قال سالنا عمران بن الحصين وابا هريرة
عن تفسير قوله تعالى ومساكن طيبة فقال ابو هريرة سالت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال القصر من لولوة في
الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوت احمر في كل دار سبعون بيتا من زمرد اخضر في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون
فراشا على كل فراش امراة من الحور العين وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام يعطي الله المومن من القوة ما ياتي
على ذلك كله

سورة الجمعة احدى عشر اية

وهي سبعمائة وعشرون حرفا ومائة وثمانون كلمة واحدى عشر اية قال صلى الله
عليه وسلم من قراها كتب له عشر حسنات بعدد من ذهب الى الجمعة وبعدد من لم يذهب اليها في امصار المسلمين والله الموفق وهو الهادي

بسم الله الرحمن الرحيم • يسبح لله ما
في السموات وما في الارض • طاهر المعنى والقدوس المستحق للتعظيم لتربيته صفاته عن كل نقص
ويقال معناه كثير البركة قوله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم • الاميون هم العرب
كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لانهم كانوا من اهل الكتاب واول ما ظهرت الكتابة في العرب في اهل الطائف تعلموا من اهل الحيرة وتعلم
اهل الحيرة من اهل الانبار قوله تعالى رسولا منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم نسبه مثل نسبهم وجنسه من جنسهم • يتلوا عليهم
اياته يعني القران ويزكيهم اي يطهرهم من دنس الكفر فيجعلهم ازكياء بما امرهم به من التوحيد ويدعوهم اليه من طاعة الله ويعلمهم
الكتاب والحكمة اي القران والعلم وان كانوا من قبل بعثه اليهم في ضلال مبين يعبدون الاوثان ويستقسمون بالازلام قوله تعالى
واخرين منهم لما يلحقوا بهم معناه وبعثه في اخرين منهم يعني الاعاجم والنبي صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كل من شاهده
من العرب والعجم والى كل من ياتي منهم بعد ذلك وقوله تعالى منهم لانهم اذا اسلموا صاروا منهم والمسلمون كلهم يد واحدة وامة واحدة
وان اختلفت اجناسهم وقوله تعالى لما يلحقوا بهم في الفضل والسابقة لان التابعين لا يدركون شيئا والصحابة
قوله تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يعني الاسلام والهداية الى دينه وقيل النبوة والكتاب
والاسلام يعطيه الله من يشاء ممن يراه اهلا لذلك • والله ذو الفضل العظيم • على من اختصه
بالنبوة والاسلام وقيل ذو المن العظيم على خلقه ببعث محمدا صلى الله عليه وسلم قوله تعالى مثل الذين
حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا معناه مثل اليهود الذين امروا ان يعملوا
في التوراة ونظروا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ثم لم يعملوا بما امروا به ولم يؤمنوا بالنبي صلى الله
عليه وسلم كمثل الحمار يحمل اسفارا انما يحمل كتبا من العلم عظاما لا يدري ما عليه وما حمل والاسفار جمع
الكتاب الكبير شبه اليهود اذ لم ينتفعوا بما في التوراة وهي دالة على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار يحمل
كتب العلم ولا يدري ما فيها وليس حمل التوراة من الحمل على الظهر وانما هو من الحمالة وهو الضمان والكفالة

والعيون كما في قوله تعالى فابين ان يحملنها اي يتقبلنها فاليهود ضمنوا العمل بها ثم لم يعملوا بما ضمنوا
وجحدوا ونقضوا ما تحملوا وقيل ثم لم يحملوها قوله تعالى بئس مثل القوم الذين كذبوا
بايات الله يعني اليهود كذبوا بالقران وبالتوراة حين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والله
لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بتكذيب الانبياء قوله تعالى قل يا ايها
الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين هذا خطاب
لليهود في قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقال الله تعالى لنبيه عليه السلام قل لهم ان ادعيتم انكم احباء الله واهل
ولايته وان الجنة في الاخرة لكم من دون الناس فاسالوا الله الموت ان كنتم صادقين في مقالتكم فقولوا اللهم امتنا
كي تصلوا الى نعيم الاخرة وتستريحوا من تعب الدنيا وسيمتكم الله ان قلتم ذلك كما روي في الحديث انه لما نزلت هذه الاية والعلم النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك وسالوا ان يقولوا وعرفوا انه يكون ذلك ان قالوا فانزل الله تعالى قوله تعالى ولا يتمنونه ابدا بما
قدمت ايديهم اي لا يتمنون ذلك ابدا بما قدموا من التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم والتحريف لصفته في التوراة قوله تعالى والله
عليم بالظالمين اخبار عن معلوم الله فيهم وتحذير لهم قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم اي قل يا محمد
لليهود ان الموت الذي تفرون منه ان تلقوه فانه نازل بكم محالة عند انقضاء اجالكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم
بما كنتم تعملون زجر وتهديد قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا لانه يعني النداء اذا جلس
الامام على المنبر يوم الجمعة لانه لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس على المنبر اذن بلال على
باب المسجد وكذا كان على عهد ابي بكر وعمر والنداء المشروع لهذه الصلوة هو الاذان الثاني الذي يقوله المؤذنون
عند صعود الامام المنبر كما روي عن السائب بن يزيد انه قال ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا موذن
واحد يؤذن اذا قعد على المنبر ثم يقيم اذا نزل ثم ابو بكر كذلك ثم عمر كذلك فلما كان في ايام عثمان رضي الله عنه وكثر
الناس زاد اذانا اخر قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله يعني الذهاب والمشي الى الصلوة والسعي هو الاجابة للداعي هو
لا يني والمبادرة الى الجمعة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فامضوا الى ذكر الله وكان يقول لو قرات بالسعي لسعيت حتى
سقط ردائي وقيل السعي ههنا هو العمل اي اذا نودي للصلوة فاعملوا على المضي الى ذكر الله من التفرغ له والاشتغال
بالطهارة والغسل والتوجه اليه بالقصد والنية واختلف مشايخنا هل يجب على الانسان الاسراع والعدو واذا اخاف فوت الجمعة
قال بعضهم يلزمه ذلك بظاهر النص بخلاف السعي الى سائر الجماعات لانه لا يومر به وان خاف الفوت وقال بعضهم
لا يلزمه ذلك لان السعي الا العمل كما قال الله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وقال صلى الله
عليه وسلم اذا اقيمت الصلوة فلا تاتوها وانتم تسعون واتوها وعليكم السكينة والوقار فما ادركتم
فصلوا وما فاتكم فاقضوا وهذا عام في جميع الصلوات قوله تعالى الى ذكر الله قال بعضهم يعني الصلوة
مع الامام وذلك هو المراد بذكر الله تعالى وقال بعضهم هو الخطبة لانها تلي النداء وعن ابي
بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغتسل يوم الجمعة خرجت ذنوبه
وخطاياه واذا راح كتب الله له بكل قدم عمل عشرين سنة واذا قضيت الصلوة اجيز بعمل مائتي سنة
وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغتسل يوم الجمعة فاحسن
غسله ولبس من صالح ثيابه ومس من طيب بيته او دهنه ثم لم يفرق بين اثنين غفر له ما بينه وبين
الجمعة الاخرى وزيادة ثلثة ايام بعدها رواه البخاري وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال في جمعة من الجمع يا معشر المسلمين ان هذا يوم جعله الله عيدا للمسلمين فاغتسلوا
فيه ومن كان عنده طيب فلا يضره ان يمس منه وعليكم بالسواك وعنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لله اثنى في الى ان تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل دنياكم هذه سبعين مرة

تملؤه من الملائكة يستغفرون الله ويقولون سبوحة ويقولون في تسبيحهم اللهم اغفر لمن شهد الجمعة
اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم ان ليلة الجمعة ويوم الجمعة اربع وعشرون
ساعة لله تعالى في كل ساعة ستمائة الف عتيق من النار • وقال صلى الله عليه وسلم لعل احدكم يتخذ الضيعة على
راس ميل او ميلين او ثلثة يأتي عليه الجمعة ولا يشهدها ثم يأتي عليه الجمعة ولا يشهدها ثم يأتي عليه الجمعة ولا يشهدها
فيطبع على قلبه • وقال صلى الله عليه وسلم في الجمعة من تركها استخفافا بها او جحودا لها فلا جمع الله شمله ولا بارك له في
امره الا ولا صلوة له الا ولا زكوة له الا ولا صيام له الا ولا حج له الا ان يتوب فان تاب تاب الله عليه
قوله تعالى **وذروا البيع** قال الحسن اذا اذن المؤذن يوم الجمعة لم يحل الشراء والبيع فمن باع في تلك
الساعة فقد خالف الامر وبيعه منعقد لانه نهي تنزيه قوله تعالى **ذلكم خير لكم** يعني هذا الذي امرتكم من ترك
البيع **ان كنتم تعلمون** ما هو خير لكم واصل قراءة العامة من يوم الجمعة بضمتين وقرأ الاعمش بجزم الميم وهما لغتان وكان الفراء
وفيها لغة ثالثة جمعة بفتح الميم كما يقال ضحكة وهمزة ولمزة وهي لغة بني عقيل قال وانما سمي هذا اليوم جمعة لما روي
عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سميت الجمعة جمعة لان آدم عليه السلام جمع فيه خلقه وقيل لان الله تعالى
فرغ فيه من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل تجتمع الجماعات فيها وقيل لاجتماع الناس فيها للصلوة وقيل اول من سمى
جمعة كعب بن لؤي وكان يقال ليوم الجمعة العروبة وقيل اول من سماها جمعة الانصار قوله تعالى **فاذا قضيت الصلوة فانتشروا**
في الارض اي فاذا فرغتم من الصلوة فانتشروا في الارض هذا امر اباحة قال ابن عباس ان شئت فاخرج وان شئت فصل الى العصر
وان شئت فاقعد وكذلك قوله تعالى **وابتغوا من فضل الله** اباحة لطلب الرزق بالتجارة والبيع بعد المنع وعن
ابن عباس قال لم تؤمروا في هذه الاية بطلب شيء من الدنيا ولكن عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ
في الله تعالى وقال الحسن وابتغوا من فضل الله يعني طلب العلم والقول الاول اظهر • واختلف العلماء في موضع وجوب الجمعة
وعلى من تجب ولم يشترط لها من الجماعة فقال ابو حنيفة لا تجب الجمعة الا في مصر جامع لقوله عليه السلام لا جمعة ولا
تشريق الا في مصر جامع ولا تصح في القرى وكذا لا تجب على اهل السواد ولو قرب من المصر الا اذا كانت متصلة به وقال الشافعي
تجب الجمعة على اهل السواد اذا سمعوا النداء من المصر وقت اعتدال سماع الاذان ان يكون المؤذن صيتا
والاصوات هادئة والريح ساكنة وقال ابن عمر وابو هريرة وانس تجب الجمعة على من كان على عشرة
اميال من المصر وقال سعيد بن المسيب تجب على من آواه المبيت وقال الزهري على ستة اميال وقال ربيعة
اربعة اميال وقال مالك ثلثة اميال وعند الشافعي تجب الجمعة في كل قرية اجتمع فيها اربعون رجلا احرارا بالغين
عاقلين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا الا ظعن حاجة فاذا كان كذلك تجب عليهم اقامة الجمعة وان كان اقل
وكان يقرب بها موضع تقام فيه الجمعة فعليهم الحضور فيه للجمعة اذا كانوا بحيث يسمعون النداء وقال مالك اذا كانت
القرية فيها سوق ومسجد وجب عليهم اقامة الجمعة واما اهل الوجوب فتجب الجمعة على كل مسلم الا على
اربعة عبد او مريض او مسافر او امرأة فمن استغنى عنها بلهو او تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد • واما العدد الذين
تنعقد بهم الجمعة فقال الحسن تنعقد باثنين وقال ابو يوسف والليث بن سعد بثلثة وقال ابو حنيفة ومحمد وسفيان باربعة
وقال ربيعة باثني عشر وقال الشافعي لا تنعقد باقل من اربعين قوله تعالى **واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما** قال الحسن اصاب
اهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بتجارة وكان يقدم المدينة بكل ما يحتاج اليه من دقيق وبر وغيره فينزل في
سوق المدينة ويضرب بالطبل ليعلم الناس بقدومه فيخرجون اليه ليبتاعوا منه فقدم ذات يوم جمعة وكان قبل ان يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم
قائم يخطب على المنبر فضرب الطبل فخرج الناس من المسجد ولم يبق الا ثمانية رهط ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقيل اثني عشر
رجلا وامرأة فقال صلى الله عليه وسلم لو خرج آخرهم لاضطرم الوادي عليهم نارا فانزل الله هذه الاية وقوله تعالى انفضوا اليها
اي تفرقوا الخروج اليها وتركوك قائما على المنبر تخطب وفي هذا دليل على وجوب الخطبة لان الله تعالى عاتبهم على تركهم الاستماع

ولو

ولو لم يكن فرضا لما عاتبهم على ذلك • ويستدل من هذه الاية على ان من السنة ان يخطب الامام قائما والكناية
في قوله اليها راجعة الى التجارة دون اللهو وانما خصت التجارة برد الضمير اليها لانها كانت اهم اليهم •
لان السنة كانت سنة مجاعة وغلاء سعر قوله تعالى **قل ما عند الله خير من اللهو ومن
التجارة** معناه ما عند الله من ثواب الصلوة والثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم خير من اللهو ومن التجارة
والله خير الرازقين لئن يفوتهم من رزقهم لتخلفهم عن الميرة شيء ولا يتركهم البيع في وقت الصلوة

سورة المنافقون احدى عشرة آية مدنية

وهي سبعمائة وستة واربعون حرفا ومائة وثمانون كلمة واحدى عشرة آية • قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين
برئ من النفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون معناه اذا جاءك يا محمد منافقوا اهل المدينة عبد الله بن ابي واصحابه • قالوا
نشهد انك لرسول الله يعني ذلك ضميرنا واعتقادنا قوله تعالى **والله يعلم انك لرسوله** من غير شهادة
المنافقين وحلفهم والله يشهد **ان المنافقين لكاذبون** بما يعتقدون بقلوبهم وما يقولون بالسنتهم
فهم كاذبون باخبارهم عما ضد ذلك في ضمائرهم • فاما شهادتهم بالسنتهم انه رسول الله فقد كانت صدقا قوله
اتخذوا ايمانهم جنة اي سترة يدفعون بها عن انفسهم السبي والقتل والجزية كمن اخذ على نفسه
جنة لدفع الخراج قوله تعالى **فصدوا عن سبيل الله** • اي منعوا الناس عن طاعة
الله وامتنعوا عنها قوله عز وجل **انهم ساء ما كانوا يعملون** في نفاقهم من الكذب
والخيانة وفي هذه الاية دليل ان قول الرجل اشهد يمين لان القوم قالوا نشهد فجعله الله يمينا بهذه الاية وعلى
هذا اقسم واعزم واحلف كلها ايمان عند ابي حنيفة وصاحبيه • والثوري • والاوزاعي • وقال
ان اراد به اليمين فهو يمين • وقال الشافعي اقسم ليس بيمين • واقسم بالله يمين وفي قراءة الحسن اتخذوا ايمانهم
بكسر الالف اي ايمانا موسومون اتخذوه تقية عن القتل قوله تعالى **ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا
فطبع على قلوبهم** اي ذلك الحكم بنفاقهم • ويقال ذلك الصد بانهم كانوا مؤمنين في العلانية بحضرة
النبي صلى الله عليه وسلم فاذا عادوا الى قومهم ثبتوا على الكفر في السر فورث ذلك طبعا على قلوبهم
قوله تعالى **فهم لا يفقهون** الايمان والقرآن ولا يعون ما يوعظون به قوله تعالى **واذا
رأيتهم تعجبك اجسامهم** اي صحة اجسامهم وحسن منظرهم لانهم يكونون على هيئة حسنة • وكان عبد الله بن
ابي رجلا جسيما فصيحا لسنا • وكانوا اذا قالوا شيئا اصغى اليهم النبي صلى الله عليه وسلم لحسن كلامهم والى هذا دخلت
اللام في تسمع لقولهم • ويجوز ان يكون معناه الى قولهم قوله تعالى **كانهم خشب مسندة** فيه بيان انهم في
تركهم التفهم والاستبصار بمنزلة الخشب المسندة الى الجدار لا ينتفع بها الا بالنظر اليها والخشب لا روح فيها ولا تعقل
ولا تفهم • وكذلك المنافقون لا يسمعون ولا يعقلون • والمسندة المائلة الى الجدار وقرئ خشب وخشب بجزم
الشين المعجمة وضمها قوله تعالى **يحسبون كل صيحة عليهم** اي يظنون من الجبن والخوف ان
كل من يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم فانما يخاطبه في امرهم وكشف نفاقهم • ويقال كانوا لا يسمعون صوتا الا ظنوا انه قد
اتوا او نادى مناد في العسكر او انفلتت دابة او انشدت ضالة الا ظنوا انهم يرادون لما في قلوبهم من
الرعب ان يكشف الله استارهم قوله تعالى **هم العدو** ابتداء كلام والمعنى هم
على الحقيقة العدو الادنى اليك قوله **فاحذرهم** يا محمد لا تأمنهم وان اظهروا انهم معكم ولا
تطلعهم على سرك لانهم عيون لاعدائك من الكفار قوله تعالى **قاتلهم الله** اي لعنهم الله واخزاهم واحلهم محل من
يقاتله عدو قاهر له • **انى يؤفكون** اي انى يصرفون عن الحق الى الباطل قوله تعالى **واذا قيل لهم تعالوا**

يستغفر لكم رسول الله • أي إذا قيل لهؤلاء المنافقين بعدما افتضحوا هلموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لكم ذنوبكم قوله تعالى لووا رؤوسهم أي عطفوا رؤوسهم استهزاء وعبسوا ورغبة عن الاستغفار وعن طلب المغفرة وهم • مستكبرون • أي وهم متكبرون عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وعن قول الحق وذلك أن عبد الله بن أبي لما رجع من أحد بكثير من الناس مقته المسلمون وعنفوه فقال له بنو أبيه لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستغفر لك قال لا أذهب إليه ولا أريد أن يستغفر لي ومن قرأ لووا بالتخفيف فهو من لوى يلوي إذا صرف الشيء وقلبه قوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم • أي سواء عليهم الاستغفار وتركه لن يغفر الله لهم لإبطانهم الكفر وهذا في قوم مخصوصين علم الله أنهم لا يؤمنون فلم يستغفر لهم النبي عليه الصلاة والسلام بعد هذه الآية وقوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا • وذلك أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا [illegible] على الماء في غزوة بني المصطلق إذ وقع بين غلام لعمر رضي الله تعالى عنه من بني غفار يقال له جهجاه ابن سعيد يقود لعمر فرسه وبين غلام لعبد الله بن أبي بن سلول يقال له سنان الجهني [illegible] فازدحموا وسنان على الماء فاقتتلا فصرخ سنان يا معشر الأنصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين فاشتبك الناس وعلت الأصوات فقال عبد الله بن أبي ما أدخلنا هؤلاء القوم في ديارنا إلا ليركبوا أعناقنا والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك • والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعني بالأعز منها نفسه • وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم • ثم أقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتموه لأنفسكم أحللتموهم بلادكم • وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم طعامكم ومنعتم أصحاب هذا الرجل الطعام لتفرقوا عنه ورجعوا إلى عشائرهم وتحولوا عن بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا أي يتفرقوا من حول محمد فسمع زيد بن أرقم كلامه فقال أنت والله الذليل القليل البغيض المبغوض في قومك • ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن وعزة من المسلمين ثم ذهب زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك وعنده عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال إذاً ترعد له أنف كثيرة بيثرب فقال عمر فإن كرهت يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين فمر سعد بن معاذ أو محمد بن مسلمة أو عباد بن بشر فليقتلوه فقال صلى الله عليه وسلم فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه لا ولكن أذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يرتحل فيها فارتحل الناس وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي فأتاه فقال أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني • فقال والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك وإن زيداً لكاذب وكان عبد الله ابن أبي في قومه شريفاً عظيماً • فقال من حضر من الأنصار يا رسول الله شيخنا وكبيرنا عبد الله بن أبي لا تصدق عليه كلام صبي من غلمان الأنصار عسى أن يكون هذا الصبي وهم في حديثه ولم يحفظ ما قال فعذره النبي صلى الله عليه وسلم وفشت الملامة من الأنصار لزيد وكذبوه فقال له عمه ما أردت إلا أن كذبك رسول الله والناس ومقتوك وكان زيد يساير النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك أن يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم • وبلغ ولد عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه فأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي لما بلغك عنه فإن كنت فاعلاً فمرني فأنا أحمل إليك رأسه وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتله يمشي بين الناس فأخاف أن أقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار • فقال صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما دام معنا • وكذلك جاء أسيد بن حضير إلى رسول الله صلى الله عليه • فقال يا رسول الله لقد رحت في ساعة لم تمش فيها فقال له أوما بلغك ما قال صاحبكم زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل • فقال أسيد فأنت يا رسول الله تخرجه إن شئت • هو والله الذليل • وأنت العزيز ارفق به يا رسول الله فلقد جاء الله بك وإن قومه

لينظمون له الخرز ليتوجوه فهو يرى أنك سلبته ملكه • ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وافى المدينة فأنزل الله هذه الآية • هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا الآية إلى قوله يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد فقال يا زيد إن الله صدقك وكان عبد الله بن أبي بقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله حتى أناخ على مجامع طرق المدينة [illegible] فقال له ما لك • قال له ويلك والله لا تدخلها أبداً إلا أن يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلم اليوم من الأعز ومن الأذل • فشكا عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع ابنه فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن دعه يدخل فقال أما إذا جاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فلبث بعد أن دخل أياماً قلائل ثم مرض ومات لعنه الله قوله تعالى ولله خزائن السموات والأرض أي بيده الأرزاق لهؤلاء المهاجرين لأن خزائن السموات والأرض المطر والنبات وهما لله فلا يقدر أحد أن يعطي أحداً شيئاً إلا بإذن الله ولا يمنعه إلا بإذن الله قوله تعالى ولكن المنافقين لا يفقهون أن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون • وقال الجنيد خزائن السموات الغيوب • وخزائن الأرض القلوب وهو علام الغيوب مقلب القلوب • وقال رجل لحاتم الأصم من أين تأكل فقرأ ولله خزائن السموات والأرض • قوله تعالى يقولون لئن رجعنا إلى المدينة • أي من هذه الغزوة وهي غزوة بني المصطلق • ليخرجن الأعز منها الأذل • قد ذكرنا [illegible] الآية • وهو عبد الله ابن أبي قيل إن ابنه قال له أنت والله الأذل • ورسول الله صلى الله عليه وسلم الأعز وكان عبد الله بن أبي يعني بالأعز نفسه فرد الله عليه بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فعزة الله تعالى قهره للخلق وعزة رسول الله إظهار دينه على الأديان كلها • وعزة المسلمين نصره إياهم على أعدائهم فهم ظاهرون قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله • أي لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله يعني عن الصلوات المفروضة • والمعنى لا تشغلكم كثرة أموالكم وحفظها وتنميتها ولا تربية الأولاد وإصلاح حالهم عن طاعة الله وعن الصلاة قوله تعالى ومن يفعل ذلك منكم • أي ومن يشتغل بالمال والأولاد عن الطاعة فأولئك هم المغبونون [illegible] الدنيا والآخرة عليهم وهلاك أنفسهم الذين بأموالهم قوله تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت • ومعناه وأنفقوا الأموال في الزكوة والجهاد وغيرها من الحقوق الواجبة من قبل أن يأتي أحدكم الموت [illegible] • فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب • في الدنيا أي يتمنى القليل من التأخير ليتصدق به ويكون من الصالحين [illegible] والتوبة واستئناف العمل الصالح ولا ينفعه عند ذلك • والمعنى أنه يستزيد في أجله حتى يتصدق ويزكي قوله تعالى وأكن من الصالحين قيل أن معناه وأحج روي ذلك عن ابن عباس وقوله تعالى وأكن من الصالحين على قراءة من جزم عطفه على موضع فأصدق لأنه على معنى إن أخرتني أصدق وأكن ولولا الفاء لكان فأصدق مجزوماً • ومن قرأ وأكون فهو عطف على لفظ فأصدق وانتصب قوله تعالى فأصدق لأنه جواب التمني بالفاء وأصله فأصدق قوله تعالى ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها • أي لا يؤخرها عن الموت إذا جاء وقت هلاكها • والله خبير بما تعملون • من الخير والشر وبمن أخر في أجله أنه يتوب أو لا يتوب ۝

سورة التغابن ثماني عشرة آية مدنية

وهي ألف وسبعون حرفاً ومائتان وإحدى وأربعون كلمة وثماني عشرة آية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن رفع عنه

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض قد تقدم تفسيره قوله تعالى له الملك وله الحمد اي له الملك الدائم الذي لا يزول وله الحمد في السموات والارض وهو على كل شيء من امور الدنيا والاخرة قدير قوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير ظاهر المعنى وصوركم فاحسن صوركم اي صوركم في ارحام الامهات فجعل صوركم احسن من صور سائر الحيوانات واليه المصير في الاخرة وباقي الايتين ظاهر المعنى قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا اي الم يأتكم ايها الكفار خبر الذين كفروا من قبلكم من الامم الخالية كيف اذاقهم الله عقوبة تكذيبهم بالرسل في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب اليم ذلك العذاب بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا ان يكون الرسل من ابناء جنسهم وكفروا بالكتب والرسل واستغنى الله عن ايمانهم وطاعتهم والله غني عن افعال العباد حميد في افعاله على صنعه قوله تعالى وقال امرهم اصل الى بالمعنى النقل نقال امر وسل اي ثقيل المسيح المعصية وبالانفعلة قوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا اي قال كفار مكة قولا بالظن من غير تعين انهم لا يبعثون بعد الموت قل لهم يا محمد بلى وربي لتبعثن بعد الموت ثم لتنبؤن بما عملتم في الدنيا وذلك البعث والجزاء على الله يسير اي سهل هين فامنوا يا اهل مكة بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا يعني القران والله بما تعملون خبير قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يعني يوم القيمة يجمع فيه الاولون والاخرون يوم التغابن يغبن فيه اهل الحق اهل الباطل واهل الايمان اهل الكفر ولا غبن ابين منه هؤلاء يدخلون الجنة وهؤلاء يدخلون النار والغبن فوت الحظ والمراد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مؤمن يدخل الجنة الا وقد رأى مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد كافر يدخل النار الا وقد رأى مقعده في الجنة لو احسن ليزداد حسرة فالمغبون من غبن اهله ومنازله في الجنة ويظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الايمان وغبن كل مؤمن بتقصيره في الاحسان وتضييعه الايام قوله تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اي ما اصاب احدا مصيبة في البدن والاهل والمال الا بعلم الله وقضائه ومن يؤمن بالله اي من يصدق بان المصيبة من الله يهد قلبه للرضا والصبر ويقال يوفقه للاسترجاع وقرأ السلمي يهد قلبه على ما لم يسم فاعله وقرأ طلحة بن مصرف نهد قلبه بالنون وقرئ يهدا قلبه بالهمز واثرهم في قوله قلبه على معنى يسكن قلبه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وذلك ان الرجل كان لا يستطيع ان يهاجر مع ازواجه واولاده وكان اذا اراد ان يهاجر بنفسه تعلقت به امرأته واولاده وقالوا الى من تدعنا فيشفق عليهم فيترك الهجرة فانزل الله هذه الاية بالمدينة نهاهم عن ذلك وحذرهم طاعة الازواج والاولاد في معصية الله تعالى مثل ذلك قوله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ودخل من ههنا تدل على انه ليس جميع الازواج والاولاد عدوا وانما منهم من يحب هلاككم لبرثوا مالكم واي عدو اعدا ممن يحب موتك لينتفع بنفسه ومنهم من يحملوكم على ان تعصوا الله باخذ غير الواجب ومنع الواجب لمنفعة ترجع اليهم ومعنى قوله تعالى فاحذروهم ان تطيعوهم في ترك الهجرة قوله تعالى وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم وذلك ان الرجل كان اذا اراد الهجرة عرض على امرأته وقرابته فاذا ابوا عليه اقسم بالله ان لا ينفق عليهم فاذا عاد كف عن النفقة ليمينه فقيل لهم وان تعفوا وتصفحوا اي ان تعفوا عنهم وتجاوزوا عن صدهم اياكم وتغفروا ذنوبهم بعدما جمعتم من الحرم وبعدما اجتمعتم في دار الهجرة ولم تكافئوهم عن سوء ما فعلوه فان الله غفور رحيم يغفر لكم لذلك كثيرا من ذنوبكم وقيل معنى الاية ان الرجل من هؤلاء كان اذا راى الناس قد سبقوه الى الهجرة وتفقهوا في الدين هم ان يعاقب زوجته واولاده الذين ثبطوه عن الهجرة وان لحقوا به في الهجرة لم ينفق عليهم فانزل الله تعالى وان تعفوا وتغفروا فان الله غفور رحيم قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة اي بلاء وشغل عن الاخرة والانسان بسبب المال والولد يقع في العظائم ويتناول الحرام الا من عصمه الله والله عنده اجر عظيم لمن لم يشغله ماله وولده عن طاعة الله تعالى وعن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان

احمران

احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله عز وجل انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم اي اتقوا الله جهدكم وقدر وسعكم باجتناب محارمه واداء فرائضه وجميع طاعته واسمعوا واطيعوا ما تؤمرون به واطيعوا رسوله وانفقوا من اموالكم في طاعة الله يكن ذلك خيرا لانفسكم لان نفع الاجرة اعظم ويقال الخير ههنا المال كانه قال انفقوا مالا من اموالكم وهذه الاية نسخت قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته قوله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون اي من دفع عنه بخل نفسه فاولئك هم المدركون لطلبتهم والشح في الدين منع الواجب ومن الشح ان يعدل الرجل الى مال غيره فياكله قوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم معناه ان تعطوا في الصدقة مالا من حسنة صادقة من قلوبكم يقبله منكم ويضاعفه لكم ويغفر لكم ذنوبكم والله شكور حليم والله يشكر بقبول اليسير ويعطي الجزيل من الثواب حليم لا يعجل بالعقوبة على من بخل بالصدقة فترك المعجل العقوبة على ذنوبهم عالم الغيب والشهادة اي يعلم ما اكنه صدوركم مما لا تعلمه الحفظة ويعلم كلما ظهر مما يسقط من ورقة وما قطر من قطرة وهو العزيز في ملكه وسلطانه الحكيم في امره وقضائه

سورة الطلاق اثنتا عشرة اية مدنية

وهي الف وستون حرفا ومايتان وتسع واربعون كلمة واثنتا عشرة اية قال صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطلاق مات في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالله التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون داخلون فيه لان خطاب الرئيس خطاب للاتباع خصوصا اذا كانوا ماموريين بالاقتداء به والمعنى يا ايها النبي اذا اردت وامتك الطلاق فطلقوا النساء لعدتهن وهذا كقوله يا ايها الذين امنوا اذا قمتم اي اذا اردتم القيام والطلاق للعدة هو ان يطلقها في طهر لم يمسها فيه لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حين سئل عن الطلاق طلقها طاهرا من غير جماع او حاملا قد استبان حملها ويقال في معنى الطلاق للعدة ان تفرق الطلاق الثلاث على اطهار العدة فيطلقها في كل طهر لم يمسها فيه تطليقة والطلاق سني وبدعي فالسني ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فقد روي ان عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما طلق امرأته وهي حائض فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر وتحيض عنده حيضة اخرى ثم يمهلها حتى تطهر من حيضها فاذا اراد ان يطلقها فليطلقها حين تطهر قبل جماعها فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء والطلاق البدعي ان يقع في حال الحيض او في طهر قد جامعها فيه وهو واقع وصاحبه اثم وروي ان ابن عمر طلق زوجته وهي حائض فذكر عمر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها فاذا طهرت فليطلقها ان شاء قبل ان يجامعها قوله تعالى واحصوا العدة انما امرنا باحصاء العدة لتوزيع الطلاق على الاطهار والمعنى بذلك احصوا عدة المطلقات لما يريدون من رجعة او تسريح فاذا حاضت العدة حيضة وطهرت فاراد الرجل ان يطلقها اخرى طلقها ثانية فاذا حاضت وطهرت طلقها اخرى ان شاء فتبين بالثلاث وقد بقي من عدتها حيضة قوله تعالى واتقوا الله ربكم اي اتقوا في النساء اذا طلقتموهن واحدة او اثنين او ثلاثا لا تخرجوهن من بيوتهن التي طلقن فيها وهي بيوت ازواجهن والمعنى اتقوا الله فلا تعصوه فيما امركم به فلا يجوز للزوج ان يخرج المطلقة المعتدة من مسكنه الذي كان يساكنها فيه قبل الطلاق قوله تعالى ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة اي فلا يخرجن هن من قبل انفسهن حتى تنقضي عدتهن ولهذا لا يباح لها السفر في العدة ولا يباح لها الخروج وان اذن

فاحذروهم
للجهاد

الزوج • واما المنكوحة فيجوز لها الخروج من المنزل باذن الزوج قوله تعالى الا ان يأتين بفاحشة مبينة اي الا ان
ويكون خروجهن معصية • وقال الحسن معناه ان لا يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليها بشهادة اربعة من الشهود فيخرجن لاقامة
الحد • وقال ابن عباس معناه الا ان يبذون باللسان على اهل المنزل بايذائهن • كما روي ان فاطمة بنت قيس طلقها زوجها
ابو عمرو بن حفص بن المغيرة الخروجيا وكانت تستطيل على احمائها بلسانها فنقلها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت ام ابن
مكتوم • وكان ضرب العقد فيه • وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز
منه العرش • وقال عليه السلام ايما امراة سالت زوجها الطلاق من غير باس فحرام عليها رائحة الجنة •
وقال صلى الله عليه وسلم لا تطلقوا النساء الا من ريبة فان الله عز وجل لا يحب الذواقين والذواقات • وعن
انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حلف بالطلاق ولا استحلف به الا منافق
وتلك حدود الله • اي هذه احكام الله وفرائضه في الطلاق للسنة والعدة فلا تجاوزها الى ما نهي عنه
ومن يتعد حدود الله • بالمخالفة • فقد ظلم نفسه • اي اضر بنفسه • لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك
امرا • اي طلقوهن كما امركم الله لا تدري ايها المخاطب لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فيوقع في قلب الزوج المحبة فيندم على طلاقها
ويريد رجعتها فلا يقدر على ذلك ولا ينفعه الندم قوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن
بمعروف • معناه اذا قاربن انقضاء عدتهن فراجعوهن بحسن الصحبة والمعاشرة قبل ان يغتسلن من الحيضة الثالثة
او اتركوا مراجعتهن بايفاء المهر ونفقة العدة حتى ينقضي عدتهن ولا يجوز ان يكون المراد بهذه الاية حقيقة بلوغ الاجل لانه
بعد بلوغ الاجل الذي هو انقضاء العدة قوله واشهدوا ذوي عدل منكم اي اشهدوا على الطلاق والرجعة ذوي
عدل من المؤمنين وهذا امر استحباب احتياطا من التجاحد كي لا يجحد الزوج الطلاق ولا تجحد المراة بعد مضي العدة • ثم قال للشهود
واقيموا الشهادة لله تعالى • ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر اي ذلك الذي ذكر لكم من الامر
والنهي والطلاق والرجعة واقامة الشهادة يوعظ به من كان يؤمن بالله ويصدق بالبعث بعد الموت لانهم هم الذين ينتفعون
بالوعظ قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا اي من يتق الله بامتثال اوامره واجتناب معاصيه
يجعل له مخرجا من المعصية الى الطاعة ومن الحرام والشبهات الى الحلال • وقيل يجعل له مخرجا من شبهات الدنيا
ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمة ويرزقه في الاخرة من نعيم الجنة ما لا يحتسبه ويقال يرزقه في الدنيا من حيث
لا يحتسب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا قوله
ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا اي من فوض امره الى الله تعالى
وانقطع عن غيره ... ... وقوله تعالى ان الله بالغ امره اي ينفذ امره ... قد جعل الله
لكل شيء من احكامه مقدارا واجلا معلوما فلا عذر للعبد في تقصير يقع منه قوله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم
ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر واللائي لم يحضن وذلك انه لما انزل الله عدة المطلقة والمتوفى عنها
زوجها في سورة البقرة قال ابي بن كعب يا رسول الله ان ناسا من النساء يقولون قد بقي من النساء ما لم يذكر فيه شيء قال
وما هو قال الصغار والكبار وذوات الحمل فانزل الله هذه الاية واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن ان ارتبتم اي ان
شككتم في عدتهن فعدتهن اذا طلقن بعد الدخول ثلثة اشهر وقوله تعالى واللائي لم يحضن من منزلة الكبيرة التي
قد يئست عدتها ثلثة اشهر • واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن معناه وذوي الاحمال
عدتهن تنقضي بوضع ما في بطونهن من الحمل مطلقة كانت الحامل او متوفى عنها زوجها وقوله ومن
يتق الله يجعل له من امره يسرا • اي من يخشى الله فيمتثل اوامره ويجتنب نواهيه
ييسر عليه امره ويوفقه للعبادة ويسهل عليه امور الدنيا والاخرة وقوله تعالى ذلك امر الله انزله اليكم اي ذلك
الحكم الذي سمي حكم الله في الطلاق والعدة والرجعة • ومن يتق الله بطاعته وترك معصيته • يكفر عنه سيئاته اي
يستر ذنوبه عليه ويرفع عنه عقابها او يعطيه على ذلك ثوابا حسنا في الجنة قوله اسكنوهن من حيث سكنتم من

وجدكم اي اسكنوا المطلقات حيث سكنتم من البيوت التي تجدون ان تسكنوهن فيها على قدر وسعكم وطاقتكم • فان
كان موسرا اوسع عليها في المسكن وان كان فقيرا فعلى قدر ذلك قوله تعالى ولا تضاروهن
في المسكن ولا في امر النفقة • لتضيقوا عليهن • يعني اعطوهن من المسكن ما يكفيهن
لجلوسهن وطهارتهن ومن النفقة ما يكون كفافا لهن بالمعروف وهذا عام في المبتوتة والرجعية •
قوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن يعني يجب نفقة الحامل الى ان
تضع سواء طالت مدة الحمل او قصرت لان عدتها تنقضي بوضعه فلها النفقة الى ان تضع حملها ولا نفقة للمتوفى عنها زوجها
لان قوله تعالى اسكنوهن وقوله تعالى فانفقوا عليهن خطاب للازواج وقد زال عنهم الخطاب بالموت
قوله تعالى فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن يعني بعد وضع الحمل اذا ارضعن لكم اولادكم فاعطوهن
اجرة الرضاع وفي هذا دليل ان الام اولى بارضاع الولد باجرة المثل واولى بالحضانة من كل احد وفيه دليل
ان الاجرة لا تستحق بالعقد وانما تستحق بالفراغ من العمل لانه تعالى اوجبها بعد الرضاع قوله تعالى
واتمروا بينكم بمعروف • امر الرجل والمراة ان ياتمروا في الولد بالمعروف وهو ان ينفق الرجل نفقة الرضاع
من غير تقتير ولا اسراف وتقوم المراة على ولدها في رضاعه وتعهده من غير تقصير قوله تعالى وان تعاسرتم
فسترضع له اخرى • معناه ان تضايقتم وتمانعتم فابت الام ان ترضع الولد او طلبت على ذلك اكثر من اجرة المثل
وابى الاب ان يعطيها ما طلبت فليطلب الاب للولد مرضعة غير الام الا انه يجب ان يكون في بيت الام لان الام احق
بامساك الولد قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته • اي لينفق وغنائه على نسائه واولاده على قدر
غناه • ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله • معناه ومن ضيق عليه رزقه فلينفق مما اعطاه الله
تعالى من المال • لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها • من الرزق قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا
فيه تسلية للصحابة فان اكثرهم كانوا فقراء فوعدهم الله التيسير بعد العسر ففتح الله عليهم بعد ذلك وجعل يسرا بعد عسر ويستدل
من هذه الاية على ان القاضي يامر المراة ان تستدين على زوجها المعسر مقدار ما تستحق عليه من النفقة لان المعسر
من حاله اليسر قوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله • اي وكم من قرية اهل قرية
عتوا عن امر ربهم ورسله اي جاوزوا الحد في المعصية فحاسبناها حسابا شديدا اي جازيناهم في الاخرة جزاء شديدا على كل صغير وكبير
وعذبناهم في الدنيا عذابا نكرا • اي عذابا خارجا عن العادة لم يعهد واسئلة قوله تعالى
فذاقت وبال امرها • اي ذاقوا جزاء كفرهم وكان عاقبة امرهم خسرا يعني هلاك النفوس وذهاب
اموالهم اعد الله لهم في الاخرة • عذابا شديدا بعد الذي نزل بهم في الدنيا • فاتقوا الله يا اولي
الالباب • العقول لا يصيبكم ما اصابهم فيسئل لكم ما نزل بهم قوله تعالى الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا
رسولا • الذين امنوا نعت اولي الالباب • وقوله تعالى قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا اي انزل اليكم كتابا
اياه رسولا ليؤديه اليكم وقيل معناه قد انزل الله اليكم قرانا وارسل رسولا يتلوا عليكم ايات الله يعني الرسول •
قوله تعالى قد احسن الله له رزقا يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها قوله تعالى الله الذي خلق
سبع سموات ومن الارض مثلهن • اي سبع ارضين ايضا • وليس في القران اية تدل على ان الارضين سبع
غير هذه قوله تعالى يتنزل الامر بينهن • اي تنزل الملائكة بالتدبير من الله تعالى من السماء ومن السماء
الى الارض بحيوة قوم وموت بعض وغنا بعض وفقر بعض وسلامة هذا وهلاك هذا لتعلموا ان الله على كل
شيء قدير وان الله قد احاط فلا يخفى عليه شيء بكل شيء علما فلا يخفى عليه شيء ٥

سورة التحريم اثنى عشر اية مدنية

وهي الف وستون حرفا ومايتان وسبع واربعون كلمة واثنا عشرة اية • قال صلى الله عليه وسلم من قراها اعطاه الله توبة

نصوحا وبالله التوفيق — وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قسم الايام بين نسائه وكان له تسع نسوة • وكان لكل امراة منهن يوم وليلة • ثم ان حفصة زارت اباها في يوم كان ذلك اليوم لعائشة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم فوجد فيه جاريته مارية فخلا بها • فلما رجعت حفصة الى منزلها وقفت على ذلك لم تدخل حتى خرجت مارية ثم دخلت فقالت للنبي صلى الله عليه وسلم اني قد رايت من كان معك في البيت • فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم الغيرة والكآبة في وجهها قال اكتمي علي ولا تخبري عائشة بذلك • ثم قال هي حرام يعني مارية فاخبرت حفصة عائشة وكانتا متصافيتين فنزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي بذلك فدعى النبي صلى الله عليه وسلم حفصة وقال لها ما الذي حملك على ذلك قالت ومن اخبرك • قال اخبرني العليم الخبير فغضب النبي عليه الصلاة والسلام على حفصة فطلقها تطليقة واعتزل نساءه كلهن فمكث تسعا وعشرين ليلة ينظر ما ينزل فيهن فانزل الله تعالى هذه الآيات • ومعناها يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله تعالى لك طالبا رضى ازواجك والله غفور لما كان منك من التحريم رحيم لم يجب رخص لك الخروج منه بالكفارة فاعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم رقبة وعاد الى مارية وروي ان حفصة رضي الله تعالى عنها استاذنت رسول الله تعالى صلى الله تعالى عليه وسلم في زيارة ابيها في بيتها فاذن لها فهو خالي في بيتها فمضت فارسل النبي صلى الله عليه وسلم الى جاريته ام ابراهيم القبطية فادخلها بيت حفصة وكان ذلك يوم حفصه • فلما رجعت حفصة وجدت باب بيتها مغلقا فجلست على الباب حتى خرج رسول الله تعالى صلى الله تعالى عليه وسلم • ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال لها ما يبكيك • قالت انما اذنت لي بالزيارة من اجل هذا ادخلت امتك بيتي • ووقعت عليها في يومي وعلى فراشي اما رايت لي حرمة وحقا ما قط صنعت هذا بامراة من نسائك غيري • فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اليس هي جاريتي فلا احلها الله تعالى لي فهي علي حرام التمس بذلك رضاك ولا تخبري بذلك امراة منهن وهذه امانة عندك ثم خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرعت حفصة على الجدار الذي كان بينها وبين عائشة فقالت لها الا ابشرك يا عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم جاريته مارية وقد اراح الله منها • وكانت عائشة وحفصة متصافيتين متظاهرتين على سائر ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل جبريل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره بذلك فغضب على حفصة وقال ما حملك على ذلك ثم طلقها وذهب بعض المفسرين الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل على زينب بنت جحش يشرب عندها شراب عسل يصلح له وكان يطول مكثه عندها فاجتمع عائشة وحفصة على ان يقولا له انا نجد منك رائحة المغافير والمغافير صمغ متغير الرائحة يقع على الطرفاء ياكله النحل فلما صار الى كل واحدة منهما قالت له اني اشم منك رائحة المغافير فحرم النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه شراب العسل فانزل الله تعالى هذه الآيات والقول الاول اظهر ولا يمتنع ان الامرين قد كانا وان هذا نزل فيهما

قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي اوجب لكم كفارة ايمانكم • والله تعالى مولاكم اي متولي اموركم وهو اولى بكم من نفوسكم وامرهاته • وهو العليم بما فيه صلاح خلقه • الحكيم في تدبيره وامره ونهيه سميت الكفارة تحلة لانها تجب عند انحلال اليمين قال مقاتل معناه قد بين الله لكم كفارة ايمانكم في سورة المائدة وامر تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ان يكفر عن يمينه ويراجع جاريته • **قوله تعالى** واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا يعني اسراره الى حفصة فلما اخبرت عائشة واطلع الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام على ذلك **قوله تعالى** عرف بعضه واعرض عن بعض وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عندما راى الكآبة والغيرة في وجه حفصة اسر اليها شيئين تحريم الجارية القبطية على نفسه وقال اخبرك يا حفصة ان اباك وابا بكر سيملكان امتي بعدي فلما اظهره الله عليه اخبر حفصة بما قالت لعائشة من تحريم مارية واعرض عن ذكر خلافة ابي بكر وعمر • قراه الحسن البصري والكسائي وقتادة عرف بعضه بالتخفيف اي غضب على حفصة من ذلك وجازاها فطلقها من قول القائل لمن اساء اليه لاعرفن ما فعلت اي لاجازينك عليه فجازاها رسول الله تعالى صلى الله عليه

وسلم بان طلقها فلما علم عمر رضي الله تعالى عنه بذلك قال لو كان في الخطاب خير لما طلقك رسول الله تعالى صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له راجعها فانها صوامة قوامة وهي احدى نسائك في الجنة فراجعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وانما هم به فاتاه جبريل وقال له لا تطلقها فانها صوامة قوامة وهي من نسائك في الجنة فلم يطلقها • وكان سفيان الثوري يقول لها استقصى كريم قط وما زال التغافل من فعل الكرام عرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض **قوله تعالى** فلما نباها به اي لما اخبرها بما اظهره الله عليه • قالت من انباك هذا اي من اخبرك اني افشيت سرك • قال نباني **العليم الخبير** • قوله تعالى ان تتوبا الى الله • معناه يا حفصة ويا عائشة توبا الى الله من اظهار الغيرة وايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والتعاون عليه • **فقد صغت قلوبكما** اي مالت الى الاثم وعدلت عن الحق وهو انهما احبتا ما كره النبي صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته **وان تظاهرا عليه** اي تعاونا عليه بالايذاء واظهار الغيرة عليه والحاشية • **فان الله هو مولاه** • يتولى حفظه ونصره ودفع الاذية عنه • وجبريل وليه • **وصالح المؤمنين** وابو بكر وعمر يتوليانه وينصرانه على من عاداه • **والملائكة بعد ذلك ظهير** • انصاره واعوانه وعن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لما اعتزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نساءه دخلت عليه وانا ارى في وجهه الغضب فقلت يا رسول الله تعالى ما يشق عليك من شان النساء فان كنت طلقتهن فان الله تعالى معك وجبريل وميكائيل وانا وابو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت واحمد الله تعالى بكلام الا رجوت ان يكون الله يصدق قولي الذي اقول ونزلت هذه الآية وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير رواه مسلم في صحيحه • وعن ابن عباس قال سالت عمر رضي الله تعالى عنه فقلت يا امير المؤمنين من المراتان اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عائشة وحفصة رواه البخاري في صحيحه ثم اخذ عمر رضي الله تعالى عنه يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم النساء فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال فغضبت على امراتي فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت وما تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت اتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم قلت وتهجره احداكن اليوم الى الليل قالت نعم • قلت افتامن احداكن ان يغضب الله تعالى لغضب رسوله فاذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا وسليني ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعني عائشة رضي الله تعالى عنها قرا اهل الكوفة تظاهرا عليه بالتخفيف وقرا الباقون بالتشديد **قوله تعالى** عسى ربه ان طلقكن ان يبدله خيرا منكن • هذا ايعاد وتخويف لحفصة وعائشة وسائر ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ووعد للنبي خيرا منهن ان اخرجهن الى مفارقتهن وعسى من الله واجب **قوله تعالى** **مسلمات** نعت للازواج التي كان يبدله لو طلقهن ومعنى مسلمات اي خاضعات لله بالطاعة مسلمات لامر الله وقضائه • **مؤمنات** • اي مصدقات بتوحيد الله بالالسن والقلوب • **قانتات** • اي طائعات لله وللنبي صلى الله عليه وسلم • **تائبات** • اي راجعات الى ما يحبه الله • **عابدات** لله متذللات لله ولرسوله • **سائحات** • اي صائمات • **ثيبات وابكارا** • ظاهر المراد **قوله تعالى** **يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا** • معناه يا ايها الذين امنوا ادفعوا عن انفسكم واهليكم نارا احطبها الناس والحجارة يعني حجارة الكبريت • والمعنى اعملوا بطاعة الله وانهوا عن معاصيه وعلموا اولادكم واهليكم الاجتناب عن ما يحصل لهم به النار • وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تعالى نقي انفسنا فكيف لنا باهلينا قال تنهونهم عما نهاكم الله عنه وتامرونهم بما امركم الله به **قوله تعالى** عليها ملائكة غلاظ شداد اي على النار ملائكة غلاظ الاخلاق شدادا قويا في الاخذ بالعقوبة يدفع الواحد منهم في الدفعة الواحدة سبعين الفا في جهنم لم يخلق الله تعالى فيهم شيئا من الرحمة • لا يعصون الله ما امرهم • من تعذيب اهلها • ويفعلون ما يؤمرون • من ذلك جعل الله تعالى سرورهم في تعذيب المعذبين كما جعل سرور المؤمنين في الجنة وجاء في الخبر ان الملك منهم يكسر عظام المعذب فيقول له الا ترحمني فيقول كيف ارحمك وارحم الراحمين لم يرحمك **قوله تعا** يا ايها

الذين كفروا لا تعتذروا اليوم أي لا تعتذروا اليوم فيما قدمتم لأنفسكم فإنه لا يقبل منكم إلا عذاب إنما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا ولا تظلمون بزيادة على ما تستحقون من العذاب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا قال ابن عباس التوبة النصوح هي الندم بالقلب والاستغفار باللسان والإقلاع بالبدن والإضمار على أن لا يعود وعن معاذ بن جبل قال قلت يا رسول الله ما التوبة النصوح قال أن يتوب التائب ثم لا يرجع في ذنب كما لا يعود اللبن في الضرع قال ابن مسعود التوبة النصوح أن تكفر كل سيئة وقال أبو زيد النصوح الصادقة أي توبوا توبة صادقة يقال نصحته وقيل النصوح المستقيمة المتقنة التي لا يلحقها النقض والإبطال وقال الفضل التوبة النصوح أن يكون الذنب نصب عينيه ولا يزال كأنه ينظر إليه وقال أبو بكر الوراق هي أن تضيق عليك الأرض بما رحبت وتضيق نفسك كتوبة الثلاثة الذين خلفوا وقال الدقاق هي رد المظالم واستحلال الخصوم وإدمان الطاعات وقال ذو النون علامتها ثلاثة أشياء قلة الكلام وقلة الطعام وقلة المنام وقال بعضهم أن يكون لصاحبها دمع مسفوح وقلب من المعاصي جموح فإذا كان كذلك فهي توبة نصوح وقال فتح الموصلي علامتها ثلاث مخالفة الهوى وكثرة البكا ومكابدة الجوع والظما وقال شقيق هي أن يكثر صاحبها لنفسه الملامة ولا ينفك من الندامة وقال الجنيد هي أن ينسى ما سوى الله ولا يذكر إلا الله قوله تعالى عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم عسى وعد من الله لأن عسى من الله واجبة والصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنب الكبائر قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي أي يكرم الله النبي بهذه الكرامة في الجنات في يوم لا يخزي الله النبي ولا يحله في أمته ولا يخزي الذين آمنوا معه والمعنى لا يدخلهم الله النار والذين آمنوا نورهم يسعى بين أيديهم دليلا لهم إلى الجنة وبأيمانهم يعني نور كتبهم التي يعطونها يقولون ربنا أتمم لنا نورنا أي يقولون ذلك بعدما ذهب نور المنافقين والمعنى أتمم لنا نورنا على الصراط إلى أن ندخل الجنة واغفر لنا ما سلف من ذنوبنا إنك على كل شيء قدير من إتمام النور والنعم فيجيب الله تعالى دعاءهم ويفعل ذلك أي فيكون الصراط على المؤمنين كما بين صنعا إلى الجند يمشي عليه بعضهم مثل البرق وبعضهم مثل الريح وبعضهم كعدو الفرس وبعضهم كعدو الرجل وبعضهم يمشي وبعضهم يزحف ويكون على الكافر كحد السيف بحدته قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين أي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان بالزجر والوعيد حتى يسلموا أو سماهما جهادا لاشتراكهما في بذل الجهد واغلظ على الفريقين بالفعل والقول وبين أن مصيرهم في الآخرة إلى النار قال الحسن أكثر من كان يصيب الحدود في ذلك الزمان المنافقون فأمر أن يغلظ عليهم في إقامة الحدود وعن ابن مسعود أنه قال إذا لم تقدروا أن تنكروا على الفاجر بالقوة فوجوهكم مكفهرة قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما في الدين قال ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط وأما خيانة امرأة نوح فإنها قالت لقومه إنه مجنون فلا تصدقوه وأما خيانة امرأة لوط فإنها كانت تدل قومه على أضيافه وكان إذا نزل بلوط ضيف بالليل أوقدت النار وإذا نزل بالنهار دخنت ليعلم قومه أنه قد نزل به ضيف وقال الكلبي أسرتا النفاق وأظهرتا الإيمان لأن الخيانة في الفراش لا يجوز أن يكون مرادة في هذه الآية لأنها عيب يرجع إلى الزوج ينفر الناس عنه قوله تعالى فلم يغنيا عنهما من الله شيئا أي لم يدفعا عنهما عذاب الله أعلم الله تعالى أن أحدا لا يجزي عن أحد شيئا وأن الإنسان لا ينجو إلا بعمله وقطع الله بهذه الآية طمع من ركب المعصية ورجا أن ينفعه صلاح غيره وأخبر الله تعالى أن معصية الغير لا تضره إذا كان مطيعا وهو قوله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة وهي آسية بنت مزاحم كانت قد آمنت بموسى عليه السلام فلما علم فرعون بإسلامها

بإسلامها وتدها أربعة أوتاد في يديها ورجليها ومدها للعذاب وشدها على الأرض بالأوتاد وعلى صدرها صخرة عظيمة وألقاها في الشمس وكانت الملائكة تظللها بأجنحتها وأبصرت الجنة وهي كذلك فقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فاستجاب الله دعاءها وألحقها بالشهداء ولم تجد ألما من عذاب فرعون لأنها قالت ونجني من فرعون وعمله ودينه ونجني من القوم الظالمين أي الكفار أي أهل دين فرعون وليس في هذه الآية أن فرعون قتلها أم لا واختلفوا في ذلك والأقرب أنه إذا أجاب الله دعاءها نجاها من فرعون وقومه وفي قوله تعالى في الآية الأولى وقيل ادخلا النار مع الداخلين تخويف لحفصة وعائشة كأنه تعالى قال لعائشة وحفصة لا تكونا بمنزلة امرأة نوح ولوط في المعصية وكونا بمنزلة امرأة فرعون ومريم قوله تعالى ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها عطف مريم على امرأة فرعون وإحصان الفرج إعفافه وحفظه عن الحرام قوله تعالى فنفخنا فيه من روحنا أي في جيب درعها وذلك أن جبريل عليه السلام مد جيب درعها بأصبعه ثم نفخ في جيبها فحملت والكناية عن غير مذكور قوله تعالى وصدقت بكلمات ربها والشرائع التي شرعها الله في كتبه المنزلة وقرأ عيسى الجحدري والحسن بكلمة ربها على التوحيد يعنون عيسى عليه السلام قوله تعالى وكتابه أي صدقت بكتب الله تعالى وهي التوراة والإنجيل والفرقان وصحف إبراهيم وموسى وقرأ أبو عمرو ويعقوب وكتبه بالجمع وتفسيره ما ذكرنا وقرأ الباقون وكتابه على الواحد والمراد به الإنجيل قوله تعالى وكانت من القانتين أي من المطيعين لله وقال عطاء من المصلين كانت تصلي بين المغرب والعشاء ويحتمل وكانت من القانتين ولم يقل من القانتات لأن تعبدها كان في المسجد مع العباد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقال صلى الله عليه وسلم سيدات نساء أهل الجنة أربع مريم وآسية وخديجة وعائشة وعن معاذ بن جبل قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة وهي تجود بنفسها فقال أتكرهين ما نزل بك يا خديجة وقد جعل الله في الكره خيرا كثيرا فإذا قدمت على ضراتك فأقرئهن مني السلام قالت يا رسول الله ومن هن قال مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وكليمة أخت موسى فقالت بالرفاء والبنين

سورة الملك ثلاثون آية مكية

وهي ألف وثلثمائة حرف وثلثمائة وثلاثون كلمة وثلاثون آية قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر وقال إنها تجادل عن صاحبها يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم [illegible] سورة الملك في كل قلب مؤمن وعن ابن مسعود أنه قال إذا وضع الميت في قبره يؤتى من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل لأنه كان يقرأ سورة الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل لأنه كان يقرأ سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

تبارك الذي بيده الملك أي تعالى باستحقاق التعظيم الذي بيده إعطاء الملك وأخذه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء قوله وهو على كل شيء قدير من الإعزاز والإذلال قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة معناه الذي قدر الإماتة والإحياء ليبلوكم فيما بين الإحياء والإماتة أيكم أحسن عملا اللام في ليبلوكم تتعلق بخلق الحياة دون خلق الموت لأن الابتلاء في الحياة ومعنى ليبلوكم أي ليعاملكم معاملة المختبر فيجازيكم على ما ظهر منكم لا على ما علم منكم ومعنى أيكم أحسن عملا أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله قال صلى الله عليه وسلم أتمكم عقلا أشدكم خوفا لله وأحسنكم نظرا فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه وقال الحسن معناه ليبلوكم أيكم أزهد في الدنيا وأترك لها وارتفع أيكم على الابتداء ولم يعمل فيه الفعل لأنه استفهام ولا يعمل فيه ما قبله تقديره ليبلوكم أأنتم أحسن عملا أو غيركم قوله تعالى وهو العزيز الغفور أي العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن به الغفور لمن تاب وآمن قوله تعالى الذي خلق

سبع سموات طباقا اي مطبقة بعضها فوق بعض مثل القبة • ما ترى • ايها الانسان اي في مخلوقات
الرحمن من تفاوت اي لا ترى بعضها حكمة وبعضها عبثا ولا ترى في السماء اضطرابا وتباينا في الخلقة
وقال مقاتل ما ترى يا ابن ادم في خلق السموات من عيب • وقال قتادة ما ترى فيها خللا ولا اختلالا • فارجع
البصر هل ترى من فطور • اي كرر النظر هل ترى في السماء من شقوق او صدوع او خروق • ثم ارجع
البصر كرتين • اي ان لم تستدرك بالمرة الاولى فرد البصر مرة اخرى مستقصيا ورد البصر كرة اخرى مرة
بعد مرة • ينقلب اليك البصر خاسئا • اي صاغرا بمنزلة الخاسي وهو الذليل • وهو حسير • اي
كليل منقطع قد اعيا بمنزلة الحسير الذي طلب شيئا فلم يجد كما يحسر البعير • قوله تعالى • ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح
هي الادنى اليها • وهي التي يراها الناس • والمصابيح النجوم واحدها مصباح سميت بذلك لانها تضيء كما يضيء
المصابيح • ومن ذلك الصبح والمصباح السراج والنجوم ثلث خصال زينة وعلامات يهتدى بها ورجوم لمن استرق
السمع من الشياطين • واعتدنا لهم في الاخرة • عذاب السعير • مع ما جعلنا لهم في الدنيا من الرمي
بالشهب • قوله تعالى • وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس
المصير ظاهر المعنى • اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا • اي صوتا فظيعا كصوت الحمار وهو اخر ما يستحق
نفس بذيد من مواقع الاصوات واذا اشتد لهب النار سمع لها ذلك الصوت الشديد كانها تطلب الوقود • قوله تعالى • وهي تفور
اي تغلي بهم كغلي المرجل • وقال مجاهد تفور بهم كما تفور الماء الكثير بالحب القليل والفور ارتفاع الشيء بالغليان •
تكاد تميز من الغيظ • اي تكاد تتشقق وتتقطع من تغيظها على اهلها ليأخذهم المعنى تكاد النار تتفرق بعضها من
بعض غضبا على الكفار وانتقاما لله عز وجل منهم • كلما القي فيها فوج • من الكفار اي جماعة • سألهم
خزنتها الم يأتكم نذير • رسول منذر يخوفكم وهذا التوبيخ زيادة لهم في العذاب • قالوا بلى
قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء • مما تقول • وقلنا للرسل ما انتم الا في ضلال
كبير • اي خطأ عظيم • وقيل بان قوله • ان انتم الا في ضلال كبير • من قول الزبانية
للكفار اي ما كنتم في الدنيا الا في ضلال عظيم • وقال اهل النار معتذرين بجهلهم • وقالوا لو كنا نسمع او
نعقل • اي لو كنا نسمع الهدى من الرسل سماع من يتفكر ونعقل عنهم عقل من يميز ما كنا من اصحاب السعير
فاعترفوا بذنبهم • اي اقروا بذلك • فسحقا لاصحاب السعير • اي ابعدهم الله سحقا اي بعدا لهم
من رحمته • والسحق البعيد • والمعنى بعدا لاصحاب النار من الله تعالى • قوله تعالى
ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير • معناه ان الذين يعملون
لربهم ويتقون معاصيه في اسرارهم ويخافونه ولم يروه لهم مغفرة لذنوبهم وثواب عظيم
في الجنة والخشية في الغيب ادل على الاخلاص وابعد من النفاق • قوله تعالى
واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور • هذا الخبر للكفار
عن الاقدام على المعاصي يقول ان اخفيتم كلامكم في امر محمد صلى الله عليه وسلم او جهرتم به فان الله عليم بما في
القلوب من الخير والشر • قال ابن عباس كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل
فيقول بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع اله محمد فانزل الله تعالى هذه الاية • الا يعلم من
خلق • الاشياء في صدوركم وقيل معناه الا يعلم الله خلقه • وقيل الا يعلم سر العبد من خلقه •
قوله • وهو اللطيف الخبير • اي لطيف علمه بالاشياء حتى لا يخفى عليه غوامض الامور •
الخبير بمصالح عباده • هو الذي جعل لكم الارض ذلولا • اي سهلا تتصرفون فيها فلا يضطرب
بكم ولا تمتنع عليكم • يقال دابة ذلول اذا كانت سهلة الركوب • والنزول لا تمتنع على صاحبها

فامشوا في مناكبها • اي في اطرافها وطرقها وقيل في جبالها واكامها • وجوانبها
اي ارجائها • قوله • وكلوا من رزقه • اي وكلوا من نباتها الذي جعله الله رزقا لكم في الارض • واليه النشور • اي
والى الله المرجع في الاخرة للحساب والجزاء والنشور هو البعث من القبور • قوله تعالى • ءامنتم من في
السماء • معناه أامنتم يا اهل مكة من في السماء سلطانه • وقدرته وملكه ان يخسف بكم الارض جزاء على كفر نعمكم
وقيل معناه • أامنتم عقوبة من في السماء او عذاب من في السماء وقيل معناه أامنتم من جرت عادته ان تنزل نقمته
من السماء او عذابه من في السماء • وقيل امنتم من في السماء وهو الملك الموكل بالعذاب يعني على من يكفر به • وهو جبريل
• ان يخسف بكم الارض بامر الله تعالى • فاذا هي تمور • اي تضطرب وتتحرك فتعلو عليهم وهم • والمعنى ان
يسخط الارض بهم الخسف بهم حتى تضطرب فتعلو عليهم وهم يخسفون فيها والارض تمور فوقهم فتقلبهم الى اسفل والمور
هو المجيء والذهاب لانه اذا خسف بقوم دارت الارض فوقهم كما تدور الماء بمن يغرقه • ام امنتم من في السماء
ان يرسل عليكم حاصبا • كما ارسل على قوم لوط • والحاصب الريح التي ترمي الحصباء لا دافع لها • فستعلمون
في الاخرة • كيف نذير • اي انذاري اذا عاينتم العذاب • ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير
معناه ولقد كذبت الذين من قبل اهل مكة الامم الماضية فكيف كان انكاري عليهم بالعذاب • قوله تعالى
اولم يروا الى الطير فوقهم صافات • معناه اولم ينظروا الى الطير فوق رؤسهم باسطات اجنحتها تارة •
ويقبضن اخرى • معناه صافات اجنحتها • وتقبض اجنحتها بعد البسط وهذا معنى الطيران وهو بسط الجناح وقبضه
بعد البسط • قوله تعالى • ما يمسكهن الا الرحمن • اي ما يمسكهن ويحفظهن في الهواء في حال الطيران في حالة
الصف والقبض الا الرحمن • وفي هذا اكبر اية دالة على قدرة الله تعالى اذ امسكها في الهواء على ثقلها فعلم الذي امسكها قد
قدر على امساك الطير في الهواء قدر على امساك الحاصب من السماء • قوله تعالى • والله بكل شيء بصير • اي
عالم كما يقال فلان بصير بالنحو والقرآن اي عالم بهما • قوله تعالى • امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من
دون الرحمن • فيه تنبيه على انه ان اراد الله تعذيبهم ليس لهم منعة ولا احد يصرف العذاب عنهم • ولفظ الجند
يوحد وهو استفهام انكاري لا جند لكم ينصركم ويمنعكم من عذاب الله تعالى • قال ابن عباس معناه ينصركم
منه ان دام عذابكم • قوله تعالى • ان الكافرون الا في غرور • اي في غرور من الشيطان يغرهم بان
العذاب لا ينزل بهم • قوله تعالى • امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه • معناه امن
يقدر احد من معبودكم ان يوصل اليكم ارزاقكم ان حبس الله المطر والنبات عنكم • قوله تعالى • بل لجوا
في عتو ونفور • اي في مجاوزة الحد في الطغيان والتباعد عن سماع الحق وقوله لجوا اي يتمادون ولا يتفكرون
في طغيانهم وعنادهم وتمادوا في تباعدهم عن الايمان • قوله تعالى • افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى
امن يمشي سويا على صراط مستقيم • معناه افمن يمشي منكسا رأسه على وجهه لا يرى ما يصدمه
او يهجم عليه ويرى في طريقه فلا ينظر يمينا ولا شمالا يمشي مشي العميان وهو مثل الكافر فيقول اهو اصوب
طريقا ام المؤمن الذي يمشي مستويا على طريق مستقيم يعني الاسلام • وانما شبه الكافر بالمكب على وجهه
لان الضلال اعمى القلب عن الهدى • وقال قتادة هذا في الاخرة معناه افمن يمشي مكبا على النار
يوم القيمة اهدى امن يمشي مستويا على طريق الجنة كما قال تعالى في الكفار ونحشرهم
يوم القيمة على وجوههم عميا • قوله تعالى • قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون • اي قل لهم يا محمد هو الذي خلقكم وخلق لكم السمع فاستمعوا
الى الحق والابصار فابصروا بها الحق والافئدة فاعقلوا بها الحق • قليلا ما تشكرون نعم الله عليكم • قوله
تعالى • قل هو الذي ذرأكم في الارض • اي هو الذي خلقكم صغارا ورباكم الى ان صيركم كبارا • واليه تحشرون

اي يجمعون في الاخرة بجزيكم. ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين. الوعد الحشر الذي تعدنا به
ان كنتم صادقين بان يكون ذلك. قل انما العلم عند الله بوقت الحشر. وانما انا نذير مبين. اي مخوف لكم بلغة تعرفونها
فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا. معناه فلما راوا العذاب قريبا تبين السوء
في وجوههم وساءهم ذلك. وقيل احترقت وجوه الذين كفروا واسودت وعليها الكآبة والقترة. وقيل سيئت
قبحت وجوههم بالسواد. وقيل لهم هذا العذاب الذي كنتم من اجله تدعون الاباطيل والاكاذيب انكم
اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم لا تبعثون. وقرا الضحاك وقتادة ويعقوب تدعون مخففا اي تدعون
غير الله بانكم به من الدعاء وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية. قوله تعالى قل ارايتم ان
اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم. وذلك ان الكفار كانوا يتمنون
موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وموت اصحابه فقيل لهم ارايتم ان اصبتم منا ما تمنيتم بالهلاك فمن يجيركم من
العذاب الذي لا بد انه نازل بكم اتظنون ان الاصنام او غيرها تجيركم فاذا علمتم ان لا مجير لكم فهلا تمسكتم بما يخلصكم
من العذاب وهو الايمان بالله تعالى. قوله تعالى قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا اي هو الرحمن الذي
نعبده ونفوض اليه امورنا فستعلمون في الآخرة من هو في ضلال مبين نحن او انتم. قوله تعالى قل ارايتم
ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا في الارض لا تناله الايدي ولا الدلاء. فمن ياتيكم بماء معين
ظاهر الا الله تعالى الذي تشركون فاذا لم تقدروا انتم ولا الاصنام على ان تحملوا الماء الغائر في الارض ظاهرا
فكيف تقدرون على ان تدفعوا عذاب الله عن انفسكم اذا نزل بكم وكيف تقدرون على ذلك من اجل تمنون الهلاك من دون
الله. ويحكى ان زنديقا في دينه سمع رجلا يقرا قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فقال الفؤوس والمعول
فنام ليلته فاصبح وقد ذهب ماء عينيه وبقي اعمى الى ان مات والعياذ بالله من الخذلان. والله تعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

ن والقلم وما يسطرون. قال ابن عباس يعني بقوله نون الحوت
الذي على ظهره الارض واسمه لوثيا. وذلك انه لما خلق الله الارض وفتقها بعث الله ملكا من تحت العرش
فهبط الى الارض حتى دخل الى تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه احدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب
فلم يكن لقدمه قرار فاهبط الله من الفردوس ثورا له اربعون الف قرن واربعون الف قائمة وجعل قرار
قدم الملك على سنامه فلم يستقر قدماه فخلق الله تعالى ياقوتة خضراء اغلظها مسيرة خمسمائة سنة
فوضعها بين سنام الثور واذنه فاستقرت عليها قدماه. وقرون ذلك الثور خارجة
من اقطار الارض ومنخراه في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا. فاذا تنفس مد البحر
واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار. فخلق الله صخرة خضراء كغلظ
سبع سموات وسبع ارضين فاستقرت قوائم الثور عليها. وهي الصخرة التي قال
لقمان لابنه فتكن في صخرة فلم تكن للصخرة مستقر فخلق الله نونا وهو الحوت العظيم
فجعل الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح
على القدرة. وقال بعضهم هو اسم النور. وقيل هو احد حروف الرحمن
وقال قتادة في رواية عكرمة عن ابن عباس ان الر وحم ونون حروف
الرحمن. وقال قتادة والضحاك النون هي الدواة. وقال بعضهم هي لوح من نور
وقال عطاء هو افتتاح اسم الله الاعظم نور وناصر. واختلف القراء فيه فقرا بعضهم باظهار
النون. وقرا بعضهم باخفائها. وقرا ابن عباس بالكسر على اضمار حروف القسم وقرا عيسى بن

عمر بالفتح على اضمار فعل قوله تعالى والقلم وما يسطرون قال المفسرون هو القلم الذي
كتب به في اللوح المحفوظ. قال ابن عباس ان اول ما خلق الله تعالى القلم فقيل له اكتب ما هو
كائن الى يوم القيمة وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض. وقيل لما خلق الله القلم نظر اليه
فانشق نصفين ثم قال له اجر. قال يا رب بما اجري قال بما هو كائن الى يوم القيمة فجرى على اللوح المحفوظ
بذلك. وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اول شيء خلقه الله
تعالى القلم ثم خلق النون وهي الدواة. ثم قال له اكتب ما هو كائن الى يوم القيمة وهو قلم
من نور من عمل او رزق او اجل وكتب ما كان وما يكون من ذلك قوله تعالى وما يسطرون يعني وما
يكتب الملائكة الحفظة من اعمال بني آدم. وجواب القسم قوله تعالى ما انت بنعمة ربك
بمجنون. وهو جواب لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون. فاقسم الله تعالى بالنون
والقلم وباعمال بني آدم. فقال يا محمد ما انت بنعمة ربك بمجنون. قوله تعالى وان لك لاجرا
غير ممنون. معناه وان لك اجرا بصبرك على افترائهم عليك ونسبتهم اياك الى الجنون غير
ممنون اي غير منقوص ولا مقطوع. قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم. اي على دين عظيم لم اخلق
دينا احب الي ولا ارضى عندي منه يعني الاسلام. وروى عكرمة عن ابن عباس قال يعني القرآن
والمراد آداب القرآن كما امر الله نبيه عليه الصلاة والسلام. وسئلت عائشة رضي الله تعالى عنها
عن خلقه. قالت كان خلقه القرآن يسخط لسخطه ويرضى لرضاه. ويقال ان جبريل عليه السلام لما
جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف. قال اتيتك يا محمد بمكارم
الاخلاق. ان تصل من قطعك. وتعطي من حرمك. وتعفو عن من ظلمك. وعن ابي هريرة رضي
الله تعالى عنه. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ادبني ربي فاحسن
تاديبي. ويقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم احتمل لله تعالى في البلاء الى ان قال حين شج في وجهه. اللهم
اهد قومي فانهم لا يعلمون فانزل الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم. قال الجنيد سمي خلقه عظيما لانه لم يكن له
همة سوى الله تعالى. وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم عاشرهم بخلقه وزايلهم بقلبه كان ظاهره مع الخلق
وباطنه مع الحق. وقيل سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه. وقالت عائشة رضي الله تعالى
عنها ان الرجل ليدرك بحسن الخلق. درجة قائم الليل وصائم النهار. وقال صلى الله تعالى
عليه وسلم. ما من شيء اثقل في الميزان من حسن الخلق. وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الى الله تعالى
احسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون. وابغضكم الى الله تعالى المشاؤون بالنميمة
المفرقون بين الاخوان. الملتمسون للعثرات. قوله تعالى فستبصر ويبصرون اي ستعلم
ويعلمون يعني اهل مكة اذا نزل بهم العذاب ببدر بايكم المفتون الباء زائدة. والمعنى ايكم المجنون الذي
فتن بالجنون انت ام هم يعني انهم يعلمون عند العذاب ان الجنون كان بهم حين عبدوا الاصنام وتركوا
دينك. قوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله. معناه ان ربك يا محمد اعلم بمن سبق له الشقاء في
علمه. وهو اعلم بمن سبق له السعادة في ملكه وعلمه. فلا تطع المكذبين. بالكتب والرسل وهم رؤوس
الكفار الذين كانوا يدعونه الى دين آبائه. قوله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون. معناه تمنى
الكفار يا محمد ان تصانعهم فيصانعوك. ويلاينوك وتلاينهم ماخوذ من الدهن. ومعناه اظهار القول
باللسان بخلاف ما في القلب كانه يشبه التليين في القلب بتليين الدهن. وقال مجاهد معناه ودوا لو تركن
اليهم وتترك ما انت عليه من الحق فيمالئونك. وقال الضحاك معناه ودوا لو تكفر فيكفرون. وقال زيد بن اسلم ودوا
لو تنافق وترائي فينافقون. قال ابن قتيبة كانوا ارادوا ان تعبد الهتهم مدة ويعبدون الله مدة. قوله تعالى

ولا تطع كل حلاف مهين . هذا تحذير للنبي صلى الله عليه وسلم عن الركون اليهم والحلاف كثير الحلف بالباطل
والمهين فعيل من المهانة وهي الحقارة والضعف في الراي والتمييز قيل ان المراد به الوليد بن المغيرة المخزومي
كان قد عرض على النبي صلى الله عليه وسلم المال ليرجع عن دينه . وسمي مهينا لاستحلاله الكذب والحلف على الصدق ثم كانت الاية
عامة في كل من كان على طريقته . وقيل المراد به الاسود بن عبد يغوث . وقيل الاخنس بن شريق قوله تعالى همّاز
مشاء بنميم الهماز العياب الطعان للناس مشاء بنميم . اي يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم وقيل الهماز
الوقاع في الناس العايب لهم بما ليس فيهم والنمام بمعنى القتات . قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات قوله تعالى
مناع للخير اي كثير المنع للخير وكان الوليد بهذه الصفة . كان يمنع الناس من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم . وكان يمنع اهله
وولده والحمية عن الاسلام . ويقال المناع للخير البخيل الذي هو شديد المنع للحقوق الواجبة في المال قوله تعالى
معتد اثيم . المعتدي هو الغشوم الظلوم على عباد الله . والاثيم الكذاب الذي هو كثير الاثم قوله تعالى عتل بعد
ذلك زنيم . العتل شديد الخصومة بالباطل . وقيل هو الشديد الخلق اكول شروب رحيب البطن صحيح الجسم لا يطيقه
ويحيى عنده . ويمنع رفده . ماخوذ من العتل . وهو الشدة في الجسم والعتل شديد الخلق فاحش الخلق . وقيل هو
الجافي القاسي اللئيم العسر الشحيح . وقال الكلبي هو الشديد في كفره . قوله تعالى بعد ذلك زنيم . اي مع ما وصفناه
به زنيم . وقيل معناه عتل مع ذلك زنيم . والزنيم الملصق في القوم وليس منهم . قال الشاعر
زنيم ليس يعرف من ابوه . بغي الام ذو حسب لئيم . وعن ابن عباس في قوله تعالى زنيم . قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة
بزنمتها . قال ابن عباس معنى قوله تعالى زنيم اي هو مع كفره دعي في قريش وليس منهم قيل انما ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة
سنة . وقال علي بن ابي طالب الزنيم الذي لا اصل له قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله تعالى وصف احدا ولا بلغ من ذكر عيوبه
ما بلغ من ذكر عيوب الوليد بن المغيرة لانه وصفه بالحلف والمهانة والعيب للناس والمشي بالنميمة والبخل والظلم
والاثم والجفاء والدعوة فلحقته عار لا يفارقه في الدنيا والاخرة . وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة
جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم فقيل له يا رسول الله ما الجواظ قال الذي جمع ومنع تدعوه لظى نزاعة للشوى
قيل ما الجعظري قال الفظ الغليظ . قيل ما العتل الزنيم قال الشديد الخلق الرحيب البطن ظلوم للناس وقال صلى الله
عليه وسلم تبكي السماء من رجل اصح الله تعالى جسمه فرحب جوفه واعطاه الدنيا فكان للناس ظلوما فذلك العتل الزنيم
قال وتبكي السماء من الشيخ الزاني ما يكاد الارض تقله . وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده وان اولاد الزنا يحشرون يوم القيمة في صورة القردة والخنازير
وقال صلى الله عليه وسلم لا تزال امتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا . فاذا فشا فيهم ولد الزنا فيوشك ان يعمهم الله بعذاب
وقال عكرمة اذا كثر اولاد الزنا قل المطر قوله تعالى ان كان ذا مال وبنين . معناه لا تطعه لان كان ذا
مال وبنين . اي لا تطعه لماله وبنيه وكان له تسعة من بنعة الاف مثقال من فضة وكان له بنون عشرة وكان يقول
لهم من اسلم منكم فلا يدخل داري ولا انفعه بشيء ابدا . قرا ابن عامر ويعقوب آان كان ذا مال وبنين بالمد وقرا حمزة
وعاصم ءان كان بهمزتين . وقرا غيرهم على الخبر فمن قرا بالاستفهام فمعناه الان كان ذا مال وبنين تطيعه . ويجوز ان
يكون راجعا الى ما بعده والمعنى الاجل ان صار ذا مال وبنين قوله تعالى اذا تتلى عليه اياتنا . وهو القران
اي ان يقبلها . وقال هذه اساطير الاولين اي ما كتبه الاولون من احاديثهم فلا يحسن محمد واصحابه قوله تعالى سنسمه
على الخرطوم . اي سنسمه بالسواد على الانف . وذلك انه يسود وجهه قبل دخول النار . والمعنى سنجعل له
علامة يعرفه بها جميع اهل القيمة . ويقال سنسمه سمة لا يفارقه اخر الدهر . اي يلحقه به عار يبقى ذلك عليه
ابدا كما تعرف الشاة اذا سمتها . والخرطوم الانف . وقال الضحاك سنكتبه على وجهه قوله تعالى
انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون
معناه انا امتحنا اهل مكة بالجوع والقحط . والقتل والسبي كما امتحنا اهل البستان واراد به بستانا
كان باليمن كان يعرف بالصروان دون صنعا بفرسخين كان يطاه اهل الطريق قد غرسه قوم بعد عيسى عليه
السلام وهم قوم من بعد وقيل من بني اسرائيل وكانوا مسلمين باليمن ورثوا هذا البستان من ابيهم وفيه زرع
ونخيل وكان ابوهم يجعل مما فيه حظا للمساكين عند الحصاد والصرام فلما مات ابوهم ورثوه وكانوا ثلاثة فقالوا
ان المال قليل والعيال كثير . ولا يسعنا ان نفعل ما كان يفعل ابونا يفعل ذلك لان المال كان كثيرا والعيال
قليل . فعزموا على حرمان المساكين . فتحالفوا بينهم يوما ليغدوا غدوة قبل خروج الناس ليقطعن ثمر نخلهم
اذا اصبحوا بسدفة من الليل من غير ان يشعر بهم المساكين ولا يستثنون اي لا يقولون ان شاء الله تعالى
وذلك قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين اي ليقطعن ثمرها مصبحين اي عند طلوع الفجر قبل ان يخرج المساكين اليه
ولا يستثنون اي ولم يقولون ان شاء الله وروي ان اباهم كان ياخذ من هذا البستان قوت سنة لنفسه وكان
يتصدق بما بقي على المساكين . وقيل انه كان يترك لهم ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس وكان يبسط تحت النخلة اذا صرمت
فقال بنوه بعد موته نحن جماعة وان فعلنا ما كان يفعله ابونا ضاق علينا فحلفوا ليصرمنها مصبحين لئلا يصل المساكين
منها شيء ولا يستثنون . وانما شبه اختبار اهل مكة باختبار اهل البستان ان ابا جهل كان قال يوم بدر قبل القتال
اقسمنا بالله لناخذنهم اخذا ولم يستثن . فقال صلى الله عليه وسلم حين لعنه الحمر اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها
سنين كسني يوسف وكان هذا الدعا بعد وقوع الهزيمة على الكفار . فابتلاهم بالجوع والقحط سبع سنين حتى اكلوا العظام
المحرقة قوله تعالى فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون . وذلك انهم لما تحالفوا تلك
الليلة على ان يصرموها مصبحين سلط الله على بستانهم بالليل نارا فاحرقته وهم نائمون ولا يكون الطائف الا بالليل
فاصبحت كالصريم . اي كالليل المظلم سودا محترقة . والصريمان الليل والنهار لانصرام احدهما من الاخر . وقيل سمي
الليل صريما لانه يقطع بظلمته عن التصرف في الامور . فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم
ان كنتم صارمين . اي صاحوا عند طلوع الفجر ينادي بعضهم بعضا ان اغدوا الى بستانكم وزرعكم
ان كنتم قاطعين للثمار والاعناب والزرع قبل ان يعلم المساكين . فانطلقوا وهم يتخافتون اي وخرجوا
مسرعين يتخافتون اي يسرون الكلام فيما بينهم ويتسارون فيما بينهم . ان لا يدخلنها اليوم عليكم
مسكين . تحالفهم على الثمرة ان لا يطعمها احد من المحتاجين . والمعنى انهم
كانوا يتسارون يقول بعضهم لبعض لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين . والتخافت . هو اخفا الحركة . والخفوت
السكون قوله تعالى وغدوا على حرد قادرين . اي على قصد منع الفقرا
قادرين في زعمهم على اخراج ما في جنتهم من الثمار دون الفقرا وهم لا يعلمون انها قد احترقت ليلا
وهم نائمون . وقيل ان الحرد هو المنع والغضب والحنق على المساكين . وقيل الحرد هو الحقد
وقيل الغيظ . فلما راوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون . معناه فلما
راوا جنتهم عند الصباح سودا محترقة قالوا انا قد ضللنا الطريق وليست هذه جنتنا . فلما انعموا النظر
عرفوها فعلموا انها عقوبة فقالوا بل نحن محرومون اي حرمنا ثمرة جنتنا بمنعنا المساكين وما اخطانا
الطريق اليها قوله تعالى قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون . اي قال
اعدلهم وافضلهم . وقيل اوسط الثلاثة سنا . قال لهم الم اقل لكم هلا تستثنون في حلفكم وقد
كان قال لهم ذلك عند قسمهم . وانما اقيم لفظ التسبيح مقام الاستثنا لان في الاستثنا تعظيم الله تعالى
والاقرار بان احدا لا يقدر بفعل فعلا الا بمشيئة الله تعالى . ويقال كان استثنا القوم في ذلك الزمان
التسبيح . ويجوز ان يكون معنى قدرة الله تعالى التسبيح ههنا هلا تنزهون الله وتستغفرونه من سوء نياتكم . قالوا
عند ما راوا من قدرة الله تعالى سبحان ربنا اي ننزهه لربنا ونعظمه واستغفارا له انا كنا ظالمين لانفسنا

بما عزمنا عليه من الذهاب بحقوق الفقراء ومنعنا لهم قوله تعالى فأقبل بعضهم على
بعض يتلاومون . أي أقبلوا اللوم بعضهم بعضا ما كان منهم من منع المساكين
قال كل واحد منهم لصاحبه هذا من عملك وأنت الذي بدأت بذلك ثم قالوا باجمعهم
يا ويلنا إنا كنا طاغين . حتى لم نصنع ما صنع أبونا من قبل والطاغي المتجاوز عن الحد
ثم رجعوا الى الله ورجوا منه العقبى وسألوه ان يبدلهم خيرا منها فقالوا . عسى ربنا
أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون . أي نرغب إليه ونرجو ونرجو منه الخلف
في الدنيا والثواب في الآخرة قوله تعالى كذلك العذاب . أي هكذا العذاب في
الدنيا لمن منع حق الله تعالى وكفر بنعمة الله تعالى . ولعذاب الآخرة أكبر واسوأ يعني
كفار مكة . لو كانوا يعلمون . ان الذي يحق بهم الله تعالى به حق قوله تعالى إن للمتقين
عند ربهم جنات النعيم أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون
وذلك ان عتبة بن ربيعة كان يقول ان كان ما يقوله محمد حقا في النعيم في الآخرة لنكونن افضل منهم
في الآخرة كما فضلنا عليهم في الدنيا . فأنزل الله تعالى هذه الآية لبيان ان جنات النعيم في الآخرة
خاصة للذين يتقون الشرك والفواحش . قوله تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين هذا استفهام
ومعناه الانكار والتوبيخ قوله تعالى ما لكم كيف تحكمون . انكار عليهم ايضا لما حكموا به التسوية بين
أهل الثواب كأهل العقاب قوله تعالى أم لكم كتاب فيه تدرسون . أي ألكم يا
أهل مكة كتاب من الله تقرؤون . إن لكم فيه . في ذلك الكتاب . ما تخيرون . قوله تعالى
أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون . معناه ألكم علينا
عهود وثيقة الى يوم القيامة بأن لكم ما تقضون لأنفسكم من الخير والكرامة وانما كسرت إن في هاتين
الآيتين لدخول اللام في خبرهما . ثم قال الله تعالى لنبيه عليه السلام . سلهم أيهم بذلك زعيم
أي سلهم يا محمد أيهم كفيل لهم بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين والزعيم هو الكفيل الضامن قوله تعالى
أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين . معناه ألهم فيما يقولون شهداء وعون
عليه فليأتوا بشركائهم يشهدون لهم بذلك ان كانوا صادقين في مقالتهم وأراد بالشركاء الأصنام التي
أشركوها بالله قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون
معناه يوم يكشف عن ساق أي عن الأمور الشدائد وهو يوم القيامة وهذا مما كثر استعماله في كلام العرب على معنى
يوم يشتد الأمر كما يشتد ما يحتاج اليه الى ان يكشف فيه عن ساق ومن ذلك قولهم قامت الحرب على ساق
وان لم يكن للحرب ساق . وانتصب قوله يوم يكشف على الظرف لقوله فليأتوا بشركائهم في ذلك اليوم
لتنفعهم أو تشفع لهم . وعن عكرمة قال سئل ابن عباس عن قوله تعالى يوم يكشف عن ساق . فقال اذا خفي عليكم
شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب . اما سمعتم قول الشاعر
والخيل تعدو واعتد وثبت الاشراق . وقامت الحرب بنا على ساق
أي يوم القيامة يوم كرب وشدة . وقال ابن قتيبة أصل هذا أن الرجل اذا وقع في أمر
عظيم يحتاج الى الجد فيه شمر عن ساقه . فاستعير الكشف عن الساق في موضع الشدة .
وقال دريد بن الصمة يرثي أخاه .
كميش الإزار خارج نصف ساقه . صبور على العلات طلاع أنجد .
ويقال للأمر اذا اشتد وتفاقم وتراكب غمه وكشف عن ساقه ومعنى الآية يوم يشتد الأمر كما يشتد

ما

ما يحتاج اليه الى ان يكشف عن ساق قوله تعالى خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة . قال المفسرون
يسجد الخلائق كلهم سجدة واحدة ويبقى الكفار والمنافقون يريدون ان يسجدوا فلا يستطيعون . كما روي
ان أصلابهم تصير يومئذ عظما مثل صياصي البقر يعني قرونها . ويقال يأمر الله اهل القيامة بالسجود في
الآخرة فمن كان يسجد له في الدنيا قدر على السجود في الآخرة ومن لا فلا فيكون ذلك امارة يتميز
بها المؤمن من الكافر . قوله تعالى خاشعة ابصارهم أي ذليلة وذلك حين عاينوا النار فايقنوا
بالعذاب . وقوله تعالى ترهقهم ذلة أي تغشاهم ذلة الندامة والحسرة وتعلوهم كآبة وحزن
وسواد الوجوه قوله تعالى وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون . يعني
وقد كانوا يدعون بالأذان في الدنيا ويؤمرون بالصلوة المكتوبة وهم سالمون أي معافون
ليس في أصلابهم مثل سفافيد الحديد قوله تعالى فذرني ومن يكذب بهذا الحديث .
أي خل بيني وبين من يكذب بهذا القرآن لا يشتغل قلبك به كله الي فإني اكفيك أمره قوله تعالى
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . أي كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وانسيناهم شكرها
ثم أخذناهم بغتة قوله تعالى وأملي لهم إن كيدي متين . قد تقدم تفسيره . قوله تعالى
أم تسألهم أجرا . أي أتسألهم أجرا يا محمد على ما تدعوهم اليه من الايمان فهم من المغرم
الذي يلزمهم بإجابتك مثقلون فيمتنعون عن الاجابة بسببه قوله تعالى أم عندهم الغيب
فهم يكتبون . أي أعندهم الوحي بانك على الباطل وانهم على الحق فيكتبون ذلك الوحي على تبليغ الوحي
ويحاجونك به قوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت . أي اصبر يا محمد على
تبليغ الوحي والرسالة ولا تكن في الضجر والعجلة كصاحب الحوت يونس عليه السلام . والمعنى لا تضجر
فيما يلحقك من الأذية من جهتهم كما ضجر صاحب الحوت فخرج من بين ظهرانيهم قبل ان يأذن الله له حتى التقمه الحوت
فنادى وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قوله تعالى وهو مكظوم . أي
مملوء غما . لولا أن تداركه نعمة من ربه . بقبول توبته . لنبذ بالعراء وهو مذموم . أي لالقي من
بطن الحوت على وجه الارض . وقيل معناه لنبذ بالعراء وهو مذموم ولكن الله قبل توبته فنبذ وهو غير مذموم
قوله تعالى فاجتباه ربه أي اختار يونس بالنبوة والاسلام . فجعله من الصالحين
بقبول توبته ورد اليه الوحي وشفعه في قومه قوله وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر
اختلفوا في معنى ذلك . قال بعضهم كان من عادة العرب انهم اذا حسدوا انسانا جوعوا ثلاثة ايام ثم يخرجوا عليه فقالوا
ما احسنك ما اجملك ما كذا ما كذا ليصيبوه باعينهم فتواطئوا على ان يفعلوا ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم
فدفع الله عنه كيدهم وشرهم وقيل ان العين كانت في بني اسد حتى ان الناقة السمينة كانت تمر باحدهم فيعاينها ثم يقول
يا جارية خذي المكتل والدرهم واذهبي ائتينا بلحم من هذه فما تبرح ان تخر من ساعتها . وقال الكلبي كان
رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول فيها ما يعجبه .
فلا تذهب الا قريبا حتى تسقط لوقتها . فسأل الكفار هذا الرجل ان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعينه ويفعل به مثل ذلك فأجابهم الى ذلك فعصم الله تعالى نبيه وحفظه عنهم وانزل الله هذه الآية
وروي ان الكفار كانوا يقصدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصيبوه بالعين . وكانوا ينظرون
اليه نظرا شديدا بالعين . وقال الزجاج معنى الآية ان الكفار كانوا من شدة بغضهم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ينظرون اليه نظر البغضاء والمعنى يكاد الكفار ينظرون اليك ان يصرعوك . وقرأ نافع ليزلقونك بفتح
الياء وبعضهم بالضم وزلقته مثل حزنته وحزنته وقرأ الباقون ليزلقونك من ازلقه عن موضعه اذا نحاه وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال العين حق ولو كان شيء يسبق القدر لسبقت العين . وقال ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل

الذكر. وقيل معنى الآية وإن يكاد الذين كفروا من شدة إبغاضهم وعداوتهم لك ليسقطونك فيصرفونك عما أنت عليه
من تبليغ الرسالة ويزلقونك عن المقام الذي أقامك الله تعالى فيه. ويقولون إنه لمجنون أي لما أعيتهم
الحيلة عن صرف الناس عنك نسبوك إلى الجنون مع علمهم بخلاف ذلك. وما هو إلا ذكر للعالمين
يعني القرآن وذلك أنهم كانوا يكرهون القرآن أشد الكراهة فيحدون النظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين يتلوه بالبغضاء وكانوا
ينسبونه إلى الجنون إذا سمعوه يقرأ القرآن فقال الله تعالى وما هو إلا ذكر للعالمين أي القرآن الذي يقرؤه عليهم عظة
للخلائق كلهم

سورة الحاقة اثنان وخمسون آية مكية

وهي ألف وأربعة وثمانون حرفا ومائتان وست وخمسون كلمة واثنان وخمسون آية قال صلى الله عليه وسلم من قرأها حاسبه
الله حسابا يسيرا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة ما الحاقة اسم من أسماء القيامة سميت حاقة لأنها حقت فلا كاذبة لها ولأن فيها حواق الأمور وحقائقها
وفيها يحق الجزاء على الأعمال أن يجب يقال حق عليه الشيء إذا وجب. قال الله تعالى ولكن حقت كلمة العذاب على
الكافرين. ولا يكون في القيمة إلا حقائق الأمور. وقوله تعالى ما الحاقة استفهام بمعنى التفخيم لشأنها كما تقول
زيد ما هو على التعظيم لشأنه ثم زاد في التهويل فقال وما أدراك ما الحاقة أي كأنك لست تعلمها إذ لم
تر ما فيها من الأهوال قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة أي كذبوا بالقيمة فأهلكهم الله
والقارعة من أسماء القيمة سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بالأهوال والمخافة قوله تعالى فأما ثمود فأهلكوا
بالطاغية أي بطغيانهم وكفرهم هذا قول ابن عباس ومجاهد وقال آخرون يعني أهلكوا بالصيحة الطاغية وهي التي
جاوزت الحد والمقدار قوله وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية أي بريح باردة شديدة البرد جدا
بالغة منتهاها في الشدة والصر شدة البرد. والصرصر ما يكرر فيه البرد الشديد كما يقال صل اللجام إذا صوت
فإذا أكثر صوته قيل صلصل والعاتية من قولهم عتا النبت إذا بلغ منتهاه في الجفاف ومن ذلك قوله تعالى وقد بلغت
من الكبر عتيا وقيل معناه عاتية عتت على خزانها فلم يكن لهم عليها سبيل ولم يعرفوا كم خرج منها قوله تعالى سخرها عليهم سبع
ليال وثمانية أيام حسوما أي متتابعة لا ينقطع أوله عن آخره كما يتابع الإنسان الكي على المقطوع ليحسم دمه أي يقطعه
وفي الحديث أن هذه الريح التي أصابتهم كانت قطعة من زمهرير جهنم على قدر ما يخرج من حلقة الخاتم. قال
وهب هذه الأيام التي أرسلت فيها الريح على عاد هي أيام العجوز ذات برد ورياح شديدة وانقطع العذاب
اليوم الثامن وقيل سميت أيام العجوز لأنها في عجز الشتاء. ولها أسامي مشهورة معروفة في كتب اللغة. فترى القوم فيها
صرعى معناه فترى أيها الرائي القوم في تلك الأيام والليالي صرعى ساقطين بعضهم على بعض موتى كأنهم أعجاز نخل
خاوية أي كأنهم أصول نخل ساقطة بالية قد نخرت وتآكلت وفسدت والصرعى جمع صريع نحو قتيل وقتلى
فهل ترى لهم من باقية. أي هل ترى لهم من نفس باقية قائمة والمعنى لم يبق منهم أحد إلا أهلكته الريح قوله
تعالى وجاء فرعون ومن قبله. قرأ أبو عمرو والحسن والكسائي ويعقوب قبله بكسر
القاف وفتح الباء. ومعناه وجاء فرعون ومن يليه من جنوده وأتباعه وجموعه. وقرأ الباقون بفتح القاف
وإسكان الباء. ومعناه ومن قبله أي تقدمه من القرون الخالية قوله تعالى والمؤتفكات بالخاطئة
يعني قوم لوط انقلبت قراهم بأهلها حين خسف بهم وجاؤوا بالخطأ العظيم وهو الشرك بالله قوله تعالى
فعصوا رسول ربهم يعني لوطا عليه السلام. وموسى عليه السلام. والمعنى فعصوا رسل ربهم
إلا أنه وحد الرسول لأنه قد يكون مصدرا وأقيم مقام لفظ الجماعة قوله تعالى فأخذهم أخذة رابية
أي زائدة مزيدة على الأخذات التي كانت فيمن قبلهم ومنه الربوة للمكان المرتفع. ومنه الربا لما فيه من الزيادة قوله
تعالى إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية. معناه لما جاوز الماء القدر وارتفع حد أيام الطوفان

في زمن

في زمن نوح عليه السلام حتى علا الماء على كل شيء وارتفع حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم في السفينة الجارية
التي تجري على الماء. وسمي ارتفاع الماء في ذلك اليوم طغيانا لخروجه في ذلك اليوم عن طاعة خزانه وقال لا
قطرة من السماء إلا وعلم الملائكة محيط بها إلا في ذلك اليوم قوله تعالى لنجعلها لكم تذكرة. أي لنجعل
تلك الأحدوثة وتلك السفينة بما كان من الغرق لقوم نوح والنجاة له والمؤمنين معه عظة يتعظ بها الخلق ولا يفعلوا ما
كان القوم يفعلونه قوله تعالى وتعيها أذن واعية. أي تحفظها وتسمعها أذن حافظة لما جاء من عند الله
قال قتادة سمعت وعقلت ما سمعت. وقال الفراء لتحفظها كل أذن فتكون عظة لمن يأتي بعدك. قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم سألت الله تعالى أن يجعلها أذنك يا علي قال علي فما نسيت بعد ذلك وفي تفسير النقاش أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين نزلت وتعيها أذن واعية أخذ بأذن علي رضي الله عنه وقال هي هذه قوله فإذا نفخ في الصور نفخة
واحدة. قال عطاء يريد النفخة الأولى وقال الكلبي ومقاتل النفخة الثانية والنافخ هو إسرافيل وأكثر المفسرين
على أنها النفخة الأولى التي تكون للموت قوله تعالى وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة
أي حملها الملائكة الموكلون بها فيضربون الأرض بالجبال والجبال بالأرض دفعة واحدة فتصير الأرض والجبال هباء منبثا
قال الحسن تصير غبرة تغشى وجوه الكفار والدك هو الكسر والدق والمعنى دقتا وكسرتا كسرة واحدة لا تثنى
وقيل الدك البسط بأن يوصل بعضها إلى بعض حتى يندك ومنه الدكان واندك سنام البعير إذا انفرش في ظهره قوله
فيومئذ وقعت الواقعة. أي قامت القيامة. وانشقت السماء من هيبة الرحمن. فهي يومئذ
واهية. أي ضعيفة جدا لا تستمسك يومئذ لانتقاض بنيتها قوله تعالى والملك على
أرجائها. أي على أطرافها ونواحيها واحدها أرجا مقصور وتثنيته رجوان قال الضحاك إذا كان يوم
القيمة أمر الله سماء الدنيا فتشققت وتكون الملائكة على جوانبها حتى يأمرهم الله تعالى فينزلون إلى الأرض فيحيطون
بالأرض ومن عليها كما قال الله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا لفظ الملك واحد والمراد به اسم الجنس ٥
قوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية. قال ابن عباس ثمانية صفوف
من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم تحمله أربعة. وإذا كان يوم القيمة
أيدهم الله بأربعة أخرى فكانوا ثمانية. وقال بعضهم ثمانية من الملائكة على صورة الأوعال من أظلافهم إلى ركبهم
كما بين السماء والأرض قوله تعالى يومئذ تعرضون. أي تعرضون للحساب. لا تخفى
منكم خافية نفس. ولا يخفى عليه من أعمالكم شيء قرأ الكوفيون غير عاصم لا يخفى
بالياء وقرأ الباقون بالتاء وقيل معنى قوله تعالى لا تخفى منكم خافية أي لا يخفى منكم نفس خافية قوله تعالى
فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه. وهم أهل الثواب يعطون كتبهم بأيمانهم
فيقول كل واحد منهم للناس سرورا بالكتاب تعالوا اقرؤوا ما في كتابيه من الثواب والكرامة وهذا كلام
من بلغ الغاية في السرور ومعنى هاؤم أي هلموا أصحابي اقرؤوا كتابيه. قال ابن السكيت يقال
ها يا رجل وهاؤما يا رجلان وهاؤم يا رجال. والأصل هاكم فحذف فيه الكاف وأبدلت منها همزة والفتحة
الكاف عليها. وعن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يعطى كتابه من هذه الأمة عمر بن
الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس فقيل له فأين أبو بكر قال هيهات زفته الملائكة إلى الجنة وعن عائشة رضي الله
عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة كل الناس يحاسبون يوم القيمة إلا أبا بكر فهو في عيشة راضية
مرضية قوله تعالى إني ظننت أني ملاق حسابيه. معناه إني علمت وأيقنت
في الدنيا أني أحاسب في الآخرة وكنت أستعد لذلك. وسمي اليقين ظنا لأنه علم غيب لا علم شهادة ففيه
طرف من الظن ولذلك قال علي عليه السلام ليس الخبر كالمعاينة قوله تعالى فهو في عيشة راضية

أي في حالة من العيش مرضية يرضاها بأن لقي الثواب وأمن العقاب . ومعنى راضية أي مرضية كقولهم ماء
دافق . في جنة عالية المنازل رفيعة البنا قطوفها دانية . أي ثمارها قريبة ممن يتناولها وهي جمع قطف وهو
ما اقتطف من الثمار . والمعنى ثمارها قريبة ينالها القائم والقاعد والمضطجع لا يمنعهم من تناولها بعد ولا شوك . ويقال لهم
كلوا واشربوا هنيئا . أي كلوا واشربوا في الجنة هنيئا بما قدمتم في الأيام الماضية من الأعمال الصالحة
وهي الأيام الماضية أيام الدنيا والهنيء ما لا يكون فيه أذى من بول ولا غائط ولا يعقبه داء ولا موت .
وكان ابن عباس يقول المراد بقوله . بما أسلفتم في الأيام الخالية . الصوم في الأيام الحارة . كما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن من أبواب الجنة بابا يدعى الريان من دخله لم يظمأ أبدا . يدخله
الصائمون ثم يغلق عليهم ولا يدخل معهم غيرهم . ويقال إن الله عز وجل يقول يوم القيمة يا أوليائي طال ما
نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم من العطش . وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم
فكلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية . قوله تعالى وأما من أوتي كتابه بشماله . قال
ابن السائب يلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه . وقيل ينزع من صدره إلى خلف ظهره . فيقول
يا ليتني لم أوت كتابيه . قال الكلبي رحمه الله تعالى نزلت الآية الأولى في أبي سلمة بن عبد الأسد
زوج أم سلمة وكان مسلما يعطيه الملك كتابه بيمينه صحيفة منشورة يقرأ سيئاته في باطنها . ويقرأ الناس حسناته
في ظاهرها . فإذا بلغ آخر الكتاب وجدها قد غفرت له . فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه . ثم صارت عامة للمسلمين قال
الكلبي رحمه الله تعالى ونزلت هذه الآية الثانية في أخي أبي سلمة وهو الأسود بن عبد الأسد . وكان كافرا يعطيه
الملك الذي كان يكتب أعماله كتابا من وراء ظهره فيجد حسناته غير مقبولة . وسيئاته غير مغفورة فيسود
وجهه ويقول يا ليتني لم أوت كتابيه وهو عام في كل كافر يعطى الكافر يومئذ أنه لم يعط كتابه ولم يعلم ما
حسابيه تحسرا على ما كان منه من الكفر والقبائح والهاء في كتابيه وحسابيه هاء الوقف والاستراحة ولذلك
يوقف عليها كما في قوله تعالى وما أدراك ما هيه . قوله تعالى يا ليتها كانت القاضية . معناه يا ليت الموتة
الأولى كانت ماضية على الدوام قال الحسن يتمنون الموت يومئذ ويحبونه وكان من أكره الأشياء إليهم في الدنيا . ويقال
إن الهاء في قوله يا ليتها كناية عن الصحيفة التي أخرجت من قبل يقول يا ليتها قضت علي فاستريح قوله تعالى ما أغنى
عني ماليه . أي لم يغنني كثرة مالي الذي جمعت في الدنيا لأوقات الشدائد والكرب لا يمكنني أن أفتدي به نفسي
ولم أعمل منه شيئا لهذا اليوم بل فرقته فيما لا يحل وخلفته للوارث ولم يدفع عني من عذابك شيئا قوله تعالى
هلك عني سلطانيه . أي ضلت عني حجتي حين شهدت علي جوارحي بالشرك وبجميع ما عملت في الدنيا
وقيل معنى السلطان العز والأمر والنهي بطل عنه كل ذلك وصار أسيرا لا يقدر على دفع العذاب عن نفسه يقول الله
تعالى خذوه . أي يقول الله تعالى للزبانية الموكلين بتعذيبه خذوه فغلوه فيثبون عليه فيأخذونه ويجعلون الغل في أعناقهم
ويروى أنه يثب عليه من جهنم ألف ملك من الزبانية فيأخذونه فيتقطع في أيديهم . فلا يرى في أيديهم غير الودك
ثم يعاد خلقا جديدا فيجعلون الغل في عنقه ويجمعون أطرافه إلى الغل الذي يجعلونه في عنقه ثم يقذفونه في الجحيم
حتى يستوقد فيه النار فذلك قوله تعالى ثم الجحيم صلوه . أي أدخلوه والزموه الجحيم قوله
تعالى ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه . السلسلة
حلق منتظمة ذرعها سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد ما بين الكوفة ومكة . قال الحسن الله
أعلم بأي ذراع هو . وقال ابن أبي نجيح بلغني أن أهل النار في تلك السلسلة . وقوله تعالى فاسلكوه أي
أدخلوها في دبره وأخرجوها من فيه وألقوا ما فضل منها على عنقه يقال سلكت الخيط في الإبرة إذا أدخلته
فيه وتقول العرب أدخلت الخاتم في أصبعي والقلنسوة في رأسي ومعلوم أن الأصبع هي التي تدخل في الخاتم

الخاتم ولكنهم أجازوا ذلك لأن معناه لا يشكل . وفائدة السلسلة أن النار إذا رمت بأهلها إلى أعلاها جذبتهم
الزبانية بالسلاسل إلى أسفلها . قال ابن عباس لو وضعت حلقة من تلك السلسلة على ذروة جبل لذاب كما يذوب
الرصاص ولو جمع حديد الدنيا كلها ما وزن حلقة واحدة من حلق تلك السلسلة . وقال الكلبي معنى قوله تعالى
فاسلكوه أي يسلك السلسلة فيه كما يسلك الخيط في اللؤلؤ . قوله تعالى إنه كان لا يؤمن بالله العظيم
أي لا يصدق بتوحيد الله وعظمته وفيه بيان أن هذا النوع من العذاب لا يكون إلا للكفار قوله تعالى
ولا يحض على طعام المسكين . أي لا يطعم المسكين في الدنيا ولا يأمر أهله بذلك وفيه بيان
أيضا أنه لا يستحق جميع العذاب بمجرد الكفر بل يستحق بعضه بذنوب غير الكفر وهو ترك الحض على طعام المسكين وهذا
راجع إلى منع الحقوق الواجبة في الشرع مثل الزكوة ونحوها وفيه دليل أن الكافر يؤاخذ بالشرعيات في الآخرة
ولا طعام يشبعه . إلا من غسلين . وهو ما يسيل من أجسام أهل النار من الصديد والقيح والدم وكل ما
يخرج غسالة فيخرج منه شيء فهو غسلين قال ابن عباس لو أن قطرة من الغسلين وقعت في الأرض لأفسدت
على الناس معايشهم قوله تعالى لا يأكله إلا الخاطئون . أي لا يأكله إلا من يخطي
وخطاؤهم الشرك . وعن عكرمة قال قرأنا عند ابن عباس لا يأكله إلا الخاطيون . فقال مه كلنا نخطي والخاطي
في الإثم ضد الصواب لا ضد العمد . والذي ذكره الله في السورة طعام إلا من ضريع لا يخالف ما في هذه الآيات
لأن النار دركات . فمنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الضريع . ومنهم من طعامه الزقوم
قوله تعالى فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون معناه
أقسم بما تشاهدون مما في السماء والأرض وبما لا تشاهدون مما وراء السماء والأرض أن هذا القرآن لقول
جبريل عليه السلام يؤديه إلى محمد صلى الله عليه وسلم . والقرآن قول فأقسم الله على ذلك بجميع ما خلق وهو
أعظم القسم وذكر في أول الآية لا وذلك تقديره لا في القسم كما يقال لا والله لا أفعل كذا . ويجوز
أن يكون لا ههنا صلة في الكلام المؤكد ويجوز أن يكون ذكر مقالة الكفار عليهم وهو قول الفراء والمعنى
ليس كما يقول المشركون أقسم بما تبصرون قوله تعالى وما هو بقول شاعر قليلا ما
تؤمنون . أن القرآن من عند الله وأراد بالقليل نفي إيمانهم أصلا . ولا بقول كاهن
قليلا ما تذكرون . أي ما تتعظون . والكاهن هو المنجم وقيل هو الذي يوهم معرفة الأصول بما
يزعم أن له خدنا من الجن قوله تعالى تنزيل من رب العالمين . معناه ولكنه تنزيل
من رب العالمين أي خالق الخلق أجمعين على محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ولو تقول علينا
بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين . معناه لو اخترع علينا محمد صلى الله عليه وسلم بعض هذا
القرآن وتكلف القول من تلقاء نفسه ما لم نقل لأخذنا منه بقوتنا وقدرتنا عليه ثم أهلكناه واليمين تذكر ويراد
بها القوة . قال الشاعر

إذا ما راية رفعت لمجد . تلقاها عرابة باليمين

ثم لقطعنا منه الوتين . وهو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه
قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين . أي ليس منكم أحد يحجزنا عنه بأن يكون
حائلا بيننا وبين عذابنا المعنى لو تكلف ذلك لعاقبناه ثم لم تقدروا أنتم على دفع عقوبتنا قوله تعالى
وإنه لتذكرة للمتقين . يعني القرآن موعظة لمن اتقى عقاب . وإنا لنعلم أن منكم مكذبين
بالقرآن . وإن هذا القرآن لحسرة على الكافرين في الآخرة يندمون على ترك الإيمان . وإنه لحق اليقين
أي صادق متيقن أنه من الله تعالى لمن تدبر وأنصف . فسبح باسم ربك العظيم
أي سبح الله العظيم ونزهه عما لا يليق به . والله أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة المعارج اربعون واربع ايات

وهي الف ومائة واحد وستون حرفا ومايتان وست عشرة كلمة، واربعة واربعون اية. قال صلى الله عليه وسلم من قراها اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم على صلواتهم يحافظون

بسم الله الرحمن الرحيم

سال سايل بعذاب واقع. نزلت في النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ايتنا بعذاب اليم. والمعنى دعا داع على نفسه بعذاب اليم وذلك العذاب واقع لا محالة لانه للكفرين ليس له دافع يدفعه عنهم فقتل النضر بن الحارث يوم بدر صبرا وهو من الكفرين ولم يقتل يوميذ من الاسارى اسير غيره وغير عقبة بن ابي معيط قوله تعالى من الله ذي المعارج. اي وقوع ذلك العذاب من الله ذي الفواضل والنعم وسميت معارج لانها على مراتب وقيل معناه ذي معالي الدرجات التي يعطيها اولياءه في الجنة وقال الكلبي معناه ذي السموات سماها معارج لان الملايكة تعرج فيها. وقال ابن زيد معنى الاية على قراءة من قرا سال سايل بغير همز اي سال واد من اودية جهنم بعذاب واقع للكفرين ليس له دافع قوله تعالى تعرج الملايكة والروح اليه اي تصعد الملايكة والروح يعني جبريل عليه السلام اليه اي الى الموضع الذي لا يجري لاحد سواه فيه حكم قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين الف سنة. قال عكرمة وقتادة يعني يوم القيمة وعن ابي سعيد قال قيل يا رسول الله ما اطول هذا اليوم يعني يوم القيمة فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا. وقيل معنى الاية تعرج الملايكة والروح اليه في يوم يكون مقداره خمسين الف سنة لعروج غيرهم. وذلك ان من اسفل الارضين السبع الى فوق السموات السبع خمسين الف سنة هكذا روي عن مجاهد. واما قوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون فهو ما بين السماء الدنيا الى الارض في الصعود خمسماية سنة وفي النزول خمسماية سنة وذلك الف سنة مما تعدون لغير الملايكة وقال يمان يعني يوم القيمة فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وفيه تقديم وتاخير كانه قال ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة تعرج الملايكة والروح اليه. وقيل معنى الاية لو جعل الله محاسبة الخلايق الى احد غيره لم يفرغ منه في خمسين الف سنة وهو يفرغ منه في ساعة واحدة لانه سريع الحساب قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا اي اصبر يا محمد على تبليغ الوحي والرسالة وعلى ما يلحقك من الاذية من الكفار والصبر الجميل هو الذي لا يكون فيه جزع ولا شكوى قوله تعالى انهم يرونه بعيدا. اي يرون العذاب بعيدا غير كاين كما يعمر الرجل عن شي فيقال له هذا بعيد اي هذا مما لا يكون. ونريه قريبا. اي صحيحا كاينا لان كل ما هو ات قريب ثم اخبر متى يقع العذاب قوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل اي كالصفر المذاب وقيل كدردي الزيت. وقال الحسن مثل الفضة اذا اذيبت. وتكون الجبال كالعهن اي كالصوف الاحمر وهو اضعف الصوف. ولا يسال حميم حميما. اي لا يسال قريب عن قرابته لاشتغال كل بنفسه من شدة الاهوال وقرا البزي عن ابن كثير ولا يسال حميم بضم اليا اي لا يقال لحميم اين حميمك قال الفراء ولست اشتهي ضم اليا لانه مخالف لجماعة القراء. يبصرونهم. اي يعرف الاقارب اقاربهم ساعة من النهار في ذلك اليوم لا تعارف بعد تلك الساعة يبصر الرجل حميمه بعد ذلك فلا يكلمه والمعنى يعرف الحميم حميمه حين يعرفه ومع ذلك لا يساله عن شانه لشغله بنفسه قوله يود المجرم لو يفتدي من عذاب يوميذ ببنيه وصاحبته واخيه. اي يتمنى الكافر لو

ان يفتدي نفسه من عذاب الله يوميذ باولاده وزوجته واخيه قوله تعالى وفصيلته التي تؤويه اي وعشيرته الاقربين التي تضمه وتاوي اليه وتنصره في المكاره والشدايد ويود ايضا ان يفتدي بمن في الارض جميعا ثم ينجيه ذلك الفدا من العذاب كلا لا ينجيه قوله تعالى انها لظى وهي من اسما النار سميت بهذا الاسم من قولهم تلظى اي توقد والتلظي التلهب الخالص قوله تعالى نزاعة للشوى صفة النار اي كثيرة النزع للاعضاء والاطراف والشوى جمع الشواة وهي المطرف وسمي جلد الراس ايضا بهذا الاسم وفي الحديث ان النار تنزع قحف راسه فتاكل الدماغ كله ثم تعود كما كان فتعود لاكله فذلك دابها ابدا. وقيل ارتفع قوله نزاعة على اضمار هي نزاعة للشوى تنزع البدن والرجلين وساير الاطراف فلا تترك لحما ولا جلدا الا احرقته. تدعوا من ادبر وتولى اي تدعوا النار من اعرض عن الايمان وتولى عن الموحدين وادبر عن الحق تقول الي يا مشرك الي يا منافق الي الي فانت مستقر لي. ثم تدعوا ايضا من جمع المال في الدنيا فحمله واوعاه لم يصل منه رحما ولا ادا منه فريضة ولا انفقه في طاعة الله قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اي طبع ضجرا شديد الحرص مع قلة الصبر وتفسير الهلوع ما ذكر تعالى. اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا. يعني اذا اصابه الفقر والشدة جزع فلم يصبر. ولم يحتسب واذا اصابه ما يسره من المال والسعة منع حق الله تعالى منه ولم يشكر. وعن ابن عباس انه قال الهلوع الذي يرضى عند الموجود ويسخط عند المفقود. وقيل هو الذي يكون [illegible] دعا عند المحن. وهذا كله اخبار عن ما خلق الانسان عليه من جهة الطبع ثم نهاه عن الجزع والمنع ليستحق بذلك جزيل الثواب قوله تعالى الا المصلين الذين هم على صلوتهم دايمون يعني فانهم يغلبون فرط الهلع [illegible] والمعنى الا المصلين الصلوات الخمس ويدومون عليها ولا يدعونها ليلا ولا نهارا وعن ابن حصين ان معناهم الذين لا يلتفتون في صلاتهم يمينا ولا شمالا قوله تعالى والذين في اموالهم حق معلوم يعني الزكاة المفروضة لان ما لا يكون مفروضا لا يكون معلوما قوله للسايل والمحروم. والسايل هو الطواف الذي يسال الناس والمحروم الذي حرم وجوه المكاسب لا يسال ولا يعطا وعن ابن عباس قال هو الذي لا يستقيم له تجارة وقيل هو الذي لا سهم له في الغنيمة. وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحروم فقال هو الذي يحمل كل الناس ولا يحمل كله. ويزكو زرع الناس ولا يزكو زرع نفسه. ويلين للناس ولا يلين له. ووجه استثنا المصلين والمنفقين انهم لا يفعلون ما يفعله الهلوع لكنهم يودون حق الله تعالى فان مداومتهم على طاعة الله تمنعهم من افعال الكفار قوله تعالى والذين يصدقون بيوم الدين اي يوم الحساب. والذين هم من عذاب ربهم مشفقون. اي خايفون حذرون. ان عذاب ربهم غير مامون اي لا يامن وقوعه بمستحقه. والذين هم لفروجهم حافظون. اي لا يرسلونها. الا على ازواجهم. الاية فانهم لا يلامون على ترك حفظ فروجهم عن هولاء فمن ابتغى وطلب في استمتاعه الوطي طريقا غير هذين الطريقين فاوليك هم العادون يتعدون الحلال الى الحرام قوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون يعني والذين هم لاماناتهم التي ايتمنوا عليها في امر الدين والذين هم للعهد الذي بعث به محمد الى الخلق راعون وكل محافظ على شي فهو راع له والامام راع لرعيته. ويدخل في هذه الاية امانات الناس فيما بينهم وعهودهم وعقودهم فيما بينهم قوله تعالى والذين هم بشهاداتهم قايمون اي يقومون بادايها على وجهها ولا يكتمونها وان كانت على انفسهم. والذين هم على صلواتهم يحافظون اي يرعون مواقيتها بحدودها وشروطها والفايدة في اعادة ذكر الصلوة لتعظيم امرها وتفخيم شانها قوله تعالى اوليك في جنات مكرمون معناه الذين استجمعوا هذه الخصال في جنات مكرمون

بالتحف والهدايا . فما للذين كفروا قبلك مهطعين نزلت هذه الآية في المستهزئين وهم خمسة جميعهم من
قبل كانوا يجلسون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستهزئون بالقرآن ويكذبون به فقال الله تعالى ما لهم ينظرون إليك
ويجلسون وهم لا ينتفعون بما يسمعون والمهطع المقبل على الشيء ولا يزايله وكانوا ينظرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم
نظر العداوة غيظا وحنقا . وقيل معنى مهطعين أي مديمين النظر متطلعين نحوك وهو نصب على الحال قوله
تعالى عن اليمين وعن الشمال عزين أي عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن شماله حلقا حلقا . وجماعة جماعة
وعصبة وعصبة . والعزين جماعة في تفرقها واحدها عزة ونظيرها ساه وسين وكان هؤلاء الكفار يقولون إن
كان أصحاب محمد يدخلون الجنة فإنا ندخلها قبلهم فقال تعالى . أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم
كلا لا يكون ذلك . إنا خلقناهم مما يعلمون أي من المقاذر والأنجاس والنطف والعلق فأي شيء
لهم يدخلون به الجنة ومن حكمنا في بني آدم أن لا يدخل أحد منهم الجنة إلا بالإيمان والعمل الصالح فماذا يطمعهم في ذلك
وهم كفار وفي هذا تنبيه على أن الناس كلهم من أصل واحد وإنما يتفاضلون بالإيمان والطاعة عن الحسن
وطلحة يدخل بفتح الياء وضم الخاء ومعنى إنا خلقناهم مما يعلمون أي لا يستوجب أحد الجنة بكونه شريفا لأن
مادة الخلق واحدة بل يستوجبها بالطاعة . قال قتادة في هذه الآية إنما خلقت يا ابن آدم من قذر فاتق الله
وقال بعضهم أي لا ابن آدم الكبر وقد خرج من مخرج البول مرتين ثم يخرج من بطن أمه ملوثا بالدم متلطخا
بوسخه ودرنه قوله تعالى فلا أقسم برب المشارق والمغارب . معناه أقسم برب
مشارق الشمس ومغاربها في الشتاء والصيف يعني مشرق كل يوم ومغربه . إنا لقادرون
على أن نبدل خيرا منهم أي على أن نهلكهم ونأتي بخلق أطوع لله منهم وما نحن بمغلوبين بالفوت
فذرهم يخوضوا ويلعبوا . أي اتركهم يا محمد يخوضوا في أباطيلهم . ويلعبوا في كفرهم
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فيه وهو يوم القيمة فانتقم منهم بأعمالهم وهذا لفظة لفظ
الأمر ومعناه الوعيد وقيل إن هذه الآية منسوخة بآية القتال قوله تعالى
يوم يخرجون من الأجداث . بيان اليوم الذي يوعدون وهو يوم خروجهم من القبور
سراعا نحو الداعي وذلك حين يسمعون الصيحة الآخرة . كأنهم إلى نصب يوفضون
أي إلى علم منصوب لهم يسرعون ويستبقون إلى موضع الحساب . والأجداث جمع الجدث وهو
القبر وكذلك الجدف والسراع جمع سريع . والسريع بمعنى المسرع كالأليم بمعنى المولم والإيفاض
الإسراع يقال وفض وأوفض يوفض إذا أسرع في عدوه قوله تعالى خاشعة أبصارهم
أي يخرجون من القبور ذليلة أبصارهم تعلوهم مذلة وسواد الوجوه . ترهقهم ذلة ذلك اليوم
الذي كانوا يوعدون . فيه العذاب على ألسنة الرسل فلم يصدقوهم . وقرأ زيد
ابن ثابت وأبو رجاء وأبو العالية والحسن وابن عامر إلى نصب بضمتين ومعناه الأصنام التي
كانوا ينصبونها فيعبدونها ويحجون تقربا إليها . والله أعلم

سورة نوح عليه السلام عشرون وثمان آيات

وهي تسعمائة وتسعة وعشرون حرفا ومائتان وأربع وعشرون كلمة وثمان وعشرون آية . قال
صلى الله عليه وسلم من قرأها كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك أي خوفهم من السخط والعذاب إن لم يؤمنوا
بالله . من قبل أن يأتيهم عذاب أليم . وهو الغرق بالطوفان فأتاهم فقال يا قوم إني لكم نذير مبين أي رسول مخوف

بلغة يعرفونها قوله تعالى أن اعبدوا الله واتقوه . أي أرسلت إليكم لتعبدوا وتوحدوه وتأتمروا
بجميع ما أمركم الله تعالى به وتتقوا سخطه وعذابه وتطيعون فيما أبينه لكم عن الله . وقوله يغفر لكم جواب الأمر
أي افعلوا ما أمرتكم به يغفر لكم ذنوبكم ويزيل عقابها عنكم ودخول من في هذه الآية لتخصيص من الذنوب من سائر الأشياء
لا لتبعيض الذنوب كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان ويقال معناه يغفر لكم من الذنوب ما لا تبعة فيه
مظلمة قوله تعالى ويؤخركم إلى أجل مسمى أي يؤجلكم بلا عذاب إلى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم
بغرق ولا بشيء من عذاب الاستئصال إن آمنتم قوله تعالى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر معناه
آمنوا قبل الموت تسلموا من العقوبات والشدائد فإن أجل الله إذا جاءكم لم يمكنكم الإيمان قوله تعالى
لو كنتم تعلمون . أي لو كنتم تصدقون ما أقول لكم قوله تعالى قال رب إني دعوت قومي
ليلا ونهارا . يعني لما يئس نوح من إيمان قومه قال رب إني دعوت قومي إلى التوحيد والطاعة
ليلا ونهارا علانية فلم يزدادوا عند دعائي إلا تباعدا عن الإيمان والجهل الغالب عليهم وإني كلما دعوتهم
إلى طاعتك والإيمان بك . لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا صوتي
واستغشوا ثيابهم . أي غطوا بها وجوههم لئلا يروني . وأصروا . على كفرهم . واستكبروا
عن الحق والإيمان بك قوله تعالى ثم إني دعوتهم جهارا . أي معلنا لهم بالدعاء بأعلى صوتي .
ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا . أي كررت الدعاء معلنا أي معلنا لهم بالدعاء بأعلى صوت والسر
وسلكت معهم في الدعوة كل مذهب وتلطفت كل التلطف . فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا
للذنوب يجمع لكم مع الحظ الوافر في الآخرة الخصب في الدنيا والغناء . ويرسل السماء عليكم
بالمطر مدرارا كثير الدرور وكلما احتجتم إليه . ويمددكم بأموال وبنين
ويجعل لكم جنات في الدنيا بساتين . ويجعل لكم أنهارا تجري على وجه الأرض لمنافعكم
وذلك أن الله تعالى كان قد حبس عنهم المطر حتى لم يبق لهم دابة ولا نبات أخضر وأعقم أرحام النساء وأصلاب
الرجال حتى لم يكن دابة ولا نبات أخضر حتى لم يكن لهم أيضا ولد في مدة سبعين سنة فوعدهم نوح برد ذلك كله عليهم إن
آمنوا والسنة في الاستسقاء تقديم القرب والطاعات والإكثار من الاستغفار كما روي عن عمر رضي الله عنه
أنه خرج للاستسقاء فجعل يستكثر من الاستغفار فقيل له ما سمعناك استسقيت وما زدت على الاستغفار فقال
لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر ثم قرأ استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم
مدرارا وكان بكر بن عبد الله يقول إن أكثر الناس ذنوبا أقلهم استغفارا وأكثرهم أقلهم ذنوبا . وعن
عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا قوله تعالى ما لكم لا ترجون
لله وقارا . أي ما لكم لا تخافون لله عظمة وتفعلون ما أمركم به تعظيما وترجون منه بذلك الثواب ومعنى
ما لكم لا تعلمون حق عظمته فتوحدوه وتطيعوه وقد جعل لكم في أنفسكم آية تدل على توحيده من خلقه إياكم قوله تعالى
وقد خلقكم أطوارا يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم صبيا ثم شابا ثم شيخا وقلبكم في ذلك حالا بعد حال قال ابن
الأنباري الطور الحال وجمعه أطوار قوله تعالى ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا . أي
مطبقة بعضها فوق بعض قوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا . قال ابن عباس وجهه في السماء
إلى الأرض منه ضياء لأهل الأرض قوله تعالى وجعل الشمس سراجا . أي سراجا للعالم يبصرون بها منافع
دنياهم كما أن المصباح سراج الإنسان في البيت المظلم . قال عبد الله بن عمرو وجه الشمس والقمر إلى السموات
وقفاهما إلى الأرض يضيئان في السماء كما يضيئان في الأرض وقيل لعبد الله بن عمرو ما بال الشمس تقلينا أحيانا وتبرد أحيانا
فقال إنها في الصيف في السماء الدنيا وفي الشتاء في السماء الرابعة فلو كانت في السماء الدنيا لما قام لها شيء قوله تعالى
والله أنبتكم من الأرض نباتا . يعني مبتدأ خلق آدم فهو خلق من الأرض والناس أولاده وتمام في هذا الموضع الخ

من ابنا كانه قال انبتكم منه نباتا ونبات ما يخرج من الارض حال. **قوله تعالى** ثم يعيدكم فيها اي يعيدكم في الارض بعد الموت يعني تقبرون فيها ويخرجكم منها اخراجا عند النفخة الاخرة والبعث. قوله تعالى والله جعل لكم الارض بساطا اي فرشها وبسطها لكم كهيئة البساط تستقرون عليها وتتصرفون فيها جعلها لكم كذلك لتسلكوا منها طرقا سبلا واسعة. قال ابن عباس اراد بالفجاج الطرق المختلفة. والفج الطريق بين الجبلين. **قوله تعالى** قال نوح رب انهم عصوني اي لم يجيبوا دعوتي واتبع السفلة والفقرا الرؤسا والكبرا الذين لم يزدهم كثرة الاموال والاولاد الا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الاخرة. والمعنى ان قوم نوح عليه السلام قال يا رب انهم عصوني فيما امرتهم به ودعوتهم اليه فاتبعوا رؤساهم وكبراهم بسبب الكبر. وكانوا يصرون سفلتهم عن دين الاسلام والولد الصل الخر والفجور العرب. ومكروا مكرا كبارا اي مكرا عظيما والكبير والكبار بمعني واحد ومكرهم الكبير عظم الفرية على الله تعالى وتوصية بعضهم بعضا بقولهم. لا تذرن الهتكم اي لا تدعن عبادة الاصنام وقيل مكرهم الكبير انهم حرشوا سفلتهم على قتل نوح عليه السلام. قرا ابن محيصن وعيسي كبارا بالتخفيف. ولا تذرن ودا ولا سواعا اي لا تدعن عبادة ود ولا سواع ويغوث ويعوق ونسر وهذه خمسة اصنام لهم كانوا يعبدونها ويقدمونها على غيرها. فلما جا الغرق اندفنت تلك الاصنام وكانت مدفونة الى ان اخرجها الشيطان لمشركي العرب فوقع كل صنم منها في ايدي كل قوم منهم فاتخذت قضاعة ودا تعبده وهاد ومه الجندل ثم توارثوها الى ان جا الاسلام وهي عندهم وكان سواع لهذيل وكان يغوث لبني غطيف من مراد. وكان يغوث لطي. ويعوق لكهلان ونسر لحمير واما اللات لثقيف والعزي لسليم وغطفان وجشم وسعد ونصر بن بكر ومنات لهذيل واساف ونايلة وهبل لاهل مكة فكان اساف حيال الحجر الاسود ونايلة حيال الركن اليماني وهبل في جوف الكعبة ثمانية عشر ذراعا. قال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر من الطير قرا نافع ودا بضم الواو وقرا الباقون بفتحها وهما لغتان. **قوله تعالى** وقد اضلوا كثيرا اي اضل الاصنام كثيرا يعني ضلوا بسببها. كقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس والمعنى قد ضل بهذه الاصنام كثير من الناس وانما اضاف الضلال الى الاصنام لانها كانت سببا لضلالهم. **قوله تعالى** ولا تزد الظالمين الا ضلالا هذا دعا عليهم بعد ان اعلمه الله انهم لا يومنون وهو قوله انه لن يومن من قومك الا من قد امن. والمعنى لا تزدهم الا خسرانا ولا ضلالا وانما لم يصرف يغوث ويعوق لانهما صار الافعال. **قوله تعالى** مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا. اي من اجل خطاياهم اغرقوا في الدنيا. فادخلوا بعد ذلك الغرق نارا وفي هذا دليل على عذاب القبر لان حرف الفا للتعقيب فاقتضى انهم نقلوا عقيب الغرق الى النار لان الكافر انما يدخل نار جهنم يوم القيمة وخطاياهم في هذه الاية الكفر. وما ههنا صلة والمعنى من خطاياهم اي من اجلها وبسببها. **قوله تعالى** فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا. اي فلم يجدوا لانفسهم من دون الله احدا ينصرهم ولا يمنعهم من عذاب الله تعالى. **قوله تعالى** قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا روي عن قتادة انه قال ما دعا نوح بهذه الاية الا بعد ما انزل الله تعالى لن يومن من قومك الا من قد امن والديار من يسكن الدار ومساكنها. ثم ان الله تعالى جميع اهل الارض بالهلاك ثم علم فاعلم الي زمان موسي عليه السلام انه لم يكن ممن يسكن ديارا ولا يسكن دارا ويقال ما بالديار ديار. **قوله تعالى** انك ان تذرهم يضلوا عبادك معناه انك ان تتركهم على وجه الارض يضلوا عبادك عن دينك. ولا يلدوا الا فاجرا اي خارجا عن طاعتك. كفارا بنعمتك اخبره الله تعالى نوحا انهم لا يلدون مومنا ابدا. **قوله تعالى** رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي يعني اباه لامك بن متوشلخ واسم امه شمخا بنت انوش وكانا مومنين. ولذلك

ولذلك استغفر لهما. **قوله تعالى** ولمن دخل بيتي مومنا. اراد بالبيت ههنا السفينة. وقيل يعني مسجده. وقيل داره. **قوله تعالى** وللمومنين والمومنات. عام في كل من امن وصدق الرسل. **قوله تعالى** ولا تزد الظالمين الا تبارا. التبار الهلاك والدمار ولذلك سمي المكسور تبرا. وقد جمع نوح بين دعوتين دعوة على الكفار ودعوة للمومنين. فاستجاب الله تعالى دعاه على الكفار فاهلكهم ونرجوا ان يستجيب دعاه للمومنين.

سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون اية

وهي ثمانمائة وتسعون حرفا ومائتان وخمس وثمانون كلمة. وثمان وعشرون اية. قال صلى الله عليه وسلم من قراها اعطي بعدد كل جني وشيطان صدق بمحمد وكذب به عتق رقبة

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا. وذلك ان السما لم تكن تحرس فيما بين عيسي ومحمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث الله محمدا نبيا حرست السما ورميت الشياطين بالشهب فلم يوصفهم الاخر لوجهه فقالت ابليس لجنده لقد حدث في الارض حدث لم يحدث مثله. ولا يكون هذا الا عند خروج نبي فتفرقوا جدة في الطلب. وامرهم ان يضربوا مشارق الارض ومغاربها. وبعث تسعة عشر نفرا من جن نصيبين الى ارض تهامة وكان رئيسهم يسمي عمرو فلما انتهوا الى بطن نخلة وجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قايما يصلي باصحابه صلوة الفجر فلما سمعوا القران رقت له قلوبهم ودنا بعضهم من بعض حبا للقران حتى كادوا ايسا قطون على النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يعلم وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فذلك قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران وامنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ورجعوا الى قومهم منذرين ولم ياتوا ابليس وقالوا لقومهم انا سمعنا قرانا عجبا. اي بليغا ذا عجب يعجب منه لبلاغته وحسن نظمه. يهدي الى الرشد اي يدعو الى الرشد والصواب من التوحيد والايمان فامنا به وصدقنا به انه من عند الله. ولن نشرك بربنا احدا. من بعد هذا اليوم كما اشرك ابليس فاستجاب لهم جماعة من الجن فجاوا بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فاقراهم القران وامنوا به. وقالوا يا رسول الله ان الارض بيننا وبينك فحل ليس لنا فيها شي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكم الروث وكل ارض سبخة تنزلون بها تكون مكلية لكم. ولكم العظم فكل عظم مررتم عليه تجدون عليه اللحم يكون فمن ثم نهي ان يستنجي بالعظم والروث. ثم انصرفت الجن عنه فاوحي الله تعالى اليه بهذه الايات لبيان ان الجن لما ظهر لهم الحق اسرعوا فالانس اولي بذلك لانهم ولد ادم. وكان المخاطب منهم القوم ومعنى الاية قل يا محمد لاهل مكة اوحي الي انه استمع نفر من الجن الى القران فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا بعد هذا اليوم اي لا نطيع ابليس في الشرك. **قوله تعالى** وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا هذا من قول الجن لقومهم معطوف على قوله انا سمعنا قرانا عجبا ومعنى الاية وانه تعالى جد ربنا اي عظمة عن ان يتخذ صاحبة او ولدا. وهذا كما يقال فلان اعظم واجل من ان يفعل كذا وكذا فالجد العظمة وقال الحسن معنى الجد في هذه الاية الغنا ومنه قولهم في الدعا لا ينفع ذا الجد منك الجد. اي لا ينفع ذا الغنا منك غناه. **قوله تعالى** وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا. المراد بالسفيه في هذه الاية ابليس. وقيل من كان لا يومن من الجن وسفهه ان جعل لله صاحبة او ولدا. والشطط السرف في الخروج عن الحق ومجاوزة المعقول البعد شطط من قولهم شطت الدار اذا بعدت. وقيل الشطط الكذب والجور وهو وصفه بالشريك والولد. **قوله تعالى** وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا. اي قالت الجن انا ظننا ان الانس والجن كانوا لا يكذبون على الله تعالى بان له شريكا او صاحبة وولدا كنا نظنهم صادقين حتى سمعنا القران والمعنى كنا نظنهم صادقين في قولهم حتى سمعنا القران وبينا الحق منه. **قوله تعالى** وانه كان رجال من الانس

يعوذون برجال من الجن معناه اهل الجاهلية كانوا اذا نزلوا بواد او بارض فامسوا هنالك قالوا نعوذ
بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ارادوا بذلك سيد الجن فيبيتون في جوار منهم يحفظونهم حتى يصبحوا ، وقالت
الجن قد سدنا الانس والجن حتى بلغ سوددنا الانس فزادهم تعوذ الانس بهم رهقا اي كبرا وعظمة في نفوسهم وسفها وطغيانا
وظلما وعن كردم بن السائب الانصاري قال خرجت مع ابي الى المدينة واول ما ابتنيه الجدار اعي غنم فلما
انتصف الليل جاء ذيب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فنادى يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه ،
يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل بين الغنم لم يصبه شيء فانزل الله تعالى على رسوله بمكة ، وانه كان
رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا قال ابن عباس يعني زادوهم بهذا التعوذ طغيانا
حتى قالوا سدنا الانس والجن ، والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم قوله تعالى وانهم ظنوا
كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا معناه وان كفار مكة ظنوا كما ظننتم يا اهل مكة ان لن يبعث الله احدا رسولا
وتقليدا ان لن يبعث الله احدا من قبره بعد الموت والمعنى انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث كما انكم ايها
المشركون لا تؤمنون ، وقالت الجن وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا
هذا اخبار عن قول الجن الذين سمعوا القرآن فامنوا به ورجعوا الى قومهم منذرين والمعنى انا صعدنا الى السماء
واتيناها للطلب كما كنا نستمع الملائكة من قبل فوجدناها ملئت حفظة اقوياء من الملائكة ونيرانا مضيئة يرمون
بها الشياطين ويمنعونهم من الاستماع والحرس جمع الحارس وهو الحافظ والشهب جمع الشهاب وهو الشعاع الذي
يخرج من النجم ويمضي في الهواء تسميه العامة الكوكب المنقض قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد
للسمع روي عن ابن عباس انه قال لم تكن قبيلة من الجن الا ولها من السماء مقاعد للسمع ، فكان اذا نزل
الوحي سمعت الملائكة صوتا كصوت الحديد اذا القيت على الصفا ، فاذا سمعته الملائكة خروا لها سجدا ، ثم
يقول الملائكة بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فان كان مما يكون في السماء قالوا الحق وهو العلي الكبير ، وان كان مما
يكون في الارض من غيب او صوت تكلموا به فينزلون به على اوليائهم من الانس فلما بعث النبي صلى الله عليه
وسلم وحرست النجوم فذلك قوله تعالى فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اي من يحاول الاستماع
يجد له شهابا قد ارصد له يرمى به قوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم
ربهم رشدا اي معناه انهم قالوا لا ندري اذا رمينا بالشهب ان الله تعالى اراد انزال العذاب بالناس لمعاصيهم
واذاهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك ان السماء لم تحرس قط الا لنبوة او عقوبة عاجلة عامة قوله
تعالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك اي منا المطيعون لله في امره ونهيه ومنا اهل المعاصي ،
كنا طرائق قددا اي كنا اهل ملل شتى مؤمنين وكفرين وكنا جماعة متفرقين واصنافا مختلفة والقدة القطعة
من الشيء ، ويقال صار القوم قددا اذا افترقت حالاتهم ، قال الحسن الجن امثالكم منهم مرجئة وقدرية ورافضة
وشيعة ، وقال الاخفش يعني قوله كنا طرائق ضروبا ، وقال ابو عبيدة اصنافا وقال المؤرج اجناسا
وقال ابن كيسان يعني فرقا شتى وفرقة لكل فرقة هوى وقال المسيب منا مسلمين ويهود ونصارى
ويقال طريقة قومه اي سيدهم فلان مطاع فيهم قوله تعالى وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض
ولن نعجزه هربا اي انا علمنا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا اي انه يدركنا حيث كنا قوله تعالى
وانا لما سمعنا الهدى امنا به ، اي لما سمعنا القرآن وصدقنا انه من عند الله قوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا
يخاف بخسا ولا رهقا اي لا يخاف بعد العمل ولا نقصانا ولا رهقا اي ولا ظلما ولا مكروها يغشاه ،
قوله تعالى وانا منا المسلمون ومنا القاسطون اي منا الجائرون والظالمون قال
ابن عباس القاسطون هم الذين جعلوا لله اندادا ، والقاسط هو العادل الى الحق ونظيره ترب الرجل اذا افتقر واترب
اذا استغنى والاول هو الذي ذهب ماله حتى قعد على التراب والثاني كثر ماله حتى صار كالتراب قوله

قوله تعالى فمن اسلم معناه لمن خاف واخلص بالتوحيد فاولئك تحروا رشدا ، اي قصدوا اصابة الخير
والحق واما القاسطون اي العادلون عن طريقة الاسلام فاولئك بمنزلة الحطب في النار تشتعل في ابدانهم الى معنى كلام
الجن وانقطع قوله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا معناه واوحي الي ان لو استقاموا
اهل مكة على الطريقة طريقة الهدى لوسعنا عليهم ارزاقهم بالمطر والنبات والماء الغدق قال مقاتل معناه لاسقيناهم ماء
كثيرا من السماء بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين ونظير هذا قوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات من السماء والارض ، وقوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم ، ويقال مكان غدق بكسر الدال اذا
كان كثير الندى وعيش غداق اي واسع ، والغدق بفتح الدال مصدر قوله تعالى لنفتنهم فيه معناه لاسقيناهم ماء
غدقا ، اي لاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا ووسعنا عليهم في الرزق وبسطنا لهم الدنيا لنفتنهم فيه لنتعبدهم بالشكر
وذهب الكلبي الى ان معنى الاية لو استقاموا على طريقة الكفر والضلال فكانوا كفارا كلهم لاعطيناهم مالا كثيرا ،
ووسعنا عليهم وارغدنا عيشهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا حتى يفتتنوا بها فنعذبهم قال عمر رضي الله تعالى عنه
اين ما كان الماء كانت الفتنة ، ودليل هذا التاويل قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء ٥
والقول الاول اولى لان الطريقة معرفة بالالف واللام ولا يذكر الاستقامة الا على الحق قوله تعالى
ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا ، يعني من يعرض عن القرآن يدخله عذابا شاقا
ذا صعد اي مشقة والصعد الشاق والشديد ، ومنه قولهم تنفس الصعداء ، وفي الحديث ان الصعد
صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها الكافر يجذب من امامه بالسلاسل ويضرب من خلفه بالمقامع ، فاذا انتهى الى
اعلاها ولم يبلغه الا في اربعين سنة ، فاذا بلغ اعلاها احدر الى اسفلها فكان دابه هذا ابدا ومنه يقال سلكت
الشيء واسلكته بمعنى واحد وهو الادخال ، قرا الكوفي ويعقوب يسلكه بالياء ، وقرا مسلم بن جندب نسلكه بنون مضمومة
وكسر اللام قوله تعالى وان المساجد لله يعني هذه المساجد المعلومة لم تبن الا لذكر الله تعالى قوله تعالى
فلا تدعوا مع الله فيها احدا ، غير الله كما تدعو النصارى في بيعهم ، وكما دعا المشركون في كعبة ربهم ،
وعن الحسن قال من السنة اذا دخل احد المسجد ان يقول لا اله الا الله لا ادعو مع الله احدا ، وقيل ان المساجد
ما يسجد الانسان عليه من جبهته ويديه وركبتيه وقدميه فلا تضعوا هذه الاراب في التراب لغير خالقها قوله
تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه ، معناه وانه لما قام عبد الله وهو النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله
ويقرا القرآن في الصلوة ببطن نخلة بين مكة والطائف اذ اتاه التسعة من الجن وكادوا يسقطون عليه رغبة
في القرآن وتحامنة وحبا لاستماعه ومعنى لبدا كادوا يركب بعضهم بعضا في الازدحام ومن قرا لبدا وهو قراءة
مجاهد فهو بمعنى الكثير من قوله اهلكت مالا لبدا ، وقال الحسن وقتادة لما قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم باظهار الدين تلبدت الجن والانس على ان يطفئوا نور الله فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من ناواه
ويقال لما قام صلى الله عليه وسلم في عبادته بمكة كاد المشركون لشدة كيدهم له ومكرهم ان يكونوا عليه متكاثفين
بعضهم فوق بعض ليزيلوه بذلك عن دعوته الى الله تعالى قوله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا ، اي
قال صلى الله عليه وسلم لاهل مكة حين قالوا له انك جئت بامر عظيم فارجع عنه ، فقال لهم انما ادعو ربي اي اعبده ،
وادعو الخلق اليه ، قال انما ادعو ربي من خلفه وقرا الاعمش وعاصم وحمزة قل انما ادعو ربي اي
اعبده وادعو اليه اي انزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم قل يا محمد انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا قوله تعالى
قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ، اي قل يا محمد لاهل مكة اني لا املك لكم تغيير نعم الله تعالى عليكم ، ولا
اجبركم على الايمان ولا املك ضركم ورشدكم الا الله تعالى ، وانما انا عبد خاضع ان عصيت فلا مجير ولا ناصر ،
قوله تعالى قل لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا ، اي من دون الله مدخلا في الارض ولا ملجا الجا اليه والاحد الميل

اليه واشفاقا للصد من اللحد **قوله تعالى** الا بلاغا من الله ورسالاته اي لا ينجيني من عذاب الله
الا ان ابلغ عن الله ما ارسلت اليه وبذلك ارجو النجاة ونيل الكرامة **قوله تعالى** ومن يعص الله ورسوله
من الامم فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا معناه ومن يعص الله ورسوله من الامم بعد البلاغ فلم يومن فان له
نار جهنم جواب الشرط بالفا ولذلك لا يجوز الا بالكسر خالدين فيها نصب على الحال حتى اذا راوا ما يوعدون
ابتدا كلام والعرب تبتدي بحتى والمعنى حتى اذا راى الكفار الذي يستطيلون على النبي صلى الله عليه وسلم العذاب
ما في الدنيا او في الاخرة فسيعلمون من اضعف ناصرا عند ذلك اي من اضعف مانعا واقل
جندا اهم ام المومنون فلما سمعوا هذا قال النضر بن الحرث متى هذا الوعد الذي تعدنا به فانزل الله تعالى
قل ان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من العذاب وما ادري اقريب هذا العذاب
ام يجعل له ربي امدا اي غاية وبعدا قال عطا يعني انه لا يعلم يوم القيمة الا الله تعالى وحده لا شريك
له وهو **قوله تعالى** عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا اي لا يطلع على غيبه احدا من بين يدي الرسول
ومن خلفه رصدا حفظة من الملائكة يحفظونه ويحيطونه ويحفظون الوحي من ان يسترقه الشياطين فتلقيه
الى الكهنة وذلك ان الله تعالى كان اذا انزل جبريل بالوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ارسل معه ملائكة يحيطون به
وبالنبي صلى الله عليه وسلم حتى يفرغ من وحيه كي لا يقرب منه شيطان ولا جان يذهبون به الى الكهنة حتى يكون
النبي صلى الله عليه وسلم اول من تكلم به ليكون ذلك دليلا على نبوته **قوله تعالى** ليعلم ان قد ابلغوا رسالات
ربهم اي ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان الملائكة قد ابلغوا رسالات ربهم وان الرسالات لم تصل الى غيره
وقيل ليعلم الجن والانس انهم قد ابلغوا رسالات ربهم وفي قراءة ابن عباس ليعلم بضم اليا وهذه الاية تدل
على ان من ادعى انه يعلم بالنجوم ما يكون من حيوة او موت او غير ذلك فهو كافر بالقران وكافيه **قوله تعالى**
واحاط بما لديهم اي احاط علمه بما عندهم يعني احاط علم الله بما عند الرسل فلا يخفى عليه شي واحصى كل
شي عددا اي علم عدد الاشيا واوقاتها واماكنها على تفاصيلها لم يفته شي حتى مثاقيل الذر والخردل
والله تعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

سورة المزمل عليه السلام عشرون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم نودي في حال كونه ملفوفا بثيابه في
بعض الليل وامر بالقيام بالصلوة وهجران النوم والمعنى يا ايها المتلفف بثيابه يقال تزمل
وتدثر بثوبه اذا تغطا به وتزمل غيره اذا غطاه قال ابو عبد الله الجدلي سالت
عايشة رضي الله تعالى عنها عن قول الله تعالى يا ايها المزمل ما كان تزمله قالت كان لي مرط طوله
اربعة عشر ذراعا نصفه علي وانا نايمة ونصفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي قال
فسالتها ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا الا صوفا وكان سداه شعرا ولحمته وبرا
وقال السدي معناه يا ايها النايم قم فصل وقال الحكما انما خوطب بالمزمل والمدثر في اول الامر
لانه لم يكن بلغ شيا من الرسالة ثم خوطب بعد ذلك يا ايها النبي يا ايها الرسول **قوله تعالى** نصفه او انقص
منه قليلا اي قم للصلاة وصل اكثر الليل او قم نصف الليل او انقص من النصف قليلا **قوله**
او زد عليه او زد على النصف خير الله تعالى في قيام الليل في هذه الساعات قال المفسرون يعني
تعالى نصفه او انقص منه قليلا اي انقص من النصف الى الثلث او زد على النصف الى الثلثين

اسعة في قيام الليل وخيره في هذه الساعات قال الحسن فرض الله على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه وهم بمكة ان
يقوموا ثلث الليل فما زاد وسيلت عايشة رضي الله تعالى عنها عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اما تقرؤون هذه
السورة يا ايها المزمل قالوا بلى قالت فان الله افترض قيام الليل في اول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله خاتمة السورة اثنا عشر شهرا ثم نزل التخفيف في اخر السورة بعد ان قام النبي
عليه السلام واصحابه حولا فصار قيام الليل تطوعا بعد ذلك وكان قياما مفروضا قبل ان فرض الصلوات الخمس ولا
خلاف بين المسلمين في ان قيام الليل مندوب اليه مرغب فيه قال صلى الله عليه وسلم احب الصلوة الى الله
صلوة داود عليه السلام كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه واحب الصيام الى الله صيام داود
عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما وروي ان هذه الاية لما نزلت قام النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فكان
الرجل من اصحابه لا يدري متى الثلث من الليل ومتى النصف ومتى الثلثان فكان يقوم حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ
القدر الواجب حتى شق ذلك عليهم وانتفخت اقدامهم وتغيرت الوانهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله علم ان سيكون منكم
مرضى وكان بين اول السورة واخرها سنة **قوله تعالى** ورتل القران ترتيلا اي بينه بيانا واقراه قراة بينة
والترتيل ترتيب الحروف على حقها في تلاوتها بتبيين وتثبت من غير عجلة او كذلك الترسل والمعنى تفهم معانيه وطا
نفسك بالقيام على احكامه واما الحدر فهو الاسراع في القراة وعن ابن عمر كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيلا اي مرسلا
وقال ابو حمزة قلت لابن عباس اني رجل في قراتي وكلامي عجلة فقال ابن عباس لان اقرا البقرة ارتلها احب الي
من ان اقرا القران كله هذرمة **قوله تعالى** انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ليس على ثقل الحفظ ولكن كما
قال الحسن انهم ليهذونه هذا ولكن العمل به ثقيل وقال قتادة ثقيل والله فرايضه وحدوده وقال مقاتل ثقيل لما فيه من
الامر والنهي والحدود وقال ابو العالية ثقيل بالوعد والوعيد والحلال والحرام فلا يقدر احد يودي جميع اوامره الا بتكلف
يثقل عليه وقال معناه كلاما محكما ليس بسفساف كما يقال هذا كلام له وزن وقيل انما سمي ثقيلا لثقله
في الميزان وخفته على اللسان وعن الحسن في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا قال لثقل
العمل به وقيل ثقيلا الا كلمة الا من ايده بالتوفيق ونفس حرمته بالتوحيد وعن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت لقد
رايته ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الشديد البرد فيتفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وقالت
عايشة ايضا انه كان ليوحى اليه وهو على راحلته فيضرب بجرانها **قوله تعالى** ان ناشية الليل هي اشد
وطا واقوم قيلا معناه ان القيام في ساعات الليل اثقل واشد على القيام من القايم بالنهار لان
الليل انما خلق للراحة والسكون ففعل الطاعة بالليل اشق من فعلها بالنهار وقال ابن مسعود ناشية
الليل قيام الليل وقالت عايشة الناشية القيام بعد النوم وعن ابن الاعرابي اذا نمت من اول الليل ثم قمت فتلك
النشية ومنه ناشية الليل وقيل ناشية الليل ساعاته كلها وكل ساعة منه فهي ناشية سميت بذلك لانها
تنشا ومنه نشات السحابة اذا بدت وجمعها ناشيات وعن حاتم بن ابي مغيرة قال سالت ابن ابي مليكة
عن ناشية الليل فقال على الخبير سقطت سالت عنها ابن عباس فزعم ان الليل كله ناشية وسالت ابن الزبير
عنها واخبرني مثل ذلك وقال ابن جبير اي ساعة قام من الليل فقد نشا وقال قتادة ما كان بعد العشا فهو
ناشية وقال عبيد بن عمير لعايشة رضي الله تعالى عنها رجل قام من اول الليل تقول له قام ناشية قالت انما
الناشية القيام بعد النوم وقال ابن كيسان هي القيام من اخر الليل وعن ابن عباس قال اذا انتبهت فاما
فهو ناشية وعن مجاهد قال اذا قام الانسان الليل كله فصلى فهو ناشية وما كان بعد العشا الاخيرة فهي ناشية
قوله تعالى هي اشد وطا واقوم قيلا اي اثقل على المصلي من ساعات النهار من قول العرب اشتدت
على القوم وطاة السلطان اذا ثقل عليهم ما الزمهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد
وطاتك على مضر وقرا ابو عمرو وابن عامر وطا بكسر الواو والمد يعني المواطاة والموافقة ومنه

قوله تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله. قال ابن عباس يواطئ السمع القلب والمعنى ان صلوة ناشئة الليل يواطئ السمع
القلب فيها اكثر مما يواطئ في ساعات النهار لان البال افرغ للانقطاع عن كثير مما يشغل بالنهار ولطاعات
ثلاث على كذا مواطاة ووطاءً اذا وافقته عليه قوله تعالى واقوم قيلا اي اصوب قولا بالقران وقيل
اشد استقامة واصوب قراءة وعبادة الليل اشد نشاطا واتم اخلاصا واكثر بركة قوله تعالى
ان لك في النهار سبحا طويلا اي لك في النهار تصرفا واقبالا وادبارا في حوائجك واشغالك
وسعة في تصرفك وقضاء حوائجك والمعنى ان لك في النهار فراغا للنوم والتصرف في الحوائج فصل في الليل
والسبح التقلب ومنه السابح في الماء لتقلبه بيديه ورجليه وقيل معناه ان لك في النهار تصرفا واشتغالا في
حوائجك بحيث لا يتفرغ فيه لصلوة النفل فخذ حظك من قيام الليل وكان شغل النبي صلى الله عليه وسلم بالنهار وما كان عليه
من تبليغ الوحي والرسالة وتعليم الناس الفرائض والسنن واقامته باكرامها وامور معاشه ومعاش عياله
قوله تعالى واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا معناه اذكر اسم ربك بالتوحيد والتعظيم ويجوز
ان يكون المراد به الذكر المشروع لا تسبيح الصلوة ويجوز ان يكون المراد به كثرة ذكر الله تعالى في الصلوة وخارج الصلوة
قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اي انقطع الى الله في العبادة وتاميل الخير منه دون غيره ومن هذا سميت مريم
البتول لانها انقطعت الى الله في العبادة والتبتيل في اللغة القطع وتمييز الشيء من الشيء وصدقة بتلة
اي منقطعة من مال صاحبها وطلقة بتلة قاطعة الزوجية وانما تبتيلا ولم يقل تبتلا على معنى بتل نفسك اليه
تبتيلا وقال ابن عباس معنى وتبتل اليه تبتيلا اي اخلص اليه اخلاصا. وقال الحسن اجتهد اجتهادا وقال
شقيق توكل عليه توكلا. وقال زيد بن اسلم التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله قوله تعالى
رب المشرق والمغرب لا اله الا هو قرا اهل الحجاز وابن عمرو ونافع وحفص رب المشرق بالرفع على معنى هو
رب المشرق وقرا الباقون بالخفض على نعت الرب في قوله اسم ربك وقيل على البدل منه ويجوز ان يكون قراءة
الرفع على الابتداء وخبره لا اله الا هو قوله تعالى فاتخذه وكيلا اي اتخذه حافظا لك وكفيلا بما وعدك
من النصر والثواب ولامتك قوله تعالى واصبر على ما يقولون يعني واصبر يا محمد على ما يقوله
الكفار والمنافقون من التكذيب والاذى واهجرهم هجرا جميلا. لا جزع فيه اي اقتصر على اظهار الوحشة من غير خصومة
وهذا قبل الامر بالقتال قوله تعالى وذرني والمكذبين اولي النعمة اي كل امرهم الي ولا تهتم بهم فاني اكفيكم
بما ذروني وزيدا ودعني وزيدا اي لا تهتم به فاني كافيه قوله تعالى اولي النعمة ومهلهم قليلا اي ذوي الغنى وكثرة المال قالت
عائشة لما نزلت هذه الاية الى قوله ومهلهم قليلا لم يكن الا يسيرا حتى وقعت وقعة بدر والنعمة بفتح النون التنعم والنعمة
المال والغنى. والنعمة والنعماء العين بضم النون قوله تعالى ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما
اي ان عندنا في الاخرة لهم قيودا واغلالا واحدها نكل وهو القيد من الحديد لا يحل وقوله تعالى وطعاما ذا غصة اي لا يسوغ في
الحلق يعني الزقوم وقال عكرمة شوك ياخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج وقال الزجاج يعني الضريع وقيل هو طعام ياخذ
بحلوقهم لخشونته وحرارته لا ينزل فيها بل تضيق انفاسهم عنها فيختنقون قوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال
اي ان استقر الحال هذا العذاب المذكور يكون في يوم ترجف الارض والجبال اي تتزلزل وتتحرك وهي يوم القيمة والرجفة من
اسماء القيمة قوله تعالى وكانت الجبال كثيبا مهيلا اي رملا سائلا تنهال ترابا سهلا ومهيلا اي مصبوب ومرسل
والكثيب القطعة العظيمة من الرمل اذا حرك اسفلها انهال اعلاها قوله تعالى انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم
اي بعثنا اليكم محمدا يا اهل مكة رسولا شاهدا عليكم بالتبليغ ويشهد عليكم باعمالكم يوم القيمة كما ارسلنا الى فرعون رسولا
يعني موسى عليه السلام. فعصى فرعون موسى ولم يجبه الى ما دعاه. فاخذناه اخذا وبيلا. اي عاقبنا فرعون
عقوبة غليظة يعني الغرق والوبيل الثقيل جدا ومنه الوبال الثقل. ويقال للمطر العظيم الوابل وطعام
الوبيل اي ثقيل قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم اي باي شيء تحصنون من عذاب الله تعالى يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا

في الدنيا ولم تؤمنوا برسولكم قوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا معناه فكيف تتقون ان كفرتم عذاب يوم يجعل
الولدان شيبا اي يشيب الصغار في ذلك اليوم وذلك حين يسمعون النداء يا آدم ابعث بعثك من ذريتك الى النار
من كل الف واحد الى الجنة والباقي في النار فعند ذلك يشيب الصغير فقالوا يا رسول الله اينا من ذلك الواحد
فقال اني ارجو ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبروا وحمدوا فقال اني ارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة
فكبروا وحمدوا فقال ما انتم في الناس الا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود قوله تعالى السماء منفطر
به اي السماء منشقة ذلك اليوم وذكر السماء لان معناها السقف كما في قوله سقفا محفوظا قوله تعالى
كان وعده مفعولا اي كان وعد الله من البعث واهوال يوم القيمة كائنا لا شك فيه قوله تعالى
ان هذه تذكرة اي ان هذه السورة عظة للناس وقيل معناه ان ايات القران موعظة فمن شاء اتخذ الى
ربه سبيلا اي طريقا قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه معناه ان ربك
يا محمد يعلم انك تقوم اقل من ثلثي الليل في بعض الليالي واقل من نصف الليل في بعض الليالي واقل من الثلث في بعضها
قوله تعالى وطائفة من الذين معك يعني المؤمنين كانوا يقومون معه وقرا الكوفيون وابن كثير ونصفه
وثلثه بالنصب فيهما على معنى وتقوم نصفه وثلثه. قال الحسن ولم يقم النبي صلى الله عليه وسلم قط اقل من الثلث
وانما قال ادنى لطائفة الذين معه ولفظة ادنى تستعمل فيما قل ويقال عندي دون العشرة اي النقصان منها
قليل قوله تعالى والله يقدر الليل والنهار اي يعلم مقادير ساعاتها على الحقيقة علم ان لن تحصوه
اي علم انكم لم تعلموا حقيقة قدرهما يعني انكم لا تعرفون مقادير الليل والنهار واذا لم تعلموا حقيقة المقدار الذي
امرتم بالصيام فيه لم تطيقوا الا بمشقة. فتاب عليكم اي فتجاوز عنكم قيام الليل بالتخفيف عنكم فاقرؤا
ما تيسر من القران في صلوة الليل. علم ان سيكون منكم مرضى لا يقدرون على قيام الليل بقراءة السور
الطوال قوله تعالى واخرون يضربون في الارض يبتغون الاية اي واخرون يسافرون ويطلبون
رزق الله فلا يطيقون ذلك وعلم ان فيكم من يجاهد في سبيل الله يعني يقاتل اعداء الله لا يتمون قيام الليل فاقرؤا ما
تيسر منه اي من القران في الصلوة قوله تعالى واقيموا الصلاة اي اقيموا الصلاة الخمس بشرائطها وما
يجب من حق الله تعالى فيها فنسخ قيام الليل بالصلوات الخمس على المؤمنين وبقيت على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة قوله
واتوا الزكوة المفروضة. واقرضوا الله قرضا حسنا من الصدقة سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف
وصدقة قوله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله اي ما تفعلوا من صدقة فريضة او تطوع او عمل
صالح تجدوا ثوابه عند الله خيرا لكم مما اسلفتم واعظم اجرا في الاخرة من الذي تؤخرونه الى وصيتك عند الموت
وانما انتصب خيرا لانه مفعول ثاني ودخل هو فصلا ويسميه الكوفيون العماد. واستغفروا الله لما مضى
من الذنوب والتقصير في الطاعة ان الله غفور لمن استغفر رحيم لمن مات على التوبة وقد تضمنت
هذه الاية معاني احدها انه نسخ قيام الليل. والثاني انها تدل على لزوم فرض القراءة في الصلوة لان القراءة لا تلزم
في غير الصلوة. والثالث دلالة جواز الصلوة بقليل القراءة. والرابع ان تارك قراءة الفاتحة والصلوة
لا تمنع جوازها اذا قرا فيها غيرها. فان قيل هذه الاية نزلت في قيام الليل وذلك منسوخ فكيف يستدلون
بها على هذه الاحكام. قلنا المراد بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القران امر بالقراءة بعد ذكر النسخ ثم نسخ فرض
الصلوة لا يوجب نسخ شرائطها وسائر احكامها. فان قيل المراد بقوله فاقرؤا ما تيسر من صلوة التطوع. قلنا
اذا ثبت وجوب ذلك وحكمه في التطوع فالفرض مثله لان احدا لا يفرق بينهما في هذه الاحكام وصلوة التطوع
وان لم تكن فرضا لكن اذا شرع فيها لزمه اقامتها بجميع اركانها كما تلزمه اقامتها بجميع شرائطها من الطهارة
وستر العورة ونحو ذلك والله اعلم

سورة المدثر خمسون وست آيات

وهي الف وعشرة احرف ومائتان وخمس وخمسون كلمة وست وخمسون اية قال صلى الله عليه وسلم من قراها اعطي من
الاجر عشر حسنات بعدد من صدق محمد وكذب به • والله تعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم • يا ايها المدثر قم فانذر • قال مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسير الى الجبل حرا اذ سمع مناديا ينادي من فوق
راسه يقول يا محمد فنظر من خلفه يمينا وشمالا والى السما فلم ير شيا فمضى على وجهه فنودي الثانية فنظر كذلك فلم
ير شيا ففزع ومضى على وجهه • فنودي الثالثة فنظر خلفه يمينا وشمالا • ثم نظر الى السما فنظر مثل السرير بين
السما والارض عليه جبريل مثل النور المتوقد يتلالا ففزع فوقع مغشيا عليه ثم افاق فقام يمشي ورجلاه مضطربان
فرجع حتى دخل على خديجة فصب عليه ما بارد • فقال دثروني دثروني فدثروه بقطيفة حتى استدفا ثم قال
لقد اشفقت على نفسي فقالت خديجة ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصدق الحديث وتصل الرحم
وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فاتاه جبريل عليه السلام وهو متدثر بثيابه مضطجعا
على فراشه ليلا فقال يا ايها المدثر بثيابه مضطجعا على فراشه قم فانذر كفار مكة العذاب ان لم يوحدوا
ربك وادعهم الى الصلوة والتوحيد • والدثار ما يتدثر به من الثياب الخارج • والشعار الثوب
الذي يلي الجسد قوله تعالى وربك فكبر اي صفه بالتعظيم وعظمه مما يقول عبدة الاوثان ويقال
اراد به التكبير لافتتاح الصلوة قوله تعالى وثيابك فطهر اي طهر ثيابك من النجاسة لاقامة
الصلوة • وقيل معناه طهر نفسك وخلقك عما لا يحمد بك وقيل معناه وقلبك فطهر • وقد يعبر بالثوب عن
القلب • وقيل معناه وعملك فاصلحه • قال السدي يقال للرجل اذا كان صالحا انه طاهر الثياب •
واذا كان فاجرا انه خبيث الثياب قوله تعالى والرجز فاهجر اي والاوثان فاتركها ولا تقربها
وقيل معناه والاصنام فتباعد عنها • والرجز في اللغة العذاب • والمعنى على هذا فاهجر ما يؤدي الى
عذاب الله • قرا الحسن وعكرمة ومجاهد وشيبة ويعقوب • والرجز بضم الراء ومثله روي عن عاصم وقرا الباقون
بكسرها وهما لغتان قوله تعالى ولا تمنن تستكثر معناه لا تعط شيئا من مالك لتاخذ اكثر منه والمعنى لا تعط مالك مصانعة
لتعطى اكثر منه في الدنيا اعط لربك ادب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم باشرف الاداب وقيل معناه لا تمنن بالنبوة على الناس
تستكثر عملك وقيل معناه لا تعط شيئا وتعطا اكثر من ذلك • وهذا للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه كان في اعلا
مكارم الاخلاق كما حرمت عليه الصدقة واما غيره فليس عليه اثم في ان يهدي هدية يتوقع بها اكثر منها قوله تعالى
ولربك فاصبر على طاعته وفرايضه والمعنى لاجل ثواب ربك وقيل معناه فاصبر على الاذى والتكذيب وقيل
فاصبر على البلوى والامتحان فان الله يمتحن احباءه واصفياءه قوله تعالى فاذا نقر في الناقور اي فاذا
نفخ في الصور النفخة الثانية فذلك يومئذ يوم عسير يعني يوم النفخ في الصور يوم عسير يعسر فيه الامر على الكفار
قوله تعالى غير يسير بدل من يسر يوم اي لا يكون هينا عليهم قوله ذرني ومن خلقت وحيدا
يعني الوليد بن المغيرة المخزومي خلقته في بطن امه فريدا وحيدا لا مال له ولا ولد اي كل الوليد من خلقته فريدا بلا مال ولا ولد
ثم اعطيته بعد ذلك • وجعلت له مالا ممدودا اي كثيرا ممدا بالنما كالزرع والضرع والتجارة •
وقال عطا ما بين مكة الى الطائف من الابل المؤبلة والخيل المسومة وعبيد وجوار • وقيل معناه قوله تعالى
مالا ممدودا اي شيئا بعد شيء غير منقطع وقد اختلفوا في مبلغ ماله • قال مجاهد وسعيد بن جبير مائة الف مثقال
وقال سفيان الثوري الف الف مثقال • وقال مقاتل كان له بستان في الطائف لا ينقطع ثمارها شتاء ولا صيفا
قوله تعالى وبنين شهودا اي حضورا معه بمكة لا يغيبون عنه • قال سعيد بن جبير

كانوا له عشر ولدا • وقال مجاهد كانوا عشرة كلهم ذكور منهم الوليد بن الوليد وخالد بن الوليد وعمارة بن
الوليد وهاشم بن الوليد والعاص بن الوليد • وقيس بن الوليد • وعبد شمس بن الوليد • فاسلم منهم
ثلثة خالد بن الوليد وهاشم • وعمارة • قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الاية في نقصان من ماله وولده
حتى هلك • وانتصب قوله وحيدا على الحال ويجوز ان يكون صفة المخلوق على معنى خلقته وحده كما يجوز ان يكون من صفة
الله تعالى على معنى خلقته وحدي لم يشركني في خلقته احد قوله تعالى ومهدت له تمهيدا اي بسطت له في
العيش وطول العمر بسطا • ثم يطمع ان ازيد كلا معناه ثم يطمع ان ازيد له في المال والولد
وقد كفر بي وبرسولي كلا لا ازيده • فلم يزل الوليد بعد هذا في نقصان من المال والجاه حتى صار يسال
الناس ومات فقيرا قوله تعالى انه كان لاياتنا عنيدا • معناه انه كان لاياتنا معاندا • والعنيد
الذاهب عن الشيء على طريق العداوة والجمل العنود هو الذي من على جانب من القطار قوله تعالى سارهقه صعودا
اي ساكلفه في النار ارتقا الصعود وهو جبل من صخرة ملسا في النار يكلف الكافر ان يرتقيه حتى اذا بلغ
اعلاه في اربعين عاما كلما وضع يده عليه ذابت واذا رفعها عادت وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم • الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا يهوي منه كذلك ابدا • كلما
وضع يده عليه ذابت • واذا رفعها عادت • وكلما وضع رجله ذابت واذا رفعها عادت • وكلما بلغ الى اعلا
ذلك الجبل احدر الى اسفله ثم يكلف ايضا ان يصعد فذلك دابه ابدا يجذب من امامه بسلاسل الحديد
ويضرب من خلفه بمقامع الحديد • مسافة كل صعود اربعون سنة قوله تعالى انه فكر وقدر معناه انه
تفكر في امر النبي صلى الله عليه وسلم في احتيال الباطل وقدر القول فيه وقيل معناه تفكر ماذا يقول في القران
وقدر القول في نفسه • وذلك انه لما نزل قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم • غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير • قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد والوليد
ابن المغيرة قريب منه يستمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه الى قراءته عاد قراءة الاية • فانطلق الوليد
حتى اتى مجلس قومه بني مخزوم وقال والله لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام
الجن ان له لحلاوة • وان عليه لطلاوة • وان اعلاه لمثمر • وان اسفله لمغدق • وانه يعلو ولا يعلا • ثم انصرف
الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد • والله ليصبان قريش كلها • وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال
ابو جهل انا اكفيكموه • ثم انطلق فقعد الى جنبه حزينا فقال له الوليد ما لي اراك يا ابن اخي حزينا • قال وما لي
لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد وتدخل اليه والى ابن
ابي قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال الم تعلم قريش اني من اكثرهم مالا وولدا • وهل شبع محمد واصحابه
من الطعام حتى يكون لهم فضل • ثم قام مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه فقال لهم ان الموسم قد دنا • وقد فشا امر
هذا الرجل في الناس فماذا انتم قائلون لمن يسالكم عنه • قالوا نقول انه مجنون قال اذا يخاطبونه فيعلمون انه
غير مجنون • فقالوا نقول انه كاهن فقال ان الكاهن يصيب ويخطي ولا يقول في كهانته ان شاء الله وهذا يقول
في كلامه ان شاء الله • وقوله لا يشبه قول الكهنة • فقال بعضهم لبعض قد صبا الوليد فان صبا لم يبق احد من قريش
الا صبا • فقالوا له كيف تقول انت يا ابا المغيرة في محمد فتفكر في نفسه ثم نظر ثم عبس ثم قال ما هو الا ساحر اما
رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه سحر الا ترون انه يفرق بين المرء وزوجه • فان المراة
تكون معنا وتكون زوجها معها فتفترقوا على هذا القول ومعنى الاية انه فكر ليجد شبهة يتعلق
بها في تكذيبه • وقدر ليبطل فيما قدر ان يستقيم له ان يقوم له امر قوله تعالى فقتل كيف قدر
اي لعن وعذب على اي حال قدر من الكلام • كما يقال لاضربنه كيف صنع اي على اي حال كانت منه

قوله تعالى ثم قتل كيف قدر أي ثم لعن وعوقب بعقاب آخر كيف ذهب إلى هذا
التقدير ثم نظر إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نظر العداوة والكراهة الشديدة ليسخر طعنا فيهم . وقيل ثم
نظر في طلب ما يدفع به القرآن ويرده قوله تعالى ثم عبس وبسر أي ثم كلح في وجوه الصحابة رضي الله
تعالى عنهم وقبض جبهته والبسور أشد من العبوس والمعنى ثم كلح بوجهه ونظر بكراهة شديدة قوله تعالى
ثم أدبر واستكبر . أي أعرض عن قبول القرآن واتباع الرسول وتعظم عن الإيمان فقال . إن هذا
إلا سحر يؤثر . أي قال ما هذا القرآن إلا سحر يروى عن السحرة أي يأثره محمد عن غيره وذلك أنه كان
يقول محمد ساحر ثم غضب بنو هاشم فقال إنما السحر في الأعاجم وهذا إنما يؤثر السحر عن غيره وكان يقول في القرآن
ما هو شعر ولا كهانة ولكنه سحر يؤثر عن قول البشر أي عن غيرهم ومعنى قوله تعالى إن هذا إلا قول
البشر يعني أنه كلام الإنس وليس من عند الله قوله تعالى سأصليه سقر أي سأدخله وألزمه في
الآخرة سقر هلاكها فعلا واستكبر عن قبول الحق . وسقر اسم من أسماء النار وهي معروفة دعوته فلذلك لم ينصرف .
قوله تعالى وما أدراك ما سقر . تعظيم لأمرها وإنما سميت بهذا الاسم لشدة إيلامها من قولهم سقرته
الشمس إذا آلمت دماغه قوله تعالى لا تبقي ولا تذر أي لا تبقي لحما ولا تذر عظما . وعن مجاهد لا يحيون فيها
حياة ولا يذرون ميتا قوله تعالى لواحة للبشر . أي مغيرة للجلد محرقة له يقال لوحته الشمس ولاحه السقم والحزن
إذا غيره قيل إنها تغير الجلد حتى تدعه أشد سوادا من الليل المظلم قوله تعالى عليها تسعة عشر . أي تسعة عشر من
الزبانية الموكلين بتعذيب أهلها . جاء في الحديث أن أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كصياصي البقر يخرج لهب النار
من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة تسع كف أحدهم مثل ربيعة ومضر نزعت الرحمة من قلوبهم يسيرون بتعذيب
أهل النار يرفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم . وقال صلى الله عليه وسلم في نعتهم لأحدهم مثل قوة الثقلين
وقال عمرو بن دينار يدفع أحدهم بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر . قال ابن عباس والضحاك لما نزلت
هذه الآية . قال أبو جهل أما لمحمد من الأعوان إلا تسعة عشر يخوفكم بهم وأنتم الدهم يعني العدد الكثير أيعجز كل مائة رجل
منكم أن يبطش بواحد منهم ثم تخرجون من النار وروي أن أبا جهل قال لقريش ثكلتكم أمهاتكم أنتم الدهم الشجعان
أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بخزنة جهنم . فقال رجل من بني جمح يقال له كلدة بن أسيد أنا أكفيكم يا أهل مكة سبعة
عشر أحمل عشرة على ظهري وسبعة على صدري فاكفوني أنتم اثنين وروي أنه قال يا معشر قريش إذا كان
يوم القيامة أنا أمشي بين أيديكم على الصراط وأدفع عشرة بمنكبي الأيمن في النار ونمضي ندخل الجنة . فأنزل الله
تعالى قوله تعالى وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة . أي ما جعلنا خزانها إلا الملائكة . ومن
المعلوم أن الملك الواحد إذا كان كافيا لقبض أرواحهم كان تسعة عشر ملكا أكفى ألا ترى أن ملكا واحدا
وهو ملك الموت يقبض أرواح الخلق كلهم فكيف يعجز تسعة عشر ملكا عن تعذيب بعض الخلق قوله تعالى وما جعلنا
عدتهم إلا فتنة للذين كفروا . أي ما جعلنا عددهم في القلة إلا فتنة لكفار مكة لجهلهم بالملائكة وتوهمهم أنهم
كالبشر والمعنى ما جعلنا عدة هؤلاء الملائكة قليلة في العدد إلا ضلالة للذين كفروا حتى قالوا ما قالوا من
التكذيب وقولهم إنا نكفيكموهم قوله تعالى ليستيقن الذين أوتوا الكتاب . أي ليعلم اليهود والنصارى
بذلك صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم حين يجدون ما أتاه موافقا لما في التوراة والإنجيل فإن عدد هؤلاء الخزنة
في كتبهم تسعة عشر فيعلمون أن ما أتى به محمد صلى الله عليه وسلم موافق لما عندهم قوله تعالى ويزداد الذين
آمنوا إيمانا . أي ولكي يزداد المؤمنون تصديقا على تصديقهم لتصديق أهل الكتاب بذلك
قوله تعالى ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب . أي ولكيلا يشك الذين أوتوا
الكتاب في أمر القرآن . ولا يشك المؤمنون بالتدبر والتفكر فيه . وليقول

الذين في قلوبهم مرض . أي شك ونفاق والمراد بهم المنافقون قوله تعالى والكافرون
يعني أهل مكة أي شيء أراد الله بذكر عدد خزنة جهنم صفة من قلة الملائكة يعني أنهم لا يصدقون بهذا العدد . والمثل
يكون الحديث نفسه يقولون ما هذا من الحديث قوله تعالى كذلك يضل الله من يشاء
ويهدي من يشاء . أي كما أضل من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق بذلك يضل من يشاء ويهدي من
يشاء والمعنى يخذل الله من كان أهلا للخذلان ويوفق من كان أهلا للهدى . وما يعلم جنود
ربك إلا هو . يعني الملائكة الذين خلقهم للعذاب ولتعذيب أهل النار لا يعلم عددهم إلا الله . وقيل معناه
وما يعلم جموع ربك يا محمد من الملائكة من عددهم ومقاديرهم وقوتهم إلا الله قوله تعالى وما هي إلا
ذكرى للبشر . يعني سقر بالصفات التي ذكرها ما هي إلا عظة للخلق وإنذار لهم كي
يجتنبوا ما يؤديهم إليها قوله تعالى كلا والقمر . هذا قسم على عظم شأن سقر معناه حقا والقمر
والليل إذا جاء بعد النهار والصبح إذا أضاء إن سقر لإحدى العظائم التي هي دركات النار والعرب يؤكد القسم بلفظ
كلا كما يؤكد بحقا . ويقال معناه ورب القمر قرأ نافع وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب وحفص إذ أدبر على لفظ الإدبار
أي إذا انقضى وذهب ويقال كلاهما لغتان دبر النهار وأدبر قوله تعالى إنها لإحدى الكبر . أي سقر لإحدى
الكبر . قال مقاتل والكلبي أراد بالكبر دركات جهنم وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم
والهاوية قوله تعالى نذيرا للبشر . قال الزجاج هو حال من قوله قم في أول السورة أي قم نذيرا
للبشر وهكذا روى عطاء عن ابن عباس وقيل نذيرا نصب على الحال على معنى إنها لكبيرة في حال الإنذار وذكر
النذير بلفظ التذكير لأن معنى النار العذاب يعني أن النار نذير للبشر قال الحسن والله ما أنذر بشيء أدهى
منها قوله تعالى لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر . البدل من قوله للبشر والمعنى إنها نذير لمن شاء أن
يتقدم في العبادة والإيمان والخير فيدنو منها أو يتأخر عن الطاعة والإيمان فيقع فيها . والمعنى أن الإنذار قد حصل لكل أحد
ممن آمن وكفر قال الحسن هذا وعيد لهم كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة
أي كل نفس مأخوذة بعملها مرهونة به وقال ابن عباس مرتهنة في جهنم إلا أصحاب اليمين وهم المؤمنون الذين
يعطون كتبهم بأيمانهم فإن الله تعالى لا يغلق رقابهم من الرهن وأدخلهم الجنة وقيل إنهم الأطفال الذين لا ذنوب لهم فإنهم
غير مرتهنين وعن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال المسلمين أين هم قال في الجنة وسألته عن أطفال
المشركين فقال إن شئت أسمعتك تضاغيهم في النار قوله تعالى في جنات يتساءلون عن المجرمين معناه
في بساتين يتساءلون عن أهل النار يقولون لهم أي شيء أدخلكم النار وحبسكم فيها فيقولون لهم لم نك من المصلين
لله في دار الدنيا . ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع أهل الباطل في الباطل والتكذيب
وكنا نكذب بيوم الدين أي يوم الحساب . حتى أتانا اليقين فشاهدناه ويجوز أن يكون
اليقين ههنا الموت الذي يعرف المرء عنده أمر الآخرة يقول الله تعالى . فما تنفعهم شفاعة الشافعين
أي ما تنفعهم شفاعة الملائكة ولا النبيين كما تنفع الموحدين قال الحسن لم تنفعهم شفاعة ملك ولا شهيد
ولا مؤمن يشفع يومئذ النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ولا يبقى قوم في جهنم فيقال لهم ما سلككم
في جهنم قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين إلى قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين
قال ابن مسعود فهؤلاء الذين يبقون في جهنم قوله تعالى فما لهم
عن التذكرة معرضين معناه فما لأهل مكة من القرآن الذي يقرأ عليهم
معرضين أي ما لكفار مكة في الآخرة إذا أعرضوا عن القرآن ولم يؤمنوا به مع هذه الدلالة كأنهم أشبههم بالحمر

الوحشية في اعراضهم كما يفر اعلمهم فقال تعالى . كانهم حمر مستنفرة قرا نافع وابن عامر بفتح الفا اي منفرة مذعورة
وقرا الاخرون بكسر الفا اي نافرة قوله تعالى فرت من قسورة يعني فرت من الاسد . قال ابن عباس الحمر الوحشية
اذا عاينت الاسد هربت منه كذلك هولا المشركون اذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرا القران هربوا منه . وقال
الضحاك ومقاتل القسورة الرماة الذين يصيدونها لا واحد له من لفظه قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان
يؤتى صحفا منشرة . قال المفسرون ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ليصبح عند راس كل رجل
منا كتاب منشور من الله بانك رسوله نؤمر فيه باتباعك والصحف جمع صحيفة ومنشرة ومعناه منشور وقيل
معناه بل يريدون من الافراط جهلهم ان يعطى كل واحد منهم كتابا من السما مفتوحا هذا كتاب من الله الى فلان بان محمدا رسول الله
قوله تعالى كلا بل لا يخافون الاخرة . معناه كلا لا يؤتون الصحف ولا يكون لهم ذلك بل لم يخافوا
الاخرة يعني لا يخافون عذاب الاخرة حين لم يؤمنوا بها ولو خافوا ذلك لما اقترحوا الايات بعد قيام الدلالة
قوله تعالى كلا انه تذكرة . اي حقا ان القران عظة من الله تعالى فمن شا ذكره . اي اتعظ به
وما تتعظون الا ان يشا الله ذلك لهم . وقيل الا ان يشا الله لهم المشية وقيل ان شا الله لهم الهدى قوله تعالى
هو اهل التقوى اي اهل ان يتقى فلا يعصى ولا يجعل معه اله اخر وهو اهل المغفرة يغفر لمن يتقي قال الله تعالى انا اهل
ان اتقى ولا يجعل معي اله فمن اتقى ان يجعل معي الها اخر فانا اهل ان اغفر له وقال قتادة هو اهل ان يتقى محارمه واهل ان
يغفر الذنوب كلها .

سورة القيمة اربعون اية مكية

وهي سماية واثنان وخمسون حرفا . ومائة وتسعون كلمة واربعون اية قال صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القيمة
شهدت انا وجبريل له يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة وجا ووجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيمة .

بسم الله الرحمن الرحيم . لا اقسم بيوم القيمة

معناه اقسم بيوم القيمة ولا صلة وقال الفرا لا رد على الذين انكروا البعث والجنة والنار ويدل على معنى اثبات
القسم قراة الحسن والاعرج لاقسم بغير الف . وتقديره على هذه القراة لاقسم فحذفنا النون قوله تعالى ولا
اقسم بالنفس اللوامة يعني بجميع انفس الخلائق لانه ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها قال صلى
الله عليه وسلم ليس يوم القيمة احد الا ويلوم نفسه ان كان محسنا قال يا ليتني ازددت وان كانت نفسه مسيئة قال يا ليتني لم افعل
فالمسي اللوم والزم وقيل انما سميت النفس لوامة لانها كثيرة اللوم لا تصبر على محن الدنيا وشدائدها قوله تعالى ايحسب
الانسان الن نجمع عظامه . يعني الكافر بالبعث يعني ايظن الكافر ان لن نجمع عظامه بعد التفريق ولن نبعثه في الاخرة نجمعها
قادرين على ان نسوي بنانه . قال ابن عباس المراد به ابو جهل يقول الله تعالى ايحسب الانسان ان لن نبعث بلى قادرين على ان نسوي بنانه
على ما كانت وان قل عظامها وصغرت فنردها ونؤلف بينها حتى نستوي البنان ومن قدر على جمع العظام كان على جمع
كبارها اقدر وقيل معناه قادرين على ان نسوي بنانه وانامله ونجعل اصابع يديه ورجليه شيا واحدا كخف البعير
وكظلف الخنزير او كحافر الحمير فلا يمكنه ان يعمل شيا ولكنا مننا عليه ففرقنا اصابعه حتى ياخذ بها ما شا ويقبض اذا
شا ويبسط قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه . اي بل يريد الكافر ان يكذب بما قدامه
من البعث ويقدم الذنب ويؤخر التوبة ويكفر ابدا ما عاش . قال ابن الانباري معناه ليفجر ما امتد عمره وليس
في نيته ان يتوب والمعنى ما يجهل ابن ادم ان ربه قادر على جمع عظامه بعد الموت ولكنه يريد ان يفجر امامه اي يمضي
قدما قدما في معاصي الله راكبا راسه لا ينزع ولا يتوب حتى ياتيه الموت على شر احواله واسوا عمله قوله
تعالى يسال ايان يوم القيمة . اي يسال متى يوم القيمة تكذيبا به . ويقال في معنى ليفجر امامه

اي

اي يعزم على المعصية في مستقبل عمره في اوقات اجاله لا يعيش فيها ولا يبلغ اليها واصل الفجور الميل عن القصد يقال
للكافر فاجر وللكذب بالحق فاجر قوله تعالى فاذا برق البصر وخسف القمر . معناه ان يوم القيمة
يكون اذا حار البصر وفزع وذلك عند رؤيته جهنم . وهذا جواب لقوله تعالى ايان يوم القيمة فيقول الله ان يوم
القيمة يكون اذا برق البصر . قرا نافع برق بفتح الرا من البريق اي شخص البصر الى ما يرى من احوال يوم القيمة كنظر
المحتضر عند نظره الى الملائكة . قوله تعالى وخسف القمر اي ذهب ضوء القمر والخسوف ذهاب البصر . وجمع الشمس
والقمر . اي جمعا في ذهاب نورهما كالثورين العقيرين يعني يكوران يوم القيمة وقيل انهما يرميهما في النار خلقا من النار ثم يعاد
اليهما قوله تعالى يقول الانسان يومئذ اين المفر . معناه يقول الكافر المكذب بيوم القيمة اين الفرار واين المهرب
من الاهوال قوله تعالى كلا لا وزر . اي حقا لا موضع يلجا اليه ولا حصن ولا حرز في اللغة كلما عصمت به والتجات اليه ومنه
الوزير لان الناس يلجئون اليه قوله تعالى الى ربك يومئذ المستقر . اي المنتهى والمرجع والمصير وقيل المستقر موضع
الحساب وقيل يعني مستقر المؤمنين الجنة ومستقر الكفرين النار قوله تعالى ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر
اي بما قدم من طاعة الله تعالى وما اخر من طاعة الله تعالى فلم يعمل به . وقيل معناه ينبا الانسان باول عمله واخره وقيل بما قدم من
امواله وما خلف للورثة وقيل بما عمل في اول عمره وما عمل في اخر عمره قوله بل الانسان على نفسه بصيرة يعني ان جوارحه
تشهد عليه بما عمل فهو شاهد على نفسه بشهادة جوارحه . والمعنى على الانسان رقبا يشهدون عليه بعمله وان ادخل سوره
واغلق ابوابه يعني بالرقبا سمعه وبصره وذكره ويديه ورجليه وجميع جوارحه ودخول الها في بصيرة لان المراد بالانسان
ههنا الجوارح قوله تعالى ولو القى معاذيره . اي ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه ذلك . يعني
وان اعتذر فعليه من يكذب عذره . وقيل المعاذير جمع المعذار وهو الستر معناه وان اسبل الستر ليخفي ما عمل فان نفسه
شاهدة عليه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به . خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تحرك بالقران لسانك لتعجل
بقراته قبل ان يفرغ جبريل من قراته عليك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انزل عليه شي من الوحي لم يفرغ جبريل من اخره
حتى يتلاه النبي صلى الله عليه وسلم مخافة ان ينفلت منه فاعلمه الله تعالى بقوله . ان علينا جمعه وقرانه اي ان
علينا حفظه في قلبك وتاليفه على ما يامرك الله تعالى به واعلمه بانه لا ينسيه اياه كما قال تعالى . سنقرئك فلا تنسى
فلم ينس النبي صلى الله عليه وسلم شيا حتى مات . وعن ابن عباس في معنى هذه الاية قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من
التنزيل شدة فكان اذا انزل عليه الوحي يحرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل من قراة الوحي مخافة ان لا يحفظ فانزل الله هذه
الاية لا تحرك به لسانك لتعجل به ومثله قوله تعالى ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه قوله تعالى ان علينا جمعه يعني في
صدرك وقرانه اي جبريل بقراته عليك حتى تحفظه قوله تعالى فاذا قراناه فاتبع قرانه اي فاذا قراه جبريل
بامرنا وفرغ منه فاقراه انت اذا فرغ جبريل من قراته . وقيل معناه فاذا جمعناه والقيناه فاتبع ما فيه من الحلال والحرام
والامر والنهي قوله تعالى ثم ان علينا بيانه اي بيان ما اشكل من معانيه وبيان مجملاته مثل اركان الصلوة وشرط
نصب الزكاة ومقاديرها قوله تعالى كلا بل تحبون العاجلة معناه كلا لا يؤمن ابو جهل واصحابه بالقران وبيانه
بل تحبون العاجلة يعني كفار مكة يحبون الدنيا ويعملون لها ويذرون العمل للاخرة فيؤثرون الدنيا عليها وقرا نافع والكوفيون
تحبون وتذرون الاخرة قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها معناه وجوه يومئذ
ناعمة . ناعمة غضة حسنة مضيئة مسفرة مشرقة بنعيم الجنة وهم وجوه المؤمنين كما قال تعالى تعرف في
وجوههم نضرة النعيم قوله تعالى الى ربها ناظرة . قال الكلبي تنظر الى الله لا تحجب عنه . قال مقاتل تنظر
الى ربها معاينة . قال صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا
الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيا احب من النظر الى ربهم ينظرون الى الله في الجنة بلا كيف
ولا تحديد كما عرفته القلوب بلا تكييف ولا تشبيه . وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة
لينظر في ملكه الف سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه ينظر في سرره وازواجه وخدمه وان افضلهم منزلة من ينظر الى الله تعالى كل يوم

سرلين وقرواه الحاكم في صحيحه قوله تعالى ووجوه يومئذ باسرة اي كالحة عابسة كئيبة مسودة وهي وجوه الكفار
تظن ان يفعل بها فاقرة . اي تستيقن بان يفعل بها داهية من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد الذي
يكسر فقار الظهر قال ابن زيد هي دخول النار قوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي اي كلا يؤمن الكافر بهذا وقوله
اذا بلغت التراقي هذا حال من يحضره الموت ليرتدع الناس عما يؤديهم الى العذاب والمعنى اذا بلغت الروح التراقي وقيل من
يحضر الميت من اهله هل من راق يرقيه وطبيب يداويه يطلبون الاطبا ليكشفوا عنه ما به اما بالرقى او بالعلاج . وقال
بعضهم هذا من قول الملئكة لان النفس عند ان تقبض يحضرها سبعة املاك من ملئكة الرحمة . وسبعة املاك من
ملئكة العذاب اعوان لملك الموت ينظر بعضهم الى بعض ايهم يرقى بروحه . والتراقي جمع ترقوة وهي عظم وصل
بين ثغرة النحر والعاتق ولها ترقوتان عن يمين ثغرة النحر وعن يسارها كالحوضين قوله تعالى وظن انه الفراق
اي تيقن عند ذلك المريض الذي بلغت روحه تراقيه انه الفراق من الدنيا ومفارقة المال والاهل والولد قوله تعالى
والتفت الساق بالساق . اي اجتمعت عليه الشدات والتفا عليه امر الدنيا والاخرة فهو في شدة كرب الموت
وهول المطلع واخر شدة الدنيا مع اول شدة الاخرة . وقال الضحاك الناس يجهزون بدنه والملئكة يجهزون روحه
وقال الحسن معناه والتفت ساقاه في الكفن يلف احداهما الى الاخرى . وقال قتادة ماتت ساقاه فلم تحملاه
وقد كان عليهما جوالا قوله تعالى الى ربك يومئذ المساق اي اليه المرجع والمنتهى في الاخرة الى حيث يامر الله
اما الى عليين واما الى سجين قوله تعالى فلا صدق ولا صلى يعني ابا جهل يقول الله سبحانه وتعالى فيه لم يصدق
بالقران ولا صلى لله . ولكن كذب وتولى . اي كذب القران وتولى عن الايمان به ويدخل في هذا كل كافر
مثله ثم ذهب الى اهله يتمطى . اي رجع الى اهله يتبختر في المشي ويختال فيه واصله يتمطط اي يتمدد والمط هو المد
ويمط الانسان اذا قام من منامه يتمدد . والمطا هو الظهر ويمطا اذا مد مطاه قوله تعالى اولى لك فاولى
ثم اولى لك فاولى هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لابي جهل وهذه كلمة موضوعة للتهديد والوعيد والمعنى
كانه يقول لابي جهل الويل لك يوم تحيى والويل لك يوم تموت والويل لك يوم تبعث والويل لك يوم تدخل النار
وقيل معناه وليك المكروه يا ابا جهل وقرب منك ما تكره قوله تعالى ايحسب الانسان ان يترك
سدى . معناه ايظن الكافر ان يترك مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يوعظ ولا يبتلى ولا يحاسب بعمله في الاخرة و(السدى)
المهمل قوله الم يك نطفة من مني يمنى معناه الم يكن هذا الانسان في ابتداء خلقه نطفة من مني يصب في
الرحم تربية يعني النطفة . وقد يكون يمنى يعني المني قوله تعالى ثم كان علقة . اي ثم دما منعقدا بعد النطفة
فخلقه وسواه بالبدن والرجلين والعينين والاذنين الى ان بلغه هذا الحال الذي يشاهد وخلق فيه الروح قوله
تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اي خلق من هذه النطفة اولادا ذكورا واناثا قوله
اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى . معناه اليس الذي خلق الانسان من المني ونقله من تلك الاحوال الى هذه الحالة قادر على
ان يحيي الموتى . والمعنى من قدر على الابتداء قدر على البعث بعد الموت دلهم الله تعالى على البعث بابتداء الخلق وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ختم هذه السورة قال سبحانك اللهم بلى وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا قرا احدكم اليس
ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل اللهم بلى

سورة الانسان احدى وثلثون اية مدنية

الى قوله ويطعمون الطعام الى اخر السورة فانها نزلت بالمدينة وهي الف واربعة وخمسون حرفا ومائتان واربعون
كلمة واحدى وثلثون اية . قال صلى الله عليه وسلم من قراها كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان حين من الدهر اي قد اتى على ادم اربعون سنة [illegible] وهو صورة الانسان
قبل ان ينفخ فيه الروح لم يكن مذكورا باسمه ولا يدري ما يراد به كان شيئا ولم يكن مذكورا لانه كان ترابا وطينا الى ان ينفخ
فيه الروح لم يكن شيئا مذكورا لا يذكر ولا يعرف . ومعنى الاية قد اتى على ادم اربعون سنة ملقى بين مكة والطائف قبل
ان ينفخ فيه الروح لم يكن شيئا مذكورا لا يذكر ولا يعرف ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به وروي ان عمر رضي الله عنه سمع رجلا
يقرا هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فقال عمر ليتها تمت اوليته بقي على ما كان وكان لا يلد ولا يولد وعن
عن ابن مسعود لم يكن شيئا مذكورا فقال ليت ذلك لم يكن . ولفظ هل بمعنى قد لانه لا يجوز على الله [illegible] لانه لم يزل
عالما بالاشيا كلها ولا يزال عالما قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه . يعني
نسل ادم خلقه الله من نطفة الرجل ونطفة المراة احدهما ابيض والاخر اصفر فما كان من عظم وعصب وقوة فمن نطفة الرجل
وما كان من لحم ودم وشعر فهو من نطفة المراة وتم الكلام . ثم قال تعالى نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا
معناه سميعا بصيرا لنبتليه والامشاج الاخلاط يقال مشجت هذا بهذا اي خلطته به وهو ممشوج اي مخلوط . وقال
ابن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد يعني ماء الرجل وماء المراة يختلطان في الرحم فيكون منهما جميع الولد . فماء الرجل
غليظ ابيض يجري من الصلب وماء المراة اصفر رقيق يجري من الترائب ثم يختلطان فايهما علا كان صاحبه كان الشبه له .
ويقال جعل الله في النطفة اخلاطا من الطبائع التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة
وقال الحسن نعم والله خلق الانسان من نطفة مشجت بدم الحيض واذا حبلت النطفة ارتفع الحيض قوله تعالى
انا هديناه السبيل . اي بينا له طريق الهدى وطريق الضلالة فكان ممكنا من الشكر والكفر . ثم انه يكون بعد الابتلا
اما شاكرا موحدا طائعا واما مشركا بالله كافرا والمعنى اما ان يختار طريق الاسلام واما ان يختار طريق الكفر
ومعنى قوله نبتليه اي نتعبده فننظر ما علمناه منه ولا يقع الابتلاء الا بعد تمام الخلقة قوله تعالى انا
اعتدنا للكافرين سلاسل يقول الله تعالى انا اعددنا في الاخرة للكافرين وما اعددناها للمؤمنين والمعنى انا
هيانا في جهنم لكل كافر سلسلة في النار طولها سبعون ذراعا يسلك فيها ويقرن معه من الشياطين قوله تعالى
واغلالا اي اغلالا من حديد تغل بها ايديهم الى اعناقهم من ورائهم قوله تعالى وسعيرا اي وقودا موقدة
يعذبون بها قرا نافع وعاصم والاعمش والكسائي وابو جعفر سلاسلا بالتنوين . وكذلك قواريرا قواريرا ونحوهما
احدهما ان من العرب من يصرف جميع ما لا ينصرف . والثاني ان هذا الجمع اشبه بالاحاد لانهم قالوا صواحبات يوسف في جمع
صواحب وكذلك مواليات في جمع موالي فاذا كان صواحب وموالي في معنى الواحد فكذلك سلاسل قوله تعالى
ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا . يعني الابرار المطيعين لله تعالى الصادقين في ايمانهم في الدنيا
وقيل هم الذين يبرون الاباء والامهات من المؤمنين وقيل هم الذين لا يؤذون الذر . ولا يرضون بالشر . وقوله تعالى
من كاس اي خمر . وقوله تعالى كان مزاجها كافورا . اي كان مزاج الخمر الذي كان في الكاس كافورا . قال بعضهم اراد
بذلك ما يشم من ريحها لا من جهة طعمها . كما روي عن مجاهد انه قال يمزج شرابهم بالكافور ويختم بالمسك . وعن مقاتل انه
قال يكون على برد الكافور وريح المسك وطعم الزنجبيل ليس ككافور الدنيا ومسكها وزنجبيلها ولكن وصف الله ما عنده بما عندنا لتهتدي
له القلوب . ويقال بعنى الله طعم الكافور الجنة بانه ما يشتهى فيجمع طيب الريح مع لذة الطعم قوله عينا منصوب على البدل من
كافور ويقال في معنى يشربون عينا اي من عين فوارة في ارض الجنة قوله يشرب بها عباد الله يجوز ان يكون
معناه يشربها يقال شربت بما كذا اي شربته ويجوز ان يكون معناه يشرب بالجنة اي بالارض التي بها العين كما يقال نزلنا
موضع كذا شربنا ماء صافيا . وقوله تعالى عباد الله اي اولياؤه يفجرونها تفجيرا اي يجرون تلك العين ويسوقونها الى حيث شاؤا من منازلهم من
اهل الجنة بخلاف عيون الدنيا وانهارها والفجر تشقيق الارض يجري الماء وقيل يعني يفجرونها اي يقودون تلك العين حيث
شاؤا من منازلهم ودورهم وحيث شاؤا قوله يوفون بالنذر يعني الابرار هذه صفاتهم في الدنيا كانوا يوفون
بطاعة الله من الصلوة والحج ومعنى النذر في اللغة الايجاب ومعنى الوفاء بالنذر اتمام العهد بالوفاية واقامة فروض الله
قوله تعالى ويخافون يوما كان شره مستطيرا . معناه ويخافون من نقض العهد عذاب يوم كان شره

مددا فاشيا يقال استطار الحريق اذا فشا وظهر • وعن قتادة قال استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ
السموات والارض منه نحو انشقاق السماء وانتثار الكواكب وعلى نسف الجبال وخسوف الشمس والقمر
وفزع الملائكة قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه اي على حب الطعام وقلته على اشد ما
يكون ذلك اليوم محتاجون اليه يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ويقال على حب الله لطلب مرضاته
قوله تعالى مسكينا ويتيما واسيرا • فالمسكين هو الذي يسأل وقيل المتعفف الذي لا يسأل واليتيم
الذي لا أب له من يتامى المسلمين والاسير الكافر المأسور في ايدي المؤمنين قال قتادة وكان اسيرهم يومئذ
من المشركين والله لأخوك المسلم اعظم حرمة وحقا عليك • ويقال الاسير العبد ويستدل من هذه الآية على
ان في اطعام اهل الحبوس ثوابا جزيلا من الله • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم اطعم مسلما
على جوع الا اطعمه الله من ثمار الجنة • ومن سقى مسلما على ظمأ اسقاه الله من الرحيق قوله انما نطعمكم لوجه الله
لا نريد منكم جزاء ولا شكورا • قال مجاهد اما والله انهم لم يتكلموا بذلك ولكن علم الله ما في قلوبهم فاثنى عليهم
خيرا • والمعنى انهم يقولون في انفسهم وفيما بينهم وبين ربهم انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا طلب ثواب
قوله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي لا نريد منكم مكافاة ولا محمدة • وقوله تعالى شكورا مصدر مثل القعود والخروج
وفي هذه الآية دليل على ان من اطعم غيره للمكافاة او ليكون يمدحه ويشكره لا يستحق بذلك الثواب وانما
يستحقه اذا فعله خالصا لله لا يريد شيئا من الدنيا قوله انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا
معناه انا نصنع خوفا من خوف ربنا وطمعا في رحمته • واليوم العبوس هو الذي يعبس الوجوه من هوله فلا ينبسط
والقمطرير الشديد الغليظ الصعب • يقال يوم قمطرير وقماطر اذا كان عظيم الشر طويل البلاء • وعن ابن
عباس قال العبوس الضيق • والقمطرير الطويل • وقال مجاهد القمطرير الذي يقلص الوجه ويقبض ما
بين العينين من شدته • قال ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران
قال الحسن سبحان الله ما اشد اسمه وهو اشد من اسمه قوله فوقاهم الله شر ذلك اليوم • اي دفع الله عنهم
شر ذلك اليوم قوله ولقاهم نضرة وسرورا • اي حسنا في الوجوه وسرورا في القلوب لا انقطاع له •
قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا • اي جزاهم بما صبروا في الدنيا على طاعة الله وعلى
ما اصابهم من الشدائد في ذات الله جنة يسكنونها وحريرا يلبسونه في الجنة قوله تعالى متكئين فيها على الارائك
نصب على الحال فيها اي في الجنة على الارائك اي على السرر في الحجال ولا يكون اريكة الا اذا اجتمعا • قال مقاتل الارائك
السرر في الحجال من الدر والياقوت موضوعة بقضبان الدر والذهب والفضة والوان الجواهر والحجال تشبه
القباب فوق السرر لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اي لا يصيبهم حر الشمس ولا برد الزمهرير اي لا يصيبهم
والزمهرير البرد الشديد الذي يحرق من شدته احراق النار • وروي ان هذه الآيات نزلت في علي وفاطمة
وجارية لهما يقال لها فضة قال ابن عباس مرض الحسن والحسين فعادهما جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
ابو بكر وعمر فقالوا لعلي لو نذرت على ولديك نذرا فقال علي رضي الله تعالى عنه ان برئ ولداي مما بهما صمت لله ثلاثة ايام
وقالت فاطمة كذلك وقالت الجارية كذلك فوهب الله لهما العافية فانطلق علي رضي الله عنه الى شمعون اليهودي
فاستقرض منه ثلاثة اصوع من شعير وطحنت الجارية صاعا وخبزت منه خمسة اقراص لكل واحد منهم قرص وصلى علي مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين يديه اذ اتاهم مسكين فوقف بالباب وقال السلام
عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فسمعه علي رضي الله عنه فانشأ يقول •

فاطم ذات المجد واليقين • يا بنت خير الناس اجمعين • اما ترين البائس المسكين • قد قام بالباب له حنين •
يشكو الى الله ويستكين • يشكو الينا جائع حزين • كل امرئ بكسبه رهين • للبخيل موقف مهين •
تهوي به النار الى سجين • شرابه الحميم والغسلين • وفاعل الخير يسمى امين • موعده جنة عليين • حرمها الله على الضنين

فانشأت فاطمة تقول • امرك يا ابن عم سمع وطاعة • ما بي من لؤم ولا وضاعة • غذيت في الخبز له صناعة •
اطعمه ولا ابالي الساعة • ارجو اذا اطعمت ذا مجاعة • ان الحق الاخيار والجماعة • وادخل الخلد ولي شفاعة •
فاعطوه طعامهم ولم يذوقوا ليلتهم الا الماء • فلما كان اليوم الثاني اصبحوا صياما فطحنت الجارية الصاع الثاني وخبزت
منه خمسة اقراص فصلى علي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين يديه واذا يتيم قد وقف
بين يديه على الباب فقال السلام عليكم يا اهل بيت محمد انا يتيم من اولاد المهاجرين الذين استشهدوا يوم العقبة
اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فسمعه علي رضي الله عنه فانشأ يقول •

فاطم بنت السيد الكريم • بنت نبي ليس بالزنيم • قد جاءنا الله بذي اليتيم • من يرحم اليوم له رحيم •
موعده في جنة النعيم • قد حرم الخلد على اللئيم • يساق في العقبى الى الجحيم • فانشأت فاطمة تقول
اني ساعطيه ولا ابالي • واوثر الله على عيالي • امسوا جياعا وهم اشبالي • اصغرهم يقتل في القتال •
بكربلا يقتل باغتيال • للقاتل الويل مع الوبال • تهوي به النار الى سفال • مقيد اليدين بالاغلال •
كبولة زادت على الاكبال •

فاعطوه الطعام وباتوا على الماء • فلما كان اليوم الثالث طحنت الجارية الصاع الثالث
وخبزت خمسة اقراص وصلى علي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين يديه فاذا اسير قد وقف
على الباب فقال السلام عليكم يا اهل بيت محمد تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا اطعموني فاني اسير محمد اطعمكم الله من
موائد الجنة فسمعه علي • فانشأ يقول • فاطم بنت النبي احمد • بنت نبي سيد مسود •

هذا اسير للنبي المهتدي • مكبل في غله مقيد • من يطعم اليوم يجده في غد • عند العلي الواحد الموحد •
فاطعمي من غير من انكد • حتى تجازى بالنعيم السرمد • فانشأت فاطمة تقول •
لم يبق مما جئت غير صاع • قد دميت بالكف والذراع •
اطعمه الله في الجياع • وما على راسي من قناع •

فاعطوه طعامهم وباتوا ولم يذوقوا الا الماء • فلما اصبح اليوم الرابع اخذ علي الحسن بيده اليمنى والحسين بيده اليسرى
ومضى بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما يرتعشان من شدة الجوع فلما رآهما • قال يا ابا الحسن ما ارى بكم انطلقوا
بنا الى فاطمة فانطلقوا اليها فوجدوها في محرابها وهي قد لصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها من شدة الجوع فقال
النبي صلى الله عليه وسلم واغوثاه • يا الله اهل بيت محمد يموتون جوعا • فهبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد خذ
ما اعطاك هناك الله تعالى في اهل بيتك فقال وما آخذ فقرأ عليه ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها
كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا • يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا
الى قوله تعالى وكان سعيكم مشكورا قوله تعالى ودانية عليهم ظلالها نعت الجنة
اي وجزاهم بما صبروا جنة دانية ظلالها اي قربت ظلال اشجارها عليهم • وانما قيل دانية لان الظلال جمع
وفي قراءة عبد الله ودانيا عليهم قوله تعالى وذللت قطوفها تذليلا • اي وسخرت وقربت
ثمارها يتناول المنعم منها شيئا ولا يرد ايديهم عنها شوك ولا بعد يتناولها القائم والقاعد والمضطجع بينا ولونها كيف شاؤوا • واذا كان
الرجل قائما تطاولت له الشجرة على قدر قيامه وان كان قاعدا او متكئا او مضطجعا انخفضت له على قدر ذلك ومثله
قوله تعالى قطوفها دانية • قال مجاهد ارض الجنة من فضة • وترابها من مسك • واصول شجرها
ذهب وورقها اللؤلؤ والزبرجد والتمر تحت ذلك فمن اكل قائما لم يؤذه ومن اكل قاعدا لم يؤذه ومن اكل مضطجعا لم يؤذه
قوله تعالى ويطاف عليهم بآنية من فضة اي باقداح من فضة واكواب • اي كيزان
لا عرى لها ولا خراطيم قوله كانت قوارير قوارير من فضة • اي كانت
تلك الاكواب من فضة وهي في صفاء القوارير • يرى من خارجها ما في داخلها من الاشربة • قال ابن
عباس لو اخذت من فضة اهل الدنيا فضة فضربتها حتى صارت مثل جناح الذباب لم تر ما وراءها وقوارير الجنة

بياض الفضة وفي صفاء القوارير. قال الكلبي إن الله جعل قوارير كل قوم من [illegible] فهي قوارير
لا ينصرف ومن صرفهما فعلى اتباع رؤوس الآي. قوله تعالى **قدروها تقديرا** أي قدرها الملائكة
قبل مجيئهم بالمقدار فجاءت على ما قدروا، وكما روي أن المؤمن لا يحدث نفسه بشيء من شراب الجنة إلا أتاه الملك
بالشراب الذي اشتهاه في قدح من فضة على الصفة التي ذكرنا على مقدار ري الشارب وشهوته من غير زيادة
ولا نقصان حتى يستوي الكمال من غير أن يكلم به، وألذ الشراب ما لا يكون فيه فضل ولا عجز عن الري. ويقال
في معنى أنها تكون على قدر أكف الخدام وقدر الخدم ولم يثقل حملها على أحد منهم. قوله تعالى **ويسقون
فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا** أي يسقون في الجنة بآنية مملوءة من الخمر كان مزاجها زنجبيلا لا
يشبه زنجبيل الدنيا لكن سماه الله باسمه ليعرف لأن العرب تستطيب رائحة الزنجبيل في الدنيا. وأما هذا
الزنجبيل المذكور في الآية فهو زنجبيل الجنة يشوق ويطرب من غير حرقة ولذع، وإنما قال ذلك لأن العرب
كانت تضرب المثل بالخمر الممزوجة بالزنجبيل. قال [illegible]
كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأريا مشورا. قوله تعالى **عينا فيها تسمى سلسبيلا**
معناه يمزج الخمر بالزنجبيل من عين في الجنة تسمى تلك العين سلسبيلا. والمعنى من عين فيها تسمى سلسبيلا.
قال مقاتل السلسبيل عين من الخمر تنبع من تحت العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان. قوله تعالى **ويطوف
عليهم ولدان مخلدون** أي يطوف عليهم بالخدمة وصفاء خلقوا للخلود ولا يتغيرون عن
سنهم وشبابهم. وقيل معنى مخلدون مسوّرون مقرّطون يقال للجماعة الحلي الخلد. **إذا رأيتهم
حسبتهم** لصفائهم وحسن ألوانهم **لؤلؤا منثورا** أي كاللؤلؤ المنثور فإن اللؤلؤ أبيض ما يكون
إذا انتثر وذلك أن اللؤلؤ إذا انتثر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظوما. قوله تعالى **وإذا رأيت
ثم** أي إذا رأيت في الجنة **رأيت نعيما** لا يوصف. قوله **عظيما** لا تلحقه الزوال والعزل. قال مقاتل
الملك الكبير استئذان الملائكة لا يدخل رسول رب العزة من الملائكة عليهم إلا بإذنهم ولا يدخل إلا بالهدايا من
الله تعالى والسلام من الله تعالى كما قال تعالى في الجنة سلام قولا من رب رحيم. فإذا انتهى الملك إلى الباب قال
للحاجب الذي على الباب ائذن لي بالدخول فيقول الحاجب لا أستطيع أن آذن لك على ولي الله ولكن أخبر الذي
يليني فيخبر الذي يليه فيقول الثاني كذلك فلا يزال كذلك حتى يأتيه الخبر في سبعين بابا فإذن له وهو الملك
الكبير. فإذا دخل عليه الملك قال له إن الله تعالى يقرئك السلام ويضع الهدية بين يديه ما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم يقول له الملك إن الله عنك راض فهذا القول عنده أكرم من السلام والهدية
والنعيم الذي يؤتيه فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر. قوله تعالى **عاليهم ثياب
سندس خضر وإستبرق** قرأ قتادة ومجاهد وابن سيرين ونافع وحمزة والأعمش وأبو
[illegible] عاليهم بإسكان الياء وهو في موضع رفع بالابتداء والمعنى الذي يعلوهم من الثياب. ويقال الذي يعلوهم على
حالهم. وقرأ الباقون عاليهم بنصب الياء على الظرف أي فوقهم ويكون نصبا على الحال أي يطوف على الأبرار ولدان
عادون في هذه الحالة أي في حال علو ثياب السندس عليهم. وقوله تعالى خضر قرأ ابن كثير وحفص بالخفض على نعت
السندس وإستبرق بالرفع نعت الثياب وإستبرق بالخفض على معنى ثياب من سندس ومن إستبرق.
وقرأ نافع وأبو [illegible] خضر وإستبرق كلاهما بالرفع عطفا على الإستبرق على قوله خضر. وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي
كلاهما بالخفض. قوله تعالى **وحلوا أساور من فضة** أي حلي أهل الجنة أساور من فضة وفي آية أخرى يحلون فيها
من أساور من ذهب ولؤلؤا فما قضت الآيتان أن كلا منهما على ثلاثة ألوان سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار
من لؤلؤ. وقال بعضهم الضمير في قوله تعالى وحلوا راجع إلى الولدان. قوله تعالى
وسقاهم ربهم شرابا طهورا أي شرابا من خمر ليس بنجس كما كانت خمر الدنيا نجسة. وقيل إنه

من خمر لا يخالطه شيء من الفساد والقبائح ولا ينقلب إلى التغير بل هو من عين على باب الجنة من شرب منها نزع الله من
قلبه الغل والغش والحسد. قال أبو قلابة إنه لا يصير بولا نجسا ولكنه يصير في أبدانهم كريح المسك. قوله تعالى
إن هذا كان لكم جزاء أي يقال لهم هذا الثواب والكرامة كان لكم جزاء أعمالكم في الدنيا. **وكان
سعيكم مشكورا** أي وكان عملكم في الدنيا مقبولا. هذا معنى الشكر لأنه لا يكون لأحد على الله نعمة
يستحق بها عليه الشكر ولكن شكره لعباده قبول طاعتهم ومغفرة ذنوبهم. قوله تعالى **إنا نحن نزلنا
عليك القرآن تنزيلا** أي إنا نحن نزلنا عليك القرآن يا محمد متفرقا آية وآيتين وثلاث آيات وسورة و
في [illegible] ولم ننزله جملة واحدة. قوله تعالى **فاصبر لحكم ربك** أي اصبر لقضائه على تبليغ الرسالة
ولا تطع منهم آثما أو كفورا أي لا تطع من مشركي مكة آثما أي كذابا فاجرا ولا كفورا أي ولا
كافرا بنعم الله. ويعني بقوله آثما عتبة بن ربيعة، ويعني بالكفور الوليد بن المغيرة. وقيل الآثم الوليد والكفور
عتبة بن ربيعة كانا قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع عن هذا الأمر ونحن نرضيك بالمال والتزويج وكان عتبة قال
للنبي صلى الله عليه وسلم إن كنت صنعت هذا من أجل النساء فلقد علمت قريش أني من أجملها بنات فأنا أزوجك بنتي
وأسوقها لك بغير مهر فارجع عن هذا الأمر. وكان الوليد قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن كنت يا محمد صنعت هذا من أجل المال
فلقد علمت قريش أني من أكثرهم مالا فأنا أعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الأمر فأنزل الله تعالى ولا تطع
منهم آثما أو كفورا. أي ولا تطع منهم آثما ولا كفورا. قوله تعالى **واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا** أي
صل لله تعالى صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر. **ومن الليل فاسجد له** أي فصل له المغرب والعشاء
وسبحه ليلا طويلا أي صل له في الليل الطويل يعني التطوع بعد المكتوبة. وكان على النبي صلى الله عليه وسلم
أن يقوم كل الليل ثم نسخ بقوله قم الليل إلا قليلا. قوله تعالى **إن هؤلاء يحبون العاجلة** يعني كفار مكة
يحبون الدار العاجلة وهي الدنيا. **ويذرون وراءهم يوما ثقيلا** أي يتركون العمل للآخرة وسمي يوم القيامة
يوما ثقيلا لشدة أهواله. وقد يكون وراء بمعنى قدام، قال الله تعالى وكان وراءهم ملك. قوله تعالى
نحن خلقناهم وشددنا أسرهم أي نحن خلقنا أهل مكة وجميع الناس وقوينا خلقهم بعد أن خلقوا من ضعف
وقيل شددنا مفاصلهم لئلا يسترخي شيء منها أي شددنا بعضها إلى بعض بالعروق والعصب. وقيل يعني موضع البول
والغائط شددناهما بحيث إذا خرج الأذى منهما تقبضا. قوله تعالى **وإذا شئنا بدلنا أمثالهم
تبديلا** أي أهلكناهم وأتينا بأشباههم فجعلناهم بدلا منهم. قوله تعالى **إن هذه تذكرة**
أي إن هذه السورة موعظة من الله. **فمن شاء اتخذ** إلى رضا ربه طريقا بالعمل الصالح. قوله تعالى
وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما أي ما تشاءون اتخاذ السبيل إلا بمشيئة
الله تعالى ذلك لكم. وقوله تعالى إن الله كان عليما حكيما أي عليما قبل خلقكم بمن يجعل سبيلا من لا، حكيما
فيما أمركم به. واختلفوا في تفسير هذه الآية. والصحيح أن معناه وما تشاءون إلا أن يشاء الله لكم أن تشاؤوا. وقيل
ذلك أنه لما نزل قوله تعالى لمن شاء منكم أن يستقيم، قالوا قد جعلت المشيئة لنا ولا نشاء فشق ذلك على النبي صلى
الله عليه وسلم فنزل وما تشاءون إلا أن يشاء الله. ومن نفى المشيئة قال إن هؤلاء مخصوصون لا يشاؤون إلا أن يشاء الله أن
يكرههم عليه. وقال الحسن ما شاءت العرب أن يبعث إليه محمد رسولا فشاء الله ذلك وبعثه على كره منهم. وعن
النضر بن شميل أنه قال لا تمضي مشيئة إلا بمشيئة الله تعالى ولا تمضي مشيئة من العبد إلا لسابق علم الله فمن علم الله منه خيرا من
الإيمان شاء الله له أن يوفقه، ومن شاء الكفر شاء الله له أن يخذله. قوله تعالى **يدخل من يشاء في رحمته**
أي يكرم من يشاء بدين الإسلام بتوفيقه من كان أهلا لذلك. قوله تعالى **والظالمين أعد لهم
عذابا أليما** نصب الظالمين على الجوار ولأن ما قبله منصوب المعنى ويعذب الظالمين أعد لهم
عذابا أليما. ويعني بالظالمين مشركي مكة. والله أعلم.

سورة المرسلات

وهي ثمان مائة وستة عشر حرفا ومائة واحدى وثمانون كلمة وخمسون آية ، قال صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
والمرسلات كتب انه ليس من المشركين ،

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا ، يعني الرياح ارسلت متتابعة كعرف الفرس اي ورب المرسلات عرفا وقال مقاتل
معناه والملائكة التي ارسلت بالمعروف من امر الله ونهيه **قوله تعالى** والعاصفات عصفا يعني الرياح الشديدة
الهبوب واذا وقعت الريح الشديدة في البحر صارت عاصفة **قوله** والناشرات نشرا يعني الرياح التي
تنشر السحاب للمطر نشرا وهي اللينة التي يرسلها الله نشرا بين يدي رحمته وقيل العاصفات الملائكة تعصف بارواح الناس
اي تذهب بها ، وقيل الناشرات الملائكة ايضا لانها تنشر الصحائف يامر الله **قوله** فالفارقات فرقا
يعني الملائكة تنزل من عند الرحمن بالفرق بين الحلال والحرام والحق والباطل **قوله تعالى** فالملقيات ذكرا
يعني تلقي كتب الله الى الانبياء **قوله تعالى** عذرا او نذرا ، معناه اعذارا من الله وانذارا للخلق والاعذار
قطع المعذرة والانذار الاعلام بموضع المخافة ليتقى وهذا بعث الرسل وانزال الكتب والمعنى بهذه
الآيات ان كفار مكة لما انكروا البعث اقسم الله تعالى بما بين من قبل رزقه وتدبيره بالملائكة والسحاب
والرياح ان قيام الساعة كائن فقال انما توعدون لواقع اي ان امر الساعة والبعث كائن
لا محالة ثم ذكر متى يقع فقال الله تعالى فاذا النجوم طمست ، اي محي نورها وسلب ضوؤها وتساقطت كما
قال تعالى واذا الكواكب انتثرت **قوله تعالى** واذا السماء فرجت اي شقت من هيبة الرحمن وانفطرت
بعد ان كانت سقفا محفوظا ولحاقها الدخان ثم الانشقاق قال الله تعالى وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ثم
الانفتاح قال الله تعالى وفتحت السماء ، الانفراج حتى تلاشا فتصير كانها لم تكن **قوله تعالى** واذا الجبال نسفت
اي قلعت من اماكنها بسرعة **قوله تعالى** واذا الرسل اقتت ، اي بين لها مواقيتها للفصل في القضاء
بينهم وبين الامم وقيل جمعت لوقتها وانما قلبت الواو همزة على قراءة غير ابي عمرو لان كل واو انضمت وكانت ضمتها
لازمة جاز ابدالها همزة ولان العرب تعاقب بين الواو والهمزة كقولهم اكدت ووكدت وارخت الكتاب وورخت
ووساده واساده قرا ابو عمرو وقتت بالواو والتشديد على الاصل وقرا ابو جعفر بالواو والتخفيف ، وقراءة
عيسى وخالد بن الياس اقتت بالالف والتخفيف وقرا الباقون بالالف والتشديد **قوله** لاي يوم اجلت
معناه لاي يوم اخرت هذه الاشياء من الطمس والنسف وغيرهما ثم بين بقوله تعالى ليوم الفصل ، اي
اخرت ليوم الفصل بين الخلائق وهو يوم القيمة سمي بهذا الاسم لانه يفصل فيه بين المحق والمبطل وبين الظالم والمظلوم
قوله تعالى وما ادراك ما يوم الفصل فيه تعظيم لامر ذلك اليوم اي لم تكن تعلم يا محمد ما يوم الفصل
وما اعد الله فيه لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب حتى انا اخبرك **قوله** ويل يومئذ للمكذبين
الويل واد في جهنم للمكذبين بالوعيد **قوله تعالى** الم نهلك الاولين ، معناه الم نهلك قوم نوح بالعذاب في الدنيا
حين كذبوا نوحا ، ثم نتبعهم الآخرين اي الحقنا بهم الآخرين وهم قوم هود ومن بعدهم كذلك نفعل بالمجرمين من
امتك يا محمد يعني كفار مكة ومن سلك طريقهم قرا الاعرج ثم نتبعهم الآخرين بالاسكان عطفا على نهلك وقراءة الكافة نتبعهم
بالرفع على معنى ثم نتبعهم وقراءة ابن مسعود وسنتبعهم **قوله** الم نخلقكم من ماء مهين ، تنبيه على القدرة
على الاعادة وتحذير من التكبر لان الذي يقدر على ان يخلق من الماء الحقير بشرا على هذه الصفة قادر على الاعادة
الخلق بعد الموت ، والمراد بالماء المهين النطفة **قوله تعالى** فجعلناه في قرار مكين اي في الرحم
الى قدر معلوم يعني مدة الحمل على اختلاف مدة حمل الحيوانات لا يعلم مقدار ذلك ولا صفة الحمل الا
الله **قوله** فقدرنا فنعم القادرون ، قرا السلمي وقتادة ونافع وايوب بالتشديد
من التقدير لفظا وعلما ومصعا ساذكرا واني ، وقصرا وطويلا ، وقرا الباقون مخففا ، ومعناهما
واحد ويجوز ان يكون من القدرة ، وقوله تعالى فنعم القادرون معناه على انهم القادرون على

على الخلق وعلى الاولى انهم المقدرون هذه المخلوقات **قوله تعالى** الم نجعل الارض كفاتا
احياء وامواتا ، معناه تكفتهم احياء على ظهورها في دورهم ومنازلهم وتكفتهم امواتا في بطونها اي
تحوزهم وظهرها للاحياء ، وبطنها للاموات وعن مجاهد معناه تكفت الميت فلا يرى منه شيء وتكفت الحي في بيته
فلا يرى من عمله شيء وفي كل واحد من هذين من النعمة ما لا يخفى على عاقل والكفت في اللغة الضم وسمي الوعاء كفاتا بكسر
الكاف لانه يضم الشيء وفي هذه الآية دليل على وجوب مواراة الميت ودفنه ودفن شعره وسائر ما يزايله **قوله تعالى**
وجعلنا فيها رواسي شامخات ، اي جبالا ثوابت ، والشوامخ الطوال العاليات ،
المرتفعات جعلت اوتادا للارض تمسكت بها وكانت تمور كالسفينة لا تستقر على الماء الا مرسيات تثقلها
قوله تعالى واسقيناكم ماء فراتا ، اي عذبا حلوا غير ملح ولا اجاج ، ويل
يومئذ للمكذبين ، بنعم الله الذي لم يشكروها **قوله تعالى** انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون ،
معناه ويقال لهم يوم القيامة تقول لهم الخزنة انطلقوا الى العذاب الذي كنتم تكذبون به في الدنيا انه لا يكون
انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب ، اي انطلقوا الى دخان من جهنم قد سطع ثم افترق ثلاث
فرق وهو قوله تعالى ذي ثلاث شعب ، شعبة فوقهم وشعبة تحتهم عن يمينهم وشعبة عن يسارهم وذلك انه
يخرج لسان من النار فيحيط بهم كالسرادق فيحبسون فيه الى ان يساقوا الى النار افواجا افواجا ، قال ابن هيثم
التخصيص الظل يستظل الكفار قبل الحساب والمعنى انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب فكونوا فيه الى من الحر ولا
يغني من اللهب اي ولا يرد عنكم لهب جهنم اي انهم اذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم من حر النار شيئا
فاما المؤمنون فيقيلون في الجنة كما قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا **قوله**
انها ترمي بشرر كالقصر كانه جمالات صفر ، معناه ان النار تقذف بشرر متفرق متطاير كالقصر
وهو البناء العظيم كالحصن ، وقيل مثل قصور الاعراب على المياه يعني الخيام قال مقاتل بشرر النار
في ذلك اليوم يكون من الكثرة عدد النجوم وورق الاشجار لا يقع شيء منها الا على اكتاف الرجال ، والشرر
ما تطاير من النار وينتشر في الجهات متفرقا ، وقرا علي وابن عباس كالقصر بفتح الصاد اراد كاعناق نحل
وقيل كاعناق الدواب وهي الابل والقصر العنق وجمعه قصر وقصرات ، وقرا سعيد بن جبير كالقصر بكسر
القاف وفتح الصاد وهي لغة فيه قوله تعالى كانه جمالات صفر يعني ان لون الشرر لون الجمال الصفر وجمالات
جمع جمال قرا حمزة والكسائي وخلف وحفص جمالة بضم الجيم من غير الف اراد الاشياء العظيمة المجموعة وقرا ابن عباس
جمالات بضم الجيم جمع جمالة وهي الشيء المجمل ، وقوله تعالى صفر معناه سود قال الفراء الصفر سود الابل لا ترى اسود من
الابل الا وهي مشرب صفرة لذلك سمت العرب سود الابل صفرا والاصفر الاسود من الابل قال الاعشى ،
تلك خيلي منه وتلك ركابي ، هن صفر اولادها كالزبيب ،
اي هن سود **قوله** هذا يوم لا ينطقون قال المفسرون ان في يوم القيمة مواقف ففي بعضها
يختصمون ويتكلمون ، وفي بعضها يختم على افواههم فلا يتكلمون ، وعن قتادة قال جاء رجل الى عكرمة فقال
ارايت قول الله تعالى هذا يوم لا ينطقون ، وقوله تعالى ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون . فقال انها
مواقف ، فاما موقف منها فتكلموا واختصموا ثم ختم على افواههم فتكلمت ايديهم وارجلهم فحينئذ لا ينطقون
وهذا الموقف المذكور في الآية من المواطن التي لا يتكلمون فيها **قوله تعالى** ولا يؤذن لهم
فيعتذرون ، قال مقاتل لا ينطقون اربعين سنة ولا يؤذن لهم فيها فيعتذرون وانما رفع فيعتذرون
وانما عطف على يؤذن ، ولو قال فيعتذروا على النصب بالفاء كان حسنا كقوله تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا
ولو كان لهم عذر لم يمنعوا من الاعتذار ، قال الجنيد واي عذر لمن كفر بآيات ربه فاعرض عن منعمه ،
قوله تعالى هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين اي هذا يوم الفصل بين اهل

الجنة والنار جميعا كم مكذبي هذه الامة والاولين كذبوا انبياءهم ٭ فان كان لكم كيد فكيدون
اي يقال لهم على وجه التقريع ان كان لكم حيلة في دفع العذاب فاحتالوا لانفسكم ٭ وقيل معناه ان كان لكم كيد
تكيدون به اوليائي كما كنتم تكيدونهم في الدنيا فكيدوهم ٭ قوله تعالى ان المتقين في ظلال
وعيون اي في ظلال الاشجار وقصور الدور وعيون جارية تجري بالماء والخمر واللبن والعسل ٭ وفواكه
مما يشتهون ٭ ويتمنون يقال لهم كلوا ثمار الجنة ٭ واشربوا من شرابها ٭ هنيئا بما
كنتم تعملون ٭ اي بما من الافات من الطاعات قوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين
اي هكذا نجزي المحسنين على احسانهم ٭ ثم يقال للكفار كلوا وتمتعوا قليلا في الدنيا الى منتهى آجالكم
انكم مجرمون ٭ اي مشركون بالله قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اي اذا
امروا بالصلوات الخمس لا يصلون ويل يومئذ للمكذبين بالركوع قوله تعالى فبأي حديث بعده يؤمنون ٭
اي ان لم يؤمنوا بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه فبأي كتاب يصدقون ولا كتاب بعده

سورة النبأ اربعون آية مكية ٭

وهي سبعمائة وسبعون حرفا ومائة وسبعون كلمة واربعون آية ٭ قال صلى الله عليه وسلم من قرأها
سقاه الله برد الشراب يوم القيمة ٭

بسم الله الرحمن الرحيم

عم يتساءلون عن النبأ العظيم ٭ قال المفسرون لما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم واخبرهم بتوحيد الله
والبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم ويقولون ماذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وما الذي
اتى به فانزل الله هذه الآية ٭ ومعناها عن اي شيء يتحدثون فيما بينهم وهذه لفظة لفظ استفهام ٭ والمعنى
تفخيم القضية واصله عن ما ٭ فادغمت النون والميم ٭ وحذفت الالف مثل قوله فيم انت من ذكراها وعلام تقتل
بخلاف قولهم سألت فلانا عما يفعل لا يجوز فيه حذف الالف لان معناها الذي وكذلك
اذا كانت ما للصلة كقوله تعالى عما قليل ليصبحن نادمين ٭ قوله تعالى عن النبأ العظيم ٭ اخبار من
الله تعالى بان الذي يتساءلون عنه النبأ العظيم اي الخبر الشريف وهو القرآن فانه خبر عظيم الشأن لانه
ينبئ عن التوحيد وتصديق وتصديق الرسل والخبر ما يجوز وما لا يجوز عن البعث والنشور قوله تعالى
الذي هم فيه مختلفون يعني انهم اختلفوا في القرآن فجعله بعضهم سحرا وبعضهم كهانة وبعضهم شعرا
وبعضهم اساطير الاولين ثم اوعد الله من كذب بالقرآن قوله تعالى كلا سيعلمون ٭ اي ليس الامر
على ما قالوا سيعلمون عاقبة تكذيبهم حتى ينكشف الامور ٭ ثم كلا سيعلمون ٭ وعيد على اثر
وعيد وقيل معنى كلا ارتدعوا وازجروا فليس الامر على ما تظنون وسيعلم الكفار عاقبة امرهم ثم كلا سيعلمون
امر القيمة واهوالها وما لهم من انواع العذاب في النار قوله تعالى الم نجعل الارض مهادا ٭
والجبال اوتادا نبه سبحانه وتعالى على عظيم قدرته ولطيف حكمته ليعرفوا توحيده ٭ والمهاد الوطاء
للتصرف عليه من غير كلفة فالارض مهاد يسيرون في مناكبها ٭ ويسكنون في مساكنها ٭ والمهاد والمهد بمعنى
واحد والمهاد الفراش والجبال اوتاد الارض لان الارض كانت تنكفأ باهلها على وجه الماء فارساها
الله بالجبال الثوابت حتى لا تميد باهلها ٭ وكان ابو قبيس اول جبل وضع على الارض قوله تعالى
وخلقناكم ازواجا ٭ اي ذكرانا واناثا ويقال الوانا واصنافا وكلكم ترجعون الى اب واحد
وجعلنا نومكم سباتا اي راحة لابدانكم لكل من يعمل من الخلق اذا نام استراح والسبات مأخوذ
من السبت وهو القطع من السبات قطع العمل والسبات ههنا ان ينقطع عن الحركة والروح في بدنه

والروح في بدنه قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا اي ساترا بظلمته وسواده لكل شيء ٭ وجعلنا
النهار معاشا اي ذا ضياء لطلب المعاش بالحراثة والتجارة ونحوهما قوله تعالى وبنينا فوقكم سبعا
شدادا ٭ اي رفعنا فوق رؤوسكم سبع سموات غلاظا شديدة الاتقان قائمة باذن الله تعالى لا تتهاوى ولا
تتغير من طول الزمان غلظ كل سماء خمسمائة عام وجعلنا فيها الشمس سراجا وهاجا اي وقادا ممتلئا مشتعلا
بالنور العظيم تنضج الاشياء بحرها ٭ وتضيء الناس بنورها ٭ والوهج مجمع النور والحرارة قوله تعالى ٭
وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ٭ قال مجاهد ومقاتل والكلبي المعصرات الرياح لانها تعصر
السحاب حتى يخرج منه المطر ٭ قال الازهري هي الرياح ذات الاعاصير ومن معناها الباكات قال بالمعصرات
ولان الريح تستدر المطر ٭ قال ابو العالية والربيع والضحاك المعصرات السحاب التي يتحلب منها المطر
كالمرأة المعصر وهي التي دنا حيضها ٭ قال الشاعر ٭

جارية بالابرقين دارها ٭ قد اعصرت وقد دنا اعصارها ٭
تسقط من علتها ازهارها ٭ تمشي الهوينا ساقطا خمارها ٭

وقال ابن عباس المعصرات الفاطرات ٭ وقال ابن كيسان المغيثات ٭ وقال زيد بن اسلم المعصرات
السموات والماء الثجاج هو السائل الصباب ٭ والثج الصب ٭ كما روي في الحديث افضل الحج العج والثج ٭ اراد
بالعج رفع الصوت بالتلبية وبالثج اراقة الدم ٭ وقال مجاهد ثجاجا اي مدرارا ٭ وقال قتادة متتابعا ٭
يتلو بعضه بعضا قوله تعالى لنخرج به حبا ونباتا اي لنخرج بالمطر ما تأكلونه وما ترعاه انعامكم
وجنات الفافا اي بساتين ملتفة الاشجار واحدها لف بالكسر وجمعه لف بالضم وجمع الجمع الفاف قوله تعالى
ان يوم الفصل كان ميقاتا معناه ان يوم الفصل بين الخلائق وهو يوم القيمة كان ميقاتا للاولين
والآخرين ان يجتمعون فيه وميقاتا لما وعد الله من الثواب والعقاب ثم بين متى يكون ذلك اليوم
قوله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا يعني نفخة البعث فيأتي كل اناس بامامهم فوجا
بعد فوج وزمرا زمرا من كل مكان للحساب ٭ والصور قرن ينفخ فيه اسرافيل ٭ وعن معاذ بن جبل قال
قلت يا رسول الله ارأيت قوله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا ٭ قال يا معاذ سألت عن عظيم من الامر
ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا معاذ يحشر الناس عشرة اصناف من امتي اشتاتا قد بدل
الله صورهم وغيرهم من جماعة المسلمين فبعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير ٭
وبعضهم منكسين الرؤوس وارجلهم فوق وجوههم يسحبون وبعضهم عمي يترددون ٭ وبعضهم صم
بكم عمي لا يعقلون ٭ وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم ٭ يسيل القيح من افواههم ٭
لعابا يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم ٭ وبعضهم مصلبين على جذوع من نار ٭
وبعضهم اشد نتنا من الجيف ٭ وبعضهم يلبسون جبابا من قطران لازقة بجلودهم ٭ فالذين
على صورة القردة النمامون ٭ والذين على صورة الخنازير اكلوا السحت ٭ والذين هم
منكسون على رؤوسهم اكلة الربا ٭ والعميان الجائرون في الحكم ٭ والصم البكم الذين يعجبون باعمالهم
والذين يمضغون السنتهم العلماء الوعاظ الذين خالف قولهم اعمالهم ٭ والمقطعة ايديهم وارجلهم
الذين يؤذون الجيران ٭ والمصلوبون على جذوع النار السعاة الى السلطان ٭ والذين هم
اشد نتنا من الجيف هم الذين يتنعمون بالشهوات واللذات ٭ ومنعوا حق الله تعالى من اموالهم
والذين يلبسون الجباب هم اهل الكبر والفخر والخيلاء قوله تعالى وفتحت السماء
فكانت ابوابا ٭ اي فتحت لنزول الملائكة فكانت ذات ابواب وقرأ اهل الكوفة وفتحت بالتخفيف قوله تعالى وسيرت
الجبال فكانت سرابا ٭ اي سيرت على وجه الارض فصارت كالسراب المبتدع اذا رآه الناظر حسبه شرابا بعد شدتها وصلابتها

والنفخ في الصور فيه قولان احدهما ان الصور جمع الصورة فان النفخ في الصور عبارة عن نفخ الارواح في الاجساد والثاني ان الصور عبارة عن قرن ينفخ فيه

الجزء

والسراب الغبار المنبث في الهوا يحسبه العطشان عند وقوع الشمس انه ما وليس بما **قوله تعالى إن جهنم كانت
مرصادا** ، اي طريقا وممرا للعباد ولا سبيل الى الجنة حتى يقطع النار ، وقال مقاتل معناه ان جهنم كانت
محبسا معدة للطاغين اي الكافرين مآبا اي مرجعا يرجعون اليه ، وفي الحديث انها اعرف باصحابها من
الوالدة بولدها **قوله تعالى لابثين فيها احقابا** ، قرا حمزة لبثين فيها ، وقرا
الباقون لابثين ، وهما المعنى واحد ، اي ماكثين فيها مقيمين ، واختلف العلماء في معنى واحد اي
ماكثين فيها مقيمين ، واختلف العلما في معنى الحقب ، فروي عن عبد الله بن عمر ان الحقب الواحد اربعون
سنة كل يوم منها الف سنة فهذا هو الحقب الواحد ومن احقاب لا يعلم عددها الا الله عز وجل ، وعن علي
رضي الله تعالى عنه ، ان الحقب الواحد ثمانون سنة ، كل سنة اثنى عشر شهرا كل شهر ثلثون يوما
كل يوم الف سنة ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال والله لا يخرج من النار من دخلها من
المشركين حتى يكونوا فيها احقابا ، والحقب بضع وثمانون سنة ، والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم الف
سنة ، وقال الحسن ان الله لم يذكر شيئا الا وقد جعل له مدة ينتهي اليها ولم يجعل لاهل النار مدة بل
قال لابثين فيها احقابا ، فوالله ما هو الا اذا مضى حقب دخل اخر ثم اخر الى الابد ، فليس للاحقاب عدة
الا الخلود في النار ولكن قد ذكر ان الحقب الواحد سبعون الف سنة كل يوم منها الف سنة مما تعدون ، وقال
مقاتل الحقب الواحد سبع عشر وثلثين سنة وقال وهذه الاية منسوخة بقوله تعالى فلن نزيدكم الا عذابا يعني
ان العدد قد انقطع ، وان الخلود قد حصل ، وعن عبد الله بن رفعه قال لو علم اهل النار انهم يلبثون
في النار عدد حصا الدنيا لفرحوا ، ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون في الجنة عدد حصا الدنيا لحزنوا
قوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ، اي لا يذوقون في تلك الاحقاب
بردا ولا شرابا من الما ، وقيل معنى ذلك لا يذوقون في جهنم مع شدة حرها بردا ينفعهم الله به من حرها ولا
شرابا ينفعهم من عطشها ، وقيل لا يذوقون في جهنم برد ريح ولا ظل ولا شرابا باردا الا حميما وغساقا
اي الما حارا في غاية الحرارة وغساقا وهو ما يغسق اي ما يسيل من صديد اهل النار وكل ذلك يزيد
في العطش ، وقال شهر بن حوشب الغساق واد في النار فيه ثلثمائة وثلثون شعبا في
كل شعب ثلثمائة وثلاثون بيتا في كل بيت اربع زوايا في كل زاوية ثعبان كاعظم ما خلق الله تعالى
في راس كل ثعبان سم لا يعلم قدره الا الله ، وعن ابي معاذ النحوي ، قال في قوله لا يذوقون فيها بردا
ان البرد النوم ، ومثله قال الكسائي وابو عبيد ، والعرب تقول منع البرد البرد ، اي اذهب
البرد النوم ، ولان العطشان لينام فيبرد غليله ولذلك سمي النوم بردا ، قال الشاعر

وان شئت حرمت النسا سواكم ، وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا ،

اي نعما **قوله تعالى جزاء وفاقا** ، انتصب على المصدر اي جوزوا على وفق اعمالهم وقيل تقديره جازيناهم
جزاء ، وقوله تعالى وفاقا اي وافق اعمالهم وفاقا كما يقول قائل سالا ، والمعنى جوزوا بحسب اعمالهم
وعلى قدر اعمالهم ، قال مقاتل وافق العذاب الذنب ، فلا ذنب اعظم من الشرك ، ولا عذاب اعظم من
النار **قوله تعالى انهم كانوا لا يرجون حسابا** ، اي انهم كانوا لا يخافون انهم
يحاسبوا ، والمعنى كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بانهم يحاسبوا ، وكذبوا باياتنا كذابا ، اي
وكذبوا بمحمد والقران تكذيبا ، وفعال من مصادر التفعيل قال الفراء هي لغة فصيحة يمانية ، وتقول
حرقت القميص حراقا **قوله تعالى وكل شيء احصيناه كتابا** ، اي وكل شيء في
اللوح المحفوظ كقوله تعالى وكل شيء احصيناه في امام مبين **قوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا** ، اي يقال لهم ذوقوا العذاب في النار فلن نزيدكم الا الوان العذاب لونا بعد لون

وكل عذاب ياتي بعد الوقت الاول فهو زائد على الاول **قوله تعالى ان للمتقين مفازا** ،
المتقي هو المؤمن المطيع لله الكاف عن جميع معاصيه ، والمفاز موضع الفوز وهو الجنة ، والمعنى ان للمتقين
فوزا ونجاة من النار **قوله تعالى حدائق واعنابا** ، تفسير لذلك الفوز والحدائق جمع الحديقة وكلما احيط
عليه الحائط من الاشجار فهو حديقة وهو البستان الجامع والاعناب جمع انواع العنب في البستان والمعنى
ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا يعني اشجار الجنة وثمارها ، وقوله تعالى **وكواعب اترابا** ،
الكواعب جمع الكاعب وهي الجارية الناهد الفلكة الثدي ، وهي التي خرج ثديها باحسن الخروج ولم يتطامن
بعد ، والاتراب اللذات المستويات في السن ، ويجوز ان يكون المعنى لا يسمعون مثل ازواجهن في السن
والصورة والقد **قوله تعالى وكاسا دهاقا** ، الكاس الانا الذي فيه الشراب والدهاق
الملآن المتتابع والمعنى كاسا ممتلية **قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا
كذابا** ، اي لا يسمعون في مجالسهم في الجنة كلاما لا فائدة فيه ولا يكذب بعضهم بعضا والمعنى
لا يسمعون في الجنة اذا شربوا الخمر باطلا من الكلام ولا يكذب بعضهم بعضا ، قال ابن عباس وذلك
ان اهل الدنيا اذا شربوا الخمر تكلموا بالباطل ، واهل الجنة اذا شربوا لم يتكلموا عليها بشيء يكرهه الله
وقرا الكسائي ولا كذابا بالتخفيف اي لا يكذب بعضهم بعضا ، والكذاب مصدر المكاذبة وهو حسن
المعنى **قوله تعالى جزاء من ربك عطاء حسابا** ، اي جازاهم
الله بهذه الاشيا جزاء من ربك واعطاهم عطاء حسابا اي كافيا ، وقال ابن قتيبة عطاء
كافيا يقال احسبت فلانا اي اكرمته واعطيته ما يكفيه ، وقال الزجاج في ذلك الجزاء
كل ما يشتهون ، ومن ذلك قولهم حسبي اي كفاني ، والمعنى جزاء من ربك عطاء كثيرا كافيا
وافيا **قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن** قرا نافع
وابو عمرو وابن كثير رب السموات برفع البا والرحمن بالرفع ايضا على معنى هو رب السموات
والارض وما بينهما هو الرحمن وان شئت قلت رب مبتدا والرحمن خبر ، وقرا ابن عامر وعاصم
ويعقوب كلاهما وهو بالخفض على البدل من ربك ، وقرا حمزة والكسائي وخلف رب بالخفض الرحمن رفعا
قريبا من ربك فيكون نعتا له وارتفع الرحمن لبعده عنه فيكون مبتدا وما بعده خبر **قوله تعالى
لا يملكون منه خطابا** ، قال مقاتل لا يملك الخلق على ان يكلموا الرب الا باذنه
وقال الكلبي معناه لا يشفعون الا باذنه وقيل لا يجترئ احد ان يتكلم في عرصات القيمة
الا باذنه ثم وصف ذلك اليوم فقال ، **يوم يقوم الروح والملائكة صفا**
قيل معناه في يوم الروح ، واختلفوا في الروح ، قال الشعبي والضحاك هو جبريل الذي
سماه الله الروح الامين ، وقال ابن عباس هو ملك الموت اعظم الملائكة خلقا ، وقال ابن مسعود
هو ملك عظيم اعظم من السموات ومن الجبال واعظم من الملائكة وهو في السما الرابعة يسبح كل يوم اثني
عشر الف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا ، وقال مجاهد وقتادة الروح خلق
من خلق الله على صورة بني ادم ، وليس منهم يقوم صفا والملائكة صفا هؤلاء جند وهؤلاء
جند ، وعن ابن عباس انه ملك لم يخلق الله في الملائكة اعظم منه ، فاذا كان يوم القيمة
قام وحده صفا ، وقامت الملائكة صفا كلهم فيكون عظم خلقه مثل صفوفهم ، وقيل هم خلق
غير الجن والانس يرون الملائكة والملائكة لا يرونهم كما ان الملائكة يروننا ونحن لا نراهم **قوله تعالى
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن** معناه الخلق كلهم المؤمنون والملائكة لا يتكلمون
الا من اذن له الله تعالى في الكلام ولا يؤذن الا لمن اذا قال **وقال صوابا** ،

وقيل معناه الا من اذن له الرحمن وقال في الدنيا قولا صوابا عدلا وهو كلمة التوحيد
يعني لا اله الا الله **قوله تعالى ذلك اليوم الحق** اي ذلك اليوم الذي وصف الله وهو اليوم
الحق **فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا** اي مرجعا حسنا اي من شاء اتخذ الى ربه ورجع الى
الله بطاعته بمحو الكفر **قوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا** اي خوفناكم من
عذاب قريب كائن يعني العذاب في الاخرة وكلما هو آت قريب والخطاب لاهل مكة ثم بين متى يكون ذلك العذاب
قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه اي يوم يرى الرجل جزاء عمله في الدنيا من
خير وعمل شر وخص اليدين لان اكثر العمل يكون بهما **وما الكافر فيقول يا ليتني كنت ترابا** اي ليتني
لم ابعث ولیتني بقيت ترابا بعد الموت وقال مقاتل ان الله يجمع الدواب والطيور والوحوش
يوم القيمة ويقضي بين الثقلين الجن والانس ثم يقضي للجماء من القرناء فاذا فرغ من ذلك قال من ربكم فيقولون
الرحمن الرحيم فيقول الله تعالى انا خلقتكم وسخرتكم لبني ادم وكنتم لي مطيعين ايام حيوتكم فارجعوا الى
الذي خلقتكم منه فيصيرون ترابا فعند ذلك **ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا**
قال ابو هريرة فيقول التراب للكافر لا حبا ولا كرامة لك ان تكون مثلي والله اعلم

سورة والنازعات اربعون وست آيات

وهي سبعمائة وثلثة وخمسون حرفا ومائة وتسع وتسعون كلمة وست واربعون آية قال صلى
الله عليه وسلم من قرأها هون الله عليه نزعه عند موته ولم يكن حسابه في القيمة الا قدر صلوة
مكتوبة حتى يدخل الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا اقسم الله بالملئكة اعظاما لهم ولله تعالى ان يقسم بغيره وليس للعباد ان
يقسموا الا به ويجوز ان يكون القسم ههنا برب الملئكة كانه قال ورب الملائكة النازعات
والنازعات هم الملائكة الذين ينزعون ارواح الكفار بالشدة من اجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت
الاظافير واصول القدمين ثم يردونها في اجسادهم حتى اذا كادت تخرج ردوها في جسده قال مقاتل يعني
ملك الموت واعوانه قال سعيد بن جبير ينزعون ارواحهم ثم يقذفون بها الى النار وقال السدي هي النفس
حين تغرق في الصدر وقيل يرى الكافر نفسه وقت النزع كانها تغرق وقيل معناه تنزع الملائكة ارواح الكفار
عن اجسادهم كما يغرق النازع في القوس فيبلغ به غاية المد والغرق اسم اقيم مقام الاغراق **قوله تعالى**
والناشطات نشطا هم الملئكة ينشطون روح الكافر في قدميه الى حلقه تنشيطا
كما ينشط الصوف من سفود الحديد قيل انهم ينشطون ارواح الكفار نشطا عنيفا ويجذبونها جذبا بشدة
بكرب ومشقة وعم كنشط السفود الكبير الشعر من الصوف المبلول ويشدد عليهم خروج ارواحهم يقال نشطت
البعير اذا ربطته بالحبل وانشطته اذا حللته **قوله تعالى والسابحات سبحا** هم الملئكة الموكلون بقبض ارواح
المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها تستريح رويدا كالسابح بالشيء في الماء برفق وقال مجاهد هم الملئكة ينزلون من
السماء مسرعين كالفرس الجواد يقال للفرس الجواد السابح لسرعته وقال الكلبي هم الملائكة يقبضون ارواح المؤمنين كالذي
يسبح في الماء فاحيانا ينغمس واحيانا يرتفع يسلونها سلا رفيقا وقال قتادة هي النجوم والشمس والقمر قال الله تعالى
كل في فلك يسبحون وقال عطاء هي السفن **فالسابقات سبقا** هم الملئكة سبقت ابن ادم بالخير والعمل الصالح
والايمان والتصديق ويسبقون بارواح المؤمنين الى الجنة **فالمدبرات امرا** يعني جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت
يدبرون امر الله في اهل الارض جبرئيل بالوحي والتنزيل وميكائيل للقطر والنبات واسرافيل للصور وملك الموت لقبض الارواح
وجواب هذه الاقسام محذوف تقديره لتبعثن للجزاء والحساب **يوم ترجف الراجفة** يعني النفخة الاولى التي يموت

فيها جميع الخلائق والراجفة صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب **تتبعها الرادفة** يعني
النفخة الثانية ردفت النفخة الاولى وبينهما اربعون سنة وسميت الثانية رادفة تشبيها بالرادفة من
المراكب **قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة** اي مضطربة قلقة لما عاينت من
اهوال يوم القيمة قيل ارادتها قلوب الكفار والوجيف اضطراب القلب وقال مجاهد يعني وجفة
وجلة وقال السدي زائلة عن اماكنها وقيل غير هادئة ولا ساكنة وقال ابو عمرو من يكنه
قوله تعالى ابصارها خاشعة ابصار اصحابها ذليلة خاضعة وذلك ان المنظر
الخائف لا بد ان يكون نظره نظر الذليل الخاضع لترقب ما ينزل من الامر العظيم ويقال كسير ذليل عند
معاينة النار كقوله خاشعين من الذل قال عطاء يريد ابصار من مات كافرا ويدل عليه انه ذكر منكري
البعث فقال **يقولون ائنا لمردودون في الحافرة** معناه يقول الكفار وهم في
الدنيا انرد الى اول حالنا وابتداء امرنا فنصير احياء كما كنا يقال رجع فلان في حافرته اي رجع من حيث
جاء والحافرة عند العرب اسم لاول الشيء وابتداء الامر والمعنى انهم كانوا يستبعدون البعث ويقولون
انرد الى الحيوة الاولى ونعاد كما ونعاد نشأ الارواح بعد ان نصير عظاما نخرة اي بالية ومنه قولهم
رجع فلان في حافرته اذا رجع في الطريق الذي جاء فيه وقال بعضهم الحافرة الارض التي تحفر فيها
قبورهم والحافرة بمعنى المحفورة كما في عيشة راضية وماء دافق ومعناه ائنا لمردودون الى الارض فنبعث
خلقا جديدا ونمشي على اقدامنا وقال ابن زيد الحافرة النار وقيل معناه انرد احياء في قبورنا بعد الموت
قوله تعالى اذا كنا عظاما نخرة قرأ اهل الكوفة ناخرة بالالف وهي قراءة عمر
رضي الله تعالى عنه وابنه وابن عباس وابن مسعود وابن الزبير وقرأ الباقون نخرة بغير الف والنخرة
البالية والناخرة المجوفة يقال نخر العظم ينخر فهو ناخر ونخر اذا بلي وتفتت وقال الاخفش
هما لغتان ايهما قرأت فحسن والمعنى انهم انكروا البعث فقالوا انرد احياء اذا متنا وبليت
عظامنا **قوله تعالى قالوا تلك اذا كرة خاسرة** كانوا يقولون على جهة التكذيب
ان كان الامر على ما يقول محمد فتلك الرجعة اذا رجعة خاسرة والخاسرة ذات الخسران اي ان رددنا
بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت ثم اعلم الله سهولة البعث عليه فقال تعالى ردا عليهم **فانما
هي زجرة واحدة** يعني النفخة الاخرة صيحة واحدة يسمعونها وهم في بطون الارض
اموات **فاذا هم بالساهرة** اي فاذا هم احياء على وجه الارض والساهرة وجه
الارض وظهرها والمعنى فانما هي نفخة واحدة وصيحة واحدة هائلة فاذا هم بالساهرة
اي فاذا هم على ظهر الارض بعد ان كانوا في جوفها والعرب تسمي وجه الارض ساهرة وسميت
الارض ساهرة لان فيها نوم الحيوان وسهرهم ويقال ان المراد بالساهرة ارض بيت المقدس ويقال
اراد به الارض الاخرة وقيل الساهرة جهنم **قوله تعالى هل اتاك حديث موسى** اي هل
جاءك يا محمد حديث موسى **اذ ناداه ربه** اي قد بلغك قصة موسى وخبره وهذا استفهام بمعنى التقرير كما يقول
الرجل لغيره هل بلغك حديث فلان وهو يعلم انه بلغه ذلك ولكن يريد بهذا الكلام التحقيق ويجوز ان يراد بهذا ابتداء الاخبار
كانه قال لم يكن عندك يا محمد ولا عند قومك ما اعلمك به من حديث موسى اذ اسمعه الله نداءه **بالواد
المقدس طوى** اي بالواد المطهر الذي كلمه الله عليه واسم ذلك الوادي طوى وهذا يقرأ بالتنوين وغيره
فمن نوى مصرفه فلانه مذكر سمي به مذكر ومن لم يصرفه جعله اسم البقعة التي هي مشتملة على ذلك الوادي **قوله اذهب الى فرعون
انه طغى** اي ناداه ربه فقال له يا موسى اذهب الى فرعون انه علا وتكبر وكفر وتجاوز عن الحد في المعصية **فقل له هل لك
الى ان تزكى** اي تطهر عن الشرك وتشهد ان لا اله الا الله وتعمل عمل الازكياء وهل لك رغبة في ان اهديك

الى ربك • اي الى معرفة ربك وعبادته وتوحيده ومعرفة صفاته • فتخشى عقابه ان لم تطع
ثم بين الله تعالى ان موسى لم يقتصر على ذلك موسى لم حتى اراه الاية الكبرى • يعني العصا اذ كانت اكبر اية
وقال بعضهم يعني اليد البيضا التي اخرجها لها شعاع كالشمس • فكذب وعصى اي فكذب فرعون
بانها من الله وعصى موسى فلم يطعه • ثم ادبر يسعى • اي ادبر عن الايمان واعرض عنه يعمل بالفساد
في الارض ويقال ادبر يسعى هاربا من الحية • قوله تعالى فحشر • اي جمع قومه وجنوده •
فنادى • الا اجتمعوا • فقال انا ربكم الاعلى • اي لا رب فوقي • وقيل انه
جمع قومه بالشرط يستنصر بهم على ابطال امر موسى ودفع ضرر الحية فنادى بهم اعبدوا اصنامكم
الاعلى • قوله تعالى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى • معناه لما بلغ في
استكباره وكفره الى حد لا ينقطع فيه الوعظ اخذه الله بعقوبة صار بها نكالا في الدنيا والاخرة • والنار
يعرضون عليها غدوا وعشيا ولم تفكر هولاء الجهال العلوا الله لو كان الها لم يحتج اليهم لدفع ضرر
الحية التي خافها • وقيل معنى قوله تعالى فاخذه نكال الاخرة والاولى يعني كلمتي فرعون حين قال
ما علمت لكم من اله غيري • وقوله تعالى انا ربكم الاعلى وكان بينهما اربعون سنة • قال مجاهد هذا
معنى الاخرة والاولى • وهو قوله تعالى انا ربكم الاعلى وهي الكلمة الاخرى • وقوله تعالى ما علمت لكم من
اله غيري هي الكلمة الاولى • وهذا قول اكثر المفسرين • وقال الحسن معناه نكال الدنيا والاخرة اغرقه
في الدنيا وعذبه بالنار في الاخرة • وعن ابن عباس قال قال موسى يا رب امهلت فرعون اربعمائة سنة
وهو يقول انا ربكم الاعلى • ويكذب باياتك ورسلك • فاوحى الله اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب
فاحببت ان اكافيه • قوله تعالى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى • اي ان في الذي
فعل بفرعون من العقوبة حين كذب عظة لمن يخشى عذاب الله • والعبرة هي الدلالة المودية الى الحق
ثم خاطب منكري البعث فقال تعالى • أانتم اشد خلقا ام السما • الخطاب لاهل مكة يقول اانتم
اشد خلقا • معناه اخلقكم بعد الموت اشد عندكم ام السما في تقديركم • وكلاهما في قدرة الله واحد وهذا كقوله
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس • وقوله تعالى بناها • اي بناها الله مع عظمها فكيف لا يقدر على
اعادتكم مع صغر اجسامكم • قوله تعالى رفع سمكها فسواها • اي رفع السما فوق كل شي
بلا عمد تحتها ولا علاقة فوقها من الفطور والعيوب • وقيل فسواها بلا شقوق ولا فطور • قوله تعالى
واغطش ليلها واخرج ضحاها • اي اظلم ليلها واظهر نهارها والغطش الظلمة واضاف الليل
والنهار الى السما لان الليل انما يكون لغروب الشمس والشمس منسوبة الى السما واذا غربت الشمس
كان مبدا الظلام من جانب السما وكذلك الضيا يظهر قبل طلوع الشمس من جانب السما • قوله تعالى
والارض بعد ذلك دحاها • اي بسطها بعد خلق السموات ماخوذ من الدحو وهو البسط
وذلك ان الله تعالى خلق الارض قبل السما وشمسها وقمرها وليلها ونهارها ثم دحا الارض بعد ذلك الى
ما شا الله تعالى ليكون ذلك ادل على القدرة • قوله تعالى اخرج منها ماءها ومرعاها
اراد بالماء ماء الابار والعيون التي تخرج من الارض والمرعى النبات مما ياكل الناس والانعام وهو قوله
تعالى متاعا لكم ولانعامكم • قوله تعالى والجبال ارساها • اي اثبتها ويثقل بها الارض
بعد ذلك منفعة لكم ولاولادكم والمنفعة نفسه فانه تعالى منزه عن المضار والمنافع • قوله تعالى
فاذا جاءت الطامة الكبرى • يعني النفخة الثانية التي فيها البعث والطامة الحادثة التي
تطم على ما سواها اي تعلو فوقه والقيمة تطم على كل شي فسميت الطامة • قوله • يوم يتذكر الانسان ما سعى
اي ما عمل في دار الدنيا من خير او شر ويقر اكله • وبرزت الجحيم لمن يرى • اي اظهرت لجميع الخلايق حتى يراه

اهل الموقف كلهم • والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع وقيل ان الطامة الكبرى حين يساق اهل النار
الى النار واهل الجنة الى الجنة • قوله تعالى فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى
معناه فاما من جاوز الحد في معصية الله واختار ما في الدنيا من زهرتها وزينتها على الايمان بالله وطاعته فان الجحيم
هي الماوى اي ماواه • واما من خاف مقام ربه • للحساب واجتنب المعاصي ونهى النفس عن المحارم التي
تشتهيها • قال تعالى هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها • فان الجنة هي الماوى • قوله تعالى
يسئلونك عن الساعة ايان مرساها • اي متى قيامها ووقوعها يعني القيمة سالوه عن ذلك
لتكذيبهم بها • قوله تعالى فيم انت من ذكراها • اي في اي شي انت من ذكر القيمة ووقتها
ولم يعرفك الله بذلك • والمعنى لست في شي من علمها اي لا تعلمها • قوله تعالى الى ربك منتهاها
اي علمها وقيامها لا يعلمها احد غيره • انما انت منذر من يخشاها • معناه انما انت مخوف من يخاف قيامها اي انما ينفع
انذارك من يخافها • قوله عز وجل كانهم يوم يرونها • اي كانهم يرون القيمة لم يلبثوا
في الدنيا • الا قدر عشية من العشيات او ضحى الغشية وذلك انه اذا اشغلهم امر الامرة ذهب عنهم
الفكر في مقدار مكثهم في الدنيا ومقدار مكثهم في الدنيا لعظم ما استقبلهم من الشدايد والمعنى ان الذي
انكروه سيرونه حتى كانهم لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة مضت كانهم لم يكن والضحى وقت ارتفاع النهار والعشي ما
بعد الزوال • والله اعلم • وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

سورة عبس اربعون اية مكية

وهي خمسمائة وثلثة وثلثون حرفا ومائة وثلثون كلمة واربعون اية قال صلى الله عليه وسلم من قراها جا يوم القيمة
ووجهه ضاحك مستبشر •

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى • وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عنده عمه العباس وابو جهل
وعتبة بن ربيعة وامية بن خلف وغيرهم من اشراف قريش وقد اقبل عليهم يدعوهم الى الايمان ويقرا عليهم القران
رجا ان يؤمنوا فيؤمن بايمانهم ناس كثير فجاءه عبد الله بن مكتوم وهو الاعمى المذكور فجعل يسال النبي صلى الله عليه وسلم
عن ايات انزلت ويقول اقرئني يا رسول الله وعلمني مما علمك الله وهو لا يعلم اشتغال قلب النبي صلى الله عليه وسلم
فقطب وجهه وعبس واقبل على القوم الذين كلمهم فانزل الله تعالى هذه الايات • والمعنى عبس محمد واعرض بوجهه
على ان جاءه • قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى • معناه وما يعلمك يا محمد لعل ابن مكتوم يزكى
بالعمل الصالح بجوابك عن سؤاله ويتعظ فتنفعه ذكراك • وقيل معنى يزكى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح • او يذكر
يتعظ بما تعلمه من مواعظ القران قرا عاصم فتنفعه بالنصب على جواب لعل • وقرا الباقون بالرفع عطفا
على يزكى ويذكر • قوله تعالى اما من استغنى فانت له تصدى • يعني اشراف قريش قال
بعضهم معناه اما من استغنى بماله وقيل استغنى عن وعظك اي جعل نفسه غنيا عنه • وقال ابن عباس معناه استغنى
عن الله وعن الايمان فانت تصدى لوعظه اي تعرض له وتقبل عليه بوجهك وتميل اليه وتصغي الى كلامه • ويقال
فلان يتصدى لفلان اي يتعرض له ليراه • قرا نافع وابن كثير ويعقوب بتشديد الصاد على معنى يتصدى • وقرا
الباقون بالتخفيف على الحذف • قوله تعالى وما عليك الا يزكى • اي وما عليك ان لا يؤمن ولا يهتدي
فانه ليس عليك الا البلاغ • واما من جاءك يسعى • لعمل الخير وهو ابن مكتوم جاءك يسرع في المشي الى ليتعلم
منك الدين • وهو يخشى • عذاب الله وقيل يخشى العثور في مشيه • فانت عنه تلهى • تتشاغل فتعرض بوجهك عنه يقال
لهيت عن الشي الهى اشتغلت عنه وليس من اللهو ومن هذا قولهم اذا استاثر الله بشي فاله عنه
اي اتركه واعرض عنه • قوله تعالى كلا • اي حاشا الله ان تعود الى مثل ذلك لاحد ابدا

ولا تفعل مثله والمعنى أن كلا ههنا ردع وزجر أي كلا لا تفعل بعدها مثلها قوله تعالى إنها تذكرة . أي إن هذه الآيات التي أنزلها الله عليك موعظة يتعظ بها عباد الله قوله تعالى فمن شاء ذكره . أي من شاء الله ألهمه وفهمه القرآن حتى يذكره ويتعظ به . وهذا كلمة تأديب للنبي صلى الله عليه وسلم وتبيين له أن المحافظة على الإقبال على المؤمنين أولى من الحرص على من هو كافر لجاء أن يؤمن كاملا نزلت هذه الآيات أكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم واللطفة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما يصلي بالناس وكان صلى الله عليه وسلم إذا رآه يقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي هل لك من حاجة ولا يمتنع أن يكون أغراض النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن مكتوم لأنه كان يريد أن يعلم الناس طريقة حفظ الأدب في تعلم العلم . وقوله تعالى فمن شاء ذكره أي فمن شاء ذكر ما أنزل الله من الآيات ويقال من شاء الله له أن يتعظ اتعظ ثم أخبر الله تعالى بجلال القرآن في اللوح المحفوظ عنده قوله تعالى في صحف مكرمة . أي في كتب معظمة بما تضمنت من الحكمة بالمرفوعة مرفوعة القدر في السموات مطهرة أي مطهرة منزهة من الدنس ومن التناقض والاختلاف . كما قال الله تعالى في آية أخرى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والصحف جمع الصحيفة وقيل يعني بقوله في صحف مكرمة اللوح المحفوظ قوله تعالى مرفوعة . يعني في السماء السابعة . مطهرة . أي لا يمسها إلا المطهرون وهم الملائكة قوله تعالى بأيدي سفرة . يعني الكتبة من الملائكة واحدهم سافر . مثل كاتب وكتبة . وقال الفراء السفرة ههنا الملائكة الذين هم رسل الله بالوحي إلى أنبيائه واحدهم سفير . وهو الرسول . وسفير القوم هو الذي يسعى بينهم بالصلح من المبلغ والوحي بين القوم ثم أثنى الله تعالى عليهم قوله تعالى كرام بررة أي كرام على ربهم مطيعين له والكريم الذي من شأنه أن يأتي بالخير والبررة جمع بار وهو الفاعل للبر المطيع لله قوله تعالى قتل الإنسان ما أكفره . أي لعن الكافر ما أكفره بالله وبنعمه مع كثرة إنعامه وإحسانه إليه قال مقاتل نزلت في عتبة بن أبي لهب . والمراد به كل كافر . وقوله تعالى ما أكفره بالله وبنعمته تعجيب يعني التوبيخ يقول أي شيء حمله على الكفر مع وضوح الدلائل على وحدانية الله تعالى فتعجبوا من كفره . وأما الله تعالى فلا يتعجب أي يتعجب من شيء لكونه عالما بكل منزل قوله تعالى من أي شيء خلقه معنى الآية ما أشد كفره بالله اعجبوا أنتم من كفره ثم بين من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم أن الله خالقه لفظة استفهام ومعناه التقرير . ثم فسر ذلك فقال قوله تعالى من نطفة خلقه أي من ماء مهين حقير خلقه . فقدره . في رحم أمه على الاستواء باليدين والرجلين وسائر الأعضاء فقدره على ما يشاء من خلقه طويلا وقصيرا ودميما وحسنا وذكرا وأنثى وشقيا وسعيدا وغير ذلك من الأوصاف قوله تعالى ثم السبيل يسره . قال السدي ومقاتل أخرجه من الرحم وهداه إلى الخروج من بطن أمه . وقال مجاهد ثم يسر له سبيل الدين ومكنه من سلوكه قوله ثم أماته فأقبره . أي أماته عند انقضاء أجله وجعل له قبرا يواري فيه أمر عباده أن يقبروه ولم يجعله ممن يلقى على الأرض كما تلقى البهائم أكرمه الله بذلك يقال أقبرت فلانا إذا جعلت له قبرا يدفن فيه وقبرته إذا دفنته وللقابر الدافن قوله تعالى ثم إذا شاء أنشره أي إذا شاء بعثه وأحياه بعد الموت قوله تعالى كلا لما يقض ما أمره . أي حقا لم يقض ما أمره الله به ولم يؤد حقه مع كمال النعمة عليهم ثم ذكر رزقه ليعتبر قوله تعالى فلينظر الإنسان إلى طعامه . أي ليتأمل الكافر في طعامه كيف خلقه الله وقدره سببا لحياته . إنا صببنا الماء صبا . قرأ أهل الكوفة ويعقوب أنا بالفتح على نية تكرير الخافض تقديره فلينظر إلى أنا صببنا المطر من السماء صبا وقرأ

وقرأ الباقون بالكسر على الابتداء والمطر ينزل من السماء إلى السحاب صبا ثم ينزل من السحاب إلى الأرض قطرة قطرة ليكون أقرب إلى النفع وأبعد من الضرر قوله ثم شققنا الأرض شقا أي صدعنا الأرض بالنبات . فأنبتنا فيها حبا . يعني الحبوب كلها التي يتغذى بها . وعنبا . أي كرما . وقضبا . للدواب . وزيتونا هو الذي يعصر منه الزيت وقال الحسن القضب العلف . ونخلا جمع نخلة . وحدائق غلبا . الحدائق جمع الحديقة وهي البستان الذي أحدق بالحيطان والغلب الشجر العظام الغلاظ . وقيل الغلب الملتفة بالأشجار بعضها في بعض يقال شجر غلبا إذا كانت غليظة ورجل أغلب إذا كان غليظ العنق قوله تعالى وفاكهة وأبا . يعني ألوان الفاكهة والأب هو المرعى والكلأ الذي لم يزرعه الناس مما تأكله الأنعام . وسئل أبو بكر رضي الله عنه عن الأب فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم . وعن أنس رضي الله عنه أن عمر قرأ هذه الآية فقال عرفنا الفاكهة فما الأب ثم قال هذا العمر والله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأب ثم قال اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب وما لم يتبين فدعوه . وقال الحسن الأب هو الحشيش ومما تأكله الدواب . وقال قتادة أما الفاكهة فلكم فيها . وأما الأب فلأنعامكم . وعن ابن عباس قال هو ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس والأنعام قوله تعالى متاعا لكم ولأنعامكم . أي خلقنا هذه الأشياء متاعا لكم ولأنعامكم لسد خلتكم وتتميم حاجتكم وعن مجاهد رضي الله عنه في قوله تعالى فلينظر الإنسان مما خلق إلى طعامه يعني مدخله ومخرجه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل ما طعامك قال اللحم واللبن يا رسول الله قال ثم يصير إلى ماذا قال إلى ما قد علمت قال فإن الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا وقال أبو قلابة مكتوب في التوراة يا ابن آدم انظر إلى ما بخلت به إلى ما صار . وعن ابن عباس أن معناه فلينظر الإنسان إلى أمر طعامه ثم إلى عاقبته فليعتبر قوله تعالى فإذا جاءت الصاخة . يعني صيحة القيامة تصخ الأسماع أي تصمها لشدة الصيحة والصاخة من أسماء القيامة ثم بين في أي وقت تجيء فقال قوله يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه . لا يلتفت إلى أحد منهم لعظم ما هو فيه ومخافة أن يسأله أحد منهم عمل عنده شيئا من عقابه أو يواسيه بشيء من ثوابه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم إياه بما بينهم من التبعات والمظالم وقيل لعلمه بأنهم لا ينفعونه وعن الحسن أنه قال أول من يفر من أبيه يوم القيامة إبراهيم ويفر محمد صلى الله عليه وسلم من أمه ويفر لوط عليه السلام من زوجته ونوح من ابنه كنعان وهابيل من أخيه قابيل وهذا في أهل الثواب من أهل العقاب فأما أهل العقاب فيما بينهم وأما أهل الثواب فيما بينهم فلا يسألون ذلك ولكن يسألون ربهم الحاق ذريتهم بهم قوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه . أي شأن يشغله عن الأقرباء ويصرفه عنهم وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة . ثم قالت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بالعورات فقال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه . وعن سودة أم المؤمنين قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة قالت قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض قال شغل الناس عن ذلك لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة . أي مضيئة مشرقة حسنة فرحة مبهجة مسرورة بما ألزمها الله به وهي وجوه أهل الثواب . ضاحكة بالسرور . مستبشرة أي فرحة بما تنال من الله من الكرامة . ووجوه يومئذ عليها غبرة . أي غبار من البلاء سواد وكآبة . ترهقها قترة . أي تعلوها وتغشاها كسوف وسواد عند معاينة النار والغبرة سواد كالدخان الأسود ثم بين من أهل هذه الوجوه قوله أولئك هم الكفرة الفجرة . أي الكفرة بالله الكذبة على الله جمع كاذب وفاجر .

سورة كورت عشرون وتسع آيات

وهي خمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا ومائة وأربع كلمات وسبع وعشرون آية . قال صلى الله عليه وسلم

من قولها أعاذه الله أن يفتضح حين ينشر صحيفته ٠ بسم الله الرحمن الرحيم
إذا الشمس كورت ٠ أي لفت كما تلف العمامة يقال كورت العمامة على رأسي أكورها كورا وكورتها
تكويرا إذا لففتها وقال الكلبي ومقاتل كورت أي ذهب ضوءها وقال مجاهد اضمحلت قال المفسرون تجمع
الشمس بعضها إلى بعض ثم تلف فيرمى بها ويقال نعوذ بالله من الحور بعد الكور أي من التشتت بعد الألفة ومن
النقصان بعد الزيادة قوله تعالى وإذا النجوم انكدرت ٠ أي تناثرت وتساقطت
يقال انكدر الطائر من الهوا إذا انقض قال الكلبي وعطا تمطر السما يومئذ نجوما فلا يبقى نجم في السما
إلا وقع على الأرض وذلك لأن النجوم كالقناديل معلقة بسلاسل من نور بأيدي ملائكة من نور ٠ فإذا
ماتت تلك الملائكة تساقطت تلك السلاسل من أيديهم فتنكدر النجوم قوله تعالى وإذا
الجبال سيرت ٠ أي تسير على وجه الأرض كما تسير السحاب فتصير هباء منبثا قوله تعالى وإذا
العشار عطلت ٠ العشار هي النوق الحوامل إذا أتت عليها عشرة أشهر وبقي شهران في أحسن ما تكون
في الإبل وأعزها على أهلها وليس تعطيلها على أهلها إلا في حال الشدة العظيمة واحدها عشراء ٠ وليس في القيمة عشار ولكن
هذا على وجه التمثيل حتى لو كان للرجل يومئذ عشار لعطلها واشتغل بنفسه ونظيره يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت
ومعنى عطلت أي تركت هملا بلا راع أهملها أهلها لما جاءهم من أهوال يوم القيمة قوله تعالى وإذا الوحوش حشرت
الوحوش جمع وحش وهو ما لا يأوي إلى الفلوات وينفر عن الناس وقوله تعالى حشرت أي جمعت حتى يقتص لبعضها من بعض وقال
ابن عباس حشر البهائم موتها قوله تعالى وإذا البحار سجرت قرأ أبو عمرو وابن كثير بتخفيف الجيم والباقون بالتشديد ومعناه
واحد وإذا البحار ملئت وفجر بعضها في بعض فصيرت بحرا واحدا وقال بعضهم معناه أحميت من قولهم سجرت التنور إذا أحميته والمراد
بالبحار على هذا القول بحار في جهنم تملأ من الحميم لتعذيب أهل النار وفي الحديث أن الله تعالى يغني ماء هذه البحار كلها كما روي أن البحار
كلها تسيل حتى تبلغ إلى الثور الذي على قرنه الأرضون وإذا بلغته فتح فاه فابتلعها كلها ٠ فإذا وقعت المياه كلها
في جوفه يبست فلا يرى منها قطرة بعد ذلك قوله تعالى وإذا النفوس زوجت ٠ أي ردت
الأرواح إلى الأجساد فقرنت كل روح إلى جسدها ٠ وسئل عمر رضي الله عنه عن ذلك فقال معناه يقرن الرجل الصالح
مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن الرجل السوء مع الرجل السوء في ذلك فذلك تزويج الأنفس ٠ ومنه قوله تعالى
احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ٠ وقال عطا زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكفار
بالشياطين ٠ قال الله تعالى ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا قوله تعالى وإذا
الموؤدة سئلت ٠ قال الفرا سئلت الموؤدة فقيل لها بأي ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لأنها
تقول قتلت بغير ذنب ٠ والموؤدة المقتولة بثقل التراب التي طرح عليها ٠ ومنه قوله تعالى ولا يؤده
حفظهما أي لا يثقل عليه حفظ السموات والأرض ٠ وكانت العرب تئد البنات من أولادها [illegible]
[illegible] ومخافة الإملاق ٠ كما قال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ٠ قال المفسرون الموؤدة هي
المقتولة المدفونة حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها أي يثقلها حتى تموت ٠ قالوا وكان الرجل
من العرب إذا ولدت له بنت فإذا أراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف ترعى له الغنم والإبل ٠ وإذا أراد أن
يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسية ٠ ثم يقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى بيت أقاربها ٠ وقد
حفر لها بئرا في الصحرا فإذا بلغ بها البئر قال لها انظري إلى هذه البئر فيدفعها من خلفها في البئر ثم يهيل عليها التراب
حتى يستوي بالأرض ٠ قال قتادة كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته ٠ ويغذو كلبه ٠ ويجوز أن
يكون معنى سئلت طلبت من قاتلها لم قتلها كما تقول سألت حقي من فلان إذا أخذته ٠ وطلبت
حقك منه قوله تعالى وإذا الصحف نشرت أراد به ديوان الحسنات والسيئات
وذلك أنه إذا مات ابن آدم طويت صحيفته على مقدار عمله ٠ فإذا كان يوم القيمة نشرت وأعطي كل واحد منهم

منهم على مراتبهم ينبغي لكل عاقل أن يذكر حاله التي في آخر عمره وحاله النشر يوم القيمة ويجتهد أن يملي صحيفته في حياته
من الطاعات قوله تعالى وإذا السما كشطت ٠ أي نزعت عن أماكنها وطويت كما يكشط
الغطاء عن الشيء وقال الزجاج قلعت كما يقلع السقف ٠ ومعنى الكشط رفع الشيء عن شيء قد غطاه كما يكشط الجلد
عن الشاة وفي قراءة ابن مسعود قشطت بالقاف والمعنى واحد ٠ ويقال إن معنى الكشط أن ينزع ما فيها من
الشمس والقمر والنجوم ٠ يقال كشطت الفرس عن البياض إذا قطعته ومحوته قوله تعالى وإذا الجحيم
سعرت ٠ أي أوقدت للكافرين والمنافقين ٠ قرأ نافع بالتشديد أي أوقدت مرة بعد مرة وزيد في
وقودها وشدة لهيبها قوله تعالى وإذا الجنة أزلفت ٠ أي أدنيت من المتقين وقربت لهم ودنا
دخولهم إياها كما قال تعالى في آية أخرى وأزلفت الجنة للمتقين ٠ ومن ذلك المزدلفة لقربها من عرفات
قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت جواب هذه الأشياء يقول إذا كانت هذه الأشياء التي
تكون في القيمة علمت في ذلك كل نفس ما أحضرت من خير أو شر تجزى به قوله تعالى فلا أقسم بالخنس
معناه أقسم برب الخنس ولا في هذا الموضع مؤكدة زائدة قوله تعالى الجوار الكنس أي الجارية
في الأفلاك وتخنس في مجراها أي ترجع إلى مطالعها في سيرها فهي الخنس ثم تستتر عند غروبها فتغيب في المواضع
التي تغيب فيها كما تكنس الظباء بأن تستتر في كناسها والخنس هو التأخر ومنه الخنس في الأنف تأخر في الوجه
يقال رجل أخنس وامرأة خنساء ٠ وسمي الأخنس بن شريق بهذا الاسم لتأخره يوم بدر عن أصحابه ومنه الخناس
وهو الشيطان لأنه يغيب عن أعين الناس والخنس جمع خانس وهو هاهنا النجوم الخمسة زحل والمشتري
والمريخ والزهرة وعطارد تجري في الأفلاك وتخنس في مجراها أي ترجع إلى مطالعها في سيرها
وروي أن رجلا من خثعم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أمير المؤمنين ما الخنس قال لست رجلا
عربيا قال بلى ولكن أكره أن أفسر القرآن على عربي فقال الخنس هي النجوم الخمس الزهرة ٠ والمشتري
والمريخ وعطارد وزحل ٠ فقال فما الكنس قال مسقطهن إذا سقطن وهن الجواري تخنس خنوس القمر حين
تراهن ولا يتقدمن كما تتقدم النجوم وليس من نجم غيرهن إلا يطلع ثم يجري حتى يقطع المجرة وقيل معنى خنوسها
أنها تستتر بالنهار فتخفى وتكنس في وقت غروبها قوله تعالى والليل إذا عسعس ٠ أي إذا
أقبل بظلامه وقيل إذا أدبر بظلامه ٠ والعس طلب الشيء بالليل ومنه العسعس ويقال عسعس الليل إذا
أقبل وعسعس إذا أدبر وهو من الأضداد إلا أن ما بعد هذه الآية دليل على أن المراد به أدبر قوله تعالى
عز وجل والصبح إذا تنفس أي امتد ضوءه حتى يصير نهارا بينا ومنه تنفس الصعدا وهو امتداد نفس
الجوف بالخروج من الأنف والفم ذكر جواب القسم قوله تعالى إنه لقول رسول كريم ٠
يعني القرآن أتى به جبريل عليه السلام من عند الله وهو رسول كريم فقرأه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠
قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين يعني جبريل عليه السلام ذي قوة فيما
أمر به ومن قوته أنه قلب قرى قوم لوط وهي أربع مدائن في كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل
سوى الذراري فحملهم من الأرض السفلى بقوادم جناحه ورفعها إلى السما حتى سمع أهل السما أصوات الدجاج
ونباح الكلاب ثم قلبها بأمر الله فصوت بهم كل هذا من غير تكلف بخفة قوله تعالى عند ذي العرش مكين معناه عند
خالق العرش ومالكه وجيه رفيع القدر ٠ يقال فلان مكين عند الأمير أي ذو قدر ومنزلة عنده
مطاع ثم أمين ٠ أي مطاع في السموات تطيعه أهل السموات بأمر الله ويقال فرض طاعته على أهل السما
كما فرض طاعة النبي صلى الله عليه وسلم على أهل الأرض ٠ وقوله تعالى أمين أي فيما يؤدي عن الله تعالى
إلى أنبيائه عليهم السلام حقيق بالأمانة فيه لا يخون ولا يخون قوله تعالى وما صاحبكم
بمجنون ٠ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ٠ والخطاب لأهل مكة وذلك أنهم قالوا إن محمدا

بمجنون فاقسم الله تعالى ان القران نزل به جبريل . وان محمدا ليس بمجنون كما يقولون في هذا تكذيب لكفار مكة حيث نسبوا اعقل خلق الله تعالى الى الجنون . والمجنون في اللغة هو المغطى على عقله لان الجن تركت به قوله تعالى ولقد راه بالافق المبين . اي ولقد راى محمد جبريل بالافق الاعلى وهو مطلع الشمس الذي يجي منه النهار . وقد تقدم في سورة النجم ان جبريل عليه السلام كان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي . وان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل في صورته التي هو عليها الا مرتين . وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل اني احب ان اراك في صورتك التي تكون بها في السما . قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال ان تشا ان تخيل الك قال بالابطح قال لا يسعني قال بمنى قال لا يسعني قال بعرفات قال فهبط بعرفات بخشخشة وكلكلة قد ملا ما بين المشرق والمغرب وراسه في السما ورجلاه في الارض فخر النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فتحول جبريل في صورة دحية وضمه الى صدره . وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رايت اسرافيل وراسه تحت العرش ورجلاه في التخوم السابعة والعرش على كاهله قوله تعالى وما هو على الغيب بضنين قال بعضهم اراد به جبريل ليس بمتهم على تبليغ الوحي والرسالة ولا بخيل بل هو صادق موثوق به وقال بعضهم اراد به النبي صلى الله عليه وسلم . والمراد بقوله على الغيب اي على الوحي وقرا الحسن والاعمش وعاصم وحمزة ونافع وابن عامر بضنين بالضاد . وكذلك في مصحف ابي بن كعب . ومعناه على الغيب بخيل لا يبخل عليكم بل يعلمكم ويخبركم به تقول العرب ضننت بالشي بكسر النون فانا به ضنين اي بخيل . قال الشاعر

اجود بمضنون التلاد وانني . بسرك عمن سالني لضنين .

وقرا الباقون بظنين بالظاء وهي قراة ابن مسعود وعروة وابن الزبير وعمر ابن عبد العزيز ومعناه بمتهم والظنة التهمة قوله تعالى وما هو بقول شيطان رجيم . هذا رد على الكفار فانهم كانوا يزعمون ان النبي صلى الله عليه وسلم ياتيه شيطان اسمه الرئي يترايا له فيلقيه على لسانه والرجيم الملعون المرجوم بالشهب والحجارة وما القران بقول شيطان رجيم قوله تعالى فاين تذهبون خطاب لكفار مكة يقول اي طريق تسلكون ابين من هذا الطريق الذي بينت لكم . ويقال اين تذهبون تقولون عن معرفة ما بين الله لكم من صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين اي ما القران الا عظة بليغة لجميع الخلائق . قوله تعالى لمن شا منكم ان يستقيم اي يتمسك بطريقة الايمان قوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشا الله رب العالمين . اعلم الله ان المشية والتوفيق والخذلان اليه تعالى وانهم لا يعملون شيا من الخير والشر الا بمشية الله عز وجل . وقد اختلفوا في تفسير هذه الاية على قولين . قال بعضهم هذا القران ذكر لمن يشا الله له ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشا الله تعالى لكم ذلك . وقال بعضهم هذا ذكر عام للعالمين فمن شا منكم ان يستقيم

سورة الانفطار تسع عشرة اية مكية

وهي ثلثماية وتسعة عشر حرفا وثمانون كلمة وتسع عشرة اية . قال صلى الله عليه وسلم من قراها اعطاه الله من الاجر بعدد كل قطرة ماء حسنة واصلح له شانه يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم . اذا السما انفطرت . اي انشقت وانفطرت والانفطار الانصداع والانشقاق بمعنى واحد . قوله تعالى واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت على وجه الارض واذا البحار فجرت اي فتح بعضها في بعض ورفع الحاجز بين العذب والملح قوله تعالى واذا القبور بعثرت . اي بحثت واثيرت ونسفت من الاموات واستخرج ما فيها من الموتى علمت نفس ما قدمت . من عمل واخرت . منه اي عند ذلك تعلم النفس ما قدمت واخرت وهذا جواب الشرط ويقال ما قدمت من الطاعة والمعصية . وما اخرت من الحسنة والسيئة . ويقال ما قدمت واسلفت من الخطايا وسوفت من التوبة . وقيل ما قدمت من الصدقات واخرت من التركات قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم . الخطاب في هذه الاية للكفار . والمراد بالانسان كل من ليس بسعيد . ويقال الخطاب للكافر والعاصي يقال له يومئذ ما اغتررت وتشاغلت عن طاعة الله وطلب مرضاته وهو الكريم الصفوح عن العباد الذي خلقك في بطن امك باليدين والرجلين وسائر الاعضا لم يخلقها متفاوتة ولو كان خلق احدى رجليك اطول من الاخرى لم تكمل لك منفعتك . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الاية فقال يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فقال جهله يا رب وقال قتادة غر الانسان عدوه المسلط عليه وقيل للفضيل ابن عياض لو اقامك الله يوم القيمة بين يديه فقال ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال اقول غرني ستورك المرخاة . وقال مقاتل غره عفو الله حين لم يعجل عليه بالعقوبة وقال سري غره رفق الله تعالى به وقال يحيى بن معاذ لو اقامني ربي بين يديه فقال ما غرك بي لقلت غرني بك رفقك بي سالفا وانفا . قال اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته كانه لقنه الاجابة حتى يقول غرني كرم الكريم . وعن ابن مسعود قال ما منكم من احد الا سيقال له يوم القيمة ما غرك بربك الكريم لقلت ادم ماذا عملت فيما علمت ماذا اجبت المرسلين وقال ابو بكر الوراق لو قال لي ما غرك بربك الكريم لقلت غرني كرم الكريم قوله تعالى فعدلك قرا اهل الكوفة بتخفيف الدال اي صرفك الى اي صورة شا من الحسن والقبح والطول والقصر . وقرا الباقون بالتشديد اي قومك وخلقك معتدل الخلق معتدل القامة في احسن صورة كما في قوله في احسن تقويم قوله تعالى في اي صورة ما شا ركبك . اي في اي شبه في اب ام عم او خال او عم قوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين . كلا كلمة ردع ومعناه لا تغتروا بعفو الله فتتركوا عبادة الله وقيل معناه حقا انكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمتي عليكم بل تكذبون بالاسلام مع هذه النعم ويقال اراد بالدين ههنا يوم الحساب والجزا قوله تعالى وان عليكم لحافظين . ابتدا اخبار من الله معناه وان عليكم فيما تحفظون عليكم اعمالكم وهم الملائكة قوله تعالى كراما كاتبين . اي كراما على الله كاتبين يكتبون اقوالكم وافعالكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد ياوي الى مضجعه الا تكتب اعضاؤه الى الله تعالى بما يجني عليه الانسان وان ما قال كراما على الله ليكون ادعى الى احترامهم والى الامتناع عن فعل ما يؤذيهم قوله تعالى يعلمون ما تفعلون اي يعلمون ما تفعلون في الظاهر دون الباطن يعني يعلمون ما تفعلون دون ما تعتقدون قال ابن مسعود يكتبون كل شي حتى الانين . ونظيره قوله تعالى وكل صغير وكبير مستطر قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم . وان الفجار لفي جحيم اراد بالابرار اعمال الاساءة من الفساق قوله تعالى يصلونها يوم الدين اي يدخلونها يوم الحساب والجزا وما هم عنها بغائبين اي ان يقضي الله باخراج من كان فيها من اهل التوحيد واما الكفار فلا يغيبون عنها ابدا . وما ادراك ما يوم الدين اي ما اعلمك با محمد ما في ذلك اليوم من الشدائد على الكفار ثم ما اعلمك ما فيه من النعيم للابرار يوم لا تملك نفس لنفس شيا والامر يومئذ لله . قرا ابن كثير وابو عمرو برفع الميم نعتا لقوله تعالى يوم الدين او لا بد لا مثله وقرا الباقون بالنصب على الظرف اي في يوم ومعناه لا تملك نفس لنفس اي لا يملك احد لاحد نفعا ولا ضرا لان الامر يومئذ لله تعالى دون غيره والله تعالى اعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

وهي ستمائة وثلثون حرفا ومائة وست وستون كلمة وست وثلثون اية. وقال بعضهم نزلت في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة في مهاجرته الى المدينة وقيل كلها مدنية الا ثماني ايات. قوله تعالى ان الذين اجرموا الى اخر السورة. قال صلى الله عليه وسلم من قراها سقاه الله يوم القيمة من الرحيق المختوم.

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين. يعني الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم في الكيل والوزن. والويل الشدة في العذاب وهي كلمة تستعمل لكل من وقع في الهلكة وهي هاهنا رفع الابتداء وخبره للمطففين. والتطفيف التنقيص في الكيل والوزن والطفيف الشيء القليل. والاناء طفيان اذا لم يكن ملآن. قوله تعالى **الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون.** يعني اذا اكتالوا من الناس وعلى ومن يتعاقبان والمعنى اذا اخذوا من الناس حقوقهم اخذوها من الوفا. واذا كالوا للناس او وزنوا لهم ينقصون في الكيل والوزن. والاخسار والخسران بمعنى واحد واطلاق لفظ المطفف لا يتناول الامر يتفاحش من التطفيف بحيث لو وقع ذلك المقدار في التفاوت بين الكيلين العدلين. اثاد عليه. واما الاتقياء من الناس فانهم يجتهدون في استيفاء حقوقهم ان يكون ذلك اميل الى النقصان. وفيما عليهم اميل الى الرجحان. كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى دينه فارجح فقيل له في ذلك فقال انا كذلك نزن. قوله تعالى **الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم.** معناه الا يستيقن اولئك انهم مبعوثون وفيه بيان ان التطفيف ليس يفعله من يعلم انه مبعوث للحساب ليوم عظيم يوم القيمة كانه قال لو علموا انهم مبعوثون ما نقصوا في الكيل والوزن. وكان الحسن يقول نزلت هذه الاية في الموحدين. وما من يوم القيمة من طفف الميزان. قوله تعالى **يوم يقوم الناس لرب العالمين.** بيان صفة ذلك اليوم قال الكلبي يقومون مقدار ثلثمائة سنة لا يؤذن فيعتذرون. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقوم الناس لرب العالمين حتى ان احدهم ليغيب في رشحه الى انصاف اذنيه حتى يقول الكافر رب ارحني ولو الى النار. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خمس بخمس قالوا يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم. وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر. وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت. وما طففوا الكيل الا منعوا من النبات واخذوا من السنين. ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر. وعن مالك بن دينار قال دخلت على جار لي وقد نزل به الموت فجعل يقول جبلين من نار جبلين من نار فقلت ما تقول قال يا ابا يحيى كان لي مكيالان اكيل باحدهما واكتال بالاخر فقمت فجعلت اضرب احدهما بالاخر فقال يا ابا يحيى كلما ضربت احدهما بالاخر ازداد الامر عظما قال فمات في مرضه ذلك. وقال عكرمة اشهد على كل كيال او وزان انه في النار. قيل له ان ابنك كيال فقال اشهد انه في النار. وكان ابن عمر يمر بالبائع فيقول له اتق الله واوف الكيل والميزان بالقسط فان المطففين يوقفون يوم القيمة حتى ان العرق ليلجمهم الى انصاف آذانهم. وعن علي رضي الله تعالى عنه على رجل يزن الزعفران فقال اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت. قوله تعالى **كلا ان كتاب الفجار لفي سجين.** اي ليس الامر على ما يظنون انهم لا يبعثون ليوم عظيم وقيل ان كلا هاهنا كلمة ردع وزجر اي ارتدعوا عن التطفيف. وقوله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين يعني الكتاب الذي يكتب فيه اعمالهم. قال ابن عباس السجين صخرة سوداء تحت الارض السابعة وهي التي عليها الارضون مكتوب فيها عمل الفجار. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال السجين جب في جهنم مفتوح والفلق جب في النار مغطى. قوله تعالى **وما ادراك ما سجين** تعجب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول ليس ذلك مما تعلمه انت ولا قومك.

قوله تعالى **كتاب مرقوم.** اي مثبت عليهم في ذلك الصحف كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يجازون به ومعنى الرقم على هذا القول هو الطبع في الحجر. قوله تعالى **وما يكذب به الا كل معتد اثيم.** يعني الوليد بن المغيرة كان اذا قرئ عليه القرآن قال هو اساطير الاولين واحاديثهم واباطيلهم التي سطروها في الكتب وهذه الاية عامة في كل كافر يقول مثل مقالته والمعتدي هو المجاوز عن الحد في المعصية والاثيم كثير الاثم. قوله تعالى **اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين.** اي حاشا ان يكون القرآن اساطير الاولين بل غلب على قلوبهم ما كانوا يكسبون من الكفر والمعصية يقال ران الخمر على عقله اذا اسكره فغلبت على عقله. ويقال في معنى الرين انه كثير الذنوب التي تحيط بقلوبهم حتى لا ينكرها قلوبهم وحتى لا يجد الحق اليها سبيلا والذين كالصدى يغشى على القلب. وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب. وقال مجاهد هو الطبع. وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن اذا اخطا خطيئة كانت نقطة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وان لم يتب زادت حتى تعلو قلبه فهو الران الذي قال الله تعالى في كتابه **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون.** قوله تعالى **كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون.** اي حقا انهم عن رحمة ربهم وكرامته لمحجوبون ثم انهم مع كونهم ممنوعين عن الجنة ونعيمها يدخلون الجحيم غير خارجين منها ابدا ثم يقال لهم على وجه التقريع على طريق الله **هذا الذي كنتم به تكذبون** في الدنيا وقيل معناه محجوبون عن رؤية الله تعالى. قوله تعالى **كلا ان كتاب الابرار لفي عليين.** اي حقا ان عمل الابرار وهم الصادقون في ايمانهم لمكتوب في اعلا الامكنة فوق السماء السابعة. قوله تعالى **وما ادراك ما عليون** تعجب للنبي صلى الله عليه وسلم بان ذلك غير معلوم له. قوله تعالى **كتاب مرقوم.** تفسير الكتاب الذي في عليين اي اعمالهم مكتوبة في لوح من زبرجدة خضراء تحت العرش يحضر ذلك الكتاب سبعة املاك من مقربي كل سماء اعظاما لذلك الكتاب وتشريفا في اعظام كاتب المرء اعظام له. وقال قتادة عليون قائمة العرش اليمنى. وقال مقاتل ساق العرش اليه ترفع ارواح المؤمنين. وقيل ان العليين جمع العلية وهي المرتبة العالية المحفوفة بالجلالة. وقال بعضهم معناه علو في علو مضاعف. قوله تعالى **يشهده المقربون.** اي يحضره تلك الاملاك السبعة الذين ذكرناهم. قوله تعالى **ان الابرار لفي نعيم.** اي في نعيم دائم وهو نعيم الجنة. **على الارائك ينظرون.** اي على السرر من الدر والياقوت في القباب المضروبة ينظرون الى نعيم الجنة وقيل الى اعدائهم كيف يعذبون. قوله تعالى **تعرف في وجوههم نضرة النعيم.** اي بريق النعيم ونوره ونضارته وبهجته وحسنه. **يسقون من رحيق مختوم.** اي من خمر صافية خالصة من الغش بيضاء مختوم بالمسك قال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك. وقيل معناه اخره طعمه مسك وقرا علقمة خاتمه المسك اي آخره ويقال معناه انهم اذا شربوا من ذلك الشراب احسوا ذلك بطعم المسك ورائحته ويقال معناه المختوم هاهنا ان ذلك الشراب في الجنة فهو مختوم بالمسك بدل الطين الذي يختم بمثله الشراب في الدنيا فهو مختوم بالمسك يوم خلقه الله لا يفك خاتمه حتى يدخل الجنة اهل الجنة فيفك ذلك لهم تعظيما لشرابهم. قوله تعالى **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.** اي في مثل هذا النعيم فليرغب الراغبون وليجتهد المجتهدون لا في النعيم الذي هو مكدر بسرعة الفناء. قوله تعالى **ومزاجه من تسنيم.** معناه ومزاجه من اي الرحيق من عين ينزل عليهم من ساق العرش سميت بذلك لانها تتسنم عليهم فتنصب انصبابا من فوقهم في منازلهم ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه وذلك ان الشراب اذا كان اعلا كان اطيب واهنا. قوله تعالى **عينا يشرب بها المقربون.** عينا منصوب على الحال اي في الحال التي يكون عينا لا ماء راكدا. وقيل انتصب على تقدير يسقون عينا اي من عين وقيل على اضمار اعني عينا وقوله

يشرب بها المقربون اي يشربها افاضل اهل الجنة صرفا بغير مزاج ويشربها سائر اهل الجنة بالمزاج • وقيل ان الباقي قوله تعالى عينا يشرب بها كما في قوله تعالى تنبت بالدهن • وقيل ان التسنيم عين تجري في الهوا فتنصب في اواني اهل الجنة على مقدار ملئها فاذا امتلأت امسك الماء حتى لا يقع منه قطرة على الارض قوله تعالى

ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون • معناه ان الذين اشركوا وهم ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واصحابه مشركي مكة كانوا يضحكون من ضعفة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وعمار وسلمان كانوا يستهزؤن بهم ويعيرونهم على الاسلام واذا مر بهم احد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم جالسون يتغامزون بالطرف طعنا عليهم وكانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين تركوا شهواتهم في الدنيا يطلبون بذلك نعيم الاخرة بزعمهم وكانوا اذا رجعوا الى اهلهم رجعوا فاكهين اي ناعمين فرحين معجبين بما هم فيه لا يبالون بما فعلوا بالمؤمنين ويقولون انهم لضالون باتباعهم محمدا يقول الله تعالى وما

ارسلوا عليهم حافظين • اي ما ارسل الكفار ليحفظوا على المؤمنين اعمالهم فما لهم وما بالهم بل ارسل المؤمنون ليحفظوا على الكفار اعمالهم فيشهدوا عليهم يوم القيمة قوله تعالى **فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون** • معناه يوم القيمة الذين صدقوا بتوحيد الله وبنبوة رسله يضحكون من الكفار قصاصا وتمانيهم كما ضحك الكفار منهم في الدنيا • **على الارائك ينظرون** • اي على السرر في الحجال جالسون ينظرون الى اهل النار كيف يعذبون وذلك انه يفتح بينهم وبين الكفار باب الى الجنة فاذا نظر الكفار الى الباب اقبلوا اليه يسحبون في النار فاذا انتهوا الى الباب سد عليهم فعند ذلك يضحكون المؤمنون وهم على الارائك في الدرجات ويقال اطلعهم الله على اهل النار الذين كانوا يسخرون منهم في الدنيا فيرونهم وهم في النار يدورون كما يدور الرحا وان لحمهم لتغلي من حر النار فيقول المؤمنون **هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون** • اي هل جوزوا على سوء صنيعهم واستهزائهم بنا ويجوز ان يكون قوله تعالى هل ثوب الكفار من قول الله ومعناه التحقيق ومعنى ثوب جوزي • وصلى الله على سيدنا محمد وسلم •

سورة الانشقاق خمس عشرة اية

وهي اربعماية وثلثون حرفا ومائة وتسع كلمات وخمس عشرة اية • قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه من وراء ظهره ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت • وذلك ان ابا سلمة بن عبد الاسد المخزومي وكان مسلما جادل اخاه الاسود ابن عبد الاسد في الاسلام وكان الاسود كافرا فاخبره ابو سلمة بالبعث فقال له الاسود وجاء اثري ان صدقوا اذا كانوا ترابا وعظاما فتبعث فاين السماء والارض يومئذ وما حال الناس فانزل الله هذه السورة ومعناها واذكر اذا السماء انشقت لنزول الملائكة وهيبة الرحمن • **واذنت لربها وحقت** اي سمعت واطاعت لامر ربها بالانشقاق وحق لها ان تطيع ربها يقال اذنت للشي اذا سمعته • **واذا الارض مدت** • اي بسطت بسط الاديم العكاظي فجعلت كالصحيفة الملساء لا يبقى جبل ولا بناء ولا شجر الا دخلت فيها • **والقت** الارض ما فيها من الاموات وتخلت عنهم كما كانت من قبل • **واذنت لربها وحقت** • اي سمعت وانقادت لامر ربها وحق لها ان تسمع وتطيع وجواب اذا في هذه الايات محذوف تقديره راى الانسان عند ذلك ما قدم من خير وشر وقيل جوابه فملاقيه والمعنى اذا كان يوم القيمة لقي الانسان كدحه وهو عمله وقيل جوابه يا ايها الانسان انك كادح تقديره اذا السماء انشقت لقي كل كادح ما عمله قوله تعالى **يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا** • اختلفوا في الخطاب لمن هو وروى عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية ثم قال انا ذلك الانسان انا اول من ينشق عنه الارض يوم القيمة فاجلس جالسا في قبري • ثم يفتح لي باب الى السماء حيال راسي فانظر الى عرش ربي • ثم يفتح لي باب من تحتي فانظر الى الارض السفلى حتى انظر الى الثور ثم يفتح لي باب عن يميني حتى انظر الى الجنة والى منازل اصحابي وان الارض تحركت تحتي فاقول لها ما لك ايتها الارض فتقول ان ربي امرني ان القي ما في جوفي واتخلى فاكون كما كنت اذ لا شي في فذلك قوله على هذا القول انك عامل لربك عملا في حياتك ترجع اليه فيما ذلك • وقال بعضهم الخطاب للمكذب بالبعث وهو ابي بن خلف الجمحي • والمعنى انك عامل عملا في كفرك ترد الى ربك في الاخرة فتلقى جزاء عملك • والظاهر ان الخطاب لجميع الناس • والكدح في اللغة هو السعي والروع في العمل في الدنيا والاخرة • قال الشاعر

وما الدهر الا تارتان فمنهما • اموت واخرى ابتغي العيش اكدح •

والمعنى يا ايها الانسان ترى جزاء ما عملت من خير او شر فانظر اليوم ما ذا تعمل وفيم تتعب نفسك ولا تعمل الا لله حتى تستريح من الكدح قوله تعالى **فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا** اي من اعطي ديوان عمله بيمينه فسوف يحاسب حسابا هينا • والحساب الهين هو ان يعرف جزاء عمله وما له من الثواب وما يحط عنه من الوزر ويخرج وما عليه من المظالم فينقلب الى اهله من الحور العين والى قرابته من المؤمنين مسرورا بهم • وعن عائشة قالت قلت يا رسول الله ليحاسب المؤمنين قال يا عائشة من نوقش عذب قالت يا رسول الله فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا • قال يا عائشة ليس الحساب ذلك انما ذلك العرض من نوقش الحساب عذب قوله تعالى **واما من اوتي كتابه وراء ظهره** • يعني الكافر يكون يمينه مغلولة الى عنقه وتلوى يده اليسرى من ورائه فيدفع اليه كتابه من وراء ظهره • فاذا راى ما فيه من سيئاته دعا بالويل والثبور على نفسه واويلاه واثبوراه • والثبور الهلاك قوله تعالى **ويصلى سعيرا** • اي يدخل نارا موقدة قرا ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي ويصلى بضم الياء وتشديد اللام على وجه المبالغة ان يكثر عذابه في الاخرة قوله تعالى **انه كان في اهله مسرورا** في الدنيا بمعاصي الله وكان لا يحزنه خوف القيمة وكان يمنعه السرور باهله عن اقامة فرائض الله تعالى قوله تعالى **انه ظن ان لن يحور** • معناه انه ظن في الدنيا ان لا يرجع الى الله في الاخرة فلذلك كان يركب المآثم • والمعنى انه ظن ان لن يرجع الى الله قوله تعالى **بلى** اي ليس كما ظن بل يحور الينا ويبعث اي بلى ليرجعن الى ربه بعد البعث • **ان ربه كان به بصيرا** • اي عالما به قبل ان يخلقه بان مرجعه ومصيره اليه والحور في اللغة هو الرجوع قوله تعالى **فلا اقسم بالشفق** اي اقسم برب الشفق ولا ههنا زائدة والشفق عند اهل اللغة الحمرة التي تري في المغرب بعد سقوط الشمس • وعند ابي حنيفة هو البياض والشفق في الاصل هو الرقة • ومنه ثوب شفيق اذا كان رقيقا ومنه الشفقة رقة القلب فاذا كان هكذا فالبياض منه اولى منه بالحمرة لان البياض ارق من الحمرة • والحمرة اكثف من البياض قوله تعالى **والليل وما وسق** • معناه والليل وما جمع • ورد الى ما منه وسدته من كان منتشرا في النهار • يقال طعام موسوق اي مجموع في الغرائر • والوسق من الطعام ستون صاعا • قال عكرمة • معناه والليل وما جمع فيه من دوابه وعقاربه وحياته وظلمته قوله تعالى **والقمر اذا اتسق** • اي اذا اجتمع نوره وتكامل واستدار في الليالي البيض • يقال انسقت الامور اذا استوت وتكاملت قوله تعالى **لتركبن طبقا عن طبق** جواب القسم وهو خطاب لجميع الناس اذا قرئت بضم الباء على الجمع • والمعنى يا ايها الناس لتركبن حالا بعد حال وشدة بعد شدة تقول العرب وقع فلان في بنات طبق يريد الدواهي العظام • ويقال اراد بالاية بعض الاحوال من حال النطفة الى العلقة الى المضغة ومن المضغة الى الصغر ومن الصغر الى الشباب ومن الشباب الى الكهولة ومن الكهولة الى الكبر • ومن الكبر الى الموت • ومن الموت الى البعث ومن البعث الى الحساب • ومن الحساب الى الصراط • ومن الصراط • الى موضع الجزاء اما الى الجنة او الى النار • وقيل

الكدح

الحور

الشفق

الوسق

ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بفتح الباء وهي قراءة عمر بن الخطاب وابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهم وكانوا يعني يا محمد لتركبن طبقا عن طبق اي سماء بعد سماء ودرجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة **قوله تعالى** فما لهم لا يؤمنون • اي ما لهؤلاء المشركين لا يؤمنون بهذا القرآن وبما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله بعد ظهور الحجج والادلة • وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون • اي لا يصلون لله ولا يخضعون ولا يخشعون بل يكذبون به جهلا وفي هذا وجوب سجدة التلاوة لانه ذمهم على تركه عند السماع وظاهر الآية يقتضي وجوب السجود عند سماع سائر القرآن الا انا خصصنا منه ما عدا مواضع السجود بالاجماع فاستعملناه في مواضع السجود اذ لم يفعل ذلك لالغينا حكم الآية راسا **قوله تعالى** والله اعلم بما يوعون • اي بما يضمرون في قلوبهم والايعاء جعل الشيء في الوعاء والقلوب اوعية لما يحصل فيها من معرفة او جهالة او عزيمة او خير او شر **قوله تعالى** فبشرهم بعذاب اليم • اي اخبرهم بعذاب وجيع مكان البشارة للمؤمنين بالنعيم المقيم • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات • اي لكن المطيعين المؤمنين لهم الثواب لا يكدر عليهم بالمن عليهم ويقال غير ممنون • اي لا ينقص على ممر الدهور ويقال غير مقطوع ولا منقوص

سورة البروج عشرون واثنتان

وهي اربعمائة وثمانية وخمسون حرفا ومائة وتسع كلمات واثنتان وعشرون آية قال صلى الله عليه وسلم من قراها اعطي من الاجر بعدد كل جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم • والسماء ذات البروج

اي ذات النجوم وقيل ذات القصور على ما روي ان في السماء قصورا يسكنها خلق من خلق الله والاظهر ان البروج ههنا منازل الكواكب السبعة سميت بروجا لارتفاعها وسعتها وهي اثنا عشر من الحمل الى الحوت وتسير الشمس في كل برج ثلاثين يوما وبعض يوم وتسير القمر في كل برج يومين وثلث فذلك ثمانية وعشرون ثم يستسر في ليلتين **قوله تعالى** واليوم الموعود وشاهد ومشهود قيل ان الشاهد النبي صلى الله عليه وسلم وان اليوم الموعود هو يوم القيمة وعد اهل السموات واهل الارض ان يحضروا ذلك اليوم لفصل القضاء **قوله تعالى** وشاهد ومشهود قيل ان الشاهد النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والمشهود يوم القيمة كما قال تعالى ذلك يوم مشهود وقيل الشاهد جميع الانبياء كما قال الله تعالى ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم • والمشهود جميع الامم • ويقال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة كما قال صلى الله عليه وسلم خير الايام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهود يوم عرفة والموعود يوم القيمة • ويقال الشاهد يوم النحر وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم الجمعة **قوله تعالى** قتل اصحاب الاخدود • هذا جواب القسم تقديره لقد قتل اصحاب الاخدود والمعنى قتلهم النار والاخدود شقوق تكون في الارض وجمعها اخاديد • ويجوز ان يكون في معنى قتل لعن على الدعاء عليهم **وقصته** ذلك ما روي ان رجلا من النصارى كان اجر نفسه من يهودي ليعمل له عملا فرأى ابنة المستاجر النور في البيت لقراءة الاجير الانجيل وذكرت ذلك لابيها فرمقه حتى رآه فسأله عن ذلك فلم يجبه فلم يزل به حتى اخبره انه على دين عيسى وكان ذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فتابعه هو وسبعة وثمانون انسانا من بين رجل وامرأة فاخبره بذلك ذلك اليهودي واسمه يوسف بن ذي نواس الحميري فخد لهم في الارض واوقد فيه النار وطرح فيها النفط والقصب والقطران وعرضهم على اليهودية فمن ابى منهم ان يتهود قذفه في النار • ومن رجع عن دين عيسى تركه وكان في آخرهم امرأة معها صبي رضيع • فلما رأت النار صدت فقال لها الصبي يا اماه قفي ولا تنافقي فصبرت فالقيت في النار اربعين ذراعا فاحرقت اليهود الذين كانوا حول الاخدود • قالت ابن عباس

كانوا يطرحونهم في النار فمن ابى منهم ضربوه بالسياط حتى القوهم جميعا في النار • فادخل الله تعالى ارواحهم الجنة قبل ان تصل اجسامهم الى النار • وعن وهب بن منبه ان رجلا كان على دين عيسى فوقع في نجران فدعاهم فاجابوه فسار اليه ذو نواس الحميري بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فخد لهم الاخاديد وحرق اثني عشر الفا • وقال الكلبي كان اصحاب الاخدود سبعين الفا • وروي ان اليهود لما القوا من كان على دين عيسى في الاخدود كان فيهم امرأة معها ثلثة اولاد احدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك والا القيتك واولادك في النار فابت فاخذ ابنها الاكبر فالقاه في النار ثم قال لها ارجعي عن دينك فابت فاخذ ابنها الثاني فالقاه في النار ثم قال لها ارجعي عن دينك فابت فاخذ ابنها الطفل ليلقيه في النار فهمت بالرجوع عن دينها فقال لها الطفل يا اماه لا ترجعي عن الاسلام واصبري فانك على الحق فالقي الطفل وامه في النار فلذلك قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود • والاخدود هي الحفرة المشقوقة في الارض مستطيلة وجمعها اخاديد يقال خددت الارض اي شققتها فيها حفرة طويلة وعن عطية قال خرجت عنق من النار فاحرقت الكفار عن آخرهم **قوله تعالى** النار ذات الوقود • اي ذات الحطب والنفط وقيل اراد بالوقود ابدان الناس **قوله تعالى** اذ هم عليها قعود • اي قاعد مثل شاهد وشهود وكان الكفار قعودا على شفير الاخدود على الكراسي **قوله تعالى** وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود • اي وهم على ما يفعله الجلاوزة الذين كانوا يلقون المؤمنين في النار شهود اي حضور يرون ذلك منهم **قوله تعالى** وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد • فيه بيان ما لاجله قصدوا احراق المؤمنين ومعناه وما طعنوا ولا انكروا عليهم شيئا الا ايمانهم بالله المنيع بالنقمة ممن عصاه المستحق للحمد على كل حال والمعنى ما علموا منهم عيبا ولا وجدوا لهم جرما ولا راوا منهم سوءا الا من اجل ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد • الذي له القدرة على اهل السموات والارض والله على كل شيء شهيد • اي عالم يجزي كل عامل بما عمل **قوله تعالى** ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات • اي ان الذين احرقوا وعذبوا المؤمنين والمؤمنات • ثم لم يتوبوا • من ذلك فلهم عذاب جهنم في الآخرة مع الحريق الذي اصابهم في الدنيا يقال فتنت الشيء اذا احميته ومنه قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون • وقيل اراد بالفتنة الامتحان وهو قولهم للمؤمنين ان رجعتم عن الايمان والا قذفناكم في النار وهذا هو الاكراه • وهو من اعظم الفتن في باب الدين وفي الآية تنبيه على ان هؤلاء الكفار لو تابوا بعدما كفروا لقبلت توبتهم وفيه دليل ايضا على ان الاولى للمكره على الكفر ان يصبر على ما خوف منه وان اظهار كلمة الكفر كالرخصة له في ذلك ولو صبر حتى قتل كان اعظم لاجره لان الله تعالى اثنى على الذين قتلوا في الاخدود وبين لهم جنات تجري من تحتها الانهار **قوله تعالى** ان بطش ربك لشديد • ابتداء كلام من الله تعالى ويقال انه جواب القسم الذي في اول السورة ويقال ان جواب القسم محذوف تقديره والسماء ذات البروج لتبعثن يوم القيمة ولتجزون على اعمالكم • والبطش في اللغة هو الاخذ بالعنف على سبيل القدرة والقوة وفيه تخويف لكل من اقام على الكفر **قوله تعالى** انه هو يبدئ ويعيد • اي يخلق الخلق اولا من النطفة ويعيدهم بعد الموت خلقا جديدا • وهو الغفور الودود • اي وهو كثير التجاوز وذو الستر على عباده كثير المحبة للمؤمنين بالاحسان اليهم **قوله تعالى** ذو العرش المجيد اي ذو العرش الشريف والمجيد في اللغة هو العظيم الكريم لما يكون فيه من الخير وقرا حمزة والكسائي وخلف المجيد بالخفض نعتا للعرش وقرا غيرهم بالرفع نعتا للغفور **قوله تعالى** فعال لما يريد • اي يفعل ما يشاء لا يدفعه دافع ولا يمنعه مانع **قوله تعالى** هل اتاك حديث الجنود • اي هل بلغك يا محمد حديث الجنود والجموع من الكفار كيف فعلوا وكيف فعل الله بهم وهذا بمعنى التقرير ثم بين اولئك الجنود **قوله تعالى** فرعون وثمود • وانما خص فرعون وثمود بالذكر من بعض الجنود لاختصاصهم بكثرة العدد والعدد **قوله تعالى** بل الذين كفروا

في تكذيب . معناه بل هؤلاء المشركون في تكذيب بك وبما انزلت اليك معرضين عما اوجب الاعتبار بفرعون وثمود كانه تعالى يقول قد ذكرنا امثال من قبلهم من المكذبين وما حل بهم من النقمة ليعتبروا ويرتدعوا فلم يفعلوا اسلافهم في تكذيب قوله تعالى والله من ورائهم محيط . اي وعلم الله محيط بهم وقدرته مشتملة عليهم بل هذا الذي اتى به محمد قران شريف كريم ليس كما زعموا انه سحر او شعر او كهانة او اساطير الاولين ولكنه في لوح محفوظ عند الله فهو ام الكتاب قرأ نافع محفوظ بضم الظاء على نعت القران وقرا الباقون بالخفض على نعت اللوح . فمن حمل قوله تعالى محفوظ نعتا للقران فمعناه محفوظ من الزيادة والنقصان والتبديل والتغيير لانه معجز لا يقدر احد ان يزيد فيه . وعن ابن عباس قال ان في اللوح لا اله الا الله وحده لا شريك له ودينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق وعده واتبع رسله ادخله الله الجنة . قالوا واللوح من درة بيضاء وطولها ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكلامه نور معقود بالعرش واصله في حجر ملك محفوظ من الشياطين . وصلى الله على سيدنا محمد وسلم .

سورة الطارق سبع عشرة آية مكية

وهي مائتا آية وتسعة وثلاثون حرفا واحدى وستون كلمة وسبع عشرة آية قال صلى الله عليه وسلم من قرأها اعطاه الله من الاجر بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات .

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق اول السورة قسم وجوابه ان كل نفس لما عليها حافظ والطارق كل ما يأتي ليلا يعني بذلك النجم يظهر ليلا ويخفى نهارا وكل ما جاء ليلا فهو طارق . ومنه حديث جابر . نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يطرق الرجل اهله ليلا وقالوا الحتى يستحد المغيبة وتمتشط الشعثة وقالت هند يوم احد

نحن بنات طارق . نمشي على النمارق . تريد بابانا النجم في شرفه وعلوه . وقال ابن الرومي

يا راقد الليل مسرورا باوله . ان الحوادث قد تطرقن اسحارا .
لا تفرحن بليل طاب اوله . فرب آخر ليل اجج النارا .

قوله تعالى وما ادراك ما الطارق تعجب النبي صلى الله عليه وسلم من شانه قوله تعالى النجم الثاقب . تفسيره للطارق والثاقب هو النير المضيء من النجوم كلها . وعن ابن عباس معنوية توقده بناره كانه ثقب مكانه فظهر ويقال اثقبت النار فثقبت اذا اضأتها فاضاءت وثقبت لسانها ويقال معنى الثاقب هو الذي يرمي به الشياطين فيحرقهم قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ . ما هنا صلة كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله اي برحمة من الله . والمعنى ان كل نفس لعليها حافظ من الملائكة يحفظها ويحفظ عليها عملها واجلها يعني اذا انتهى الى المقادير كف عن الحفظ وقرا الحسن وابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد يعنون ما كل نفس الا عليها حافظ وهي لغة هذيل يقولون نشدتك الله لما قلت يعنون الا قلت . قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة . قال الكلبي معناه حافظ يحفظ من الله قولها وفعلها . وعن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن ستون ومائة ملك يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذب الرجل الذباب عن قصعة العسل ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين قوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق . اي من اي شيء خلقه الله في رحم امه ثم بين ذلك فقال خلق من ماء دافق . اي مدفوق مصبوب مهراق في رحم المراة يقال سر كاتم اي مكتوم قوله تعالى من بين الصلب والترائب

يعني صلب الرجل وترائب المراة لان الولد مخلوق منهما فالرجل يخرج من صلبه والمراة من ترائبها والترائب جمع التريبة وهي موضع القلادة من الصدر وهي اربعة اضلاع من يمنة الصدر واربعة اضلاع من يسرة الصدر . وسئل عكرمة عن الترائب فقال هذه ووضع يده على صدره بين ثدييه قوله تعالى انه على رجعه لقادر . اي على احياء الانسان بعد الموت والبلاء لقادر وعن مجاهد ان معناه انه على رد ذلك الماء الى الاحليل كما كان قادر كانه يقول انه على رد الانسان من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة ومن النطفة الى الاحليل ومن الاحليل الى الصلب قادر فكيف لا يقدر على احيائه بعد الموت ثم اخبر متى يكون البعث قوله تعالى يوم تبلى السرائر . اي استعدوا ليوم يظهر فيه الضمائر التي لم يطلع عليها احد من البشر وقيل يراد بالسرائر الاعمال التي اسرها العباد فلم يظهروها يظهرها الله تعالى يوم القيمة قوله تعالى فما له من قوة ولا ناصر . فما للانسان يومئذ من قوة يدفع بها عذاب الله عن نفسه ولا ناصر ينصره وينجيه قوله تعالى والسماء ذات الرجع . اقسم الله بالسماء الراجعة في كل عام بالمطر بعد المطر على مقدار حاجة العباد اليه والارض الصادعة عن النبات الذي هو قوت الخلائق ان القران حق يفصل به بين الحق والباطل وليس هو باللعب والهزل والسماء ذات الرجع بالغيث وارزاق العباد كل عام لولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم والارض ذات الصدع اي تتصدع عن النبات والاشجار والانهار كقوله ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا الى اخره قوله تعالى انه لقول فصل وما هو بالهزل . اي ان القران لقول حق وجد يفصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل اي ما القران ليس باللعب والباطل قوله تعالى انهم يكيدون كيدا . يعني كفار مكة يريدون الايقاع بالنبي صلى الله عليه وسلم من حيث لا يشعر بذلك انهم تواطؤا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فاعلم نبيه انه يجازيهم جزاء كيدهم ومعنى ذلك قوله تعالى . واكيد كيدا فمهل الكافرين اي احلمهم وانظرهم ولا تعجل في طلب هلاكهم فان الذي وعدتك فيهم غير بعيد منهم قوله تعالى امهلهم رويدا . اي احلهم احلا قليلا لنقتلهم الله يوم بدر . ورويدا كلام مبني على التصغير ويقال ارود به اذا رفق به وقد توضع رويد موضع الامر يقال رويدا واصله من رادت الريح ترود رودانا اذا تحركت حركة خفيفة ويجوز ان يكون رويدا منصوبا على المصدر كانه قال اروده رويدا وبالله التوفيق وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة الاعلى تسع عشرة آية مكية

وهي مائتان واحد وسبعون حرفا واثنان وسبعون كلمة وتسع عشرة آية قال صلى الله عليه وسلم من قرأها اعطاه الله من الاجر عشر حسنات بكل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام . وعن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة سبح اسم ربك الاعلى . واول من قال سبحان ربي الاعلى اسكائيل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل اخبرني عن ثواب من قالها في صلوة او في غير صلوة قال يا محمد ما من مؤمن يقولها في سجوده او في غير سجوده الا كانت له في ميزانه افضل من العرش والكرسي وجبال الدنيا يقول الله تعالى صدق عبدي انا الاعلى فوق كل شيء وليس فوقي شيء اشهدوا يا ملائكتي اني قد غفرت لعبدي وادخلته جنتي فاذا مات زاره جبرائيل كل يوم فاذا كان يوم القيمة حمله على جناحه فيوقفه بين يدي الله فيقول يا رب شفعني فيه فيقول قد شفعتك فيه اذهب به الى الجنة

والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى • الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والامة داخلون معه في هذا الخطاب لمعنى صل لربك ونزهه عن كل ما لا يليق به من الصفات وقل سبحان ربي الاعلى • وقد يذكر الاسم ويراد به تعظيم المسمى • كما قال الشاعر

• الى الحول ثم اسم السلام عليكما • ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر •

وقال قوم معناه نزه ربك الاعلى عما يقول فيه الملحدون ويصفه به المشركون وجعلوا الاسم صلة • ويجوز ان يكون معناه نزه اسم الله عن اجرائه على غيره وكان علي وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم اذا قرأ احدهم اول هذه السورة قال سبحان ربي الاعلى والاعلى من صفات الله بمعنى العلي مثل الاكبر بمعنى الكبير وليس هذا من علو المكان وانما معناه القاهر القادر ولا شيء اقدر منه قوله تعالى الذي خلق فسوى اي خلق الانسان وكل ذي روح فسوى خلقته باليدين والرجلين والعينين والاذنين وسائر الاعضاء وعدل الخلق قوله تعالى والذي قدر فهدى اي قدر الذي خلقه حسنا ودميما • وقدر عليه الشقاوة والسعادة فهدى كل مكلف من الضلال الى الهدى ومن الباطل الى الصواب ومن الغي الى الرشاد وقيل هدى الخير الى الصواب والشر وبصره السبيل اما شاكرا واما كفورا • وقيل الهم كل حيوان ما يحتاج اليه في امر معيشته ومرفقه حتى يأتي الذكر الانثى وجعل الهداية في قلب الطفل حتى طلب ثدي امه وميزه عن غيره وهدى الفرخ لطلب الرزق • وهدى الانعام لمراعيها • وقيل قوله تعالى والذي قدر فهدى اي قدر مدة الجنين في الرحم تسعة اشهر واقل واكثر فهداه للخروج من الرحم وقيل قدر الارزاق وهداهم لطلبها وقيل الذنوب على عباده وهداهم للتوبة وقيل قدر الخلق على صورهم وعلى ما يخرجهم من الارزاق فهداهم الى معرفة توحيده • قرأ الكسائي والسلمي قدر فهدى مخففا قوله تعالى والذي اخرج المرعى • اي انبت الكلأ الاخضر بالمطر للبهائم فجعله غثاء احوى • معناه فجعل النبت بعد الخضرة هشيما يابسا باليا كالغثاء الذي يقذفه السيل على جنبات الوادي وقوله تعالى احوى اي اسود وقد يرخو النبت الاخضر لحاجة البهائم اليه وقد يكون حطبا للناس وهذا كله اخبار عن قدرة الله تعالى وانعامه على العباد قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى • اي سنقرئ عليك جبريل القران بامرنا فلا تنساه فلم ينس النبي صلى الله عليه وسلم حرفا من القران بعد نزول هذه الاية قوله تعالى الا ما شاء الله • اي ما شاء الله ان تنساه وهو ما نسخ تلاوته فنامرك ان لا تقرأه حتى تنساه على وجه الايام وهذا نسيان النسخ • دون التضييع • وقيل الا ما شاء الله ان تنساه ثم تذكره بعد ذلك وقيل انما ذكر الاستثناء لتحسين النظم على عادة العرب بذكر الاستثناء عقيب الكلام • وهو كقوله تعالى خالدين فيها الا ما شاء ربك ومعلوم ان الله تعالى لم يشأ اخراج اهل الجنة من الجنة ولا اخراج الكفار من النار ولكن المراد به ما ذكرناه قوله تعالى انه يعلم الجهر وما يخفى • اي يعلم ما يقرؤه العباد من القران وما يذكرونه من الذكر في سرائرهم وقيل يعلم العلانية من القول والعمل ويعلم السر وما يحدث الانسان به نفسه بعد ويعلم اعلان الصدقة واخفاءها قوله تعالى ونيسرك لليسرى • اي نيسرك لعمل الجنة ونوفقك للشريعة السهلة وهي الحنيفية السمحة • فذكر ان نفعت الذكرى • اي عظ بالله ان نفعت الموعظة وليس هذا على الشرط فان الموعظة تنفع لا محالة قوله تعالى سيذكر من يخشى • اي سيتعظ بالقران من يخشى عذاب الله تعالى • ويتجنبها الاشقى • اي ويتجنب التذكر والعظة ويتباعد عنها الشقي في علم الله تعالى فلا يتذكر ثوابا ولا عقابا • روي ان المراد بقوله • سيذكر من يخشى عبد الله بن ام مكتوم • ويدخل

فيه كل مؤمن • والمراد بالاشقى الذي تجنب الموعظة الوليد بن المغيرة • ويدخل في ذلك كل كافر قوله تعالى الذي يصلى النار الكبرى • وهي السفلى من اطباق النار • وقيل سميت النار جهنم النار الكبرى لانها اكبر من هذه النار • كما روي في التفسير ان نار الدنيا جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ولقد غمست في البحر مرتين حتى لانت ولولا ذلك لما انتفع بها احد وروي ان نار الدنيا تستجير ان لا يردها الله تعالى الى نار جهنم قوله تعالى ثم لا يموت فيها ولا يحيى • اي لا يموت موتا يستريح من عذابها ولا يحيى حياة يجد فيها روح الحياة قوله تعالى قد افلح من تزكى • اي صار الى البقاء الدائم والنعيم المقيم من تزكى بالاسلام والتوبة من الذنوب • والمعنى قد افلح من تطهر من الشرك • وقال لا اله الا الله وكان عمله زاكيا صالحا وادى زكاة ماله قوله تعالى وذكر اسم ربه فصلى • اي وافتتح الصلوة بذكر اسم الله فصلى الصلوة الخمس المفروضات وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم قرأ هذه الاية • وقيل معناه قد افلح من ادى زكاة الفطر ثم صلى صلوة العيدين • ويستدل بهذه الاية على جواز افتتاح الصلوة بغير التكبير لان الله تعالى ذكر الصلوة عقيب اسمه والفاء للتعقيب من غير التراخي • فلا فصل في الاية بين التكبير وسائر الاذكار قوله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا • قراءة العامة بالتاء وتصديق ذلك قراءة ابي بن كعب بل انتم تؤثرون الحيوة الدنيا والخطاب للكفار كانه قال بل انتم تؤثرون ايها الكفار تختارون الدنيا على الاخرة وقرأ ابو عمرو يؤثرون بالياء يعني الاشقين قوله تعالى والاخرة خير وابقى • اي ثواب الاخرة خير من الدنيا وما فيها وادوم وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما الدنيا في الاخرة الا كما ادخل اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع قوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى • اراد به قوله تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى • هذا مذكور في الصحف الاولى كما هو في القران وقيل المذكور في الصحف الاولى ان الناس يؤثرون الحيوة الدنيا وان الاخرة خير وابقى وقيل اراد به السورة كلها قوله تعالى صحف ابرهيم وموسى • قال قتادة تتابعت كتب الله تعالى ان الاخرة خير وابقى • وقيل ان في صحف ابرهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه وقال ابو ذر قلت يا رسول الله كم الانبياء فقال مائة الف نبي • قلت كم المرسلون منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر قلت اكان ادم نبيا قال نعم كلمه الله وخلقه بيده يا ابا ذر اربعة من الانبياء عرب هود وصالح وشعيب ونبيك قلت يا رسول الله كم انزل الله من كتاب قال مائة واربعة كتب منها على ادم عشر صحايف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلثون صحيفة وهو اول من خط بالقلم وعلى ابرهيم عشر صحايف • والتورية والانجيل والزبور والفرقان • وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

سورة الغاشية ست وعشرون اية

وهي ثلثمائة واحدى وثمانون حرفا • واثنان وتسعون كلمة وست وعشرون اية قال صلى الله عليه وسلم من قرأها حاسبه الله حسابا يسيرا

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتاك حديث الغاشية • اي قد اتاك حديث الغاشية يعني القيمة تغشى كل شيء بالاهوال • ولانها تغشى جميع الناس • وقال سعيد بن جبير اراد بالغاشية نار جهنم تغشى اهلها جميع الجوانب وتغشى وجوههم النار قوله تعالى وجوه يومئذ

خاشعة عاملة ناصبة • اي وجوه يوم القيمة خاشعة ذليلة وهي وجوه الكفرين والمنافقين ذليلة في الاخرة اي تجر على النار على وجوهها ناصبة اي في تعب وعنا ومشقة وبلاء من معاناة العذاب • قال الحسن لم تخشع لله في الدنيا ولم تعمل له فاخشعها في الاخرة واعملها وانصبها بمعالجة الاغلال والسلاسل • وقال قتادة تكبرت في الدنيا عن طاعة الله فاعملها وانصبها في النار • وقال الضحاك يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار والنصب الدءوب في العمل • وقال عكرمة والسدي عاملة في الدنيا بمعاصي الله ناصبة في النار يوم القيمة • وقال سعيد بن جبير هم الرهبان اصحاب الصوامع الذين يتعبون وينصبون في العبادة ثم لا يحصلون في الاخرة من ذلك على شيء لوقوع ذلك منهم على غير موافقة العلم • وقيل هم الخوارج • ويقال المراد به كل من عمل عملا خلط بعمله ما يبطله من شرك او رياء وعجب قوله تعالى تصلى نارا حامية • اي تلزم نارا قد انتهى حرها • قال ابن مسعود تخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل وقراءة العامة تصلى بفتح التاء وقراءة ابو عمرو ويعقوب وابو بكر بضمها اعتبارا لقوله تسقى من عين قوله تعالى تسقى من عين آنية • اي من عين متناهية في الحر • قال الحسن قد انتهى طبخها منذ خلق الله السموات والارض الى تلك الساعة قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع • قال مجاهد وعكرمة وقتادة هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض تسميه قريش الشبرق حين يكون رطبا فاذا يبس فهو الضريع يصير عند اليبس كاظفار الهرة سما لا تقربه دابة وانما تاكل الابل في الربيع من ورقه وقال ابن زيد اما في الدنيا فان الضريع الشوك اليابس واما في الاخرة فهو شوك من النار وقال الكلبي الضريع لا تلقاه دابة الا يبس ولا ترعاه شيء • وقال عطاء هو شيء يطرحه البحر المالح تسميه اهل اليمن الضريع • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الضريع شيء يكون في النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار سماه الله تعالى ضريعا • قيل ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل على ما هم من العذاب فيستغيثون من الجوع فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يسيغون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم الف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنية ولا مرية فكلما ادنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشوها فاذا وصل الى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم • فلما نزلت هذه الاية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع فانزل الله تعالى لا يسمن ولا يغني من جوع • وكذبوا فان الابل لا ترعاه الا اذا كان رطبا • واما اذا يبس فلا تقربه دابة وهو رطبه يسمى شبرقا لا ضريعا والمعنى لا يسمن من اكله ولا يسد جوعه ولا جوعه قوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية • هذه صفة وجوه اهل الجنة يقول وجوههم يومئذ نضرة حسنة جميلة لان النعمة عليها ظاهرة وهي لعملها راضية بما اداها اليه من الثواب والكرامة • في جنة عالية اي عالية في الغرف والشرف قوله تعالى لا تسمع فيها لاغية اي لا يسمع اصحاب تلك الوجوه كلمة ذات لغو وحلفا كاذبا ولا كلاما باطلا ولا للكلام سماع ما لا فائدة فيه يثقل على العقلاء ولا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم المقيم قوله تعالى فيها عين جارية • اي فيها لكل انسان في قصره عين جارية من كل شراب يشتهيه تجري الى حيث شاء على حسب ارادته ومحبته قوله تعالى فيها سرر مرفوعة في الهوا رفيعة القدر بعضها فوق بعض من الذهب والفضة وغير ذلك من الجواهر الكريمة عليها الفرش والحلل • قال صلى الله عليه وسلم لو اتى من علاها فراش لهوى الى قرارها مائة

مائة خريف • والحكمة في ذلك الارتفاع ان يرى المومن بجلوسه عليها جميع ما خوله الله تعالى من الملك والنعمة قوله تعالى واكواب موضوعة • الاكواب جمع كوب وهو الكوز الذي لا عروة له ولا خرطوم موضوعة على حافة العين الجارية معدة لاشربتهم وهي من اللولؤ الرطب على ما ورد في الحديث • قوله تعالى ونمارق مصفوفة • هي جمع نمرقة وهي الوسادة المنسوجة من قضبان الذهب المكللة بالدر والياقوت قد صف بعضها الى بعض للراحة ودفع الملل • قال الشاعر

كهول وشبان حسان وجوههم • على سرر مصفوفة ونمارق •

قوله تعالى وزرابي مبثوثة • الزرابي هي الطنافس المخملة واحدها زرابية وهي البسط العريضة • والمبثوثة الكثيرة المبسوطة المفرقة في المجالس قوله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت • فيه تنبيه على قدرة الله تعالى يقول افلا يرون الابل مع عظمها وشدتها كيف تبرك اذا اريد ركوبها فيحمل عليها ويركب ثم تقوم فيقودها الصغير وينيخها ويحمل عليها الحمل الثقيل وهي باركة فتنهض بثقله • ولا تنهض دابة بحملها وهي باركة الا البعير • وقيل في وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وصف للمشركين سرر اهل الجنة مع علوها وارتفاعها وانها تنحط لصاحبها اذا اراد صعودها ثم ترتفع استبعدوا ذلك فذكرهم الله ما يزيل استبعادهم وكانوا ارباب ابل فاراهم دلايل توحيده فيما كان في ايديهم وتكلمت الحكماء في وجه تخصيص الابل من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لانهم لم يروا بهيمة قط اعظم منها ولم يشاهدوا الفيل الا الشاذ منهم • وقال الحسن لانها تاكل النوى وتخرج اللبن وقيل لانها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف يذهب بها حيث شاء وحكى الاستاذ ابو القاسم بن حبيب انه رأى في بعض التفاسير ان فارة اخذت بزمام ناقة فجعلت الفارة تجر الناقة وهي تتبعها حتى دخلت الجحر فجرت الزمام فبركت فجرته فقربت فمها من جحر الفارة فسبحان الذي قدرها وسخرها وقد لقلها • وقال ابو عمرو الابل هي السحاب قال وهي اليوم بلغة من ... السما والجبال الا ان هذا غير معروف في اللغة وانما يقولون للسحاب الابل بتشديد اللام قوله تعالى والى السماء كيف رفعت في الهوا فوق كل شيء لا ينالها الايدي بلا عماد تحتها ولا علاقة فوقها والى الجبال كيف نصبت • فجعلت مرساة مثبتة لا تزول وتجري في اعلاها العيون لمنافع الناس والى الارض كيف سطحت اي بسطت على وجه الماء فالذي فعل هذه الاشياء قادر على ان يخلق نعيم الجنة بالصفات على وجهه • قال انس بن مالك صليت خلف علي بن ابي طالب فقرا افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وكذلك رفعت ونصبت وسطحت برفع التاء • وقرأ الحسن سطحت بالتشديد قوله تعالى فذكر انما انت مذكر اي عظهم يا محمد بالقرآن انما انت واعظ به مبلغ لست عليهم بمسيطر • اي بمسلط تجبرهم على الايمان وتمنعهم من الكفر وهذا كان قبل القتال فنسخها • ويسطر الرجل اذا تسلط قوله تعالى الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر • اي لكن من اعرض عن الايمان وثبت على كفره فكله الى الله لست له بمذكر كانه لا يقبل منك فيعذبه الله في الاخرة باعظم النيران • وانما قال ذلك لان من هو اشد عذابا من غيره قوله تعالى ان الينا ايابهم اي طب نفسا يا محمد ان عاندوا وجحدوا فان الينا مرجعهم اي اليسار حضورهم ورجوعهم والاياب الرجوع والمعاد • ثم ان علينا حسابهم • وناخذ بما لهم وعليهم حتى يظهر مقدار ما يستحقون من العذاب • وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

سورة الفجر ثلاثون آية مكية

وهي خمسمائة وتسعة وتسعون حرفا ومائة وتسع وثلثون كلمة وثلثون اية • قال صلى الله عليه وسلم من قرأها كانت له نورا يوم القيمة • ومن قرأها في ليالي العشر غفر الله له ذنوبه

بسم الله الرحمن الرحيم • والفجر وليال عشر

اقسم الله برب الفجر • والفجر هو الصبح الذي يطلع في اخر الليل وهو دلالة على عظيم قدرة الله تعالى • وعلى
توحيده وفي ذكره بعث على الشكر وترغيب في اقامة صلوة الفجر قوله تعالى وليال عشر
هي عشر ذي الحجة شرفها الله تعالى يسارع الناس فيها الى الخيرات والطاعات • وعن ابن عباس
يعني العشر الاواخر من رمضان وقيل العشر الاول من المحرم قوله تعالى والشفع والوتر •
الشفع هو يوم النحر يشفع بما قبله من الايام من الشهر والوتر يوم عرفة اذ به ما قبله من ايام الشهر • وعن الحسن
وقتادة ان هذا قسم بالخلق كله فانه شفع ووتر • وقال مقاتل الشفع ادم وحوى والوتر هو الله • وقال
مجاهد ومسروق هو الخلق كله قال الله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين الكفر والايمان والشقاوة والسعادة
والهدى والضلال والليل والنهار والسماء والارض والبحر والبر • والشمس والقمر • والجن والانس
والوتر هو الله عز وجل هو الله الواحد الاحد الفرد • وقيل الشفع صلوة الفجر • والوتر صلوة المغرب • وقيل الشفع
درجات الجنان لانها ثمان والوتر درجات النار لانها سبع • كانه تعالى اقسم بالجنة والنار • وقيل الشفع
صفات المخلوقين من العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى • والوتر
انفراد صفات الله عز وجل عز بلا ذل وقدرة بلا عجز • وقوة بلا ضعف • وعلم بلا جهل وحيوة بلا موت • قرأ الاعمش وحمزة
والكسائي وخلف والوتر بكسر الواو واختاره ابو عبيدة لانها اكثر في الكلام وافشى وهو وتر الصلوة ولم
يسمع بشيء من الكلام الوتر بالفتح وقرأ الباقون بالفتح وهي لغة اهل الحجاز قوله تعالى والليل
اذا يسر • اقسم برب الليل اذا يسر بمضيه وانقضائه الى طلوع الفجر • وقال ابن عباس هي ليلة المزدلفة لانه
اذا يسرى فيها • وقال بعضهم ان المراد بالفجر فجر يوم النحر ووجه يوم حذف الياء من يسر انها راس اية
ورؤس الاي كالفواصل في الشعر • قرأ نافع وابو عمرو بالياء في الوصل وقرأ ابن عامر وعاصم بحذفها
وصلا ووقفا • وقرأ ابن كثير ويعقوب بالياء في الحالين قوله تعالى هل في ذلك
قسم لذي حجر • لفظه استفهام لمعنى التقرير يقول بل يعد هذا الذي عقل قسم والحجر هو العقل وجواب
القسم ان ربك لبالمرصاد قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد
الم تعلم يا محمد كيف صنع ربك بعاد وكيف اهلكهم • واما ارم فهو صفة لعاد وهما عادان عاد الاولى
وهي ارم وعاد الاخرى ولم تصرف ارم لانها اسم للقبيلة وكان ارم ابا عاد فنسبوا اليه • وقيل ان
ارم كانت قبيلة من عاد وكان فيهم الملك قوله تعالى ذات العماد اي ذات القامات الطوال والقوى
الشدائد يقال رجل معمد ورجل عمدان اذا كان طويلا • قال ابن عباس كانت قامة الرجل منهم اثني عشر
ذراعا لم يخلق مثلهم في زمانهم قوة وخلقا • ويقال انه اسم مدينة ذات العماد الذهب والفضة بناها شداد بن عاد
والقول الاول اقرب الى ظاهر الاية لان الغرض بهذه الايات زجر الكفار كان الله تعالى بين اهلاكهم مع قوتهم
انه على اهلاك هؤلاء الكفار اقدر • وقصة مدينة ارم ذات العماد ما روي وهب بن منبه
عن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له شردت فبينما هو في صحاري عدن اذ وقع على مدينة في تلك الفلوات
عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة واعلام طوال فلما دنا منها ظن ان فيها احدا يسأله عن ابله فلم
ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فلما دخل الحصن واذا هو
ببابين عظيمين وخشبهما من اطيب عود والبابان مرصعان بالياقوت الابيض والاحمر ففتح احدهما
فاذا هو بمدينة فيها قصور كل قصر تحته اعمدة من زبرجد وياقوت • وفوق كل قصر منها غرف وفوق الغرف
بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت ومصابيح تلك الغرف من اطيب العود مرصعة بالياقوت
الابيض والاحمر والغرف مفروشة كلها باللؤلؤ والمسك والزعفران ثم نظر الى الارض فاذا في كل ناحية شجرة

مثمرة وتحت الاشجار انهار مطردة يجري ماؤها في مجاري من فضة • فقال الرجل هذه هي الجنة التي وصفها
الله في كتابه فحمل معه من لؤلؤها ومسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن واعلم الناس بامره فبلغ ذلك معاوية فاحضره
وسال كعب الاحبار هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم قال اخبرني بها ومن بناها قال بناها شداد بن
عاد واسمها مدينة ارم ذات العماد وهي التي لم يخلق مثلها في البلاد • قال معاوية حدثني بحديثها
قال يا معاوية ان رجلا من عاد الاولى كان له ابنان شداد وشديد كانا قد قهرا البلاد واخذاها
عنوة وكلهم من قوم هود وانما عاد هود من ذريته فاقام شداد وشديد ما شاء الله ان يقيما ثم مات شديد
وبقي شداد فملك وحده ودانت له ملوك الارض وكان مولعا بقراءة الكتب فكلما مر فيها بذكر الجنة دعته
نفسه الى ان يبني مثلها عتوا على الله تعالى • فامر ببناء هذه المدينة • وامر على صنعها مائة امير مع كل امير الف من
الاعوان • وكتب الى كل ملك في الدنيا ان يجمع له ما في بلاده من الجواهر وكان تحته مائتان وستون
ملكا • قال معاوية كم اقاموا في مدة بنائها قال اقاموا ثلاثمائة سنة في عمارتها وبنائها • قال كم كان
عمر شداد قال سبعمائة سنة • وانما سماها الله تعالى ذات العماد لاجل الاعمدة التي تحتها من الزبرجد والياقوت
قال كعب فلما فرغوا من بنائها اعلموا شدادا بذلك فقال لهم انطلقوا واجعلوا فيها حصنا واجعلوا
حوله الف قصر عند كل قصر الف علم حتى اجعل في كل قصر وزيرا من وزرائي فرجعوا فعملوا ذلك القصور والاعلام
والحصون ثم اتوه فاخبروه بفراغ ذلك فامر الوزراء ان يتهيأوا للنقلة وامر جنده ونساءه وخدمه ان يتجهزوا
واقاموا في جهازهم عشر سنين ثم سار الملك بعسكر لا يحصى عدده الا الله • فلما سار اليها ليسكنها
وبلغ الى ان صار بينه وبينها مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم جميعا هو وجنوده • وفي رواية صيحة عظيمة من السماء
فهلكوا جميعا ولم يبق منهم احد ولم يدخل شداد ولا احد من قومه تلك المدينة ولم يقدر احد على دخولها الى يوم
القيمة وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك ولا يدخلها احد غيره ابدا • قال معاوية فهل تقدر ان تصفه يا ابا
اسحق قال نعم هو رجل احمر قصير على حاجبه خال • وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له فيقع على تلك المدينة
فيدخلها ويحمل شيئا مما فيها • وكان الرجل جالسا مختفيا عند معاوية فقام ليذهب فالتفت كعب الى الرجل فرآه
فقال هو هذا يا امير المؤمنين فقال معاوية له لقد فضلك الله يا كعب على غيرك من العلماء فقال يا امير المؤمنين
ما خلق الله شيئا في الدنيا الا وقد فسر في التورية لعبده موسى عليه السلام قوله تعالى وثمود الذين
جابوا الصخر بالواد • معناه الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد • وبثمود الذين جابوا الصخر
بالواد • وهم قوم صالح كانوا يقطعون الصخر وينحتون من الجبال بيوتا امنين بقرب المدينة التي كانوا نازلين
بها • ومعنى قوله تعالى بالواد بوادي القرى قال اهل التفسير اول من جابوا الصخر من الواد وقطع
الصخور ونحت الجبال والرخام ثمود قوله تعالى وفرعون ذي الاوتاد عطفا على ثمود واختلفوا
في معنى الاوتاد قال بعضهم ذو الملك الثابت والجنود الذين كانوا يشدون امره سموا اوتادا لان قوامه بهم
ويقال معناه انه كان اذا غضب على احد مده على الارض واوتد على رجليه ويديه وراسه اربعة اوتاد حتى يموت
كما فعل بامرأته آسية قوله تعالى الذين طغوا في البلاد • اي الذين افرطوا في الظلم والفساد
والكفر والقتل بغير حق • فصب عليهم ربك سوط عذاب • اي صب
عليهم لونا من العذاب • وقيل وجع عذاب • وقيل هذا على الاستعارة لان السوط عند العرب
غاية العذاب • ويقال ساطه بعذاب وسوطه سوطا اذا خلطه • والسوط ما يخلط
الدم واللحم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد • اي بحيث يرى ويسمع • وقال مقاتل يجعل
رصدا من الملائكة ترصد الناس على الصراط معهم الكلاليب • وقال [illegible] الظلم

والمعصية • وقال عطا معناه ان ربك لا يفوته احد وان لم يعجل عقوبة الظالمين لظلمهم ولا ينبههم بجرمهم
قوله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه معناه ذلك الانسان
الذي لا يعرف نعمة الله عليه عند سعة الرزق عليه اذا كان رزقه على مقدار البلغة رأى اهانتي بالفقر وضيق العيش
واذا بلي بذلك ولم يشكر الله على ما اعطاه من سلامة الجوارح **قوله تعالى كلا بل لا تكرمون
اليتيم** اي حاشا ان يكون اكرام الله لعباده مقصودا على ضيق الرزق عليهم لتوسع الله النعم على من يشا
على ما تقتضيه الحكمة • قال الحسن اكذبهم الله جميعا يقول ما بالغنا اكرمت ولا بالفقر اهنت • وقوله تعالى
بل لا تكرمون اليتيم معناه لا يعرفون حق اليتيم بالعطية والصدقة • ولا يحفظ ماله عليه • وفي هذا بيان
ان اهانة الله انما تكون بالمعصية لا كما توهم الكافر • وروي ان هذه الايات نزلت في امية بن خلف كان
في حجره يتيم كان لا يحسن اليه ولا يرحمه ومعنى كلا رد عليه اي لم ابتله بالغنا لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه
علي والغنا من تقديري وقضاي فلا اكرم من اكرمته بالغنا ولا اهين من اهنته بالفقر ولكني انما
اكرم من اكرمني بطاعتي واهين من اهانني بمعصيتي وقيل معناه بل اهنت من اهنت من اجل انه لم يكرم اليتيم
قال صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وقال كافل اليتيم كالصايم لا يفطر • والقايم
لا يفتر • ومن مسح على راس يتيم تعطفا عليه كتب الله له بكل شعرة تمر عليها يده عشر حسنات • وقال
عيسى عليه السلام الفقر مشقة في الدنيا مسرة في الاخرة • والغنا مسرة في الدنيا مشقة في الاخرة
قرا ابن عامر فقدر عليه رزقه بتشديد الدال وهما لغتان • وكان ابو عمرو يقول قدر بمعنى قتر
وقدر بمعنى اعطيه ما يكفيه **قوله تعالى ولا تحاضون على طعام المسكين** اي لا تحثون
على طعام على الصدقة على المساكين قال عمران ابن حصين ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطيبا الا وحث على الصدقة على المساكين ونهى عن المثلة • واختلف القراء في هذه الاية • فقرا ابو عمرو
يكرمون وما بعده بالياء • وقرا الباقون بالتاء • وقرا اهل الكوفة تحاضون بالالف وفتح التاء
اي لا يحض بعضكم بعضا على ذلك والتحاض التحاث وروي الكسائي تحاضون بضم التاء **قوله
تعالى وتاكلون التراث اكلا لما** اي لا تاكلون الميراث اكلا
كثيرا شديدا اي تاكلون بجمعه من قولهم لممت ما على الخوان اذا اكلته اجمع قال الحسن يعني ياكل الرجل
نصيب نفسه ونصيب صاحبه من الميراث ويقال اراد به اكل ميراث اليتيم بغير حق لانه هو الذي هو حرام ويقال
ان المراد ان صرف ما ورثه من نصيبه بنفسه الى الباطل وفايدة تخصيص الميراث التنبيه له على حكم غيره لانه اذا منع
من اكل اصل امواله بالباطل ففي اكل غير ذلك اولى • ويقال معنى اكلا لما اي ياكل نصيبه
ونصيب غيره قال بكر بن عبد الله اللم الاعتدا في الميراث ياكل ميراثه وميراث غيره • وقال
ابن زيد اللم الذي ياكل كل شي يجده ولا يسال عنه احلال ام حرام وياكل الذي له ولغيره وذلك
انهم كانوا لا يورثون النسا ولا الصبيان • وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قطع ميراثا فرضه
الله قطع الله ميراثه من الجنة **قوله تعالى وتحبون المال حبا جما** اي حبا كثيرا
شديدا لا تنفقونه في سبيل الله تحرصون عليه في الدنيا وتعدلون عن امر الاخرة **قوله تعالى
كلا اذا دكت الارض دكا دكا** معناه كلا اما هكذا ينبغي ان يكون الامر فلا تفعلوا
ذلك وانزجروا عنه وارتدعوا • وكلا كلمة ردع وزجر • ثم اوعدهم فقال تعالى اذا دكت
الارض • اي تدك كدك بعد دك وتدكون اذا زلزلت الارض وضرب بعضها ببعض حتى استوت
الارض وصارت كالصخرة الملساء ويكسر كل شي على ظهرها **قوله تعالى وجاء**

وتضيق فيقول عند السعة ربي اكرمني
وقال السعة ويقول عند ضيق الرزق

وجاء ربك والملك صفا صفا • اي وجاء ربك بالمجازات والمحاسبة والملايكة
صفوفا صفا بعد صف عند حساب الناس يشاهدون ما يجري عليهم • ويقال ان الملايكة يصفون
صفا واحدا حول الجن والانس يشاهدون ما يجري عليهم • ويقال ان الملايكة يصفون يحيطون
بهم **قوله تعالى وجي يوميذ بجهنم** • في التفسير انها تقاد يوم القيامة بسبعين الف زمام على كل زمام
على كل زمام سبعون الف ملك لها تغيظ وزفير ويكشف عنها غطاوها حتى يراها العباد • قال الله تعالى
وبرزت الجحيم لمن يرى **قوله تعالى يوميذ يتذكر الانسان** • اي يتعظ ويندم على ما قدم اذا راى النار
والعذاب • **وانى له الذكرى** اي ومن اين له في ذلك الوقت الذكرى او تنفعه او عظة
تنجيه **قوله تعالى يقول يا ليتني قدمت لحياتي** • اي يا ليتني عملت في حياتي الفانية
لحياتي الباقية • **فيوميذ لا يعذب عذابه احد** • قراة العامة بكسر الذال ويوثق بكسر التا معناه
لا يعذب كعذاب الله احد ولا يوثق كوثاقه احد • وقرا الكسايي ويعقوب بفتح الذال والتا ومعناه لا يعذب
كعذاب الله عذاب الكافر الذي لم يقدم لحياته احد • ولا يوثق احد مثل وثاقه قيل ان هذا الانسان المعذب
امية بن خلف الجمحي **قوله تعالى يا ايتها النفس المطمينة** • المراد به نفس المومن تقول لها الملايكة
عند قبضها واذا اعطيت كتابها بيمينها يا ايتها النفس التي ايقنت بان الله ربها وعرفت توحيدها فاطمانت
بالايمان وعملت للاخرة وصدقت ثواب الله ارجعي الى ما اعد الله لك من نعيم الجنة راضية عن الله بالثواب مرضية
عنك بالايمان والعمل الصالح فادخلي في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي التي اعددت لك • وقال
مجاهد معنى يا ايتها النفس المبينة التي ايقنت ان الله خالقها المطمينة الى ما وعد الله المصدقة بما قال الراضية
بقضا الله التي قد علمت بان ما اصابها لم يكن ليخطيها وما اخطاها لم يكن ليصيبها • وقيل معناه المطمينة بذكر
الله المتوكلة على الله الواثقة بما ضمن لها من الرزق • وعن عبد الله بن عمرو بن العاص • قال اذا توفي العبد المومن
ارسل الله تعالى ملكين معهما تحفة من الجنة فقال اخرجي ايتها النفس المطمينة اخرجي الى روح وريحان ورب
راض عنك فتخرج كاطيب من المسك فتشمها الملايكة في السما فيقولون قد جا من الارض روح طيبة فلا تمر
بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها • ويقول الملايكة ربنا هذا عبدك فلان كان يعبدك ولا يشرك
بك شيا • فيقول الله يا ميكاييل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع انفس المومنين حتى اسالك عنها يوم القيامة ثم يومر
ان يوسع عليه قبره مقدار سبعين ذراعا عرضه • وسبعين ذراعا طوله • ويجعل له فيه نور كالشمس
ويكون كالعروس ينام فلا يوقظه الا احب اهله اليه • فيقوم من نومه كانه لم يشبع منه • وعن جعفر ابن سعيد
قال قرا رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايتها النفس المطمينة **ارجعي الى ربك راضية مرضية
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي** • فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه ما احسن هذا يا رسول
الله فقال يا ابا بكر ان الملك سيقوله لك

سورة البلد عشرون اية مكية

وهي ثلثمائة وعشرون حرفا واثنان وثمانون كلمة وعشرون اية قال صلى الله عليه وسلم من قراها اعطاه الله الامن من
غضبه يوم القيمة •

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد يعني مكة اقسم الله بها اعظاما لها ولا حرف زايد **قوله تعالى وانت حل بهذا البلد**
اي وانت يا محمد حل بمكة يعني مقيما فيها وقيل وانت حلال فيها تصنع ما تريد من القتل والاسر والنفي وانت يا محمد حلال
لك ان تحل فيها وذلك ان الله احل لنبيه عليه السلام مكة يوم الفتح حتى قاتل وقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن
صبابة وغيرهما **قوله تعالى ووالد وما ولد** يعني ادم وذريته وجواب القسم لقد خلقنا الانسان في كبد اي في نصب من حين

يبقى فيه الروح إلى أن يصل إلى الآخرة ليعلم أن الدنيا دار كد ومشقة، وأن الجنة هي الراحة والمكابدة في اللغة
هو أن يكابد الإنسان أمر المعاش والمعاد، قال الحسن يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة لا يلقى ابن آدم إلا يكابد أمر الدنيا
في مشقة قوله تعالى **أيحسب أن لن يقدر عليه أحد** حكاية عن الإنسان وقد جاء في التفسير أنه نزل في أبي الأسد بن
كلدة بن أسيد الجمحي كان قويا شديدا يضع الأديم العكاظي فيقف عليه ويقول من أزالني عنه فله كذا وكذا
فيجتمع عليه عشرة أو يجرون الأديم وكان الأديم ينقطع ولا تزول قدماه عن مكانهما، والمعنى أيظن
هذا الكافر لشدته وقوته أن لن يقدر على أخذه وعقوبته أحد وأن لن يبعث والله قادر عليه
فقال أنه لما نزل ذلك حصر بطنه وانحصر بوله وكان يتمرغ في التراب ويقول قتلني رب محمد قوله تعالى
يقول أهلكت مالا لبدا يعني هذا الكافر المذكور يقول أهلكت مالا كثيرا في عداوة محمد وأصحابه
لم ينفعني ذلك واللبد ما تلبد بعضه على بعض قوله تعالى **أيحسب أن لم يره أحد**، معناه أيظن
أن لن يحصي عليه ما أنفق وأنه لا يسأل عنه من أين اكتسبه وفيم أنفقه قوله تعالى **ألم نجعل له عينين**
ولسانا وشفتين ذكر الله تعالى منته عليه من أين اكتسبه فقال ألم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا
يتكلم به وشفتين يستعين بهما على الكلام قوله تعالى **وهديناه النجدين** أي وبينا له طريق الخير والشر
ليسلك طريق الخير ويجتنب طريق الشر، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأ وهديناه النجدين وقال أيها الناس
إنهما نجدان نجد الخير ونجد الشر، وقيل معناه وهديناه الثديين ألهمناه مص الثديين والثديان هما النجدان
وهذا قول سعيد بن المسيب والضحاك، وروي عن ابن عباس قوله تعالى **فلا اقتحم العقبة**
معناه أما جاد بماله في إنفاقه في طاعة الله تعالى وهلا دخل في عمل البر وأنفق ماله في فك الرقاب وإطعام
الجياع ليجاوز العقبة فيكون خيرا له من إنفاقه على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم، وقال مجاهد والضحاك
والكلبي يعني العقبة الصراط يضرب على جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا بجنبه
كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان فناج سالم وناج مخدوش ومكردس، ومن الناس من يمر عليه
كالبرق ومنهم من يمر عليه كالريح ومنهم كالفارس ومنهم كالرجل العادي ومنهم كالرجل يمشي ومنهم من يزحف
ومنهم الزالق، واقتحامه على المؤمن كما بين صلوة العصر إلى العشاء، وقال قتادة هذا مثل ضربه الله تعالى يقول
إن المعتق والمطعم يقاحم نفسه وشيطانه مثل من يتكلف صعوده، وقال ابن زيد يعني الآية فهلا سلكت
الطريق التي فيها النجاة ثم بين ما هي فقال تعالى وما أدراك ما العقبة تعظيم لشأن العقبة يقول ما
أعلمك يا محمد أي شيء تجاوز عقبة الصراط، قال سفين بن عيينة كل شيء قال الله تعالى فيه وما أدراك فإنه
أخبره به وما قال فيه وما يدريك فإنه لم يخبره به قوله تعالى **فك رقبة** من قرأ بضم الكاف فمعناه
اقتحامها فك رقبة من رق أو أسر أو من ظالم أو من سلطان جائر، والاقتحام الدخول في الشيء
قوله تعالى **وإطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة منك أو مسكينا** لاصقا في التراب
من الجهد والفاقة ويقال أن المتربة شدة الحاجة وترب الرجل إذا افتقر ومن قرأ فك بالنصب أو أطعم
فمعناه أفلا فك الرقبة وهلا أطعم في يوم ذي مسغبة، وعن البراء بن عازب قال جاء أعرابي إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة فقال لئن أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة فك رقبة
وأعتق النسمة قال أوليستا واحدا يا رسول الله قال عتق النسمة أن تنفرد بعتقها وفكها أن تعين في ثمنها فإن لم تطق
ذلك فليكف لسانك إلا من خير قوله تعالى **ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة**
أولئك أصحاب الميمنة، معناه أن أفعال القرب إنما تنفعه إذا كان مع ذلك من الذين آمنوا
وحرف ثم ههنا للتراخي في الأخبار لا للترادف في الحال كأنه قال وما كان مؤمنا
قبل ذلك من الذين يتواصون بالصبر ويجوز أن يكون معناه يفعل ذلك

ثم يثبت على أن يلقى الله تعالى، **وتواصوا بالصبر** أي وصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله تعالى والصبر
عن معاصيه، **وتواصوا بالمرحمة** أي أوصى بعضهم بعضا بالترحم على الناس، واليتيم والمسكين والضعيف
والمظلوم، وفي الحديث من لم يرحم الناس لم يرحمه الله قوله تعالى **أولئك أصحاب الميمنة** معناه أولئك الذين
اجتمعت فيهم هذه الخصال هم أصحاب اليمين والبركة وهم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة قوله
والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة أي هم أصحاب الشؤم على أنفسهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم
ويؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار قوله **عليهم نار مؤصدة** أي مطبقة أبوابها عليهم مسدودة من قولك أصدت الباب
وأوصدته إذا أطبقته ومن ذلك يسمى الباب الوصيد قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البلد أعطاه الله الأمان يوم القيمة

سورة والشمس ست عشرة آية مكية

وهي مائتان وسبعة وأربعون حرفا وأربع وخمسون كلمة قال صلى الله عليه وسلم من قرأها فكأنما تصدق على كل من طلعت عليه الشمس
والقمر.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى **والشمس وضحاها** أقسم الله تعالى بالشمس ونحوها مما ذكر من أول السورة لما فيها من دلالة وحدانية الله سبحانه وتعالى
تقديره ورب الشمس وضحاها أراد بالضحى ارتفاعها، قال مجاهد معناه والشمس وضوءها قوله تعالى **والقمر
إذا تلاها** أي تبع الشمس وطلع بعد غروبها وذلك في أول ليلة الهلال إذا سقطت الشمس رئي الهلال، وكذلك في
نصف الشهر إذا غربت الشمس تبعها القمر في الطلوع من المشرق وأخذ موضعها وسار خلفها قوله عز وجل
والنهار إذا جلاها أي إذا أبان الشمس وذلك أن الشمس إنما تضيء وتتبين إذا انبسط النهار، وأما في
حال طلوعها فهي لا تطلع لا نورها ثم يصحبها الله تعالى، ويجوز أن يكون معناه إذا جلا ظلمة الليل وجلا الدنيا
فيكون هذا كناية عن غير مذكور قوله تعالى **والليل إذا يغشاها** أي إذا غشي الشمس فيذهب نورها
وتظلم الدنيا عند غروبها قوله تعالى **والسماء وما بناها** أي والسماء وبناها وهو نائبها الذي شاهدته في سعتها
وارتفاع سمكها وقرارها بغير عمد وما مع الفعل بمنزلة المصدر، ويجوز أن يكون معناه والسماء والذي بناها كما يقال سبحان
من سبحت له وسبحان من يسبح الرعد بحمده، والمعنى والسماء ومن بناها أي ومن خلقها وهو الله تعالى كقوله تعالى فانكحوا
ما طاب لكم ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم، وعلى هذا قوله تعالى والأرض وما طحاها معناه على القول الأول والأرض وطحوها
وهو بسطها على وجه الماء، وعلى القول الثاني والأرض ومن طحاها قوله تعالى **ونفس وما سواها** معناه
على القول الأول والنفس كلها وتسويتها باليدين والرجلين والعينين والأذنين وغير ذلك من الحواس وما ألهمها الله
تعالى من طريق فجورها وطريق تقواها وما تأتي وما تذر للفجور قوله **قد أفلح من زكاها** جواب القسم يقول قد
فاز ونجا من طهر نفسه بالإيمان والطاعات فصار زكيا طاهرا بنعيم الجنة قوله تعالى **وقد خاب من
دساها**، أي وقد خسر من دس نفسه أي أخملها بالكفر والمعاصي ويقال معناه قد أفلح من زكى الله نفسه أي أصلحها الله
وطهرها من الذنوب، ووفقها للتقوى، وقد خاب وخسر من دسى الله نفسه أي أشانها وأخملها وأخفى محلها
حتى عملت بالفجور وركبت المعاصي، وقيل معناه دساها أغواها وأضلها وأثمها وأفجرها، وقال ابن عباس أهلكها
والأصل في جواب القسم أن يقال لقد أفلح باللام إلا أن اللام إنما حذفت لأن الكلام إذا طال صار طوله عوضا
من اللام قوله تعالى **كذبت ثمود بطغواها** أي كذبت قوم صالح قوله تعالى **إذ انبعث
أشقاها** أي حين قام أشقاها، وإنما ذكرهما بلفظ التأنيث لأن أحدهما راجعة إلى القبيلة وقيل المراد
بقوله أشقاها قدار بن سالف وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا ملتصق الخلق واسم أمه قديرة قوله تعالى
فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها أي قال لهم صالح عليه الصلاة والسلام
احذروا ناقة الله التي هي آية الدالة على توحيده أن تصيبوها بمكروه فتؤخذوا بذلك، واحذروا سقياها أي

بعقرها يومها. أي لا تشربوا منها في يومها. وقد نصب على التحذير كما يقال الأسد الأسد. قوله تعالى
فكذبوه أي فكذبوا صالحا فيما قال لهم إنكم إن أصبتموها بسوء أخذكم عذاب يوم عظيم
فعقروها. فكذبوا صالحا في ما قال لهم وقتلوها. قوله تعالى فدمدم عليهم ربهم
بذنبهم فسواها. أي فأطبق عليهم بالصيحة ورجفة الأرض ودمر عليهم. يقال دمدمت
على الميت إذا أطبقت عليه القبر. وقال ابن الأنباري أصل الدمدمة. والمعنى غضب عليهم ربهم فسوى
عليهم العقوبة فلم تفلت منهم صغير ولا كبير. ويجوز أن يكون معنى فسواها سوى الأرض عليهم حتى لم يبق لهم
أثر. قوله تعالى فلا يخاف عقباها. أي لا يخاف الله تعالى عاقبة إهلاكهم. وقيل إن
قوله تعالى ولا يخاف راجع إلى الرسول وهو صالح عليه السلام. كان لا يخاف عند التحذير من عاقبة أمرهم
وقيل هو راجع إلى قوله تعالى إذ انبعث أشقاها. كأنه قال لعقرها وهو كالآمن من نزول الهلاك به وبقومه
خلافه.

سورة والليل احدى وعشرون آية

وهي ثلثمائة وعشرة أحرف وإحدى وتسعون كلمة. وإحدى وعشرون آية. قال صلى الله عليه وسلم من
قرأها أعطاه الله حتى يرضى. وعافاه من العسر ويسر له اليسر. وبالله التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل إذا يغشى. أقسم الله بالليل إذا يغشى الأفق ويغطي الأشياء كلها بالظلام. والنهار إذا تجلى
أي إذا أضاء وأنار وذهب بظلمة الليل. وأقسم بخلقه الذكر والأنثى. لأنهما النسل. وقيل معناه ومن خلق
الذكر والأنثى. قوله تعالى إن سعيكم لشتى. أقسم الله بهذه الأشياء لما فيها من دلالة وحدانيته على أن أعمال
العباد في الدنيا مختلفة. منهم من يريد الدنيا فيجمع عنيته لها ويعمل في هلاك رقبته. ومنهم من يريد الآخرة
فيجمع عنيته لها ويعمل في فكاك رقبته. وشتان ما بين العملين. قوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق
بالحسنى. بين الله اختلاف سعيهم فقال أما من أعطى الحقوق من ماله واتقى المعاصي فاجتنب المحارم وصدق بالحسنى
أي أيقن بالخلف في الدنيا والثواب في الآخرة وقيل معناه وصدق بالجنة فسنيسره لليسرى أي فنوفقه للعود
إلى الطاعة مرة بعد أخرى ونسهل عليه طريق الجنة. وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
يوم غربت شمسه إلا وملكان يناديان. اللهم اجعل لكل منفق خلفا. وأعط ممسكا تلفا. وقال مجاهد معنى
قوله وصدق بالحسنى لا إله إلا الله. قيل إن هذه الآية نزلت في أبي بكر رضي الله تعالى عنه. قوله تعالى وأما من
بخل واستغنى. أي بخل بماله وضيع ما يلزمه من حقوق الله فيه واستغنى عن ربه فلم يرغب في ثوابه فيما عمل
من يستغني عن الله وكذب بثواب المصدقين في الجنة وكذب بالتوحيد والنبوة فسنيسره للعسرى أي
نخذله بمعاصيه ونصيره إلى النار والمراد به أبو جهل ويدخل فيه كل من عمل مثل عمله. قوله تعالى وما يغني عنه
ماله إذا تردى. أي ما ينفع هذا الكافر الذي بخل بماله كثرة ماله بعد موته إذا هوى وسقط في النار لم يؤد
به فريضة ولا وصل منه رحما. وقال مجاهد معنى إذا تردى إذا مات. وقال قتادة إذا هوى
في جهنم. قوله تعالى إن علينا للهدى. أي علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة. وأن
نبين الحق من الباطل. وقال الفراء معناه من سلك الهدى فعلى الله سبيله كقوله وعلى الله قصد السبيل.
وإن لنا للآخرة والأولى معناه وإن لنا الآخرة نعطي منهما ما شئنا. قوله تعالى فأنذرتكم نارا
تلظى معناه خوفتكم يا أهل مكة إن لم تؤمنوا بالقرآن نارا تتوقد وتتوهج ولا يجوز أن يكون هذا بمعنى الماضي
لأنه لو كان ماضيا لقيل تلظت. قوله تعالى لا يصلاها إلا الأشقى. أي لا يدخلها ولا يلزمها إلا الأشقى في علم

الله تعالى وهو الكافر الذي كذب بتوحيد الله والقرآن وأعرض عن الإيمان. قوله تعالى وسيجنبها الأتقى
أي يبعد عنها التقي الذي ماله يتزكى به. وما لأحد عنده من نعمة تجزى. أي لم يفعل ذلك مجازاة ليد أسديت إليه ولا
لشأن الدنيا لكن أعطاها إعطاء لطلب ثواب الله ورضاه. ولسوف يعطيه الله في الآخرة من الثواب حتى يرضى. قيل إن قوله وسيجنبها
الأتقى إلى آخر الآية. نزلت في أبي بكر رضي الله تعالى عنه أعتق سبعة كلهم كانوا يعذبون في الله تعالى. وهم بلال
وعامر بن فهيرة شهد بدرا وأحدا وقتل ببئر معونة شهيدا وأم عبيس. وزنيرة فأصيب بصرها حين أعتقها
فقالت قريش ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى. فقالت كذبوا وبيت الله فرد الله إليها بصرها. وأعتق النهدية
وبنتها وكانتا لامرأة من بني عبد الدار. ومن جاريتها بني مؤمل حي من بني عدي ابن كعب وكانت مسلمة وعمر بن الخطاب
يعذبها لتترك الإسلام وهو يومئذ مشرك فاشتراها أبو بكر فأعتقها. فأما بلال فكان لبعض بني جمح مولدا من مولديهم
وهو بلال بن رباح وكان اسم أمه حمامة وكان صادق الإسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف الجمحي يخرجه إذا حميت
الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على بطنه ويقول له لا تزال هكذا إلى أن تموت أو تكفر
بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء أحد أحد فمر به أبو بكر رضي الله تعالى عنه يوما وهم يصنعون به ذلك فقال لأمية بن
خلف ألا تتقي الله في هذا المسكين حتى متى. فقال أنت أفسدته فأنقذه مما ترى. فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه عندي غلام
أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به. قال قد فعلت. قال هو لك فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك وأخذ بلالا فأعتقه
فقال له لو أبيت أن تشتريه إلا بأوقية لبعناكه. فقال أبو بكر ولو أبيتم إلا بمائة أوقية لأخذته. وأما النهدية وبنتها
كانتا لامرأة من بني عبد الدار فمر بهما أبو بكر وهما يطحنان وسيدتهما تقول والله لا أعتقكما أبدا فقال أبو بكر لها يا أم
فلان حل عنهما قالت بل أنت حل عنهما أنت أفسدتهما فقال بكم هما قالت بكذا وكذا قال أخذتهما بذلك وهما حرتان
لوجه الله تعالى ثم قال لهما قوما واردا إليها طحينها قالتا ألا نفرغ من طحينها ونرده إليها. قال ذلك إليكما إن
شئتما. فقال أبو قحافة لأبي بكر يا بني إني أراك تعتق رقابا ضعافا. فلو أنك أعتقت رجالا جلدا يمنعونك
ويقومون دونك. فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يا أبت إني إنما أريد الله تعالى فنزل فيه قوله تعالى فأما من أعطى
واتقى وصدق بالحسنى إلى قوله وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلى آخر السورة. وعن سعيد بن المسيب قال بلغني
أن أمية بن خلف الجمحي قال لأبي بكر حين طلب منه أن يعطيه بلالا قال لا أبيعه منك إلا بغلامك نسطاس وكان نسطاس كا
فراوده أبو بكر على الإسلام فأبى وكان لنسطاس عشرة آلاف دينار ومواش وجوار فراوده أبو بكر على الإسلام
ويكون له ماله فأبى فأبغضه أبو بكر فلما قال له أمية ذلك باعه منه فقال المشركون ما فعل أبو بكر ذلك لبلال إلا
ليد كانت لبلال عنده. فأنزل الله تعالى وما لأحد عنده من نعمة تجزى. إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى
ولسوف يرضى. بثواب الله في العقبى عوضا بما فعل في الدنيا والله تعالى أعلم.

سورة والضحى احدى عشرة آية مكية

وهي مائتان واثنان وتسعون حرفا وأربعون كلمة وإحدى عشرة آية. وقال صلى الله عليه وسلم من قرأها
كان ممن يرضاه الله لمحمد أن يشفع له ويكتب بعدد كل يتيم وسائل عشر حسنات. والله أعلم وحسبنا الله ونعم الوكيل

بسم الله الرحمن الرحيم. حسبنا الله

والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه وقتادة لما سألت
اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن ذي القرنين وأصحاب الكهف. قال لهم سأخبركم غدا. ولم يقل إن شاء
الله تعالى. فاحتبس الوحي عنه وأبطأ عليه جبريل خمس عشرة ليلة لتركه الاستثناء. فقال المشركون والمنافقون
إن محمدا ودعه ربه وقلاه. فأنزل الله هذه السورة تكذيبا لهم وأقسم ببياض النهار وسواد الليل بأنه سبحانه وتعالى ما
لم يودعه ولم يقله. وفيه إضمار. تقديره ورب الضحى وهو النهار كله. وقال بعضهم ساعة ارتفاع

الشمس على ما هو من المعهود من الكلام قوله تعالى والليل اذا سجى اي اذا اظلم واشتد ظلامه حتى
يستر الاشياء بالظلام ومنه قولهم فلان مسجى بثوبه اي مغطى ومنه قولهم سجى قبر المراة وقيل معناه اذا سكن
الاشياء فيه ومن ذلك بحر ساج اي ساكن ويقال بلدة ساجية اذا كان اهلها في سكون فكذلك
طريق ساج اي امن قال الشاعر انا ابن عم الليل وابن خاله اذا سجى دخلت في سرباله قوله تعالى ما ودعك
ربك وما قلى اي ما تركك منذ اختارك ولا ابغضك منذ احبك وهذا جواب القسم قوله تعالى وللاخرة خير
لك من الاولى اي ولثواب الاخرة مما اعد الله لك فيها من الكرامة والمقام المحمود خير لك من الدنيا التي هي
مشوبة بالاحزان والزوال قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى معناه سيعطيك خالقك في الاخرة من
الشفاعة وثواب الطاعة حتى ترضى ويجوز ان يكون وعدا من الله تعالى بالنصر والتمكين وكثرة المؤمنين وعن ابن عباس
في هذه الاية قال رضا محمد ان لا يدخل احد من اهل بيته النار وقيل هي الشفاعة في جميع المؤمنين وعن علي رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشفع لامتي حتى يناديني ربي عز وجل ارضيت يا محمد فاقول رضيت وعن جعفر
ابن محمد قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة وهي تطحن بيدها وترضع ولدها فلما ابصرها كذلك دمعت عيناه
فقال يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الاخرة فقد انزل الله علي ولسوف يعطيك ربك فترضى وعن ابن عباس قال
يعطيه الله في الجنة الف قصر من اللؤلؤ ترابه المسك في كل قصر ما ينبغي على احسن الصفات قوله تعالى الم
يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى عدد الله عليه نعمه الموصلة اليه من صغره
الى كبره والمعنى الم يجدك يتيما عن ابويك فضمك الى ابي طالب ورباك في حجره وفضلك على اولاده وقد
كان ابوه مات وهو في بطن امه وماتت امه وهو ابن ستين ومات جده وهو ابن ثمان سنين وقوله تعالى ووجدك
ضالا فهدى اي ضالا عن علم النبوة واحكام الشريعة غافلا عنها فهداك اليها ودليله قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله
تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولا يجوز ان يقال في معناه انه عليه السلام كان على دين قومه فهداه الله لان الله تعالى
لا يختار للرسالة من كفر وقيل معناه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ضل في صغره عن قومه في شعاب مكة فوجده ابو جهل فرده الى جده
وقيل معناه ووجدك ضالا بين قوم ضلال لا يعرفون حرمتك فهداهم الى معرفة قدرك قوله ووجدك عائلا فاغنى
اي وجدك فقيرا فاغناك بمال خديجة والغنائم وذلك انها كانت تبذل مالها للنبي صلى الله عليه وسلم والعيلة في اللغة الفقر
يقال عال الرجل اذا كثر عياله وافتقر قال الشاعر وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل وحذف الكاف من
قوله تعالى فاوى واغنى فهدى لمشاكلة رؤوس الاي ولان المعنى معروف قال مقاتل كل فصل من هذه الفصول قراه جبريل
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول بلى يا رب ثم قال من علي ربي وهو اهل المن من علي ربي وهو اهل المن
وعنه صلى الله عليه وسلم قال سالت ربي مسألة وددت اني لم اسأله قط قلت يا رب اتخذت ابراهيم خليلا
وكلمت موسى تكليما وسخرت لداود الجبال يسبحن واعطيت سليمان كذا وكذا فقال الله تعالى الم اجدك يتيما
فاويتك قلت بلى يا رب قال الم اجدك ضالا فهديتك قلت بلى يا رب قال الم ارفع لك ذكرك فلا اذكر الا وتذكر
معي قلت بلى يا رب قال الم اوتك ما لم اوت نبيا قبلك خواتيم سورة البقرة قلت بلى يا رب قال الم اتخذك حبيبا
كما اتخذت ابراهيم خليلا قلت بلى يا رب قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر في هذا حث للنبي صلى الله عليه
وسلم على محاسن الاخلاق لتقتدي به الناس ويجتهدوا في سلوك طريقته ونهي قهر اليتيم ان تقهره على ماله وان تظلمه بقول
او فعل وفي قراءة ابن مسعود فلا تكهر بالكاف ومعناه الزجر والاغلاظ وتخصيص اليتيم لانه لا ناصر له غير الله
وفي الحديث اتقوا ظلم من لا ناصر له غير الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ضم يتيما فكان في نفقته
ومؤنته كان له حجابا من النار يوم القيامة ومن مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وقال صلى الله عليه وسلم
اليتيم اذا بكى اهتز لبكائه عرش الرحمن فيقول الله يا ملائكتي من ابكى هذا اليتيم الذي غيبت اباه في التراب فتقول الملائكة ربنا
اعلم فيقول يا ملائكتي اشهدكم ان من اسكته وارضاه انا ارضيه يوم القيامة قال فكان عمر اذا راى يتيما مسح على رأسه

رأسه واعطاه شيئا قوله تعالى واما السائل فلا تنهر النهر هو الزجر والصياح في الوجه وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال اذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه بوقار ولين او ببذل يسير او برد جميل فانه
قد يأتيكم من ليس بانس ولا جان ينظرون كيف صنعكم فيما خولكم الله وسئل النبي صلى الله عليه وسلم متى يهاج الله بر
الفقير قال اذا رددته ثلاثا فتلطفا فلم يذهب فلا باس ان تزبره وكان الحسن يقول اراد بالسائل سائل العلم في هذه
الاية ثلاثا منهن وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعنكم احدا السائل ان يعطيه اذا
سأل وان راى في يده قلبين من ذهب وعن ابراهيم بن ادهم قال نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الاخرة
يجيء السائل الى باب احدكم فيقول هل توجهون الى اهليكم بشيء قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث اي حدث
الناس بما انعم الله به عليك من النبوة والاسلام وذلك ان من شكر النعمة التحدث بها تعظيما للمنعم ويقال ان الشكر
على مراتب فالمرتبة الاولى ان يعلم ان النعمة من الله والثانية ان يؤدي عليها حقوق الله والثالثة ان تعرف بذلك
وتخبر الناس بها والرابعة ان لا يستظهر بها على نعمة الله وفي الحديث اذا انعم الله على عبد احب ان يرى اثر
نعمته عليه وقال صلى الله عليه وسلم من اعطي خيرا فلم ير عليه سمي بغيض الله معاديا لنعمة الله وقال صلى
الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الكثير لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وحسبنا الله

سورة الم نشرح ثمان آيات مكية

وهي مائة وثلاثة احرف وتسع وعشرون كلمة وثماني ايات قال صلى الله عليه وسلم من قرأها فكانما جاءني وانا مغتم
ففرج عني

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم شق بطنه من عند صدره الى اسفل بطنه فاستخرج
منه قلبه فغسل في طست من ذهب بماء زمزم ثم ملئ ايمانا وحكمة واعيد مكانه قال وهذا معنى شرح الصدر
ويقال ان شرح الصدر ترحيبه وتليينه لاحتمال الاذى والصبر على المكاره والطمأنينة بالايمان وشرائعه
وقيل معناه الم نلين لك قلبك ونوسعه بالايمان والنبوة والعلم والحكمة والعلم قوله تعالى
ووضعنا عنك وزرك اي حططنا عنك ذنبك كما قال تعالى في اية اخرى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر قوله تعالى الذي انقض ظهرك اي اثقل ظهرك ورفعنا لك ذكرك اي شرفناك
وعظمنا قدرك بما اوجبنا على خلقنا من التصديق بنبوتك وقيل معناه قرنا ذكرك بذكرنا فلا يذكر الله الا
ويذكر معه في كلمة الشهادة وفي الصلوة وفي الاذان والخطبة وغير ذلك قوله تعالى فان مع
العسر يسرا ان مع العسر يسرا معناه ان مع الشدة التي انت فيها من جهاد المشركين
رخاء بان يظهرك الله عليهم حتى ينقادوا للحق طوعا وكرها ان مع العسر يسرا في الاخرة وقيل ان
هذه الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فيما كانوا فيه من الشدة والفقر تقول ان مع الشدة
رخاء وسعة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية قال لاصحابه ابشروا فقد
اتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وانما قال ذلك لان العسر معرفة ويسرا نكرة والمعرفة اذا اعيدت
كان الثاني هو الاول والنكرة اذا اعيدت كان الثاني غير الاول واليسر الاول
هو اليسر في الدنيا عقيب العسر واليسر الثاني هو اليسر في الاخرة يقول الرجل لصاحبه
اذا اكتسبت درهما فانفق درهما يريد الثاني غير الاول واذا قال اكتسب درهما فانفق
الدرهم فالثاني هو الاول وعن ابن مسعود قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في
جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين قوله تعالى فاذا فرغت فانصب
اي اذا فرغت من الجهاد فانصب للعبادة اي اتعب لها وعن عمران بن حصين انه قال

اذا فرغت من الصلوة فانصب للدعاء وسل حاجتك وارغب اليه قوله تعالى فانصب من النصب والكد في العمل قوله تعالى والى ربك فارغب اي ارفع حوائجك الى ربك ولا ترفعها الى احد من خلقه

سورة والتين ثمان ايات مكية

وهي مائة وخمسون حرفا واربع وثلثون كلمة وثماني ايات قال صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التين اعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واعطاه الله في الاخرة بعدد من قراها صيام يوم

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون هذا قسم برب التين والزيتون وجوابه لقد خلقنا الانسان قال ابن عباس هو التين والزيتون الذي تاكلونه يقال بيتينكم هذا وزيتونكم هذا وفي تخصيص التين من سائر الفواكه انه ثمرة مثل الخبز على مقدار اللقمة ظاهر مثل باطنه وباطنه مثل ظاهره ولا يخالطه قشر ولا نوى على صفة ثمار الجنة والزيتون من شجرة مباركة ومنها الزيت بما فيه من الطيب واصلاح الغذاء في اكثر الاطعمة مع الاصطباغ به والادهان وعن قتادة قال التين هو دمشق والزيتون هو بيت المقدس وقال القتيبي هما جبلان بالشام يقال لهما طور تينا وطور زيتا لانهما ينبتان بهما قوله تعالى وطور سينين هو الجبل بمدين الذي كلم الله تعالى عليه موسى وسينين وسيناء من اسماء ذلك الجبل وعن السدي انه قال معنى سينين المبارك وقال معناه الحسن وعن عكرمة ان معناه الحسن في لسان الحبشة لانه يكثر النبات والشجر قوله وهذا البلد الامين يعني مكة كان اهلها في امن من الغارة وكانوا اذا سافروا لم يتعرض لهم لحرمة الحرم والصيد في الحرم امن ومن قتل قتيلا ثم جاء الى الحرم لم يقتص منه في الحرم قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم اي احسن صورة واعدال على احسن قامة وهيئة وعلى كمال في العقل والفهم وذلك ان الله خلق كل شيء منكبا على وجهه الا الانسان وقيل معناه خلقنا الانسان بمدين القامة يتناول ماكله بيده قوله ثم رددناه اسفل سافلين اي رددناه الى ارذل العمر والى حالة الهرم وفقد العقل بعد الشباب والقوة وقال بعضهم معناه رددناه الى اسفل دركات النار وقبح الصورة ثم استثنى المؤمنين المطيعين فانهم لا يردون الى اسفل سافلين ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى لكن الذين امنوا وعملوا الصالحات اي الطاعات فيما بينهم وبين ربهم لهم اجر غير ممنون اي ثواب غير منقطع اي لا ينقطع ثوابهم بموتهم وفي الخبر ان المؤمن اذا عمل في حال شبابه وقوته ثم مرض وهرم كتب الله له حسناته كما كان يعمل في حال شبابه وقوته لا ينقص منه شيء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات المؤمن ودفن في قبره قال ملكاه يا رب قد مات عبدك فلان فاذن لنا ان نصعد الى السماء فنسبحك فيقول الله تعالى سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحونني فيقولون يا رب فاين تامرنا فيقول قوموا على قبر عبدي فسبحاني وكبراني واحمداني وهللاني واكتبا ذلك لعبدي حتى يبعث من قبره قوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين اي ما الذي يحملك على التكذيب اما التكذيب ايها الكافر بعد هذا البيان من الله بمجازاة الله في الاخرة وقيل معناه ما يكذبك ايها الانسان بعد الصورة الحسنة والشباب ثم الهرم والموت بالحساب افلا تعتبر بحالك لتعلم ان الذي خلقك قادر على ان يبعثك قوله تعالى اليس الله باحكم الحاكمين اي اليس الله بافضل الفاضلين واعدل العادلين وكان صلى الله عليه وسلم اذا قرا هذه السورة قال بلى يا رب انت احكم الحاكمين وانا على ذلك من الشاهدين وحسبنا الله ونعم الوكيل

سورة القلم تسع عشرة اية مكية

وهي مائتان وثمانون حرفا واثنان وسبعون كلمة وتسع عشرة اية قال صلى الله عليه وسلم من قراها اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله

بسم الله الرحمن الرحيم اقرا باسم ربك الذي خلق قالت عائشة اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم كان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب الله تعالى اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء حتى يتعبد فيه حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه جبريل فقال له اقرا فقال ما انا بقارئ فقال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثانية كذلك ثم ارسلني فقال لي اقرا فقلت ما انا بقارئ فغطني الثالثة ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فاخبر خديجة بالخبر وقال خشيت على نفسي فانطلقت به خديجة الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان امرءا تنصر في الجاهلية وكان يكتب من الانجيل بالعبرانية وكان شيخا كبيرا قد ضعف بصره فقالت خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك فقالت له ورقة يا ابن اخي ماذا رايت فاخبره بما راى فقال ورقة هذا هو الناموس الذي انزل على موسى فيا ليتني اكون حيا حين يخرجك قومك فقال صلى الله عليه وسلم اومخرجي هم قال نعم لم يات رجل بمثل ما جئت به الا عودي واوذي وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم ان ورقة ابن نوفل لم يلبث ان توفي وفتر الوحي واختلفوا في الباء في قوله باسم ربك فقال بعضهم هي زائدة وتقديره اقرا اسم ربك كما يقال قرات سورة الفاتحة وقال بعضهم معناه افتح القراءة ببسم الله وقيل الذي خلق الاشياء كلها قوله تعالى خلق الانسان من علق قال بعضهم اراد به ادم خلقه من طين يعلق باليد وقال بعضهم الانسان هنا اسم جنس والعلق جمع العلقة وهي الدم الخاثر المنعقد الذي يضرب الى السواد قوله تعالى اقرا وربك الاكرم اي اقرا القران في صلواتك وتبليغك الى الناس وربك الاعظم تعالى يعينك على حفظ القران وتبليغه ويثيبك على ذلك جزيل الثواب وقيل الاكرم والحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم بالعقوبة قوله تعالى الذي علم بالقلم اي الذي علم الملائكة ما في اللوح المحفوظ واضيف الى القلم لانه هو الذي كتب في اللوح المحفوظ وقيل معناه الذي علم الانسان علم الكتابة بالقلم وهو نعمة عظيمة ولولا القلم لضاعت الحقوق ودرست العلوم واختلت امور المعاش قوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم اي علم ادم الاسماء كلها وقيل علم جميع الناس بالقلم من امور دينهم ما لم يعلموا من قبل وقيل الانسان هنا محمد صلى الله عليه وسلم بيانه وعلمك ما لم تكن تعلم قوله كلا ان الانسان ليطغى اي حقا ان الانسان الذي خلقه الله من علق وكم نعمة عليه ليطغى نعم الله ويتكبر على توحيده ومعنى ليطغى ليجاوز حده فيستكبر على ربه ان راه استغنى اي ان راى نفسه مستغنيا بكثرة ماله نزلت هذه الايات في ابي جهل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اعوذ بك من فقر ينسيني ومن غنى يطغيني قوله ان الى ربك الرجعى فيه تخويف بالرجعة في الاخرة بالحساب اي الى ربك المرجع في الاخرة قوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلوة حين فرضت عليه وكان يؤذيه ويعبث به حتى يشغله عن الصلوة وكان يهدد النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اذا رايت محمدا يصلي لوطئت عنقه وهذه الاية متروكة الجواب معناه ارايت محمدا الذي ينهى عن الصلوة لا تراه يفلح قوله تعالى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى معناه ارايت ايها الناهي ان كان المنهي عن الصلاة على الهدى وامر الخلق بالتقوى كنت تنهاه وتعاديه على ذلك وقيل معناه ارايت يا محمد ان كان الناهي عن الهدى او امر التقوى اليس كان خيرا له قوله تعالى ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى معناه اخبرني يا محمد ان كذب ابو جهل بالقران وتولى عن الايمان اي اعرض عنه الم يعلم ابو جهل ان الله يرى صنعه ويعلمه قوله تعالى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية قسم من سفعا

ابن لم ينته ابو جهل عن مقالته وصنعته لناخذن بمقدم شعر راسه ولنأمرن بجذبه الى النار • والسفع
في اللغة هو الجذب الشديد • والعرب لا تانف عن شيء انفها من ذكر الناصية • وقيل يعني لنسفعن
الاحراق • والسفع واللفح نظيران • والمعنى لنحرقن موضع ناصيته • وقال الحسن معناه
لنجمعن بين ناصيته وقدميه • كما قال تعالى فيؤخذ بالنواصي والاقدام قوله تعالى **ناصية كاذبة خاطئة**
فيه ابدال النكرة عن المعرفة المراد بالناصية ههنا صاحب الناصية كاذب خاطئ يأكل رزق الله تعالى ويعبد
غيره قوله تعالى **فليدع ناديه سندع الزبانية** قال ابن عباس لما قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه
وسلم الم انهك عن الصلوة انتهره النبي صلى الله عليه وسلم واغلظ له وتهدده • فقال ابو جهل اتهددني وانا
اكبر اهل هذا الوادي • فوالله لاملأن هذا الوادي عليك خيلا جردا • ورجالا مردا • فانزل
الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية لياخذوه • والنادي في اللغة المجلس والمراد باهل مجلسه الزبانية
هم الملائكة الموكلون بتعذيب اهل النار واحدهم زبني • والزبن الدفع • يقال زبنت الناقة
الحالب اذا ركضته برجلها • قال صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا قوله تعالى
كلا لا تطعه واسجد واقترب • هذا قسم من الله ويجوز ان يكون معناه ليس كما يقول ابو جهل لا
تطعه فيما يأمرك به من ترك الصلاة وصل لله واقترب الى رحمة الله ودينه كما يقول على زعم من نهاك عنه وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد هذه السورة فاتاه ابو جهل ليؤذيه على عادته فوجده يقرأ هذه السورة
فخاف وانصرف فقيل له اخفته وما الذي منعك ان تفعل به ما هممت به قال وجدت حارسا يحرسه ويمنعه
يهددني بالزبانية اما الحارس فمحمد اعجل الي ان اراد ان يأكلني والله ما ادري ما زبانيته فهربت • ه

سورة القدر خمس آيات مكية

وهي مائة واثنا عشر حرفا وثلاثون كلمة وخمس آيات قال صلى الله عليه وسلم من قرأها كان كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه في ليلة القدر معناه انا انزلنا القرآن في ليلة القدر • والهاء في قوله انا انزلناه كناية
عن المصدر المذكور في السورة التي قبل هذه السورة وهو القرآن فانه تقدم في اولها اقرأ اي اقرأ القرآن
ويجوز ان يكون معناه انا انزلنا جبريل بهذا القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان • وذلك
ان القرآن انزل جملة واحدة الى السماء الدنيا الى الكتبة ثم انزل بعد ذلك نجوما في عشرين سنة
وقيل في ثلث وعشرين سنة وسميت هذه الليلة ليلة القدر لانها ليلة الحكم والقضاء يقدر الله فيها كل شيء يكون
من السنة الى السنة ومعنى تقديره ان يأمر الملائكة ان يكتبوه ويتفرغوا قوله تعالى **وما
ادراك ما ليلة القدر** تعجيب وتعظيم لحرمتها اي ما اعلمك يا محمد ما شرف هذه
الليلة لولا ان الله تعالى اعلمك بذلك قوله تعالى **ليلة القدر خير من
الف شهر** • اي العمل فيها خير من العمل في الف شهر • وعلى هذا قالوا ان من صلى فيها ركعتين كان
له ثواب من صلى في كل ليلة من الف شهر ركعتين • بل هاتين الركعتين اكثر من ثواب تلك الصلوة كلها
وسبب نزول هذه السورة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما لاصحابه ان اربعة من بني اسرائيل وهم ايوب
وزكريا وحزقيل ويوشع بن نون عبدوا الله ثمانين سنة لم يعصوه فيها طرفة عين • فاتاه جبريل عليه
السلام • فقال عجبت امتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوا الله فيها طرفة عين
فقد انزل الله عليك خيرا منه ثم قرأ انا انزلناه في ليلة القدر الى آخرها • وقال هذا
افضل مما عجبت منه انت وامتك • فسرت الصحابة لذلك • وروي ان النبي صلى الله عليه

وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله الف شهر فعجب المسلمون من ذلك عجبا شديدا
وتمنى النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون مثله في امته فاعطاه الله ليلة القدر • واختلفوا في وقتها • فقال بعضهم كانت
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت • والصحيح انها لم ترفع وانها الى يوم القيمة لما قيل ان النبي صلى الله عليه
وسلم سئل فقيل له هل رفعت ليلة القدر فقال بل هي الى يوم القيمة • وعن عبد الله بن حنيس قال قلت لابي هريرة رضي
الله تعالى عنه ان ليلة القدر قد رفعت قال قد كذب من قال ذلك قلت اهي في كل شهر رمضان قال نعم وقال بعضهم
هي في ليالي السنة كلها وان من علق طلاق امرأته او اعتق عبده بليلة القدر لم يقع شيء من ذلك الى مضي سنة من يوم حلف
والجمهور من العلماء انها في شهر رمضان في كل عام • وسئل الحسن عن ليلة القدر فقال والله الذي لا اله الا هو انها في كل رمضان
واختلفوا في اي ليلة هي فقال ابو رزين العقيلي هي اول ليلة من شهر رمضان • وقال الحسن هي سبع عشرة وهي
الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر • والصحيح انها في العشر الاخر من رمضان • قال ابو سعيد الخدري هي
ليلة احدى وعشرين • وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تحروا ليلة القدر في كل سبع
وعشرين من رمضان • وروي ان عمر رضي الله تعالى عنه قال لابن عباس اخبرني متى ليلة القدر فقال ان الله وتر
يحب الوتر السموات سبع والارضون سبع والطواف سبع • والرمي بالجمار سبع فلا اراها الا في سبع وعشرين من رمضان
لعدد حروف سورة القدر الى قوله سلام هي سبع وعشرون فيجب ان تكون ليلة سبع وعشرين واراد وا
بالحروف الكلمة • فقال له عمر وافق رايي رايك • ثم ضرب على منكبيه • فقال ما انت باقل
القوم علما • وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر من كان متحريا
فليتحرها في ليلة سبع وعشرين • وعن ابي بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم باذني والا فصمتا انه
قال ليلة القدر ليلة سبع وعشرين • وقال ابو بكر الوراق ان الله قسم كلمات هذه السورة على عدد
ليالي رمضان فلما بلغ السابع والعشرين اشار اليها فقال هي • وقال بعضهم هي ليلة سبع وعشرين
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليلة القدر ليلة سبع وعشرين او ليلة تسع وان الملائكة في تلك
الليلة بعدد الحصا • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليلة القدر ليلة السابع والعشرين
والتاسع والعشرين • وان الملائكة في تلك الليلة بعدد الحصا • وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال في ليلة القدر ومن علاماتها انها بلجة سمحة ساكنة لا باردة ولا حارة تطلع الشمس
صبيحتها ليس لها شعاع • وقال بعضهم ان من علاماتها ان ماء البحر فيها عذبا سلسا • وعن عائشة
رضي الله تعالى عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم اذا ادركت ليلة القدر فما اقول • قال قولي اللهم انك
عفو تحب العفو فاعف عني قوله تعالى **تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر**
اي تتنزل الملائكة من السموات السبع الى السماء الدنيا وجبريل معهم باذن ربهم من كل امر امرهم الله به في تلك الليلة
وقيل قام حرف من مقام الباء كما في قوله يحفظونه من امر الله اي بامر الله فيهد لك بمعنى من كل امر يقدره الله
تعالى في تلك الليلة الى مثلها من السنة القابلة • ويقال ان الملائكة ينزلون الى الدنيا في
تلك الليلة ويسلمون على المؤمنين على كل قائم وراكع وساجد الى طلوع الفجر • قرأ طلحة بن مصرف تنزل الملائكة
مخففا • والمراد بالروح جبريل في قول اكثر المفسرين • وقال مقاتل الروح طائفة من الملائكة لا يراهم
الملائكة الا تلك الليلة ينزلون من غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل هو ملك عظيم قوله **سلام هي** تمام
الكلام عند قوله تعالى من كل امر ثم ابتدأ فقال سلام هي اي ليلة القدر سلام • فاما الليالي غيرها
فيقضى فيهن البلاء والسلام • وقال مجاهد هي سالمة لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوءا ولا
اذى • وقال الشعبي هو تسليم الملائكة ليلة القدر على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الى ان يطلع
الفجر وفي قراءة ابن عباس من كل امرئ سلام • ومعناه من كل ملك سلام على المؤمنين في هذه الليلة وقيل هذه القراءة

ايضا ان من تمنع على بغد من على كل امر من المسلمين سلام من الملائكة وتطمين قوله تعالى ونصرناه من القوم اي على القوم
قوله تعالى حتى مطلع الفجر اي الى مطلع الفجر وحتى حرف غاية قرأ الاعمش والكسائي وخلف مطلع بكسر اللام
وقرأ الباقون بفتحها وهو الاختيار لان المطلع بفتح اللام بمعنى الطلوع يقال طلعت الشمس طلوعا ومطلعا
واما المطلع بكسر اللام فانه موضع الطلوع ولا معنى للاسم ههنا والحكمة في اخفاء ليلة القدر على العباد انهم لو عرفوها بعينها
لقصدوها بعينها بالعبادة واهملوا في سائر الليالي واذا لم يعرفوها بعينها عبدوا الله في جميع ليالي شهر رمضان رجاء ان يدركوها

سورة لم يكن ثمان آيات مدنية

وهي ثلاثمائة وسبعة وتسعون حرفا واربع وتسعون كلمة وثماني آيات • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم
الناس ما في لم يكن لعطلوا الاهل والمال ولتعلموها لا يقرؤها منافق ابدا وان الملائكة المقربين ليقرؤونها مذ خلق الله السموات
والارض لا يفترون عن قراءتها • وما من عبد يقرأها بليل الا بعث الله ملائكة يحفظونه في دينه ودنياه ويدعون له
بالمغفرة والرحمة وان قرأها نهارا اعطي من الثواب مثل ما اضاء عليه النهار واظلم عليه الليل • وقال صلى الله
عليه وسلم من قرأ لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مسيئا ومقيلا •

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى والمشركين وهم عبدة الاوثان •
منفكين • اي منتهين عن كفرهم وشركهم • وقيل لم يكونوا زائلين حتى تأتيهم البينة الواضحة وهو محمد صلى الله عليه وسلم
اتاهم بالقرآن فبين ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم الى الايمان ثم فسر البينة فقال رسول من الله اتاهم بالقرآن
فبين ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم الى الايمان • فقال رسول من الله يتلو صحفا مطهرة من الباطل والتناقض
فيها كتب من الله • قيمة • اي مستقيمة عادلة ومعنى قوله تعالى رسول من الله يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم يتلو صحفا اي يقرأ عليهم ما تضمنته الصحف المطهرة من المكتوب سميت مطهرة من الباطل والتناقض
ولا يمسها الا المطهرون من الانجاس وهم الملائكة واراد بها الصحف التي في ايديهم كما قال • بايدي سفرة
كرام بررة في تلك الصحف كتب قيمة اي مستقيمة في نهج الصواب ولا تؤدي الى اعوجاج ولا تدل الا على
الحق قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فيه توبيخ لليهود
والنصارى فانهم انما اختلفوا في امر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما جاءهم صلى الله عليه وسلم بالقرآن والمعجزات وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين • اي ما امر هؤلاء الذين سبق ذكرهم من اهل الكتاب والمشركين في جميع كتب
الله تعالى الا ان يعبدوا الله مخلصين في دينهم حنفاء اي مائلين عن كل دين سوى الاسلام وان يقيموا الصلاة بحقوقها
في مواقيتها وان يعطوا الزكوة الى من وجبت • وذلك دين القيمة • اي المستقيمة قوله ان الذين كفروا من اهل
الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية اي شر خليقة الله والبرية
بالهمز هم الخليقة ومنه برأ الله الخلق وضد البارئ بمعنى الخالق ومن قرأ بغير الهمز فعلى وجه التخفيف قوله تعالى
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية اي خير الخليقة جزاؤهم عند
ربهم جنات عدن اي بساتين تجري من تحت غرفها وعرفها الانهار الاربعة خالدين فيها ابدا
رضي الله عنهم بايمانهم ورضوا عنه بالثواب الذي اكرمهم الله ذلك الثواب والرضى
لمن خشي ربه بامتثال اوامره واجتناب نواهيه • وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم

سورة اذا زلزلت ثمان آيات مدنية

وهي مائة وتسعة وثلاثون حرفا وخمسة وثلاثون كلمة وثماني آيات • قال صلى الله عليه وسلم من قرأها اربع مرات
كان كمن قرأ القرآن كله • وقال صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن • وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن
وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن • وصلى الله على سيدنا محمد وسلم •

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض زلزالها • وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قيام الساعة متى يكون
فانزل الله هذه السورة لبيان اشراطها وصفاتها • والزلزلة هي الحركة الشديدة • ونظير هذا قوله تعالى اذا رجت
الارض رجا • وذلك ان الارض تحرك يومئذ حركة شديدة حتى ينقلع ما عليها من بناء وجبل وشجر حتى يدخل فيها كل ما
على وجهها قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها • اي لفظت الارض عند ذلك ما فيها من الاموات
والاموال • قال الله تعالى والقت ما فيها وتخلت • وفائدة القاء الكنوز واظهارها ان يحسر عليها الذين
كنزوها • وان يعذبوا بها كما قال تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم قوله تعالى وقال الانسان
ما لها • الانسان ههنا اسم جنس اريد به الذين يخرجون من خوفها يقول كل منهم ما للارض وما حالها
ولاي شيء تزلزلها قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها • اي يومئذ تخبر الارض بما عمل فيها وعلى ظهرها
من خير وشر عبرة للكفر فيها • يقول في المؤمن صلى وحج وصام فيفرح المؤمن • وتقول في الكافر اشرك وعصى
وسرق وزنا • وشرب الخمر فيحزن • وذلك الاخبار بان الله الهمها وانطقها كما انطق الله الجوارح قوله تعالى
بان ربك اوحى لها • اي اذن لها وامرها • يومئذ يصدر الناس اشتاتا • اي يرجعون
من قبورهم متفرقين الى ارض المحشر فرقا فرقا اهل كل دين على حدة فيصارون الى موضع الحساب متفرقين
الى ارض المحشر فرقا فرقا اهل كل دين على حدة فيصارون الى موضع الحساب قوله تعالى ليروا اعمالهم
من كتبهم التي نسخت اعمالهم فيها • وقيل يرجعون من موضع الى موضع الحساب متفرقين لينظروا اعمالهم فريق
في الجنة وفريق في السعير قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • اختلفوا في مثقال
الذرة قال بعضهم هي ما تقع في الكوة من شعاع الشمس • وقال بعضهم هي النملة الحمراء الصغيرة وذلك
ان قوما كانوا يرون انهم لا يؤجرون على قليل من الخير • ولا يعاقبون على قليل من الشر فانزل الله تعالى هذه الآية وحثهم
على كل خير قل وكثر • وحذرهم من كل شر قل وكثر • كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا النار ولو بشق
تمرة فان لم تجد فبكلمة طيبة • وبالله التوفيق •

سورة والعاديات احدى عشرة آية

وهي مائة وثلاثة وستون حرفا واربعون كلمة واحدى عشرة آية • قال صلى الله عليه وسلم من قرأها اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا •

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا • اقسم الله بالخيول العاديات في سبيل الله اكراما للغزاة وله ان يقسم بما شاء من خلقه
وليس لنا ان نقسم الا به • والضبح همهمة الخيل • وهو ما يسمع من اصوات انفاسها اذا عدت • وعن علي رضي
الله عنه ان المراد بالعاديات الذاهبة • وانتصب قوله ضبحا على المصدر • وتقديره والعاديات تضبح
ضبحا قوله تعالى فالموريات قدحا • فالمظهرات بسنابكها النار يوطئها بسنابكها الحجارة • ويضرب بها
الحصى بعضه ببعض كالقادح والقدح والايراء بمعنى واحد • وتقديره فالقادحات قدحا قوله تعالى
فالمغيرات صبحا • يعني الخيل التي تغير عند الصباح في سبيل الله اضاف الاغارة اليها واراد بذلك
ركابها وذلك انهم كانوا يسيرون الى العدو ليلا ويأتونهم صبحا قوله فأثرن به نقعا • اي هيجن بالمكان الذي انتهت اليه غبارا
وانما لم يذكر المكان لان في الكلام دليلا عليه وذلك ان اثارة الغبار لا يكون الا بمكان قوله فوسطن به جمعا • اي ادخلن في ذلك

المكان في وسط جميع المشركين للإغارة قوله تعالى إن الإنسان لربه لكنود هذا جواب القسم والإنسان
ههنا عبارة عن جنس الناس وقيل المراد به الكافر والكنود هو الكفور الذي يمنع رفده ويأكل وحده ويجلد عبده
هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي الكنود بلسان بني العاصي وبلسان مضر وربيعة وقضاعة الكفور
وبلسان بني مالك البخيل وقال الحسن هو الذي يعد المصائب وينسى النعم وقال عطا الكنود الذي لا يعطي
شيئا في النائبة مع قومه وقيل الكنود الذي لا خير فيه والأرض الكنود التي لا تنبت شيئا وقيل هو الجحود قوله
وإنه على ذلك لشهيد معناه وإن الله على صنع هذا الكنود وكفرانه للنعم لشهيد يحصي عليه أعماله وقيل معناه وإن
الإنسان على نفسه لشهيد يشهد على حاله في عمله وإعراضه عما يجب عليه فالهاء على هذا القول راجعة إلى الإنسان
قوله تعالى وإنه لحب الخير لشديد الضمير عائد إلى الإنسان لشديد الحب للمال يظلم الناس ويأخذ منهم بغير حق ويمنع
إخراجه في حقه ويقال في معناه وإنه لحب المال لبخيل يقال رجل شديد إذا كان بخيلا قال ابن زيد سمى المال خيرا وسمى الله المال
خيرا وسمى الجهاد سوءا فقال فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء أي قتال وليس هو عند الله بسوء ولكن يرونه سوءا ومعنى
الآية وإنه من أجل حب المال لشديد بخيل ويقال للبخيل شديد ومتشدد والفاحش البخيل أيضا قال الله
تعالى ويأمركم بالفحشاء أي البخل قوله تعالى أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور
معناه أفلا يعلم الإنسان إذا بعث الموتى من قبورهم وأظهر ما في صدورهم من الخير والشر والسخاوة والبخل قوله
إن ربهم بهم يومئذ لخبير أي عالم يعلم ما أسروا وما أعلنوا ويجازيهم على أعمالهم ولولا دخول اللام في
جواب إن لكانت مفتوحة لوقوع العلم عليها ولكن لما دخلت اللام كسرت إن على عادة العرب كما في قوله تعالى
يشهد إنك لرسول الله ويحكى أن الحجاج غلط في قراءة هذه السورة فقال أن ربهم بالنصب واستدرك الغلط
من جهة العربية وحذف اللام فقال خبير فالتفت الحسن إلى أصحابه وقال ألا تنظرون إلى عدو الله
يغير كتاب الله ليقوم لسانه والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

سورة القارعة إحدى عشرة آية مكية

وهي مائة وخمسون حرفا وست وثلاثون كلمة وإحدى عشر آية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأها ثقل الله
ميزانه يوم القيمة بسم الله الرحمن الرحيم
القارعة ما القارعة من أسماء القيمة وسميت بذلك لأنها تقرع القلوب بالأهوال والأفزاع والمعنى
ستأتيكم القارعة ويقال إن القارعة هي الصيحة العظيمة قوله تعالى وما أدراك ما القارعة
تعظيم لأن القيمة تقديره القارعة ما هي وأي شيء هي وما علمك ما هي لو لم أعلمك وهذا كما يقال قوله
يوم يكون الناس كالفراش المبثوث معناه يوم يموج الناس بعضهم في بعض حين يخرجون من قبورهم
كالجراد الكثير قوله تعالى يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر وسمي الجراد فراشا لأنه يتفرش حين
يطير ويقال الفراش ما يطير حول السراج من البق ونحوه وإنما شبه الناس يومئذ بالفراش
لأنهم يموجون في ذلك اليوم على وجوههم ولا يدرون من أين يجيئون ولا أين يذهبون قوله تعالى
وتكون الجبال كالعهن المنفوش معناه يصير في ذلك اليوم بعد القوة والشدة كالصوف المندوف وذلك
أوهى ما يكون من الصوف قوله تعالى فأما من ثقلت موازينه يعني بالطاعات والحسنات فهو في عيشة
راضية أي ذات رضا مرضاها الله وقيل معنى راضية أي مرضية قوله وأما من خفت موازينه فأمه
هاوية أي خفت من الأعمال الصالحة فمسكنه ومأواه الهاوية يأوي إليها كما يأوي الولد إلى أمه وقيل يهوي إلى
أم رأسه في النار واختلفوا في كيفية وزن الأعمال قال بعضهم توزن صحائف الأعمال فتوضع صحائف الحسنات في كفة
وصحائف السيئات في كفة وقال بعضهم يخلق الله من الحسنات نورا يكون علامة للحسنات فيوضع في كفة السيئات

واختلفوا فيمن يزن الأعمال قال بعضهم يتولاه ملك من الملائكة موكل بالموازين وقال بعضهم يتولاه ملك
من الملائكة موكل بوزن الأعمال فمن رجحت حسناته على سيئاته نودي بصوت يسمعه أهل الموقف ألا إن فلان
ابن فلان سعد سعادة لا شقاوة بعدها أبدا ومن رجحت سيئاته على حسناته نادى الملك بصوت
يسمعه أهل الموقف ألا إن فلان بن فلان شقي شقاوة لا سعادة بعدها أبدا قوله تعالى
وما أدراك ما هيه أي ما أعلمك يا محمد ما الهاوية ولو لم أعلمك وهذه الهاء تسمى السكت
قوله تعالى نار حامية تفسير الهاوية ومعناه نار قد تناهت حرارتها ويروى أن الفضل
ابن عياض كان كلما افتتح هذه السورة قطعته العبرة من شدة الهول فيفارق الدنيا وما اختتمها والله أعلم

سورة التكاثر ثمان آيات مكية

وهي مائة وعشرون حرفا وثماني وعشرون كلمة وثماني آيات قال صلى الله عليه وسلم من قرأها لم يحاسبه الله تعالى
بالنعيم الذي أنعم الله عليه في الدنيا وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية وبالله التوفيق
بسم الله الرحمن الرحيم
ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر شغلتكم المباهاة والمفاخرة بكثرة المال والعدد عن طاعة الله
ربكم حتى متم ودفنتم في المقابر يقال لمن مات وأنزل حفرته قد زار رمسه وهذا خطاب لمن حرص على
الدنيا وجمع أموالها وهو يريد التكاثر والتفاخر وقيل إن هذه السورة نزلت في حيين من قريش أحدهما
عبد مناف والآخر بنو سهم تعادوا أيهم أكثر فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم إنما أهلكنا البغي والجاهلية
فعدوا أمواتنا وأمواتكم وأحياءنا وأحياءكم فتعادوا فكثرهم بنو سهم فأنزل الله هذه السورة تهديدا لهم والمعنى شغلتكم التفاخر
بالأنساب والمناقب عن توحيد الله حتى عددتم الموتى في المقابر زادهم وعيدهم فقال كلا سوف تعلمون أي حقا سوف
تعلمون ما تلقون من العذاب عند الموت وفي القبر ثم كلا سوف تعلمون أي حقا سوف تعلمون ما
تلقون في الآخرة من عذابها ولا بد أن يكون المراد به الزاجر قوله تعالى كلا لو تعلمون
علم اليقين قال بعضهم جواب هذا محذوف أي حقا لو علمتم ماذا ينزل بكم في الآخرة علم اليقين لما تفاخرتم في
الدنيا ولما ألهاكم التكاثر قوله لترون الجحيم في الموقف إذا قسم على ذلك ثم لترونها معاينة إذا دخلتموها وتشاهدونها في
الآخرة لما شككتم فيه في الدنيا ثم لتسألن يومئذ عن النعيم عن شغلكم بنعيم الدنيا حتى تركتم ما لزمكم من الفرائض ثم اختلفوا
في هذا السؤال قال بعضهم هو سؤال التوبيخ والتقريع للكافر في النار يقال للكافر وهو في النار أين ذهب تفاخرك وملكك
وعددك وعدد لك ويؤيد هذا ما روي أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أكلة أكلها مع النبي
صلى الله عليه وسلم في بيت أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري من لحم وخبز شعير وماء عذب وبسر مذنب فقال يا نبي الله
أتخاف علينا أن يكون هذا من النعيم الذي نسأل عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن ذلك للكفار ثم
قال ثلاث لا يسأل الله العبد عنهن يوم القيمة ما يواري به عورته وما يقيم به صلبه وما يكنه من الحر والبرد
وهو مسؤول بعد ذلك عن كل نعمة وقال صلى الله عليه وسلم ما أنعم الله على عبد من نعمة صغيرة أو كبيرة فقال
عليها الحمد لله إلا أعطي خيرا مما أخذ وعن أنس قال جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
جبريل من يستطيع أن يؤدي شكر ما أنعم الله عليه قال من علم تلك النعمة من قبل الله تعالى فقد أدى شكرها
وسئل ابن مسعود عن النعيم المذكور في الآية فقال الأمن والصحة وسئل علي رضي الله تعالى عنه
عن ذلك فقال خبز الشعير والماء القراح ويقال إنه بارد الشراب وظل المساكن وشبع
البطون ويقال نسأل عن الماء البارد في شدة الحر وعن الماء الحار في شدة البرد فهذا كله محمول
على ما إذا اشتغل بشيء من هذه المباحات فترك بها واجبا عليه وأما إذا لم يكن ذلك فإنه لا يسأل عنها

ولا يحاسب عليها. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: النعيم البارد والرطب. وقال عبد الله ابن عمر: هو الماء البارد في الصيف. وفي المأثور أول ما يسأل الله العبد يوم القيامة أن يقول له ألم أصح جسمك وأروك من الماء البارد. وقال صلى الله عليه وسلم: إذا شرب أحدكم الماء فليشرب أبرد ما يقدر عليه، قيل: ولم؟ قال: لأنه أطفأ للمرة وأنفع للغلة وأبعث للشكر. وقال أبو حازم: الماء البارد يستخرج الحمد من وسط القلب. وقال رجل للحسن: إن لنا جارا لا يأكل الفالوذج ويقول ما أقوم بشكره، فقال: ما أجهل جاركم، إن نعمة الله عليه بالماء البارد أكثر من نعمه بجميع الحلاوى. وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أكل خبز البر وشرب الماء البارد نزل **ثم لتسألن عن النعيم**. قالت الصحابة: يا رسول الله وأي نعيم نحن فيه وإنما نأكل في أنصاف بطوننا الشعير، فأوحى الله إليه: أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد فهذا من النعيم. وعن أنس قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله هل علي من النعمة شيء؟ قال: نعم النعل والظل والماء البارد. وقيل يسأل الله العباد عن خمس: عن شبع البطون وبارد الشراب ولذة النوم وظل المساكن واعتدال الخلق. وعن إبراهيم النخعي قال: من أكل فشبع ودعا فحمد الله تعالى لم يسأل عن نعيم ذلك الطعام. وقال ابن عباس: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيما استعملوها، وهو قوله تعالى: إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا. وقيل إن من نعم الله تعالى على عباده الأكل والشرب وتسهيل خروج الأخبثين. وقال أبو بكر بن عبد الله: يا لها من نعمة تأكل لذة ويخرج ذلك سهلا. وبالله التوفيق

سورة والعصر ثلث آيات مكية

وهي ستة وسبعون حرفا وأربع عشرة كلمة وثلث آيات. قال صلى الله عليه وسلم: من قرأها ختم الله له بالصبر والخير وكان مع أصحاب الحق يوم القيامة.

بسم الله الرحمن الرحيم. حسبي الله

والعصر معناه والدهر، أقسم الله بالدهر في تقلبه وتردده لما فيه من الدلالة على … ويجوز أن يكون المراد … العصر. وقال الحسن: المراد بالعصر العشي، وفائدة ذكر ما فيه من الدلالة على توحيد الله عز وجل إقبال الليل وإدبار النهار … سلطان … **قوله تعالى إن الإنسان لفي خسر** هذا جواب القسم، والإنسان ها هنا اسم جنس أراد جميع الناس، ولذلك استثنى منهم المؤمنين المطيعين. وقيل المراد بالإنسان ها هنا الكافر يخسر نفسه وأهله ومنزله في الجنة ويرثها المؤمن، ويقال معنى الخسر ها هنا نقصان العمر فإنه يربح عليه بالطاعة، فلا بد لذلك خسرا بأنه لا يتوصل إلى الربح إلا بإخراج رأس المال من يده فهي الخسران … الكافر. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان يومه خيرا من أمسه فهو مغبوط، ومن كان في النقصان فالموت خير له من الحياة.

قوله تعالى إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فهؤلاء هم الذين يتمسكون بما يؤديهم إلى الفوز بالثواب والنجاة من العقاب، فإنهم لا يقتصرون على طاعة أنفسهم بل يحثون غيرهم على الطاعة ليقتدى بهم ويكون سببا في طاعة غيرهم. وقوله تعالى وتواصوا بالحق أي وصى بعضهم بعضا باتباع القرآن وطاعة الله، وتواصوا بالصبر على الشدائد في ذات الله. وعن أبي بن كعب قال: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعصر فقلت: يا رسول الله ما تفسيرها؟ قال: أقسم ربكم بآخر النهار إن الإنسان لفي خسر يعني أبا جهل، إلا الذين آمنوا يعني أبا بكر، وعملوا الصالحات يعني عمر بن الخطاب، وتواصوا بالحق يعني عثمان بن عفان، وتواصوا بالصبر يعني علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم.

سورة الهمزة تسع آيات مكية

وهي مائة وثلثون حرفا وثلثون كلمة وتسع آيات. قال صلى الله عليه وسلم: من قرأها أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة. قال ابن عباس: نزلت في الأخنس بن شريق كان يهمز الناس ويلمزهم مقبلين ومدبرين. وقال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة. وحرف لكل تقتضي … الوعيد لكل من … الناس ويعيبهم. والويل كلمة تقولها العرب في كل من وقع في هلكة. ويقال واد في جهنم مملوء من القيح والصديد مما يسيل من أهل النار. والهمزة الطاعن على غيره بغير حق بالحمق والجهل. واللمزة العياب. وعن أبي العالية قال: الهمزة الذي يهمز في الوجه، واللمزة الذي يلمز من خلف. وقال ابن عباس: الهمزة اللمزة هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة. وقيل الهمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم، واللمزة الطعان عليهم. وقيل اللمزة الذي يكرم الناس بلسانه ويلمزهم بعينه. وقال ابن كيسان: الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ، واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه ويشير برأسه ويومئ بعينه ويرمز بحاجبه. **قوله تعالى الذي جمع مالا وعدده**. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وعاصم جمع بتخفيف الميم، وقرأ غيرهم بالتشديد. ومعنى الآية الذي جمع مالا كثيرا من الحرام وعدده لنوائب الدهر. وقيل عده وأحصاه وأحرزه. وقرأ الحسن وعدده بالتخفيف أي جمعه وعدده أي وخلطه وأتباعه. تقول العرب جمعت الشيء إذا كان متفرقا فجمعته، وجمعت الشيء بالتشديد إذا أكثرت الجمع منه. قوله **يحسب أن ماله أخلده كلا** معناه أيحسب هذا الكافر الطاعن اللسان أن كثرة ماله تخلده وتبقيه أي يعمل عمل من يظن أن ماله يبقيه. كلا أي حاشا أن يخلد أحد في الدنيا. ويجوز أن يكون معناه حقا لينبذن في الحطمة أي ليطرحن فيها. وقرأ الحسن لينبذن أي ليطرحن هو وماله. والحطمة اسم درك من دركات النار سميت بذلك لأنها تكثر الحطم للكفار. وأصل الحطم الكسر، يقال رجل حطمة إذا كان كثير الأكل. **قوله تعالى وما أدراك ما الحطمة** تفخيم لشأنها. **قوله تعالى نار الله الموقدة** أي لا تخمد أبدا. **قوله تعالى التي تطلع على الأفئدة** أي تشرف على القلوب فتأكل كل شيء من الجلود واللحوم والعظام والعروق حتى يبلغ إحراقها إلى القلوب. **قوله تعالى إنها عليهم مؤصدة** أي إن الحطمة عليهم أي على الكفار مطبقة الأبواب مغلقة لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم. **قوله تعالى في عمد ممددة**. قرأ أهل الكوفة في عمد ممددة بضمتين وقرأ غيرهم بالنصب، واختاره أبو عبيد لقوله تعالى رفع السموات بغير عمد. والعمد جمع عمود. قال الفراء: هو جمع عماد وهو الأسطوانة. والمعنى تمد أبوابهم فإن جلودهم في عمد ممدودة في النار وتجعل في أعناقهم السلاسل لتكون ذلك زيادة في تعذيبهم. وبالله التوفيق

سورة الفيل خمس آيات مكية

وهي ستون حرفا وعشرون كلمة وخمس آيات. قال صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة الفيل عافاه الله أيام حياته في الدنيا من القذف والمسخ.

بسم الله الرحمن الرحيم. **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل**. وذلك أن فتية من قريش خرجوا تجارا إلى أرض النجاشي فساروا حتى نزلوا من ساحل البحر … نزلوا بحضيرة بيت، وذلك البيت مصلى للنجاشي وقومه من النصارى، فأججوا نارا استعملوها لبعض ما احتاجوا إليه، فارتحلوا ولم يطفئوا النار، وكانوا يعظمون ذلك البيت كتعظيم العرب الكعبة، فقصدوا بذلك السبب مكة … بيت الله، وسمع أهل مكة، فبعث النجاشي أبرهة لهدم الكعبة، فخرج أبرهة في سائر الحبشة وخرج معه بالفيل، فسمعت بذلك العرب فأعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم حين سمعوه يريد هدم الكعبة، فخرج إليه ملك من ملوك حمير يقال له ذو نفر، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده، فأجابه من أجابه فقاتله فهزم ذو نفر وأصحابه وأخذ ذو نفر أسيرا. فلما أراد أبرهة أن يقتله قال له ذو نفر: لا تقتلني، فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيرا لك من قتلي، فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق، وكان أبرهة رجلا حليما. ثم مضى أبرهة على وجهه الذي يريد، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبائل خثعم فقاتله فهزمه أبرهة

وأمر نفيل أسيراً وأتي به إليه • فلما هم بقتله قال له لا تقتلني فإني دليلك في أرض العرب فخلى سبيله
فخرج معه يدله حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود الثقفي في رجال من ثقيف فقالوا له أيها الملك إنما
نريد بيتهم يعنون اللات والعزى إنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم
واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة قال ابن إسحاق فبعثوا معه أبا رغال يدلهم على الطريق إلى مكة
فخرج أبرهة وأبو رغال فهلك أبو رغال فرجمت قبره العرب فهو القبر الذي يرجم بالمغمس فلما نزل أبرهة المغمس بعث رجلاً إلى الحبشة
يقال له الأسود بن مقصود على خيل حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم فأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب
بن هاشم وهو يومئذ كبير قريش وسيدها فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ثم عرفوا أنهم لا طاقة
لهم به فتركوا ذلك وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة وقال له سل عن سيد هذا البلد وشريفهم وقل له إني لم آت لحربكم
إنما جئت لهدم هذا البيت ألم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم فإن لم يرد حربي فأتني به فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد
قريش وشريفها فقيل له عبد المطلب بن هاشم فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة فقال عبد المطلب ما لنا به من طاقة ولا نريد حربه
ولكن هذا بيت الله وبيت خليله إبراهيم • فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا
دافع عنه فقال له حناطة فانطلق معي إليه فإنه قد أمرني أن آتيه بك فانطلق عبد المطلب حتى أتى العسكر فسأل
عن ذي نفر وكان له صديقاً حتى دخل عليه في محبسه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال
وما غناء رجل أسير بين يدي ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً ما عندي غناء في شيء إلا أن أنيساً سائس الفيل
صديق لي فأرسل إليه وأوصيه بك وأعظم عليه حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك وتكلمه بما بدا لك
ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك فقال حسبي فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال إن عبد المطلب سيد قريش
وصاحب عير مكة يطعم الناس في السهل والوحش في رؤوس الجبال وقد أخذ له الملك مائتي بعير فاستأذن له
عليه وانفعه عنده بما استطعت فكلم أنيس أبرهة فقال له أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو
رجل يطعم الناس في السهل والوحش في رؤوس الجبال فأذن له حتى يدخل في حاجته • فأذن له أبرهة وكان
عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه
على سرير ملكه فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه إلى جنبه • ثم قال لترجمانه قل له اذكر
حاجتك فقال له إن حاجتي إلى الملك أن يرد علي مائتي بعير أخذها لي • فلما قال ذلك قال أبرهة لقد كنت أعجبتني حين
رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني في مائتي بعير أخذتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه
ولا تكلمني فيه • قال عبد المطلب أنا رب الإبل وإن للبيت رباً سيمنعه قال ما كان ليمتنع مني قال أنت وذاك
فرد أبرهة إلى عبد المطلب إبله فأخذها ورجع إلى قومه فأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفاً
عليهم من معرة الجيش إذا دخل ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون ويستنصرون
على أبرهة فقال عبد المطلب وهو آخذ بباب الكعبة • لاهم إن العبد يمنع رحله • فامنع رحالك •
لا يغلبن صليبهم • ومحالهم غدواً محالك • عمدوا بجمعهم جهلاً وما رقبوا جلالك • إن كنت تاركهم وكعبتنا
فأمر ما بدا لك • ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب وانطلق هو ومن معه إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون
ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وعبأ جيشه • وكان اسم الفيل
محمود • وأبرهة مجمع لهدم البيت فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب
حتى قام إلى جنب الفيل • ثم أخذ بأذنه فقال ابرك محمود وارجع راشداً من حيث جئت فإنك
في بلد الله الحرام • ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل •
فضربوا الفيل ليقوم فأبى • فضربوا في رأسه بالطبرزين وهو الآلات ليقوم فأبى

فأدخلوا

فأدخلوا محاجن لهم في مراقه فبزغوه بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه نحو الشام ففعل
مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى مكة فبرك وأرسل الله عليهم طيراً من البحر
مثل الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجراً في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس
لا تصيب منهم أحداً إلا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاؤوا ويسألون
عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته • قال الشاعر

أين المفر والإله الطالب • والأشرم المغلوب ليس الغالب

وكان أبرهة الأشرم من حبشية ضربته بها أرياط بحربته على جبهته فشرم حاجبه وأنفه وعينه وشفته وكان يسمى الأشرم
من حبشية قال ابن إسحاق فجعل عسكر أبرهة يتساقطون من الحجارة بكل طريق ويهلكون على كل منهل وأصيب أبرهة
في جسده وخرجوا به معهم تسقط أنامله أنملة أنملة كلما سقطت أنملة أتبعتها مدة تمث قيحاً ودماً حتى قدموا صنعاء وهو
مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم كان مما يعد الله على قريش
من نعمته عليهم وفضله ما رد الله عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم فقال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل
إلى آخرها • قوله تعالى **ألم يجعل كيدهم في تضليل** معناه ألم يجعل مكرهم في بطلان وخسار لم ينفعوا به وأرسل
عليهم من البحر طيراً أبابيل أي كثيرة يتبع بعضها بعضاً وقيل أقاطيع كالإبل المؤبلة والأبابيل جماعة في تفرقة زمرة
زمرة لا واحد لها عند أبي عبيدة والفراء وقيل واحدها أبول كما يقال عجول وعجاجيل ويجوز أن يكون
واحدها إبيل كما يقال إكليل وأكاليل • قوله تعالى **ترميهم بحجارة من سجيل** أي بحجارة من طين مطبوخ خالطه
الحجر وقيل السجيل الشديد كأنه قال بحجر شديد عذابه وعن أبي صالح قال رأيت في بيت أم هانئ
بنت أبي طالب نحواً من قفيز من تلك الحجارة سود مخططة بخطوط حمر على قدر بعر الغنم كأنها جزع ظفاري
قوله تعالى **فجعلهم كعصف مأكول** أي جعلهم كورق الزرع الذي وقع فيه الدود فأكله وكان ابن عباس
يقول في صفة الطير الأبابيل لها خراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وكان إذا وقع حجر على رأس إنسان منهم
خرج من دبره واختلفوا في تاريخ عام الفيل فقال الكلبي كان قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث وعشرين
سنة وروي أنه كان في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا أكثر العلماء وعن عائشة رضي
الله عنها أنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان • والله الموفق

سورة قريش مكية أربع آيات

وهي مكية وسبعون حرفاً وسبع عشرة كلمة وأربع آيات قال صلى الله عليه وسلم من قرأها أعطي من الأجر عشر حسنات
بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها • بسم الله الرحمن الرحيم

لإيلاف قريش • اختلفوا في هذه اللام فقال بعضهم هي لام كي فجعلهم كعصف مأكول لتؤلف قريش [illegible]
لإيلافهم فقال تعالى إيلافهم رحلة الشتاء والصيف أي لتألفهم رحلة الشتاء ورحلة الصيف وإنما قال ذلك لأنهم
خافوا من أبرهة حين قصد إلى البلاد فمن الله عليهم فقهر أعداءهم وكانت مكة لم يكن بها زرع ولا ضرع
وكان تعايش أهلها مما ينقل إليها فأهلك الله عدوهم ليألفوا رحلة الشتاء والصيف في التجارة ولولا
تجارتهم في هاتين الرحلتين اضطروا إلى الخروج منها والتفرق في البوادي فأراد الله أن يكرم مكة إلى أن بعث
الله محمداً صلى الله عليه وسلم منهم نبياً إليهم وإلى غيرهم وكان بعضهم يعدهما سورة واحدة • قال سفيان
بن عيينة كان لنا إمام لا يفصل بينهما ويقرأهما معاً وقال عمرو بن ميمون صليت خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة
المغرب فقرأ في الركعة الأولى والتين وفي الثانية ألم تر كيف فعل ربك ولإيلاف قريش والمعنى أن هلاك أصحاب
الفيل كان سبباً لبقاء أمر قريش ونظام حالهم وقوام أمرهم وقريش هم ولد النضر بن كنانة فمن ولده النضر
بن كنانة فهو قرشي ومن لم يلده فليس بقرشي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله اصطفى

نبي كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وسموا قريشا من التقرش
وهو الكسب والتقلب في الحج والطلب وكانوا قوما تجارا على المال قوله تعالى **إيلافهم رحلة الشتاء والصيف**
بدل من الإيلاف الأول واختلفوا في انتصاب رحلة فقيل نصب على المصدر أي ارتحالهم رحلة وإن شئت نصبته بوقوع
الإيلاف عليه وإن شئت على الظرف واختلفوا في تفسير رحلة الشتاء والصيف فروي عن ابن عباس قال كانوا يشتون
بمكة ويصيفون بالطائف فأمرهم الله أن يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقيل كان لهم في السنة رحلتان إحداهما
في الشتاء إلى اليمن لأنها أدفأ والأخرى في الصيف إلى الشام وكان الحرم واديا جدبا لا زرع فيه ولا ضرع ولا شجر وإنما
كانت قريش يعيشون بتجارتهم ورحلتهم وكان لا يتعرض لهم أحد بسوء وكانت الناس يقولون هم سكان حرم الله
تعالى فلولا الرحلتان لم يكن لأحد بمكة مقام ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف قوله تعالى **الذي
أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** أي سبب الله أرزاقهم وآمنهم من خوف العدو ومن خوف الطريق ويقال
أراد بالإطعام أن أهل مكة كان أصابهم سنون كسني يوسف بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم عليهم حتى أكلوا الجيف والعظام
المحرقة فأزال الله عنهم الجوع وآمنهم بعد ارتفاع ذكر من الجذام الذي يبتلى به في ذلك الوقت أهل البلاد التي [illegible]
وقيل معناه لا يتعرض لهم أحد في الجاهلية

سورة الماعون سبع آيات مكية

وهي مائة وخمسة وعشرون حرفا وعشرون كلمة وسبع آيات قال صلى الله عليه وسلم من قرأها أعطاه الله ثواب المصلين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى **أرأيت الذي
يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم** قال مقاتل والكلبي نزلت في العاص بن وائل السهمي معناه أعلمت
يا محمد الذي يكذب بالبعث والحساب والجزاء وكان العاص بن وائل هو ممن أظهر إنكار البعث وكان في حجره يتيم
فظلمه ومنعه حقه وأكل ميراثه وكان لا يطعم المسكين بنفسه ولا يأمر غيره بالإطعام وهذه السورة تجري له
ولكل من يعمل عمله قوله تعالى **يدع اليتيم** هو الدفع على وجه العنف قوله تعالى **فويل للمصلين الذين هم عن
صلاتهم ساهون** أراد بذلك المنافقين الذين يسهون في صلاتهم عن ذكر الله من حيث لا يقصدون عبادته والتقرب
إليه وكذلك قوله تعالى **الذين هم يراءون** أي هم الذين يراءون إذا رأوا المخلصين صلوا معهم رياء وإذا لم يروهم
لم يصلوا وفي هذا بيان أنه ليس المراد بالسهو في الآية سهو النسيان وعن الحسن أنه قال يسهون عن ميقاتها
حتى يفوت وقال مجاهد يتهاونون عنها ويلهون ولا يتفكرون فيها وعن أنس قال الحمد لله الذي لم يجعل السهو
في صلاتهم وإنما ذكر السهو عن صلاتهم وعن عطاء بن دينار أنه قال الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في
صلاتهم وقيل الساهي عنها هو الذي إذا صلاها صلاها رياء وإذا فاتته لم يندم قوله تعالى **ويمنعون
الماعون** روي عن ابن مسعود وابن عباس أن الماعون ما يتداوله الجيران بعضهم لبعض مثل الفأس والمسحاة
والقدر والدلو وأشباه ذلك وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار وعن عائشة رضي الله عنها
قالت قلت يا رسول الله ما الذي لا يحل منعه قال الماء والنار والملح قلت يا رسول الله هذا الماء فما بال النار
والملح قال يا حميراء من أعطى نارا فكأنما تصدق بجميع ما طبخ بتلك النار ومن أعطى ملحا فكأنما تصدق بجميع ما
طيب بذلك الملح ومن سقى شربة حيث لا يوجد الماء فكأنما أعتق ستين رقبة ومن سقاها حيث يوجد الماء
فكأنما أحياها وعن علي رضي الله عنه أن الماعون هو الزكاة المفروضة والله عز وجل أعلم وأحكم

سورة الكوثر ثلاث آيات مكية

وهي اثنان وأربعون حرفا وعشر كلمات وثلاث آيات قال صلى الله عليه وسلم من قرأها سقاه الله من أنهار الجنة
وأعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في كل عيد والله عز وجل أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم **إنا أعطيناك الكوثر** الخطاب

للنبي

للنبي صلى الله عليه وسلم والكوثر في اللغة الخير الكثير وهو فوعل من الكثرة كنوفل من النفل واختلفوا
في الكوثر في هذه السورة قال ابن مسعود أراد به القرآن وقال الحسن النبوة ورفعة الذكر والنصر على الأعداء وعن
أنس وأبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسري بي نهرا في الجنة حافتاه
اللؤلؤ وقيل الزبرجد ومدره من الذهب يجري على الدر والياقوت وطينه أطيب من المسك الأذفر وماؤه أشد
بياضا من اللبن وأحلى من العسل من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت
الكوثر نهر في الجنة من أدخل إصبعيه في أذنيه يسمع خرير ذلك النهر والكوثر يصب في حوض رسول الله صلى الله عليه
وسلم حصباؤه الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والدر والمرجان وحمأته المسك الأذفر وزرابيه الكافور وماؤه أشد
بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج يخرج من أصل سدرة المنتهى عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب
حوله من الآنية والأباريق عدد نجوم السماء لا يشرب منه أحد فيظمأ بعدها أبدا قوله تعالى **فصل لربك وانحر**
أي فاشكر لله على هذه النعمة العظيمة بالصلاة والنحر وعن ابن عباس أنه أراد بذلك صلاة العيد ونحر البدن في يوم
الأضحى وقيل أراد بذلك صلاة الفجر في يوم النحر وقيل أراد جميع الصلوات المكتوبة قوله تعالى **إن شانئك هو الأبتر**
أي إن مبغضك هو الأبتر الذي لا عقب له في الدنيا والآخرة نزلت في العاص بن وائل السهمي كان يكلم النبي صلى الله
عليه وسلم على باب المسجد الحرام بعد موت عبد الله بن رسول الله فلما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم قيل للعاص من هذا
الذي كنت قائما معه تكلمه قال هذا الأبتر محمد يريد أنه ليس له ابن يخلفه ويقوم مقامه فأنزل الله هذه السورة
إكراما للنبي صلى الله عليه وسلم وجوابا للخبيث يقول شانئك هو المنقطع عن أهله وماله فلا يدرك خيرا أبدا وأما أنت يا محمد فقد جعلت
ذكرك مع ذكري فلا ينقطع ذكرك أبدا والشانئ من الشنآن وهو البغض والله عز وجل أعلم وأحكم

سورة الكافرون ست آيات مكية

وهي أربع وتسعون حرفا وست وعشرون كلمة وست آيات قال صلى الله عليه وسلم من قرأها فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت
عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وتعافى من الفزع الأكبر وقال صلى الله عليه وسلم مروا صبيانكم فليقرؤوها عند المنام
فلا يعرض لهم شيء وقال ابن عباس ليس في القرآن سورة أشد لغيظ إبليس من هذه السورة لأنها توحيد وبراءة من الشرك

بسم الله الرحمن الرحيم **قل يا أيها
الكافرون لا أعبد ما تعبدون** نزلت في رهط من المشركين منهم الحارث بن قيس السهمي والعاص بن وائل والوليد
بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب وأمية بن خلف قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك
في أمرنا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد
إلهك فأنزل الله هذه السورة قل يا أيها الكافرون أي قل لهم يا محمد يا أيها الكافرون بتوحيد الله لست ... هذه بعد
ما تعبدون من الأصنام ولا أنتم عابدون إلهي بجهلكم بالإخلاص في عبادة الله ولا أنا عابد فيما أستقبل ما عبدتم من الأصنام
ولا أنتم عابدون فيما تستقبلون إلهي الذي أعبد وفي هذه القصة نزل قوله تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها
الجاهلون فلما نزلت هذه السورة غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم ثم
قرأها عليهم فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وآذوا أصحابه وأما تكرار الكلام فمعناه **لا أعبد ما تعبدون** في الحال
ولا أنتم عابدون ما أعبد في الاستقبال **ولا أنا عابد ما عبدتم** في الحال **ولا أنتم عابدون ما أعبد** في
الاستقبال وهذا خطاب لمن سبق في علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون وقال بعضهم نزل القرآن بلغة العرب ومن مذهب العرب
التكرار في الكلام على وجه التأكيد والإفهام كما أن من مذهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز ومثل هذا كثير في كلام
العرب كما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال إن بني مخزوم استأذنوني في أن ينكحوا عليا فلا آذن ثم لا آذن
إن فاطمة بضعة مني يسوءني ما ساءها ويسرني ما يسرها وكذلك قال الشاعر يا علقمة يا علقمة يا علقمة

خير تتم كلها وأكرمه • ولا الآخرة كم نعمة كانت لكم كم وكم • قوله تعالى لكم دينكم ولي دين • قرأ نافع ولي بالتحريك ومعناه لكم جزاؤكم ولي جزائي على عبادة الأوثان ولي جزائي على عبادة الرحمن وقيل نسخت هذه الآية بآية السيف •

سورة النصر ثلاث آيات مكية

وهي سبعة وتسعون حرفًا وتسع عشرة كلمة وثلاث آيات قال صلى الله عليه وسلم من قرأها فكأنما شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم • إذا جاء نصر الله والفتح • قال ابن عباس نزلت هذه السورة في حجة الوداع ومعناها إذا جاء نصر الله على الأعداء من قريش وغيرهم وجاء فتح مكة • ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا • في الإسلام جماعات جماعات بعد أن كانوا في ابتداء الإسلام يدخلون واحدًا واثنين اثنين • قوله تعالى فسبح بحمد ربك • أي صل له شكرًا إياه على إنعامه عليك واستغفره لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات إنه كان توابًا • أي متجاوزًا عن المستغفرين فلما نزلت هذه السورة جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من التسبيح وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه السورة سنتين وكان كثيرًا ما يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك فقيل له في ذلك فقال صلى الله عليه وسلم جعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها فعلتها وكان الحسن يقول أخبر الله تعالى محمدًا النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد اقترب أجله فأمر بكثرة التسبيح والاستغفار •

سورة المسد خمس آيات مكية

وهي سبعة وتسعون حرفًا وعشرون كلمة وخمس آيات قال صلى الله عليه وسلم من قرأها رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة •

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت يدا أبي لهب وتب • عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقال صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني لؤي لو أخبرتكم أن خيلًا بسفح الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبًا لك ألهذا جمعتنا فأنزل الله تعالى تبت يدا أبي لهب وتب والتب والتباب الخسران الذي يؤدي إلى الهلاك والمعنى خسرت يداه من كل خير وأضاف إلى اليدين لأن أكثر العمل يجري على اليدين ومعنى قوله وتب أي وخسر هو بنفسه خسرانًا لا يفلح بعده أبدًا والمعنى الذي ذكره الله بالكنية قال بعضهم إنما ذكره بها لأنه كان اسمه عبد العزى فلم يذكره الله بالكنية وقال بعضهم كان مشهورًا بهذه الكنية وقال بعضهم كانت وجنتاه حمراوين • قوله تعالى ما أغنى عنه ماله وما كسب • أي لا ينفعه كثرة ماله في الآخرة ولا ينفعه ما أعد من الكيد والحيل وقيل معناه ما أغنى عنه ماله وولده يعني الولد كسبًا لأن ولد الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه • قوله تعالى سيصلى نارًا ذات لهب • أي سيدخل أبو لهب نارًا ذات لهب لا يسكن لهيبها ولا يطفأ جمرها وقرأ أبو رجاء سيصلى بالتشديد وضم الياء • قوله تعالى وامرأته حمالة الحطب • اسمها أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان لعنها الله تعالى وكانت عوراء وقوله تعالى حمالة الحطب أي نقالة الكذب قال ابن عباس كانت تمشي بالنميمة تقول العرب فلان يحطب على فلان إذا نم عليه وقال الضحاك كانت تأتي بالشوك والعضاه فتطرحها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لتعقرهم وكانت تعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر فعيرها الله بالاحتطاب وهو ما تحمله من الشوك وقراءة العامة حمالة بالرفع على أنه خبر المبتدأ ويجوز أن يكون نعتًا وخبر المبتدأ في جيدها ومن نصب حمالة فعلى الذم والشتم كقوله تعالى ملعونين والمعنى حمالة الحطب وفي قراءة عبد الله ومريئته حمالة الحطب وقراءة أبي والله وامرأته لحاملة الحطب على وزن فاعلة • قوله تعالى في جيدها حبل من مسد • أي في عنقها حبل في الآخرة له ثقل الحديد وحرارة النار ويجثو به اللهيب وقال ابن عباس في عنقها سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا من حديد لو وضعت منها حلقة على جبل لذاب كما يذوب الرصاص تدخل

في

في فيها وتخرج من دبرها وتلوى سائرها في عنقها وذلك أنها كانت لها قلادة فاخرة وكانت تقول لأنفقنها في عداوة محمد وقيل إنها اختنقت في الدنيا بحبل من ليف خنقها الله به فأهلكها ويحمل في الآخرة في عنقها حبل من نار يساق إليه إلى النار والمسد في اللغة الفتل والممسود المفتول وقيل المسد الحديدة التي تدور عليها البكرة تجعل في عنقها سلسلة وتجعل السلسلة في تلك الحديدة فهي تختلف بها في النار كما تختلف الدلو في البئر على البكرة فشبهها الله تعالى بهذه العلامة في جهنم ترفع مرة وتخفض أخرى مع سائر أنواع العقوبات •

سورة الإخلاص أربع آيات مكية

وهي سبعة وأربعون حرفًا وخمس عشرة كلمة وأربع آيات قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الإخلاص فكأنما قرأ ثلث القرآن ويعطى من الحسنات بعدد من آمن بالله وبعدد من أشرك به وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية إلى الغزو وأمّر عليهم رجلًا يقال له كلثوم فكان إذا صلى بهم قرأ الفاتحة وسورة ثم سورة الإخلاص فلما رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه بذلك فقال له ما حملك على ما فعلت قال يا رسول الله إني أحب هذه السورة فقال حبك إياها يدخلك الجنة وعن أنس رضي الله عنه قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فلما أن قدمها طلعت الشمس بأحسن طلوع بضياء وشعاع ونور لم يكن طلعت بمثله فيما مضى فتعجب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فأتاه جبريل عليه السلام فسأله عن ذلك فقال إنه مات اليوم معاوية الليثي بالمدينة وإن الله تعالى بعث سبعين ألف ملك يصلون عليه قال وفيم ذلك قال كان يكثر قراءة قل هو الله أحد قائمًا وقاعدًا وفي ممشاه فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلي عليه قال نعم فصلى عليه ثم رجع قال صلى الله عليه وسلم استكثروا منها فإنها نسبة الله عز وجل من قرأها خمسين مرة رفع الله له بها خمسين ألف درجة وحط عنه خمسين ألف سيئة وكتب له خمسين ألف حسنة ومن زاد زاده الله وقال صلى الله عليه وسلم من قرأها أحد عشر مرة بنى الله له قصرًا في الجنة من لؤلؤة بيضاء على عمودين من ياقوت أحمر فيه اثنا عشر ألف غرفة ومن قرأها خمسين مرة بنى الله له منازل من نور وأجازه على الصراط ومن قرأها مائة مرة غفر الله له ذنوب ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم من قرأها نثر الخير على رأسه من عنان السماء ونزلت عليه السكينة وتغشته الرحمة ونظر الله إليه وجعله في كلايته وحرزه وأعطاه ما سأل وفضائلها أكثر من أن تحصى • والله عز وجل أعلم •

بسم الله الرحمن الرحيم • قل هو الله أحد • اختلف المفسرون في سبب نزول هذه السورة فروي عن ابن عباس أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك الذي تدعونا إليه وعن مقاتل أن عامر بن الطفيل العامري قال للنبي صلى الله عليه وسلم انعت لنا ربك أمن ذهب هو أم من فضة أم من نحاس أم من حديد أم من صفر فإن آلهتنا من هذه الأشياء وبين لنا أيأكل ويشرب وكيف هو فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه السورة وعن سعيد بن جبير أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا أبا القاسم إنك أخبرتنا أن الله خلق الملائكة من نور وخلق الجن من مارج من نار وخلق آدم من طين فأخبرنا عن ربك مم خلقه وروي أنهم قالوا إن هذا الخلق خلق الله فمن خلقه فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى جعل لحمه يربو عليه وحتى هم أن يبطش بهم فأتاه جبريل فسكنه وأنزل الله عليه هذه السورة وقال ابن كيسان إن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك فإنه قد أنزل نعته في التوراة فما أطيق له ومما أعرضه فارتعد النبي صلى الله عليه وسلم ووضع أصبعيه في أذنيه وبكت عيناه تهملان أبو بكر رضي الله عنه يمسح الدموع عن وجنتيه فأنزل الله هذه السورة جوابًا لهم تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا والمعنى قل لهم يا محمد الذي سألتم عن جنس نسبته هو الله وهذا الاسم معروف عند أهل الأديان والجاهلية كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله والأحد والواحد في اللغة بمعنى واحد وقال الخليل

واحد واحد وفرد سواء قوله تعالى **الله الصمد** معناه هو الله الذي يصمد اليه في الحوائج وانه المفزع في النوائب يقول العرب صمدت الى فلان اصمد صمدا بسكون الميم اذا قصدته والمصمود الصمد المقصود وعن ابن عباس ان الصمد السيد الذي قد كمل في سؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم قد كمل في عظمته والجبار الذي قد كمل في جبروته والغني الذي قد كمل في غناه والعليم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته والحليم الذي قد كمل في حلمه فهو الذي له هذه الصفات كلها لا ينبغي الا له وقال قتادة الصمد الباقي بعد خلقه وقيل هو الدائم وقال السدي الصمد المقصود اليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب والعرب تسمي السيد صمدا قال الشاعر

الا بكر الناعي بخير بني اسد ٭ بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وعن ابي بن كعب قال الصمد هو الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شيء يلد الا سيموت وليس شيء يولد الا سيموت والله سبحانه لا يموت ولا يورث وكتب اهل البصرة الى الحسن بن علي يسألونه عن معنى الصمد فكتب بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فلا تخوضوا في القرآن بغير علم فان الله تعالى جل ذكره قد فسر الصمد فقال لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وعن محمد بن الحنفية قال الصمد الغني عن غيره وعن زيد بن علي انه قال الصمد الذي امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون قوله تعالى **لم يلد ولم يولد** اي لم يلد احدا فيرث ملكه ولم يولد من احد فيرث عنه الملك والحاصل من هذا يرجع الى نفي الحدوث والحاجة عن الله تعالى لانه لو كان ممن يولد لكان محدثا ولو كان له ولد لكان محتاجا لان احدا لا يتولد الا لحاجته الى الولد والاستمتاع والله سبحانه منزه عن هذه الصفات كما قال تعالى بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم قوله تعالى **ولم يكن له كفوا احد** تقديره ولم يكن احد كفوا له اي ليس كمثله شيء وفي قوله كفوا ثلث قراآت قرا حمزة ويعقوب وخلف بسكون الفاء مهموزة ومثله روي عن ابن عمرو ونافع وقرا حفص عن عاصم كفوا مثقلة غير مهموزة وقرا الباقون كفوا مهموز مضموم الفاء وكفؤ والكفاء والكفي واحد وهو المثل والنظير تعالى الله عن المثل والنظير والله اعلم ٭

سورة الفلق خمس ايات مدنية

وهي اربعة وسبعون حرفا وثلث وعشرون كلمة وخمس ايات قال صلى الله عليه وسلم من قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تعالى كلها وعن عقبة بن عامر الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبرك بما يتعوذ به المتعوذون قلت بلى يا رسول الله قال قل اعوذ برب الفلق وبرب الناس وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الكلمن تقرا سورة احب الى الله عز وجل من قل اعوذ برب الفلق فان استطعت ان لا تدعها في صلوة فافعل ٭

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق قال الكلبي هذه السورة والتي بعدها انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم حين سحر وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتعوذ بهما وذلك ان رجلا من اليهود يقال له لبيد بن الاعصم سحر النبي صلى الله عليه وسلم فمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد شكواه حتى خيف عليه فبينما النبي صلى الله عليه وسلم بين النائم واليقظان اذ اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال الذي عند راسه للثاني اي شيء به قال سحر قال من فعله قال لبيد بن الاعصم اليهودي قال وبم جعله قال في بئر بني زريق وجعل سحره في كربه فقال وما دواؤه قال يبعث الملك الى بئر فينزح ماءها ويقلع الصخرة فيستخرج الكربة من تحتها فيها احدى عشرة عقدة وانما قالا ذلك لكي يفهم النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه النبي صلى الله عليه وسلم وقد فهم ما قالاه فارسل صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر في نفر من اصحابه الى تلك البئر فاذا ماؤها عمارة وقد تغير لونها وماؤها كهيئة الحناء فنزحوا ذلك الماء حتى بدت الصخرة فقلعوها واذا تحتها كربة فاخذوها واذا في الكربة وتر فيه احدى عشرة عقدة فجاؤا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل

وترك

وانزلت المعوذتان احدى عشرة اية فحلت كل اية عقدة وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتعوذ بهما وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ بهما الحسن والحسين قال الحنيد فقام النبي صلى الله عليه وسلم كانما انشط من عقال وكان لبيد بعد ذلك ياتي النبي صلى الله عليه وسلم فما راى في وجه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من ذلك قط ولا ذاكره اياه وفي بعض الروايات ان بنات لبيد بن الاعصم هن اللواتي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم فذهب بذلك لبيد فجعله في وعاء الطلع اعني كفرى النخل وجعلها في بئر تحت صخرة فلما اطلع الله نبيه على ذلك بعث ابا بكر وعمر حتى اخرجاه وقيل بعث عليا في استخراجه فانزل الله بها بين السورتين والفلق على قول الكلبي وقتادة الصبح عند ثباته وظهوره وعن ابن عباس ان الفلق الخلق يخرجون من اصلاب ابائهم وارحام امهاتهم كما ينفلق الحب من النبات وهذا القول اعم من الاول واقرب الى تعظيم الله تعالى لان الفلق كلمة جامعة من لطائف القرآن والله تعالى فالق الاصباح وفالق الحب والنوى وفالق البحر لموسى ومعنى السورة قل يا محمد اسمع واعتصم واستعذ برب الفلق من شر كل ذي شر من الجن والانس والسباع والحيات والعقارب وغيرها وعن كعب الاحبار قال الفلق بيت في النار لو فتح بابه صاح اهل النار من شدة حره وقال السدي الفلق بئر في جهنم قوله تعالى **ومن شر غاسق اذا وقب** الغاسق هو الليل اذا اشتدت ظلمته ووقوبه دخوله في الظلام هكذا عن قتادة واصل الغسق الجريان بالضرر من قولهم غسقت القرحة اذا جرى صديدها والغساق صديد اهل النار والغاسق كل هاجم بالضرر كائنا ما كان وسمي الليل غاسقا لانه يخرج فيه السباع من اجامها والهوام من اماكنها وانما اضيف الشر الى الليل لان الانسان يحذر فيه وادعوا الليل من الشر ما لا يحذر ومثل ذكر بالنهار وكانه قال تعالى من شر ما يكون في الغاسق كما تقول اعوذ بالله من شر هذا البلد اذا كثر فيه الظلم والفساد وعن علي رضي الله عنه انه قال الغاسق هو الظلام ووقوبه دخوله على الظلم وقيل الغاسق سقوط الثريا لان الطواعين والاسقام تكثر عند سقوطها وترتفع عند طلوعها وعن عائشة رضي الله عنها قالت اراني رسول الله صلى الله عليه وسلم القمر فقال تعوذي بالله من هذا فانه غاسق اذا وقب اي اذا كسف واسود قوله تعالى **ومن شر النفاثات في العقد** اي ومن شر السواحر ينفثن بسحرهن في عقد السحر وهن المتحابات وذلك انهن اذا اردن الاضرار بانسان بنفثن عليه ورقيته بكلام فيه كفر وشرك وتعظيم للكواكب واطعمنه شيئا من الادوية الضارة والسموم القاتلة بالاحتيال يؤثر اذا ظهر الضرر عليه ان ذلك من رقاهن واذا اردن ان ينفعن انسانا نفثن عليه واحللن له سعة شان العقد والرقا والنفث هو ان ينفخ الانسان بعض ريقه على من يعوذه يقال نفث ينفث وتفل يتفل بمعنى واحد قوله تعالى **ومن شر حاسد اذا حسد** معناه فان الحاسد يستعظم نعمة صاحبه ويريد زوالها والبغي والاحتيال بكل ما يقدر عليه من زوال تلك النعمة عنه والحسد في اللغة تمني زوال النعمة عن صاحبها لما يدخل على النفس من المشقة بها ويقال معناه التلهف على جود الله تعالى وهذا هو الحسد المذموم فاما اذا تمنى لنفسه نعمة من الله تعالى مثل نعمة صاحبه من غير ان يتمنى زوالها عنه فذلك يكون غبطة ولا يكون حسدا وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بهذه الاية الاستعاذة من شر عين الحاسد واستدل على ذلك بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر عائشة رضي الله عنها ان تسترقي من العين ويستحب للعائن عند اعجابه بما يراه ان يقول ما شاء الله لا قوة الا بالله كما روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من راى شيئا فاعجبه فقال الله الله ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره شيء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العين حق فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا وانما ختمت السورة بالحسد ليعلم انه اخس من الطبائع التي قبله وهو اخس الطبائع والله اعلم

سورة الناس ست ايات مدنية

وهي سبع وسبعون حرفا وعشرون كلمة وست ايات قال صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل الا اخبرك بافضل ما يتعوذ

به فعلت ما هي قال المعوذتين وروي ما تعوذ المتعوذون بمثلهما وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الفلق وسورة الناس اعطاه الله من الاجر كانما قرأ جميع الكتب التي انزلها الله على الانبياء وصلى الله عليه
وسلم والله اعلم . بسم الله الرحمن الرحيم . قل اعوذ
برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس . أي قل لهم يا محمد استجير واعتصم بخالق
الخلق المقتدر عليهم المالك لمعهم ومدبرهم ومحييهم ومميتهم المستحق للعبادة الذي اليه مفزعهم وملجأهم من
شر الشيطان ذي الوسواس المستتر المختفي عن اعين الناس الذي يصل بوسوسته الى صدور الناس كما ورد في الحديث
ان الشيطان له خرطوم كخرطوم الكلب في صورة الانسان جاثم على قلب ابن آدم اذا غفل العبد عن ذكر
الله وسوس واذا ذكر الله خنس وروي ان عيسى عليه السلام دعا ربه ان يريه موضع الشيطان من ابن آدم
فجلا له فاذا رأسه رأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب فاذا ذكر العبد ربه خنس واذا لم يذكره وضع رأسه
على ثمرة قلبه فمناه وحدثه . قوله تعالى من الجنة والناس . قيل ذلك عائد على الوسواس كأنه قال من شر الوسواس
الذي هو من الجنة والوسواس الذي هو من الناس وتعالى معناه من شر كل مارد من الجن والانس وقيل انما قوله تعالى
من الجنة عائد على لفظ الناس المذكور في قوله تعالى في صدور الناس لان اسم الناس تصلح للجن والانس كما قال
تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فجعلهم رجالا والشيطان يوسوس في صدور الجن كما يوسوس
في صدور الانس ودليل هذا قوله تعالى في اول السورة قل اعوذ برب الناس اراد به رب الانس والجن جميعا

وبالله التوفيق وهو الهادي الى احسن طريق وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه خير صحب وآل وفريق
وسلم تسليما كثيرا وكان الفراغ من تحصيل هذا الكتاب
المبارك بحمد الله ومنه وكرمه يوم الخميس تاسع
شهر الحجة الحرام من شهور سنة ست بعد
الالف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل
الصلوة والسلام
آمين آمين